مجلة الأزهر

٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٦٧

المجلد السادس والخمسون ـ القسم الأول

السنة ١٤٠٤هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

من الهجرة الآمنة إلى الفتح المبين

د. على الخطيب

هى هجرة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

وكانت هجرة لازمة بعد أن رفض المكيون الايمان ، واعتصموا بالشرك ، وأجمعوا على قتل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ واختاروا القتلة ، فخفوا الى بيته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليقتلوه .

فكان البقاء بمكة يعنى أن تتوقف الرسالة .

تلك الرسالة التى لم تكن تخص المكيين ــ وحدهم ــ بل كانت للناس كافة لذا وجب الرحيل، وتلقى « الأمين الكريم خاتم الرسل أجمعين » الاذن بالهجرة الى حيث تعمل الرسالة ، وينتشر الدين ، ويبلغ الناس أجمعين .

الجزء الأول

* السنة السادسة والخمسون *

* المحرم ١٤٠٤ هجرية

* أكتوبر ١٩٨٣ ميلادية

من الـهجـرة الآمـنـــــــة إلى الفتح المبين

لقد صلب الشرك ، وأجمع أمره على صد الايمـــان بكل ســبيل حتى باتت « الندرة » الضعفاء من المكيين الذين لم يســتطيعوا الهجرة ــ يخفــون ايمانهم ويكتمونه ، وكانوا نفرا يعدون على الأصـــابع .

فما البقاء ، ولن يؤمن الا من قد آمن .. ؟!

فكـــان الرحيــــــــل .

فلم تكن الهجرة ــ اذا ــ نتيجة أذى المشركين للمؤمنين . وهناك فى مكـــة من يؤمن ، والا لبقى المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث لازالت الرســـالة تسير ، ولازالت قطرات الايمان تنزل من حين الى حين .

لكن ، لا ايمـــان بعـــد !

وأيضـــــــا :

فلا تعطيل للرســـــالة !

فمضى الرســـول ــ صلى الله عليه وسلم ــ

**

مضى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصاحبه الصديق ــ رضوان اللـــه عليه ، يشقان الطريق ، ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ آمن ، فله من المـــولى ــ عـــــز وجـــــل :

« **عصمة** » تمنعه من الناس .

« **ولازمة** » من خصائصه ، تريه من خلف كما يرى من امـــام

« **وطمأنينة** » تشـــيع فى فؤاده كله النصر والسلام .

فذهب ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسرى عن أبى بكر مالحقه من « الخشية » على رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، كذا فى الغار والطريق :

« **لَا تَحْـــزَنْ إِنَّ اللَّـــهَ مَعَنَـــا** » .

حقا : « **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ** » .

وهنا ــ فى تلك الهجرة ــ قمة التقوى والاحســـان .

**

وخرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مستخفيا ، وهو الآمن على نفسه ، الواثق بوعد ربه •

وكان الخفاء لتتم رحلة الفتح ، وخطا الهجرة فى سلام :

سلام لايعكر صفوه مجابهة حانق مغيظ يرديه قدره قتيلا ، فيقال : قُــر محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بدم أراقه فى أرض حرام •

ويعقب ذلك فتنة تثار على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ، فتنال من الرسالة وتنعكس على « **المدينة** » أرض المهجر حاملة فى ثناياها سلاحا للمنافقين ، وحرجا للمؤمنين ، ومواجهة عصبية لما جرت عليه تقاليد الجزيرة بين العرب أجمعين •

والاسلام فى حاجة الى طرح ذلك كله •

فكان لابد من الخفاء •

**

وهاجر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكان الفتح العظيم •

وخسرت قريش موازين القوة والمكانة التى توارثتها على مدى قرون :

زال عنهم ماكانوا يتمتعون به من أمن فى سفر أو تجارة ، وكان فيما نهبوه من المسلمين المستضعفين مايبرر لهؤلاء متابعتهم لاسترداد بعض حقهم •

ثم اختلف القرشيون فيما بينهم داخل مكة ، وتسلل منهم أفراد أووا الى المدينة فأسلموا وصار للمسلمين أكثر من (عين) لهم بمكة من المؤمنين المستضعفين •

واهتزت قيمة المكيين فى قلوب العرب فلم تعد مثلما كانت عليه من تقدير لايختلف فيه ، وتسليم لايرتد عنه •

ولم تجد قريشا مبادرتها الى «بدر» نفعا ولم تأت بالنصر الذى تتوقعه ، بل نالت ضربة ساحقة أطاحت برءوس الزعماء ، فتبددت منهم الوحدة ، وضاع حلم النصر وجاء الفتح العظيم •

د • على الخطيب

من الهجرة

حسن السلوك

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال :
قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه

أخرجه الخمسة الا الترمذى .

فى هذا الحديث قاعدتان لسلوك المسلم ينبغى أن نتدبرهما فعليهما مدار بناء المجتمع الاسلامى ، بل والانسانى .

القاعدة الاولى : مجملها : كف الأذى عن الناس ، وليس المراد من جملة (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) تحديد معنى المسلم تحديدا كاشفا لمقوماته ومكوناته ، أو تحديد أصل الاسلام ، لأنها لم تحو سوى شعبة واحدة من الشعاب العملية للاسلام . تلك هى : كف الاذى عن الناس ، لكنها مع هذا شعبة فرعية تصلح عنوانا ومعيارا يميز الخبيث من الطيب ويتعرف بها على المسلم الصادق الذى وصفه الحديث بصفة مطردة تقول : اذا رأيتم الرجل يمتنع عن الاضرار بالمسلمين بيده ولسانه كان هو المسلم ، واذا رأيتموه يسعى الى مضارة المسلمين من بين الناس جميعا ، اما بآفات اللسان كالغيبة والشتم والقذف والنميمة واللمز ، وأما بيده بضرب أو اغتصاب حق ، أو قتل ، أو اطلاع على عورات واشاعتها ، والمشى فى المضرات ، وأكل الطعام بغير اذن صاحبه وغير هذا وذاك من أنواع المضارة ، والاضرار فان كان الرجل أو المرأة متصفا أو محترفا لشىء من ذلك فليس من الاسلام فى شىء ، وان انتسب الى الاسلام والمسلمين ، ذلك أن الذى يكف الأذى عن المسلم بوصف كونه مسلما انما هو المسلم . هكذا جاء الوصف فى قول الله : (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) . ولايؤذى المسلم الا من ليس مسلما

لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

فى واقعه (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً) (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) .

ومن هذه الآيات من القرآن الكريم يتضح لنا أن هذه الجملة من الحديث الشريف جاءت ترجمة لمعانى هذه الآيات وغيرها الداعية لحسن السلوك فى المجتمع.

هذا وليس التقيد بالمسلمين مقصودا به عدم المسالمة مع غيرهم مطلقا ، بل يجب كف الأذى عن كل من يسالم المسلمين ويعايشهم ، سواء من أهل الذمة أو المعاهدين أو المهادنين أو المستأمنين لكن الحديث الشريف جعل مسالمة المسلمين وكف الأذى عنهم واجبا أصليا على كل مسلم ، وكانت مسالمة غير المسلمين واجبة تبعا لهم .

أما المحاربون أعداء المسلمين ، فلا يجب كف الأذى عنهم ، بل الواجب رد عدوانهم والخوف من التورط فى علاقات معهم قد تضر بالمسلمين ، ولايظن أحد أن هذه القاعدة (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) هى كل أمر الاسلام وانما هى ــ كما تقدم ــ واحدة من شعبه أو قواعده الواجبة ، وكأنها من باب مالا يتم الشىء الا به ، ومن ثم فلا يركن الى هذا الحديث بعض أولئك المفرطين فى جنب الله ،الذين اذا دعوا الى الصلاة وقيل لهم اركعوا لا يركعون ، أو الى الزكاة وقيل لهم أنفقوا اذا هم يكنزون ، ثم يقولون مجاهرين : مادمنا لا تؤذى أحدا فنحن خير ممن يصلى ومن يزكى ، ومن يصوم ، وكأنهم يقولون ان

من أحسن المعاملة مع الناس لاضير عليه ان لم يحسن المعاملة مع اللـــه .

ان هذا ليس مقصـــودا من الحـــديث الشريف ولايؤدى اليه ، لا بالمنطوق ولا بالمفهوم الشرعى . والقاعدة الأخرى فى هذا الحديث (والمهاجر من هجر مانهى الله عنه) .

جاءت لتقرير معنى الهجرة المستمرة فى الاسلام ، بعد أن كانت الهجـــــرة المكانية من فروضه ، فقد كانت عناية الاسلام فى بدء البعثة المحمدية بأن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام أمرا حتميا مما جعل لفظ الهجـــرة والمهـــاجر اذا أطلق لا ينصرف الا الى هذا المعنى ، حتى قد ظن ان فضل المهاجرة يحصـــــل لصاحبها بمجرد هذا الانتقال ، ولو لم يعمل بعدها شيئا من أمـــور الاســـلام ، فجاءت هذه القاعدة تنبيها على خطا هذا الظن أو الفهم ، وعلى تخطئة من يعتنقه أو يدعو اليه ، مبينة أن الهجرة لايحرز فضلها ألا من أعرض بجوارحه وقلبه عن كل مانهى الله عنه من الآثام الظاهرة ، والباطنة ، ومع هذا فلم تترك هذه القاعدة الهجرة المكانية اذا لزمت ، بل انها تصلح أمرا شاملا جامعا للهجرتين المعنـــــوية والحسية لأن كلمة (مانهى الله عنه) تمتد وتتناول الاقامة فى ديار الشرك غـــــير المأمونة على الاسلام ، كما تتناول الالزام بفرائض الاسلام ، وســـننه وآدابه ، فليست قاصرة على امتناع المسلم عن مقارفة الذنوب ، بل شاملة لكل المعـــاصى ســـلبا أو ايجـــابا .

هذا : ولقد كانت الهجرة الى دار الاسلام واجبة على من أسلم لقلة المسلمين يومئذ بالمدينة وحاجتهم الى التجمع ، فلما فتح الله مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا سقط فرض الهجرة ، وكان الجهاد والنية والمثابرة ، وكانت هجـــــرة مانهى اللـــه عنـــــه .

ولعل من أخطر ما فى عصرنا مما ينبغى هجره والدعوة الى نبذه والحذر منه ، هذه المشاكلة والمشابهة التى يقلد فيها أهل الاسلام غيرهم ، فانهـــــا وان كانت ظاهرية لكنها توجب وتجر الى مشابهة ومشاكلة فى أمور أخرى تصرف عن حقائق الاسلام الى أباطيل خصومه ، وتوجب تنسيقا وتآلفا ، وفى ذلك اضعاف لشخص المسلم وازهاق لميزاته ومميزاته .

فمن الهجرة المطلوبة الآن فى الاسلام أن نهجر تقاليد غيرنا ، وأن نتحفظ فى تقليدهم فى أمورهم الظاهرة حذرا من متابعتهم فى أمورهم الباطنة ، ولعلى أوجـــه هذه الكلمة لمن فتنوا من المسلمين ، ولفتتنوا بمحاكاة الامم غير المسلمة فى عاداتهم

وأزيائهم وسلوكهم ، حتى فيما ينافى المروءة والغيرة يحسبونه هينا وهو باب خطر داهم ، ليس فى أمر الاسلام عقيدته وشريعته فقط بل وفى أمر هذه الحياة اذ أن هذه المتابعة دون حذر وترو طريق انحلال الامم وفنائها ، وتسلط غيرها عليها بعد ذوبان مقوماتها •

ومن هنا ونحن نحتفى بذكرى هجرة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة ينبغى أن نعيد قراءة سيرتها متحرين أهدافها ومقاصدها ، وما كان لها من دوافع وما تم من تخطيط ، ودراسة أمر هؤلاء الذين شاركوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى رحلته أو امداده أثناء مسيرته بحاجاته ، أو باخفاء طريقه وصرف العيون عن متابعته أو ملاحقته حتى بلغ مأمنه ، اذ هؤلاء مدرسة أو مدارس نتلقى منها وعتها كل الخير فى الدين والدنيا •

لقد جمع هذا الحديث الشريف قاعدتين أساسيتين فى السلوك الاسلامى والانسانى ، ينبغى أن نفىء اليهما ، وأن نتبعهما وهما بالهجرة ألصق ، هجرة السوء وتركه أيا كان نوعه أو وصفه ونسقه ، ومهاجرة الى الخير بكل طرقه ، هجرة الى الله بعبادته كما فرض وأمر ، وبالاحسان فى معاملة خلقه كما أرشدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى كثير من أقواله ، بل وفى سلوكه ، ومودته ومحبته للناس وايثاره اياهم بكل خير والوقوف معهم فى كل محنة ، والنزوع بهم الى كل سلوك حميد أو محمود •

فانعموا النظر أيها المسلمون فى هاتين القاعدتين الجامعتين ، ففيهما دواء لعلل المجتمع الاسلامى ، بل والانسانى وأسلموا لله تسلموا ، واهجروا الخيانة ، ماظهر منها وما بطن فى الأقوال والأفعال ، واصدقوا مع الله ومع رسوله تنعموا فى دنياكم ويوم لقياكم بربكم ، وليصدق القول العمل ، وكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولا تكونوا من هؤلاء وأولئك الذين استمرأوا الجدل فى كل شىء والانفلات من كل القيم والمبادىء القيمة التى جاء بها القرآن وجرت بها سنة رسول الله فانه لاصلاح لهذه الأمة الا بما صلح بها أو لها ، فانبذوا الشقاق فقد أنهك الأمة وجعلها نهبا لأعدائها ، وكونوا مع كتاب الله ففيه الهدى والرشاد ومع سنة رسول الله وسلوكه ففيهما الاستقامة والخير ، وخذوا بأسباب الصلاح والاصلاح ، فقد أضاعتنا الأمنيات والأمانى والله معكم ولن يتركم أعمالكم •

وبعد : فليدرس هذه السيرة ــ سيرة الهجرة ــ أهل الاختصاص فى العلوم المتنوعة ، فسيجد كل أولئك نبراسا يهدوننا به فى حياتنا المعاصرة التى أسرعت

من الهجرة حسن السلوك

بها الخطا نحـــو التهور والتدمير ، وليدرس أهـل الاســـلام ــ الهجرة • درس استنباط يأخذون منها الهدى والحل لهذه الأزمات المتلاحقة التى حاقت بالمسلمين وليأخذوا منها العزم والحزم فى مواجهة الصعاب بثبات المؤمنين ، مستعينين باللـــه محتسبين الاجر عند الله ، لا يقعدهم اليأس عن مواجهة البأس ، وليذكروا أن الكيد للاسلام والمسلمين يأخـــذ صنوفا من الالوان والشـــعارات ، فـــلا ينخـــدعوا ، ولا يستسلموا ، ولا يفرطوا فى حقوقهم فى أوطانهم ، وليتجمعوا فان يد الله مـــع الجماعة ، وقديما قال قائلهم : انما يأكل الذئب من الغنم القاصية •

لقد واجهت المسلمين فى ماضيهم أزمات أنذرت بالتفرق والشتات •

ولكن بالحكمة والروية والايثار وليس الأثرة واجه قادة المسلمين تلك الازمات بهـــذه الأســـلحة •

فلننظر الى هذا التاريخ تاريخ أولئك الذين شاركوا رســـول الله وحملوا معه ومن بعده عبء هذا الدين ونشره ، كيف لم تروعهم الخطوب ، وكيف كانت شجاعتهم فوق كل ماداهمهم ، فارتفعوا بهـا فوق النكبات ، فانقلبت الفرقة وحدة ، والتمزق تجمعا ، كان ذلك حين باعدوا بين أنفسهم وبين المآرب والنزوات الشخصية ، وتجردوا من الانانية رعاية لمصلحة الامة وصونا لوحدتها ، وتوحيدا لكلمتها •

انما يتذكر أولو الالباب ، فلنستذكر دروس هجرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى هذه المحن التى نعيشها ، ولنجتمع على قلب رجل واحد نرأب الصدع ، ونجمع الشمل ، لاغالب ولا مغلوب وانما : احدى يدى أصابتنى ولم ترد •

اللهم نشهد أنك الحق بيدك الملك واليك الامر • اللهم اهدنا اليك واجمعنا حول كتابك وشرعك علما وعملا ، وانزع البغضاء والأحقـــاد من قلوب قادة المسلمين وساستهم حتى يفيئوا الى أمـــرك ويستمعوا الى ندائك وقولك الحق (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَـــلَى الْكُفَّـــارِ رُحَمَـــاءُ بَيْنَهُمْ) •

جـــاد الحق على جاد الحق
شـــيخ الازهـــر

■ مع آيات الله
في كتاب الله

في
القرآن
والسنة
والتشريع

■ النقد الحديث
في صحيح البخاري

■ حقوق غير المسلمين
في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

مع آيات الله في كتاب الله

قال تعالى : « ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ » آل عمران ٥٨

الاشارة فى قوله : (ذلك) الى ماتقدم من خبر عيسى وزكريا عليهما السلام .

والتلاوة والقصص : مفهومهما يدل على أن يذكر بعضه اثر بعض ، وقد أضاف الله التلاوة الى نفسه فى قوله : (نتلوه) فى هذه الآية ، وفى قوله : (نتلو عليك أحسن القصص) فى سورة يوسف والقاص والتالى : هو جبريل ــ عليه السلام ــ ، وذلك يدل على أنه جعل تلاوة جبريل تلاوة له وقصص جبريل : قصصا له ، وفى هذا تشريف للملك ، ولما كانت تلاوة جبريل وقصصه بأمره أضاف ذلك الى نفسه .

والآيات : قد يراد بها آيات القرآن من حيث اشتمالها على أخبار الماضين . أو الآيات الدالة على صحة نبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

والذكر الحكيم : قيل : يراد به : القرآن ، وحكيم : بمعنى : حاكم ، لأن الأحكام مستفادة منه أو حكيم : صاحب حكمة فى نظمه .

أو حكيم : بمعنى : محكم لا يتطرق الى أسلوبه خلل ، لأنه أحكمت آياته .

وقيل : المراد بالذكر الحكيم : اللوح المحفوظ الذى نقلت منه جميع الكتب المنزلة على الأنبياء .

وقال تعالى : : « **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ** » آل عمران ٧٠ .

(لم تكفرون) بكسر اللام وفتح الميم وأصله (ما) دخلت عليها اللام الجارة ثم حذفت الألف ، (ولم) للاستفهام .

وقد بين الله فى هذه الآية حالة طائفة من اليهود يعرفون ما فى التوراة من دلائل نبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وهم الأحبار ،

وقد اختلف فى المراد بالآيات فى قوله : « **لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ** »

١ ــ فقيل المراد بها : الآيات التى جاءت فى التوراة والانجيل من حيث البشارة بمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن حيث ان ابراهيم كان حنيفا مسلما ، وأن الدين عند الله الاسلام ، وهم لم يكفروا بالتوراة وانما كفروا بما دل عليه التوراة ، أو أنهم كانوا كافرين بالتوراة ، لأنهم حرفوها وأنكروا وجود تلك الآيات فيها .

وكانوا عند حضور المسلمين وعوام الكتابيين ينكرون اشتمال التوراة والانجيل

للدكتور محمد محمد خليفة

على الآيات الدالة على نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — •

٢ — وقيل : المراد بالآيات هنا : القرآن فهم ينكرون أمام العوام أن القرآن معجز ويشهدون بينهم وبين أنفسهم أنه معجز •

٣ — وقيل المراد بآيات الله : جملة المعجزات التى ظهرت على يد محمد — صلى الله عليه وسلم — •

« **وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ** » أى أنكم اعترفتم بالمعجزات التى ظهرت لتأييد الأنبياء ، فاذا كنتم تشهدون بها مع الأنبياء وأنتم تشهدونها مع محمد — صلى الله عليه وسلم — فكيف تصرون على انكارها ؟ ان ذلك يتناقض مع ما شهدتم به من معجزات الأنبياء •

وقال تعالى : « **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ** » آل عمران ٩٦ ، ٩٧ •

قيل المراد بقوله : « أول بيت وضع للناس : أنه أول بيت وضع لطاعات الناس وعباداتهم ويشاركه بيت المقدس ، وقد بنى بعد البيت الحرام بأربعين سنة كما حدث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد بناه سليمان عليه السلام بعد أن بنى ابراهيم البيت الحرام •

وقيل : هو أول بيت فى الوضع والبناء ، وقيل فى كونه هدى ومباركا •

وقد فسر الله الآيات فى قوله : « **فيه آيات بينات** » بقوله : مقام ابراهيم ، وهو الحجر الذى وضع عليه ابراهيم قدمه وهو يقوم بالبناء ، وبقاء هذا الحجر قائما على الرغم من مرور آلاف الأعوام يعد آية ومعجزة من آيات الله البينات •

وقيل : كان أثر قدم ابراهيم فى ذلك الحجر آية ، والانة بعضه دون بعض آية •

بكة : اسم لمكة ، وسميت بكة ، لأنهم يتباكون فيها أى يزدحمون عند الطواف أو سميت بكة : لأنها تبك أعناق الجبارين •.

وأما مكة : فقد سمى به ذلك البلد ، لأنها تمك الذنوب وتزيلها •

وللكعبة أسماء : الكعبة ، البيت العتيق — المسجد الحرام •

وقال تعالى : « **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ** » آل عمران ٩٨ •

بعد أن بين الله فضل الكعبة ووجوب الحج فى الآية السابقة على هذه أمر نبيه — صلى

الله عليه وسلم ــ أن ينادى أهل الكتاب ليسألهم : لم تكفرون بآيات الله ؟

واختلف فى المراد بأهل الكتاب :

والجمهور على أن المراد بهم : علماء أهل الكتاب الذين يعلمون صحة نبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد خص أهل الكتاب بالذكر ، لأن فيما بين أيديهم من التوراة والانجيل ما يدل على صحة نبوته من حيث ذكر نعوته وصفاته .

والمراد بالآيات : تلك الآيات التى تدل على نبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

والمراد بكفرهم : الكفر بما تدل عليه تلك الآيات من حيث صحة نبوته ثم ذيل الآية ببيان أن الله شهيد على ما يعملون ويجازيهم على عملهم وشهادته على ما يعملون يستدعى عدم الجرأة على الكفر بآيات الله .

وقال تعالى : « **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ** » آل عمران ١٠١ .

الاستفهام فى الآية لانكار وقوع الكفر ، وفيه معنى التعجب الذى يراد به تغليظ هذه الحالة ، وذلك لأن تلاوة آيات الله عليهم مرة بعد مرة بالاضافة الى أن بينهم رسول الله ، هذا وذاك يمحو كل شبهة يثيرها اليهود .

فينبغى للمؤمنين عندما يسمعون تلك الشبهات أن يرجعوا الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليرد على كل ما يثار من شبهات .

وان تلاوة آيات الله عليهم ووجود رسول الله فيهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويزيل الشبهات التي تعترض طريق ايمانهم كل ذلك من أقوى الزواجر عن الكفر فكيف يتأتى مع كل ذلك .

وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يشير الى أن الواجب على المؤمنين أن يتدبروا فى آيات الله وحدهم ، وأن يحاولوا الاستقلال فى فهم الآيات وما تهدف اليه من المعانى المرادة .

وقال تعالى : « **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** » آل عمران ١٠٣ .

المراد بحبل الله : الاسلام ، أو القرآن لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : القرآن

حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ .

صدق الله العظيم

رشـد ، ومن اعتصـم به هـدى الى صراط مستقيم •

والاعتصـام بحبـل الله : اما أن يكـون تصويرا للحالة الحاصلة من وثوقهم بحمايتـه بالحالة الحاصلة من تمسك المتـدلى من مكان عال بحبل وثيق •

واما أن يكون استعار الحبل للاسـلام أو القرآن ، والاعتصام والتمسك ترشيح لهـذه الاستعارة •

وقد نهى الله المؤمنين عن التفرق عن الحق بوقوع الاختلاف بينهم كحال أهل الكتاب أو كحال العرب فى الجاهلية •

وقد أمر الله المؤمنين بتذكر انعـامه عليهم بهذا الاستقرار بعد العـداوة الحمقـاء التى كانت تعبث بمصائرهم وقواهم فى الجاهلية •

وكان للاسـلام أثره فى تأليف تلك القلوب فأصبحوا أخوة فى الله متحـابين متلاقـين فى الحق الذى اجتمعت عليه قلوبهم بعـد نفرة طالت ، وقد كانوا فى ماضيهم على شفا حفـرة أى مشرفين عـلى نار جهنم فهـداهم اللـه للاسلام وأنقـذهم من هاوية كادت تبتلعهم ومثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم آياته ودلائله لعلكم تهتدون ، وتثبتون على الهدى •

وقال تعالى : « **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ** » آل عمران ١٠٨ •

المراد بالآيات : الدلائل الـدالة عـلى الله التى تقدمت فى هذه السورة وفى غيرها •

وقيل : لقد وعد الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن ينزل عليه القـرآن مشتملا على مبادىء وأصول فلما أنزل عليه هـذه الآيات المشتملة على ذلك أشـار اليها بقوله : « **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ** » أى الموعودة نتلوها عليـك بالحق أى ملتبسة بالحق ، أو بالمعنى الحق « **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا** » فينقص من ثـواب محسن أو

يعاقب بغير ذنب (للعالمين) أى لا يريد أن يقع الظلم على أحد من خلقه « **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** »

وقال تعالى : « **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ** » آل عمران ١١٢ .

بين الله فى الآية السابقة على هذه أن اليهود اذا قاتلوا المؤمنين ولوا الأدبار وأنهم لا ينصرون فى معاركهم معهم ، ثم بين فى هذه الآية أنهم قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما وجدوا ، فصار الذل محيطا بهم مشتملا عليهم .

وقيل : المراد بالذلة المضروبة عليهم :

١ ــ أن يحاربوا ، ويقتلوا ، وتغنم أموالهم وتسبى ذراريهم .

٢ ــ أو المراد بالذلة : الجزية ، لأن فى ضرب الجزية عليهم ذلا عظيما .

وهذا وذاك واقع بهم الا اذا اعتصموا بحبل من الله ، (وحبل الله : هو الاسلام) واعتصموا كذلك بحبل من الناس (وهو العهد والذمة) .

وقيل : المراد بالحبلين : العهد والذمة ، وذكر الحبلين ، لأن الأمان المأخوذ من المؤمنين هو الأمان المأخوذ باذن الله .

« **وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** » أى مكثوا وداموا فى غضب الله حيث رجعوا به ، وقد ضربت عليهم المسكنة بسبب ذلك الغضب .

وحمل بعض المفسرين المسكنة على الجزية.

والمعنى : أن الله ألصق باليهود ثلاثة مكروهات : جعل الذلة لازمة لهم وغضب الله كذلك والمسكنة فكل ذلك لاصق بهم لا ينفك عنهم .

وأما علة الصاق هذه الأشياء بهم فهى أنهم : كفروا بآيات الله ودلائله وأنهم كانوا يقتلون أنبياء الله بغير حق ، فعلة الذلة والغضب والمسكنة : هى الكفر وقتل الانبياء ، وعلة الكفر وقتل الأنبياء : المعصية والعدوان.

وقال تعالى : « **مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ** » آل عمران ١١٣ ، ١١٤ .

هذا بيان لقوله تعالى فى الآية السابقة : ليسوا سواء ، أى ليس أهل الكتاب سواء فى

قال تعالى

وَأُفْلِحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ

موقفهم من الاسلام ، وهذا تقرير لما تقدم فى قوله : منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم بين صفات المؤمنين منهم فى قوله : من أهل الكتاب أمة قائمة ...

وقد ترك ذكر الأمة الفاسقة منهم ، لأن فى ذكر احدى صفات الضدين ما يغنى عن ذكر الأخرى .

والمراد بقوله : **(مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ الخ)** أى الذين آمنوا منهم بموسى وعيسى وقد روى أنه لما أسلم عبد الله بن سلام قال اليهود له ولأمثاله : لقد كفرتم وخسرتم فأنزل الله هذه الآية لبيان فضلهم .

وقيل : المراد بأهل الكتاب : كل من نزل على رسلهم الكتب من أهل الأديان ، ويدخل فيهم المسلمون .. والأمة الجماعة ، وقد وصفهم الله بصفات ثمانية مدحهم فيها :

الأولى : أنها قائمة فى الصلاة يتلون آيات الله ، وقد عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى الليل ، أو قائمة : بمعنى ثابتة على التمسك بالدين ، أو قائمة بمعنى مستقيمة عادلة .

الثانية : يتلون آيات الله آناء الليل : اما أن يراد بآيات الله : القرآن ، أو المخلوقات الدالة على قدرة الله وعلمه ، وتلاوتها بمعنى : تدبر مافيها وتذكرها .

الثالثة : وهم يسجدون : أى يقرأون القرآن فى السجود أو المراد بالسجود : الصلاة أى يقرأون القرآن فى صلاتهم ومعنى ذلك : تهجدهم بالليل .

الرابعة : أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر .

الخامسة والسادسة : أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

مع آيات الله
في كتاب الله

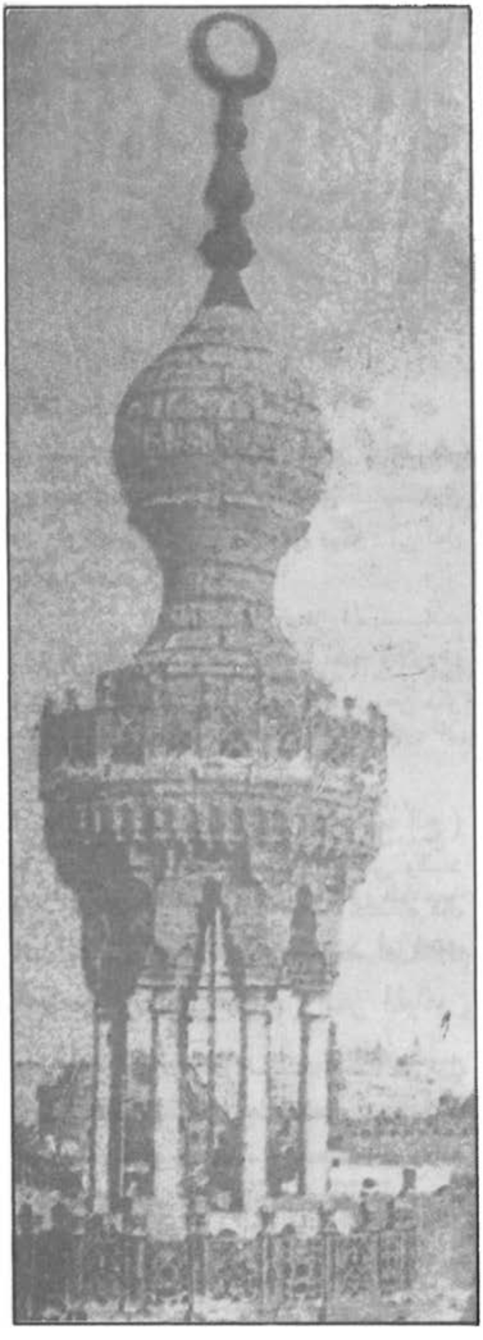

السابعة: أنهم يسارعون فى الخيرات : أى يتبادرون اليها خيفة أن تفوتهم .

الثامنة: وأولئك من الصالحين ، أى أن الموصوفين بتلك الصفات من جملة الصالحين .

وهذا الوصف الأخير وصف الله بــه كبار الأنبياء كقوله بعــد ذكر اسماعيل وادريس وغيرهما « وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ » فدخولهم فى رحمة الله كان بسبب صلاحهم ، وذكر فى دعاء سليمان : وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين .

د. محمد محمد خليفه

النقد الحديث

فى صحيح البخارى (١)

لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم

قال الامام مالك « لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك ، لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من سفيه يعلن بالسفه وأن كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس ، وان كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة ، اذا كان لا يعرف ما يحدث به » .

وهذا هو نهج المحدثين والبخارى ، وكان نهجا عمليا تطبيقيا ، فمايزوا بين الصالحين للرواية وغير الصالحين ، كما يتضح ذلك فى كتاب التاريخ الكبير ، وكتاب الضعفاء للبخارى ، ووضح الأمر وأشرق اليقين ، على أنهم وضعوا قواعد للمتن على خلاف ما زعم (جولد تسيهر) ما ردده بعده المستشرق « غاستون ويت » كاتب مقال « الحديث فى التاريخ العام للديانات » .

وقد قال : « لقد درس رجال الحديث السنة باتقان ، الا أن تلك الدراسة كانت موجهة الى السند ، ومعرفة الرجال ، والتقائهم ، وسماع بعضهم من بعض ، الا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ، ورتب النتيجة الخبيثة لهذه الفكرة الخطيرة ، بقوله : لذلك فلسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله ، من غير أن يضيف اليه الرواة شيئا عن حسن نية فى اثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعى أن يكونوا قد زادوا شيئا فى أثناء روايتهم مشافهة ، ومهما كان هذا الرأى صحيحا ، فان المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح أ . هـ وهكذا يرمون القضايا جزافا غير مشيرين الى ما هناك من مصادر الصحيح معلومة ، وأخرى جمع فيها كلام الوضاعين ، وأصبح الأمر معلوما ، والحق ان المسلمين يتقبلون الحديث الصحيح على أنه صحيح لأنهم أعلم بمقاييسهم ، وأفهم بمصطلحاتهم ، وأصدق جهدا بالعناية بتراثهم ، لا كما فهم المستشرق ، وهذه الدعوى بهرت بعض الباحثين الاسلاميين من أتباع المستشرقين ، فقط رددها الأستاذ أحمد أمين فقال (٢) :

وقد وضع العلماء للجرح والتعديل ، قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال — عنوا بنقد الاسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن يظفر منهم بنقد من ناحية أنما نسب الى النبى (صلى الله عليه وسلم) لا يتفق والظروف التى قيلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفى يخالف المألوف فى تعبير النبى أو أن الحديث أشبه فى شروطه وقيوده بمتون الفقه ، وهكذا لم نظفر منهم فى

(١) نعيد نشر هذا المقال لسقوط بعض صفحاته فى العدد الماضى (ذى الحجة) ١٤٠٣ استدراكا للخطأ المطبعى واتماما للفائدة .

(٢) فجر الاسلام ص ٢١٧ ، ٢١٨

النقد الحديث في صحيح البخاري

هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم » أ • هـ •

وهذه الدعوة من حيث السنة العامة — بما فيهم الشيخان وغيرهما •

بل انما تطرق هذا التطبيق ، وتعدى الى البخارى نفسه فيقول الاستاذ أحمد أمين ، حتى ان البخارى نفسه على جليل قدره ، ودقيق بحثه ، يثبت أحاديث ، دلت الحوادث الزمنية ، والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال •

وأقول لمثل هؤلاء ، ان العناية بالسند انما هى من أجل المتن كما أشرت من قبل ، ثم ان عدم معرفتكم لمقاييس النقد فى المتن لا يعنى عدم وجودها ، والمحدثون نقدوا المتن كما نقدوا السند ، الا أن هذا النقد لم تهتدوا الى فطان بحثه ، حيث بحثتم عليه فى الأحاديث الصحيحة السند ، وهو انما يظهر لكم بوضوح عند عدم التأكد من صحة السند ؟ لأن السند الذى فرض عليه الاتصال للثقات العادلين الحافظين المتسمين بالصحة من الصعب أن نجد فيه الموضوع — لا كما يدعى هؤلاء ، وكما يقول أبو رية وهو من أتباع أتباع المستشرقين أو من أتباع المغرورين من أن المحدثين لا يعنون بغلط المتن :

ونقل أبو رية الاتفاق (١) على أنه ليس كل ما صح سنده من الأحاديث المرفوعة يصح متنه ، لجواز أن يكون فى بعض الرواة من أخطأ فى الرواية عمدا أو سهوا •

وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه باطلا بل قالوا ان الموضوع من حيث الرواية يكون صحيحا فى الواقع ، وأن الصحيح السند قد يكون موضوعا فى الواقع ، وانما علينا أن نأخذ الظواهر أ • هـ وأقول : « قد وضع المحدثون المتقدمون قواعد لمعرفة المتون الموضوعة ، وهى تظهر بوضوح فى غير صحيح الاسناد •

قال الامام ابن قيم الجوزية (٢) •

« وسئلت هل يمكن معرفة الموضوع بضابط من غير أن ينظر فى سنده ؟

وهذا سؤال عظيم القدر ، وانما يعلم ذلك من تضلع فى معرفة السنن الصحيحة ، واختلط بدمه ولحمه ، وصار له فيها ملكة وحالة • له اختصاص شديد لمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهديه فيما يأمر به وينهى عنه ، ويخبر عنه ، ويدعو اليه ، ويحبه ويكرهه ، ويشرعه للأمة ، بحيث كأنه مخالط لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) كواحد من أصحابه ، ومثل هذا يعرف من أحوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) • وهديه وكلامه ، وما يجوز أن يخبر عنه ومالا يجوز ، مالا يعرفه غيره ، وهذا شأن كل متبع مع متبوعه ، فالأخص به الحريص على تتبع أقواله وأفعاله فى العلم بها والتمييز بين ما يصح أن ينسب اليه ومالا يصح أن ينسب له من الدراية ما ليس كمن يكون كذلك • وقال ابن دقيق العيد (٣) فان معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى•

« ومن القرائن التى تدل على الوضع فى المتن على سبيل الاجمال ركالة اللفظ المروى بحيث يدرك من له المام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبى (صلى الله عليه وسلم) وقد

---

(١) أضواء على السنه ص ٣٠٤ لابى رية

(٢) المنار لابن قيم الجوزيه ص ١٥ وانظر قواعد الحديث ص ١٤٨

(٣) توضيح الافكار ص ٩٤

وضعت أحاديث ركيكة ، تشـــهد ألفاظهـا ومعانيها لوضعها ، ، قال الحافظ ، المـدار فى الركة على ركة المعنى ، فحينما وجـدت دلت على الوضع ، وان لم ينضـم اليهـا ركـاكة اللفظ ، لأن الدين كله محاسن ، والركـةترجع الى الرواية •

أما ركاكة اللفظ فقط ، فـلا تدل على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى وغير ألفـاظه لغير لفظ فصيح ، نعم ان صرح بأنه من لفظ النبى (صلى الله عليه وسلم) فكـاذب •

فساد المعنى ، كالأحاديث التـى يكذبهـا الحس ، نحو حديث (الباذنجان لما أكل له)

ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشـواهد الصحيحة على بطلانه ، وكل ما يشتمل عـلى سخافات لا تصدر عن العقـلاء كحـديث « المجره » التى فى السماء من عرق الأفعـى التى تحت العرش •

وما يناقض نص الكتاب والسـنة المتواترة أو الاجماع القطعى (١) •

قال ابن قيم الجوزية : « ومنها مخـالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا ، وأنها سبعة آلاف سـنة ، ويجـىء فى الألف السابعة ، هذا من أبين الكذب ، فهو مخـالف لقوله تعالى : « **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْـرَاهَا ، إِلَىٰ رَبِّـكَ مُنتَهَاهَا**) (٢) •

ولقوله تعالى : (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَـا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّـمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً**) (٣) •

(١) الباعث الحثيث ص ٩
والمنار لابن قيم الجوزيه ص ٢٠
(٢) سورة النازعات آية ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤
(٣) سورة الاعراف آية ١٨٧

وقال النبى صلى الله عليه وسلم (لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) (٤) •

وكل ما يخالف الحقائق التاريخية ، وتكونت من الدراسة ملكات خاصة عند المحدثين •

وفى هذا يقول ابن الجوزى : « الحـديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وتنفر منه قلبه فى الغالب » (٥) •

ويقول الربيع ابن حثيم التابعى الجليل أحد أصحاب ابن مسعود •

« ان من الحديث حديثا له ظلمة كظـلمة الليل تعرفه بها » (٦) •

(وان من الحديث حديثا له ضوء كضـوء النهار تعرفه) •

ولم تكن هذه المقاييس بخافية على أصحاب الصحاح بل هم فرسان حلبتها لذا لم يوجـد الموضوع عندهم ، أفبعد كل هذا مع جمـع الأحاديث الموضوعة فى قائمة ، والصحيحة فى قائمة ، والتعاون من أعلام المحدثين فى المجتمع الاسلامى تصح دعوى المستشرقين ، ومن نهج نهجهم فى عـدم الاعتنـاء لنقد المتن الذى من أجله كان السند ومع كل اعتناء بالسـند، انما هو اعتناء بالمتن ، فوق ما تقدم من قواعد المتن الخاصة ، والواقع أن سبب عدم وجود نقد المتن فى صحيح البخارى ، أنه ، انما لما صدق السند صدق المتن ، فلم توجد فيه متون مخالفة لقواعد نقد المتن — وان قواعد نقـد المتن تظهر فى غير ما سنده يكون صحيحا ، وقد جهلتم ياهؤلاء فطان أمـاكن البحث فابحثوا عنها تجدوها فى كتب الموضوعات ، فلو لم يكن الاهتمام بالمتن •

لما حصرت الموضوعات ، والا على أى أساس حصرت غير نقد المتن ، لانه من

(٤) المنار لابن الجوزية ص ٣١
(٥) الباعث الحثيث ص ٩٠
(٦) معرفة علوم الحديث ص ٩٢

النقد الحديث في صحيح البخاري

المعلوم أن ضعف السند لايقتضى ضعف المتن ، بل يتوقف عن قبـوله ، ولايحكم بوضعه ، ويقـال فيه لم يثبت فاذا أتى من طريق صحيح صـح المتن وقبـل ،

« فى معرض عدم العناية بنقد المتون » .

قال أبو رية : فان الدار قطنى وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء النقد فيما يتعلق بالمتن كما تعرضوا لذلك فى الاسناد وذلك لأن النقد المتعلق بالاسناد دقيق غامض لا يدركه الا أفراد من أئمة الحديث المعروفين بمعرفة علله ، بخلاف النقد المتعلق (بالمتن) فانه يدركه كثير من العلماء الاعلام المشتغلين بالعلـوم الشرعية والباحثين عن مسائلها الاصـلية والفرعية ككثير من : المفسرين والفقهاء وأهل أصول الفقه وأصول الدين .

وكأنه يعنى بذلك نفسـه وأمثاله غرورا وبهتانا ، وكأن الدار قطنى وهـو من أئمـة النقاد لم يصل الى مقاييس أبى رية وأتباعه ، ثم بعد ذلك ناقض نفسه فبعد أن قرر أن أئمة الحديث انما يعنون بالسند رجع مباشرة بعـد هذا الكلام بدون فاصل فقرر بأن كثيرا من أئمة الحديث تعرضوا لنقد المتن وان كان قليلا بالنسبة للسند ، وجاء بالمثال الذى جاء به ابن حجر فى المقدمة ، ورد عليه ابن حجر حيث لم يجد أبو رية غيره .

قال أبو رية :

وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقـد من جهة المتن الا أن ذلك قليل جدا بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الاسناد فمن ذلك يقول الاسماعيلى بعد أن أورد الحديث الذى رواه البخارى عن ابن أبى أويس عن أخيه عن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : « يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامـة وعلى وجه آزر قتره ـ الحديث » .

هذا خبر فى صحته نظر من جهة أن ابراهيم عالم بأن الله لا يخلف الميعاد ، فكيف يجعـل ما بأبيه خزيا له مع اخباره أن الله قد وعـده أن لا يخزيه يوم يبعثون ، وأعلمه أنه لا خلف لوعده ، وقد أعل الدار قطنى هذا الحديث من جهة الاسناد فقال : هذا رواه ابراهيم بن طهمان عن سعيد المقبرى عن أبيـه عن أبى هريرة وأجيب عن ذلك : بأن البخارى قد علق حديث ابراهيم بن طهمان فى التفسير فلم يهمل حكاية الخلاف فيه .

وينبغى للناظر فى الصحيحين أن يبحث عما انتقد عليهما من الجهتين فبذلك تتم له الدلالة فيما يتعلق بالرواية اهـ أبو رية .

وقد تبين أن البخارى كما ذكر، حكى الخلاف فيه وبينه ، فلا نقد عليه ، هذا فضلا على أن مثل هذا من ناحية المعنى هو ما حكاه القرآن مع نبى آخر هو الاب الثانى للأنبياء (نوح) عليه السلام حينما قال : « ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق » فبين الله أنه ليس من أهله حتى يكون قد أخلف الوعد « إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، قَـالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ » .

وفى هذا الحديث عندما يقـول ابراهيم : **«يارب انك وعدتنى الا تخزينى يوم يبعثون»**.

فيقول الله تعالى : **« انى حرمت الجنة عـلى الكافرين »** . والمعنى : ان ذلك ليس بخزى وليس باخلاف للوعد كما قال لنوح عليه السلام ولو أطلقت العقول المغرورة فى مثـل هـذه

الأمور المتشابهة لطعنت فى القرآن بما لا يوافق هواها كما طعنت فى السنة .

وقد بنى هؤلاء النقاد قاعدتهم هذه على ما صرح به المحدثون من أنه لا يلزم حتما من صحة المتن صحة السند كما لا يلزم العكس ، قالوا ذلك من أجل الاحتياط التام ومن حيث الجواز العقلى ، ومرادهم : ان المتن قد يزاد فيه لفظ مدرج أو قد يسهو الراوى على سبيل الندرة ، على لفظ لا يسترعى اهتمامه لعدم تعلقه بأصل الحديث ، والا لما قبل أن ينقله ، على أنه فى حالة نقله يبين عدم تمكنه أو تردده فى هذه اللفظة ، ووضع المحدثون لمعرفة ذلك مقياسا ، واستوعبوا مثل هذه الالفاظ النادرة وذلك أنها تعرف بمخالفة الثقات حيث وردت بطريق آخر ، ومثل ذلك فى البخارى الاختلاف فى ثمن جمل جابر رضى الله عنه .

وقد بين البخارى مع عدم تعلق ذلك بالحكم الأصلى الروايات ، ونص على الأصح منها ، مثل ذلك حديث ذى اليدين — رواه البخارى عن ابن عمر ، قال يوم الاحزاب : أن لا يصلين أحدكم العصر الا فى بنى قريظة ، ووقع فى رواية أخرى : أن لا يصلين أحدكم الظهر ، وجمع بين الروايتين : بأن النبى قال ذلك لقوم ثم قال لفرقة آخرى يعدهم رواية العصر ، أو بجواز خطأ الراوى لعدم تعلق حكم هام باختلاف العصر أو الظهر .

وقد نص المحدثون على كل ذلك وما ماثله وأصبح الأمر وضحا لا لبس فيه .

« الاحاديث التى انتقدها أحمد أمين »

وعلى المقاييس المهتزة نهج أحمد أمين فقال : ان البخارى يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال ، من ذلك مثلا حديث « من اصطبح كل يوم سبع ثمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم الى الليل » قد أخرجه الامام البخارى فى كتاب الطب (١) كما أخرجه الامام مسلم والامام أحمد (٢) .

وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بتمر المدينة اعتمادا على الاحاديث المقيدة بذلك ، ومنهم من أطلقه ، والذى ارتضاه الأكثرون تخصيصه بعجوة المدينة ، قال ابن القيم فى زاد المعاد : « والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به » ونفع هذا العدد من التمر من هذا البلد من هذه البقعة بعينها من السم والسحر بحيث تمنع اصابته من الخواص التى لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الاطباء لتلقاها عنهم الاطباء بالقبول والاذعان والانقياد ، مع أن القائل انما معه الحدس والتخمين والظن .

فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى أزلى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض . هذا خلاصة ما ذكروه فى هذا المقال .

واذا كان السحر نوعا من الأمراض النفسية، وللايحاء بالنفس أثر كبير فى شفاء المرضى ، أو أن أثر الصحة نافع فى الحالة النفسية كما يقرر العلم الحديث فان أثر هذا الغذاء النافع يقى الجسم من الحالة النفسية ، ويكون له أثر طيب فى حالة المسحور كما قال النبى — صلى الله عليه وسلم — :

قال الدكتور السباعى (٣) « انك لا تشك معى فى أن اقدام مؤلف (فجر الاسلام) على القطع بتكذيب هذا الحديث ، جرأة بالغة منه ، لا يمكن أن تقبل فى المحيط العلمى بأى حال مادام سنده صحيحا بلا نزاع ، ومادام متنه

---

(١) صحيح البخارى يشرح السندى ص ٢٠ حـ ٤ .

(٢) صحيح مسلم ١٨ ١٦ حـ ٢ .

(٣) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٢٦٥ .

النقد الحديث في صحيح البخارى

صحيحا على وجه الاجمال ، ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ما دل عليه من خواص العجـــوة ، ويقينى أنه لو كان فى الحجاز معاهد طبية راقية ، أو لو كان ثمـــر العالية موجودا عند الغربيين لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة ، ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة ان لم يكن اليوم ففى المستقبل ان شاء اللـــه

ويحقق الزمن صدق المدافع عــن الســـنة ويثبت صحة مقاييسه ويبطل مقاييس النقـــد الحديث فقد كتب الاهرام تحت عنوان (١) « البلح علاج لأمراض العيون والجلد والأنيميا والنزيف ولين العظام والبواسير ، ويساعد على الولادة بسهولة » أثبتت الابحاث العلمية التى أجريت أخيرا بالمركز القومى للبحوث : أن البلح غذاء كامل ويفيد فى وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون وضعف البصر وعـــلاج الامراض الجلدية كالبلاجرة ، وأمراض الأنيميا وحالات النزيف ولين العظام والبواســـير ، ويساعد الحامل بسهولة على الولادة ، صرح بذلك الدكتور عزيز شرف المشرف عــلى وحدة بحوث الأدوية بالمركـــز القومى للبحــوث . وأضاف قائلا : ان الأبحاث أثبتت كذلك : أن البلح يعادل اللحم فى قيمته الغذائية ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومـــواد معدنية وسكرية ، وذلك بالاضافة الى أنه غنى بالكالسيوم والفسفور والحديد ، ويحتوى على غالبية الفيتامينات المعروفة .

وبهذا قد ثبت ، أن المشاهدة والعلم يكذب نقدهم ، ويثبت صحة الأحاديث التى لم ترق فى نظرهم . وهكذا يخطىء النقاد من المحدثين ويكذبهم العلم ومثال ما نقدوه أيضا فى صحيح البخارى نتيجة عدم الدقة فى البحث ما نقده الأستاذ أحمـــد أمين مما رواه البخـــارى « لا يبقى على ظهر الارض بعد مائة سنة نفس منفوسة » هذا الحديث أخرجه الامام البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث ، وفهم منـــه مؤلف (فجر الاسلام) : أن مراد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الاخبار بانتهاء الدنيا بعد مائة سنة ، ومن هنا حكم عليه بالوضـــع لمخالفته للحوادث التاريخية والحس والمشاهدة ولكن هذا الحديث الذى ذكر هو جزء من حديث كامل أخرجه البخارى فى السمر فى الفقه والخير بعد العشاء من كتاب الصلاة ، وهو أن عبد الله ابن عمر قال : قام صلى الله عليه وسلم ــ فى صلاة العشاء فى آخر حياته ، فلما سلم قال : ارأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ، فوهل الناس فى مقالة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى ما يتحدثون من هذه الاحاديث عن مائة سنة ، وانما قال النبى : لا يبقى ممن هو « اليوم » على ظهر الارض . يريد بذلك : أنها تحزم ذلك القرن . فهذا معنى الحـــديث واضح فى أن الرسول أخبر صحابته فى آخر حياته ، وجاء فى رواية جابر قبل وفاته بشهرين حين قال الرسول تلك المقالة « لا يعمر أكثر من مائة سنة » ولم يفطن بعض الصحابة الى تقييد الرسول بمن هو على ظهرها اليوم فظنوه على اطلاقه ، وأن الدنيا تنتهى بعد مائة ســـــنة فنبههم ابن عمر الى القيد فى لفظ الرسول وبين لهم المراد منه ، وكذلك فعل على بن أبى طالب فى رواية الطبرانى .

وقد استقصى العلمـــاء من كان آخـــر

---

(١) العدد ٢٧٦٠٥ ص ٤ .

الصحابة موتا فوجدوه أبا الطفيل عامر بن وائلة، وقد مات سنة عشر ومائة ، وهى رأس مائة سنة من حديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — فيكون الحديث معجزة من معجزات الرسول — عليه الصلاة والسلام — حيث أخبر بأمر مغيب فوقع كما أخبر •

قال الدكتور السباعى : فأنت ترى أن هذا الحديث الذى كان فى الواقع معجـــزة من معجزات الرسول — عليه الصلاة والسلام — ينقلب فى منطق النقد الجديد الذى دعا اليه صاحب (فجر الاسلام) الى أن يكون مكذوبا

مفترى ، وان تعجب فعجبك من الأســـتاذ مؤلف (فجر الاسلام) ذكر فى آخر فصلـه أهم مراجع بحثه وفى مقدمتها (فتـح البارى على البخارى) والقسطلانى على البخارى ، وشرح النووى على مسلم ، وهؤلاء الشراح نبهوا على معنى الحــديث ، وبينوا تقسيم البخارى له فى موضعين ، وأشاروا عند الجزء المختصر الى موضع الحـديث الكامل • فاذا كان الأستاذ أطلع على روايات الحديث وأقوال الشراح فكيف حكم بعـد ذلك بكذبه ؟ • وان لم يطلع عليها فكيف عد تلك الشروح من مراجع بحثه ، بل كيف استباح الخوض فى هـــذا الموضوع على غير هدى ؟

نقد الدكتور محمد توفيق صدقى

وحديث الذباب رواه البخارى فى باب اذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه فان فى أحد جناحيه داء والأخرى شفاء ، عن أبى هريرة — رضى الله عنه — ، ويقول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « اذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان فى أحد جناحيه داء وفى الأخرى شـفاء » • أنكـره الدكتور محمد توفيق صـــدقى (١) وطعن فيه لأنه لا يوافق العقل والعرف ، وثار علماء الأزهر فى وجهه لتوهينه حديثا فى صحيح البخارى •

ثار علماء الأزهر فى وجهه ووقف بجـانبه الأستاذ محمد رشيد رضا ونعى على الأزهريين هذا التعصب ضد مسلم من خيـار المسلمين علما وعملا دفاعا عن الاسلام ، وقال : وكيف يحصل منهم ذلك بمجرد شبهة على صـحة حديث رواه البخارى عن رجل يكاد أن يكون مجهولا واسمه يدل على أنه لم يكن أصـيلا فى الاسلام وهو عبيد الله بن حنين وموضـع ضعفه ليس من عقائد الاسلام ولا من عباداته ولا من شرائعه ولا ألزم المسلمون العمـل به ! ما أسهل التكفير عـلى مقـلدى أقوال المتأخرين وحسبنا الله ونعم الوكيل •

ونقل هذه الآراء فى موضع الاستشهاد بها أبو رية ، ثم بعد ذلك فى عهد التقدم العلمى والمعامل والتحليل نسـتمع الى انصاف صحة الحديث وتأكيد صـحته كمعجـزة للنبى الأمى حيث صرح به فى عهد لم يعلم فيه التحليل ، وهاهـو التحليل العلمى يكذب النقاد ويصـدق ما أخبر به النبى — صـلى الله عليـه وسلم — •

د • الحسينى هـاشم

(١) السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ •

حقوق غير المسلمين في ظل تقنين : الشريعة الاسلامية

كنا قد بدأنا فى بيان الحقوق التى كفلتها الشريعة الاسلامية لغير المسلمين فى بعض الأعداد التى صدرت فى العام الماضى من عمر تلك المجلة المبارك ، على أمل الانتهاء من تقديمها خلال نفس العام ، لتكون كاملة بين يدى القارىء فى مجلة الأعداد التى صدرت فيه ، الا أن عارض « المرض » قد حال دون انجاز تلك الدراسة فى موعدها المشار اليه ، الأمر الذى جعلنا نستكمل بيانها فى العام الجديد . وحتى لا يضطر القارىء الى متابعة تجهده ، رأينا أن نقدم له خلاصة دقيقة لما مر تجعل ما فات بين يديه ، ففى البداية نعلم أن تلك الحقوق تقوم على ثبوت وصف عبودية الناس لله ، وهذا الوصف ، معنى قائم،

بجميع العباد ، ومن ثم كان لغير المسلمين ما للمسلمين وعليهم ما عليهم اذا احترموا حقوق المسلمين وكفوا عن قتالهم ، وامتنعوا عن معونة أعدائهم من كل وجه ، ولهذا خاطبهم الحق سبحانه بأصول الشريعة وفروعها (١).

كذلك فان شريعة الله لا تقضى على حقوق غير المسلمين بالضياع وانما تحافظ عليها وترعاها ، وهى ليست غريبة فى التطبيق عليهم ، كما أنها غير بعيدة عن حكم كثير من تصرفاتهم القانونية ، ومنها مسائل الأحوال الشخصية ذات الصلة الوثيقة بالعقيدة الدينية ، حيث تعتبر الشريعة الاسلامية صاحبة الاختصاص الأصيل فى حكم تلك المسائل بحكم تعدد طوائفهم فى مصر ، اذ يبلغون أربع عشرة طائفة ، ينتمون الى مذاهب المسيحية واليهودية ، وللمسيحية ثلاثة مذاهب هى الارثوذكسية ، وينتمى اليها أربع طوائف هى : الأقباط والروم والأرمن والسريان ، والكاثوليكية ، وينتمى اليها سبع طوائف هى: الأقباط والروم والأرمن والسريان والكلدان والموارنة واللاتين . والبروتستانت ، وهم طائفة واحدة ، ولليهودية طائفتان ، هما : الربانيون والقراءون ، فيكون مجموع الطوائف أربع عشرة طائفة ، ولما كان من شروط أعمال الشرائع الملية اتحاد الخصوم فى الملة والمذهب والطائفة والا طبقت عليهم الشريعة الاسلامية وفقا لنص القانون ، دل ذلك على أن الشريعة

---

١ — راجع مقالنا بمجلة الازهر — عدد ربيع الاخر ١٤٠٣ هـ — ص ٤٧٧ وما بعدها .

للدكتور عبدالله مبروك النجار
المدرس المساعد بكلية الشريعة والقانون

الاسلامية صاحبة اختصاص فى حكم الكثير من تصرفات غير المسلمين ، ولهذا كان التخوف الذى يبديه البعض من استكمال تطبيق تلك الشريعة على ما بقى من تلك التصرفات بحجة أن أبناء الأمة ليسوا كلهم من المسلمين لامعنى له ولا يوجد ما يبرره •

ويعرف الحق بأنه « حكم الله بتقرير **مصلحة تستحق شرعا** » ، وقد وردفى نصوص الشريعة ما يدل على استحقاق غير المسلمين لكثير من الحقوق التى أثبتها لهم الشارع سبحانه وتعالى • وتقوم هذه الحقوق على أساس ثابت من كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — وعمل الصحابة ، ومن أعظم تلك الحقوق ، حرية العقيدة ، وحق الحياة ، وحرمة الأموال والأعراض •

أولا : حرية العقيدة (١) :

ومعناها عدم اكراه الناس على الدخول فى دين الله ، لأن الله لا يقبل الايمان من عبده الا اذا جاء عن طواعية واختيار ، ولا يتفق مع جوهر الاسلام أن يحصل معه اكراه ، لأنه هو نعمة الله التامة وهدايته الكاملة ، والخير لا يحمل عليه انسان ، والنعمة لا يكره عليها أحد ، ولهذا كان الدخول فى دين الله منة الله على المسلم ، قال تعالى : « **بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ** » ، وقد اقتضت حكمة الله ذلك فأمر جميع الرسل والأنبياء به على نحو ماورد فى القرآن الكريم • وعلى النحو الذى سنه لسيد الرسل وخاتم الأنبياء سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم —

ولم تأت مشروعية القتال فى الاسلام الا تأكيدا لهذا المبدأ وحماية له ، لتكفل للمسلمين كما تكفل لغيرهم حرية العقيدة ، دفاعا عن الدين ، وقطعا لدابر الشر ، ولم يشرع الجهاد لارغام الناس على الدخول فى دين الله ، كما يحلو لكثير من الناس أن يتقولوا على الاسلام بذلك ، اذ الدخول فى دين الله لا يحصل الا بهدى الله ، يهدى الله لنوره من يشاء ، وقد جعل الحق سبحانه غاية القتال دفع الجزية ، قال تعالى: « **حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** »

مصادر هـذا الحق :

ويستند حق غير المسلمين فى حرية العقيدة الى الكتاب والسنة وآثار الصحابة :

١ — من الكتاب يقول الله تعالى : « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** » (٢) ، ويقول تعالى : « **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ**

١ — راجع فى تفصيل هذا الموضوع مقالنا بمجلة الازهر — عدد شعبان ١٤٠٣ هـ ص ١٠٧٧ ومابعدها .

٢ — البقرة — آية ٢٥٦

جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » (١) ، فهاتان الآيتان تدلان على عدم جواز اكراه الناس على الدخول فى الدين (٢) .

٢ – ومن السنة ما رواه أبو عبيد فى الأموال : « أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كتب الى أهل اليمن انه من كان على يهودية أو نصرانية ، فانه لا يفتن عنها وعليه الجزية » (٣) ، حيث نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن فتنة غير المسلمين ، وفى هذا دلالة على عدم جواز اكراههم على الدخول فى الاسلام .

٣ – ومن آثار الصحابة ما روى عن عمر ابن الخطاب حين صالح أهل حمص ، فقد جاء فى العهد الذى أبرمه لأهل القدس : « أعطاهم الأمان لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم » (٤) ، وكذلك ما جاء فى العهد الذى كتبه عمرو بن العاص لأهل مصر ، حيث أمنهم على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم (٥) ، وفى هذين الأثرين دلالة على المطلوب .

لقد استبان لنا من الدراسة أن شريعة الله الخالدة قد أولت هذا الحق من العناية والاهتمام ما يليق به ، فلم يقتصر الأمر فيها على التقرير النظرى ، بل تعداه فى التطبيق العملى ليظل ذلك المبدأ علامة مشرقة فى جبين تلك الشريعة الغراء ، وليكون دليلا متجددا على سموها وسماحتها ، وقدرتها على مواكبة طموحات الفكر الانسانى والتفوق عليه ، ليجد فى كنف قواعدها منتهى أمله ، وأقصى أمانيه خاصة وأن فكرة ذلك الموضوع تعتبر واحدة من أمنيات الانسانية الراقية ، التى تستأثر بحظوة الدساتير ، وترعاها بنود المواثيق ، وأن شريعة الله حين نصت على مبدأ حرية العقيدة ، لم تكن لتنال من المكانة الاجتماعية لغير المسلمين ، أو تفرق بينهم وبين المسلمين فى المعاملة ، بل شملت الجميع برحمة الله ورعايته على نحو ما رأينا (٦) ، وعلى نحو ما سيتأكد لنا من خلال دراسة بقية تلك الحقوق .

ثانيا – حماية حق الحياة :

وحق الحياة من الأمور التى استهدفتها الشريعة الاسلامية بالحفظ والرعاية للمسلمين وغيرهم ، ذلك أن حق الحياة يتصل بالنفس ، والنفس تدخل فى اطار المصالح الضرورية ، التى اعتبرها الحق سبحانه وكفل لها من الأحكام ما يضمن قيامها ، وهذه المصالح الضرورية يسميها بعض الفقهاء « بالضرورات

١ – يونس – آية ٩٩
٢ – مختصر تفسير ابن كثير – حـ ٢ ص ٢٠٨
٣ – أبو عبيد – الاموال – ص ٣٥ .
٤ – الخراج – لابى يوسف – ص ١٤٨ ومابعدها .
٥ – النجوم الزاهرة – حـ ١ ص ٢٤ – دار الكتب المصرية .
٦ – راجع : مجلة الازهر – عدد شعبان سنة ١٤٠٣ هـ – ص ١٠٧٧ – ١٠٨٦ .

الخمس » أو – الكليات الخمس – ، وهى كما يقول الشاطبى :

الأمور التى يتوقف عليها حياة الناس فى الدنيا والآخرة ، وبدونها لا تستقيم الحياة ، وتنحصر فى خمسة أمور هى : الدين والنفس والعقل والنسل والمال ، ولهذه المصالح الضرورية تكاليف يحفظ بها كل نوع منها »(١)

وحول بيان تلك المصالح ووسائل حفظها يقول الامام الغزالى :

« ومقصود الشارع من الخلق أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ، ودفعها مصلحة ، وهذه الأصول حفظها واقع فى مرتبة الضرورة ، فهى أقوى المراتب فى المصالح التى اعتبرها الشارع •

ومثاله : قضاء الشارع بقتل المرتد وعقوبة المبتدع الداعى الى بدعته ، فان هذا يفوت على الخلق دينهم •

وقضاؤه بايجاب القصاص اذ به حفظ النفوس •

وايجاب حد الشرب اذ به حفظ العقول التى هى ملاك التكليف •

وايجاب حد الزنى اذ به حفظ الأنساب •

وايجاب زجر الغصاب والسراق اذ به حفظ الأموال التى بها معايش الناس وهم مضطرون اليها » (٢) •

ثم يقول : « وتحريم تفويت هذه الأمور الخمسة والزجر عنها ، يستحيل ألا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من الشرائع التى أريد بها اصلاح الخلق ، ولذا لم تختلف الشرائع فى تحريم الكفر والقتل والزنى والسرقة وشرب الخمرة » (٣) •

وهذه المصالح الضرورية تختلف فى أهميتها وخطرها عن المصالح الحاجية والتحسينية •

والأولى: هى التى لا تستهدف مصلحة ضرورية ، ولكنها تدفع الحرج عن الناس ، وتجرى هذه فيما يلزم الله به عباده من العبادات وما يقع لهم من عادات ومعاملات وجنايات ، حيث وقع التخفيف فى العبادات فشرعت الرخص ؛ وفى المعاملات شرع القرض مع تحقق علة ربا النساء فيه • والسلم مع أنه بيع معدوم ، وفى الجنايات شرع التخفيف على الجانى ما أمكن بفرض الدية على العاقلة فى القتل الخطأ ودرء الحدود بالشبهات •

والثانية: وهى المصالح التحسينية : تستهدف الأخذ بمحاسن العادات والوصول بالمجتمع الى الكمال الأخلاقى •

ومنها : ستر العورةوأخذ الزينةوغيرها (٤)

وسائل حماية تلك المصالح :

وقد سلكت الشريعة الاسلامية فى سبيل حماية تلك المصالح مسلكا يستهدف الفرد بالتوجيه الى الخير ومنعه من التفكير فى الجريمة حتى لايفسد تلك المصالح ، كما ينشد المجتمع بالاصلاح والتهذيب والتقويم ، ومن ثم فلم يكن العلاج بوضع العقوبة

١ – الموافقات للشاطبى – حـ ٢ ص ٥٥٤ .
٢ – المستصفى للغزالى – حـ ١ ص ٢٨٧ .
٣ – الغزالى – نفس المرجع والمكان السابقين
٤ – الشاطبى – الموافقات – حـ ٢ ص ٦ •

الدنيوية هو أول ما قرره الحق سبحانه فى سبيل وقاية المجتمع وحماية تلك المصالح من آثار تعارض الرغبات وتنازع الأهواء ، بل عالج أسباب الجريمة بما يقلل من وقوعها ويمنع من استمرارها •

سد منافذ الجريمة :

فى هذا الصدد أوجد الاسلام البدائل المشروعة ويسر طرق الوصول اليها حتى لا يستبد بريق الجريمة الأخاذ بما ركب فى النفوس الضعيفة من غرائز تستحث على ارتكابها ، ولهذا لا يوجد أمر محرم فى الاسلام الا وله ما يقابله فى اشباع الحاجة من البديل الحلال •

يدرك هذا من يستقرىء أنواع الجرائم فى الفقه الاسلامى •

وعلى سبيل المثال ، فالحق سبحانه قبل أن يحرم القتل ويعاقب عليه ، قرر مجموعة من المبادىء التى يؤدى احترام الأفراد لها الى تقليل الجريمة والحد من خطورتها •

فأمر بالعدل فى أدق صوره •

وقرر أداء الحقوق الى أربابها الذين يستحقونها بالعمل والكفاية دون تحكيم لأى اعتبار آخر من حسب أو نسب •

ولا شك أنه متى ضمنت الحقوق على هذا الوجه ، ووصلت الى أصحابها وتمتعوا بها اطمأنت نفوسهم وانطفأت لديهم ثورة الغضب والانتقام التى كثيرا ما يبعثها الشعور بالظلم وغمط الحق فى هذه الحياة •

قال تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا » (١) •

وقال تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (٢) •

والحق سبحانه قبل أن يحرم الزنى أوجد النكاح ، وهو البديل الحلال الذى يشبع فى النفس الحاجة التى تدفعها الى ارتكاب الجريمة ، وسهل طريق الوصول الى هذا البديل الحلال ، فما هو الا ايجاب وقبول وشاهدان ، ويتم العقد وتتحقق أحكامه •

لم يجعل الشارع من سلطان المادة وقصر ذات اليد عائقا يمنع منه •

يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « خير الصداق أيسره » (٣) •

وقال لمن أراد الزواج ولم يكن له مال : « التمس ولو خاتما من حديد ، ولما لم يجد • سأله : هل معك من القرآن شىء ؟ قال : نعم ، وسمى سورا يحفظها ، فقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — : زوجتكها بما معك من القرآن » (٤) •

١ — النساء — آية ٥٨ .
٢ — النحل — آية ٩٠ .
٣ — اخرجه الوداود وصححه الحاكم — راجع سبل السلام — حـ ٣ ص ١٥٢ .
٤ — نيل الاوطار للشوكانى — حـ ٦ — ص ١٩٢

هكذا أوجد الاسلام البديل ، وألغى العوائق ، وسهل طريق الحلال ، ولو أن المجتمع يفهم الاسلام فهما جيدا لحذف من نشاط حياته ما اختلقه الناس من مظاهر تسلط المادة فى الزواج والاسراف عند عقده ، فهى بعيدة عن روح الشريعة الغراء وفهمها الصحيح ٠

وفى مجال المنع من السرقة ، هيأ الاسلام فى المجتمع المناخ الصالح الذى يقتل فىالنفس جرثومة الجريمة ، ويميت فيها النوازع الشاذة للمال الحرام ، فأوجد فرص العمل الشريف، ودعا الى السعى فى مناكب الأرض بالزراعة والصناعة والتجارة وغير ذلك من وجوه النشاط البشرى ، فسد بذلك أبواب البطالة والعوز ٠

وأكد حقوق الفقراء لدى الأغنياء ، لا تأكيد من واستجداء ، بل تأكيد حق يعضده الشرع وتؤازره الحرب ، وما غرب عن الذهن ما فعلته حكومة الصديق — رضى الله عنه — ضد مانعى الزكاة ، وبلغت فعالية مبادىء التكافل الاجتماعى فى الاسلام منتهاها ، ووصلت مداها الى الحد الذى جعل عمر بن عبد العزيز ينادى فى دولة الاسلام يوما :

« من أعوزه الدين ، فسداد دينه على بيت مال المسلمين » ٠ فلما سددت ديون الناس جميعا ، نادى ثانية :

من ملك الرغبة فى الزواج ولم يعط القدرة، فمهره فى بيت مال المسلمين ، فسددت الديون وتزوج الشباب فلا جوع ولا عرى ولا حقد ، وبمثل هذا التوجيه القويم سدت منافذ الجريمة ٠

مقومات حق الحياة :

وحق الحياة يتطلب أمرين :

أولهما : احترام النفس فى حد ذاتها ، وتحريم الاعتداء عليها بما ينال منها كلا أو بعضا ٠

ثانيهما : تقرير العقوبة التى تليق بدرء الاعتداء عنها وتمنع وقوعه ٠

والقتل هو أخطر جريمة تقع على النفس ، لأنه يستهدف فواتها كلية وتخريب بنيانها ، اذ القاتل انما يقصد سلب المقتول حق الحياة، ولهذا يعرف بعض الفقهاء القتل بأنه : ازهاق روح انسان متحقق الحياة بفعل من شأنه عادة أن يزهق الروح يقوم به انسان مؤاخذ بعمله » (١) ٠

ويظهر من خلال هذا التعريف ان حق الحياة حق عام ، لان الاعتداء عليه لايتسلط على انسان معين بذاته أو محدد بمعتقده ، ولكنه ينصب على النفس ، وهى صناعة الله وموضع حمايته ، وقد تضافرت نصوص السنة مع الكتاب فى الدلالة على هذا المعنى ، والنهى عن قتل النفس مطلقا ٠

١ — من الكتاب :

قال تعالى : « **وَلَاتَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ**

١ — الامام محمود شلتوت — الاسلام عقيدة وشريعة — ص ٣٦٨ — الطبعة الثانية — دار القلم ٠

مَنْصُورًا »(١) •

ووجه الدلالة فى تلك الآيــة الكريمــة ، أن الحق سبحانه قد حرم الاعتــداء على النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق، ودلالة التحريم عامة تشمل نفس المسلم وغيره ، حيث لم يرد فى الآية مايدل على تبعيض الحكم على النفس واقتصاره على بعضها ، وليس من الحق الذى علمه الاسلام للدنيا ان تقتل نفس غير المسلم دون حق ، يقول الامام ابن كثير : « فى الآية دلالة على النهى عن قتل النفس مطلقا بغــير حق شرعى »(٢) •

٢ ــ ومن الســنة :

ماروا‌ه البخارى ومسلم أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال :

اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يا رســول الله وما هى؟ قال : الشرك بالله، والسحر ،وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (٣) ، ووجــه الدلالة فى هــذا الحــديث الشريف أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر باجتناب قتـــل النفس التى حرم الله الا بالحق وقد قـــرن الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الفعـــل بمجموعة أمور محرمة لما تنطوى عليه من خطر جسيم يرقى بها الى مصاف الكبــائر • حيث ورد الامر باجتنابه مع الشرك بالله وغيره مما جاء فى الحديث ، وفى هذا دلالة على تحــريم قتل النفس مطلقا دون حق •

ويقول عليه الصلاة والسلام : « الآدمى بنيان الرب ملعون من هدمه » (٤) •

ويقول : « لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لأشرك فى دمه » (٥) •

ومن الواضح ان تلك النصوص تســتهدف النفس بالحماية ، وتدل على تحريم الاعتــداء عليها بالقتل وغيره ، ويستوى فى الدلالة على التحريم فيها قتل نفس المسلم وغير المســلم دون حق على النحو الذى ورد فى كتاب اللــه وســـنة نبيه ــ صلى اللــه عليه وسلم ــ ، وقرره الفقهــاء •

أساس حق غير المسلمين فى الحياة :

وحق غير المسلمين فى الحياة يقوم مستندا على عهد الذمة ، وراجعا اليه ، والعهد مطلقا مايتفق رجــلان أو فريقــان من الناس على التزامه والتمسك بما جاء فيه تحقيقا للمصلحة المشتركة التى ينشدها ذلك الاتفاق ، ويسمى

١ ــ الاسراء ــ آية ٣٣ .
٢ ــ مختصر تفسير ابن كثير ــ حـ ٢ ص ٣٧٦
٣ ــ راجع : نيل الاوطار للشوكانى ــ حـ ٥ ــ ص ٢٥٢ ، وشرح السنة للبغوى حـ ١ ص ٩١ ــ طبعة مجمع البحوث الاسلامية .
٤ ــ راجع : الاختيــار لتعليــل المختــار ــ للموصلى الحنفى ــ جـ ٤ ص ٧٠ ــ طبعــة المعاهد الازهرية .
٥ ــ الاسلام عقيدة وشريعة ــ للامـــام محمود شلتوت ــ ص ٣٤٦ .

بالميثاق وبالمعاهدة .

وعهد الذمة عهد دائم مؤبد يتضمن اقرار غير المسلمين على دينهم وتمتعهم بحماية الدولة الاسلامية ، بشرط أداء الجزية ، ويترتب عليه لكلا الطرفين حقوق معينة تنشد العدالة والأمان .

وعهد الذمة يسمى بعقد الجزية كذلك .

مشروعية عقد الذمة :

وعقد الذمة ، عقد شرعى ، ثبتت شرعيته بالكتاب والسنة ، واجماع الأمة :

١ ــ من الكتاب :

يقول الله تعالى : « **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** »(١) ، فالحق سبحانه قد امر بقتال غير المؤمنين بالله واليوم الآخر المعاندين الاستسلام ، وذلك لغاية ذكرتها الآية ، وهى قبول الجزية ، فان قبلوها كف عن قتالهم ، وتم عقد الذمة معهم ، ذلك أنه اذا امتد الشىء الى غاية فوراؤها نقيضه (٢) ، وليس المراد باعطاء الجزية حقيقة الأداء بل المراد التزامها (٣) ، وفى هذا دليل على مشروعية عقد الجزية .

١ ــ التوبة ــ آية ٢٩ .
٢ ــ تفسير القرطبى ــ ج ٢ ص ١١٠
٣ ــ الهداية ــ شرح بداية المبتدى ــ للمرغنانى الحنفى ــ ج ٢ ص ١٦٣ ــ مطبعة الحلبى .

٢ ــ ومن السنة :

ماروى أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يوصى قائد الجيش بقوله : « اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى ثلاث خصال : ادعهم الى الاسلام ، فان أجابوك فاقبل منهم وكف عن قتالهم ، فان هم أبوا فسلهم الجزية ... » (٤) ، فقد دل هذا الحديث على أنه فى حالة عدم قبول غير المسلمين للاسلام ، عليهم أن يعقدوا مع المسلمين عهدا يدل على قبول المعايشة معهم فى سلام ، ودخولهم فى طاعة امام المسلمين ، وذلك العقد هو عقد الجزية حيث يلتزمون بمقتضاه بدفع الجزية نظير الاقامة فى المجتمع الاسلامى والتمتع بالحماية التى ينشدونها ، ولايخفى مافى ذلك من الدلالة على مشروعية العقد .

٣ ــ والاجماع :

فقد أجمع العلماء من لدن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى يومنا هذا على مشروعية عقد الجزية ، وحكى هذا الاجماع ابن قدامة صاحب المغنى (٥) .

حقيقة عقد الجزية :

ويتحقق وجود عقد الجزية لوجود أركانه ، حيث ينعقد بالايجاب والقبول بين طرفى العقد

٤ ــ صحيح مسلم بشرح النووى ــ ج ٢ ص ٣٨ ، وراجع : نيل الاوطار للشوكانى ــ ج ٨ . ص ٥٦ .
٥ ــ ابن قدامة : هو الامام موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمد الحنبلى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، وراجع له المغنى ــ جـ ١٠ ــ ص ٥٦٧

كأن يقول الامام أقررتكم على الاقامة بديارنا على أن تلتزموا بدفع جزية قدرها كذا ، فيقولون : قبلنا أو رضينا •

ويقوم مقام القبول بالصيغة كل فعل يدل على الرضا والالتزام •

وكل من الايجاب والقبول يستلزم وجود طرف العقد ، وقد ذهب الرأى الغالب فى الفقه الى أن عاقد الذمة هو ولى أمر المسلمين أو نائبه ، لأنه هو الذى يستطيع ان يوازن بين المراكز الناشئة عن العقد بنظرة شاملة ودراسة مستفيضة قد لايقدر عليها سواه ، ومن ثم فلو عقده أحد غير الامام أو نائبه ، كان العقد باطلا ، والمعقود له هم غير المسلمين ويشترط فى طرف العقد منهم أن يكون بالغا عاقلا ، فلا يصح عقد الجزية لصبى أو مجنون (٢) لما روى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال لمعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن :

« خذ من كل حالم دينارا أو عدله معافر »(٣)

وعلى هذا فلا تؤخذ الجزية من الصبى ، لأنه لم يبلغ الحلم ومن باب أولى المجنون ، ولأن دماءهم محقونة لشرع الله الرحيم بدون جزية ، كما يشترط أن يكون ذكرا حيث تجب الجزية على الرجال منهم دون النساء (٤) •

آثار عقد الجزية :

اذا تم عقد الجزية بين المسلمين وغيرهم ، وتوافرت أركانه وشروطه على نحو ما قرر الفقهاء ، فانه يؤتى ثماره التى بمقتضاها يكون لغير المسلمين ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم (٦) ، ومن المؤكد أن عقد الذمة يترتب عليه لغير المسلمين حقوق تختص بحماية أرواحهم ، وأموالهم وأعراضهم ، ولهذا كانت هذه الحقوق راجعة الى هذا العقد ومترتبة عليه •

مصادر حق غير المسلمين فى الحياة :

وقد استبان لنا ان الحق سبحانه قد حرم الاعتداء على النفس مطلقا • ولم يشأ أن يترك ذلك التحريم مجردا عما يكفل له الاحترام فى الحياة ، فقرر له العقوبة التى تكفل حماية النفس وتدرأ الاعتداء عليها ، وهى القصاص ، حيث شرعه الحق سبحانه ليكون أداة تحقق هذا المعنى وتضمن وجوده•

قال تعالى : « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »(٧) •

ولكى تتحقق الغاية المرجوة من تقرير

---

١ ــ تبيين الحقائق للزيلعى ــ حـ ٣ ــ ص ٣٧٦ ، وفتح القدير ــ حـ ٤ ص ٣٦٨ .
٢ ــ الخراج لابى يوسف ــ ص ١٣٢ .
٣ ــ المعافر نوع من الثياب ــ نسبة الى قبيلة معافر التى اشتهرت بنسجه .
٤ ــ الخراج ــ نفس المكان السابق ، والهداية ــ نفس المكان السابق .
٥ ــ الهداية ــ نفس المكان السابق .
٦ ــ الاسلام عقيدة وشريعة ــ ص ٣٥٠ ، وراجع فى هذا المعنى بحثا للشيخ محمد ابى زهرة ــ نظرة الى العقوبة فى الاسلام ــ منشور بكتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية ــ ص ٢٧١ .
٧ ــ البقرة ــ آية ١٧٩ .

العقوبة على أكمل وجه فقد أقامها الحق سبحانه على التسوية والتكافؤ بين الناس جميعا فى الدماء ، حيث لم يجعل لدم أحد فضلا على دم آخر ، ولم ير فى المجموعة البشرية من هذه الناحية (شريفا) لاتمس حياته بجريمته ، (وغير شريف) يلقى بجريمته للحيوانات المفترسة (١) ، وانما اقام العقوبة على التكافؤ التام والعدل المطلق ، وجعل ذلك اصلا تقوم عليه وتختص به •

وبهذا الاصل العظيم الذى تتضاءل أمام روعته جميع التشريعات البشرية فى مجال « العدل الانسانى » ، أهدر الاسلام نظام الطبقات الذى أثقلت به التشريعات الوضعية كاهل الانسانية ، والذى لايزال الطغيان البشرى يحتفظ ببعض آثاره الى الآن • وجعل الجميع أمام الحق والواجب سواء •

هذا وقد يرد على هذا الاصل العام ما يقرره بعض الفقهاء لعدد من المسائل الفقهية التى تتصل به ، ومنها مايراه ذلك البعض من عدم قتل المسلم بالذمى ، ومن المؤكد أن مثل هذا المسلك فى الاستنباط والتقرير عند من يقول به من الفقهاء لايعبر عن أصل عام ، وانما هو فهم شخصى لاعتبارات خاصة بمحل الجريمة لاتبيحها ولاتمنع المسئولية عنها ، وانما ترفع عنها العقاب فقط ، تأسيسا على اعتبارات لاتنهض فى نظرنا دليلا على الاستثناء من الأصل العام وهو المساواة بين جميع الناس فى العقوبة •

١ — الامام محمود شلتوت — المرجع السابق — ص ٣٣٤ •

آراء الفقهاء فى القصاص بين المسلم والذمى :

من المسائل التى أوجبت اختلاف النظر بين الفقهاء — اذا — مسألة التسوية فى القصاص عند اختلاف العقيدة بين المسلم وغير المسلم من أهل الذمة ، حيث وقع الخلاف بين الفقهاء فى تلك المسألة ، وانقسم الرأى فيها الى قولين :

أولهما : لأبى حنيفة وأصحابه وسفيان الثورى من أئمة الحديث ، والشعبى والنخعى وابن أبى ليلى ، وحاصل قولهم : ان المسلم يقتل بالذمى اذا قتله •

ثانيهما : لجمهور الفقهاء ، وحاصل قولهم : ان المسلم لايقتل بالذمى ، وانما يقتل الذمى بالمسلم ، ولكل قول أدلته :

* ادلة القول الأول :

استدل أصحاب القول الأول لما ذهبوا اليه بالكتاب والسنة والاثر والمعقول :

١ — من الكتاب :

(أ) يقول الله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (٢) •

٢ — البقرة — آية ١٧٨ •

ووجـــه الدلالة فى هذه الآيه الكريمة :

ان الله تعالى قد أوجب قتل القاتل بصدر الآية وهذا يعم كل قاتل سواء كان مسلما قتل ذميا أم غيره ، ولايغير من هذا المعنى ما جاء بعد ذلك : « **الحر بالحر والعبد بالعبد** » ، فهو بيان لما تقدم ذكره وتأكيد له ، حيث يوضـــح الحال التى نزل النص الكريم لها ، وهى مـــا كان يفعله بعض العرب فى الجاهلية من عـــدم قبولهم فى عبدهم المقتول الا حرا وفى امرأتهم القتيلة الا رجلا ، فجاءت الآية لتبطل ما كانوا عليه من الظلم ، وتؤكد مبـــدأ المســـاواة فى القصاص وفرضـــــه على القاتل دون غيره ، فمناط الاستدلال ، ان صدر الآية عام ، ومـــا جاء بعده ليس تخصيصا له ، بل هو ابطـــال لما كانوا عليه من الظلم .

(ب) وقال تعالى : « **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ** (١) » حيث يظهر من خـــلال هذا النص الكريم أن الآية لم تفرق بين نفس ونفس ، وهى ــ وان كانت حكاية عن شرع من كانوا قبلنا ــ الا أنه كما يقرر الفقهـــــاء شرع لنا مالم يرد دليل ناسخ ، ولم يرد ذلك بل الحكم عنـــدنا على وفقهـــا عنـــد جميـــع الأئمـــة (٢) .

٢ ــ ومن الســـنة :

(أ) بما روى عن على ــ رضى الله عنه ــ وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قـــال : « ألا لايقتل مسلم بكافر ، ولا ذو عهد فى عهده (٣) ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف أن قوله عليه ــ الصلاة والسلام ــ : « ولا ذو عهـــد فى عهده » معطوف على قوله : « مســـلم » ، فيكون التقدير : « ولا ذو عهد فى عهده بكافر » كما فى المعطوف عليه ، والمراد بالكافر المذكور فى المعطوف هو الحربى فقط بدليل جعـــــله مقابلا للمعاهد ، لأن المعاهد يقتل بمـــن كان معاهـــدا مثله من الذميين اجمـــاعا ، فيلزم أن يقيد المعطوف عليه بالحربى كمـــا قيـــــد فى المعطوف ، لأن الصفة بعد متعدد ترجـــع الى الجميع اتفاقا ، فيكون التقدير : « لايقتـــل مسلم بكافر حربى ولاذو عهد فى عهده بكافر حربى » ، وهو يدل بمفهومه على أن المســـلم يقتل بغير المسلم اذا كان هذا القتيل ذميا ٤

(ب) وبمـــــا أخرجه البيهقى من حـــديث عبد الرحمن بن البيلمانى : « أن رسول اللـــه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قتل مسلما بمعاهد وقال : أنا أكرم من وفى بذمته (٥) » ، والحديث دليل على المطلوب ، وقد روى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول اللـــه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : » ألا من قتل نفســـا

---

١ ــ المائدة ــ آية ٤٥ .
٢ ــ ابن كثير ــ المرجع السابق ــ حـ ١ ص ٥٢١ .

٣ ــ نيل الاوطار للشوكانى ــ حـ ٧ ص ١٠ ، وسبل السلام ــ حـ ٣ ــ ص ٢٣٥ .
٤ ــ نيل الاوطار للشوكانى ــ حـ ٧ ص ١٢ .
٥ ــ المرجع السابق ــ ص ١٢ .

معاهدة لها ذمة الله وذمة رسـوله ــ صـلى الله عليه وسلم ــ فقد أخفر ذمة الله ولايرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسـيرة أربعين خريفا (١) » ، حيث يدل هذا الحـديث على تشديد الوعيد على قاتل المعاهد بتحريم الجنة عليه وخلوده فى النار(٢) ، وقـد ثبت مثل هذا التشديد والاثم لقاتل المسلم الامـر الذى يدل على مساواته به .

٣ ــ ومن الاثـــر :

استدلوا بما آخرجه الطبرانى : « ان عليا أتى برجل من المسلمين قتل رجـلا من أهـل الذمة ، فقامت عليه البينة فأمر بقتله ، وقال : من كان له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا (٣) ووجه الدلالة فى هذا الأثر ان عليـا ــ رضى الله عنه ــ وكرم الله وجهه ، قد أمر بقتـل المسلم بالذمى ، الامر الذى يدل على مساواته به ، والا لما فعل على ذلك اذا لم يترجح لديه.

وبما أثر أن عمر ــ رضى الله عنه ــ كـان يقتص من المسلم اذا آذى ذميا ، والقصاص عام يشمل النفس والأطراف ، والتفرقة بـلا موجب للتفريق لاتجوز (٤) .

٤ ــ ومن المعقـول :

استدل اصحاب القول الاول لما ذهبوا اليه بالمعقول من ثلاثة وجوه :

الأول : ان الذمى معصـوم الدم لايبـاح دمه بالاتفاق ولو كان قاتله لايقتص منه لكان فى ذلك نوع من اباحة دمه ، ولايكون ثمة فرق بين غير مسلم يعيش فى كنف المسلمين ويحمى دمه وحريته ، وحربى يحارب المسلمين ويشن الغارات عليهم .

الثانى : أننا أمرنا بالعدل مع أهـل الذمة ، لأن العدل مطلوب فى ذاته ، ولأن عقد الذمـة أساسه أن يكون لهم ما للمسـلمين وعليهـم ماعليهم ، وذلك يقتضى حماية دمائهـم مـن المسلمين وغيرهم ، والاسـلام دين العدالة ، لايمكن أن يحمى رذيلة أو يحـابى قاتلا ظالما قد قتل بغير حق حتى ولو كان مسلما .

الثالث : ان المسـلم اذا سرق مـن ذمى قطعت يده ، فأولى أن يقتل اذا قتله (٥) ، ومن المؤكد أن الوجوه الثـلاثة تتواءم مع العقل .. وتتفق مـع المنطق ، وتؤيـد مـع الأدلة السابقة من الكتاب والسنة والاثـر ما ذهب اليه اصحاب هذا القول .

أدلة القول الثانى :

وقد استدل أصحاب القول الثانى لما ذهبوا اليه بالكتاب والسنة والمعقول :

١ ــ من الكتـاب :

(أ) يقول الله تعالى : « **وَلَن يَجْعَلَ اللَّـهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** (٦) » ، ووجـه الدلالة فى هذه الآية الكريمة ، أن الحق سبحانه قد نفى أن يكون للكافر على المؤمنين سـبيل

---

١ ــ المرجع السابق ــ ص ١٥ .
٢ ــ المرجع والمكان السابقين .
٣ ــ المرجع والمكان السابقين .
٤ ــ ابو زهرة ــ المرجع السابق ــ ص٢٧٢

٥ ــ ابو زهره ــ المرجع والمكان السابقين .
٦ ــ النساء ــ آية ١٤١ .

نفيا مؤكدا ، ولو كان للكافر أن يقتص من المسلم لكان فى ذلك أعظم سبيل عليه .

مناقشة الاستدلال بهذه الآية :

أقول : ليس فى الآية مايدل على عدم القصاص من المسلم اذا قتل ذميا ، فالمراد بالسبيل الحجة ، وقد سئل الامام على عن ذلك فقال : « ان ذلك يوم القيامة » وكذلك قال السدى (١) . وليس فى القصاص من المسلم اذا قتل ذميا مايجعل للكافر على المؤمن سبيلا ، بل العكس هو الصحيح لأن فى القصاص من القاتل أيا كان اعزازا لأحكام دين الله ، واعمالا لشريعته ، ومن ثم تكون لها السيادة على الجميع ، وذلك أمر لاينال من المسلم ، لأن رصيده من التكريم سيرتفع باعزاز دين الله ، وتطبيق أحكام شريعته ، وعلى هذا فالآية لاتدل لأصحاب هذا القول على ماذهبوا اليه .

(ب) ويقول الله تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى** (٢) »

قالوا : أوجب الله المساواة بنص الآية ، والكلام لاينقضى عند ذلك ، لأن الله قد أتى بالأصناف بعدها ليبين المساواة المعتبرة ، واذا كان الحر لايقتل بالعبد ، فالمسلم لايقتل بالذمى لأن نقص العبد برقه الذى هو من آثار الكفر فلأن ينقص الذمى بالكفر وهو أصل من باب أولى .

١ — ابن كثير — المرجع السابق حـ ١ ص٢٤٩
٢ — البقرة — آية ١٧٨ .

مناقشة الاستدلال بهذه الآية :

ومن المؤكد ان هذا الاستدلال منقوض بما قرره أصحاب القول الأول فى استدلالهم بهذه الآية الكريمة ، فصدر الآية عام لايخصصه ماجاء بعده ، بل يؤكده ، لأنه يبطل فهما خاطئا استقر فى الاذهان ، وهذا الفهم الخاطىء ينال من قضية المساواة المطلقة فى القصاص ، وقياس الذمى على العبد فى عدم المساواة بالمسلم يفتقد أصله ، اذ هو منقوض بحديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « من قتل عبده قتلناه » ، ومن ثم يكون الاستدلال بالآية غير موصل الى ما يريد أصحاب هذا القول .

٢ — ومن السنة :

استدلوا بما رواه البخارى عن على كرم الله وجهه أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « لا يقتل مسلم بكافر » ، وهذا نص فى الموضوع ، وروى أيضا عن على أنه قال : « من السنة ألا يقتل مسلم بكافر » ، فعلى هذا يكون قتل المسلم بالكافر غير السنة .

مناقشة الاستدلال بهذا الحديث :

ويرد على أصحاب هذا القول فى استدلالهم بالحديث الشريف ، أن المراد بالكافر هو الحربى ، وهو محل اتفاق ، يرجح هذا المعنى أن غير المسلم فى دار الاسلام يعبر عنه بالذمى ولفظ الكافر فى الحديث يحتمل أن يكون

قال الله سبحانه وتعالى

قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين

المراد منه هو الحربى أو الذمى أو هما معا ، وذلك الاحتمال لايقوى على مجابهة عمـــوم النصوص التى توجب المساواة فى القصاص ، فيترجح العمل بهـــا (١) •

٣ ــ ومن المعقــول :

قالوا : ان الذمى ليس معصوم الدم باطلاق وانما ذلك مقيد بحال وفائه بعهده ، ويحتمـــل ألا يوف ، ومع هذا الاحتمال تكون الشبهـــة الدارئة ، والشبهات تدرأ القصاص كما تدرأ الحدود (٢) ، ومن المؤكد أن هذا القول محل نظر ، لان الذمى يتساوى مع المسلم فى حرمة الدم التى تكفى للقصاص ، وهى حرمة ثابتة لهما على التأبيد حيث ان كلا منهما قد صـــار من أهل دار الاسلام ، ويعضد هذا أن مـــال الذمى قد ساوى مال المسلم فى الحرمة فوجب أن يكون لدمـــه حرمة دم المسلم ولو صـــح ماقالوه لجاز أن يكون المسنم كذلك ، اذ هـــو محقون الدم بفرض بقائه على الاســـلام ، وبالتالى يكون هذا الحكم قد بنى على أساس غير سليم (٣) •

الرأى الراجح ، ومبررات الترجيح وآثاره :

ومن خـــلال بيـــان رأى كـــل فريق وأدلته يستبين لنا رجحـــان القـــول الأول ، ذلك أن ما استدل به أصحاب القول الثانى ، لم يسلم من المناقشة الامر الذى لم يحدث لما استدل به أصحاب القول الاول •

فضلا عن ذلك فان هذا الرأى أكثر اتفاقـــا مع عدالة الاسلام التى تظل المسلم وغيره على السواء ، كما أنه يتفق مع ظواهر النصوص ، ومع ماسنه الاسلام من نظم لتحقيق العدالة التى تقرب للتقوى ، وقد أمر الله بذلك فقال : **« وَلَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْـدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (٤) »** ، ولايقلل من قوة الأدلة التى استند اليها أصحاب القـــول الأول ، ماقيل فى حديث : «قتل مسلما بمعاهد» انه مرسل من حديث ابن البيلمـــانى وهـــو

١ ــ ابو زهرة ــ نفس المرجع ــ ص ٢٧٣ •
٢ ــ المرجع والمكان السابقين •

٣ ــ راجع فى هذا المعنى : تفسر آيات الاحكام للشـــيخ السايس ــ ص ٥١ ، وأبو زهـــرة ــ نفس المرجع السابق والامام محمود شلتوت ــ نفس المرجع ــ ص ٣٩٥ •
٤ ــ المائدة ــ آية ٨ •

حقوق غير المسلمين

في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

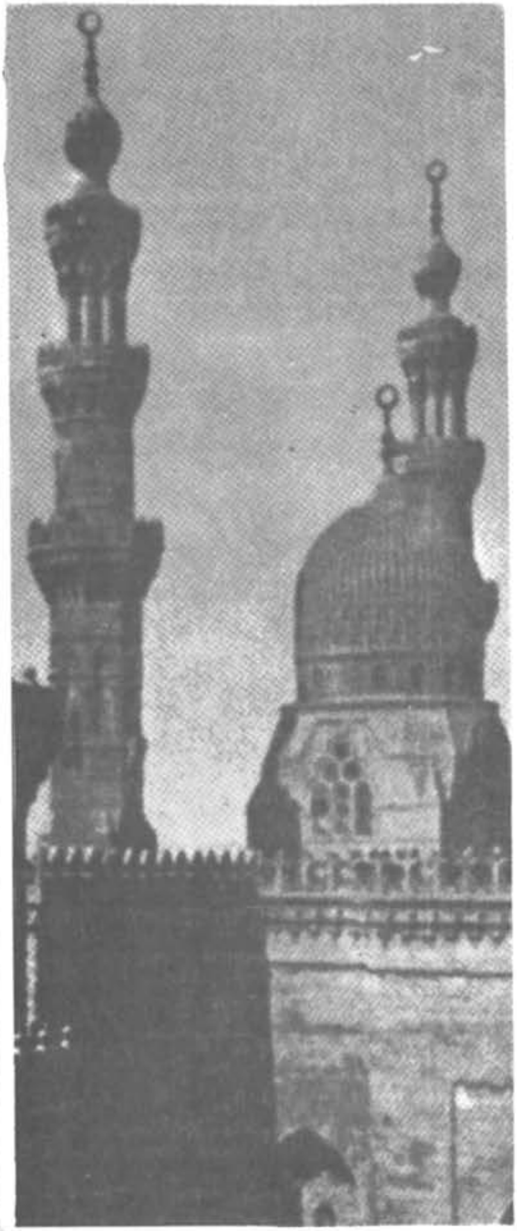

ضعيف (١) ، فقد ذكر الشوكانى : «أن أبا داود قد أخرجه فى المراسيل (٢) » ، وهو يتفق مع عموم الأدلة التى تسوى بين المسلم والذمى فى القصاص ، ولهذه الاعتبارات أرجح هذا القول .

وإذا تقرر ذلك يكون حق غير المسلمين فى الحياة قد قام على أساس من كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — وآثار الصحابة والمعقول ، وتلك مفخرة لشريعة الله حيث تكفل حق الحياة لغير المسلم كما تكفله للمسلم ، على نحو ما رأينا ، ثم انها تضمن الحماية والرعاية لأموال غير المسلمين وأعراضهم على نحو ما سنعرض له فى مقالنا القادم بإذن الله ، والله المستعان .

عبد الله مبروك النجار
المدرس المساعد بكلية الشريعة والقانون

١ — سبل السلام — حـ ٣ ص ٢٣٥ .
٢ — الشوكانى — نيل الاوطار — حـ ٧ ص ١٣ .

الأسرة بين الحكمة والأسوة في الإسلام

للدكتور توفيق محمد شاهين

لا نجد كالاسلام دينا عنى بأمر بناء الأسرة على أسس قوية وقويمة ، لان الأسرة فى الواقع لبنة فى بناء المجتمع ، اذا صلحت صلح ، والعكس بالعكس ٠٠ فحين يكون واقع الأسرة اسلاميا يترجم المجتمع هذا الواقع طهارة ، وتماسكا وصلاحا فى الحال والمآل ٠٠ وحين يختل واقع الأسرة ، وينشأ ويشب على واقع له من الاسلام الهامشية فقط ــ حينئذ يضطرب المجتمع ولا تستقيم موازينه ولا قيمه ٠

والنظام الكونى انما خلقت له الحياة الاجتماعية ، وبها كان تسلسله وبقاؤه ، فمن ثم كان لابد للحياة الاجتماعية من نظام عادل ، تشرعه السماء حتى يثمر الثمرة المرجوة من التآلف والمحبة والتعاون بين أفراد الأسرة الصغيرة والكبيرة ، على نحو يرضى الله ورسوله وجماعة المؤمنين الراشدين ٠

وقد أجمل الاسلام النظام فى كلمة واحدة هى « الدين » ، فمتى روعيت هذه الكلمة عند بناء الاسرة كان النجاح والفوز ٠ ومعلوم أن كل ماعدا الدين ــ من جمال أو حسب أو مال ــ يفنى ويذهب عاجلا أو آجلا ، ويبقى الدين وحده حصنا للحياة وهاديا ومرشدا وقائدا للسعادة والهناءة فى كل ضروب الحياة ٠

والاسلام لا يكره المال والحسب والجمال، مضموما كل ذلك الى « الدين » ، ولكنه يحذر من الوقوف عند هذه الأغراض وحدها ، بدون حسبان للعامل الدينى وأهميته ، فهو المطمح الذى يجب أن يكون محط الانظار ومطمع القلوب ، والغرض الاسمى عند اختيار شريك أو شريكة الحياة على السواء ٠

ومثل هذا الاختيار النبوى فى الزواج يجب ألا يغيب عن الخاطر لطلاقا ، وعلى الجانب الآخر من حق المجتمع وأولياء الأمور أن يباركوه ، وأن يسهلوا أمره ، بما يعين على

ابرامه واتمامه ، واحاطته بسياج الحفظ والوقاية والنجاح ، وبناء الأسرة على أسس ثابتة ومستقرة .

ويجب أن ندرك أن الحياة ليست رغدا ونعيما كلها ، وبالتالى ليست كلها نصب وشقاء وتعاسة .. والاسلام يجعل أمر المسلم كله خير ان أعطى شكر ، وان حرم صبر . وان عوفى حمد ، وان ابتلى تقبل الابتلاء بالرضى .

ولذا كانت حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير قدوة لنا فى هذا الصدد .. حتى لانتأزم اذا أزعجنا مالا نرضاه أو لا نحبه فى الحياة ، لأن العسر يكتنفه يسر الله من كل جانب ، حتى تمر المحنة ، وتشرق الشمس من جديد .

واذا أدركت الاسرة الصغيرة ـ بالذات ـ هذه الحقيقة .. فان مركب الصبر سيرسو بهم دائما على شاطىء الرضا وجميل العاقبة، والاستعانة على لأواء الحياة .

ومن الأزواج من تبطره النعمة ، وتطغيه الأثرة وتعميه الأنانية ، وتبعده الجهالة عن الرحمة والمودة وحسن السكن والاستقرار .. ومن ثم تكون حياة الآخرين معه جحيما لايطاق وقلق لا يزول ، ونكد لايهدأ ، وطمع لا يشبع .. ولذا نجد القرآن والسنة النبوية قد عنيا أشد العناية بتبيان الحق والواجب حتى لا يطغى طاغ ، ولا يستعلى فرعون .. وقد أكد هذه الوصايا رسولنا الأكرم فى حجة الوداع (١) حتى تكون تحذيرا دائما ، وأمرا قائما فى وجوب الاحسان الى الضعيف والمرأة، لأنها رقيقة ـ فى الواقع ـ ولا حافظ لها ولا مخلص الا وصايا الدين .

كما أن القرآن الكريم يجعل النساء الى قسمين أو فريقين : صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، وناشزات عاصيات بطرات . فالأوليات : خير متاع الدنيا وعدة الآخرة مع صالح الاعمال . والأخريات : فاسدات شكسات نكدات يكلح معهن وجه الحياة ، ولا يدخلن الجنة ولايجدن رائحتها وان ريحها ليوجد من مسيرة أعوام .. ومثل هؤلاء يعظهن الرسول الأكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يطامن من عبثهن وغيهن .. والا تعرضن لغضب الله وسخطه حتى يرجعن .. ثم يبلغ الرسول الاكرم الغاية فى وعظهن حين يضعهن أمام حقيقة كبرى يرين منها عظم حق أزواجهن عليهن : (لو كنت آمرا أحدا بالسجود لأحد من دون الله ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) (٢) .

ويجعل القرآن والسنة بعد ذلك دورا ايجابيا للزوجين ، عليهما أن يقوما به ، كى تستمر حياتهما بعيدة عن المنغصات وكل ما من شأنه الازعاج والقلق ، أو التبرم والسخط .

---

(١) انظر صحيح البخارى ـ حجة الوداع ـ كتاب الحج .
(٢) انظر سنة ابى داود ـ النكاح والترمذى ـ الرضاع ، وسنن بن ماجه ـ النكاح .

وعاطفة الرجل أثبت من عاطفة المرأة ، وعقله أكمل ، وصبره أوفر ، وحلمه أجمل ، وبصره أتم عادة .

ومن هنا فالاسلام يوصيه بها خيرا : يصبر على أذاها ، ويتحمل أخطاءها ، ولا يمل من نصحها ، ويوفيها حقها المادى والأدبى ، ولا يغفل الجانب العاطفى منها ، وكذلك اللهو البرىء ، والمزاح الحسن والمقبول ، والتأديب الخفيف ، فينصحها برفق ، ويأخذ بيدها نحو الأليق ، ويعظها بالمعروف، ويتراوح أمره معها بين اللين المرقق ، والشدة الرحيمة .. كل ذلك فيما بينه وبينها ، لأن أمر الحياة الزوجية مبنى على الستر والصبر والتحمل . فاذا لم يجد ذلك .. فحكمان خبيران صالحان من أهله وأهلها ، لرأب الصدع ، واصلاح الخطب ، وعلى قدر صلاح النيات للحكمين والزوجين على قدر ما يكون الصلاح والصلح وتوفيق الله تعالى .

ويذكر القرآن الكريم الرجل ـ كصاحب قوامة ودرجته بما حياه الله به وحمله من مسئوليات ـ يذكره بالرفق والتريث ، والتروى فى الأمور والتبصر وعدم التهور والنظر السطحى الى ظواهر الأمور ، دون النفاذ الى بواطنها ، يقول سبحانه :

« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١) » ، ويقول تعالى : **« وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ » (٢)** .

وتواكب أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الجانب ، آيات القرآن الكريم ، فتذكر بأنها خلقت من ضلع أعوج (٣) ـ الى طبيعة تكوينها وطبيعتها ـ وأن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ـ اشارة الى ميلها فى الرأى وعادة تفكيرها ـ فان رمت تقيمه كسرته ـ لأنه أعوج قابل للكسر قبل الاصلاح ـ وان استمتعت به استمتعت به على عوج : فجعل الانتفاع يشفع لقليل العوج والامتناع .

وتشير الأحاديث الى اجالة النظر فيما هو أنفع وأصلح مع تذكر عواقب الأمور ، التى من شأنها أن تغرى ، لكنها قد تخفى تحتها عواقب وخيمة : فقد تستشرف النفس للمال ومن ثم تمقت المرأة الفقيرة ؛ وقد تتطلع الى الجمال وفيه فتنة تردى ، وقد تتطلع الى الحسب والنسب والعصبية ، بغية النفع المادى أو الأدبى أو الجاه .. وفى هذا الصدد قد تأتى الرياح بما لا يشتهى السفن ، فيكون اذلاله أو خسارته فى كل ذلك على أيديهم ، يروى ابن ماجه عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ مرفوعا : « **لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن**

---

(١) النساء ١٩ .

(٢) البقرة ٢٢١ .

(٣) انظر صحيح البخارى ـ النكاح وصحيح مسلم ـ الرضاع ، وسنن أبى داوود ـ النكاح . ومسند أحمد ٤٢٨/٢ ، ٤٤٩ ، ٤٩٧ ، ٥٣٠ طـ الميمنة .

تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل » ، « ومن تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا » « من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها » .

والنصائح والوصايا فى هذا الباب مبثوثة فى القرآن والسنة ، وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، تغرى بالصبر ، وترشد الى الخير ، وتعين على تفهم بواطن الأمور ، مما من شأنه أن يخفى على الانسان حين يغطى هواه على بصره وبصيرته ، وحين تتعرض الحياة الزوجية لعواصف قد لا تبقى ولا تذر ، فتحل البغضاء محل المحبة ، والشقاء بدل السعادة ، والحقد بدلا من المودة ، والتدابر والتقاطع بدلا من اللقاء والتعاون » .

وهذه الوصايا كفيلة — لمن تدبرها — بتسكين الزوابع ، وتلطيف الأجواء المشحونة بالرعود ، والمنذرة بالشر المستطير والعواقب الوبيلة .

« فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى » .

الوصايا بالمحبة والمودة واحسان العشرة قبل الزواج ومن الوالدين أو أولياء الأمور ، لها دورها فى الأدب والتوجيه السديد ، لأنها قبل الزواج تخرج من قلب شفوق وتتجاوز الآذان الى القلوب ، ومن أولى الأمر أدعى بالقبول والاحترام ، وأجدر بالابقاء عليها وممارستها عمليا بعد ذلك .

وقد كان للعرب — وهم أمة أمية — وصايا فى هذا الجانب خلدت على الزمن ، لأنها وافقت فطرة الطبيعة ، وسنن الكمال ، والتجربة التى امتحنت عمليا وكانت نتائجها طيبة فى مسيرة الحياة السعيدة للأسرة الناشئة ، يجدر بنا أن نسوق بعضها لتكون نبراسا يهدى ، وقدوة تتبع .. فمازالت على قدمها حديثة ، وعلى بداوتها مدنية ، وعلى بساطتها عميقة ، فحبذا لو حفظها أولياء الأمور ليلقنوها فلذات الأكباد ، وتشيعها وسائل الاعلام لعموم النفع ، وندرسها للشبان والشابات لترسخ فى الأذهان ، وتعيها القلوب ، وتنفعل بها حياتهم ، فتكون سننا سهلا للمران والدربة والسلوك بعد الانفعال ، على نحو ما يربى الغرب أبناءه على طاعة القانون ، والأمانة ، والسلوك القويم ، فأصبح مضرب المثل فى ذلك ، والمسلمون أولى بذلك منهم فى كل مكان يحلون فيه ، لأنها من وصايا الاسلام وشعائره وهديه وتعاليمه .

روى البيهقى فى الشعب عن أسماء بن خارجة الغزارى — وكان من حكماء العرب — أنه قال لابنته عند زفافها : —

— (يابنية قد كانت والدتك أحق بتأديبك منى أن لو كانت باقية .

أما الآن فأنا أحق بتأديبك من غيرى ،

فافهمى عنى ما أقول : ــ

ــ انك خــرجت من العش الــذى فيــه درجت ، وصرت الى فــراش لا تعرفينــه ، وقرين لا تألفيه .

ــ فكونى له أرضا مطيعة يكن لك سماء . (أى كــونى منقــادة له يظلل عليك برأفتــه واحســانه) .

وكونى له مهادا يكن لك عمادا . (أى كونى له فراشا مطيعة يكون معك عونا فى كل أمر) .

ــ وكونى له أمة يكن لك عبــدا . (أى تفانى فى خدمته يتفانى فى الاحسان اليك) .

ــ ولا تلحفى به فيقلاك . (أى لا تلحى عليه فى أشياء لا يودها فيكرهك ويبغضك) .

ــ ولا تباعدى عنه فينساك . (أى كونى دائما قريبة منه ، مستعدة لتلبية حاجياته) .

ــ ان دنا منــك فادن منه ، (أى ان كــان منبسطا ومنشرحا ، فاقتربى منه كما اقترب منك) .

ــ وان نأى عنك فابعدى عنه ، (لعلــه يكون مهموما أو فى شغل شــاغل عنــك فــلا تشغليه بأمرك) .

ــ واحفظى أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشم منك الا طيبا ، ولا يســمع الا حســنا ، ولا ينظر الا جميلا .

ــ وكونى كما قلت لأمك ليلة ابتنائى بها :

خــذى العفو منى تســتديمى مودتى
ولا تنطقى فى ثــورتى حين أغضــب
ولا تنقرينــى نقــرة الــدف مــرة
فانــك لا تــدرين أيــن المغيب
ولا تكثــرى الشــكوى فيذهب بالــ
ــهوى فيــاباك قلبى والقلــوب تقلب
فــانى رأيت الحب فى القــلب والأذى
اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب) . اهـ

قام هذا الشــيخ الحــكيم مقام الأم ــ لموتها ــ والأم أقرب الى قلب البنت وأعرف .. فقدم وصايا وتجارب عاشها الشــيخ ، وعاشتها الأجيال قبله ، فكــانت العيشــة راضية ، والرحلة هنيئة ، والمسيرة حكيمة .

فالطاعة والانقياد **تفجر الاحســان فى قلوب العظماء وتستدنى مودة وحلم الانسان، بينما الشجار والعصــيان يدفع الى مثلــه ، فتستعصى العقــدة على الحــل ، بل تزداد تعقيدا ، والمصير قد يكون الفصل .**

وللتضحية من الجانبين شأنها فى استدامة الحياة الزوجية ، أما الأنانية والأثــرة فــلا تأتى بخــير اطــلاقا ، ولكن يحس كــل من الزوجين بشعور الآخر ، حتى يقــول لــه : « يا أنا » كما يقولون ، فيكون التفانى من كل جانب لاسعاد الآخر ، وينعكس ذلك بالتالى عليه غبطة وسرورا .

ولبعض الزوجــات عــادات فى الالحاف والالحاح ، تنفــر الــزوج حتــى من أداء الواجب ، وتدعوه الى العناد وعدم القيــام به ، أو القيام به على كره .. فلو قل الالحاف لصدر كل شىء بدفع ذاتــى وعن طواعيــة واحترام .

وتسرف بعض النسوة أحيانا فى البعد عن الزوج والمنزل ، ولا تبالى بما يترتب على ذلك وتحسبه هينا ، ولكنه حين يتراكم يترك أسوأ الآثار .

وسبحان مقلب القلوب قبضا وبســطا ــ فالانسان يضيق بمن يطارده وهو فى شــغل

الأسـرة
بين الحكمة والأسوة فى الإسـلام

وهمٌ ، ولا يتصف بذلك عادة الا الذين لا يدركون من الأطفال وأشباههم ، وان كانت لهم جسوم الكبار — وقد نلبى أمر الصغير وقتئذ ، وقد يدعونا ذلك الى الحرمان تأديبا له .

وغالبا ما تتألق النساء زينة وعناية بالمظهر واللفظ قبل الزواج ، أما بعده فكثيرات يهملن كل شىء ، فتذبل المحبة ، وتضعف المودة ، وكأنما الزينة وحسن الهندام والعناية للغرباء والأجانب أو من هم فى الشارع .. أما الزوج فلا عناية به ولا بشأنه ، والأمر بالعكس .. والا فتحنا له بابا للمقارنة ، وآخر للنظر ، وثالثا للتفكير المهلك والمردى .

ولئن سرنا ذلك من أب حكيم ناب مناب زوجه التى لحقت بربها ، فحمل رسالتها مع رسالته ، فانا نسوق مثلا آخر لامرأة لا تقل حكمة عن الرجل السابق ، ان لم تزد ، لأنها نفذت الى بواطن الأمور ، ولها احاطة وشمول ، وتبث المعرفة فى صورة العظة ممزوجة بالحكمة والتجربة .

يحدث التاريخ أن الحارث بن عمرو ملك كندة تزوج ابنة عوف بن محلم الشيبانى ، فأوصتها أمها ليلة زفافها اليه بقولها : —

(— أى بنية ، ان الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل .

— ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لِغِنَى أبويها ، وشدة حاجتهما اليها كنت أغنى الناس عنه .

ولكن النساء خلقن للرجال ، ولهن خلق الرجال .

— أى بنية ، انك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا ،فكونى له أمة يكن لك عبدا وشيكا .

* يابنية ، احملى عنى عشر خصال ، تكن لك ذخرا وذكرا :

— الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .

— والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه : فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك الا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود .

— والتعهد لوقت طعامه ، والهدو عنه عند منامه .

— والارعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير .

— ولا تفشى له سرا ، ولا تعصى له أمرا ، فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره أوغرت صدره .

— ثم اتقى — مع ذلك — الفرح ان كان ترحا ، والاكتئاب عنده ان كان فرحا فان

الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير •

— وكونى أشد ما تكونين له أعظاما يكن أشد ما يكون لك اكراما •

— وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة •

— واعلمى أنك لا تصلين الى ماتحبين ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت وكرهت ، والله يخير لك)•

ويحدثنا التاريخ أنها حملت اليه ، فعظم موقعها منه ، وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن بعده •

فأى امرأة حكيمة وعظيمة هذه ، وأى ابنة سامعة ومطيعة هذه !!

انها تشيد بابنتها فى أول الأمر لتعظم اليها نفسها وتكبر ، وأن مفارقتها تعز عليهم لا شك فى ذلك لمنزلتها فى الأسرة ، ولكن عمارة الكون تتم بامتزاج الذكر والأنثى ، وتكميلهما لبعضهما •

ولندرة الطيب ومشتقاته فى ذلك الوقت •• ناب الماء عنه ، فنعم الطهور هو •

ثم تتوالى النصائح ذكية مضيئة وضيئة ، سلكت فى سلك منظوم ، تعين على حسن العشرة ، ودوام الألفة ، وتمكين الروابط والمودة •• وتدفع كل ما من شأنه يكدر الصفو ، ويزعزع البناء ، وينمى المنغصات والمزعجات التى تقصر الأجل ، وتعجل بفصم عرى الحياة الزوجية •

فأين هذه الوصايا العاقلة ، مما شاع وذاع واستشرى فى دنيانا اليوم ، من موروث جاهل ، أو مألوف عابث ، أو معتاد باطل ، أدى الى فشل كثير من الزيجات أو جعل الملل يتخللها ، والمناكفات تعتريها ،وقد تصل الى المحاكم •• الخ •

فالمرأة ان نالت قسطا من الثقافة اليوم ، لاتحاول اطلاقا تنميته ، والتزام العبرة منه ، أو التماس العظة فيه • وتكون الثقافة حينئذ حجة عليها لا لها ، وعامل استنامة وتثبيط •

وبعض من نلن درجات علمية استكن الى ذلك ، ورحن يبحثن عن قضايا أملاها الوهم وسوء الفهم ، كالطلاق ، وتعدد الزوجات •• الخ ، ولو تدبرتها المرأة لعلمت أنها قضايا كانت قبل الاسلام فى منتهى القسوة والاستعمال السىء فهذبها الاسلام ، وأصبحت — لو تدبرتها المرأة — لعدتها من محاسن الاسلام واحسانه الى المرأة ، كما سنبين ذلك فيما بعد ان شاء الله •

ولكن أعداء المرأة — والمسمون بأصدقائها زورا وبهتانا — جسموا لها الأمر ، وطنطنوا فى غير موضع ، كما يقول المثل : (أرى جعجعة ولا أرى طحنا) •

فأى كرامة لزوجة لا يريدها زوجها أو لا تريده ، فيربطهما القانون فى سلسلة ؟ وأى نفع فى ذلك ؟ •

وما نسبة تعدد الزوجات فى حياتنا من واقع الاحصائيات ؟ وما دوافع هذه الحصيلة الضئيلة ؟ ومن حقنا أن نسأل الزوجة الثانية لم أقدمت على الزواج على أختها ؟ •

وأيهما أولى بالملام ، المرأة التى تزوجت على

الأســـرة
بين الحكمة والأسوة في الإســـلام

أخرى ؟ أم الرجل ؟ .. مسائل ليس هنا بحثها ، وبيان وجه الحقيقة فيها .

لقد كنا نؤمل أن يكون كل تكتلات النساء ، في جمعيات الخير والبر والرحمة ، وكل ما من شأنه أن يخفف صعوبات الحياة في المراحل الحرجة التي تحياها أمتنا الاسلامية .

لقد احترم الاسلام المرأة عاملة في مجالها حين يلجئها الزمن ، أو تضطرها الظروف ، وعلى المجتمع حينئذ صيانتها ورعايتها وتمكينها في عفة واحتشام واحترام من أداء مهمتها .

وقدرها الاسلام صاحبة تجارة وصناعة ومهارة تغنى النساء في مجالها وخبرتها .. واحترمها الاسلام عالمة ومثقفة ونافعة ، فالكلب المعلم — لا الانسان فقط — نأكل صيده ، ويحترم أكثر من غيره .

خير للمرأة المعاصرة أن تنسى وصايا ظالمة وجاهلة ، مثل : —

(قصقصى طيرك حتى لا يلوف بغيرك) ، فتلهك نفسها وزوجها في تكديس وشراء مالا لزوم له ، فتجنى على الاقتصاد العام قبل الخاص .

وألا تسمع الى من ينصحها بأن تغلبه بكثرة الخلفحتى لا يهرب منها .. ففي هذا قد يكون هلاكها وفراره .

واذا أردنا أن تكون للمرأة حياة عزيزة كريمة — كما شاء الاسلام لها — فلنحاول أن نفهم وصايا الاسلام ، من كتاب الله ، ومن سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومن أفعال وأقوال الراشدين والحكماء ، حتى ترتقى الى المستوى الفاضل في الانسانية الرشيدة ، ويرتقى معها المجتمع .

ولا ننسى في هذا المقام أن نحذر المرأة المسلمة مما يبهرها في حياة أختها الغربية : فهي هنا تعيش في ضوء ووضاءة ، ويحفظ لها الاسلام كرامتها واعتبارها كانسانة في مكانة لائقة ومشرفة .

أما أختها في الغرب فقد شقيت وأشقت بما زين لها شياطين الانس والجن ، من مزالق وقعت فيها فانسلخت عن أنوثتها ، ولم تعد أنثى بكل معاني هذه الكلمة ، وبالتالي لم تصبح جنسا آخر له كل المقومات والخصائص التي هي من شأنه .وبمعنى آخر أصبحت بهذا الانسلاخ مسخا مشوها .

ما ان يعود الى صوابه ، ويثوب الى رشده ، حتى تثور على نفسها ، وتندب حظها ، وتبكى مصيرها ، وتحسد الشرقية أو المسلمة من بنات جنسها ، على ما تتمتع به من حفظ وكرامة وصيانة ومكانة وفرها لها الاسلام بتعاليمه والشرق بتقاليده ، والرجل بمهته وشرفه وموروثه .

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ .

د. توفيق محمد شاهين
مدير المركز الاسلامي — أتوا — كندا

دراسات في الهجرة

- الهجرة المباركة
- يثرب عند الهجرة
- البدع والآثام التي استحدثت في شهر المحرم الحرام
- التاريخ الهجري
- هجرة القلوب

الهجرة المباركة

أرسل الله عز وجل نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ للناس كافة كما قال تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (سبأ : ٢٨) ، (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (الأعراف : ١٥٨) •

وبالتالى فالنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ مأمور بتبليغ رسالته للخلق قاطبة بدءا من مكة والجزيرة العربية وانطلاقا الى كل العالمين •

وحتى يستطيع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نشر هذه الدعوة العالمية كان لابد له من قاعدة ينطلق منها بالدعوة التى تهدف الى خير الانسانية قاطبة وترمى الى رفاهية وسعادة البشرية جمعاء •

ومن ثم كان لابد للاسلام من أرض يقيم عليها دولة ، ودولة يستوعب فيها شعبا ، وشعب يحمل تعاليمه ويطبق منهجه ويتحول كله الى دعاة لمبادئه وحماة له يذبُّون عنه غارات المعتدين عليه ويردعون الخارجين عليه والمتربصين به •

ولقد حاول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أول يوم فى الدعوة أن يجعل من أم القرى هذه القاعدة لينطلق منها الى ما حولها ، لكنه لقى من أهلها أشد العنت ، فقد قاموا بايذائه وتعذيب أصحابه وسجنهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم • وتحمل المؤمنون فى سبيل دينهم ضروبا شتى وصنوفا عدة من الايذاء •

واذا كانت هذه هى حال مكة وموقفها من الدعوة ، فلا شك أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يكن ليستطيع الانطلاق منها الى ما حولها •

واشتدت وطأة التعذيب حتى سمح النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه بالخروج الى الحبشة فهاجروا اليها •

وأخذ ــ صلى الله عليه وسلم ــ يدعو الناس فى الأسواق ليلا ونهارا دون جدوى •

روى الامام أحمد عن ربيعة بن عباد قال :

للأستاذ عبدالرحمن عبدالحميد البر

« رأيت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ببصر عينى بسوق ذى المجاز يقول (**يا أيها الناس : قولوا لا اله الا الله تفلحوا**) ويدخل فجاجها والناس متقصفون ــ يعنى : مجتمعون مزدحمون ــ عليه ، فما رأيت أحدا يقول شيئا ، وهو ــ أى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يسكت ، يقول : (**يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا**) ... » الحديث (١) .

وهكذا لم يؤمن أهل مكة بالدعوة فضلا عن أن يقوموا بعبء نشرها .

حتمية الهجرة : ــ

لم يكن اذا من الممكن أن تكون مكة بجوها الخانق قاعدة الانطلاق بهذه الدعوة العالمية المباركة ، وبالتالى فلا مناص من مغادرة مكة مؤقتا للعودة اليها فى ظروف مهيأة وبوسائل غلابة .

فيمّم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجهه شطر الطائف عساه يجد عند أهلها ما لم يجده عند أهل مكة ، ولكنه لقى منهم ما لم يخطر بباله ، فأغروا به السفهاء والصبيان فرموه بالحجارة وتشمتوا به ولقى منهم اقسى ما عندهم .

روى الشيخان عن عروة عن عائشة زوج النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنها قالت لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : **هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟** قال (لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب ...) الحديث (٢) .

وعاد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يائسا من نصرة ثقيف وازداد اختناق الدعوة .

وان خير تصوير لهذه الفترة من حياة الدعوة لهو قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى دعائه ومناجاته ربه عند عودته من الطائف .

(اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ،

---

(١) احمد : فى المسند : ٣/٤٩٢ ــ ٤/٣٤١ . ط دار الفكر /بيروت .

(٢) البخارى فى الصحيح : كتاب بدء الخلق باب اذا قال أحدكم امين والملائكة فى السماء .. ٢/٢١٤ ــ ٢١٥ ط حلبى .
مسلم فى الصحيح : كتاب الجهاد حديث رقم ١١١ . ٣/١٤٢٠ ط حلبى بتحقيق عبد الباقى .

الى من تكلنى ؟ . الى بعيــد يتجهمنى !. أم الى عدو ملكته أمرى ...) .

وهكذا فالدعوة بين بعيد يتجهم وعدو يملك الأمر ، وازداد الأمر عسيرا ولم يعد المقام بمكة يطاق .

أمن الخير اذا أن تبقى الدعوة حبيســة فى مكة مقيدة الارادة مشلولة الحــركة ؟ ! وأن يبقى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الضيم .

ولا يقيم على ضـــيم يراد بــه
الا الأذلان : عير الحى والوتــد
هذا على الخســف مربوط برمته
وذا يشــج فمــا يرثى لــه أحــد

لابــد اذا من البحث عن متنفس جــديد للدعوة ، ولابد من البحث عن القـــاعدة الحصينة التى يمكن أن تنطلق منها الدعوة .

وفى الأرض منــاى للكــريم عن الأذى
وفيهــا لمن رام العـــلا متحـــول

فأخذ ــ صلى الله عليه وســلم ــ يعرض نفسه على القبائل طالبا الايواء والنصرة .

روى الثلاثة الا النسائى وروى الدارمى وأحمد عن جابر بن عبد الله قال :

كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعرض نفسه على الناس فى المــوقف فقــال « ألا رجل يحملنى الى قومه فان قريشـــا منعونى أن أبلغ كلام ربى » (٣) .

لكنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لقى من الكثيرين أقبح رد .

قال ابن اسحاق : « فكان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ذلك من أمــره كلمــا اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل الى الله والى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جــاء به من الهــدى والرحمــة ، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اســم وشرف الا تصدى له فدعــاه الى الله وعرض عليه ما عنده » (٤) .

وفى كلام ابن اسحاق هذا ما يدل على شدة مالاقاه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قريش وعلى أنه رأى ضرورة التحول عن مكة حتى يستطيع الانطلاق بدعوته .

تبــاشير النصر : ــ

ثم لقى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نفرا من الخزرج فدعاهم للاســلام فآمنوا بــه وصدقوه ووعدوه أن يعرضوا على قــومهم هذا الــدين عسى الله أن يجمعهم عليــه .

وعاد الوفد الى يثرب فذكروا رســـول الله ــ صلى الله عليه وســلم ــ بين أهلهــا

---

(٣) أبو داود فى السنن : كتاب السنة باب فى القرآن ٥٣٦/٢ ط حلبى .
ــ الترمذى فى السنن : كتاب فضائل القرآن باب ما جاء كيف كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ٣٥٥/٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . ط دار الفكر / بيروت .
ــ ابن ماجه فى السنن : المقدمة باب فيما انكرت الجهمية ٧٣/١ ط حلبى بتحقيق عبد الباقى .
ــ الدارمى فى المسند : كتاب فضائل القرآن باب القرآن كلام الله ٤٤٠/٢ ط دار الكتــب العلمية/بيروت .
ــ أحمد فى المسند : ٣٩٠/٣ .

(٤) سيرة ابن هشام بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ٢٨٩/٢ .

فشاع ذكره فى كل دور أهل يثرب ، فلما كان العام المقبل أتى فى الموسم اثنا عشر رجلا فلقوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالعقبة فبايعوه بيعة العقبة الأولى . ونصوص هذه البيعة رواها عبادة بن الصامت — رضى الله عنه — وكان من الذين شهدوا هذه البيعة ، فعن أبى ادريس عائذ الله أن عبادة ابن الصامت من الذين شهدوا بدرا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومن أصحابه ليلة العقبة أخبره أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال وحوله عصابة من أصحابه : (تعالوا بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه) قال : فبايعناه على ذلك » .

رواه أحمد والشيخان والترمذى والنسائى (٥) .

ويلاحظ أن هذه البيعة حث على الفضائل ونهى عن الرذائل وأنها خالية حتى عن مجرد الاشارة الى الجهاد أو الحرب .

وعاد الوفد المؤمن الى يثرب ومعهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين .

وفى العام التالى عاد مصعب بن عمير ومعه سبعون رجلا وامرأتان وواعدوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على أن يلقوه فى ثلث الليل من أواسط أيام التشريق ، ويحدثنا كعب بن مالك عن هذا اللقاء وهو الذى بايعوا فيه بيعة العقبة الثانية فيقول فيما يرويه الامام أحمد :

« ... فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم فقال : يا معشر الخزرج — قال : وكانت العرب مما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها — : ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده . قال: فقلنا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . قال : فتكلم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فتلا ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام

---

(٥) البخارى فى الصحيح :كتاب الايمان ١٢/١ وكتاب مناقب الأنصار باب وفود الانصار الى النبى صلى الله عليه وسلم وبيعة العقبة ٣٢٩/٢، وكتاب التفسير باب تفسير سورة الممتحنة ٢٠١/٣ وكتاب الديات باب قول الله تعالى «ومن أحياها» ١٨٧/٤ وكتاب الاحكام باب بيعة النساء ٢٤٧/٤ — مسلم فى الصحيح كتاب الحدود حديث رقم ٤٤ . ١٣٣٣/٣ _ ١٣٣٤
— الترمذى فى السنن : كتاب الحدود باب ما جاء أن الحدود كفارة لاهلها ٤٤٧/٢
— النسائى فى السنن : كتاب البيعة باب البيعة على الجهاد ١٢٨/٧ وباب البيعة على فراق المشرك ١٣٣/٧ ، وباب ثواب من وفى بما بايع عليه ١٤٤/٧ ، وكتاب الايمان باب البيعة على الاسلام ٩٦/٨ ط حلبى — أحمد فى المسند : ٥/ ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٣

قال : (أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) ، قال : فأخذ البـراء ابن معرور بيده ثم قال : نعم والـذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا (كنـاية عن النساء) فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحلقة ورثناها كـابرا عن كـابر . قـال : فاعترض القول ـ والبراء يكلم رسول الله ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ أبو الهيثم بن التيهان حليف بنى عبد الأشهل فقال : يارسول الله : ان بيننا وبين الرجـال حبـالا وانـا قاطعوها ـ يعنى اليهود ـ فهل عسـيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الـى قومك وتدعنا ؟ . قال : فتبسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : (بل الدم الدم الدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) ... الحـديث (٦) .

وقفزت الدعوة الاسلامية من النصـيحة الفردية فى بيعة العقبة الأولى التى المحـالفة الحربية الدفاعية فى بيعة العقبة الثانية وبدت تباشير النصر آتية طلائعها من يثرب التـى تعلقت قلوب أهلها بصاحب الدعوة ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونقلـوا اليـه رغبتهم فى ذهابه اليهم .

واذا : ـ فقد أذن الله للدعوة أن تنطلـق وهيأ لها مكان الانطلاق كما هيأ لها من يقوم بالذود عنها والـذين أخـذوه على مصـيبة الأموال وقتل الأشراف حتى قـال أحـدهم للرسول الكريم : والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا . لكنه ـ صلى الله عليه وسلم . لم يؤمر بالحرب بعد. وعـاد القـوم الى المدينـة وقـد أخفقت محاولة قريش فى النيل منهم .

الهجــرة :

وطابت نفس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قد جعل الله له منعة وقوما أهل حرب وعدة ونجدة . ولما اشتد ايذاء المشركين لأصحابه أمرهم النبى ـ صـلى الله عليـه وسلم ـ أن يلحقـوا باخـوانهم فى يثرب ، فهاجروا مع شدة مالاقوا فى سبيل هجرتهم .

وقد كانت هذه الهجرة بتضحياتها العظيمة هى علامة الايمان الصادق ، وتتابع المهاجرون الى المدينة ولم يبق الا المستضعفون والمرضى ورسول الله ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ وأبو بكر وبعض نفر كانت لهم أعمال تتصـل بالهجرة كعلى بن أبى طالب وآل أبى بكر .

خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

ولم يبق ـ اذا ـ الا أن يهاجر رسـول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لينظم فى المدينة دولة الاسـلام التى سـتنطلق بالدعوة . ورغم صعوبة الهجرة بالنسـبة لرسول الله ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ ، ورغم محاولات قريش المستميتة لمنع هـذه الهجرة ، فان الله قد هيأ للهجرة أسـباب النجاح لأنها ستكون نقطة البدء فى الانطلاقة الكبرى نحو تثبيت الدعوة وتكـوين القـوة المادية للاسلام والمسلمين . وقد ذكـر الله

(٦) احمد فى المسند : ٣/٤٦١ ـ ٤٦٢

المؤمنين بهذا فى قوله سبحانه (**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) (الأنفال : ٢٦) .

انشاء الدولة الاسلامية :

وبوصول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة أمكنه اقامة الدولة فقد تحققت مقوماتها الأساسية :

الشعب ، والأرض ، والسلطة .

أما الشعب فقد وجد بعد الهجرة مكونا من المهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى وحدة واحدة وسيطرت عليهم القوة الروحية ولمس حب الدين شغاف قلوبهم فأضحى كل منهم أمة فى شخص وجيشا فى فرد .

وأما الأرض : فهى يثرب التى سميت بالمدينة المنورة .

وأما السلطة : فقد كانت فى يد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، تشريعية وقضائية ، وتنفيذية ، خوله اياها المسلمون وبايعوه على السمع والطاعة .

وبذا تحقق أول مقاصد الهجرة ، وهو بناء الدولة التى ستنطلق بالدعوة ، وأصبح من المحتم الانطلاق ، وحتى يكون الانطلاق على بصيرة فلابد من ايجاد الجانب التشريعى الذى به تساس أمور الجماعة المسلمة التى ستحمل لواء الانطلاق بالدعوة .

ومن ثم كان أول عمل لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة هو بناء المسجد الذى سيضم هذه الجماعة ويكون دار قيادتها ورمز وحدتها ومركز اشعاع الدعوة التى ستحملها .

ثم نزلت التشريعات التى تنظم علاقة الفرد بربه وباخوانه وبأسرته وبالجماعة ، ثم ـ ولكيلا تتعدد جبهات المعارضة للدعوة ـ علاقة الجماعة بغيرها فكانت المعاهدة بين المهاجرين والأنصار وبين اليهود .

ولم يعط المسلمون أنفسهم وقتا للراحة ، فما كانت الهجرة قط فى أنظارهم ركونا الى الدعة والاسترخاء ، أو ميلا الى الراحة والسكون ، وانما كانت محاولة مصممة على قيادة المعركة فى سبيل الله من جهة أخرى .

ومن ثم أخذوا فى العمل الجاد لانشاء الجيش القوى الفتى الذى سيكون الدرع والواقية لهذه الدولة الناشئة التى تتهددها الأخطار داخليا وخارجيا واستطاع هذا الجيش المؤمن مع قلته أن ينطلق ليسترد اعتبار الجماعة المؤمنة وأن يدحل فى السنة الثانية أول معركة ضد قوة تبلغ أكثر من ثلاثة أمثاله ومع ذلك كان النصر حليف القلة المؤمنة كما قال عز وجل (**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) (آل عمران : ١٢٣) .

ثم توالت المعارك والغزوات وأخذ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرسل رسله ليعرضوا الاسلام على كل ملوك العرب والعجم وأمرائهم تحقيقا لعالمية الدعوة ، فمنهم من آمن وأسلم ومنهم من رد الوفود ردا سيئا ومنهم من ردهم ردا جميلا .

الهجرة المباركة

وظل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه يتطلعون الى مكة أم القرى ويريدون العودة اليها ، والانطلاق منها الى ما حولها •

وحقق الله لهم ما أرادوا ففتحوا مكة فى العام الثامن دون اراقة قطرة دم ، وعفا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أهلها ، وجاءت وفود العرب تترى معلنة اسلامها مؤمنة بالنبى وبرسالته متخذة من كتاب الله وسنة نبيه شرعة ومنهاجا •

وانطلق الاسلام انطلاقته الكبرى ، وفى أقل من ربع قرن دانت الجزيرة العربية كلها بالاسلام ، وفتح المسلمون الامبراطوريتين الكبيرتين فارس والرومان ، وأصبحت جميعا تنتظمها دولة واحدة هى دولة الاسلام •

وهكذا كانت الهجرة السبب الأول ونقطة البدء فى اقامة الدولة الاسلامية التى انطلقت بالدعوة وقامت بها خير قيام •

هل أنقطعت الهجرة :

روى الجماعة الا ابن ماجه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم افتتح مكة (لا هجرة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا) (٧) •

وفى رواية النسائى عن صفوان بن أمية قال : قلت يارسول الله : انهم يقولون ان الجنة لا يدخلها الا مهاجر • قال (لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا) (٨) •

فظاهر هذا أن الهجرة قد انقطعت بفتح مكة ، ولكن الأمر يحتاج الى شىء من التدقيق ، فهل انقطعت الهجرة عامة ، أو أن المراد هجرة مخصوصة انقطعت دون غيرها •

يقول الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى :

« قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : الهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام باقية الى يوم القيامة وتأولوا هذا الحديث تأويلين: **أحدهما :** لا هجرة بعد الفتح من مكة لأنها صارت دار اسلام فلا تتصور منها الهجرة • **والثانى :** وهو الأصح : أن معناه : ان الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التى يمتاز بها أهلها امتيازا ظاهرا انقطعت بفتح مكة ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة لأن الاسلام قوى وعز بعد فتح مكة عزا ظاهرا بخلاف قبله » (٩) •

---

(٧) البخارى فى الصحيح كتاب : الصيد باب : لايحل القتال بمكة ٣١٥/١ وكتاب الجهاد ١٣٥/٢
وباب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية ١٤٢/٢ •
ـ مسلم فى الصحيح : كتاب الامارة حديث رقم ٨٥ • ١٤٨٧/٣ وحديث رقم ٨٦ : ١٤٨٨/٣
عن عائشة
ـ أبو داود فى السنن : كتاب الجهاد باب فى الهجرة هل انقطعت ٤/٢
ـ الترمذى فى السنن : كتاب السير بابماجاء فى الهجرة ٧٥/٣
ـ الدارمى فى المسند : كتاب السير بابلاهجرة بعد الفتح ٢٣٩/٢
ـ أحمد فى المسند : ٢٢٦/١ ، ٢٦٦ ، ٣١٦ ، ٣٥٥ ، ٢٢/٣ ، ٤٠١ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٧١/٥ ، ١٧٨ ، ٤٦٦/٦

(٨) النسائى فى السنن : كتاب البيعة باب ذكر الاختلاف فى انقطاع الهجرة ١٣١/٧

(٩) انظر هامش مسلم بتحقيق عبد الباقى ١٤٨٧/٣

وقال العلامة الطيبى :

« كلمة ولكن » ــ (فى ولكن جهاد ونية) ــ تقتضى مخالفة ما بعدها لما قبلها ، أى : المفارقة عن الأوطان المسماة بالهجرة المطلقة انقطعت ، لكن المفارقة بسبب الجهاد باقية مدى الدهر ، وكذا المفارقة بسبب نية خالصة لله تعالى كطلب العلم والفرار بدينه ونحو ذلك » (١٠) .

والذى نركن اليه هو ما صححه الأستاذ عبد الباقى وهو أن الهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام باقية وأن الهجرة التى انقطعت هى تلك الهجرة الفاضلة التى فاز بها المهاجرون من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل فتح مكة . ولذا لما جاء البعض يبايعون رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الهجرة بعد الفتح أخبرهم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بانقطاع تلك الهجرة وذهاب السابقين بفضلها .

روى الشيخان وأحمد عن أبى عثمان النهدى قال : حدثنى مجاشع بن مسعود قال : أتيت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأخى بعد الفتح . قلت : يارسول الله : جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة . قال (ذهب أهل الهجرة بما فيها) فقلت : على أى شىء تبايعه ؟ قال (أبايعه على الاسلام والايمان والجهاد) وفى رواية (على الاسلام والجهاد والخير) (١١) .

وروى النسائى وأحمد عن يعلى بن أمية قال : جئت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأبى أمية يوم الفتح ، فقلت يارسول الله : بايع أبى على الهجرة . فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (أبايعه على الجهاد وقد انقطعت الهجرة) (١٢) .

فالهجرة التى أخبر الرسول بانقطاعها ــ والتى أراد هؤلاء المبايعة عليها ــ هى التى فاز بها السابقون من أصحابه قبل فتح مكة .

من معانى الهجرة الباقية :

وعلى هذا فالهجرة كما قلنا باقية لم تنقطع ، بيد أن لها معان وصورا أخرى غير مفارقة الأوطان المطلقة نذكر بعضها فيما يلى :

الجهاد : ــ

من معانى الهجرة الباقية ومن أظهر صورها : الجهاد فى سبيل الله فالخير الذى انقطع بسبب الهجرة يمكن تحصيله عن طريق الجهاد ، ولذا فان الذين طلبوا من النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ المبايعة على الهجرة بايعهم على الجهاد كما فى الحديثين السابقين كما أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما أعلن عن انقطاع الهجرة قال :

---

(١٠) انظر حاشية النسائى ١٣١/٧

(١١) البخارى فى الصحيح : كتاب المغازى ٦٥/٣ وكتاب الجهاد باب البيعة فى الحرب الايفروا ١٦٣/٢ ، وباب لاهجرة بعد الفتح١٨٣/٢

ــ مسلم فى الصحيح : كتاب الامارة حديث رقم ٨٣ ، ١٤٧٨/٣٠٨٤ .

ــ أحمد فى المسند ، ٧١/٥

(١٢) النسائى فى السنن : كتاب البيعة باب البيعة على الجهاد ١٢٧/٧ وباب ذكر الاختلاف فى انقطاع الهجرة ١٣٠/٧

ــ أحمد فى المسند : ٢٢٣/٤

« ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » يعنى اذا طلبكم الامام للخروج للجهاد فاخرجوا . بل أخبر أن الجهاد أفضل الهجرة .

روى أحمد أن النبى — صلى الله عليه وسلم — سئل : أى الايمان أفضل ؟ قال (الهجرة) قال : فما الهجرة ؟ قال (تهجر السوء) قال فأى الهجرة أفضل ؟ قال الجهاد ... » الحديث (١٣) .

كما أخبر النبى — صلى الله عليه وسلم — عن دوام الهجرة طالما كان الجهاد .

روى النسائى وأحمد عن عبد الله بن واقد السعدى أنه قال للنبى — صلى الله عليه وسلم — : يارسول الله : انى تركت من خلفى وهم يزعمون أن الهجرة قد انقطعت — وفى رواية : متى تنقطع الهجرة — قال (لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار) وعند أحمد (ما قوتل العدو) (١٤) .

وقد فهم الصحابة هذا المعنى من معانى الهجرة فهما جيدا .

روى البخارى عن مجاهد قال : قلت لابن عمر — رضى الله عنهما — : انى أريد أن أهاجر الى الشام . قال « لا هجرة ولكن جهاد ، فانطلق فاعرض نفسك فان وجدت شيئا والا رجعت » (١٥) .

(١٣) أحمد فى المسند : ١١٤/٤
(١٤) النسائى فى السنن : كتاب البيعة باب ذكر الاختلاف فى انقطاع الهجرة ١٣١/٧ — ١٣٢ — أحمد فى المسند : ٢٧٠/٥
(١٥) البخارى فى الصحيح : كتاب المغازى ٦٥/٣

وروى البخارى أيضا عن عطاء بن أبى رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت « لا هجرة اليوم . كان المؤمن يفر أحدهم بدينه الى الله والى رسوله مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الاسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية » (١٦) .

ألا ، فليع المسلمون هذا المعنى الجليل من معانى الهجرة ، وليحصلوا الخير ان شاءوا من هذا الطريق ، فالعدو جاثم على أرضهم ورابض فى ديارهم . وان عويل الثكالى وأنين اليتامى ليستنفر الحجارة الصم . يستنصرون اخوة العقيدة وشركاء الملة فهل من سميع ؟ ! وهل من بصير ؟ ! وهل من مجيب ؟! ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

التوبة :

ومن معانى الهجرة الباقية الدائمة : التوبة . والتوبة مفتوح بابها حتى تطلع الشمس من مغربها .

روى ابو داود والدارمى عن معاوية قال سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول :

لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ،

(١٦) البخارى فى الصحيح : كتاب المغازى ٦٥/٣ وكتاب الجهاد باب لاهجرة بعد الفتح ١٨٣/٢

ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها (١٧) •

فليتنبه كل مسلم وليبادر بالتوبة وليسارع بالانابة تائبا الى الله توبة نصوحا •

هجرة المحرمات والمناهي : —

ومن معانى الهجرة الباقية : هجرة ما حرم الله وما نهى عنه من كل الرذائل والمفاسد التى لا تعود على صاحبها الا بأوخم العواقب •

روى البخارى وأحمد وأصحاب السنن الا الترمذى عن عبد الله بن عمرو — رضى الله عنهما — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال :

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه (١٨) •

وروى أبو داود والنسائى والدارمى وأحمد عن عبد الله بن حبشى الخثعمى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — سئل ••• فأى الهجرة أفضل ؟ قال من هجر ما حرم الله عليه ••• » الحديث (١٩) •

وروى الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو — رضى الله عنهما — أن أعرابيا قال : يارسول الله : أخبرنا عن الهجرة : اليك أينما كنت أو لقوم خاصة أم الى أرض معلومة أم اذا مت انقطعت • قال : فسكت عنه يسيرا ثم قال أين السائل عن الهجرة ؟ قال : ها هو ذا يارسول الله • قال الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ثم أنت مهاجر وان مت بالحضر ••• الحديث (٢٠) •

ايتاء الزكاة :

كما ان من المعانى الباقية للهجرة : هجرة الشح والبخل واخراج الصدقات وايتاء الزكوات ، كما فى الحديث السابق وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة •

روى الشيخان وأبو داود والنسائى وأحمد عن أبى سعيد الخدرى قال : جاء أعرابى الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فسأله عن الهجرة • فقال (ويحك ، ان الهجرة شأنها

---

(١٧) أبو داود فى السنن : كتاب الجهاد باب فى الهجرة هل انقطعت ٢/٣

— الدارمى فى المسند : كتاب السير باب أن الهجرة لاتنقطع ٢/٢٣٩ — ٢٤٠

(١٨) البخارى فى الصحيح : كتاب الايمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١/١١ ، وكتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصى ٤/١٢٧

— أبو داود فى السنن : كتاب الجهاد باب فى الهجرة هل انقطعت ٢/٤

— النسائى فى السنن : كتاب الايمان باب صفة المسلم ٨/٩٣

— ابن ماجة فى السنن : كتاب الفتن باب حرمة دم المؤمن وماله ٢/١٢٩٨

— أحمد فى المسند ٢/١٦٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٣/١٥٤ ، ٦/٢٢

(١٩) أبو داود فى السنن : كتاب : الوتر باب طول القيام ١/٣٣٤

— النسائى فى السنن : كتاب : الزكاة باب جهد المقل ٥/٤٣ — ٤٤

— الدارمى فى المسند كتاب : الصلاة باب أى الصلاة أفضل ١/١٣٣

— أحمد فى المسند : ٢/١٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ٤/٣٨٥ •

(٢٠) أحمد فى المسند : ٢/٢٠٣ ، ٢٢٤ •

شديد ، فهل لك من ابل ؟) قال : نعم . قال (فتعطى صدقتها ؟) قال : نعم . قال (فهل تمنح منها ؟) قال نعم . قال (فتحلبها يوم ورودها) قال : نعم . قال (فاعمل من وراء البحـــار فـــان اللـــه لن يترك مـــن عملك شيئا) (٢١) والمعنى « أن الانســـان يعمل بالخير فى وطنه وحيث كان فهـــو ينفعـــه ولا ينقصه الله منه شيئا » (٢٢) .

معان أخرى للهجرة :

وهنـــاك معان أخرى للهجـــرة يضيق بهـــا الحصر ولا يحصيها العد منها :

الهجرة بالقلب من أوهام الشرك وظلماته الى صفاء التوحيد وأنواره .

الهجرة بالأمة من الاســـتكانة والخضوع والذلة الى الثقة بالنفس والقوة والعزة .

هجـــرة الجاهليات الحديثة الى الاســـلام الأصيل والشريعة الربانية الالهية .

هجرة اللهو والترف الى الجد والعمل .

هجرة الفرقة والاختـــلاف الى الوحـــدة والائتلاف .

هجرة الى اللـــه كهجرة ابراهيم اذ قـــال (**إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) (العنكبوت : ٢٦) .

ان هجرة اليوم هى فرار بالكلية الى الله وتكييف أهوائنا وأوضاعنا على حسب شريعة الله امتثالا لقول الحق سبحانه :

(فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . ولاتجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) (الذاريات : ٥٠ ــ ٥١) .

وبعـــد :

فذكرى الهجرة تطالعنا ونحن نواجه قوى الشر والعدوان التى تحاول أن تقضى من جديد على دعوة التوحيد وتغتصب ديـــارها وتذل أهلها . وان كل يوم تشرق شمسه ليكشـــف

---

(٢١) البخارى فى الصحيح : كتاب مناقـــب الانصار باب هجرة النبى وأصحابه الى المدينـــة ٣٣٧/٢ ، وكتاب الزكاة باب زكاة الابل ٢٥٢/١ وكتاب الادب باب ما جاء فى قول الرجل ويلك ٧٦/٤

ــ مسلم فى الصحيح : كتاب الامارة حديث رقم ٨٧ ، ١٤٨٨/٣ .

فى الهجرة وسكنى البدو ٣/٢

ــ أبو داود فى السنن : كتاب الجهاد باب ماجاء فى الهجرة وسكنى البدو ٣/٢ .

ــ النسائى فى السنن : كتاب البيعة باب شأن الهجرة ١٢٩/٧

ــ أحمد فى المسند : ١٦٠/٢ ، ١٩٣

(٢٢) انظر هامش صحيح مسلم بتحقيق عبـــد الباقى ١٤٨٨/٣

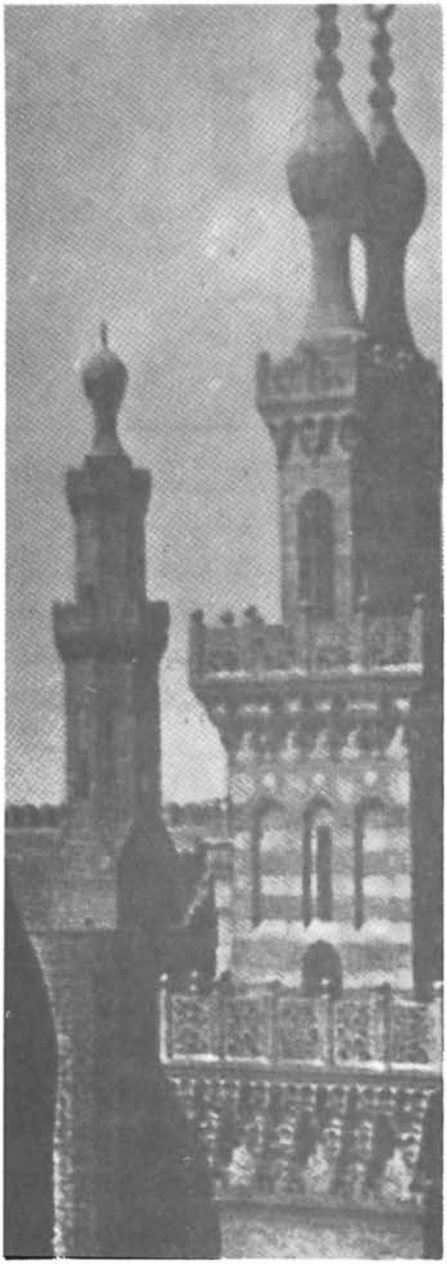

عن مزيد من النكبات ويتمخض عن كثير مــن الانهزامات التى تصيب أمة الاســـلام وهى خاضعة مستكينة هزيلة غير قادرة حتى على الدفاع عن نفسها ٠

وان سبيل الانتصار على هذه العقبـــات والنكبات لهو الايمان بالله وبدين الله عقيدة وعبادة وحكما وتشريعا ، والاستمساك بشرعه منهجا ومنقذا ، ورفض كافة النظم والقوانين الدخيلة على أمة الاسلام والتى لم تجن الأمة من ورائها سوى الهزيمة والانحسار والخذلان والانكسار ٠

ومع مطلع العام الهجرى الجديد نسال الله عز وجل أن يجعله عام نصر وعزة وفلاح لأمة الاسلام ٠

والله ولى التوفيق
انه على مايشاء قـــدير
عبد الرحمن عبد الحميد أحمد البر

يثرب عند الهجرة

مدينة يثرب

عبارة عن مجموعة من القرى تقاربت فتكونت منها مدينة يثرب — وتقع يثرب على عدة وديان أشهرها وادى بطحان والعقيق — وهى منحدرة من الجنوب الى الشمال حيث تلتقى عند مجمع الاسيال من رونة — ويقع جبل عسير فى جنوبها الشرقى .

وتحيط بها الحرات من ثلاث جهات على هيئة حدوة الحصان (الحرة : عبارة عن منطقة سوداء من الحجارة النخرة المحترقة أو من السائل البركانى — يمتنع فيها المشى بالاقدام — كما يمتنع مشى الابل والخيل وما الى ذلك .

وحرة واقم التى تحد المدينة من الشرق كانت أكثر عمرانا من حرة الوبرة التى تطبق على المدينة من الناحية الغربية .

والمدينة محاطة بأشجار ونخيل وزروع كثيفة — وهى لذلك تمتاز بتحصن طبيعى حربى لا تزاحمها فى ذلك مدينة اخرى فى الجزيرة .

ترتفع يثرب عن سطح البحر بأكثر من ستمائة متر — وجوها أقرب الى الاعتدال — وموقعها موقع واحة استراتيجية — وهى مدينة قوافل تتصلببادية نجد من الشرق ومنها الى العراق وتتصل بالبحر الاحمر من الغرب وتقع على طريق القوافل من الشام واليمن — فهى بوابة الجزيرة العربية من ناحية الشام — كما تقع فى نهاية وادى القرى وبوابة وادى العقيق .

وقد منحت الطبيعة أرض يثرب — وهى بركانية التربة — خصبا زائدا — ثم هى ذات وديان تفيض بماء السيول التى تروى أرضها وتسقى النخيل والزروع — وقد اشتهر منها : وادى العقيق الذى كان متنزه يثرب — وكان يتدفق بالماء ويزهو بالبساتين وكانت الارض صالحة لحفر الآبار وقد كثرت فيها البساتين — ومن البساتين ما هو مسور — ويسميه أهل يثرب الحائط واشتهرت آبار كثيرة بعذوبة الماء ووفرته — وكانت لهم شراج — جمع شرجة — مسيل الماء — وكانوا يحولون الماء بالمساحى الى حدائقهم .

وكان لأهل يثرب ثروة من الابل والبقر

١

للأستاذ على القاضى

والغنم ــ وكانوا يستخدمون الابل فى ارواء الاراضى ويسمونها الابل النواضح « وكانت لهم مراع ــ لماشيتهم ــ وكانت لهم خيل يستخدمونها فى الحروب ــ وان كانت قليلة بالنسبة الى مكة » •

وكان بنو سليم مشهورين باقتناء الخيل يجلبونها من الخارج •

سكان يثرب :

حين هاجر النبى صلوات الله وسلامه عليه ــ الى يثرب ــ كان بالمدينة ثلاث قبائل من اليهود ــ كما كان بها قبيلتان من العرب •

اليهــــود :

متى جاء اليهود الى يثرب ؟

جاء اليهــــود الى يثرب فى القرن الأول الميلادى ــ وذلك بعد حرب اليهود والرومان سنة ٧٠ م تلك الحرب التى انتهت بخــــراب فلسطين وتدمير هيكل وتشتت اليهود فى بلاد العالم فى هذه الفترة قصدت جموع من اليهود الى بلاد العرب فارين بدينهم من الاضطهــاد المسيحى التى عمل على تنصيرهم أو افنائهم ــ ذاك لأن رأى اليهود فى عيسى وأمه ــ على نبينا وعليهما أفضــل الصــلاة والســلام ــ لا يرضى أحدا والنصارى يعتقدون أن اليهود هم الذين قتلوا المسيح وأغروا بصلبه •

وقد اختار اليهود الجزيرة العربية لهجرتهم ــ بعد أن تحققوا من أنه سيبعث فيها نبى وأن فيها أرضا ستكون موضع مهاجرة ــ وأنهم بعد بحث طويل عرفوها بأوصافها ــ وهى يثرب فكان أكثر تجمع فيها وحولها ــ ومنهم تبــع الحميرى ــ الذى حمل جماعة منهم الى جنوب الجزيرة فنشروا اليهودية فى اليمن وما جاورها ــ كما وصلت مجموعــات أخرى فى زمن الامبراطور هادريان فيما بين عــــامى ١٣٢ ، ١٣٥ م ــ وقد ذهبت ثلاث قبائل الى يثرب حيث أقاموا بها •

وقد كانوا يسكنون جميعا خارج يثرب فى بداية عهدهم ــ ولكن بنى قينقاع طردوا من مساكنهم ــ وكان الذين طردوهم هم بنو النضير وبنو قريظة ــ اخوانهم اليهـــود ــ فسكنوا فى المدينة فى محلة خاصة بهم •

وكان بنو النضير يسكنون بالعالية بوادى « بطحان » على بعد ثلاثة أميال من يثرب ــ وكانت العالية عامرة بالنخيل والزروع وهى خير أرض فى الانتاج الزراعى ــ كما كان بنو قريظة يسكنون فى منطقة (مهزور) على بعد بضعة أميال جنوب يثرب •

ومن ذلك يتضح أن العلاقة بين القبــــائل اليهودية كانت مضطربة ــ وكانوا أحيانا يحارب بعضهم بعضا ــ وكان هناك عداوة بين بنى قينقاع وبين بقية اليهود ــ وسبب هذه العداوة أن بنى قينقاع كانوا قد اشتركوا مع الخزرج فى يوم بعاث ــ وقد أثخن بنو النضير وبنو

يثرب
عند الهجرة

قريظة فى بنى قينقاع ومزقوهم كل ممزق — مع أنهم دفعوا الفدية عن كل من وقع فى أيديهم بعد يوم بعاث — حتى وقعت الحرب بين الانصار وبين بنى قينقاع فلم ينهض أحد من اليهود لمحاربة الانصار •

ولقد شخص القرآن الكريم حالة أهل الكتاب وملامحهم النفسية بأن بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى — ومعنى هذا أن عصبية بعضهم لبعض التى تظهر فى كثير من الاحيان انما هى مظهر خارجى خادع وسرعان ما ينكشف الستار ويظهر أن هذا النزاع انما هو قائم على اختلاف المصالح وتفرق الأهواء وتصادم الاتجاهات — فكل يهودى لا يهمه الا نفسه والمال الذى يمتلكه بأى أسلوب •

ولذلك فلم يستطع اليهود أن يكونوا لهم دولة فى يثرب يقومون بكل شىء فيها — بل كانوا يعيشون فى ظل حماية سادات القبائل التى تجاورهم — يؤدون لهم أتاوة كل عام مقابل هذه الحماية التى يقومون بها — فلا يستطيع أحد من الأعراب أن يعتدى عليهم — ولذلك فقد كان لكل زعيم يهودى حليف من الاعراب ومن رؤساء العرب •

وعلى عادة اليهود الذين لا يستطيعون أن يندمجوا اندماجا كاملا فى أى مجتمع — فقد كان لهم حصون وآطام وقرى يعيشون فيها مستقلين — وقد نقلوا فكرة بناء الآطام من الشام الى يثرب — ولذلك فقد كانت يثرب منقسمة الى عدة دوائر — كل دائرة تابعة لبطن من البطون وهذه الدوائر تنقسم الى قسمين — يشتمل القسم الأول على الأرض الزراعية بمنازلها وسكانها ويشتمل الثانى على الأطم — وقد بلغ عدد آطام اليهود عند الهجرة ٥٩ أطما •

وهذه الآطام كانت لها أهمية عظيمة فى يثرب — فقد كان يفزع اليها أفراد البطن عند هجوم العدو — يأوى اليها النساء والاطفال والعجزة حين يذهب الرجال للقتال — وكانت الأطم تشتمل على مخازن للغلال والثمار — وكانت القوافل التى تحمل البضائع يمكنها أن تنزل بالقرب منها — كما أن الاسواق كانت على ابوابها — وهكذا يستغل اليهود كل فرصة ممكنة للحصول على الكسب المادى •

كان فى يثرب ثلاث قبائل من اليهود :

بنو قينقاع — وقد كان عدد المحاربين فيهم عند الهجرة ٧٠٠ مقاتل •

بنو النضير — وقد كان عدد المحاربين فيهم عند الهجرة ٧٠٠ مقاتل أيضا •

بنو قريظة — وقد كان عدد المحاربين فيهم عند الهجرة ٨٠٠ مقاتل تقريبا •

ومعنى هذا أن المحاربين من اليهود كانوا أكثر من ألفين •

وقد كان لهذه القبائل اليهودية توابع مثل يهود بنى عوف وبنى النجار وبنى ساعدة وبنى الحارث — وقد جاء فى العهد الذى عقد بينهم وبين رسول الله عليه الصلاة والسلام :

« **أن بطانة يهود كأنفسهم** » •

كما أن عددا من العرب كانوا يدينون

باليهودية — اما رغبة فيها واما بحكم النشأة فى البيئة اليهودية — واما بتأثير المصاهرة والزواج — ومن هؤلاء كعب بن الاشرف — فهو عربى من قبيلة طىء — تزوج أبوه فى بنى النضير فنشأ بينهم كعب يهوديا متحمسا •

كما كان من عادة بعض العرب الذين لا يعيش لهم ولد — أنه اذا ولد له ولد هودوه رجاء أن يعيش — فى ظنهم — •

وكان لليهود مدارس يتدارسون فيها أمور دينهم وأحكام شريعتهم وأيامهم الماضية ينعتون أنفسهم بأنهم أهل العلم والشرائع والايمان — كما كان لهم أماكن خاصة يقيمون فيها عباداتهم وشعائر دينهم — وكانت تسمى المدراس — وكانت المكان الذى يتجمع فيه اليهود لتبادل المشورة فى سائر أحوالهم الدينية والدنيوية — ولهم تشريعاتهم التى يأخذون بعضها من التوراة وبعضها من وضع الاحبار •

وعلى عادة اليهود — قوى نفوذهم الاقتصادى وصاروا يتحكمون فى الاسواق تحكما فاحشا ويحتكرونها لمصلحتهم — فكرههم الناس بسبب أنانيتهم واشتطاطهم فى أخذ الربا الى جانب طرق يأنف العربى من التعامل معهم بها •

كما أنهم كانوا يأخذون رهونا — وصلت الى أخذ الابناء والنساء — وقد أوجد هذا الحقد والكراهية بين المراهنين والمرتهنين — ولا سيما وأن العرب قد اشتهروا بالغيرة الشديدة على نسائهم — كما أن اليهود وسعوا مناطقهم المزروعة حتى وصلت الى مراعى البدو •

وقد كان اليهود متفرقين ودخل بعضهم فى محالفات مع الأوس وبعضهم فى محالفات مع الخزرج وكانوا فى القتال أقسى على بنى جنسهم من العرب وقد استحر العداء بين بنى قينقاع من جهة وبنى النضير وبنى قريظة من جهة أخرى — الأمر الذى جعل بنى قينقاع يتركون أرضهم وزروعهم ويقتصرون على الصناعة — حتى صاروا صناعا — وكانت سوقهم مركز الحلى والمصوغات الذهبية — ولذلك كانوا أغنى طوائف اليهود فى يثرب •

وقد كان اليهود يقتنون مختلف أنواع السلاح وبكميات كبيرة — من سيوف ورماح وقسى ونبال ودروع — ولم يكونوا متحدين فى كيان سياسى وعسكرى ودينى — بل كانوا فرقا وأحزابا — وكان طابع الذلة والمسكنة والشعور بالغربة والفزع يطبعهم جميعا — فكانت تحالفاتهم مع العرب بالاضافة الى حصونهم وقلاعهم وسلاحهم — وسيلة الى البقاء — •

والايات القرانية وصفتهم بالجحود والكفر واللجاج والترفع عن الناس •

وعلاقة اليهود بالأوس والخزرج كانت خاضعة للمنفعة الشخصية والمكاسب المادية — وكان اليهود يعملون دائما على اثارة الحرب بين الفريقين متى وجدوا فى ذلك فائدة لهم •

وكانت لغة اليهود العربية — ولكن كانت تشوبها رطانة عبرية — ذلك لانهم كانوا يستعملون العبرية فى صلواتهم ودراساتهم •

وقد كان اليهود أسبق من العرب الى يثرب — ولذلك فقد تملكوا أخصب البقاع — وقد حملوا معهم خبرتهم الزراعية والصناعية من الشام مما أثر فى ازدهار بساتين يثرب — وقد

يثرب
عند الهجرة

سكن الاوس منطقة العوالى بجوار بنى النضير وبنى قريظة ــ وسكن الخزرج سافلة المدينة حيث جاوروا بنى قينقاع ــ وقد تأثر اليهود بالعرب فظهر فيهم طابع الحياة القبلية بما فيها من عصبية وكرم واهتمام بالشعر وتدريب على السلاح وما الى ذلك ٠

الأوس والخزرج :

الأوس والخزرج اخوان لأب وأم ــ أمهم قيلة بنت كاهل ــ امرأة من قضاعة لذا يقال لهم أبناء قيلة ــ وهما ينتميان الى القبائل الأزدية اليمنية الكبيرة ــ وكانت موجات هذه الهجرة من اليمن الى يثرب متفرقة فى أوقات مختلفة ــ وكانت لعوامل متعددة منها اضطراب الأحوال فى اليمن وغزو الأحباش واهمال الارواء بخراب سد مأرب سنة ٢٠٧ م ــ ولما هاجرت خزاعة الى مكة ــ سكنت الاوس فى المنطقة الجنوبية والشرقية ــ وهى منطقة العوالى من يثرب ــ وهذه المنطقة زراعية وغنية ــ وجاورها أهم قبائل اليهود وجموعهم بنى النضير وبنى قريظة ــ كما سكنت الخزرج فى المنطقة الوسطى والشمالية وهى سافلة المدينة ــ وليس وراءهم شىء فى الغرب الى خلاء هذه الجزيرة وهى منطقة أقل خصبا وقد جاورهم بنو قينقاع ٠

وكان بين الأوس والخزرج حروب كثيرة ــ وقعت بينهم العداوة بسبب قتيل ــ فقامت بينهم الحرب واستمرت ١٢٠ سنة ــ وقبل الهجرة بخمس سنوات وقعت بينهم معركة بعاث ــ التى كان النصر فيها للخزرج ثم عاد للأوس ــ وبلغ من حدة الخصام بين الفريقين أن فكر كلاهما فى استئصال شأفة الاخر وابادة خضرائه ــ لولا أن تدخل أولو العقل بالنصح أن يبقوا على أنفسهم واخوانهم فجوارهم أفضل من جوار الثعالب ــ يعنى اليهود ــ بل ان الجانبين اتفقا على ترشيح رجل من الخزرج هو عبد الله بن أبى بن سلول ــ الذى وقف هو وقومه يوم بعاث على الحياد ليكون ملكا على يثرب ــ مما يدل على تمكن العرب من المحافظة على قوتهم وتفوقهم على اليهود يوم بعاث ٠

وقد عمل اليهود على الدس والايقاع بين الاوس والخزرج وتشجيع عوامل الفرقة واذكاء روح التحاسد حتى يستغلوهم ويشغلوهم بأنفسهم عنهم ــ وقد أدرك العرب ذلك فلقبوهم بالثعالب وكان العرب تابعين لقريش فى العقيدة ــ وكانوا ينظرون الى قريش نظرة اكبار لأنهمسدنة الكعبة ــ وكانوا يعبدون مناة ــ وكان كل انسان منهم يتخذ فى بيته صنما من خشب أو غيره يسميه أيضا مناة ــ وكان لأهل المدينة يومان يلعبان فيهما ــ فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم ــ عرف ذلك منهم قال لهم : « قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما يوم الفطر والاضحى » الصحيحان ٠

ومن الناحية المقابلة فقد كانت قريش تعترف بشرف الأوس والخزرج فهم بنو قحطان العرب العاربة ولذلك فقد كانوا يصاهرونهم ويتزوجون منهم ٠

ومع ذلك فقد كانت قريش تنظر الى الفلاحة التى كان يمارسها أهل يثرب بحكم طبيعة أرضهم ــ ولاعتمادهم عليها فى معاشهم ــ نظرة فيها شىء من الاحتقار ــ وقد تجلت هذه النظرة فى الكلمة التى قالها أبو جهل بعد أن أصيب يوم بدر « لقد قتلنى ابنا عفراء ــ الزراعة والصناعة ــ لو غير أكار قتلنى ــ يعنى لو غيرهما قتله لم يكن عليه نقص » •

وأهم حاصلات يثرب التمر والعنب والقمح والشعير والبقول والخضراوات ــ وكان للنخيل أهمية خاصة عندهم ــ فهم يستخدمونه فى الغذاء والبناء والصناعة والوقود وعلف الدواب وهذا ما يحدث حتى الآن فى كثير من البلاد العربية الزراعية • وقد ساعد على خصوبة أرض يثرب أنها ــ الى جانب تربتها البركانية ذات وديان كثيرة تفيض بماء السيول فتروى أرضها وتسقى النخيل والزروع •

والمكاييل المستعملة فى يثرب ــ كانت المد والساق والوسق وما الى ذلك ــ ولذلك كثر الكلام عنها فى كتب الفقه الاسلامى ــ والموازين المستعملة كانت الدرهم والدانق والقيراط والنواة والرطل والقنطار والاوقية •

ومع هذه الخصوبة فى الارض وفى الانتاج ــ فقد كانت يثرب تستورد من الشام الدقيق والسمن والعسل ــ وكان للعرب فى يثرب ثروة من الابل والبقر والاغنام •

وكانت هناك عدة أسواق للبزازين وسوق للعطارة وسوق للمصوغات وغير ذلك ــ وكانت سوق بنى قينقاع للذهب والمصوغات والمنسوجات ــ وكانت فى يد اليهود ــ فأشار عليه السلام على أصحابه فبنوا سوقا أخرى وأجروا التعامل فيها على أسس اسلامية بعيدا عن الغش والربا •

والبيوت كانت تبنى من طبقات ــ وكان لبعض البيوت حدائق ــ وكان لدى سكان يثرب أقداح من زجاج ومن أحجار أحيانا ــ وكانت النساء تلبسن الأساور والخلاخل والأقرطة والخواتم ــ ويلبسن المنسوجات القطنية والحريرية ويتعطرن بأنواع العطور والمسك •

خاتمة :

هذه هى مدينة يثرب التى هاجر النبى عليه الصلاة والسلام اليها ــ وقد سماها بعد هجرته اليها المدينة ــ وقد احتضنت المدينة الدعوة الاسلامية الجديدة ووصلت معها الى النصر ــ ومنها خرج الاسلام الى العالم قوة سياسية وحربية وعقيدة ونظاما كاملا متكاملا ــ وتحت لوائها توحدت الجزيرة العربية ــ وبدأ بداخلها انشاء أول جماعة على أساس العقيدة ــ لا على أساس القبيلة ــ ومنها بعث العرب قوة محركة فعالة لأداء رسالتهم الاسلامية •

وقد ألحقت الدعوة الاسلامية الهزيمة بأعظم الامبراطوريات المسيطرة على العالم ــ الفرس والرومان ــ انضوت تحت لوائها مصر والشام والعراق وفارس فى فترة لا تتجاوز أربعين عاما كانت المدينة فيها العاصمة والمركز والقلب لكل هذا المد التاريخى •

ويعود مجد المدينة كلها الى الدعوة الاسلامية •

يثرب

عند الهجرة

لقد عاش النبى صلوات الله وسلامه عليه بالمدينة عشر سنوات حاسمة ــ ومن الجدير بالذكر أن كل أحداثها مسجلة ــ ويذكر شبلى نعمانى ــ وهو من أبرز المفكرين المسلمين ف الهند (أنه الى يوم الدين ــ لا يستطيع أحد أن ينافس المسلمين فخرهم بحفظ أدق تفاصيل كل حادثة فى حياة الرسول بطريقة دقيقة واعية لا يصل الى مستواها تسجيل حياة أى انسان آخر من قبل ــ ولا يمكن أن ننتظرها من بعد ــ ومن أجل تسجيل هذه الحياة بأدق تفاصيلها سجل العلماء أسماء وأوصاف ثلاثة عشر ألف صحابى فى وقت يعد فجر نظام التأليف) •

ومع أن دور المدينة السياسى قد تقلص ــ فان مكانتها السامية لدى المسلمين باقية على مر الايام كمثوى للرسول عليه الصلاة والسلام ــ تهوى اليها الافئدة من مشارق الارض ومغاربها ــ ويقصدها الكثيرون من الحجاج والكتاب والباحثين فى السيرة النبوية وعلوم الحديث ــ وقد تناولها عدد كبير من المؤرخين والرحالة الذين يتابعون خطى البشرية •

ومع توالى السنين تفردت المدينة بتكوين سكانى خاص ــ وتراكم حول مسجد الرسول عليه السلام ــ الى جانب أهلها ــ أناس من جنسيات اسلامية من كل أرجاء العالم الاسلامى ــ ولم تغب هذه الملاحظة عن الرحالة السويسرى ــ بوراخت ــ الذى زارها عام ١٨١٤ م وقال (ان أهل المدينة أكثرهم من الغرباء الذين تجذبهم قدسية البلدة من جميع أنحاء العالم الاسلامى وليس فيها سوى أقلية محدودة من نسل الانصار ومن الاسر القديمة وأسر تنحدر الى نسل العباسيين وعدد من الشرفاء الذين يمتدون الى الحسينين •

ويبلغ عدد سكانها الآن مائة ألف •

والمدينة تقوم بوظيفتها الآن عندما يجتمع فى جامعتها الاسلامية المسلمون من كافة الجنسيات ــ يدرسون القرآن الكريم وأصول الاسلام ــ أو عندما يقصد زوارها مكتبتها الزاخرة بالكتب والمحفوظات ــ ويبقى المسجد النبوى يدور حول فلكه كل سكان المدينة •

فمتى نرى عصرا يزدهر فيه الاسلام كما كان فى العصر النبوى فى المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام •

على القاضى

البدع والآثام
التى استحدثت فى شهر المحرم الحرام
ووجوب العمل على الإقلاع عنها

للدكتور محمد محمود شعبان

عن أبى بكر رضى الله عنه أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ خطب فى حجته فقال : « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات ولأرض. السنة اثنا عشرشهرا . منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعــد وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » . رواه البخارى وغيره .

لقد كان العرب قبل الاسلام فى جاهليـة جهلاء ، وضلالة عمياء ، لا يعرفون من الحـق رسما ، ولا يقيمون له فى مقام الحقوق وزنا ، وصار خلقهم ما وجـدوا عليه آباءهم ، وما استحسنه أسلافهم من الآراء المنحـرفة والمذاهب المبتدعة . فعبدوا غير الله . سجدوا للصنم وتقربوا للوثن وطافوا بالأشــجار واستقسموا بالأزلام . ووأدوا البنـــات ، وأكلوا الميتة ، وشربوا الخمر، وشنوا الحرب لأوهى الأسباب وكان شعارهم : هذا ماوجدنا عليه آباءنا » وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم فغيروا شريعة ابراهيم عليه السلام من تحريم الأشهر الحــــرم فأحلوها وذلك أنهم كانوا يذهبون للحج فى شهر ذى القعدة وبعـــد انتهائهم يرجعون الى بلادهم فى شهر المحرم وهم آمنون على أنفسهم وأموالهم وكذلك فى شهر رجب يفدون الى مكة لأداء العمـــرة ثم يرجعون وهم آمنون أيضا .

ولما كانوا أهل كر وفر وقتل وقتال ، وطعن وطعان وظلم واعتداء أرادوا أن يشـــبعوا رغبتهم ويلبوا طلب أهوائهم بتأخير شـــهر المحرم الحرام الى شهر صفر فأحلوا شـــهر المحرم وحرموا شهر صفر ، هــذا ما عبــر عنه القرآن الكريم بالنسىء قال تعـــالى : **« إِنَّمَا ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ»**

قال فى لسان العرب : ان العرب كانوا اذا

البدع والآثام

التى استحدثت فى شهر المحرم الحرام

صدروا من منى يقوم رجل من كنانة فيقول أنا الذى لا أعاب ولا أخاب ولا يرد لى قضاء فيقولون صدقت • أنسئنا شهرا أى أخر عنا حرمة المحرم واجعلها فى صفر وأحل المحرم• لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها • فيحللهم المحرم فذلك الانساء • قال عمير بن قيس بن جذل الطعان :

ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما

وانما قال صلى الله عليه وسلم : ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ليخرج رجب ربيعة التى كانت تدعى بأن رجب انما هو الشهر الذى بين شعبان وشوال يعنون به : رمضان •

ولقد شددت جماعة منهم على نفسها وحرمتثمانية أشهر بدلالأربعة ، وهم البسل: فلذلك حددت الآية الكريمة والحديث عدد الشهور المحرمة لتخرج هذه القبيلة وأمثالها ممن تسول لهم أنفسهم تغيير وتبديل ما حرم الله •

وكذلك ابتدعت قريش الوقوف بمزدلفة لأنها من الحرم فلا يقفون بعرفة — وهى من الحل — لأنهم أهل الحرم وسدنة البيت فلا يخرجون من حدود الحرم حتى لا تضيع هيبتهم عند الناس •

وأيضا ما ابتدعه عامة العرب من طوافهم حول البيت عراة كما ولدتهم أمهاتهم الا من استعار ثيابا من قريش يطوف بها • واستمر الحال على ذلك حتى أرسل الله تبارك وتعالى رسوله محمدا — صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله • فطهر القلوب من الشرك والضمائر من الحقد والنفوس من الهوى وأخرج الناس من الظلمات الى النور وأدبهم بآداب الاسلام وخلقهم بأخلاق القرآن وأكمل الله تعالى به لهم الدين وأتم عليهم النعمة ورضى لهم الاسلام دينا ، وصاروا خير أمة أخرجت للناس •

ولما استقرت الأمور ودخل الناس فى دين الله أفواجا وهدأت الأحوال واطمأنتالنفوس وسادت كلمة الله وارتفعت راية الاسلام ، أعلن على الملأ جميعا بأنه لا يطوف بالبيت عريان ولا يقربه مشرك ولا يحل المحرم • فعاد بذلك للأشهر الحرم قداستها ، بما أعلنه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى حجة الوداع بقوله : ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمواتوالأرض السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان •

وصار يوم عرفة هو اليوم التاسع من ذى الحجة فى كل عام الى أن تقوم الساعة•

ولقد استمر المسلمون على ذلك زمن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ولما اتسعت الفتوح الاسلامية دخل فى الاسلام طائفة من أصحاب الملل الاخرى لا حبا فيه ولكن ليقوضوا أركانه وليهدموا بنيانه ويطفئوا نوره ويكسروا شوكته ويفسدوا عقيدة المسلمين ففتحوا باب الشر بقتل عمر رضى الله عنه وتأليب النـــاس من ضعفاء المسلمين على عثمان رضى اللــه عنه حتى انتهى الامر بقتله • وبذلك وجدوا لأنفسهم أرضا خصبة بذروا فيها بذور العداوة والبغضاء وأشعلوا نار العداوة بقيام الحرب بين على ومعاوية ــ رضى الله عنهما ــ وزاد الامر سوءا عندما استشهد الحسين ــ رضى الله عنه ــ فى كربلاء فى شهر المحرم الحرام •

فظهرت الفرق الآثمة التى ابتدعت من الدين ما هــو منـــه بــراء • وارتكبت من الآثـــام ما تقشعر منه الأبدان وما تنكره الاديان •

وانتشرت الفتن • وكثرت النحـــل ودام الانكباب على العمل بها حتى صارت كأنها سنن مقررة وآيات منزلة وشرائع من صاحب الشرع محررة فاختلط الباطل بالحق والمشروع بالمبتدع وذلك بلا حياء يمنع ولا دين يردع ولا مروءة تصد وتنهى • ولقد صدق رسول الله صـــلى الله عليه وسلم فى الاخبار عن هذه الفتن فقال : ستكون فتن كقطع الليل المظلم •

وقال ــ صلى الله عليه وسلم : انه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة •

رواه أبو داود والترمذى :

وقال صلى الله عليه وسلم : افترقت اليهود والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا ما أنا عليه وأصحابى •

وفى رواية : افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، ومن أظهــر هذه البـــدع والآثام التى انتشرت وعمت الآفاق فى شهر المحرم بعد مقتل الحسين رضى الله عنه واستمرت الى هذه الايام فى بـــلاد المشرق والمغرب خصوصا بلاد الشرق الاسلامى

١ ــ اباحة القتل والاعتداء على النفوس فى شهر المحرم الحرام وهذا أمر مشـــاهد فى الحروب القائمة بين ايران والعراق وليبيــا وتشاد وأهل لبنان من شيعة ودروز ومسيحيين وغيرهم •

٢ ــ عدم صلاة الجمعة والجماعـــة فى مساجد المسلمين عند فريق يرى أن صلاة الجمعة لا تصح لعدم وجود امام عادل للمسلمين على وجه الأرض •

٣ ــ سب كثير من الصحابة على منابر هؤلاء القوم وبخاصة كبار الملازمين له صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم والقدح فيهم بباطــل القول وزوره ، فى باطنية وقانا الله شرها •

٤ ــ جعلوا بعد هذا السنة تسعة عشر شهرا والشهر تسعة عشر يوما وجعلوا صيامهم تسعة عشر يوما فقط ويبدأ اليوم من طلوع الشمس الى غروبها • وانهم يرجعون كل شىء الى العدد

البدع والآثام
التي استحدثت في شهر المحرم الحرام

١٩ وهم بذلك يحاكون رأى بعض فلاسفة الاغريق بأن الكون كله مخلوق من العدد .

والغريب فى زماننا هذا أن كاتبا أخرج للناس فى هذه الايام صفحات دون فيها أن العدد ١٩ ركب عليه آيات القرآن فلو حسبت كل حروف الآية بحساب الجمل ثم قسمتها على العدد ١٩ لظهرت النتيجة بأن الاصل الذى بنيت عليه الآيات كلها انما هو العدد ١٩ .

ألا فليتق الله هؤلاء القوم ولا يسيروا خلف الضالين المضللين الذين يريدون بالاسلام سوءا .

٥ ــ تحريم عقد النكاح فى شهر المحرم لأنهم يرونه شهر حزن ، فلا يحل فيه النكاح الا ما كان من نكاح المتعة فان ذلك جائز عندهم .

٦ ــ الغلو فى بعض الشخصيات الاسلامية الهامة غلوا نهى عنه الاسلام ، وقد أخذ هذ الغلو مساره حتى النقيضين وبدت مظاهره فى الشهر الحرام :

فمنهم من غلا فيهم حبا ، وعلى رأسهم المختار بن عبيد الثقفى الكذاب الذى ادعى النبوة .

ومنهم من وقع فى بغضهم ــ رضى الله عنهم ــ كالحجاج بن يوسف الثقفى وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال :

سيكون فى ثقيف كذاب ومبير .

فكان المختار هو الكذاب

وكان المبير هو هذا الحجاج .

واتخذ (غلو الحب) مظاهر من تجديد المصائب والجزع والنياحة وذلك من أفحش الذنوب .

وعكست الطائفة الثانية ــ فى الشهر الحرام ــ مظاهر الاولى فأبدت الفرح والسرور فيما لا يصح فى الشرع أو يقره الدين حتى ذهبوا فى ذلك الى وضع الاحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فمن هذه الاحاديث الموضوعة : من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته :

ومنها : من اكتحل يوم عاشوراء بالاثمد لم يرمد أبدا :

ومنها : من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض فى سنته الا مرض الموت :

ومنها : من صلى فى يومها أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد احدى وخمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين عاما :

فكل هذه الاحاديث بين الامام أحمد وابن الجوزى بأنها موضوعة لا أصل لها .

ولم يصح فى يوم عاشوراء الا ما رواه

البخارى ومسلم :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال : يكفر السنة الماضية » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت قريش تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه :

وقال صلى الله عليه وسلم : لئن عشت الى قابل لأصومن التاسع » .

وقال صلى الله عليه وسلم — فى فضل المحرم :

« أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل :

فقد قال تعالى :

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ » اللهم قد آن .. وآن .. وآن .

آن أن يقبل المسلمون جميعا على يقظة رشيدة يعودون فيها الى كتاب ربهم — سبحانه — وسنة نبيهم — صلى الله عليه وسلم — فيكونون على جدارة بقوله تعالى :

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » .

وقال سبحانه — عز من قائل :

« وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

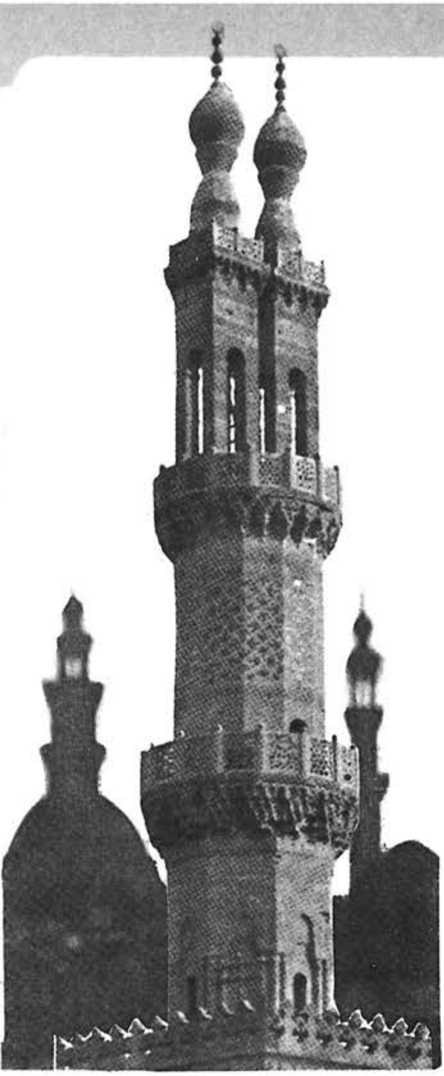

فاللهم ربنا ؛
بصرنا بأمور ديننا وقو ايماننا ، واجعلنا من المتمسكين بحبلك المتين ، وسنة نبيك الكريم ، وانصرنا على القوم الظالمين .

د . محمد محمود شعبان
المدير العام للتعليم الثانوى

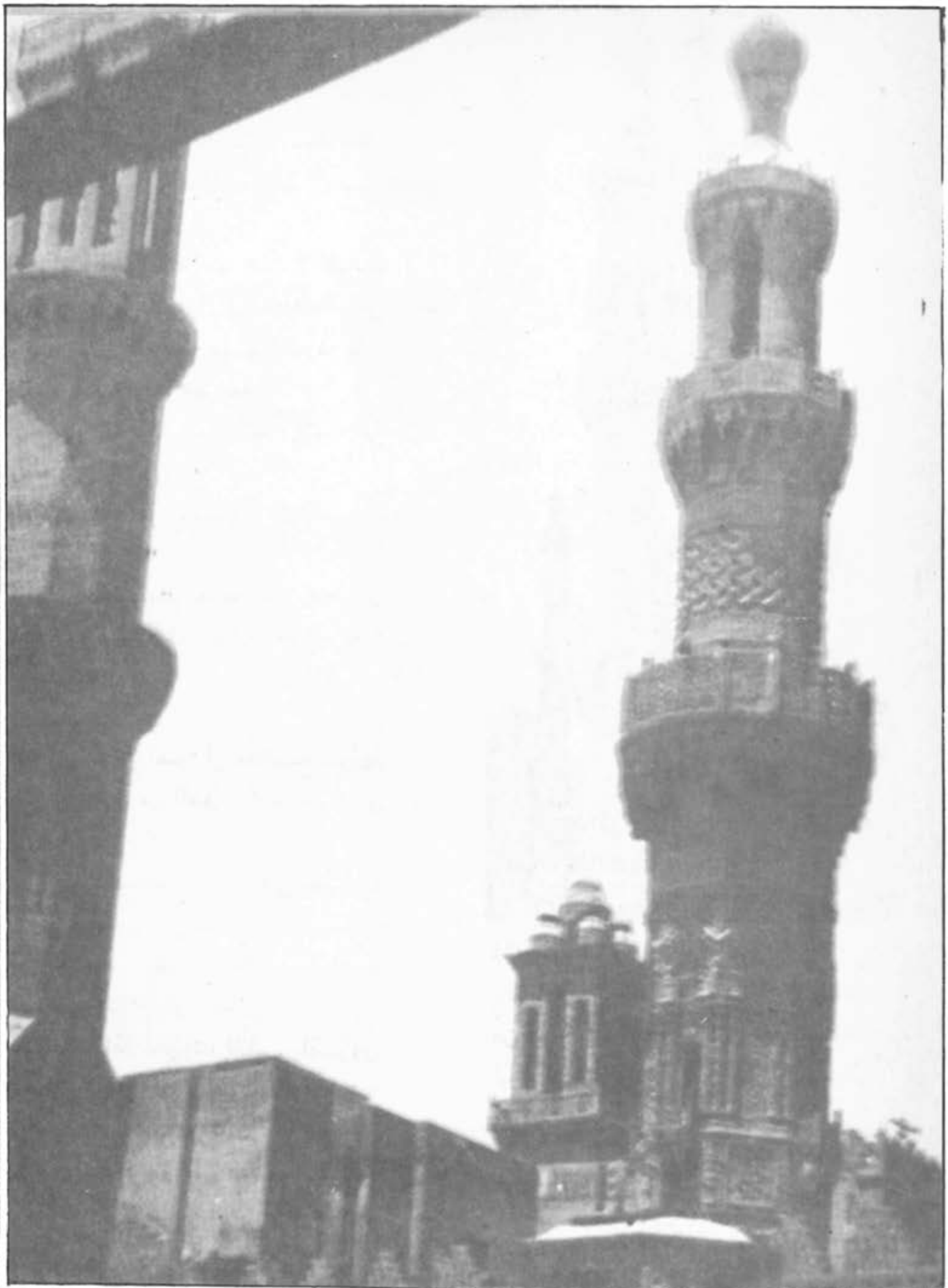

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
بين جفاء سكان الطائف وترحيب أنصار المدينة

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

تذكر كتب السيرة النبوية أن ابا طالب عم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان يبسط حمايته عليه فلا يستطيع أحد من أعداء الاسلام أن ينال الرسول بأذى خلال قيامه بابلاغ رسالة ربه والدعوة الى الله فى عهدها المكى .

الا أنه فى فترة وجيزة وفى أيام متقاربة من العام العاشر للنبوة توفيت زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد تلك السيدة الفاضلة ذات العقل الراجح والشفقة العظيمة والشرف الكبير فى قومها فكم خففت من آلامه بصفاء روحها وشدت من أذره بمالها وجاهها فى سبيل نجاح مهمته وابلاغ دعوته .

يقول أبوهريرة رضى الله عنه فيما يرويه عن — رسول الله صلى الله عليه وسلم — مشيرا الى علو مكانتها ورفعة منزلتها ودرجتها عند الله (أتى جبريل عليه السلام النبى — صلى الله عليهوسلم — فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها اناء فيه ادام أو طعام أو شراب فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب (١) .

والقصب هنا يعنى اللؤلؤ المجوف .

والصخب يعنى الضجة والجلبة

والنصب يعنى التعب .

ثم توفى عمه أبوطالب الذى كان رئيسا لزعماء قريش وأعظمهم نفوذا وأشدهم حبا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ودفاعا عنه أمام كفار مكة وعتاة المشركين بها ، فلاعجب أن سمى هذا العام فى حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — عام الحزن لكثرة ما أصابه فيه من الهموم والأحزان (٢) .

(١) اخرجه الشيخان البخارى ومسلم .
(٢) كتاب سيرة الرسول تأليف الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار استاذ التاريخ الاسلامى ورئيس جامعة الازهر السابق .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

بين جفاء سكان الطائف وترحيب أنصار المدينة

*** وصية أبى طالب الى قومه قبل وفاته ***

مما يستلفت العقول والانظار حقا أنه لما حضرت الوفاة أبا طالب جمع اليه وجوه قومه من قريش وأوصاهم بالكعبة وبأنفسهم ثم بالنبى — صلى الله عليه وسلم — .

فكان مما قاله لهم : (وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية) (يعنى للكعبة) فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة ، صلوا أرحامكم فان فى صلة الرحم منسأة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون من قبلكم . أجيبوا الداعى وأعطوا السائل فان فيهما شرف للحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فان فيها صحبة فى الخاص ومكرمة فى العام ومنسأة فى الأجل (يعنى فسحة فى الأجل) .

أما ما قاله لهم عن النبى — صلى الله عليه وسلم — (وانى أوصيكم بمحمدخيرا فانه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما وصيتكم به ، وقد جاء بأمر قبله الجنان — (أى العقل) . وأنكره اللسان مخافة الشنآن (١) ، كأنى أنظر الى صعاليك العرب وأهل الأطراف ، والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا ، واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أخطأهم عنده ، قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها .

يامعشر قريش كونوا له ولاة ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك سبيله أحد الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ، ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى ثم مات بعد ذلك أبو طالب بثلاثة أيام فى رمضان من السنة العاشرة للنبوة (٢) ، (والهزاهز تعنى البلايا والحروب) .

*** هل عملت قريش بوصية أبى طالب :**

من المؤسف حقا أن قريشا بعد وفاة أبى طالب لم تعمل بوصيته وياليتها وقفت موقفا محايدا من النبى — صلى الله عليه وسلم — فلا هى ناصرته ولا هى آذته لكن رجالها من المشركين تفننوا فى الحاق الأذى به وبأصحابه والكيد لدعوته يقول — صلى الله عليه وسلم — (ما نالت قريش منى شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب) (٣) .

*** هجرة الطائف وسوء رد سكانها . من قبيلة ثقيف ..**

لما رأى رسول الله صلى لله عليه وسلم أن

---

(١) أى أن أبا طالب أنكر الاسلام بلسانه فقط دون عقله حتى لا يقال أنه ترك دين آبائه واجداده الى دين مستحدث .

(٢) كتاب نافذة على الايمان تأليف الاستاذ الشيخ مصطفى الحديدى الطير من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

(٣) المرجع السابق .

قريشا اشتدت فى ضراوتها عليه وعلى أصحابه خرج الى أقرب قرية من مكة .. الى الطائف لعل ثقيفا سكانها تجيره حتى يبلغ رسالة ربه فخرج اليها مع مولاه زيد بن حارثة فأقام بها عشرة أيام وقيل شهرا لايدع أحدا من أشرافهم الا جاءه وكلمه وعرض عليه الاسلام والنصرة فلم يجيبوه ولم يكتفوا بذلك بل أغروا به سفهاءهم وغلمانهم فجعلوا يرمونه بالحجار حتى ان رجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج فى رأسه شجاجا .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد طلب اليهم (وقد رفضوا دعوته) ألا يعلموا قريشا فيشتد رجالها فى ايذائه اذا علموا أنه لجأ اليهم وكانوا أعداء لثقيف ولكنهم خالفوا ما أوصاهم به كما خالفوا عادات العرب من اكرام النزيل وتوقير حرمته وكتمان أمره فسلطوا عليه غلمانهم وسفهاءهم كما قدمنا (١) .

*** نصرانى غريب فى الطائف يكشف لنفر من سكان الطائف عن قدر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومنزلته عليه الصلاة والسلام ــ :**

لما سلط أهل الطائف عليه سفهاءهم وأغروا به غلمانهم لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حائط (أى بستان) لعتبة وشيبة ابنى ربيعة حيث جلس فى ظل شجرة من أشجار العنب وابنا ربيعة (كانا من سادات قريش يملكان ذلك الحائط) ينظران اليه ويريان ما لقى هذا السيد من ساداتهم من سفهاء أهل الطائف فتحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما كان نصرانيا يقال له (عداس) وأمراه أن يأخذ قطفا من عنب حائطهما ويضعه فى طبق ويذهب به الى ذلك الرجل الجالس تحت شجرة بستانهما ويقدمه اليه ليأكل منه فلما قدمه اليه قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (بسم الله) فأكل فنظر عداس اليه وقال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له صلى الله عليه وسلم (ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك) قال نصرانى، وأنا رجل من أهل نينوى فقال له (أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى) فقال عداس وما يدريك ما يونس ؟ قال (ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى) فأقبل عداس على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقبل رأسه وقدميه ويديه وقال أشهد أنك عبد الله ورسوله .

فلما جاءهما عداس قال عتبة وشيبة ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه قال ياسيدى ما فى الارض شىء خير من هذا لقد أعلمنى بشىء لا يعلمه الا نبى قالا له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فانه خير من دينه ولكنه أصر على الحق ولم يأبه بما قالا ولما طلبه عتبه وشيبة ابنا ربيعة ليخرج معهما لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى غزوة بدر قال أتريدان قتال ذلك الرجل الذى رأيته بحائطكما ؟ والله ماتقوم له الجبال ، ورفض الخروج معهما أو الاشتراك فى قتاله (٢) .

---

(١) كتاب صور من التاريخ الاسلامى تأليف الاستاذ عبد الحميد العبادى عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة وأستاذ التاريخ الاسلامى بها سابقا .

(٢) كتاب نهاية الادب فى فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ، السفر السادس عشر طبعة دار الكتب المصرية .

هجـرة الرسـول صلى الله عليه وسلم

بين جفاء سكان الطائف وترحيب أنصار المدينة

* عودة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من رحلة الطائف :

لما قفل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ـ راجعا الى مكة أرسل رجلا من خزاعة الى مطعم ابن عدى يقول (أدخل فى جوارك) فقال : نعم ودعا بنيه وقومه فقال : تلبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فانى قد أجرت محمدا فدخل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعه زيد ابن حارثة حتى انتهى الى المسجد الحرام فقام مطعم بن عدى على راحلته فنادى يامعشر قريش انى قد أجرت محمدا فلا يهجه أحد منكم فانتهى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف الى بيته ومطعم وولده مطيفون به (١) .

* بشائر الهجرة الى المدينة المنورة :

روى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى بسنده عن عبد الله بن عباس قال حدثنى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر رضى الله عنه فدفعنا الى مجالس العرب ، وكان أبو بكر رجلا نسابة يسأل القوم فيجيبونه ويجيبهم حتى انتهينا الى مجلس الأوس والخزرج سكان المدينة فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلقد رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد سر بما كان من أبى بكر ومعرفته بأنسابهم (٢) .

* بيعة العقبة الاولى :

فى العام الحادى عشر من تاريخ البعثة المحمدية التقى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى موسم الحج بستة نفر من الخزرج فعرض عليهم الاسلام فآمنوا وصدقوا ووعدوه أن ينشروا الدين الجديد فى قومهم (٣) .

* بيعة العقبة الثانية :

لما كان العام التالى وافى موسم الحج اثنا عشر رجلا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة كان منهم خمسة ممن حضر البيعة الاولى فبايعوه على نسق بيعة النساء(٤) التى تمت بعد ذلك فى فتح مكة وتمت تلك البيعة قبل أن يشرع القتال على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف ، فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئا فأمركم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب فأجابوه على (أن يعطوه

---

(١) كتاب نافذة على الايمان للاستاذ الشيخ مصطفى الحديدى الطير من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

(٢) كتاب نهاية الأدب فى فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى السفر السادس عشر .

(٣) المرجع السابق .

(٤) اذا قيل : بيعة النساء ، فهى البيعة التى ليس فيها اشتراط الحرب وهذا الشرط هو الفارق الوحيد بين بيعة النساء وبيعة الرجال .

السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره وألا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف فى الله لومة لائم) (١) ٠

*** مصعب بن عمير كان أول مبعوث اسلامى الى المدينة :**

كتب أهل المدينة من المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل اليهم من يقرئهم القرآن ويفقههم أمور دينهم فبعث اليهم واحدا من أصحابه دينا لبقا فطنا يقوم بما كلف به خير قيام ، وفى الوقت نفسه ليخبر أحوال المدينة العامة ويسبر غورها وينهى الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما يصل اليه من أمورها ، ذلك هو الصحابى الجليل مصعب بن عمير رضى الله عنه وقد أدى واجبه أحسن أداء وأتمه فبجهوده فشا الاسلام فى معظم بيوت المدينة وانتشر بين الناس ، ولما عاد الى مكة أطلع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على حال المدينة ومقدار نجاح الدعوة الاسلامية فيها وأن المسلمين فى ازدياد بها وقوة وأنهم بعد أيام سيجيئون اليه فى موسم الحج أكثر عددا وأعظم ايمانا بالله ورسوله (٢) ٠

*** بيعة العقبة الثالثة :**

عندما حل موسم الحج المذكور وافى مكة جمع غفير من الأوس والخزرج مسلمهم ومشركهم فواعد المسلمون منهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سرا أن يلقوه عند العقبة ليلا وقد لقيه منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان فبايعوه بيعة العقبة الكبرى المشهورة وهى تقوم على تعهد الأوس والخزرج بالدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والحرب من دونه (٣) ، وقد شهد أمر هذه للبيعة العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رغم أنه كان على ملة قومه ٠

وبعد المبايعة اختار منهم اثنى عشر نقيبا لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ثم قال لهم (أنتم كفلاء على قومكم وأنا كفيل على قومى) (٤) ٠

*** أذن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمسلمين بالهجرة للمدينة :**

بعد تلك البيعة الاخيرة من قبل الأنصار بالمدينة طابت نفس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذ جعل الله له منعة من أهل الحرب والنجدة يمنعونه ويحمونه مما يحمون منه أنفسهم وذويهم ويكونون معه على أعداء دينه٠

الا أن المشركين من قريش فى مكة أحسوا بخطورة تلك البيعة عليهم فاشتد أذاهم للمسلمين وتضييقهم عليهم حتى لا يلحقوا بأنصار الاسلام فى المدينة ويكونون معهم ضدهم فشكوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأذن لهم بالخروج الى المدينة فخرج اليها المسلمون حتى لم يبق بمكة سوى النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ وصاحبه أبو بكر الصديق وعلى رضى الله عنهما يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (رأيت فى المنام أنى أهاجر

(١) هذا ما رواه محمد بن اسحق عن عبادة ابن الصامت كما ورد فى كتاب نهاية الأدب فى فنون الادب السفر السادس عشر المشار اليه فيما سبق ٠

(٢) كتاب سيرة الرسول للاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار أستاذ التاريخ الاسلامى ورئيس جامعة الازهر السابق ٠

(٣) فهذه بيعة الرجال ٠

(٤) المرجع السابق ٠

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

بين جفاء أهل الطائف وترحيب أنصار المدينة

من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب) (١) •

وهلى يعنى ظنى •

وهجر بلد فى أرض اليمن •

*** هجرة النبى — صلى الله عليه وسلم — من مكة ووصوله سالما • الى المدينة المنورة ••**

لما رأت قريش أن المسلمين فى مكة تسللوا فى تكتم عجيب مولين وجوههم الى المدينة أدركت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

لابد لاحق بأولئك الأنصار ومن لحق بهم من المسلمين الذين هاجروا اليهم ليجهز حربا انتقامية ضدهم لذلك اجتمعوا فى دار ندوتهم للنظر فيما يرونه فى شأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — واتفقوا فيما بينهم على ألا يتركوه حرا فى الخروج من مكة فاما أن يعتقلوه ويحبسوه بها أو ينفوه عنها وأخيرا قر قرارهم على قتله بيد لفيف من شباب مختلف القبائل العربية فى ليلة قد اتفقوا على ميقاتها فيما بينهم وبذلك يتفرق دمه بين القبائل العربية وعن تلك المؤامرة يقول الله سبحانه وتعالى

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٢) •

ويثبتوك يعنى يحبسوك •

وقد أفسد الله خطتهم وأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على مؤامرتهم والوقت الذى حددوه لتنفيذها وهم يعسكرون حول منزله ، وأذن الله له فى الخروج من مكة والهجرة منها الى المدينة فذهب الى بيت أبى بكر وخرجا معا الى غار ثور حيث اختبآ فيه عن عيون القرشيين حتى هدأ الطلب ثم سارا الى المدينة تكلأهما عناية الله وحفظه حتى وصلاها سالمين وبوصول النبى — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة بدأت صفحة أخرى فى تاريخ الاسلام هى تأسيس الدولة الاسلامية الكبرى ثم لحق به بعد ذلك بالمدينة على بن أبى طالب بعد أن أدى مهمته الفدائية اذ نام فى فراش النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وتغطى ببردته وفشلت مؤامرتهم فشلا ذريعا يقول الله

سبحانه وتعالى **(إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**

---

(١) رواه الشيخان البخارى ومسلم •

(٢) سورة الانفال ٣٠ •

وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (١) .

*** ما هو السبب فى مسارعة الأوس والخزرج .. الى قبول الدعوة الاسلامية ..**

يرجع ذلك الى أمرين أحدهما سياسى والآخر دينى .

فمن الناحية السياسية :

كانت الحياة العامة بالمدينة مضطربة أشد الاضطراب من جراء الحروب بين قبيلتى الأوس والخزرج التى سببها ما كان بين الفريقين من دماء وثارات وكانت الغلبة بوجه عام فى تلك الحروب للخزرج على الأوس حتى لقد همت قبيلة الأوس حوالى السنة العاشرة قبل الهجرة أن تجلو عن المدينة جملة وأخذت تفاوض قريشا فى أن تأذن لها بالنزول عليها بمكة .

ولكن قريشا كانت أحرص من أن تأذن بذلك فلما طلبت اليها الاوس أن تحالفها على الخزرج أبت أن تتورط فى شىء من ذلك أيضا مما دفع الأوس لأن تلتمس الحلف من يهود المدينة وخاصة قريظة والنضير .

وكان اليهود قد وقفوا من تلك الحروب بين الأوس والخزرج قبل ذلك موقف للحياد المطلق فلما بلغ الأمر الخزرج أرسلت الى اليهود تحذرهم عاقبة حلفهم مع الأوس ان عقد ثم وقعت الواقعة الفاصلة فى يوم بعاث الذى كان قبيل الهجرة بنحو خمس سنين وقتل فى تلك الحرب من فريقى الأوس والخزرج خلق كثير وعدد كبير من ساداتهم وأشرافهم وأكابرهم .

(١) سورة التوبة ٤٠ .

فلما لقى حجاج الأوس والخزرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بموسم الحج وأطلعوا على سيرته وحالته وجدوا فيه ضالتهم المنشودة فهو وحده الرجل الذى تستقيم على يده حالهم المختلفة وتجتمع على حكومته آراؤهم المختلفة (٢) .

أما من الناحية الدينية :

فقد كانت اليهودية قد حرثت المدينة وأعدت الأنصار لقبول الدعوة الاسلامية ، لأن اليهود أهل كتاب منزل (التوراة) وكان الأوس والخزرج يلقفون منهم معنى النبوة والرسالة والوحى ونحو ذلك من المصطلحات الدينية .

ثم ان اليهود كانوا كدأبهم يتوقعون ظهور نبى ينضمون اليه ويؤمنون به ويقهرون به أعداءهم وكانوا لا يعدمون أن يبوحوا بشىء من ذلك لمواطنيهم وجيرانهم من الأوس والخزرج قال ابن اسحق عند كلامه على استجابة الانصار لدعوة النبى ومبايعتهم له (وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا لذا كان بينهم شىء قالوا لهم ان نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض ياقوم تعلموا والله انه للنبى الذى

(٢) كتاب صور من التاريخ الأسلامى العصر العربى تاليف الاستاذ عبد الحميد العبادى أستاذ التاريخ الاسلامى وعميد كلية الأدب بجامعة القاهرة سابقا .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ولكن اليهود غلبت شقوتهم فرغم علمهم به أعرضوا عن الاسلام ولم يؤمنوا به (١) وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى عنهم :

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (٢) .

*** شهادة أحد أحبار اليهود بالمدينة . بصدق نبوة الرسول .. صلى الله عليه وسلم ..**

لما هاجر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة وكان عبد الله بن سلام من أحبار اليهود ومن كبار كهانها ، رأى علامات النبوة التى كان يعرفها وشاهدها فى النبى — عليه الصلاة والسلام — وقد شهد له اليهود كلهم عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه رئيسهم وخيرهم وسيدهم فعلم أنهم ان علموا باسلامه أخرجوه من تلك الرياسة والسيادة .

فلما جاء نبى الله — صلى الله عليه وسلم — قابله عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت فانهم ان يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ماليس فى ..

فأرسل نبى الله — صلى الله عليه وسلم — لليهود فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنى رسول الله حقا ، وأنى جئتكم بحق فأسلموا : قالوا : ما نعلمه قالوا للنبى — صلى الله عليه وسلم — قالها ثلاثا قال فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم . قال أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم . قال أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم .

قال يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج فقال يامعشر اليهود اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق . فقالوا كذبت ، فأخرجهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — (٣) .

ولقد كان لعبد الله بن سلام بعد اسلامه هو وأهله فضل وصحبة فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال (ما سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول لأحد يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت الآية (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) (٤) .

المستشار محمد عزت الطهطاوى

---

(١) المرجع السابق
(٢) سورة البقرة ٨٩ .

(٣) صحيح البخارى الجزء الخامس .
(٤) الاحقاف ١٠ .

التاريخ الهجرى المهجور من أهله

للأستاذ محمد أحمد بدوى

يدل كل مبدأ من المبادىء التى قام عليها كل من التواريخ الثلاثة الكبرى المتداولة فى عالم اليوم على سمة تنفرد بها حضارة كل تاريخ عن الحضارات الاخرى .

فالتاريخ الهجرى مبنى على مبدأ الاهتمام بالحدث الموضوعى المؤثر فى حياة المجتمع الاسلامى تأثيرا مباشرا ومستمرا ، وهو بهذا من دلالات الموضوعية فى الدين الاسلامى واستقلاله عن تأثيرات الاشخاص بحيث يحكم أقوالهم وأفعالهم ، ولاتحكمه أقوالهم أو تفسيراتهم .

وبنى التاريخ الميلادى على الاحتفاء بميلاد المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ..

وبنى التاريخ العبرى على مبدأ افتراضى هو بدء الخلق ، مع أن الله لم يشهدنا خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسنا .

لم ير سيدنا عمر فى ميلاد الرسول — صلى الله عليه وسلم — مارأى فى الهجرة من بالغ الأثر فى الحضارة الاسلامية ، وقد نقول نحن أن الوثنية قد ظلت سائدة بكل حماقاتها مدة الأربعين سنة بين الميلاد والمبعث ، ولم تبدأ فى الانحسار الا من يوم مبعث النبى — صلى الله عليه وسلم — بالهداية . كما لم ير سيدنا عمر ماقد يتراءى لنا الآن من أن المبعث أهم من الهجرة ، اذ هو مبدأ بروز الأمة الاسلامية والدولة الاسلامية والحضارة الاسلامية . ولعلنا نعتذر عن سيدنا عمر العبقرى بأن الهجرة كانت أقوى أثرا فى حركة الاسلام ، اذ لو لم تتم لظل الاسلام حبيس شعاب مكة أمدا لم يكن يعلمه الا الله .

ويختلف التاريخ الهجرى عن التاريخ الميلادى فى تعاصر أقسام كل منهما ، فالعصر القديم عند الغرب ينتهى بانتهاء الحضارة اليونانية الرومانية ، وبظهور الاسلام ، ويذكرونه بكل فخر واعتزاز ، وبدأت النهضة الأوربية باحيائه ، ثم انبعث منه . ويتعاصر

التاريخ الهجرى

بدء العصر الوسيط الغربى بما فيه من تخلف فى أوربا مع ظهور الاسلام ، ويستمر التعاصر بين تخلف العرب وازدهار الحضارة الاسلامية فى صدر الاسلام وعصر بنى أمية وصدر امارة العباسيين ، ثم يبدأ تخلف المسلمين ، ويتعاصر مع التخلف الأوربى فترة يستمر بعدها تخلف المسلمين ، ويبدأ الصحو الأوربى باحياء التراث اليونانى ، ويتعاصر عصر الاحياء الاوروبى مع فترة الانحدار عندنا ، ثم تبدأ الصحوة العربية بتعثر دولها تعثر الصحوة الاوروبية • لكن أوروبا نجحت فى تخطى العقبات •

ومن المؤسف أن العرب فى العصور الأخيرة لايهتمون بالتاريخ العربى اهتمامهم بالتاريخ الفربجى فى تأريخ أمورهم المعاصرة فى مكاتباتهم ومواعيدهم وأبحاثهم ودراساتهم ، وأن بعضا منهم لانستطيع تبرئته من تهمة التعمد فى اثبات التاريخ الفرنجى فيما لم يؤرخه الا العرب وليس له مصدر الا عند العرب • لكن الجهات الرسمية تذكر دائما التاريخ العربى مع التاريخ الافرنجى فى مكاتباتها وتقاريرها ، وقد نلحظ بعض الفلتات فى اغفال التاريخ العربى لكنها ليست مطردة •

ولانأخذ العبرة مما يصنعه الغربيون اذ يقتصرون فى تأريخهم للأمور المعاصرة بالتاريخ الفرنجى ولهم عذرهم فى ذلك ، ولكنهم لفرط منهجيتهم مع تراثهم ومع تراثنا يتعمدون الاقتصار على التاريخ الفرنجى فى الحوادث العربية سواء منها ما أرخ بواسطة أسلافهم ، أو ما أرخ بمعرفة العرب دون غيرهم من أحداث عربية • وما ليس عندهم فيه تاريخ ، يلجأون فيه الى الكتب التى تشتمل على جداول مقارنة التواريخ وعندنا منها جداول اسماعيل باشا الفلكى ، ويستخرجون منها التاريخ الفرنجى لما لم يؤرخه سوى العرب ، وينقل عنهم مؤلفونا ومترجمونا دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع للمصادر العربية التى استقى منها من يترجمون لهم ، ودون الرجوع الى جداول مقارنة التواريخ •

واذا جاز لنا الاقتصار على التاريخ الفرنجى فى أمور حياتنا اليومية لارتباط المرتبات والاجازات به ، فانه لاعذر لأحد من مثقفينا فى اهمال التاريخ العربى والاقتصار على التاريخ الفرنجى فيما نسجله كتابة من أمور حياتنا ومكاتباتنا وتقاريرنا ، وحتى فيما لم يؤرخه الا الفرنج بالرجوع الى كتب مقارنة التواريخ •

على أن الصحوة قد بدأت ، ونرجو أن تستمر وتنمو فى قرن التاريخ العربى والفرنجى فى كل مانكتب • وقد رأيت كثيرين يضبطون ساعاتهم المبينة للتاريخ على الشهور العربية •

هدانا الله الى الاعتزاز المنهجى بتراثنا •

محمد أحمد بدوى

هجرة القلوب

للشيخ محمد صابر البرديسى

عن عمـر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول :

(انما الأعمال بالنيات ، وانمـا لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبهـا أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجـر اليه) .

رواه البخـارى ومسلم .

فى مطلع كل عام قمرى يحتفل المسـلمون بهجرة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة الى المدينة ، وحق للمسلمين أن يحتفلوا بها ، فقـد كانت حدثا عظيما فى الاسلام ، وموطناً لكثير من العبر والذكريات التى ينبغى أن يحرص المسلمون عليها .

لقد حولت هذه الهجرة حـال المسلمين ، فبعد أن كان المسلمون فى قلة وضعف ، وكانت قريش تضيق عليهم ، وتقعد لهم كل مرصد ، وَتَضِيقُ بهم ذرعا ، ولا تطيق عليهم صـبرا ، أصبحوا فى قوة ومنعة ، وعزة وطمأنينـة ، وصارت لهم دولة ، ائتمرت قريش بالدعوة ، وأرادت أن تتخلص منها فى شخص صـاحبها « محمد » ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأطلعه الله على ما ائتمرت به ، وأوحى اليه بالهجرة، فخرج مع صاحبه أبى بكر بلا جيش ولا عدة، والأعداء من كل جانب يتربصون به ويترقبونه كانت القوة المادية والطغيان الغاشم فىجانب، والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعـه الحق فى جانب ، فآزره الله وأعزه ونصره ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمـة الله هى العليا .

والعبرة فى هذه الهجرة أن المسلم متىآمن بالحق عن يقين واقتناع ، وثبت على المبدأ ، وضحى فى سبيله بالمال والأهـل ، وما ملكته يداه ، كان النصر حليفه ، وفاز بسعادة الدنيا والآخرة ، قال تعالى :

« وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » (١) .

والاسلام دين القلوب ، والنوايا الصادقة المخلصة ، لا دين المظاهر الكاذبة ، والعناوين الخادعة ، والأقوال البراقة .

واذا كانت هجرة بعض النـاس لدنيـا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، ليس فيها اتجاه الى الله ، ولا نية ابتغـاء وجهه فهجرته الى ما هاجر اليه .

أما المؤمن الصادق فهجرته تكون خالصة لله وحده يبتغى بها مرضاة الله ورسـوله ، صفت بها نفسه ، واطمأن لها قلبه ، وتمخضت هجرته لوجه الله الكريم .

ومن كان كذلك فهجرته الى الله ورسوله ، يتولاه الله برعايته ، ويمده باحسانه وتوفيقه، وتنزل عليه السكينه ، ويؤيده الله بجنـود لا ترى ، ويعيش سعيدا موفقا للخيرات معانا عليها .

قال ابن عباس . كان رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة فأمره الله بالهجـرة وأنزل عليـه (وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَـلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا) .

قال قتادة : أخرجه الله من مكة الى المدينة مخرج صدق .

ويقول أنس : « شهدت رسول الله ــ صلى عليه وسلم ــ يوم دخل المدينة ، فما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا » .

وكانت نتيجة الهجرة اعـزازا لدين الله ونصرا لرسوله ، ودخول الناس فى دين الله أفواجا .

وقد حدثنا الرواة عن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ قال : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها « أم قيس » فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر ، فهاجر فتزوجها ، فكنا نسميه « مهاجر أم قيس » .

ومن الناس من يؤدون العبادة تظاهـرا ، يفعلون ما يفعلون ليظهروا أمام الناس بمظهر المؤمنين العاملين ، ولهذا يقول رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « انما الأعمـال بالنيات » ، فمن كان الله قصده فله ما قصد ، ومن كان الناس قصده فله ما قصد ، ومن كانت الدنيا قصده فله ما قصد .

والمؤمن يعيش حياته فى هجـرة الى الله ورسوله ، يهاجر الى الله بعلمه ، ويهاجر الى الله بعمله فى كل وجه من وجوه الخير ، بل ان عبادته كلها على اختلاف أنواعها هى أعمـال تتسـم بالهجـرة الى الله ، والانابة اليه ، والاتصال به ، فهو مهاجـر الى الله فى كل ميادين الحياة .

والجهاد فى ميادين الحياة ، والنية الخالصة لوجه الله يسـدان مكان الهجرة فى الاجر ، والهجـرة من بلد الشرك الى بلد الطاعة ، والهجرة لصالح الاسلام والمسلمين ،والهجرة لملاقاة العدو .هجرة لا تنقطع ، ولا ينقطـع أجرها ، وستبقى الى قيام الساعة .

(١) الروم اية ٤٧ .

يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — :
« ان الهجرة لا تنقطع مادام الجهاد » (١) .

وعن عبد الرحمن بن عوف — رضى الله عنه — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : (ان الهجرة خصلتان ، احداهما : أن تهجر السيئات ، والأخرى أن تهاجر الى الله ، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولاتزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فاذا طلعت ، طبع على كل قلب بما فيه ، وكفى الناس العمل) .

قال صلى الله عليه وسلم : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) (٢) .

لا هجرة بين مكة والمدينة بعد الفتح ، لكن جهاد ونية يسدان مكان الهجرة فى الأجر .

لقد ارتبطت الهجرة بالجهاد ارتباطا وثيقا فالذين هاجروا من مكة الى المدينة ، تركوا ديارهم وأموالهم ، وبقيت ديارهم بمكة خالية تضربها الرياح ثم جاهدوا مع رسول الله وعرضوا أنفسهم للهلاك ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من كان ينتظر .

ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، لم يهاجر هربا ولا ضعفا ، وانما هو أمر الله الذى قضى أن تكون الهجرة بداية مرحلة جهاد ومواجهة ، وان كان الايذاء سببا من أسبابها قال تعالى :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ » ٣

وقال تعالى : « وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَٱلَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » (٤) .

وانما وصل المهاجرون الى هذه المنزله لأنهم هاجروا وجاهدوا كما أن الأنصار بلغوا منزلة عظيمة لأنهم آووا ونصروا .

ولئن كانت الهجرة قد فاز بها الأولون ، ولم يعد بعد الفتح هجرة ، فان المسلم مأمور بالهجرة الروحية ، والاتصال بالله فى كل أحواله والفرار اليه فى كل زمان ومكان ، قال تعالى : « فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ » (٥) .

والفرار الى الله انتصار حتى ولو انتهى بالموت أو القتل ، قال تعالى: « وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ »(٦) .

والمبادىء مهما كانت كريمة فهى لاتنتصر وحدها ، بل لابد لها كى تنتصر من جهاد مرير ، وكفاح شاق ، وعمل منظم ، وتدبير محكم .

والمسلمون اليوم فى حاجة الى هجرة القلوب والعمل الجاد والتضحية فى سبيل الله ، والله لا يضيع أجر من احسن عملا .

« وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

والله الموفق .

الشيخ محمد صابر البرديسى

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه احمد والنسائى .
(٣) البقرة اية ٢١٨ .
(٤) سورة الانفال اية ٧٤ .
(٥) سورة الذاريات اية ٥٠ .
(٦) سورة الحج اية ٥٨ .

من
أعلام الأزهر

الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد

رائد مدرسة التحقيق العلمى

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

— ١ —

١ — يمثل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد جيلا كاملا من الكفاح العلمى الكبير ، حتى ليعد رائدا عظيما لمدرسة التحقيق العلمى، سار على ضوئه المحققون وشراح كتب التراث الاسلامى العربى •

وقد تتلمذ محمد محيى الدين عبد الحميد على جيل الرواد الاسلاميين الكبار ، الذين ازدانت بهم الحياة المصرية فى أوائل القرن العشرين وكانوا دعامة النهضة العربية والادبية والوطنية فى العالم العربى كافة •

٢ — وقد تخرج محمد محيى الدين من الازهر الشريف — يحمل شهادة العالمية أعلى شهاداته العلمية آنذاك ، وكان نجاحه بل تفوقه يومئذ مثار الدهشة ، فقد جاء الاول على فحول أقرانه من العلماء وذلك عام ١٩٢٥ م •

وشغل فى هذه الحقبة الطويلة الكثير من المناصب العلمية الرفيعة : أستاذا بالازهر ، فأستاذا بكلية اللغة العربية ، فمفتشا عاما بالمعاهد الدينية ، فوكيلا لكلية اللغة ، فأستاذا بكلية أصول الدين ، فرئيسا لمفتشى العلوم الدينية والعربية بالازهر ، فعميدا لكلية اللغة العربية ، فعضوا بالمجمع اللغوى ، ورئيسا للجنة الفتوى بالازهر ، وعضوا فى المجلس

الاعلى للشئون الاسلامية وفى كثير من الهيئات العلميــــة ، ولا ننسى أنه اختير عام ١٩٤٠ للسودان ليشارك فى تأسيس مدرسة الحقــوق العليا فى الخرطوم وقد قام حينذاك بمهمته خير قيام ، وكان مضرب المثل فى علو المنزلة وسمو المكانة بين السودانيين والمصريين على السواء •

ومثل الازهر فى كثير من المؤتمرات الثقافية واللغوية والادبية ، ووجه الثقافة فيه الوجهة الرفيعة العميقة ، التى أثرت فى بناء الجيــل الحاضر تأثيرا كبيرا •

— ٢ —

٣ — ويمثل الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد فلسفة لغوية لها منهجها ودقتهـا وعمقها ، فهو يرى ضرورة تربية الحس اللغوى لينتهى بصاحبه الى الذوق الادبى ، ويبــدأ بالكلمة لينتهى الى الاسلوب فالأدب نفسه ، ودور الكلمة فى الادب دور كبير وأثرها فى بناء العمل الادبى ضخم وجليل •

٤ — والاستاذ محمد محيى الدين يقف دائما فى مجال الريادة :

فهو أول من فكر فى تأليف كتب دينية مزدانة بالصور للأطفال ، فألف خمسة أجزاء : اثنين للبنين ، واثنين للبنات ، وكتابا مشتركا وقــد ذاعت هذه الكتب آنذاك حتى كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام يذكر أنه شــاهد ترجمات لها بالفارسية وبالتركية •

وهو أول من عنى بكتب التراث وتحقيقهـا تحقيقا علميا دقيقا ، مما ينجلى لنا فيما حققه من أمهات كتب التراث فى الادب والنقد والبلاغة واللغة والنحو والصرف • ولذلك يعد بحق شيخ العلماء المحققين •

وهو أشهر شارح ومفسر لكتب القدماء فى مختلف فنون العلم • وقد سهل بذلك عــلى الجيل المعاصر قراءة هذه المصادر ، والافادة منها والاغتراف من بحورها •• وقد اختارت مؤسسة (بريل) فى هولندا نشر شرحه عــلى شرح ابن عقيل بالحـــــروف البارزة ليقرأه المكفوفون • ونحن نشكر لها هذا العمل العلمى والانسانى معا •

٥ — واذا عدنا الى الاعمال العلمية لهــذا العالم الجليل من أعلامنا المعاصرين نجــدها تنقسم ثلاثة أقسام :

القسم الاول : دراسات أدبية ولغـــوية واسلامية ألفها ، وكانت مثلا لرصانة العلماء وعمق البحث ، ودقة التأليف ، ومنها :

١ — دراسة كبيرة له عن المتنبى ونقد شعره نشرها فى مجلة الازهر تباعا • وتعد من أهم المراجع عن أبى الطيب وشعره •

٢ — دراسة عن الفكر الاسلامى عند الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر الاسبق ، وقد نشرت فى مجلة الكتاب التى كانت تصدر عن دار المعارف عدد نوفمبر ١٩٤٥ م •

٣ — تصريف الافعال : وهو كتاب مشهور لم يؤلف مثله حقا ، ويعد مكملا لمنهج القدماء فى دراسة الافعال ، وطبع عدة طبعات ، وكان مرجعا علميا للأساتذة والطلبة فى كليات اللغة ودار العلوم والآداب •

٤ — أحكام المواريث فى الشريعة الاسلامية — المعاملات الشرعية — الاحوال الشخصية — أصول الفقه •

وهى كتب أربعة مشهورة ، كانت تدرس فى كليات الحقوق وأصول الدين . وفى مدرسة الحقوق العليا فى الخرطوم وطبعت عدة طبعات.

القسم الثانى : كتب من أمهات التراث فى مختلف العلوم ، حققها عالمنا الجليل تحقيقا علميا دقيقا ، عنى فيها عناية فائقة بتقويم النص ، وضبط مشكله ، وشرح غريبه ، ومنها:

سيرة ابن هشام — الموازنة للآمدى — يتيمة الدهر للثعالبى — العمدة لابن رشيق — نفح الطيب للمقرى — وفيات الاعيان لابن خلكان — زهر الآداب للحصرى — فوات الوفيات لابن شاكر ، معاهد التنصيص للعباسى — مروج الذهب للمسعودى — مقالات الاسلاميين للأشعرى .

وغير ذلك مما يضيق المجال عن حصره ، ومما تلقاه قراء العربية فى كل مكان بالتقدير والاعجاب ، اذ رأوا فيه طاقة علمية فريدة ، واتخذوا منه عمدة المصادر لجميع طلاب الجامعات فى العالم الاسلامى العربى .

القسم الثالث : كتب من التراث شرحها شرحا وافيا ، وذلل صعوباتها للباحثين ، وأضاف اليها الكثير من الدراسات .. ومنها أهم كتب الثقافة العربية :

كشرحه للأجرومية الذى خرج بعنوان « التحفة السنية » ، وظل الى اليوم يدرس فى جميع أنحاء العالم العربى الاسلامى وطبع أكثر من خمس وعشرين طبعة .

وكشرحه للأزهرية .

وشرحه على شرح قطر الندى لابن هشام الذى طبعه ثلاث عشر طبعة .

وكشرحه على شرح شذور الذهب لابن هشام .

وشرحه على شرح ابن عقيل فى أربعة أجزاء كبار ، وطبع خمس عشرة طبعة .

وشرحه على أوضح المسالك لابن هشام ، ويقع فى أربعة أجزاء ضخام ، وطبع نحو عشر طبعات .

وشرحه على شرح المفصل للزمخشرى وهو من أصول اللغة العربية .

وشرحه على شرح الاشمونى على ألفية ابن مالك ويقع فى أربعة أجزاء كبيرة وهو يطبع الآن للمرة الثالثة .

وشرحه على كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين فى جزءين كبيرين ، ويدرسه المستشرق الفرنسى بلاشير لطلابه فى السوربون مؤثرا لهذه الطبعة على الطبعة الاوربية .

وكشرحه على متن التلخيص فى البلاغة وطبع طبعات عدة .

— ٣ —

٦ — وقد تتلمذت على عالمنا الجليل أجيال عديدة من الشباب ، وفى مقدمتهم أساتذة وعمداء كثير من الكليات الدينية واللغوية والادبية فى مصر والسودان والعالم العربى ، ومنهم جمهرة من كبار رجالات الدولة فى العالم العربى .. وما أكثر تلاميذه فى الشرق والغرب ، وجميع المستشرقين فى العالم يولون بحوثه وتحقيقاته عناية فائقة ، واهتماما كبيرا .

وقد توفى رحمه الله فى محرم ١٣٩٣ هـ — مارس ١٩٧٣ عن نحو السبعين عاما .. أجزل الله له الثواب كفاء ما قدم لدينه ولغة كتابه الحكيم ولتراث العربية وآدابها من جهود خالدة على مرور الأيام .

محمد عبد المنعم خفاجى

■ من مزاعم
المستشرقين
حول الفكر الإسلامي

مع الفكر الغربي

■ فضل الإسلام
على الحضارة الغربية

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامى

الإسلام والعقل

كل فى ميزان الآخر

للدكتور محمود عبد المعطى بركات

القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة هما الأساس الأول فى الحكم على الاسلام سلبا أو ايجابا لأنهما معا لسان الاسلام الناطق ودستوره الخالد والينبوع الأصيل الذى يستقى منه الفكر الاسلامى الأصيل مادته الأساسية .

ونستقى منه كذلك الحكم على الاسلام . أدلته وحيثياته . أيا كان هذا الحكم وذلك بالطبع أبسط قواعد البحث العلمى . وذلك نفسه هو الذى غفل أو تغافل عنه المستشرقون الذين قدمنا الحديث عنهم فى مسيرتهم فى الحكم على الفكر الاسلامى المبنى على حكمهم على الاسلام بمجافاة العقل ومنافاة العلم . وبعد أن انتهينا من الردود على مفترياتهم هانحن نبين بشكل ايجابى علاقة الاسلام بكل من العقل والعلم . وبهذا نلفت أنظارهم وأنظار غيرهم الى القيمة الأصيلة لهذا الدين الحنيف ونتناول فى هذا البحث القضية الأولى . وهى قضية الاسلام مع العقل .

وهذه القضية عند التأمل لها جانبان أساسيان الجانب الأول هو :

العقل فى ميزان الاسلام .

أعنى موقف الاسلام تجاه العقل الذى هو أداة التفكير ، وهل هذا الموقف موقف عداء ومحاربة كما حاول أن يصوره متعصبو المستشرقين . أم هو موقف المكرم والمعترف للعقل بفضله الذى لا ينكر ؟

أما الجانب الآخر من هذه القضية فهو (الاسلام فى ميزان العقل) . ونحن لا نريد من هذا التعبير جعل العقل ميزانا مطلقا وانما نريد

الاسلام والعقل
كل فى ميزان الآخر

حظ قضايا الاسلام من السند العقلى أو القيمة الفكرية .

واذا أردنا تصوير علاقة الاسلام بالعقل فى الجانب الأول فان ملجأنا فى الحكم فى هذا الموضوع هو معطيات الاسلام من واقع الكتاب والسنة الصحيحة طبقا للقاعدة التى قعدناها أولا والتى كان ينبغى على المستشرقين الرجوع اليها والتلقى من منبعها ، فى معالجتهم لكل ما يتعلق بالاسلام من قضايا وأحكام .

ان الاسلام يناقض العقل ولا يحتقر التفكير كما يدعى هؤلاء المستشرقون بل ولا يترك للعقل الحرية فى أن يفكر أولا يفكر فحسب وانما هو يستحثه ويستنهض قواه لتعمل وتعمل وصولا الى ما هى أهل له فى ميدان معرفة الحقيقة .

وقد تعامل الاسلام مع العقل من منطلق كونه غريزة انسانية أو كالغريزة فى أنه لم يحرمه التعبير عن نفسه واستعمال قواه والا يكون قد كبته بذلك وظلمه جل الله عن ذلك .

فهو سبحانه وتعالى اذا فطر الانسان على شىء أوجد له من منطلق عدله ما يشبع دافعه الملح — وشأن العقل فى منظور الاسلام هنا شأن الغرائز الفسيولوجية تماما فحيث شرع الله لها اشباعها فكذلك شرع للعقل وحيث حدد لها مجالها حدد كذلك للعقل مجاله فالله سبحانه وتعالى فطر الانسان على أنه يحس بالجوع والحاجة الى الطعام . ومن هنا قال تعالى : « **كلوا** » ولكن من طيبات الرزق وحلاله وليس أكلا كيفما اتفق . فليأكل الانسان وليسد حاجته ولكن من الطريق الشرعى . ولا يسوغ له احساسه بالجوع أن يهجم على ما ليس له . فلذلك حدود وقيود . وكذلك فعل الاسلام الشىء ذاته مع العقل أو غريزة التفكير كما يمكن أن نسميها هنا . كما سوف نرى ان شاء الله .

الاسلام وأدوات التفكير :

ولو نظر هؤلاء المستشرقون الى الكتاب الكريم « القرآن » دستور الاسلام الخالد . نظرة المسترشد المتعلم أو الباحث المدقق لوجدوا أنه — بكل صراحة — يحث على اعمال الفكر ويؤكد على ذلك المرة بعد المرة مما لا يبقى معه زيادة لمستزيد .. فكثيرا ما يحدثنا القرآن عن مجالات الفكر . خاتما حديثة بـ « **لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** » — « **لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَاب** » « **لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** » . « **فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِى الْأَبْصَار** » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة . التى تدل دلالة واضحة على مدى احترام الاسلام للعقل وحثه واستنهاض قواه وبالقدر الذى يدعو به الاسلام الى الفكر ينفر من التبعية الفكرية والتقليد الأعمى لما عليه الآباء والأجداد أو الرؤساء والكبار .

وبنفس هذه القوة ينفر الاسلام من اهمال روافد الفكر وأعنى بها أدوات العلم المودعة فى الانسان وبجعل معطلها فى مرتبة البهائم أو أشد ضلالا .

« وذلك كله بالطبع فرع عن مسئولية الانسان عن هذه الملكات . ومن أجل ذلك أهاب بالانسان ألا يتبع ما ليس له به علم صحيح ، لأن فيه أدوات التحصيل وعليه أن يستخدمها .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً » سورة الاسراء آية رقم ٣٦ •

وانطلاقا من كل ذلك اعتبر الاسلام مهمل هذه الملكات كالعجماوات كما مر فى ردنا على المستشرق « تنمان » •

واذا كان الانسان مسئولا عنها فهو اذن مكلف بأعمالها ومن هنا تبرز لنا قيمة العقل وروافده الحسية ، فى النظرة الاسلامية •

والكفار فى الآخرة يقولون : « لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ • فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ » الملك •

دعوة الاسلام الناس جميعا الى الفكر :

ودعوة الاسلام الى الفكر وعمل العقل ، لا تقتصر على المسلم • وانما يدعو المؤمن والكافر معا الى الاعتبار والتفكير • فدعوته للمسلم • ليتلقى قضاياه الايمانية عن وعى وتبصر • ويحرس عقيدته عن تشويش المشوشين وطعن الطاعنين ، ولا يتأتى ذلك الا باستيعابها عقليا وحراستها عقليا كذلك وأما دعوته للكافر فهى لتحصيل الايمان أصلا ، عن طريق التعقل والتفحص فيما يستند اليه الايمان من دعائم عقلية متينة وما يقوم عليه الكفر من مبررات هزيلة « وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » البقرة آية ١٧١ « قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » سبأ •

والاسلام يفتح أمام كل منهما المجال أمام العقل ليفكر فى الكون كله : سمائه وأرضه جامدة رحيه • « قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » •

« أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ • وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ • وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ • وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » سورة الغاشية

« إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » البقرة آية رقم ١٦٤ •

غاية استخدام الفكر ومجالاته :

والاسلام يجعل من ذلك كله طريقا الى غايتين أولاهما تحصيل الايمان بالخالق جل وعلا أو ترسيخه وتدعيمه • عن طريق النظر فى الآفاق والأنفس •

وثانيتهما :

التمكن من استغلال ما سخره الله سبحانه وتعالى للانسان من مخلوقات فى هذا الكون بكل عناصره ومكوناته لتتحقق لهذا الانسان السيادة والريادة اللتان استحقهما بفضل ما أودع الله فيه من ملكة الفكر وأداته وهى العقل وتتدرج

الإســـلام والعـــقل كل فى ميزان الآخر

مجالات الفكر المتعددة من أعمـاق النفس الى الكون الفسيح بما فيه من مجالات للنظر العقلى «**وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**» ففى النفس البشرية آيات للمتفكرين:
فى خلق الانسان وانتظامه وترتيب وظـائف أعضائه والدقة المتناهية فى عملها • وتأثير بعضها فى بعض وتأثر بعضها ببعض • فى كل ذلك مـا يؤدى امعان النظر فيه الى ترسيخ الايمـان بالخالق جل وعلا وشمول علمه وقدرته ولطفـه تعالى وعنايته وقد قيل من هـذا المنطلق « من عرف نفسه عـرف ربه » أى ان معرفة النفس طريق عقلى لمعرفة الله تعالى وما أكثر ماتحتويه الأرض من آيات باهرات وأدلة عقليـة متينـة اذا سلك العقل طريقه المستقيم •

«**وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**» الرعـد آية رقم ٤ •

هذه بعض مجـالات الفـكر التى يفتحهـا الاسـلام على مصراعيها أمام العقـل البشرى أفلا يدل ذلك على اعتراف الاسلام بقيمة هـذه الملكة وخطورة أثرها ؟

كيف غاب ذلك عن هؤلاء المستشرقين • وهم يتشحون بوشاح العلماء المدققين ؟ غالب الظن • أنهم لم يحاولوا النظر الصـحيح فى معطيـات الاسلام فى النقاط التى هاجموه منهـا ، ولذلك تطيش سهامهم الواحد تلو الآخر بل وترتد الى نحورهم • لتسمهم بأقسى ما يمكن أن يوسـم به باحث وهو الجهل المطبق بموضوع دعواه •

قيمة العقل وجودا وعدما :-

واذا كان الاسلام قد اعتبر التفكير فريضة• والعقل أداته • فحيث لا يوجد العقل لا يوجـد تكليف لأن تحمـل العقـل هـو مبرر التكليف والمسئولية فى نظر الاسـلام فلا تكليف عـلى فاقد العقل •

والـذى يتطلـع أو يتصـفح من هـؤلاء المستشرقين أبواب الفقه فى العبادات والمعاملات يجد للعقل مكانه كشرط للوجوب وشرط للصحة معا فى مختلف فروع الفقه وأبوابه • ألا يرون فى ذلك دلالة على قيمة العقل فى نظر الاسلام ؟

ان العقل • وقد بلغ هذه الأهميـة فى نظـر الاسلام • لابد وأن يضمن له الاسلام أن يعمل بكامل قوته • وأن يقوم بالتفكير فى أنظف مناخ حتى يعطى أقصى طاقته فيما يطلب اليه عمله •

تشريعات حماية العقل :

ومن هنا كان ثم تشريعات للاسلام تحقيقـا لهذه الغاية • فقد حرم كل ما يؤدى الى التأثير السلبى على عمل العقل •

فقد حرم المسكرات والخمر لما فيها من ستر العقل وتعطيل الفكر وانهاك قواه كذلك علمنا أن الانسان فى أثناء تفكيره العقلى يجب أن يكـون بعيدا عن أى تأثير من شأنه أن يؤثر فى سـلامة حكمه فى قضاياه : ولذلك فان القاضى لا يحـكم وهو غضبان غضبا يؤثر على سلامة فكره •

كذلك أهدر الاسلام كل حكم يقـوم عـلى الاكراه وذلك لمضادته لحرية التفكـير فالاكراه

قسر للارادة وقد جاء فى ذلك قوله تعالى : « إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبه مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ » ومما نبه الاسلام اليه وهو بصدد بيان معوقات الفكر المستقيم التفكير الجماعى • أو التشويش الاجتماعى • لأن العصبية تشوش عمل العقل فى صورته الجماعية وتحول دون وصوله الى نتائجه التى ينبغى أن يسير اليها اذا ما مضى فى طريقه المستقيم • ومن أجل ذلك حث الاسلام خاصة فى المسائل الدقيقة والحساسة التى يتعلق بها الفكر • على أن يخلو الانسان الى نفسه أو الى واحد ممن يثق فى أمانتهم الفكرية • يفكر الانسان وحده ويعرض حصاد فكره على صحيح عقله ، أو يفكر ويعرض فكره على آخر الى أن يصلا معا الى نتيجة مبعثها الفكر الحر غير المتعصب •

فهو هنا يعزل الفرد عن الجماعة أو العقل الجماعى كى تستقيم له حركة فكره ونقرأ فى هذا المجال : قول الله تعالى :

« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ »

وقد يصح أن نضرب لذلك مثلا من التاريخ الوليد بن المغيره • عندما ذهب بعيدا عن جماعته التى سفهت دعوة الاسلام • واستمع الى دعوة محمد — صلى الله عليه وسلم — وبعض آيات من الذكر الحكيم ، بعد أن رفض رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عروضه • هزت دعواه قلبه وفكره • وقال ما قال من كلام بليغ ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه يعلو وما يعلى عليه •

لكن الوليد ما ان رجع الى الجماعة وأخبرهم بما كان عمل التشويش الجماعى عمله فى افساد فكر الرجل •

ويحترز الاسلام عن ذلك لأن الأحكام التى تصدر عن الاجتماعات الكبرى أو فى وسطها غالبا ما تكون مشوشة • تتحكم فيها اتجاهات وميول طائفية أو قبلية أو وطنية أو نفسية •

لذلك كله يدعو الاسلام المرء أن يفكر مجردا عن كل عصبية أو ميل مع هوى حتى يمكن أن تسفر له الحقيقة عن وجهها الوضاء •

وهذا انما يكون فى المسائل الدقيقة التى هى مظنة التأثر بالعصبيات وليس مطلقا والا فالاسلام يحبذ أيضا مبدأ الشورى(١) وهى مشاركة الفكر للفكر وحرص الاسلام على الشورى فى مجالها • ينطلق أيضا نوع من المحافظة على الفكر من أن يستبد به فرد واحد لأنه قد يتعصب على الأقل لميوله ورغباته وأهوائه وهذا فى حد ذاته خطر قد يربو فى خطورته على التشويش الجمعى •

ومما نبه اليه الاسلام كذلك وهو بصدد ازالة كل معوقات الفكر السليم أمام النظر العقلى • عبادة السلف أو الآباء والأجداد وفى هذا المقام يربأ الاسلام بالانسان عن أن يلغى عقله ليجرى على ما جرى عليه آباؤه من أصول ومعتقدات لمجرد أنهم آباؤه وأجداده فلابد من

---

(١) حتى فى الشورى ليس كل انسان يستشار .. والا فما قيمة التخصص فى أمر من الأمور . ان للتخصص ، كما للأمانة ، منزلتهما الاولية فى الشورى ، وليس تقتضى الشورى الجماعة دائما ، فلكل مقال مقال .. وآية سبأ « قل انما أعظكم » معينة على الشورى وموجهة الى اصلح أحوالها ... مجلة الازهر .

الإسلام والعقل كل فى ميزان الآخر

أن يتلقى عنهم بوعى وتبصر وذلك لأن تقديس الآباء والأجداد الى حد التبعية العمياء جناية على العقل والحقيقة • وقد كان ذلك يمثل عقبة كئودا أمام دعاوى الاصلاح بل ودعاوى الرسل فى كل زمان ومكان •

وفى ذلك يقول الله عز وجل :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ » البقرة آية ١٧٠ •

هذه وغيرها من العقبات الكثيرة التى تحول دون عمل العقل بصورة صحيحة يستقصيها الاسلام ويدفعها ويحذر منها • ويعمل على ازالتها ويرسم الطريق الى التحرر من سطوتها منذ أربعة عشر قرنا لأن ذلك كله من معطيات الاسلام الصريحة والصحيحة وليس بناء على استنتاجات لمعتنقيه حتى يمكن أن يغفل عنها هؤلاء المستشرقون • وانما هى جزء من صميمه وبعض من بنيته •

اكتشاف متأخر :

ثم يأتى بعد ذلك من بنى وطنهم من يكتشف هذه المعوقات أو بعضها فتدق له الطبول وترفع له الأعلام • فقد فطن الى بعض هذه المعوقات فرنسيس بيكون فيلسوفهم المشهور وسماها بالأوهام وغير عزيز على الباحث المدقق فى تاريخ الحضارة الانسانية أن يردها الى أصولها الاسلامية •

فاذا كان القرآن قد نص على اتباع الأسلاف والآباء اتباعا أعمى فانه أيضا قد نهى عن الذوبان فى المجتمع والانقياد لقيمه وتقاليده دون تدبر أو تفكير وأشار الى العواقب الوخيمة التى تترتب على ذلك • قال تعالى :

« وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ » الأنعام ١١٦ •

وهذا هو الذى يسميه بيكون بأوهام الجنس• « راجع اعلام الفلسفة الحديثة ورفقى زاهر ص ٢٢ » •

كذلك فان ما سماه بيكون بأوهام الكهف وهى التى تتمثل فى التقوقع بين غرائز النفس وعواطفها وأحاسيسها التى تصنعها الظروف الخاصة والملابسات الشخصية وتخرج بالانسان عن جادة الحق •

أقول هذا كله يشير اليه القرآن الكريم بقوله **« أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً »** سورة الفرقان آية ٤٣ــ٤٤ •

كذلك فان مما يشير اليه بيكون أوهام السوق وهى التى تتمثل فى تأثر تفكير الفرد بما يدور فى الأماكن العامة من الأحاديث والمناقشات التى تخرج بالمرء عن مقتضى استقلاله الفكرى وتحرره العقلى •

وهذا نفسه هو ما حذر منه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ » سورة الجاثية ١٧ — ١٨—١٩ انظر نفس المصدر •

شاهد من قومه :

ومن المعروف تاريخيا عند الغربيين قبل الشرقيين أن تراث الاسلام — وفى مقدمته — القرآن الكريم ثم علوم المسلمين ومعارفهم — قد نقل الى الغرب واستفاد منه الغربيون حتى ان « بريغولت » يقول عن فرنسيس بيكون :

— أنه لم يكن له الحق هو ولاسميه وأستاذه روجر بيكون الحق فى أن ينسب اليهما المنهج التجريبى • بل يرجع الفضل فى ذلك الى أساتذته العرب •

وعبارة الرجل هى :

فلم يكن روجر بيكون و لاشريكه فى الاسم بيكون الآخر يستحقان أن يسند اليهما فضل ادخال الأسلوب التجريبى فى أوربا • فروجر بيكون لم يكن الا رسول علوم المسلمين ومناهجهم لأوربا المسيحية وهو لم ين مطلقا فى اقرار أن الطريق الوحيد لمعاصريه الى العلم الحقيقى هو تعلم العربية • وتعلم العلوم العربية •

« أثر الثقافة الاسلامية فى تكوين الانسانية لروبرت بريغولت ص ١٥٣ — ١٥٤ » •

هذه هى الحقيقة شهد بها شاهد من قومه • فما بال هؤلاء الذين يتهمون الاسلام والمسلمين دون أن يقرأوا حتى تاريخهم هم ؟ انهم لو قرأوه قراءة واعية منصفة لأملى عليهم واقع هذا التاريخ غير ما يمليه عليهم حقدهم وتعصبهم

هذه هى منزلة العقل لدى الاسلام مميز ذاتى لأكرم مخلوقات الله تعالى وهو الانسان بل ومناط هذا التكريم لهذا الانسان على سواه من العجماوات •

ومناط التكليف والمسئولية • كذلك ذو شأن عظيم وقيمة كبرى فى الاستدلال وتلقى العقائد الدينية •

وهذا ينقلنا مباشرة الى الجانب الآخر من العلاقة بين الاسلام والعقل وأعنى بها « الاسلام فى ميزان العقل » •

يتبع

فضل الإسلام على الحضارة الغربية

○ تأليف : مونتجمري وات ○

نقله إلى العربية : حسين أحمد أمين

— ١ —

« فضل الاسلام على الحضارة الغربية » عنوان الترجمة العربية لكتاب « تأثير الاسلام فى أوربا خلال العصر الوسيط » لمؤلفه « مونتجمرى وات » الصادر عن مطبعة جامعة أدنبرة باسكوتلندا » عام ١٩٧٢ ، وهو يمثل مجموع محاضرات سبق أن ألقاها المؤلف فى أحد المعاهد العلمية سنة ١٩٧٠ .. وقامت بنشر الترجمة دار الشروق ١٩٨٣ .

والكتاب قائم على فصول ستة :

الاول عن « المسلمون فى أوربا » .

والثانى عن « التجارة والتكنولوجيا »

والثالث عن « انجازات العرب فى ميادين العلم والفلسفة » .

والرابع عن « استعادة المسيحيين لأسبانيا والحروب الصليبية » .

والخامس عن « العلوم والفلسفة فى أوربا » .

والسادس عن « الاسلام والوعى الاوربى» مع تذييل بقائمة تحوى الكلمات الانجليزية المشتقة من أصل عربى ، ثم قائمة بمراجع كل فصل من فصول الكتاب .

والكتاب يعرض لموضوعه فى شىء من التحديد والايجاز مع الشمول ، ويقع فى مائة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، وتعكس الترجمة العربية جهد المترجم من حيث حسن الفهم ووضوح العرض مع سلامة اللغة واستقامة الاسلوب ، الى جانب ظهور العاطفة الاسلامية التى آثرت أن تضع العنوان الأجدر لمادة الكتاب بدلا من العنوان الذى يؤثر الغربيون أن يطلقوه اذا تحدثوا عن الاسلام فى مثل هذا المقام ، وثمة فرق بطبيعة الحال بين ذكر الفضل واثبات التأثير ، الأول يقتضى من صاحبه اعترافا واشادة ، والثانى يكتفى بمجرد رصد الظواهر وتتبع حركاتها ولمتدادها وربما استطاع القارىء العربى أن يفرق بين الامرين ، وأن يضع يده على الأنسب من القول ، لكن الامر يختلف مع القارىء الغربى،

عرض وتعليق

دكتور طه مصطفى أبو كريشة

فكثيرا ما تحجزه العصبية عن نسبة الفضل لأهله وذويه .

— ٢ —

فى الفصل الاول « المسلمون فى أوربا » يتحدث المؤلف عن حركة الفتح الاسلامى فى أوربا مركزا على أسبانيا وصقلية وايطاليا ، موضحا الدوافع والسمات المميزة للتأثير الاسلامى مع بيان ردود الفعل لدى الأوربيين .

(أ) يقدم المؤلف هذا الفصل بمقدمة يوضح فيها الهدف من وراء الموضوعات التى عرض لها فى محاضراته ، ويذكر أنه يريد أن يعرض عرضا شاملا لتأثير العالم الاسلامى فى أوربا خلال العصر الوسيط ، ليس من وجهة نظر مؤرخ ، وانما من وجهة نظر باحث فى الاسلاميات لا ينظر الى المسلمين « باعتبارهم دخلاء من بين العديد من الدخلاء على القارة الأوربية وانما باعتبارهم ممثلين لحضارة ذات انجازات عظيمة تدين لها بالفضل رقعة كبيرة من سطح الارض ، ثم فاضت ثمار هذه الانجازات على رقعة أرض مجاورة » ويعترف المؤلف أن الكتاب المسيحيين فى العصر الوسيط كونوا صورة للاسلام هى صورة شائهة من وجوه عديدة ، وان كانت جهود الباحثين فى القرون الأخيرة مهدت السبيل لتكوين صورة أكثر موضوعية ، ولا يغفل المؤلف الاشارة الى أن هناك كثيرا من الأوربيين يأبون فى عناد أن يقروا بفضل الاسلام الحضارى عليهم ، ومن ثم ينادى بوجوب الاعتراف الكامل بهذا الفضل ، لأن الاخفاء والانكار لايدل الا على خلق زائف من الكبرياء .

(ب) ثم يتحدث المؤلف عن غزو المسلمين لأسبانيا مشيرا الى بداية المعارك والانتصار سنة ٧١١ م ثم احتلال كافة المدن الاسبانية حتى سنة ٧١٥ م ، أما الاثر الذى ترتب على ذلك فهو استقرار الامور فى أسبانيا فى ظل حكم العرب ، وذيوع السلام معظم الوقت ، وان كان القتال ينشب من حين الى حين بين جماعات مختلفة من المسلمين . ثم يعرض المؤلف لمراحل الحكم الاسلامى فى اسبانيا خلال عصر الأمويين ثم العباسيين حيث انفصلت الاندلس بحكم مستقل سياسيا ، وان كان هناك ارتباط اقتصادى وثقافى مع سائر البلاد الاسلامية ، ويتتبع المؤلف تتبعا تاريخيا مراحل الصراع والاحتكاك بين المسلمين والمسيحيين، ذلك الصراع الذى انتهى باستيلاء المسيحيين على آخر مدينة من مدن الأندلس فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى بعد ثمانية قرون من سيطرة الاسلام ، ولا ينسى المؤلف أن يذكر ما كان من أثر المسلمين فى ميدان الآداب والفنون .

ومن الحديث عن أسابنيا الى الحديث عن صقلية وايطاليا حيث يذكر المؤلف أنه كانت هناك سلسلة من المعارك انتهت بالانتصار الكامل على الجزيرة عام ٩٠٢ م ، ذلك الانتصار

الذى لم يتوقف عند حدود الجزيرة ، وانما امتد الى داخل مدن ايطاليا ، حتى غدا يهدد العاصمة روما نفسها • ويشير المؤلف فى هذا المقام الى أن البابا يوحنا الثالث ظل يدفـــع الجزيـــة للمسلمين مدة عامين •

وقد اتخذ المسلمون من صـــقلية مرتكزا للحملات الداخلية الى أوربا الوسطى ، وان كانت هذه الحملات يحوطها شىء من الابهام ، ويستطرد المؤلف الى بيان أن الحكم الاسلامى فى صقلية لم يدم دوامه فى أســـبانيا ، حيث استعادها المسيحيون فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى لدوافع مادية جعلت الطـــابع الاسلامى يظل باقيا وأقوى من الطـــابع المسيحى •

(جـ) أما عن الدافع وراء التوسع العربى فان المؤلف يذكر أن ذلك كان امتدادا لنشـــاط عرفه العرب منذ ظهور الاسلام ، وهنا يعرض المؤلف لمعنى الجهاد فى الاسلام ، ويذكر أنه كان موجها فى بادىء الأمر ضد القبائل الوثنية التى لم تجد بدا من اعتناق الاسلام لتجنب الاغارة عليها •ويحاول المؤلف أن يعلل لمواصلة الجهاد بعد ذلك خارج الجزيرة ، فيذكر أنه كان لابد من توجيه طاقات قبائل البدو وجهـــة أهداف جديدة للغزو ، فاقتضى ذلك توسعـــا يعقبه توسع ــ وقد ساعد على ذلك أن النصر كان حليفهم دائما ، وقد أغراهم ذلك بمزيد من التوسع والاستمرار ، ومن ثم كان غزو العرب لاوربا حلقة فى هذه السلسلة •

ويدفع المؤلف أن يكون الاسلام قد انتشر بالسيف ، فالاسلام لم يخير أهل الكتاب بين الاسلام أو السيف ، وانما تـــرك لهم حرية الدخول فيه أو بقائهم على دينهم مع فرض الجزية عليهم باعتبارهم من أهل الذمة ، ويسجل المؤلف أن ماكان يدفعه أهل الذمة من ذلك هو أقل مما كانوا يدفعونه فى ظـــل حكامهم السابقين ، كما أن الدولة الاســـلامية كانت تعتبر حمايتهم حماية فعالة واجبا من أقـــدس واجباتها ، وفى هذا الصدد نذكر أن كثيرا من المسيحيين قد أقبلوا على الدخول فى الاسلام بعد ذلك، حتى يتمتعوا بكافة الحقوق التى يتمتع بها المسلم مثل الالتحاق بالجند وتولى المناصب الكبرى ، ويشير الى أن هذا الاقبال قد حاول بعض الحكام المسلمين أن يحد منه لأنه أدى الى نقص ما يدخل بيت المال من الجزية وذلك فى أواخر القرن السابع الميـــلادى ، ولكن ان ثبت هذا فانه أمر يستحق التوقف والنظـــر وهو أقرب الى الاستبعاد منه الى القبول • كذلك فان من هذا القبيل المستبعد ما ذكـــره المؤلف فى عرض الدوافع أن حب الغنيمـــة كان يشكل جانبا كبيرا من الحافز على الغزو وليس لأجل الجهاد فى سبيل اللـــه •

(د) أما عن الســـمات المميزة للتأثير الاسلامى فان المؤلف فى بادىء الأمر يهـــاجم بشدة ما يلوكه بعض المؤرخين حين يســـمون المسلمين بالهمج ، ويذكر أنه من الواجب أن نقمع بشدة أى ميل الى هذا التشبيه ، فالعرب كانوا يمثلون امبراطورية أصبحت خـــلال قرن أو قرنين صاحبة أعظم ثقافـــة من المحيط الاطلسى الى أقصى الشرق فى أفغانستان •

ثم يأخذ المؤلف فى بيان السمات المميزة للتأثير الاسلامى ، ويذكر كيف استوعب الاسلام الحضارات السابقة فى البلاد التى فتحها ، وكيف أصبح يعبر عنها بلسان عربى مبين كما يذكر أن الاسلام لم يقع فى أسر هذه الحضارات فتعكس صبغتها عليه ، وانما الذى حدث هو أن العرب فرضوا لغتهم وبعض مناحى تفكيرهم على معظم شعوب دولتهم ، وقد ساعد على ذلك الكبرياء العظيم والثقة بالنفس اللتان يتمتع بهما العربى ، وهما أمران مستمدان من اعتزازهم بالاسلام الذى يرونه أرفع وأنقى صور عبادة الله .

وكذلك فان الذين اعتنقوا الاسلام من أصحاب هذه الثقافة القديمة عملوا على مزج ثقافتهم بالدراسات القرآنية ، ثم أعطوا بعد ذلك عطاء اسلاميا خالصا ، مما كون ثقافة اسلامية قائمة بذاتها ، وما كان هذا التمثل للمعارف الاجنبية ليتم لولا رصيد جوهرى ثابت للب الثقافة الاسلامية ، وهذا الرصيد قائم فى القرآن وفى الحديث النبوى ، اذ فى ظل مواجهة المشكلات المعاصرة على ضوء أحكامهما نشأت فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى دراسات القرآن والحديث والفقه ، ومع الحديث عن القرآن يعرج المؤلف الى بيان مكانته فى نفوس المسلمين ويرى أن هذه المكانة تفوق مكانة الكتاب المقدس عند المسيحيين ذلك لأن المسلمين يحفظونه أو يحفظون عددا من سوره وآياته نظرا لضرورة تلاوة بعضه فى الصلوات اليومية المتكررة ، ونظرا لأنه لا يمكن ترجمة القرآن الى لغة غير العربية ، فقد أصبح أمرا لازما على كل من يدخل الاسلام أن يتعلم العربية ليحفظ القرآن أو يقرأه بلغته ، وقد أدى هذا الى دراسة أدق للنحو العربى ولعلم المعاجم ، مع اهتمام بالشعر وجمع المختار من الموضوعات المختلفة .

ومع بداية القرن التاسع وضع نظام التعليم العالى يأخذ بطرف من كل علم ، وقد أدى هذا الى تأسيس مؤسسات شبيهة بالجامعات ، وقد مضى الآن ألف عام على بدء التعليم فى الازهر وهو مسجد وجامعة فى آن واحد .

والى جانب ما سبق فقد عنى المسلمون بعلوم اليونان التى ترجم كثير منها الى السريانية ، وقد بدأت ترجمة هذه العلوم الى العربية قبل عام ٨٠٠ م ، وكان الخليفة المأمون أول من عنى بذلك .

وقد انتشرت حركة التعليم فى كل مكان كان فيه الاسلام قويا ، وكانت حركة الاتصال العلمى دائبة ومستمرة بين المشرق والمغرب على نحو سهل ميسور .

(هـ) أما عن رد الفعل لدى الأوربيين ازاء الوجود الاسلامى فى أوربا ، فان المؤلف يرى أن الحركة الصليبية فى ختام القرن الحادى عشر كانت تمثل رد فعل نشط لمواجهة الاسلام . وكذلك فان من ردود الفعل ما تم من علاقات دبلوماسية فى بعض الأحيان بين بعض الحكام المسلمين وبعض الحكام الغربيين ، كما حدث بين هارون الرشيد وبين شارلمان الفرنسى وقد أدت مثل هذه العلاقات الى اطلاع أوربا على مدى اتساع العالم الاسلامى وقوته ، والى جانب هذا فقد نشأت صلات خاصة بين بلاد أوربا وبين أسبانيا ابان الحكم الاسلامى ، وهذه

فضل الاسلام
على الحضارة الغربية

الصلات أدت أيضا الى الالمام ببعض المعلومات عن الاسلام • ثم يشير المؤلف فى ختام ردود الفعل الى ان وجود الاسلام فى أسبانيا وصقلية كان له عواقب وصدى فى البقاع الأوربية الشمالية •

— ٣ —

وفى الفصل الثانى يتحدث المؤلف عن « التجارة والتكنولوجيا » من عدة زوايا منها : مكانة التجارة فى الاقطار الاسلامية ، والتجارة بين أوربا الغربية والعالم الاسلامى ، والخبرات الفنية المتصلة بالملاحة البحرية ، والمحاصيل الزراعية والمعادن ، وفنون الحياة الرغدة ، وامتزاج الثقافات فى أسبانيا فى العصر الاسلامى ، ثم انتشار الثقافة الاسلامية فى أوربا •

(أ) عن مكانة التجارة فى الأقطار الاسلامية

يرى المؤلف ان انتشار الحضارة الاسلامية قد ساعد عليه نشاط العرب وحنكتهم فى ميدان التجارة التى كانت دائما تحتل مكانة خاصة فى الحضارة الاسلامية ، فلم يكن المسلمون الأوائل من البدو قاطنى الصحراء ،وانما كانوا من أهل مكة وهى مركز تجارى هام ، ومن أهل المدينة وهى واحة زراعية ، وقد كانت الديانة الاسلامية تهىء جوا مناسبا ومشجعا على التجارة ، وفى ظل النشاط التجارى الذى كان يمارسه المسلمون ، دخلت بقاع كثيرة من العالم فى الاسلام ، فقد كان التجار المسلمون أثناء زيارتهم للأقطار الوثنية يؤدون صلواتهم اليومية الخمس جهرا ، وترك اخلاصهم وايمانهم انطباعا فى نفوس الوثنيين أدى الى اقبالهم على اعتناق الاسلام مع نمو أعدادهم وتزايدهم •

وحين قام الحكم الاسلامى فى أسبانيا وصقلية أقام القطران على الفور علاقات تجارية مع الأقطار الاسلامية الأخرى ، واذ أعجب الاهالى المحليون بالعرب فانهم سعوا الى تبنى كثير من مظاهر حياتهم بقدر الامكان، ومن ثم فقد أصبح الوجود الاسلامى فى هذه البلاد وجودا حضاريا لا مجرد وجود عسكرى وسياسى •

(ب) أما عن شكل الاتجار بين أوربا الغربية والعالم الاسلامى ، فان الغموض يكتنف العديد من المعلومات المتصلة بذلك ، لكن هناك أمورا بارزة فى هذا المقام منها أن التجارة بين العرب والأوربيين تمت تدريجيا، وأن العرب كانوا الجانب الأنشط فى انماء هذه التجارة ، اذ كانت أساطيلهم مهيمنة على معظم أرجاء البحر المتوسط عام ٨٠٠ م ، وكانت لهم عدة قواعد بحرية • فما حل النصف الثانى من القرن العاشر حتى كانت التجارة بين أوربا الغربية والعالم الاسلامى تنمو فى اطار نمط محدد ، وحتى كان حجمها آخذا فى الازدياد •

ويذكر المؤلف أن معظم واردات أوربا من العالم الاسلامى كان سلعا استهلاكية بينما كانت تصدر الى المسلمين المواد الخام والعبيد، وكان الكثير من العبيد من بين أفراد الشعوب السلافية الوثنية ، أما عن المواد الخام فكان أهمها خشب السفن والحديد لندرتهما فى الأقطار العربية وهناك حالة واحدة كانت أوربا فيها تستورد احدى المواد الخام ، وهى مادة

حجر الشب التى تدخل فى صناعة النسيج وكانت أوربا تستوردها من مصر •

(جـ) وفى مجال الخبرات الفنية المتصلة بالملاحة البحرية يرى المؤلف أن العرب جلبوا الى منطقة البحر الابيض المتوسط ثمرة خبراتهم الملاحية فى المحيط الهندى ، وكان العرب هم أول من جلب الى البحر المتوسط السفينة ذات الشراع مثلث الشكل ، الذى يساعد على الابحار عكس اتجاه الريح ، وقد اقتبس الصناع الأوربيون هذا الشكل فى صناعة السفن وطوروه •

ويذكر المؤلف أن العرب والأوربيين سواء فيما يتصل بالخطوات الرئيسية فى تطوير ابرة الملاحين (البوصلة) وان كانت تفاصيل الأمر غامضة ، وهناك ميادين أخرى ساعد فيها العرب فى تطوير خبرات الأوربيين الفنية فى الملاحة البحرية ، منها الخرائط البحرية التى استقاها أهل جنوة وغيرها من الفن الاسلامى لرسم الخرائط ، وأدلة ذلك تلك الكلمات التى تتصل بهذا الميدان ، فكثير منها مقتبس من كلمات عربية • كذلك فان العرب كان لهم فضل فى اتساع معارف الأوربيين الجغرافية ، وفى اتساع قدر كبير من هذه المعارف بالدقة ، وفى هذا الصدد يشير المؤلف الى العالم المسلم « الادريسى » الذى كتب وصفا كاملا للعالم المعروف فى القرن الثانى عشر ، وقد ضمن ما حصله من معارف سبعين خريطة ، لكل اقليم من الاقاليم السبعة عشر خرائط •

(د) وفى ميدان المحاصيل الزراعية والمعادن يذكر المؤلف أن الزراعة كانت وافرة نسبيا فى معظم الأقطار الاسلامية الصالحة للزراعة، ولذلك فقد تمكن العرب من رفع مستوى الزراعة فى قطر مثل أسبانيا ، التى تقل فيها الامطار وقد حسن العرب نظم الرى وتوسعوا فيه على أساس خبرتهم فى المشرق الخاصة بوسائل خزن المياة وتوزيعها ، ومما يدل على ذلك وفرة الكلمات الأسبانية المتعلقة بوسائل الرى والمشتقة من العربية ، هذه الى جانب الشبه العظيم بين شكل السواقى المستخدمة حتى اليوم فى أسبانيا وبين تلك المعروفة فى الشرق الأوسط والمغرب ، والراجح أن هذه السواقى اخترعت فى الشرق الأوسط •

وقد صاحب النهوض بالرى فى أسبانيا ادخال زراعة نباتات جديدة • وكثير من الكلمات المتصلة بهذه النباتات مأخوذ من العربية ، مثل قصب السكر والأرز والبرتقال والليمون والباذنجان والخرشوف والمشمش والقطن •

كذلك زادت العناية باستغلال الثروة المعدنية فى أسبانيا عما كانت عليه فى العصور السابقة •

(هـ) أما عن فنون الحياة الرغدة ، فقد استغل عرب أسبانيا هذا التنوع الكبير فى المحاصيل الزراعية والمعادن فى تكثير مباهج الحياة وتوفيرها للاغنياء على الأقل الى جانب أن الطبقات الأفقر كان لها نصيب فى الاستمتاع بأطايب العيش فى أسبانيا الاسلامية ويرى المؤلف أنه بوسع السائح اليوم أن يكون فكرة عن الحياة الرغدة التى كان يحياها الناس هناك فى الماضى من خلال جولة فى قصور أشبيلية وغرناطة ،أما دارس الأدب فيزيد ادراكه لنمط تلك الحياة الرغدة من قراءته للقصص والشعر •

ومن مظاهر هذه الحياة الرغدة السلع الكمالية التى تتسع للاستهلاك والتصدير ومنها

فضل الإسلام على الحضارة الغربية

صناعة الخزف التى كانت على درجة عظيمة من الرقى ، وصناعة الأوانى الجميلة ، وصناعة الحلى والمجوهرات ونحت العاج ونقش الخشب ، والصناعات الجلدية المزركشة وكان اطار هذه الحياة الرغدة تلك المبانى العظيمة ، ودلالات اللغة الأسبانية توحى بأن العرب كان لهم الفضل الرئيسى فى الكثير من التحسينات والتهذيبات التى أدخلت على أساليب البناء .

ولكى تستخدم كل هذه العناصر المختلفة معا فى تشكيل نمط حقيقى للحياة الرغدة كان لابد من خلق مستوى رفيع من الذوق لدى أفراد الطبقات العليا من المجتمع ، وقد كان تأثير مدن الشرق كالمدينة وبغداد ودمشق عظيما .

وقد اخترع العرب أو حسنوا أنواعا مختلفة من الآلات الموسيقية ، وثمة الكثير من المؤلفات العربية الخاصة بالنظرية الموسيقية ، وقد ترجم بعضها الى اللاتينية والعبرية ، وان كان تأثير الكتب أقل من الممارسة الفعلية العربية للموسيقى .

ومن بين مظاهر الحياة الرغدة الاهتمام بالكتب ، وقد سهل استخدام الورق اقتناءها ، وقد انتشرب صناعة الورق غربا عبر الشام وشمال أفريقيا الى أسبانيا حيث شاع استخدامه ، ومن أسبانيا وصقلية انتشرت عادة استخدام الورق فى أوربا العربية .

ويختم المؤلف هذا الجانب ببيان أن كثيرا من الألفاظ المتصلة بالادارة المحلية والنشاط التجارى فى أسبانيا مأخوذ من أصل عربى ، ثم يقدم أمثلة لهذه الألفاظ .

(و) ثم يتطرق المؤلف الى الحديث عن امتزاج الثقافات فى أسبانيا فى العصر الاسلامى ، حيث يرى أن أقرب الآراء الى الصحة فى هذا المجال أن معظم أنحاء أسبانيا الاسلامية شهد تبلورا تدريجيا لثقافة عربية أسبانية متجانسة عرفت طريقها الى الشمال الغربى وفرضت نفسها على الثقافة المحلية ، وقد تبنى المسيحيون فى ظل الحكم الاسلامى كافة أوجه ثقافة الحكام الا فيما يختص بالدين لدرجة أنهم عرفوا بالمستعربين ، وقد شكا بعض الأساقفة من أن شباب الطائفة المسيحية يجتذبهم الشعر العربى لدرجة أنهم أغفلوا دراسة اللغة اللاتينية وأقبلوا على دراسة العربية .

(ز) ويختم المؤلف حديثه فى هذا الفصل عن انتشار الثقافة الاسلامية فى أوربا وفى هذا الصدد يذكر أن هناك تطابقا كاملا بين الزجل العربى وبين أحد أوجه الشعر الرومانسى ، كذلك فانه مما يدل على اعجاب المسيحيين بالثقافة العربية نمط الحياة فى البلاط الصقلى خاصة خلال حكم روجر الثانى وفردريك الثانى فقد تزينا هذان بالزى العربى ، وعاشا عيشة رغدة مترفة شبيهة بما عرفته قرطبة منها وقد كان الشعر العربى يقرض وينشد فى البلاط الصقلى ، وكان لذلك أثره فى الشعر الايطالى وقت نشأته .

وانتشرت مظاهر هذه الحياة الناعمة المصقولة تدريجيا من أسبانيا وصقلية الى الشمال ، هذا الى جانب أن خبرات الصليبيين

فى الأقطار الاسلامية ساعدت على نشر الثقافة الاسلامية فى أوربا الغربية الى حد ما •

ويركز المؤلف على أمور ثلاثة فيما يتصل بهذا الفصل •

الأول : أن مشاركة العرب فى حضارة أوربا الغربية كان بصفة أساسية فى مجال كماليات الحياة وصقلها والارتقاء بقاعدتها المادية •

الثانى : أن معظم الأوربيين كانوا قليلى الادراك للأصل العربى والاسلامى للمظاهر التى تبنوها ، والثالث أن حياة العرب الرغدة والآداب التى صحبتها نشطت مخيلة الأوربيين وأثارت العبقرية الشعرية لدى الشعوب الرومانسية من مرقدها •

— ٤ —

أما الفصل الثالث فعن « انجازات العرب فى ميادين العلم والفلسفة » التى منها الرياضة والفلك والطب والكيمياء والنبات والمنطق والميتافيزيقيا •

وفى بداية حديثه يتساءل : الى أى مدى كان العرب مجرد نقلة لما اكتشفه اليونان ، والى أى حد بلغت انجازاتهم المبتكرة ؟ وقبل أن يعرض لذلك من خلال الحديث عن هذه العلوم يذكر أن هناك كثيرا من الباحثين يطرقون الموضوع مع بعض التحيز ضد العرب ، حتى أولئك الذين يمتدحونهم يفعلون ذلك وكأنهم يضنون عليهم بالثناء • ثم يتطرق المؤلف من ذلك الى الحديث عن ترجمة المؤلفات العلمية والفلسفية الى العربية ، ويذكر أنه بين القرن الثامن الميلادى والقرن العاشر تمت ترجمة كل ما هو متوافر من المؤلفات اليونانية التى يهم العرب الاطلاع عليها — وقد كانت الترجمة أولا من السريانية ثم من اليونانية مباشرة بعد الالمام بها وتعلمها — وقد مرت الترجمة بأدوار من الصقل والتهذيب شاركت اسبانيا فى المراحل الأخيرة منها عند اعادة صياغة ما سبق من ترجمات •

(أ) وفيما يتصل بالرياضة والفلك يشيد المؤلف ببعض جهود المسلمين الذين ارتقوا بهذا العلم ، ومن هؤلاء : الخوارزمى الذى أعد مختصرا للجداول الفلكية الهندية كما ألف وصفا للبقاع المجهولة ، ومن مؤلفاته الرياضية علم الجبر ، وله أول كتاب يستخدم العلامات العشرية التى نستخدمها الآن فى الحساب •

ومن بين الرياضيين الأقليدوس وابن الهيثم وله أكثر من خمسين من الكتب والرسائل ، أشهرها كتاب المناظر الذى ترجم الى اللاتينية •

أما علم الفلك فان المؤلف يذكر ما قام به العرب من تطوير بحوث اليونان فى هذا المجال بعد انتقادها واكتشاف ما بها من أوجه الضعف ، ثم يشير الى أن أسبانيا الاسلامية قامت بدور عظيم فى البحوث الرياضية والفلكية وعن طريقها تمكن العلماء الأوربيون من الاطلاع على مثل هذه العلوم الحية •

(ب) وفى مجال الطب يذكر المؤلف أن المسلمين ابقوا على مناهج المدارس الطبية التى كانت تدرس الطب فى العراق ، كذلك أبقوا عليه عند انشاء مدارسهم الخاصة بهم ، ومن ثم وجد رجال عظماء فى أكثر من ميدان واحد مثل ابن سينا وابن رشد ، ثم يذكر أمثلة من النشاط العلاجى الذى يتمثل فى اقامة المستشفيات الثابتة والمتنقلة التى تطوف بالأقاليم وكان من

فضـــل الإســـلام على الحضارة الغربية

أهم هذه المستشفيات مستشفى القاهرة الذى أنشىء سنة ١٢٨٤ م ، وكان يتسع لثمانية آلاف شخص ، وقد فصل فيه الرجال عن النســاء وخصصت فيه أقسام للأمراض المختلفة ، الى جانب التجهيزات العظيمة وفريق الأطبــاء والمرضين والممرضات ، وليس بعجيب والأمر كذلك أن تكتب مؤلفات فى ذلك الوقت عن فن ادارة المستشفيات •

واذا كان الطب قام أولا على الترجمة ، فان المسلمين بلغوا شأوا بعيدا فى الالمـــام بعلم الطب ، لدرجة أنهم فاقوا أسلافهم بمراحل ، وأصبحوا فى مستوى أعظم أطباء اليونان ، ومن هؤلاء الرازى وابن سينا ، وقد خلف الرازى أكثر من خمسين مؤلفا ، أعظمهـــا كتـــاب « الحاوى » الذى كان بمثابة موسوعة لكل المعارف الطبية حتى زمنه ، وقد أقر النـــاس فى كل مكان عظمة هذا الكتاب وأما ابن سينا فله فى الطب كتاب « القانون فى الطب » وهو يعتبر بحق ذروة التصنيف المنهجى العربى ورائعته •

ولم تتخلف أسبانيا الاسلامية عن الشرق فى مجال الدراسات الطبية ، فقد كان هنـــاك عدد من فلاسفة الأندلس أطباء أكفاء مثل ابن رشد وابن زهر وابن ميمون •

(جـ) أما علم الكيمياء فهناك مجموعة ضخمة من الكتابات منسوبة الى جابر بن حيان وهى تحوى عرضا كاملا للكمياء وباعتبارها علمــا تجريبيا ، وقد دخلت اللغـــات الأوربية من كتابات جابر كلمات عديدة تطلق على المـــواد وعلى الأوانى الكيميائية •

أما فى ميادين علوم النبات والحيوان ، فقد شمل نشاط العرب وصف أنواع النبـــاتات والحيوانات وتصنيفها ، وأفضـل الانجازات العربية هذا هو فى علم النبات •

(د) أما المنطق والميتافيزيقا ، فقد تم نقل كتب فلسفية يونانية كثيرة الى العربية خـــلال القرن التاسع الميلادى ، ويمضى المؤلف الى بيان أثر هذه الكتب فى علم الكلام ، وظهور المدارس المذهبية ، ثم يشير الى أن الفلسفة العربية ظهر فيها رجلان يمكن اعتبارهمـــا من بين أعظم فلاسفة العالم وهما الفارابى وابن ســـينا ، وبعدهما جاء الغزالى الذى ألم الماما واضحا بفلسفة اليونان وأفكارهـــم ثم كتب تفنيدا ساحقا لهذه الأفكار •

وقد كان لكل من ابن سينا والغزالى أثر فى الغرب وفى أسبانيا خاصة ، فقد ســاعدت الظروف المواتية خلال القرن الثانى عشر على ظهور فلاسفة عظام عديدين مثل ابن ماجــة وابن طفيل وابن رشـــد •

وفى ختام الفصل يجيب المؤلف عن التساؤل الذى طرحه فى أوله حيث يذكر أن المرء متى أدرك مدى التجارب العربية والفـكر العربى والتأليف العربى ، فان بوسعه أن يـــرى أن العلوم والفلسفة الأوربية ما كانت ستتطور بدون فضل العرب فى الوقت الذى تطورت فيه ، ولم يكن العرب مجرد نقلة للفكـر اليونانى ، وانما كانوا حملة للشعلة مبدعين ، وحين شرع الأوربيون فى الاهتمام بعلوم أعدائهم العرب ، كانت هذه العلوم فى أوجها ، وكان على هؤلاء

أن يتعلموا كل ما بوسعهم من العرب ، قبل أن يتمكنوا من احراز المزيد من التقدم فى هذه المجالات .

— ٥ —

أما الفصل الرابع فهو عن « استعادة المسيحيين لأسبانيا والحروب الصليبية » وهو بداية الحديث المفصل عن ردود الفعل للوجود الاسلامى فى أوربا الغربية ويعرض المؤلف هذا الفصل عرضا تاريخيا للمعارك التى قامت بين المسيحيين والمسلمين فى أسبانيا والتى انتهت بسقوط غرناطة عام ١٤٩٢ م ، ثم يشير الى مغزى استعادة المسيحيين لأسبانيا ، وتنكرهم

للأصل الاسلامى للعديد من عناصر المدنية التى يحيون فيها ، وبالتالى فان الذين لم يدركوا هذا الأصل لم يجدوا صعوبة فى التوفيق بين قبول هذه المدنية ومناهضة دين الاسلام .

(ب) أما عن الحروب الصليبية ، فان المؤلف يتتبع نمو فكرة شن حرب صليبية ضد المسلمين ، مشيرا الى دور البابوات منذ منتصف القرن الحادى عشر فى تكييف وتحديد مفهوم الحرب الصليبية ، ومنتهيا الى أن الحوافز الدينية اختلطت بالحوافز الدنيوية التى أدت الى قيام الحملات ونشوب الحرب فى نهاية المطاف .

ثم يقف عند مراحل تاريخ هذه الحروب منتهيا الى تسجيل اليأس الذى حل بمشعلى نيرانها حين أصبحوا غير مستعدين لاتخاذ أية خطوات ايجابية من أجل تحقيق مفهوم الحروب الصليبية بعد الكارثة الختامية التى حلت بهم على يد صلاح الدين الأيوبى ، وبعد استيلاء المماليك على عكا عنوة سنة ١٢٩١ م والتى تبعها سقوط بقية المدن الساحلية .

وفى ختام ما يتصل بهذا المجال يذكر المؤلف أن كثيرا من مشاريع وأفكار الحرب الصليبية كانت خيالية وطائشة حمقاء لأنها لم تكن على ادراك بمدى القوة العسكرية التى تتمتع بها أقطار الشرق ، ولم يدرك من أعدوا لها حقيقة الظروف المادية التى سيقاتل الصليبيون فى ظلها .

وقد أسفرت هذه الحرب عن عكس الهدف المعلن فى بدايتها تماما ، فقد خبر الصليبيون بعض الجوانب الجذابة فى الاسلام ، وحاولوا تقليدها بعد عودتهم الى ديارهم ، كما شهدت ممالك الصليبيين فى الشام ترجمة بعض المؤلفات العربية الى اللاتينية ، كذلك فان الحرب ساعدت بقدر ما فى حركة الاستكشاف التى أدت الى اكتشاف أمريكا .

— ٦ —

والفصل الخامس عن « العلوم والفلسفة فى أوربا » ، وفيه يتحدث المؤلف عن بداية اطلاع الأوربيين على علوم العرب ، وعن العصر الذهبى للترجمة وعن تطور الرياضيات وعلم الفلك فى أوربا ، وعن الطب والمنطق والميتافيزيقا فى أوربا ، ويمثل كل ذلك رد الفعل الثانى لوجود المسلمين فى أوربا الغربية .

(أ) جرت محاولات متفرقة للاتصال بعلوم العرب قبل العصر الذهبى للترجمة فى القرن الثانى عشر ، ويشير المؤلف الى ما قام به جوبرت أو ريلاك الذى أصبح البابا سيلفستر الثانى ، وهناك مخطوطات طبية ترجع الى

فضل الإسلام
على الحضارة الغربية

القرن العاشر الميلادى تحوى ما يدل على أن لها أصولا عربية .

(ب) أما العصر الذهبى للترجمة فقد وجد خلال القرن الثانى عشر حين قام كثير من العلماء فى أسبانيا بترجمة كثير من الكتب العربية الى اللاتينية ، فما حل القرن الثالث عشر حتى عرفت أوربا الغربية حركة فكرية قوية قادرة على تمثل كل ما تعلمه العرب فى ميدانى العلوم والفلسفة ، وقد ترجمت فى ذلك القرن المؤلفات العربية الممتازة التى لم تكن قد ترجمت بعد .

(ج) وفى مجال تطور الرياضيات وعلم الفلك ، فان الفضل الكبير فى استخدام الأرقام العربية لم يدركه الأوربيون الا بعد فترة ،فما لتضحت فائدة استخدام الأرقام العربية للأذهان حتى تبناها الناس فى معظم أغراضهم العملية ، وبتبنى هذه الأرقام دخلت الى اللغات الأوربية عدة كلماتعربية ، أما الاهتمام بالفلك فان الحافز الرئيسى على تطوير علومه جاء نتيجة للاطلاع الشخصى على المعارف العربية ، ودراسة الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية.

(د) وفيما يختص بالطب فان ممارسة الطب فى أوربا كانت فجة الى حد بعيد قبل أن يتأثر أطباؤها بالطب العربى ، أما تلقين العلم وتدريب الطلبة فى المستشفيات وهو ما جرت عليه عادة العرب فلم تنقلهما أوربا عنهم حتى حوالى عام ١٥٥٠ م

وقد ظلت أوربا حتى القرنين الخامس عشر والسادس عشر تعتمد على الطب العربى والدليل على ذلك هو قوائم أوائل الكتب المطبوعة ، ومنها كتاب الحاوى للرازى والقانون فى الطب لابن سينا ، مما جعل الطب حينئذ امتدادا للطب العربى .

(هـ) وفى التأثر بالمنطق والميتافيزيقا يذكر المؤلف أنه كان للمترجمين فضل تأليف أول كتابات أوربية مبتكرة فى الميتافيزيقا وفى الكثير من فروع العلم التى تدين بالكثير لمصادر عربية، يأتى على رأسها كتب ابن سينا والغزالى وابن رشد .

— ٧ —

ويأتى الفصل السادس فى نهاية المطاف عن « الاسلام والوعى الأوربى » وفيه يتحدث المؤلف عن الفكرة الشائهة التى تكونت عن الاسلام ، وعن الصورة المناقضة لأوربا ، وعن الوضع المخالف فى العالم الاسلامى ، وعن مغزى الاحتكاك بالاسلام بالنسبة لأوربا .

(أ) أما عن الصورة الشائهة للاسلام فان المؤلف يقدم أمثلة من جوانب هذه الصورة التى تحاول أن تطعن فى الاسلام ، ومن ذلك دعواهم أن الاسلام أكذوبة وتشويه متعمد للحقيقة الالهية ، وهم يبغون بذلك بيان تناقض صورة الاسلام مع صورة المسيحية ومنه أيضا دعواهم أن الاسلام دين العنف والسيف ، ويرد المؤلف على هذا بأن الصورة الأوربية للاسلام هى أبعد ما تكون عن الحقيقة ، لأن الاسلام لم يخير بينه وبين السيف مع أهل الكتاب ، وانما

الذين خيروا بينهما عبدة الاوثان وحدهم وفيما يتصل بالعنف فان المؤلف يذكر أنه من الغريب أن يصدق الرجال المشتركون فى الحرب الصليبية أن دينهم دين سلام وأن دين خصومهم دين عنف .

ومن بين ما طعنوا به الاسلام قولهم أنه دين يطلق لشهوات المرء العنان ويعرض المؤلف فى مجال الرد للأحكام الاسلامية الخاصة بالزواج والمعاشرة والطلاق مبينا الحكمة التى تؤدى الى ايجاد مجتمع متوازن نفسيا وجسديا بعيد عن الاباحية والانطلاق .

ثم يسوق بعض التهم التى ألصقوها بالنبى — صلى الله عليه وسلم — وتقوم كلها على الباطل بغية الانتصار للمسيحية .

(ب) ازاء هذه الصورة الشائهة التى كونوها عن الاسلام حاولوا أن يكونوا صورة مقابلة لها فى جانب أفضل عن العالم المسيحى الكاثوليكى ، وهى تؤخذ من ايحاء الصورة السابقة حين يفهم الشىء ونقيضه .

(ج) ويعرض المؤلف الوضع المخالف فى العالم الاسلامى لهذه الصورة الشائهة ، ولمغزى الاحتكاك بالاسلام بالنسبة لأوربا ، ويبرز فى هذا المجال شعور أوربا بالنقص عند مواجهتها للحضارة الاسلامية، وكذلك شعورهم بقوة المسلمين العسكرية ، ولكى يعوضوا هذا النقص سعوا الى تشويه صورة الاسلام منادين بأنهم يعملون من أجل نصرة النور على قوى الظلام لكن المؤلف يعقب على هذا الهدف بقوله الرائع « فليتحدثوا هم اذن عن النور والظلمة غير أننا فى عالم اليوم نعلم جيدا أن الظلمة التى ينسبها المرء الى أعدائه ما هى الا اسقاط للظلمة الكامنة فيه هو والتى لا يريد الاعتراف بها » (ص ١١٣) ثم يأخذ فى بيان أن كثيرا مما ألصقوه بالاسلام والمسلمين انما هو اسقاط لما اكتنف عقول الأوربيين من جهالة !

— ٨ —

وبعد : فان روح الانصاف فى هذا الكتاب واضحة من غير شك ، وهو انصاف يحمل من الاعجاب والتقدير للاسلام أضعافا مضاعفة ، ومن ثم فهو جدير بأن يقرأ بإمعان ، لكى نعرف كيف كنا ، وكيف أصبحنا ، ثم كيف أصبح غيرنا يعيشون فى المقدمة على تراث ماضينا الذى جهلناه وأضعناه حين لم يعكس حاضرنا هذا الماضى .. انه من الحمق أن نكتفى باجترار الماضى وأن نعيش على الذكرى ، دون أن يكون لنا فى الحاضر ما نستحق به أن نرفع الهامة وأن نزاحم به فى مواكب الحضارة ، وفى مراكز القيادة لهذا العالم الذى قدناه يوما ما !!

د . طه مصطفى أبو كريشة

عِبرة

فى كل عام ذكره يتجدّدُ   يوم على مر الزمان مُخلّدُ
حسدت عشيته الليالى روعةً   ومن الليالى ما يروع فيُحْسَدُ
لما أطل على الوجود هلاله   هتفت منابره وضج المسجد
واستشرقَتْ لسناه بيضُ مآذن   تستطلعُ الآمالَ فيه وترصد
وكانها أيدٍ رُفِعْنَ ضوارعاً   بالأفق تدعو ربّها وتمجّد
من كل مئذنة تشير كأنها   سبابة لموحّد يتشهّد
والرَّوْض نشوان الخميل مسبّح   والطير جذلان النشيد مغرّد
هى نشوة الدنيا بأروع قصةٍ   نسج الفخارُ خيوطَها والسؤدد
يعنو لها التاريخ مبهورا بما   يَرْوِيه من أمجادها ويعدّد
رَدّدْ صداها ياهلالَ مُحَرَّمٍ   فلأنت أصدق مَن يَعِى ويردّد
فى لجّة الأحداث تطفو زورقا   يحنو على غرقى الحياة وينجد
وغياهب الايام لُحْتَ بِلَيْلِهَا   أملا يشوق اليائِسِينَ ويسعد
فاطو الزمان الى مشارفَ ليلة   سجلواء أنجمها عيون سهد
شهدت مؤامرة النَّدِىّ وكيده   والشرك مخمور الحوار معربد
واذا النداء من السموات العلى   دوّى فلبّاه النبى الأمجد
مَنْ ذلك السارى يَشِعّ به الدجى   فكأنه بين المفاوز فرقد ؟
ومن المفارق موطنا يصبو له   ويُحبه فيذاد عنه ويُبْعَد ؟
ومَن المهاجر تَقْتَفِى آثاره   فى كل واد أعيُنٌ تترصّد ؟
اغراهم الشيطان فاحتشدوا على   ايذائه وتهدّدوا وتوعّدوا
ونَبتْ به أم القرى وهو الذى   بالصدق فيها والامانةِ يُعْهَدُ

الهجرة

للأستاذ الدكتور حسن جاد

نورٌ يطارده الظلام جهالة   والحق ينكره الضلال فَيُجْحَدُ
وإذا تناهى الجهل واعتكر الدجى   فالطرف عن نور الحقيقة أرمد
سارٍ وعين الله ترعى دربه   ماضٍ إلى الغايات لا يتردَّد
يتسابق الرمل المشوق لخطوه   لثما ويخضرّ الثرى وَالْفَدْفَدُ
والنجم داعٍ والهلال مُؤَمِّنٌ   والأُفْق حانٍ والربى تَتَنَهَّدُ
سِرٌّ يعانقه الظلام وتنحنى   لجلاله شُمُّ الجبال وتسجد
ضاقت به الأوطانُ واتسعت له   جنبات غار فى ثراهُ يرقد
لولا العنايةُ نَمَّ عنه عبيرُهُ   أَرجا ودَلّسناه مَنْ يتفَقَّدُ
ياصاحبى فى الغار لا تحزن ولا   تَخْشَ الأَذَاةَ فإنهم لَنْ يهتدوا
سبحانه مَعَنَا وكيف يخاف مَنَ   صدقت عزيمته وصح المقصد ؟
واستقبلتْ ركب النبوة يثرب   نشوى تغنى فرحة وتزغرد
مَنْ ذلك السَّارِى يقود كتائبا   صُمّا ترج الأرض رجا يُرْعد ؟
فى جحفل لجب يَضِجُّ مكبِّرا   ان راح يهبط واديا أو يصعد
ويشق بالزحف المقدس دربه   ويدك شم الراسيات وَيَمْهَدُ
وافاك فى وضح النهار مُجَاهرا   والأفق ضاح والطريق مُعَبَّدُ
هذا لواء الله عاد مرفرفا   بالحق يرفعه اللواء الْمُفْرَدُ
يتعجّل البيتُ العتيقُ لِقَاءَهُ   والشَّوْقُ فى جنباته يتوقَّد
والكعبة الغراء نُكِّسَ حولها   ما كان دُونَ الله فيها يُعْبَدُ

عبرة الهجرة

والشرك أذعن خاشعا لجلاله ... مسترحِمًا يرجو الأمان ويشهد
وأتم نعمته الاله لعبده ... عقبى مظفَّرةٌ وعَوْدٌ أحمدُ
سبحانك اللهم وعدك صادق ... صدقت بشائره وصحّ المَوْعِدُ
أعززْتَ بالفتح المبين محمدا ... فسما وعزّ الفاتحين مُحمَّدُ
أعظم بها ذكرى تطوف بأمة ... تمضى على درب النضال وتَصْمُد
تستلهم النفحاتِ من آياتها ... عبرا وتستوحى الرشاد فتَرْشُدُ
هى قصة الحق المضام يُحِفُّه ... صبرٌ وايمان به وتجلّد
وجلال موعظة يعى أسرارها ... متحرّر من قيده ومُقيَّدُ
رمز الفداء العبقرى وقدوة ... فى التضحيات لأمة تستعبد
ومنارةٌ يرقى على أضوائها ... دَرَجَ المعالى كل شعب يَصْعَدُ
الحق مهما طال ليل ضياعه ... فجر يمزق ليله ويبدّد
لولا العقيدة ما استمات مقاتل ... أو راح يبذل رُوحَهُ مستشهد
لولا سنا الايمان لم نَعْبُرْ الى ... (سينا) نُقَتّلُ فى العدو ونَحْصُدُ
يومٌ أعاد لنا الكرامة أبيضٌ ... فَجَأَ الْعَدوَّ به نهارٌ أسْوَدُ
قد أذهل الدنيا صداه روعةً ... فحدا به الحادى وغنّى المُنْشِدُ
دع ما يُشيع المغرضون فانه ... حسد يضيق به الفؤاد فَيَحْقِدُ
واذا خلا الميدان من آساده ... ألفيت فيه ثعالبا تستأسد
إنا نقاتل من يريد قتالنا ... ونمدّ أَيدينا لِمنْ يتودّد
من كان يجنح للسلام فاننا ... بالعدل نبتدر السلام وننشد
واذا أتاح الحقّ سِلْمٌ عادل ... فالحرب حمق والقتال تمرّد
شعب على الايمان يبنى مجده ... ويقيم نهضته به ويُشَيِّدُ
يارب كلل بالنجاح كفاحنا ... وأتِمّ ما نسعى إليه ونَقْصِدُ

إلى العام الهجرى الجديد

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

أيشرق فيك يا عامُ الصباحُ ... وتُقْلِع عن سوافيها الرياحُ ؟
وينقشع الضباب عن الروابى ... وتبتهج المدائن والبطاح
ويشفى الشرق من علل أصابت ... جوانحه ، وتلتئم الجراح ؟
ألا يا عامُ كم حقب تولّت ... وَلَيْلُ الشرق ليس له براح
وأنّى للدياجر أن تولى ... ويسكت فى معاميها الضباح ؟
ودون الشمس جدران وحجب ... أقامتها الشياطين القباح
أيُترك موكب الاسلام يمشى ... تُسدّدُه مناهجه الصحاح ؟ !
فيسرى منه للملتاع رَوْح ... ويجرى منه سلسال قراح
وكيف يسير والرواد عُزْل ... تنوشهمُ الصفائح والرماح ؟!
أيُترك بلبل الاسلام يشدو ... وليس عليه فى شدو جُناح ؟ !
ويَطرُقُ لَحْنُه المهج الصوادى ... ويعلو منه للدنيا صُداح
أم الغربان من شرق وغرب ... يُدَوِّى دونه منها الصياح
وتصخب بالهراء بلا نكير ... كأن حمى البلابل مستباح ؟ !
أفيقوا يا بنى الاسلام إنّا ... على خطر ، يهددنا اجتياح
لئن جنحت بنا الأهواء حينا ... وزايل عيشنا الدين الصراح
ورحنا فى وعور التيه نعدو ... وَأَهْزَلَنَا التشتت والجماح
فإن حظيرة الاسلام حصن ... وان العوْد ميسور مُتَاح
فما شَرَدَت شراذم من حماها ... وكان لها على الدنيا فلاح
وان عَزّ السلام على أبيّ ... فليس أمامه الا الكفاح
ألا يأيها العام الموافى ... لنا فى يمنك الأسنى طِماح
فكن للمسلمين بكل وادٍ ... ربيعا يفْدُه أرج وراح
ورَقْرِقْ بالندى فى كل صدر ... أزاهير المنى ، فهى الوشاح

من وحى الهجرة

شعر شوقى محمود أبو ناجى

الدهر لا زال يقظاناً يحدثنى	حديثَ أفضل رهطٍ فى الدنى ارتحلوا
فى جنح ليلٍ وعين الله تكلؤُهم	مما يحاكُ وحقد ألقوم يشتعلُ
والشرك فى مكةٍ يفرى جَحَافِله	بالنور .. والنورُ يسطعُ فى الدنيا ويكتملُ
هم أجمعوا أمرهم والغدرُ يدفعهم	كى يطمسوا الحق فى مكر وقد فشِلوا
وانسلّ خيرُ بنى حواءَ مُدّرِعَاً	بالليلِ .. والليلُ فوقَ الكونِ منسدلُ
لم يبصروه ولم يمنع تربّصُهم	أن ينثرَ التربَ فوقَ الهام اذ غفلوا
واستقبلَ الغارُ من يسمو بِدَعْوتهِ	الى الجنانِ بمن لبّوا ومن قَبِلوا
خاف الرفيقُ على الهادى وقد وقفوا	على فم الغار والكفارُ قد جهلوا
لكنَّ « دعوة ابراهيم » فى ثقةٍ	تُصفى الأمان فلا خوفٌ ولا وَجَلُ
يقول للصاحبِ المفزوع ليس على	مثلى ومثلك يومًا تظهرُ الحيَلُ
ماذا تظن ونحن اثنان ثالثنا	الله .. انا على الرحمن نتكل
وَرَدَّ كَيْدَ بنى الكفارِ وانقلبوا	بالخزى لم يُجْدِهِم (عُزّى) ولا (هُبَلُ)
ودوت الدعوة الكبرى مجلجلةً	اللهُ أكبرُ .. إنَّ الظلامَ منخذلُ
الله اكبرُ نورُ الحقِّ عَمَّ عَلى	كلّ البطاح فضاءَ السهلُ والجبلُ
ولا إلهَ سوى الرحمن منفردًا	بالحكمِ والأمر لاَ شَكٌّ ولا جدلُ
فلنرجع اليوم للاسلام يرفعُ مِنْ	خسيسة هبطت بالناس اذ نزلوا
ان الكتاب وما سن الرسول لنا	هما السبيل اذا ما اعوجت السبل

شوقى محمود أبو ناجى

مجلة الأزهر
من خمسين عامًا

من التراث

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

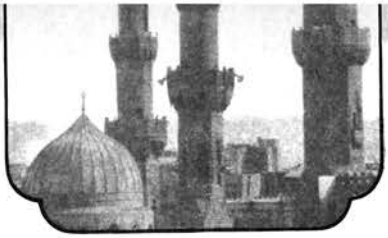

القضاء العادل في الإسلام

للشيخ محمد الخضر حسين

قال الشيخ ــ رحمه الله :(١)

أحاط الاسلام بضروب السعادة هداية وتعليما . فدل على كل ضرب منها دلالة تقوم بها الحجة وتقطع عن الناس عذر الجهل به . وله فى هدايته برجات ، فقد يرشد الى الشىء دون أن يلهج به ، أو يلحف فى الترغيب فيه ، حيث يكون سهل المأخذ على النفس ، أو يكون فى طبيعة البشر ما يسوق اليه ، كاحسان الوالد لولده ، والسعى فى الأرض لابتغاء الرزق.

وقد يكون فى الأمر ثقل على النفس وصرف لها عن بعض شهواتها ، فلا تكاد تقبل عليه الا بعزم صميم ، ونظر فى العواقب بعيد ، كاقامة الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وهذا ما يأمر به المرة بعد الأخرى ، ويسلك فى الدعوة اليه أساليب شتى ، حتى يأخذ اليه النفوس على تفاوت هممها واختلاف رغائبها . وكذلك ترى مسلكه فى الدعوة الى العدل فى القضاء .

(١) نشر بعدد المحرم ١٣٥٠

يتقدم الخصمان الى القاضى وكثيرا ما يجد فى نفسه ميلا ــ شديدا أو ضعيفا ــ الى أحدهما يميل اليه لنحو قرابة أو صداقة أو وجاهة أو غنى ، أو يميل اليه لأنه فقير أو ضعيف أو خصم لمن يناوئه ، وقلما استطاع القاضى فى هذه الأحوال أن يضع الخصمين من نفسه فى درجة واحدة الى أن يفصل فى القضية بما أراه الله من الحق .

تلك العواطف التى تثور فى القاضى حال النظر فى القضية هى فى حكم المعفو عنه الا أن يكون لها فى رجحان أحد الخصمين على الآخر أثر غير ما تقتضيه البينة وأصول الحكم .

شأن تلك العواطف أن تجاذب القاضى وتناجيه أن ينحو بالحكم نحو منفعة المعطوف عليه ، وعلى قدر العطف تكون هذه المجاذبة والمناجاة ، ومتى قويتا فى نفس لا تخاف مقام ربها ، ولم تكن على بصيرة مما فى لباس العدل من زينة وفخار ، نبذت الحق وراء ظهرها ، وانحدرت مع عاطفتها الى هاوية الظلم ، وما

إعداد : عاطف زهران

هاوية الظلم الا حفرة من النار .

هذه العواطف التى تجاذب القاضى وتناجيه أن يرضى خصما بعينه تجعل العدل فى القضاء من قبيل ما يثقل على النفس ويجمح عنه الطبع، فكان من حكمة الدعوة الاسلامية أن تعنى به عناية صافية ، وتدخل الى الترغيب فيه من أبواب متعددة .

عنيت الشريعة بالعدل فى القضاء عنايتها بكل ما هو دعامة لعادة الحياة ، فأتت فيه بالعظات البالغات : تبشر من أقامه بعلو المنزلة وحسن العاقبة ، وتنذر من انحرف عنه بسوء المنقلب وعذاب الهون .

فمن الآيات المنبهة لما فى العدل من فضل وكرامة قوله تعالى : « وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »(١) . فقد أمر بالعدل ، ونبه على أن خيرا عظيما ينال الحاكم بالقسط : هو محبة الله له ، وما بعد محبة الله تعالى الا الحياة الطيبة فى الدنيا والعيشة الراضية فى الأخرى .

ومن الأحاديث الدالة على ما يورثه العدل من شرف المنزلة عند الله تعالى قوله — صلى الله عليه وسلم — : « ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن — عز وجل — وكلتا يديه يمين — ؟ الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولو » صحيح مسلم .

وهذه كناية عن شدة قربهم من رب العالمين وفوزهم برضوانه وفى ذكر « الرحمن » تربية للرجاء والثقة بأن الحاكم العادل يجد من النعيم ما تشتهيه نفسه وتلذه عينه ، شأن من يكون قريب المنزلة من ذى رحمة وسعت كل شىء .

وان شئت مثلا من آيات الوعيد فانظر قوله تعالى : « يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ » (٢) . نجد الآية تنادى بأن الفصل فى القضايا جريا مع الأهواء ضلال عن سبيل الله ، والضلال عن سبيل الله ملق فى شديد من العذاب ، ومن ذا الذى يستخف بعذاب وصفه الكبير المتعال بالشدة ، ويشتريه بمتاع من هذه الحياة الا من سفه نفسه ، ولم ينفذ الايمان الى سويداء قلبه . ؟

فلهذه الآية أثر بليغ فى النفوس المطمئنة بالايمان . كان أحمد بن سهل جارا لقاضى مصر بكار بن قتيبه ، فحدث أنه مر على بيت بكار فى أول الليل فسمعه يقرأ هذه الآية قال : ثم قمت فى السحر فسمعته يقرؤها ويرددها ، فلا عجب أن يكون بكار هذا من أعدل القضاة حكما

(١) المائدة : ٤٢ .

(٢) ص : ٢٦ .

وأشرفهم أمام أولى الأمر موقفا .

ومن الأحاديث الواردة فى الوعيد على الجور فى القضاء قوله — صلى الله عليه وسلم — : « من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين » . رواه أبو داود . ففى هذا الحديث تمثيل القاضى اذ يلاقى جزاءه فى الآخرة ، بأشد الناس عذابا فى هذه الحياة ، وهو المذبوح بغير سكين وهذا حال من يكون حظه من علم القضاء بخسا ، أو يكون خلق العفاف فى نفسه واهيا .

ويصح حمل الحديث على معنى الاشارة الى صعوبة القضاء ، حتى كأن القاضى من أجل ما يلاقيه فى تعرف الحق وتنفيذه من مكاره ومجاهدة للأهواء ، مذبوح بغير سكين ، وهو بعد هذا مشعر يسمو منزلة القضاء ، اذ كان القاضى العادل يضاهى القتيل فى سبيل الله بما انقطع عنه من شهوات وقاساه من آلام ، يبتغى أجر الله ، والله عنده أجر عظيم .

ومما جمع بين الوعد والوعيد قوله — صلى الله عليه وسلم — :

« القضاة ثلاثة : اثنان فى النار وواحد فى الجنة : رجل عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ،ورجل عرف الحق وجار فى الحكم فهو فى النار » أبو داود وصف هذا الحديث عاقبة من يقضى بالحق على بينة منه ، وهى المصير الى الجنة ، وآذن بعاقبة من يقضى على جهل أو جور ، وهى المصير الى النار ، ولا يتناول هذا الوعيد العالم بأصول الشريعة يجتهد رأيه فلا يصيب الحق ، ويقضى بما رأى ، قرأ الحسن البصرى قوله تعالى :

« وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا »(١)

وقال : لولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيت أن القضاة هلكوا ، فانه أثنى على هذا بعلمه ، وعذر هذا باجتهاده .

وصف الاسلام ما فى العدل من فوز ، وأعلن بما فى الحيف من شقاء ، وكان قضاؤه — صلى الله عليه وسلم — المثل الأعلى لصيانة الحقوق والتسوية بين الخصوم ، ويكفى شاهدا على هذا أنه — صلى الله عليه وسلم — أراد اقامة الحد على امرأة مخزومية سرقت . فخاطبت قريش أسامة ليكلم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى اسقاط الحد عنها فقال — صلوات الله عليه — : « أتشفع فى حد من حدود الله » ! ثم قام فخطب قال : « يأيها الناس انما ضل من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

رسم — عليه الصلاة والسلام — طريق العدل فى القضاء قيمة غير ذات عوج . وزادها بسيرته العملية وضوحا واستنارة ، فاستبانت لأصحابه فى أحلى مظهر ، فاقتدوا بهديها الحكيم وأروا الناس القضاء الذى يزن بالقسطاس المستقيم ، وانظر الى قول عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فى رسالته الى أبى موسى الأشعرى :

---

(١) الانبياء : ٧٨ ، ٧٩ .

(آس ــ أى سو بينهم ــ بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف منعدلك).

كان للاسلام وسيرة الذين أوتوا العلم من رجاله أثر فى اصلاح القضاء كبير ، ولا تشرق المحاكم بنور العدل الا أن يمسك زمامها رشيد العقل ، راسخ الايمان بيوم الفصل .

فتقوى الله تحمل القاضى على تحقيق النظر فى كل واقعة حتى يتعرف الحق ولا يأخذ بأول ما يلوح له من الفهم وان تيقن أن قضاءه نافذ ، وما لـه فى الرؤساء من معقب ، ومن أمراء الأندلس من كان يعـزل القاضى متى رأى منه السرعة فى فصل القضايا التى تستدعى بطبيعتها شيئا من التروى ، اذ يفهم من هذه السرعة عدم تحرجه من اثم الخطأ فى الحكم .

وتقوى الله هى التى تقف القاضى فى حدود العدل : لا يخرج عنها قيد أنملة فى حال . قيل للقاضى اسماعيل بن اسحاق المالكى : ألا تؤلف كتابا فى أدب القضاء ؟ فقال : « أعدل ومد رجليك فى مجلس القضاء ، وهـل للقضاء أدب غير الاسلام ! وفى سيرة أبى عبد الله محمد بن عيسى أحد قضاة قرطبة أنه التزم الصرامة فى تنفيذ الحقوق والحزامة فى اقامة الحدود ، والكشف عن البيان فى السر والصدع بالحق فى الجهر ، ولم يهب ذا حرمة ، ولا واهن ذا مرتبة، ولا أغضى لأحد من أرباب السلطان وأهله ، حتى تحاموا حدة جانبه ، فلم يجرأ أحد منهم عليه .

ونقرأ فى وصف ابراهيم بن أبى بكر الأجنادى أحد قضاة مصر أنه « كان لا يقبل رسالة ولا شفاعة ، بل يصدع بالحق ولايولى الا مستحقا » وامتحن عبد الله بن طالب ــ أحد قضاة القيروان ــ فكان يقول فى سجوده وهو فى السجن : « اللهم انك تعلم أنى ما حكمت بجور ، ولا آثرت عليك أحدا من خلقك ولاخفت منك لومة لائم » ووصف المؤرخون محمد بن عبد الله بن يحيى ــ أحد قضاة قرطبة ــ بأنه لم يداهن ذا قدرة ، ولا أغضى لأحد من أصحاب السلطان ، ولم يطمع شريف فى حيفه ، ولم ييأس وضيع من عدله ، ولم يكن الضعفاء قط أقوى قلوبا ولا ألسنة منهم فى آثامه ...

حقيقة ان الاسلام بنى القضاء على أسس محكمة ، ونظم صالحة ، وأخرج للناس قضاة سلكوا الى العدل فى الحكم والحزم فى التنفيذ مسلكا هو أقصى ما يستطيعه البشر ، وأرقى ما يجده الباحث فى القديم والجديد .

فاذا وفقت الدولة الاسلامية لأن تربى رجالا ممن وصفنا علما وجلالة أمكنها أن تحتفظ بروح العدل الذى لا يجرى الا على يد من تفقه فى كتاب الله وسنة رسوله . واهتدى بحكمتها الى أن الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار .

اعداد : عاطف زهران

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

تاج البيان لألفاظ القرآن (١)

للشيخ أحمد السحيمي

ان كثيرا من العلماء السابقين وهبوا حياتهم مشتغلين بخدمة العلم فكتبوا وألفوا وفاضت أقلامهم فى كل العلوم والفنون وجل مؤلفاتهم فى التفسير والحديث ، ومن أبرز علماء الأزهر الذين كتبوا فى علم التفسير الامام احمد ابن محمد بن على الحسينى القلعاوى القرشى المعروف بالسحيمى : فقيه مصرى من أعيان الشافعية وصلحائهم نسبته الى قلعة الجبل المتوفى سنة ١١٧٨ هـ سنة ١٧٦٥ م .

من كتبه « تاج البيان لألفاظ القرآن » الجزء الأول منه و « تفسير سورة الفجر » و « مناهج الكلام على آيات الصيام » و « العطايا الربانية » على المواهب اللدنية للقسطلانى ، خمس مجلدات ، و « الوضوح شرح النصوص » و « بستان الروح(٢) » وأضاف معجم المؤلفين حـ ٢ ص ١٣٠ أن من بين تصانيفه أيضا : « لباب الطالبين بشرح الأربعين » و « شرح رسالة الاستعارات » للعصام و « التذكرة الفاخرة فى أحوال الآخرة .

وقال عنه الجبرتى فى تاريخه جـ ١ ص ٢٦٩ : انه حضر دروس الأشياخ ولازم الشيخ عيسى البراوى وبه انتفع وتصدر للتدريس بجامع سيدى سارية ، وأحيا الله به تلك البقعة ، وانتفع به الناس جيلا بعد جيل وعمر بالقرب من منزله زاوية وحفر ساقية بذل عليها بعض الأمراء باشارته مالا حفيلا فنبع الماء وعد ذلك من كراماته فانهم كانوا قبل ذلك يتعبون من قلة الماء كثيرا ، وشغل الناس بالذكر والعلم والمراقبة وصنف التصانيف المفيدة فى علم التوحيد والفقه مقبولة بين أيدى الناس . منها حاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة وجعله متنا .

وشرحه مزجا . وهى غاية فى بابها وله حال مع الله وتؤثر عنه كرامات اعتنى بعض أصحابه بجمعها واشتهر بينهم أنه كان يعرف الاسم الأعظم . وبالجملة فلم يكن فى عصره من يدانيه فى الصلاح والخير وحسن السلوك على قدم السلف وتوفى ودفن بباب الوزير .

---

(١) الكتاب موجود بمكتبة الازهر تحت رقم خاص ٣٠٤ عام ٥٤١٦ فى علم التفسير .
(٢) الاعلام للزركلى حـ ١ ص ٢٣٠

بقلم الأستاذ محمد عميرة على مدير مكتبة الأزهر

وكتاب تاج البيان لألفاظ القرآن الذى نقدمه الى الباحثين فى هذا العدد لشيخنا أحمد السحيمى قال فى مقدمته :

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله الذى نزل الفرقان وفهم فيه من شاء حسن البيان والصلاة والسلام على سيدنا محمد ولد عدنان وعلى آله وأصحابه الذين بذلو نفوسهم فى هذا الشأن وبعد فيقول الفقير الى مولاه الغنى أحمد بن محمد السحيمى الأزهرى : قد ألهمنى الله أن أكتب تفسيرا على القرآن العظيم فأخذت فى ذلك ليكون تذكرة لى ولغيرى ونيلا لدرجات جنات النعيم وسميته « تاج البيان لألفاظ القرآن والله أسأل النفع العميم وأن يكون خالصا لوجهه الكريم .

وابتدأه بتفسير فاتحة الكتاب فقال : سميت بذلك لأن الله افتتحه بها والأصح أنها مكية (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**) هى آية من الفاتحة اتفاقا عندنا ومن كل سورة على الأصح الا براءة . وتكرارها فى السور كتكرار ماتكرر فى القرآن من سائر الكلمات وذهب فقهاء العربية والشام ومالك والأوزاعى الى أنها ليست من الفاتحة ولايجب اعتقاد أنها من الفاتحة ولا من غيرها ولا اعتقاد أنها قرآن والكلام فى غير البسملة التى هى أثناء سورة النمل . (**الْحَمْدُ لِلَّهِ**) أى الوصف بالجميل والله علم على ذاته تعالى (**رَبِّ**) أى مالك (**الْعَالَمِينَ**) أى المخلوقات وقيل عنى به الناس فان كل واحد منهم عالم من حيث أنه يشتمل على مافى العالم من الجواهر والاغراض . فكما أن فيه ماء ملحا وعذبا فكذا فى الانسان . فالمالح فى عينه والعذب فى فيه (**الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**) مغنى الأول المنعم بعظيم النعم والثانى المنعم بدقيقها (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) المالك المتصرف فى الأعيان المملوكة كيف شاء من الملك بكسر الميم ، والملك المتصرف بالأمر والنهى فى المأمورين من الملك بالضم . وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه واما لتضرعه تعالى بنفوذ الأمر فيه . والدين الجزاء . وهذا اليوم يوم القيامة . والمعنى مالك الأمر كله فى يوم القيامة أى هو موصوف بذلك (وأما **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) أى يامن هو موصوف بهذه الأوصاف نخصك بالعبادة والاستعانة ومن عادة العرب العدول من أسلوب الى آخر تنشيطا للسامع (وأيا) ضمير منفصل وما يلحقه من الباء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لهما من الاعراب والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل والاستعانة طلب المعونة وهى الامداد والتقوية والمراد طلبها فى المهمات كلها أو فى أداء العبادات . وقدم المفعول للتعظيم والدلالة على الحصر والتنبيه على أن

العابد ينبغى أن يكون نظره الى المعبود أولا بالذات ومنه الى العبادة لا من حيث أنها عبادة صدرت عنه بل من حيث أنها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق • وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رءوس الآى وتنبيها على أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى الى الاجابة واشـــارة الى أن العبـــادة لا تتم الا بمعونتهوتوفيقه (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) الهداية ولغة الامالة يقال هداه الى كذا أى أماله اليه ، وفى اصطلاح أهل السنة الدلالة على ما يوصل الى المطلوب وصل اليه بالفعل أولا وفى اصطلاح أهل الاعتزال : الدلالة الموصلة الى المطلوب • وأصل الصراط الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه والمراد به طريق الحـــق والمستقيم المستوى الذى لا يميل سالكه الى الخطأ وقيل الثابت بالبراهين •

والمطلوب اما زيادة ما أعطوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المترتبة عليـــه فاذا قاله العارف أراد به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتسقط غواشى أبداننا لنستغنى بنور قدسك فنرى بنورك ، وهذا بيانللمعونةالمطلوبة كأنه قالكيف أعينكم؟ فقالوا اهدنا أو افرادلما هو المقصود الاعظم • (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) هذا الصراط بدل من الاول بدل كل من كل لأنهما لعين واحدة وفائدة توكيد النسبة وتقريرها وهو كالبيان للذى قبله وكأنه قال من البين أن الطـــريق المستقيم هو طريق المؤمنين وقيل المنعم عليهم الانبياء وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهمـا الصلاة والسلام قبل التحريف والنســـخ ، والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل الحالة التى يستلزها الانسان والمعنى طريق الذين تبت عليهم بغفران ما فرط منهم وبالرضا عنهم وبتوبتهم فى أعلا عليين مع الملائكـــة المقربين أبد الآبدين •

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) بمعنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال أو جمعوا بين النعمة المطلقـــة وهى الايمان وبين نعمةالسلامة منالغضب والضلال وقيل ان غير نكرة لا تتعرف بالاضافة ، وأجيب بأن الموصول مستثنى من المعارف لأنه يشبه النكرة من حيث ابهامه فصح وصفة بالنكرة ، ويصح أن يكون بدلا من الذين ، والغضـــب ثوران النفس لارادة الانتقام فاذا أسند الى الله تعالى أريد به غايته ، قال الكوفيون (لا) فى قوله ولا الضالين بمعنى غير ، والضلال فى الاصل الغيبوبة والهلاك يقال ضل المـــاء فى اللبن اذا غاب فيه وهلك ، وعرف العدول عن الطريق السوى عمدا أو خطأ • (والمغضوب عليهم) قيل اليهود ، والضـــالون والنصارى واستوجه البيضاوى أن المغضـــوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لأن المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ، فكان المقابل له من اختل اجـــدى قوتيه العاقلة والعاملة • والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقـوله تعالى فى القـاتل عمدا (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ (١)) والمخـل بعلـم جاهل ضال لقوله تعالى : (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ (٢)) • (آمين) هذه ليســت من

(١) الآية (٩٣) سورة النساء
(٢) الآية (٣٢) سورة يونس

القرآن اتفاقا ، ولكن يبين ختم السورة بها ومعناها استجب .

ونهج المصنف رحمه الله هذا المنهج الجميل بأسلوب سهل جذل دون تعقيد أو اغفاء حتى انتهى من الجزء الاول عند قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (١) ﴾ أى عملوا بما فيها من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم ﴾ من الكتب المنزلة ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ ككتاب أرميا وزبور داود لأنهم مكلفون بجميعها فكأنها انزلت اليهم وقيل المراد القرآن ﴿ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ أى لوسع عليهم الرزق وأفيض من كل جهة وأدخلوا الجنة فيجنوا ثمارها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت أرجلهم ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ ﴾ أى جماعة مقتصدة أى عادلة غير غالبة ولا مقصرة وهم عبد الله ابن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى آمنوا بالنبى — صلى الله عليه وسلم — ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ أى من أهل الكتاب الذين أقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود . ﴿ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ أى بئس ﴿ مـا ﴾ أى شيئا ﴿ يعملون ﴾ ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبى — صلى الله عليه وسلم — وفيه معنى التعجب أى كثير منهم ما أسوأ عملهم ، وروى مسروق عن عائشة أنها قالت « من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل الله فقد كذب » ثم قرأت (٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ خطاب لنبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — ﴿ بَلِّغْ ﴾ جميع ﴿ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أى لا تكتم منه شيئا خوفا أن تنال بمكروه ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ ﴾ أى وان لم تبلغ جميع ما أنزل اليك ﴿ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ أى تكون كمن لم يبلغ شيئا مما أوحى اليه . من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشفاعة واستجلاب العقاب ، ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ أى يحفظك ويمنعك من الكفار وكان يحرس ليلا حتى نزلت هذه الآية فقال انصرفوا فقد عصمنى الله ، فان قلت أليس قد شج وجهه وكسرت رباعيته يوم أحد وأوذى بضروب من الاذى أجيب بأن معناه يعصمك من القتل فلا يصلون الى قتلك وفى هذا تنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلايا فما أشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقيل نزلت هذه الآية بعد ما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن .

ويوجد بمكتبة الازهر من هذا الكتاب الجزء الاول فقط من نسخة فى مجلد بقلم معتاد بخط المؤلف ، بهامشه : تغييرات وبه نقص وعدد أوراقه ١٦٦ ورقة وصفحاته مختلفة السطور ، ويغلب على الظن بأن هذا الكتاب من الكتب النادرة بالأزهر وليس له نظير فى مكتبات القاهرة

ويسر مكتبه الأزهر الشريف أن تقدم للقراء تعريفا عن مخطوطاتها النادرة التى تغيب كثيرا عن أذهان الباحثين أو ربما يعرفونها ولكن لا يعرفون أين مستقرها ، وقصدنا من ذلك انارة الطريق وتوضيح السبيل لأهل الفكر والبحث والله ولى التوفيق .

محمد عميرة على

مدير مكتبة الأزهر

(١) الآية رقم (٦٦) سورة المائدة

(٢) الآية (٦٧) سورة المائدة

طرائف

قالوا

* حسبك خيانة أن تكون أمينا للخونة.
* كل عز لم يؤيد بعلم فالى ذل يصير .
* العلم وطن فى الغربة ، والجهل غربة فى الوطن .
* جهل المشير هلاك المستشير .
* ظن العاقل أصح من يقين الجاهل .
* كل علم لا يؤيده عقل مضلة ، وكل عز لا يؤيده دين مذلة .

نصيحة

ليس كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال جاء أوانه ، ولا كل ما جاء أوانه ، حضر أهله .

حقاً

ورزقك ليس ينقصه التأنى
وليس يزيد فى الرزق العناء
اذا ما كنت ذا قلب قنوع
فأنت وما لك الدنيا سواء

وصية

قال رجل للامام مالك بن أنس – رضى الله عنه – أوصنى . !

قال : اذا هممت بأمر من طاعة الله ، فلا تحسبه (١) حتى تمضيه فانك لا تأمن الأحداث .

فاذا هممت بغير ذلك ، فان استطعت أن تؤخره لحظة فافعل لعل الله يحدث لك تركه .

ولا تستحى اذا دعيت لأمر ليس بحق أن تقول :

قال الله – تعالى – فى كتابه « **وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ** » .

وطهر ثيابك ونقها من معاصى الله .

وعليك بمعالى الأمور وكرائمها ، واتق رذائلها وما يسفسف منها ، فان الله يحب معالى الأخلاق ، ويكره سفاسفها .

وأكثر تلاوة القرآن واجتهد أن لا تأتى عليك ساعة من ليل أو نهار الا ولسانك رطب من ذكر الله ، ولا تمكن الناس من نفسك واذهب حيث شئت .

---

(١) نحسب اللفظ تحبسه لا تحسبه . والله أعلم .

ومواقف

إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

هل تعلم ؟

* أن أول من هاجر الى المدينة أبو سلمة ابن عبد الله وفيه نزل قول الله تعالى — : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ » الآيات وهو أول من يؤتى كتابه بيمينه من الأمة يوم القيامة .

* وأن أول من هاجر من الأنبياء بدينه ابراهيم الخليل — عليه السلام — وهو ابن خمس وستين سنة أو سبعين

قالوا : لكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان . وهو قدوة المهاجرين هاجر من كوثى بقرب الكوفة الى حوران، ثم هاجر منها الى فلسطين.

* وأن أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة بالمدينة عبد الله بن الزبير — رضى الله عنهما — وأن أول مولود فى الاسلام بعد الهجرة نعمان بن بشير .

* وأن أول من هاجر بأهله فى أوائل الاسلام الى الحبشة عثمان بن عفان — رضى الله عنه — . عن الأوائل » .

أربعة من المؤذنين

كان لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربعة من المؤذنين بلال بن رباح وهو أول من أذن فى الاسلام مات بدمشق سنة عشرين .

وابن أم مكتوم واسمه عمرو عند الأكثرين وكان يؤذن بالمدينة .

وسعد بن العائذ ، وكان مولى عمار بن ياسر وأبو محذوره وقيل : اسمه سليمان وقيل اسمه جابر وقيل سمرة بن معير .

دعاء

ياحى ياقيوم
يا بديع السموات والأرض
ياذا الجلال والاكرام
لا اله الا أنت
برحمتك أستغيث
أصلح لى شانى كله ، ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ، ولا الى أحد من خلقك ،أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك . لا أحصى ثناء عليك . أنت كما أثنيت على نفسك .

■ شعر حافظ إبراهيم بين الأصالة والتجديد

فى الأدب والنقد

■ أسلوب البحث فى علم النفس

■ وسائل الإعلام فى المجتمع الإسلامى

شعر حافظ ابراهيم بين الأصالة والتجديد

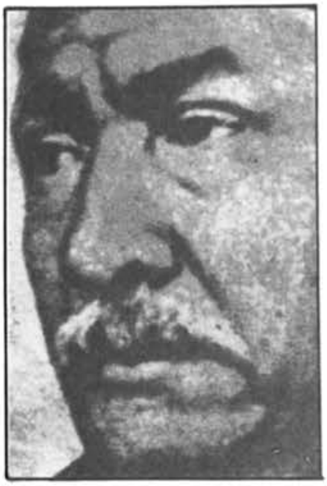

للدكتور طه عبد الرحيم عبد البر

كان حافظ رحمه الله فى الطليعة من شعراء عصره الذى كان حافلا بكوكبة من أعلام الشعر والادب ممن كان لهم فضل ارساء دعائم نهضتنا الادبية الحديثة .

وقد اقترنت حياة حافظ ابراهيم ببداية النهضة . وكان شعره تعبيرا عنها ومظهرا من مظاهرها . كما تعاونت الاحداث المختلفة فى صهر شاعريته فصار له نهجه الخاص الذى عرفه النقاد له .

وقد عالج فى شعره كثيرا من الموضوعات التى عالجها القدماء من مديح ورثاء وفخر وهجاء ووصف وعتاب . وأضاف الى ذلك موضوعين جديدين هما :

١ ــ السياسة بما فيها الوطنيات .

٢ ــ الاجتماعيات .

وهو فى الموضوعات الاولى يكاد يقترب من ذوق القدماء اقترابا شديدا . أما الهجاء والفخر والغزل . فهو فيها جميعا دون المستوى . وكأنه كان يريد أن يحاكى القدماء . فلم يأت بشعر طريف يذكر له .

مديح حافظ أدنى من شوقى :

وأما المديح . فكان يريد أن يبارى فيه شوقى فى القربى الى ذوى الجاه والسلطان . لكنه لم يكن له فيه أثر ذو بال ، ذلك لأن شوقى كان متصلا بالقصر . وارضاء القصر عنده غاية وأمل . فكان ينظم الشعر ليسجل فيه مناقب

شعر حافظ إبراهيم بين الأصالة والتجديد

الذين يتصل بهم من الحكام والملوك • فكان مدحه الذى عرفناه له أعلى درجة من مديح حافظ •

رثاء حافظ متين :

وأما الرثاء فكان لحافظ فيه قدم ثابتة • لأن طبيعة الرثاء تتصل بالبكاء والحزن والألم • وهو ما يتفق مع مسيرة حياته التى عانى فى أكثرها ما عانى من القسوة والحرمان واضطراب الأحوال مما كان له أقوى الاثر فى نفسه وفى ارهاف حسه • وفى قوة عاطفته • ولذلك كان شعره فى الرثاء مؤثرا غاية للتأثير • ويبدو ذلك واضحا فى رثائه للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده • وزعيم مصر الشاب « مصطفى كامل » •

وفى رثائه لاستاذه الامام يقول :

سلام على الاسلام بعد محمد
سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجا
على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله
فاصبحت أخشى أن تطول حياتى
فوا لهفى والقبر بينى وبينه
على نظرة من تلكم النظرات
وقفت عليه حاسرا الرأس خاشعا
كانى حيال القبر فى عرفات

وفى رثائه للزعيم مصطفى كامل يقول :

أيا قبر هذا الضيف آمال أمة
فكبر وهلل والق ضيفك جاثيا
عزيز علينا أن نرى فيك مصطفى
شهيد العلا فى زهرة العمر ذاويا

والمعانى التى طرقها الشاعر فى هذه الابيات مألوفة شائقة • ليس فيها غرابة أو ابتكار • ولكننا نلحظ فيها من الجزالة والرصانة ما عرفناه فى شعر حافظ كله أو معظمه •

وطنيات حافظ :

أما شعره فى الوطنيات والاجتماعيات فكان غاية فى للجودة والاتقان وقصيدته « مصر تتحدث عن نفسها » قلادة باهرة من قلائد شعره • وهى من أروع ما نظم الشعراء فى عصرنا •

وقد كان مجد مصر التليد مصدر الهام لكثير من شعراء عصر النهضة • ومن ذلك النبع السخى استمد حافظ ابراهيم الهامه وهو يوقع لحن المجد بنغم شعرى مؤثر • ونلمح فى هذه القصيدة روح حافظ • وعاطفته نحو وطنه • وفيها يقول على لسان مصر :

أى شعب أحق منى بعيش
وارف الظل أخضر اللون رغد
فردوا بى مناهل العز حتى
يخطب النجم فى المجرة ودى
وارفعوا دولتى على العلم والاخلاق
فالعلم وحده ليس يجدى

الى أن يقول :

ان فى الغرب أعينا راصدات
كحلتها الاطماع فيكم بسهد
فاتقوها بجنة من وئام
غير رث العرا وسعى وكد

نحن نجتـــاز موقفـــا تعثر الآراء
فيـــه وعثــرة الرأى تـــردى
فقفوا فيه وقفــة الحــزم وارمـــوا
جانبيـــه بعـــزمة المســـتعد
واستبينوا قصـــد السبيل وجـدوا
فالمعـــالى مخطـوبة للمجـــد

والقصيدة تدل دلالة قـوية على صـناعته الشعرية الرائعة • ونسجه القوى وديباجته الاخاذة • وقد عرف له النقاد المحدثون ذلك • وأحب الشعراء والأدباء ديباجته القوية التى تتمثل فى جزالة لفظه• ومتانة أسلوبه والمحافظة على عمودية القصيدة وصياغتها القديمة • حتى ان شوقى نوه فى بعض قصائده بشعر حافظ وشاعريته رغم المنافسة التقليدية التى كانت قائمة بينهما • ومن ذلك قوله :

مازلت تهتف بالقـــديم وفضـــله
حتى حميت أمـــانة القـــدماء
جـــددت أســـلوب الوليـد ولفظه
وأتيت للـــدنيا بسـحر الطـــائى

وكان حافظ يعجب بالبارودى واسـماعيل صبرى • ويرى للبارودى فضل التقدم والسبق كما كان يحب بلاغة القدماء • ويتمسك بها ومع هذا فقد كان يدعو للجديد وينادى به ويبدو ذلك واضحا فى قوله :

آن يا شـــعر أن تفك قيـــودا
قيـــدتنا بهـــا دعـاة المحـــال
فارفعـــوا هـــذه الكمائم عنـــا
ودعونـــا نشـــم ريح الشـمال

وحين أراد حافظ التجديد لم يرده فى البيان والاسلوب • ولا فى القوافى والاوزان • ولا فى البلاغة والشكل • انما أراده تجديدا فى المضمون فى موضوعات **الشعر وأغراضه • فنظمـــه فى أغراض جديدة جعلها محور قصائده كالشعر الاجتماعى • والشعر السياسى والوطنى •**

وجمهرة أشعاره التى نظمها خلال الفترة من عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٣٢ ميلادية حيث كانت خاتمة مطافه • تحوى قدرا كبيرا من هذين اللونين من الشعر •

وقد صحب الشاعر تاريخ مصر فى هـــذه الحقبة • وتتبع أحداثها • يذوق حلوها ومرها • ويبلو خيرها وشرها • ينضح عنها فى شعره • ويشيد بها • ويحفز أمته الى دفع الضيم • وطلب العزة • ويضرب لهم الامثال ويعرض عليهم من التاريخ المثلات • هم مصر يهمـــه وينصبه • وحبها يؤرقه ويعذبه •وتمثل قصيدته التالية هذا المعنى :

لعمـــرك مـــا أرقت لغـــير مصر
ومالى دونهـــا أمـــل يـــرام
ذكـــرت جلالهـــا أيـــام كانت
تصـــول بهـــا الفراعنة العظـــام
وأيام الرجـــال بهـــا رجـــال
وأيـــام الزمـــان لهـــا غـــلام
فاقلق مضـــجعى ما بات فيهـــا
وباتت مصر فيـــه • فهـــل ألام ؟

اذا مامر بالبأساء عام
أطل عليه بالبأساء عام

الى أن يقول :

هلاك الفرد منشؤه توان
وموت الشعب منشؤه انقسام
وانا قد ونينا وانقسمنا
فلا سعى هناك ولا وئام
فساء مقامنا فى أرض مصر
وطاب لغيرنا فيها المقام
فلا عجب اذ ملكت علينا
مذاهبنا واكثرنا نيام

القصائد السياسية :

فأما قصائده التى أنشأها فى حادثات سياسية أو ذكرى حادثات أو أنشدت فى محافل سياسية . فالامر فيها بين . ففى حادثة دنشواى مثلا يسفر الاحتلال عن وجهه . ويفقد الانجليز آدميتهم . فترسل المشانق من القاهرة الى دنشواى . ويشنق المتهمون جهارا فى وضح النهار . وعلى مرأى ومسمع من ذويهم . ويهتز الشعب . ويهتز معه شعراؤه . ويندد حافظ بالانجليز . ويصف الحادثة وفظائعها فى أسلوب لاذع . وتهكم مر فيقول :

ليت شعرى أتلك محكمة « التفتيش »
عادت أم عهد نيرون عادا
كيف يحلو من القوى التشفى
من ضعيف ألقى اليه القيادا
انها مثلة تشف عن الغيظ
ولسنا لغيظكم أندادا

ومن سياسات حافظ قصيدته التى أنشدها فى ١٥ مارس عام ١٩٢٣ بمناسبة عيد الاستقلال . وجعل عنوانها : بين اليقظة والمنام والتى يقول فيها :

قم يا ابن مصر فانت حر واستعد
مجد الجدود ولا تعد لمزاح
شمر وكافح فى الحياة فهذه
دنياك دار تناحر وكفاح
واذا ألح عليك خطب لاتهن
واضرب على الالحاح بالالحاح
وخض الحياة وان تلاطم موجها
خوض البحار رياضة السباح

ولنستمع اليه يدعو شعوب الشرق الى التنبه لدسائس الغرب ومؤامراته وينادى بتوكيد الاخاء . وتوطيد المحبة بين أقطار الامة العربية حتى تتهيأ لها من وحدتها قوة غلابة . وتعيد عظمتها التاريخية على مسرح الوجود وتسترد عزتها الغابرة وسؤددها التليد .

متى أرى الشرق أدناه وأبعده
من مطمح الغرب فيه غير وسنان
تجرى المودة فى اعراقه طلقا
كجرية الماء فى أثناء أفنان

وحافظ فى هذا الشعر السياسى الوطنى يعد مبتكرا لصورة جديدة فى شعرنا العربى لم يكن القدماء من شعرائنا يألفونها .

شعره الاجتماعى :

وبجانب هذا الشعر الوطنى نرى له شعرا

اجتماعيا يصورفيه آلام الامة وآمالها • ويعرب عن حبه لأمته وكلفه بها • فهو يحثها على طلب العلم وبلوغ الغاية فيه • ويدعو أبناء الشعب لانشاء جامعة مصرية فى قصائد متعددة من ذلك قوله فى قصيدة له أنشأها عام ١٩٠٨ يقول فيها:

حياكم الله • أحيــــوا العلم والأدبا
ان تنشروا العلم ينشر فيكم العربــــا
ولا حيـــاة لـــكم الا بجامعـــــة
تكـــون أما لطلاب العـــلا وأبــــا
تبنى الرجـــال وتبنى كل شـــاهقة
من المعالى وتبنى العـــز والغلبــــا
وابنوا باكبـــادكم ســورا لها ودعوا
قبل العـــدو فانى أعــرف الســـببا

والسبب هو ما ردده المستعمر الانجليزى من أن المصريين فى حاجـــة الى كتاتيب منهم الى جامعـــة •

وفى حفل مدرسة البنات ببور سعيد فى ٢٩ مايو عام ١٩١٠ أنشد حافظ قصـــيدته التى مطلعها :

كم ذا يكـــابد عاشـــق ويلاقى
فى حب مصر كثـــيرة العشــــاق
انى لأحمـــل فى هـــواك صبابة
يا مصر قـــد خرجت عن الاطـــواق

ويشيد بالاخلاق الفاضلة • ويراها دعامة من دعائم العلم وذلك فى قوله :

والعلم ان لم تكتنفــه شـــمائل
تعليـــه كان مطيـــة الاخفــاق

لا تحســـبن العلم ينفـــع وحده
مـــا لم يتوج ربـــه بخــــلاق

ثم يوصى بتربية النساء • مبينا مكانة الام فى المجتمع • وأثرها فى رقيه ونهضته اذا أخذت حظها من العلم والمعرفة •

من لى بتربية النســـاء فانهــا
فى الشرق علـــة ذلك الاخفــــاق
الأم مدرســـــة اذا أعددتهــــا
أعــــددت شـــعبا طيب الاعــراق

وحين يتحدث عن حضارة الغرب وتقـــدم مواطنيه فى شتى العلوم والفنون نراه يتمنى أن تبلغ مصر شأوهم • ويدعو أمتــــه الى الاحتذاء بهم • ولا يشيد شاعرنا بمأثرة أو منقبة أو مفخرة فى الغــرب الا دعـــا أمته الى مثلها ومن ذلك قصيدته التى ألقاها فى حفـــل عام أقيم بكلية البنات الامريكية بالقاهـــــرة يقول فيه :

ليت شــــــعرى متى أرى أرض مصر
فى حمى اللـــــه تنبت الابطــــالا

وأرى أهلهـــا بيارونكم علمـــا
ووثبـــا الى العـــلا ونضـــالا
قد نفضنـــا عنا الكرى وابتـــدرنا
فرص العيش وانتقلنـــا انتقـــالا

وقصائد أخر ، تشهد بدعوة شاعرنا أمته الى حفز الهمم ، والاخذ بوسائل المعرفة ، والسعى الى مدارج الكمال والرقى .

واقرأ معى قصائده فى حفلات الجمعيـــة الخيرية الاسلامية ، وملجأ الحرية وجمعيـــة الطفل ، وجمعية اعانة العميان ، ليتضـــح لك كيف امتزج شاعرنا امتزاجا قويا بحياة الشعب بجميع طبقاته .

وحافظ ابراهيم فى هذا اللون من الشـــعر الاجتماعى سابق لشعراء عصره فقد استطاع أن يعيش أحداث عصره ، ويعبر عنها فى صدق ، وان يكون شعره صوت الجماهير ، ولســـان الشعب ، وضمير الامة ، ووجدان أبناء مصر جميعا .

ولـــم تتهيأ لحافظ ابراهيم ثقافة واســـعة عميقة ، ولا اتصال قوى بالآداب الاجنبية ، فكان شعره فيض طبعه وموهبته ، ولهذا كانت معانيه محدودة ، وخياله قريبا ، وقد وجه عناية الى تخير ألفاظه ، وصقل عباراته ، فجاء شعره صافى الاسلوب ، مشرق الديباجة ، مـــع احتفاظه الكامل بعمود الشعر كما عرفه القدامى من بساطة المعانى ووضوحها وقربها ، وسهولة الاسلوب وعذوبته ومن ثم كانت معانيه أقرب تمثيلا لروح الشعب ، وأكثر صلة بوجـــدان الجماهير .

ولم ينتظم حافظ ابراهيم فى سلك الدراسة النظامية فترة طويلة من عمره فلم تطل اقامته فى المدارس الثانوية ، ولم يتخرج فى جامعة ، وهو يتفق فى ذلك مع معاصريه الرافعى والعقاد ، وقـــد أفادوا جميعا من الامـــام محمـــد عبده ومدرسته فائدة كبـــيرة ، لكنهم يختلفون فى أن حافظ ابراهيم كانت هوايته الشعر ، فالشـــعر عنده فى المكانة الاولى وقد اتخذ من البارودى قدوة ومثلا ، يصدر عن مذهبه فى الشعر وهـــو مذهب القدامى من أمثال بشار بن برد وأبـــى العتاهية وغيرهما ، ويؤثر فى شعره جزالة اللفظ وروعة الاسلوب .

أما العقاد ، فقراءته للشعر الغربى الرومانسى أثرت فى شعره وفى أدبه عامة تأثيرا كبيرا ، فجنحت به الى الخيال البعيد ، والصور غير المألوفة .

وأما الرافعى فقد كان مذهبه فى الشعر يميل فى أغلب الامر الى المذهب الانـــدلسى الذى يميل الى الصور والاخيلة والرمز ، وأثر ذلك فى نثره تأثيرا كبيرا ، فكان نثره صورة فنية كأنها لوحات مرسومة وأخيلته غريبة وغـــير مألوفة كأنها أخيلة جديدة محضة ، وبذلك خالف أسلوبه أسلوب حافظ فى الشعر .

ويرى بعض النقاد أن حـــافظا صمت عن الشعر منذ أن نال منصبا فى دار الكتب المصرية عام ١٩١١ ، وهذه دعوى يعوزها الدليل ، وينقضها الواقع فان أريد أنه صمت عن شعر السياسة والوطنية فقد كان ذلك الى أجـــل محدود ، ففى عام ١٩١٩ اشـــتعلت الثورة

المصرية . وهبت مصر عن بكرة أبيها غاضبة لحقها المغصوب . واستقلالها المسلوب . وثارت مشاعر الرجل لانتفاضة أمته . فكانت لـــه قصائد تعرب عن فرحته وسروره . وتنم عن وطنيته وحماسته . وان أريد أنه صـــمت عن ضروب الشعر عامة . فما يقول هذا الا من فاته أن يقرأ ديوان حافظ . ويتعرف تاريخ القصائد فيه .

وهو فى شعره الوطنى والاجتماعى — رغم أن بعض موضوعاته ليس مجالا فسيحا للشعر — لم يقصر فى ادراك المعانى . وصوغ الكلام المبين عنهــا الملائم لها . وان يكن فى بعض المعانى ابتذال وفى بعض الألفاظ نبـــو . وفى بعض العبارات قلق . فهو القليل النادر الذى لا يخل بالكثير الغالب . وهو فى رأينا الوهن الذى يعرض للقوى . والفتور الذى يطرأ على المجد . والكبوة يكبوها الجواد .

وهو فى جملة شعره جــزل الالفاظ . رصين السبك . واف بحق الوزن والقافية مع قرب المعنى ودنو الخيال . ولستمع معى الى قولــه وهو يتحدث عن الاثر الذى تركته حـــادثة دنشواى فى نفوس ابناء قومه . وكيف أنهـــا هزتهم هزا عنيفا . وأيقظتهم من سباتهم فهبوا يدفعون عن أنفسهم الظلم والبغى . ويغضبون لعزتهم وكرامتهم . وبهذه العبرة خرج من محنة دنشواى :

قتيل الشــــمس أورثنا حيـــــاة
وأيقظ هاجـــع القــــوم الرقـــود

فليت كرومــرا قـــــد دام فينـــــا
يطوق بالســــــلاسل كل جيـــــــد
ويتحف مصر آنــــــا بعـــــد آن
بمجلـــود ومقتـــول شـــــهيد
لننزع هـــــذه الاكفـــــان عنـــا
ونبعث فى العـــــوالم من جـــــديد

لقد قرأ شاعرنا كثيرا . واستوعب الكثير . واستطاعت شاعريته من خلال هضمه وتمثله لما قرأ استيعاب تقاليد الشــــعر العـــربى الكلاسيكى . وبدا ذلك واضحا من خــــلال حرصه على عمود الشعر العربى حرصا شديدا . ومن خلال الخصائص التى تميز بها فنه الشعرى والتى سبق أن ذكرناها .

وهذه الخصائص تؤكد فى عمق انتســــابه للمدرسة الكلاسيكية وهى نفسها التى أتاحت له موضعه المتميز كشاعر للشعب . وشــــاعر للاجتماعيات وكأن رسالته الشعرية وجـــدت

شعر حافظ إبراهيم بين الأصالة والتجديد

قوالبها الجديرة بها من خلال هـذه القيم والخصائص •

ويقول عنه أحمد أمين : « كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناصبهم • فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية • ويصوغها القادة وأولو الرأى أفكارا ينادون بها فى مجالسهم ومجتمعاتهم • ويصوغها حافظ شعرا يغذى نفوس الشباب • ويلهب شعور من سمعه •

ثم يذكر الاستاذ أحمد أمين أن طلبة المدارس الثانوية والعالية كانوا ينحازون الى معسكرين : قسم يتعصب لحافظ ويفضله على شوقى • وقسم يتعصب لشوقى ويفضله على حافظ •

فمن فضل حافظا كان يفضله لان شعره غذاء قلبه • وغذاء وطنيته • ومن فضل شوقى فضله لفنه وخياله • فشبيبة الوطنية امامهم حافظ • وشبيبة الفن امامهم شوقى •

أما طه حسين • فقد ذكر أنهما أشعر أهل الشرق العربى منذ مات المتنبى وأبو العلاء من غير شك •

ويتحدث عنه مطران قائلا : كان حافظ يطرق الموضوع فى الغالب من جوهره • وربما نظم أكثر الابيات قبل المطلع شأن الصانع القدير الذى يبدأ بأصعب ما بين يديه •

وهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الادب العربى فى الشرق العربى لهذا العصر • ولكل من تلك النجوم أثره الخالد • أما شعره فشعر البيان • وان من البيان لسحرا •

ويقول عنه المازنى : « نقدت شعر حافظ نقدا كله سخر وتهكم • أو قلة عقل لانه صار فى رأيى ممثلا لمذهب قديم يجب هدمه • ومضت سنوات وأخرجت أنا والعقاد جزءين من كتاب « الديوان » فى النقد والتعريف بالمذهب الجديد فى الأدب • وكنا نلتقى بحافظ من حين الى حين ونتحدث فى هذا المذهب الجديد • وأن الأدب فرع من شجرة الحياة • وأن التقليد يفسده • وأن الأديب يجب أن ينظر بعينه ويفكر بعقله • ويحس بقلبه • فيوافقنا حافظ » •

ولعلك ترى معى بعد هذه الدراسة لشعر حافظ أنه كان شاعرا مطبوعا يمتاز بقوة العاطفة • ورهافة الشعور • ودقة الاحساس وهو بكل المقاييس الادبية والنقدية يعتبر واحدا من أبرز شعراء مصر فى العصر الحديث وقد جمع فى شعره بين الاصالة والتجديد • وأضاف الى تراثنا الادبى ثروة شعرية تخلد على مر الزمان ••

دكتور : طه عبد الرحيم عبد البر

أسلوب البحث في علم النفس

للدكتور عبد الله عبد الحي موسى

يمكن أن نتعلم بعض الأمور حول الطريقة التي يفكر بها الناس ويسلكون، من خلال اطلاعنا على اللوحات الفنية ومطالعات الأدب • ويمكن ادراك الطبيعة البشرية من خلال التأمل الباطنى • ولكن يلاحظ أن الغالبية العظمى من علماء النفس يتفقون على أن الطرق العلمية هى، أنجح الوسائل فى التوصل الى معلومات كاملة، ومنظمة، ودقيقة حول السلوك والوظائف العقلية •

وسوف ألقى الضوء، فى هذا المقال، على الطريقة العلمية من حيث أهدافها، ومبادؤها، وأساليب البحث فيها • ولن ينصب وصفنا للعلم على التفاصيل اليومية، ولكن علينا أن نتذكر أن علماء النفس يتعرضون لمشاكل عويصةخلال عملية البحث، حالهم فى هذا حال غيرهم من العلماء، اذ أنهم ما ان يبدءوا فى عملية البحث حتى (ينبغى عليهم أحيانا أن) يتوقفوا، ليحاولوا الكرة من جديد : فيخطئون، ويصيبون وهكذا •

ان علماء النفس — فى واقع الأمر — لا يقومون عادة بالبحث بالطريقة التى يقول بها مؤلفو الكتب، أو الذين يكتبون فصولا حول البحث • وعلينا أن ننبه، فى بداية الأمر الى أن العلم فى ذاته (عملية) لا تتسم بالوضوح التام، والسهولة • ان التقدم العلمى، غالبا مايتم احرازه، من خلال الانتفاع من المفاهيم الخاطئة، والأخطاء، والغموض، والصدفة • ففى أواخر الخمسينيات، اكتشف « لويس توماس » Lewis Thomas — وهو باحث طبى مشهور — دون قصد الطريقة التى يؤثر بها « أنزيم » enzyme « البابين » papain فى نسيج « قرقوشة » cartilage أذن الأرنب، وقد وضح « توماس » — من خلال النجاح الذى حققه — كيف أن العلماء، ومنهم

←

أسلوب البحث في علم النفس

علماء النفس ، كثيرا ما يتصارعون مع المشاكل.

أهداف البحث النفسى :

يستهدف علماء النفس تحقيق أربعة أهداف رئيسية هى :الوصف ـ التفسير ـ التنبؤ ـ التحكم .

الوصف :

الوصف هدف أساسى لكافة أنواع العلوم . فعلماء النفس يقومون بجمع الحقائق حول السلوك والوظائف العقلية لرسم صورة دقيقة ومتماسكة لهذه الظواهر ، كما يحاول هؤلاء العلماء ملاحظة أوقياس تلك الظواهر بصفة مباشرة كلما أمكن ذلك . واذا استحال أو صعب تحقيق الملاحظة المباشرة ، فانهم يعتمدون على الاختبارات ، والمقابلات ، والاستخبارات وغيرها من الطرق غير المباشرة التى تتسم بقدر أقل من الدقة .

فاذا أخذنا ـ على سبيل المثال ـ ظاهرة **(السلوك العدوانى)** ، فان علماء النفس بامكانهم ملاحظة السلوك العدوانى والتخريبى لدى الأطفال فى سن ثلاث سنوات بطريقة مباشرة فى روضة أطفال ، أما اذا حاول علماء النفس معرفة المزيد عن **(الزوجات العدوانيات)** فانه قد يتحتم عليهم اللجوء الى اجراء مقابلات ، أواستخدام الاستخبارات .

ولاشك أن مقاييس التقرير الذاتى مثل المقابلات ، والاستخبارات قد استخدمت لحل مشاكل قاسية .

التفسير :

وعندما يتم الانتهاء من وصف ظاهرة معينة ، وصفا دقيقا ، فان علماء النفس عادة ما يحاولون تفسيرها . ويتكون التفسير من وضع شبكة من العلاقات بين الأسباب والمسببات . وعندئذ نقول ان الظاهرة قد فهمت ، لأن كشف العلاقات والفهم شىء واحد . تفهم الظاهرة معناه أن نجد علاقة تربط بينا وبين ظواهر أخرى أما اذا لم نجد أى علاقة لها بأى ظاهرة كانت ، فانها تظل غامضة غير مفهومة .

ويجب أن نفرق بين الفهم وبين مجرد الوصف ، الوصف مهما دق لا يؤدى الى ما نقصده بالفهم ، فكسوف الشمس كظاهرة فلكية مثلا لا نستطيع أن نفهمها بمجرد أن نصفها مهما كان وصفنا دقيقا ، بل نفهمها ، عندما نربط بينها وبين ظواهر أخرى مثل وضع القمر بالنسبة للأرض والشمس (١) .

وعلى وجه العموم ، فان علماء النفس يضعون تفسيرات معقولة تسمى بالفروض كما يتم التأكد من تلك الفروض بتجارب مضبوطة.

ان التجربة تصمم لكى تحقق فرضا معينا . والفرض عبارة عن اجابة محتملة لسؤال (أو مشكلة) والتجربة تستهدف الكشف عن صحة هذا الفرض .

واذن فالفرض يكون أولا فى ذهن العالم ، والتجربة تأتى ثانيا للتحقيق من صحة أو خطأ الفرض .

ولنذكر مثالا على ذلك فنقول : « مشاهدة

---

(١) محمد عماد الدين اسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ص ٢٨ .

مسلسلات العنف عبر شاشة التليفزيون تزيد النزعة العدوانية لدى الأطفال » .

وبالرغم من ان الفروض عادة ما تصاغ على شكل تقرير للحقائق ، فانها تعتبر تفسيرات تحتاج الى الاختبار لأجل التأكد من صحتها . أما الفروض التى تحظى ببعض التأييد ، فانه يتم التأكد منها بقدر أكبر .

التنبؤ :

يعتبر التنبؤ أحد الاختبارات القوية ، فاذا كان الفرض دقيقا ، فانه ينبغى أن يكون قادرا على وصف ما يحدث فى حالات مماثلة ، ولنفرض أن علماء النفس قد تبين لهم أن مشاهدة المسلسلات الحربية تزيد من الأعمال العدوانية لدى الأطفال . عندئذ ، ربما أمكن التنبؤ أو التوقع بأن مشاهدة الشبان لأبوين يتمتعان بنزعات عدوانية يجعلهم يتمتعون بقدر أكبر من العدوانية .

فالتنبؤ ــ اذن ــ مؤداه تصور انطباق القانون أو القاعدة العامة فى مواقف أخرى ، أو بمعنى آخر تصور النتائج التى يمكن أن تترتب على استخدامنا المعلومات التى توصلنا اليها فى مواقف جديدة (١) .

ولاشك أن التنبؤ من ناحية أخرى يساعد بدوره على زيادة الفهم ذلك أن التنبؤ يكون جزءا من خطة التحقيق التى نختبر بها صحة معلوماتنا . فاذا ثبت صحة تنبؤاتنا فان معنى ذلك أن المعلومات التى أقمنا التنبؤ على أساسها معلومات صحيحة .

التحكم « الضبط » :

التحكم معناه **تناول الظروف التى تحدد حدوث الظاهرة** بشكل يحقق لنا الوصول الى هدف معين . ويعد التحكم « أو الضبط » اختبارا قويا آخر للتأكد من صحة الفرض ، ففى هذه الحالة يتم تغيير أو ضبط الظروف التى يعتقد أنها تسبب سلوكا معينا أو عملية عقلية لنتبين ما اذا كانت الظاهرة تتغير تبعا لذلك أم لا . وبالرغم من أن عملية التحكم أو الضبط لمجرد الضبط تبعث على الخوف ، فان التحكم فى البحوث النفسية يعد ضربا من التطبيق فى معظم الحالات حيث يطبق علماء النفس معرفتهم فى هذا الميدان للتوصل الى حل لمشاكل عملية . فاذا ثبت بالفعل أن مشاهدة مسلسلات العنف تزيد حقا من النزعة العدوانية لدى الأطفال ، فانه سيكون فى استطاعتنا الحد من هذه النزعة العدوانية بتقييد مشاهدة التليفزيون وأفلام العنف ، وتدريب الآباء وغيرهم على استخدام أساليب لا تتسم بالعنف ، واذا ما نجحنا فى السيطرة على النزعة العدوانية فان ذلك يبين أننا نفهم الظروف الهامة التى تنجم عنها تلك النزعة .

والواقع أن التحكم والتنبؤ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر اذا ما أخذناهما على أنهما هدفان عامان من أهداف العلم . فلكى نحقق أى تنبؤ ــ مهما كان بسيطا ــ يجب أن نتحكم فى الظروف التى تحدد الظاهرة التى نتنبأ بها.

(١) المرجع السابق : ص ٣١

أسلوب البحث
فى علم النفس

قوانين ونظريات فى علم النفس :

فى الوقت الذى يعمل فيه علماء النفس على فهم بعض الجوانب المحددة للسلوك ، فانهم يأملون فى الحصول على قدر موحد من المعلومات يمكن من خلاله تفسير السلوك بكافة أنواعه ، والوظائف العقلية • وتفضى المعلومات المنظمة - فى نهاية الأمر - الى التوصل الى قوانين ونظريات •

وتصف القوانين - فى علم النفس وغيره من العلوم - العلاقات المنتظمة وتلك التى يمكن التنبؤ بها • وتفسر النظريات الاكتشافات التجريبية أو المعلومات التى يتم جمعها • وتنطوى بعض النظريات على افتراض بسيط فى حين تنطوى الأخرى على قدر كبير من المعلومات ومهما يكن نطاق تلك النظريات ، فانها تقوم بملء الثغرات ، فهى توضح كيفية تناسق تلك الاكتشافات وما تعنيه • ويفضل العلماء النظريات التى يمكن التأكد من مدى صحتها « أى مدى خضوعها للاختبار » ، ألا وهى تلك النظريات التى يمكن تأكيدها أو تفنيدها عن طريق اجراء مزيد من البحث لفحص مدى فائدة نظرية معينة•وباختصار ، فان النظريات تؤدى دورين هما :-

١ - المساعدة على الفهم وهو الهدف النهائى من وراء البحث •

٢ - حفز الباحث على القيام بمزيد من البحث للحصول على معلومات جديدة •

مبادىء توجه البحث النفسى :

يعد العلم مجموعة من الاتجاهات ... ولا شك أن الاتجاهات المتعددة أو المبادىء هى التى تعطى البحث العلمى سمته « نكهته » المميزة ، ونتحدث عن أهم هذه الاتجاهات فيما يلى :

الدقة - الموضوعية - التجريب - تحديد المفهوم - الاقتصاد - الاجتهاد •

الدقة :

يحاول علماء النفس أن يتسم عملهم بالدقة بعدة طرق : فهم •

أولا : يقومون فى بادىء الأمر بتحديد ما يعكفون على دراسته تحديدا واضحا ، كما أنهم يحاولون •

ثانيا : تصنيف نتائجهم فى صيغة عددية بدلا من الاعتماد على الانطباعات الشخصية فنجد أن علماء النفس يقومون بقياس ظواهر تبدو وكأنه لا يمكن قياسها مثل ظاهرة الحب والقلق واثارة •

ثالثا : بعد أن يستكمل علماء النفس بحوثهم ، فانهم يضعون تقارير مفصلة تصنف الموضوعات والأدوات ، والاجراءات ، والأعمال التى قاموا بها ، والنتائج • ولا شك أن وضع التقارير الدقيقة حول البحث انما يسمح لغيرهم من علماء النفس بالقيام بنفس النوع من الدراسة ، أو القيام بدراسة على شاكلتها للتأكد من تناسق النتائج •

الموضوعية :

ان علماء النفس ، حالهم حال الآخرين ،

لديهمبعض التحيز • وعندما نقول انهم يعملون جاهدين على أن يكونوا موضوعيين ، فاننا نعنى بذلك أنهم يحاولون تنحية أهوائهم من أن تؤثر على دراساتهم • ويستعين علماء النفس — فى بعض الحالات — ببعض الأشخاص المساعدين الذين ليسوا على علم بالفروض التى يحاول هؤلاء العلماء التحقق من صحتها ، ويتخذون موقف الحياد ازاء الموضوع الذى يخضع للدراسة وذلك لأجل أن يقوم هؤلاء المساعدون بعملية البحث الحقيقية •

واذا ما كان يساورك الشك بالنسبة للبيعة البشرية ، فانك قد تتساءل عما اذا كان يمكن فرض أى قيود على موضوعية علماء النفس ، وينبع أحد مصادر القوة الكامنة فى الطريقة العلمية من بنائها المحكم ، وطبيعتها التى تتمتع بالتنظيم الذاتى •

ويقوم علماء النفس بالتدقيق بصفة مستمرة فى أعمال بعضهم البعض ، كذلك يقوم هؤلاء العلماء أيضا ببحوث على نفس النمط ، وعلى ذلك فان توقع أن تتعرض أعمالهم للانتقاد انما يشجعهم على اتخاذ الحيطة والحذر من الوقوع فى التحيز فى بحوثهم وتجاربهم • وتبرز حالات من التحيز ، بين الحين والآخر ، كما تبرز حالات تتميز فيها البحوث بتعمد عدم التزام الأمانة العلمية ، ولكن يتم التوصل الى صحه الفروض فى نهاية الأمر نظرا للعدد الكبير من العلماء الذين يتطرقون لمشاكل أو قضايا مماثلة ، وتطرح البحوث التى لاتتسم بالأمانة أو تتميز بالتحيز جانبا •

التجريب :

يعتقد علماء النفس ، كغيرهم من العلماء أن الملاحظة المباشرة أهم مصدر من مصادر المعرفة • ويعد التأمل — فى حد ذاته — دليلا غير كاف للحصول على المعرفة • ويسمى التعبير الذى يقول « أنظر ولاحظ » بالاتجاه التجريبى ، ولا يعفى أحد من هذا الاتجاه ، بل ان أكثر الناس علما يدعمون فروضهم ، أو ما يعتريهم من أفكار ، بالبيانات • فمثلا يجب على علماء النفس الذين يبحثون تأثير فقدان النوم ، أن يقوموا بدراسات متأنية ، وأن يلاحظوا نتائجها ، ولا ينبغى عليهم أن يقدموا لاثبات مايزعمون ، الأفكار الشائعة ، أو أفكار غيرهم وتأملاته من العلماء البارزين ، أو عرض أفكار الغير عن الموضوع لأن كل هذه الوسائل تعتمد على « التخمين » لا على الملاحظة المباشرة •

ولا تتطلب الطريقة التجريبية أن يقوم علماء النفس بالحصول على كل ملاحظاتهم بأنفسهم ، ولكنها تتطلب أن يؤيدوا مزاعمهم بالدراسات التجريبية سواء منها ماكان منشورا أو مايحصل عليها عن طريق المراسلة ،

د / عبد الله عبد الحى موسى

وسائل الاعلام

في المجتمع الاسلامي

(١) الصحافة

تمهيـــد :

ما بالنا ننسى أننا خير أمـة أخرجت للناس .. !؟ ولمـاذا ننسى أن المـؤمن القوى خير وأحب الى الله من المـؤمن الضعيف ..!؟ ولماذا ننسى أننـا كنـا سادة الدنيا .. أعزة « ولله العـزة ولرســوله وللمؤمنين .. الآية » ! ولماذا تكون أفعالنا ــ دائما ردود فعل وليست أفعالا أصيلة نابعة من ايماننـا بالله وثقتنا بأنفسنا .. ! ؟ .

على هذا .. فلم يظن البعض أن الاعــلام الاســلامى مقــره المسـجد .. والمسـجد فقط .. !!؟ ترى هل يتمشى هذا القــول مع روح العصر .. !؟ .

لا شك أن المسـجد هـو أهم وسـيلة من وسائل الاعلام فى الاسلام ولكنه ليس مكانها الوحيد .. وقد أفاء الله علينـا من معطيـات العصر العديد من الوسائل الأخرى .. فماذا لو استخدمناها فى الدعوة الى الله وفى مناقشة قضايا العالم الاسلامى .. !؟ .

ان معظم المشكلات التى تواجه العـــالم الاسلامى ــ اليوم ــ هى مشكلات ذات صفة علمية نحتــاج فى مناقشــتها الى لغــة العصر ومصطلحاته مع استخدام كـافة الوســـائل الاعــلامية المتــاحة مثــل « الــراديو » أو « التليفزيون » أو « السينما » أو الكتـــاب أو الصحافة أو « الكاسيت » .. الخ .

والمسلمون فى كل بقاع الأرض لم يحسنوا استخدام الاعلام الاستخدام الأمثل .. ولم يسخروه فى خدمة قضاياهم وبسط وجهة النظر الاســـلامية فى المحــافل الدوليـــة .. ولم يستخدموه فى تكوين رأى عام اسلامى موحد يكون قوة يحسب لها ألف حساب فى عـــالم ساد فيه منطق القوة بأشكالها المختلفة .. !!

ونحن فى هذا المقام لا نريد أن نقدم بحثا تاريخيا فى تطور وسائل الاعلام الاســلامى ، فهذا موضوع نود أن نوفق فى مناقشـــته مستقبلا ــ ولكن ما نطرحه للمناقشة عـــلى صفحات هذا العدد وما يليه هو وسائل الاعلام قديمها وحـــديثها ومـدى ملاءمتها للمجتمع

للأستاذ حسن على محمد العنيبسى

الاسلامى مع وضع الظروف والمتغيرات الدولية فى الاعتبار .

ونظرا لخطورة « الوسيلة » فى العملية الاتصالية وتأثيرها فى نجاح أو فشل الاتصال ، فان من باحثى الاعلام (١) من ذهب الى القول بأن « الرسالة » هى « الوسيلة » .. ، ولكن فى العالم الاسلامى يوجد من يقسم الوسائل الاعلامية الى وسائل محرمة وأخرى غير محرمة .. !!

ولكن ما نراه هنا أنه لا توجد وسيلة محرمة وأخرى غير محرمة من حيث هى كوسيلة وانما « المضمون » « والمحتوى » الذى تقدمه هذه الوسيلة هو الذى يكون حراما أو حلالا.

وفى الحق .. فان النظرية للتى ترى أن « الرسالة هى الوسيلة » نظرية ليست بالجديدة وانما سبقها الاسلام بقرون طويلة.. بل ان الاسلام يضيف الى كل وسائل الاعلام المعروفة وسيلة جديدة هى رسالة ووسيلة معا وغير مكلفة ولا تحتاج الى ميزانية ولا الى موظفين .. هذه الوسيلة هى .. « القدوة » .

أنظر الى سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان خلقه القرآن ، والقرآن رسالة الخالق الى عباده ، وفى هذا المقام امتزج الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة حتى أصبح كأنه قرآن يمشى على الأرض..!.

(١) مارشال ماكلوهان من أهل كندى وعمل استاذا فى الجامعات الامريكية ..

وبالقدوة آمن خلق كثير ودخل فى الاسلام. وهل تنجح أية وسيلة اعلامية — أيا كانت — فى الاقناع مثلما نجحت القدوة .. !؟ .

وسائل الاعلام فى مجتمعنا الاسلامى :

ونعود مرة ثانية الى الحديث عن وسائل الاعلام فى مجتمعنا الاسلامى .. وموقف العالم الاسلامى من الثورة الالكترونية فى مجال الاتصال .. فلا يجدر بنا أن نقف موقف المتفرج من كل هذا .. ، بل علينا أن نحدد موقفنا بوضوح من هذه الأدوات العصرية وعلينا أن نجعلها تتواءم مع ظروفنا السياسية والاجتماعية وقبل هذا كله تتواءم مع ديننا الذى هو عصمة أمرنا .. !

ثم لنا أن نحدد الأسلوب الأمثل للتعامل مع هذه الوسائل .. وأن نعرف — ان كانت حلالا — لماذا ؟ أو حراما — لماذا ؟ .

والى أى مدى يمكن الاستفادة منها فى خدمة أغراضنا الدولية والمحلية .. وما أكثر مشاكل العالم الاسلامى .. هذا العالم المجنى عليه دائما .

ولهذا نبدأ فى هذا العدد بالحديث عن الصحافة الاسلامية .

١ ــ الصحافة الاسلامية

الصحافة الاسلامية مصطلح حديث الاستخدام بالنسبة لنشأة الصحافة فى العالم .. وفى العالم الاسلامى والعربى بالذات والسبب فى هذا أن نشأة الصحافة فى العالم العربى والاسلامى ارتبطت بأمرين(١)

١ ــ ظروف سياسية .. يتحكم فى مسيرتها الاستعمار الصليبى ويستغل فيما يستغل العملية التربوية ، وبالتالى فانه يوجه أدوات الاعلام الى غاياته التى تنتهى الى تثبيت وجوده ، والى افقاد الأمة العربية والاسلامية شخصيتها الحضارية .

٢ ــ هذه الظروف أدت الى أن النهضة الصحفية بدأت على أيدى أناس ليسوا من المسلمين فى جملتهم ولم يشذ عنهم الا قليلون .. !

لهذا ، فان ظروف الاستعمار أثرت ــ الى حد كبير ــ فى تأخير واستخدام هذا المصطلح استخداما يحقق الفائدة المرجوة منه .. ، واذا كان من المعلوم أن الصحافة بوق يوقظ الشعوب من غفلتها .. فهل يقبل الاستعمار أن يوقظ شعوبا يريد استغلالها ووضعها تحت وصايته أبدا .. !؟

* الصحيفة والصحافة :

الصحيفة ــ اصطلاحا ــ نعنى بها كل مطبوع دورى يصدر بصفة منتظمة ، من مؤسسة معروفة ، تلتزم بوقت صدور محدد .. ، وتنشر أخبارا سياسية أو اجتماعية ، كما أنها قد تتضمن أحاديثا صحفية وتحقيقات ، ومقالات .. الخ الفنون الصحفية الأخرى ..

أما عن الصحيفة أو الصحافة الاسلامية ، فان من الكتاب (٢) من يرى أنها : الجريدة أو المجلة أو الدورية التى تضع « شارة الاسلام اسما لها وتلتزم بالخط الاسلامى منهجا وهدفا .

ولكن فى هذا القول تعميم كبير اذ لم يبين لنا ما شارة الاسلام ــ هذه التى يقصدونها .. ؟

ثم ما الخط أو المنهج المراد ــ صحفيا ــ من الناحية الاسلامية !؟

بينما يرى كتاب آخرون ــ ونحن معهم ــ أن الصحافة الاسلامية هى تلك الجريدة أو المجلة أو الدورية التى تصدر بصفة منتظمة ، وتلتزم الخط الاسلامى ــ أو القول بالمنهج أو الفكر الاسلامى فى معالجتها للأحداث ، وعرضها لمضمونها الصحفى حتى ولو لم تصنع شارة الاسلام .. !

الصحافة فى مصر ــ كمثال ــ وعلاقتها بالمنهج الاسلامى : ــ

اذا ما قلَّبنا فى الصحف اليومية الصادرة فى مصر ، وعدنا الى الوراء فاننا نجد صحفا مثل الأهرام ، الأخبار ، الجمهورية لم يبدأ اهتمامها بالدين الا مؤخرا .. !!

(١) د . عبد الحميد يونس . الصحافة حاضرا ومستقبلا ــ مجلة الفيصل ــ العدد ١٩ ــ ١٩٧٨ ، ص ١٠٥ .

(٢) عبد الحميد يونس المرجع سابق .

* فالجمهورية (١) مثلا ـ لم تهتم بالدين صحفيا ـ الا منذ عام ١٩٦٥ م .

* ثم تلتها الأهرام فى الاهتمام بالدين وبدأت فى ذلك عام ١٩٦٦ م .

* وبعدهما بعامين تحركت الأخبار وبدأت تنشر موادا دينية فى عام ١٩٦٨ م .

هذه الحقائق ان دلت على شىء فانما تدل على أن المجال الدينى .. فكرا .. ومضمونا صحفيا لم تنظر اليه هذه الصحف بعين الاهتمام .. لأسباب كثيرة .. ثم بدأت فى الاهتمام تحت رغبة القراء .. وكأى صحيفة تريد توزيعا ولنتشارا دفع رؤساء التحرير بها الى مجال « الدين » على شكل محدود .

ولنا أن نتساءل :

هل الصحافة الاسلامية ضرورة .. ؟ والى أى مدى .. ؟

وهل توجد فى العالم الاسلامى صحافة اسلامية بالمعنى الصحيح .. !؟

ثم ما المعوقات التى تقف فى طريق انشاء صحافة اسلامية حقيقية .. !؟

*** الصحافة الاسلامية .. ضرورة ..**

ان اختراع المطبعة قد فتح أبوابا واسعة أمام الدعوة لأول مرة فى تاريخ الاسلام .. لأن عن طريق الكلمة المكتوبة يمكن أن تتجاوز الدعوة طور البلاغ المحلى الى طور الابلاغ العالمى وهو الأصل فى عالمية الرسالة الاسلامية ..

ان ادخال المطبعة الى ميدان الاعلام الاسلامى .. انما يعنى تضخيم جهد الشخص الواحد الى مليون ضعف .. وأكثر ، هذا اذا علمنا أنه توجد فى العالم حوالى ٤٠ أربعين دولة تدين بالاسلام (٢) ، فلو وجد بينها وحدة الهدف لأمكن للاعلام الاسلامى أن يحقق فى سنوات قليلة ما يتطلب انجازه قرونا طويلة .. !!

ـ لاسيما وأن الاسلام قضية عادلة نسأل الله ـ جلت قدرته ـ ألا تقع بين أيدى محامين فاشلين .. !!

* ان الصحافة ضرورة ـ فى ميدان الاعلام الاسلامى ـ لأنها عنصر مؤثر فى الرأى العام فرضته طبيعة العصر وظروفه .

* والصحافة الاسلامية ضرورة من ضروريات المجتمع الاسلامى لمعالجة مشاكله ، ومناقشة قضاياه ، وللوصول الى الجماهير .

* والصحافة الاسلامية ضرورة لتوضيح صورة المسلم أمام المجتمع الدولى وازالة ما يلحق بها من تشويه أوتزوير .. !

* والصحافة الاسلامية .. ضرورة لفضح وسائل القهر والقمع والاستغلال التى يعانى منها المسلمون فى بعض بلاد العالم .

* والصحافة الاسلامية ضرورة للتوجيه ولنشر الوعى النقى بين الشباب المسلم ومعالجة أموره .

* والصحافة الاسلامية ضرورة لأن صحفنا ـ أو معظمها ـ تساير الصحافة

---

(١) د . محمد منير حجاب : موقف الصحف اليومية من قضايا الفكر الدينى ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ ص ١١٢ المقدمة الى كلية الاعلام جامعة القاهرة .

(٢) وحيد الدين خان : مسئوليات الدعوة ص ٢٦ .

الغربية فى نشر الجرائم والفضائح •• وبث النميمة •• والكذب •• والاسرار العائلية •• الخ •

يقول د• منير حجاب – فى رسالته لنيل الدكتوراه (١) – اذا قارنا النسب المئوية الخاصة بمساحات الرياضة ، والمساحة المخصصة للفكر الدينى فى صحفنا الثلاثة : (أهرام – أخبار – جمهورية –) لوجدنا أن هناك ارتباطا عكسيا بينهما •• بمعنى أن أى زيادة فى نسبة الاهتمام – لدى صحيفة – بالرياضة يتبعه نقص فى نسبة الاهتمام بالدين •• والعكس •• !!

ويرى الأستاذ حجاب (٢) أن « هذه الصحف الثلاث – بكل المضمون الذى قدمته – لم تسهم مساهمة فعلية فى اثراء الفكر الاسلامى لدى قرائها ، ولم تساعد على حل مشكلة الفراغ الدينى لدى جماهيرها •• » •• وهنا تبرز الضرورة لوجود صحافة اسلامية حقيقية •

مقارنات هامة :

بمقارنة النسب المئوية الخاصة بمساحات الرياضة ، الفكر الدينى فى هذه الصحف الثلاث نجد الآتى: –

– أن نسبة ما تخصصه الصحف اليومية للفكر الدينى يتراوح بين (٣) : –

٥٠٪ من المساحة المخصصة للرياضة •• فى الجمهورية •

و ٧٢٪ من المساحة المخصصة للرياضة •• فى الاخبار •

و ٦٨٪ من المساحة المخصصة للرياضة •• فى الأهرام •

وعلى هذا •• فان صحافتنا مسئولة أمام الله عن ذلك السرطان الكروى الذى أصاب الشباب بحمى الكرة •• وعن ذلك التعصب المقوت الذى •• جعلهم ينسون أنفسهم ودينهم •• ودنياهم •• !!

ولهذا فان الصحافة الاسلامية ضرورة •• ضرورة لمجابهة مثل هذا الغثاء الذى لا يجدى ولا يفيد •• !

ولسنا فى هذا نطالب بالمستحيل من الصحف اليومية فى مصر – أمام الأرقام السابقة الذكر – وانما نطالب هذه الصحف بالعدل فى مراعاة اهتمامات القراء •• نطالبها حتى بالمساواة فى عرضها للمضمون الدينى وأن تخصص له مساحة مادية لما تخصصه للكرة وللرياضة فذلك من حق القارىء على صحيفته •• !

ويرى الأستاذ جلال الدين الحمامصى (٤) « أن القارىء المصرى والعربى فى أشد الحاجة الى مزيد من الموضوعات الصحفية المدروسة ذات الطابع الدينى الثقافى ، وأن هذا القارىء لا تغريه الألوان •• ولا تجذبه الاثارة ولا يحوله عن جريدته شىء سوى تقصيرها

(١) راجع د • منير حجاب ، مرجع سابق – رسالة دكتوراه – ص ١٢٢ •

(٢) راجع نفس المصدر

(٣) راجع نفس المصدر •

(٤) جلال الدين الحمامصى : جريدة الجمعة الاخبار ٥–١–١٩٦٨ من افتتاحية العدد الاول .

فى خدمته .. » .

هذه شهادة رائد من رواد الفن الصحفى فى مصر .

* الأساسيات الواجب توافرها فى الصحافة الاسلامية :

اذا كان العمل الاعلامى – عموما – يقوم على مخططات زمانية ومكانية بمعنى أن ما يصلح للنشر فى زمان ما ومكان ما .. قد لا يصلح فى زمان آخر أو مكان غيره .. ، بل ان ما يصلح للنشر فى زمن معين ومكان معين .. هو عينه لا يصلح فى نفس الزمن ونفس المكان اذا تغيرت الاحوال والظروف السائدة (١) !!

وعلى هذا الأساس فان العمل الاعلامى الاسلامى يحتاج الى ما يلى : –

١ – **أن يقوم على تدعيم القيم الدينية وأن** يتعاطف مع قضايا المسلمين فى بلاد العالم الاسلامى ، وألا ينتمى لأعداء الاسلام تصورا أو أهدافا (٢) .

٢ – أن يلتزم المنهج الاسلامى فى الأعمال الفنية فلا يعلو – الشكل على حساب المضمون .

٣ – ألا يحمل لافتة تتناقض مع الفكر الاسلامى أو فى بديهية من بديهياته .. !!

٤ – أن يتم تقديم الدين الى الناس بأسلوب سهل مبسط ليسهل على رجل الشارع أن يفهمه .

٥ – أن يتقصى المشاكل المزمنة فى بلاد العالم الاسلامى وأن يضع الحلول والبدائل تنبع من تصور اسلامى صحيح .

٦ – ثم أن يضع فى الحسبان أن الاكراه على الفضيلة لا يصنع الانسان الفاضل وأن الاكراه على الايمان لا يصنع الانسان المؤمن .. !

* واقع الصحافة الاسلامية :

فى الساحة الاعلامية – الآن – يصدر العديد من المجلات والصحف الدينية ، تقوم بدور يكمل رسالة المنبر والمسجد الا أن هذه الصحف والمجلات لم تصل – بعد – الى المستوى الذى ننشده من حيث الفن الصحفى .. حيث نلاحظ أن : –

١ – هذه المجلات – فى جملتها – نابعة من جهود فردية ، أو صادرة عن جمعيات خيرية ذات امكانيات متواضعة .. لهذا فانها قليلة التوزيع .. ضئيلة الانتشار والتأثير .. لها جمهور محدود .. محدد .

٢ – أن المشرفين على هذه الصحف أو المجلات قليلو الخبرة بالعمل الصحفى فهم أقرب الى الهواة منهم الى المحترفين فى هذا الميدان (٣) .. ولهذا جاءت الموضوعات الصحفية أقرب الى الشكل الوعظى .. الارشادى منه الى الفن الصحفى القائم على الخبر والحديث والتحقيق والصورة الصحفية المعبرة .

---

(١) حافظ محمود : الاعلام العربى والاعلام الصهيونى – طبعة ثالثة ١٩٧٣ – ص ٨ – بتصرف .

(٢) عبد الحميد يونس : مرجع سابق .

(٣) من رسالة خطية – لرئيس تحرير الرسالة الاسلامية اللبنانية الى كاتب هذه السطور فى صيف ١٩٨٠ م .

٣ ــ أن معظم هذه الصحف والمجلات .. تعتبر صحافة رأى .. تتجه ــ كثيرا ــ الى التلقين المباشر .. وقليلا ما تعالج الواقع .. !

٤ ــ أنه توجد دول اسلامية يندر فيها وجود صحافة اسلامية ، بينما توجد دول بها الكثير من المجلات والصحف الاسلامية المتواضعة .

٥ ــ والمثير للدهشة أن كل هذه المجلات والصحف الاسلامية ــ فى العالم ــ لا رابط بينها ولا تخطيط يجمعها .. بل لا يوجد تصور عام اسلامى يوحد بينها ويقود خطواتها .. !!

٦ ــ لا توجد صحيفة يومية واحدة من بين هذه الصحف تحمل شعار الاسلام ومنهجه يطالعها القارىء كل يوم .. !

٧ ــ أن هذه المجلات ــ فى مجملها ــ متخلفة اعلاميا فى التحرير والاخراج وفنون العمل الصحفى .. !!

من العرض السابق .. يتبين لنا ــ الى أى مدى ــ أن واقع الصحافة الاسلامية مؤلم ومثير للقلق .. ويزيد من ضرورة وجوب قيام صحافة اسلامية حقيقية واعية تواجه سيل الصحف اليومية ــ الصباحية والمسائية التى تصدر من كل بلاد العالم وتصب فى العالم الاسلامى .

وحتى تكتمل صورة الواقع فى الصحافة الاسلامية نقدم بيانا بالصحف والمجلات الصادرة فى بلاد العالم الاسلامى مع تعليقات سريعة ومقتضبة حول بعض هذه المجلات .

أولا ــ المجلات والصحف الاسلامية الصادرة فى مصر :

مجلة الأزهر :

وتصدر عن مجمع البحوث الاسلامية ، وهى مجلة أكاديمية تميل الى طابع البحث العلمى .. تتناول كافة المجالات الإسلامية من فقه وسنة وسيرة وتفسير وعلوم لغة ، واجتماع وبلاغة ودراسات اعلامية ونفسية .. الخ .

مجلة منبر الاسلام : وتصدر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ولكنها لاتتنوع فى اهتماماتها مثل الأزهر .. ويغلب عليها سمة التخصص فهى ومجلة الأزهر مجلات صفوة .!

ومجلات كانت تصدر ثم احتجبت لظروف ما ، كانت تتبع جمعيات دينية .

ثم صحيفة اللواء الاسلامى عن الحزب الوطنى ، و « النور » عن حزب الأحرار وهما صحيفتان أسبوعيتان على قدر كبير من الفن الصحفى .

ثم مجلات لواء الاسلام والهدى النبوى ، والتوجيه ، والاسلام وهى مجلات نابعة من جهود فردية مثل « لواء الاسلام » أو جمعيات دينية مثل الهدى النبوى وهذه المجلات فى مجملها بعيدة عن فنون العمل الصحفى .. نظرا لقلة الامكانيات .. !

ثانيا : فى سوريا : تصدر مجلة حضارة الاسلام .

ثالثا : فى العراق : تصدر مجلة التربية الاسلامية

رابعا : فى الجزائر : تصدر مجلة الأصالة ــ المسلم المعاصر .

خامسا : فى لبنــــان : تصدر مجلة الرسالة الاســلامية ، الفكــر الاسلامى ، الشهابــة

سادسا : فى المغرب : مجلــة الوعــد الحق ــ الاعتصام ، الايمان .

سابعا : فى الكويت : تصــدر مجلة المجتمع ، البلاغ ، الوعى الاسلامى

وتشهد الكويت نهضة صــحفية واعــلامية كبيرة بالاضــافة الى توافر الامكانيات التى تجتذب الكوادر الاعــلامية المؤهلة للعمل فى صحفها .

ثــامنا : فى المملكة العربية السعودية :

تصدر مجلة التضامن الاسلامى ، أخبــار العالم الاسلامى ، مجلة البحوث الاســلامية ومجلة الرابطة الاسلامية .

تاسعــا : فى الامارات العربية :

تصدر مجلة منار الاسلام .

عاشرا : فى عمان تصدر مجلة الوحى .

حادى عشر : فى تونس : تصــدر مجلة جوهر الاسلام ، المفرق .

ثانى عشر : فى قطر تصدر مجلة الأمة وهى من المجلات الرائعة صحفيا فى أســلوب التحرير وفى المضــــمون المتنــوع وفى الاخـــراج الصحفى بالاضافة الى الطباعة الجيدة والورق الفاخر .

ونرجو أن يكون هناك ما هو أكثر من هذه المجلات .. اذ أن ما وقع تحت أيدينا هو أسماء هذه المجلات فقط .. فمنها مانتابعه وبالتالى ألممنا سريعا الى ملاحظاتنا عنهــا ومنها ما لا يصل الينا ، ولهذا فلم نجد مانكتبه عنها وان كنا نريد ــ مستقبلا ــ أن نجرى دراسة قائمة بذاتها عن واقع صحافة العالم الاسلامى .. !

مشكلات الصحافة الاسلامية :

أما عن المشــكلات فهى كثيرة .. ولكثرتها فاننا نجد أن المجال لا يتسع لذكرها فى هــذا المقام .. ولهذا فاننا سنعرضها بايجاز شديد فى الآتى : ــ

* مشكلة الكوادر الصحفية المؤهلة علميا وذلك لأن معظم القائمين عـــلى أمر هذه الصحف الاسلامية هواة وليســوا محترفين أو متخصصين فى الفن الصحفى هذا الى جانب التخصــص العلمى العميق فى الـــدراسات الاسلامية .

* مشكلة التمويل وهى الأساس حتى فى فى أكثر الدول تقدما حتى لا يكون المال عقبــة فى سبيل رسالة الصحافة .

* الحرية ونعنى بها جدية الرأى والقول فى مناخ صحى يحترم الرأى والرأى الآخر فى غير اثارة رخيصة ، أو دفــع الى قــلاقل ، أو ابتزاز التوجيه لأغراض شخصية .

* مستقبل الصحافة الاسلامية :

مستقبل الصحافة الاسلامية يحتــاج الى تصور اســلامى عام موحــد يربط بين هذه المجلات والصحف .. بل بين سائر وســائل الاعلام فى دول العــالم الاســلامى وهــو ما يسمى بـــ « الاستراتيجية الاعلامية الموحدة الشاملة » ، ويوم أن نصل الى هذا فان الاعلام الاسلامى سوف تكون له كلمة تســمع ورأى يطاع ..!

وقــد يبدو مــن الصــعب أن نطالب كل هذا الكم ــ السابق ذكره بأن ينتظمه خط واحد

وسائل الإعلام في المجتمع الإسلامي

وهى تابعة لجهات عديدة حكومية أو أهلية وبلدان شتى •

ولكن أليست جميعها تلتقى على كلمة سواء• على الاسلام •• !؟

لذن •• لماذا لا يكون هناك نوع من التنسيق بينها أى تنسيق مستطاع ! ؟

ولماذا لا يتم تبادل زيارات بين رؤساء تحرير هذه المجلات •• !؟ ولماذا لا يكون لهم سنويا لقاء يجتمون فيه لمناقشة أعمالهم •• !؟

ونسأل :

ألا يمكن تحقيق الحد الادنى من أساسيات العمل الصحفى فى توحيد هذه المجلات فى الرأى تجاه المحافل الدولية بالذات •• !؟

ثم بعد ، وفى ختام هذا البحث نود أن نطرح بعض المقترحات التى تنطلق من واقع هذا البحث لتكون أمام العالم الاسلامى أملا فى عمل عظيم ــ بمشيئة الله :

١ ــ ضرورة انشاء صحيفة اسلامية يومية تعمل على سد الفراغ فى الأخبار التى تنفرد بنشرها صحف غير اسلامية •• وهنا ننادى ونناشد الحكومات الاسلامية بعمل هذا •• حتى لا نترك الساحة خالية شهرا لصحافة غير اسلامية ثم تصدر مجلة هنا •• أو هناك ••!!

٢ ــ ضرورة العمل على انشاء وكالة أنباء اسلامية لها مراسلون فى كل دول العالم حتى لا نستقى أخبارنا ــ من وكالات الأنباء غير الاسلامية ــ حيث تصاغ بشكل يخدم وجهة نظر بلادهم •• وحتى لا نكون مجرد مستقبلين وانما نكون أيضا مصدرين للأخبار الصادقة الامينة •• ، كما نساعد المراسلين الأجانب فى الحصول على الأخبار الصحيحة •

٣ ــ أن نطرح ــ دائما ــ البدائل لما نرفضه فى العمل الصحفى ولا نقف عند التحريم دون طرح الحلول والبدائل •

٤ ــ لابد من النزول الى الشارع ــ صحفيا ــ ومناقشة مشاكل رجل الشارع والاهتمام بهموم المسلم البسيط وحل مشاكله•

٥ ــ أن تخصص مساحة فى صحفنا للطفل والمرأة لأن معظم المجلات الاسلامية مقصرة فى حق الطفل وهو الاساس فى المجتمع الاسلامى •

٦ ــ مراعاة الاهتمام بالصورة الصحفية ورب صورة أبلغ من مقال •

ولله حسن القصد ، وهو ــ سبحانه ــ نعم المعين

حسن على محمد العنييسى

مع رسالة جامعية

الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية بالتطبيق على أثيوبيا

للباحث مرعى مدكور المدرس المساعد بقسم الصحافة بجامعة الأزهر

عرض وتقديم حمدى الليثى

تعتبر دراسة الاعلام الاسلامى ذات أهمية كبيرة فى ميدان علوم الاتصال فهذا الدين قد أرسل للناس كافة وقد انتشر فى بقاع كثيرة برغم مختلف العوائق التى يواجه مدة وتحاول حصره فى أرض العرب . فاذا كان « علم الاتصال » بصفة عامة من العلوم الحديثة نسبيا . فان الاعلام الاسلامى هو أحد مجالات الاتصال التى لم تجد النصيب الوافر من الدراسات « الاكاديمية » .

لقد تعددت وسائل الاعلام الاسلامى ولم تعد تقتصر على الوسائل الاعلامية القديمة كالخطابة والشعر والندوة فهناك وسائل حديثة وجب النظر اليها وتطويعها لمجال الاعلام الاسلامى ومن هذه الوسائل الطباعة والاذاعة بشقيها : « الراديو والتليفزيون » ثم شبكات الاقمار الصناعية وغيرها لمواكبة التطور « التكنولوجى » فى صناعة الاتصال .

.. والاعلام الاسلامى الطباعى فى الدول غير الاسلامية بالتطبيق على أثيوبيا » أول رسالة « دكتوراه » تناقش بقسم للصحافة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ومقدم هذه الرسالة السيد/مرعى مدكور صحفى يعمل حاليا مدرسا مساعدا بقسم الصحافة ــ جامعة الأزهر .

نوقشت الرسالة بمدرج الشيخ ابراهيم حمروش بكلية اللغة العربية بالقاهرة يوم الاربعاء الموافق ٢٢ من ذى القعدة سنة ١٤٠٣هـ الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٨٣ م .

الإعلام الإسلامى الطباعى فى الدول غير الإسلامية

وتكونت لجنة المناقشة والاشراف من الاساتذة :

الدكتور طه أبو ·ريشة رئيس قسم الصحافة

الدكتور الحسينى أبو فرحة عميد كلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة ·

الدكتور سمير حسين عميد كلية الاعلام بالقاهرة ·

الدكتور على عجوة وكيل كلية الاعلام بالقاهرة ·

وقد استمرت مناقشة الرسالة ما يقرب من ست ساعات حصل الطالب فى نهايتها على العالمية من درجة أستاذ « الدكتوراه » فى الاعلام الاسلامى مع مرتبة الشرف الاولى ·

عرض لمحتويات الرسالة :

وقد اشتملت خطة البحث على تمهيد وأربعة أبولب وخاتمة على النحو التالى :

* **التمهيد : ويتضمن تعريفا بالمصطلحات : « الاعلام » و « الدعوة » و « الدعاية » وضرورة استخدام وسائل الاتصال الحديثة فى الاعلام الاسلامى ··**

* **الباب الاول :** ويتحدث عن الاعلام الاسلامى الطباعى فى البلاد غير الاسلامية وأهدافه ووظائفه ·· وأصول هذا الاعلام المكتوب فى المواثيق الاسلامية منذ فجر التاريخ مثل المعاهدات والمواثيق الاسلامية المكتوبة ابتداء من فجر الدعوة الاسلامية حتى الآن وبيان منهج الاعلام الاسلامى فى الدعوة الى دين اللــه ·

* **الباب الثانى :** ويتناول تحديات الاعلام الاسلامى فى البلاد غير الاسلامية فى أفريقيا من احتكار اعلامى دولى لقنوات الاتصال العالمية وتعدد اللغات فى الدول الاسلامية وغير الاسلامية وقضية الجوع فى افريقيا واستغلالها لتغيير الاتجاهات واشاعة التصورات غير الصحيحة عن الاسلام ·

* **الباب الثالث :** ويتناول قضايا الاتصال الاسلامى ، فيركز على القائم بالاتصال فى مجال الاعلام ، والاتصال فى اطار المنظمات والهيئات والجامعات والمعاهد الاسلامية وبيان أثر هذه الهيئات والمنظمات فى الاعلام الاسلامى فى البلاد غير الاسلامية ، ودور التضامن الاسلامى فى ايجاد صيغ للتعاون مع المسلمين فى البلاد غير الاسلامية ·

* **الباب الرابع :** وهو عبارة عن دراسة تطبيقية حول الاعلام الاسلامى فى اثيوبيا وتتبع الوجود الاسلامى فى هذه المنطقة منذ الاتصال الاسلامى الاول بها والمتمثل فى للهجرات الاسلامية اليها ورسائل النبى ــ صلى اللــه عليه وسلم ــ الى نجاشى الجبشة ، وتناول الوجود الاسلامى فيها وتناول الصراعات الدائرة بها ، ودراسة الاعلام الاسلامى المعاصر هنــاك ·

الخاتمــة: وتشمل خلاصة مركزة للبحث وأهم النتائج وللتوصيات ، تشكل وثبة بالمراجع التى استندت اليها الدراسة ·

وقد أعتمد البحث على المنــاهج العلمية التالية :

١ ـ المنهج الوصفى :

الذى يهدف الى جمع الحقائق والبيانات حول ظاهرة معينة أو موقف معين وتحليل هذه المعطيات والحقائق والبيانات تحليلا دقيقيا وتفسيرها تفسيرا كافيا لاستخلاص الدلالات والنتائج من أجل الوصول الى تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة موضع الدراسة للاستفادة بها فى المستقبل •

ويعتمد البحث على أكثر من نمط من أنماط البحوث الوصفية : مثل : ــ

(أ) المقارنة : التى تقارن جوانب التشابه والاختلاف بين الظواهر •

(ب) الارتباط : ليعين فى الوصول الى مدى لرتباط المتغيرات أو أحد عوامل هذه المتغيرات اتفاقا أو اختلافا أو انعدم هذا الارتباط ودرجاته المختلفة •

(جـ) التطور : أى : دراسة التغيرات التى تحدث فى الظاهرة أو مجموعة الظواهر بفعل مرور الزمن ، ووصف هذه التغيرات على الظاهرة ــ ــ أو الظواهر ــ فى مجرى تطورها عبر فترات الدراسة •

(د) الاتجاهات الغالبة :

أى الحصول على البيانات وتحليلها لتحديد الاتجاهات الغالبة والتنبوء بما يمكن أن يحدث فى المستقبل قياسا على تطور الظاهرة وغلبة بعض الاتجاهات عليها •

٢ ـ المنهج التاريخى :

حيث تم جمع المعلومات ورصد الاحداث التى وقعت فى الماضى وتحليلها وتحديد الحقائق التاريخية الجزئية وتصنيفها والربط العقلى بين هذه الحقائق للخروج بنتائج علمية عن هذه الفترة والوقائع والمنطقة موضع الدراسة •

٣ ـ المنهج المقارن :

وتمت الاستفادة من هذا المنهج فى المقارنة بين جوانب التشابه والاختلاف بين بعض المناطق الاسلامية وغير الاسلامية ، وبين المناطق غير الاسلامية وغيرها من مناطق أخرى فى أفريقيا لمعرفة التأثير الاعلامى ــ الاسلامى وغير الاسلامى ــ فيها •

أما مصادر البحث ومراجعة فكانت كالتالى :

ــ المقابلات الشخصية مع بعض المسئولين فى منطقة القرن الافريقى •

ــ بعض الوثائق الرسمية والصحف والنشرات التى تصدر فى اثيوبيا •

ــ الكتب التى تتناول الاسلام والمسلمين فى المنطقة الافريقية ، وبخاصة فى منطقة القرن الأفريقى •

* الصعوبات التى واجهت الباحث :

أولى هذه الصعوبات تتمثل فى أن المنطقة التى أجريت عليها الدراسة التطبيقية ، وهى الدولة الاثيوبية ، شبه مغلقة ومبئة بالصراعات والانقسامات وتوترات الحدود داخليا وخارجيا ، وأن كل الكتب والصحف والنشرات الرسمية التى تصدر فى أية منطقة تحمل وجهة نظر دعائية عكس ما يقدمه الاعلام فى مناطق

الإعلام الإسلامى الطباعى
فى الدول غير الإسلامية

أخرى ، مما أدى الى عدم توفر هذه المطبوعات والى أن تصير وجهة نظر واحدة •

« خلاصة هذه الدراسة »

أن طريق الدعوة الاسلامية خارج البلاد الاسلامية تسيطر عليه الاحتكارات الاعلامية الدولية المتمثلة فى وكالات الأنباء الكبـــرى : الامريكية (اسوشيتد بريس ويونايتد برس انترناشيونال) •

والانجليزية (رويتر) •

ووكالة الانباء الفرنسية •

والوكالة الروسية : (تاس) •

حتى أصبحت هذه الوكالات أكبر مصدر للتدفق الاخبارى للصحافة فى العالم بما فيها الصحافة فى البلاد الاسلامية •• بالاضافــة الى احتكارات الصحافة العالمية والاقمـــار الصناعية للاتصالات الدولية فى المناطـــق الاسلامية ذاتها ، وغياب أية مطبوعة تحاول للتعبير عن الوجود الاسلامى وابرازه وتقديمه الى المجال الدولى دون تشويه أو تحريف •

ثم ان الاحتكارات الدولية فى مجال الاتصال قد ساعدت على تشويه صورة الاســـــلام والمسلمين ووصفهم بالتعصب •• فقد قدمت المؤلفات التى تتناول الحروب الصليبية صورة

قاتمة للمسلم يبدو فيها شديد التعصب غير متسامح تجاه غير المسلمين ، وتم الخلط بين القوميات والجماعـــــات المختلفة داخـــل الامة الاســـــلامية بحيث يحمل الاســـــلام كل السلبيات والمتناقضـــــات التى تظهر فى أية جماعة أو منطقة •• ومن هـــــذا المنطلق تعددت المصـــــطلحات مثل (التطــرف الدينى) و (العنف الاســـــلامى •• وغير ذلك من ألفاظ بقصد تخويف وتأليب الحكومـــات والرأى العام العربى والدولى ضد الحركات والنزعات الاسلامية بصفة عامة باعتبار انهـــا مصدر خطر دائم على التواجد الاجنبى ونفوذه فى المناطق الاسلامية •

ومن جهة أخرى شحن الرأى العام للعالمى ضة هذه الحركات الاسلامية بصفة عامـــة على أساس انها خطر جديد يقف ضد رخـــاء الغرب ــ حين تصبح هــذه الدول ســـيدة مصيرها ــ ومن المكن أن يعيد هذا الخطـــر مأساة الحروب الصلبية من جديد •

وللاسف ، أصبح اعلامنـــا يردد هـــــذه المصطلحات دون أن نحدد ونسأل أنفسنا :

ــ من الذى اطلق هذه المصطلحات ؟

ــ وعلى من أطلقهـــا ؟

ــ وهل حقيقة تنطبق هذه المصطلحات على ما أطلقت عليه ؟ •

ــ وما الهدف الخفى من اطـــــلاق هذه المصطلحات دون اطلاق مثلها على حركات الدم والعنف التى تسود العالم مثل جماعات الالوية الحمراء الايطالية وعصابة المافيا وغيرها •

كما ساهمت المؤلفات الغربية فىتشويه صورة المسلمين ، فكوميديـــــا « دانتى اليجيرى » المعروفة باسم (الكوميديا الالهية) ساهمت بصورة كبيرة فى اعطاء صورة قاتمة عن نبى الاسلام وعن المسلمين ، ومع ذلك فقد تمت

ترجمتها مرات الى لغتنا العربية وقــام المترجمون بحذف هذه الاساءات عند نقلها الى لغتنا وذاعت هذه الكوميديا فى الاوساط العربية أكثر من أية مخطوطة اسلامية نادرة •

وبجانب هذه الاحتكارات العالمية فى مجال الاتصال وما تشيعه من تصورات غير صحيحة عن الاسلام هناك جهود كثيرة ومتعددة تبذل من جانب غير المسلمين لتحويل اتجاهــات المسلمين الدينية ، وتستخدم — فى سبيل ذلك — مغريات كثيرة : سافرة أحيانا فى مناطق العوز والجوع ومخيمات اللاجءين ، ومستترة فى أحايين أخرى تحت ستار الاســتشراق والبحوث العلمية والمقارنة •

•• ان الاعلام الاسلامى الطباعى فى هذا العصر التكنولوجى الذى جعل من العالم كله قرية عالمية يجب أن يتوسل بكافة الوســائل المعاصرة، من صحافة عامة ومتخصصة ودوريات وكتب ونشرات وملصقات ولافتات اعلاميــة واعلانية بالاضافة الى الوســائل الدينية المتخصصة من خطب وندوات للوعظ والارشاد ثم الاذان وتحفيظ القرآن وعلومه وغير ذلك من وسائل وتطويعها •

أقول : يجب أن يتوسل الاعلام الاسلامى الى أهدافه ، وهى أهداف شريفة بذاتها ، لانها أهداف رسالة سماوية • وعليه أن يتم ذلك كله بوصفه فى اطار تخصصى سليم لا يسمح أن يتسرب داخله أجسام غريبة ، وانما يخلص لاهل العلم المتخصصين فى علومه ، قــال تعالى : (**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) • (النحل ٤٣) •

فالدعوة بين الاقليات الاسلامية خــارج البلاد الاسلامية وبين أصحاب الاديان الاخرى واللادينيين هى دعوة تخصصية تتطلب الاعداد للقائم بالدعوة بحيث يكون على معرفة تامــة بالظروف التارخية والسياسية والاقتصــادية للجهة التى سيقوم فيها بالاعلام عن الاسلام، بجانب المامه وفهمه للغات الموجــة اليهم وعاداتهم وتقاليدهم لتكون هناك قاعــدة مشتركة ، وحتى يحدث الاعلام تأثيره المطلوب•

•• كما ان بعض الدول غير الاسلامية ، ذات التواجد الاسلامى الكبير مثل « اثيوبيا » قــد أنهكتها الضغوط الطويلة والثقيلة للكنيســة ، مما جعل الحكومة الجديدة تنهى هذا الوجود الكنسى وتتجه وجهة غير دينية (١) — اسلامية كانت أو مسيحية أو يهودية — مما يتطلب نوعية خاصة من الاعلام الدينى حتى تتواءم القيادات الثورية مع هذا الاعلام ولا تقف ضــده او تحاربه •

وقد أثبتت الدراسة انه اذا كانت المذاهب والفلسفات المعاصرة قد اعتمدت على الدعاية كوسيلة لنشرها والترويج لها ، فان الاسلام قد أولى اهتماما كبيرا للاعلام الاسلامى منذ بــدء الرسالة النبوية •• فالقرآن الكريم — دستور الاسلام الاول — يعتبر رسالة الاسلام الاولى والخالدة الى الناس فى كل زمان وكل مكان •• وقد استخدم النبى — صلى الله عليه وسلم — كافة وسائل التأثير المتاحــة فى عصره لابلاغ الرسالة التى كلفه الله بها •• فقام الرســول يعلن عن دين الله بالقرآن الكريم ، وبالحديث الشريف ، وبالخطبة النبوية ، وبالرسائل الى ملوك ورؤساء عصره ، وبالاتصال الشخصى

(١) هذا راى الباحث — مجلة الأزهر .

الإعلام الإسلامى الطباعى
فى الدول غير الإسلامية

والجماهيرى وبالاستفادة من التجمعـــــات فى مواسم الحج .

فالرسول ــ صلى اللـــــه عليه وسلم ــ لم يترك وسيلة فى عصره لم يستخدمها وكان يصبغ كافة الوسائل الاتصالية بصبغة اسلامية تتوسل بالكلمة الطيبة والامر بالمعـــروف والنهى عن المنكــــــر .

•• ان الاسلام منذ فجره وحتى الآن قد أدرك قوة الاتصال ، وهذا الاتصال قد عرف عدة مسميات منها « الدعوة » و « الدعاية » و « الاعلام » .

وينبغى ألا ننسى أن الاتصال الاسلامى فى البلاد غير الاسلامية يواجه الآن تحـــــديات متعددة خاصة بعد الموجة الروحية التى سادت العالم فى الفترة الاخيرة .

لذا تقترح الدراسة ما ياتى : ــ

ــ تأسيس هيئة للدعوة الاســـلامية فى الخارج ، على ان تتبع هذه الهيئة جهة اسلامية ليست سياسية بحيث تتولى التنسيق والتوجيه والاشراف بين كافة الجهات العربية والاسلامية المنوطة بالدعوة الى الاسلام حتى تتوحد أجهزة الدعوة وتنطلق من منطلقات اسلامية ليست سياسية أو مذهبية•• حتى لا تنعكس الخلافات المذهبية أو الدولية على الدعاة وبالتالى على الجمهور المراد توصيل الدعوة اليه .

ــ التنسيق بين أجهزة الدعــــوة فى البلاد الاسلامية ، بحيث تتوحد هذه الاجهزة فى كل دولة ، مع توفير الامكانيات لهذه الاجهزة •• ففى مصر مثلا توجد عدة جهات للدعوة منها : الأزهر الشريف بهيئاته المختلفـــــة ، ووزارة الاوقاف ، بالاضافة الى الجمعيات الاهليـــة ومن الواجب التنسيق بين مختلف هـــــذه الجهات .

ــ رسم خريطة للاعلام الاســـــلامى فى الخارج ، بحيث تشمل هذه الخريطة وضـــع المسلمين فى الخارج والاماكن ذات الاولوية فى توجيه الدعوة اليها والوسائل •• وتوضـــح عليها :

* كيفية الاعلام للأقليات الاسلامية فى العالم •• ووضع هذه الالقيات .
* طرق الاعلام عن الاسلام بين اصحاب الاديان السماوية من المسيحيين واليهود .
* وضع اللادينيين فى العـــالم وانتماءاتهم والمؤثرات التى يستجيبون لها .

على ان تشمل هذه الخريطة كافة ما يتعلق بوضع كل هذه الطوائف ومشاكلها وثقافاتهـــــا للاستفادة منها فى توجيه الوسائل الاعلامية المناسبة التى تؤثر فى الجمهور الموجهة اليـــه الرسالة الاعلامية .

ــ وضع المناطق الاسلامية ــ خارج البلاد العربية موضع الاهتمام فى الاعلام الاسلامى ، فبعض هذه المناطق رغم كثرتها الاسلامية تعانى ضغوطا مختلفة .

ــ توطين القائم بالاتصال فى المنطقة للتى يدعو فيها الى الاسلام حتى يكتسب خبـــرة ويتآلف مع من يدعوهم الى دين الله ويفهم حقيقة المجتمع الذى هو فيه .

ــ الجمع بين الوسائل الاعلامية المختلفة ــ الحديثة والتقليدية ــ وتكيف هذه الوسائل بحال العصر بحيث تعمل الصحافة (جرائد ومجلات) والكتب والاقوال المذاعة (مرئية وغير مرئية) والخطبة جنبا الى جنب وتحميل هذه الوسائل الاتصالية المضمون الاسلامى .

ــ وضع كتب ورسائل مبسطة عن الاسلام باللغات الاجنبية على ان تتناول هذه المطبوعات قضايا العصر من وجهة نظر اسلامية ، وتعالج مبادىء الاسلام وتحمل المعلومات الصحيحة عنه وتبرز أمجاده ودوره فى الحضارة ، وتزويد المراكز والجاليات الاسلامية وأماكن التجمعات فى الخارج بهذه المطبوعات .

ــ وضع كتب مبسطة باللغة العربية لتعليم العربية قراءة وكتابة وطبع مواد هذه الكتب على أشرطة تسجيل .. بحيث تكون مواد هذه الكتب فى صورة حوار حتى يخدم الحاجة اليومية ، وعقد دورات بشكل منتظم لهذا الغرض فى المراكز الاسلامية والمساجد فى الخارج وتقديم المنح الدراسية بالجامعات الاسلامية للمتفوقين فى هذا المجال .

ــ دراسة امكانية انشاء صحيفة يومية ومجلات اسبوعية وشهرية اسلامية بعدة لغات تصدر فى يوم واحد بالعواصم العالمية بحيث تنسق هذه الصحافة جهودها وتتعاون فى ابراز رسالتها واذابة الحواجز بين المسلمين وتتمتع بالاستقلال الذى يمنعها من الوقوع تحت تأثير الاجهزة الحكومية والتيارات السياسية المختلفة ، على أن تتسلح هذه الصحافة بالعلم والمعرفة لتتصدر الساحة الثقافية فى جمع المجالات ، ففى مجال التشريع تبرز النظم الاسلامية ، وفى مجال للكون تبرز آيات الله وقدرته ، وفى مجال التاريخ تبرز أمجاد المسلمين وسيرة السلف الصالح ، وفى مجال الادب تحرس لغة القرآن وتربط النفس بخالقها وفى مجال المرأة توضح العطاء القرآنى للمرأة والتكريم الاسلامى لها .. هذا بالاضافة الى المتابعة اليومية الحية للواقع الاسلامى فى مختلف أرجاء العالم .

ــ المساهمة فى انشاء « أوقاف » اسلامية على مستوى العالم الاسلامى ، تمول من أوقاف المسلمين فى للدول العربية والاسلامية ، وتضمن دخلا ثابتا يوجه للمؤسسات الاسلامية فى الخارج .

ــ انشاء مكاتب اسلامية فى للخارج لمتابعة ما ينشر عن الاسلام فى الكتب الدراسية وفى البحوث والدوريات والوسائل الاعلامية الاخرى ، وتكون مهمة هذه المكاتب تصحيح المفاهيم الخاطئة التى ساهمت فى رسمها الدوائر الصهيونية وبعض المستشرقين عن الاسلام والمسلمين والرد على كتابات المنصرين والمستشرقين التى تهجموا فيها على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى التعاليم الاسلامية .

ــ مواجهة محاولات الاستقطاب الدولى ووضع حد للمواجهات بين الدول الاسلامية ، وتوحيد الجهود الاسلامية والعمل على ابراز كيانها المستقل والمتميز على المستوى الدولى .

ــ الاستفادة من موجة التدين التى سادت العالم فى الفترة الاخيرة بعد فشل الحضارة الغربية ، وتبادل زيارات المفكرين المنصفين للاسلام والوقوف بجانب هؤلاء المفكرين ضد

الإعلام الإسلامى الطباعى
فى الدول غير الإسلاميـــة

موجات العداء الغربى لهم ، فاذا كان جارودى المنظر السابق للماركســـية فى فرنســـا ، و « موريس بوكاى » الطبيب الشهير وصاحب المنهج التجريبى فى العلـوم ، وللفيلســـوف السويسرى « دومينيك جوردان » وغيرهم من المفكرين قد دخلوا الاسلام عن اقتناع ودراية ، ولفتوا أنظار العالم الى قوة الدين الاسلامى وعظمته ، فواجب الاعلام الاسلامى مســاندة هؤلاء الإعلام فى الدعوة للاســلام وابراز جهودهم حتى لا يطولها للتشويش المناهض الذى سبق أن كان وراء تشويه أغلب من دخلوا الى الاسلام ومنهم « ليج ياسو » الذى تولى عرش الحبشة وأعلن اسلامه ، عام ١٩١٣ ، نتتبعته محاولات التشويه من المنظمـــات التبشيرية المختلفة حتى لختفى نهائيـــا حتى الآن •

ــ الاهتمام بالاقليات الاسلامية فى البلاد غير الاسلامية ومطالبة الدول بمعاملة هــذه الأقليات بنفس معاملة غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى وربط هذه الاقليات بالمجتمــــع الاسلامى •

ــ إعادة النظر فى مواثيق المنظمات الاسلامية لتحقيق التكامل الاقتصادى بمفهومه الاسلامى والالتزام باستراتيجية ثابتة بالنسبة للقضايا المشتركة بحيث يعضد التكامل الاقتصـــادى الاعلام الاسلامى من كافة جوانبه •

وبعــــد :

فان هذه الرسالة توضح أن الصحفى المسلم داعية ومبلغ وليس مجرد ناقل للأخبار أو باحث عنها • فهو بجانب وظيفته الاتصالية لـــه أيضا دوره القيادى والفكرى فى مجتمعـــه الاسلامى ، خاصة وأن هذا المجتمع الاسلامى يتمتع بثروة بشرية تبلغ ربع سكان العالم وقوة مادية متميزة من حيث الموقع والمساحة الممتدة والثروات الهائلة تحت أقدامه بالاضـــافة الى العقيدة الراسخة التى تخاطب العقل دون وسيط بين الانسان وخالقه •

فهذه القوى المتعددة لا ينقصها سوى أن تعمل للاسلام فكرا وسلوكا ونظاما وتضامنا • وجزى الله الباحث عن الاسلام خير الجزاء •

حمدى الليثى

الفتاوى

إعداد : عبد الحميد السيد شاهين

• ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر •

تجديد مقام الضريح

س : من السيد / محمد عبد السلام

هل يجوز تجديد مقام ضريح لولى من أولياء الله الصالحين ، علما بأن هناك من يعارض ذلك من أهل البلد وهناك من يؤيده فما الحكم ؟

ج : لا مانع من تجديد المقام للمحافظة على ذكرى هذا الولى ، وايقاظا لشعور الناس حتى يسيروا فى طريق الصلاح الذى انتهجه فى حياته، وذلك اذا لم يكن فى ذلك تضييق على المسلمين فى مدافنهم ، ولم يحصل منه افتتان الناس فى دينهم .

الزكاة عن الأرض

س : الدكتور ف ـ عيد يوسف

اشتريت قطعة أرض بقصد تقسيمها وبيعها قطعا للسكن على سبيل التجارة . ثم بعت البعض نقدا وتسلمت ثمنه ، وبعضها بعته بثمن مؤجل على أقساط ، والبعض الآخر لا يزال موجودا تحت يدى ومعروضا للبيع ..

فكيف أخرج الزكاة عن كل ذلك ؟

ج : ان ما باعه وقبض ثمنه يزكى عنه زكاة النقد (الذهب والفضة) اذا حال عليه الحول وكان نصابا ، ومقدارها اثنان ونصف فى المائة (٥ر٢٪) يعنى ربع العشر وما باعه لأجل بثمن لم يقبضه يزكيه اذا قبضه لحول مضى .

وباقى القطع التى هى تحت البيع تقوم كعروض تجارة بثمن اليوم الذى يتم فيه الحول وتزكى قيمته زكاة عروض التجارة وهى ربع العشر .

زكاة المال إلى المستشفى

س : من السيد رئيس لجنة الهلال الطبية

هل يجوز اعطاء زكاة المال الى مستشفى خصما من القدر المفروض للزكاة ؟

ج : يجوز اعطاء جزء من هذه الزكاة لهذا المستشفى العام باعتبارها تعالج المرضى من الفقراء والمساكين ، وعلى اعتبار أنها جزء من مصرف الزكاة فى قوله سبحانه « **وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ** » .

فى الميراث

س : من السيدة / س٠ع٠ سليمان
صرفت الحكومة تعويضا لابنى (المتوفى) اشترينا به قطعة أرض ، وكان والده وأمه واخوته موجودين ٠٠٠ ثم توفى الوالد وترك : زوجة ، أولادا ذكورا واناثا من زوجتين ٠٠٠ فما الحكم مع العلم بأن اخوة من صرف تعويضا قاموا ببناء الأرض المشتراة ٠٠ ؟

ج : البناء من حق من قام ببنائه بدون أن أن يشاركهم أحد ٠

أما قطعة الأرض : فللأم السدس فرضا لوجود عدد من الاخوة والأخوات ، وللأب الباقى تعصيبا ٠٠٠

هذا الباقى يوزع : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولاده تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ٠

س : من السيد عبد السلام عبد العزيز
توفيت امرأة عن : زوج ، أخت لأم ، أخ لأب ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : الزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخت لأم السدس فرضا لعدم من يحجبها ، والباقى للأخ لأب تعصيبا ٠

تصويب

ننشر فيما يلى تصحيحا للفتوى المنشورة فى عدد ذى القعدة سنة ١٤٠٣ هـ حيث أعطى الزوج خطأ الثمن والصواب الربع وهى :

س : من السيد س٠ع٠ عبد المقصود
توفيت زوجتى وتركت منقولات قد اشتريناها معا مناصفة ، ولها زوج ٠ وبنت فقط فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : نصف المنقولات ملك خالص للزوج ، أما النصف الباقى الخاص بالزوجة فيكون للزوج الربع لوجود الفرع الوارث ، والباقى للبنت فرضا وردا لعدم من يعصبها ٠

والمحرر يعتذر عن هذا الخطأ بأنه سبق قلم ، فنصيب الزوج فى الميراث لا يخفى على أحد لقوله تعالى : « وَلَكُمْ نِصْفُ مَاتَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ، فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ » جزء من الآية ١٢ من سورة النساء ولا يفوتنا أن نشكر للسادة الاعزاء قراء المجلة حسن فقههم وحرصهم على صحة أحكام دينهم — فقد بادر الكثير منهم بالكتابة الى المجلة بل قد أرسل أحدهم برقية ٠٠ وان كانت قد وصلت متأخرة — وفقنا الله واياكم لما يحبه ويرضاه٠ آمين ٠

عبد الحميد السيد شاهين

الأزهر فى ألف عام

مع الحدث العظيم لألف عام مجيدة فى خدمة الاسلام والمسلمين تقدم الكثير من أبنـاء مصر ببحوث ــ الى اللجنة العليا للاحتفال بالعيـد الألفى ــ تسجل نشاط هذا الجامع الجامعة فى مختلف نواحيـه .

كذلك كتب كثير من المسلمين فى أنحـاء شتى من البلاد الاسلامية يرحبـون بهـذه المناسبة الجليلة لهذا التاريخ العظيم .

ومجلة الأزهر تقدم فى هذا الباب موجـزا لكل رسالة ثم تقدم تنويها بكلمات الكتـاب الاسـلاميين الذين قدموا لمصر التحية البارة ، وللأزهر التقدم العظيم .

وهذا هو الكتاب الأول

الأزهر ودوره فى الحفاظ على اللغة العربية

للأستاذ على الفلال

افتتح الكاتب بحثه ببيان أن القرآن الكريم محفوظ من عند الله وأن الكتاب العزيز كان سببا فى حفظ اللغة العربية من لهجات القبائل المختلفة اذ جنبها من مثل عجعجة قضاعة ، وطمطمانيـة حمير ، وتلتلة بهراء ، وعنعنة تميم ، وكشكسه أسد وغيرها مما يثقل على اللسان وتنفر منه الآذان .

ثم تحـدث عن القـرآن وأثره فى توحيـد اللهجات العربية وتناول بعد ذلك أثر الفتوحات الاسلامية على اللغة العربية ومـا أصابها من اللحن واللكنـات الاعجميـة ثم أورد سردا للمجهودات التى قام بها الخليفة الراشد عثمان ابن عفان ــ رضى الله عنه ــ فى جمع القـرآن الكريم فى المصحف الامام الذى التزمت بـه الأمصار الاسلامية .

ثم تحدث عن علم النحو وعلم اللغة وعـلم

البيان وعلم الأدب .

وعن الجامع الأزهر فرأى أنه لم يكن مسجدا لآداء الفرائض فحسب وانما كان جامعة بمعنى الكامة زاد فيه النشاط العلمى وتنوعت فيه العلوم والفنون وأصبح قبلة العلماء المتبحرين من رجال الشريعة الاسلامية .

ورأى أن صلاح الدين الأيوبى لم يحارب الأزهر كجامعة تذود عن الدين وتحمى لغة الكتاب والسنة وانما حارب فى رحابه الدعوة للمذهب الشيعى دون أن يسىء الى علمائه أو يحرم عليهم البحث أو يقيد فكرهم الا فى العلوم العقلية وبخاصة الفلسفة لاعتقاده أنها مفسدة للعقيدة . ومما لاشك فيه أن الأزهر قد أصابه الركود فى الحركة العلمية على حين نشطت فى المدارس الكثيرة التى بناها سلاطين الأيوبيين . ألا أن هذه المدارس انما نشطت — اذ نشطت — بما استمدته لكيانها من الأزهر .

واهتم بالحديث عن العصر الذهبى للأزهر والظاهر بيبرس . الذى أعاد للأزهر خطبه الجمعة بعد أن كانت معطلة فى العصر الأيوبى.

وقد حاز العلماء ورجال الدين فى هذا العصر احتراما كبيرا من السلطة وحظى الأزهر فى عهد دولتى المماليك « البحرية والبرجية » من العناية والبر بما تتضاءل ازاءه جهود الفاطميين منشئيه وأصحابه .

واهتم الباحث بالحديث عن اللغة والأدب فى العصر المملوكى ودور الأزهر فى حمايتها . حيث لم تستطع القلة من ذوى الثقافة اللغوية وقف تيار العامية الجارف وأدى ذلك الى :

— أن فشت الألفاظ الدخيلة فى اللغة بكثرة صعب معها على متناول صناعة الأدب غربلة التراكيب ونخل الأساليب ليسلم كلامه من دخيل الألفاظ وعامى الكلمات ، فضعفت ملكة اللغة ، وكان للأزهر حيال ذلك عمل جليل .

دور الأزهر فى درء هذا الخطر :

لم يترك علماء الأزهر هذا الخطر يتهدد لغة الكتاب والسنة فأسرعوا بدافع من غيرتهم واخلاصهم لدينهم وعروبتهم الى مقاومة هذا الخطر ووقف استشرائه والعمل على تحصين الكتاب والسنة من خطر عدواه . فبدأوا يهتمون بتأليف المعاجم لتكون مراجع لمزاولى صناعة الأدب تعينهم على التفرقة بين الأصيل والدخيل وعلى تفهم استعمال الألفاظ ذات الدلالات المتعددة ، فكان اهتمامهم بعلم النحو ليقضوا على شيوع اللحن . كما قاموا بتأليف كثير من الكتب الأدبية الفريدة لاثراء الملكات اللغوية والأدبية عند الراغبين .

ثم تحدث عن الأزهر فى العهد العثمانى .

الأزهر والحملة الفرنسية

الأزهر فى عهد محمد على

بدء الاصلاح الحقيقى للأزهر مع التنويه بعدة قوانين صدرت فى شأن الأزهر .

من أعلام الأزهر

ثم نتساءل — فى ختام البحث — عن السبب فى غياب اللغويين المجيدين والأدباء المبدعين والقصاص البارعين والخطباء المصقعين والكتاب المقنعين من بين خريجى الأزهر ؟

وأرجع ذلك الى عدم التوفيق فى الاعداد ، والى ضعف فى الاستعداد وفى النهاية قدم الكاتب مجموعة من التوصيات التى ترتقى بمستوى التعليم فى الأزهر من بينها :

تدعيم مدارس تحفيظ القرآن الكريم بقدر كاف من دراسة النحو والصرف مع حفظ مقدار من جيد الشعر والنثر .

والالمام بقواعد الاملاء واتقان الخط اذا شئنا أن نخرج فى المستقبل أدباء مرموقين ، وكتابا مجيدين .

* يجب علينا أن نفرق منذ ابتداء الدراسة بالمعاهد الأزهرية بين من يتطلعون الى المستقبل على أن يكونوا أطباء ، أو صيادلة ، أو مهندسين الخ .. ومن يرغبون فى أن يصبحوا بعد التخرج مدرسين للغة وآدابها . وذلك بأن يتخصص طلبة كليات اللغة العربية من باكر دراستهم بالمعاهد فى دراسات النحو وفقه اللغة والبلاغة والأدب وما اتصل بعلوم اللغة وبالله التوفيق .

هزوا القرى من كهفها ورقيما

أنتم لعمر الله أعصاب القرى

وهذا مقتطف مما دونه الباحث .

وبالله التوفيق .

الأزهر والدعوة الإسلامية فى الداخل والخارج

للسيدة خديجة عبدالله النبراوى عرض الأستاذ مجدى عبدالحميد بشير

هذا البحث رؤية خاصة عن دور الازهر فى الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج هذه الرؤية ناتجة عن أن القائم بهذه الدعوة هو الأزهر الشريف بتاريخه المضىء .

ان أروع ما فى هذا الأزهر أن ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ التوبة ١٠٨ انهم عظماء الرجال الذين رزقنا الله بهم ، حملوا مشعل الدعوة وخاضوا من أجلها كل الصعاب وهم يستعذبونها ، جاهدوا الجهاد الاكبر بمحاربة كل من تسول له نفسه المساس بهذا الدين انهم بحق : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ النور ٣٧ ، ولذلك فهذه الرؤية الخاصة لدور الأزهر فى الدعوة الاسلامية تتركز على الركائز الآتية :

* يقين خاص بحب رجال الأزهر لله ورسوله لأنهم درجوا على هذا الحب وتدربوا عليه جيلا بعد جيل .

* قدرة هؤلاء الرجال على التضحية بكل غال ونفيس وتاريخ الأزهر المضىء ومواقف رجاله المشهودة خير دليل على ذلك ٠

* الصحوة الاسلامية التى يشهدها العالم الاسلامى تطلب قائدا يأخذ بخطاها الى الطريق المستقيم حتى لا تتعثر فى مواجهة التيارات المعادية ٠ ولا يوجد من يقوم بهذا الدور خير من الأزهر لخبرته فى الدعوة الاسلامية ٠

* المد الاسلامى الذى يجتاح العالم ويسبب رعبا للدول الغربية ، جدير ببذل مزيد من الجهد لتحقيق مزيد من النمو له ليحتل الاسلام المكانة اللائقة به بالنسبة للقوى الدولية لأنه أساسا رسالة عالمية ٠

* توقعات كثيرة من المحللين العالميين على جميع المستويات بأن ثورة القرن الحادى والعشرين هى أن تصير القوة الاسلامية بما تمثله من خصائص احدى مصادر الطاقة التى تتحكم فى صنع القرار السياسى الدولى فى العالم المعاصر ٠

* ان سبب تخلف العالم الاسلامى هو البعد عن منهج الله وسبب تدهوره هو ذلك التخلف الفكرى والثقافى الذى يعيش فيه ٠

* ان الأزهر يملك رصيدا من الحب من الشعوب الاسلامية يعجز أى قلم عن وصفه وهذا الحب يفرض عليه التزاما كبيرا نحوهم ٠

* ان دور الأزهر فى الداخل لا يقل عن أهمية دوره فى الخارج :

فان دوره فى الداخل يعنى دور الدين فى حياة الشعوب اى يعنى الرقابة الداخلية على الضمير التى تحقق أقصى كفاءة انتاجية ممكنة فى العمل تصنع الاصلاح الشامل والتقدم والرفاهية ٠

أما دوره فى الخارج فهو يعنى احتياج الشعوب الاسلامية والأقليات المسلمة فى كل مكان الى تحقيق الانتماء الى عاصمة اسلامية معنوية ترشدها الى ما فيه خيرها وتساعدها على حل مشكلاتها والوقوف بجانبها وقت الشدة معنويا وماديا ورفع صوتها عاليا فى المحافل الدولية ٠

* ان الأزهر يملك أقوى سلاح فى العصر الحاضر ، وهو سلاح الكلمة اذا أحسن استخدامه الأمثل ٠

وقد شمل هذا البحث ثمانية فصول وتشتمل تلك الفصول على ما يأتى :

*** الفصل الاول ــ مفهوم الدعوة :**

لقد استخلصت مفهوما للدعوة من المفاهيم السابقة مع اضافة تفاعل احساسها البشرى بهذا المفهوم ٠ وخاصة أن هذا المفهوم دعامة أساسية ينطلق منها التصور الداخلى لدور الأزهر فى الدعوة الأسلامية ٠ ونلاحظ أن الباحثة أوجزت فى هذا الفصل لأنه وسيلة فى البحث وليس غاية ٠

*** الفصل الثانى ــ تاريخ الأزهر المضىء :**

ويتكلم هذا الفصل عن نشأة الأزهر ودوره خلال عصور التاريخ حتى ثورة ١٩٥٢ ٠ ولما كان هذا التاريخ وسيلة أيضا وليس غاية فقد استعرضت الباحثة هذا التاريخ بما يلقى ضوءا واضحا للقارىء العادى عن الدور العظيم الذى قام به الأزهر لنشر ودعم الدعوة الاسلاميه بمفهومها الواسع ٠ وختمت الباحثة هذا الفصل بلمحات من استقراء هذا التاريخ توضح كيف استقر الأزهر فى وجدان الشعب المصرى والشعوب الاسلامية عامة ٠

الفصل الثالث ــ رجال الأزهر ومواقف مشهودة :

وقد أوجزت الباحثة فى هذا الفصل دون اخلال بالمضمون ولكنه ايجاز لم يسمح بعرض مواقف كل رجال الأزهر الخالدة لأنها مواقف تجل عن الحصر .

* **الفصل الرابع — دور الأزهر فى الداخل :**

وفيه رؤية خاصة لامكانيات الأزهر المستقبلية فى الداخل وهو موضوع لم ينل عناية من الكتاب واذا تكلم فيه أحد فبطريقة جزئية وليست كلية وشاملة تتفق مع دور الأزهر فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والنواحى العسكرية . ثم أنهت الباحثة هذا الفصل بالحديث عن دور الأزهر فى عملية التنمية التى نعتبرفى أشد الحاجة اليها .

* **الفصل الخامس — انطلاقة الأزهر الى الخارج :**

وهو بمثابة دراسة تخطيطية لكيفية تحقيق تلك الانطلاقة على اسس سليمة بحيث تحقق أحسن نتائج ممكنة .

* **الفصل السادس : مشاكل الأقليات المسلمة:**

وفيه تم تناول مشاكل الأقليات المسلمة فى أفريقيا وآسيا وأوربا وأمريكا واختيار بعض الدول كنماذج لبقية الدول التى تعانى نفس المشاكل .

* **الفصل السابع : التحديات التى تواجه الأزهر :**

وتم فيه استعراض التحديات التى تواجه الصحوة الاسلامية والكثير من العقبات التى تواجه الأزهر بصفة كونه الرائد الذى يحمل على عاتقه نشر الدعوة الاسلامية وحيث انه رمز الانتماء الاسلامى بالنسبة للمسلمين . وهذه التحديات لابد من الصرامة فى مواجهتها ومحاولة وضع الحلول لمجابهتها .

* **الفصل الثامن — عالمية الدعوة الاسلامية :**

وفيه عرضت الباحثة الخصائص والمقومات التى جعلت الدعوة الاسلامية دعوة عالمية لتكون فى متناول الدعاة سنة ٢٠٠٠ هؤلاء الدعاة الذين سيخوضون حركة المد الاسلامى فى القرن الحادى والعشرين ان شاء الله ويحققون أهمية الدعوة الاسلامية .

وفى خاتمة البحث تحدثت عن كيفية الصحوة الاسلامية فقالت :

ان البداية هى ماعلمنا ربنا ، فليس من قبيل المصادفة أو العبث — حاشا لله — أن تكون أول كلمة فى القرآن هى : (اقرأ) . انه العلم الذى أمرنا به العليم الخبير .

فمعظم المشاكل التى تقابل العالم الاسلامى سببها جهل المسلمين ، سواء أكان هؤلاء المسلمون أقلية أم أغلبية ، لأن الجهل يقصر العقيدة على مجال الوجدان فقط وهو مجال لا يصلح لممارسة الحياة ، فقد تعلمنا من الكلمات المأثورة أن الحياة للأصلح ، ومن طلب العلا يعلو ، ومن جد وجد ، وما ضاع حق وراءه مطالب . فيجب على الفئة المتعلمة من المسلمين أن يبذلوا قصارى جهدهم فى تعليم أى عدد من المسلمين فى حدود استطاعتهم لأن الكثرة الجاهلة من المسلمين هى كغثاء السيل لا قيمة لها .

تم تحدثت عن أهمية العلم فى اصلاح المجتمعات الاسلامية ثم عن الطريق الوحيد للاصلاح فقالت : أن الطريق الوحيد للاصلاح بالنسبة للمسلمين هو العلم وليس العلم فقط بل العلم المقرون بالعمل أى العلم التطبيقى لأنه أساس كل اصلاح والآيات التى تتكون من كلمة (ع . ل . م) تبلغ ٣٥٩ ايه عدا الآيات الأخرى والأحاديث النبوية الشريفة التى تدعو بشكل أو بآخر الى العلم والعمل . وهذا مقتطف مما دونته الباحثه . وبالله التوفيق .

مجدى عبد الحميد بشير

أعمال الكتاب والهيئات في الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر

... وكما تناول الدارسون كثيرا من جوانب نشاط الأزهر فى مختلف الميادين بالدراسة وقدموا فى ذلك بحوثهم للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى فقد شارك الكتاب المسلمون والهيئات فى مصر وخارجها بجهودهم الكريمة فى هذه الذكرى لما لها من كريم المشاعر فى قلب كل مسلم يعتز باسلامه ويرى فى الأزهر مصدر العلم لهذا الدين الحنيف .

ونعرض — هنا — بايجاز لهذا الجد الكريم .

*** ففى الأزهر :**

* ساهمت جامعة الأزهر الى جانب احتفالها بالعيد الألفى باقامة عدة مسابقات وأنشطة فى كل من المجال الدينى والثقافى والرياضى والكشفى . وأعلنت الادارة العامة لرعاية الطلاب عن مسابقة دينية فى حفظ القرآن الكريم بين طلاب وطالبات الجامعات والمعاهد العليا على مستوى الجمهورية ،وأجريت المسابقة بقاعة الامام محمد عبده فى الفترة من ٣/٥ الى ٨٣/٣/١٠ وقد رصدت الجامعة لهذه المسابقة خمسا وثلاثين جائزة أعلاها أداء العمرة ، وفاز بها الخمسة الاول من الحفظة ، يليها جوائز مالية تراوحت قيمتها بين (١٥٠) مائة وخمسين جنيها الى خمسين جنيها .

وأعلنت الادارة العامة بالجامعة عن مسابقة ثقافية كبرى بهذه المناسبة فى مجالى البحث والشعر .

* كذلك قامت المناطق الأزهرية باعداد كتيبات هذه المناسبة حرصت على التعريف بتاريخ الأزهر فى مختلف عصوره وأبرزت دون علمائه الكبار على مدار هذه العصور ، كما سلطت الاضواء على كفاح الأزهر فى سبيل تحرير مصر والعالم الاسلامى كذلك اهتمت هذه الكتيبات باعطاء بيان عن نظام التعليم بالأزهر . تناول جهود العلماء تدريسا وتأليفا فى مختلف العلوم .

* ومن هذه الكتيبات :

١ — مجلة بعنوان (الأزهر فى عيده الألفى) أصدرها معهد الورديان بمحافظة الاسكندرية .

٢ — كتيب بعنوان (الأزهر فى ألف عام)

أصدره معهد المحلة الكبرى الدينى بمحافظة الغربية .

٣ - كتيب للتعريف بأصحاب الفضيلة شيوخ الأزهر أصدره معهد الباجور الدينى .

* وقد شاركت الادارة العامة لرعاية الشباب بالأزهر فى هذه المناسبة باجراء مسابقات اجتماعية ورياضية الى جانب مهرجانات كشفية بالمعاهد وعلى مستوى المناطق وكان للنشاط الثقافى دور بارز فى اهتمامات الادارة العامة لرعاية الشباب فأجرت مسابقات ثقافية فى الشعر والخطابة وصحف الحائط .

وفى الوزارات :

* ساهمت وزارة الاوقاف بعديد من الانشطة بلغ ستة عشر نشاطا منها :

* اقامة ثلاثين سرادقا بمختلف عواصم محافظات الجمهورية ليحاضر فيها أئمة الفكر وأساتذة الجامعات والمهتمون بالشئون الدينية فى هذه المناسبة .

كذلك تم اختيار عدد من المساجد الكبرى بالمحافظات ليلقى فيها (١١٠٠) طوال أيام الاحتفال أختير لها المحاضرون من الأئمة والوعاظ والمدرسين بالمعاهد الازهرية .

* وشاركت وزارة الاعلام بتغطية اعلامية مكثفة للاحتفال تبرز جلال المناسبة ، فكانت البرامج فى وسائل الاعلام المسموعة والمرئية عن الأزهر ودوره تعطى أبعادا حية عن الأزهر وعمله وجهاده خلال القرون العشرة التى عاشت مصر فى ظلها تلقى من المسلمين كل اعزاز وتكريم بفضل احتضانها للأزهر .

* وقدمت وزارة الثقافة من خلال الثقافة الجماهيرية أعمالا عدة تناول بعضها علاقة الأزهر بالجماهير ، والحركة الوطنية ، وتأثيره على الحركة الفكرية والادبية .

والهيئات :

ساهمت الهيئة القومية للبريد باعداد طوابع تذكارية تخليدا لهذه المناسبة .

كذلك أصدرت مصلحة سك العملة المصرية جنيها فضيا و خمسة جنيهات ذهبية تم بيعها للمواطنين فى هذه المناسبة . وقامت الهيئة العامة للكتاب بالتنسيق مع الامانة العامة للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر باعداد كتاب تذكارى يكون مسجلا حافلا بجهاد الازهر ورجاله بالاضافة للى القاء الضوء على عمارة الأزهر وأروقته ومدارسه .

وقامت هيئة الآثار المصرية ببعض أعمال الترميم والطلاء لمبنى الجامع الأزهر .

والكتاب :

هذا وقد أسهم معظم الصحفيين بالكتابة عن الأزهر فى هذه المناسبة الفذة ، وقدموا كلمات عبرت عن آمالهم وآرائهم ومقترحاتهم ليمضى الأزهر فى أداء رسالته قدما على أرفع مستوى يأمله المسلمون حاضرا ومستقبلا .

أنباء وآراء

هيلموت شميث يعلن فى الأزهر الشريف :

■ كل الملوك والرؤساء الذين التقيت بهم قالوا إن جامعة الأزهر هى الجامعة الأم

* استقبل فضيلة الأمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتبه بالأزهر الشريف مستر هيلمون شميث مستشار المانيا السابق واوفد المرافق له حضر المقابلة فضيلة الدكتور محمد اسعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الشيخ عبد الحكيم نعناع وكيل الأزهر وقد رحب فضيلة الأمام الأكبر بالضيف الألمانى والوفد المرافق له وشكرهم على هذه الزيارة الودية التى تأتى من منطلق التقدير العظيم والعميق الذى يحمله المستشار شميث وشعب المانيا الصديق للاسلام والمسلمين ٠ وقد قام فضيلة الأمام الأكبر بشرح الدور العظيم الأزهر والأزهريين فى عالمنا المعاصر وكيف أن علماء الأزهر ينتشرون فى كل مكان من العالم يؤدون رسالتهم العظيمة كما وضح فضيلة الأنام الأكبر دور جامعة الأزهر وكيف ان خريجيها اصبحوا متخصصين فى شتى فروع المعرفة دينية وعلمية ٠

وقد استفسر الضيف الالمانى عما اذا كان هناك بحوث علمية تقوم بها جامعة الأزهر فى تاريخ الأديان وتاريخ الأنبياء ٠

فهل هناك دراسات عن سيدنا ابراهيم أو سيدنا موسى أو سيدنا نوح عليهم السلام لأن هؤلاء الأنبياء يدرسون فى المسيحية ٠

ووضح فضيلة الأمام الأكبر ان القرآن

إعداد : صفوت عبد الجواد • أحمد عبد الرحيم السايح

■ نحن مدينون بتقدمنا للثقافة والحضارة العربية والإسلامية

■ جئت لكى أطلب من الأزهر المساعدة فى دراساتى للأديان المقارنة بصفتى متخصصاً فى علم مقارنة الأديان .

الكريم نفسه جاء بقصص هؤلاء الأنبياء وتقوم كلية اصول الدين وكلية الدعوة بدراسة ذلك للطلاب المتخصصين ٠

وقد ذكر مستر هيلموت شميث فى حديثه مع فضيلة الأمام الأكبر أن تخصصه فى (علم مقارنة الأديان) وأعرب عن أمله فى أن يزوده الأزهر بالمؤلفات ٠

واستفسر فضيلة الأمام عن مؤلفات مستر شميث فى علم الأديان المقارن فاجاب أنه تخصص من حيث الدراسة وشغلته السياسة ولكن أن شاء الله سوف يعود للدراسة مرة أخرى ٠

وقد سر المستشار بتخصيص قسم المانى للدراسة بجامعة الأزهر وأشار بفضل العرب على الفكر الألمانى منذ أكثر من الف عام ٠ وقال قد تعلمنا من العرب الرياضة والفلك والآداب اليونانية والفلسفة والتاريخ اليونانى كل ذلك جاءنا عن طريق العرب وليس عن طريق الرومان فأماالطب فقد جاءنا عن طريق العرب ٠وتحدث المستشار شميث عن العلاقات الثقافية بين المانيا والعرب وعن ازدهارها خاصة مع مصر ٠

وقد وضح فضيلة الأمام الأكبر للمستشار الألمانى دور الأزهر وعلمائه وما أسهموا به من حضارة وتقدم وأشار الى مكتبة الأزهر التى تضم الآلاف من المخطوطات والكتب ٠

وقد استفسر المستشار شميث عن بدء طباعة المخطوطات فاجاب فضيلة الأمام بأنها بدأت من القرن الماضى ٠ ثم تساءل المستشار عن العلاقة بين الأزهر والسربون فاجاب فضيلة الأمام الأكبر بأن كثيرا من علماء الأزهر درس بالسربون امثال فضيلة الأمام الراحل د ٠ محمد الفحام ، د ٠ محمد عبد الله دراز وتخرج من الجامعات الألمانية د ٠ محمد البهى، د ٠ محمد عبد الله ماضى ٠

وفى ختام اللقاء شكر المستشار الألمانى فضيلة الامام الأكبر على استقباله لسيادته وللوفد المرافق له ٠

تطبيق الشريعة الاسلامية فى موريتانيا

تم تطبيق الشريعة الاسلامية فى موريتانيا ، وصدرت أحكام بقطع يد السارق ، ورجم الزانى ٠ صرح بهذا الشيخ محمد الفالى ، المستشار الدينى لرئيس جمهورية موريتانيا ٠

وأضاف قائلا : انه تم تشكيل لجنة لدراسة تطبيق الشريعة الاسلامية فى المجال

الاقتصادى بهدف تطبيق الشريعة تطبيقا كاملا فى مختلف المجالات • وقال : أن عدد المدارس الاسلامية هناك بلغ ستين مدرسة فى مختلف المراحل الدراسية ، تضم عشرة آلاف طالب •

مركز اسلامى جديد فى شيكاغو

تم بعون الله تعالى وتوفيقه • الاتفاق مؤخرا بين مجلس التربية والتعليم لمدينة « فيلا بارك » احدى ضواحى مدينة شيكاغو الغربية •• حيث يوجد أكبر تجمع اسلامى فى الولايات المتحدة الامريكية •• وبين مجلس ادارة المؤسسة الاسلامية بالمنطقة ، على أن تنتقل ملكية مدرسة « ماديسون » بالمدينة الى المؤسسة الاسلامية •• حالما تنتهى الاجراءات القانونية المتعلقة بعملية الملكية وقد بدأت المؤسسة الاسلامية برامجها الاسلامية فى المنطقة متخذة من هذه المدرسة مركزا اسلاميا جديدا لاقامة الصلوات الخمس ، والجمعة ، وعقد الاجتماعات، وممارسة البرامج التعليمية، للكبار والصغار ، فى ميادين التربية ، والدعوة الاسلامية ، وتعليم اللغة العربية ، وتأسيس جمعية اسلامية نسائية فى ظل مبادىء وتعاليم الدين الاسلامى الحنيف ، بالاضافة الى الاحتفال بشتى المناسبات والأعياد الاسلامية ، وعقد المؤتمرات » •

معهد للدعوة الاسلامية بالمغرب

تقرر تأسيس معهد عال للدعوة الاسلامية فى المغرب ، بهدف تخريج دعاة أفارقة ، للعمل فى مجال نشر الدعوة الاسلامية فى القارة الافريقية ، والتصدى لما يوجه للاسلام من حملات تضليلية •

ويأتى هذا المعهد ضمن مشروع اسلامى كبير يضم مركزا اسلاميا ، ودارا لطباعة القرآن الكريم ، واعداد ترجمات لمعانى القرآن باللغات الافريقية •

انشاء مدرسة اسلامية فى ديترويت

صرح الشيخ وهبة اسماعيل مدير المركز الاسلامى فى ولاية « ديترويت » بالولايات المتحدة الامريكية • بأن الجالية الاسلامية هناك تقوم بانشاء أول مدرسة اسلامية لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامى •• وأضاف : أن عدد المسلمين فى ولاية (ديترويت) بلغ خمسة وثلاثين ألف مسلم • وأن المركز الاسلامى يعقد ندوات أسبوعية للتعريف بالاسلام ، وأن غالبية المسلمين من ألبانيا •

وطالب مدير المركز الاسلامى الدول العربية بدعم المركز بالمطبوعات التى تتحدث عن الاسلام باللغات الاجنبية ، وتزويده بالمصاحف والخطب الدينية المسجلة حتى يمكن تعليم المسلمين •

وأعلن مدير المركز : أن عدد المسلمين

يتزايد نتيجة اقبال الامريكان على اعتناق الدين الاسلامى ، وأن المركز لا يمنحهم شهادات الا بعد أن يحفظوا بعض قصار السور من القرآن الكريم ، وأن يجيدوا الصلاة .

مراكز للدراسات العليا فى باكستان

تم الاتفاق بين دولة الامارات العربية المتحدة ، وجمهورية باكستان الاسلامية على تسليم ثلاثة مراكز للدراسات العليا ، فى مجال الدراسات الاسلامية واللغة العربية ، والحاقها بجامعات كراتشى والبنجاب وبيشاور ، وتتخصص فى تطوير الدراسات الاسلامية ، ودراسات اللغة العربية ، وستمنح الدارسين بها درجتى الماجستير والدكتوراه ، لتخريج علماء فى هذا المجال .

تصحيح المناهج الدراسية فى أندونسيا

بدأت فى أندونسيا حركة قومية لتصحيح الأخطاء الواردة بالمناهج الدراسية عن الاسلام ، وتاريخ دخوله الى هذه البلاد .

.. وقد عقدت فى « سومطرة » عدة مؤتمرات اسلامية للمطالبة باعادة النظر فى كتب التاريخ المقررة بالمدارس والمعاهد . وذلك بهدف تصحيح الأخطاء الواردة فيها عن الاسلام .. مما وضعه المستشرقون .

مجلة أبحاث الاقتصاد الاسلامى

صدر عن المركز العالمى لأبحاث الاقتصاد الاسلامى بجامعة الملك عبد العزيز بجده . « مجلة أبحاث الاقتصاد الاسلامى » باللغتين : العربية والانجليزية .

والمركز أنشىء عام ١٣٩٧ ﻫ ١٩٧٧ م بالجامعة ليقوم فى مجال الاقتصاد الاسلامى، باجراء البحوث العلمية ، وانشاء مكتبة ، متخصصة ، وتوفير التسهيلات والدعم للباحثين ، حيثما كانوا ، وبنشر البحوث واصدار الدوريات ، واعداد الكتب الدراسية وتنظيم الندوات والمؤتمرات ، والدورات التدريبية .

أحمد عبد الرحيم السايح
صفوت عبد الجواد

فهرس العدد

الموضـوع — الصفحة

* الافتتاحية
- من الهجرة الآمنة الى الفتح المبين ١
للدكتور على الخطيب
- من الهجرة حسن السلوك ٤
للامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر

* دراسات فى القرآن والسنة
- مع آيات الله فى كتاب الله ١٠
للدكتور محمد محمد خليفة
- النقد الحديث فى صحيح البخارى ١٧
للدكتور الحسينى هاشم
- حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الاسلامية ٢٤
للدكتور عبد الله مبروك النجار
- الأسرة بين الحكمة والأسوة فى الاسلام ٣٩
للدكتور توفيق محمد شاهين

* دراسات فى الهجرة
- الهجـــرة المبـــاركة ٤٨
للأستاذ/عبد الرحمن عبد الحميد البر
- يثرب عند الهجرة ٦٠
للأستاذ على القاضى
- البدع والآثام التى استحدثت فى شهر المحرم الحرام ٦٧
للدكتور محمد محمود شعبان
- هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بين جفاء أهل الطائف وترحيب انصار المدينة ٧٣
للمستشار محمد عزت الطهطاوى
- التاريخ الهجرى المهجور من اهله ٨١
للأستاذ محمد احمد بدوى
- هجرة القلوب ٨٣
للشيخ محمد صابر البرديسى

* مـــن أعـــلام الازهر
- الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ٨٧
د . محمد عبد المنعم خفاجى

* من الفكر الغربى
- من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى ٩١
للدكتور محمود عبد المعطى بركات
- فضل الاسلام على الحضارة الغربية ٩٨
عرض وتعليق الدكتور طه مصطفى ابو كريشة

الموضـوع — الصفحة

* الشـــعر ١١٠
- عبـــرة الهجـــرة للدكتور حسن جاد
- الى العام الهجرى الجديد
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ١١٣
- من وحى الهجرة شعر شوقى محمود ابو ناجى ١١٤

* من التراث
- مجلة الأزهر فى خمسين عاما
القضاء العادل فى الاسلام للشيخ محمد الخضر حسين ١١٦
اعداد الأستاذ عاطف زهران
- من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر
للأستاذ محمد عميرة على ١٢٠

* طرائف ومواقف للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٢٤

* الادب والنقـــــد
- شعر حافظ ابراهيم بين الاصالة والتجديد
للدكتور طه عبد الرحيم عبد البر ١٢٧
- أسلوب البحث فى علم النفس
للدكتور عبد الله عبد الحى موسى ١٣٥
- وسائل الاعلام فى المجتمع الاسلامى
للدكتور حسن محمد على العنيبسى ١٤٠
- مع رسالة جامعية
عرض وتقديم حمدى الليثى ١٤٩
- الفتـــــاوى اعداد عبد الحميد السيد شاهين ١٥٧

* مع الازهر فى الف عام
- الأزهر والدعوة الاسلامية
للسيدة خديجة عبد الله النبراوى ١٥٩
- الأزهر ودوره فى الحفاظ على اللغة العربية
للاستاذ على على الفلال
- أعمال الكتاب والهيئات فى الاحتفال بالعيد الألفى
عرض الأستاذ عبد الفتاح الزيات

* انبـــاء وآراء
اعداد صفوت عبد الحليم ١٦٦
احمد عبد الرحيم السايح
- فهـــــرس
* قسم اللغة الانجليزية ١٧١
اعداد الدكتور انس النجار

طبع بمطابع روزاليوسف

The perpetual living axiom of the Hijrah of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) resides with devotion and reverance in the deep sentiments of all Muslims. The truimph of Allah's doctrine is everlasting supreme and eternal.

Let us depict and learn, let us take lesson and example, let us understand and conceive, let us pause and ponder with living hearts and cultivating minds the esoteric reality of the great Hijrah.

All Hail to you memorable Hijrah; All Hail to you for all you offered to Mankind. All Hail to you to eternity. All Hail to you magnanimous Prophet of Islam, Mohammad Ibn Abdullah (Prayers and Peace from Allah upon him)

Legend:

1) Famous Arab tribes residing in Yathrib.
2) Also called women's proclamation; in lieu of being of same context as that used by women why they proclaim. There is no mention of worriorship.
3) Some authors report that Abdullah Ibn Maktoom was also delegated to Yathrib with Musab Ibn Umayer. See Ref. (2).
4) Also called proclamation of worriorship in distinction to the first Akaba Proclamation.
5) Muslims emigrant from Macca to Yathrib (Madina).
6) Muslims residing in Yathrib.
7) A mountain in the outskirts of Macca.
8) It is not certain that Amer Ibn Fuhayrah accompanied the Prophet and his companions on their journey to Yathrib. If he did, there is no mention at what stage he departed; or did he complete the whole journey with them?
9) A place five Kilometers south of Madina.
10) This date was later amended in the reign of Omar Ibn Alkhatab to be the First of Muharam the start of Hijrah calender for Muslems.

References:

1) Alsira Alnabawiah.
3rd Edition, 1981;
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher; Dar Al Shorook, Jeddah.

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen.
24th Edition, 1978;
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey.
Publisher; Great Commercial Library, Cairo.

3) Mashahid Min Al Sira Alatirah;
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library, Cairo, 1980.

4) The Holy Quran.
Text, Translation and Commentary.
Abdullah Yusuf Ali.

them, his horse faltered three times. He apprehended that the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was protected by divine powers. Suraka requested a vow which the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) granted him.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and his companions continued on thier journey to Yathrib to reach Kubaà(9) on 2nd Rabei Awal(10), 20th September 622 AD. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) resided in Kubaà for few nights, after which he finally entered Yathrib, which he later named Al-Madina. . A city that later became the throbbing heart of a great Islamic empire; now very popular as the burial ground of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) .

These were the sequence of events of Hijrah of the Prophet Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) . This celebrated achievement is coherent in the minds of all Muslims demarcating the dawn of Islamic history. The Hijrah was not a departure or retreat from oppressive despotism nor was it an attrition towards people militant in rejecting the true faith. It was not a desire to acquire repute or eminence, nor was it a decoy to seek a life free from turmoil and adversity. It was exclusively total sacrifice and renouncement of all that is worldly dear and precious; in order to incur complete unification, credence and devotion to faith. This understanding is the essence, reality, and true meaning of Hijrah.

The association of powers at Madina provided grounds for an Islamic structure to be raised implementing and conducting the disciplines of Islam. The companions and followers of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) realized the dormant latent capabilities and strength inherent in their faith in Allah and their strict adherence and observance to the doctrine and teachings of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) .

The unique fraternity and brotherhood between the Muhagereen and Ansaars conducted by the Prophet Prayers and Peace from Allah upon him is unprecedented in history. It spells out the most omnipotent measure of equality and relationship between individuals and human groups.

In the Arabic peninsula, the powers of conflicting forces were changing. Among the pagans of Kuraysh there was defraction of opinion, and elements of split and failure. The new faith now secure at Madina instigated many to cultivate their minds and realize the Reality and the Light. They came to Madina individually and together to announce their Islam, to sit between the hands of the Messenger of Allah (Prayers and Peace from Allah upon him) to proclaim and witness that «There is no God but Allah; Allah is One with no partner, and that Mohammad is His Messenger».

meet him at Mount Thaor (7) after three nights. Abdullah Ibn Abi Bakre listened to talks of Kuraysh in Macca, and his sister Asma brought them food. Amer Ibn Fuhayrah protégé to Abu Bakre brought the sheep to the recluse in the cave at Mount Thaor to remove human footprints and make provision for milk .

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and Abu Bakre entered the cave after the latter ascertained its safety. When they were safely inside the cave; by divine authority of Allah, spiders strung their webs at the mouth of the cave and two wild pigeons nested on top.

The pagans of Kuraysh went in pursuit of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) , and reached the cave. There was a crucial moment of intense suspense, either total dispondency or a breakthrough to self determination. They failed to see at their feet. Deceived by the spider's web and pigeons, they returned outraged and desperate.

If ye help not (Your leader), (it is no matter); for Allah did indeed help him.
When the unbelievers drove him out, he had no more than one companion.
They two were in the Cave, and he said to his companion «Have no fear, for Allah is with us.»
Then Allah sent down His peace upon him, and strengthened him with forces which ye saw not, and humbled to the depths the word of the unbelievers.
But the word of Allah is exalted to the heights, for Allah is Exalted in might, Wise.

(Tauba IX, 40)

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and Abu Bakre remained in the cave for three nights, them left with their guide and Amer Ibn Fuhayrah on their long journey to Yathrib following a route by the coast.

On their way, they were pursued by Suraka Ibr Malek Ibn Gashaam desiring to collect the reward of hundred camels put up by Kuraysh for the seizure of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) . When he was close to

Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) as Messenger of Allah. They vowed to support and champion him, and ascertained his affiliation with them. Subsequently, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) appointed twelve prefects from amongst them. This was the second Akaba proclamation(4) which was preludial to the infilteration and proliferation of Islam in the homes of Yathrib.

The pagans of Kuraysh in response to these events became more despotic in enmity and hatred towards Muslims. Conjunctural to prevailing conditions in Macca, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) summoned Muslims to emigrate to Yathrib where they will be fostered with fraternity and brotherhood. They emigrated alone and in groups facing monstrous oppression and fierce constraint from the pagans. Patiently persistant, challenging, determined and with adherent obedience, the Muslims emigrated to Yathrib. They abandoned homes, families and wealth in pursuit of salvation and emancipation. Only few including Abu Bakre and Ali Ibn Abi Taleb remained in Macca with the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). The leaders of Kuraysh confronted with this consortium of power in Yathrib of Muhagereen(5) and Ansaar (6), feared the emigration of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). In plunder of opinion, the pagans contrived to kill him. They selected one man from each clan of Kuraysh to affect a combined single kill in order to spread the responsibility among all clans. Allah revealed their conspiracy to the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and directed him to emigrate to Yathrib. Hereupon, the Prophet (Pravers and Peace from Allah upon him) instructed Ali Ibn Abi Taleb to sleep in his bed and use his cloak as cover. At dawn, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) left his house and as he passed the men at the door, threw dust over their heads; Allah has blinded them. As he walked out he silently recited from the Quran:

> And We have put a bar infront of them and a bar behind them and further, We have covered them up ; so that they cannot see.
>
> (Ya-Sin XXXVI, 9)

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) came to Abu Bakre and informed him that Allah gave ordinance for his emigration. Abu Bakre weeping requested companionship. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) entrusted Ali Ibn Abi Taleb to give back all the claims and trusts to their owners. Several strategies were planned. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and Abu Bakre confided in and employed a non-muslim Abdullah Ibn Urayket as guide, gave him their camels and arranged to

THE HIJRAH
OF THE PROPHET MOHAMMAD
PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM.

BY :

Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D. PhD.

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

The Hijrah of the Prophet Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) from Macca to Yathrib was precedented by preordained events to be precursors to the Hijrah and to materialize its ultimate success.

The premise of Islam among the Arabs of Yathrib was achieved when the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) . encountered in Macca six men from the Khazraj (1). He invoked them to Islam and solicited their assistance to propagate his message. They acknowledged and promised to meet with him the following year.

In the following year, twelve men from the Khazraj and Aws(1) convened with the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) at Akaba near Macca. They accepted Islam and proclaimed in testimony his prophethood as Messenger of Allah. This was the first Akaba proclamation(2) which was the earliest footstone of Islam in Yathrib. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) entrusted Musab Ibn Umayer Alabdary as envoy(3) to Yathrib to instruct and teach Islam.

During pilgrimage in the ensuing year, seventy three men and two women from Khazraj and Aws came to Macca. They secretly assembled with the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) at Akaba in presence of his uncle Abbas Ibn Abdel Mutaleb. They witnessed that Allah is One and Proclaimed the

IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL, FROM THY WE SEEK SUPPORT.

Prayers and Peace from Allah upon the Prophet Mohammad, the entrusted Messenger, and upon his kinsmen and companions.

The Editorial of «Alazhar Periodical» has requested me to write an opening note on the occasion of the renewal of activities of the English Section of the «Alazhar Periodical» in the service of Islam and Muslims.

The English Section has been an integral part of the periodical for the past fifty years. It has ceased to appear in order to reconstitute its syllabus to make provisions for salient topics.

1) Essentials of Islamic Faith purified according to Quranic contexts.
2) The Honourable Hadith as quoted from master and recognised sources.
3) Narratives from the life of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) .
4) Events and incedents pertaining to Islamic History.
5) All useful aspects of Islamic literature to help in the understanding and propagation of Islam.

We praise Allah and ask Him support.

Monday 5th Zi Alhiga, 1403
11th September, 1983

Secretary General
Academy Islamic Research

Alhusseini Abdel Mageed Hashem

بسم الله الرحمن الرحيم

عجيب..! غير غريب..!

د. على الخطيب

رحم الله امرءا عرف قدر نفسه ، فلم يقف ما ليس له به علم ، ولم يدرج على وهم ، أو يرض لعقله أن يكون اناء يطرح فيه من شاء ما شاء ٠

وإن المرء ليحار بين أمشاج عدة ، قضت ــ بنفسها ــ على هذه الحيرة ، حين تمخضت عن أمرين كلاهما عجيب لكنه ليس بغريب ٠

أحدهما : الاستخفاف التام ، من بعض الناس بمقدساتنا ٠

وثانيهما : طرح المنهج العلمى فى تناول أمور هذه المقدسات ٠

* الجزء الثانى *
* السنة السادسة والخمسون * * صفر ١٤٠٤ هجرية *

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

صورة الغلاف

● الأزهر الشريف

عجيب ... غير غريب ..!!

والأمران تطوعا بالظهــور من خلال ما أثير حول الشيخ « **الأفغانى** » رحمه الله :

فان **دارا صحفية** وقورا قبلت هــذه المقالات التى نالت من الأفغانى بعينها ثم عادت فردتها الى كاتبها مع اعتذار بأنها تثير حساسية .

واذا كانت معلوماتى لاتزال نضرة ، وقد أظن ذلك ، فقد كانت الدار تعد لأمر أكثر حساسية حين أقدمت على نشر **أكذوبة على الله سبحانه** فى غير خجل أو خلق أو حياء على مدى خمســة أسابيع أو ست مناهضة فى أثناء النشر كلمــة حرة تنزل بصحيفتها ، أو كما تقول هى بنافذتها الحرة ، تبين رأى الطرف الآخر فيما تنشر ، ثم لا تزال تلج ــ الى يومنا هذا ــ فى تكريم صاحب الاثارة والحساسية ضاربة صفحا بما لمقدساتنا وتقاليدنا من قيم سائرة حتى نهاية الشوط فى ريادتها **للاستخفاف التام بمقدساتنا**.

ثم أقدمت « **التضامن** » على نشر مرفوض الدار الوقور ، وبدأ النشر من ابريل الماضى ، واستمر نشر ما أسماه صــاحبه تأريخا للفكر المصرى .. هذا التأريخ الذى احتضن الأمر الثانى اذ ضاع فيه المنهج العلمى على يدى عالم متخصص فى الأدب الانجليزى تناول الشــيخ **الأفغانى** دون نظ " اعتبار لآثار هــذا الرجل للفكرية فى **عالم المسلمين** .

وهل من الاعــم بالفكر المصرى أن نتهم الأفغانى فى دينه ، ويعلم الأســتاذ العالم أن ذلك الأمر ليس لأحد من الناس ، فتلك علاقة المرء بربه . ولقد يعلم الأستاذ أن كل مســلم مأمور شرعا ألا يمس هذه العلاقة أو يخوض فيها حتى لو تحــدث بهــا أقرب المقربين الى الانسان أو تحدث بهــا عن الأفغانى عبد الله النديم .

ويقينى أنــه لا يغيب عن **الأســتاذ العالم** سرعة عبد الله النديم فى الحكم المظهــــرى أحيانا ، وبدا منه ذلك وكتبه فيما كتب تبرئة لزعيم بهائى كبير زار مصر ، وخدع النــديم رحمه الله بمظهره .

لا أشك أن الأســتاذ العالم ، وهــو يؤرخ للفكر المصرى يغيب عنه هذا المرجع للنديم وهل يرضى الأستاذ العالم ــ بنفس هذا الأسلوب، ونفس هذه الطريقة ــ بطرح أدب « **بيرون** » فى الحضيض .. مع أن سره ذاع وشاع وملأ الأسماع ؟!!

ومع الفارق بين الرجلين خلقا وعلما وعملا .

ولقد يروق **للأستاذ العالم** أن يرى الوثائق البريطانية ومادار فى فلكها فوق الشك والتهم ويرى كتابها ــ من دون البشر ــ قمة قياسية فى النزاهة والشرف والأمانة ... عــلى مناعة من الهوى والميل ، أبرأ من كل عيب ، وأقوى من رغبة مرءوسيهم .

ألم يكونوا فى خدمة وطنهم أولا .. ورغبتهم فى ذلك غريزة .؟!

أليسوا حريصين على استنبات الشـــك فى قلوبنا جميعا نحو كل زعيم من زعمائنا •

ألم تنل هذه الوثائق البريطانية وغيرها من الوثائق الاستعمارية **من الشيخ الشرقاوى ، ثم الأفغانى ثم محمد عبده** ٠٠ ولست أشـــك أن بيد الأستاذ العالم هذه الوثائق أيضا وأعلم ويعلم الأستاذ أن **الدكتور على سامى النشار** ــ رحمه الله ــ دفع بهــذه الأفكار يوما ــ فى الستينيات ــ الى المطبعة •

وهلا انصرف **الأستاذ العالم** الى دحض ما تقوله هــذه الوثائق بآثار الأفغانى نفسها ان الأستاذ العالم بحكم تخصــصه يتنــاول الشخصيات الأدبية من خلال موازنة دقيقة لما كتب عنهـــا ، وما كتبت هى فى مذكراتها ، وما تحدثت به الرسميات فى شــــأنها ، وأخـــيرا ما يعطيه النقد الداخلى لآثارها الفكرية ٠٠٠

٠٠٠ ولولا ذلك كله لأصبح **شكسبير** خرافة

ألا يستحق الأفغانى من الأستاذ العالم نفس النظــرة لتلمس الانصـــــاف ٠٠ ؟

ان الوثائق البريطــانية بالـــذات وصـــمت بالعمالة كل زعماء مصر بلا استثناء قبل الثورة وجعلتهم فى خدمتها عبيدا وأذنابا ٠٠٠ بينمـــا البريطانيون أنفسهم هم الذين حكموا على كثير منهم بالاعدام أو النفى ، فلم كان الاعدام ،ولم كان النفى ؟!!

انه لا يغيب عن الأستاذ العالم ما تضـــمنه « **تاريخ للبيع** » بشأن هؤلاء الزعماء ، ثم ماذا وجدنا بعـــدئذ فى كتابات « **مايلز كوبلانـــد** » و « **ديفيـــد هيرست** » من كتاب المخـــابرات الأمريكيـــة والبريطــانية ٠٠٠ هل نترك لهم موازين رجالنا ونقنع بـــ « **نزاهتهم** » فيمـــا يكتبون ؟!!

وهل يكون ذلك منهجـــا علميا ؟!! وهل كل النصوص سواء ؟ !!

ان ير الأستاذ العالم ذلك فللمصريين عقيدتهم فى زعمائهم ، لن تنال منها ممارسة تغض النظر عن النهج المستقيم •

د٠ على الخطيب

- أصحاب الأخدود
- قصة الصرفة

دراسات قرآنية

- القرآن العظيم ومجمع البحوث الإسلامية

أصحاب الأخدود

لفضيلة الشيخ مصطفى محـــمد الحديدى الطير

*** قال تعالى فى ســورة البروج « قُتِلَ أَصْحَـــابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ» الى قوله « إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُـــؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ » ***

البيـــــان

نزلت هذه السورة فى العهد المكى ، تحكى لونا من البلاء بالغ الغاية فى القسوة والغلظة ، صبه ملك جبار وبطانته القاسية القلوب ، على طائفـــة كبيرة من المؤمنين والمؤمنات ، أحرقوهم بالنار حتى هلكوا، ولم يفرقوا بين شيخ طاعن فى شيخوخته، وبين شاب مشرق الجبين باسم الثغـــر لمستقبله ، وصبى رضيع على صدر أمه ، ولا بين امرأة عجوز تقوس ظهرها وضمر جسمها ، وبين شابة فى ربيع العمر وشرخ الشباب ، وصبية حديثة الولادة .

والغرض من حكاية القرآن لهذه القصة ، تسلية المؤمنين فى صدر الدعوة الاسلامية ، عما أصابهم من ايذاء المشركين ، فانهم يدركون من حكايتها أن بلاءهم فى سبيل الله أخف من بلاء المؤمنين قبلهم ، وأن أهل الحق عرضة للبلاء فى كل عصر امتحانا لايمانهم وقد جـــاء ذلك صراحة فى قوله تعالى أول ســـورة العنكبوت

« أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » .

ولقد عقب الله هذه القصة فى سورة البروج بوعيد من يعذب المؤمنين والمـــؤمنات ان لم

أصحاب الأخدود

يتوبوا ، وبوعد المؤمنين الصابرين بالفوز الكبير ، وفيما يلى تفسير صدر هذه السورة .

« وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ » .

البروج جمع برج ، ويطلق لغة على الامر الظاهر ، وعلى القصر العالى ، وعلى الحصن ، وبروج السماء منازل وهمية فى فضاء الله ، تنتقل فيها النجوم والكواكب ، وهى الحمل والثور والحوت .

وبهذا الرأى قال أبو عبيدة ويحيى بن سلام ، واختاره ابن جرير ، وقال ابن كثير نقلا عنه : هى اثنا عشر برجا تسير الشمس فى كل واحدة منها شهرا ، ويسير القمر فى كل واحد يومين وثلثا ، الى ثمانية وعشرين يوما ، ويحتجب ليلتين : انتهى بتصرف يسير (١) .

وفسرها مجاهد والحسن وغيرهما بالنجوم — وقيل غير ذلك — والحكمة فى اقسام الله تعالى بالسماء ذات البروج ، توجيه أعين الناس وعقولهم الى ما فيها من روائع وآيات شاهدات بعظمة مبدعها وحكمته ووحدانيته ووجوب عبادته ، وصدق الله تعالى اذ يقول : **« لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا »** .

وكما أقسم الله سبحانه بالسماء ذات البروج أقسم باليوم الموعود — وهو يوم القيامة من غير خلاف فيه — قال ابن عباس : وعد أهل السماء والارض أن يجتمعوا فيه : أ هـ .

١ — انظر ابن كثير والقرطبى فى تفسير السورة .

وانما أقسم الله به تأكيدا لمجيئة ، لتحقيق عدالة الله بين عباده ، بمجازاتهم على أعمالهم ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ، حسب وعده جل وعلا .

وأقسم بالشاهد والمشهود ، والشاهد هو الله تعالى ، لقوله **« وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا »** وقوله **« وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا »** والانبياء شهود ، لقوله سبحانه **« فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا »** أو نفس الانسان شاهدة ، لقوله تعالى **«كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا»** وجوارحه كذلك لقوله جل وعلا **« يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »** والحفظة شهود لقوله سبحانه **« مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ »** وهذه الامة لقوله **« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ »** الى غير ذلك مما يكون شاهدا يوم القيامة .

أما المشهود فى كل ذلك فهو يوم القيامة وأهل الموقف وعجائبه وأهواله ، وعدالة الحق تبارك وتعالى ، وكرامة أهل التقوى ، وشقوة أهل الكفر والمعاصى .

« قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ »

المراد من قتلهم أنهم ملعونون مطرودون من رحمة الله ، قال ابن عباس : ما يرد فى القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

صدق الله العظيم

بلفظ (قتل) فمعناه لعن : أ هـ .

والأخدود : الشق العظيم المستطيل فى الأرض كالخندق ، والوقود ما أوقدت به النار من الحطب والخشب ، ووصف النار بذات الوقود للايذان بأنها نار حقيقية ، وليست نارا مجازية ، وفسر بعضهم الوقود بأنه الناس الذين أحرقوا فى الاخدود .

وكانت قصة أصحاب الأخدود فى الفترة التى بين عيسى عليه السلام وبين محمد — صلى الله عليه وسلم — وكانت فترة عصيبة ضد النصارى المتدينين ، فقد حوربوا من الرومان وغيرهم من الوثنيين ، واستحر فيهم القتل وألوان العذاب .

وقد رويت قصتهم فى كتب السنة ، ومنها صحيح مسلم ومسند أحمد والترمذى والنسائى وغيرها ، وفيما يلى خلاصة ما رواه الامام مسلم بسنده عن صهيب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « كان فيمن قبلكم ملك (١) له ساحر ، فلما كبر طلب من الملك غلاما ليعلمه حتى يرث عنه السحر ، فبعث له غلاما ، وكان فى أثناء تردده عليه يمر براهب ، فجلس عنده يوما فأعجبه كلامه فأكثر من التردد عليه ، وفى يوم رأى دابة عظيمة حبست الناس وأخافتهم ، فقال : اليوم أعلم هل الساحر أفضل أم الراهب ، فأخذ حجرا فقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها وخرج الناس ومضوا لشئونهم ، فلما أخبر الراهب قال له : انك اليوم أفضل منى ، وكان الغلام يبرىء الأعمى والأبرص ، ويداوى الناس من سائر الادواء ، فجاءه جليس للملك أصابه عمى وطلب اليه أن يشفيه فى مقابل هدايا كثيرة قدمها اليه فقال ان الله هو الذى يشفى ، فان آمنت به دعوته فشفاك ، فآمن بالله فدعاه فشفاه ، فلما عاد الى مجلسه عند الملك سأله : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربى ، قال : ألك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله ، فعذبه حتى أخبره بأمر الغلام ، فلما جىء به اليه سأله : أأنت تشفى الناس بسحرك ؟ قال : أنا لا أشفى أحدا والله هو الشافى ، فأمر بتعذيبه حتى دل على الراهب ، فأحضره اليه أعوانه ، فطلب منه أن يفارق دينه فأبى ، فأمر به فشق بالمنشار

١ — كان هذا الملك ملك نجران ، كما رواه الضحاك عن ابن عباس قال : « كان ملك بنجران ، وفى رعيته رجل له فتى ، بعثه الى ساحر ليعلمه السحر ، وكان طريق الفتى على راهب يقرأ الانجيل » ... انظر القرطبى فى تفسير السورة .

أصحاب الأخـــدود

شقين ، وأمر أن يفعل بجليسه مثل ذلك بعدما أصر على ايمانه بالله ، ثم قال للغلام : ارجع عن دينك فأبى ، فأمر بالقائه من ذروة جبل ان أصر على دينه ، فذهب به أعـوان الملك الى الجبل ، فلما صعدوا به الى ذروته قال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشى الى الملك وأخبره أن الله كفاه شر أصحابه ، فأمر بهأن يلقى من سفينة فى البحر ما لم يرجع عن دينه ، فلما توسطوا به البحر ، قال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا الغلام ، فرجع الى الملك وأخبره بهلاك أصحابه ، وقال : لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد واحد ، وتصلبنى على شجرة ثم تأخذ سهما من كنانتى ، ثم تقذفنى به وأنت تقول باسم الله رب هـــذا الغلام ، ففعل فأصاب السهم الغلام فى صدغه فمات ، فقال الناس : آمنا برب العالمين رب هذا الغلام ، ووقع ما كان يحذره الملك على نطـاق واسع ، فأمر بأن يحفر أخدود وتضرم فيه النار ، ويلقى فيه من لم يرجـــع عن دينه ، فنفذ أعوانه أمره حتى جاءت امرأة معها صبى لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقـال الصبى : يا أماه اصبرى فإنك على الحق .

هذه خلاصة معنى الحديث ، ولم نأت به بألفاظه لطوله ، فارجع اليه فى صحيح مسلم — كتاب الزهد . باب قصة أصحاب الاخـــدود والساحر والراهب والغلام — وفى هذه الفترة حدثت قصة أصحاب الكهف والرقيم ، فقـد خرجـــوا فرارا من ملك ظـالم ، ولجئوا الى كهف ، وكان من أمرهم ما قص الله تعالى فى سورة الكهف ، ولما انتبهوا من رقدتهم بعـد ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ، كانت الامور قد تغيرت ، حيث بعثوا فى عهد ملك صالح ، ولما ذهب برجاله اليهم فى كهفهم ليراهـــم ، قبض الله أرواحهم فبنى عليهم مسجدا ، وكان ابن عباس يرى أن كهفهم فى الاردن — وذلك فى احدى الروايات عنه —

« إِذْهُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَىٰ مَايَفْعَلُـــونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ » .

تحكى هاتان الآيتان أن أصحاب الاخدود كانوا قاعدين حول ناره ، وأنهم كانوا شهودا على احراق المؤمنين بها ، أى أن بعضهم يشهد لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمرهم به ، ويجوز أن يكون المقصود وصفهم بقسوة القلوب ، اذ كانوا يحضرون هـذه المأسـاة ويشهدونها بأعينهم ، دون أن تدمـــع منهم العيون أو ترق القلوب ، أو يفزعوا مما يرون ، ويرجعوا عن جريمتهم النكراء فى أهل الحق .

« وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » .

أى أن أصحاب الاخـــدود لم ينكروا من المؤمنين الذين أحرقوهم بالنار حتى هلكوا ، ولم يعيبوا عليهم الا ايمانهم بالله الغالب لمـا سواه ، المحمود فى كل ما يشرعه ويفعله ، فهؤلاء المارقون يرون ما يستوجب المدح والثناء وحسن الجزاء — يرونه منكرا يقتضى أشـــد العقاب وأشنع العذاب ، ثم وصف الله نفسه بما هو

بسم الله الرحمن الرحيم

الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد

مناط عزته وحمده ، وما يؤكد حقه فى الايمان به فقال سبحانه :

« **الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** » .

أى وما عابوا عليهم الا ايمانهم بالله الذى يجب الايمان به ، فانه عزيز غالب يخشى عقابه ، حميد منعم يرجى ثوابه ، له ملك السموات والارض خلقا وملكا وتصرفا ، وهو عالم بكل شىء مشاهد له ، فسوف يثيب من آمن به وتحمل الاذى فى سبيله ، ويعاقب من كفر به وعذب أحبابه، ثم عقب الله هذه الاشارة بوعد صريح للكافرين اذا لم يتوبوا من ظلمهم للمؤمنين فقال :

« **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ** » .

وهذه الآية قاعدة عامة تتناول أصحاب الأخدود ومشركى قريش الذين عذبوا من آمن منهم ، كما تتناول كل من يفتن المؤمنين والمؤمنات ولا يتوب .

والمعنى : ان الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات ليردوهم عن دينهم ، ثم لم يتوبوا من كفرهم وظلمهم ، بل أصروا على كفرهم ، واستحسان جرمهم ، فلهم بسبب ذلك عذاب جهنم على كفرهم ، ولهم أيضا عذاب حريقهم للمؤمنين والمؤمنات فى الدنيا والآخرة ، ثم بين الله أجر المؤمنين الصالحين فقال سبحانه :

« **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ** » .

ان الذين صدقوا بوحدانية الله وسائر كمالاته ، وضموا الى هذا التصديق عمل الصالحات قلبية كانت أو من عمل الجوارح ان هؤلاء — لهم فى الآخرة بسبب ايمانهم وصلاحهم بساتين تجرى من تحتها مياه الأنهار، فتكتمل سعادتهم باكتمال عناصر الجمال لديهم ، ذلك الجزاء العامر بأسباب المتعة والجمال ، هو الفوز الكبير الذى تصغر أمامه الدنيا وما فيها من متاع لا يلبث أن يزول .

وبعد فهذه قصة حدثت وقائعها فى أول العهد المسيحى ، حيث كان الوثنيون يقتلون كل من آمن بالله فى صدر النصرانية الاولى التى نشأت على قواعد الاسلام الذى هو دين جميع المرسلين ، وفى هذا العهد حدثت قصة أصحاب الكهف — كما ذكرنا — وقد ساق الله كل قصة منهما فى موضعها للغرض الذى سيقت له ، فأما قصة أصحاب الكهف فقد سيقت للدلالة على أن الله يبعث من فى القبور ، وأما قصة أصحاب الاخدود فقد سيقت لتسلية المؤمنين على ما أصابهم ، ببيان أن بعض من آمن قبلهم عذبوا أكثر منهم ، وأنه تعالى توعد من عذبوهم بأشد العقاب ، ووعد المؤمنين الصابرين بأجزل الثواب ، **وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ** .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

قصة الصرفة (*)

■ نشأتها ■ مدى تطور مدلولها
■ موقف العلماء منها

لما نزل القرآن وسمعه الجيل الذى نزل فيه لم يلتبس عليهم أمره وانما استيقنته أنفسهم ، وأدركوا أن نظمه ورصفه ليس من جنس ما تمارسه ألسنتهم ، وأن الذى فيه من النظم والسبك ، كالذى فى عصا موسى ، والذى فى احياء الموتى « فكما أنه محال أن يكون ههنا احياء ميت لا من فعل الله كذلك محال أن يكون ههنا نظم مثل نظم القرآن لا من فعله تعالى فهذا هو » .

رأت آذانهم فى القرآن ما يراه الناس فى تصريف الرياح وسوق السحاب المسخر ، وتحليق الطير فى أجواء السماء صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الله ، استيقن ذلك من آمن بالقرآن ومن كفر به وكانوا فى استشعار اليأس من أن يقدروا على مثله ، وما يجرى مجرى المثل له على صورة واحدة ، كأن قلوبهم فى ذلك قد أفرغت فى قلب واحد »(٢) .

ولم يرو التاريخ رواية واحدة تفيد أن واحدا منهم طاشت منه كلمة تقدح فى بلاغة القرآن ، مع كثرة ماروموا من أكاذيب ، وغاية ما ترامى اليه غيظهم فى شأن بيانه أنهم قالوا : لو نشاء لقلنا مثل هذا وأنه أساطير الأولين اكتتبها وأنه انما يعلمه بشر .

وهذا غير قادح فى نظم القرآن وانما هو مشير الى سمو منزلته فى نفوسهم مع أن مخرجه مخرج اليأس المقطوع كما قال علماؤنا .

ومضى الأمر على ذلك واعجاز القرآن ظاهر فى نفوس القوم ظهورا لا يلتبس ، ثم كان من أمرهم أن تبدلت أحوالهم ولانت جلودهم(٣) ، فضعفت سلائقهم ، وانتقلت ألسنتهم ونجم فى

١ ــ الرسالة الشافية ص ١٥٦ .

٢ ــ المرجع نفسه ص ١٣٣ .
ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن
طبعة دار المعارف .

٣ ــ من كنايات العلماء عن ضعف السليقة ، والمراد انتقلهم من البداوة .

(*) تنشر مجلة الازهر هذا البحث ليكون مجالا للنظر العام وليتناوله علميا من أراد الرد او التعليق عليه بأسلوب البحث العلمى البحت .

للدكتور محمد محمد أبو موسى

مجتمع المسلمين أهل التشكيك ، مجاهرين بزيفهم فكثر القول فى القرآن ، واعجازه ، وأنه خلق فى بعض الأجسام ، فمن ذلك ابتدأ لا من الله ، ومثل ذلك مما ضل به ضل ، وهلك فيه من هلك .

وكان فى رجال الرياسة من تاريخنا من يثبت بسيفه موضع الداء فى اللحظة الحاسمة ، كما كان خالد بن عبد الله القسرى وأمر الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان ، وهو أول من أظهر القول بخلق القرآن ، وكان قد تلقط مقالته من فم رجل يهودى اسمه طالوت بن أخت لبيد ابن الأعصم ، الذى قال ان التوراه مخلوقة ، فالقرآن كذلك مخلوق ، وكان من شأن خالد بن عبد الله أنه لما رأى مقالة الجعد تشيع ، وتبعث الفتنة ، خطب فى الناس يوم النحر ، وقال ضحوا يقبل الله ضحاياكم ، فانى مضح بالجعد ابن درهم انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ، ثم نزل فذبحه ، وكان ذلك على عهد التابعين وتحت عيون أئمة علماء المسلمين ، كالحسن البصرى وطبقته ، ولم ينكروا على خالد بل حمدوا فعله(١) .

وكان من الذى قاله الجعد ان نظم القرآن غير معجز ، وأن الناس يستطيعون أن يأتوا بمثله ، وأنه لا حجة فيه ، وأن فيه كذبا وخللا .

وقد طار هذا الكلام وشبهه ، الا أن ذبح الجعد أسكنه زمنا ، ثم ما لبث أن استعد هو وغيره ، واحترقت به قلوب وشردت فيه عقول ، وتزاحمت به هواجس ، ونجحت به فتنة ، وكان على سلف علمائنا أن ينهضوا الى ما يحسم « معتلجات الشكوك ، وخواطر الشبهات » .

وكان كثير منهم قد طال نظره فى مطالعة كتب الفلاسفة فخالطت عقولهم منازع الجدل ، ومما دفعهم الى ذلك لجاجة الملاحدة ، وأكثرهم يمضع تخاليط من هذا الكلام .

وفتح علماؤنا القول فى قضية الاعجاز ، وكانت تتوخى فى بعض جوانبها اثبات المعجزة ، ودليل النبوة ، وأن أمرا الهيا ظهر على يد محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ دل على أنه نبى الله ورسوله ، وأن هذا القرآن نزل عليه من عند ربه ، وكان أهل التشكيك قد طعنوا فى ذلك وطيروا الكلام فيه ، وهذا شىء وتحديد الجهة التى كانت بها المعجزة ، والحجة شىء آخر .

هناك فرق بين الاعجاز ، ووجه الاعجاز ، الأول موضع اتفاق أهل القبلة ، والثانى تنوعت فيه آراؤهم .

والتعويل على النظم ، وأن الاعجاز كان به أشبه بمخاطبة المسلمين وليس يجدى فى مخاطبة أهل الزيغ ، لأنه « يضيق مجال الحجة فيه ،

١ ــ ينظر كتاب الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية جـ٢ ص ١١٩ ، ١٦٣ ــ طبعة المغرب ، وكتاب اعجاز القرآن للرافعى ص ١٦٠ ، ١٦١ وقصة ابينا ابراهيم عليه السلام التى انكرها الجعد الذى تلقط مقالتين من فم طالوت اليهودى هى نفسها التى انكرها كتاب الشعر الجاهلى الذى تلقط مقالته من فم مرجليوت وهو يهودى .

ويصعب وصول البرهان اليه ، وانما مداره على استشهاد القرائح الصافية ، والطبائع السليمة ، التى طالت ممارستها للشعر ، فحذقت نقده ، وأثبتت عياره ، وقويت علـى تمييزه ، وأثبتت خلاصه »(١) .

والذين تحدثوا فى الاعجاز البلاغى أو حاولوا شرحه وقفوا عند مشـارف هـذا الأمر ، ولم يلجوه ، فليس بين أيدينا دراسة تحدد لنا النظم القرآنى الخاص به ، والذى يوجد فيه ببلاغته، على حد ما فعل الخطابى والباقلانى ولكننـا نتكلم هنا عن النظم الخاص بالقرآن ، والذى أبانوا عنه هو خلو القرآن من أنفـاس النفس الانسانية ، التى نراها منعكسة فى كل ما يصدر عن الانسان ، ماثلة فى مظاهر النقص والقصور اللذين هما من خصائص الانســان ، وبلاغة القرآن موصوفة بالكمال المطلق ، ومادام كذلك فهو من عند الله ، وهذا شىء غير حديث النظم الذى يحدد لنا كيف أعجزت ضروب نظم الكلام طاقات البشر مع أنهـا هى هى التى فى كلامهم لأنه جاء بلسان عربى مبين أى بنظام اللســان العربى . وطرائق تراكيب كلماته ، وكل الذى بين أيدينا فى هذا لا يخرج عن مثل القـول بأن التقديم أو التعريف أو الفصل أو غير ذلك من طرائق نظم الكلام تقع مواقعهـا عـلى وفق السياق فى الكلام فتحسن هكذا هى فى الكلام ، وهكذا هى فى القرآن ، نعم حسـنها فى القرآن حسن قاهر ، وهذا اذا تأملته وجـدته احـالة الى شىء غير محدد .

ومذهب الصرفة يعنى أن أمرا الهيا خـارقا أجراه الله على يد محمد صلى الله عليه وسلم دليلا على صدقه فى دعوى النبوة ، وهو أن الله صرف العرب عن أن يأتـوا بمثلـه ، ولـو لم يصرفهم لجاءوا بمثله ، وهذا خارق ، وعلى مثله يؤمن الناس ، وبه تقوم الحجة .

وقد عرض الخطابى فهم أهـل العلم لهـذا المذهب عرضا جيدا قال فيه : « ولو كان الله عز وجل بعث نبيا فى زمان النبوات ، وجعل معجزته فى تحريك يده ، أو مد رجله فى وقت قعوده بين ظهرانى قومه ، ثم قيل له ما آيتك ؟ فقال آيتى أن أحرك يدى أو أمد رجلى ، ولا يمكن أحد أن يفعل مثل فعلى ، والقوم أصحاء الأبدان ، لا آفة بشىء من جوارحهم ، فحرك يده ، أو مـد رجله ، فراموا أن يفعلوا مثل فعله فلم يقدروا عليه ، كان ذلك آية دالة على صـدقه ، وليس ينظر فى المعجزة الى عظم حجم ما يأتى بـه النبى ، ولا الى فخـامة منظـره ، وانما تعتبر صحتها بأن تكـون أمرا خـارقا عن مجـارى العادات ناقضا لها »(٢) .

وهذا التفسير هو الشـائع بين أهل العلم ، وهو الذى يفهم من كلام الجاحظ وهو قاطع فى اثبات الآية ، وقيام الحجة ، وليس القول بـه قادحا فى الدين ، وقد ارتضاه جماعة من أعيان أهل العلم ولا وجه لما قاله العالم الجليل الشيخ أبو زهرة ــ رحمه الله ــ من أن القائلين « بهذا القول يشككون فى مرتبة القرآن وكونه من عند

١ ــ الوساطة ص ٩٩ ، ١٠٠ ، لعلى بن عبد العزيز الجرجانى .

٢ ــ البيان فى اعجاز القران ص ٢٢ ــ ضمن ثلاث رسائل ، طبعة دار المعارف .

اللــه » .. وأن الذى يبــدو من لحن القــول والدعوى هو التشكيك المجرد فى علوم البلاغــة القرآنية ومن وراء ذلك التشكيك ما يريدون من توهين ثم دعاوى بأنه من صنع محمد » .. الى آخر ما قال رحمه الله :

أقول لا وجه لذلك لأن من القائلين بالصرفة أئمة فى الدين ومنافحين عنه ، ورامين من ورائه، على حد ما سنبين ان شاء الله .

ثم ان الذى قال به وهو أبو اسحاق ابراهيم ابن سيار النظام لم يدفع أحد أنه كان من بلغاء زمانه ، حسن المقالة ، رطب اللســان سريــع الخاطر ، دقيق النظر ، جيد القياس .

ذكروا أنه « جئ به وهو حدث الى الخليل ابن أحمد ليعلمه ، فقال له الخليل يوما يمتحنه، وفى يده قدح زجــاج يابنى صــف لى هــذه الزجاجة ، فقال أبمــدح أم بذم ؟ قال بمدح . قال نعم تريك القذى ، لا تقبــل الأذى ، ولا تستر ما ورا قال فذمها . قال سريع كسرها ، بطئ جبرها ، قال فصف هذه النخلة ــ وأومأ الى نخلة فى داره ــ قال أبمدح أم بذم ؟ قــال بمدح ، قال هى حلو مجتناها ، باسق منتهاها ، ناضر أعلاها ، قال فــذمها . قال هى صــعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى ، قال الخليل يا بنى نحن الى التعلم منك أحــوج » وذكروا أنه بدأ شاعرا ثم غلب عليــه الكلام ، كما أن أبا نواس بــدأ متكلمــا ثم غلب عليــه الشعر .

ومثل هذا البليــغ المتمكن الــذى عاش فى القرن الثانى ، والعربية باقية حرة خالصــة فى أفواه الأعراب ، لا يغيب عنه هذا الفرق الفائت بين القرآن وكلام الناس ، وانمــا رمى بهــذا القول فى حومة الجدل ، ولجاجة الخصــومة ، ولم يقله عن دراسة ومراجعة وتمام اقتناع .

وَيُؤْنِسُ هذا الذى أقوله أن ما عليه الجمهور من أن القرآن قاهر لقوى البشر وهم فى تمــام حضورهم العقلى والقلبى ، وتمام قــدراتهم البيانية غير مصروف منها شئ تــراه ماثلا فى كلام النظام متــواريا وراء القــول بالصرفة ، وبيان ذلك .

أن النظام ذكر أن القــرآن معجــز أيضــا بالاخبار بالغيب ، أى أن وجه الاعجاز عنــده راجــع الى أمرين وليس بالصرفــة وحــدها والاخبار بالغيب جزء من المعانى المدلول عليهــا فى القرآن فكيف يتلاءم هذا مع القول بأنه لولا الصرف لجاءوا بمثله ؟ الاخبار بالغيب أمر الهى لا طاقة للبشر به ، صرفوا أو لم يصرفوا .

وبهذا تظهر الغميزة فى مذهب أبى اســحاق ولهذا والذى قبله وهو تمكن الرجل المقتدر فى صناعة البيان قلنا ــ ولو على سبيل الاحتمال ــ ان حومة الصراع ولجاجة الملحــدين هى التى دفعت الرجل الى القول بالصرفة مع أننا يمكننا أن نقول شيئا آخر وهو أن المثل الذى كان يمكن

أن يأتوا به لولا الصرف انما هو النظم فحسب، أى لاقى النظم مقيدا بمثل المعانى ، حتى يخرج الاخبار بالغيب ، وبذلك يكون أبو اسحاق فطن الى أن التحدى انما هو فى النظم ، كما يفهم من لفظ (مفتريات) فى قوله تعالى « فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ » أى مثل نظمه أما المعانى فمن أى باب تفترون ، وهذا يسقط بعض ما أورده عبد القاهر على النظام من اعتراضات كما سنبين ، الا أن هذا يفتح عليه بابا من الاعتراض لا يمكن دفعه ، وهو صحة المعارضة بمثل « قفا نبك »وغيرها من الشعر الذى قيل فى أى باب من أبواب المعانى مادام المقصود هو النظم فحسب ، ولو فهم العرب ذلك وكانوا مصروفين كما قال لعارضوا بمثل هذا وهو محفوظ فى صدورهم ، والمهم أن أبا اسحاق قائل بأن فى القرآن شيئا لا تناله قدرات الناس، وهو الاخبار بالغيب ، وأنه لم يكن مقتنعا بأن الصرفة وحدها هى وجه الاعجاز ، وانما رمى بها فى وجوه أهل الزيغ ، الذين كانوا يثيرون ما ينقض حجة النبوة ، ولم يشأ أن يجادلهم فى أمر النظم ، لأنه يعلم أن النزاع فيه لا يدفع الا عند من كان ذا طبع ، اذا نبه انتبه ، فكيف مع قوم وصفهم خالقهم بأنهم، (وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) (١) •

أراد الشيخ أن يسد الشبهة ، وأن يحسم الأمر مرة واحدة ، وقد قال أهل العلم « ومن ضعف الرأى أن تسلك طريقا يغمض وقد وجدت السنن اللاحب ، وأن تطاول المريض فى علاجك ومعك الدواء الذى يشفى من كثب ، وأن ترخى من خناق الخصم وفى قدرتك الا يملك نفسا ولا تستطيع نطقا »(٢) •

وقد رأينا من علمائنا من يضم الرأى فى هذا الباب الى الرأى لا ينضم اليه وذلك لحسم الشبهة ، وقطع سبيل التطرق بالتهمة ، كالذى ذهب اليه الفخر الرازى من أمر الاعجاز فى السور القصار من « **الكوثر** » و « **العصر** » ، « **وقل ياأيها الكافرون** » وأننا لو قلنا : ان البلاغة فيها تقطع أطماع الخلق ، فقد يلج فى ذلك من يلج ، ويتماحك من يتماحك ، ويعد ذلك مكابرة ، ولذلك ذهب الى آن ما يظهر فيه التفوق البلاغى القاطع للأطماع ، والمسكت اللجاجة والتماحك ، فالاعجاز فيه راجع الى النظم ، وما كان كهذه السور فالاعجاز فيه راجع الى الصرفة ، ولولا صرف الله لجاءوا بمثله ، ونجد فى كلام الرازى ما يوحى بأنه سلك هذا الطريق لقطع الشغب •

ولا ريب فى أن الرازى يعلم علم اليقين ان عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل « انا أعطيناك الكوثر كعجزهم عن خلق السموات والأرض وما بينهما ، لأن المعجز قليله ككثيره ، خلق الذبابة كخلق السموات ، وقد ألحق بكتابه نهاية الايجاز رسالة كتبها الزمخشرى فى وجه الاعجاز فى « **انا أعطيناك الكوثر** ، وقد ساقها

---

١ ــ الاعراف آية ١٤٦ •

٢ ــ الرسالة الشافية ص ١٤٢ ــ ضمن ثلاث رسائل :

الرازى فى فصل لمتون له بهذا أى بوجه الاعجاز فى سورة الكوثر »(١) ولكنه هنا ناظر الى تماحك من يتماحك ، ولجاجة من يلج فاتجه بكلامه هذا الى قطع الشغب ، وقد وصف ابن كثير مقالة الصرفة ، بأنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة ، والمنافحة عن الحق ، مع أنها غير مرضية .

ولو كانت قادحة فى الدين كما قال الشيخ أبو زهرة لما رضيها هؤلاء على هذا الوجه الذى حددوه .

وقد ذكر الجاحظ فى النظام كلاما وصف فيه مخارج آرائه ، ومواردها واحتجاجه لها ، وقد كان الجاحظ قريبا من النظّام يعرف دواخل نفسه ، وتولد هواجسه ، وقد ذكر أنه كان شديد الذكاء يتبع أول هاجس ، ثم يحكم قياسه ويثبت دليله ، ويندفع فى ذلك من غير أن يراجع أصل الفكرة ، ويتدبرها بأناة ، وروية ، قال الجاحظ « كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدء أمره كان ظنا فاذا اتقن ذلك ، وأيقنه حزم عليه »(٢) .

وهذا عيب مضل ، ولعل الجاحظ أراد بهذا ما أشرنا اليه من القول بأن مثل النظام لا يخفى عليه ما بين القرآن وكلام الناس وانما هى هذه العوامل التى أوقعته فيما ذهب اليه من رأى غريب فى الدراسات القرآنية .

وكان النظام رأس فرقة وله آراء غريبة لا علاقة لنا بها هنا لكنه لم يكن بين أهل العلم رجل ضعيف خامل ، ولهذا لم يمت هذا المذهب مع أن الجاحظ تجرد لدفعه ، وانما بقى هذا الرأى وامتد واتسع وركب عقولا كثيرة ، وعد له من عد له ، وهذا هو الذى سوف نتابعه فى المقالة القادمة ان شاء الله .

د . محمد محمد أبو موسى

---

١ ـ ينظر نهاية الايجاز ص ١٦٠ وفى تفسير الرازى ، لآية « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » ...

٢ ـ اعجاز القرآن للرافعى ص ١٦١ .

القرآن العظيم
ومجمع البحوث الاسلامية

اطلعت — فى عــدد المجلة رقم ١٢ من السنة ٥٥ ، ذى الحجة ١٤٠٣ — سبتمبر ١٩٨٣ — على التحقيق القيم الذى تناولتم فيه (القرآن العظيم) نعمــة الله عــلى مصر ، والمظلة التى حمت سماءها والذى الف مصر وألفه أهلوها ، فحفظ أبنــاؤها كلماته ورتلوها ، ودرسوا علومه ورسمه وقــراءاته وتفننــوا فى كتابة مصــاحفه ونشروه فى العالم أجمع ، بل وفتحت مصر قلبها وبسطت ذراعيها الأبناء المسلمين من المشارق والمغارب تعلمهم القرآن الكريم حفظا وتلاوة وتجويدا .

وذلك على مدى قــرون طــويلة الى آخر ما وضحتم .

ثم عرجتم على آثار التخلف فى هذا الميــدان التى دفعت المسئولين والغيورين عــلى هــذا الكتاب العزيز الى الدراسة والفحص والتماس الاسباب ووسائل العلاج ودفعكم الى القيــام بهذه الدراسة المستوعبة لهذا الموضوع وبخاصة فى ميدان تحفيظ الناشئة للقرآن الكريم وفصلتم معالم القصور ووسائل العلاج وبعض الخطوات التى تم تنفيذها فى طريق النهوض بهذا الأمر .

ولقد وفقتم بعون الله تعالى فى ذلك أيما توفيق

ولقد استطلعتم فى هــذه الدراسة آراء بعض المسئولين والمهتمين بهذا الشأن من داخل الأزهر ومن خارجه .

وفى هذا المقام يسرنى أن أقــدم صــورة مختصرة تتصل بهذا الموضوع عن أكبر هيئــة اسلامية تابعــة للأزهر هى مجمــع البحــوث الاسلامية .

لقد عقد مجمع البحوث الاسلامية تســعة مؤتمرات ضمت علماء المسلمين من جميع أنحاء العــالم ، لم يخــل مؤتمر منهــا عن بحــوث ودراسات وقرارات وتوصيات تتصــل بالقرآن الكريم والعناية به وباللغة العربية باعتبــارها الوسيلة الى حفظه وفهمه ودراسته ، وهــذه الدراسات والبحوث — بحمد الله — مطبوعة ومنشورة ولكنى سأقتصر على نماذج من هــذه التوصيات والقرارات :

١ — جاء فى المؤتمر الأول :
(١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م)

يوصى المؤتمر باتخاذ الوسائل الكفيلة بزيادة عناية الشعوب الاسلامية جميعا باللغة العربية — لغة القرآن — عنــاية تيسر لهم الــوقوف المباشر على ما اشتمل عليــه القرآن والســنة النبوية وما وصل اليها أئمة الدين .

اثارت مجلة الازهر قضية القرآن الكريم وحفظه وتداولت أمر هذا الحفظ فى شتى جهاته ، وفتحت الباب لابداء الرأى النافع فى هذا الميدان .

وقد تلقى رئيس التحرير هذا المقال الذى يبين خطا مجمع البحوث فى هذا الشان فننشره كما تلقيناه ليكون بدوره عونا على البحث .. وضوءا قويا لابراز القصور .

للأستاذ محمد أمين البدوى

مدير الأمانة الفنية للمجمع

٢ ـ جاء فى المؤتمر الثانى : (١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م)

يوصى المؤتمر : ان تعنى الأمم الاسلامية جميعا بدراسة اللغة العربية : لغة القرآن والتشريع ، حتى يكون ذلك سبيلا الى الاتصال المباشر بلغة الوحى والى الاشتراك فى تذوق أسرار الاعجاز القرآنى والعودة بالثقافة الاسلامية الى ما كان لها فى القرون الأولى من وحدة وشمول .

٣ ـ جاء فى المؤتمر الثالث : (١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م)

يؤكد المؤتمر على توصية الدول الاسلامية بتعليم اللغة العربية : لغة القرآن الكريم فى مدارسها لتيسير مشاركة غير العرب من المسلمين فى دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية .

٤ ـ المؤتمر الرابع (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م)

يوصى المؤتمر بأن يعنى المسئولون فى الدول الاسلامية بانشاء دور للقرآن الكريم تكون مهمتها العناية بشئونه المختلفة حفظا وتجويدا ودراسة .

يوصى المؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بأن تشتمل الطبعات الجديدة لكتب التفسير المعروفة على تعليق علمى بأقلام المتخصصين الثقات يبين ما قد يكون فى هذه الكتب من أخبار اسرائيلية دخيلة على التراث الصحيح ليكشف عن وجه الحق فى موضوعها .

يوصى المؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بأن يعهد الى جماعة من العلماء فى وضع تفسير وسيط للقرآن الكريم فى أسلوب ميسر يسهل للقارىء الوصول الى معانيه (تم بحمد الله اخراج ٣٥ حزبا منه وتواصل اللجنة عملها) .

٥ ـ المؤتمر الخامس : (١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م)

يوصى المؤتمر جميع الدول الاسلامية بالعناية بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا وتفهما ، لأنه مصدر تشريعهم وأساس نهضتهم وعزهم .

يوصى المؤتمر بأن يواصل الأزهر جهوده فى دأب ونشاط لاعداد عدد من المعاجم للقرآن الكريم تختلف فى مستوياتها وأحجامها

وموضوعاتها بحسب حاجات الأوساط الاسلامية المختلفة .

يوصى المؤتمر بأن تكون طبعات المصحف بخط واضح يقرأ بالعين المجردة مع التزام الرسم العثمانى .

يوصى المؤتمر المجمع بالعمل على الاتفاق على تأليف هيئة اسلامية عالمية تشرف على طبعات المصحف قبل صدورها .

يوصى المؤتمر هيئة الاذاعة فى جمهورية مصر العربية بتقوية محطة القرآن الكريم ودعم رسالتها حتى تتمكن جميع البلاد الاسلامية من الاستماع اليها والاستفادة بامكاناتها .

٦ ــ المؤتمر السادس :
(١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م)

يوصى المؤتمر فيما يتعلق بالقراءات القرآنية أن القراءات ليست اجتهادية بل هى توقيفية تعتمد على الروايات المتواترة .

يوصى المؤتمر بتشجيع مقرئى القرآن الكريم على ألا يقتصروا على قراءة حفص حفظا لكل هذه القراءات الثابتة من النسيان والاندثار .

يوصى المؤتمر بتخصيص الأزهر منحا لدارسى القراءات فى البلاد الاسلامية .

يوصى المؤتمر بدعوة جميع البلاد الاسلامية الى تشجيع هذه القراءات بالدرس فى المعاهد المتخصصة وعلى أيدى الثقات من المقرئين .

يوصى المؤتمر جميع المسلمين بتعقب أى تحريف فى القرآن الكريم فى نصه العربى أو فى ترجمة معانيه ، وأن يبلغ أمانة المؤتمر بذلك للعمل على اتخاذ ما ينبغى لوضع الأمر فى نصابه .

يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بشأن دعم اذاعة القرآن الكريم فى جمهورية مصر العربية وتقوية موجاتها لتسمع فى جميع البلاد الاسلامية بوضوح ، وكذلك انشاء برامج قرآنية تعليمية لأحكام القرآن الكريم .

٧ ــ المؤتمر السابع :
(١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م)

يوصى المؤتمر جميع الجهات الرسمية القائمة على اعداد مدرسى التربية الدينية ببذل مزيد من العناية فى اعداد معلم التربية الدينية ، وأن تعنى بالتربية الدينية علما وسلوكا .

يوصى المؤتمر القائمين على التعليم الدينى فى جميع أنحاء العالم الاسلامى بالعناية الجادة بتحفيظ القرآن الكريم للنشء المتعلم .

وقد أحال المؤتمر هذا الموضوع على لجنة من أعضائه لدراسة وتقديم مقترحاتها للمجمع .

وهذا هو تقرير اللجنة المشكلة لهذا الغرض :

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير لجنة شئون القرآن ــ عما ينبغى العناية بتحفيظ القرآن الكريم

بعون من الله وتوفيقه . اجتمعت اللجنة المشكلة بقرار من المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية فى جلسته

المنعقدة بتاريخ ٢٤ من شعبان ١٣٩٢هـ الموافق ٢ من اكتوبر ١٩٧٢م برئاسة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر وعضوية السادة :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد هريدى

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حافظ محمد الشيخ

٤ ـ الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام

٥ ـ الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز محمد عيسى

واعتذر عن عدم الحضور السادة :

ـ فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد أبو شهبة

مع الموافقة على ما تقرره اللجنة .

اجتمعت للنظر فى شئون تحفيظ القرآن الكريم والعناية به نهجا على سنة انتهجتها مصر من يوم أن شرح الله صدور أبنائها للاسلام وميزة امتاز بها الأزهر ، فوضعته أمام واجب دينى وتعليمى ، لتحقيق أهداف المسلمين من العناية بعلوم الدين واللغة ، والاهتمام بالقرآن الذى هو عماد هذه العلوم وأصلها .

وقد درست اللجنة فى اجتماعات سبعة دليل عمل تقدم به فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز عيسى وكيل الأزهر بناء على طلبها ، كما طلبت من بعض الجهات المعنية بتحفيظ القرآن الكريم موافاتها بالوسائل التى تتبعها لتحقيق هذا الغرض ، ونظرت فى تقرير لجنة « دعم وسائل التربية الدينية » فى مدارس وزارة التربية ودور المعلمين ، وهو التقرير الذى لم ينفذ حتى الآن .

وانتهى رأى اللجنة ـ بعد تمحيصها لما اطلعت عليه ، ولما سمعته من آراء ـ الى المقترحات الآتية التى نعرضها على مجلس المجمع ، آملين أن تجد من المسئولين فى هيئات الأزهر المختلفة وفى الوزارات المتصلة بالموضوع العناية الكاملة لتحقيقها وتنفيذها بجو يليق بالأمر .

ترى اللجنة أن العناية بتحفيظ القرآن الكريم يقتضى العمل فى المجالات الآتية :

أولا : بالنسبة لداخل الأزهر .

١ ـ مجال الطلاب الذين يريدون الالتحاق بالمعاهد الدينية الأزهرية .

٢ ـ مجال الطلاب الملتحقين بالمعاهد وجامعة الأزهر .

٣ ـ مجال تعيينات مدرسى العلوم الدينية والعربية بالمعاهد الدينية الأزهرية وترقياتهم ، والاختيار لوظائف تفتيش العلوم الدينية والعربية ، وبخاصة التفتيش بالتعليم الابتدائى .

٤ ـ مجال اختيار الأزهريين للعمل بالبلاد العربية والاسلامية ، للوعظ أو التدريس ، نشرا للثقافة الاسلامية .

ثانيا : بالنسبة لخارج الأزهر .

١ ــ مجال الاختيار للوظائف الدينية الاشرافية فى وزارة الأوقاف أو غيرها من الوزارات والهيئات ، ولوظائف المأذونين الشرعيين .

٢ ــ مجال تجنيد حفاظ القرآن الكريم ومعاملتهم معاملة المؤهلين .

٣ ــ مجال اعتماد موازنة الأزهر (ميزانية بناء المعاهد الابتدائية والحوافز، والمكافآت التشجيعية للحافظين والمحفظين للقرآن الكريم بما يتفق مع مكانة القرآن الكريم) .

وهاهى ذى الاقتراحات :

ترى اللجنة ان العالم الأزهرى لا يصلح لأداء مهمته الا اذا كان حافظا للقرآن الكريم ولتحقيق هذا :

١ ــ قررت اللجنة بعد استعراض ما جرى فى السنوات السابقة ، وما ترتب عليه من دخول غير الحافظين للقرآن الكريم فى امتحانات القبول الاعدادى والثانوى وجوب اتخاذ وسائل حازمة ، تكفل عدم دخول غير الحافظين للقرآن الكريم مهما كانت النتائج لذلك ، وعدم الاصغاء للشكاوى التى قد تؤدى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى التجاوز عن حفظ القرآن الكريم فى الأزهر ويعتبر شيوخ المعاهد مسئولين مع الممتحنين عن تنفيذ هذه التوصية بالدقة .

٢ ــ تحديد أجزاء مناسبة لسنوات الدراسة بالنسبة للطلاب المنتسبين حاليا فى المعاهد الأزهرية الاعدادية والثانوية ، وأوصت اللجنة أن يقدر على الطالب حفظ خمسة أجزاء فى العام الدراسى بحيث لا يحصل الطالب على شهادة المرحلة الا بعد حفظه للأجزاء التى قدرت له فيها حفظا كاملا يجتاز فيه امتحانا تحريريا وشفويا دون ضم أحد الامتحانين الى الآخر . على أن تتولى ادارة المعاهد الأزهرية ابلاغ المعاهد بالأجزاء المقررة على كل صف .

٣ ــ تخفيف الازدواج فى مناهج التعليم الابتدائى الأزهرى لفسح المجال لحفظ القرآن الكريم ، على أن يترك وضع المنهج المناسب للجهة المختصة فى الأزهر ، والتوصية باعتبار الملتحقين بالمكاتب وجمعيات المحافظة على القرآن الكريم منفذين لقانون الالزام .

٤ ــ عدم اعتماد نتائج الامتحانات فى كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية وكلية الدراسات الاسلامية والعربية الا بعد النجاح فى القرآن الكريم أمام اللجان المختصة على أن يكون ذلك ابتداء من العام الدراسى ١٩٧٥/ ١٩٧٦ وعلى أن توزع أجزاء القرآن الكريم على صفوف الدراسة بالكليات السابق ذكرها اعتبارا من العام الدراسى القادم ١٩٧٣/١٩٧٤ كما اتبع بالنسبة الى الاعدادى والثانوى .

٥ ــ أن يكون التعيين لمدرسى العلوم الدينية والعربية المتخرجين فى الأزهر عن طريق مسابقة يجريها الأزهر ، ويشترط فيها حفظ القرآن

الكريم ، بعد اتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة لذلك .

٦ــ التوصية بجعل الترقيات الى وظائف شيوخ المعاهد ووكلائها والمفتشين والمدرسين الاوائل فى العلوم الدينية والعربية مشروطة بحفظ القرآن الكريم وبتطبيق ذلك على الاختيار للوظائف الدينية الاشرافية بوزارة الأوقاف وغيرها ، وعلى من يختارون لوظائف المأذونين الشرعيين .

٧ ــ عرض القائمين بالعمل من مفتشى التعليم الابتدائى حاليا على لجنة اختبار فى حفظ القرآن الكريم بعد ستة أشهر من قرار المجمع ، لابقاء الحافظ ونقل غير الحافظ الى التدريس مع منحه فرصة أخرى بعد ستة أشهر للعودة الى التفتيش اذا نجح فى حفظ القرآن الكريم .

٨ ــ جعل حفظ القرآن الكريم هو المادة الاساسية لمن يختارون من رجال العلوم الدينية والعربية للاعارة أو يتقدمون للتعاقد مع دولة أجنبية أو عربية بحيث يكون مجموع درجات الامتحان (١٠٠) مائة درجة منها :

٦٠ ستون درجة للقرآن الكريم ــ نهاية كبرى ، يراعى فى منحها حسن الأداء ، والصغرى ٤٨ ثمان وأربعون درجة .

٤٠ أربعون درجة للمعلومات العامة ــ نهاية كبرى وللصغرى ٢٤ أربع وعشرون درجة .

٩ــ التوصية بجعل امتحان المعارين والمتعاقدين أمام لجان لها رئاسة امتحان خاصة كرئاسة امتحان الشهادات الأزهرية .

١٠ ــ اعتبار حفظ القرآن الكريم بتمامه مؤهلا فى التجنيد يعامل أصحابه بعد النجاح فيه أمام اللجان المختصة معاملة أصحاب المؤهلات فى مدة التجنيد وفى الامتيازات والحقوق .

١١ ــ تخصيص مكافآت تشجيعية من الدولة لا تقل عن خمسين ألف جنيه فى العام لخمسمائة حافظ ، ممن تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسابعة عشرة ، على أن يكون منها مبالغ مجزية للمحفظين الذين أشرفوا على تحفيظ هؤلاء الطلاب ورفع المبلغ المخصص لاعانة المكاتب والجمعيات الى مائتى ألف جنيه .

١٢ ــ وفيما يتعلق بتحفيظ القرآن خارج الأزهر :

ترى اللجنة أن تفوض آلى السادة أعضاء مجمع البحوث الاسلامية أن يتقدموا باقتراحاتهم فى هذا الشأن .

والله المستعان

(توقيع)

دكتور محمد الفحام

رئيس اللجنة

*** وقد عرض هذا التقرير على مجلس مجمع البحوث الاسلامية بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢١ م**

*** ووافق المجلس عليه برئاسة فضيلة الدكتور محمد الفحام شيخ الازهر ورئيس مجلس المجمع (١) .** **محمد أمين البدوى**

٨ ــ المؤتمر الثامن ــ (١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م):

أولا : يطلب المؤتمر أن تعمل كل دولة اسلامية غير عربية على ادخال اللغة العربية فى مناهج تعليمها ، وابراز أهميتها فى ميدان الثقافة عامة ، والثقافة الاسلامية خاصة ، وعلى انشاء كلية فى احدى جامعاتها للتخصص

فى فروع الثقافة الاسلامية العربية ، وعلى تخصيص أقسام لهذه الدراسات فى بعض جامعاتها وعلى تقرير منح وجوائز لمن يحفظون القرآن كله أو بعضه ، ولمن يتفوقون فى اللغة العربية ، قراءة وكتابة وحديثا ، ولمن يؤلفون بالعربية من أبناء هذه البلاد فى فروع الدراسات الاسلامية ، بمختلف أنواعها .

ثانيا : يقرر المؤتمر وجوب الوقوف فوجه اللغة العامية والدعوة الى استعمالها ، فهى لا تصلح أن تكون رابطة بين أبناء الشعوب العربية ، وهى ليست ذات ثقافة أو فكر يدرس واستعمالها امتهان للغة العربية ، وقضاء عليها ، وبذا يتعسر على النشء فهم لغة القرآن ، والتراث الاسلامى .

ثالثا : يقرر المؤتمر الوقوف بكل وسيلة فى وجه الذين يدعون الأمة الاسلامية الى استعمال الحروف اللاتينية . فان كل دولة اسلامية تتخذ الحروف اللاتينية تباعد بين المسلمين ولغة دينهم ، وتضعف صلتهم بكتاب الله ، المنزل بلسان عربى مبين ، وتقطع صلتهم بالتراث الاسلامى .

القرآن الكريم

يوصى المؤتمر بتشكيل لجنة من أعضاء المجمع ، يمثلون البلاد الاسلامية لمتابعة ترجمة معانى القرآن الكريم التى تصدر باللغات الأجنبية والأوربية والشرقية وتقديم تقرير عنها للمجمع ، لبيان اتجاهاتها لكى يوضح للمسلمين ما لايعتمد منها وما هو أقرب منها الى معانى القرآن .

كما يؤكد المؤتمر توصياته السابقة بشأن تقوية اذاعة القرآن الكريم فى جمهورية مصر العربية حتى ينتشر ارسالها فى كل المناطق الاسلامية ، ويؤيد فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فى جهوده من أجل دعم هذه الاذاعة حتى تتمكن من خدمة الدعوة الاسلامية على الوجه الأمثل .

القرن الهجرى

يوصى المؤتمر الجماعات الاسلامية ، حكومات ، وهيئات بالتخطيط من الآن لاستقبال القرن الخامس عشر الهجرى، باقامة مؤتمرات واجتماعات عامة تعرض فيها تعاليم الاسلام فى بيئتها المحلية وفى غيرها ، كما تخصص بدء ذلك القرن الجديد بموسم العناية بحفظ القرآن الكريم وفهمه على مستوى الأمة الاسلامية .

*** المؤتمر التاسع (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م) .**

يوصى المؤتمر الجهات المعنية بالتعليم فى الأقطار العربية والاسلامية بالعناية بتحفيظ القرآن الكريم وبالعناية بدروس الدين الاسلامى عقيدة وأحكاما وأخلاقا فى مختلف مراحل التعليم لتنشأ أجيال المسلمين على خلق القرآن ووصايا الاسلام مع مزيد من العناية باعداد المعلمين الذين يقومون بهذه الواجبات.

١ ـ التأكيد على العناية بالقرآن الكريم حفظا ودراسة ونشرا .

٢ ـ اقرار المنهج الذى سارت عليه اللجنة المكلفة بوضع التفسير الوسيط مع العناية بالتنبيه على الدخيل فى كتب التفسير القديمة، مما يتنافى مع المقررات الدينية ، والحقائق العلمية .

محمد أمين البدوى

■ مشهد حمزة

« رضي الله عنه »

■ التاريخ الإسلامي

وأوهام المؤرخين والمعاصرين

سيرة وتاريخ

■ جمال الدين

الأفغاني

مشهد حمزة رضى الله عنه

استقبل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الحرب فى يوم أحد سنة ثلاث من الهجرة بخطبة حربية زود فيها الجيش المحارب بقوة معنوية رائعة : ومما قال : ما أعلم من عمل يقربكم الى الله تعالى الا وقد امرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم من النار الا وقد نهيتكم عنه ، وأنه قد نفث فى روعى (اى قلبى) الروح الامين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى اقصى رزقها لا ينقص منه شىء ، وان ابطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم ، واجملوا (اى احسنوا) فى طلب الرزق ، لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى اليه سائر جسده والسلام عليكم (السيرة الحلبية جـ ٢/ ٢٢٢) .

ودارت فصول المعركة الرهيبة بمحاسنها ومآسيها .. فمن محاسنها : تحدى طلحة بن أبى طلحة للمسلمين مرارا .. طالبا المبارزة .. الى أن قال مستحثا : يا أصحاب محمد تزعمون أنكم تعجلوننا الى النار ، ونعجلكم الى الجنة .. فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه الى النار ، أو أعجله بسيفى الى الجنة .. كذبتم ، واللات والعزى لو علمتم ذلك حقا لخرج الى أحدكم .. فخرج اليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه .. فاختلفا ضربتين .. وبدره على فقطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته .. فقال لعلى : أنشدك الله والرحم .. فرجع عنه ولم يجهز عليه .. فقال له الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ما منعك أن تجهز عليه فقال : ناشدنى الله والرحم .. فقال له أقتله ، فقتله .. وكان حامل لواء المشركين .. فأخذ اللواء بعده أخوه عثمان بن أبى طلحة .. فحمل عليه حمزة رضى الله عنه فقطع يده وكتفه ورجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقى الحجيج (أى عبد المطلب) .. ثم أخذ اللواء أخو عثمان أبو سعيد فرماه سعد بن أبى وقاص فى حنجرته فقتله ، .. فحمله مسافع بن طلحة الذى قتل أولا ، فرماه عاصم بن ثابت فقتله ، ثم حمله أخو مسافع الحرث بن طلحة فرماه عاصم أيضا فقتله .. فنذرت أمهما ان أمكنها الله من عاصم لتشربن فى رأسه خمرا ورصدت مائة من الابل لمن جاء

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

برأسه •• ولكن عاصما قتل فى غير هذه الغزوة (فى سرية الرجيع) ، فحمل اللواء أخو مسافع الآخر وهو كلاب فقتله الزبير •• فحملـــه أخوهم الجلاس فقتله طلحة بن عبيد الله •• فحمله أرطاة بن شرحبيل فقتله على بن أبى طالب فحمله شريح بن قارظ فقتل ولم يعرف قاتله ، ثم حمله أبو زيد بن عمرو فقتله قزمان ، فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضا ، ثم حمله صواب الحبشى وكان غلاما لهم فقطعت يده ، فبرك على اللواء وضمه لصدره وعنقه فقتله قزمان •

ووسط هذه البداية الموفقة لغزوة أحد •• وأمام هذه المبادرات الطيبة لصالح المعركـــة بدأ سيل المآسى بموقف مخالف للرماة •• ولا نقول : « لـــو » أنهم عضوا على أمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — لهم بعدم مغادرة أماكنهم ولو تخطفتهم الطير — بالنواجذ •• لما حدث ما حدث •• لأن « لـــو » كما قـــال الرسول — صلى الله عليه وسلم — تفتح عمل الشيطان •• ولكن نقول كما أمرنا : قدر اللـــه وما شاء فعل •• وقد اتخذ الله منهم شهداء ، ومحص الذين آمنوا •• وماز بين الخبيث والطيب •• ومما قاله لهم الرسول — صلى الله عليه وسلم — وكانوا خمسين رجلا بقيادة عبد الله بن جبير رضى الله عنه : الزموا مكانكم لا تبرحوا منه •• فاذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل فى عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ، ولاتدفعوا عنا ، وأرشقوهم بالنبل •• فان الخيل لا تقدم على النبل ، انا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم ، اللهم انى أشهدك عليهم •

ثم جاء المشهد الرهيب الذى أبكى الرسول — صلى الله عليه وسلم — وحز فى قلبـــه •• فقد بدأ دور حمزة رضى الله عنه فى هـــذه الحرب الضروس بالتصدى لسباع ابن أم أنمار حين نادى : هل من مبارز •• فخرج اليه حمزة فشد عليه •• فلما التقيا ضربه حمزة فقتله •• فكان كأمس الدابر (كما فى البخارى وغيره) وكان تمام واحد وثلاثين قتلهم حمزة •• وحينئذ •• أكب عليه حمزة ليأخذ درعـــه •• فأخذها •• وأخذ يقاتل بين الرسول — صلى الله عليه وسلم — بسيفين وهو يقول : أنـــا أسد الله •• وكان يراقبه عن كثب وحشى غلام جبير بن مطعم ، فيراه يهد الناس بسيفه •• لا يقوم له شىء •• فتربص به فرصة تسنح ليقتله فينال حريته التى وعدته بها هند امرأة أبى سفيان ان قتل حمزة •• وجاءت الفرصة النادرة اذ عثر حمزة على الرغم منه عثرة وقع منها على ظهره •• فانكشف الدرع عن بطنه •• وهنا يقول وحشى :: فهنزرت حربتى •• حتى اذا رضيت عنها دفعتها عليـــه •• فوقعت فى ثنيته (وهو موضع تحت السرة وفوق العانة) •• فقام حمزة متحاملا على نفسه •• وأقبل نحو وحشى •• ولكنه غلب •• فوقع •• فأمهله وحشى حتى اذا مات ذهب اليه ، وأخذ حربته •• ثم تنحى عن العسكر •• اذا لم يكن لـــه

مشهد

حمزة رضى الله عنه

هدف فيه غيره .. ومما يذكر أن وحشيا هذا ، أسلم أخيرا ، ولما رآه النبى – صلى الله عليه وسلم – يوم الفتح قال له : حدثنى كيف قتلت حمزة .. فلما حدثه .. قال له : اغرب بوجهك عنى .. فكان يتحاشى لقاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك .. وقد شاء قدر وحشى أن يقتل بنفس هذه الحربة مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة فى اليمامة .. وكان يقول : قتلت بها خير الناس وشر الناس وانى لأرجو أن تكون هذه بتلك .. وكان ذلك فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ابان حروب الردة .. ولا ينافى ذلك أن عبد الله ابن زيد رضى الله عنه اشترك فى قتل مسيلمة اذ رأته أمه أم عمارة نسيبة بنت كعب يمسح سيفه بثياب مسيلمة ، فقالت له أقتلته ؟ قال نعم .. فسجدت لله شكرا ، فقد ذكر وحشى أنه لما تهيأ لقتل مسيلمة .. تهيأ له رجل من الانصار من الناحية الأخرى .. كلانا يريده .. وهززت حربتى حتى اذا رضيت عنها دفعتها ، فوقفت فيه ، وشد عليه الأنصارى فضربه بالسيف ، فربك أعلم أينا قتله .. وهذا الأنصارى هو عبد الله بن زيد .. وقيل ان أبا دجانة اشترك معهما فى قتله أيضا .. ولا مخالفة بين الروايات .. لان الاشتراك ممكن بحسب تعدد الجهات .

وساق وحشى الخبر الى هند لينال منها جزاءه المنتظر .. فذهبت اليه فشقت بطنه ، وأخرجت كبده .. فلاكتها بأسنانها .. فلم تستطع أن تسيغها ، فلفظتها .. وكان ذلك وفاء منها لنذر نذرته على نفسها .. ان أمكنها الله من حمزة لتأكلن كبده .. ولما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هل أكلت من كبده شيئا ؟ .. قالوا : لا .. قال : ان الله قد حرم على النار تذوق شيئا من لحم حمزة أبدا .. أى ولو أكلت منه واستقر فى جوفها لم تمسها النار ، ثم قطعت أطرافه .. وجدعت أنفه وأذنيه وأجزاءه السفلى ، وجعلت ذلك كالسوار فى يديها ، وقلائد فى عنقها .. لأنه قاتل أبيها يوم بدر ، .. وجاء فى النهر لأبى حيان : أن وحشيا جعل له على قتل حمزة أن يعتق ، فلم يوف له بذلك .. فندم على ماصنع .. ومر الحليس سيد الأحباش فى جيش المشركين .. فرأى أبا سفيان يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة رضى الله عنه ويقول : ذق ياعاق .. فقال الحليس : يابنى كنانه هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ماترون .. فقال أبو سفيان : اكتمها عنى فانها زلة .. وجاء دور النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو يتفقد قتلى المعركة أخيرا – وكانوا قد ناهزوا السبعين شهيدا .. فلما رأى حمزة مبقور البطن ، مجدوع الانف والأذنين .. رأى مشهدا أوجع قلبه كما لم يوجع من قبل .. وقال : لن أصاب بمثلك .. ماوقفت موقفا أغيظ لى من هذا .. رحمة الله عليه .. فانك كنت ماعلمتك فعولا للخيرات .. وصولا للرحم .. أما والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك .. وشاركه المسلمون فى هذا

الوعيد .. فأنزل الله تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُم بِهِ ، وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ.وَاصْبِرْ وَمَاصَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ) .. فعفا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصبر ، ونهى عن المثلة ، وكفر عن يمينه ..

وقد تكرر نزول هذه الايات فى هذه الوقعة وفى قصة العدنيين ، وعن أبى مسعود رضى الله عنه : ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم – باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه ، وضعه فى القبلة ، ثم وقف على جنازته ، وانتحب حتى نشق .. أى شهق حتى بلغ به الغشى يقول : ياعم رسول الله ، وأسد الله وأسد رسول الله .. ياحمزة يافاعل الخيرات .. يا حمزة يا كاشف الكربات ، ياحمزة يا مانع عن وجه رسول الله .. وقال ما قال بعد أن كف عن البكاء .. فهو ليس من الندب . المحرم .. وانما هو من ذكر محاسن الميت .. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير رضى الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة حتى لاتقع عينها عليه .. فدفعته فى صدره وهى تقول : ولم ؟ .. وقد بلغنى أنه مثل بأخى .. وذلك فى الله .. فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك .. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : خل سبيلها .. فجاءت واسترجعت ، واستغفرت له وهى تبكى .. والرسول يضع يده على صدرها خوفا على عقلها .. وقال : لولا أن تجزع صفية ونساؤنا لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع .. ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة .. واحدا بعد واحد .. فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة .. وصلى على حمزة الشهداء من غير غسل لهم ، ولم يصح عند الشافعى حديث الصلاة على قتلى أحد.. ولكنه صح عند غيره ومنهم الحنفية الذين احتجوا على الصلاة على الشهيد بحديث جابر وأورده فى مراسيله عن عطاء بن رباح أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد ، وقد اعتضد هذا المرسل بمرفوع غيره فقد رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وقد ثبت أن عمرو بن العاص صلى على مائة وثلاثين استشهدوا فى فتح فلسطين وكان معه تسعة آلاف من المسلمين .

الدكتور محمد محمد الشرقاوى

التاريخ الإسلامي

وأوهام المؤرخين والمعاصرين

لم تدرس حقبة من التاريخ الاسلامى كما درست فترة الخلفاء الراشدين ، ومع ذلك فان كتابنا المؤرخين فى أيامنا هـذه يقعون فى الخطأ ، وهو أمر غريب فامامهم التراث القديم والتراث الحديث يرجعون اليه فيتفادون الوقوع فى الخطأ ، وينبغى للمـؤرخ اذا تكاثرت عليـه الروايـات المعنعنة أن يطيل النظر فيها ، ويعرضها على عقله وعقول رواد عصره حتى يقف على الصحيح فلا يزيف التاريخ والتاريخ ــ فى نظرى ــ علم كسائر العلوم ، الدقة فيـه منشـودة ، والتثبت فى الرواية من مطالبه ، ولا يجعل همه الاقتصار لميوله ، فالحقيقة هى طلبته ، لأنه يعطى ببحثـه ودراسته علما وثقافة .

وقد آلمنى أن يقع الأديب المؤرخ الأسـتاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى أخطاء كنت بمعـزل عن نسبتها اليه ، ولكنها كانت منه فى المقـالات التى ينشرها الأهرام له منذ أيام شهر رمضان من هذا العام تحت عنوان « على امام المتقين » فقد جاء فى الفصـل السـادس (٢) وهو عن الشورى ما يفيد أن طلحة بن عبيد الله قد حضر مع أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر رضى الله عنه حين استشهد فى المدينة بمسجد الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ على يد أبى لؤلؤة المجوسى سنة ٢٣هـ والحقيقة التاريخية تقـول غير مقاله . على أن الأستاذ الشرقاوى فى أول حديثه عن الشورى قال : « وكان طلحة غائبـا خارج المدينة » ثم اذا به عند اجتماع أصحاب الشورى يثبت أن طلحة كان حاضرا ، وأنه تكلم بعد سعد « فدعا لنفسه » وقد يكون كاتبنا تابع ما جاء فى الطبقات الكبرى لابن سعد الذى روى أن عمر حين حضرته الوفاة قالوا له : استخلف فقال : « لا أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليـه وسلم وهو راض عنهم ، فأيهم أستخلف فهـو الخليفة من بعدى ، فسمى عليا وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعدا ــ فان أصـابت سعدا فذاك والا فأيهم استخلف فليستعن به ، فانى لم أعزله عن عجز أو خيانة ، فلما اجتمعوا قال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم الى ثلاثة نفر منكم ، فجعل الزبير أمره الى على ، وجعل طلحة أمره الى عثمـان ، وجعـل سـعد أمـره الى عبد الرحمن » وهذه الرواية نقضها ابن سـعد

للأستاذ السيد حسن قرون

نفسه بعد ايرادها بقوله ــ والرواية عن ابن عمر ــ : أن عمر قال حين دخل أهل الشورى عليه : وانما الأمر الى ستة وذكرهم . قال ابن سعد : « وكان طلحة غائبا فى أمواله بالسراة » فالرواية التى تقول ان طلحة جعل أمره لعثمان تخالف الواقع وتخالف كتب المؤرخين ، فابن عبد ربه فى كتابه « العقد الفريد » يروى أن عمر بعد أن وجه الخطاب للخمسة الحاضرين من أهل الشورى قال : « ... وطلحة شريككم فى الأمر ، فان قدم فى الأيام الثلاثة .. وهى الأيام التى حددها للانتهاء من اختيار الخليفة . فأحضروه أمركم ، وان مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فأمضوا أمركم ، ومن لى بطلحة ؟ » فقال سعد : « أنا لك به ولا يخالف ان شاء الله » ومما يؤكد أن طلحة لم يحضر اجتماع الشورى أنه حضر فى اليوم الثالث وقد فرغ عبد الرحمن ابن عوف من تعيين الخليفة وهو عثمان بن عفان فقيل له أى لطلحة : ان الناس قد بايعوا عثمان ، فقال : أكل قريش رضوا به ؟ قالوا : نعم . فأتى عثمان ، فقال له عثمان : أنت على رأس أمرك . قال طلحة : فان أبيت أتردها ؟ قال : نعم . قال : أكل الناس بايعوك ؟ قال : نعم ، قال : قد رضيت ولا أرغب عما اجتمعت الناس عليه ، وبايعه ، وهذا من رواية العقد الفريد أيضا .

فطلحة بن عبيد الله لم يحضر أمر الشورى ولا الذى دار فيها ولم يطلب الخلافة لنفسه فى تلك الأيام الثلاثة المحددة لتعيين الخليفة ،

وفى نفس مقال الأستاذ الشرقاوى الذى نحن بصدده جاءت أوصاف لأهل الشورى ــ جعلتها الرواية على لسان عمر ــ لا نقبلها فيهم ، فكيف يكون عبد الرحمن بن عوف « فرعون هذه الأمة » ؟ وهو السابق الى الاسلام والمجاهد فى سبيله بماله ونفسه والذى كان موضع الثقة فى كل عهد ، فما تولى خليفة الا جعله أمير الحج لأول عام من حكمه ، وقد عرض عليه عمر أن يلى الأمر بعده فأبى وقال لا أكون الرابع ، وأخرج نفسه من طلبها عند اجتماع أهل الشورى ومازال بها يستشير وينظر حتى وضعها فى عنق عثمان بن عفان فوصفه بفرعون هذه الأمة لا يكون لمثله فى تقواه وورعه ونصحه للمسلمين ، والرسول صلى الله عليه وسلم وصفه : بأنه « الصادق البار » وقال عنه عثمان راويا عن النبى أنه « أمين فى الأرض ، أمين فى السماء » .

ووصف سعد بن أبى وقاص ــ وهو ابن عم عبد الرحمن ــ بالغلظة بعيد كل البعد ، فتاريخه منزه عن الغلظة ، فما ظلم أحدا ولا عاقب من يهجوه بالشعر حين كان قائد جيش المسلمين فى فتح بلاد الفرس ؟ بل كان قصاراه يهدد بالدعاء على من يهجره ، لأنه كان مستجاب الدعوة ، بدعوة النبى له ويكفى شهادة عمر له : « لم أعزله عن عجز أو خيانة » ، ولذلك وصف طلحة بالكبر مباين لأوصافه ، ويكفى أنه قال لخادمه وقد تأخر عن اجابته وسمعه يقول لبيك : « لا

التاريخ الإسلامى
وأوهام المؤرخين والمعاصرين

لبيك » فباع أرضاً بخمسة عشر ألف دينار وتصدق بها ليكفر بها عن تلك الكلمة •

وحكاية اقتلوا المخالف منهم أو الباقين ممن لم يبايعوا لا تكون من عمر رضى الله عنه وهو فى النزع الأخير ، ولم يقبل هذا القول الدكتور طه حسين فى كتابه « الشيخان » فقال : وما أحسب أن هذا يصح ، فقد كان عمر أحرص على دماء المسلمين من أن يأمر بقتل ستة من كبار ذوى السابقة من المهاجرين الذين بشرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ومات وهو عنهم راض • قال هذا الدكتور طه دفعا لزعم بعض الرواة أنه أمر أبا طلحة ان أمضوا ثلاثة أيام ولم يختاروا خليفة منهم أن يضرب أعناقهم ، فاذا كان الأمر كذلك فبعيد أن يأمر عمر بالقتل، سواء أكانوا ستة أم أقل ؟

واذا كان الأستاذ الشرقاوى أخطأه التوفيق فى الوقائع والرواية الصحيحة فيما سبق فقد أخطأه التوفيق فى نسب عمرو بن العاص ، فقد نسبه الى أمية ورجل كعمرو بن العاص لا يخفى مكانه ولا يجهل نسبه ، فهو الفاتح الكبير : فتح فلسطين وفتح مصر وولى أمرها أكثر من مرة ، وله ابن هو عبد الله عرف برواية الأحاديث الشريفة ، ونسبه بين قريش رفيع • ولكن الأستاذ الشرقاوى فى الفصل السابع (٢) فى حديثه عن عثمان وهو « ذو النورين » وموقفه من الشورى أقصد أخذ رأى الصحابة وغيرهم فى ادارة شئون الدولة وكان له فى هذا مجلس فقال : « وكان عمرو بن العاص حاضرا فى مجلس عثمان فهو من رءوس بنى أمية » وكرر هذه المقولة فى مقاله هذا •

ونسب عمرو بن العاص القرشى يجىء هكذا (عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم) وسهم هو الجد الذى ينسبون اليه فيقال عمرو بن العاص السهمى • وسهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، فهو يلتقى مع النبى فى كعب ، ولا جدال فى أن خطأ الكاتب أتاه من كلمة « العاص » لأن بنى أمية منهم الأعياص ، فقد سمى أمية بعض أبنائه العاص وأبا العاص ، والعيص وأبا العيص ، وهم اخوة حرب بن أمية غير أن أشرف بيت فى أمية هو حرب وولده أبو سفيان وابنه معاوية ، وأمية ابن عبد شمس هو ابن أخ هاشم بن عبد مناف وكان العاص بن وائل والد عمرو له مكانته فى حرب الفجار يذكر بجانب رؤساء قريش مثل حرب بن أمية وعبد الله بن جدعان التيمى وسعيد بن العاص بن أمية ، ولما ظهر الاسلام كان من المستهزئين الذين قال الله فيهم مخاطبا رسوله : « **انا كفيناك المستهزئين** » ٩٥ سورة الحجر •

وكان عمرو يفخر به ويتعالى به على عفان والد عثمان مع أن عثمان من بنى أمية • وأمية بيت عبد مناف كما يقول ابن خلدون فى مقدمته وفى نفس المقال لم يوفق الأستاذ الشرقاوى فى حديثه عن مروان بن الحكم ، ومروان ابن عم عثمان رضى الله عنه ، فنقل شعرا فيه قدح لعثمان واغداقه المال على ذوى قرابته منه :

(والخطاب لعثمان :

دعــوت الطــريد فادنيتــه
خلافا لمــا ســنه المصــطفى
ووليت قربــاك أمر العبــاد
خــلافا لســنة من قد مضى
واعطيت مروان خمس الغنيمة
أثريتـــــه وحميت الحمى

وفسر الشعر بقوله : « ذلك أن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم كان قد أنكر أشياء عــلى مروان فنفاه وظل منفيا من المدينـــة حتى ولى عثمان فأعاده وقربه منه . وغضبت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقالت : سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يلعن مروان بن الحكم وهو فى صلب أبيه ، فهو قطعة من لعنــة اللــه ورسوله » .

وقد اختلط الأمر على الكاتب فلم يتبين لــه جليا ، وقد يكون مروان أصابه جرم أبيه فلعن وهو فى صلبه ، ولكن الطريد هو الحكم لا ابنه مروان فحين نفى النبى صلى الله عليه وسلم الحكم كان مروان طفلا رضــيعا ، والرضــيع لا ينفى ولا يطرد ولقد كان الحكم بن أبى العاص وهو عم عثمان سىء الخلق كثير الايذاء لرسول الله فى مكة قبل هجرته صلى الله عليه وسلم .
ولما فتحت مكة ودخل الحــكم فى الاســلام وهــاجر الى المدينــة لم يتخلص من أخــلاقه الذميمة ، لذلك طرده الرسول ــ صــلى اللــه عليه وسلم ــ منها .

ومن الطريف فى هذا الشأن ما رواه المبرد فى الكامل حين تلاحى عبد الملك بن مروان وخالد بن يزيد بن معاوية فكان الحوار الذى ننقل بعضه :

وسببه أن الوليد بن عبد الملك أهان عبد الله بن يزيد ، فكان احتجاج أخيه خالد لدى عبد الملك . قال عبد الملك لخالد : اسكت ياخالد فوالله ماتعد فى العير ولا فى النفير . فقال خــالد : اســمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه وقال : ويحك ، فمن العير والنفير غيرى ؟ جدى أبو سفيان صــاحب العير ، وجدى عتبة بن ربيعة صــاحب النفير ، ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت » .

وقد وضح هذا الحوار المبرد ، وخلاصته أن أبا سفيان كان فى عير التجارة لقريش فعرض لها صلى الله عليه وسلم ، فجــاء الخبر قريشــا فنفرت الى المدينة على رأسها عتبة بن ربيعــة فكانت موقعة بدر ، وأبو سفيان جــد خالد من جهة أبيه ، وعتبة جده من قبل جدته هنــد بنت بنت عتبة والدة جده معاوية . وقوله غنيمات وحبيلات يعنى أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم لما أطرد الحكم بن أبى العاص بن أميــة وهو جد عبد الملك بن مروان لجأ الى الطــائف فكان يرعى غنيمـــات ويأوى الى حبيلة وهى الكرمة ، وقوله رحم الله عثمان أى لرده اياه .
وقوله أطرده جعله طــريدا . النبى طــرده واستمر طريدا فى زمن أبى بكر وعمر رضى الله

عنهما كما جاء فى شعر الشاعر . يقول المبرد : وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رده متى أفضى الأمر اليه . روى ذلك الفقهاء . ص ١٩٨ من الجزء الأول من الكامل ، مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٥هـ.

ولعدم تثبت الكاتب من الرواية جعل الطرد لمروان لا لأبيه ، وهذا يضعف من شأن الرواية ، ويطمس حقائق التاريخ .

وأتابع ما تنشره الأهرام ، واذا بنا أمام خطأ آخر يجىء فى الفصل الثامن (١) والعنوان العام « على امام المتقين » والعنوان الخاص « أيام الغضب والتربص » وهو كلام يتعلق بعثمان وموقف الرعية من تصرفاته ، ويعدد الكاتب ما أخذ عليه ، منها :

أنه يعزل كبار الصحابة ليضع مكانهم ذوى قرابته .. ويكون خطابه : « فحاكم مصر ابن أبى السرح أخوك من الرضاعة ، وفى خراسان ابن خالتك عبد الله بن عامر » .

الأستاذ الشرقاوى كتب كتابا عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، وألف كتبا أخرى اسلامية تتصل بالسلف ، وكان المظنون أنه على قدر كبير من معرفة أنسابهم وقراباتهم ، ولا أدرى ما الذى أعجله حتى يقع فيما وقع فيه ، فابتعد عن تحقيق الوقائع ، واختلطت عليه الأنساب حتى جعل عمرو بن العاص من بنى أمية ، ومن ثم يكون قريبا من رجال الحكم ، ولقد وضحت نسبه ومنزلته ، وكذلك بينت الطريد وما كان من أمره ، وما وصم به أسرته ، ولم يمنع ما وصم به أن يكون أبناؤه الخلفاء حتى قضى عليهم العباسيون سنة ١٣٢ هـ .

ومعروف فى التاريخ الاسلامى أن معاوية وصل الى الخلافة بقميص عثمان ، وأن مروان وصل الى الخلافة لأنه ابن عم عثمان بن عفان فعثمان كان الطريق الموصلة الى الحكم لبنى أبى سفيان وبنى مروان .

وبعد هذا الاستطراد الحتمى أعود الى (عبد الله بن عامر) فقد جعله الأستاذ الشرقاوى ابن خالة عثمان — كما نقلت لك نص عبارته آنفا ، وهو قريب عثمان ولا شك ولكنه ابن خاله لا ابن خالته . واليك البيان :

عبد الله بن عامر بن كريز يلتقى مع عثمان فى نسبه بعبد شمس بن عبد مناف من جهة الأب أما من جهة الأم فهو ابن خال عثمان .

وأذكر لك الأمر من أوله : تزوج كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس (وعبد شمس والد أمية) أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب — وهى توأمة عبد الله والد النبى محمد صلى الله عليه وسلم — فولدت له أروى أم عثمان وعامر بن كريز والد عبد الله ، فعامر خال عثمان وابنه عبد الله ابن خاله . انظر « أسد الغابة » فى حديثه عن عمات الرسول .

وخلاصة القول أن الأستاذ الشرقاوى فى تأريخه لامام المتقين على بن أبى طالب لم يحالفه التوفيق فوقع فى أخطاء كنا نود أن يخلو ما ينشره فى الأهرام منها ، ولاسيما أنه موضع الثقة فى كتاباته ، ولكن لكل عالم هفوة ، وله أسلوبه الشائق وعرضه الفائق . وأرجو أن يتدارك هذه الأخطاء حين جمع هذه المقالات لتكون كتابا . والله الموفق(١) .

السيد حسن قرون

١ ــ ان « مجلة الأزهر » لا يسعها امام هذا النقد السليم الا أن تشكر الأستاذ السيد حسن قرون على ما قدم ولقد تأسف المجلة أشد الأسف على وصف سيدنا عبد الرحمن بن عوف ــ رضى الله عنه ــ بهذا الوصف القبيح ، ويكفى أن نعلم ويعلم القارىء أن قائل هذا الوصف انسان من غير أهل السنة أبى أن يذكر اسمه للناس أو للتاريخ فألقى هذا الوصف بكتاب نسبه زورا وبهتانا لابن قتيبة ــ رضى الله عنه ــ وابن قتيبة منه برىء .

والله أعلم

جمال الدين الأفغانى

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

— ١ —

يحاول اليوم بعض العلمانيين وأعــداء الاسلام والعروبة أن يشوهوا صــورة « الأفغانى » هذا المفكر الاسلامى الكبير ، حيث صوروه فى صورة العميل ، والجاسوس للامبراطورية البريطانية ، والمتحالف مع أعداء الاسلام ٠٠ وذلك لغرض فى نفوسهم ، أو لمرض فى قلوبهم ٠

فهم لا يقصدون الأفغانى نفسه انما يريدون تشويه صورة هذا الداعية الاسلامى الكبير ، ليشوهوا بذلك من صورة الحركة الاسلامية فى العصر الحديث نفسها ، وليشوهوا صورة الدعاة الاسلاميين أنفسهم أمام أجيــال الشباب ، وأمام الأجيال المقبلة ، ليتخذوا قدوة لهم غير هؤلاء الدعاة الاسلاميين ٠

ودليلهم على ذلك أقوال أعداء الاســلام نفسه ، وتقارير المخابرات الاستعمارية نفسها ، وهى للتى نصبت نفسها لهدم الحركة الاسلامية ، ولتشويه صورة الاسلام ومبادئه ودعاته أمام أجيال المسلمين ، ودليلهم على ذلك أيضا أقوال خصوم الأفغانى نفسه من الذين وقفوا حياتهم على محاربته وتشــويه صورته والقضاء على أثره وهو الداعية الى مبادىء الاسلام الكبرى فى الوطنية والحرية والعدالة ، والدفاع عن حمى الاسلام وحق شعوبه فى العزة والسيادة والكرامـة ، وفى حياة الحرية والشرف والقوة ٠

الأفغانى هذا الرجل العظيم الذى قــال عنه الشيخ مصطفى عبد الرازق : انه فى تاريخ الشرق الحديث ، أول داع الى الحــرية ، وأول شهيد فى سبيلها ٠

والذى قال عنه رينان : تعرفت بالشــيخ جمال الدين ، فوقع فى نفسى منه مالا يقع لى الا من القليلين ، وأثر فى تأثيرا قويا ، وقــد خيل الى من حرية فكره ، ونبالة شــيمته وصراحته ، وأنا أتحدث عنه ، أنى أرى أحد معارفى من القدماء ، وجها لوجــه ، وأنى أشهد ابن سينا أو ابن رشد أو بعض أولئك العباقرة الخالدين الذين عملوا لتحــرير الانسانية من اسارها ٠

والذى قال عنه الامام محمد عبده : « انى لو قلت ان ما آتاه الله من قوة الذهن ، وسعة

العقل ، ونفوذ البصيرة ، هو أقصى ما قدر لغير الأنبياء لكنت غير مبالغ » .

وقال عنه براون : ان تاريخ جمال الدين هو تاريخ المسألة الشرقية كلها فى الأزمان الحديثة .. وقال عنه هنرى روشفور : « لقد شعرت نحو جمال الدين بعاطفة الحب التى تربطنى بكل داع الى ثورة ، أو مقاوم لاستبداد » .

لقد كان الافغانى رائدا مصلحا ، وفيلسوفا حكيما ، وثائرا مجددا ، ومناضلا مناهضا للاستعمار ، وللفساد السياسى ، وللاستعباد والطغيان ، وقد أبلى طول حياته بلاء حسنا فى مقاومة الطغيان السياسى فى العالم الاسلامى ، وكافح الاستعمار البريطانى فى الهند ، حتى نفته حكومة التاج البريطانى من هذه البلاد ، وتتبعته فى كل مكان نزل فيه تتبعا شديدا .

وقدم الأفغانى القاهرة للمرة الاولى ، منفيا من الهند ، عام ١٢٨٦ هـ — ١٨٦٩ م فى عهد اسماعيل وفى هذه المرة تعرف عليه الشيخ محمد عبده ، وصار من أقرب الناس الى قلبه ومن القاهرة سافر الى الاستانة ، ولما حيكت له فيها الدسائس والمؤامرات عاد الى القاهره فى أول المحرم من عام ١٢٨٨ هـ/١٨٧١ م ، واستقبله تلميذه محمد عبده استقبالا يليق بمكانته ، وصار يلازمه فى غدواته وروحاته ملازمة التلميذ لأستاذه العظيم .

— ٢ —

واندمج جمال الدين فى حياة مصر الفكرية والاجتماعية وتردد على دار ابراهيم بك المويلحى فى حارة الأمير حسين بشارع محمد على ، وهى فى ذلك الوقت ندوة المفكرين والقادة والزعماء والعلماء ، ولما أجرت عليه وزارة الاوقاف المصرية مرتبا شهريا قدره عشرة جنيهات مصرية استأجر منزلا فى حارة اليهود ، وصار بيته مدرسة جامعة يقصدها العلماء والطلاب ، كما يقصدها المفكرون والأدباء والكتاب ، والأفغانى يبصر كل رواد منزله بالشئون الاسلامية والسياسية وبحقوق الشعب والأمة ، وعرف الشباب الأفغانى واهتدوا اليه ، واسْتَوْرَوْا زنده فأورى ،

واستفاضوا بحره ففاض درا كما يقول الامام محمد عبده نفسه ٠ وهكذا أيقظ جمال الدين العقول من غفلتها ، وكان من المستفيدين من فكره أمثال محمد عبده ، وسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوى ، وعبد الله نديم ، وقاسم أمين ، وحسن عاصم ، وحسن عبد الرازق وسيد وفا ، وعبد الكريم سلمان ، وسواهم٠

وكان لجمال الدين ندوة ثانية فى « قهوة البوستة » بجوار الأزبكية ، وهى التى أطلق عليها فيما بعد « قهوة متاتيا » ، وكان من رواده فيها : البارودى ، ومحمد عبده ، وعبد السلام المويلحى ، وابراهيم المويلحى ، وسعد زغلول ، وعلى مظهر ، وأديب اسحاق، وسواهم ، وفى هذه الندوة حول جمال الدين مجرى الأدب ، فجعله فى خدمة الأمة ، يطالب بحقوقها ، ويدفع عنها من ظلمها ، ويحرض الشعب على أن يؤمنوا بحقهم فى الحرية ، وألا يخشوا بأس الحاكم ، فليست قوته الا بهم ، وأخذ يتحدث عن الوطن ، ويدعو الى الحرية ، ويفيض فى الحديث عن حقوق الانسان ، وواجبات الحاكم ، وحقوق المحكومين ، وبدأ ذلك واضحا فى مقالات محمد عبده وسعد زغلول وأديب اسحاق ٠

وكتب جمال الدين نفسه مقالتين فى جريدة مصر آنذاك : كانت احداهما عن الحكومات الشرقية وأنواعها ٠٠ مما كان له صدى بعيد وكتب محمد عبده كذلك عدة مقالات تأثر فيها بروح أستاذه ، ونشرها فى جريدة الأهرام ٠

وهكذا عمل الافغانى على توسيع المدارك وتوجيه العقول والافكار ، تعويد الشباب على الحرية فى البحث والنقد ، وبصر الشعب بحقوقه ، وبواجبات الحاكم نحوه ، وتحدث فى صميم السياسة ، ورأى أن الحكم النيابى لاقيمة له مادام الشعب غافلا جاهلا ٠ ولما أثمرت النهضة الفكرية التى غرسها بيديه أخذ يلح فى طلب الحكم النيابى ويدعو اليه ٠

ولم يزل الأفغانى يشعل الثورة فى نفوس المصريين ، ويملؤها ايمانا بالوطن وحريته ، وبالشعب وكرامته ، ووقف الأفغانى فى الاسكندرية قبل خلع اسماعيل يخطب جموع الشعب ويقول : « أنت أيها الفلاح ، تشق قلب الأرض ، لتنبت فيها ماتسد به الرمق ، ويقوم بأودالعيال ، فلماذا لانشق قلب ظالمك ؟ لماذا لانشق قلب الذين يأكلون ثمرة كفاحك وتعبك ؟ » ٠

ولما ألف الافغانى ومحمد عبده جمعية « العروة الوثقى » فى باريس عام ١٨٨٤ م ، كانا يهدفان من وراء ذلك الى عودة مجد الاسلام ، والى الجهاد فى سبيله ومن آجل الدعوة اليه ، والكفاح من أجله ، والذود عن شعوبه وخلق الوعى المستنير فيها ، ومناهضة الحكم الاستبدادى ، والعمل على احياء الاخوة الاسلامية بين شعوب الشرق ، وعلى قيام الحكم فيها على أساس الدين ، الذى يأمر بالشورى والعدل بين الناس ٠

وفى العدد الأول من جريدة « العروة

الوثقى » ، الصادر فى الخامس من جمادى الأولى عام ١٣٠١ هـ / الثالث عشر من مارس عام ١٨٨٤ م ، لخص هذان الامامان أهدافهما من قيام العروة الوثقى فيما يلى :

أولا : بيان الواجب على الشرقيين ، وأسباب فساد حالهم .

ثانيا : اشراب النفوس عقيدة الأمل ، وترك اليأس .

ثالثا : الدعوة الى التمسك بالأصول التى كان عليها أسلافهم ، وعزوا بها .

رابعا : الدفاع عما يتهم به الشرقيون عموما، والمسلمون خصوصا ، من أنهم لن يتقدموا ماداموا متمسكين بدينهم .

خامسا : اخبارهم بما يهم من حوادث السياسة العامة والخاصة .

سادسا : تقوية الصلات بين الأمم الاسلامية ، وتمهيد الطريق الى جامعة اسلامية ، تعيد شأن الاسلام الأول ، وتقوية فكرة الرابطة الشرقية ، بتقوية العلاقات السياسية والتجارية بين شعوب الشرق ، صدا لتيار الغرب وزحفه .

وكان الافغانى ومحمد عبده يريدان حكومة اسلامية موحدة ، ولما رأيا عدم امكان ذلك كتبا يدعوان الى أن تحكم الشعوب الاسلامية بحكومات امامها القرآن وأساسها العدل والشورى ، ويرتبط بعضها ببعض

بروابط محكمة ، وأخذا يناهضان الاستعمار الغربى فى الأقطار الاسلامية ، وخاصة الاستعمار البريطانى فى مصر والسودان ، بكل ما أعطاهما الله من قوة .

ولكن قوى الاستعمار اجتمعت على محاربة « العروة الوثقى » ، ومحاربة الامامين الجليلين حربا لا هوادة فيها ، ومن أجل ذلك عاشا مشردين مضطهدين طول حياتيهما . وكان محمد عبده يتجه الى جمال الدين فى المحنة ، ويقول له : أيها السيد ، أرى أن نترك السياسة ، ونذهب الى مجهل من مجاهل الأرض ، لا يعرفنا فيه أحد ، نختار من أهله عشرة أطفال أو أكثر من الأذكياء ، السليمى الفطرة ، فنربيهم على منهجنا ، ونوجه وجوههم الى مقصدنا ، فاذا أتيح لكل واحد منهم تربية عشرة آخرين ، لا يمضى بضع سنين الا ولدينا مائة قائد من قواد الجهاد فى سبيل الله ومن أجل الاصلاح ، ومن أمثال هؤلاء يرجى الفلاح .

وكان جمال الدين يرد عليه بقوة ، قائلا له: « انما أنت من المثبطين ، نحن قد شرعنا فى العمل ، ولابد من المضى فيه ، مادمنا نرى له منفذا » .

وهكذا كان الأفغانى عاصفة قوية هبت فى عصره على جذوع الاستعمار والإستبداد فاقتلعتها من جذورها ، ولنتمعن فى هذا الحوار بين الأفغانى والخديوى توفيق بعد توليه حكم مصر .

جمال الدين : أرى أن تشركوا البلاد فى حكم نفسها عن طريق الشورى .

توفيق : انى أحب كل الخير للمصريين ، ولكنى أرى مع الأسف أن أكثر الشعب جاهل خامل لا يصلح لأن يلقى عليه ما تلقونه من الدروس والأقوال المهيجة ، لئلا يلقى نفسه والبلاد فى تهلكة .

جمال الدين : ليسمح لى أمير البلاد أن أقول بحرية : ان الشعب المصرى كسائر الشعوب، لايخلو من وجود الخامل والجاهل بين أفراده ، ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل ، وان قبلتم نصح هذا المخلص ، وأسرعتم فى اشراك الأمة فى حكم البلاد عن طريق الشورى ، وذلك بأن تأمروا باجراء انتخاب نواب عن الأمة ، يسنون القوانين ، وينفذونها باسمكم وبارادتكم ، يكون ذلك أثبت لعرشكم ، وأدوم لسلطانكم .

ويقول الامام محمد عبده فى هذا الصدد: ان جمال الدين كان يتمنى أن تكون مصر جمهورية ، لأنه من أشد أنصار الحكم الجمهورى . ولكنه كان يعرف أن تحقيق هذا المطلب لم يكن مستطاعا فى ذلك الوقت ، نظرا لاضطراب الاحوال والجهل السائد على العقول ، والخطر الأجنبى المحدق بالبلاد — راجع ص ٥٠ و ٥١ جمال الدين الأفغانى لقدرى قلعجى .

وبآراء الافغانى ودعواته السياسية قامت الثورة العرابية فى مصر ، بل قام مجلس الشورى فى آخر حكم اسماعيل باعلان أن الأمة مصدر السلطات ، وأن الحاكم مطالب بالنزول تحت ارادة الأمة .

ويقول عبد الرحمن الرافعى عنه أنه يعتبر الأب الروحى للثورة العرابية .

ولما كان جمال الدين فى الآستانة دعاه السلطان عبد الحميد ذات يوم ، وقال له : ان سفير العجم رجانى أن أطلب منك الكف عن الوقيعة بالشاه ، وبناء على آمالى فيك وعدته بأنك تكف عنه .

فأجابه جمال الدين : « لم يكن فى نيتى أن أترك الشاه حتى أنزله فى قبره ، ولكنى من أجلك سأعفو عنه » .

— ٣ —

وقد نوه عبد الرحمن الرافعى بالأفغانى وذكر عنه أنه كان فى حياته مصلحا دينيا ، وفيلسوفا حكيما ، وزعيما سياسيا ، فجمع بين الزعامات الروحية والسياسية والفكرية ، واضطلع بها جميعا . وقال فيه كذلك : ان

حياة جمال الدين كانت بلا مراء بعثا لنهضة الشرق الحديثة ، اذ هو واضع البذرة الأولى للحركات القومية التى ظهرت فى الشرق الاسلامى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فهو الرائد الأول للحرية ، فى تاريخ الشرق الحديث •

لقد كان الأفغانى صورة رائعة للعالم الدينى المؤمن بحق بلاد الاسلام كافة فى الحرية والتخلص من العبودية والطغيان •

قال عنه سليم العنحورى : لقد كان آية من آيات القرن التاسع عشر ، ومعجزة من بدائع معجزاته •

وكتب عنه شكيب أرسلان فى تعليقاته على كتاب « حاضر العالم الاسلامى » يقول : فيلسوف الاسلام ، وعلم الاعلام ، وكوكب الاصلاح الذى أطلعه الله فى أفق المشرق بعد أن اشتد به الظلام ، حجة الشرق الناهضة ، وآية الحق الباهرة •

والصورة الباهتة التى رسمها أعداء الاسلام للافغانى هى صورة الحقد الذى تغلغل فى أعماق نفوسهم على جمال الدين ، والذى كانوا يعملون بباعثه على هدم الحركة الاسلامية والبعث الاسلامى فى العصر الحديث •

ان الأفغانى سيرة عاطرة ، وحياة حافلة ، وجهاد كبير وطويل من أجل مجد الاسلام ، وعزة الشرق ، وحرية شعوبه •

ولولا أن الأفغانى مثل عظيم للمكافحين الأحرار من أبناء الاسلام ، فى كل مكان ، لما تحركت أقلام المغرضين والملحدين والعلمانيين وأعداء الاسلام ، لمحاولة هدم مجده ، وطمس تاريخه ، وتشويه صورته ، وتقبيح ذكراه ، حتى ينفروا أجيال الشباب منه ، ويباعدوا بينهم وبين اتخاذه قدوة لهم فى نضالهم الدائب من أجل خلق بعث اسلامى جديد ، وحركة اسلامية ناهضة ، تستعيد للمسلمين مجدهم السالف ،وعزهم الغابر ، وسيادتهم على العالم كله ، ونهضة شعوبهم التى استظلت الدنيا بظلها أجيالا طوالا •• ولله الأمر من قبل ومن بعد ، والسلام على من اتبع الهدى •

د• محمد عبد المنعم خفاجى

من أعلام الأزهر

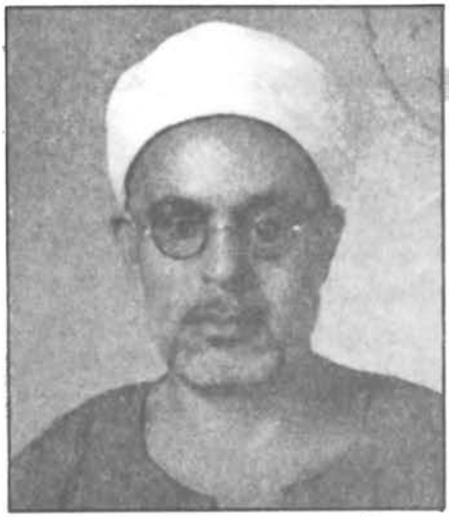

الشيخ محمد أحمد عرفه

للدكتور محمد عبد المنعم

(١٠)

من أعلام الأزهر فى العصر الحديث.
شيخ جليل ، وأستاذ كبير .
وداعية من أكبر الدعاة الى الله .
تتلمذنا عليه فى كلية اللغة العربية فى الثلاثينيات ، حيث كان يدرس لنا الفلسفة الاسلامية .
ثم تتلمذنا عليه فى الدراسات العليا ، حيث درس لنا البلاغة العربية .
فكان نعم الاستاذ والمرشد والموجه .

تولى رياسة الوعظ فى الأزهر الشريف فى الخمسينيات ، كما تولى رياسة تحرير مجلة الأزهر فترة من الوقت وفى كل مكان عمل فيه كان نعم الأستاذ ، والعالم ، والمفكر ، والداعية الى الله .

قضى الشيخ عرفة أكثر من خمسين عاما فى الأزهر طالبا وأستاذا وموجها .

دخل سلك التعليم فى الأزهر عام ١٩٠٤ حيث التحق بمعهد دسوق الدينى ، ثم أكمل تعليمه الثانوى فى معهد الاسكندرية الدينى ، ثم التحق بالقسم العالى فى الأزهر الشريف ، وحصل منه على شهادة العالمية عام ١٩٢١ ، وعين اثر ذلك مدرسا فى الأزهر الشريف فى معهد الاسكندرية .

ولما أنشئت كليات الأزهر عام ١٩٣١ اختير للتدريس فى كلية الشريعة الاسلامية ، وفيها ظهر نبوغه العلمى ، وعلت مكانته الدينية ، فاختير وكيلا للكلية عام ١٩٣٣ ، ثم نقل أستاذا فى كلية اللغة العربية ، وظل فيها

الشيخ محمد أحمد عرفة

ثلاثة عشر عاما ، وفى عام ١٩٤٣ اختير عضوا فى جماعة كبار العلماء ، وفى عام ١٩٤٦ اختير مديرا للوعظ ومديرا لمجلته ، ثم عين مديرا لمجلة الأزهر ، وفى عام ١٩٥٩ أحيل الى التقاعد .. وظل عاكفا على القراءة والكتابة والدعوة الى الله حتى توفاه الله الى رحمته عام ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م .

كانت شخصية الشيخ محمد احمد عرفه شخصية رجل الدين الوقور العالم ، الداعية الى الله وكان يحب الكتاب حبا جما ، ويقضى جل وقته معه وفى صحبته .

وكانت مقالاته فى الدفاع عن الاسلام ذات صدى كبير فى الرأى العام وكان ينشرها فى صحيفة الأهرام .

(٢)

ترك مؤلفات عديدة ، منها :

١ ــ النحو والنحاه .

٢ ــ رسالة الأزهر فى القرن العشرين .

٣ ــ نقض مطاعن فى القرآن الكريم ، وهو كتاب جليل يناقش آراء الدكتور طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى .

٤ ــ اللغة العربية ، لماذا اخفقنا فى تعليمها وكيف نعلمها .

٥ ــ السر فى انتشار الاسلام .

٦ ــ الاسلام أم الشيوعية .

٧ ــ انقاذ البشر من أن يفنى بعضهم بعضا بالحرب الذرية .

وترك الكثير من أحاديثه فى الاذاعة والصحف التى لم تنشر حتى اليوم .

وكان لديه مكتبة حافلة بشتى الكتب الحديثة والقديمة ، كان يقضى فيها معظم أوقاته .

(٣)

وكان مقربا من جميع شيوخ الأزهر ، يعرفون له مكانته الدينية ، ويعرفون له منزلته الروحية فى وسط الشعب .

وكان محبوبا من تلاميذه لما يفيدهم اياه من العلم الغزير ، والفهم العميق لأصول الشريعة وفروعها ، ولأسرار كتاب الله العزيز ولخصائص اللغة العربية وقواعدها ، وكتابه « النحو والنحاة » خير شاهد على ذلك كله .

وكان الشيخ رحمه الله جميل الهندام ، أنيق الملبس ، معروفا بشجاعة الرأى وبالصلابة فى الحق ، لا يلين الا لحكم العدل والانصاف ،ولا يخضع الا لقانون الواجب والنصفة ، وكان الناس يقصدونه فى مختلف شئونهم وحوائجهم ، فلا يرد سائلا ، ولا يخيب ظن ظان فيه ، ينهض مع المظلوم لينال الانصاف على يديه ، ويسعى فى الخير ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وكان من جيل الشيوخ الكبار ، جيل تلاميذ الامام محمد عبده : من مثل محمود شلتوت ، ومحمد محيى الدين عبد الحميد ، ومصطفى عبد الرازق ، والمراغى ، والزنكلونى ، وحمروش ومأمون الشناوى والخضر حسين، وسواهم .

رحمه الله وأجزل مثوبته جزاء ما قدم للعلم والدين ، وللاسلام والمسلمين .

المجتمع الإسلامى

■ الإسلام ونظريات
بناء الروح المعنوية

■ أثر الإسلام
فى المجتمع
العباسى

■ من تاريخ القضاء
فى دولة الإسلام

■ ماذا قدمنا
للإعلام الإسلامى؟

الإسلام
ونظريات بناء الروح المعنوية

تحتل الروح المعنوية موقعا بالغ الأهمية فى سياسة الدول عامة وفى تخطيطها الاستراتيجى بخاصة ، فقد أصبحت فى هذا العصر العامل الرئيسى الذى يحكم اصدار القرار ببدء العمليات الحربية أو تأجيلها أو التخلى عنها . والتاريخ الحربى حافل بالمواقف التى اضطرت فيها القيادات الاستراتيجية الى التخلى عن عمليات هجومية كانت مقررة .

كما أصبح « تدمير » الروح المعنوية للعدو ، على رأس الأهداف الاستراتيجية (١) التى تسعى الجيوش المتصارعة الى تحقيقها ، فتضع الخطط « للضربات » التى تستهدف تدمير المعنويات ، سواء بالقتال بالسلاح أو الحرب النفسية التى قال عنها القائد الالمانى روميل : « ان القائد الناجح هو الذى يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم » .

وتزيد أهمية الروح المعنوية اذا امتدت الحرب لفترة طويلة ، فبدونها يصبح من المستحيل تحمل مشاقها والصمود لتكاليفها وويلاتها .

من أجل ذلك فان جميع الجيوش تعنى أشد العناية بوضع النظم التى تستهدف بناء الروح المعنوية لرجالها والمحافظة عليها ووقايتها من عوامل الضعف أو الانهيار ، وأصبح تنظيم الجيوش اليوم يضم أجهزة متخصصة فى هذا المجال يعمل فيها الخبراء العسكريون مع علماء النفس وعلماء الاجتماع وأطباء الامراض العصبية والنفسية والعقلية وغيرهم . ويطلق على هذه الاجهزة اسم « التوجيه المعنوى » أو « الشئون المعنوية » أو غير ذلك .

والروح المعنوية فى علم النفس هى « الحالة العقلية للفرد فى وقت معين ، وتحت تأثير ظروف معينة » .. فالفرد فى وقت معين وتحت تأثير ظروف معينة قد نجده شجاعا مقداما يفيض حماسة وحيوية ، وفى وقت آخر وتحت تأثير ظروف أخرى نجده مترددا متخاذلا فاقد النشاط والحيوية محطم الارادة . فحالة

(١) الهدف الاستراتيجى : هو الهدف الذى يسبب تحقيقه للعدو من الاضرار ما يؤدى الى احداث تغييرات حادة فى الموقف العسكرى والسياسى ويؤثر تأثيرا بالغا على تطور الصراع المسلح ككل (مثل تدمير طيران العدو بحيث تحرم القوات المسلحة والبلاد من الغطاء الجوى) .

اللواء أ.ح محمد جمال الدين محفوظ

الفرد العقلية التى تحركه وتدفعه ــ فى هذا الوقت أو ذاك ــ الى السلوك المتسم بالقوة أو الضعف ، أو بالسعادة أو الحزن هى « الروح المعنوية » • من أجل ذلك تعد الروح المعنوية من أهم عوامل الانتصار فى الحروب ، اذ هى الباعث الأساسى لارادة القتال ، وهى مستودع القوة والقدرة على مواجهة مشاق المعركة وأهوالها والتغلب عليها والتصميم على احراز النصر على العدو مهما كانت التضحيات •• هذا فى وقت الحرب ، أما فى وقت السلم فالروح المعنوية تعد من المطالب الحيوية لبناء الجيوش وكفاءتها واستعدادها للقتال ، فهى التى تنشىء الدوافع فى قلوب الرجال نحو الاخلاص والايجابية والحماسة فى العمل فى مجالات التدريب والحراسة وصناعة الاسلحة وغير ذلك من أسباب اعداد القوة •

* المدارس الفكرية فى بناء الروح المعنوية :

وقد ظهرت عدت نظريات أو مدارس فكرية فى مجال بناء الروح المعنوية وتوليد الدوافع لدى الأفراد والمقاتلين على الاقدام والاستبسال فى القتال نذكر أهمها فيما يلى : ــ

١ ــ نظرية الجبرية :

وهى نظرية مؤداها أن على الجندى أن يطيع الأوامر طاعة عمياء وينفذ المهام الموكولة اليه ، دون أدنى تفكير أو تبصر ، ودون أن يفهم أو يدرك الهدف الذى يحارب من أجله ••

أى أن هذه النظرية لا تؤمن بتوليد الدوافع المعنوية « الذاتية » النابعة من نفس المقاتل ، ولا ترى ضرورة لأن تكون له « عقيدة قتالية » معينة •• وكان فريدريك الأكبر يعتنق هذه النظرية ، فيقول عن رجاله : «انهم متى اجتمعوا فى صفوفهم ، وعلموا أن الضابط وراءهم بالسوط ، فانهم يضطربون خوفا ، ولا يترددون فى التخلص من كل اعتداء أو خطر ، ويكفى أن آمرهم ، فيلقوا بأنفسهم فى النار ، ويضحوا بحياتهم فى سبيلى دون أدنى تفكير ، لأنهم يجهلون كل شىء حتى الغرض الذى يقاتلون من أجله » !!

وواضح أن هذه النظرية تهدر قيمة الانسان ، ولا تعترف بفرديته ، ويلحق بها ربط المقاتلين بالسلاسل لدفعهم الى حومة القتال قسرا وقهرا •

وقد أصبحت النظرية الجبرية الآن غير ذات موضوع ازاء التطور الذى حدث فى شكل الحرب وأسلحتها شديدة التدمير بحيث اضطرت الجيوش الى توسيع الفواصل بين أفرادها وبين وحداتها تجنبا للخسائر الجسيمة ، وقد أدى هذا الانتشار الى صعوبة سيطرة القائد على رجاله بالعين والصوت كما كان الأمر فى الماضى ، وهكذا أصبح مطلوبا من المقاتل الفرد أن يتحرك بدوافع ذاتية

الإسلام ونظريات بناء الروح المعنوية

لا خارجية ، وأن يواجه مواقف المعركة ويتصرف فيها بهدى تفكيره وحده ، وبعبارة واحدة : برزت قيمة الفرد ودوره المؤثر فى المعركة .

٢ ـ نظرية العقيدة المحددة :

وهى تنادى بضرورة اعتناق الجنود لعقيدة محددة (دينية أو سياسية أو مذهبية أو غير ذلك) تتركز حولها جميع اتجاهاتهم الفكرية ، وتوحد جهودهم للدفاع عنها وبذلك يصبح انتصار هذه العقيدة هو هدف القتال .

وواضح أن هذه النظرية تؤمن بأن « العقيدة القتالية للمقاتل » هى التى تحركه بدافع ذاتى الى الاستبسال فى القتال والتصميم على تحقيق الهدف مهما كانت التضحيات . فهى اذن نظرية تخالف تماما النظرية الجبرية ، فهى تؤمن بفردية المقاتل وتحترم شخصيته الانسانية ، وتدرك حقيقة أن المقاتل الذى ينتصر فى المعركة ، هو الذى يقاتل مشبعا بعقيدة معينة تملأ نفسه اقتناعا بالهدف الذى يقاتل من أجله .. وهذه النظرية تأخذ بها الدول التى لا تفصل بين عقيدتها العسكرية(١) ونظامها السياسى أو مذهبها الاقتصادى .

(١) العقيدة العسكرية : اصطلاح فى العلم العسكرى يقصد به السياسة العسكرية المرسومة التى تعبر عن وجهة نظر الدولة ابتداء بأهداف الحرب الى طرق ادارتها التى تعبر عن وجهة نظر الدولة الرسمية فى كل ما يتعلق بالصراع المسلح واعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب .

٣ ـ نظرية تنمية الاتجاهات :

وهى نظرية تتفق مع مدرسة العقيدة المحددة فى انقضاء عهد المقاتل الذى يحارب بغير دافع أو هدف ، الا أنها لا تتقيد بعقيدة محددة ثابتة كسابقتها ، بل تنادى بتنمية الاتجاهات الصحيحة نحو القضايا والأهداف التى تختارها الدول فى الظروف والمواقف المختلفة .

وواضح أن أصحاب هذه النظرية يريدون أن يختاروا لأنفسهم الأهداف التى يقاتلون من أجلها بحسب الاحوال والظروف المتغيرة ولذلك يمكن أن يقال أنهم يضعون المصالح فوق المبادىء ومن الامثلة التى تذكر فى هذا المجال اتحاد الرأسمالية والشيوعية فى جبهة واحدة ضد النازية فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ بينما هما الآن خصمان ثم ان هذه النظرية تتوسع فى نظرتها الى الدوافع التى تحرك الانسان فى المعركة فهى ترى أن العقيدة القتالية ليست هى الدافع الوحيد للقتال بل تضيف اليها دوافع أخرى ذاتية واجتماعية مثل حب الظهور بمظهر الشجاعة والبطولة ، أو حب السيطرة والقيادة ، أو الرغبة فى الحصول على الثناء أو المكافأة الى غير ذلك من الدوافع .

المدرسة الاسلامية :

والواقع أنه لا مجال للمقارنة بين هذه النظريات التى ذكرناها وبين نظريات المدرسة الاسلامية التى تمتاز بالدقة والاحكام ونبل المقاصد وتكريم الشخصية الانسانية .

فالجهاد فى سبيل الله هو جوهر العقيدة

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

صدق الله العظيم

القتالية للمسلمين ، وبذلك تنبنى الروح المعنوية على فلسفة متكاملة تتناول شخصية المجاهد وتكوينه النفسى وسلوكه الاجتماعى ، وتنمى لديه الاتجاهات النفسية الايجابية التى تحركه ذاتيا نحو الاستبسال فى القتال فى سبيل الله واعلاء لكلمته .

من أجل ذلك تنفرد المدرسة الاسلامية فى مجال بناء الروح المعنوية وارادة القتال بعدة خصائص سامية نذكر منها ما يلى : —

أولا : ارتباطها بالدين ومبادئه لا بالسياسة أو المصالح أو الأهواء مما يمنحها عدة مزايا :

١ — الأصالة والدقة والاحكام ، فبحكم انبثاقها من الدين ، يكون لها من الاصالة ما للدين نفسه من أصالة ومن دقة وأحكام ، فالرسالة الاسلامية ليست من صنع انسان يخطىء ويصيب ، وانما هى من الله أنزلها على رسوله بالتعبير الالهى نفسه ، كما أنها فى غاية الاحكام والدقة جملة وتفصيلا ، لأنها من لدن حكيم خبير لا يخطىء ولا يخفى عليه شىء وقد أودعها كتابا « **أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** » (هود : ١) .. « **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** » (فصلت : ٤٢) .

٢ — الثبات والاستقرار لأن الدين أثبت وأدوم من السياسة التى تتعرض للتغيير والتبديل تبعا لتقلبات المصالح والأهداف الاستراتيجية .

٣ — النبل والشرف والعدل فى الغايات والوسائل فهى لا تخضع للأهواء أو الأطماع أو المصالح .

ثانيا — تكريم الانسان واحترام شخصيته :

فهى تنمى الدوافع التى تحرك الانسان عن ايمان واقتناع وليس عن جبر أو قسر ، وذلك لأن الحرية والاختيار والاقتناع من أصول الدعوة الاسلامية .

ونظرة النظم الى الحرية باعتبارها أهم القضايا التى تمس الفرد والمجتمع ، هى فى الواقع من أهم المعايير التى يقاس بها مدى نجاح هذه الأنظمة .

ولقد قرر الاسلام مبدأ الحرية والكرامة الانسانية وحرر شخصية المسلم من العبودية لغير الله تعالى فى كل ميدان من الميادين . واذا كان الاسلام فى جانبه الاجتماعى غير مجرى التاريخ البشرى ، فان هذا التغير لم يقم على انقاض الحرية الفردية ، أو التضحية بها فى أية صورة من صورها ، ولذا نراه — مع حرصه الشديد على أن يدخل الناس فى الدين أفواجا — لا يضرب على أيديهم ، ولا يسوقهم نحو

الإسلام
ونظريات بناء الروح المعنوية

الايمان سوقا ، لأن الاسلام يريد بالتغيير الذى نادى به وعمل على تحقيقه أن يصنع رجالا أبطالا ، ونماذج تستطيع أن تحمل مشاعل الفكر ، وتنير طريق الحرية ، فالذين يساقون ، لا يمكنهم يوما من الأيام أن يكونوا قادة فكر ، ولا أبطال جهاد ، وكيف لفاقد الشىء أن يعطيه •

وهكذا كان الاسلام يتحرك من خلال اطار عام يحمى الحرية ويصونها وتمثله الآية الكريمة : « **لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ** » وبأسلوب الاقناع والمجادلة بالتى هى أحسن كما فى قوله تعالى : « **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** » (النحل ١٢٥) •

ثالثا ــ تنمية الضمير الدينى :

ان الضمير الدينى هو أقوى محرك ذاتى للانسان •• لذلك عنى الاسلام بتكوين الضمير الدينى للمسلم بحيث يندفع الى آداء واجبه على أكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية داخل نفسه ، لا على قوة أو سلطة خارجية •

فالضمير الدينى للمسلم ، هو الذى يمنحه القدرة على السلوك الحسن ، والجدية فى التفكير والعمل الفعال وعلى الابتكار والتصرف فى مواجهة المواقف ، وهو الذى يدفع المسلم الىأن يرعى الله فى عمله لأنه هو الرقيب المطلع ، ويصوره لنا الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم فى العبادة بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » (رواه البخارى) •

فالمقاتل المجاهد لا يتحرك فى المعركة خوفا من بطش القائد أو « الضابط الذى وراءه بالسوط » كما يقول فريدريك الأكبر ، وانما يتحرك خوفا من الله جل جلاله ورجاء فى مرضاته • ومن عجيب صنع القرآن الكريم فى تربية هذا الوازع الدينى الخلقى أنه لم يجعل نتيجة الخوف أمرا سلبيا ، وهو النجاة من العقوبة وعدم التعرض للعذاب ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة جزاء ايجابيا وثمرة أخرى فوق الخلاص من العقاب ، وهى الثواب الجزيل والأجر العظيم وذلك ما يفهم من قول الله تعالى : ــ

« **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَأْوَىٰ** » (النازعات ٤٠ ــ ٤١) « **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** » (الرحمن : ٤٦) •

ثم ان الضمير الدينى يدفع المسلم الى تقدير المسئولية والاخلاص فى العمل ، فالعمل الصالح قد ورد فى القرآن الكريم مقرونا بالايمان حتى تكررت فيه عبارة « **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** » عشرات المرات مما يوحى فى قوة ووضوح بأن الانسان لا يكفيه أن يعرف أو يضع فى رأسه فكرة ما ، بل يجب عليه أن يعمل بما تقتضيه هذه الفكرة فى جد واقدام ، وقدرة الله وتوفيقه معه بقدر يقينه واخلاصه • والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس الايمان بالتحلى أو بالتمنى ولكن ما وقر فى

القلب وصدقه العمل » (١) .

وفى الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٢) ، تجسيد لمسئولية الانسان فى عمله ، وتربية لضمير المسلم وتنمية لفضيلة الاخلاص فى العمل وتقدير المسئولية والواجب .

رابعا ــ تنزيه المجاهد عن دوافع المفاخرة أو حب الظهور أو الرغبة فى الثناء :

لقد رأينا مما ذكرناه كيف أن نظرية تنمية الاتجاهات تقرر أن من الدوافع التى تحرك الفرد للقتال دوافع ذاتية أو اجتماعية كحب الظهور أو الرغبة فى الثناء أو الشهرة . أما الاسلام فلا محل فيه لمثل تلك الدوافع .. فالمجاهد منزه عنها تماما ، وأهدافه وتطلعاته أرقى وأسمى وأنبل من أولئك الذين يحملونها .. انه يتحرك لاعلاء كلمة الله ، ولا يبتغى غير وجه الله .. وهو لا يستحق الجنة ، ولا يجد ريحها الا اذا كان جهاده خالصا من أجل اعلاء كلمة الله ، فقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » (رواه البخارى ومسلم) .

أما الثواب الذى ينتظره المجاهد فهو أرقى وأسمى وأبقى من الشهرة أو ثناء الناس ، وقد صور الله سبحانه وتعالى جهاد المجاهد بأنه من التجارة الرابحة مع الله عز وجل فقال : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** » (الصف ١٠ ــ ١٣) .

وصوره ايضا بانه عقدتم بين المؤمنين وربهم فى قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (التوبة : ١١١) .

محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) يبدو ــ والله أعلم ــ أن العبارة من كلام الحسن البصرى ــ رضى الله عنه ... (مجلة الازهر) .

(٢) راجع صحيح البخارى : الجمعة ، الجنائز ، الاستقراض . الوصايا .. الخ .

أثر الإسلام
في المجتمع العباسي

من معجزات الاسلام الواضحة أن يبرز بوضوح فى كل مجتمع يدين به ، فقد مرت القرون وراء القرون منذ ظهر نوره فى الكون ، وصوته الأعلى فى بلاده ، لا يستطيع مجاهر بنزق أو زندقة أن يحتل المكان البارز فيه ، بل ان أصحاب النيات المدخولة والبواطن المريبة ، اذا غفل عنهم الزمن فى فترة من الفترات وأرادوا التحكم فى هذا المجتمع الاسلامى فانهم لا يستطيعون ان يكشفوا عن وجوههم المنكرة كيلا يدمرهم الزلزال ، ولكنهم يتسترون باسم الاسلام زاعمين أنهم يدورون فى فلكه ويصدرون عن وحيه ليلقوا بالاطمئنان فى نفوس أمة ترى دينها القويم أعز ما تملك وتفتدى ، فالاسلام وحده ذو السيطرة الحقيقية على مجتمعه ، به يحكم الحاكم واليه ينتسب مباهيا فخورا وبه يعتز المحكوم ويتيه ولكن نفرا من الذين فى قلوبهم مرض ، قد دفعتهم غفلة المسلمين عن تحليل تاريخهم الحافل مدة من الزمن ، فجاءوا يكتبون هذا التاريخ لا ليظهروه فى سمته الواضح وواقعه الصريح ، بل ليسدلوا الأغشية السود على ابطاله ورجاله ومجتمعه ، متخذين أحقر الأدلة من النصوص المبتورة والتأويلات الملتوية والاستنباط الشائه ، ليصفوا مجتمع الاسلام فى اكثر فتراته بما يأباه الحق وينكره التاريخ ٠

لقد بدأ الازدهار العلمى للدولة الاسلامية فى مفتتح عصر بنى العباس ، وهو ازدهار واضح الأثر لا يستطيع انكاره متعسف ، تصطرع فى نفسه عوامل الموجدة والضغينة ، وهو فوق ذلك كان الازدهار الأعلى فى العالم كله ، بحيث لم تكن دولة فى الشرق والغرب تستطيع حينئذ أن تساميه فى ارتقائه ، بل كانت أعظم الدول تعشو الى مناره وتقتبس من هديه هذه حقيقة لاينكرها باحث يلتزم الجادة فى بحثه ، ولكن الذين تتآكل قلوبهم من الغيظ يرهقون عقولهم فى نسج الأراجيف ، فيذهبون الى تمحل الأدلة الواهية ليقولوا مرة ان هذه الحضارة لم تكن وليدة الاسلام ولكنها ثمرة ما تقدمها من الحضارات وليقولوا مرة ثانية ان المجتمع العباسى لم يكن يصدر عن الاسلام فى هديه ، بل كان مجتمعا اباحيا يدعو الى الفسق والتحلل والزندقة فكل حضارة تنسب اليه لم تنسب الى قوم يعتنقون الاسلام عن يقين وايمان وانما هى أسماء وتقاليد ٠

واذا كانت الشبهة الأولى قد أخذت حقها من التمحيص بما يثبت قدرة الاسلام على امتصاص كل نفع حى والسمو به الى أرقى منازل جدواه فاننا نفسح هذا المقال لمناقشة الشبهة القائلة بأن المجتمع العباسى لم يكن ذا صبغة اسلامية ،

للدكتور محمد رجب البيومى

وهى مناقشة قد أثيرت من قبل وكشف بها وجه الحق عن يقين واقتناع ، ولكن نفرا من أدعياء البحث لا يلتفتون الى مادار من أخذ ورد بل يذهبون فى كتبهم الجامعية الى ما أرجف به المغرضون من أعداء الاسلام ، فلابد من مناقشة تضيف الجديد من ناحية وتذكر الناس ببعض ما قيل من ناحية أخرى ، وان فى ذلك لذكرى لمن ألقى السمع عن حيدة وانصاف .

لقد كانت كتب الأدب وحدها مرجع القائلين باباحية المجتمع العباسى ، وفوضاه الخلقية ، وكل باحث عليم يعرف أن روايات الأدب وحدها ليست من مصادر التاريخ الأولية بل هى عامل مساعد يستأنس به فى تأييد رأى تقوم أسبابه على أمور مسلمة هى من القائلين بها فى منزلة الوثوق الراسخ واليقين المتأصل ، لأن الناحية الخيالية فى كتب الأدب القديم تختلق مناسبات للنص وتتخيل وقائع تبدو متطابقة وهى عن الواقع بمنأى بعيد ، بل انها تختلق النص الأدبى أحيانا من قصيدة مجلجلة أو خطبة رنانة أو رسالة محكمة لتجعل من هذا الاختلاق سببا لتأييد القصة الملفقة والحادثة الموهومة ، وما أكثر ما يحمل كتاب الأغانى من روايات ساقطة قد تهافتت حتى فى منطق أبى الفرج الأصبهانى نفسه فهو يذكرها قائلا انه مجرد راو لا يتحمل الجزم بحقيقتها ، ومعنى ذلك بصريح العبارة أن كتاب أبى الفرج سجل لكل ما يقال من حق وباطل ، وعلى قارئه أن يكون ناقدا فاحصا يرى الرأى فيما يقرأ ثم يزنه بميزانه التحليلى ، مهتديا الى ما يعلم من حقائق العصر العامة وطبيعة الأحداث . ومنطق المجتمع ، وقد خصصت كتاب الأغانى بالذات لأن هؤلاء المرجفين بالعصر العباسى مجتمعا ودينا واتجاها لا يكادون يصدرون عن غيره ، والرجل فى سيرته وشعره وحياته لم يكن بالمثل الأعلى لباحث ملتزم جاد ، بل كان الى الاستهتار أقرب منه الى الجد ، وقد حلا له أن يملأ كتابيه الأغانى وأدب الغرباء بما يندى من المخجلات المخزية التى لا يخلو منها مجتمع تتجاذبه عوامل الارتقاء والهبوط ، وكأنه يرى فى تسطير ذلك كله تنفيسا عن رغبة تعتمل فى نفسه ، وترويحا عن مشاعر مكظومة تتطلب الافصاح !.

عمد المستشرقون الى كتاب أبى الفرج فاقتطعوا من بعض أخبار أبى نواس ووالبة وحماد ومطيع ابن اياس والحسين الضحاك وبشار ، ومن دار فى فلكهم ما يدل على السقوط الشائن ، والانحدار المقيت ، ثم أخذوا يقدمون كل خبر عن هؤلاء بكلام يوحى بالعموم الشامل، ولا يفتأون يجمعون الشبيه الى الشبيه والنظير الى النظير ، ليسترهبوا القراء ويبهروهم ، وليقولوا ان المجتمع الاسلامى فى عصر الدولة العباسية كان مجتمعا اباحيا لا تظهر فيه روح الاسلام ، مع أن الدولة مسلمة مؤمنة ينتسب خلفاؤها معتزين مزهوين ، الى بيت رسول الله، ويهيم وزراؤها وكتابها وعمالها وقضاتها

أثر الإسلام في المجتمع العباسي

بالاسلام عن عقيدة مخلصة عربا كانوا أو عجما، وقد حفلت كتب التاريخ الحقيقى بروائع مواقفهم وغرائب ايمانهم ولكن كل ما يكتب فى ذلك لا يلتفت اليه ، لأن كتاب أبى الفرج قد تحدث عن عدة مجان من الشعراء المتهتكين !.

كتب المستشرقون ذلك ودونوه ، ولم يكن ليقدر له أن يذيع ويشتهر ، لو صادف من أهل الاسلام قوة بصر ودقة ملاحظة وتمحيص ، وتحليلا للبواعث الدافعة الى تسطيره ، ولكن نقيض ذلك قد كان ! فقد أنشئت الجامعات التى تستمد أساتذتها من المستشرقين أنفسهم تارة ، ومن تلاميذهم الهائمين بأبحاثهم ودراساتهم تارة أخرى وكان الدكتور طه حسين شابا مندفع الرأى حينئذ ، عاد من فرنسا وقد قرأ سموم أساتذته فسرت فى نفسه واعتقدها حقا لا مرية فيه ، فتهيأ للحديث عنها فى قوة جامحة ، وليته جعل حديثه خاصا بينه وبين تلاميذه ، على ما فى ذلك من شر متأكد اذ يتيح لأستاذ مندفع متحمس أن يبذر شكوكه فى نفوس غافلة لم تقف بعد على أرض صلبة من البحث والتمحيص ، بل اندفع الدكتور فجعل كبريات الصحف اليومية ميدانا لآرائه المنقولة عن المجتمع العباسى وصلته بالاسلام ، والأمة مسلمة ، والقراء متطلعون فأحدث الكاتب بما تحدث به عن بشار وأبى نواس وأضرابهما زلزلة لم تهدف الى تمحيص حق ، وقد قام المنصفون بتفنيد آراء الكاتب المتسرع وتطاولت الرماح فى معارك ذات احتدام .

وقد تبلور النقاش حينئذ ، فى نقطة هامة هى أن المجتمع العباسى يحفل بنواحى الخير والشر معا ، فاذا وجد به المتحللون من أمثال أبى نواس وبشار ووالبة ومطيع ، فقد وجد به العقلاء من أمثال أبى حنيفة والحسن البصرى ومالك والشافعى وابن حنبل ، فمحاولة الاقتصار على رواية الأغانى وحدها تعسف يغفل الجانب الآخر من الحقيقة ! ومعنى هذا القول فى رأيى أن نصيب الشر يتعادل مع نصيب الخير فى ميزان واحد ، وذلك اجحاف كل الاجحاف بحقيقة المجتمع العباسى ، وغمض عن واقع واضح لا يحتمل اللبس ، اذ أن هؤلاء المتحللين لم يكونوا غير شواذ لا تستقيم القاعدة العامة دون استثنائهم ، فالقاعدة الكلية العامة هى قوة المجتمع الاسلامى وعمق ايمانه ، وعظيم وعيه ، والاستثناء الذى لا يؤثر فى القاعدة هم هؤلاء العصابة من المتحللين ، وأمثالهم لم يخل منهم مكان ، فقد وجدوا فى عصر النبوة ، كما وجدوا فى عصر الخلافة الراشدة وفى عصور الفاطميين والأندلسيين والأيوبيين والمماليك ، وكما لا يزالون يوجدون بين ظهرانينا اليوم أفيكون مجتمعنا الآن متحللا اباحيا لأن كاتبا كتب قصة خليعة أو أن شاعرا نظم قصيدة ماجنة أو لأن

مطربا غنى قطعة سفيهة ! لن يكون ذلك كذلك ، والاسلام بحمد الله نافذ الكلمة قوى الاشعاع!

ثم لماذا – ليت شعرى – ننظر الى الشعراء وحدهم والى شعراء مخصوصين بالـذات دون الجمهرة الغالبة من الشـعراء ليكـون هـؤلاء الشعراء مجال الاستشهاد المغرض والاستنتاج المريض !.

لماذا لا ننظر الى سير الفقهاء وفيهم المئـات من الأعلام من أمثال الأوزاعى والشافعى ومالك وأبى حنيفة وابن حنبل وقد كانوا قوة غالبـة يخشع لها الخلفاء ولا يسكتون على ضـيم أو اجحاف لماذا لا ننظر الى سير الزهاد من أمثال عبد الله بن المبارك ، والفضيل بن عياض وذى النون المصرى وعمرو بن عبيد .

لماذا لا ننظر الى سـير الوعـاظ من أمثال البصرى وعمرو بن ذر ومالك بن دينار وسفيان الثورى .

لماذا لا ننظر الى سـير القراء والمحـدثين والمفسرين بل لمـاذا لا ننظر الى سـير أعلام العربية أمثال الخليل وسيبويه والمبرد وثعلب والفراء ممن يتحـدثون عن مسـائل التشريع والعقيدة وهم كثرة كاثرة لا تحد !!

أيكون هؤلاء جميعا فى كفة مرجوحـة تعلو عليها كفة أبى نواس وبشار !.

على أن هناك حقيقة سافرة تعصف بكل زيف يقال ، وهى أننا لو تركنا أعلام الوعظ والفقـه والتشريع والحديث واللغة والنحو والتفسير ، وهـم من الكثرة الكاثرة بحيث يتغلغلـون فى شعاب المجتمع العباسى ثم يتقدمونه كواجهـة مضيئة ذات بريـق وائتلاق ، لو تركنـا هؤلاء جميعا ، وذهبنا الى الشـعراء أنفسـهم فماذا نجـد ؟.

نجد صوت الاسـلام مجلجلا فى ديوان كل شاعر ، فالخليفة يهنأ بالصـوم والفطر والحج ويمدح بالامتثال لأوامر ربه والسهر على خلافة الله فى الأرض ، وتوصف مواكبـه للصـلاة فى المسجد وخطبه على المنبر فى المسجد الجامع ، وامامتـه للناس ، وتلاوتـه كتاب الله ، وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر ، نجـد ذلك كله فى دواوين الكبراء من أمثال أبى تمام والبحترى وابن المعتز وابن الجهـم أفلا يكـون ذلك كله موازيا لما قيل فى العبث والمجون ! حتى نجعـل الانحلال طبيعة العصر دون استحياء .

أذكر أنى سمعت الزميـل البحـاثة الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا يتحدث فى هذا الصدد بندوة اذاعية بالرياض وقد قال – فيما قال – عن حمية واقتناع ان أبـا نواس كان صـديق الخليفة الأمين ، وقد اضطر الى حبسـه نزولا

أثر الإسلام في المجتمع العباسي

على رغبة المجتمع النافر من خلاعته ، فاذا اضطر مجتمع ما حاكمه أن يحبس صديقه العزيز ، فيستجيب سريعا الى رغبته ، فانه لمجتمع حى مؤمن له الكلمة العليا ، ولن يقال عنه انه مجتمع لذة وفساد !٠

على أن أثر هؤلاء المغرضين فى دراسة الشعراء قد عاد على الناحية الدينية بالاجحاف فهم يفسحون الرسائل الجامعية لدراسة أمثال البحترى وأبى تمام وابن المعتز وابن الرومى فيوجهون الطلاب الى تحليل كل غرض يتلمس – قريبا كان أو بعيدا – ثم لا يوجهونهم الى دراسة عواطفهم الدينية التى تظهر بوضوح فى أكثر قصائدهم ولعل الكليات الاسلامية تلتفت فى دراساتها العليا الى الاحتفاء بهذه الناحية ، ولعلى أقدم للقراء موضوعا عن العاطفة الدينية فى شعر ابن الرومى يعد تطبيقا قريبا لما نود من اتجاه ٠

محمد رجب البيومى

الى السادة راغبى الاشتراكات فى مجلة « الأزهر » الشهرية ٠

*** تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :**

مؤسسة الاهرام – شارع الجلاء – القاهرة ٠

وفيما يلى قيمة الاشتراك

*** جمهورية مصر العربية**

قيمة الاشتراك سنويا

جنيه	مليم
٢	٤٠٠ –

*** اتحاد البريد العربى والافريقى « بالبريد الجوى » ٠**

– ١٥ر٠ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها

*** باقى دول العالم**

– ٣٠ر٠ ثلاثون دولارا أو ما يعادلها

ملاحظة :

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة ٠

من تاريخ القضاء في دولة الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

ذكرنا فى مقال سابق أن القانون الأساسى فى الاسلام (وهو ما يعبر عنه فى زماننا المعاصر بالدستور) يتكون من آيات الأحكام التى جاءت فى القرآن الكريم ومن احاديث الأحكام التى صدرت عن رسول الاسلام — محمد صلى الله عليه وسلم — فيما كان يعرض عليه من امور وأحداث (١) ٠

وهذا القانون تشريع عام للمسلمين كافة فى كل زمان ومكان وكل حركة تشريعية فى الاسلام من أى مجتهد فى أى عصر يجب ألا تخرج عن حدوده ولا تعارض نصا من نصوصه أو أصلا من أصوله وعلى هذا فمصدر التشريع الاسلامى هو الله سبحانه وتعالى ٠

أما السلطة القضائية وتطبيق نصوص التشريع على الوقائع فقد استمدها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الله سبحانه بقوله تعالى : —

« **فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ** » سورة المائدة ٤٨

« **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** » سورة النساء ٦٥

ونضيف فى هذا المقال مدى اهتمام أولياء الأمر بولاية القضاء فى دولة الاسلام ٠

القضاء يتولاه الرسول — صلى الله عليه وسلم — بنفسه

مما لاجدال فيه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولى القضاء بنفسه وهو ان ولاه غيره من صحابته أو كلف به أحدا منهم فى جزئية من الخصومات أو فى بلد من البلاد فان هذا كان على أنه رسوله ونائبه يعلم الناس ويفتيهم ويقضى بينهم وبناء على ذلك

(١) مجلة الازهر جمادى الآخر سنة ١٤٠٢ هـ مارس / ابريل سنة ١٩٨٢ م٠

فلم يتبت عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه جعل القضاء ولاية مستقلة (٢) وان اضطرته الظروف الى شيء من ذلك في بعض الأحيان بعد أن انتشر الاسلام في شبه جزيرة العرب فقد بعث على بن أبي طالب الى بلاد اليمن ليقضي فيما يعرض لأهلها من قضاء (يقول على بن أبي طالب كرم الله وجهه) (بعثني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى اليمن قاضيا وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء قال ان الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك) (١) ٠

القضاء في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

لما بويع الصديق رضي الله عنه الخلافة بعد وفاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تولى بنفسه أمر القضاء نيابة عن صاحب الشرع لأن من مقتضيات الخليفة أن يكون له سلطة القضاء ، وظل الحال على ما كان عليه في عهد النبوة لأن أبا بكر كان يتحرج من تغيير شيء عما كان عليه زمن الرسول لكن قد تضطره كثرة أعباء الخلافة الى أن يعهد بالقضاء الى ولاته في الأمصار ٠

القضاء في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لما ولى الخلافة الاسلامية عمر بن الخطاب كانت رقعة الأمة الاسلامية قد امتدت واتسعت حتى شملت مع جزيرة العرب بلاد الفرس والعراق شرقا وبلاد الشام ومصر وبرقة غربا وكانت أمور المسلمين قد تعددت وتعقدت مما دعا ذلك الخليفة الراشد الى فصل الولاية العامة عن القضاء بعد أن كان الوالي في تلك الأقاليم قبل ذلك يجمع الى منصبه ولاية القضاء وبفصل القضاء عن الولاية العامة أصبح القضاء ولاية مستقلة يتولاه في الأمصار قضاة معينون من الخليفة نفسه وتارة يكون من الوالي بتفويض من الخليفة فولى أبا الدرداء قضاء المدينة وولى شريحا على البصرة وأبا موسى الأشعري ولاه قضاء الكوفة ٠

ولقد كتب عمر بن الخطاب رسالته المشهورة الى أبي موسى الأشعري بين له فيها كيفية التداعي وأسلوب القضاء في الاسلام وهي تعد من أروع النماذج وأرفع التعاليم في قوانين التقاضي والمحاكمة وقد ذكرنا نصها وتكلمنا عنها بتفصيل ووضوح في أعداد سابقة من هذه المجلة (٣) ٠

وكان ذلك الخليفة الراشد أبان حكمه يراقب ويلاحظ من يتولى ذلك المنصب الخطير حتى اذا مارأى اعوجاجا أمكنه تقويمه قومه ومما يروى في ذلك أنه كان بينه وبين أبي ابن كعب منازعة وخصومه في حائط ٠

(١) كتاب تاريخ القضاء في الاسلام تاليف الاستاذ ابراهيم نجيب معوض ٠

(٢) رواه أبو داود

(٣) انظر الجزء الخامس والجزء السادس من مجلة الازهر « جمادى الاولى وجمادى الاخرة سنة ١٤٠١ هـ — مارس وابريل سنة ١٩٨١ ٠

فقال : بينى وبينك زيد بن ثـابت فأتيـاه فطرقا عليه الباب فخرج وقال : ياأمير المؤمنين ألاأرسلت الى حتى آتيك فقال عمر : (فى بيته يؤتى الحكم) فأخرج زيد وسادة فألقاها عمر وقال هذا أول جورك وأبى أن يجلس عليها •

ولاشك أن عمر رضى الله عنه أبى الجلوس على تلك الوسادة حتى لا تكون هذاك مفاضلة بين أحد الخصمين والآخر •

كيف كان الخلفاء بعد عمر بن الخطاب يختارون رجـال القضـاء :

ان المتتبع لتاريخ دولة الاسـلام يرى أن خلفاء المسلمين كانوا يجتهدون فى اختيار مـن يتولى ولايـة القضـاء مااستطاعوا الى ذلك سبيلا فلم يعينوا فى هذا المنصب (منصب القاضى) الا كل من وقفوا على أخلاقه وسيرته وقد يعقدون امتحانا لمن يترشح للقضاء حتى لا يعين فيه الا مـن أثبتت التجـارب وأثبت ماضيه أنه جدير به (١) •

القضاء فى عهد على بن أبى طـالب كرم اللـه وجهه :

عندما تولى على بن أبى طالب رضى اللـه عنه أمر خلافة المسلمين كتب عهده الى الأشتر النخعى حين ولاه مصر باختيار من يتولى أمر القضاء بين رعيته وبين له شروط اختياره فقال له : (ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك بنفسك ممن لا تضيق به الأمـور ولا تحركه الخصوم ولا يتمادى فى الزلة ، ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا يستشرف نفسه على طمع ، ولايكتفى بأدنى فهم دون أقصـاه وأوقفهم فى الشبهـات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصوم وأصبرهم على كشف الأمور وأصرمهم عند اتضـاح الحكم ممن لا يزدهيه المراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ، ثم اكثر تعاهد قضاتك وافسـح له فى البذل مايزيل علتـه ، وتقل معه حـاجته الى الناس ، وأعطه من المنزلة ما لايطمع فيه غيره من خاصتك فيأمن بذلك اغتيال الرجال عندك)

النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أول من سن الاختبار لمن يرشح للقضاء •

لم يكن الامتحان شططا أو بـدعة جـديدة ابتدعها أولو الأمر فى دولة الاسلام بل كانوا فى ذلك متأسـين بالنبى ــ صلى اللـه عليـه وسلم ــ فعن الحـارث (ابن عمرو بن أخى المغيرة بن شعبة) يرفعه الى معاذ رضى اللـه عنه لما بعثه رسـول اللـه ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى اليمن قـال : له كيف تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله قال : فان لم تجد ؟ قال : أقضى بسنة رسول اللـه ــ صلى الله عيله وسلم ــ قال فان لم تجد فى سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا فى كتاب الله ؟ » قال : قلت أجتهد برأيى ولا آلو

(١) كتاب « سير وبحوث اسلامية » تأليـف دكتور جمال الدين الرمادى •

قال ، فضرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدرى وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما يرضى رسول الله ـ صلى الله عله وسلم (١) ـ (لاآلو) أى لا أقصر .

كيف كان اختيار المرشحين لمنصب القضاء فى عصر الخلافة الأموية :

سأل الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عن رجل يوليه القضاء فقال : روح من زنباع وكان مقربا اليه أدلكم على رجل ان دعوتموه أجابكم وان تركتموه لم يأتكم ليس بالملحف طلبا ولا بالمفتر معروفا انه عامر الشعبى فولاه قضاء البصرة وفى ذلك يقول ابن عينية (العلماء ابن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه والثورى فى زمانه) وذلك لحفظه ومكانته فى الفقه وثقته فى الحديث ورياسته فى العلم كأنه الشمس فى الآفاق (١) .

كيف كان اختيار المرشحين للقضاء فى عصر بنى العباس :

كان قاضى قضاة المتوكل يحيى بن أكثم يتولى امتحان من يترشح للقضاء بنفسه حتى لايعين فى هذا المنصب الهام الا من أثبتت التجارب وأثبت ماضيه أنه جدير به .

ويرى أنه قال لرجل من المرشحين عند امتحانه ما تقول فى رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فولد لكل واحد من امرأته ولد . ما قرابة مابين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال يحيى كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه (٣) .

اختيار القضاء فى دولة الاسلام بالأندلس

كانوا فى عاصمة الخلافة فى بلاد الاندلس لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال فى أغلب الأحوال (٤) .

مما تقدم يتبين أن عناصر التعيين فى مناصب القضاء الآتى : ـ

١ ـ الامتحان .

٢ ـ طول الخبرة وتكون بالمعرفة الموثوق بها دون تحيز أو محاباة .

٣ ـ واما بشهادة الثقة أن تشهد له جماعة من الثقات بطول الباع فى فهم كتاب الله وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعمل بهما .

اختصاصات القاضى :

كان اختصاص القاضى فى دولة الاسلام

(١) اخرجه أبو داود والترمذى ـ وأورده المحدث عبد الرحمن بن على الشيبانى الزبيدى الشافعى فى كتابه تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢) كتاب سير وبحوث اسلامية تاليف دكتور جمال الدين الرمادى .

(٣) كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة .

(٤) كتاب نفخ الطيب لابى العباس المقرى .

عاما فيشمل فصل المنازعات والخصومات واستيفاء الحقوق وايصالها الى مستحقيها بعد ثبوتها وتعيين الأوصياء والقيمين على من لا يحسن تصرفه من الصغار والسفهاء والمجانين والمفلسين والنظر فى الأوقاف وتنفيذ الوصايا وتزويج الأيامى والنظر فى المواريث وأمور اليتامى ومال الغياب والأنساب والتسجيل والاثبات .

كما وأن له النظر فى المصالح العامة من منع الضرر فى الطرقات والأفنية وأحداث مايضر المارة من البناء وغيره (وكان هذا قبل ظهور وظيفة المحتسب) .

وفى ذلك يقول ابن سهل فى مقدمة كتاب التبصرة (ان خطة القاضى أعظم الخطط قدرا وأنها اليها المرجع فى الجليل والحقير بلا تحديد وعليه مدار الأحكام واليه النظر فى جميع وجوه القضاء من القليل والكثير بلا تحديد (١) .

لكن الملاحظ فى مسائل القصاص والحدود أنها ترجع الى الخلفاء وولاة الأمصار كذلك عقوبات الحبس فلم يكن يأمر بها الا الخليفة أو عامله (٢) .

الاختصاص المكانى للقضاة :

كان القاضى يعين قاضيا للولاية الاسلامية كلها سواء كان تعيينه من قبل الخليفة أم من قبل الوالى المفوض بتعيينه وكما كان للوالى أن يستعين على أعمال ولايته بمن تدعو الحاجة الى الاستعانة بهم كذلك كان لقاضى الولاية هذا الحق .

ظهور وظيفة المحتسب :

مهمة المحتسب مهمة دينية مجالها فيما ليس فيه سماع بينه فذلك شأن القضاء وليست تنفيذ حكم فذلك شأن الشرطة وانما ترتبط بأمور يتنزه القاضى عنها لعمومها وسهولة أغراضها فكأنها بذلك خادمة لمنصب القضاء ومخففة لأعبائه (٣) .

١ — فعلى المحتسب أن يستجيب لمن يطلب عونه .

٢ — وله أن يعزر فى المنكرات الظاهرة تعزيزا لا يصل الى الحد .

٣ — وأسندت اليه أمور النظر فى مصالح الأبنية وأضرارها والمضايقة فى الطرقات .

٤ — كل ما يتعلق ببخس الاثمان والتطفيف ونقص الكيل والميزان .

٥ — أعمال الغش والتدليس فى الأشياء وثمنها .

٦ — المطل فى الديون الثابتة من قبل الأغنياء ومن ملك النفقات المقدرة من المجلس الشرعى على الزوجات والأقارب التى يماطل أصحابها.

٧ — وعليه أن يتفقد مجارى المياه العامة فى المدينة فأن احتاجت الى أصلاح أصلحها ان أمكنه ذلك والا فعليه تنبيه السلطة الى الاصلاح .

(١) نقلا عن كتاب « سير وبحوث اسلامية» للدكتور جمال الدين الرمادى ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) كتاب « القضاء فى الاسلام » تاريخه ونظامه للاستاذ ابراهيم نجيب معوض ص ٥٠ .

(٣) كتاب « تاريخ التشريع الاسلامى » وتاريخ النظم القضائية فى الاسلام » تاليف الدكتور أحمد شلبى .

٨ — ومن مهامه تنقية الشوارع وتنظيفها ونقل القمامة وازالة المياه التى تنشأ عنها الأوحال وابعاد أحمال الحطب الكبيرة التى تعوق المرور بالطرقات •

وكذلك الكلاب الضالة المؤذية والزام ذوى البناء المتداعى للسقوط بهدمه أو اصلاحه •

٩ — كما أسندت اليه أمور النظر فى الاسواق وفحص المبيعات التى يدخلها الغش كالسمن واللبن والدقيق ومراقبة بيع الفاكهة واللحوم حتى لا يختلط الجيد بالردىء منها — ومنع الباعة من احتكار أو خزن ما يحتاج اليه الناس من طعام وما شابه تلك الامور •

كاتب القضاء :

وهو ما يعرف فى زماننا بكاتب المحكمة •

وقد كان الخلفاء المسلمون يهتمون بأمره فيدققون فى اختياره فيشترطون فيه أن يكون عالما بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحرام والحلال والمواريث •

وقد امتلأت أوامر الخلفاء العباسيين وغيرهم بالتوصية فى اختيار ذلك الكاتب والذى كان من مهامه تحرير المحاضر والكتابة فى السجلات وتوقيع اعلانات الحضور للخصوم (١) •

(١) كتاب « سير وبحوث اسلامية » للدكتور جمال الدين الرمادى نقلا عن كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه •

حاجب القاضى :

هو صاحب الباب الذى يقدم الى القاضى أرباب الدعاوى والحاجات ويستأذن فى دخولهم عليه لاسيما من الأعيان لاحتمال أن يجىء أحدهم مخاصما والقاضى يظن أنه جاء زائرا فيعطيه حقه فى الاكرام الذى لا يجوز لمن يجىء مخاصما وايصال الخبر للقاضى بذلك اما بالمشافهة واما بالمكاتبة (٢) •

أعوان القاضى :

هؤلاء الأعوان هم بمنزلة الشرطة للوالى فهم حرس القاضى وجنده الذين يستعين بهم على جلب العصاة وزجر الطغاة •

اجراءات المحاكمة :

كانت عادة المتخاصمين أن يتقدموا لكاتب القضاء برقاع فى كل منها اسم المدعى واسم خصمه وأبيه فيأخذها ذلك الكاتب قبل مجىء القاضى ويظل يأخذها حتى يحضر القاضى وعندئذ يبدأ فى مباشرة الفصل فيها •

فاذا كانت رقاع المتخاصمين كثيرة لا يستطيع القاضى أن ينتهى فيها كلها فى يومه حكم فى جزء منها بقدر طاقته من الجلوس

(٢) المرجع السابق نقلا عن كتاب الحافظ بن حجر فى الفتح •

والصبر وأجل الباقى الى يوم آخر يحدده •

وكان المتحاكمون يبسطون قضيتهم وهم وقوف أمام القاضى وأحيانا يجلسون بين يديه اذا كانت القضية تستغرق وقتا طويلا فيسمع الدعوى أولا من المدعى ثم يسأل المدعى عليه فان أقر فللمدعى — أن يطلب من القاضى الحكم وحينئذ يلزم القاضى المدعى عليه بأن يوف بما أقر به •

وان أنكر طلب القاضى البينة من المدعى فان قدمها وكانت وافية وطلب الحكم بها حكم له القاضى بها وان لم تكن له بينة فله أن يطلب من المدعى عليه اليمين فان حلف المدعى عليه اليمين أو أبرأه المدعى من اليمين سقطت الدعوى (١) •

عدالة الشهود :

لا يقبل القاضى الشهادة الا ممن ثبتت عدالته تطبيقا لقوله تعالى « **وأشهدوا ذوى عدل منكم** » سورة الطلاق ٢ •

فلا تقبل شهادة عدو على عدوه ، ولا شهادة والد لولده ولا ولد لوالده ، ولا تجوز شهادة الخائن ولا المجلود فى حد لقوله — صلى الله عليه وسلم — (لا تجوز شهادة — خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذى غمر ولا ظنين فى قرابة ولا تقبل شهادة المغصوب منه على الغاصب ولا المسروق منه على السارق ولا ولى المقتول على القاتل ولا المقذوف على القاذف بقول الله تعالى • « **ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا** » سورة البقرة ٢٨٢ (٢) •

أوامر التحفظ :

كان للقاضى أن يأمر بالتحفظ على المتهم ان خيف افلاته من يد العدالة ، وكان هذا التحفظ يتم فى العصور الاسلامية الأولى بوضعه عند شخص موثوق به من جانب القاضى والمتهم ومن الأمثلة على ذلك حبس يحيى بن عبد الله العلوى عند جعفر البرمكى فى خلافة هارون الرشيد ثم قامت الدولة بانشاء السجون لتضع فيها من يخشى منهم الافلات من العدالة وأولئك الذين حكم عليهم بالسجن تعزيرا (٣) •

تسجيل الاحكام :

لم يكن هناك تسجيل للأحكام فى صدر الاسلام اذ كان الناس يقبلون الحكم وينفذونه دون لجاج أو عنت ثم بدأ تسجيل الأحكام فى عهد الدولة الأموية ليلتزم بها المتخاصمون وسبب ذلك أن جماعة اختصموا فى ميراث الى سليم بن عتر قاضى معاوية على مصر فقضى

---

(١) كتاب « التشريع الاسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الاسلام » للدكتور احمد شلبى نقلا عن كتاب « أدب القاضى » مخطوط بمكتبة ليدن وكتاب آدم ميتز الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى •

(٢) المرجع السابق نقلا عن كتاب « كفاية الاخبار » للامام تقى الدين الحسينى باب الاقضية

(٣) المرجع السابق نقلا عن كتاب « الاغانى » وكتاب « الكافى فى التاريخ » لابن الاثير •

بينهم ثانية وكتب كتابا بقضائه وأشهد فيه شيوخ الجند وبذلك كان أول قاض وضع سجلا لاثبات قضائه ومنذ ذلك الحين أصبح تسجيل الأحكام تقليدا يتبع فى أعمال القضاء (١) .

تنفيذ الأحكام :

اذا كانت الأحكام تتعلق بالحلال والحرام فانها لم تكن تحتاج الى منفذ غير أصحابها لأنها فى الغالب كانت من قبيل الفتاوى .

أما اذا كانت حدودا واحتاجت الى من يشرف على التنفيذ كان الخلفاء يشرفون على تنفيذها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون كلهم جنودا يعملون على تنفيذ حكم الله ويقوم كل منهم بما ندب اليه .

ثم أسند الخلفاء الراشدون الى قضاتهم مهام التنفيذ بوصفهم ممثلين لهم الا أنه بعد عصر الراشدين استرد الخلفاء سلطة التنفيذ فأصبح الحكم فى القصاص والحدود متروكا للخلفاء واقتصر عمل القاضى على الخصومات المدنية (٢) .

رواتب القضاة :

كانت دولة الاسلام تمنح قضاتها الرواتب السخية حتى يتفرغوا لأعمالهم بعد أن يطمئنوا على معاشهم وأرزاقهم .

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .

وأول من وسع فى أرزاق رجال القضاء الخليفة الراشد عمر بن الخطاب خصوصا بعد اتساع رقعة الدولة وزيادة أعباء التقاضى .

ففى طبقات ابن سعد أن عمر رضى الله عنه رزق عياض بن غنم حين ولاه قضاء حمص كل يوم دينارا ونشأة واحدة .

وكان راتب القاضى فى مصر كما أورده الجلال السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » الف دينار فى السنة .

أما فى المدينة المنورة فقد وصل أجر القاضى فى الدولة العباسية أربعة آلاف دينار (٣) .

الحكمة فى منح دولة الاسلام الرواتب السخية لقضاتها :

ذلك أن منصب القاضى له من الحرمة والمكانة ماله فهو صاحب رسالة اقامة الحق والعدل بين الناس ولتحقيق هذا الهدف جعل الله الحكم بينهم أرفع الأشياء وأجلها خطرا واستخلف الخلفاء فى الأرض ليقيموا حكمه وينصفوا من عباده (٤) ويقوموا بأمره قال تعالى : « **يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ** » سورة ص ٢٦ .

(٣) المرجع السابق .
(٤) كتاب اخبار القضاة لوكيع بن خلف — الجزء الاول .

وقال تقدست أسماؤه : «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ» سورة النساء ٥٨ .

ونظرا لما لهذا المنصب من خطر كبير خشية الجور فى الحكم تهيب منه بعض فقهاء المسلمين فى شتى عصور الاسلام لأن الله توعد الظالمين العذاب الشديد فيقول تعالى : «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا» سورة الجن ١٥ .

والقاسطون : جمع قاسط وهو الظالم .

ومما يروى فى ذلك أن سفيان الثورى لما دعى الى القضاء فى بغداد هرب الى البصرة واختفى بها حتى مات كما ابتلى الامام أبو حنيفة بالايذاء والحبس ليقبل القضاء فلم يقبل حتى مات (١) .

يقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (القضاة ثلاثة ، قاضيان فى النار ، وقاض فى الجنة فأما الذى ــ فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، واما اللذان فى النار فرجل عرف الحق فجار فى الحكم ورجل قضى على جهل فهما فى النار) (٢) .

وانه من ناحية أخرى نرى القاضى العادل له من علو المنزلة ورفعة القدر عند الله الشىء الكثير ويبشره النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيقول : (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، يعدلون فى حكمهم وماولوا) (٣) والمقسطون : جمع مقسط وهو العادل فى الحكم فهم بعدلهم صاروا من أرفع الناس منزلة عند الله يوم القيامة .

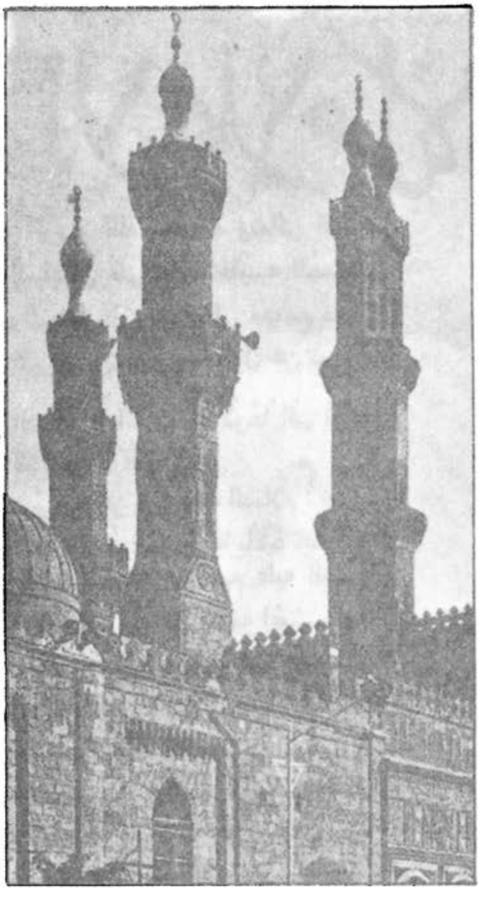

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

(١) انظر حاشية « ابن عابدين على الدر » .
(٢) رواه ابو داود والبيهقى والحاكم والطبرانى .

(٣) رواه احمد ومسلم والنسائى .

ماذا قدمنا للإعلام الإسلامي؟

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل السابقين على محمد عليه الصلاة والسلام كل رسول الى مجتمع معين أو الى قوم بعينهم ، فيقول عن نوح عليه السلام « إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ » (١) .

ويقول عن هود عليه السلام : « وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ » (٢) .

وعن سيدنا ابراهيم عليه السلام : « وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ » (٣) . وعن لوط عليه السلام « وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ » (٤) . وعن موسى عليه السلام : « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » (٥) . وعن سيدنا عيسى عليه السلام « وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ » (٦) .

وتحدث القرآن فى مجالات أخرى عن قوم نوح وقوم صالح وقوم لوط وقوم يونس وقوم ابراهيم وقوم موسى .

والجديد فى رسالة محمد — عليه الصلاة والسلام — أنها تجاوزت قومه الى البشرية جمعاء . فلم تقف عند حدود القوم الذين بعث فيهم ، ولم تقتصر على المدينة التى بعث فيها وهى (أم القرى وما حولها) ، لكنها كانت منذ بدايتها رسالة للبشرية كافة، فجاءت لكل مكان على وجه الأرض ، وجاءت لكل زمان حتى تقوم الساعة .

وقد قرر القرآن الكريم أول نزوله بمكة عالمية الاسلام ، فالقرآن جاء ذكرا للعالمين ، ومحمد — صلى الله عليه وسلم — جاء مبعوثا الى الناس كافة ، قال تعالى : « وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ » . وقال تعالى : « وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ » . والله تعالى يأمر نبيه — عليه الصلاة والسلام — أن يعلن هذه العالمية صراحة وأن يقول للناس أجمعين أنه رسول الله اليهم جميعا ، وذلك فى سورة الأعراف وهى مكية أيضا « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » .

والقرآن ليس انذارا للعرب وحدهم ، وانما هو انذار للعالمين الى كل انسان على وجه الأرض فى كل زمان ومكان ، وذلك فى

---

(١) نوح — ١ . (٤) العنكبوت ٢٨ .
(٢) الاحقاف ٢١ . (٥) ابراهيم ٥ .
(٣) العنكبوت ١٦ . (٦) آل عمران ٤٩ .

للدكتور سامى عبدالعزيز الكومى

سورة الفرقان وهي مكية : « تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا » . وفى سورة سبأ وهى مكية أيضا : «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا»

ما تفسير ذلك من وجهة النظر الاسلامية أو من وجهة نظر علم الاتصال بالجماهير — Mass Communication

ان نظرة سريعة على معنى كلمة الاتصال ووظائفه الاجتماعية تساعدنا على الاجابة على السؤال السابق .

عرف ستينبرك Steinberk الاتصال (بأنه الفعل الذى يتضمن نقل أو ارسال اشارة أو رمز منطوقا أو مكتوبا أو مصورا من مصدر معين الى جمهور معين عن طريق وسيلة أو أكثر من الوسائل الاتصالية التى تعمل كقنوات للتوصيل وذلك للتأثير فى رأى أو فعل أو جمهور أو مجموعة من الجماهير) .

أما الوظائف التى يؤديها الاتصال فى أى مجتمع سواء كان هذا المجتمع صغيرا أو كبيرا .. بدائيا أو متحضرا ، مؤسسة صغيرة أو دولة كبيرة أو العالم بأسره ، لا تخرج وظائف الاتصال عن خمس وظائف لابد أن يؤديها فى المجتمع وهى :

١ ــ الاعلام أو نشر الاخبار .

٢ ــ التعليق على الاخبار أو التوجيه ونشر الرأى .

٣ ــ التسلية والامتاع .

٤ ــ التسويق والاعلان .

٥ ــ التنشئة الاجتماعية أو نقل خبرات الأجيال من جيل الى جيل .

فكيف يتم تحقيق هذه الوظائف فى المجتمعات البدائية وفى المجتمعات المتحضرة ، وفى المجتمعات الصغيرة وفى المجتمعات الكبيرة ، فى المجتمعات المتخلفة وفى المجتمعات المتقدمة؟

ان للاتصال عدة أساليب تختلف باختلاف حجم المجتمعات ودرجة تحضرها والحاجة الى نوع الأسلوب نفسه .

فهناك الاتصال الشخصى ويكون بين شخص وآخر .

وهناك الاتصال الجمعى ويكون بين شخص ومجموعة أشخاص ، أو بين مجموعة أشخاص بعضهم والبعض الآخر .

وهناك الاتصال الجماهيرى ويكون بين المصدر وجماهير غفيرة تصل الى الملايين ، وهو الذى تستخدم فيه وسائل الاتصال الجماهيرى الحديثة كالصحافة والاذاعة و « التليفزيون » ، كما تستخدم وكالات الأنباء ، وتستخدم الأقمار الصناعية لدعم الارسال « التليفزيونى » وتوسيع مداه .

وهناك الاتصال الثقافى بين المجتمعات بعضها ببعض بأساليب متعددة ومعقدة يكون لها تأثيرات حضارية واضحة .

ولنضرب مثلا بوظيفة من الوظائف الخمس للاتصال وهى نشر الأخبار ، ففى مجتمع قرية أو قبيلة نجد أن الأفراد يعرفون الأخبار الخاصة بمجتمعهم الصغير بوسيلة الاتصال

ماذا قدمنا للإعلام الإسلامى

الشخصى بين بعضهم والبعض الآخر •

وفى مجتمع مدينة كبيرة نسبيا قد يستخدم المنادى أو لصق المنشورات فى الشوارع أو سيارة تطوف بمكبر صوت •

وعلى مستوى الدولة كلها تستخدم الصحف القومية والاذاعة والتليفزيون •

وعلى مستوى للعالم كله فى الوقت الحاضر تستخدم الاذاعات التى تتجاوز حدود الدول ووكالات الأنباء والاقمار الصناعية التى تمكن « التليفزيون » من مد ارساله الى مسافات شاسعة ونقل الأخبار من أماكنها مباشرة الى أى مكان فى العالم •

فاذا نظرنا الى الوسائل والأساليب الاتصالية التى كانت موجودة فى العالم فى العصور القديمة ، وقبل رسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجدنا تناسبا بين (قومية الرسالة) و (امكان الاتصال) ، وحينئذ قضت رحمة الله ألا تخلو أمة ــ من أمم الأرض ــ من رسالة يؤديها رسول من عند الله مبشرا ونذيرا ، قال تعالى :

« وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » (١) •

• •

ان التقدم المذهل الذى حدث فى وسائل الاتصال الجماهيرى قد جعل العالم كما يقول بعض الباحثين « قرية اليكترونية » ، وأصبح فى الامكان معرفة الحدث الاخبارى فى جميع أنحاء العالم لحظة وقوعه ، بل أمكن رؤيته بالصورة والصوت والحركة على « شاشات التليفزيون » فى جميع أنحاء العالم حيث ينتقل اليها الارسال عبر القمر الصناعى

كما أن تقدم وسائل المواصلات ــ القطارات والسفن والطائرات ــ قد يسرت انتقال البشر والصحف والكتب وأشرطة التسجيل الى مختلف أرجاء الأرض ومن ثم يسرت الاتصال الثقافى بين المجتمعات •

لقد وفر هذا كله للدعوة الاسلامية امكانات لم تكن متوفرة فى أى عصر من العصور السابقة •

وجاء محمد عليه الصلاة والسلام « أرسله الله الى الناس كافة أينما كانوا على الأرض ، وجعله خاتم النبيين أى لكل زمان حتى تقوم الساعة • ان الله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وحتى يكون الدين كله لله قد سبق فى علمه أن العالم سوف تتصل أجزاؤه وتصبح وحدة واحدة •• تتشابه مشكلاته وتتشابه طرق حلها •• وتتشابه آفاته ويتشابه علاجها • وهذا يلقى تبعة كبيرة على المسئولين عن مستقبل الاسلام والدعوة الاسلامية •

فمن ناحية عليهم أن يدرسوا الامكانات المعاصرة للاتصال العالمى من الناحيتين : « التكنولوجية » والفنية حتى يستطيعوا أن ينفذوا الى العالم بالوسائل التى تعود عليها وأصبح يستجيب لها •

ومن ناحية أخرى عليهم أن يدرسوا لغات العالم وثقافاته حتى يستطيعوا أن يقدموا له المادة الاعلامية التى تحقق هدفهم فى هداية البشر الى دين الله ، مؤمنين بأن انتشار الاسلام يوافق فى العالم كله حاجة عامة حان أوانها وتمهدت الأسباب للوفاء بها فى عالم

(١) فاطر ٢٤ •

الفكر والضمير .

وإذا نظرنا الى عالمية الدعوة الاسلامية نجد أن الله تعالى قد وفر لها من الامكانات فى العصر الحاضر ما لم يتوفر لها فى أى عصر من العصور السابقة ، وامكانات النشر على المستوى العالمى هذه تقوم على ثلاثة أسس رئيسية هى : الأساس الاعلامى والاساس المالى والأساس الفكرى .

أما الأساس الأول وهو ما يتعلق بالجانب الاعلامى فقد قدمنا الحديث عنه .

وأما الأساس الثانى وهو ما يتعلق بالامكانات المالية فاننا نقول : ان أية دعوة تحتاج فى تبليغها الى امكانات مالية . وقد وفر الله تعالى للدول الاسلامية هذه الامكانات بما فجره فى باطن أراضيها من كنوز النفط . وبالتالى وفر لها استخدام وسائل الدعوة الى الاسلام بأقصى فاعلية ممكنة .

وإذا أردنا أن نزيد هذه الحقيقة ايضاحا فاننا ننظر الى الاحصائية التى تقول : ان دخل دول الاوبك (ومعظمها تدين بالاسلام) من البترول قد ارتفع فى سنة ١٩٧٤ الى ١١٢ مليار دولار مقابل ٢٢٫٧ مليار دولار سنة ١٩٧٣ ، ولقد يكون لدى الدول فائض بلغ ٦٠ مليار دولار أى بواقع ١٦٤ مليون دولار يوميا ، وبواقع ٦٫٨ مليون دولار كل ساعة .

وفى سنة ١٩٧٦ قالت مجلة الأكونومست ان دول الأوبك يمكنها أن تشترى كل الشركات المساهمة فى العالم خلال ٦ و ١٥ سنة بالسعر الحالى لأسهمها . وشراء كل أسهم الشركات التى تتداول فى بورصة نيويورك خلال ٩٫٢ من السنوات . وشراء الذهب الموجود فى البنوك المركزية فى العالم خلال ٢ و ٣ من السنوات بسعر الأوقية ١٧٠ دولارا ، وشراء كل الاستثمارات الامريكية الموجودة فى الخارج خلال ١٫٨ سنة ، وشراء ثروة روكفلر فى ٦ أيام ، و ١٤٪ من أسهم شركة مرسيدس ، فى يومين .

اذن فالامكانات المالية متوفرة لدى المسلمين لتبليغ الدعوة الى الاسلام ولاستخدام وسائل الاتصال الحديثة بأقصى فاعلية ممكنة ، وهذا يحتاج الى انشاء جهاز على أعلى مستوى من التنظيم يقوم بالتخطيط لنشر الدعوة فى العالم كله ، وتشترك فيه الدول الاسلامية كلها ، ولنا عودة ان شاء الله للحديث عن هذا الموضوع .

أما الأساس الثالث : وهو المتعلق بالجانب الفكرى فهو يهيىء للدعوة الاسلامية فى عالم اليوم ظروفا مواتية لم تكن موجودة فى العصور السابقة ، فسهولة السفر واحتكاك الأمم بعضها ببعض يسر نقل الأفكار وحرية الرأى والعقيدة أصبح اليوم مبدأ معترفا به فى دساتير معظم الدول .

ان حفظ الله تعالى للقرآن الكريم دون أدنى تحريف فيه ، ولغته المعجزة فى مخاطبة الطبيعة البشرية ، والوثائقية التاريخية فى تسجيل قيام النظم الاسلامية ، وسبق الاسلام بالمناداة بمبادىء الحرية والاخاء والمساواة التى مازال البعض يقول : أنها من مبادىء الثورة الفرنسية مع أنها أثر من آثار الاسلام على أوربا ، وخلو الاسلام من التفكير الخرافى وتمشيه مع التفكير العلمى والمنطقى السائد فى العالم فى هذا العصر، نقول ان ذلك كله يوفر لوسائل الاعلام المستخدمة فى نشر الاسلام مضمونا قويا ومقنعا يساعدها على تحقيق اهدافها .

الشعر

حنين قلب

للدكتور حسن جاد

صَبَا حين هَبَّتْ صِبَا يثـــــرِب
فَحَـــنَّ إلىَ البـــلدِ الطَيّبِ
مشـــوقٌ يُصَـــفِّقُ بين الضلوع
هيـــاما الى المـــورد الأعـــذب
الى مَهْجَرِ الحق مهـــد الضياءِ
وَوَاحَـــةِ كُـــلِّ شَـــجٍ مُتْعَبِ
فيامن قصـــدتَ إلى أرْضِـــهَا
وَفُـــزْتَ بِمَـــا رُمْتَ مـــن مَأْرَبِ
بِرَبِّـــكَ قَبِّـــلْ ثَـــرَى طَاهِـــرًا
تَعَطَّـــرَ من خُطُـــوَات النبى
وقـــل : يا محمدُ نفحة ســـقيا
لظمـــآن يهفـــو الى المشربِ

القدوة الحسنة والادارة الاسلامية

لفضيلة الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم
الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .

أفيقوا معشر الاسلام انا ... على البركان نسمر بالمدام
دماء بالعراق وفى ايران ... وفى لبنان جرح القلب دام
ونار الحرب بينكمو لظاها ... يصعد للمصائب كل عام
شريعة أحمد علم وحب ... بها قاد الشعوب الى الامام
ومنهجه سرى نورا ونبلا ... ورحمته تبشر بالسلام
فلم يك من قساة الناس فظا ... غليظ القلب يعمل فى الظلام
سلوا أنسا يخبر بعد عشر ... قضاها خادما عالى المقام
فهل همس النبى له بأف ... وهل هم النبى بالانتقام
ويسر الدين منهج كل بر ... ومنهج أحمد خير الانام
يعلمنا الألى جهلوا فعابوا ... ادارتنا على نهج الكرام
يظنون الادارة فى التعالى ... وتعطيل المعانى بالكلام
وتشويه الحقائق فى ذكاء ... يفوق ذكاؤهم سوس العظام
فهل عملوا الى الاسلام شيئا ؟ ... سوى قذف الخلائق بالملام
ونترك قولهم من غير رد ... مداراة وكرها فى الخصام
وقدوتنا رسول الله يدعو ... الى ترك الخلاف وللوئام
وأحمد أم بالاحسان دينا ... فهام الكل حبا فى الامام
أفيقوا معشر الاسلام انا ... على البركان نسمر بالمدام .

■ المدّعون

مع الفكر الغربي

■ من مزاعم المستشرقين
حول الفكر الإسلامي

المدعون !

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

المدعون : جماعة تبشيرية حديثة لا تنتمى الى أى هيئة من هيئات التبشير المعروفة ، وليسوا من الارساليات التى زاولت النشاط التبشيرى فى الشرق من قبل ، ليسوا من الدومينيكان ولا من الفرنشيسكان ، ولا الادفنست ٠٠ ولا غير هذه الجماعات ، وليس لهم مذهب تبشيرى ذو خصائص تميزه ، وانما هم جماعة من الذين هاجروا الى استراليا من هنا وهناك واستغلوا قلة المسلمين هناك وضعفهم وقلة المامهم بالدراسة الاسلامية ، فراحوا يخرجون النشرات المتتالية طعنا فى الاسلام ، وشتما بذيئا لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ واطلعت على بعض هذه النشرات فرأيت هذه الجماعة غاية فى الجهل وقلة الاطلاع وضحالة الثقافة ، وقد سموا أنفسهم « المدعون فى محكمة الحق » فلم أر أليق من أن أسميهم « المدعون » .

والقوم يلحون على مسلمى استراليا أن يدعوا الاسلام لأنه دين زائف ويتبعوا الكتاب المقدس لأنه يحوى الحق والعدل والرحمة ، ولتأييد ما يدعون اليه ذهبوا يوردون النقد اللاذع والمعابات الشنيعة التى يغص بها القرآن وقد برئت منها المسيحية واليهودية ، ويختمون كل تهمة يوردونها باستحثاث المسلمين على سرعة ترك الاسلام واتباع الأناجيل .

والمضحك فى أمر هؤلاء أنهم لم يأتوا بأى شىء جديد . ولكنها التهم التى أثيرت فى القرون السابقة يوم أن كان الأوروبيون لا يزالون فى خمار الحروب الصليبية ، ويوم أن كان طعن الاسلام والمسلمين سلاحا من أسلحة الحرب ودعاية من الدعايات المضللة ، وقد رجع المستشرقون والمضللون عن هذه التهم اذ تبين لهم أنها تسىء اليهم أكثر مما تنفعهم ، لأن حقائقها تكشفت للناس ، وأكاذيبهم فيها أصبحت مفضوحة ظاهرة ، وتمسكهم بها يجعل الناس ينفرون منهم ويسخرون ، على أن هناك مستشرقين سابقين آخرين فندوا ما قال اسلافهم من مفتريات ، ونفوها بأدلة كافية .

المُدَّعُــون

قال مستشرقون سابقون أن محمدا كانت تعتريه نوبة صرع يسميها وحيا ، فجاء مستشرقون آخرون من بعدهم نفوا فرية الصرع وقالوا : ليست هذه حالات صرع أصلا •

وقال قوم : ان الاسلام دين صحراوى تعكس قوانينه صفات البدو وطبائعهم ، فجاء آخرون وقالوا : ان مكة كانت قد تحضرت وتخلت عن صفات البداوة من قبل ظهور الاسلام ، وقوانين الاسلام قوانين مدنية لا قوانين بداوة ، بل ان الاسلام حارب عادات البدو وحرمها •

وتغنى جماعة بفكرة أن الاسلام نشر بالسيف فجاء آخرون وأثبتوا اعتماد الاسلام على الحجة والدليل وأنه لم يكره الناس على الدخول فيه •

وعاب بعض منهم تعدد الزوجات عند محمد — صلى الله عليه وسلم — فقال آخرون : ان بين الأنبياء السابقين من كانوا أكثر منه زوجات •

وهكذا وهكذا تهم كثيرة توالت على الاسلام منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، ولكنها كانت ضبابا صهرته شمس الحقيقة • وبعد هذا كله جاء « المدعون » يعيدون هذه الأكاذيب التى فرغ الناس منها ورجعوا عن تردادها •

ولنرجع خطوة الى الوراء لنرى خيال الكتاب

اللاتينيين فى العصر الوسيط ، وبدءا من القرن الثانى عشر ، اذ نجدهم يصفون نبى الاسلام بأنه ساحر ، وأنه عن طريق سحره الخارق هدم الكنائس فى الشرق وأنه كان يبيح المحرمات الجنسية ليضمن نجاحه ،••• الى تهم من هذا النوع ، وأصبحت الآن مجرد دلالة على عقلية هؤلاء الكتاب ، ونموذجا من التأخر العقلى فى هذاالوقت ، وأخرج الكاتب الانجليزى ساو ثرن «R.W. Southern» نظرة الغرب الى الاسلام فى العصر الوسيط » فجاء فيه أن الكاتب اللاتينى « جلبرت دى نوجنت Guilbert De Nogent » الذى أسرف فى تشويه الاسلام وافترى كثيرا على نبيه — صلى الله عليه وسلم — اعترف بأنه لم يقرأ عن الاسلام ولا مصادر لديه عنه ، وأنه يستقى معلوماته من كلام العامة ، وليس لديه مايمحص به أقوالهم ، ولكنه لايرى بأسا من نسبة كل سوء للمسلمين لأن خبثهم يفوق كل سوء يتصوره الانسان ، وهكذا طاب لكتاب هذا العصر أن يطلقوا لخيالهم العنان ليشوهوا حقائق التاريخ، وظلت هذه المفتريات تذكر وتدرس حتى فى عصر النهضة ، ولم يحاول المستشرقون تمحيصها ونفى زوائفها البارزة الا بدءا من القرن الثامن عشر ، فنفوا الكثير منها ، ولا يزالون بين حين وآخر ينفى بعضهم ما أثبته غيره •

والجماعة « المدعون » بنشراتهم التى يذيعونها لم يخرجوا عن نطاق ما ردده هؤلاء الأسلاف فهم يسجلون على أنفسهم رجعة ثمانية قرون •

وحين كنت فى استراليا سئلت كثيرا عن مفتريات هذه الجماعة ، واطلعت على رسالة لهم عنوانها « الاسلام أكذوبة الأكاذيب » ، ولم تكن جديدة على ، فرأيت أن الدراسة المقارنة

أجدى رد على هؤلاء ، والرجوع الى نصوص القرآن ونصوص كتابهم المقدس توضح حقيقة الديانتين ، ثم الاحتكام الى تاريخ المسيحية وتاريخ المسيحية فيصل وأمر حاسم فى رد هذه المفتريات ، ومع أن مستمعى هناك ليسوا ، — أو ليس أكثرهم — من ذوى الثقافة العميقة كانت النصوص التى عرضتها كافية ، ووددت وودوا لو اتسع وقت اقامتى بينهم لأرد بهذا الأسلوب على كل ما جاء فى رسالتهم ، ولكن ما يتصف به بعض فقارها من الكذب يصدق على سائر أجزائها .

وأقف عند مسألة فرض الاسلام نفسه بالسيف وأثر انتشاره فى الشرق ، وقد جاءت فى رسالتهم — لسذاجتهم وعدم قدرتهم على ترتيب الأفكار — مندمجة بعضها مع بعض ، فأبدوا عجبهم البالغ من ملء القرآن بالآيات التى تحث على القتال والاستعداد له ، ثم أبدوا أسفهم للأمجاد المسيحية التى محاها الاسلام ، وكانت مصر والسودان وشمال افريقية وساحل الشام وتركيا والعراق واليمن .. وغيرها مليئة بأمجاد مسيحية فمحاها الاسلام .. الخ .

وتفنيد الفكرتين معا قد يطول لا لشىء الا لكثرة الأدلة ، ولكنى أحاول ايجازه بقدر ما يتسع له مثل هذا الحديث .

وقبل أن أقدم أدلة من نصوص القرآن أشير الى الكتابات المسهبة التى كتبها المؤرخ الكبير توماس آرثر آرنولد — فى كتابه القيم : « التبشير بالاسلام » وهو مترجم الى العربية باسم « الدعوة الى الاسلام » — فقد تتبع الفتوحات الاسلامية فى الأقطار التى كانت بها ديانة مسيحية فى أى لون أو مذهب من مذاهبها، فرأى أنه لم يكن تحت أى اكراه لمسيحى أو ذمى على ترك دينه ليدخل الاسلام ، وأرجع انتشار الاسلام بين المسيحيين الى أسباب سردها ، قد يؤذى « المدعون » بذكرها ، ولكن حقائق التاريخ لا تنسى بتأذى الناس منها .

وأول الأسباب التى عنى بها — وهو يرتب أفكاره ومعلوماته — أن الاسلام دين واضح سهل الفهم ، وأن اخلاص العبادة لله الواحد الأحد وتنزيهه عن الولد والشريك مما يقبله العقل ، لأنه اليق بالألوهية ، هذا بينما التعقيد الذى فى المسيحية جعلها ثقيلة غير واضحة ، وكان مسيحيو هذه البلاد قد دخلوا فى المسيحية لمجرد التقليد ، ولم تستسغ عقولهم أن الله والابن والروح القدس ثلاثتهم اله واحد ، ولكنهم دخلوا الاسلام عن فهم ويقين ، وقد كان بين المسيحيين قبل ظهور الاسلام كبار من القسس ينفون ألوهية المسيح وبنوته لله ، ويقررون أنه كان انسانا أوحى اليه شأنه فى هذا شأن أنبياء بنى اسرائيل السابقين ، وظلت هذه الفكرة الى زمن متأخر ، واقتطف من كلامه هذه العبارات :

« ومن المرجح أن تأثير المسيحية فى السواد الأعظم كان قليلا فى القرن السابع ... كما أن سرعة انتشار الاسلام ... قد تكون راجعة الى عجز ديانة كالديانة المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء ... وفى أوائل القرن الثانى عشر كان بدير القديس أنطونيوس (بمقربة من اطفيح على النيل) راهب يدعى بلوطس ، وكان عالما ومعلما وخبيرا بأوضاع الدين المسيحى وسيرة الرهبنة ماهرا فى حقوق ما يلزم من القوانين الشرعية ... أشاع أن المسيح كأحد الأنبياء ..

واذا سئل عن مذهبه واعتقاده يقول انه موحد .
وآرنولد نقل عباراته كاملة من أبى صـــالح الأرمنى كما أشار الى ثبت بأسماء الرهبان الذين دخلوا الاسلام ، وقال انهـم أكثر من ذلك . ومضى يقول : « حتى فى القرن التاسع عشر — فى الوقت الذى قيل فيه : ان مصر كانت أشـــد البلاد الاسلامية تسامحا فى الدين ، لم تخــل سنة من السنوات لم يتحــول فيهــا القبط الى الاسلام .
وإذن فالتحول الى الاســلام لم يكن الا عن طواعية ولا اكراه فيه .
على أننا نجد كاتبا متعصبا ضد الاسلام . وهو المبشر المتحمس « استيفن نيل » يتحـدث عن معركة التبشير والاسلام فى القارة الافريقية حيث لا يوجد أى سلطان للمسلمين ولا دعــاية منظمة لهم فيقول : انه على الرغم من وجــود المستشفيات والمدارس التبشــيرية والاغراءات الكثيرة ، يذهب الناس الى المستشفى فيمرضون ويعطون الدواء الذى يحتاجونه ، وينالون أيضا أعطيات مادية ثم لا يقبلون المســيحية ، واذا استطاعت الارساليات العديدة المنوعة أن تدخل شخصا واحدا فى المسيحية يكون ثمت خمســة أشخاص قد دخلوا الاسلام تلقائيا !.
وبجانب السبب الأساسى من تعقيد المسيحية ويسر الاسلام يحفظ التاريخ انقسام رؤسائها وكثرة اختلافهم فى شخص المسيح وناسوتيته ولاهوتيته ، بينما يخلو الاسلام من كل ذلك .
واذا رجعنــا الى النصــوص المقدســة فى الدينين : نجد القرآن يقول : « وَإِنْ أَحَـدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ »(١) — ويقــول : « إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ » (٢) .. وجاء فى سفر الخروج فيمــا أوصى الله به موسى.. « **انك ستقابل سبع أمم اقتلهم قتلا ... ولا تقبل منهم عهدا ولا تبق منهم أحدا** » وأملت النصائح أن يهدم مذابحهم ويحطم أصنامهم ، واذن فتحطيم الأصنام ليس مستحدثا فى الاسلام ولكن الاسلام كان رفيقا اذ دعا الى التوبة وعبــادة الخالق المســتحق للعبادة ، بينما طلبت التوراة الابادة .
وقــد انتشر الاســلام فى قرن واحــد الى مســاحة تزيــد على مســاحة الامبراطوريــة الرومانية ، بينما ظلت المسيحية تتعثر بضعة قرون . وقد فرضها قسطنطين فرضا على شعبه ، وقتل الكثــيرين وعــذب الآخرين كى يقبلــوا المســيحية دينا ، وفعــل كولومبياد الانجليزى بشعبه مثل هذا اذ خيرهم بين التنصر والقتــل وأباد فى يوم واحد أكثر مما أباد الاسلام فى كل حروبه ، ثم جاء شارلمان الذى يوصف بالعقل والذكاء والحكمة . فقتل فى يوم واحد أربعــة آلاف وخمســمائة شــخص لأنهــم لم يقبلوا

---

(١) التوبة ٦ .
(٢) التوبة ٤ .

المسيحية دينا ... وهذه رحمة المسيحيين فى مقابلة وحشية الاسلام .

أما الكنيسة الشرقية فقد استطاعت أن تنشىء مراكز مسيحية فى الشام ومصر والبلاد الأخرى التى دخلها الاسلام فى القرن الأول ، ولا يعرف أنها أسست حضارة أو تركت آثارا ثقافية ، فلا الاسلام محاها ولا هى كانت موجودة أصلا، وكما يقول آرنولد انها ما زادت على تمجيد البكورة فى النساء والعزوبة فى الرجال ، وضياع الوقت فى جدل عقيم حول طبيعة المسيح ! أتلك حضارة أم هى مما يوازن بما نشره الاسلام من فكر وثقافة ، ويكفى ما أشاعه من مساواة وعدل وحرية !

ولعل جماعة « المدعين » لو وجدوا من يذكرهم بما فى كتبهم لشعروا بشىء من الحياء .

معروف ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رد يوم بدر — والمحاربون قلة — أحد الفتيان لأن أبويه مسنان وقال له : فيهما فجاهد. وفى الأناجيل أن المسيح أوصى بالقتل عقوبة على الزنا ، وبقلع العين التى تنظر الى امرأة بشهوة، وطلب من شاب أن يتبعه فاعتذر بأن أباه ميت وأنه يريد دفنه فقال : اتبعنى ودع الموتى يدفن بعضهم بعضا .. فأى عابد يدع أباه الميت ليدفنه الآخرون ؟ أو هذا من البر بالوالدين .

انكر أخيرا أن هذه الموازنة كانت حين ألقيتها باستراليا كانت أوسع ، وكانت ذات أثر فى نفوس السامعين ، ولم يكونوا جميعا مسلمين ،

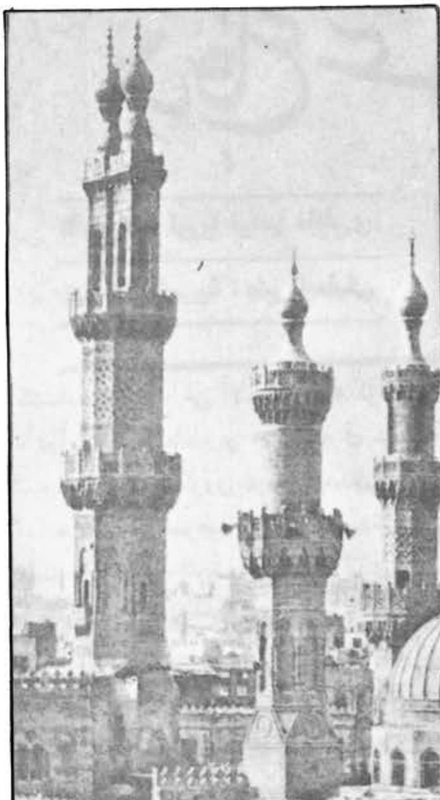

ولكن لست أعرف آثارها عند « المدعين » وأعلنت أنى على استعداد للمناظرة ان قبل منهم أحد ، ولم يحضر أحد .

د. عبد الجليل شلبى

دفاع عن الإسلام

تأليف د . لوريا فيشيا فاغليري

نقله الى العربية : منير البعلبكي

كتاب « دفاع عن الاسلام » لمؤلفته د . لوريا فيشيا فاغليري هو حلقة فى سلسلة الكتب التى ألفها مفكرون غربيون ، نظروا الى الاسلام نظرة موضوعية منصفة ، بعيدة عن التعصب الممقوت والحقد الأعمى ، الذى ساد كتبا كثيرة ، عملت جاهدة على تشويه الاسلام وتقديمه للجاهلين به فى صورة منفرة ، حتى لايجد هذا الدين طريقه الى قلوب أبنائهم ، لكن على الرغم من هذه الحملات المسعورة ، يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، فقيض من أبنائهم أنفسهم من يفهم الاسلام ويعمل فى الاتجاه المضاد اليهم لذلك التشويه ، ويحاول أن يخاطب بما فهم عن اقتناع أولئك الذين تسربت اليهم المعلومات الزائفة الخاطئة .. والراصدون لحركات المد الاسلامى يرون أن الاسلام — على الرغم من السدود والعوائق التى وضعت فى طريقه — استطاع أن يغزو قلوبا كثيرة فى ذلك الوسط الذى أريد ويراد له أن يتحصن ضده بحصون من الفكر المضلل الخبيث ، وتأتى الاحصاءات تلو الاحصاءات لتؤكد أن أفواج الداخلين فى الدين الاسلامى يزدادون يوما بعد يوم ، وآخر هذه الاحصاءات ما نشرته جريدة الاهرام المصرية فى عددها ٣٥٣٧١ بتاريخ ١٦ اكتوبر ١٩٨٣ فى صفحتها الاولى تحت عنوان : ٥٠ ألف فرنسى يدخلون الاسلام ، وقد نقلت الخبر عن مجلة « لاكتواليتيه روليجيوز » الفرنسية ،وجاء فيه أن عددا يتراوح مابين ٣٠ الى ٥٠ ألف فرنسى من كافة الاوساط الاجتماعية وجميع الاتجاهات قد أشهروا اسلامهم خلال السنوات القليلة الماضية .

وقالت المجلة التى تعتبر أكبر مجلة كاثولوكية تصدر فى فرنسا أن الاشخاص الذين يتحولون الى الاسلام ينتمون الى الحركة الاكثر انتشارا المعروفة باسم العودة الى الروحانيات ، وينتمى هؤلاء الاشخاص الى كافة الاوساط فمنهم مفكرون وفنانون ، بل ومنهم موظفون وعمال ، وأشارت المجلة الى أن دخول الموظفين والعمال فى الاسلام يعد ظاهرة جديدة ، ثم أضافت أن هؤلاء اجتذبهم الاسلام ببساطته وبأنه دين حى يتسم بالقناعة والزهد وبما يتيحه من امكانية التوجه الى الله دون وسيط .

ولسنا نستبعد أن يكون للدراسات المنصفة

عرض وتعليق د. طه مصطفى أبو كريشه

أثر فى توجيه القلوب والعقول الى الاسلام ، ومنها هذا الكتاب الذى بين أيدينا ، فهو كتاب ليس حديث العهد لدى قرائه الأوربيين ، وانما هو قديم بعض الشىء عرف فى أوربا فى أصله الايطالى أولا ، ثم فى الترجمة الانجليزية له ، وعن هذه الترجمة الأخيرة نقل الى العربية فى صورته الراهنة . وقد لقى الكتاب لدى ظهوره ذيوعا وانتشارا أدى الى اعادة طبعه عدة مرات مما يدل على مدى تقبل ما جاء فيه عن الاسلام ، وعلى أن هناك كثيرين يبحثون عن الكلمة العادلة المضيئة وسط ركام من الكلمات الظالمة المظلمة التى غشت الابصار والبصائر ، فأخذت من ثم تبحث عن هاد منير وقد وجدته فى الاسلام ، فأقبلت عليه تستضىء وتستبصر حتى رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد — صلى الله عليه وسلم — نبيا ورسولا .

فما الذى قدمته المؤلفة لأبناء قومها عن الاسلام ؟ .

فى الفصل الأول من الكتاب وعنوانه « سرعة انتشار الاسلام » أوضحت المؤلفة أن الاسلام نشأ وسط شعب كان يحيا فى بلاد منعزلة جرداء ، وكان ظهور الاسلام بمثابة ينبوع من الماء الصافى النمير ، الذى ذاق هؤلاء القوم طعمه ، فأحدث فيهم أثره بجمع شمل الجماعات المتناحرة ، وظهور رابطة الأخوة . لكن هذا الينبوع ما لبث أن تحول الى نهر متدفق لا سبيل الى مقاومته ، فطوق تياره الصافى العنيف ممالك جبارة تمثل حضارات قديمة ، وكان أن حطم الحواجز وأيقظ العقول ، وأنشأ من الشعوب المتباينة مجتمعا موحدا .

وتقول المؤلفة ان التاريخ لم يشهد قط ظاهرة مثل هذه من قبل ، الأمر الذى جعل العقل البشرى لايزال يقف ذاهلا دون اكتشاف القوى السرية التى جعلت جماعة قليلة تنتصر على شعوب متفوقة عليها تفوقا كبيرا فى الحضارة والثروة والخبرة والقدرة على شن الحرب . وأقول انه على الرغم من ذهول العقل البشرى وعجزه عن اكتشاف الاسرار ، فان الوقوف على السر لن يبعد عن الذين اهتدوا بهدى الاسلام وعرفوا أنه دين الله الذى كتب له الغلبة ، وأنه ينصر من ينصره ، وأنه دائما مع الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وما نظن أن هذه المعانى ترد على فكر الباحثين عن الأسرار وهم بعيدون عن التدين بالاسلام ومع هذا فربما كان العجز فى بعض الاحيان وسيلة الى التسليم والايمان بأن للاسلام سرا ذاتيا ، على من يريد أن يقف عليه أن يدخل فيه .

وتعرض المؤلفة فى هذا المقام لتاريخ الدعوة الاسلامية فى مكة ثم فى المدينة وسائر أنحاء الجزيرة ، الى أن غادر المحاربون العرب صحاراهم واندفعوا عبر الحدود نحو بلاد الشام والعراق . وتشير المؤلفة الى أن توحيد

الجزيرة وانهاء حالة الفوضى التى سادت قرونا متطاولة يعد أولى معجزات الدين الجديد .

فما الذى جعل الاسلام يتجاوز حدود الجزيرة ؟ ، تجيب المؤلفة مستندة الى القرآن الكريم فتقول : ان آية « **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** » جعلت الرسول — صلى الله عليه وسلم — يشعر فى يقين بأنه مكلف أن يبلغ الدعوة الجديدة الى شعوب تنتسب الى أجناس مختلفة وتتكلم لغات مختلفة ، وقد شعر خلفاؤه الراشدون بهذا التكليف من بعده بوصفهم المفسرين الأمناء لرسالته ، فحملوا راية الاسلام الى قلب آسيا فى الشرق والى المحيط الأطلسى فى الغرب .

وبعد أن تستعرض جهاد الخلفاء ضد قوتى الفرس والروم ، وتتابع ما تم فتحه من البلاد شرقا وغربا تذكر أن هذا التحول السياسى والدينى أزعج طائفة من الناس فراحوا يتساءلون : ما الذى أدى الى حدوثه ؟ وفى الجواب عليهم تقول ان كثيرا من هؤلاء المتسائلين كانوا عميا لم يستطيعوا أن يدركوا أو يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسئولة عن رسالة محمد آخر حملة الشرائع من الأنبياء والنبى الذى ختم سلسلتهم الى الأبد.

وحين عجز هؤلاء عن ادراك السر راحوا يشيعون أن الاسلام انتشر بالسيف الى جانب ما أشاعوه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وعن أصحابه من الافتراءات والاكاذيب .

وتقف المؤلفة لترد على تهمة « روح الاسلام العدوانية » فتنفى أن تكون الحرب التدميرية جزءا من طبيعة الدين الاسلامى، لأن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية لا تؤيد ذلك ، ثم تستشهد على ذلك بالآيات والأحاديث التى تحض على عدم الاعتداء ، وعلى قتال الذين يقاتلون الدين ، ومن ثم كانت الحرب دائما وسيلة لحماية الدين الجديد وتعظيمه ، لاغاية فى ذات نفسها ، كانت دفاعا ضروريا لاعدوانا جائرا . وكان المسلمون يخيرون من يحاربونهم بين أن يدخلوا الاسلام أو يبقوا على دينهم ويلقوا السلاح ويدفعوا جزية يسيرة تسبغ عليهم حماية كاملة .

ومع دفع هذه التهمة فانها تدفع تهما أخرى تتردد كثيرا فى كتب بعض المستشرقين الذين يكتبون بحقد عن الاسلام ، وتخص بالرد ما اتهموا به النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم تختم الفصل بتساؤلات متعددة : كيف نفسر مواصلة الاسلام لتقدمه فى آسيا وأفريقيا فى السنوات الأخيرة مع الحرية الممنوحة لغير المسلمين فى البقاء على دينهم ؟ أية قوة عجيبة تكمن فى هذا الدين ؟ أية قوة داخلية من قوى الاقناع تنصهر به ؟ .

وتحاول آن تقدم عن ذلك جوابا بدءا من الفصل الثانى .

— ٣ —

وفى الفصل الثانى وموضوعه « **بساطة العقيدة الاسلامية** » تتحدث المؤلفة عن دعوة الاسلام الى الايمان بالله وحده ، والى الايمان بأن محمدا — صلى الله عليه

وسلم ــ رسول الله ، ومن ثم كانت محاربة الاسلام للشرك والمشركين ، وكانت وسيلة الاسلام الى توحيد الخالق هى دعوته الى التفكير فى الكون وسننه ،وتسوق المؤلفة كثيرا من آيات القرآن الكريم التى تدعو الى التأمل والتدبر فى ملكوت السموات والأرض ، خاصة ما يعود الى الطبيعةالمحيطة بالانسانوالغريبة منه ٠ ومن هنا تحرر الانسان مما كان يفرض عليه من قيود ، وأحس مكانته الرفيعة التى خلقه الله عليها ، وأصبح طريقه الى الله طريقا مستقيما ، بعيدا عن هوى الكهان ، وحفظه الألغاز المقدسة الزائفين ، وسماسرة الخلاص ، وجميع أولئك الذين تظاهروا بأنهم وسطاء بين الله والانسان ٠

هذا الى جانب مساواة الاسلام بين البشر فى تعاملهم الاجتماعى دون أن يكون هناك تفاضل بينهم يعود الى النسب والمحتد ، وانما لا فضل الا بالتقوى والاعمال الصالحة والصفات الخلقية والفكرية الحسنة ٠

كذلك من بساطة الاسلام أنه أزال السرية التى أضفاها الآخرون على دراسة الكتب المقدسة ، فليس عند المسلمين تفسير رسمى لكتابهم يطلب منهم أن يبنوا معتقداتهم على أساسه ، وليس عندهم تلك المجامع التى تحاول أن تفرض صيغة دقيقة ينبغى اعتبارها رمزا حيا للعقيدة المستقيمة ، والمؤلفة تقصد بذلك الاشارة الى ما كان موجودا لدى الكهان والرهبان فى الأديان الأخرى مما يجعل التفسير محتجبا عن الناس موجودا عند طائفة خاصة لا تتعداها ، وليس من حق أحد أن ينقاشها أو يشاركها فيما تذهب اليه ٠

من سماحة الاسلام الواضحة أنه لايوصد سبيله فى وجه أحد حتى فى وجوه الآثمين حين يدعوهم الى التوبة النصوح التى تطهر نفوسهم وتكفر عنهم ما اقترفوه من سيئات ، وانه بذلك يضفى على كل انسان القدرة على العمل الصالح وان هذا الباب المفتوح للعودة الى الله هو من رحمة الله بعباده التى وسعت كل شىء ، وتقدم المؤلفة شواهد على هذه الرحمة الممنوحة من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ٠

وتعاود المؤلفة الحديث عن مفهوم الاسلام للتوحيد ، فتوضح أنه دعوة الانبياء جميعهم ، وما جاء مناقضا لذلك عند حملة الأديان الأخرى فانما هو من التحريف الذى وقعوا فيه ، والذى جاء الاسلام لرده الى الطريق المستقيم ، والايمانبالله وتوحيده يستتبع الايمان بأنبيائه وكتبه ورسله ، فايمان بالأنبياء ينبغى أن تسبقه ثقة النفس الانسانية بوجود الله وباحتمال ارساله بعض الأنبياء الحاملين هدايته للناس٠

وتتطرق المؤلفة من هنا الى الحديث عن القرآن الكريم معجزة الاسلام الخالدة الذى لا يحاكى ، والذى لا يشابهه أسلوب ما من الأساليب الأدبية التى تحدرت من العصور التى سبقته ، والأثر الذى يحدثه فى النفس البشرية انما يتم من خلال سمو الانسان الفطرى والسليقى دون عون عرضى أو اضافى ٠ وآيات القرآن الكريم كلها على مستوى واحد من البلاغة المؤثرة على اختلاف موضوعاته حتى ما يتكرر منها ، فانه يكررها على نحو مثير الى درجة لا تضعف من أثرها وهو ينتقل من موضوع الى موضوع من غير أن يفقد قوته ، وتنتهى فى وصفها الى تأكيد

استبعاد أن يكون الكتاب المعجز من عمل محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو العربى الأمى الذى لم يكن يوما ما شاعرا مثل غيره من العرب الآخرين • وفى سبيل الاستدلال من الواقع الذى عاصر نزول القرآن الكريم ، تذكر أن معارضى الدعوة الاسلامية قاتلوا المسلمين بكل الأسلحة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بأى أثر يضاهى القرآن على الرغم من تحديه لهم ، وحرصهم على النيل منه ،

وتتقدم المؤلفة الأدلة التى تؤكد أن القرآن من عند الله ، وأنه لا يعقل أن ينبثق من غير الذات التى وسع علمها كل شىء ، وأخبرت عن الماضى والحاضر والمستقبل فى أحداث هذا الكون كما تقدم دليلا حسيا على مصدر القرآن الالهى ، هو أن نص القرآن الكريم ظل صافيا غير محرف طوال القرون التى تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا ، وأنه سوف يظل كذلك بعيدا عن كل تحريف ، ذلك بفضل الله ، وبفضل التلاوة المكرورة التى لا تمل ، وبفضل سهولة حفظه واستظهاره من غير عسر ، وتستدل على هذا الجانب بأن فى مصر وحدها عددا من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب فى أوربا كلها • وهذا التأثير الفطرى للقرآن الكريم كان سببا فى انتشار الاسلام وليس عن طريق القوة والاكراه كما يزعم الجاهلون •

وتنهى المؤلفة هذا الفصل مشيرة الى أن الاسلام لم يضع العراقيل أمام العقل البشرى فى سبيل التزود بالعلم ومعرفة أسرار الكون كما تؤكد أن الاسلام كان ذا سهولة معجزة فى فهم تعاليمه ، فكان ذلك سببا آخر أيضا فى انتشاره السريع ابان الفتوح الاولى بين أناس غرقوا فى اضطراب روحى بسبب الغموض الذى يكتنف بعض معتقداتهم الدينية ، وهو أيضا السبب فى انتشاره الموصول اليوم فى آسيا وأفريقيا ، لأن الاسلام قادر على النفاذ الى القلوب من غير شروح مطولة أو عظات معقدة •

— ٤ —

وفى **الفصل** الثالث توضح المؤلفة « **معنى الشعائر الاسلامية** » فتذكر أولا أركان الاسلام الخمسة ، ثم تتبع ذلك بالأثر الذى يحدثه أداء كل ركن بعد الركن الاول وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله • فالصلاة — كما ذكر القرآن الكريم — تنهى عن الفحشاء والمنكر وتذكر الانسان بخالقه فيعظمه ويمجده ، وفيها تعبير بالسجود عن الخضوع المطلق للقوة الالهية ، ثم تشير الى سهولة أداء هذه الشعيرة ، فهى تؤدى فى أى مكان ، وليس شرطا فى صحتها أن تؤدى فى مكان خاص ، وانما الشرط أن يكون المكان طاهرا مثل طهارة الثوب والبدن • وتقف وقفة خاصة عند صلاة الجمعة التى تجمع المسلمين فى شعيرة واحدة قوامها الاذعان والخضوع لله ، فتشعرهم أنهم جميعا مخلوقاته ، ومن هنا فهم جميعا اخوة •

ثم تعرض لركن الصوم الذى يعود الصائم على الانضباط والرحمة والشفقة فتشير الى من يفرض عليهم الصوم ، ومن يفطرون بعذر ،

وفى بيـــان أثره تذكر أنـــه يقتضى أن يجتنب المؤمن جميع ملذات الجسد خلال مدة بعينها ، انه يعلمه لحجم شهواته ، ويحمله على ادراك ماينعم به من آلاء ، ويعمق اعترافه بفضل الله عليه .

أما الزكاة فان الاسلام يتمتع وحده بالمجد المتمثل فى جعل الصـــدقة أمرا الزاميا ، فكل مسلم ملزم بحكم (القانون) بأن يخصـــص جزءا من ثروته لمصـــلحة الفقراء والمحتاجين والمسافرين والغرباء .. الخ ، وبأداء هـــذه الفريضة يطهر المؤمن روحـــه مـــن الشـــح ، ويكتسب حسا أعمق من الانسانية والرحمة والشفقة وفيما يتصل بفريضـــة الحج ، فان أحدا لا يستطيع أن ينكر الفائدة التى يجنيها الاسلام من اجتماع المسلمين السنوى فى مكان واحد يسعون اليه من مختلف أرجاء العالم — فهم حين يلتقون فى المكان الذى يتوجهون اليه جميعا فى الصلاة فانهم ينشئون صلات جديدة من المحبة والأخوة . وتذكر المؤلفة يشير الى الغاء الفروق مرة واحدة فى حياة المسلم عـــلى الأقل الغاء تاما ، فلا فرق بين الغنى والفقير والشحاذ والامير فى أداء مناسكه ، ذلك لان كل حاج يلبس خلال أداء تلك الفريضة المقدسة الثياب البسيطة نفسها ، ويخلف وراءه حـــلاه وزينته الشخصية ، ويتخذ لنفسه شعارا واحدا ليس غير ، هو كلمة « الله أكبر » أما الشعائر والمناسك فان أداءها فى أماكنها المعينة يوقظ فى نفس المؤمن ذكرى الانبياء الذين عاشـــوا فى المواطن نفسها خلال العصور السالفة .

وتنتهى المؤلفة من عرضها لأسرار العبادات فى الاسلام الى بيان أن اللـــه لم يفرض على الانسان مجموعة مـــن القوانين يعجـــز عـــن احتمالها ، ولم يفرض عليه فى أى من الشعائر قواعد جامدة قاسية لانه يريد بالناس اليسر ، وتستشهد على ذلك بمجموعة مـــن الآيـــات القرآنية منها قول الله تعالى « **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** » وقوله ســـبحانه « **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ ، وَخُلِقَ الْإِنسَـانُ ضَعِيفًا** » ثم تسوق مع الآيات ما يؤكـــد نفس المعنى من الأحاديث النبوية .

— ٥ —

والفصل الرابع عن « الأخلاق الاسلامية »

وفيه ترد المؤلفة على من يزعمون أن الاخلاق الاسلامية خطرة على الفرد لأنها حافلة بروح الخضوع والاستسلام السلبى للقوة الالهية ، هذا الاستسلام الذى يوحى به اسم الاسلام نفسه .

وترد على هذا الاتهام بأن الاسلام لم يكن قط عقبة فى سبيل الكمـــال الخلقى ليس هذا فحسب ، بل انه وفق قبل أى دين آخـــر الى تهذيب الناس والارتفاع بهم نحو الله ، وذلك من خلال دعوته الى اتباع مثل عليا غير بعيدة عن متناولهم أما الخضوع فانه خضوع التقوى الذى تحس فيه النفس بضعفها أمـــام القوة الكبرى ، فتتجه الى الله تستمد منـــه العـــون وتطلب الكمال .

وتأخذ المؤلفة من خلال سرد لحشد من آيات القرآن الكريم ، فى بيان الاخلاق الحميدة التى يدعو اليها الاسلام مثل الشفقة على المخلوقات جميعا ، وحسن التفهم والصفح والبساطـــة واللياقة فى العـــلاقات الاجتمـــاعية ، وتقبل

النوازل ثم تؤكد مع ذلك ان الاسلام أعلن أن الاخاء والرحمة هما حجر الزاوية فى المجتمع الاسلامى ، وكان هذا نصرا كبيرا اذا قورن بما كان يحدث فى الايام الوثنية قبل الاسلام ، ثم تقف وقفة خاصة عند توجيه الاسلام للبر بالوالدين والى دفع السيئة بالحسنة ، والى انتهاج منهج العدل ، مشيرة الى بلوغ الاسلام الكمال فى هذه الجوانب الخلقية .

وتبين المؤلفة ان الاخلاق الاسلامية لا ينظر اليها باعتبارها أمرا دنيويا يؤدى الى سعادة المجتمع ، وانما هناك حافز من العقيدة يجعل الانسان يتمسك بأهداب الفضيلة الى جانب الحافز الدنيوى ، وحافز العقيدة هو أنه مامن عمل صالح فى الدنيا الا وله الجزاء الحسن فى الآخرة ، وأنه ما من عمل سىء الا وعليه المحاسبة يوم القيامة حيث يعاقب الآثمون .

وتوضح المؤلفة أن الأعمال الصالحة فى الاسلام ينظر اليها فى ميزان الحساب مقرونة بنياتها ، فالعمل الصالح لكى يكون مقبولا ينبغى أن يكون بعيدا عن نية الرياء والتظاهر وأن يتوافر فيه الاخلاص النابع من تقوى القلوب وطهارتها .

وتعرض المؤلفة لما قد يبدو فى حياة الناس من تمتع الأشرار زينة الحياة الدنيا ، بينما الأبرار كثيرا ما تلم بهم النوازل ، وتذكر أن الاسلام قدم تفسيرا لهذه المشكلة التى ما تراك تحير العقل البشرى ، وتفسير الاسلام لذلك هو ان الله يملى للمتمردين والطغاة والظالمين ويمهلهم حتى موتهم فى بعض الأحيان ، ولكن ثوابه وعقابه آتيان لا ريب وكذلك فان الله قد يمتحن عبيده ليظهروا روح الصبر والتسليم زادين الأمر كله لله .

والدعوة الى الفضيلة فى الاسلام يصحبها مراعاة حاجات الطبيعة البشرية فالاسلام يدعو الى التمتع بالطيبات من الرزق الى جانب الدعوة الى الايمان والعمل الصالح ، وتستشهد على ذلك بقول الله تعالى « لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » وقوله سبحانه « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » .

أما القيود التى فرضها الاسلام على أتباعه فى موضوع التمتع بالحياة فهى قليلة وتنم عن حكمة بالغة ، ومن ذلك تحريمه للخمر والميسر لكونهما سببا فى افساد الروح والثروة جميعا . وكذلك الأمر فى تحريم الربا حيث يضع حدا للمكاسب غير المشروعة وهكذا نجد الحكمة فى كل ما حرمه الله ، وهى حكمة تبغى الخير للانسان فى جميع جوانب حياته .

— ٦ —

أما الفصل الخامس فهو عن « **الحكم الاسلامى والحضارة** » وفيه تتحدث عن الشريعة

الاسلامية وكونها نظاما يشـمل كل جـوانب الحياة ، وليس أمرا مقصـورا على الشـعائر والعبادات فحسب ، ثم تشـير الى مصـادر التشريع الاسـلامى من القرآن والسـنة والقياس والاجماع ، مؤكدة قيمة الاجمـاع فى مواجهة الظروف العارضة ، حين يضع لها من القوانين مالا يتعارض مع شريعة الله .

وفى مجال الأحـكام التشريعيـة ترد على ما يثار حول اقرار الاسلام لتعدد الزوجـات فى النظام الأسرى ، وتذكر أنـه لم يقم حتى الآن دليل قاطع على أن التعدد هو بالضرورة شر اجتماعى وعقبة فى طريق التقدم كما تذكر أن الاسلام لم ينشىء التعدد وانما نظمه حيث كان مطلقا من كل نظام قبل مجيئه ، وكـذلك فانه أحاطه بقيود منها مراعـاة العـدل بين النساء وان كان العدل المطلـق أمـرا غـير ميسور ، وتتخذ المؤلفـة من ذلك دليـلا على استحالة تنفيذ التعدد عمليا مع قيام الدليـل على امكانيته ، لأن العدل المادى والمعنـوى لا يمكن تحقيقهمامعا فى وقت واحد ، وقد فات المؤلفـة أن العـدل المعنـوى بمعنى مراعاة التساوى فى مشـاعر المـودة والحب أمر لا يكلف به من أقـدم على التعـدد اذ أن مشـاعر القلب لا يملكها الانسان ، فالمطلوب اذن هو العدل المادى فحسب ، لأن هـذا هو الممكن المستطاع . ليس من المعقـول أن يقيم الاسلام تشريعا يبيح به شيئا وينظمـه ، ثم يقيم العراقيل أمامه من طريق آخـر ليصبح مستحيل التنفيذ والوجود .

وتقف المؤلفة بعد ذلك لترد على أولئك الذين يخدشـون سيرة النبى صلى الله عليه وسلم حين يعرضون لتعدد الزوجات فى حياته ، مبينة خلال ما ينتهون اليه من نتائج ، ومؤكـدة أنه كان لكل زواج سبب اجتماعى أو سياسى ، وقد تم التعـدد فى السن التى تجـاوزت مرحلـة الشباب ، مما ينفى ما يظنه أعداء الاسـلام نحـو النبى ــ صلى الله عليه وسلم .

وتتعرض المؤلفة فى مجـال الأسرة لنظـام الطلاق فى الاسلام ، فتتحـدث عن اباحتـه والأحوال التى يلجأ الانسان فيهـا اليـه ، والحقوق المترتبة عليه ، وكيف وضع الاسلام الضمانات التى تحقق المصلحة للطرفين .

وتتناول بالتفسير والتعليل الحجاب والدعوة الى الاحتشام فى الاسـلام وكيف كـان ذلك حماية للمـرأة المسـلمة من سوء الظن ومن الاغراء بسوء السلوك ومن شهوات الرجال . ولكن يؤخذ على المؤلفة تعليلها بأن ذلك مقبول فى تلك البلاد التى لا ينعم فيها جميع السكان بالثقافة ، وأن الأحوال سوف تتغـير اذا أتيح لها قدر من الثقافة والتعليم ، فلعلها تقصـد بالتغير ما يتصل بالمشاركة فى الحياة العـامة على نحو لا يتنافى مع التستر والاحتشام .

ثم تتطرق الى ذكر الحقوق التى نالتها المرأة المسلمة فى الاسلام ، وتشير الى تفوقها فى هذا المجال كثيرا على المرأة الغربية التى لم تصـل الى بعض حقوقها الا فى عهد قريب .

وتتعرض المؤلفة لمشـكلة الـرق ، فتذكر أسبابها ، وموقف الاسلام منها ومثاليتـه فى معاملة الرقيق ، ودعوته الى التحرير والعتق ، وربط ذلك فى كثير من المواضع بأمور تعبدية ، كما تشير الى ما استحدثه الاسلام من المكاتبة التى تتيح للعبـد أن يعمل ويكسب لتحـرير

نفسه مقابل تعويض مادى ، مع الزام الدولة بتقديم عون لهؤلاء من مال الزكاة •

ثم تقدم المؤلفة بعد ذلك فلسفة الاسلام فيما يتصل بقانون العقوبات فتتحدث عن الحدود ، وتبين كيف كانت فى حد ذاتها وسيلة للردع عن ارتكاب الجرائم قبل وقوعها ، بينما أحاطت اثبات وقوعها بشروط كثيرة تمنع التقول والادعاء ولصق التهم بالآخرين •

— ٧ —

وفى الفصلين الأخيرين السادس والسابع تتحدث المؤلفة عن « **معنى التصوف فى الاسلام** » وعن « **الاسلام وصلته بالعلم** » •

وفيما يختص بالأمر الأول فانها تشير الى نشوء التصوف فى الاسلام ، وكيف نشأ ثمرة لتطور داخلى طبيعى أو لمؤثرات خارجية ، ثم كيف شابته شوائب كثيرة تتنافى مع تعاليم الاسلام، الى أن جاء الامام الغزالى وكان عبقريا عظيما ومجددا ضخما ، فدعا الى حياة صوفية مبنية على مبادىء السنة القويمة ، وعلى التأسى بالمثل الصالح الذى ضربه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم تشير الى أن هذا الاتجاه لم يسلم من الدخلاء عليه ، مما شوه الصورة الحسنة للتصوف • وتؤكد المؤلفة أنه من الظلم أن يحكم غير المسلمين على روح الدين الاسلامى نفسها من خلال ما يرونه من مظاهر لا تتفق مع التعاليم الحقيقية للاسلام•

وفيما يتصل بالأمر الثانى ، فانها تذكر كيف احترم الاسلام العقل وكيف حث على التعلم ، وتنفى أن يكون الاسلام قد عاق نمو الثقافة فى القرون السالفة مع ما نعلمه من أن عواصم الاسلام كانت منارات ثقافة لأوربا الغارقة فى ظلمات القرون الوسطى ، وأن أفكار الفلاسفة العرب بلغت آنذاك منزلة رفيعة جعلت العلماء الغربيين يقتفون آثارهم ، وتتابع المؤلفة بيان نشاط الحكام والعلماء المسلمين فى سبيل نشر العلم عبر العصور فى كل مجال من مجالاته •

وبعد أن تستعرض المؤلفة بعض العوائق التى جاءت عرضا فى طريق العلم ، تنهى كتابها مشيرة الى أنه لا سبيل أمام المسلمين الا أن يرجعوا الى كتابهم حتى يستعيدوا قوتهم السابقه وفى ذلك تقول بعبارة مخلصة بليغة »

« **فإلى الكتاب العزيز الذى لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ولا أعداؤه ، لا المثقفون ولا الأميون ، ذلك الكتاب الذى لا يبليه الزمان ، والذى لا يزال الى اليوم كعهده يوم أوحى الله به الى الرسول الأمى البسيط آخر الأنبياء حملة الشرائع — الى هذا المصدر الصافى دون غيره سوف يرجع المسلمون ، حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب ، وثمة بينات قوية على أن هذه العملية قد بدأت فعلا** » •

وبعد • فاننا نخرج من هذا الكتاب باحساس لا نخطئه ، هو أن لله تعالى جنودا يؤيد بهم هذا الدين ، ويسخرهم لنصرته والدفاع عنه بالوسائل التى يملكونها • ولقد كان هذا الكتاب بما أوضح من معالم الاسلام ،

وبما أقام من حجج وقدم من براهين ـ كان من هؤلاء الجنود الذين دافعوا عن الاسلام ، وأثروا بذلك فى الفكر الأوربى ، يؤكد ذلك ما ذكرته فى صدر هذا الحديث من تعدد ترجمات هذا الكتاب وتعدد طبعاته ، من خلال اعداده لينشر بين الغربيين أساسا ، وليخاطب المناصرين للاسلام هناك والمناوئين على السواء •

ان عمق الوقوف على الحقائق الاسلامية من خلال القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، أمر واضح فى كل سطر من سطور الكتاب ، كما يبدو الزهو والاشادة بالاسلام فى حماس موضوعى متدفق رشيد ، وهو حماس تترجم عنه عبارة علمية بليغة توافر لها الجمال مع حسن الدلالة والبيان •

ان الجيل الناشىء أحوج ما يكون الى قراءة مثل هذا الكتاب ، ليس لكى يعرف عن طريقه شيئا عن تعاليم الاسلام ، ولكن لكى يقف على ما حواه الكتاب من ردود على شبهات متعمدة هوجم بها الاسلام بروح التعصب المقيت البغيض ، ولقد كانت المؤلفة موفقة كل التوفيق فيما ساقته من حجج وقدمته من أدلة دامغة فى يسر ووضوح ودون حشو وتعقيد •

ان روح الاعجاب بالاسلام التى بدأت تؤتى ثمارها بصورة أكبر منذ وقت قريب تفرض على المسلمين فى كل مكان أن يستيقظوا من سباتهم ويعودوا الى دينهم لتكون حياتهم العملية والمعنوية وفق هذا الدين ، حتى لا يكونوا جناة بأنفسهم على الاسلام بالصد

عنه ، حين يراهم غيرهم على منهج واقعى بعيد عن حقيقة دينهم •• ان على المسلمين أن يرعوا أمانة الاسلام فى حق أنفسهم وفى حق غيرهم ممن ترنو عيونهم وتهفو قلوبهم لكى يدخلوا فى دين الله دين الاسلام ولن ترعى الأمانة الا بالعودة الى تعاليم الدين عودة عملية شاملة ، وبغير ذلك تكون الخيانة لهذه المسئولية الملقاة على عاتقهم **« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ »** •

د• طه مصطفى أبو كريشة

من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامي

الإسلام في ميزان العقل (١)

والاسلام دين ٠ هو عقيدة وشريعة عقيدة تعتقد وشريعة تنتهج ٠ والعقيدة يعتقدها المسلم بقلبه مدعمة بأدلتها العقلية حتى تأخذ شرعية فلسفية أو عقلية تحميها من التزلزل والشريعة ينتهجها المسلم سلوكيا ٠ وبادىء ذى بدء فانه لاعبرة بالدخول فى الاسلام ولا بالخروج منه على غير صفة الاقتناع والتفكير ٠ بمعنى أن من أكده على الايمان أو الكفر مثلا ٠ لاغبره بايمانه ولا بكفره ٠

ومما ينبغى الالتفات اليه أن الاكراه هنا ــ فيما أرى ــ ظاهرى أو نظرى ٠ وذلك لأن أمور التفكير والاعتقاد من الأمور المستورة التى لا يتأتى اكراه فيها وغاية الامر هنا أن يكره المرء على اظهار ما ينافى عقيدته ٠ أو تفكيره ٠

كذلك فانه مما ينبغى الالتفات اليه فى هذا الجانب أن العقيدة التى يبثها الاسلام لأهله لابد أن تكون متعقلة ومحروسة بأدلتها ٠ ولو اجمالا ومن هنا رأينا هذا الخلاف بين علماء الاصول فى اعتبار ايمان المقلد ايمانا صحيحا ٠ ومعنى هذا أن يكون القبول قبولا عقليا فلسفيا وليس قبولا تقليديا تبعيا ٠ وهنا يصبح الاسلام دينا وعقيدة متعقلا لا يصادمه العقل السليم ولا يتعارض مع مبادىء العقل الاولية وقضاياه اليقينية ٠ لا الموهومة أو المظنونة ٠

اصول الإسلام ٠٠ والعقل :

وأصول الاعتقاد فى الاسلام ــ والحمد لله ــ كلها متعقلة متقبلة لدى العقل السليم موزونة بميزانه الدقيق ٠ وقد لفت الاسلام العقل الى الطريق الأمثل ٠ لتحصيلها حتى لا يتعثر على غير هدى ٠ وتلك لازمة هامة من لوازم الاسلام الحنيف ٠ فى قضاياه وعقائده وشرائعه أيضا كما يأتى ٠

ومن هذه الاصول الاعتقاد بوجود الله

---

(١) سبق فى الجزء الاول من هذا المقال بعدد المحرم ١٤٠٤ هـ ان حدد الكاتب مراده من هذا العنوان بقوله « نحن لا نريد من هذا التعبير جعل العقل ميزانا مطلقا ، وانما نريد : حظ الاسلام من السند العقلى أو القيمة الفكرية ٠٠ راجع المقال ٠٠ مجلة الازهر ٠

للدكتور محمود عبد المعطى بركات

تعالى • وصفاته والتصديق بنبوة سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — والبعث وما يتبعه • وسوف يأتى أن الالهيات والغيبيات خارجة عن نطاق العقل فى المفهوم الاسلامى الصحيح ولا يستطيع الوصول الى كنهها وهى مسألة سوف تأتى ان شاء الله • ولكن الاسلام هنا • فى مجال الالهيات يأخذ بيد العقل الى الاسدلال على قضاياه وعقائده فتصبح محروسة بحراسته لها • موزونة بميزانه الدقيق •

فبالنسبة الى وجود الله تعالى • وهو أساس العقائد الاسلامية يقررها القرآن بناء على أسس عقلية لا يتأتى انكارها من عاقل لأنها من مبادىء العقل الاولية والقرآن حين يعرض هذا الموضوع نراه ينوع الأدلة بحيث تناسب كل العقول وتتسع لها جميع الأفهام • فهناك ما يستند الى مبادىء عقلية بدهية يسلمها الجميع يذعن لها كل عاقل وهى كذلك لا تخلو من السند المعتمد على المشاهدة الضرورية • فهناك ما يمكن ان نسميه دليل الخلق • أو دليل الاختراع • وهو يعتمد على مبدأ العلية وهو مبدأ عقلى وذلك ان من الواضح أن كل مخلوق أو مخترع لابد له من خالق أو مخترع ولا يمكن أن يوجد بدون خالق أو مخترع • أى بدون أن يكون هناك سبب لوجوده لمنافاة ذلك للبداهة العقلية ومن ناحية أخرى يتقرر لدى العقل بنفس الدرجة أن الشىء لا يمكن أن يكون هو سبب فى وجود نفسه • والا كان متقدما • على نفسه باعتباره علة — وسبق العلة على المعلول أمر بدهى •

وهو فى نفس الوقت متأخر عن نفسه باعتباره معلولا فهو متقدم متأخر متقدم باعتباره علة ومتأخر باعتباره معلولا وهذه استحالة عقلية • واذا ثبت بهذا أن الشىء لا يوجد بدون علة ولا يكون علة وجود نفسه ثبت أن له خالقا غيره • موجود هو الله سبحانه وتعالى • الخالق غير المخلوق •

ولا يحسبن القارىء العزيز أن هذا مجرد كلام فلسفى جاف • عن العلة والمعلول بعيدا عن معطيات القرآن (١) •

لأن ذلك هو مفهوم الآية الكريمة • « **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** » • سورة الطور آية رقم ٣٥ •

وهذا هو دليل الخلق أو كما سماه ابن رشد تقريبا دليل الاختراع •

ومن الواضح أن هذا الدليل يناسب العقول الكبيرة التى تتسع لمفهوم العلة والمعلول • ترتيبهما والعلاقة بينهما وطبيعة هذه العلاقة •

ولكن هناك عقول أخرى كبيرة أيضا ولكن لا تتسع لمثل هذه المبادىء هناك العقول التى تجول فى الطبيعة وتتريض بين ربوعها ومظاهرها ولهذه العقول طريقتها الاستدلالية على العقائد يعرضها الكتاب الكريم فيما يعرف بدليل التدبير والعناية •

وتتكون مادة هذا الدليل مما يظهر للعقل فى

---

(١) لا يفهم من ذلك أن الله يفعل فعل العلة • بل هو فاعل بالاختيار المطلق •• ومن يقل بالطبع أو بالعلة •• فذاك كفر عند أهل الملة •

من مزاعم المستشرقين

حول الفكر الإسلامى

الكون الواسع من مظاهر العناية والقصـــد • والتدبير • مما يمكن أن يراه الانسان بحواسه وعقله فى العالم من تناسق وتضامن وانسجام وتدبير محكم وعناية كبيرة بكل صغيرة وكبيرة وترابط محكم بين أجزاء العالم •

وهذا الدليل يعتبر من أوضح الأدلة على هذه القضية وأهمها • وهو يختلف من انسان لآخر حسب ما وهبه الله من صفاء العقـــل وتوقد الذهن •

والقرآن الكريم يعرض مادة هذا الدليل فى أكثر من موضع ومن أمثلة ذلك • آيات كثيرة • « **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ • أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا • ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا • فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا • وَعِنَبًا وَقَضْبًا • وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا • وَحَدَائِقَ غُلْبًا** » • الخ وكذلك • قوله تعالى •

« **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** » •

ويرى ابن رشد أن هذه الآية تجمع بين دليل الاختراع ودليل العناية •

راجع مناهج الأدلة لابن رشد •

ويرى بعض العلماء كذلك • أن هـــذين النوعين من الادلة يتضمنان كل ما عداهما من أدلة على وجود الله • فى القـــديم والحديث « التفكير الفلسفى فى الاسلام » •

ومن المهم أن ننبه هنا الى أن طبيعة الدلالة فى دليل العناية تفسح المجال أمام العقل فى البحث والاستنتاج على مدى الأزمان وكر الدهور •

ومن الانصاف أن نقول • ان فلاســـفة الاسلام الكبار مثل الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد • رغم اعجابهم بطـــرق الاســـتدلال ومناهـــج البحث الاجنبية « اليونانية » • لم يحاولوا التحرر تماما من معطيات الاسلام فيما يتعلـــق بمنهجية الاستدلال على هذه القضية • فتكلموا فى نوعى الأدلة السابقين وقد أشرنا الى محـاولة ابن رشد وهى محاولة ناجحة قطعا •

ومن قبله أشار كل من الكندى والفارابى وابن سينا الى نمط الاستدلال الكونى عـلى وجود الله • مع سلوك المنهج الفلسفى أيضا • « راجع فى ذلك التفكير الفلســفى فى الاســـلام » •

وهذا فى حد ذاته يدلنا على مـــدى أثر التوجيهات الاسلامية سواء فيما يتعلق بقضية اعمال العقل أو بتوجيه الانظار الى كيفيـــة الاستدلال •• فى نفوس هذه الفئة من فلاسفة الاسلام الكبار •

هذا عن وجود الله سبحانه وتعالى •

صفاته سبحانه :

وأما عن صفاته فمن أخصها صفة الوحدانية التى هى عماد الاسلام بل للأديان السماوية كلها فهى من أهم أصول العقيدة . وقد بلغ القرآن الغاية فى تقريرها عقليا ووجدانيا . وقد سبق لنا الاشارة بشىء من التفصيل للسند العقلى لهذه العقيدة فى حديثنا عن المستشرق الفرنسى (رينان) . ضمن مقالاتنا عن المستشرقين فمن شاء فليرجع اليه ولا نريد الاطالة بذكره هنا .

ولكن القرآن طرق باب العقل فى تقرير الوحدانية فى أكثر من آية من القرآن وأكثر من موضع غير ما ذكرنا . قال تعالى :

« **اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** » . الروم آية رقم ٤٠ .

ويقول الله تعالى أيضا :

« **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** » . المؤمنون آية رقم ٩١ .

ويعجبنى فى ذلك أيضا قول الاستاذ الامام محمد عبده :

« والاسلام فى الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذه السبل أنظر كيف يقرع بالدليل « **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** » . الانبياء ٢٢ .

« راجع الاسلام والنصرانية للاستاذ الامام محمد عبده » .

أما صفة العلم الالهى .. فيبلغ الاستدلال العقلى عليها مداه فى الاحكام مؤسسا على قضية الخلق التى ثبت بها بالعقل حين يقول القرآن الكريم : « **ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** » وعن متعلقات العلم . يقول تعالى :

« **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ** » . الأنعام آية رقم ٥٩ والاستدلال على شمول علمه تعالى لهذه المتعلقات هو الاستدلال نفسه على ثبوت الصفة لله لأنه خلق جميعها فتقول . « **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** » . وهكذا الأمر فى الصفات كلها تقريبا .

اننا نقول هنا للمستشرقين جميعا . هكذا يبث الاسلام أمهات عقائده الى المسلم عن طريق العقل المسترشد بهدى الخالق جل وعلا فهو يرسم له طريق الاستدلال ويطرحها عليه مشفوعة بسندها العقلى المتين .

التصديق بالرسالة :

أما فيما يتعلق بالتصديق بالرسالة فطريقه المعجزة وهى أمر خارق للعادة وخارق العادة من شأنه أن يبعث العقل على التفكير والربط بين توقيت هذا الخرق المؤقت فى ناموس الكون وبين صدق الداعى المتحدى وتصديق المرسل سبحانه وتعالى وهناك من قال من علماء الاسلام أن دلالة المعجزة على الصدق دلالة عقلية .

« راجع المقاصد لسعد الدين التفتازانى مبحث المعجزة » .

من مزاعم المستشرقين
حول الفكر الإسلامي

والقرآن الكريم هو المعجزة العقلية الكبرى التى قدمها محمد – صلى الله عليه وسلم – بين يدى دعواه متحديا بها فطاحل الفصاحة والبلاغة فى عصره •

وهو دعوة الى اعمال العقل موجهة الى المخالفين فهو حين يتحداهم بالعجز عن الاتيان بمثله أو بأقصر سورة منه مثلا انما يعنى ما يعبر عنه الشيخ الامام محمد عبده حين قال عنه « وهذا الخارق قد دعى الناس الى النظر فيه بعقولهم • وطولبوا بأن يأتوا فى نظرهم على آخر ما تنتهى اليه قوتهم فان وجدوا طريقا لابطال اعجازه أو كونه دليلا على المدعى• فعليهم أن يأتوا به» « وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ » • وقال القرآن غير ذلك مما هو مطالبة بمقاومة الحجة ولم يطالبهم بمجرد التسليم على رغم العقل •

« الاسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ص ٥٣ » •

وحقا فان القرآن يعتبر تحديا عقليا •

فان اللغة معبرة عن الفكر ومن هنا فانه فى ضوء العلاقة بين الفكر واللغة يصبح التحدى بالاتيان بمثله مقتضيا لاعمال العقل واعتصار الفكر فالتعويل هنا على ما تعبر عنه اللغة • لا على مجرد اللغة والا فاللغة التى نزل بها القرآن تتركب من نفس الحروف التى تكلم بها العرب وصاغوا بها بليغ الكلام ورائق الاشعار ومن هنا باءت كل محاولات معارضته بالفشل مما حكى عنهم من بعض السخافات فالعبرة ليست بالحروف ولا بمجرد نظم الألفاظ بل المسألة أعمق من ذلك وأدق •

البعث والمعاد :

بقى بعد ذلك الغيبيات • أو السمعيات ومن أهمها البعث والمعاد •

والبعث والمعاد كقضية مسموعة لها سندها العقلى بادىء ذى بدء لمجرد أنها مسموعة من الصادق الذى ثبت تبليغه عن الله عز وجل وهذا فى حد ذاته يكفى العقل فى التصديق •

ويسلك القرآن الكريم فى هذه القضية النمط العقلى الصرف « كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ » (١) « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ » (٢) « وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ » (٣) • فهذا نوع من الاستدلال العقلى • قياس الاعادة على البدء قياسا عقليا صرفا •

وهناك نوع آخر من الاستدلال عماد مادته المشاهدة الحية • فالرياح يرسلها الله سبحانه وتعالى • فتثير السحاب • ثم يساق السحاب الى بلد ميت • فتحيا به أرضه الميتة • وهذه مشاهدات لاشك فى وجودها •• كذلك النشور « وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ

---

(١) الاعراف ٢٩ •
(٢) الانبياء ١٠٤ •
(٣) الروم ٢٧ •

إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ » . فاطر آية رقم ٢٠ .

ويقطع القرآن شك الشاكين واستبعاد المستبعدين لامكان حدوث هذا البعث أقول يقطع كل ذلك باليقين بعبارة سهلة يفهمها القاصى والدانى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا » (٥ سورة الحج) . ثم يسوق دليلا آخر :

« وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ » . الحج ٧ استقصاء فى الاستدلال ما بعده استقصاء .

وحقا لقد كان القرآن فى ذلك رائدا أو مرشدا لبعض فلاسفة الاسلام فى استخراج أدق الادلة على هذه العقيدة الاسلامية الاساسية من القرآن الكريم ولقد أخذ الكندى . مثلا من النسق القرآنى الرائع فى أواخر سورة (يس) جملة أدلة وليس دليلا واحدا « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ . أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » . (أواخر سورة يس) .

وهذا السياق القرآنى فى عرض القضية وتقريرها والاستدلال عليها يحتوى على أصول نظرية ونتائج لازمة لهذه الاصول . يمكن استخراجها على النحو التالى :

اولا :

وجود الشىء من جديد بعد كونه وتحلله السابقين ممكن « بدليل وجوده بالفعل مرة لا سيما أن جمع المتفرقة أسهل من ايجاده وابداعه عن عدم وان كان لا يوجد بالنسبة الى الله شىء هو أسهل وشىء هو أصعب لأن قدرته مطلقة وهذا الدليل موجود فى هذه الآيات فى كلمات قليلة .

« قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ » .

ثانيا :

ظهور الشىء من نقيضه كظهور النار من الشجر الاخضر ممكن وواقع تحت الحس . واذا كان الشىء يوجد من نقيضه فوجوده من نفسه أولى واذن يمكن أن تدب الحياة فى الجسد الهامد المتحلل مرة أخرى وذلك قائم على الأساس الاكبر . وهو أن الشىء يمكن أن يوجد من العدم المطلق بفعل المبدع الحق وهذا الدليل تتضمنه الآية الكريمة :

من مزاعم المستشرقين
حول الفكر الإسلامي

« الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ » •

ثالثا :

خلق الانسان أو احياؤه بعد الموت أيسر من خلق العالم الاكبر بعد أن لم يكن وهذا هو مضمون آية •

« أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ » •

وهذا المعنى تعبر عنه آية أخرى من القرآن الكريم • « لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » • سورة غافر آية ٥٧ •

فخلق العالم الأكبر دليل على امكان اعادة العالم الاصغر وهو الانسان •

رابعا :

الخلق بصفة خاصة والفعل بصفة عامة — مهما عظم المخلوق — لا يحتاج من جانب الله المبدع لا الى مادة ولا الى زمان وذلك بخلاف فعل البشر الذى لا يتم الا فى زمان ويحتاج بالاضافة الى ذلك الى مادة تكون موضوعا لهذا الفعل الانسانى •

وهذا هو ما تعطيه الآية الكريمة « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » •

وهذه الآية فى نظر للكندى تمثل اجابة عما فى قلوب الكفار من النكير بسبب ظنهم أن العقل الالهى المتجلى فى خلق العالم الكبير يحتاج الى زمان يناسب عظمته قياسا منهم لفعل الله على فعل البشر • لأن فعل البشر لما هو أعظم يحتاج الى مدة زمانية أطول فجاءت الآية حاسمة فى بيان شأن الفعل الالهى وأنه ابداع بالارادة والقدرة المطلقتين لا يحتاج الى مادة ولا الى امتداد زمانى •

هذه هى معطيات هذه الآيات فيما نحن بصدده من تقرير القرآن الكريم لعقيدة البعث والمعاد فيما يراه مفكر اسلامى كبير كالكندى • وهو من الفلاسفة الذين جالوا بعقولهم متفهمين هذا الكتاب الكريم •

يقول الكندى تعليقا على هذه الآيات الكريمة :

فأى بشر يقدر بفلسفة البشر أن يجمع فى قول بقدر حروف هذه الآيات ما جمع الله جل وتعالى الى رسوله — صلى الله عليه وسلم — ميها من ايضاح ان العظام تحيا بعد أن تصير رميما وأن قدرته تخلق مثل السموات والأرض وأن الشىء يكون من نقيضه ، ثم يقول الكندى •

كلت عن ذلك الالسن المنطقية المتحايلة وقصرت عن مثله نهايات البشر وحجبت عنه العقول الجزئية •

« رسائل الكندى الفلسفة ، التفكير الفلسفى فى الاسلام » •

وهكذا فان القرآن الكريم ، الذى يتهم ظلما بمجافاة الفكر وعمل العقل ، لا يكتفى

بمجرد عرض عقائده عرضا مرسلا وانما يدعمها ويحرسها عن التشويش والطعن بل ويعلم المسلمين كيف يدافعون عن عقيدتهم من خلال نصوصهم . وكيف يستدلون عليها .
واذا ضفنا الى ذلك ما قدمناه فى أول هذه الدراسة من حثه على الفكر ، ودعوته الملحة الى اعمال النظر . اقول لذا تأملنا هذا وذاك ظهر لنا مدى التجنى فى دعاوى المستشرقين ضد الاسلام من هذه الزاوية .

حتى اننا نرى بعض العلماء وهم بصدد تحديد أول واجب على المكلف يرى أن أول واجب على المكلف هو النظر . ويرى بعض آخر أنه القصد الى النظر ويراه بعض آخر فى المعرفة ويراه آخرون فى الشك لان الانسان ما لم يشك لم ينظر . وهكذا . نراها كلها ترجع الى النظر والمعرفة ــ والطريق الى كل عمل العقل .

يقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد ص ٧ ، ٨ عن القرآن الكريم :
« وقص علينا من صفات الله ما أذن الله لنا أو ما أوجب أن نعلم لكن لم يطلب التسليم لمجرد أنه جاء بحكايته ولكنه أقام الدعوى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين وكر عليها بالحجة وخاطب العقل واستنهض الفكر وعرض نظام الأكوان وما فيها من الاحكام والاتقان على أنظار العقول وطالبها بالامعان فيها لتصل بذلك الى اليقين بصحة ما ادعاه ودعى اليه » .

هذا هو الاسلام فى عقيدته راجح تمام الرجحان فى ميزان العقل يستوعبه العقل ويؤيد قضاياه وعقائده جملة وتفصيلا بأقوى الأدلة وأنصح البراهين .

والحق أن القرآن الكريم يقود العقل بكل مهارة الى الاستشاد الصحيح على العقيدة بجوانبها المتعددة . وهذه القيادة هامة جدا كما سترى .

ويكفى أن نعلم مثلا . أن بحث عقيدة المعاد بحثا عقليا صرفا دون الاهتداء بتوجيهات الدين قد يؤدى لدى بعض العقول الى استحالته كلية . كما قال الكفار : « **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** (١) ؟ !
أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٢) » ؟!
أو الى استحالة بصورة ما كما أدى النظر العقلى المحض لدى بعض الفلاسفة الى انكاره فى صورته الحسية . فاقتصروا على تقرير البعث بصورة روحانية محضة وهو افتراء على صريح القرآن وحقائقه .
وذلك بسبب انفراد العقل فى سلوك هذا الطريق .

د. محمود عبد المعطى بركات

---

(١) ق ٣ .
(٢) الواقعة ٤٧ ــ ٤٨ .

■ مجلة الأزهر
من خمسين عامًا

مع التراث

■ من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

المداراة والمداهنة

للشيخ محمد الخضر حسين

إعداد عاطف زهران

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ :

خلق الناس للاجتماع لا للعزلة ، وللتعارف لا للتناكر ، وللتعاون لا لينفرد كل واحد بمرافق حياته .

وللانسان عوارض نفسية : كالحب والبغض، والرضا والغضب ، والاستحسان والاستهجان، فلو سار على أن يكاشف الناس بكل ما يعرض له من هذه الشئون فى كل وقت وعلى أى حال لاختل الاجتماع ، ولم يخلص التعارف ، وانقبضت الأيدى عن التعاون ، فكان من حكمة الله فى خلقه أن هيأ الانسان لأدب يتحامى به ما يحدث تقاطعا أو يدعو الى تخاذل ، ذلك الأدب هو المداراة .

فالمداراة ترجع الى حسن اللقاء ولين الكلام وتجنب ما يشعر ببغض أو غضب أو استنكار الا فى أحوال يكون الاشعار به خيرا من كتمانه فمن المداراة أن يجمعك بالرجل يضمر لك العداوة مجلس ، فتقابله بوجه طلق ، وتقضيه حق التحية ، وترفق به فى الخطاب

قال سحنون فى وصيته لابنه محمد « وسلم على عدوك وداره فان رأس الايمان بالله مداراة الناس » .

وقال أحد الحكماء من بنى أسد :

وأمنحه مالى وودى ونصرتى
وإن كان محنى الضلوع على بغضى

ونقرأ فى سيرة الأستاذ محمد بن يوسف السنوسى صاحب المؤلفات المعروفة فى علم الكلام وغيره أنه « كان يفاتح من تكلم فى عرضه بكلام طيب واعظام حتى يعتقد أنه صديقه » .

ونقرأ فى سيرة القاضى يحيى بن أكثم أنه « كان يداعب خصمه وعدوه » .

قد تبلغ المداراة الى اطفاء العداوة وقلبها الى صداقة . قال محمد بن أبى الفضل الهاشمى : قلت لأبى : لم تجلس الى فلان وقد عرفت عداوته ؟ قال : أخبى نارا ، وأقدح ودا .

وقد يقصد المدارى الى علاج جرح العداوة ومنعه من أن يتسع ، قال عقال بن شبة : كنت

المداراة والمداهنة

رديف أبى ، فلقيه جرير على بغل ، فحياه أبى وألطفه ، فلما مضى قلت : أبعد ما قال لنا ما قال ؟ قال : يابنى أفأوسع جرحى !

ومن المداراة أن يلاقيك ذو لسان أو قلم عرف بنهش الأعراض ولمز الأبرياء ، فتطلق له جبينك وتحييه فى حفاوة ، لعلك تحمى جانبك من قذفه، أو تجعل لدغاته خفيفة الوقع على عرضك •

نقرأ فى الصحيح عن عروة بن الزبير أن عائشة — رضى الله عنها — أخبرته « أنه استأذن على النبى — صلى الله عليه وسلم — رجل فقال : (أئذنوا له فبئس ابن العشيرة) أو (بئس أخو العشيرة) فلما دخل ألان له الكلام » وفى رواية « فلما جلس تطلق النبى — صلى الله عليه وسلم — فى وجهه وانبسط اليه ، فقلت يا رسول الله قلت ما قلت ، ثم ألنت له القول ! فقال : « أى عائشة ان شر الناس منزلة عند الله تركه » أو « ردعه الناس اتقاء فحشه »(١) •

فلقاء الرسول — صلى الله عليه وسلم — لهذا الرجل المعروف بالبذاءة ، من قبيل المداراة، لأنه لم يزد على أن لاقاه بوجه طلق ، أو رفق به فى الخطاب ، وقد سبق الى ذهن عائشة رضى الله عنها أن الذى بلغ ان يقال فيه (بئس ابن العشيرة) لا يستحق هذا اللقاء ، ويجب أن يكون نصيبه قسوة الخطاب أو عبوسة الجبين ، ولكن نظر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أبعد مدى ، وأناته أطول أمدا ، فهو يريد تعليم الناس كيف يملكون ما فى أنفسهم فلا يظهر أثره الا فى مكان أو زمان يليق فيه اظهاره ، ويريد تعليمهم أدبا من آداب الاجتماع هو رفق الانسان بمن يقصد الى زيارته فى منزله ولو كان شره فى الناس فاشيا ، على أن اطلاق جبينك لمثل هذا الزائر لا يمنعك أن تشعره بطريق سائغ أنك غير راض عما يشيعه فى الناس من أذى ، ولايعوقك من أن تعالجه بالموعظة الحسنة الا أن يكون شيطانا ماردا •

ومن المداراة أن تلقى ذا يد تبطش فتمنحه جبينا طلقا ، وتتجنب فى حديثك ما لا يكون له أثر فى نفسه الا أنه يثير فيها القصد الى أذيتك ، وهذا محمل قول أبى الدرداء رضى الله عنه : « انا لنكشر فى وجوه أقوام ، وان قلوبنا لتلعنهم » وفى رواية « لتقليهم » — تبغضهم — والكشر : التبسم ، وفى هذا الأثر شاهد على أن التبسم فى وجه الظالم اتقاء بأسه ضرب من المداراة ، ولا يتعداها الى أن يكون مداهنة •

ومن المداراة أن يكون الرجل على حال تقتضى صرفه عن بغية أو عمل ، وتعرف أن فى الاعتذار له بهذا الحال ما يثير فى نفسه ألما ، فتعرض عن ذكر ما يؤلم ، وتذكر له وجها غيره مما هو واقع، حتى لا تجمع له بين الحرمان من بغيته ،وايلامه بما لا يحب أن يعتذر له به •

أصاب الكسائى وضح (برص) وهو مؤدب أبناء هرون الرشيد • فكره الرشيد ملازمته لأولاده ، فقال له : كبرت فى السن ، ولسنا نقطع راتبك ، وأمره أن يختار لهم من ينوب عنه ممن يرضاه ، فاختار لهم على بن الحسن المعروف بالأحمر ، ولا ريب أن اعتذار هرون الرشيد للكسائى بكبر السن أخف على نفسه من أن يقول له : أصبت بوضح ، ولسنا نقطع راتبك •

---

١ — صحيح الامام البخارى •

فالنفوس المطبوعة على المداراة نفوس أدركت أن الناس خلقوا ليكونوا فى الائتلاف كجسد واحد ، وشأن الأعضاء السليمة أن تكون ملتئمة متماسكة على قدر ما فيها من حياة ، ولا تنكر عضوا ركب معها فى جسد الا أن يصاب بعلة يعجز الأطباء أن يصفوا له بعد دواء .

فالمداراة يبتغى بها رضا الناس ، وتأليفهم فى حدود ما ينبغى أن يكون ، فلا يبعدك عنها قضاء بالقسط ، أو القاء النصحة فى رفق ، فلم يخرج عن المداراة أبو حازم حين دخل على سليمان بن عبد الملك وقال له : « انما أنت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير أو شر فاختر أيهما شئت » .

ترجع المداراة الى ذكاء الشخص نفسه ، فهو الذى يراعى فى مقدارها وطريقتها ما ينبغى أن يكون ، ولأسباب العداوة مدخل فى تفاوت مقادير المداراة واختلاف طرقها ، فاذا ساغ لك أن تبالغ فى مداراة من ينحرف عنك لخطأ فى ظن يظنه بك ، أو لعدم ارتياحه لنعمة يسوقها الله اليك ، فلمداراة من يحارب الحق والفضيلة ان صادفك واقتضى الحال مداراته ، حد قريب ومسحة من التلطف خفيفة ، وينبغى أن تكون مداراتك لمن ترجو منه العود الى الرشد ، وتأنس فى نظرته شيئا من الطيب ، فوق مداراتك لمن شاب على عوج العقل ولؤم الخلق حتى انقطع أملك من أن يصير ذا عقل سليم أو خلق كريم ، ولك مع من فيه بقية من العقل ضرب من المداراة لا تسلكه مع من يعد مداراتك له أثر الخوف من سلاطة لسانه ، فيزداد فحشا، ليزداد الناس رهبة فيزيدوه خضوعا .

المداراة خصلة كريمة ، يحكمها الأذكياء ، ولا يتعدى حدودها الفضلاء ، أما المداهنة فهى اظهار الرضا بما يصدر من الظالم أو الفاسق من قول باطل أو عمل مكروه ، وأصلها الدهان وهو الذى يظهر على الشىء ويستر باطنه .

تضم المداهنة تحت جناحيها الكذب ، واخلاف الوعد ، أما الكذب فلأن المداهن يصف الرجل بغير ما يعرفه منه ، ومن الكذب من باب سهل عليه أن يأتيه من أبواب متفرقة .

وأما اخلاف الوعد فلأن المداهن يقصد الى ارضاء صاحبه فى الحال فلا يبالى أن يعده بشىء وهو عازم على أن لا يصدق فى وعده ، وليس من الصعب على المداهن وقد مرد على الكذب أن يخلف الوعد ويختلق لاخلافه عذرا ، وهذا الاختلاق لا يرتكبه الراسخ فى كرم الأخلاق ، وان كلفه الوفاء بالوعد أمرا جللا ، فالمداهن لا يتريث فى أن يعد لأنه لا يتألم من أن يخلف ، ولا يصعب عليه أن يصور من غير الواقع عذرا ، والراسخ فى الفضل لا يعد الا عند العزم على أن يصدق فيما وعد ، فان وقف أمامه عائق كشف لك عن وجهه الحق ، فاذا لم يساعده الحال على انجاز الوعد لم يفته الصدق فيما يلقيه اليك من عذر .

ومن المداهنة أن تثنى على الرجل فى وجهه فاذا انصرفت عنه أطلقت لسانك فى ذمه .

قيل لابن عمر رضى الله عنه « انا ندخل على أمرائنا فنقول القول ، فاذا خرجنا قلنا غيره » فقال : « كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — » .

وقد قرر أهل العلم أن الرجل ان كان مستغنيا عن الدخول على من يضطره الحال الى الثناء عليه ، فدخل وأثنى بغير ما يعلم كان نفاقا ، أما ان اضطر الى الدخول على ذى قوة لا يخلص

المـداراة والمداهنة

من بأسه الا أن يسمعه شيئا من الاطراء فهو فى سعة من أن يطريه بمقدار ما يخلص من بأسه ، ولا تلحقه هذه الحالة الشاذة بزمرة المداهنين .

انهزم جيش السلطان فرج بن برقوق أمام جيش الطاغية تيمور لنك ، ووقع طائفة من العلماء فى أسر الطاغية ، ومن هذه الطائفة الفيلسوف ابن خلدون ، فكان من هذا الفيلسوف أن تقدم الى تيمور لنك وقال له فيما حادثه به : « انى ألفت كتابا فى تاريخ العالم ، وحليته بذكرك ، وما أسفى الا على هذا الكتاب الذى أنفقت فيه عمرى ، وقد تركته بمصر . وان عمرى الماضى ذهب ضياعا حيث لم يكن فى خدمتك ، وتحت ظل دولتك ، والآن أذهب فآتى بهذا الكتاب وأرجع سريعا حتى أموت فى خدمتك » فأطلق سبيله فقدم مصر ولم يعد اليه .

ومن أسوأ ما يفعل المداهن أن يلاقى الرجلين بينهما عداوة فيظهر لكل واحد منهما الرضا عن معاداته لصاحبه ، ويوافقه على دعوى أنه المحق وصاحبه هو المبطل ، وفى مثل هذا ورد قوله — صلى الله عليه وسلم — :

« تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه »(١) .

وقال حكيم من بنى أسد :

ولست بذى وجهين فيمن عرفته
ولا البخل فاعلم من سمائى ولا أرضى

يتخذ الرجل وجهين متى كان يطمح الى ما فى أيدى الناس من متاع ، أو كان يطمع فى ارضاء طوائف على تباعد ما بينهم من نزعات ، وعلى شدة بينهم من اختلاف ، والعبور الى النفع على جسر من المداهنة يحرم من أعز متاع هو الصدق ، بعد أن يحرم من أطيب لذ ةهى ارتياح الضمير ، ومن كان حريصا على أن يكون صديق الطوائف المتباينة ، فان الطيب منهم يأبى أن يلوث صدره بصداقة من يتملق الخبيث .

فالنفوس التى تنحط الى المداهنة انحطاط الماء من صبب ، نفوس لم تشب فى مهد الأدب السنى ، ولم تهدها المدرسة الى الصراط السوى وما شاعت المداهنة فى جماعة الا تقلصت الكرامة من ديارهم ، وكانت الاستكانة شعارهم، ومن ضاعت كرامتهم ، وداخلت الاستكانة نفوسهم ، حالت أيدى البغاة فى حقوقهم ، وكان الموت أقرب اليهم من حبال أوردتهم .

فمن واجب أساتذة التربية ودعاة الاصلاح أن يعنوا بجهاد هذا الخلق المشئوم حتى ينفوه من أرضنا ، وتكون أوطاننا ومدارسنا منابت نشء يميزون المداهنة من المداراة ، فيخاطبون الناس فى رقة أدب وشجاعة ، ويحترمون من لايلوث أسماعهم بالملق ، ولا يكتمهم الحقائق متى اتسع المقام لأن يحدثهم فى صراحة .

عاطف زهران

---

١ ــ صحيح الامام البخارى .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب

جواهر المعانى في تفسير السبع المثانى (١)

للشيخ على المعروف بالشيرازى

للأستاذ / محمد عميره على ـ
مدير مكتبة الأزهر

مع المعرفة الاسلامية التقت تيارات العقل البشرى حاملة تراث المدنيات والحضارات اليونانية والفارسية والهندية ، ومرت بأهلها أعاصير من جدل أهل الكتاب ، فكان كل ذلك حافزا للعلماء على أن يؤلفوا موسوعات فى التفسير تجمع بين دفتيها فنونا من المعرفة لم يكن لهم بها سابقة عهد .

ولما كان القرآن كتابا سماويا تنزل على قلب أكمل الأنبياء ، صلى الله عليه وسلم مشتملا على معارف عالية ومطالب سامية ، يجد المنقب عنها من الهيبه والجلال ، ما يكاد يحول بينه وبين الوصول اليها ـ سهل سبحانه الأمر علينا ، فلم يطلب منا الا الفهم والتدبر فى كلامه ، لأنه نزله نورا وهدى للناس ، وجعله حاويا للشرائع والأحكام التى لا يمكن العمل بها الا اذا فهمت حق الفهم ، واستوضحت مغازيها ، وكشفت أسرارها ومراميها ، من حيث هى دين الهى وهدى سماوى ، ترشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيوية والأخروية .

وقد اتجه كثير من المفسرين الى وجهات

(١) الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص ١٦٧ رقم عام ٢٩٣٩ فى علم التفسير .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

نظر فى تفسيرهم ، فمنهم من وجه النظر الى البحث فى أساليب الكتاب ومعانيه ، ومنهم من وجه النظر الى اعرابه وتوسع فى بيان وجوهه ، ومنهم من وجه النظر الى القصص والأخبار عمن سلف ، ومنهم من وجه همه الى الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات ، ومنهم من عنى بالكلام فى أصول العقائد ومقارعة الزائغين ومحاجة المخالفين ، ومنهم من اتجه الى الوعظ والرقائق ممزوجة بحكايات المتصوفة والعباد ، ومنهم من سلك طريق التفسير بالاشارة الى دقائق لا تنكشف الا لأرباب السلوك .

* ولقد نعلم أن الاكثار فى مقصد من هذه المقاصد قد يخل بالغرض الأصلى من تفسير الكتاب الكريم ، وهو فهم الكتاب من حيث هو دين وهداية للناس فى دنياهم وآخرتهم .

ونقدم للقارىء عالما من علماء المسلمين هو (١) الشيخ على بن احمد بن محمد ، المعروف بالشيرازى ، من علماء القرن التاسع الهجرى ، المولود فى بغداد سنة ٧٨٨ هـ سنه ١٣٨٦ م ، وتوفى بمكة سنة ٨٦١ هـ سنة ١٤٥٧ م ، من تصانيفه : تفسير القرآن ، وشرح على الحاوى ، جواهر المعانى ، فى تفسير السبع المثانى — وهو تفسير لسورة الفاتحة — وهو الكتاب الذى نقدمه اليوم .

قال عنه صاحب الضوء اللامع (٢) إنه اشتغل بالعلم فى كبره وأخذ عن غير واحد وجال وصحب الرجال الى أن برع فى الفقه وأصوله والنحو والمنطق وغيرها وصنف تفسيرا وشرحا على الحاوى وغير ذلك ، وتكلم على الناس فى علم التوحيد بعبارة بليغة فصيحة دالة على غزارة مدده وتحققه بكلام القوم ، وأما فى علوم الأوائل فكان لا يجارى فيها وكذا كان اليه المنتهى فى علم الرمل ، وقد قطن مكة بعد الثلاثين فسكن الزاوية المعروفة بالجنيد بجبل قعيقعان ، وأخذ عنه غير واحد وصار له صيت ، لقيته بالينبوع فى سنة ست وخمسين فسمعت من لفظه خطبة شرحه على الحاوى وشيئا من أول تفسيره وأشياء من تصانيفه ؛ وكان نير الشيبة فصيحا مفوها حسن الظاهر وسريرته فى تصوفه الى الله .

قال المصنف رحمه الله بعد الديباجه أما بعد : فان الله تعالى مما تفضل به ولطف ، ومن بالمجاورة فى مكة المشرفة على الوجه الأجمل الألطف ، قد يسر الله المرام ، لجميع الأنام ، بمكة بيت الله الحرام ، بما لم يتيسر لغيرهم فيما تقدم من الأعوام فلم نزل فى الحضرة الشريفة آمنين ، أن يسر الله على العبد الفقير العاجز الحقير ، فى أعوام المجاورة بالبيت العتيق ، الاشتغال بالعلم والعمل بمقتضى الهداية والتوفيق ، وسلوك طريق الدراية والتحقيق ، فتيسر من المرام ، تأليف كتب شريفة فى أعوام .

وتيسر لى (تفسير الفاتحة) ، وسميته

---

(١) « معجم المؤلفين » جـ ٧ ص ٢٦ .

(٢) جـ ٥ ص ١٨٩ .

جواهر المعانى فى تفسير السبع المثانى

« جواهر المعانى ، فى تفسير السبع المثانى » ، ورتبت الكتاب على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة ، وأسأل الله المعونة بفضله وأن ينفع الطالب بفرعه وأصله .

ثم قال : المقدمة فى شرف العلم وأهله نقلا وعقلا وما يتعلق به .

الباب الأول ــ فى تعريف العلم وماهيته وما يتعلق به .

الباب الثانى ــ فى تعدد العلم بتعدد عالمه ومعلومه وفيه فصلان .

الباب الثالث ــ فى علم التفسير وهو ثلاثة فصول .

الباب الرابع ــ فى فضائل القرآن وأهله وهو أربعة فصول .

الباب الخامس ــ فى أبحاث خاصة تتعلق بالاستعاذة وهو خمسة فصول .

الباب السادس ــ فى أبحاث البسملة وهو ستة فصول .

الباب السابع ــ فى تفسير سورة الفاتحة وهو سبعة فصول .

الخاتمة ــ فى غوامض من علوم التوحيد وأسراره ومالا يطلع عليه الا الخاصة من الراسخين فى العلم ولا يفهمه الا من له كمال الأهلية .

والخصوصية التى تفرد بها صاحب الكتاب ــ رحمه الله ــ أنه وفى تفسيره لسورة الفاتحة من جميع جوانبها ، فقد أورده فى الباب السابع فى سبعة فصول نذكرها فيما يلى :

الفصل الأول ــ تكلم فيه عن أسماء الفاتحة وعدد آياتها ونسبتها مكية أو مدنية وما يتعلق بذلك ... الخ .

والفصل الثانى فى رسمها وقراءتها واختلاف القراء السبعة وغيرهم وما يتعلق بذلك .

الفصل الثالث : فى غريب لغاتها ومعانى ألفاظها وما يتعلق بها .

الفصل الرابع فى اعرابها وأبحاثها المتعلقة بذلك .

الفصل الخامس : فى لطائفها من المعانى والبيان والبديع .

الفصل السادس فى تفسيرها بما جاء فيها نقلا عن أئمة التفسير .

الفصل السابع فى مسائل متفرقة من كل فن على ما تيسر .

ونقدم للقارىء نموذجا فى تفسير الفاتحة من الفصل السادس ــ الباب السابع .

قال ــ رحمه الله ــ بما جاء نقلا عن أئمه التفسير وما يتعلق بذلك . قال علماء التفسير: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) بمعنى الأمر وكذا كل ما ورد فى القرآن . والمعنى قولوا الحمد لله . وقوة القرينة المعينة لذلك فى قوله اياك نعبد فالمُهم ذلك . قال البغوى اخبار على بابه يخبر أن المستحق للحمد هو الله عز وجل ومجيئه

بالغيبة للتعظيم وفيه تعليم الثناء ، ولذلك وصفه برب العالمين . لأن التعليم من آثار هذا هذا الاسم الشريف وهو التلطف ليربيه بأنواع فضله ليهبه أهلية لمزيد الانعام والربوبية لا تكون الا بصفات الكمال ليكون منه الفيض والمدد . وكمال التربية بأنواع الفضل عموما وخصوصا ابتداء وانتهاء جملة وتفصيلا . وبالمالكية الحقيقية وهو كون الشيء له وحده من كل حيثية دائما لا مالك لشيء على الحقيقة سواه . لأنه الموجود من العدم قيوم كل شيء بحيث لا يمكن تصور شيء شيئا الا به فمنه المبتدأ واليه المنتهى . فالعبد الحامد والمأمور بالحمد لما هداه وبلائق حكمته وعظيم نعمته ركبه وسواه . ومما شاء من مقتضيات مظاهر أمره أو عساه ان شاء بلطفه أسعده وأولاه . فشكر النعمة والحمد لله . وان شاء خصه بقهره ونعوذ بالله فأضله بالحرمان وأشقاه . وختم بمقتضيات ذلك اليه فقابله بما يليق مما قدره عليه وأراده فى العقبا فجزاه . فبكريم رعايته وعظيم عنايته عرف من أهله من المستعدين كيف [illegible] خلص ويبتهل ويستعين ويتضرع سائلا طريق المهد[illegible]ين ليصل الى ما يتنعم به مع المنعمين ، فلقده ما هو أولى له وأهم من السؤال ، وأى نعمة يختص به من النوال . وكيف يحترز مما يوقعه فى الوبال فيستعيذ بالله من الجهلة والضلال وكيفية المناجاة دائما لكل أحد فى كل حال . فان فهمت بلغت درجة الكمال ان تحريت دوامه فى الأحوال والأقوال والأعمال ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ قيل مدح ذاته بذاته فالله الممدوح بصفات الكمال فحمدا ، ومفيض وممد ومتفضل بأفضاله فشكرا . فيجب الثناء والتعبد والامتثال . وان لم يفعل فقد كفر النعمة وكفر بالمنعم فليحذر الآخرة فانه مالك يوم الجزاء . ومالك ايجاد يوم الجزاء ، فلا نجاة من هول يوم المخاف الا بالاخلاص والاذعان والانقياد .. الى آخره .

وختم كتابه بقوله : اللهم انا بدأنا بما أمرتنا به (بسم الله الرحمن الرحيم) متوجهين اليك بتوفيقك نقصد برك وفضلك بقلب خاشع خاضع سليم . ونثنى عليك بما أثنيت به على نفسك ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ نحمدك والحمد من آلائك ونشكرك والشكر من نعمائك فأنت الرحمن عميم الاحسان وأنت الرحيم خصيص الامتنان وأنت مالك يوم الدين الديان لا نخاف ، الا من عدلك ولا نطمع الا فى فضلك . اياك نعبد ولك نصلى ونسجد واياك نستعين فى أن تسلكنا طريق المتقين ، اهدنا الصراط المستقيم الموصل الى دار النعيم ، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم المطرودين ولا الضالين آمين أجب بفضلك أرحم الراحمين وبقدر من أنزلت عليه السبع المثانى والقرآن العظيم . الى قوله : هذا ما تيسر من تفسير فاتحة الكتاب على سبيل العجلة فى أيام قلائل ابتداؤها عاشر شهر شعبان وانتهاء المبيضة بعد انتهاء المسودة

جواهر المعانى فى تفسير السبع المثانى

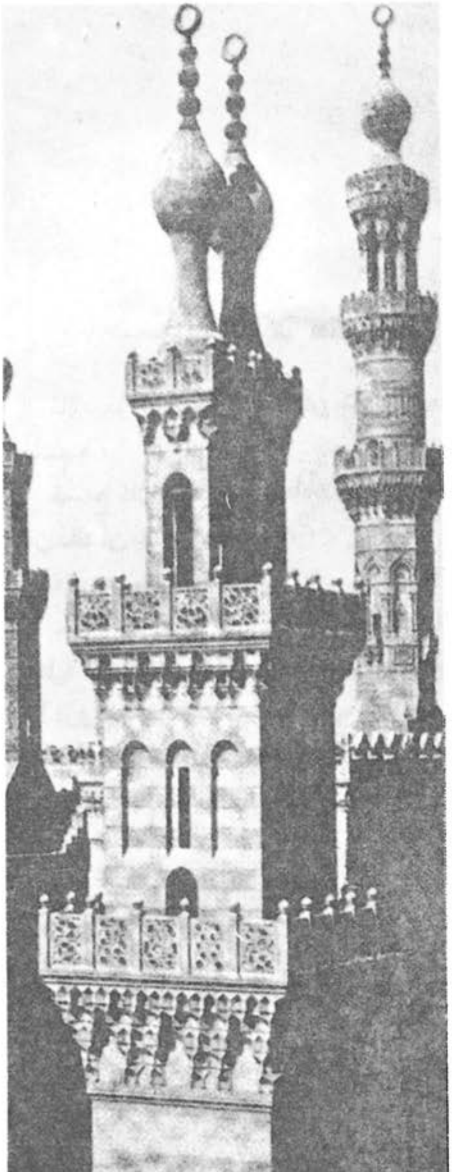

يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضـــان المعظم سنة أربعين وثمانمائة بحمد الله وذلك على يد، كاتبه ومؤلفه الفقير الى الله تعـــالى على بن احمد بن محمد الشيرازى ختم له بالخير .

والكتاب نسخة فريدة فى مجلـــد بقلم نسخ قديم جيد (بخط المؤلف) بأولهـــا زخارف ذهبية ، ومربعات مذهبة فيهـــا اسم الكتاب واسم المؤلف ، وفواصـــل الجمل فى الخطبة مذهبة كذلك فى ٢٦١ ورقة ومسطرتها ١٥ سطرا .

ومكتبة الأزهر لا تدخر وســـــعا فى تقديم ما ندر من مخطوطاتهـــا العلميـــة الفياضة بما جادت به عقول علماء السلف الصالحين .

مدير مكتبة الأزهر
محمد عميره على

طرائف

أصعب الأشياء

قال رجل : أصعب الأشياء أن ينال المرء ما لا يشتهيه ٠

فسمع كلامه بعض الحكماء ، فقال : أصعب من ذلك أن يشتهى ما لا يناله ٠

قال عمر ــ رضى الله عنه

ــ النساء ثلاثة : هينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها ، وأخرى : وعاء للولد ، وثالثة : غل قمل يلقيه الله فى عنق من يشاء من عباده ٠

السعادة

السعادة ثلاثة : أما فى النفس فهى : الحكمة والعفة والشجاعة ٠

وأما فى البدن فهى : الصحة والجمال والقوة ٠

وأما خارج النفس والبدن فهى : المال والجاه ٠

حقًا

قال الامام الشافعى :

أليس من الخسران أن لياليا
تمر بلا علم وتحسب من عمرى
اذا مر بى يوم ولم أستفد هدى
ولم أكتسب علما فما ذاك من عمرى

الصالحون

قال الحسن البصرى : أدركت أقواما وصحبت طوائف ، ما كانوا يفرحون بشىء من الدنيا أقبل ، « أو » يأسفون على شىء من الدنيا أدبر ٠

ولهى كانت فى أعينهم أهون من التراب ، فاذ كان الليل فقيام على أقدامهم ، يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم ٠

ومواقف

عظة

قال هشام لبعض نساك الشام : عظنى • فقرأ الناسك ، « ويل للمطففين •• الآيات » ثم قال : هذا لمن طفف المكيال والميزان فما ظنك بمن أخذه كله •

فبكى هشام من كلامه !!•

أصدق الناس فراسة

العزيز فى قوله لامرأته عن سيدنا يوسف ــ عليه الصلاة والسلام ــ : **« أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا »** •

والابنة التى قالت لأبيها عن سيدنا موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ : **« يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الْأَمِين »** •

وأبو بكر ــ رضى الله عنه ــ فى الوصية بخلافة سيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ •

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

دعـــاء

اللهم ان مغفــرتك أرجى من عمــلى ، وان رحمتك أوسع من ذنبى ، اللهم ان لم أكن أهــلا أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغنى لأنهــا وسعت كل شىء يا أرحم الراحمين •

■ كسب
اكتسب

■ إذا المفاجأة
بين الحرفية والظرفية

لغة وأدب ونقد

■ جولة مع شاعر أبوللو
مختار الوكيل

■ من عيون التراث الصوفى

■ ذبح اسماعيل بين الحقيقة والافتراء

■ علم العدل الإقتصادى

كَسَبَ - اِكْتَسَبَ

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

اننا حين نتأمل الفعلين اللذين اخترناهما عنوانا لهذه الكلمة نجد أنهما متفقان فى المادة ، وهى (الكسب) وحروفهما الأصلية المشتركة ثلاثة (الكاف ، والسين ، والباء) .

غير أن (كسب) ثلاثى مجرد من باب (ضرب) المفتوح العين فى الماضى ، مكسورها فى المضارع فوزنه (فعل يفعل) ونظيره فى الوزن : صبر يصبر ، عدل يعدل ، رجع يرجع ، حجز يحجز ، عقد يعقد ، سبق يسبق ، صدف يصدف ، جلس يجلس ، ملك يملك ، حبس يحبس ، أسر يأسر ، وغيرها من النظائر كثير .

ويتعدى بنفسه الى مفعولين عند غالبية النحاة ، فيقولون : كسبت هشاما مالا ،وكسبك سعيد علما ، لكن ابن الأعرابى لا يعديه الى الثانى الا بالهمزة ، فيقول : أكسبك خالد مالا ، وأكسبت صاحبك جاها أما (اكتسب) فهو ثلاثى مزيد بحرفين (الهمزة والتاء) فوزنه (افتعل) ومن نظائره : اعتدل ، اقتدر ، ارتحل ، ابتسم ، افتخر ، استبق ، امتدح ، امتنع ، امتلك ، اكتمل ، وهو متعد بنفسه الى مفعول واحد نحو : اكتسب محمد ثروة طائلة ، واكتسب الظالم اثما عظيما .

وهذان الفعلان المتحدان مادة يتفقان معنى ودلالة حين يتناولان النواحى المادية وشئون الحياة المتصلة بتحصيل المعاش ، وابتغاء الرزق ، وطلب القوت ، وما اليها من امور العاجلة ، فيقال : كسب طارق مالا ، واكتسب مالا ناله وربحه ، وكسب عمرو صفقة ، واكتسبها ، حصل عليها وامتلكها وفاز بها ، ويقال أيضا : كسب لأهله ، سعى لرزقهم وطلب المعيشة لهم ، واكتسب كذلك .

وفى هذا الاطار السليم ، وعلى هذا النهج الواضح يأتى قول الله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَاكَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ، الخ الآية » (٢٦٧)

من سورة البقرة ، فان هذه الآيه دعوة صريحة ملزمة وأمر الهى قاطع للمؤمنين أن يكون انفاقهم مما حصلوه من المال الطيب الحلال، ومما وفقهم الله وهداهم السبيل الى اخراجه من الأرض من ثمار وزروع ومعادن لينالوا الثواب الجزيل ، والجزاء العظيم وأن ينأوا بجانبهم عن الانفاق من الخبيث الدنس الذى لا يقبلونه الا على تساهل واغضاء لو بذل لهم فالله تعالى غنى عن انفاقهم مهما كثر ، وهو محمود فى السموات والأرض من خلقه جميعا :

كسب
اكتسب

انسهم وجنهم حيوانهم ونباتهم وجمادهم (**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ، وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**) ومن هذا الباب أيضا قوله سبحانه : (**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ**) (٣٢) سورة النساء ، فالآية تقرر صراحة حق كل من الجنسين فيما يسرته ملكاته وقدراته ومكنته مواهبه واستعداداته من جمعه وتحصيله بسعيه وكده واجتهاده وحسن تصرفه وسعة حيلته من مطالب العيش ومتاع الدنيا وضرورات الحياة مع الابتعاد عن النظر والتطلع الى ماميز الله به كل جنس عن الآخر من مواهب وقدرات واستعداد نفسي وبدني وليرض كل بما قسم له ، وليسأل الله المزيد من انعامه وفضله ، فهو العليم بما يلائم كل جنس وما يؤهله لأداء وظيفته ورسالته فى الحياة .

ومن ذلك القبيل أيضا قول أمير الشعراء — رحمه الله — :

أيها العمال افنوا الـ
ـعمر كدا واكتسابا
واعمروا الأرض فلولا
سعيكم أضحت خرابا

فهو يدعو عمال مصر ويناشدهم ويستثير حماسهم الى السعى الدائب والعمل الجاد المخلص لزيادة الانتاج وتحقيق الرخاء ، وازالة المكابدة والعناء ، وتهيئة حياة أفضل للوطن وبنيه ، ولايتأتى ذلك الا بوفرة المال ، وزيادة الثروة وارتفاع مستوى الدخل للفرد والأمة ، فالمال عصب الحياة ومصدر الرفعة والقوة والجاه ألا أن (اكتسب) أبلغ وأقوى فى الدلالة على كثرة الكسب وكبر حجمه واتساع دائرته من (كسب) لأنه يفيد المبالغة فى السعى والاجتهاد فى الطلب ، حسب ماتقرره وتشير اليه القاعدة المشهورة التى تقول : (زيادة المبنى تقتضى زيادة المعنى) فمثلا : اقتدر ، أقوى فى الدلالة على زيادة القدرة وفعاليتها وقوة أثرها من قدر، وامتدح أقوى فى الدلالة على كثرة المدح والمبالغة فيه من مدح ، والتبس أكبر دلالة على غموض الأمر وخفائه من البس ، واجتذب أقوى دلالة على شدة الجذب وقوته من جذب واقترب أدل على حدوث القرب وزيادته من قرب ، واصطرخ أدل على شدة الصراخ ورفع الصوت به من صرخ واصطبر أقوى دلالة على قوة الصبر والفه والتخلق به من صبر ، وارتحل أكبر فى الدلالة على تعجل الرحيل وسرعته والحرص عليه من رحل ، وهكذا تصدق هذه القاعدة ويتاكد مضمونها فى كافة الأبنية والأوزان ويتفق الفعلان كذلك معنى ومدلولا حين يدور الحديث حول الجوانب الانسانية ، والنواحى المعنوية ، والأمور الروحية والسلوكية المتصلة بالخير والشر ، والبر والاثم والاحسان والاساءة والرحمة والقسوة وما اليها من الأواصر والروابط الانسانية وشئون وأحوال الآجلة . فانهما حينئذ تستعملان للدلالة على ارتكاب الأوزار والخطيئات ، واقتراف الآثام

والموبقات ، واتيان الشرور والمنكرات .

لكن (كسب) تنفرد وحدها بأنها — مع مشاركتها اكتسب فى الدلالة السالفة تستعمل للدلالة على فعل الخير وصنع المعروف والاسراع فى الخيرات ، وعمل الصالحات .

وان المتتبع للفظين فى القرآن الكريم يلحظ بسهولة ويستبين له بوضوح أنهما يدوران ويبرزان تلك المفاهيم والمدلولات التى أشرنا حول تلك المعانى ، ويتحركان فى هذا الاطار ، اليها وحاولنا كشفها وايضاحها فيما سلف .

واليك بعض الامثلة من آيات وأساليب القرآن التى ضمت اللفظين واشتملت عليهما ومن استعراض هذه الأمثلة وتأملها يتبين صحة ما قلنا وصواب ما قررناه فى شأن المعانى التى يقيدها كلا اللفظين ، فقد ورد الفعلان مقترنين فى آية واحدة من سورة البقرة ، ومن النظرة الأولى لسياق الآية وموقع الفعلين فيها يظهر معنى كل منهما واضحا جليا وفق ما قررنا وحسب ما حددنا فيما تقدم .

قال الله تعالى : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » (٢٨٦) ، من سورة البقرة ، فان لها ماكسبت يعنى : أن ما قدمت من فعل الخير ، وعمل البر ، وصنع المعروف ، ومبادرة الطاعات ، ومعونة المحتاج، ونحوذلك ، انما هو رصيد لها واضافه لسجل أعمالها الصالحة تنعم به وتتمتع بثماره فى الدنيا والآخرة أما : وعليها ما اكتسبت ، فانه يفيد أن ما اقترفت من أوزار وآثام ، وما اجترحت من شرور وسيئات وما ارتكبت من جرائم ومخالفات هو حمل ثقيل ووزر عظيم يضاف الى ما أسلفت من طالح الأعمال وسىء الفعال تؤاخذ به وتحاسب عليه حسابا عسيرا يجلب لها الهلاك والعذاب الشديد ويجر عليها النكال والوبال وتكون عاقبة أمرها خسرا .

وهكذا ترى أن اكتسب تقتصر دلالتها على فعل الشر وارتكاب الاثم ، والوقوع فى المحظور واتيان المنكر كما يستفاد من نص الآية « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ » (١١) سورة النور ، فالآية صريحة فى النص على أن المكتسب هو الاثم ، كما تفيد المعنى نفسه هذه الآية الكريمة الآتية « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا » (٥٨) سورة الأحزاب ، فان معنى الآية هو ان الذين يلحقون الأذى ويسعون فى الاساءة والضرر بالمؤمنين والمؤمنات بغير اثم اقترفوه أو جريرة ارتكبوها ، أو خطيئة وقعوا فيها ، فانهم يتحملون وزرا عظيما ، واثما كبيرا ينالون عليه أشد العذاب وأقسى العقاب يوم القيامة يوم لاينفع مال ولابنون .

وتأمل معى هذه الآيات الكريمة : « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ، وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١٣٤ ، ١٤١) البقرة .

« أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ » (٢٠٢) البقرة ، « يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ

كَسَبَ .. اكتسَبَ

آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِـن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَـا خَيْرًا » (١٥٨) الانعام •

« مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَـادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِـفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَـلَى شَيْءٍ » (١٨) ابراهيم تر أن الفعل (كسب) فيها جاء دالا على فعل الخير وعمل الصـالحات واتباع الطريق المستقيم الذى ينال به المـرء الأجـر الكبير والثواب العظيم ، والجزاء الأوفى متى كان مبنيا على أساس ثابت متين من الايمان الراسخ العميق ثم انظر تلك الآيات :

« وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ » (٢٨١) البقرة •

« فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ » (٢٥) آل عمران

« أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ » (٣٣) الرعد •

« وَقَدْ مَكَرَ الَّـذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْـرُ جَمِيعًـا ، يَعْلَمُ مَا تَكْسِـبُ كُلُّ نَفْسٍ »

« لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَـبَتْ ، إِنَّ اللَّـهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » (٥١) ابراهيم •

« الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ » (١٧) غافر •

« قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِـبُونَ » (١٤) الجاثية •

« كُـلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَـبَ رَهِينٌ » (٢٢) الطور •

« كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَـبَتْ رَهِينَـةٌ » (٣٨) المدثر •

يبين لك ويظهر جليا أن الفعل (كسب) هنا واضح الدلالـة على أن كـل عمـل يعملـه الانسان ، وكل مسعى يسعاه وكل أمر يأتيه فانه سوف يحاسب عليه ويسأل عنه ويجزاه الجزاء الأوفى ، خيرا كان أو شرا ، برا أو اثما ثوابا أو عقابا •

وتـدبر ـ رعاك الله ـ هـذه الآيـات البينات :

« بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (٨١) البقرة •

« وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَـا يَكْسِـبُهُ عَلَى نَفْسِـهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَـدِ احْتَمَـلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًـا » (١١١ ، ١١٢) سـورة النسـاء •

« وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ »(٣٨) المائدة .

« وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ » (١٢٠) الأنعام .

« وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (١٢٩) الأنعام .

« وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ » (٣٩) الأعراف .

« فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً ، وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » ٨٢ التوبة

« وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ » ٢٧ يونس .

« ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ » ٥٢ يونس .

« ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ » (٤١) الروم .

« وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ » (٥٨) الكهف .

« وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ » (٤٥) سورة فاطر .

« أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ » (٢٤) الزمر .

« فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَاكَسَبُوا ، وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ » (٥١) الزمر .

« وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »(١٧) سورة فصلت .

« تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ » (٢٢) سورة الشورى

« وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ » (٣٠) الشورى .

« كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (١٤) سورة المطففين .

اذا أنعمت النظر وفكرت مليا فى الآيات السالفة يظهر لك جليا وتدرك ادراكا تاما أن الفعل (كسب) واضح المعنى صريح الدلالة على ارتكاب الأوزار والمنكرات ، واقتراف الآثام والخطيئات ، واجتراح السيئات الذى يجر على أهله الهلاك والنكال والوبال ، ويقود — والعياذ بالله — الى وخيم العاقبة وسوء المصير .

كسب
اكتسب

واستنادا الى كل ما تقدم واسترشادا به يمكننا أن نقول بكل الثقة ، ودون تردد أو حرج : ان من الخطأ الشائع ما يقال ويتردد كثيرا على ألسنة العامة والخاصة : ان فلانا اكتسب خبرة فى عمله فان الخبرة تقدم وارتقاء ، واجادة للعمل واتقان له ، وتطور الى الأفضل والأحسن ، وهذه كلها محاسن وفضائل ومآثر جليلة تكسب ، ولا تكتسب ، انما الذى يكتسب هو الجهل والاهمال والتخلف ، وسوء المنتج ورداءته ، والتقهقر الى الوراء وغيرها من المثالب والنقائص والمساوىء التى تتنافى وكسب الخبرة ومن هذا القبيل (١) أيضا قول الشاعر القديم :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا
يغنيك محموده عن النسب

ذلك أن الأدب محمدة ومنقبة ، ورفعة مكانة ، وصيت ذائع ، وسمعة مدوية ، ينزل أصحابه منازل العلية والسراة ويضعهم موضع الاجلال ، ويبوئهم مكان الصدارة ، وهذه كلها مناقب عظيمة ، وصفات عالية رفيعة تنال بالكسب لا بالاكتساب .

ومما يسترعى الانتباه ، وتجدر الاشارة اليه ويستحق التنويه به أن هذه المادة لم ترد فى القرآن الكريم الا بصيغة الفعل : ماضيا فقط فى (اكتسب) وماضيا ومضارعا فى (كسب) فلم يرد منها أمر ولا مصدر — ولا اسم أو مفعول ، ولا مبالغة أو تفضيل ، ولا زمان أومكان ، ولا أى نوع من المشتقات ، وانما اقتصرت على الفعل الماضى والمضارع ، وليس لهذا سبب معلوم ولا علة ظاهرة .

هذا : وأرجو ممن رأى زللا أو قصورا أن يغفره فالكمال لله وحده ، أو وجد كبوة أو هفوة أن يتغاضى عنها فلسنا مبرئين من الهفوات ، ولا معصومين من الأخطاء والعثرات ، فان العصمة للانبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، وما أردت الا الخير ، ولا قصدت الا الافادة والنفع ، ونية المرء خير من عمله ، وانما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى .

والله تعالى من وراء القصد ، ومنه الفضل والمنة والعون ، وبه التوفيق والسداد والهدى لسبيل الرشاد ، « وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » صدق الله العظيم ..

أحمد حسن عبد العواض هلالى

---

(١) القبيل الخارج على هذا الاصل .

إذا المفاجأة بين الحرفية والظرفية

إعداد الدكتور ابراهيم حسن ابراهيم

ذكر النحاة أن (اذا) تستعمل فى اللغة العربية على وجهين :

أحدهما : أن تكون للمفاجاة ، كقوله تعالى (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) (١) .

والآخر : أن تكون لغير المفاجأة ، وهى التى تكون ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشرط غالبا ، كقوله عز وجل « **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** » (٢) .

وموضوع هذا البحث الوجه الأول من وجهى (اذا) ، وهو (اذا) المفاجأة .

والمفاجأة : مصدر « فاجأه يفاجئه مفاجأة وفجاء ، أى هجم عليه من غير أن يشعر به ، وقيل : اذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب » (٣) .

فالمفاجاة فى اللغة : الهجوم والبغتة .

أما فى اصطلاح النجاة : فقد قال سيبويه مبينا المراد باذا المفاجأة : « وتكون للشىء توافقه فى حال أنت فيها » (٤) ، أى أن المراد بها الدلالة على أن ما بعدها حاصل فى حال حصول ما قبلها .

وقال بعضهم : المراد بها الدلالة على أن ما بعدها حصل بعد وجود ما قبلها على سبيل المفاجأة (٥) .

الفرق بينها وبين اذا الظرفية الشرطية :

الفرق بينهما من وجوه ، أهمها :

١ ـ أن (اذا) التى لغير المفاجأة تختص

(١) سورة الاعراف ١٠٧ ، ١٠٨

(٢) سورة البقرة ١١

(٣) لسان العرب (فجأ) المجلد الثانى ص ١٠٥٢ ط بيروت .

(٤) الكتاب ٢/٣١١ ط بولاق ، وانظر البرهان للزركشى ٤/١٩٤ ت محمد ابو الفضل

(٥) حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب ١/١٢٧ ط بولاق .

إذا المفاجأة بين الحرفية والظرفية

بالدخول على الجملة الفعلية (١) ، و (اذا) المفاجأة تختص بالدخول على الجملة الاسمية دون الفعلية قيل : مطلقا ، أى سواء اقترنت الجملة الفعلية بقد أم لا ، وهذا مذهب الجمهور ، وقيل : يجوز دخولها على الجملة الفعلية — أيضا — مطلقا ، اقترنت الفعلية بقد أو لا ، وهذا مذهب الكسائى ، وذهب الأخفش وابن عصفور الى جواز دخولها على الجملة الفعلية المقترنة بقد دون المجردة منها ، وقد وجه ابن هشام هذا الرأى بأن (اذا) المفاجأة التزم دخولها على الجملة الاسمية للفرق بينها وبين الشرطية المختصة بالفعلية ، فاذا اقترنت الجملة الفعلية بقد حصل الفرق بذلك ، اذ لا تقترن الشرطية بها (٢) .

والصحيح ما ذهب اليه الجمهور ، لعدم السماع بما أجازه غيرهم .

٢ — أن (اذا) التى لغير المفاجأة لابدلها من جواب اذا تضمنت معنى الشرط ، وهذا هو الغالب فيها ، فان تمحضت للظرفية لم تحتج الى جواب ، كقوله تعالى « وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ » (٣) فاذا فى الآية الكريمة ظرف لخبر المبتدا بعدها ، ولو كانت شرطية لاقترنت جملة « هُمْ يَغْفِرُونَ » بالفاء وجوبا ، (٤) وكذا لا نحتاج الى جواب ان خرجت عن الظرفية فاستعملت اسما غير ظرف ، لأنها حينئذ لا تضمن معنى الشرط ، كقوله عز وجل « حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا » ، (٥) فاذا فى الآية الكريمة عند الأخفش اسم مجرور بحتى ، والتقدير : سيقوا الى وقت مجيئهم اياها ، فهى زمان مجرور لا ظرفية ولا شرطية (٦) .

أما (اذا) المفاجأة فهى لا تحتاج الى جواب ، لعدم تضمنها معنى الشرط فى أى حال .

٣ — أن (اذا) التى لغير المفاجأة — وهى الظرفية الشرطية — لها الصدارة كسائر أدوات الشرط ، و (اذا) المفاجأة لا تقع فى صدر الكلام ، لأن الغرض من الاتيان بها — كما قال الدمامينى — الدلالة على أن مابعدها حصل بعد وجود ما قبلها على سبيل المفاجأة فلابد لحصول هذا الغرض من تقدم شىء عليها ، فلزم أن لا تقع فى الابتداء (٧) .

٤ — أن (اذا) التى لغير المفاجأة للاستقبال (٨) ، و (اذا) المفاجأة للحال .

قال سيبويه : « وتكون للشىء توافقه فى حال أنت فيها » (٩) ، ومعنى كونها للحال الدلالة على أن ما بعدها حاصل فى حال حصول ماقبلها وان كانا ماضيين نحو قولك : خرجت أمس فاذا

---

(١) انظر مغنى اللبيب ٩٣/١ ت محيى الدين ؛ والأشمونى ٢٥٩/٢ ط الحلبى .
(٢) مغنى اللبيب ١٧٥/١ .
(٣) سورة الشورى ٣٧
(٤) انظر مغنى اللبيب ١٠٠/١

(٥) سورة الزمر ٧١ ، ٧٣
(٦) (اذا) التى لغير المفاجاة لا تفارقها الظرفية عند الجمهور ، ولاتخرج عن الشرطية الا قليلا .
(٧) تحفة الغريب للدمامينى ١٤٤/١ ، وانظر الدسوقى ١٢٧/١ .
(٨) قد تجىء للماضى كقوله تعالى (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) ، وللحال بعد القسم كقوله عز وجل (والليل اذا يغشى) .
(٩) الكتاب ٣١١/٢ .

زيد بالباب أى : ففاجأ خروجى وجود زيد بالباب .

وقال الفراء (١) : وقد يتراخى ، كقوله تعالى (**ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**) (٢) .

نوع (اذا) المفاجاة :

اختلف النحويون فى نوعها على ثلاثة أقوال :

الأول : أنها حرف ، وهو مذهب الأخفش ، ونسب الى الكوفيين (٣) ، واختاره ابن مالك .

الثانى : أنها ظرف مكان ، وهو مذهب المبرد ، والفارسى ، وابن جنى ، وتسب الى سيبويه ، واختاره ابن عصفور .

الثالث : أنها ظرف زمان ، وهو مذهب الزجاج ، والرمانى ، والرياشى ، ونسب الى المبرد . قيل : وهو ظاهر كلام سيبويه ، واختاره الزمخشرى وابنا طاهر وخروف .

والرأى الأول هو أرجح هذه الآراء ، لسلامته من النقض الذى وجه الى غيره ، ومن أهم ما ضعف به قول القائلين بكونها ظرفا للزمان أو المكان أمور أربعة .

١ ــ قولهم : « خرجت فاذا ان زيدا بالباب » ، وقول الشاعر :

وكنت أرى زيدا كما قيل سيدا
اذا انه عبد القفا واللهازم (٤)

رواه سيبويه بكسر همزة « انه » وقال : « وسمعت رجلا من العرب ينشد هذا البيت كما أخبرك به » وأنشد البيت .

فلو كانت (اذا) المفاجأة غير حرف لكانت ظرف زمان أو مكان ، فتحتاج حينئذ الى عامل ، وليس ما قبل الفاء قطعا فى المثال ، لأن ما قبلها لا يعمل فيما بعدها ، فلم يبق الا ما بعدها وهو خبر (ان) فى المثال والبيت ، ولا يصح عمل هذا الخبر فى (اذا) ، لأن خبر (ان) لا يعمل فيما قبلها . وقد يقال : ان العامل ــ هنا ــ مقدر من مادة المفاجأة وحينئذ فلم يتم هذا الترجيح فالجواب أن تقدير العامل تكلف لاداعى اليه لاستقامة المعنى على الحرفية (٥) .

قال المرادى فى الجنى الدانى : « هذا من أحسن أدلة القائلين بحرفيتها » (٦) .

٢ ــ وقوعها موقع الحرف ، فهى تقع رابطا لجواب الشرط خلفا للفاء ، نحو قوله تعالى « **وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ** (٧) ، كما تقع مؤكدة للفاء كقوله عز وجل « **حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم**

---

(١) الجنى الدانى ص ٣٦٤ ت طه محسن ط بغداد .

(٢) سورة الروم ٢٠ .

(٣) انظر البحر المحيط بيروت ١/ ٦٠ ، ٤/ ٣٥٧ ، ٦/ ٢٥٩ ، والجنى الدانى ص ٣٦٦ .

(٤) البيت من شواهد سيبويه ، لم يعلم قائله ، وهو من الطويل ، وقد استشهد به سيبويه فى الكتاب ١/ ٤٧٢على وقوع (ان)بعد اذا الفجائية ، واللهازم : جمع لهزمة بكسر الاول والثالث ولكل انسان لهزمتان ، وهما عظمان ناتئان فى اللحيين تحت الأذنين ، ومعنى قوله « عبد القفا واللهازم » : اذا نظرت الى قفاه ولهزمتيه تبينت عبوديته لؤمه ، لان القفا موضع الصفع واللهزمه موضع اللكز .

وأنظر فى البيت المقتضب ٢/ ٣٥٠ ت عضيمة وابن يعيش ٤/ ٩٧ ، ٨/ ٦١ بيروت ، الخصائص ٢/ ٣٩٩ ط بيروت ، والاشمونى ١/ ٢٧٦ ، والتصريح ١/ ٢١٨ ط الحلبى .

(٥) انظر حاشية الدسوقى ١/ ١٢٧

(٦) ص ٣٦٨

(٧) سورة الروم ٣٦ .

● إذا المفاجأة

بين الحرفية والظرفية

مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا » (١) •

٣ ــ لو كانت ظرفا ما كان لها موجب للبناء كما كان لها فى غير المفاجأة ، وهو اضافتها لزوما الى الجملة (٢) • ذلك أن القائلين بظرفيتها لا يحتمون وقوع الجملة بعدها ، فاذا وقع بعدها مفرد صح عندهم جعلها خبرا مقدما والمفرد بعدها مبتدأ مؤخرا ، وصح تقدير خبر لهذا المفرد ، فافتقارها الى الجملة عندهم ليس افتقارا متأصلا يستوجب البناء كحالها فى غير المفاجأة ، اللهم الا أن يقال ان بناءها انما هو بالحمل على (اذا) التى لغير المفاجأة •

٤ ــ لزوم عدم الاطراد الا بتكلف على وجهى الظرفية ، فعلى القول بأنها ظرف مكان لا يصح المعنى الا بتكلف فى نحو قولهم : خرجت فاذا الأسد بالباب ، اذ التقدير : فبالمكان الأسد بالباب !! قال الرضى : « لامعنى لقولك : فبالمكان السبع بالباب فى تأويل قولهم : خرجت فاذا السبع بالباب » (٣) ، ومثل ذلك يقال لوقيل ان التقدير : فبالحضرة السبع بالباب ، بل حكم بعض النحاة على فساد هذا التقدير قال المالقى : « أما جعلها ظرفا بمعنى (بالحضرة) ففاسد ، لأنها كان يجوز تقديمها على الاسم وتأخيرها بعده ، كما يجوز تقديم (بالحضرة) وتأخيره ، ولزوم تقديم (اذا) فى كل كلام تكون فيه للمفاجأة دليل على الفساد » (٤) • أى لو جعلت ظرفا مرادفا لقولك بالحضرة أو بالمكان لجاز تقديمها على الاسم المرفوع [illegible]دها [illegible] أخـ[illegible] عنه كما هو بمعناه ، فلما امتنع لا تصلح لمثل [illegible] التقدير •

وعلى القول بأنها ظرف زمان لا يصـ[illegible]ـونها خبرا فى نحو : خرجت فاذا الأسد ، ذلك أن الزمان لايكون خبرا عن الجثة أى الذات ، وحينئذ لابد من تكلف تقدير مضاف الى الذات يكون اسم معنى ، أى فاذا حضور الأسد ، ليقع الزمان خبرا عن الحضور وهو معنى •

وقد أجاب بعض من يرى أنها ظرف عن بعض ماوجه الى هذا الرأى من نقض أو نقد فكانت الاجابة كفاء الرأى من ضعف وهزال ، وتكلف واضطراب •

ومن ذلك ــ مثلا ــ قولهم : ان فى الكلام حذفا فى نحو : خرجت فاذا ان زيدا منطلق ــ بكسر همزة ان ، فالتقدير : خرجت فاذا انطلاق زيد انه منطلق ، فتكون (اذا) خبرا لمبتدا محذوف ، والعامل فيها الكون المقدر ، والجملة المبدوءة بان دليل على المحذوف (٥) وما أظن تكلفا فى التأويل فاق هذا التكلف ، وكان الأيسر (٦) • أن يقال : ان العامل محذوف مقدر من مادة المفاجأة ــ كما تقدم ــ فتكلف اضمار العامل خير من تكلف اضمار

---

(١) سورة الأنبياء ٩٦ ، ٩٧ •

(٢) انظر رصف المبانى فى شرح حروف المعانى للمالقى ص ٦٢ ت أحمد الخراط •

(٣) شرح الكافية ١٠٣/١ ط بيروت

(٤) رصف المبانى ٦٢

(٥) الجنى الدانى ٣٦٨

(٦) مع تسليمنا بضعفه كما سياتى •

المبتدإ على النحو المذكور فى التقدير السابق ، ففيه التزام حذف المبتدإ فى غير المواضع التى نص فيها على التزام هذا الحذف ، كما أنه يفضى الى غير المقصود بجعله الكلام بعد الفاء جملتين ، أولاهما : فاذا انطلاق زيد ، وثانيتهما استئناف لتأكيد الاولى : ان زيدا منطلق ، وما أظن هذا المعنى مقصود المتكلم بهذا الأسلوب •

ومن ذلك — أيضا — رد الدمامينى على اعتراض الرضى على مذهب المبرد بقوله : « وماذكره (أى المبرد) لا يطرد فى جميع مواضع اذا المفاجأة ، اذ لا معنى لقولك : فبالمكان السبع بالباب فى تأويل : خرجت فاذا السبع بالباب » • أجاب الدمامينى مدافعا عن مذهب المبرد : « وفيه نظر ، لامكان كون « بالباب » بدلا من « المكان » ، لكن فيه الفصل بالمبتدإ بين البدل والمبدل منه ، ويجوز أن يكون خبر مبتدإ محذوف »(١) •

وهكذا يقع الدمامينى — فى رده — فيما فر منه كما يقولون ، ففى التكلف الذى فر منه وقع فاما لزوم للفصل بالمبتدا بين البدل والمبدل منه ، وهذا الفصل مظنة القطع لا الاتباع كما هو معلوم ، واما التزام حذف المبتدإ فى غير ما نص عليه فى مواضع هذا الحذف مع جعل ما بعد الفاء جملتين وفيه مافيه كما سبق •

ناصب (إذا) عند القائلين بظرفيتها ••

اذا وقع بعدها مفرد نحو : دخلت البيت فاذا زيد ، صح جعلها خبرا عنه مقدما — كما سبق — وعاملها — حينئذ — الاستقرار المحذوف (٢) •

فاذا وقع بعدها جملة — ولاتكون الاسمية على الصحيح كما تقدم — نحو : دخلت البيت فاذا زيد جالس ، كانت (اذا) منصوبة بالخبر المذكور ، أى فبالحضرة زيد جالس ، أو ففى الوقت زيد جالس ، ويجوز أن تقول : دخلت فإذا زيد جالسا ، فتجعل الخبر محذوفا — وهو الناصب لإذا — و «جالسا» حالا من الضمير المستكن فى الخبر ، والتقدير : فاذا زيد حاضر فى حال كونه جالسا ، كما يجوز لك فى نحو : دخلت فاذا زيد ، أن تقدر الخبر محذوفا وتجعله الناصب لإذا •

ومجمل ماتقدم أنه ان وقع بعدها مفرد ولم يقدر الخبر محذوفا كانت هى الخبر ، وعاملها الاستقرار المحذوف ،واذا وقع بعدها جملة صرح فيها بالخبر أو قدر ، كان الخبر المذكور أو المقدر عامل النصب فيها•

قال ابن هشام فى مغنى اللبيب ١/٨٧ : « لم يقع الخبر معها فى التنزيل الا مصرحا به ، نحو (**فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**) (٣) (**فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ**) (٤) ، (**فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ**) (٥) ، (**فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ**) (٦) ، (**فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ**) (٧) » •

وصرح الزمخشرى فى مواضع من الكشاف بأن عاملها فعل مقدر من لفظ المفاجأة ، فقال فى

---

(١) تحفة الغريب ١/١٤٥ •

(٢) انظر بن يعيش ٨/٦٢ ، ومغنى اللبيب ١/٨٧ •

(٣) سورة طه ٢٠ •

(٤) سورة الانبياء ٩٧ •

(٥) سورة يس ٢٩ •

(٦) سورة الأعراف ١٠٨ ، وسورة الشعراء ٣٣ •

(٧) سورة النازعات ١٤ •

إذا المفاجأة بين الحرفية والظرفية

سورة طه فى تفسير قوله تعالى (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى) (١)

« يقال فى اذا هذه اذا المفاجاه ، والتحقيق فيها أنها اذا الكائنة بمعنى الوقت ، الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها ، خصت فى بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا ، وهو فعل المفاجأة ، والجملة ابتدائية لا غير ، فتقدير قوله تعالى « فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم » (٢) .

وقال فى سورة الروم فى قوله تعالى « ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ » (٣) .

« واذا للمفاجأة ، أى : ثم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الأرض » (٤) .

وقال فى سورة الزخرف فى قوله تعالى « فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ » (٥) .

« فان قلت : كيف جاز أن يجاب « لما » ب « اذا » المفاجأة ؟ قلت : لأن فعل المفاجأة معها مقدر ، وهو عامل النصب فى محلها ، كأنه قيل: فلما جاءهم بآياتنا فاجئوا وقت ضحكهم » (٦)

ولم يقبل أبو حيان تقدير الزمخشرى فقال :

(١) سورة طه ١٦
(٢) الكشاف ٥٧/٣ الطبعة الثانية ط . الاستقامة .
(٣) سورة الروم ٢٠ .
(٤) الكشاف ٣٧٢/٣ .
(٥) سورة الزخرف ٤٧ .
(٦) الكشاف ٣٠١/٤ .

« ولا نعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه هذا الرجل من أن (اذا) الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره : فاجأ » (٧) . ووضح العلامة الرضى سر ضعف هذا التقدير فقال :

« ويجوز أن يكون ظرف الزمان مضافا الى الجملة الاسمية وعامله محذوف على ما قال المصنف ، أى ففاجأت وقت وجود السبع بالباب ، الا أنه اخراج لاذا عن الظرفية ، اذ هى اذن مفعول به لفاجأت ، ولاحاجة لهذه الكلفة ، فاناذا الظرفية غير متصرفة على الصحيح » (٨) .

فلو أن تقدير الزمخشرى كان المعنى معه صحيحا ، ولم يخرج عن قواعد العربية ، ماضره انفراده به وعدم علم ابى حيان أو غيره نحويا ذهب الى ما ذهب اليه ، لكن تقديره مخالف لقواعد العربية لافضائة الى جعل (اذا) الفجائية اسما غير ظرف وقع مفعولا به لفعل محذوف تقديره : فاجأ ، دون حاجة أو دليل .

واعترض أبو حيان على تقدير الزمخشرى من جهة المعنى أيضا ، فقال :

« ثم المفأجاة التى ادعاها لايدل المعنى على أنها تكون من الكلام السابق ، بل المعنى يدل على ان المفاجأة تكون من الكلام الذى فيه (اذا) . تقول : خرجت فاذا الاسد ، والمعنى : ففاجأنى الأسد ، وليس المعنى :ففاجأت الأسد » (٩) .

مواضعها

تقع (اذا) الفجائية فى أربعة مواضع :

١ ــ أن تكون مسبوقة بفعل ماض ،

(٧) البحر المحيط ٢٠/٨ .
(٨) شرح الكافية ١٠٣/١ .
(٩) البحر المحيط ٢٠/٨ ، ٢١ .

كقولهم : خرجت فاذا زيد بالباب .

وقد اختلف النحاة فى نوع الفـاء الداخلة عليها ، فذهب المازنى والفارسى ومن وافقهما الى أنها زائدة لازمة ، وليس بشىء ، لأن الأصل عدم الزيادة ، ولمجىء (ثم) بدلا منها فى نحو قوله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ » (١) .

وذكر أبو بكر مبرمان الى أنها للعطف حملا على المعنى ، أى خرجت ففاجأت كذا . قال الرضى : « وهو قريب » (٢) ، ويؤيده مجىء (ثم) بدلا منها كالآية السالفة .

ونقل عن الزيادى أنها فاء الجزاء دخلت على حد دخولها فى جواب الشرط ، ولعله — كما قال الرضى — أراد أنها فاء السببية التى المراد منها لزوم ما بعدها لما قبلها ، أى مفاجأة الأسد لازمة للخروج (٣) .

ولابن جنى فى المسألة رأيان ، أحدهما فى الخصائص ٣/ ٣٢٠ أيد فيه مبرمان ، والثانى فى سر الصناعة ١/ ٢٦٢ أيد فيه المازنى (٤) .

٢ — أن تقع فى جواب الشرط خلفا للفاء . قال ابن مالك :

وتخلف الفاء (اذا) المفاجاة

كـ « ان تجد اذا لنا مكافاة »

وشرط النحاة لوقوع (اذا) المفاجأة فى جواب الشرط أن تكون الأداة (ان) أو (اذا)، وأن يكون الجواب جملة اسمية غير طلبية أو منفية أو منسوخة ، ومن ذلك قوله تعالى « وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ » (٥) وقوله عز وجل « ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ » (٦) .

وانما قامت (اذا) الفجائية مقام الفاء هنا لأنها مثلها فى عدم الابتداء بها ، وفى افادة التعقيب ، فكل منهما لابد أن يسبق بكلام معقب بما بعدهما .

وأما نحو : ان عصى زيد فويل له ، وان قام عمرو فما خالد قائم ، وان حضر على فان بكرا حاضر ، فيتعين فيها الفاء ، لأن الجواب فى الأول جملة اسمية طلبية دعائية ، والطلب ينافى المفاجأة ، لأن المفاجأة انما تكون بحصول مضمون الخبر ، وفى الثانية اسمية منفية ، وفى الثالثة اسمية منسوخة ، وكل من المنفى والمنسوخ مظنة القطع عما قبله والاستئناف ، فكان لابد لهما من رابط قوى أصيل وهو الفاء ، واشترط فى الربط باذا الفجائية أن تكون الأداة (ان) أو (اذا) ، لأن (ان) أصل الأدوات الجازمة و (اذا) الشرطية أصل أدوات الشرط غير الجازمة ، فاكتفى معهما بأدنى رابط ، واشترط أيضا للربط باذا أن يكون الجواب جملة اسمية لاختصاصها بالدخول على الجمل الاسمية (٧) .

٣ — بعد (لما) الحينية ، كقوله تعالى « فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ » (٨) وقوله عز وجل « فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ » (٩) . قيل :

(١) سورة الروم ٢٠ .
(٢) شرح الكافية ١/ ١٠٤ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) وانظر الجنى الدانى ١٢٨ ، ومغنى اللبيب ١/ ١٦٧ .
(٥) سورة الروم ٣٦ .
(٦) سورة الروم ٢٥ .
(٧) انظر الأشمونى وحاشية الصبان عليه ٤/ ٢٣ ، والجنى الدانى ٣٦٦ ، ٣٦٧ .
(٨) سورة الأنبياء ١٢ .
(٩) سورة الزخرف ٤٧ .

إذا المفاجأة بين الحرفية والظرفية

وهذا دليل على حرفية (لما) الحينيية ، اذ لو كانت ظرفا لكان جوابها عاملا فيها ، و (اذا) الفجائية لا يعمل مابعدها فيما قبلها ، ولعل القائلين باسميتها لايرون أنها مضافة وبذلك يكون عامل النصب فيها على الظرفية فعل الشرط

٤ ــ بعد (بينا) و (بينما) ، كقول هند بنت النعمان بن المنذر :

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقة نتنصف (١)

وقول الآخر :

بينما المرء فى فنون الأمانى
فاذا رائد المنون موافى (٢)

« وقال الأصمعى : اذ ، واذا فى جواب بينا وبينما لم يأت عن فصيح . والصحيح أنه عربى ، ولكن تركهما أفصح » (٣) .

جواز كون المبتدإ بعدها نكرة

لا تقع النكرة مبتدأ الا اذا أفادت . قال ابن مالك :

« فلو اقترن بالنكرة قرينة تتحصل بها الفائدة جاز الابتداء بها ، ومن القرائن التى تتحصل بها الفائدة الاعتماد على (اذا) المفاجأة ، كقولك : انطلقت فاذا سبع فى الطريق ، وأتيت زيدا فاذا رجل يخاصمه ، ومنه قول الصاحب رضى الله عنه : اذا رجل يصلى (٤) ، ومنه قول الشاعر :

حسبتك فى الوغى مردى حروب
اذا خور لديك فقلت سحقا (٥)

المسألة الزنبورية :

تقدم ان (اذا) المفاجأة تختص بالدخول على الجملة الاسمية (٦) ، وأنه يجوز لك أن تقول : خرجت فاذا زيد جالس ، أو جالسا ، فان رفعت النكرة كانت خبرا ، وان نصبتها كانت حالا والخبر محذوف ، وهذا محل اتفاق بين النحاة، لكنهم اختلفوا فى نحو : خرجت فاذا عبد الله القائم ، أى فيما اذا كان الواقع بعد (اذا) معرفتين ، فالبصريون يوجبون رفع ثانيهما على الخبرية ، والكوفيون يجيزون فيه النصب والرفع ، ومن ذلك قول العرب « قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى » ، فسيبويه أنكر أن يقال « فاذا هو اياها » لما سأله الكسائى فى مجلس يحيى بن خالد البرمكى وزير هارون الرشيد ، وأصر على أن صحة القول « فاذا هو هى » كما أصر على أن قولهم أخرجت فاذا عبد الله القائم ، لا يكون الا برفع « القائم » ، فى حين أن الكسائى جوز أن يقال : فاذا هو هى ، و : فاذا

---

(١) انظر فى البيت أمالى ابن الشجرى الطبعة الاولى ٢/١٧٥ ، ومغنى اللبيب ١/٢١١ ، وهمع الهوامع ط بيروت ١/٢١١ ، والدرر اللوامع ط بيروت ١/١٧٨ ، الجنى الدانى ٣٦٧ ، ولسان العرب المجلد الاول ص ٣٠١ (بين) .

(٢) انظر الجنى الدانى ٣٦٧ .

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) ومنه : « دخل النبى صلى الله عليه وسلم فاذا حبل ممدود .... الحديث «أخرجه البخارى فى ١٩ ــ كتاب التهجد ، ١٨ ــ باب مايكره من التشديد فى العبادة .

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ص ٤٥ ط بيروت .

(٦) أى عند القائلين بحرفيتها ، أما القائلون بظرفيتها فيجوزون دخولها على الاسم المفرد واقعة خبرا مقدما عنه كما تقدم .

هو اياها ، والقائم بالرفع وبالنصب قائلا : العرب ترفع كل ذلك وتنصبه .

وعرفت هذه المناظرة بين سيبويه والكسائى بالمسألة الزنبورية ، ولخطورة هذه المناظرة — كما قال شيخنا الشيخ محمد الطنطاوى (١) . نوهت عنها أغلب كتب الأدب والتراجم والتاريخ ، والذى يهمنا هو الوجه النحوى فى المسألة ، وقد حسم القرآن الكريم هذا الخلاف النحوى ، فجاء مؤيدا لرأى سيبويه ، كقوله تعالى « فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ » (٢) ، « فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى » (٣) فلم يقع بعد ضمير الرفع الواقع بعد (اذا) الا المرفوع ، وهو — وان كان نكرة — بمثابة المعرفة لكونه موصوفا ، لذلك كان مارآه سيبويه هو وجه الكلام . قال ابن هشام : وأما « فاذا هو اياها — ان ثبت — فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء ، كالجزم بلن ، والنصب بلم ، والجر بلعل ، وسيبويه وأصحابه لايلتفتون لمثل ذلك ، وان تكلم بعض العرب به » (٤) .

وقد ذكر ابن هشام فى مبحث « اذا » خمسة أوجه ذكرها العلماء لتخريج « فاذا هو اياها » ، لا يخلو واحد منها من التكلف والاضطراب .

الوجه الأول : لأبى بكر بن الخياط ، وهو أن (اذا) ظرف مكان متضمن معنى وجدت ورأيت ، وقع خبرا مقدما عن ضمير الرفع بعده ، ونصب ضمير النصب « اياها » على

(١) نشأة النحو ص ٤٣ — الطبعة الثانية تعليق الاستاذ الدكتور عبد العظيم الشناوى، والاستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى .
(٢) سورة الاعراف ١٠٨ ، والشعراء ٣٣ .
(٣) سورة طه ٢٠
(٤) مغنى اللبيب ١/٩١ .

المفعولية بتضمنه معنى الفعل ، والتقدير عليه : ففى الحضرة وجدته — أى الزنبور — اياها .

وهذا التوجيه خطأ من جهتين :

الأولى : أن الأسماء المتضمنة للمعانى لا تنصب المفاعيل الصريحة كالمفعول به والمفعول المطلق ، والمفعول معه ، وانما تنصب غيرها كالظرف والحال ، وهنا نصب الاسم المتضمن معنى وجد المفعول به .

والثانية : أن الفعل الذى تضمن الظرف معناه ينصب مفعولين ، فهو يحتاج — على هذا التوجيه — الى فاعل ومفعول آخر ، ولو كان ما يليه هو المفعول الآخر لكان منصوبا لا مرفوعا .

والوجه الثانى : لابن مالك ، وهو أن ضمير النصب « اياها » استعير فى مكان ضمير الرفع « هى » كما استعير ضمير الرفع فى مكان ضمير الجر فى قولهم : ما أنا كأنت ، ولا أنت كأنا .

ويشهد لهذا التوجيه قراءة الحسن البصرى (اياك يعبد) (٥) ، اذ الأصل : أنت اله يعبد ، وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة . حذف الموصوف استغناء عنه بالصفة ، ثم استعير ضمير النصب « اياك » فى مكان ضمير الرفع « أنت » ، أى وضع موضعه . وضعف هذا التوجيه بعدم اطراده ، فهو لا يتأتى فيما أجازه الكوفيون من نحو : فاذا عبد الله القائم بنصب القائم » ، وحينئذ يحتاج مثل هذا التعبير الى توجيه آخر ، وقد ذكر ابن هشام أنه ينبغى أن يوجه على أنه

(٥) سورة الفاتحة ٥ — وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١ ط الرحمانية .

إذا المفاجأة بين الحرفية والظرفية

نعت مقطوع ، فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره : أعنى ، أو أذكر ، وجملة النعت المقطوع مستأنفة فلا محل لها من الاعراب ، وهذا التوجيه لا يتأتى على رأى القائلين بحرفية (اذا) الفجائية ، اذ هؤلاء يوجبون دخولها على جملة اسمية ، وعليه لا توجد جملة ، لأنه لو قدر « عبد الله » مبتدأ خبره محذوف ، فلا يجوز تقديره بعد جملة النعت المقطوع ، لأن الاستئناف لا يكون الا بعد تمام الكلام ، فلا يجوز أن يوجد بعده ما هو من تمام ما قبله ، ولا يجوز تقديره قبل النعت حتى لا يفصل بين النعت والمنعوت ، اللهم الا اذا قيل ان الفصل هنا جائز لكون النعت مقطوعا ، أو قيل ان جملة النعت المقطوع ليست مستأنفة وانما فى محل نصب حال من الضمير المستكن فى الخبر المحذوف .

وهناك توجيه آخر لنصب « القائم » ذكره ابن هشام أيضا ، وهو أن يكون حالا على زيادة أل وهذا تخريج على الشذوذ ، لأن زيادة « أل » فى الحال ليس مما يقاس حتى يجوز فى أى استعمال كان من غير سماع .

والوجه الثالث : لابن مالك أيضا ، وهو أن « اياها » مفعول به لفعل محذوف ، والأصل فاذا هو يساويها أو يشابهها ، فالجملة الفعلية فى محل رفع خبر ، ثم حذف الفعل فانفصل الضمير ونظير هذا التوجيه فى حذف الخبر الفعلى قراءة على رضى الله عنه « **لئن أكله الذئب ونحن عصبة** » (١) بنصب « عصبة » ، أى : نوجد عصبة أو نرى عصبة . قال ابن خالويه : « سمعت ابن الأنبارى يقول : هذا كما تقول العرب : انما العامرى عمته (٢) ، أى يتعهد عمته » (٣) .

وضعف هذا التوجيه بعدم اطراده كسابقه ، اذ لا يتأتى فى الاسم الظاهر ، فيخرج على أنه نعت مقطوع أو حال على زيادة أل وفى هذين التوجيهين ما فيهما من ضعف وتكلف . ويلاحظ أن وجهى ابن مالك لا نظير لهما الا فى قراءة شاذة أو نادر من النثر ، وهذا ضعف آخر يضاف الى عدم الاطراد . ولا يقال ان التخريج الأخير على حذف الخبر الفعلى له نظير فى الصحيح المتواتر ، وهو قوله تعالى « **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ** » (٤) ، اذ التقدير : قالوا ما نعبدهم ، فالجملة الفعلية المحذوفة فى محل رفع خبر الذين » ، لأن الخبر الفعلى المحذوف فى الآية الكريمة هنا مستسهل حذفه عند العرب والنحاة لكونه قولا ، وأيضا ليس هذا الاعراب هنا متعينا ، اذ يجوز أن يكون خبر « **الذين** » : « **إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ** » ، وجملة : قالوا ما نعبدهم حال من فاعل « اتخذوا » ، أى اتخذوهم قائلين ما نعبدهم ، أو بدل اشتمال من « اتخذوا » الواقعة صلة للموصول (٥) .

والوجه الرابع : للأعلم ، وهو أن ضمير

---

(١) سورة يوسف ٨ وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٦٢ .
(٢) بنصب « عمته » .
(٣) المرجع السابق .
(٤) سورة الزمر ٣ .
(٥) انظر البحر المحيط ٤١٥/٧ .

النصب « اياها » مفعول مطلق ، والأصل ، فاذا هو يلسع لسعتها ، ثم حذف الفعل ، ثم المضاف ، فصار الضمير منفصلا نائبا مناب المفعول المطلق ، ونظيره في حذف الفعل قول العرب « مازيد الا شرب الابل » بنصب « شرب » والأصل : ما زيد الا يشرب شرب الابل .

ويؤخذ على هذا التوجيه كثرة الحذف ، ففيه حذف الفعل والفاعل والمفعول المطلق وهو المضاف . قال الشلوبين : « هو أشبه ما وجه به النصب » (١) .

والوجه الخامس : لابن الحاجب ، وهو أنه منصوب على الحال من الضمير في الخبر المحذوف ، والأصل : فاذا هو ثابت مثلها ، ثم حذف الخبر ، والحال وهو كلمة « مثل » النكرة المضافة الى الضمير دون أن تكتسب منه التعريف لتوغلها في الابهام ، فصار الضمير منفصلا قائما مقام المضاف المحذوف في النصب على الحال .

ونظير هذا قولهم « قضية ولا أبا حسن لها » ، فمن المعلوم أن « لا » النافية للجنس لا تعمل الا في النكرات ، ومن ثم قال سيبويه ان الأصل : ولا مثل أبي حسن لها ، فاسم (لا) نكرة وهو « مثل » ، وقد حذف وأقيم المضاف اليه مقامه فأعرب باعرابه (٢) .

ونظيره أيضا — عند الخليل — قولهم « له صوت صوت الحمار » ، بالرفع صفة لصوت على تقدير حذف مضاف هو « مثل » ، وعند ابن مالك « مررت برجل زهير » و « هذا رجل زهيرا » ، بخفض « زهير » في الأول على أنه صفة للنكرة على تقدير : « مثل زهير » ، ونصبه في الثاني على الحال على تقدير حذف مضاف هو كلمة « مثل » أيضا .

وعلى الرغم من كثرة نظائر توجيه ابن الحاجب ، عده ابن هشام غريبا ، لكون المعرفة الواقعة خلفا في التنكير لكلمة « مثل » هي الضمير ، ومن المعلوم أن الضمير أعرف المعارف .

وأيا ما كان الأمر فمهما حاولنا ايجاد تخريج قوى فلن نستطيع ، وانها لمحاولات مشكورة تلك التي بذلها السادة العلماء لايجاد محمل صحيح لما أجازه الكسائي ، وان كان كل ما ذكروه لا يخلو من ضعف وتكلف ، ومع ذلك فان أرجح هذه الآراء — في نظري — توجيه ابن الحاجب لكثرة نظائره ، ولا غرابة في وقوع الضمير موقع النكرة ، ومن ذلك ما ذكره ابن هشام في « المواضع التي يعود الضمير فيها على متاخر لفظا ورتبة » (٣) من نحو قولهم « ربه رجلا » ، و « ربه امراة » .

وبالله التوفيق ..

دكتور / ابراهيم حسن ابراهيم

---

(١) مغني اللبيب ٩٢/١ .
(٢) انظر كتاب سيبويه ٣٥٥/١ .
(٣) معنى اللبيب ص ٤٩١ .

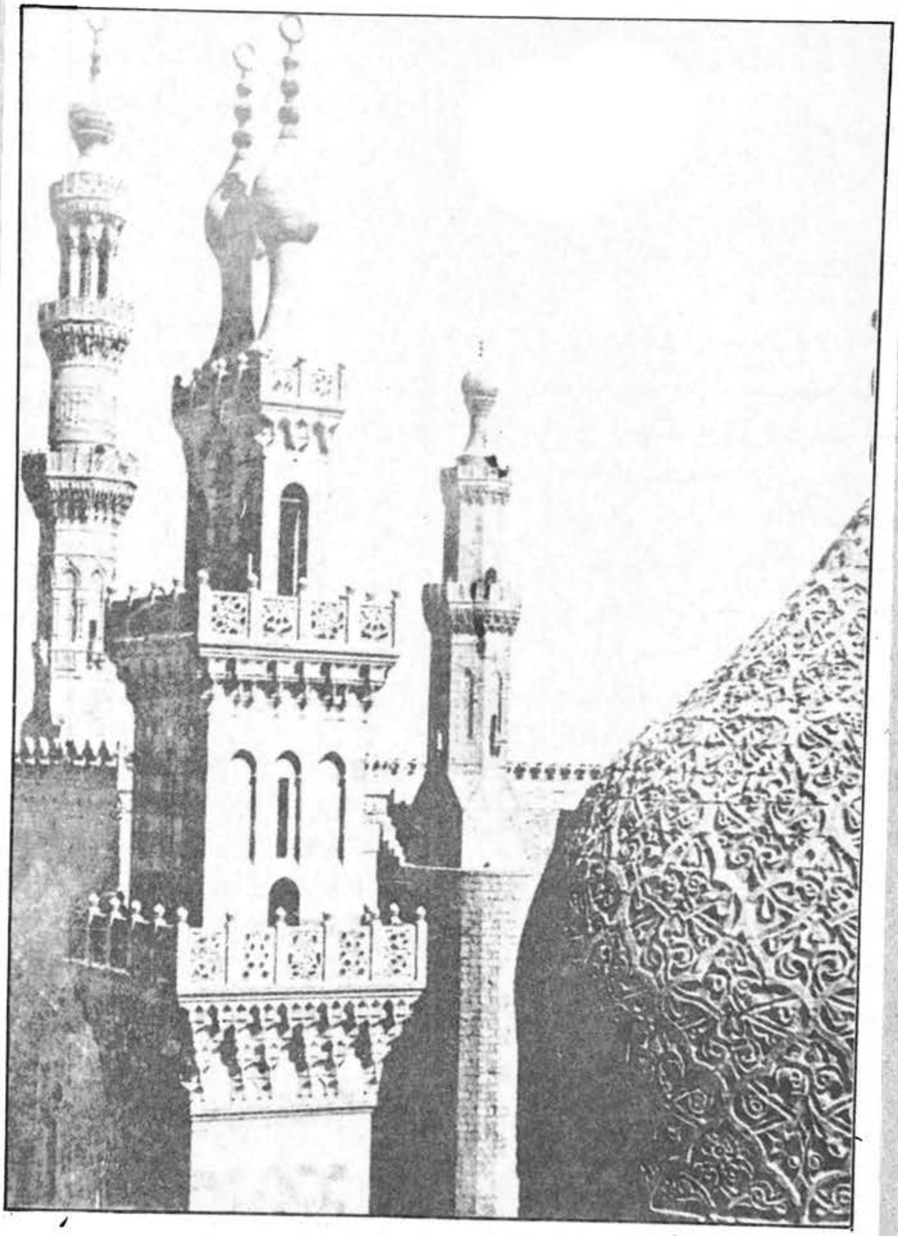

جولة مع شاعر أبوللو المغرد :

الدكتور مختار الوكيل

فى ديوانه موكب الذكريات

بقلم أحمد مصطفى حافظ

صاحب هذا الديوان ـ موكب الذكريات ـ هو الشاعر الدكتور مختار الوكيل ، أحد أقطاب جماعة أبوللو الشعرية ، التى أنشأها الدكتور أحمد زكى أبو شادى فى خريف عام ١٩٣٢ ، وأسند رئاستها الى أمير الشعراء أحمد شوقى ، قبيل وفاة شوقى بأيام قلائل .. ولابد لنا من الوقوف على نبذة وافية عن موكب ذكريات عمره ، لتتضح الرؤية أمامنا ، ونستطيع أن نتفهم مشاعره وأحاسيسه ، على ضوئها .

ولد شاعرنا فى قرية صغيرة من قرى ريف مصر بالدقهلية ، هى بلدة (أجا) ، فى العشرين من مايو ١٩١١ ، بين ظهرانى أسرة ميسورة الحال ، تعيش فى كنف أرض تملكها ، وكان عميدها ـ والده ـ يعمل ضابطا بالجيش ..

وبلدة أجا معروفة بجمالها الطبيعى الأخاذ ، لوقوعها على شاطىء ترعة المنصورية ، التى تتفرع من النيل ، وتصب عند فرعه بمدينة المنصورة ، على بعد ٢٠ كم من بلدة أجا .

فى هذا الجو الهادىء الحالم ، الذى يكتنف الحياة الريفية ، نشأ شاعرنا ، بين قوم وادعين

موكب الذكريات

.. يتسمون بالصفاء والنقاء .. وفى (كتاب) القرية ختم جزئى (عم) و (تبارك) من القرآن الكريم ، ثم أنهى تعليمه الابتدائى بمدرسة الحسينية الابتدائية ، ولم يكد يبلغ الحادية عشرة .

والتحق بعد ذلك بالقسم الاعدادى بالجامعة الامريكية ، الذى يعد للدراسة بالجامعة نفسها بصفوفها العالية بالقاهرة .. وكل العلوم كانت تدرس فيه بالانجليزية فيما عدا اللغة العربية ، بطبيعة الحال .. ومن ثم أمكنه التضلع فى اللغة الانجليزية ، فى مستهل حياته .

وتصادف ـ لحسن حظه ـ أن أديب العربية الكبير ، المرحوم أحمد حسن الزيات ، صاحب مجلة (الرسالة) ، كان هو الذى يتولى تدريس اللغة العربية فى ذلك الوقت بالجامعة الامريكية ، وكان شاعرنا من جملة تلاميذه ، فكانت افادته من الأدب العربى ، على يدى الزيات ، كبيرة ملحوظة .

وكان الزيات فى تلك الأثناء يترجم قصة (آلام فرتر) لجوته ، وكان يتلو على الطالب الصغير ، مختار الوكيل ، بعض ما ترجم .. لالتفاته الى نبوغه المبكر ، وللمشاركة الوجدانية بينهما .. مما أفاد شاعرنا كثيرا فى تكوين وتجويد أسلوبه بالعربية .

ولكن شاعرنا ترك الدراسة بالجامعة الامريكية ، وفى نفسه مافيها ، لوفاة والده فى ذلك الحين ، عام ١٩٢٧ ، وعاد الى المنصورة ، لينتظم فى صفوف طلاب الدراسة الثانوية بها .

وفى تلك الفترة انبجس هاجس الشعر فى خاطره ، وطفق يذيعه بين لداته ، وينشره فى مجلة (الصباح) لصاحبها المرحوم مصطفى القشاش ، وبالصفحة الأولى من جريدة (الأهرام) فى عهد رئاسة (داود بركات) لتحريرها .

وكان بالمنصورة عدد كبير من الشعراء الممتازين أمثال الدكتور ابراهيم ناجى ، والمهندس على محمود طه ، وكانا يغشيان مقهى بالمنصورة ، يؤمه الزيات ، بين الحين والحين .

وكان شعراء المدرسة الثانوية من زملاء مختار الوكيل ، يحضرون هذه الاجتماعات ، ومنهم المرحوم محمد عبد المعطى الهمشرى ، شاعر ملحمة (شاطىء الأعراف) ومنهم الشاعر الغنائى المرحوم صالح جودت ، والشاعر المستشار محمد رجب . وكان مختار الوكيل يسمع بهذه الاجتماعات ، ولايتردد عليها ، فى أول الأمر .. لأنه لم يكن معروفا بعد بالمدرسة ، على المستوى الذى عرف به شعراؤها من أمثال الهمشرى وصالح جودت . الى أن جاء يوم طلب فيه أستاذ اللغة العربية بالمدرسة ، أن يكتبوا موضوعا عن نزهة الى الريف .. فما كان من شاعرنا مختار الوكيل الا أن كتب فى الموضوع قصيدة ، بدلا من الكتابة النثرية .. قال فيها :

نكرينى بلوعة العشاق
واعزفى اللحن خالدا .. ياسواقى
واملكى منبع المشاعر منى
ثم طيرى ، بقلبى الخفاق

فلما أقبل الأستاذ بعد فراغه من تصحيح كراسات الانشاء ، طلب من مختار الوكيل أن يقوم بالقاء قصيدته ، التى نظمها فى (الموضوع)

•• وكان ذلك بمثابة أول اعتراف به كشاعر فى المدرسة ، وهنا بدأ تعرفه الى زملائه من الشعراء الآخرين ، ودخوله فى زمرتهم •

والتحق بعد الدراسة الثانوية بكلية الحقوق بالقاهرة ، وكانت جماعة أبوللو قد أنشئت حينذاك فى خريف عام ١٩٣٢ كما تقدم ، وكان مختار الوكيل من أوائل من انضموا الى الجماعة مع الهمشرى وصالح جودت وابراهيم ناجى وغيرهم ، وبدأ ينشر نتاجه بمجلة أبوللو ، وعرف كأديب وشاعر ومترجم •

وكان أول عمل كامل له سنة ١٩٣٣ هو ترجمة قصة (تولستوى) المعروفة « سعادة الأسرة » كما خرج على الناس عام ١٩٣٣ بكتابه النقدى (رواد الشعر الحديث فى مصر) ، تناول فيه بالبحث أعمال الشعراء خليل مطران وعبد الرحمن شكرى وعباس محمود العقاد ، وأحمد زكى أبو شادى • ثم أخرج ديوانه الرومانسى الأول (الزورق الحالم) سنة ١٩٣٦

ولما كان اتجاهه الى الأدب يفوق ميله للاستمرار فى الدراسة القانونية ، فقد سافر الى جامعة مانشستر بانجلترا فى خريف عام ١٩٣٦ حيث التحق بكلية الآداب بها •

وانعقد مجلس الكلية بحضور الطالب مختار الوكيل ، وبعد اختباره تأكد المجلس من أنه يمتاز عن الطلبة العاديين امتيازا ملحوظا ، بمؤلفاته فى الأدب ، واطلاعه الواسع فيه ، فى العربية والانجليزية ، وترجمته لمسرحية (تلميذ الشيطان) لبرنارد شو ، التى مثلت على مسرح دار (الأوبرا) •

وترجمته لقصيدة (شلى) المشهورة (الى القبرة) ومنها قوله :

يفيض غناؤك فوق الأديم
ويسمو فيلمس سقف السماء
وينشر فى السكون سحر عميم
يفاوح أرواحنا فى الغناء
كما يبعث البدر خلف الغيوم
سناه العجيب •• ويزجى الضياء
فنحسب أن الوجود القديم
غريق ببحر لجين وماء !

عند ذلك رأى مجلس الكلية أن يمنحه درجة معادلة لدرجة البكالوريوس ليتقدم مباشرة — بدون بكالوريوس — لدرجة الماجستير فى الآداب •• ولم يكن قد أمضى بهذه الكلية سوى عام واحد فقط ، واستتبع ذلك اعفاؤه الكامل من بقية سنى الدراسة الأربعة بها ، لأن مستواه يعادل مستوى الحاصل على البكالوريوس •• ومن ثم فمن حقه أن يدرس للماجستير ! •• وقد كان •

*

الا أن ظروف الحرب العالمية الثانية ، التى اندلعت فى ذلك الوقت ، حالت بينه وبين السير قدما فى الدراسة الى منتهاها ، والتحضير للدكتوراه •• واضطر فجأة للعودة الى أرض الوطن ، وهو يجأر قائلا :

رب أين الخلاص ؟ قد عبس الجو
وألقى على النجوم قتاما !
لاضياء منها ينير خطانا
ويبيد الشكوك والأوهاما
ظلمة فوق ظلمة •• فوق أخرى
وغموض يحير الأفهاما
•• أنت مصباح كل شىء على الأر
ض فبدد يارب هذا الظلاما !

موكب الذكريات

واشتغل بالصحافة خلال سنى الحرب ، ودخل جامعة الدول العربية عند انشائها عام ١٩٤٥ باستدعاء شخصى من أمينها العام الأول المرحوم عبد الرحمن عزام ، لأنه كان يجيد لغتين : هما الانجليزية والفرنسية •

وأخرج فى هذه الفترة عدة كتب منها (ايوب) عن ترجمة انجليزية مستقاه من «الميثيولوجيا» اليونانية • وفى عام ١٩٥٠ تقدم لجامعة « اكس آن بروفانس » بفرنسا بدراسة موضوعها : « تاريخ الصحافة المصرية على ضوء الأحداث السياسية فى الخمسين عاما الأولى من القرن العشرين » • بالفرنسية ، وحصل بها على درجة الدكتوراه بامتياز •• ولم تترجم هذه الرسالة بعد الى العربية ، ولعل الشاعر يتفرغ بنفسه لترجمتها ، لأنه سيكون الأقدر على انجاز هذا العمل المثمر الفريد •

*

وحينما تولى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين رئاسة اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، استعان بالدكتور مختار الوكيل ــ الذى كان وكيلا لذات اللجنة ــ فى انجاز مشروعات النقل والترجمة الى اللغة العربية ، عن أمهات الكتب الأجنبية ، وأهمها مشروع نقل مؤلفات (شكسبير) المسرحية جمعاء الى اللغة العربية • واشترك فى هذه الترجمة طائفة من كبار الشعراء وأساطين الأدباء بمصر والأمة العربية ، أمثال الدكاترة : محمد عوض محمد وسهير القلماوى وعبد القادر القط وعبد الحميد يونس والاستاذين : عباس حافظ ومحمد بدران وغيرهم • وكان من نصيب الدكتور مختار الوكيل ترجمة كل من مسرحيتى : (تاجر البندقية) و (كما تهواه) • Asyou Likelt

اجتذب العمل الدبلوماسى شاعرنا بعد ذلك ، فعينه الاستاذ عبد الخالق حسونة أمين عام جامعة الدول العربية عام ١٩٥٦ نائبا لرئيس الوفد الدائم للجامعة لدى المقر الأوربى للأمم المتحدة بجنيف ، وفى عام ١٩٦٢ تولى الرئاسة الكاملة للوفد ، وكان له دور بارز فى الأحداث السياسية الكبرى التى مرت بالأمة العربية أثناء عرضها دوليا ، وبخاصة فى قضية تأميم قناة السويس ، وقضيتى الجزائر وفلسطين ، وقضايا كفاح الأقطار العربية فى المغرب فى سبيل الاستقلال •

*

وأحدث هذا التطور فى حياة شاعرنا تفاعلا جذريا بين الحضارتين : العربية والأوربية فى وجدانه ، مما أتاح لشاعريته أن تنطلق الى آفاق جديدة رحبة لايرتادها الا القليلون ، فنراه ينظم فى عطلة صيف عام ١٩٧٥ بمدينة فينيسيا قصيدة رائعة بعنوان : (الحب والموت والبعث) •• يتحدث فيها عن فينيسيا ، ناظرا اليها كمدينة توشك أن تموت ، وهى كائن حى ، يتبدى فى المنازل الجميلة ، المبنية بأسلوب زخرفى رائع ، أشبه « بالأرابيسك » •• وهى توشك أن تموت ، لأنها تغرق فى الماء منذ سنوات ويتم الانتقال فيها من مكان الى آخر بـ (الجندولا) •• فلا ينظر شاعرنا اليها كملهى لعابر سبيل ،ولايقف منها موقفالشاعر الراحل (على محمود طه) ، بل يمكث بها شهورا أثناء عمله الدبلوماسى ، يتأمل بأسى ولوعة منظرها

الفاجع ، قليلا ، حتى يبلورها فى قصيدة فريدة فى تناولها الشعرى لهذا الموضوع ، يلقيها فى احتفال (اليونسكو) الذى أقيم لترميم فينيسيا ، متذكرا ما حدث فى انقاذ آثار النوبة فى وطنه ، قبل أن تغمرها مياه السد العالى ، لأن فينيسيا تستحق – مثلها – الرعاية والحفاظ عليها .

وقد ترجمت هذه القصيدة الى الايطالية والفرنسية منذ خمسة أعوام (سنة ١٩٧٧) وألقاها الشاعر بنفسه فى هذا المهرجان الدولى الكبير ، وتناولها النقاد العالميون بالتحليل والتعقيب •• وكان ذلك بمثابة أخذ الشعر العربى الحديث لدوره نحو العالمية ، بمثل هذه القصيدة السامقة .

واذا كان بعض الشعراء الغربيين قد تحدثوا عن (السويس) و (النيل) •• فان الدكتور مختار الوكيل – وهو الشاعر المصرى العربى – يكتب عن فينيسيا .

وقد بدأ (على محمود طه) قصيدته المشهورة (الجندول) بمناجاة ملهمته الحسناء ، أما الدخول عند الدكتور مختار الوكيل فيتم بطريقة أخرى مغايره ، اذ يستهل قصيدته قائلا :

ظفرت بالشعر والأغانى
فصرت نشوان بلا دنان
يالى من هذا الهوى الفتان
القرب والبعد به سيان
والوصل ينساب مع •• الهجران !

ثم ينتقل بعد ذلك الى ذكريات المدينة وتاريخها ، فيقول :

يا أمسيات (بابل) الحبيبة
جمعت لى دنيا الهوى العجيبة
فوق (الريالتو) •• فى حلى قشيبة

و (الريالتو) اسم جسر خلده شكسبير حين أورده بمسرحيته الخالدة : (تاجر البندقية)•• ويتوجه بالحديث بعد ذلك الى المحتشدين فى المهرجان ، بأخوة عالمية ، فيقول :

ياأخوتى من أهل هذى الدار
لاتفرقوا من صولة الأقدار
هنا رأيت الموت فى الأحجار

ويسترسل فى رسم هذا (التابلوه) البديع للحياة المعانقة للموت ، الذى ينساب فى الماء على الأركان ، بين القصور الفذة البنيان .

ويختتم قصيدته قائلا :

هيا اركبوا مركب الطوفان
هيا امزجوا الأفراح بالأشجان
هيا اخلطوا العطور بالأدران
وهللوا كالرعد •• كالبركان
لعالم يرقص فى •• الأكفان !

ومن الشعر الرائق الذى وفق الى ابداعه بين أحضان الطبيعة الساحرة ، فوق جبال (ساليه) بسويسرا ، قصيدته (نشوة الألحان) التى مزج بعض الفنون فيها ، كالشعر والغناء ، حينما كشفت الطبيعة عن مفاتنها لعين الشاعر ، يقول :

أنا فى نشوة من الأنغام
فدعونى معانقا أحلامى
أنا فى صمتى الفصيح قرير
سابح فى عوالم من هيام
أى وحى منغم يتهادى
ويناجى الفؤاد •• دون كلام
لست أسطيع صوغه فى قريض
آدمى الألفاظ والأنغام !

موكب الذكريات

ونلاحظ أن الوصف هنا ليس هدفا مقصودا لذاته ، ولكنه ــ أى الشاعر ــ كان يصف ويتأمل .. ويستبطن ذاته ، ويمزج أحاسيسه ومشاعره ، وارتعاشات نفسه ، وومضات روحه ، بموصوفاته .. على نحو بديع ، متأثرا ــ فنيا ــ بخيرة شعراء الرومانسية ، من أمثال: « هيجو ولامرتين وبيرون وشلى وكيتس ».

*

وصفوة القول أن الدكتور مختار الوكيل ، فى ديوانه (موكب الذكريات) ، يتناول الموضوعات برؤيا جديدة ، وألفاظ مقدودة من وجدانه ..

ان لمختار الوكيل مفاتيحه اللفظية ، مثل مفاتيح « البيانو » اللحنية ، يبدع بها ويمتع

.. فهو يعيش بقلب صاف ، لا يحقد ولا يحمل ضغينة لأحد ، لأنه يتفاعل مع الكائنات كلها ، منطلقا فى آفاق رحبة بخيالاته ، لاتحدها حدود

.. اذ تعروه الدهشة الموحية أمام الأشياء والأضواء والألوان ، لأنه يعيش بقلب طفل ،

أى ببراءة تجدد وتقدم المفهوم الصافى .. فهو ــ كشيلى ــ ترك العالم وهام فى الضباب ، وكأنه الطائر الذى كان يهيم به شيلى فى « القبّرة ».

الا أنه حينما أسندت اليه رئاسة جماعة أبوللو الجديدة ، أثناء الاحتفال بمرور ربع قرن من الزمان على وفاة أبى شادى عام ١٩٥٥ باعتباره أحد الرواد الثلاثة الذين يمثلون البقية الباقية من جماعة أبوللو (مصطفى عبد اللطيف السحرتى(١) وحسن الصيرفى ومختار الوكيل) .. صرح بأن الهدف الذى يتعين أن تعود به جماعة أبوللو ،هو النهوض بالشعر عام١٩٨٢ م آخذة فى الاعتبار ، أن العالم قد تغير كثيرا مابين (١٩٣٢) و (١٩٨٢) والناس يعيشون فى عصر الصواريخ .

وأصبح اسم أبوللو (رمز الحب والجمال والموسيقى) عند الاغريق ، يطلق الآن على مركبات الفضاء العابرة للقارات ، الأمر الذى يستلزم تطوير المعنى الرومانسى ، المغرق فى الخيال لدى الشعراء ، وان كانت رحلات (أبوللو) الفضائية فى الثمانينيات ، قد فاقت كل خيال !

ونختتم كلمتنا بقول شاعر اغريقى :

« لاتضعوا الزهور ولا العطور على قبرى الحجرى ، ولاتشعلوا الأضواء .. فكل هذا عبث ..

احسنوا الى مادمت حيا ، اما أن تسقوا التراب الذى أتوسده الأنخاب ، فان هذا يجعل التراب طينا .. كما أن الميت ، لايشرب قطرة منها ! » .

احمد مصطفى حافظ

---

(١) انتقل الى رحمة الله فى مايو الماضى وقد استوفينا الحديث عنه فى عدد مجلة الهلال الصادر فى سبتمبر ١٩٨٣ .

من عيون التراث الصوفى

كتاب

عوارف المعارف

للسهروردى

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

من كتب التصوف الجليلة التى وعت علومه وعرفت بأحواله ومقاماته ونبهت على فضله وفصلت آدابه وأشادت بها كتاب « عوارف المعارف » للامام أبى حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردى المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ببغداد التى توافق سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف ميلادية .

وكان فقيها شافعيا متضلعا فى المذهب يشهد بذلك كتابه نفسه « عوارف المعارف » الذى نحن بصدده ، فهو الى جانب ما وعاه من علوم صوفية دقيقة جمع اشارات فقهية كثيرة تدل على دقة الوعى والتخصص والادراك لمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه .

وقد ولد السهروردى المذكور بسهرورد وهى مدينة فى شمال غربى ايران كان يسكنها الأكراد حتى القرن العاشر الميلادى وقد خربها المغول فى أثناء حملاتهم الهمجية فى القرون الوسطى . وكانت هذه المدينة مركزا من مراكز العلم ، واليها ينتسب علم آخر يطلق عليه السهروردى أيضا .

وحتى لا نخلط بين العلمين — فاننا نوضح القول بأن السهروردى الثانى هو شهاب الدين يحيى بن حبش وقد توفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة هجرية وهى توافق سنة احدى وتسعين ومائة وألف ميلادية ، وهو شافعى المذهب أيضا ، ولكنه غلبت عليه الفلسفة الاشراقية وتنقل بين سهرورد وأذربيجان ، وقد اتهم بالخروج على الدين فقتل فى قلعة حلب ، وله مؤلفات فى الفلسفة منها « حكمة الاشراق » و « هياكل النور » .

ويعنينا الحديث عن الامام السهروردى أبى حفص صاحب « عوارف المعارف » لأن كتابه الذى نقدمه من أمهات الكتب الصوفية التى

عوارف المعارف

يرجع اليها من له اهتمام خاص بهذا العلم واشراقاته .

الكتاب :

والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا تدور حول المعارف الصوفية ، التى تجمع بين المعاملات والمكاشفات .. وقدم لذلك بمقدمة تشير الى سبب تأليفه ، هذا الكتاب قال فيها « ثم ان ايثارى لهدى هؤلاء القوم ومحبتى لهم ، علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة .. حدانى أن أؤلف أبوابا فى الحقائق والآداب معربة عن وجه الصواب فيما اعتمدوه مشعرة بشهادة صريح العلم فيما اعتقدوه ، حيث كثر المتشبهون واختلفت أحوالهم ، وتستر بزيهم المتسترون وفسدت أعمالهم ، وسبق الى قلب من لا يعرف أصول سلفهم سوء ظن ، وكاد لا يسلم من وقيعة فيهم وطعن .. » .

وهذا الهدف نفسه هو الذى أملى على الامام أبى القاسم القشيرى رسالته المشهورة التى يشرح فيها للمريدين أصول الطريقة الصوفية ويبين آدابها بعد أن تبين له كما يقول « انقراض أكثر المحققين وخشى اندراس آثارهم ومذاهبهم . »

والقشيرى سبق السهروردى فقد توفى القشيرى سنة خمس وستين وأربعمائة هجرية بفارق قرنين من الزمان تقريبا .. فما عسانا نقول الآن بعد أن قرر هذان الحبران الجليلان ماقررا ؟

ان الغيرة على الحق هى التى دفعت كليهما الى تحرير كل منهما كتابه ، وأرجو أن يكون هذا الدافع وراء هذه السطور التى أقدم بها كتاب عوارف المعارف . عسى أن يستفيد بها قوم ، وتتصح بها مفاهيم قوم آخرين .

ولا أستطيع فى هذه العجالة القصيرة اعطاء صورة كاملة مفصلة عن الكتاب ، ولكن حسبى اعطاء فكرة عامة عنه تحفز الى قراءته مطبوعا على هامش كتاب احياء علوم الدين للغزالى رضى الله عنه، أو مطبوعا طبعة مستقلة ملحقة بهذا الكتاب أيضا بمطبعة المشهد الحسينى بالقاهرة .

اشارات حول موضوعاته :

يدور الكتاب حول المعارف الصوفية التى تجمع بين المعاملات والمكاشفات ، والمعاملات هى ما يقوم به العبد من فرائض ونوافل وطاعات مختلفة تعينه على القرب من الله ، والمكاشفات هى الثمار المترتبة على ذلك من معرفة وأنس وصفاء واشراق وغير ذلك .. كما يدور حول الآداب التى يجب أن يتحلى بها المريد فى أثناء سيره الى الله ، وهو يعتمد فى تحرير ذلك كله على الآثار المستمدة من الكتاب والسنة ، وعلى الشواهد الموثقة والطرائف والاخبار الدقيقة .

وقد بدأ كتابه بذكر منشأ علوم الصوفية ، قدم لذلك بالحديث الشريف الذى أسنده البخارى رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه . قال رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ «انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال : ياقومى انى رأيت الجيش بعينى ، وانى أنا النذير العريان ، فالنجاة النجاة ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ماجئت به ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق » .

ثم علق على ذلك بقوله ـ بعد أن أورد حديثا آخر يدور حول اختلاف القلوب التى تتلقى الكلم الطيب : ـ

أعد الله تعالى لقبول ماجاء به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصفى القلوب وأزكى النفوس ، فظهر تفاوت الصفاء واختلاف التزكية فى تفاوت الفائدة والنفع ،

قال تعالى : « **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** » .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : الماء العلم ، والأودية القلوب .

ومن هذه القلوب قلوب علماء التفسير والحديث واللغة والتصريف والنحو وغيرها من العلوم ومنها قلوب العارفين بالله وهم الصوفية .. « الذين درسوا العلم واستنبطوا منه مفهومات زائدة » فقد عرف الصوفية بقوله : « الصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة ، فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم، فلماعملوا آفادهم العمل علم الوراثة، فهم مع سائر العلماء فى علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة .. وعلم الوراثة هو الفقه فى الدين . قال تعالى « **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ** » .

فصار الانذار مستفادا من الفقه .

والانذار : احياء المنذر بماء العلم .

والاحياء بالعلم رتبة الفقيه فى الدين .

فصار الفقه فى الدين من أكمل المراتب أعلاها ، وهو العالم الزاهد فى الدنيا .

سئل الحسن البصرى عن الفقيه ، فقال : انما الفقيه الزاهد فى الدنيا .

ومن هنا نشأ علم التصوف لأنه مبنى على حسن السماع والاستجابة والعمل .

آداب الصاعد الى الله :

وموضوعات الكتاب كلها جديرة بالتأمل ، فهى صورة صحيحة لما يجب أن يكون عليه الصوفى الحق ، أو لما يجب أن يأخذ به نفسه ليكون صوفيا حقا ، ومنها على سبيل المثال :

باب أدب المريد مع استقبال النهار والعمل فيه : ويقتضى هذا منه استكمال الطهارة وعدم الغفلة عن العبادات وتعلق القلب بالله ، وتلاوة الادعية والاوراد المأثورة التى أورد طرفا منها مثل هذا الدعاء .

« اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، وتجمع بها شملى ، وتلم بها شعثى ، وترد بها الفتن عنى ، وتصلح بها دينى ،

وتحفظ بها غائبى ، وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى ، وتبيض بها وجهى ، وتلقننى بها رشدى ، وتعصمنى بها من كل سوء .

اللهم أعطنى ايمانا صادقا ، ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة » .

الى غير ذلك من الأدعية المأثورة .

ان ذلك – اذا تلى بنية صادقة وقلب حاضر وتوجه مخلص لله – أحرى بأن يعين الانسان فى رحلة يومه على ما يلقاه من مشقات ، ويهون عليه المتاعب ويصد عنه مكائد الشيطان ، ويصرف عنه الهم والغم ، فيؤدى عمله الدنيوى بقلب مشرق وهمة قوية فينفع وينتفع .. ويصبح عمله كله خالصا لوجه الله يثاب عليه كما يثاب الراكع الساجد .

وقد دعا المريد الى وجوب التزام الأدب الكامل فى الكسب والمعاش وتحرى الحلال والوثوق فى كلأ الله ورعايته وحفظه .

أدب المريد مع شيخه :

وفى باب أدب المريد مع شيخه يقدم لذلك بقوله :

« أدب المريد مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الآداب ، وللقوم فى ذلك اقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ، وقد قال تعالى :

«يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (١)

ولما كان هذا الأدب يقتضى بيان حقيقة هذا الشيخ الذى يستوجب أدب المريد ، معه والذى يصلح أن يكون قدوة طيبة لأبنائه وتلاميذه وللناس أجمعين ، فقد تحدث بعد ذلك فى باب مستقل عن آداب الشيوخ وما يجب أن يعتمدوه مع اصحابهم وتلاميذهم .

وهذا أمرمهم يجب التنبيه عليه حتى يقطع الطريق على مدعى الولاية والمستغلين والمتصدرين للناس بغير أدوات تؤهلهم لذلك.

فأول شىء نبه السهروردى عليه فى ذلك قوله :

أهم الآداب ألا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع ، فاذا رأى أن الله يبعث اليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الارادة يحذر أن يكون ذلك ابتلاء وامتحانا من الله تعالى ، والنفوس مجبولة على محبة اقبال الخلق والشهرة ، وفى الخمول السلامة ، فاذا بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله اياه أنه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيكلمهم حينئذ كلام الناصح المشفق كلام الوالد لولده بما ينفعه فى دينه ودنياه .

وهذا أدب مهم نهديه لمن ينصبون أنفسهم شيوخا رغم أنف الآخرين ويحصلون على اجازات بالارشاد دون تأهل دينى وعلمى وصلاحى .

---

(١) الحجرات ١ .

الصحبة والاخوة :

وعقد السهروردى فى كتابه بابا بين فيه حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر ، وعلل لاقتضاء الصحبة تعليلا نفسيا واجتماعيا قائلا فى ذلك :

« المقتضى للصحبة وجود الجنسية وقد يدعو اليها أعم الأوصاف ، وقد يدعو اليها أخص الأوصاف ، فالدعاء بأعم الأوصاف كميل جنس البشر بعضهم الى بعض ، والدعاء بأخص الأوصاف كميل أهل ملة بعضهم الى بعض ، ثم أخص من ذلك كميل أهل الطاعة بعضم الى بعض وكميل أهل المعصية بعضهم الى بعض ، فاذا علم هذا الاصل فان الجاذب الى الصحبة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص تارة أخرى . فليتفقد الانسان نفسه عند الميل الى صحبة شخص ، وينظر ما الذى يميل به الى صحبته »

وهذا لون من النقد الذاتى والمراجعة التى تقوم الشىء وتزنه بميزان دقيق ، وفى ضوئه يعقد الانسان صلاته ثم يمضى فيها ان وجدها معينة له على الخير أو ينكص عنها ان وجدها صارفة له عنه .

ولان هذا الأمر مهم للانسان فى عاجل حياته وآجلها فقد مضى السهروردى فى حديثه مبينا وجوب انتقاء الصاحب وحقوقه ، وآداب الصحبة والاخوة ، كما يبين رأيه فى العزلة ومتى تكون ومتى لا تكون ، ومتى تكون فريضة ومتى تكون رذيلة ، وهو فى أثناء ذلك لا يكف عن التذكير بمراعاة حق الاخوة والمودة والصداقة فان الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لم يضيعها الا من لم يراع حقوق الله عليه .

أجل فكم من صداقات حميمة ضاعت تحت شعار : الألفة ترفع الكلفة . فان أحق الناس بمراعاة حق الانسان صديقه ، ومن لم يحفظ حق صديقه تفلت منه صديقه بمرور الايام .

معرفة الانسان نفسه :

ومن أبواب الكتاب باب معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية .. وقد تحدث فى هذا الباب عن الروح فى حدود ماورد عنها فى القرآن الكريم والآثار الشريفة وقد نبه الخائضين فى ذلك بقوله « وكان الأولى الامساك عنذلك والتأدب بأدب النبى — صلى الله عليه وسلم — واستشهد بقول الجنيد رضى الله عنه : الروح شىء استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود » .

ولكنه فصل القول فى مراتب النفس ، وبين الفرق بين الروح والسر وبين الروح والنفس وبين العلاقة بين القلب والعقل وأنواع العقل . ثم طرق موضوع الخواطر وتفصيلها وتمييزها ، وهو موضوع دقيق لا يحدث فيه

عوارف المعارف

الا من رسخت قدمه فى الطريق ، وأشار الى الحال والمقام وأورد اشارات الشيوخ فيها ، وبين سبب الاشتباه والتشابه بينهما وقال « قد يكون الشىء بعينه حالا ثم يصير مقاما ، مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ، ثم تعود ثم تزول ، فلا يزال العبد فى حال المحاسبة ، يتعاهد الحال ، ثم يحول الحال بظهور صفات النفس الى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب عليه حال المحاسبة وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة مقامه ووطنه ومستقره » عندئذ يتحول الحال الى مقام .

وقد تحدث السهروردى عن أسرار كل منهما « الحال والمقام » وما يعرض للمريد بينهما ، ومايجب أن يتحلى به من آداب ازاءهما . كما بين أن قوام الاحوال والمقامات يرجع الى اربعة أشياء هى « الايمان ، وصحته ، وعقوده ، وشروطه » .

والمقامات فى رأيه عشرة هى : التوبة ، والورع ، والزهد ، والصبر ، والفقر ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرضا »

أما الاحوال فهى « المحبة وما يتصل بها من شوق وأنس وقبض وبسط وفناء وبقاء وغير ذلك »

كما أشار الى مصطلحات الصوفية التى اختصوا بها ، وشرح هذه المصطلحات التى تدور كثيرا على ألسنتهم وتحفل أحادثيهم وانشاءاتهم بها كالتجلى والاستتار والتجديد والتفريد والوجد والتواجد والوجود والصحو والسكر وغير ذلك .

وبعد :

فان كتاب « عوارف المعارف » أحد الكتب الجامعة لعلوم التصوف ، وماأحراه بأن ينال عناية المحققين الفضلاء ليهدوه الينا فى ثوب علمى قشيب ، وأن يعكف عليه متخصصون لتخريج أحاديثه فان منها ماهو « موضوع » لعل الله أن يجعله سببا من أسباب توثيق الصلة بهذا العلم الكريم .

والله المستعان ،،

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

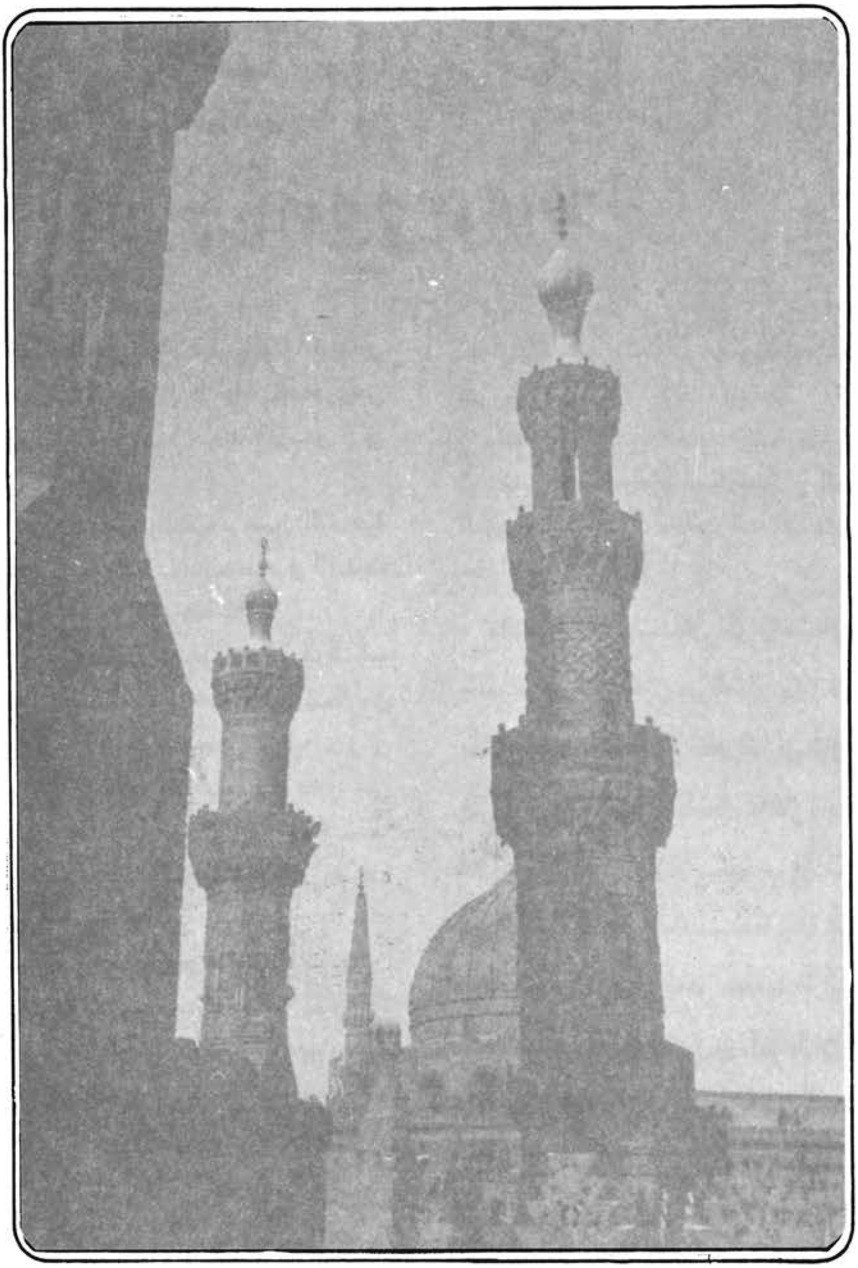

ذبح اسماعيل
بين الحقيقة والافتراء

طالعتنا جريدة الأخبار يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٩٨٣ م بمقال للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف حول (عيد الأضحى) فى يوميات الأخبار •

بدأه الكاتب بالحديث عن الأضحية وحكمتها وحكمها ، ثم استطرد فى الحديث عن التضحية فكان مما قال :

« ان عيد الأضحى هو عيد تحرير الرقاب الانسانية ، فقد كانت الأمم الوثنية تتخذ من الآدميين قربانا لآلهتهم » • وقال فيه : « ان ابراهيم عليه السلام هَمَّ بذبح ابنه جريا على العادة التى كانت جارية من قبل •• » وهذا يفيد أن الخليل عليه السلام جرى على عادة الوثنيين فى ذبح ولده •

ثم تمادى فى حديثه مبرهنا على ذلك فقال :

« وبعد أن هم بهذا ـ بذبح ابنه ـ وشحذ مديته ليذبحه تنفيذا لما كان جاريا من قبل ألهمه الله الحق والصواب •• وفديناه بكبش عظيم » •• انتهى مانريد أن نقف معه من حديث الكاتب •

ونعجب أن يصدر مثل هذا الكلام عن كاتب مثل الاستاذ فهمى عبد اللطيف وهو صاحب قلم رائد ، وأسلوب محبب الى النفوس • وهو ذو ثقافة دينية • وله تلاميذ ومحبون لكتاباته كثيرون •

والقارىء البسيط قد يستوقفه هذا الكلام وقد يناقش صحة هذا القول غير أن الكتاب العزيز صريح فى رد ماذهب اليه الاستاذ فهمى عبد اللطيف •

قال تعالى : « **وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ • رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ • فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَابُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ** » ٩٩ • ـ ١١١ الصافات •

والقارىء للآيات يلحظ عدة أمور منها :

١ ــ تصريح ابراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ بأنه رأى فى المنام رؤيا فأمر بذبح ابنه ، يفهم منه ان الامر وحى من الله سبحانه فرؤيا الأنبياء وحى .

٢ ــ صرحت الآيات بأن اسماعيل استجاب لأمر الله سبحانه وتصديق الرؤيا « .. **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ** » فالابن قد فهم أن الأمر وحى ..

٣ ــ ثم ذكرت الآيات مرة ثانية مؤكدة على أن الأمر وحى من الله « .. **يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا** » فابراهيم أقدم على الذبح طبقا لما رآه فى النوم .

٤ ــ تحدثت الآيات عن قصة الذبح وسمتها (**الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**) مما يفيد ان الله سبحانه أمر ابراهيم بذلك ابتلاء له وتمحيصا .

٥ ــ عقبت الآيات على القصة بالثناء على أبى الأنبياء ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالت : « .. **كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ** » يدل على أن ابراهيم أطاع الله حين هم بتنفيذ أمره فى الرؤيا التى رآها . وعليه فهو من المحسنين والمؤمنين .

وفى هذا ما يدل على بطلان رأى الكاتب . ومنه يبين أن الخليل هم بذبح ابنه طاعة لله لا تقليدا للوثنيين . وهو نبى الله وخليله .

أما أن العادة قد جرت فى ذلك العهد أو ماقبله بالتقرب للآلهة بذبح الأبناء ، فان العادة فى قوم وثنيون هدف أولى لمقاومة النبوة لها وابطالها وكنا نود أن يشير الاستاذ الكاتب الى المصدر الذى استقر منه هذا الكلام ، فالقرآن مازال والحمد لله محفوظا نسمعه ونقرأه . وفيه غنية وحجة فى هذه الامور .

قال ابن كثير فى تفسير الآيات :

« رأى ابراهيم ــ عليه السلام ــ فى النوم رؤياه تلك . قال عبيد بن عمير : رؤيا الأنبياء وحى . وتلا هذه الآية : « **يَابُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى . قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** » أى افعل ما أمرت به من أمر الله بذبحى ، وسأصبر وأحتسب ذلك عند الله . وصدق فى ذلك الوعد .. والمقصود بالأمر اثابة ابراهيم على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك . ولذا قال :

« **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ** » أى هو الاختبار الواضح الجلى حيث أمر بذبح ولده فسارع الى ذلك مستسلما لامر الله منقادا لطاعته » .

ومن ذلك يتضح أن الأمر عبادة لاعادة وانقياد كامل لامر الله لاجرى على عادة ولاتقليد للوثنية . ومقام ابراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ لايليق به أن يفعل مافعل تقليدا للوثنيين .

نسأل الله سبحانه يرينا الحق ويرزقنا اتباعه . ويرينا الباطل ويرزقنا اجتنابه.. آمين .

ع . زهران

الفتاوى

* هل تستأجر أرض لبناء مسجد *

س : من السيد /ع٠ع٠ عبد الرءوف ــ من اليمن الشقيق ٠

استأجرنا قطعة أرض لعمل (جراج) ولكبر المساحة اقتطعنا جزءا منها وأقمنا عليه مصلى ٠

وعندما أردنا تجديد العقد لمدة أخرى مع صاحب الأرض رفض التجــديد الا بعد ازالة المصلى ٠٠ فما الحكم ؟

ج : شرط الوقف للعبادة أو المسجدية أن يكــون مملوكا لواقفه ، فــاذا كانت العين ملكا للغير فلا يجوز لأحد أن يوقفها أو يتصرف فيها تصرفا لا يقره المالك ٠

* اللقطة ٠٠٠ والتصرف بشأنها *

س : من السيد/ع ٠ ب ــ المنزلاوى

وجدت مبلغا من المال فى أحد شوارع القاهرة من نحو شهر ، فهــل يجوز لى أن أتبرع به لمعهد دينى أو مسجد ٠ ؟

ج : هذا المبلغ « لقطة » وحكم اللقطة أن يعلن عنها حيث وجدها ، أو فى صحيفة أو غيرها كمسجد حسب الأحوال ٠

ومن عرفها ، وعرف أوصافها تســلم اليه ، والا فيجوز للملتقط (الواجد) بعد مضى سنة ان يتملكها أو يتصدق بها أو يصرفها فى مصالح المسلمين العامة ٠

وان تصدق بها قبل مضى مدة التعريف ثم ظهر صاحبها كان ضامنا لها وعليه ردها اليــه عند مطالبته به ٠

* الاخبــار بحقيقة المرأة *

س : من السيد / أ ٠ م ٠ عــلى من القاهرة ٠

فتاة تعمل شغالة عند أسرة ، سرقت منهم أموالا وحليا ذهبية ، ثم اكتشف أمرها واعترفت ٠٠٠ فهل يجوز أن تأخذ منها ما سرقته ؟ وهل يجوز لمخدومتها أن تخبر خطيبها بحقيقة أمرها ؟

ج : مادامت الفتاة قد اعترفت بمــا سرقته من هذه الأسرة فلا مانع من أن تأخذ ماسرقته الفتاة ، واذا سأل الخطيب عن الفتاة وأحوالها وأخبرته بحقيقتها فلا اثم فى ذلك ٠

وان لم يسأل فلا يجوز لها أن تكشف أمرها عنده ٠٠ « ومن ستر مسلما ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة » ٠

إعداد عبد الحميد السيد شاهين

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

* الزواج من زانية *

س : من السيد / م ٠٠ سار – من السنغال ٠

شاب تزوج بفتاة وهو لايعرف أنها حامل من زنى ، وبعد خمسة أشهر وضعت حملها فطلقها مباشرة ، نظرا لأن الحمل ليس منه ٠

وبعد ذلك أراد أن يتزوجها بعقد جديد ٠ فهل يجوز له ذلك ٠ ؟

ج : الحمل ينسب الى أمه ولا ينسب الى الزوج ، لأنه ولد لأقل من ستة أشهر من الدخول بها ، وزواجه بها صحيح شرعا وطلاقه لها صحيح أيضا ٠

ثم ان كان الطلاق رجعيا كان له أن يراجعها مادامت فى العدة ، فاذا انتهت أو كان الطلاق بائنا بينونة صغرى ٠ عقد عليها بمهر جديد وشاهدين ٠

* قضيتا ميراث *

س : من السيد / ف ٠٠٠ وهبى

توفيت امرأة عن : زوج ، أخت شقيقة ، اخوة لأب ٠ فمن يرث وما نصيبه

ج : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم وجود من يعصبها أو يحجبها ، ولا شىء للاخوة لأب لاستغراق الفروض للتركة ٠

س : من السيد ل ٠ ع ٠ الريس

توفيت امرأة عن : زوج ، أخت لأم ، اخوة لأب ذكور واناث ٠

أولاد أخ شقيق ، أولاد أخت لأم ٠٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخت لأم السدس فرضا لانفرادها ولعدم من يحجبها ، والباقى للاخوة لأب تعصيبا ، للذكر ضعف الأنثى ،ولا شىء لأولاد الأخ الشقيق لحجبهم بالاخوة لأب ، كما لا شىء لأولاد الأخت لأم ، لأنهم من ذوى الأرحام ٠

والله أعلم

علم العدل الاقتصادى

والاقتصاد شىء .. والعدل شىء آخر .. حين يريد خبراء الاقتصاد فى العالم أن يطلقوا له منهجا يخضع له كل شىء ويبرر له كل وسيلة .

والعدل ـ بدوره ـ كيان انسانى آخر ترجو الانسانية فى العالم أجمع أن يخضع له ـ باذن الله ـ كل شىء ليأخذ صراطه المستقيم لسعادة البشر ، ثم يوجهها كيف شاء .

ويعنى ذلك أن يكون الاقتصاد فى خدمة العدالة ... أى فى خدمة الانسانية الفاضلة التى لا تسعى الى تحطيم الشعوب ، وتقويض قوميتها وتقاليدها ليسطر عليها اقتصاد يستنزف دماءها .

لذا كان هذا الكتاب من تأليف فضيلة الأستاذ الشيخ زيدان أبى المكارم حسن من علماء الأزهر . عرض فيه تحليلا واعيا لطبيعة الصراع المسيطر على العالم : عقيدة واقتصادا بين الشرق والغرب .. ومحاولة كلا النظامين السبق الى الفوز بالنفوذ متجافيا كلاهما هدف الانسانية فى طلب العدل .

ذلك العدل الذى يقرره الاقتصاد الاسلامى الذى يتميز : بتحقيق العدل ، ويعتمد على وسائل العلم المنصف ، وهدفه الرحمة ، والتخطيط والنظام حيث **(لا تظلمون ولا تظلمون)** .

وقد بسط الكاتب منهجا يتحقق فى ضوئه تكامل العدل الاقتصادى تربويا وميدانيا .

وفقه الله ...

رجاء الى :

الاخوة الأساتذة كتاب المجلة

الاخوة راغبى الكتابة للمجلة

سبق أن توجهت المجلة الى سيادتكم برجاء معاونتها على أداء رسالتها العلمية التى نحرص جميعا على البلوغ بها ارفع مستوى خدمة لهذا الدين وكتابه العزيز وسنة نبينا المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم .

ولقد نعلم أن هذه المجلة للمقال أولا ، وهو ما يعنيها من أبواب الصحافة ، لذا تحرص المجلة على نشر المقال العلمى موثق المادة موضح المراجع فما كان من آية قرآنية كريمة ، أو حديث شريف ، فينبغى الدلالة عليه بالنص على سورة الآية ورقمها ، وبالنص كذلك على مصدر الحديث الشريف مؤلفا وكتابا وجزءا وصفحة ومطبعة وطبعة .

وان عدم الاهتمام بهذا الأمر من توثيق المادة عموما اذا عرضت لنص من اسباب عدم نشرها .

كذلك ليست المجلة مسئولة ، ولا هى مطالبة برد المقال الذى لا ينشر ورجاؤها الأخير :

أن يكون المقال بخط جيد ، أو مدونا بآلة كاتبة .

أصداء احتفال الأزهر بعيده الألفي في الخارج

إعداد عبد الفتاح حسين الزيات

مجلة الأزهر :

أبدى فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر اهتمامه بالبحوث الفائزة فى مسابقة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ، ورأى فضيلته أن هذه البحوث أولى بها – لمناسبتها الجليلة – أن تطبع .

لذلك تعتذر المجلة عن التعريف ببقية البحوث الفائزة ...

نتناول فى هذا العدد الاشارة الى بعض أعمال الكتاب والمفكرين والهيئات التى شاركت فى الاحتفال بهذه المناسبة فى مصر أو ببلادها – تحية للأزهر فى عيده الألفى .

* ففى « المالديف » لاقت احتفالات الأزهر أصداء طيبة واسعة فى نفوس المواطنين ، وكان قد رأس وفد « المالديف » للاشتراك فى هذه الاحتفالات – بمصر – رئيس جمهوريتها ، وهو خريج كلية الشريعة بالأزهر ، يصحبه وزيران من أعضاء حكومته ونشرت صحف « المالديف » الاحتفالات نقلا عن وكالات الأنباء الى جانب مساهمتها الاعلانية بالاذاعة « والتليفزيون » .

فى ابراز دور الأزهر على المستويين الاسلامى والعالمى .

أصـــداء إحتفال الأزهر بعيده الألفى

* وفى دولة (قطــر) ابرزت وســـــائل الاعلام هناك بصورة طيبة احتفال الأزهر • وخصصت الصحف القطرية صفحات كــاملة تحدثت على مدى أسبوع بالـــدور الريــادى والقيادى للأزهر • فى الحفاظ على الاســـلام وتجديد الفكر الاسلامى •

* وفى « نيجامينا » عاصــمة « تشــاد » ألقى السفير المصرى هناك كلمة فى الاذاعـــة تعرض فيها لنشأة الأزهر وتاريخه ونشاطه •

* واحتفل المركز الثقافى الاســلامى فى مقديشيو عاصمة الصــومال بالعيــد الالفى للأزهر ، وأقام معرضا للكتاب الاســلامى تم افتتاحه رسميا بحضــور الســيد العقيــد « عبد الرزاق أبو بكر رئيس دائــرة التعليم بالحزب الحاكم وقد حضر الحفل كذلك مدير الادارة الثقافية بالخارجية الصومالية وتبــع هذا الحفل حفل آخر حضره كثير من رجالات الدولة ومســئوليها تبــودلت فيــه الخطب للاشادة بدور الأزهر فى حماية القيم والتعليم الاســلامى •

* * *

*** فى المجــلات العالمية :**

كتب الأستاذ على ارســلان فى المجلة التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الدينيــة فى تركيا يقول :

« والأزهر يستحق الشهرة الواســعة التى يشتهر بها اسمه ، لأنه • أطــول الجــامعات الدينية فى تاريخ الانسانية ، والأزهر له عدة جوانب تفتخر بها مصر والعالم الاسلامى ، ويعتبر الأزهر المورد الوحيد لأساتذة العلوم الدينية والاســلامية •

كما عقدت الندوة التاسعة للأبحاث العلمية الاسلامية لهذا الغرض •

* وأصدرت الجمعية المولادية بجمهورية مصر العربية ــ كتيبا ــ تذكاريا بمناسبة العيد الألفى للأزهر صدر له السيد السفير / عبد الله وادى الحاج محمد سفير ماليزيا بالقاهرة بكلمة قال فيها : « •• اذا ما قدمه الأزهر الى ماليزيا لا يعد ولا يحصى وهذه الحقيقة لاعترفت بهــا حكومة ماليزيا والمجتمع الاسلامى فيها » كذلك تناول الكتيب كلمات كل من القائم بأعمال رئيس وزراء ماليزيا • ووزير التربية والتعليم فيها • كذلك تناول الكتيب نبذة مختصرة عن مشــايخ الأزهر منذ نشأته حتى الآن تحدث عن بعض الأزهريين الماليزيين • •

* وفى مجلة « درع الوطن » التى تصدرها القوات المسلحة فى دولة الامارات العربية كتب الأستاذ / عبد الفتاح الفيشــاوى يقــول :

« على الرغم من كون هذه المجلة متخصصة فى النواحى العسكرية الا أنها أبت الا أن تشارك فى مناسبة الاحتفال بالعيد الالفى للأزهر ثم تناول الكاتب مقتطفات من تاريخ الأزهر والتجديدات التى ادخلت عليه ومدينة البعوث الاسلامية التى تضم أكثر من عشرين ألف وافد والمنح التى يخصصها الأزهر لأبناء المسلمين فى شتى بقاع العالم .

قالوا عن الأزهر فى عيده الألفى :

* قال معالى عبد الرحمن البكر وزير العدل والشئون الاسلامية بدولة الامارات العربية « الحقيقة أن الأزهر لم يقصر فى أداء رسالته . لقد قدم الكثير للعرب وفتح صدره لأبناء الامارات العربية . وكنت أنا واحد منهم جئنا للدراسة وتحمل الأزهر نفقاتنا . وهذه حقيقة سنظل نحملها للأزهر فى نفوسنا .

* وقال الشيخ احمد بن عبد العزيز المبارك رئيس القضاء الشرعى بدولة الامارات « ان ما قدمه الأزهر فى سبيل العلم والاسلام وما تخرج منه من علماء ودعاة كان له أكبر الأثر فى افادة المجتمع الاسلامى والانسانى فى جميع بقاع الأرض » وانه بدون الأزهر لا يكون هناك روحانيات أو ثقافة أو علوم فى أى مكان .

*** وقال رجاء جارودى « ان الاسلام هو الأصل المنشود الذى يمكن من خلاله أن يتجنب العالم الأخطار الذى تهدده .**

*** وقال الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى مدير الجامعة الاسلامية**

بالرياض :

*** ان الأزهر اقدم وأعرق الجامعات الاسلامية مطالب بالمزيد من العمل الشاق فى الاصلاح وترشيد الصحوة الاسلامية .**

أنباء وآراء

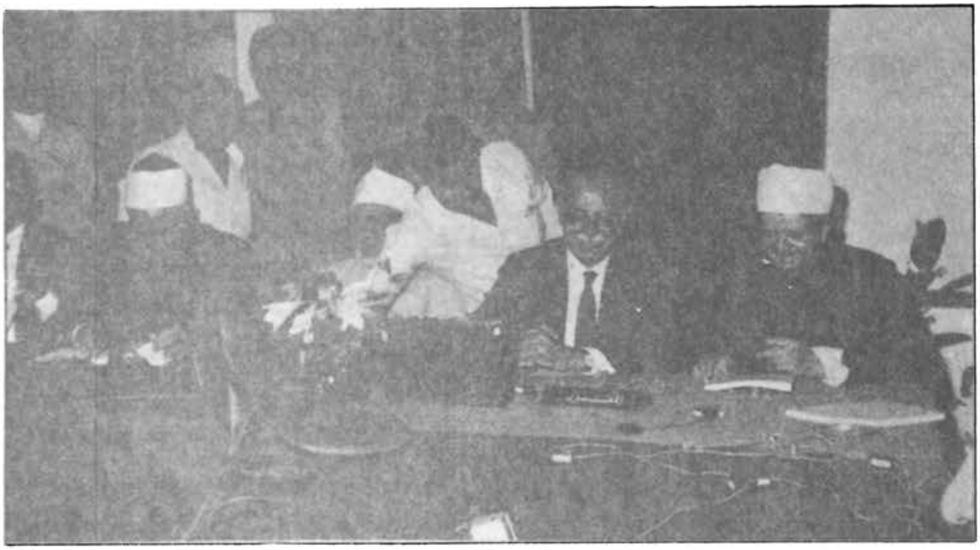

وظائف المسجد فى محو الأمية وتعليم الكبار

* عقد المركز الاقليمى لتعليم الكبار ندوة كبيرة بسرس الليان عن وظائف المسجد فى محو الأمية وتعليم الكبار شارك فيها نخبة كبيرة من علماء المسلمين وخبراء محو الأمية وتعليم الكبار فى الدول الاسلامية عربية وأفريقية وآسيوية وقد عقدت الجلسة الافتتاحية تحت رعاية الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى نائب رئيس الوزراء للخدمات ووزير الدولة للتعليم والبحث العلمى حضر الحفل فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف ، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم امين عام مجمع البحوث الاسلامية وتداول أعضاء الندوة الحديث فى الموضوعات التالية .

١ ــ وظائف المسجد فى المجتمع الاسلامى المعاصر وفقا للاحكام الفقهية .

اعداد

● اعداد احمد عبد الرحيم السايح ● صفوت عبد الجواد ● عبد الفتاح السيد عبد السلام

٢ ــ اسهام المسجد فى تعليم الكبار .
٣ ــ مشكلة الامية فى الدول الاسلامية .
٤ ــ الاساليب المستخدمة عالميا فى محو الامية .
٥ ــ برامج محو الامية من خلال تعليم القرآن الكريم والاحاديث النبوية .
٦ ــ رسالة الجامع الازهر عبر التاريخ فى محو الامية وتعليم الكبار .
٧ ــ دراسة معمارية للمسجد الجامع .
٨ ــ القوى البشرية والاساليب التنفيذية والتنظيمية اللازمة لتحقيق مهام المسجد فى محو الامية وتعليم الكبار .

احتفال الأزهر بعيد الهجرة
وبداية الموسم الثقافى للجامعة

* أقامت جامعة الأزهر احتفالا دينيا كبيرا بقاعة الامام محمد عبده بمناسبة الاحتفال بعيد الهجرة وبداية الموسم الثقافى بالجامعة حضر الاحتفال فضيلة الامام الاكبر الشيخ . جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر والسادة نواب رئيس الجامعة والقى الدكتور احمدعمر هاشم قصيدة عنذكرى الهجرة كما تحدث، الدكتور عبد اللطيف خليف نائب رئيس الجامعة . وقد القى فضيلة رئيس الجامعة كلمة تحدث فيها عن الهجرة وعن انتصارنا فى معركة العبور ، وعن بداية الموسم الثقاق بالجامعة .

ثم تحدث فضيلة الامام الاكبر عن المناسبة العطرة الطيبة وشرح فضيلته أهمية دور الأزهر والأزهريين فى المجتمع الاسلامى ودورهم العظيم فى نشر رسالة الله فى الأرض واستطرد فضيلته فقال أن جامعة الأزهر تختلف عن كل الجامعات فهى تتصدى للرد عن الاسلام لأنها (مفتوحة العين وحساسة السمع) وترد على الافكار المنحرفة وتواجه دعوى العلمانية فيجب الا نعيش على الآمال فلابد للآمال من قوم يتحملون الأمانة وتلك هى رسالة الأزهريين وطالب فضيلة الأمام الأكبر فى ختام كلمته جامعة الأزهر بانشاء مجلة تعبر عن الجامعة ورسالتها .

* طالب فضيلة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف نائب رئيس جامعة الازهر بأن يحظى طالب الأزهر فى هذه الاعوام بماكان يحظى به طالب الأزهر حين بدأ الأزهر يفتح أبوابه .

ليقيم فيه الطالب وليطعم فيه الطالب ويتعلم فيه الطالب ولا يصد طالب علم من الأزهر .

وطالب فضيلته أيضا بامتداد الرعاية فى ظل

الظروف الاجتماعية والدراسات النفسية لينال الطالب ما كان يناله فى الماضى .

وأضاف فضيلته أن التوسع فى التعليم يجب أن تسير بمحازاته الخدمات التى كانت تتم فى الماضى لطلبة الأزهر .

جاء ذلك فى الكلمة التى ألقاها فضيلته فى احتفال جامعة الأزهر بذكرى الهجرة هذا الاحتفال الذى شهده فضيلة الامام الأكبر وفضيلة رئيس الجامعة ونواب رئيس الجامعة والأساتذة والطلاب !!

*** قام فضيلة الدكتور الحسينى هاشم أمين عام مجمع البحوث الاسلامية يرافقه فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام المساعد للمجمع بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية لحضور الاحتفالات التى يقيمها المركز الثقافى الاسلامى بولاية توليدو وذلك بمناسبة افتتاح مقره الجديد .**

انشاء ادارتين جديدتين بجامعة الازهر

*** وافق الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر على انشاء ادارتين جديدتين بالجامعة تتبعان المدير العام للشئون الادارية بالجامعة .**

تختص الاولى بتصميم وصيانة مبانى الجامعة بالقاهرة وفروع الاقاليم والارتقاء بمظهرها . وتختص الثانية بخدمة ورعاية العاملين بالجامعة وتقوم على تجميع الروابط فيما بينهم واعداد البرامج لرعايتهم اجتماعيًا وصحيا وترفيهيا .

تطبيق الشريعة الاسلامية

أصدر الرئيس جعفر نميرى قانونا جديدا للعقوبات مستمدا من الشريعة الاسلامية ، ينص القانون على قطع يد السارق ، والقصاص من القاتل بقتله ورجم الزانى المحصن حتى الموت ، وجلد شاربى الخمور . وقد أمرت السلطات السودانية فى أعقاب ذلك بإغلاق جميع محال بيع الخمور فى محافظة الخرطوم .. وقدم الرئيس السودانى هذا القانون الجنائى الاسلامى الجديد كجزء من عملية اعادة التنظيم الكامل للنظام القضائى السودانى ضمانا للتطبيق الحازم للعدالة .

هيئة مستقلة للدعوة

تدرس اللجنة الوزارية للخدمات مشروعا تقدم به مجلس الشعب للحكومة يقضى بانشاء هيئة مستقلة للدعوة الاسلامية ، تتولى أمور الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج على أن تتم الاستفادة من الامكانيات المتخصصة للدعوة الاسلامية بوزارة الأوقاف ، والأزهر .

وسيكون من اختصاص الهيئة وضع سياسة للدعوة الاسلامية تكفل سد العجز الكبير فى الدعاة هذا العجز الذى تعانى منه المساجد ، وتقرير حوافز للالتحاق بكليات الدعوة

الاسلامية ، واعداد « كادر » خاص لهم أسوة بأساتذة الجامعات والهيئات الأخرى •

الاســلام والاتجاهات الســياسية

فى دراسة للبــاحث البريطــانى « جيمس بســكاتورى » بالمركــز الملكى ، للشـــئون الدولية عن الاسلام والاتجاهات الســياسية فى الشرق الأوسط ، انتهى الباحث من خـــلال دراسته التى استمرت ثلاث سنوات ، بهــدف سد الثغرات فى الفكر الغربى تجاه الاسلام • الى نتيجة ايجابية تقــول : « لقــد أصــبح الاسلام لغة السياسة لأكثر من اتجاه فى الشرق الأوسط » « وقد ضمن ما توصــل اليــه من نتائج فى كتاب ، له بعنوان » « الاســلام فى الحيــاة السياسية » •

مدينة اســلامية بأمريكا

تفيد الأنباء الــواردة من أمريكــا • بأن مجموعة من مسلمى الولايات المتحدة اجتمعوا على كلمة سواء ، وقرروا أنشاء أول مدينــة كل سكانها من المسلمين •• والمدينــة تقــام بمســتوطنة « اليجافيل » التى تبعــد أربعين ميلا عن مدينة « البانى » بولاية « جورجيا » •• والأرض التى تقام عليها هذه المدينة يملكها محمد على كلاى البطل المعروف •

وفى حفل وضع حجر الأساس للمدينــة ، توجه ما يزيــد على عشرين ألف مســلم من مواطنى امريكا الســود ، وأعلنــوا تأييدهم

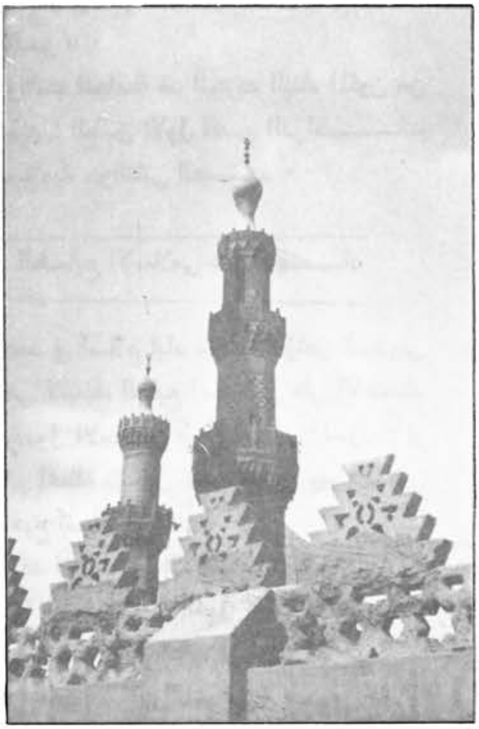

للمشروع ، واستمرار جهــودهم وراءه حتى يكتمل •

ويتوقع المراقبون أن يصل عدد سكان المدينة خلال ثلاث سنوات الى عشرة آلاف مسلم مع اكتمال المرافق العامة لها التى ستشتمــل الى جانب المساكن والمساجد على مكتبة ومدرســة اسلامية ، تكون النواة لمجمــوعة من المراكــز العلمية الاسلامية العملاقة •

افتتاح المسجد الجــامع

أقيم فى « رالغ » بكالورينا الشـــمالية ، احتفال كبير بمناسبة افتتاح قسم الدراسات

الاسلامية والمسجد اللذين أنشأتهما جامعة « شو » .

وكانت الجامعة قد أنجزت البناء المكون من طابقين : الطابق الأول لقسم الدراسات الاسلامية ، والثانى للمسجد .

الطابع الاسلامى على الاقتصاد

عقد فى اسلام أباد مؤخرا المؤتمر الدولى الثانى لاضفاء الطابع الاسلامى على الاقتصاد فى الدول الاسلامية .. وقد قرر المؤتمر فى ختام أعماله تشكيل اتحاد دولى يهدف الى تشجيع انجاز هذه المهمة .

وقد اشترك فى هذا المؤتمر مائة وخمسون خبيرا اقتصاديا من الدول الاسلامية وأعلن عقب انتهاء الاجتماعات أن لجنة تضم ثلاثة عشر عضوا شكلت لنشر فكرة اضفاء الطابع الاسلامى على الاقتصاد والأخذ بها .

الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامى

أقيم فى تلمسان بالجزائر الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامى وموضوعه : « السنة النبوية الشريفة » ، وألقيت فى الملتقى بحوث هامة تتعلق بالحديث الشريف . منها .

- استعمال العقل الالكترونى فى فهرسة الحديث .
- اعتناء علماء المغرب بصحيح مسلم .
- أقدم آثار تدوين الحديث كتابة .
- توجيهات السنة النبوية فى مجال التشريع .
- جمع الصحيحين .
- السنة كمصدر رئيسى فى الفكر التربوى الاسلامى .
- طبيعة الدين الاسلامى وسماته .
- لا سنة من غير فقه .
- وضع الحديث : أسبابه ونتائجه .

وسوف يكون موضوع الملتقى السابع عشر « الاجتهاد » .. على أن يحدد موعده ومكانه فيما بعد .

معهد اللغة العربية

أعلن معهد اللغة العربية لغير العرب بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، عن فتح باب القبول فى برنامج تأهيل « المجموعات » السعودية والعربية والاسلامية ، فى مجال نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية فى العالم .

ويهدف هذا البرنامج الى توفير المجموعات المؤهلة تأهيلا علميا عاليا فى مجال تعليم اللغة العربية لغير العرب ، وتخريج معلمين قادرين على نشر الدين الاسلامى واللغة العربية بالخارج بأسلوب تربوى .

ويشترط فى المتقدمين لهذا البرنامج الحصول على ليسانس اللغة العربية بتقدير جيد جدا فى مواد التخصص ، ويمنح الدارس درجة الماجستير فى علم اللغة التطبيقى ودبلوم تعليم اللغة العربية لغير العرب .

استخدام مختبرات اللغات

عقدت فى دبى ندوة اقليمية لدراسة استخدام مختبرات اللغات فى تدريس اللغة العربية ، تحت اشراف المركز العالمى للتقنيات التربوية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع وزارة التعليم والشباب بدولة الامارات العربية المتحدة .

المركز العالمى للتعليم الاسلامى

بدأ المركز العالمى للتعليم الاسلامى بمكة المكرمة يصدر سلسلة من الكتب التى تبحث فى التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى . وقد أصدر تسعة كتب تضم بعض بحوث المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى . كما أصدر توصيات المؤتمرات التعليمية الاسلامية العالمية الاربع .

الفصل بين الطلبة والطالبات

أوصى مجلس الأمة الكويتى فى اجتماعه الأخير بالعمل على الفصل الكامل بين الطلبة والطالبات فى فصول جامعة الكويت ومرافقها وذلك التزاما بمبادىء الشريعة الاسلامية .

وقد بدأ المسئولون بجامعة الكويت سلسلة من الاجراءات لتنفيذ توصية مجلس الأمة .

٥٠ الف فرنسى يعتنقون الاسلام

* باريس ـ أ ـ ف ـ ب ـ ذكرت مجلة « الاكتواليتيه روليجوز » الفرنسية أن عددا يتراوح مابين ٣٠ الى ٥٠ ألف فرنسى من كافة الأوساط الاجتماعية وجميع الاتجاهات ، قد أشهروا اسلامهم خلال السنوات القليلة الماضية .

وقالت المجلة التى تعتبر أكبر مجلة كاثوليكية تصدر فى فرنسا ، أن الأشخاص الذين يتحولون حاليا الى الاسلام ينتمون الى الحركة الأكثر انتشارا المعروفة بأسم العودة الى « الروحانيات » وينتمى هؤلاء الأشخاص الى كافة الأوساط ، فمنهم مفكرون « الفيلسوف روجيه جارودى وميشيل شودكيويتز عالم الدراسات الصوفية » وفنانون « موريس بيجار الراقص ومصمم الرقصات » بل ومنهم ـ وهذه ظاهرة جديدة موظفون وعمال .

وأضافت المجلة أن هؤلاء اجتذبهم الاسلام ببساطته وبأنه « دين حى يتسم بالقناعة والزهد » وبما يتيحه من امكانية « التوجه الى الله دون وسيط » .

أنباء وآراء

وقالت المجلة : ان الهجرة الى الاسلام فى الماضى كانت مقصورة أساسا على العسكريين الذين عايشوا الاسلام خلال حقبة كاملة من الوجود الفرنسى فى شمال أفريقيا والشرق الأوسط • وكان أول هؤلاء المهاجرين وأبرزهم الجنرال مينو خليفة الجنرال كليير الذى كان على رأس الجيش الفرنسى الذى مكث فى مصر بعد حملة بونابرت فى مطلع القرن الماضى •

شهادات الاستثمار

كتب الأخ / محمد السيد على – الشرقية – الزقازيق •

يقول فى خطابه – نريد أن نرى على صفحات مجلة الأزهر الغراء مقالا شافيا عن شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة هل هى حلال أم حرام ووجه الحل والحرمة ؟ لأننا فى حيرة من هذا الأمر وفقكم الله •

– المجلة تشكر لك هذا الاهتمام • وتبلغك بأن هذا الموضوع قدمت فيه أبحاث أحيلت الى اللجنة الفقهية بمجمع البحوث الاسلامية •

شيوخ الأزهر

كتب الأخ / أحمد محمود محمد – أسيوط •

مقترحا بأن تنشر المجلة فى باب أعلام الأزهر شيخا من الشيوخ الذين تولوا منصب مشيخة الأزهر فى كل عدد لكى نزداد معرفة بهم •

– المجلة تشكر لك هذا الاهتمام ، وتفيدكم بأن مجمع البحوث الاسلامية أصدر أكثر من كتاب جمع تاريخ هؤلاء الأعلام الأفاضل ، وستحاول المجلة أن تقدم منهم فى باب (من أعلام الأزهر) •

الاشتراكات

كتب الأخ / الشاذلى رجائى – السودان •

مستفسرا عن كيفية الاشتراك فى المجلة وقيمة الاشتراك •

– على الأخ الفاضل الاتصال بادارة توزيع الأهرام فانها المختصة بهذا الموضوع وهاك عنوانها •

القاهرة – شارع الجلاء – ادارة توزيع الأهرام •

رد خاص

الأخ / صلاح محمد لاشين – الغربية – زفتى •

– أكتب بطلبك الى ادارة بنك فيصل الاسلامى بالقاهرة كورنيش النيل •

الدوائر الدعائية ضد الاسلام

كتب الأخ / د• محمد على أحمد المفتش بوزارة الصحة – القاهرة •

يسأل لماذا توقفنا عن نشر الدوائر الدعائية المضادة للاسلام •

– نحن لم نتوقف وانما أنتهى بحث الكاتب ولم يبدأ حلقة جديدة وسوف نسلمه رسالتكم وبالله التوفيق •

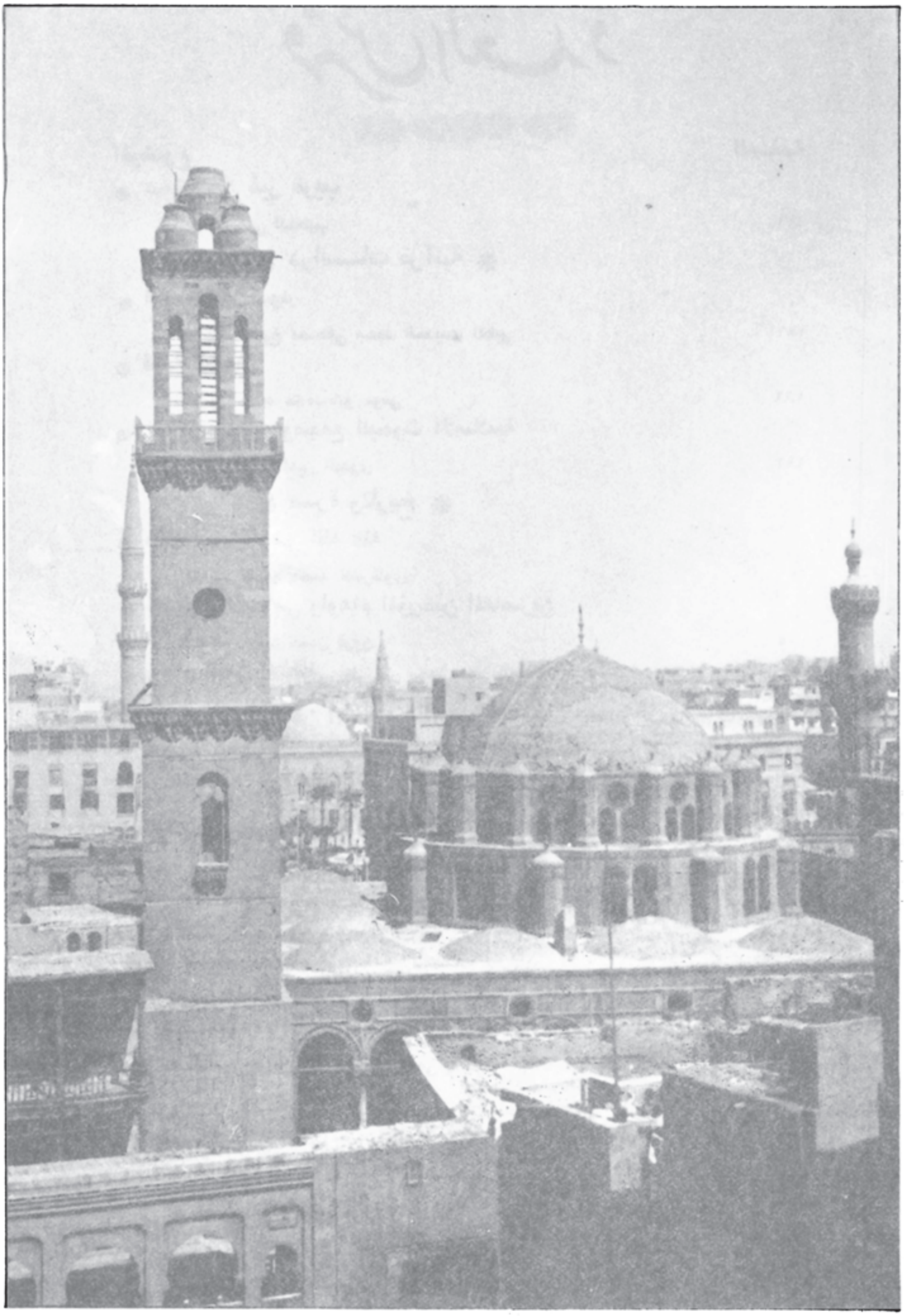

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● عجيب .. غير غريب للدكتور على الخطيب	١٧٧
✽ دراســات قرآنية ✽	
● اصحاب الاخدود لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير	١٨١
● قصة الصرفة للدكتور محمد محمد ابو موسى	١٨٦
● القرآن العظيم ومجمع البحوث الاسلامية للاستاذ محمد امين البدوى	١٩٢
✽ سيرة وتأريخ ✽	
● مشهد حمزة رضى الله عنه للدكتور محمد محمد الشرقاوى	٢٠٠
● التاريخ الاسلامى وأوهام المؤرخين المعاصرين للاستاذ السيد حسن قرون	٢٠٤
● جمال الدين الافغانى للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	٢١٠
✽ من أعــلام الأزهر ✽	
● الشيخ محمد أحمد عرفه للدكتور محمد عبد المنعم	٢١٧
✽ المجتمــع الاســلامى ✽	
● الاسلام ونظريات بناء الروح المعنوية للواء ا . ح محمد جمال الدين محفوظ	٢٢٠
● اثر الاسلام فى المجتمع العباسى للدكتور محمد رجب البيومى	٢٢٦
● من تاريخ القضاء فى دولة الاسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٢٣١
● ماذا قدمنا للاعلام الاسلامى للدكتور سامى عبد العزيز الكومى	٢٤٠
✽ الشــعر ✽	
● حنين قلب للدكتور حسن جاد	٢٤٤
● القدوة الحسنة والادارة الاسلامية لفضيلة الدكتور الحسينى هاشم	٢٤٥
✽ مع الفكر الغــربى ✽	
● المدعــون لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى	٢٤٧

* الجزء الثـانى *
* السنة السادسة والخمسون *
* صفر ١٤٠٤ هجرية * نوفمبر ١٩٨٣ ميلادية *

الموضوع	الصفحة
● دفاع عن الاسلام عرض وتعليق الدكتور طه مصطفى ابو كريشة	٢٥٢
● من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى للدكتور محمود عبد المعطى بركات	٢٦٢
* مـع التراث *	
● المداراة والمداهنة للشيخ محمد الخضر حسين اعداد : عاطف زهران	٢٧١
● من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر للاستاذ محمد عميره على	٢٧٥
● طرائف .. ومواقف اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢٨٠
* لغة وأدب ونقـد *	
● كسب ـ اكتسب للاستاذ احمد حسن عبد العواض هلالى	٢٨٣
● (اذا) المفاجاة بين الحرفية والظرفية للدكتور ابراهيم حسن ابراهيم	٢٨٩
● جولة مع شاعر ابوللو المغرد بقلم احمد مصطفى حافظ	٣٠١
● من عيون التراث الصوفى للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٣٠٧
● ذبح اسماعيل بين الحقيقة والافتراء للاستاذ / عاطف زهران	٣١٤
● الفتـــاوى اعداد عبد الحميد السيد شاهين	٣١٦
● أصداء احتفال الازهر بعيده الالفى فى الخارج اعداد عبد الفتاح حسين الزيات	٣١٩
● انباء وآراء ● اعداد ا/ احمد عبد الرحيم السايح، صفوت عبد الجواد، عبد الفتاح السيد عبد السلام	٣٢٢
● قسم اللغة الانجليزية اعداد الدكتور انس النجار	٣٣٣
● مراجعة وعناوين داخلية الاستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا	

طبع بمطابع روزاليوسف

repeatedly infringed by the Jews. In the course of events they suffered indignant defeat and destitution on the hands of the Muslims.

The theme of this treatise is to familiarise ourselves with the most outstanding achievements of the Prophet (Prayer and Peace from Allah upon Him) during the early period after Hijrah. Achievements that had direct and perpetual influence on further growth, development, and expansive propagation of the Islamic state.

Prayers and Peace from Allah upon the illusterious Messenger.

Legend

1 — The Qibla : direction which Muslims face during prayer.
2 — Biet Al Maqdis . Now known as Jerusalem.
3 — A total of 39 are recorded in the literature

References :

1 — Hayyat Mohammed.
Mohammad Hussein Heikal.
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo.

2 — Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen.
24th. Edition, 1978.
Sheikh Mohammad Al Khodary Bey.
Great Commercial Library Cairo.

3 — Alsira Al Nabawiah.
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Al Nadawi
Dar Al-Shark — Jeddah.

4 — Fiqh Al Sira.
Dr. Mohammad Ramadan Al Booty
7th. Edition, 1977.
Dar Al-Fikr Cairo.

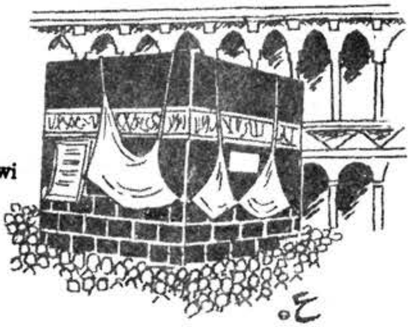

THE FIRST YEAR AFTER HIJRAH

of (Allah is one with no partner, and Mohammad is the Messenger of Allah).

The early residence of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) at Al-Madina was challenged by the complexity of prevailing conditions in a city with divergent, antagonistic. religious cults, social classes, and tribal disputes. It was difficult and futile to associate oponent hostile powers in one crucible of social order and obedience The Prophet (Prayers and Peace from Allah tpon Him) and his companions of Muhagreen and Ansaar during those early stages still constituted a minority group as compared to resident population at Al-Madina and its effective surroundings. The majority of these belonged to the Jewish clans of Banu Qaynuqaa, Qurayzah, and Al-Nadeer; who were dogmatically repellent, and persistantly rejecting the birth of the new faith brought about by the Prophet Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him). However, inspite of bitter animosity to Islam, several (3) of them embraced the Faith of Islam including Abdu Allah Ibn Salaam a chieftain of Banu Qaynuqaa, Among the Arabs of Al-Madina, there were many that lived among Muslims with deciet and hypocrisy, most reputable was Abdu Allah Ibn Ubai Ibn Salool. These hypocrites were potentially more dangerous to Islam than those showing frank open enmity. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him)with devine wisdom and through Quranic revelations, recognised these hypocrites and developed means and attitudes to deter and antidote their disasterous poison within the Muslim community.

The compact hatred and antagonistic attitude of the Jewish clans towards the Islamis Faith and Muslim community was featured with frank enmity. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) reconciled to document a working agreement and truce to be formulated among Muslims on one hand, and between Muslims and jews on the other. This documentation is expandedly cited in Islamic literature, and constituted thirteen items dealing wih every possible aspect of Muslim-Jewish relationhips, limitations, possessions and freedom of belief, no armed conflict, no support of enemy, recognition of material belongings and territorial occupancy.

Such documentation reveals the honest and sincere intentions and respect of Islam towards the Jews and other religious cults. However, this agreement later on with vulgar and deceitful contrivance, and with dishonest betryal was

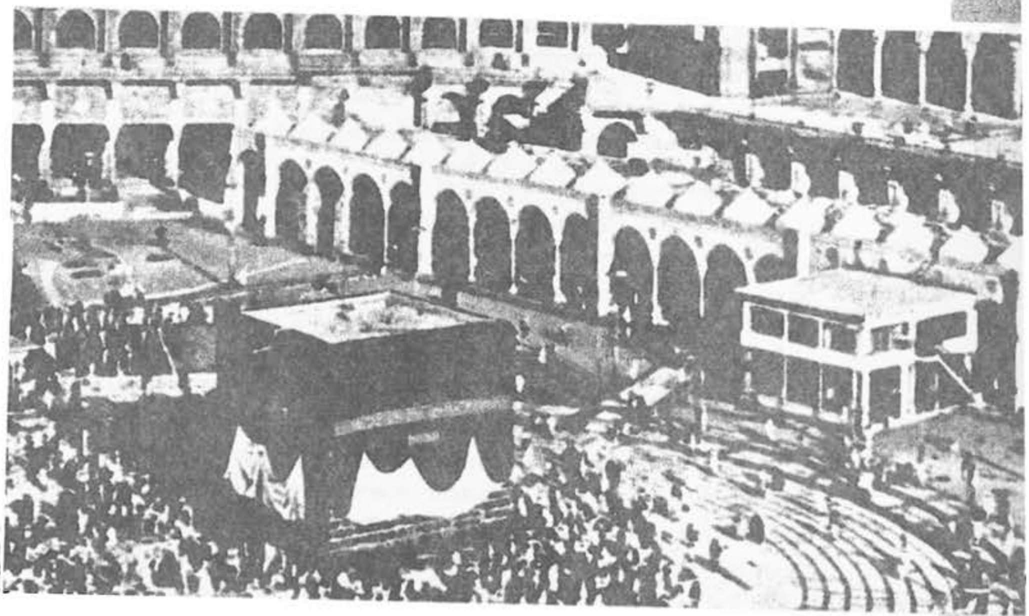

fundamental considerations the Prophet (Pray ers and Peace from Allah upon Him) directed his premier initial attention to the construction and function of the Mosque at Al-Madina.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) with adamant intention desired to achieve social coherence and perpetual cognition between Muslims consorting at Al-Madina, and belonging to diverce social, economic, tribal, and ethnic backgrounds. He accomplished that purpose with superb success by establishing and arranging fraternal order between pairs of Muslims particularly between Muhagreen and Ansaar. This conformity instituted several binding linkages between pairs. In its early stages this fraternity order included the right of inheritance, a practice which was later deleted by Quranic revelation. This brotherhood linkage is unprecedented in history and gained dominant authority and influence over associations and relationships within the Muslim community. The triumphal success of this fraternal order originated from true belief, honest acceptance of Islamic Faith, and profound obedience to the teachings of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him). All Muslims conducting themselves intimately with penitent intention and devoted spirit to the framework of Islamic doctrine become interlaced with the eternal reality and maxim

THE FIRST YEAR AFTER HIJRAH

During the first seven months at Al-Madina, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) stayed in the home of Khalid Ibn Zayd (Abi Ayoub Alansari), and then moved to his rooms built adjoining the Mosque. In the first year after Hijrah, three major accomplishments were completed. These were the building of the Mosque; the establishment of a fraternal order between Muslims, essentially between Muhagereen and Ansaar; and the documentation of a working agreement between the Prophet (Prayer and Peace from Allah upon Him) and the Jews resident at Al-Madina.

The Mosque was constructed in a humble manner and primitive means using mud bricks and palm trees, and covering its grounds with pebbles of stone. The Qibla (1) was directed north towards Beit Al-Maqdis (2), and was later during the second year of Hijrah transposed to be directed south towards Macca as ordered by devine Quranic revelation. The Mosque essentially used by Muslims to perform communal prayer five times a day demanded the innovation of a prayer calling system. After deliberation, debate and consultation, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) accepted and recognised the current well known method of the call for prayer — (The Athan). This was confirmed and established during the first year of Hijrah.

The Mosque is not merely a place for prayer and workship. By Islamic concept, it possesses multi-purpose functions of fundamental importance in teaching, developing, propagating, and practice of Islamic culture. In the Mosque, Muslims adhere strictly to proper Islamic conduct and behavior; they attain personal and mutual cohesion and consolidation; and gain the true traditional Islamic mannerisms.

During the assembled concourse of prayer, they develop firmness, purity confidence, equality and respectfull mutual inter-relations. They stand humble and subdued, devoid of rank or richness, without worldly arrogance or power. They all stand equal and alike in serene subjection to Allah. They ripen in manner, ability of intellect, knowledge of faith, sincere workship of Allah, and strict adhereance to the teachings and tradition of His Messager (Prayers and Peace from Allah upon Him). For such essentially vital and

THE FIRST YEAR AFTER HIJRAH

BY :

Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D. PhD.

In the Name of ALLAH, Most Gracious, Most Merciful

The Hijrah of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) from Macca to Al-Madina provided the fertile soil and suitable environment required for the institution and secureness of the newly gathered juvenile moslem community. However, although the Prophet (Prayers and Paece from Allah upon Him) and his companions were free from the oppressive despotism of Kuraysh experienced in Macca, yet at Al-Madina several challenging problems were to be encountered and solved in order to achieve solid organization selective for a vanguard muslim state.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) bestowed with provident wisdom and supreme insight realised with knowledge and understanding the substancial requirements necessary to achieve his purpose. It was mandatory to establish a firm tightly bound matrix and infrastructure of spiritual unity, social order and justice, equality and sodality, all conforming within a totalitarian system which stems from firm belief, and pious devotion to faith as identified by Quranic revelations, and traditional practice of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him). The acquisition of this objective demanded action and effort to be taken in salient imbending matters during those early months after the Hijrah. These were the implementation and practice of Islamic doctrine and Shari-ah; the regional and global recognition and promotion of Islamic Faith; and to consumate a suitable attitude and conduct between Muslims and other religious cults and creeds at Al-Madina.

ص ١٢
٢٢٢٢٢٦٤
دوريات

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف

● الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

خير أيام الدنيا يوم سرى فى ربيع الاول ، وتلقى فيه الكون رحمة ربه بمولد محمد — صلى الله عليه وسلم — رسول الله الى الناس كافة حتى يوم الدين .

وما يسرى « ربيع » الا استهدف قلوب المسلمين بهذه الذكرى فشغفت لها القلوب حبا وودا واخلاصا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأملا وبشرى ورغبة فى حياة أفضل يستلهمونها من سيرته ، ويتذوقون فيها رحيق الايمان راجين الخير كله من رب كريم رحيم .

وهذه « مجلة الازهر » تقدم لقارئها من السيرة العطرة والشمائل الطيبة ما يلاقيه بتلك الذكرى الطاهرة على خير ود وأعمق حب لرسول الله — صلى الله عليه وسلم .

* الجزء الثالث * السنة السادسة والخمسون *

* ربيع الأول ١٤٠٤ هجرية * ديسمبر ١٩٨٣ ميلادية *

أسس الرياسة عند الرسول صلى الله عليه وسلم في ذكرى ميلاده

كانت ولادة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نعمة انعم الله بها على الانسانية ادخره لها بعد اذ شبت ، واستتب لها الأمر على الأرض ، ولكنها بعد لم تعرف حق بارئها فذهب الانسان يتخذ اربابا من دون الله من نار ، وبقر ، وحجر .

تغدو اليه الأنبياء والرسل منذرة ومبشرة بدين الله ، ولكن قتل الانسان ما أكفره اتخذ أندادا لربه ، فانغلق قلبه دون نور الايمان وطغت عليه المادة ، فاستظل بها دون رحمة الله ، حتى استشرى الفساد في الأرض (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) .

واذ طم الجهل وعم ، وكفر الناس بأنعم الله الذى خلق فسوى كانت الرحمة المهداة فشرفت الدنيا بمولده ، واستنارت ، وكان هذا الوليد الكريم على ربه الذى اصطفاه وشرفه فيما بعد بالرسالة ، بعثا الى الناس جميعا :

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) .

نعم تدارك الله الانسانية برحمته ، بدين ينضوى تحت لوائه الخلائق الى يوم البعث ، فكانت ولادة هذا الرسول فى وقت كانت المهالك والضلالات قد أصابت البشرية فى مقتل ، فقد امتهنت كرامة الانسان حتى نسى نفسه ، بعد أن أنساه الشيطان ذكر ربه واستحل الحرمات ، دون خشية من وعيد أو تهديد ، وغاضت من قلبه مراقبة ربه ، ووثب الأقوياء على الضعفاء يستذلونهم ، ويستعبدونهم ، فانغلقت أبواب الراحة والرحمة ، وانفتحت أبواب الشر والآثام .

لصاحب الفضيلة
الإمام الأكبر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

كانت ولادته ــ صلى اللــه عليه وســلم ــ بشير خير وبر بالانسانية ، ونذيرا بزوال دولة الظلم والاستبداد والجهالة ، فقد بعثه الله بعد اذ اصطفاه ورباه ، وارتفع به عن الدنايا وغرس فيه كل الكمالات اعدادا لحمــل أعظم وأخلــد الرســـالات .

فالاسلام ليس دعوة أخلاقية ولا برنامجــا اصلاحيا ، ولا بيانا من بيانات الحكام .

كما لم يكن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجلا اقليميا ، ولا زعيما وطنيا ، انما كان نبيا جاء بالاسلام دينا من عند الله ، لا من صــنع البشر ، دينا ينتظم كل شىء فيه كمال الفرد ، وصلاح الأسرة ، واســتقامة الأمــة وعمــارة الحياة ونضارتها . كــان مولده نعمــة وبعثته رحمة (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**) .

فلننظر فى سيرة هذا النبى حتى نقتدى به كما أمر الله (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) ولنتعلم كيف ساس الأمـــة وعلمها فانطبعت عــلى الخير وابتعدت عن الشر .

هذه سيرته فى رياسته : لقــد كــان أصغر اتباعه عنده كنفسه ، يكره أن يتميز على غيره ، هذا هو فى ســفر ، وهاهم أصحابه يقومــون باعداد الطعام ــ شاة ــ يصلحونها فيتقاسمون العمل فيقول أحدهم : على ذبحها ، ويقول آخر وعلى سلخها ، ويقول ثالث : وعلى طبخهــا ، فيقول صاحب الذكــرى ــ صلى اللــه عليــه وســلم ــ « وعلى جمــع الحطب » فيقولون يارسول الله : نكفيك العمــل . فيقول لهــم : (علمت أنكم تكفوننى ، ولكن أكره أن أتميــز عليكم ، ان الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه) رياسة اعــداد ومشاركة فى كل الأعبــاء .

أسس الرياسة عند الرسول صلى الله عليه وسلم

وموقف آخر ليس للطعام وانما للدفاع عن المدينة ، ورد العدو عنها يوم الخندق لقد كان يعمل بيديه مع المسلمين فى حفر الخندق حول المدينة حماية لها من الأحزاب الذين تجمعوا يريدون بالاسلام وبالمسلمين فى المدينة الشر .

ثم ها هو يرى أن فى قضاء حوائج الناس أمانا من غضب الله وعذابه فيقول — صلى الله عليه وسلم — : (ان لله تعالى عبادا اختصهم بحوائج الناس يفزع اليهم الناس فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله) .

كانت ولادته نعمة وبعثته رحمة ، فكانت دعوته الى تقديم الرحمة على العدل فقال :

(ان الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه : أن رحمتى تغلب غضبى)

(ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه مالا يعطى على العنف) وقال : « ان الله تعالى لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا) .

ولقد تناقل عنه بعض أصحابه انه ما خير بين حكمين الا اختار أيسرهما ، مالم يكن خرقا للدين » .

وضع للناس ميزان العدل فى الأحكام وحاسبهم بما ظهر له من أدلتهم التى يتبادلونها ووكل ضمائرهم وبواطنهم الى أنفسهم ، والى الله الذى يعلم السر وأخفى وأرشد القضاة الى العدل حين خرج الى الناس يوما وهم يختصمون فقال :

(انما أنا بشر وانه ليأتينى الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فاحسب أنه صدق فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها) هذه نماذج من أسس الرياسة التى أرساها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ونماها بين أصحابه فاستقاموا عليها فاستقامت لهم الحياة واجتمعوا بعد فرقة ، وكانوا روادا وقادة ، ينطقون بالحكمة ، ويعدلون فى الحكم .

نعم نذكره فى مولده رءوفا رحيما « بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » يود من عرفه ، ويعرف حق من أحسن اليه ، تلك مودته لعمه أبى طالب ، وحنينه لأمه آمنة ، وبكاؤه على قبرها ذاكرا لها ، وحفاوته بمرضعته حليمة واكرامه اياها ، ومودته لحاضنته أم أيمن .

لم يكن رحيما بالناس فحسب ، بل وبالحيوان فيقول لاصحابه معلما وداعيا الى الرحمة :

(دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها وسقتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) .

وبعـــــد :

ففى ذكرى ميلاد الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ نذكــر أنه أقام هذا الدين ، رابطة قوية ،حبل الله المتين دين الاسلام ، فقوة المسلمين انما هى بالقوة الاعتقادية التى هى أجل الفضائل الانســانية منذ ان اهتــدى الناس الى هــذا الدين الذى هو أقدس رابطـــة وأعلاها متى تمكنت واســتحكمت صعدت بالمســلمين الـى مدارج السيادة والقوة وذروة المجــد ،فجنسية المسلم عقيدته (**إِنَّمَـــا الْمُؤْمِنُـونَ إِخْـوَةٌ**) .

فى ذكرى مولد الرسول ــ صلى الله عليــه وسلم ــ ينبغى أن نأخــذ أنفســنا أفرادا وجماعات ، حكاما ومحكومين بما كان عليه ومــا جاء به ، وأن نقبل على الله استمساكا بكتــابه وسنة رسوله وعملا بشريعته ، وانخلاعا مــن الاعتقادات الباطلة ، حتى تحيا قلوبنا وتطمئن بذكــر الله ، ولنعمل على تقوية العاطفة الدينية بين المسلمين ، ولنوثق الاخاء الاسلامى .

فيــه تجتمع الأمة على قلب رجل واحــد ،ويعصمها الله من الضــلال . وليكف أولئــك الذين يدعون الى الفرقة ، ويشيعون بين الناس الفتن ، فان للمسلمين طريقا واحــدا مستقيما (**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِـهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُــونَ**) .

مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم

- سيدى يارسول الله
- من شمائله
- الإشراقة العظمى
- ومضات من سيرة الرسول
- قادة النبى صلى الله عليه وسلم

سيدى

يارسول الله

صلوات الله وسلامه عليك

للدكتور على الخطيب

عزيــز علينــا أنت ــ واللــه ــ سيدى يارسول الله .

عزيز علينا أنت يارسول الله باكثر ما يفوق طــاقة محب أن يشغف بحبيب كريم أمين ، رءوف رحيم ، على خلق عظيم .

عزيزة علينا شمائلك الزكية التى اختصها المولى ــ عــز وجــل ــ بعنايته فظلت أسوة ، وظلت رحمة، وظلت عزاء الى يوم الدين .

عزيز علينا أنت ــ ياســيدى ، يارسول الله ــ فى كل آن عزة لاتفتر فى حب لايحول ولايزول .

عليك صلاة الله وسلامه .

وتحياته ورحمته وبركاته .

على خير مايحب ربنا ويرضى .

سيدى : يارسول الله .

على الدنيا العفاء لو لم يشرق فيها يــوم بوجودك ، فتختم النبيين بأيسر دين وعلينــا العفاء ان لم نخصك بمزيد الانس بك ، والنفع بشريعتك ، والتعظيم لك فى يوم مولدك الكريم.

سيدى : يارسول الله ..

* لأنت أسمى شعورا وأجل انسانية مــن أن تصد مسلما فتمنعه أن يبدى فرحته بــك ، وسعادته بذكرك ، وحبه لذاتك .

وما علمناك فعلت ، ياسيدى يارسول اللــه ، ولا نهيتنا ، بل علمنا أنك أفسحت للسيدة التى نذرت أن تضرب دفا بين يديك فرحا بسلامتك ــ قالت لك : يارسول الله ، انى كنت نذرت ــ

ان ردك الله صالحا (١) ــ أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى ، فقلت ــ ماروا ه عنك سيدى الترمذى وغيره من الأئمة :

ان كنت نذرت فاضربى ، والا فلا .

فجعلت تضرب .

ولو كان نذر معصية ما أقررتها سيدى يارسول الله ،

وفى سند أبى داود قالت :

« **يارسول الله** ، انى نذرت أن أضرب على رأسك بالدف !

فقلت ــ سيدى يارسول الله :

« **أو فى بنذرك** »

وفى مسند أحمد ــ رضى الله عنه :

« **فقعد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فضربت بالدف** » (٢) .

وما عليها فى فرح برىء لايستثير شهوة ، أو يصرف عن طاعة ، أو يجر الى معصية ؟!!

* وما علمناك ــ سيدى يارسول الله ــ منعت الاحتفال بالأيام الطيبة ، ولا تلقينا عنك نهيا فنلتزمه ، بل نقول ــ واثقين :

كان يقلس عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويقلس له يوم للفطر قال ابن ماجه ــ رضوان الله عليه :

« حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا شريك ، عن مغيرة ، عن عامر قال :

شهد عياض الأشعرى عيدا بالأنبار فقال :

مالى لاأراكم تُقَلِّسُون (٣) كما كان يُقَلَّس عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ؟ »

وفى الزوائد :

هذا اسناد رجاله ثقات :

وروى ــ رضى الله عنه ــ قال :

حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا أبو نعيم ، عن اسرائيل ، عن أبى اسحاق ، عن عامر ، عن قيس بن سعد قال :

ماكان شىء على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الا وقد رأيته الا شىء واحد ، فان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يقلس له يوم الفطر » .

قال أبو الحسن بن سلمة القطان :

حدثنا ابن ديزيل حدثنا آدم ، حدثنا شيبان عن عامر ــ ح ــ وحدثنا اسرائيل عن جابر ــ ح ــ وحدثنا ابراهيم بن نصر ، حدثنا أبو نعيم حدثنا شريك عن أبى اسحاق عن عامر : نحوه .

---

(١) اى سالما ، وكان صلى الله عليه وسلم قد عاد من احدى مغازيه .

(٢) انظر للامام الترمذى ــ الجامع الصحيح ــ المناقب : الحديث (٣٦٩٠) ط اولى ١٣٨٥ مصطفى البابى الحلبى .

انظر سنن ابى داود ٢/٢١٣ ط اولى ١٣٧١ مصطفى البابى الحلبى .

انظر المسند للامام احمد بن حنبل ٥/٣٥٦ الميمنية .

(٣) تلعبون ، وورد اللعب على شكل ما كانت عليه بيئة اللاعب فى بعض الاحاديث .

فى الزوائد : اسناد حديث قيس صحيح ورجاله ثقات (١) .

فهذا احتفال بيوم من أيام الله الطيبة كان فيه تقليس بين يدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أى لعب ، ومانشك فى أنه لعب برىء برىء حتى ليكاد عياض — رضى الله عنه — يحتج ، أو هو احتج لعدم اتيانهم به فى الأنبار .

ومن يقول : ان يوم ميلاد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليس من الأيام الطيبة ؟ !

انه لمن أكرمها ... وأعزها ..

انه اليوم الذى احتفل فيه الكون ذاته بميلاد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فارتكست فيه شرفات الكفر ، وكبت — على وجهها — الأصنام (٢) .

***

* وما علمناك — سيدى يارسول الله — منعتنا أن نحتفل بالحوادث العظام التى تشرفنا وترفع منا ، وتدفعنا الى المجد العظيم . وهذا نشيد استقبالك يوم أنرت المدينة .. كان حادثا فذا .. كان يوم الدين والدولة ، وصدحت فيه فتيات المدينة :

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا   جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة   مرحبا يا خير داع

كذا أنت سيدى يا رسول الله :

أسمى شعورا ، وأجل انسانية من أن تصد مسلما فتمنعه أن يبدى فرحته بك وسعادته بذكرك ، وحبه لذاتك .

ولا منعت — سيدى يا رسول الله — ولا تلقينا عنك نهيا بالاحتفال بالأيام الطيبة ولا منعت — سيدى يا رسول الله — ولا تلقينا عنك نهيا بالاحتفال بالحوادث العظام .

وهل يخرج الاحتفال بيوم مولدك العظيم عن احدى هذه الثلاث ؟؟!

مرحبا بيومك العظيم يا خير داع !

وصلى الله وسلم وبارك عليك — سيدى — حتى يرضى فترضى .

د . على الخطيب

---

(١) سنن ابن ماجه ٤١٣/١ دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢١١/١ — ٢٢٠ عيسى البابى الحلبى .

من شمائله
صلى الله عليه وسلم

من صفاته الخلقية والخُلقية صلى الله عليه وسلم :

كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أراف الناس وأعدل الناس وأحلم الناس وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أسخى الناس وأكرم الناس : لا يبيت عنده دينار ولا درهم وأن فضل شىء ولم يجد من يعطيه له وفجاه الليل ٠ لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه ٠

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لايأخذ مما آتاه الله ــ عز وجل ــ الا قوت عامه فقط من أيسر مايجد من التمر والشعير ويضع ما فضل من سائر ذلك فى سبيل الله ــ عز وجل ــ ٠

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لايسئل شيئا الا أعطاه ٠

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لايواجه أحدا بمكروه ، ولا يتعرض فى وعظه لأحد معين بحيث يعلم بالقرينة أنه يعنى ذلك الرجل ٠

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقبل على أصحابه بالمباسطة حتى يظن كل واحد منهم أنه أعز عليه من جميع أصحابه ، ويعطى عليه الصلاة والسلام كل من جلس اليه نصيبه من البشاشة حتى يظن أنه أكرم الناس عليه ٠

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم مهنة أهله ويقطع معهن اللحم كأنه واحد منهم ٠

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أشد الناس حياء لا يثبت بصره فى وجه أحد ٠

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجيب دعوة الحر والعبد ، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ٠

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعود مرضى المساكين الذين لايؤبه لهم ويخدمهم بنفسه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ٠

---

(١) تقدم مجلة الازهر هذه الكلمة فى مناسبة مولده ــ صلى الله عليه وسلم مستمدة من الشمائل لابن كثير المضمن شمائل الترمذى ــ رضى الله عنهما . وما ورد من صحيح الحديث ملخصة على طريق الامام الشعرانى ــ رضى الله تعالى عنه من كتابه « منح المنة فى التمسك بالشريعة والسنة »

إعداد الأستاذ علي حامد عبد الرحيم

وكان يتلطف بخواطر أصحابه ويقول لأحدهم اذا انقطع عن مجلسه : لعلك وجدت يا أخي منا أو من اخواننا شيئا .

وكان — صلى الله عليه وسلم — أشد الناس تواضعا وأسكتهم من غير كبر وأبلغهم من غير تطويل وأحسنهم بشرا لايهوله شيء من أمر الدنيا .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يواكل الفقراء والمساكين ويجالسهم ، وكان يكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالاحسان اليهم .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يكرم ذوى رحمه ويصلهم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يقبل معذرة المعتذر اليه ولو فعل ما فعل ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يمزح ولايقول الا حقا .

وكان ضحكه — صلى الله عليه وسلم — التبسم من غير قهقهة ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يرى اللعب المباح فلا ينكره .

وكانت الاصوات ترفع عليه بالكلام الجافى فيصبر ولايؤاخذ .

وكان — صلى الله وسلم — يعود المرضى فى أقصى المدينة ويشهد الجنائز ويتفقد أصحابه اذا انقطعوا عن مجلسه ويقول : ماحال فلان ؟

وكان له — صلى الله عليه وسلم — عبيد واماء لايرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس ، وكان — صلى الله عليه وسلم — لايمضى له وقت فى غير عمل لله — عز وجل — أو فيما لابد منه من صلاح نفسه .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يخرج الى بساتين أصحابه فيأكل منها ويحتطب .

وكان — صلى الله عليه وسلم — لايحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولايهاب ملكا لملكه ويدعو هذا وهذا الى الله — عز وجل — دعاء واحدا .

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا سئل أن يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه الى الدعاء له وما لعن امرأة ولا خادما قط ، ولا ضرب أحدهما بيده .

وكان — صلى الله عليه وسلم — لايأتيه أحد من حر أو عبد أو أمة الا قام معه فى حاجته ، وما عاب مضجعا قط ان فرشوا له اضطجع ، وان لم يفرشوا له جلس على الأرض واضطجع وقد وصفه الله — تعالى — فى التوراة قبل أن يبعثه فقال :

« محمد رسول الله عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزىء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . مولده بمكة وهجرته بطابة(١) وملكه بالشام ، يأتزر

(١) هى طيبة ، اى المدينة المنورة .

من شمائله صلى الله عليه وسلم

على وسطه ، هو ومن معه من دعاة للقرآن والعلم ، يتوضأ على أطرافه وكذلك نعته فى الانجيل » •

وكان — صلى الله عليه وسلم — يبدأ من لقيه بالسلام ، ومن قام معه لحاجة سايره حتى يكون هو المنصرف •

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا لقى أحدا من أصحابه صافحه ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها •

وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله — عز وجل —

وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وأقبل عليه فقال : « ألك حاجة » ؟ فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته •

وكان — صلى الله عليه وسلم — أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ، ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة •

وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، وما رئى — صلى الله عليه وسلم — مادا رجليه يضيق بهما على أصحابه الا أن يكون المكان واسعا ، وكان أكثر جلوسه — صلى الله عليه وسلم — الى القبلة •

وكان — صلى الله عليه وسلم — يكرم كل داخل عليه وربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه •

وكان — صلى الله عليه وسلم — يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تكون تحته فان أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يقبل •

وكان — صلى الله عليه وسلم — أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضاء •

وكان أرأف الناس بالناس وأنفع الناس للناس وخير الناس للناس •

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا قام من مجلسه قال : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك » ، ثم يقول : « علمنيهن جبريل — عليه الصلاة والسلام » •

وكان — صلى الله عليه وسلم — نزر الكلام سمح المقاله ، يعيد الكلام مرتين وأكثر ليفهم عنه ، وكان — صلى الله عليه وسلم — كلامه كخرزات النظم •

وكان — صلى الله عليه وسلم — يعرض عن كل كلام قبيح ويكنى عن الأمور المستقبحة فى العرف اذا اضطره الكلام الى ذكرها •

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا سلم سلم ثلاثا وكانت عيناه — صلى الله عليه وسلم — كثيرة الدموع والهملان ، وكسفت الشمس مرة فجعل يبكى فى الصلاة وينفخ ويقول : « يارب ألم تعدنى ألا تعذبهم ، وأنا فيهم ، وهم يستغفرون ونحن نستغفرك يارب » •

وكان — صلى الله عليه وسلم — أكثر الناس تبسما مالم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب خطبة موعظة •

وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا نزل به أمر فوض الأمر الى الله — عز وجل — وتبرأ

من الحول والقوة ، وسأله الهدى واتباعه ، وسأله البعد عن الضلال .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وكان ينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه ــ رضى الله عنهم ــ .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يبيع ويشترى ولكن كان شراؤه أكثر ، وأجر نفسه قبل النبوة فى رعاية الغنم وأجر نفسه لخديجة فى سفره للتجارة ، واستدان برهن وبغير رهن واستعار وضمن ووقف أرضا كانت له ، وشفع فى مغيث زوج بريرة عندها لتراجعه فردت شفاعته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلم يغضب ولم يعتب .

وحلف فى أكثر من ثمانين موضعا ، وأمره الله تعالى بالحلف فى ثلاثة مواضع فى قوله : « قُلْ إِي وَرَبِّي ، وفى قوله : « قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ(١) » وفى قوله تعالى : « بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ(٢) » وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستثنى فى يمينه تارة ويكفرها تارة ، ويمضى فيها تارة وصارع ــ صلى الله عليه وسلم ــ ركانة(٣) ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أحسن الناس مشيا وأسرعهم فيه كأنه ينحط من صبب من غير اكتراث منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وكان أصحابه يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول : دعوا ظهرى للملائكة ، وكان اذا سافر يكون ساقة أصحابه لأجل المنقطعين يردفهم ويدعو لهم ــ صلى الله عليه وسلم .

وأما صفته فى خلقه فلم يكن بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد ، بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا مشى مع الطويل ساواه وكان يقول : جعل الخير كله فى الربعة .

صفاته الخلقية :

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أزهر اللون ولم يكن بالأسمر ، ولا بالشديد البياض ــ والأزهر هو : الأبيض المشرب بحمرة .

وكان عرقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أطيب من المسك الأزفر ــ يعنى الخالص وكان شعره ــ صلى الله عليه وسلم ــ يضرب الى منكبيه ، وكثيرا ما يكون الى شحمة أذنيه ، وكان شيبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الرأس أو فى اللحية سبع عشرة أو نحوها .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرى رضاؤه وغضبه فى وجهه لصفاء بشرته ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثلاث عكن (٤) يغطى الازار منها بواحدة .

وكان ــ كفه صلى الله عليه وسلم ــ ألين من الحرير ، وله رائحة كأنها كف عطار مسها

(١) سبأ ــ ٣ .
(٢) التغابن ــ ٧ .
(٣) هو ركانة بن عبد العزيز بن هاشم القرشى .. أمه الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف . كان من اشد قريش قوة ، واشهر مصارع فيها ، وقد صرعه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اكثر من مرة . أسلم فى الفتح . ومن حديثه عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .
ان لكل دين خلقا ، وخلق هذا الدين الحياء .

(٤) جمع عكنة ــ بضم فسكون فضم : ما انطوى وتثنى من لحم البطن .

بطيب أم لم يمسها ، يصافح المصافح فيظـل يومه يجد ريحها ويضع يده على يد الصبى أو رأسه فيعرف من بين الصبيان برائحتها •

وكان ـ صلى الله عليه وسـلم ـ معتـدل الخلق فى السمن فبدن فى آخر عمره وكان مـع ذلك لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السمن ـ صلى الله عليـه وسلم ـ وعلى آله وأصحابه وذريته والتابعين لهباحسان الى يوم الدين •

ملبسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وكان ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ يلبس ماوجد : فمرة شملة ومرة برد حيرة يمانية ومرة جبة صوف ماوجـد من المبـاح لبس ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يردف خلفه عبـده أو غيره وتارة يردفه خلفه وقـدامه وهـو فى الوسط •

وكان ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ يركب ما يمكنه : فمرة فرسا ومرة بعـيرا ومرة بغلة ومرة حمارا ومرة يمشى راجلا حافيا بلا رداء ولا قلنسوة •

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه وفى أوقات كان يضمها ويرشقها وأوقات لا يرخيها جملة واحدة •

وكان كمـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الرسغ ، ولبس القباء والفرجية ولبس جبـة ضيقة الكمين فى سفره ـ صـلى اللـه عليـه وسـلم ـ وكان رداؤه ـ صـلى الله عليـه وسلم ـ طوله ستة أذرع فى ثلاثة وشـبر ، وكان ازاره أربعة أذرع فى عرض ذراعين وشبر ولبس ـ صلى الله عليه وسلم ـ البرد الذى فيه خطوط حمر ، وكان ـ صـلى الله عليـه وسلم ـ ينهى أصحابه عن لبس الأحمر الخالص وكان له ـ صلى الله عليه وسلم ـ سراويل ، ولبس النعل التى تسمى « القاسومة » ، وكان له ـ صلى الله عليه وسلم ـ بردان أخضران فيهما خطوط حمر ، وكان ـ صلى الله عليـه وسلم ـ يلبس خاتما ويجعـل فصـه مما يلى كفه ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم وسلم ـ يتقنع بردائه تارة ويتركه أخرى وهـو الذى يسمى فى العرف الطيلسان •

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أغلب لباسه ولباس أصحابه القطن ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثـيرا ما يلتحى بالعمـامة من تحت الحنك كطـوارق المغـاربة ، ولبس الأشـعر الأسود ، ولبس مرة بردة من الصوف فوجـد ريح الضأن فطرحها •

وكان ـ صلى الله عليه وسـلم يحب الريح الطيبة ، وكان له ـ صلى الله عليه وسـلم ـ قباء من السـندس الأخضر يلبسـه فتحسن خضرته على بياض لونه ، وكانت ثيابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلها مشمرة فوق الكعبين ، وكان ازاره ـ صلى الله عليه وسلم ـ فـوق ذلك الى نصف الساق ، وكان قميصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشدود الأذرار فى الصلاة وغيرها ، وكان له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ملحفة مصبوغة بالزعفران ، وربما صلى بالناس

فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده وماعليه غيره ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ كساء ملبد يلبسه ويقول : « انما أنا عبد » .

وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه فى غير الجمعة ، وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه ، وربما أم به الناس على الجنائز ، وربما صلى فى الازار الذى يجامع فيه ، وربما صلى بالليل فى الازار الطويل يرتدى ببعضه مما يلى هدبه ، ويلقى البقية على بعض نسائه ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ كساء أسود فاستكساه واحد فكساه له ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم يختم به على الكتب ويقول : «الختم على الكتب خير من التهمة » ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ كثيرا مايخرج وفى خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوة من رأسه فجعلها سترة بين يديه ، ثم يصلى اليها ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ عمامة تسمى السحاب فوهبها لعلى ــ رضى الله عنه ــ فربما طلع على فيها فيقول ــ صلى الله عليه وسلم : « أتاكم على فى السحاب » ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ فراش من أدم وحشوه ليف ، طوله ذراعان أو نحوهما ، وعرضه ذراع وشبر أو نحوه ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ عباءة تفرش تحته حيثما تنقل تنثنى تحته طاقين ، وكان كثيرا ما ينام على الحصير وحده ليس تحته شيء غيره ، وكان له ــ صلى الله عليه وسلم ــ مطهرة من فخار يتوضأ فيها ، ويشرب منها فكان الناس يرسلون أولادهم الصغار الذين عقلوا فيدخلون عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا يدفعون فاذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسامهم يبتغون بذلك البركة . وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا صلى الغداة ــ جاءه خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه باناء الا غمس يده فيه فربما جاءوه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها .

طعامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ

وكان أحب الطعام اليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ماكثرت عليه الأيدى(١) ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ أكثر جلوسه للأكل أن يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلى .

ويقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد » .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يأكل الطعام الحار ويقول :انه غير ذى بركة فأبردوه، فان الله لم يطعمنا نارا ــ وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأكل مما يليه ، ويأكل بأصابعه الثلاثة وربما استعان بالرابعة ولم يأكل قط

(١) هذا دليل على كرمه صلى الله عليه وسلم ، فى كراهته أن يأكل وحده .

من شمائله صلى الله عليه وسلم

بأصبعين ، ويخبر أن ذلك من فعل الشيطان •

وكان — صلى الله عليه وسلم — يأكل خبز الشعير غير منخول ، وربما وقف فى حلقه فلا يسيغه الا بجرعة ماء وكان — صلى الله عليه وسلم — يأكل القثاء بالرطب والملح وكان أحب الفواكه اليه الرطب والعنب ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يأكل البطيخ بالخبز والسكر ، وربما أكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا(٢)، وكان أكثر طعامه — صلى الله عليه وسلم — التمر والماء وكان يجمع التمر باللبن ويسميها : الأطيبين •

وكان أحب الطعام — الى النبى — صلى الله عليه وسلم — اللحم ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يأكل الثريد باللحم والقرع ، وكان يحب القرع ويقول : « انها شجرة أخى يونس — عليه الصلاة والسلام — ، وكان — صلى الله عليه وسلم — لايستكبر عن اجابة الأمة والمسكين ، وكان — له صلى الله عليه وسلم — لقاح وغنم يتقوت من ألبانها هو وأهله ، وكان له — جيران لهم منائح يرسلون له من ألبانها فيأكل منها ويشرب •

وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يأكل متكئا ولو على خوان •

وكان — صلى الله عليه وسلم — يجيب الى الوليمة من دعاه ، ولم يشبع — صلى الله عليه وسلم — من خبز بر وشعير ثلاثة أيام متوالية حتى لحق بالله عز وجل ايثارا على نفسه لا عجزا وبخلا ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويكتم ذلك عن أصحابه حتى لا يشق عليهم •

وكان — صلى الله عليه وسلم — يأكل ماحضر ولا يرده ، ولا يرد ما وجد ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يأكل لحم الدجاج والطير الذى يصاد وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا أكل اللحم لم يطأطىء له رأسه بل يرفعه الى فيه ؟ وكان — صلى الله عليه وسلم — يحب من الشاة الذراع والكتف ، وقالت عائشة : كان الذراع أحب اللحم الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولكن لا يأكل اللحم الا غبا ، وكان يعجل اليه ، لأنه أعجلها نضجا وكان يحب من التمر العجوة ودعا فى العجوة بالبركة •

وكان — صلى الله عليه وسلم — يقول : « انها من الجنة وهى شفاء من السم والسحر » وكان — صلى الله عليه وسلم — يحب من البقول الهندباء والشمر والرجلة •

وكان — صلى الله عليه وسلم — يكره الكليتين لمكانهما من البول ، وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يأكل من الشاة سبعا : الذكر والأنثيين والحياء وهو الفرج والدم والمثانة والمرارة والغدد ويكره لغيره أكلها •

وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث ، وماذم طعاما قط ، وكان له — صلى الله عليه وسلم — قصعة تسمى الفراء لها أربع حلق يحملها أربعة رجال

(٢) أى فيما يحتاج لكسر أو نحره ، فأما تناوله — صلى الله عليه وسلم — الى فمه فما كان الا باليمنى •

بينهم(١) ، وصاع ومد وسرير قوائمه من ساج .

وكان له — صلى الله عليه وسلم — ربعه يجعل فيها المرآة والمشط والمقرضين والسواك ، وكان له — صلى الله عليه وسلم — سبعة أعنز منائح ترعاهن أم أيمن حاضنته — رضى الله عنها — ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما ، وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا أكل اللحم والخبز خاصة غسل يده غسلا طيبا ، وكان — صلى الله عليه وسلم — لا يتنفس فى الاناء بل ينحرف عنه وأتوه مرة باناء فيه لبن وعسل فأبى أن يشربه وقال : «شربتان فى شربة وأدمان فى اناء واحد » ثم قال : « انى لا أحرمه ولكنى أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا وأحب التواضع لربى — عز وجل — فان من تواضع لله رفعه » ، وكان — صلى الله عليه وسلم — فى بيته أشد حياء من العاتق لايسألهم طعاما ولايتشهاه عليهم فان أطعموه أكل وما أعطوه قبل ولو كان شيئا يسيرا ، وكان — صلى الله عليه وسلم — كثيرا ما يقوم فيأخذ ما يأكل وما يشرب بنفسه — صلى الله عليه وسلم — .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يأكل من الكبد اذا شويت وكان له — صلى الله عليه وسلم — غنم يتقوت من ألبانها .

(١) كان كرمه — صلى الله عليه وسلم — مضرب المثل ، ومن ذلك ان جفنته — صلى الله عليه وسلم — بهذه السعة ليلتف حولها عدد كثير .

نساؤه — صلى الله عليه وسلم —

لم تمس يده يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه — صلى الله عليه وسلم — ، وكانت سيرته — صلى الله عليه وسلم — مع أزواجه حسن المعاشرة والخلق وكانت عائشة — رضى الله عنها — اذا هويت شيئا لا محذور فيه تابعها عليه — صلى الله عليه وسلم — .

وكان — صلى الله عليه وسلم — يتكىء فى حجرها ويقرأ القرآن ورأسه فى حجرها — صلى الله عليه وسلم — وربما كانت فى ذلك كله حائضا وتدافع هو واياها فى خروجهما من الباب مرة ، وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا صلى العصر دار على نسائه فدنا منهن من غير مسيس واستقرأ أحوالهن فاذا جاء الليل انقلب الى بيت صاحبة النوبة فيبيت عندها ، وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا قرب من نسائه أول الليل أو آخره تارة يغتسل وينام وتارة يتوضأ(٣) وينام، وتارة يغتسل اذا دار على نسائه عند كل واحدة وتارة يدور عليهن بغسل واحد ، وكان — صلى الله عليه وسلم — اذا قدم من سفره لم يطرق أهله ليلا ، وكان — صلى الله عليه وسلم — يردف خلفه بعض نسائه فى الأسفار ، وكان له

(٢) هى خفة الطيب .
(٣) هذا هو وضوء النوم للجنب — كما هو معروف عند الفقهاء .

ــ صلى الله عليه وسلم ــ ملاة مصبوغة بالزعفران تنقل معه الى بيوت نسائه فترشها صاحبة النوبة بالماء فتظهر رائحة الزعفران فينام معها فيها ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول لأزواجه : « ان أمركن لما يهمنى من بعدى ولن يصبر عليكن الا الصابرون » ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يثنى على بعض نسائه بحضرة ضرائرها ، فاذا ذكرتها ضرتها بمكروه يغضب بذلك حتى يهتز مقدم شعره من الغضب .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا رأى شدة الغيرة من بعض أزواجه يقول : « سبحان الله ان الغيرة لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه »

وكانت أزواجه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتباسطن فى حضرته حتى يلطخ بعضهن وجه بعض بالطعام فيضحك ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعذر(1) نساءه فى غيرتهن ويعززهن .

وبالجملة : فأخلاقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا تحصر وفى هذا القدر كفاية .

أصحابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا توضأ يكاد أصحابه يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وكانت الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ لا يحدون النظر اليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ تعظيما له .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا آذاه أحد يعرض عنه أو يقول : « رحم الله أخى موسى ، عليه السلام » قد أوذى بأكثر من هذا فصبر ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ كثيرا ما يقول : « لا تبلغونى عن أصحابى الا خيرا ، فانى أحب أن أخرج اليهم وأنا سليم الصدر» .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا رأى انسانا يفعل شيئا لا يليق لم يدع أحد يبادر الى الانكار عليه حتى يثبت فى أمره فيعلمه الأدب برفق ، ودخل أعرابى يوما المسجد فبال فيه فهم به أصحابه فقال : « لا تقطعوا عليه البول » ثم قال له « ان هذه المساجد لا تصلح لشىء من القذر والبول والخلاء » .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يركب الحمار موكوفا وعليه قطيفة ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا مر على الصبيان ــ سلم عليهم ثم باسطهم ، وأوتى ــ صلى الله عليه وسلم ــ برجل فأرعد من هيبته فقال له ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « هون عليك فلست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجلس بين

---

(1) عذر ــ فلانا ــ بالذال ــ التمس له عذرا فلم يلمه ، وعذر ــ بالذاى ــ لامه فيما فعل .

أصحابه كأنه أحدهم فيأتى الغريب فلا يدرى : أيهم هو ؟ حتى يسأل عنه فطلب أصحابه منه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فقال : « افعلوا ما بدالكم فبنوا له دكانا (١) من طين فكان يجلس عليها » ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يأكل على خوان ولا فى سكرجة حتى لحق بالله ــ تعالى ــ ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يدعوه أحد من أصحابه ولا غيرهم الا قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لبيك » .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا جلس مع أصحابه بدا كواحد منهم ، فان تكلموا فى معنى الآخرة تكلم معهم ، واذا تحدثوا فى أمر طعام أو شراب تحدث معهم ، وان تحدثوا فى الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم ، وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويذكرون شيئا من أمر الجاهلية، ويتبسمون ويتبسم اذا ضحكوا وكان لا يزجرهم الا عن حرام . ومدحه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعض الشعراء فأثاب عليه ، ومنع الثواب فى حق غيره بل أمر أن يحثى فى وجوه المداحين التراب » ، وكان ضحك أصحابه عنده ــ صلى الله عليه وسلم ــ التبسم من غير صوت اقتداء به وتوقيرا له ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكانوا اذا جلسوا كأنما على رؤوسهم الطير ، وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكنى

أصحابه ويدعوهم بالكنى اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكنى من لم يكن لهم كنية .

وكان ــ صلى الله عليه وسلم يكنى النساء اللاتى لهن الأولاد ، واللاتى لم يلدن يبتدىء لهن الكنى ، ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم .

على حامد عبد الرحيم

---

(١) أى مقعدا .

الإشراقة العظمى

البشارات بمولد النبي عليه الصلاة والسلام

لعل من نافلة القول التحدث عن تشوق الحياة لطلعة سيد الخلق وانتظارها لـه بعد طول عناء ..

فلقد كانت الأرض تتلفت عن منقذ لها ينقذ الناس مما ترددوا فيـه من فسـاد وضياع ، وتطلعت الى السماء لعله يأتى منها خبر مبهـج أو نبأ مفـرح عن ذلك الهادى الذى بشرت به الكتب السـماوية وتحدثت به الرهبان فى الصوامع ، والكهان فى الأديرة والمتنبئون فى كل مكان .

وكانت ولادة النبى ــ صـلى اللـه عليـه وسـلم ــ ثم بعثتـه الاشراقة العظمى التى سطعت على الأرض العربية فطهرتها من الرجس أولا ، ومن التبعية لغيرها ثانيا ، كما سـطعت بعد ذلك على الدنيا جمعاء فأذاقتها لذة الحيـاة وعلمتها معنى الكرامة ووهبتها ما كانت تطمح اليه من حرية وعزة .

واننا لنجد مصـداق ذلك فى المصـادر التى تحدثت عن مولد الهادى البشير ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ .

اخبار الكتب السماوية السابقة :

ان هذا القرآن الكريم يقرر لنا فى سـورة الصف أن عيسى ابن مريم بشر حوارييه بمقدم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** » .

ويتحدث عن اليهود مبينا أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويقول فى سورة البقرة متحدثا عن استنصارهم بالنبى ــ صلى اللـه عليه وسلم ــ فى حروبهم قبل أن يبعث « **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** »٨٩ الى غير ذلك من الآيات .

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

فاذا استنطقنا التوراة والانجيل كليهما نجد فيهما الشاهد تلو الشاهد على مجيء الرسول المنتظر ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليكون الرسول الخاتم • جاء فى كتاب نور اليقين : روى القاضى عياض فى الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : أجل ، والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ومن يقيضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقول لا اله الا الله، ويفتح به أعينا عمياء وآذانا صما وقلوبا غلفا

وروى مثله عن عبد الله بن سلام ــ رضى الله عنه ــ وهو الذى كان رئيس اليهود ، فلم تعمه الرياسة عن ادراك الدين القويم والايمان به • وعن كعب الأحبار أيضا •

وعبد الله بن سلام هو الذى نزل فى شأنه قوله تعالى « وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » الأحقاف ١٠ •

لقد كان اليهود على يقين من صدق الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنه هو النبى المنتظر ، بل كانوا يترصدون مولده ومبعثه ، وقد تحقق بعضهم من معرفة ساعة مولده •

حدث ابن اسحاق عن حسان بن ثابت قائلا « والله انى لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت ، اذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة (مرتفع) بيثرب يامعشر يهود ، حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا : ويلك مالك؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به •

قال الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه قصص الأنبياء « نبوة محمد موجودة فى التوراة رغم ما اعتورها من التحريف والتشذيب ، وهأنذا أعدد تلك المواضع تتميما للفائدة ••

ــ من ذلك ــ فى الآية العشرين من الاصحاح السابع عشر تكوين « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، هأنا أباركه وأثمره كثيرا جدا » •

ولفظ العبارة الأخيرة فى العبرية : هنى بيرختى أوتوا وهفريتى أوتو وهربيتى أوتو بماد ماد • بامالة فى بماد ماد الى واو •

ومن عادة العبرانيين الاعتماد فى الوقائع والأسماء على قيمة حروف الكلمة من جهة الحساب فلو حسبنا لفظ بماد ماد بالجمل لكانت هى جمل محمد بلا زيادة ولا نقصان (٩٢) وهو من أبناء اسماعيل الموعود بالبركة والاثمار فى أبنائه •

وفى الآية الثالثة من الاصحاح ٣٨ تثنية : جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم • فجبل فاران بمكة ، وهى البلاد التى سكنها اسماعيل عليه السلام •

وكما أخبرت التوراة بمحمد صلى الله عليه وسلم أخبر الانجيل كذلك ، وكما تأكد اليهود من نبوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ تأكد النصارى كذلك .

ولقد سأل الشيخ النجار يوما الدكتور كارلو نلينو المستشرق الايطالى عن ترجمة كلمة « بيريكلتوس » المعربة بكلمة « فارقليط » فقال: ان القسس يقولون ان معناها : المعزى فقال له: أنا أسألك كمتخصص فى اللغة اليونانية القديمة وآدابها ولست أسألك كقسيس ، فقال : ان معناها الذى له حمد كثير .

فقال : هل توافق أفعل التفضيل من الفعل حمد ؟ أى أحمد . فقال نعم . قصص الأنبياء ص ٣٩٧ .

سيف بن ذى يزن والبشارة برسول الله :

ولما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة أتته وفود العرب لتهنئه ، وجاء وفد قريش بزعامة عبد المطلب ، فأدناه سيف وكرمه ، ثم خلا به يوما وأسر اليه بما يأتى :

« انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اختزناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما ، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة وهو للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : أيها الملك فمثلك من سر وبر ، فما هو ؟

قال سيف : اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت لكم الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة ، ثم زاد الأمر وضوحا فقال : نبى هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد ، اسمه أحمد ، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ، والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه وبذل بهم أعداءه .

قال عبد المطلب : « أيها الملك عز جدك وطال عمرك ، فهل الملك سارى بافصاح فقد أوضح بعض الايضاح » .

فقال ابن ذى يزن : « والبيت ذى الحجب أنك يا عبد المطلب لجده غير الكذب » فخر عبد المطلب ساجدا ثم رفع رأسه .

فقال له سيف : ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك ؟

قال عبد المطلب : نعم ....

قال ابن ذى يزن : ان الذى قلت لك لكما قلت، فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . والله مظهر دعوته غاطو ماذكرته لك دون هؤلاء الرهط الذين معك .

ثم قال له : اذا حال الحول فأتنى بأمره ولكن سيف بن ذى يزن مات قبل أن يحول الحول .

فكان عبد المطلب يقول : يامعشر قريش ، لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك لى وان كان كثيرا فانه الى نفاد ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره وشرفه .

فاذا قيل له : ومـاذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول لكم بعد حين(١) •

ولا تعنى الكتب السماوية والأخبار القديمة بالبشارة بالنبى — صلى الله عليه وسلم — الا اذا كانت تلك المنزلة الكبرى والمكانة العظمى فى السماء والأرض ، والا اذا كان مجيئه منقذا للعالم من الضياع ومخلصا له مما كان يقاسيه من معاناة وصراع •

لقد كان ترقب مولده شغل الأذهان والتطلعات ، حتى اذا جاء لم يكن مجيئه فجأة بدون اعلان أو توقع ، وهكذا يكون مجىء العظماء •

لقد سبقته ارهاصات كثيرة بشرت بمولده ، وأعلنت عن قدومه ، ونبهت على أن شيئا عظيما ذا بال سوف يحدث ، فلتأخذ الأرض زينتها ، ولتعلن السماء بهجتها ، ولتظهر الدنيا فرحتها ، ولتسعد البشرية بمقدم خير مبعوث وأشرف مخلوق •

لقد كان تشريف النبى — صلى الله عليه وسلم — للوجود مثار شوق للأرواح الهائمة والقلوب الظمأى •• رأت فى هذا التشريف ريا وظلا وأمنا واستقرارا ، كما رأت فيه أجل معانى اصطفاء الله للانسان ، ورأت فى النبى — صلى الله عليه وسلم — المثل الأعلى لهذا الانسان الذى جعله الله خليفة له فى الأرض •

كما رأى فيه المتحققون الصلة التى تربط بين الله والناس ، مهتدين الى هذا الفهم بضوء قوله تعالى «**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**» النساء ٨٠ وقوله تعالى « **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** » آل عمران ٣١

وقوله تعالى « **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** » الأحزاب ٦ •

وقوله تعالى « **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** » النساء ٦٥ •

ألا فلتكن ذكرى مولده الآن مثار شوق لحياة أفضل ومستقبل أجمل وغد يسترد فيه المسلمون عزتهم وكرامتهم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

(١) راجع قصص العرب لمحمد جاد المولى واخرين جـ ١ ص ١٠٤ — معتمدا على البداية والنهاية لابن كثير ، والاغانى والعقد الفريد وبلوغ الارب والمختار من نوادر الاخبار — مخطوط •

ومضات

من سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

أنزل الله رسوله صلى الله عليه وسلم المنزل الأرفع الأسمى وجعل جنابه الأعز الأحمى فشرح صدره ورفع ذكره وأعلى على جميع المخلوقات قدره ، وفى ذلك يقول عنه سبحانه (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ، الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) سورة الشرح ١ ــ ٤ .

طهر الله علانيته وسره وكمله بالعصمة وجمله بالحكمة واختص عقله بالرجاحة ونفسه بالسماحة فهو يصفه بقوله تعالى (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**) سورة آل عمران ١٥٩ .

وهبه كمال الفطنة ونهاية الذكاء ورقاه فى العلوم والمعارف أقصى درجات الارتقاء .

يقول تعالى تعليما له ولأمته (**وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا**) سورة طه ١١٤ .

زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما ، فرض طاعته على جميع خلقه وألزمهم عرفان قدره وحقه ونفى الايمان عمن لم يسلم لحكمه وتوعد مخالف أمره عذابا أليما قال تعالى (**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) سورة النساء ٦٥ .

هو أمين الله على رسالته وحجته على خليقته ، قوله فصل وحكمه عدل فلا غرو أن يقول تعالى عنه فى قرآنه العظيم (**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَى**) سورة النجم ٣ ، ٤ .

ناداه ربه فى كتابه الكريم بالنبوة والرسالة فى الوقت الذى نادى سبحانه وتعالى فيه الأنبياء والمرسلين بأسمائهم قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**) سورة المائدة ٦٧ .

(**يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا**

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)
سورة الأحزاب ٤٥ — ٤٦ •
رتب نفسه على أسمى المبادىء ، ولم يخرج عليها فى شدته ورخائه طوال حياته •

حبه للتيسير والتخفيف :

كان يحب التيسير فى الأمور (ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا أخذ أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه) (١) •
وحتى فى العبادة تظهر آثار التخفيف والرفق فى تعاليمه فيقول (اذا صلى أحدكم للناس فليخفف فان فيهم الضعيف والسقم والكبير ، واذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء) (٢) وفى رواية وذا الحاجة •

القدوة الحسنة :

هو القدوة الحسنة فلم يخف على الناس شيئا ينتفعون به قال تعالى منوها عنه فى قرآنه (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)
سورة الاحزاب ٢١ •
(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)
سورة آل عمران ٣١ •

معرفته قدر نعمة ربه وانشغاله به :

كان يعرف قدر نعمة الله عليه فيقوم بشكره ويقول للمتسائلين عن حاله وقد غفر الله له (أفلا أكون عبدا شكورا) (٣) •
وانشغل بربه فى يقظته ونومه لاتنصرف عنه بصيرته وفى ذلك يقول (لن عينى تنام ولاينام قلبى) (٤) •

تمسكه بحسن المعاشرة :

كان أعرف الناس بالرجال وأشدهم استمساكا بحسن المعاشرة يعلم ماتحدثه الكلمة من أثر فى النفس فيقول صلوات الله وسلامه عليه (لايبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر) (٥) •

حبه للشفاعة :

وكان يحب الشفاعة فيما يباح من الأمور فاذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال

(١) صحيح البخارى اسلام أبى ذر .
(٢) متفق عليه .
(٣) صحيح البخارى فى التهجد .
(٤) المرجع السابق .
(٥) رواه أبو داود والترمذى .

(اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما أحب) (١) .

كياسته وفطنته :

بلغت به الكياسة والفطنة الي حد لم يجعل نفسه يوما فى موضع شبهة فيتهم وان كان هو المعصوم عند الله والناس ، كان ذات ليلة معتكفا فدخلت عليه احدى زوجاته وقام يودعها فى الظلام فرآه رجلان من أصحابه وعرفاه فحولا بصرهما عنه وعن المرأة فناداهما انها صفية (أى زوجته أم المؤمنين صفية) فتعجب الرجلان فقال مشفقا عليهما (ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم وانى خشيت أن يلقى فى أنفسكما شيئا) (٢) .

شمول وده الأموات والأحياء :

ولقد شمل وده الأموات كما شمل الأحياء فلم ينسه طول الزمان أن يذكر للميت حسنه فنراه صلى على قتلى أحد بعد ثمانى سنين وقال انى بين أيديكم فرط وأنا شهيد عليكم وان موعدكم الحوض وانى لأنظر اليه من مقامى هذا وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها) (٣)

(١) متفق عليه .
(٢) صحيح البخارى الاعتكاف .
(٣) المرجع السابق . الجنائز .

وفرط بفتحتين أى يتقدمهم ليسقيهم من حوضه يوم القيامة .

عنايته بنشر النظافة بين أصحابه :

نشر بين أصحابه الوعى الصحى والاعتناء بنظافة الجسم والاسنان وفى هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه (علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل يوم الجمعة) (٤) .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء) (٥) .

وكان هو صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى ذلك نظيفا طيب الرائحة وقد صح أنه شرب لبنا ومضمض وقال ان له دسما (٦) ويقول عنه أنس رضى الله عنه ماشممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧).

مراعاته مشاعر الناس فيما لايمس عقيدة أو شريعة :

كان يراعى مشاعر الناس وعواطفهم ويحس بأن التمهيد لكل تغيير أمر لابد منه وأن الثورة على التقاليد دفعة واحدة لها من ردود الفعل

(٤) المرجع السابق باب الجمعة .
(٥) رواه مالك والشافعى والبيهقى والحاكم .
(٦) صحيح البخارى باب الوضوء .
(٧) متفق عليه .

أضرار وعواقب ينبغى للمصلح أن يتلاشاها فيقول لزوجته عائشة (لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم — فأدخلت فيه ما أخرج منه وبلغت به قواعد ابراهيم) (١) .

مساواته بين نفسه وبين أصحابه :

جعل المساواة أساس صحبته وحق المعلم على طلابه أن يتأسوا به ، وليس هو السيادة واستغلال النفوس وتسخير الدهماء لذلك نراه صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه وكان ذلك فى بعض أسفاره فأمر باصلاح شاة فقال رجل يارسول الله على ذبحها وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جمع الحطب قالوا يارسول نحن نكفيك فقال (علمت أنكم تكفوننى ولكن أكره أن أتميز عليكم ، فان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه) وقام فجمع الحطب (٢) .

كيف كان تعليمه لاصحابه :

وفى تعليمه لأصحابه كان يضرب لهم الأمثال من واقع ما علمه ربه — جل وعلا — حتى يبرز المعقول فى صورة المحسوس المشاهد فيسهل على الناس فهمه ويتضح تصورهم له على حقيقته فنراه يقول لأصحابه (انى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل أمتك مثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مأدبةثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامهفمنهم من أجاب الرسول ومنهم من ترك ، فالله هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فمن أجابك دخل الاسلام ، ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها) (٣) .

تعظيمه لأهل العلم وحفظة القرآن الكريم :

ولقد كان يعظم العلم ويعلمه أصحابه ويفضل من فيه استعداد له يقول عليه الصلاة والسلام (بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى انى لأرى الرى يخرج فى أظفارى ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب قالوا فما أولته يارسول الله قال العلم (٤) .

وكان يحب أن يستمع الى آيات ربه تتلى من فم غيره ليزداد فيها تأملا ففى معنى الحديث (اقرأ على القرآن يابن مسعود قال : أأقرأ عليك وعليك نزل ؟ قال انى احب أن أسمعه من غيرى فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى (**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**) فرفع رأسه فاذا النبى — صلى الله عليه وسلم — مستغرق فى البكاء (٥) .

---

(١) صحيح البخارى باب الحج .
(٢) كتاب نهاية الارب فى فنون الادب السفر الثامن عشر تأليف شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى مطبعة دار الكتب المصرية .
(٣) صحيح البخارى الاعتصام بالكتاب والسنة
(٤) المرجع السابق كتاب العلم .
(٥) المرجع السابق تفسير القرآن .

رفقه بالصغار والكبار :

ولم يفارقه الرفق بالصغار وان كان فى عبادته (كان يصلى وهو حامل أمامه بنت زينب فاذا سجد وضعها واذا قام حملها) (١) وأمامة هذه كانت ابنة ابنته زينب من زوجها العاص بن الربيع — ولقد صح عنه أنه قال (من يحرم الرفق يحرم الخير كله) (٢) .

وقدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تقبلون صبيانكم ؟ فقال نعم ، قالوا : لكنا والله مانقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أملك ان كان الله نزع من قلوبكم الرحمة) (٣) .

ولما كان صاحب حس مرهف لم يجرح شعور أهله فى طعام يقدم اليه فمما ثبت عنه (ما عاب رسول الله طعاما قط ان اشتهاه أكله وان كرهه تركه) (٤) .

ومن شفقته على الكبار نراه يقول — صلوات الله وسلامه عليه : (انى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها فاسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه) (٥) .

وكان يقول : (من لايرحم الناس لا يرحمه الله) (٦) وقد نهاهم عن الوصال فى — الصوم رحمة لهم فقالوا : انك تواصل قال : انى لست كهيئتكم انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى (٧) ومن وصاياه : (يسروا ولاتعسروا وبشروا ولا تنفروا) (٨) .

اظهاره القوة من نفسه ومن المسلمين :

فقد ورد عنه قوله (المؤمن القوى خير وأحب انى الله من المؤمن الضعيف) (٩) وكان يحب أن يرى الاعداء من نفسه القوة وممن معه حتى لايطمع فيهم ، عن عمر — رضى الله عنه — قال: فمالنا والرمل انما كنا رأينا به المشركين وقد أهلكهم الله ثم قال : شىء صنعه النبى — صلى الله عليه وسلم — فلا نحب أن نتركه (١٠) .

تواضعه وزهده :

(بلغ من تواضعه أنه شرب من مكان أيد الناس فى زمزم وعرض أن يعمل فيها) (١١) وعاش صلى الله عليه وسلم حياته زاهدا فى الدنيا يتعامل مع المسلمين وغير المسلمين لتقتدى به أمته فقد ثبت أنه رهن درعه عند رجل من أهل الكتاب وقال (ما أمسى عند آل محمد صاع برولا صاع حب وان عنده لتسع نسوة) (١٢) .

(١) المرجع السابق (الصلاة) .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .
(٤) صحيح البخارى ومسلم .
(٥) صحيح البخارى .
(٦) متفق عليه .
(٧) متفق عليه .
(٨) متفق عليه .
(٩) صحيح مسلم .
(١٠) صحيح البخارى (الحج) .
(١١) المرجع السابق .
(١٢) المرجع السابق البيوع .

كراهيته للشرك ومكافاته على المعروف :

كان يكره الشرك والمشركين ويكافىء على المعروف لذلك فقد أوصى عند موته فقال : (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ماكنت أجيزه) (١) •

اقراره دقة القيافة ومراعاة الظاهر من أحوال الناس :

من ذلك أن أسامة بن زيد وأباه كانا نائمين فدخل قائف وقال (ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر النبى وأعجبه وأخبر به عائشة)(٢) وكان يحسن الظن بالناس ويعلم الأمة أن تقيم الأحكام على أساس الظاهر من أحوالهم بعيدا عن التجسس أو التخمين لذلك نراه — صلى الله عليه وسلم يقول (انى لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم) (٣) •

رحمته بأيتامى والضعفاء :

ومن رحمته الكبيرة باليتامى أنه كان يوصى بهم ويعد الأوصياء المحسنين بمنزلة تدنو من منزلته عند الله لذلك يقول — صلوات الله وسلامه عليه : (أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا) (٤) •

وعن الضعفاء يقول (أبغونى فى الضعفاء فانما تنصرون وترزقون بضعفائكم) (٥) وعن ملاحظة الأرملة والمسكين يقول (الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالقائم الذى لايفتر ، وكالصائم الذى لايفطر) (٦) •

وعن اعالة البنات يقول (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه) (٧) •

وعن رعاية النساء عامة يقول — صلى الله عليه وسلم — من حديث طويل (استوصوا بالنساء خيرا) (٨) •

بصره بالأمور ونبل غايته :

كان — صلى الله عليه وسلم — بصيرا بالأمور نبيل الغاية يدخر لأمته ماهو نافع لها فيقول — صلوات الله وسلامه عليه — فى ذلك (لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة) (٩) وهو وان أنسته بشريته ذكرته نبوته لذلك فهو يقول (انى بشر اللهم من دعوت عليه فاجعل دعائى عليه رحمة) (١٠) •

كيف كان خلقه :

كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على جانب كبير من حسن الاخلاق وكان يحض أصحابه وأتباعه على مكارم الاخلاق يقول الحق سبحانه وتعالى عنه (**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**) (سورة القلم ٤) •

ولما سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين وزوج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن خلقه قالت (كان خلقه القرآن) فلم يكن أحد

(١) صحيح البخارى •
(٢) المرجع السابق فضائل الصحابة •
(٣) المرجع السابق غزوة الطائف •
(٤) المرجع السابق الطلاق •
(٥) رواه أبو داود باسناد جيد •
(٦) متفق عليه •
(٧) رواه مسلم •
(٨) متفق عليه •
(٩) صحيح البخارى الدعوات •
(١٠) المرجع السابق •

من البشر ولايكون على أجمل منها فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكريمة مما لايحد ولايمكن وصفه •

ووصفه عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فقال (لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا وكان يقول (ان من خياركم أحسنكم أخلاقا) (١) ويروى عنه أبو هريرة رضى الله عنه قال : (سئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن أكثر مايدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق) (٢) وتقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها (سمعت النبى — صلى الله عليه وسلم — يقول (ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) (٣) •

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم :

جعلت الصلاة عليه قربى وزلفى الى الله تعالى يجازى عليها بالاحسان من أداها ويحقق له ماتصبو اليه نفسه ويتمناه قلبه يقول تعالى (**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) سورة الاحزاب ٥٦ •

ويقول — صلى الله عليه وسلم — (اذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة) (٤) بل انه يتعرف على الخلق بعد وفاته بمقدار صلاتهم عليه فيقول فى ذلك (ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على) (٥) •

كيف ختمت به رسالات السماء :

ولقد أكمل الله — سبحانه — به — صلى الله عليه وسلم — البناء وأودع فيه من الخصائص ما استغنى به عن ارسال جيش من المرسلين وضمن كتابه المنزل عليه عموما ومرونة يسع بهما الزمان والمكان والأشخاص الى يوم القيامة وفى هذا المعنى يقول — صلى الله عليه وسلم — (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون :هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين) (٦) •

وفى معنى ختم ديوان النبوة به — صلى الله عليه وسلم — يقول الله تبارك وتعالى : (مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (٧) •

المستشار محمد عزت الطهطاوى

(١) متفق عليه •
(٢) رواه الترمذى •
(٣) رواه ابو داود •
(٤) رواه مسلم •
(٥) رواه ابو داود والنسائى •
(٦) صحيح البخارى اسلام ابى ذر •
(٧) سورة الاحزاب ٤٠ •

الرسول

رحمة مهداة

للشيخ محمد صابر البرديسى .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

« انما أنا رحمة مهداة » (١)

العناية بذكرى الرسول « صلى الله عليه وسلم » والاهتمام بسيرته أمر واجب على كل مسلم .

والمسلمون فى كل عام يحتفلون بمولد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وكتابهم يتناولون سيرته ويذكرون مناقبه ، ويطرقون نواحى مختلفة من نواحى مجده وعظمته .

لقد كانت الدنيا والعرب على وجه خاص قبل بعثته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى ظلام دامس ، وجهل فاضح ، وضلالة عمياء ، وقسوة ظالمة ــ صرفت الانسان عن إنسانيته ، وفجرت فيه نوازع الشر ، وشراسة باغية عاتية حولت الناس الى وحوش ضارية أفزعت الآمنين وجعلتهم فى صراع دائم فأرسل الله رسوله محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ رحمة بتلك البشرية التائهة فى ضلالها لينتشلها من براثن الجهل ، وظلمات الباطل .

جاء محمد فرفع الأمة من حضيض الهوان والشقاء ، الى أوج السعادة والعزة والرخاء .

وعاد الى التوحيد ، وقرر الحرية والمساواة، وشرع الاخاء والحب والتعاون والرحمة ، وقضى على الرذائل والمنكرات ، ومحا الأوهام الضارة ، وهذب الشهوات ، ووقف ضد التقاليد البالية ، وجمع الناس تحت لواء واحد وشريعة واحدة هى شريعة الاسلام .

لقد أرسله الله بالهدى والرحمة ، فشمل برحمته الناس جميعا ، واقتدى به أصحابه والمسلمون فأصبحت الرحمة طابعا لهم ، وعنوانا لأقوالهم وأفعالهم .

لقد جاء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رحمة الى الناس كافة فأخذت بأيديهم

(١) شرح الجامع الصغير للمناوى جـ ٢ .

الرسول
رحمة مهداة

الى الهدى ، جاءهم بمنهج سمح يسعد البشرية كلها ، يلبى رغبة الناس ، ويوجههم نحو العلا والتقدم ، لا يقعد بهم ولا يكبت طاقاتهم ، ولا يحرمهم الاستمتاع بطيبات الحياة ، لا يعذب الجسد ليسمو بالروح ، ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد بلا حدود •

وقد لاحت بشائر نبى الرحمة ، وظهرت بواكيرها ، منذ نعومة أظفاره وقت أن كان رضيعا •

فقد كانت حليمة السعدية فقيرة مسكينة ، تقيم هى وزوجها الحارث فى خيمة فى منطقة قليلة الخير ، بحثت فى بيوت مكة علها تجد من يدفع اليها طفلا ترضعه ، فكان محمد من نصيبها ، وقبلت أن تكون مرضعة له على يتمه ، فان ما يدفع لها من المال (مهما قل) فانه يساعد فى الغذاء فيدر صدرها لبنا تعطيه لمحمد ، ولأخيه عبد الله من الرضاع •

حملته حليمة الى خيمتها فحملت معه السعادة والرحمة والخير والبركة ، وما أن استقرت به فى خيمتها حتى تغير كل شىء حولها، فأمطرت السماء ، ثم اخضرت الأرض مليئة بالمرعى ، فعم الخير ، وأصبح اللبن فى ضروع المواشى كثيرا وغزيرا ، وغمرت الحياة الرخية المنطقة كلها حتى قال القوم (اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب (يعنون حليمة السعدية) •

ظلت الرحمة تحيط به ، وتغمر من حوله ، لزمته واستمرت معه ، وأصبحت جزءا منه يتصرف فى أموره من خلالها •

ففى ريعان شبابه حين اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه من الكعبة ، بعد أن تضافرت جهودهم فى تجديد بنائها ، وكادوا يحتكمون الى السيوف ، لولا أنهم رجعوا الى عقولهم ، واتفقوا على أن يحكموا أول داخل من الباب عليهم ، وتعلقت أبصارهم لترقب الحكم الذى تسوقه الأقدار اليهم ، فكان محمد أول داخل من ذلك الباب ، فهتفوا جميعا « هذا الأمين رضيناه حكما » • والرحمة من صفات الانسانية الفاضلة التى تحيط المجتمع بسياج من الحب ، وتجعل أبناءه متعاطفين متحابين متراحمين •

وأخص ماتكون صفة الرحمة فضيلة انسانية اذا كانت مع الصغار الذين يحتاجون الى حنان خاص ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا يسع الناس جميعا ، الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، وكيف لا يكون كذلك وقد وصفه الله بقوله « **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** »(١)

كان — صلى الله عليه وسلم — يداعب الصغار ويحنو عليهم ، ويضمهم الى صدره ، ويقبلهم بفمه رحمة ، وحنانا وشفقة ، وللبؤساء واليتامى تعزية وسلوى •

عن أسامة بن زيد — رضى الله عنهما — قال: كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأخذنى فيقعدنى على فخذه ، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ •

(اللهم ارحمهما فانى أرحمهما)[1]

ومن رحمته بالنساء رحمته بأزواجه « وكان يحافظ على شعورهن » ، من ذلك أنه حدث خلاف بين السيدة صفية بنت حيى بن أخطب (زوج رسول الله — صلى الله عليه وسلم —) « وكانت قبل اسلامها من يهود بنى النضير » وبين السيدتين عائشة وحفصة زوجتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالتا لها « نحن أكرم على رسول الله منك ، فشكت ذلك للحبيب المصطفى — عليه الصلاة والسلام — ، فقال لها :

(ألا قلت لهما : وكيف تكونان خيرا منى ، وزوجى محمد ، وأبى هرون ، وعمى موسى ؟).

ويرخص للبنات الصغار أن يلعبن باللعب التى تدربهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن .

ومن مواقف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع عائشة فى صغرها هذه للرخصة عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : (كنت ألعب بالبنات عند النبى — صلى الله عليه وسلم — وكان لى صواحب تلعبن معى ، فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اذا دخل يتقمعن منه فيسر بهن الى يلعبن معى) .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أنه قال: مات ميت فى آل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاجتمع النساء يبكين ، فقام عمر ينهاهن ويطردهن ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — دعهن ياعمر فان العين دامعة، والقلب مصاب ، والعهد قريب .

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ المسلم .

فما أحوج الناس الى أن يتعلموا من هدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما يرقق قلوبهم ، ويبعث فيها الرحمة ، ويذهب فيها الغلظة والجفوة فقد رحم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هؤلاء النساء فلم يمنعهن من البكاء الاضطرارى الذى لا يمكن دفعه الا بمكروه يلحق بالجسد ، ويصيب البدن ، وهذا فيه كبير ضرر ، على أن النساء لم يزدن على البكاء فيفعلن ماهو ممقوت من النياحة والجزع وصدق الله اذ يقول :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

هو رسول من أنفسهم ، وثيق الصلة بهم جزء منهم ، تربطهم به صلة النفس بالنفس ، والروح بالروح ، وهى أشد صلة وأعمق أثرا ، رحيم بأمته يشق عليه مشقتها ، ويعمل على راحتها ويبذل فى سبيلها النفس والمال ، لأنها صلة فى الله ولله .

لا يلقى بأمته الى التهلكة ، ولا يدفع بها الى المهالك ، واذا لاح للبعض أن فى التكاليف مشقة ، فهى فى الواقع رحمة ، رحمة من الذل والهوان ، ومن الذنب والخطيئة ، هى الحرص على أن يكون المسلم مثلا أعلى فى الخلق الفاضل وأن يكون له شرف الرضا من الله ، وأن يظفر بما وعد الله به عباده المتقين من الظفر بالجنة ، رحمة شملت الفرد والجماعة ، وعمت كل ذى كبد حرى ، وتجاوزت البوادى والحواضر لتغمر آفاق الدنيا ، وتتعداها الى الدار الآخرة حيث

يكون الجزاء الأوفى والجنة هى المأوى .

وفى حديث رواه مسلم عن جرير بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ أن قوما من مضر أقبلوا على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى صدر يوم من الأيام وقد بدت عليهم أمارات الفقر والفاقة ، يضعون على أجسادهم قطعا لا تكاد تسترها حتى لكأنهم عرايا ، فتغير لذلك وجه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبدا عليه الغضب الشديد ، وعز عليه أن يرى قوما من المسلمين تتملكهم الفاقة الى هذا الحد ، ورؤى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يومئذ مهتما قلقا يدخل ويخرج ، ويقوم ويقعد ، ثم أمر بلالا أن يؤذن فى الناس ، فأذن بلال ، وحضر الناس ، وأقيمت الصلاة ، ثم خطب فقال : (**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** (١) « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ** »(٢) ألا فليتصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، الى أن قال :

(ولو بشق تمرة) ، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، ثم تتابع الناس حتى تجمع كومان من طعام وثياب ، فتهلل وجه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رأى من تلبية ندائه واستجابة دعوته ، وقيام الأغنياء بحق الفقراء ، ثم قال : (من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده لم ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء)(٣) .

رسول الله بالمؤمنين رءوف رحيم عز عليه أن يرى هذا المنظر المؤلم ولم يطق صبرا أن يرى العرى والضعف والهزال ماثلا أمامه وفى المسلمين أغنياء لديهم الأموال ، فأخذته الرحمة ودفعته الشفقة فاهتم بأمر هؤلاء الفقراء ، وتغير وجهه ، وكأن الأمر مصيبة ونازلة تعم المسلمين ، فجمع المسلمين ودعاهم الى الاكتتاب والتبرع فكان هذا أول اكتتاب مالى فى الاسلام لمحاربة الفقر والبؤس والعوز .

---

(١) سورة النساء : ١

(٢) سورة الحشر ١٨ ـ ١٢٠ .

(٣) أخرجه ابن ماجه عن أبى حنيفة رضى الله عنه ـ وأخرجه احمد ومسلم عن جرير ابن عبد الله البجلى

(كما فى البيان والتعريف) .

ولم تمت الرحمة بموت محمد بل عاشت فى قلوب الناس احساسا وعقيدة ومثلا من نبى الله فى أخلاق الله ، وهذه هى الحقيقة التى جعلها الرسول للمسلم مثله الأعلى ، ولن يكون مسلما كاملا الا بها والا اذا امتد بمنافعه حول أمته كلها .

أرسلت بنت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ تقول : (ان ابنى قد احتضر ثم أقسمت عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال ، فرفع اليهم الصبى فأقعده النبى فى حجره ، ونفسه تقعقع ، ففاضت عيناه فقال سعد : يارسول الله ما هذا ؟ قال : (هذه رحمة يجعلها الله فى قلوب عباده ، انما يرحم الله من عباده الرحماء) .

الرحمة صفة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحبه (انما أنا رحمة مهداه) .

ويقول الله تعالى ((**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**)) ومحمد وصحبه أشداء على الكفار ، وفيهم أقرب الناس اليهم،آباؤهم واخوتهم وذوو قرابتهم، ولكنهم قطعوا هذه الصلات وتلك الوشائج جميعا ، وهم رحماء فيما بينهم ، يتحابون فى الله ، وهم اخوة دين ، يقيمون علاقاتهم وعواطفهم ومشاعرهم وسلوكهم وأعمالهم على أساس من المحبة فى الله ، فاذا اشتدوا فالشدة فى سبيل الله ، واذا تراحموا فالرحمة لله ، تجردوا من الأنانية ومن الهوى ، الشدة والسماحة ، والبغض والحب لا يكون الا لله .

وتتعدى رحمته ــ صلى الله عليه وسلم ــ الانسان فتشمل الحيوان أيضا وهذا سراقة يسأل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن ضالة الابل تغشى حياضه ، فهل له من أجر ان سقاها ؟

فيقول له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

(فى كل ذات كبد حرى أجر) .

ففى سقى الحيوان وجميع وجوه الاحسان اليه من اطعام وعلاج فيه ثواب وأجر ، والمراد الاحسان الى كل مافيه حرارة الحياة ورطوبتها ويختص ذلك بالحيوان المحترم الذى لم نؤمر بقتله .

وفى الحديث (بينما رجل يمشى اشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب ثم خرج ، فاذا بكلب يلهث ويأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب مثل الذى بلغ بى فنزل فى البئر ثانية فملأ خفه ثم أمسكه بأسنانه ، ثم رقى فسقى الكلب ، فشكره الله فغفر له ، قالوا يا رسول الله : (وأن لنا فى البهائم أجرا ، قال ــ عليه الصلاة والسلام (فى كل ذات كبد حرى أجر) . صلى الله عليه وسلم .

محمد صابر البرديسى

خاتمة حول

قادة النبى

صلى الله عليه وسلم

وددت — وقد انتهيت ، بفضل من الله — سبحانه — من الحديث عن قادة النبى — صلى الله عليه وسلم — أن أعرج بكلمة مختصرة تبرز أمرين جليلين فى هذه الدراسة .

الأول : ما مر بقارىء هذه السلسلة ، من أعمال لبعض أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — لم يكلفوا بادائها بأمر صريح يصدر اليهم منه عليه الصلاة والسلام ، فقاموا بانفسهم — بهذه الأعمال التى تقتضى فدائية فذة ، وهؤلاء هم « المتطوعون » .

فكان يكفى أن يقول — عليه الصلاة والسلام:

« من لى بهذا الخبيث » .

أو « الا آخذ لى من ابنة مروان » .

أو « من لى بابن الأشرف » .

.. فما أن ينتهى — صلى الله عليه وسلم — من كلمته حتى يتطوع أحدهم ، وقد يسرها — فى نفسه لا يطلع عليها أحدا — فيخلص المسلمين من شر هذا الخبيث .

من هؤلاء :

سالم بن عمير — رضى الله عنه — الذى خلص المسلمين من « أبى عفك » الخبيث وعمير ابن عدى — رضى الله عنه — قتل ابنة مروان ، ولم يخش — وهو شبه الكفيف — أبناءها الخمسة ، ولا قومها ، بل قأل لهم :

« يابنى خطمه ، أنا قتلت ابنة مروان فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون » .

محمد بن سلمة — رضى الله عنه — قام ، ورهط من أصحابه فضربوا كعب بن الأشرف شيطان يهود فى عقر داره فى « خيبر » ورجعوا سالمين .

ومن هؤلاء — أيضا — ابن أبى حدرد ورفيقاه — رضى الله عنهم — هاجموا رفاعة ابن قيس الجتسمى وقومه بنى جشم ، ونداؤهم : الله أكبر ، فأتاهم نصر الله .

هؤلاء الأصحاب وأمثالهم أسوة فى الايمان بالهدف ونكران الذات عملا بما يرضى الله ورسوله .

والثانى : هؤلاء الفئة من الأصحاب الذين تلقوا — أو تلقى أحدهم أمرا بمهمة من « استطلاع » أو « قتال » وهؤلاء هم :

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

المأمورون .

وكان ــ عليه الصلاة والسلام ــ يحدد لهم ما يريد ، والوجهة التى يذهبون اليها ، والعمل المنوط بهم ، فيسمعون ويطيعون عن ايمان واقتناع ورغبة فى الشهادة وفى مقدمة هؤلاء أصحاب السرايا من أصحابه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ورضى الله تعالى عنهم ، مثل :

سرية عبد الله بن جحش ــ رضى الله عنه ــ بعثه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعه ثمانية رهط من المهاجرين ، كتب له ــ صلى الله عليه وسلم ــ كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، فيمضى لما أمره به، ولا يستكره أحدا من أصحابه ، وبعد مسيرة يومين يفتح الكتاب ، فاذا فيه أمر بالمضى قدما حتى نخلة بين مكة والطائف يترصد قريشا ويعلم من أخبارها فيقول « سمعا وطاعة » .. هكذا الأمر وهكذا الطاعة ، وكانت توجيهات الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لهؤلاء المأمورين خيرا وبركة لهم .

ومن هؤلاء حذيفة بن اليمان ، وان لم يذكر فى قادة السرايا ، وكان بعض المؤلفين كابن الأثير صاحب .. أسد الغابة يراه منهم .

وهو حذيفة بن حسل ــ أو حسيل ــ بن جابر ابن عمرو بن ربيعة من غطفان واليمان لقب . وحسل بن جابر هو الذى ذهب الى المدينة بعد أن أصاب دما فى قومه وحالف بنى عبد الأشهل من الأنصار فسماه قومه اليمان ــ لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن أسلم حذيفة رضى الله عنه وهاجر الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة وشهد مع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ احدا وقتل أبوه خطأ من المسلمين فأراد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يدفع ديته ولكن حذيفة ــ رضى الله عنه ــ تصدق بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خيرا .

كان حذيفة ــ رضى الله عنه ــ صاحب سر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى بعض المنافقين فلم يعلمهم أحد الا حذيفة أعلمه بهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وكان عمر ــ رضى الله عنه ــ فى خلافته ــ اذا مات انسان ينتظر فان حضر حذيفة الصلاة صلى عليه عمر ، وان لم يحضر حذيفة لم يحضر عمر ــ رضى الله عنه ــ وحضر مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ غزواته وفى غزوة الأحزاب ، وبعد أن دب الفشل فى حزب الشيطان وصلى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هويا من الليل التفت الى أصحابه قائلا :

من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ــ أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة .

قادة النبى

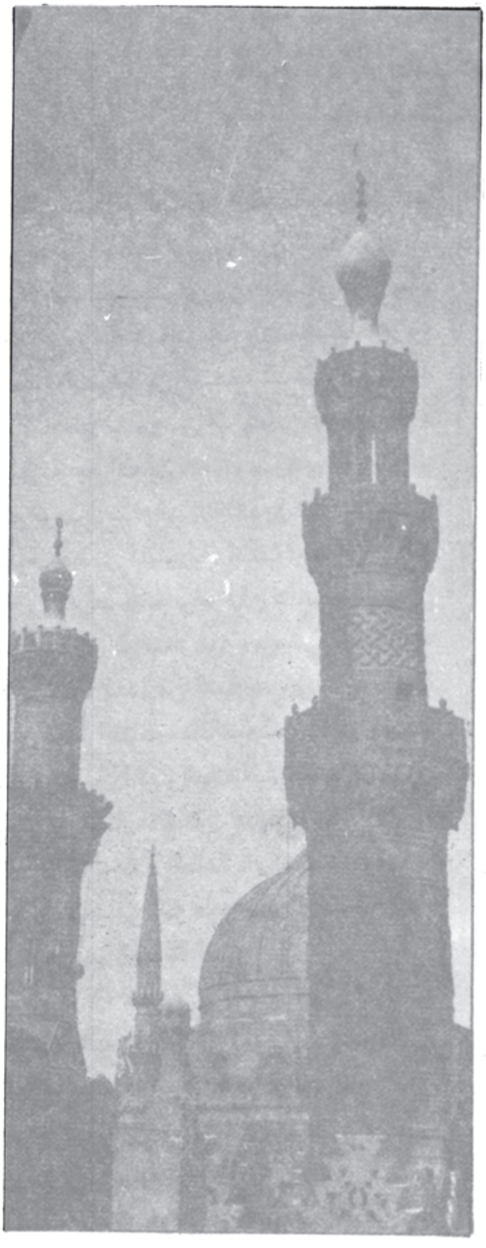

فما قام رجل من القوم من شدة الخوف ومن شدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد دعا الرسول — صلى الله عليه وسلم — حذيفة فلبى ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا) .

ويقول حذيفة — رضى الله عنه — : فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال : —

يامعشر قريش : لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان الى جنبى فقلت : من أنت ؟ قال فلان بن فلان فنادى أبو سفيان على القوم مقترحا الرحيل ، وكان أبو سفيان أول مرتحل .

ويقول حذيفة — رضى الله عنه — : لولا عهد الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى « أن لا تحدث شيئا حتى تأتينا ، ثم شئت لقتلته بسهم .

وثبت فى الصحيح علمه تفصيلا بالفتن .

اشترك حذيفة فى حروب الردة وله فيها بطولات خارقة ، وحضر « نهاوند » وفتح همدان — همذان — والرى وشهد فتح الجزيرة واستعمله عمر على المدائن مات بعد عثمان سنة ست وثلاثين هجرية رحمهما الله .

ابراهيم عبد الرحمن أبو الغيط

آراء وآراء

بقلم المستشار السيد عبد العزيز هندى

أولا — عن تطبيق الشريعة الاسلامية :

— فى مقالات بعنوان : ملاحظات حول العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية نشرته مجلة « المصور » الغراء — للاستاذ حسين أحمد أمين .

ولنا على هذه الملاحظات ملاحظات — نوجزها فيما يلى :

١ — ليس من شك فى صحة ما قرره الكاتب من أن الدعوة للعودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية هى دعوة حق يراد بها حق — وأن ما قرره الكاتب من أنه من المؤمنين بضرورة العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية — هو أمر لامراء فيه •

أما ماذهب اليه الكاتب من أنه « ليس ثمة مجموعات للأحكام التشريعية الاسلامية صيغت صياغة نهائية محددة واضحة المعالم ويراد من حكومات أغفلتها زمنا طويلا أن تعود الى تطبيقها والعمل بها » — فانى أباد فاقرر بأن هذه الصعوبة قد واجهتنا حين بدأت اللجان المشكلة لتقنين الشريعة الاسلامية عملها — ولكنها لم تقعد بها عن أداء مهمتها •

فقد ذهب رأى الى أنه لا لزوم أصلا لتقنين الشريعة الاسلامية ولا حاجة لنا به — فان أصول الشريعة مقررة فى الكتاب والسنة — وما على القاضى الا أن ينظر فيها ليجد ضالته •

ولما كان الاخذ بهذا الرأى — وهو عدم التقنين — تعترضه صعاب جمة — فانه — وان كان لا خلاف بين المسلمين على تحريم السرقة مثلا — الا أن السرقة الموجبة لاقامة الحد — تستوجب توافر أركان معينة — ذهب فيها الفقهاء مذاهب شتى — ومن ثم يعدو لزاما تحديد هذه الاركان — تيسيرا على القاضى والمتقاضى على حد سواء — وأن يصدر بها تشريع ملزم — يستمد أصوله من الشريعة الغراء — وغير متعارض مع أصل من الاصول القطعية الثبوت والدلالة فيها — فيكون بهذه المثابة اجماعا ملزما — مصوغا صياغة نهائية واضحة المعالم — فى مجموعات منسقة على نحو علمى دقيق •

وبذلك نجمع بين الحسنيين — العمل بشريعة الله — وتسخير العلم والفن لتكون فى خدمة هذا الغرض النبيل — « **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا**

الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ » •

وقد قامت اللجان المختلفة التى شكلت لهذا الغرض ــ سواء فى الازهر أو وزارة العدل أو مجلس الشعب ــ بما نيط بها من هذا العمل الجليل ــ وأخرجت مجموعات القوانين الخاصة بالمعاملات المدنية ــ والتجارية ــ والتجارة البحرية ــ والعقوبات ــ والاجراءات ــ فضلا عن قانون الاحوال الشخصية ــ وجميعها تحت المراجعة النهائية قبل اصدارها من السلطة المختصة ــ قريبا بمشيئة الله ــ ليكمل العمل بشريعة الله ــ فى كل شأن من شئون الحياة ــ وبالتالى فانه لا يكون ثمة وجه لهذا الاعتراض .

٢ ــ ولما كان معلوما أن قوام القسم الخاص بالمعاملات فى الشريعة الاسلامية ينهض على دعامتين أساسيتين ــ هما العقوبات والمعاملات المدنية ــ وأن قانون العقوبات المصرى يضم بين دفتيه ما يقرب من ١٢٠ جناية ــ فضلا عن الجنايات التى تضمنتها القوانين الخاصة ــ والجنح والمخالفات • هذا ــ على حين أن الشريعة الاسلامية لم تحدد عقوبات مقدرة الا فى خمس جرائم فقط ــ هى السرقة والحرابة والزنا والقذف والردة فضلا عن القصاص ــ وتركت ما عدا ذلك من نشاط اجرامى لتعالجه التشريعات الوضعية وفقا للمتغيرات التى يتطلبها المجتمع فى كل زمان ومكان ــ وفى مجال التعزير متسع للمواءمة بين العقوبات التعذيرية وبين ما يتطلبه صالح المجتمع من عقوبات شريطة ألا تخالف مبدأ مقررا فى الشريعة الغراء •

ولما كان مجموع مواد قانون العقوبات والاجراءات حوالى (١٠٣٢) مادة ــ كما يبلغ مجموع المواد فى القوانين المدنية والتجارية والقوانين المكملة لهما حوالى (٢٠٢٣) مادة وبذلك يكون مجموع مواد القانون فى هذه الفروع حوالى (٣٨٩٧) مادة •

ولا حجر على حرية الناس ــ فيما عدا الاحكام القطعية الثبوت والدلالة فى الشريعة الاسلامية ــ وهى محدودة معدودة ــ فى اتخاذ ما يرونه ملائما لحياتهم من قوانين واجراءات ــ فهى حق مقرر للسلطات الدستورية المختصة ــ تستهدى فيه بالمصالح المرسلة ــ بحسب الزمان والمكان ــ مادامت مقرراتها فيها لاتخالف أصلا مقررا من أصول الشريعة الغراء

٣ ــ ولا حجة فى التعلل بأن السنة الشريفة قد تعمد أقوام تحريفها ــ كما ذهب الى ذلك الاستاذ حسين أحمد أمين ــ فى مقالاته ــ فان الثابت الواقعى ــ يبين منه أن الله سبحانه ــ قد قيض للسنة الشريفة ــ منذ بدء تدوينها ــ علماء أجلاء محققين تتبعوا ما حاول المضللون اقحامه عليها ــ فبينوا سند كل حديث شريف ــ ودرجة رواته ــ وأصبح الحديث علما مقررا ــ له أصوله التى تنفى عنه كل خبث ــ ولمن شاء أن يتحرى الحقيقة فيما يروى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يرجع الى الكتب المعتمدة فى هذا المجال ــ وينأى بنفسه عن الشبهات •

٤ ــ ولما كان مقررا فى الفقه الدستورى ــ أنه اذا خالف القانون نصا صريحا فى الدستور ــ فقد وجب اعمال نص الدستور ــ دون نص القانون ــ وأنه اذا خالف القرار الادارى نصا فى القانون ــ فانه يجب اعمال نص القانون دون نص القرار ــ ثم أقيمت محكمة دستورية عليا لاحكام الاشراف والرقابة الدستورية على ذلك كله .

فما بالنا ــ اذا خالفت هذه القوانين التى وضعها البشر ــ تلك القوانين الالهية الثابتة الموثقة ــ نحاول النيل منها والتشكيك فيها ــ على حين أنها تعصم سلوك الناس ظاهرا وباطنا من كل انحراف ــ وهو الامر الذى تقصر عن بلوغه القوانين الوضعية ــ التى لا تعصم الناس الا ظاهريا فقط ــ ولو استطاعوا الانفلات منها لفعلوا .

هذا ــ وقد تضمنت مشروعات القوانين الجنائية جميعها ــ النص على أن عقوبات الحدود تعتبر جناية ــ تختص بنظرها محكمة الجنايات ــ وأن على النيابة أن تطعن فى الحكم الصادر فيها بالادانة أمام محكمة النقض ــ ولا يجوز تنفيذها الا بعد صيرورة الحكم الصادر فيها انتهائيا ــ واستنفاد كافة طرق الاستشكال فيه ــ على النحو المفصل فى مشروعات هذه القوانين .

وذلك كله تأكيدا لاستيفاء كافة الضمانات لحقوق المتهمين فى هذه الجرائم الحدية ــ وتحرزا من وقوع خطأ فيها .

ولما كانت محكمة الجنايات مكونة من ثلاثة مستشارين وكانت محكمة النقض مكونة من خمسة مستشارين ــ فضلا عن أن حضور النيابة العامة فيها وجوبى ــ والا كان الحكم باطلا .

ولما كان فى وجود هذه المجموعة من المستشارين وأعضاء النيابة المتخصصين ــ ما يمثل ذروة الاجتهاد البشرى قبل بتر عضو المتهم أو جلده أو اعدامه تطبيقا لاوامر الله العليم الحكيم ــ على حين يرتضى الناس رأى الطبيب ــ وهو بشر يصيب ويخطىء ــ أو مجموعة أطباء (كونسلتو) اذا قرروا اجراء عملية من العمليات الجراحية التى تقتضى بتر عضو لانقاذ باقى الجسد ــ ولا يعدو المتهم أن يكون عضوا ثبت فساده ــ فى جسم المجتمع البشرى ــ وحق المجتمع أولى بالرعاية فى هذه الحال .

فلنعمل جميعا ــ على لصلاح هذا المجتمع وصلاحه ــ فى هدى مارسمه الله فى كتابه العزيز حين قال :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ــ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » وفى هدى سنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الثابتة ــ من قول أو فعل أو اقرار ــ مستنيرين فى ذلك بآراء السلف الصالح من العلماء الاجلاء الافاضل ــ من الصحابة والأئمة المجتهدين ــ فهم مصابيح على طريق الحق المستقيم .

ولا ننسى فى هذا المقام ــ أن ننبه الى ما انفردت به الشريعة الغراء من أن الوسائل فيها لا تنفصل عن الغايات ــ وأنه لا مجال لاعمال المبدأ المكيافلى ــ الذى يقول بأن الغاية تبرر الوسيلة ــ ذلك بأن الشريعة الاسلامية

توجب أن تكون الغاية مشروعة والوسيلة اليها مشروعة كذلك ومن حديث للنبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : (ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله — فان ما عند الله لا ينال الا بطاعته) • والله طيب لا يقبل الا طيبا •

فاذا خلصت النيات — وصلحت الوسائل والغايات — كنا حقيقين بنصر الله الذى وعد به عباده الصالحين اذ يقول سبحانه :

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ » •

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ •

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا •

يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا •

وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ •

« صدق الله العظيم »

(الآية ٥٥ من سورة النور)

٥ — وما بال البعض منا يعيب الأخذ بالاجماع كمصدر أساسى من مصادر التشريع — ما لم يخالف أصلا مقررا فى الشريعة الغراء — ثم نفاخر فى نفس الوقت بالديمقراطية وندعوا اليها — مع أن الاجماع هو قمة الديمقراطية التى لا تعدو أن تكون نصف عدد الاعضاء + ١ — ونهلل لها كأنها اكتشاف حديث لم يسبق اليه التشريع الاسلامى •

أما آن لنا أن نستخرج كنوز تراثنا الاصيل — ونصوغها صياغة حديثة — وقد سبقنا الى ذلك أعلام فى الادب العربى — يأتى فى مقدمتهم أستاذنا العالم المحقق / أحمد أمين — بما أصدره من تحقيقات فى الادب العربى الاسلامى — حين أصدر كتبه : فجر الاسلام وضحى الاسلام — ومثيلاتها من الكتب والمقالات — وبدلا من أن نعيب أسلافنا — هلا أضأنا معهم على الطريق شمعة :

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل •

المستشار السيد عبد العزيز هندى
عضو مجمع البحوث الاسلامية

الشعر

- مولد الربيع
- إنه بسمة الحياة
- ياطيبة النور

فى ذكرى المولد النبوى الشريف

مولد الربيع

○ للدكتور حسن جاد

طاف بالمشرقين نورُ (مُحَمَّدْ) فشدا الطير فى الرياض وَغَرَّدْ
وتهادى فى الكون موكب ذكرى كلَّ عام جمالُها يتجددْ
يَقْبِسُ الشرقُ نفحةً من سناها فيغاديه كلُّ مَجْدٍ مُحَسَّد
كلما اظلم الطريقُ أضاءَتْهُ ، وشَعَّتْ على الدجى فَتَبَدَّدْ
هكذا فَلْتُعِزَّ ذكرى نَبِيٍّ من يَصُنْ عَهْدَه يُعَزَّ وَيَسْعَدْ
ياربيع الوجود عيدُكِ رُوحٌ تَتَسَامَى على الربيع الْمُجَسَّدْ
لبس الكون فيه حُلَّة بِشْرٍ وصفا الجو بعدما كان أَرْبَدْ
وسرت فى النفوس هِزَّةُ فَخرٍ ومشت فى الصدور نشوة سُؤْدَدْ
ايه يا منقذ الأنام من الجهل ، ويا خير من هداهم وَأَرْشَدْ
ولد النور منذ وليدت فدكت شرفات الطغيان من كل مَعْبَدْ
وَتمشَّتْ هِدَايةُ الله فى الأرض كنور الصباح ساعة يُولَدْ
ضَلَّ من صَدَّ عن هداك واعمى عينه عن ضياء نورك وأرتد
كم حملت الأذى جهادا وما نؤت بأعبائه ، وذو العبء يُجْهَدْ
وسلكت الأمور سلما وحربا فى اصطبار فذ وعزم مُوَطَّدْ
بين سيفٍ من مَنْطِق الحقِّ هادٍ وسلاح على الضلال مُجَرَّدْ
عجبا للذى يغالط فى الحق ، ومن يسلك الحقيقة يَهتَدْ
سخروا منك يا أَعَزَّ أمانى الأرضِ ، بل أنت للسموات فَرْقَدْ
لو سلكت السبيل للحجر الصَّلْدِ بدعواكَ ما تَأَبَّى وَفَنَّدْ
واذا جئته " اتشهد بالله وَأَنِّى رَسُولُهُ قَالَ : أَشْهَدْ
يا امام الجهاد قُمْ فانظرْ اليوم تر الحرب للطامع تُقْصَدْ
حشدوا للدمار كل سلاح وتجنوا على الضعيف المُصَفَّدْ
طمع ساقهم الى الحرب بَهْمًا ومن الحرب ما يذم وَيُحْسَدْ
ولو أن الشُّعُوبَ أَصْغَتْ الى الدين لما بات فى الشعوب مُسَوَّدْ
شِرْعةٌ تكفُل الحقُوقَ وَتَحْمِى من شرور الطغيان كل مُهَدَّدْ
لو أَتَوْهَا لَصَمَدَتْ كُلَّ جُرْحٍ ولضمّت من شملهم ما تَبَدَّدْ

إنه

بسمة الحياة

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

نور يشع على الدنا وضياء … لا الشمس تبلغه ولا الجوزاء
نور يبدد في القلوب ظلامها … فلأى نجم هذه الآلاء ؟
نور الوليد محمد فى مهده … بهر العيون بريقه الوضاء
هبت نسائم ذكره بين الورى … فتأرجت لعبيرها الأجواء
وسرت بأنحاء الوجود كأنها … روح من الفردوس أو أنداء
فعرائس الروض البهيج تأودت … نشوى عليها نضرة ورواء
بسم الزمان به وكان مقطبا … مثل المعنى زال عنه عناء
لم تدر مكة حين مولده بأن … يتيمها تزهو به الغبراء
نور أماط الدهر عنه سجوفه … حين ادلهم .الكون والأرجاء
سر طواه الدهر بين ضميره … لما تجلى عابه الجهلاء
واذا غوى طبع ابن آدم والتوى … فسنا اللآلىء عنده حصباء
سحقا لمتبول الفؤاد يخب فى … حلك الجهالة ، عينه عشواء
ياواعظ الذكرى فديتك مرشدا … لمدارك ضلت بها الأهواء
قل للذين تنكبوا نهج السماء … وطوتهمو فى تيها البيداء
ان السعادة منحة قدسية … تلقى بأفئدة زكت وعطاء
ياليتهم يتدبرون ليبصروا … ان الحنيفة للفريق نجاء
اشرق علينا ياربيع مرفرفا … بالذكريات فانها أفياء
اشرق علينا بالسكينة والهدى … فالكل ياشهر الربيع ظماء
واسق الحيارى من ينابيع الهدى … فرحيقها لذوى السقام شفاء
وادر على الأسماع أروع سيرة … ان الحديث عن الحبيب لقاء

يا طيبة النور

« ياطيبة » النور ياصبحا بدنيانا قد فجر النور فى الأكوان ايمانا
يامن حضنت هدى الرحمن فاحتضنت بك الحياة حياة قد علت شانا
محمدا أنت قد عانقت وانطلقت منك الأغاريد ملء الكون ألحانا
ورفت الأغنيات البيض فى طرب والشوق يسبق خطو القوم نشوانا
البدر أقبل قد هلت طوالعه الله أكبر خير الخلق وافانا
شرفت بالمصطفى أصبحت طيبة فقد ضممت أجل الخلق انسانا
قد صرت بالمصطفى للكون صفوته وصار قومك فى الاسلام اخوانا
تبوءوا الدار والايمان وصفهم وأنزل الله فى الايثار قرآنا
آووا رسول الهدى والصحب اخوتهم وقدموا روحهم لله قربانا
كم قسم المال أنصار لاخوتهم وقدموا الدور لايبغون أثمانا
هل نبصر اليوم منهم بيننا مثلا ساح السباق تريد اليوم فرسانا
« يا طيبة » النور فى مثوى النبى هنا ما يملأ النفس تذكيرا وعرفانا
جاءت له هذه الدنيا بزينتها ما رام دنيا ولكن رام ديانا
وربما شد فوق البطن من حجر اذ يمكث اليوم والأيام جوعانا
ومات والدرع مرهون بمطعمه ما شاد قصرا ولكن شاد ايمانا
هذا الذى فجر الآمال منطلقا به صباح الهدى يجتاج بطلانا
هذا الذى دك ليل الكفر وانتصرت به الحياة ودك الحق أوثانا
هذا الذى عرف الانسان قيمته فأصبح المرء فوق الأرض انسانا
هذا الذى صنعت للكون دعوته صيدا أضاءوا بنور الله دنيانا

أبو زيد إبراهيم سيد

كانـــوا نجـــوما يـــأرض اللـــه ســـاطعة تهـــدى وتســـحق بطـــلانا وبهتـــانا
تلقـــاهم الليـــل قـــواما لربهـــم وفى النهـــار تـــرى أســـدا وفرســـانا
أخـــلاقهم من كتـــاب اللـــه منبعهـــا فهم يســـيرون فـــوق الأرض قـــرآنا
« يا طيبة » النـــور فى الأشعار معـــذرة مـــا كنت فى روعـــة الأشـــعار حســـانا
« فمـــالك » يخـــلع النعلـــين فى أدب يمشى وقـــد طبـــق الآفـــاق عرفـــانا
يقـــول : أرض بخطـــو المصطفى شرفت فتر بهـــا قـــد غـــدا مسكا وريحانا
الله أكبـــر والأمجـــاد تعرفنـــا كنـــا أســـود الوغى شـــيبا وشـــبانا
و « الغـــرب » يعـــرف ماضينا وقوتنـــا فقـــد أقمنـــا بـــه حكمـــا وســـلطانا
وقـــد تســـامت لهـــام الشمس هامتنـــا وقـــد نشرنـــا عـــلى الأكـــوان عرفانـــا
صـــنا الســـلام وكـــان العـــدل ديننـــا ومـــا وهنـــا ولا عـــود لنـــا لانـــا

***

أين الشباب وهل كابن « الوليـــد » نرى أو « مصعب » يحمـــل الرايـــات مزدانا
جابـــوا البحـــار وجابـــوا البر وانطلقوا وحطمـــوا فى الـــورى فرســـا وروما
ما بالنـــا معشر الاســـلام فى ألـــم و « الحمر » قد أنشبوا الأظفار ذؤبانا
ومســـلمونا اســـتباحوا قتـــل اخوتهم وفجـــروا المـــوت فى الأوطـــان طوفانا
يـــا مســـلمون أما يكفى تفرقنـــا فاجمعـــوا أمـــركم فالوقت قـــد حـــانا

***

عودوا الى الله ضموا الصف واعتصموا باللـــه واتخـــذوا الدســـتور قرآنـــا
ان تنصروا اللـــه ينصركم وصبحـــكم ســـيغمر الـــكون أنـــوارا وايمـــانا

دراسات في القرآن والحديث والتشريع

- قصة الصرفة
- أثر منهج البخاري والمحدثين
- أثر منهج المحدثين في المنهج الأوربي
- حقوق غير المسلمين في ظل تقنين الشريعة الإسلامية

قصة الصرفة

نشأتها . مدى تطور مدلولها . موقف العلماء منها

للدكتور محمد محمد أبو موسى

(٢)

كان الجاحظ صاحب ابراهيم بن سيار النظام ، وتلميذه ، وخليطه وكان يعرف فضله ، ويعده من النابهين فى زمانه ، وأنه ممن نجى الله به خلقا كثيرا من معاطب الهلاك والزيغ ، وأنه نهج لشيعته من المعتزلة « سبلا ، وفتق لهم أمورا ، واختصر لهم أبوابا ، ظهرت فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة »(١) .

وكتب الجاحظ فيها ذكر كثير للنظام ، ومقتبسات كثيرة من فرائد بيانه ، الا أن الجاحظ لما سمع منه القول بالصرفة أنكره انكارا واضحا لا يلتبس .

وكلام الجاحظ قاطع بأن نظم القرآن لا طاقة لبشر به ، وهو من أوائل من ذكروا أن بلاغة العرب فوق بلاغة غيرهم من الأمم ، وأن الجاهليين من العرب فوق غيرهم من الأجيال التى تتابعت فى هذا الشأن ، وأنه ان ادعى لهم

١ ـ الحيوان جـ٤ ص ٢٠٦ تحقيق عبد السلام هرون طبعة الحلبى .

« أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لايزدوج ، فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق ، من الديباجة الكريمة ، والرونق العجيب ، والسبك والنحت ، الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم فى البيان أن يقولوا فى مثل ذلك الا فى اليسير والنبذ القليل » .

ومثل هذا الكلام الواثق القاطع مستفيض فى كتب الجاحظ .

وكلامه أيضا قاطع فى أن هذا الجيل الذى هو أنبغ أجيال الأرض بيانا ، وأعرفهم بمخارج الكلام ومطالعه ، حين يسمع الواحد منهم سورة « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » يرى فيها من الأمر الالهى الذى لا يطبقه الناس مايراه فى خلق السموات والأرض وما بينهما .

قال الجاحظ « ولو أن رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة ، لتبين له فى نظامها ، ومخرجها من لفظها وطابعها أنه

٢ ـ البيان والتبين جـ ٣ ص ٢٧ تحقيق السندوبى .

عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب ، لأظهر عجزه عنها »(١) .

وهذا الفهم المستقيم لا يلتقى مع الصرفة من قريب ولا من بعيد وهو نص فى بيان علة العجز، وأنها فى نظام الكلام ، ومخرجه من لفظه ، وطابعه ، وأن العرب قدتبين لهم ذلك واستيقنوه وأنهم عجزوا عجز من يعرف علة عجزه ، وليس عجز المتحير المصروف وقد كتب الجاحظ كتابا فى هذا الباب سماه « الاحتجاج لنظم القرآن » والتسمية قاطعة فى رفض الصرفة ، وقد قال فى نعته :

« فلم أدع مسألة لرافضى ، ولا لحديثى ، ولا لحشوى ، ولا لكافر مباد ، ولا لمنافق مقموع ، ولا لأصحاب النظام ، ولا لمن نجم بعد النظام ، ممن يزعم أن القرآن حق ، وليس تأليفه بحجة ، وأنه تنزيل ، وليس ببرهان ولا دلالة »(٢) .

وهذا قاطع فى رفض الصرفة .

وجاء فى كتاب الحيوان ما رجح عند بعض أهل العلم أن الجاحظ قال بالصرفة ، وأنه تناقض واضطرب .

قال الرافعى — رحمه الله :

« أما الجاحظ فأن رأيه فى الاعجاز كرأى أهل العربية ، وهو أن القرآن فى الدرجة العليا من البلاغة ، التى لم يعهد مثلها ، ثم قال :

غير أن الرجل كثير الاضطراب فان هؤلاء المتكلمين كانما كانوا من عصرهم فى منخل ،

ولذلك لم يسلم هو أيضا من القول بالصرفة » (٣)

ونعلم أننا قد نجد فيما كتبه العالم رأيا له يضرب رأيا آخر ، وخاصة اذا طالت الممارسة للاستخراج والتأليف ، وتراخت الأيام بين أوائل آرائه وأواخرها .

وقد نجد لأهل العلم غفلات لا يقع فيها المبتدئون وهى كثيرة ، ولو أراد مريد أن يكتب فى أوهام الأعيان لوجد بين يديه الكثير والكتب مشحونة بذلك .

ولكن يبعد أن يحتشد العالم لمسألة كهذه من أكبر المسائل التى شغلت العقل الاسلامى ، فيضع فيها كتابا يبت الحكم فيها بتاً ، ويذكرها فى كتبه الأخرى وهو يجرى فى ذلك كله على رأى واحد قاطع ثم يرجع عن هذا كله من غير أن يقف مع قارئه وقفة طويلة .. يشرح له فيها الرأى الثانى ، ويبين الذى بان له فعدل له عن رأيه الاول ، ومثل هذا كثير فى كلام العلماء تراهم يقولون فى قوة وجهارة انا كنا نفهم هذا الكلام على وجه كذا ثم بان لنا بأخرة خطأماكنا فيه ، وأن الوجه فيه كذا (٤) .

والجاحظ لم يفعل ذلك .

وقد تأملت كلامه فى الحيوان — وهو الذى قال أهل العلم ان الجاحظ قائل فيه بالصرفة ، وقضوا عليه بالتناقض — فوجدته لا يتناقض مع ما احتشد له .

ووجه ذلك ، أن النص الذى ساقه الرافعى وغيره واستدلوا به على أن الجاحظ ، قال

١ — دلائل الاعجاز ص ٢٥٠ وقد اقتبسه من كتاب دلائل النبوة .

٢ — مقدمة اعجاز القرآن للباقلانى ص ٩

٣ — اعجاز القرآن ص ١٦٥ .

٤ — ينظر كلام عبد القاهر فى بيت المتنبى

عجباله حفظ العنان باثمل
ماحفظها الاشياء منعادتها

ص ٣٤٧ دلائل الاعجاز .

بالصرفة ، جاء فى سياق ذكر الدهريين وانكارهم خبر ملكة سبأ والهدهد ، وسليمان ، واحتجوا لذلك بأن سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام كما يقول القرآن الكريم سأل ربه أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وأن الله سبحانه استجاب له فعظم ملكه ، ونبه ذكره ، وسخرت له الشياطين ، والريح تجرى بأمره ، وعلم منطق الطير ، فكيف يجهل خبر ملكة سبأ ، وهى أيضا نابهة الذكر وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ، وملك سليمان عليه الصلاة والسلام اما أن يكون كان بالشام أو بسواد العراق ، وكانت بلقيس باليمن(١) والطريق بينهما قريب واصل ، ونهج للخف والحافر والقدم ، وملوك زماننا وهم أقل من سليمان لا يجهلون صاحب الخزر ، ولا صاحب الروم، ولا صاحب الترك ولا صاحب النوبة .

ثم أجاب الجاحظ بأن هذا معقول لو أن الله سبحانه خلى الدنيا وتدبير أهلها ومجارى أمورها ، وعاداتها ، ولكنه سبحانه يتدخل قدره فيرفع عن الأوهام أشياء ويصرفها عن الفطن فيحدث ماجرى به قدره .

وكان يعقوب بن اسحاق أنبه أهل زمانه ، لأنه نبى وابن نبى ، وكان يوسف بن يعقوب وزير ملك مصر ، وكان من النباهة بالموضع الذى لا يدفع ، وله البريد ، واليه يرجع جواب الأخبار ، ثم لم يعرف يعقوب مكان يوسف ، ولا يوسف مكان يعقوب .

ثم ذكر أمر موسى بن عمران ــ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ــ فى التيه هو ومن معه ، وأنهم ظلوا « يتسكعون أربعين عاما فى مقدار فراسخ» وهذه البلاد التى تاهوا فيها هى من ملاعبهم ، ثم هى عامرة بالأدلاء من العسكر والجمالين ، والمكارين والفيوج(٢)والرسل، والتجار ، ولكن الله صرف أوهام موسى ومن معه عن البصر بالطريق الواصل بهم ، ثم ذكر أشباه ذلك ثم قال « ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه ، ولذلك لم تجد أحدا طمع فيه ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة ، لعظمت القصة على الأعراب وأشباه الأعراب ،والنساء، وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملا ، ولطلبوا المحاكمة ، والتراضى ببعض العرب ، ولكثر القيل والقال ،... فقد رأيت أصحاب مسيلمة ،... انما تعلقوا بما ألف لهم مسيلمة ، من ذلك الكلام الذى يعلم كل من سمعه أنه انما عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يقارنه فكان لله ذلك التدبير الذى لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له »(٣) .

والصرف هنا مباين للصرفة التى ذكرها النظام وأنكرها الجاحظ فى غير موضع مباينة لا تلتبس ، فلولا الصرف عند النظام لجاؤوا بمثله .

أما صرفة الجاحظ هذه فلولاها لطمعوا فيه ، ولو طمع فيه بعضهم وتكلفه فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب ، وأشباه الأعراب والنساء ، الى آخره ، ومراجعة هذا الكلام تفيد أن قصارى ما يأتى به المتكلف كلام

(١) فيما ذكره المؤرخون بآخرة ان مملكة سبأ امتدت حتى شملت اكثر من نصف الجزيرة الجنوبى . وأن عاصمتها كانت « الغلا » .

(٢) الفيوج الرسل الذين يحتلون بريد الملوك .. (السفراء) وهو معرب عن (بيك) الفارسية .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٨٩

فيه أدنى شبهة ، ثم ان أدنى شبهة هذه لاتكون عند أهل المعرفة ، وانما عند الأعراب ، وأشباههم من ضعاف الايمان ، وعند النساء وأشباههن من ضعاف النحيرة ، وهذا أمر يفتح باب اللجاجة التى تعمل فيها العصبية عملها الذى عملته مع مسيلمة مع قطعهم بكذبه وفساد كلامه ، والشبهة فضلا عن أدناها فى هذا الأمر لا يستقل قليلها ولا يتهاون باليسير منها كما يقول العلماء .

الصرف هنا لا يجوز أن نحمله على معنى أنه لولاهلجاءوا بمثله ، وأنه وجه اعجاز القرآن ، وحجة النبوة ، والذى عليه الأمر فى الالزام .

وليس فى كلام الجاحظ مايدل على ذلك ، بل ولا مايوهم به ، وانما هو قاطع فى أن الصرف هنا أغلق باب اللجاجة بالباطل المتعلق « بأدنى شبهة » ثم هى أدنى شبهة لا موضع له فى قلب ذى لب ، وانما يتعلق بها من لا حاجز له من تمكن فى دين ، كالأعراب ، ومن لا تدبر له كالنساء ، هكذا قال الجاحظ ، وقد كررنا ذلك لتأكيده .

وهذا الذى أقوله لا يخامرنى شك فيه ، بل انى لأعجب من أهل العلم كيف أغفلوه مع وضوحه وتميزه .

ثم هو قائم فى كلام آخر للجاحظ ، وأنهم صرفوا عن المعارضة ولولا الصرف لعجزوا أيضا عن أن يأتوا بمثله ، وانما هو صرف عن الشغب واللجاجة والمدافعة بالباطل ، فحسب .

ذكر الجاحظ أن الله بعث محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، أكثر ماكانت العرب شاعرا وخطيبا ، وأحكم ماكانت لغة ، فدعاهم بالحجة ، وقطع العذر وأزال الشبهة فاستيقنوا أمره ، وحجزتهم الحمية والهوى،فنصب لهم ونصبوا له ، وقتل من عليتهم ، وهو يدعوهم فى ذلك الى المعارضة ، بسورة واحدة أو بآيات يسيرة ، وقرع عجزهم ، وكشف نقصهم ، فلما قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف قال لهم: هاتوا مفتريات(فلم يرم ذلك خطيب ، ولاطمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ، ويحامى عليه ، ويكابد فيه ، ويزعم أنه قد عارض وقابل ، وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم ، واستحالة لغتهم وسهولة ذلك عليهم(١) .

تأمل قوله « لو ظهر لوجد من يستجيده ، ويحامى عليه ، ويكابد فيه ، ويزعم أنه عارض الى آخره ، تجد الكلمات مبينة عن أنهم لو عارضوه لعجزوا عن أن يجيئوا بمثله ، الا أن يجيئوا بشىء على سبيل الزعم والمكايدة ، ودعوى أنه عارض ، وقابل ، وناقض .

ويمكن أن نقول : ان الجاحظ أدار مقالة النظام فى نفسه ورفضها رفضا قاطعا ، وكان قصارى ما وجده منها أنه يصح أن يقال ، ان هناك صرفا هو صرفهم عن الشغب بالباطل ، ولولا هذا الصرف لكادوا وهيجوا ، وكثر القيل ، والقال ، ولما وجد عن جاحظ أن هذا الذى وقع فى نفسه مباين لما قاله النظام لم يلتفت اليه وهو يهدم صرفة النظام ، ومن نجم بعده ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه حجة .

ويمكن أن نتلمس صورة لهذا التصور الذى يعنى الاعجاز الكائن فى نظم الكلام ومخارجه

(١) الاتقان جـ ٤ ص ٦ .

من ألفاظه ، والكائن أيضا فى صرف العرب عن المعارضة ، ولولا الصرف لعجزوا عن أن يأتوا بمثله ، وانما هو صرف عن الشغب ، واللجاجة والمكايدة ، يمكننا أن نتلمس هذا التصور فيما ذكره الأصبهانى فى تفسيره على حد ما ذكر السيوطى ، فقد ذكر الأصبهانى :

أن اعجاز القرآن من وجهين :

أحدهما : اعجاز يتعلق بنفسه .

والثانى : بصرف الناس عن معارضته .

فالأول لا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ ، لأن ألفاظه ألفاظهم ، ولا يتعلق بالمعنى ، لأنه فى زبر الأولين ، وانما يتعلق بالنظم المخصوص الذى هو صورة القرآن ، والذى تجد فيه اللفظ والمعنى عنصرين ، « وباختلاف الصور يختلف حكم الشىء لا بعنصره ، كالخاتم والقرط ، والسوار فانه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها » .

وأما الاعجاز المتعلق بصرف الناس عن المعارضة ، فقد ذكر أن غرائز النفوس تميل بها الى صناعات تجد فيها مناسبات خفية فتنشرح فى ملابستها وتطيعها قواها فى مباشرتها ، وتزاولها باتساع قلب « فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون فى كل واد بسلاطة لسانهم ، الى معارضة القرآن وعجزهم عن الاتيان بمثله ، ولم يتصدوا لمعارضته ، لم يخف على أولى الألباب أن صارفا الهيا صرفهم عن ذلك ، وأى اعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزة فى الظاهر عن معارضته ، مصروفة فى الباطن عنها »(١) .

وهذا قريب من الذى عند الجاحظ فكلاهما يذكر الصارف الالهى للعرب عن المعارضة مع أن القرآن فى صورته ونظمه أمر الهى لا طاقة للناس به والأمر فيه يدل ذا العقل عليه أى أنه فى ذاته حجة ظاهرة ، وأن القوم عاجزون فى الواقع الظاهر ، ومصروفون فى الباطن فما راموا ولا طمعوا ، بل ولا حدثتهم نفوسهم بالمعارضة .

نعم هناك من ذكر أن القرآن معجز ببلاغته ، وبالصرفة على الحد الذى ذكره النظام ، وفى هذا اشكال نعرض له فى المقالة اللاحقة ان شاء الله .

د. محمد محمد أبو موسى

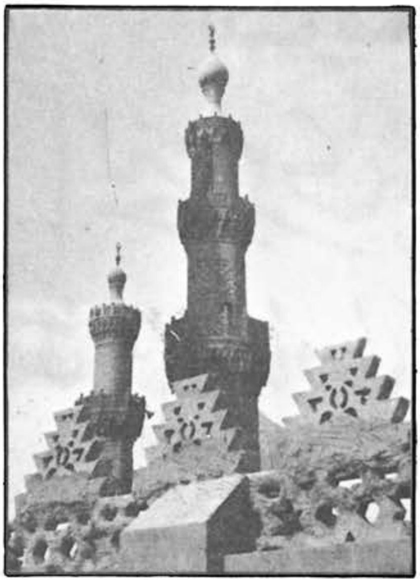

(١) الاتقان جـ ٤ ص ١١ .

أثر منهج البخارى والمحدثين في المنهج الأوربى الحديث

مع المقارنة

وبعد أن وصل تدوين الحديث الى أوج العظمة والدقة فى القرن الثالث « العصر الذهبى » لتدوين السنة الذى حمل لواء نهضته الامام البخارى بمنهجه القويم ومقاييسه الدقيقة وساعده على ثبات منهجه ما كان قبله من عناية المحدثين بالسنة ومناهجهم الدقيقة فوجد الثقات المحافظين على تراث نبيهم فى القرون الخيرة الأولى .

وكان الزمن بين اشتغال البخارى بالعلم وبين وفاة النبى صلى الله عليه وسلم قرنين فقط بالنسبة للمقياس الزمنى وثلاثة أشخاص بالنسبة للاسناد العالى وبينه وبين وفاة الصحابة قرن واحد .

والثقافة ثقافة وحى ونبوة وسعادة دنيا وأخرى والرواة هم الأخيار الأطهار الثقات وضعوا لحراسة السنة المناهج المنظمة الدقيقة المعلومة فى كتب أصول الحديث وقد تقدم منهج البخارى الدقيق .

وأبين هنا أثر منهج البخارى والمحدثين ف المنهج الأوربى الحديث وحقيقة هذا المنهج الحديث وهل بلغ مبلغ منهج البخارى والمحدثين ؟!

بعد وفاة البخارى بحوالى عشرة قرون بدأت فكرة تحديد منهج للتاريخ تظهر ف أوربا وقوبل هذا المنهج بالحفاوة البالغة والتقدير الكبير ونقله الشرقيون على أنه أمر حدث جديد والحق أنه مأخوذ من حيث الجملة من منهج المحدثين وشيخهم البخارى

تأثر المنهج الأوربى الحديث بمنهج البخارى والمحدثين :

يقول الدكتور محمود قاسم رئيس قسم الفلسفة بدار العلوم وعميدها تحت عنوان « مراحل البحث التاريخى الأوربى » لم يتتبع القدماء « الأوربيون » منهجا سليما فى دراسة التاريخ فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص

للدكتور الحسيني هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها فى قالب أدبى جذاب .

لكن علماء المسلمين عنوا عناية كبرى بنقد الرواة وبتمحيص طرقهم فى النقل ولاسيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول — عليه الصلاة والسلام — .

ولقداتجه الأوربيون الى العناية بالدراسات التاريخية وبينوا القواعد التى يجب على المبتدىء احترامها وانتهوا الى تحديد مراحل البحث تحديدا دقيقا ويعرض الدكتور قاسم لدراسة مراحل البحث التاريخى تحت عنوانين أساسين التحليل — والتركيب ، طبقا لما وصل اليه سينيوبوس ودونو وفريمان وغيرهم واليك البيان .

التحليل التاريخى

اذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ومن جمع الوثائق الخاصة به بدأ يحللها ويمحصها ،والتحليل نوعان : خارجى — وداخلى .

أولا : التحليل الخارجى :

وتتكون مرحلته من عمليتين رئيسيتين هما :

(أ) نقد الوثائق يقول سينيوبوس « لا وجود للتاريخ بدون وثائق وكل عصر ضاعت فيه وثائقه يظل مجهولا الى الأبد » .

ولما كانت مادة التاريخ لا تقع تحت ملاحظاتنا بطريقة مباشرة ولما كانت الوثائق السبيل الوحيد الى معرفتها فانه يجب الحذر فى استخدامها ، والعناية بين الصحيح والزيف منها تتبين ضرورة هذا النقد اذا علمنا أن الانسان يميل بطبعه الى تصديق الأخبار دون تمحيص اذا التصديق أقل مجهودا من المناقشة ، والتسليم أيسر من النقد وتكديس الوثائق كيفما اتفق أقل عناية من فرزها وتقديرها ، وقد بين العلامة سينيوبوس أنه يجب الحذر من بعض العبارات العقلية كالميل الى استخدام أول نسخة تقع لدينا ولو كانت غير دقيقة وكالميل الى الاعتماد على أقدم النسخ ولو كانت أردأ من النسخ الاقرب عهدا وكالميل الى اتخاذ الاغلبية حكما اذا اختلفت النسخ فيما بينها مع أن هذا لا يدل على شىء البتة وقد ضرب سينيوبوس لذلك مثلا فقال فلنفرض أن هناك عشرين نسخة يشترك فيها ثمانى عشرة نسخة فى نقطة واحدة هى (أ) . ويشترك النسختان الاخريتان فى نقطة مخالفة هى (ب) ففى هذه الحالة يميل الباحث المتسرع الى تأكيد صحة (أ) دون (ب) .

لكن من المحتمل جدا أن تكون كثرة المجموعة الاولى صورية بأن تكون احدى النسخ أصلا

أثر منهج البخاري والمحدثين في المنهج الأوربي الحديث

والباقى منها فروعا ولذا فان الباحث المدقق يتساءل فيقول هل (أ) أكثر احتمالا للصدق من (ب) أم لا •

(ب) التحقق من شخصية صاحب الوثيقة •

لا تكفى المقارنة بين مختلف النسخ بل لابد من الوقوف على مصدر كل وثيقة وأين ومتى كتب؟ ومن كتبها ؟ وذلك أنه لا فائدة من استخدام وثيقة نجهل صاحبها وهذه العملية هامة جدا ولاسيما اذا كان المؤرخ يدرس احدى وثائق العصور القديمة أو المتوسطة • فان كتابها كانوا يعنون بتوقيع كتاباتهم أو تحديد تاريخها وقد يسارع الباحث الى تصديق نسبة احدى الوثائق الى أحد الكتاب اذا رأى أنها تحمل توقيعه لكن يجب الحذر من هذا الميل الساذج الى سرعة التصديق فان الانتحال أمر مألوف وأسبابه عديدة ونحن نعلم أن بعض فراعنة مصر لم يتورعوا عن محو أسماء سابقيهم ونسبة أثرهم الى انفسهم حقا ان خير وسيلة الى معرفة شخصية الكتاب هى التحليل الداخلى غير أنه يجب الاعتماد قبل ذلك على بعض العلاقات الخارجية كالخط والورق واللغة •

وكثيرا ما تكون دلالة هذه العلامات حاسمة فتقرر تزوير الوثائق وانتحالها فان كثيرا من المزيفين لايتخذون جميع اسباب الحيطة فيستخدمون كلمات وجملا وألوانا من الاساليب التى لم تكن مألوفة فى العصر الذى ينسبون اليه الوثائق ، كذلك يجب المقارنة بين الوثائق المختلفة فان ذلك يزيدنا علما بالظروف التى دونت فيها الوثائق الصحيحة وبمواضع التزييف أو التحريف فى غيرها •

وتستخدم المقارنة فى التفرقة بين النص الذى اشترك فى كتابته أفراد عديدون لأن اضطراب الاسلوب أو عدم اتساقه دليل على تعدد كاتبى الوثيقة أو على أن بعضهم ينقل عن بعض وتؤدى هذه العملية الى بعض النتائج السلبية ، يرى (سينيوبوس) أن التحليل الخارجى لا يؤدى الى بعض النتائج الايجابية وانه اذا أرشدنا الى الوثائق الرديئة التى يجب عدم استخدامها انه لا يوقفنا على كيفية استخدام الوثائق الجيدة ولكن مع ذلك يجب الاعتدال فى النقد فان بعض دارسى الوثائق يغلون فى النقد فيرون التحريف والتزوير والطلاسم فى كل مكان على الرغم من وضوح النصوص التى يدرسونها ، ولذا يجب الوقوف عند حد معلوم والا انتهى الأمر الى الشك المطلق •

وهناك آخرون ينتقدون لمجرد النقد وكلما انتهوا الى وثيقة بحثوا عن غيرها ظانين بأن التاريخ نوع من الرياضة العقلية وأن أهمية الوثيقة لا تقاس بما تحتوى عليه من حقائق بما تثيره من صعوبات •

وليت المغرمين بنقد الحديث على غير موازين ، والمغرمين بتتبع الغربيين يستمعون الى سينيوبوس فانه يعيب على من شك عند وضوح النص ، فما بال من يشك بوضوح النص

وصاحبه وتوفر أسمى المقاييس ؟ .

ثم ان أصحاب المنهج الحديث لم يطلقوه فى كل شىء بل ذكروا أن من وسائله العلوم المساعدة ــ ذهب « دونو » الى ضرورة بعض الدراسات بوسيلة يستعين بها الباحث على فهم الوثائق التاريخة ومن هذه كتب كبار الكتاب والفلاسفة الذين يجب قراءة كتبهم «كهيرودوت ، وتاسيت ، وميكيافيلى وفلتير» ونص على ضرورة الاطلاع على انتاج كبار الفلاسفة والمؤرخين . وقال « فريمان » يجب على المؤرخ أن يحيط علما بكل شىء ، فلسفة وقانونا واقتصادا وعلم أجناس وجغرافيا وعلوم طبيعية ، وذلك لانه سوف يلقى فى أثناء قراءته للنصوص التاريخية أشياء من هذا القبيل ، وان كان سينيوبوس يرى أن من يقوم بدراسة الوثائق أشد مايكون حاجة الى بعض الفنون والعلوم اذ كيف تجدى الفلسفة اذا وقف المرء حائرا أمام احدى الوثائق التى يجهل لغتها أو يعجز عن حل رموزها .

والمهم أن سينيوبوس يحرم الاسراف فى النقد للنص الواضح كما أن « دونو » « وفريمان » ــ ولم يعارضهما سينيوبوس ــ يقررون أن هناك من الكتب ما هى صحيحة مسلمة معتمدة بصحتها عندهم ولم يرق اليها الشك بل هى تكون كوسيلة عند بعضهم لايضاح الشك فى غيرها أو تدعيم الباحثوهى كتب كبار كتابهموفلاسفتهم التى يجبقراءتها كما يقولون « رغم أنها ألفت من غير منهج» .

فليت أعداء السنة يستمعون لذلك فيعترفون بعد تحقق قوة مقاييس المحدثين بالتسليم والوجوب بالاعتراف لصحة مثل كتاب البخارى حتى تكون لهم أصالة كغيرهم ولعلهم لا يرتاعون ويرمون بالتأخر من يقول بلفظ الوجوب بالاعتراف بالصحة للكتب المرسومة بذلك بعدما سمعوا ممن يعتبرون بأقوالهم من الغربيين فى كتبهم التى لا تقاس ولاتوزن فى كفة صحيح البخارى أو غيره واتخذوا هذه الكتب مرجعا سليما لتصحيح ما ارتابوا فيه من المسائلالعلمية التاريخية واهتموا بدراسة تلك المراجع ليستعينوا بها فى مهمتهمالعلمية.

الغربيون يقررون ذلك والناقدون للسنة ينقدون لمجرد الهوى والغرض ، ورغبة منهم فى ادعاء الوصول الى مالم يصل اليه غيرهم، ولو بحثت الحال لوجدتهم بعيدين عن فقه الحديث ومصطلحاته وأساليبه وطرقه وكان من الحرى بهم أن يدرسوا قبل أن ينقدوا وأن يتطلموا قبل أن ينصبوا أنفسهم أساتذة على أساتذة الفن .

د. الحسينى هاشم

أثر منهج المحدثين

فى المنهج الأوربى التاريخى الحديث

بعد تدوين السنة النبوية وازدهارها بعشرة قرون ظهرت فكرة مستحدثة فى أوريـا تهدف الى تحديد منهج جديد للتاريخ وعنـدما برز المنهج الى حيز الوجود قوبل بالتقدير البالغ وتناقله الشرقيون على أنه جـديد ، ولكنه فى الحقيقة ماخوذ من حيث الجملـة مـن منهج المحدثين ومتأثر به ومع هذا فلم يصل المنهج التاريخى الى ما وصـل اليـه منهج المحدثين الثقات الأخيار الذين جمعوا بين العلم والعمل ودفعهم اخلاصهم لعقيـدتهم ، وحبهم لرسولهم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الى ان ينقلوا سنته الشريفة بحرص بالغ ، ودقـة فائقة ، فأودعوها سويداء قلوبهم ، ونقشوها على صفحات صدورهم الامينة ، متتبعين فى التحمل والأداء أقصى مافى الوسع الانسانى ، ومترسمين أدق الطرق وأسماها حتى تـدوين السنة نقية مشرقـة وكيف لا وصـاحبها هو حبيبهم ورسولهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى لاينطق عن الهـوى ان هـو الا وحى يوحى .

وسأقدم هنا المنهج التاريخى الحديث حتى يتبين لنا بالمقارنة أثر مناهج المحدثين وأئمـة السنة ، فيمن جاء بعدهم وأثرها فى هذا المنهج الحديث وحتى يتضح أن هذا المنهج ليس لـه من القداسة مالمناهج أئمة السنة النبوية الذين استجابوا لله وللرسول يقول الدكتور محمود قاسم : « لم يتتبع القدماء الأوربيون » منهجا سليما فى دراسة التاريخ فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص ، وكانوا يجمعون الوثـائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها فى قالب أدبى جذاب ، لكن علماء المسلمين عنو عناية كبرى بنقد الرواة وبتمحيص طرقهم فى النقل ، ولا سيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد حدد ابن خلدون قواعـد البحث فى التـاريخ حتى ينهض به الى مستوى العلوم الجـديرة بهذا الاسم ، ثم اتجـه الأوربيون الى العنـاية بالدراسـات التـاريخية وبينوا القواعد التى يجب على المبتـدىء ، احترامها ، وانتهوا الى تحديد مراحل البحث تحديدا دقيقا أ . هـ .

مراحل البحث التاريخى

(التحليـل والتركيب والعـرض)

أ ـ التحليل التاريخى :

١ ـ اذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ، ومن جمع الوثائق الخاصة بـه بدأ يحللها ويمحصها ، والتحليل نوعـان خارجى وداخلى .

للدكتور أحمد عمر هاشم

أولا : التحليل الخارجى :

وتتكون هذه المرحلة من عمليتين رئيستين هما :

أ — نقد الوثائق : لما كانت مادة التاريخ لا تقع تحت ملاحظاتنا بطريقة مباشرة .

ولما كانت الوثائق السبيل الوحيد الى معرفتها فانه يجب الحذر فى استخدامها والعناية بالتفرقة بين الصحيح والزيف منها ، وتتبين ضرورة هذا النقد اذا علمنا أن الانسان يميل بطبعه الى تصديق الأخبار دون تمحيص، اذالتصديق أقل مجهودا من المناقشة ، والتسليم أيسر من النقد ، وتكديس الوثائق ، كيفما اتفق أقل عناء من وزنها وتقديرها .

وقد بين العلامة «سينيوبوس» أنه يجب الحذر من بعض العادات العقلية كالميل الى استخدام أول نسخة تقع فى أيدينا ، ولوكانت غير دقيقة ، وكالميل الى الاعتماد على أقدم النسخ ولو كانت أردأ من النسخ الأقرب منها عهدا وكالميل الى اتخاذ الاغلبية حكما اذا اختلفت النسخ فيما بينها ، مع أن هذا لايدل على شىء البتة .

(ب) التحقق من شخصية صاحب الوثيقة :

لاتكفى المقارنة بين مختلف النسخ ، بل لابد من الوقوف أيضاعلى مصدر كل وثيقةأين ومتى كتبت ؟ ومن كتبها ؟ وذلك لأنه لا فائدة من استخدام وثيقة نجهل صاحبها وهذه العملية هامة جدا ، ولاسيما اذا كان المؤرخ يدرس احدى وثائق العصور القديمة أو المتوسطة . فان كتابها ماكانوا يعنون عناية المعاصرين بتوقيع كتاباتهم أو تحديد تاريخها وقد يسارع الباحث الى تصديق نسبة احدى الوثائق الى أحد الكتاب اذا رأى أنها تحمل توقيعه ، لكن يجب الحذر من هذا الميل الساذج الى معرفة التصديق ، فان الانتحال أمر مألوف وأسبابه عديدة ، ونحن نعلم أن بعض فراعنة مصر لم يتورعوا عن محو أسماء سابقيهم ونسبة آثارهم الى أنفسهم . حقا ان خير وسيلة الى معرفة شخصية الكاتب هى التحليل الداخلى ، غير أنه يجب الاعتماد ، قبل ذلك ، على بعض العلاقات الخارجية كالخط والورق واللغة ، وكثيرا ما تكون دلالة هذه العلامات حاسمة فتقرر تزوير الوثائق أو انتحالها فان كثيرا من المزيفين لا يتخذون جميع أسباب الحيطة فيستخدمون كلمات وجملا وألوانا من الاساليب التىلم تكن مألوفة فى العصر الذى ينسبون الوثائق اليه ، كذلك تجب المقارنة بين الوثائق المختلفة فان ذلك يزيدنا علما بالظروف التى دونت فيها الوثائق الصحيحة ، وبمواضع التزييف أو التحريف فى غيرها ، وتستخدم المقارنة أيضا فى التفرقة بين النص الذى

اشترك فى كتابته أفراد عديدون ، لأن اضطراب الأسلوب أو عدم تجانسه دليل على تعدد كاتبى الوثيقة ، أو على أن بعضهم ينقل عن بعض ، وتؤدى هذه العملية الى بعض النتائج السلبية ، اذ تبين لنا أن بعض الوثائق مزور أو منقول ، وأنه لافائدة من استخدامه لكن يجب الاعتدال فى النقد فان بعض دارسى الوثائق يغالون فى النقد فيرون التحريف والتزوير والطلاسم فى كل مكان على الرغم من وضوح النصوص التى يدرسونها •

ولذا يجب الوقوف عند حد معلوم والا انتهى الأمر الى الشك المطلق ، وهناك آخرون ينقدون لمجرد النقد وكلما انتهوا من وثيقة بحثوا عن غيرها ظانين أن التاريخ نوع من الرياضة العقلية ، وأن أهمية الوثيقة لاتقاس بما تحتوى عليه من حقائق بل بما تثيره من صعوبات •

ثانيا : التحليل الداخلى :

ويطلق على مجموعة العمليات التى يستخدمها الباحث فى فهم محتويات الوثائق ، وتقدير الظروف التى أحاطت بكتابتها ويتكون التحليل الداخلى من نوعين :

(أ) تحليل داخلى ايجابى :

ويستخدم للتفرقة بين العناصر الأولية التى يحتوى عليها النص التاريخى تمهيدا لفهم كل عنصر على حدة ، وللوقوف على المعنى الحقيقى الذى ترمى اليه الالفاظ والعبارات •

(ب) تحليل داخلى سلبى :

ويتمثل فى دراسة الظروف التى وجد فيها كاتب الوثيقة أو شهادة الآخرين الذين رأوا الظواهر أو الحوادث التاريخية كما تتمثل فى دراسة الاسباب الخارجية والبواعث النفسية الداخلية التى ربما تدعو الى الكذب أو تؤدى الى الخطأ، والقاعدة العامة تنص على وجود الشك فى كل راو حتى تتوفر بعض الاسباب القوية التى تدعو الى الثقة به ، وهذا يحتاج الى جهد كبير •

وقد حدد « سينيوبوس » القواعد العامة التى يجب اتباعها فى هذه الحالة ووضعها على هيئة مجموعتين من الأسئلة تمس احداهما الدوافع التى تدعو الى الكذب وتمس الأخرى البواعث التى ينشأ عنها الخطأ ، وتتكون المجموعة الأولى من الأسئلة الآتية باختصار •

١ ـ هل أراد صاحب الوثيقة تحقيق مصلحة خاصة ؟ وهل أراد أن يخدع القارىء •

٢ ـ هل كان الراوى ينتمى الى جماعة خاصة يميل الى نصرتها ويبرر سلوكها ويظهرها فى وضع مشرف ؟

٣ ـ هل وجد الراوى فى مركز أو ظروف أكرهته على الكذب ؟ وهذا ما يحدث عندما لا يتفق الصدق مع السياسة العامة للدولة ؟

٤ ـ هل جره الضرر بشخصه أو بجماعته الى الاختلاق والتحريف ؟

٥ ـ هل أراد الراوى التقرب الى الجمهور وتملقه واثارة عواطفه ؟

٦ ــ هل حاول صاحب الوثيقة التأثير فى الجمهور بأسلوبه الأدبى ؟ وهل شوه الحقائق عندما ألبسها ثوبا أدبيا ؟

وأما عن البواعث التى ينشأ عنها الخطأ فتتلخص فى مجموعة من الأسئلة الآتية : ــ

١ ــ هل كان الكاتب فى حالة عقلية تسمح له بملاحظة الحادثة ؟ وهل سلم من بعض العوامل التى تدعو الى الخطأ كالوهم ؟

٢ ــ هل تحققت الشروط العلمية فى الملاحظة ؟ وهل كان خاليا من الهوى ؟ وهل فهم ماسمع أو رأى ؟

٣ ــ هل أصدر حكمه على حوادث صرفه الكسل أو الاهمال عن ملاحظتها وهل ذكر أمورا لم يرها ولم يسمع عنها شيئا بل استنبطها بخياله ؟

٤ ــ هل كانت طبيعة الحادثة تسمح بملاحظتها ؟ لأن بعض الحوادث تحاطها بالكتمان وينتهى التحليل الداخلى بنوعيه : الايجابى والسلبى الى تقرير بعض النتائج الجزئية المبعثرة المنعزلة وانما كانت كذلك لأنها تتصل بأمور مختلفة تذكرها الوثائق دون ترتيب •

(ب) مرحلة التركيب التاريخى

تقوم مهمة المؤرخ بعد هذا بالتركيب التاريخى ويتلخص فى الآتى :

أولا : جمع المعلومات وتنظيمها على أساس طبيعتها الداخلية فيقسمها الى ظواهر لغويةوعلمية ودينية ••• الخ • وعلى أساس طبيعة الشروط الخاصة المتصلة بمظاهر النشاط الانسانى كالعادات المادية : من مأكل وملبس ونظم اجتماعية •

ثانيا : الاجتهاد : وقد أباحوا فى منهجهم الحديث أن يستخدم المؤرخ الخيال لسد الفجوات فى التاريخ بشرط أن يكون مقيدا بنتائج التحليل •

ثالثا : التعليل : وذلك بربط النتائج جميعها عن طريق بيان العلاقات التى توجد بينها •

(ﺟ) مرحلة العرض

ونظرة المحدثين الى التاريخ على أنه وصف للحضارة أى لمختلف مظاهر النشاط الانسانى غير اتجاههم فى طريقة عرضه فجعلوا يستخدمون أساليب واضحة بريئة من طابع الخطابة أو الانشاء أو الفلسفة ويرجع الفضل فى هذا الاتجاه الجديد الى المؤرخين الذين بدأوا محاولتهم على استحياء فىالقرن التاسع عشر ، وبالجملة لم يعد العرض التاريخى يرمى الى امتاع القارىء أو اسداء النصح اليه أو اثارة عواطفه • بل الى مجرد المعرفة وليس معنى هذا أن يتحرر المؤرخ من كل قيد فمن الواجب أن يستخدم لغة واضحة دقيقة حتى يستطيع تحديد تلك الظواهر الانسانية المرنة، ويمكن القول بأن المؤرخ لا يمكنه الا اذا أجاد اللغة والا اذا ابتعد عن استخدام تلك الالفاظ التى تدل على معان مجردة أدعى الى الغموض واللبس منها الى الوضوح •

نقد المنهج التاريخى ومقارنته بمنهج المحدثين

أولا : من ناحية نقد الوثائق : وأما بالنسبة لنقد الوثائق فان أصحاب المنهج الحديث يرون وجوب الحذر فى استخدامها ، كالحذرمن

أثر منهج المحدثين
في المنهج الأوربي التاريخي الحديث

استخدام أول نسخة تقع لديهم أو الاعتماد على أقدم النسخ ، أو الميل الى اتخاذ حكم الأغلبية ، وبفحص هذه الطريقة لم نجد للوثيقة اتصالا الى صاحبها الأول وكاتبها ، وكل مايعنون به انما هو الحذر من استخدامهم لأولنسخة أو الاعتماد على أقدم النسخ أو اتخاذ حكم الأغلبية فكأنهم يدرسون ظاهرة الوثيقة كما هي أمامهم دون تتبع طرق وصولها الى أيديهم فأين هذا من منهج المحدثين الذى تقوم الرواية فيه على نقل الثقة عن الثقة يبلغ

به النبى — صلى الله عليه وسلم — مع الاتصال ولا شك أن الاسناد الصحيح المتصل من خصائص الأمة الاسلامية •

وأما هذا الذى وجهوه الى نقد الوثائق من حيث الحذر فى استخدامها •••• الخ فقد تأثروا فيه ببعض طرق المحدثين ، ولكنهم لم يصلوا الى ما وصل اليه المحدثون حيث وضعوا للحيطة والمحافظة على الحديث أدق ما وصل اليه النقد القديم والحديث ووضعوا قرائن تدل على الوضع فى المتن منها اقرار واضعه ، وركاكة اللفظ ، وفساد المعنى ومناقضة الخبر للكتاب والسنة ، ومخالفته للحقائق التاريخية ، ومخالفته للعقل وغير ذلك •

وبتلك الدراسات الحديثة تكونت الملكات العلمية عند المحدثين فكانوا يدركون الحديث الصحيح فى ثوبه الالهى ، وبضوئه المشرق ، ويعرفون المنكر فيقشعر منه جلدهم وتنفر قلوبهم منه •

كما قام رجال السنة بحصر الأخبار الموضوعة ، وحكموا على بعض الأحاديث بالشذوذ والنكارة والاضطراب والوضع والاختلاق •

ثانيا : من ناحية التحقق من شخصية صاحب الوثيقة :

ولما كانت طرقهم فى ذلك لاتوصلهم الى بعض النتائج الايجابية ، ولاتوقفهم على كيفية استخدام الوثائق الجيدة ، فاننا نرى « سينيوبوس » يعيب على من يشك عند وضوح النص ، ويحرم الاسراف فى النقد الواضح للناس ، ثم يقرر كل من « دونو » و « فريمان » وسينيوبوس أن هناك من الكتب ما هى صحيحة معتمدة مسلم بصحتها عندهم

ولم يصل الشك اليها فى رأيهم وهى كتب كبار كتابهم وفلاسفتهم ، ثم يرون أنه من الضرورى قراءتها ، فمن وسائل منهجهم الاستعانة بالعلوم المساعدة التى تعين الباحث على فهم الوثائق التاريخية وهى كتب كبار الكتاب والفلاسفة فياليت التابعين للفكر الغربى وللمستشرقين ينظرون الى مايقوله هؤلاء فى منهجهم لوضوح النص فقط فكيف بالنص النبوى الشريف الذى توفرت فيه شروط الصحة ، وتوفر لصاحبه أسمى صفات الصدق والثقة ، حتى دونت السنة النبوية على أدق المناهج والمقاييس

العلميــة ؟ أو ليس أولى بكتب الســـنة اذا الاعتراف بها خاصــة وان رواتها قــد جمعوا الشروط العالية ، الاسلام ، والعقل ، والصدق وعدم التدليس والضبط ، والعــدالة (فيكون الراوى مسلما بالغا عاقلا خاليا مــن أسـباب الفسق وخوارم المروءة) وألا يكون سفيها بــه حمق وعدم اتزان وألا يكون عابدا لا يــزن الأمور بدقة ، وألا يكون صــاحب بدعة يدعو اليهــا .

قال الامام مالك : لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سواهم لايؤخذ من سفيه ، ولايؤخذ من صاحب هوى يــدعو الى بدعته ، ولا مــن كذاب يكذب فى أحــاديث النــاس ، وان كان لا يتهم على حديث رسول الله ــ صلى اللــه عليه وسلم ــ ولا من شيخ له فضــل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف مايحمل وما يحــدث بــه

ثالثا ــ من ناحية التحليل الداخلى الايجابى :

يرى أصحاب المنهج الحديث أنه لا ضرورة الى تحليــل الــوثائق الخاصــة بالعصــــور الحديثة ، تحليلا تاما لقرب لغتها من لغة المؤرخ ويكتفون بالتحليل بالنسبة لوثائق العصرين : القديم والوسيط .

فأين هذه من المناولة فضــلا عن الســماع عند البخارى والمحدثين .

رابعا ــ من ناحية التحليل الداخلى السلبى :

ويتمثل فى دراسة الاســباب الخارجيــة والبواعث النفسية الداخلية التى ربمــا دعت المؤرخ الى الكذب أو الخطأ .. وفى الواقع أن أصول هذه المبادىء مأخوذة من المحــدثين الا أنها قاصرة ولم تبلغ شأن مبادىء المحــدثين لطول الزمن عليها ، ولعدم قداسة المعلومــات بالنسبة لما فيها ، أما المحدثون فقد بينوا أسباب الكذب والوضع ، منها الزندقة ، والخــلافات السياسية ، والتعصب العنصرى ، والخلافات الفقهية والكلامية ، وما صنعه بعض القصاص من استهواء العــامة واتبــاع هــوى الملوك والأمراء .

خامســا ــ من ناحية التركيب التاريخى :

فنراهم يبيحون للمؤرخ استخدام الخيــال لسد فجوات التاريخ بشرط أن يكون مقيــدا بنتائج التحليل ، وهــذا لا يقبلــه المحــدثون ولا يرضى منهجهم أبدا بحال من الأحوال .

أثر منهج المحدثين
فى المنهج الأوربى التاريخى الحديث

سادسا ــ من ناحية العرض :

فقد صاغه المحدثون فى شروط دقيقة هى : الاسلام ، والثقة ، والعدالة ، والضبط، وألا يكون متبعا لبدعة يدعو اليها ... الخ .

كما تميزت طرق التحمل والأداء عند المحدثين بالدقة الفائقة التى لا يمكن أن يصل اليها أصحاب المنهج التاريخى ولا غيرهم . ومثال هذه الطرق :

١ ــ السماع : من صيغ الآداء عن هذا الطريق سمعت أو سمعنا .

٢ ــ **القراءة** : ومن صيغ الآداء عن هذا الطريق قرأت على فلان ، وقرىء على فلان وأنا أسمع .

٣ ــ **الاجازة** : ومن صيغ الآداء عن هذا الطريق أجازنى أو أجازنا فلان .

٤ ــ **المناولة** : ومن صيغ الآداء عن هذا الطريق ناولنى أو ناولنا فلان مع الاجازة .

٥ ــ **المكاتبة** : ومن صيغ الآداء عن هذا الطريق كتب الى أو الينا فلان .

٦ ــ **الاعلام** : ومن صيغ الآداء عن هذا الطريق أعلمنى وأعلمنا فلان .

٧ ــ **الوصية** : ومن صيغ الآداء عن هذا الطريق أوصى الى أو الينا فلان ، وحدثنى فلان بالوصية .

٨ ــ **الوجادة** : ومن صيغ الآداء عن هذا الطريق وجدت بخط فلان اذا عرف الخط ووثق به أما أصحاب المنهج التاريخى فيعتمدون فى صحة وثائقهم على الحفريات والاوراق المتناثرة التى قد تكون منذ آلاف السنين ، ولا يعترف بها رجال الحديث ، وأين هذه الأمور مما اشترطه المحدثون من طرق التحمل والأداء ، ولو أن أصحاب هذا المنهج التاريخى اشترطوا شروطا كشروط المحدثين أو صاغوا مناهج كمناهجهم ما كان ليصل لهم شىء من تاريخه القديم والأوسط وأكثر العصر الحديث بل ولا ثبت عندهم من كتبهم التى عدوها أصولا فى نظرهم شىء ما .

وأنى لهم ذلك ؟ والمحدثون فى دقتهم وتحريهم قد وصلوا الى درجة عالية فيها فها هو الامام البخارى يقول : كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندى حديث لا أذكر اسناده (١) .

وقال أيضا : لم تكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وحمل الحديث ان كان الرجل فهما فان لم يكن سألته أن يخرج الى أصله ونسخته ، أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون وكيف يكتبون ، ولم يكن من بين أهل

---

(١) تاريخ بغداد جـ٢ ص ١٩ .

الحديث من يحابى فى الحديث أباه ولا أخاه ، ولا ولده ـ كشأن غيرهم ، وهذا على بن المدينى شيخ البخارى ولا يروى عنه حرف واحد فى تقوية أبيه بل يروى عنه ضد ذلك (١) .

هـذا بالاضافة الى أن المحدثين يقـدمون الحديث متنا وسندا بكامل رواته فيبحث عنه من شاء الاستيثاق به،ليراه موصولا فى موضع آخر وعند رواة آخرين ثقـات وهكـذا . أما أصحاب المنهج التاريخى الحديث فيطبقـون منهجهم فيما بينهم ولا يوقفون القارىء عـلى خطوات بحثهم .

وهكذا نخلص من مقارنة المنهج التاريخى بمنهج المحـدثين بما لمنهج المحـدثين من أثر عظيم فيه ، وبماله من جلالة قدر ، وسمو فى مجال النقد العلمى ، وهكذا كانت مكانة السنة النبوية عند أئمة الحديث وأهميتها فى نفوسهم وقداستها وحرمتها وقيـامهم عليهـا بالحفظ والعناية ، والضبط والصيانة ..

د. أحمد عمر هاشم

---

(١) مشرف أصـحاب الحـديث للخطيب البغدادى ص ١٠ مخطوط بدار الكتب المصرية .

حقوق غير المسلمين

فى ظل تقنين الشريعة الاسلامية

ـ ٤ ـ

تناولنا فى المقال السابق بيان حق غير المسلمين فى الحياة ، ورأينا مدى حرص الشريعة الاسلامية على حماية هذا الحق للمسلمين وغيرهم على درجة سواء ، لانه يتصل بمصلحة حفظ النفس ، وهى واحدة من الضرورات الخمس التى اولتها شريعة الله من الاهتمام والرعاية مايحفظ اسبابها ويضمن قيامها ، وما يليق بجلالها عند الله وخطرها فى حياة الناس ، ومن ثم كان تشريع الله فى هذا الحق كاملا متكاملا ، فلم يقتصر الامر فيه على مجرد تقرير وجوده واحترامه ، بل تعداه الى وضع العقوبة التى تضمن ذلك الوجود وتكفل هذا الاحترام على نحو ما جاءت به مصادر الشريعة الغراء .

وحق غير المسلمين فى الحياة كغيره من الحقوق التى قررها لهم الحق سبحانه وكفلها لهم بشرعه العادل ، يقوم مستندا على عقد الذمة وراجعا اليه ، حيث يعتبر ذلك العقد هو الاساس بالنسبة لكل ما يتقرر لغير المسلمين فى المجتمع الاسلامى من حقوق رتبها الشارع سبحانه على ذلك العقد نظير التزامهم بآثاره واحترامهم لأحكامه .

ومن مقتضاه أن يكون لغير المسلمين ما للمسلمين وعليهم ماعليهم اذ هو كما يقرر الفقهاء خلف عن الاسلام فى ثبوت تلك الحقوق (٢) ، **وقد احسنت اللجنة العليا لتطوير القوانين وفق أحكام الشريعة الاسلامية صنعا ، حين أبرزت فى المادة الأولى من مشروع الجنائية على النفس ما يدل على هذا المعنى ، فنصت على أن .**

« كل بالغ قتل نفسا عمدا يعاقب بالاعدام قصاصا اذا كان المقتول معصوم الدم وليس فرعا للقاتل ، ونفس الذكر والانثى والمسلم وغير المسلم سواء »(٣) ولاشك ان ذلك النص قد أصاب هدفا سليما وغاية صحيحة ، حين نص على ان المسلم وغير المسلم فى العقوبة سواء ، فجاء كافيا لحماية هذا الحق ، ومتفقا مع الرأى الراجح فى الفقه ، ووليد فهم شرعى صحيح ، وتلك مفخرة لشريعة الله حيث تكفل حق الحياة لغير المسلم كما تكفله للمسلم ، على نحو ماثنينا ببيانه (١) ، ونستكمل دراسة بقية تلك الحقوق .

---

(١) الهداية ـ شرح بداية المبتدى للميرغنانى الحنفى ـ جـ٢ ص ١٥١ ـ مطبعة صبيح .

(٢) راجع : مشروعات قوانين القصاص والديات والحدود الشرعية ـ ص ١١ ـ دار الاعتصام .

(٣) راجع ـ مقالنا بمجلة الازهر ـ عدد المحرم ١٤٠٤ هـ ـ ص ٢٥ وما بعدها .

للدكتور عبدالله مبروك النجار

ثالثا : حماية أموال غير المسلمين :

ومصلحة حفظ المال فى الشريعة الاسلامية هى الأخــــرى مصلحة ضرورية ، حيث تعتبر كالنفس واحدة مــن الضرورات الخمس التى لايمكن أن تستقيم حياة الناس بدونها ، ولهذا فقد كفل الشارع لها من الاحكــام ، ما يحقق كمال التنعم بها ويوصل الى حسن استخدامها، ليؤدى المال رسالته فى الحياة ويكون كما اراد الله له ، اداة بناء ومصدر عطــاء ، لا معــول هدم ، ووسيلة ظلم وحقد ، ولهذا جاء تنظيم الشريعة لتداول المال شافيا كافيا ، فبينت طرق اكتسابه وسبل انفاقه ، ووسائل اثبات التعامل به ، كما حددت نطاق المسئولية عنه ، ووضعت العقوبة اللائقة بوقوع الخطــر عليه ، ليأمن كل انسان على ماله ويسعى فى مناكب الارض بالاصـــلاح والعمران ، فينتشر الخير ويعم الرخاء ، وتلك أمنيــات تســعى التقنينــات الوضعية للوصول اليها وقد كفلتها شريعة الله للناس أجمعين ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

محل الحق فى الحماية :

ومحل الحق فى حماية الشريعة الغراء هــو المال ، ولهذا ينبغى التعريف به .

والمــال فى اللغة :

هو ما ملكته مــن كل شىء (١) ، وكل مايقبل الملك فهو مال عينا كان أو دينا أو منفعة(٢) .

يقول ابن الاثير فى النهــاية : « المــال فى الاصل ما يملك من الذهب والفضة ، ثم اطلق على كل مايقتنى ويملك من الاعيــان ، وأكثر مايطلق المال عند العرب على الابل لأنها كانت أكثر أموالهم » (٣) .

وفى اصطلاح الفقهاء :

اختلفت عبارات الفقهاء فى تعريف المــال ، ولكنها مع هذا الاختلاف تتقارب فى الكثير من مفهومها ، ويمكن رد تعريفات فقهاء الشريعة الاسلامية للمال الى قولين :

أولهما : لفقهاء المذهب الحنفى :

وقد عرفه عندهم العــلامة ابن عــابدين بقوله : المــال هو مايميــل اليه الطبع ويمكن ادخاره لوقت الحاجة (٤) ، ويتضــح من هذا التعريف انه يربط بين معنى المــال فى الشرع واشتقاقه اللغوى ، وان كان غير جــامع لكل افراده ، فمــن الاموال مالا يمكن ادخــارها

(١) القاموس المحيط ـ جـ ٤ ص ٥٣ .

(٢) لسان العرب ـ جـ ١٤ ص ١٥٨ .

(٣) ابن الاثير ـ النهاية فى غريب الحــديث ـ جـ٤ ص١١٤ ـ دار الكتب المصرية .

(٤) حاشية ابن عابدين بن على الدر المختار ـ جـ٤ ص ٣ . وراجع : رســالة الشيخ احمد ابو ســتة ـ العرف والعادة فى راى الفقهاء ـ ص ١٣٦ وما بعدها ـ مطبعة الازهر سنة ٤٨م .

مطلقا كالمنافع ، اولا يمكن ادخارها مع بقاء منفعتها كما هى كالخضروات مثلا ، وهما لايدخلان فى هذا التعريف ، كما لايدخل فيه بعض الاموال التى لايميل اليها الطبع بل يعافها ، كبعض الادوية والسموم مع انها اموال .

وقد عرفه صاحب مرشد الحيران فى المادة الاولى بأنه :

ما يمكن ادخاره لوقت الحاجة .

ثانيهما: لجمهور الفقهاء غير الحنفية :

وهم لايشترطون فى تعريف المال امكان احرازه وادخاره لوقت الحاجة ، ولذلك يعرف عندهم بأنه :

« كل ماله قيمة ماليه ويمكن الانتفاع به » (١)

يقول الامام الشافعى : « لايقع اسم المال الا على ماله قيمة يباع بها ويلزم متلفه وان قلت » (٢)

ومن خلال تعريفات الفقهاء للمال ، نجد أنهم متفقون على ان المال لابد أن يكون متقوما شرعا ، ومن ثم فغير المتقوم كالميتة والدم وحفنة التراب لا يصدق عليها اسم المال ، وهذا ظاهر فى تعريف الحنفية له بأنه ما يميل اليه الطبع ، وتعريف الجمهور له بأنه ماله قيمة ، ويلاحظ ان الخمر والخنزير من الاموال المتقومة فى حق غير المسلم ، لكنها غير متقومة فى حق المسلم ، وبالتالى فان تلك الاموال اذا تلفت تضمن لغير المسلم ، ولا تضمن للمسلم ، والحنفية يذكرون فى تعريفه أنه مايمكن حيازته وادخاره لوقت الحاجة ، والمنافع لا تصلح بطبيعتها للادخار والحيازة فلا تعتبر اموالا عندهم ولما كان الجمهور لا يذكرون ذلك فى تعريفهم للمال ، بل يعرفونه بأنه مايمكن الانتفاع به ، فتكون المنافع أموالا عندهم .

ومما تجدر الاشارة اليه ان فقهاء القانون يعرفون المال بما هو قريب من رأى جمهور الفقهاء حيث يعرف المال عندهم ، بأنه كل شىء نافع للانسان يصح أن يستأثر به دون غيره ، ويكون محلا للحقوق .

فالاموال بالمعنى القانونى « هى الاشياء التى لها قيمة اقتصادية » (٣) .

آراء الفقهاء فى مالية المنافع :

ويظهر من خلال تعريفات الفقهاء للمال ان هناك اختلافا واضحا فى مالية المنافع ، ومثل هذا الاختلاف لا ينبغى اهمال النظر فيه ، لما يترتب عليه من آثار خطيرة تتصل بنطاق المسئولية عن المال وتتعلق بحمايته ، الامر

---

(١) دكتور محمد زكريا البرديسى ــ الميراث ــ ص ٢٠ .

(٢) عن الاشباه والنظائر للسيوطى ص ١٩٧ . وراجع : الموافقات للشاطبى ــ جـ٢ ص ١٠ . والمغنى لابن قدامة الحنبلى ــ جـ٥ ص ٢١٧ .

(٣) السنهورى ــ الوسيط ــ جـ٨ ص ١٨١ ، ودكتور محمد كامل مرسى ــ الاموال ــ ص ٥ ــ الطبعة الثالثة لسنة ١٩٤٣ م ، ودكتور محمد عرفة ــ حق الملكية ــ جـ١ ص ٥٤ ، وقد جاء فى المذكرة الايضاحية لمشروع تنقيح القانون المدنى ــ جـ١ ص ١٧٦ .

« ان المال فى عرف القانون المدنى هو الحق ذو القيمة المالية » .

الذى يجعل النظر فى أدلة كل قول على درجة كبيرة من الاهمية ، اذ نبنى على قوة الدليل رجحان القول الذى يؤيده ، ومن ثم يكون العمل بمقتضاه ، وقد افترق الفقهاء فى تلك المسألة الى قولين :

اولهما لجمهور فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة وحاصل قولهم : ان المنافع مال ، وبالتالى يمكن ثبوتها فى الذمة وتضمن بالتفويت (١) ويجوز أخذ العوض عنها (٢) يقول الدسوقى فى حاشيته على الشرح الكبير « لو غصب منفعة لذات من دار أو دابة أو غيرهما فانه يضمن قيمة المنفعة التى استولى عليها » (٣) ٠

وثانيهما : لفقهاء الحنفية ، وحاصل قولهم :

« ان المنافع ليست مالا ، وانما هى ملحقة بالمال فى باب المهر والخلع فقط ، فيجوز أن تضمن فيهما فقط دون غيرهما » (٤) ، ولكل قول أدلته ٠

دليل القول الأول :

استدل جمهور الفقهاء لما ذهبوا اليه بالكتاب : قال تعالى « **وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** » (٥)

وجه الدلالة فى هذه الآية الكريمة :

انها قد دلت على ان المهر لا يكون الا مالا، لانه هو الذى يبتغى به العرض ، ولما كانت المنافع يجوز ان تقع مهرا فتكون مالا وفقا لنص الآية الكريمة ، وقد صح انها وقعت مهرا فى قصة نبى الله موسى ، قال تعالى ــ حكاية عن قول والد الفتاة ــ فى هذا الخصوص « **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ** » (٦) ، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد دليل ناسخ ، واذا صح أن المنافع تقع مهرا فتكون مالا ، واذا كانت مالا فيجوز أخذ العوض عنها ، وتضمن بالتفويت بالغصب وبالاجارة (٧)٠

دليل القول الثانى :

وقد استدل اصحاب القول الثانى لما ذهبوا اليه بأن وصف المالية انما يثبت للأشياء التى يمكن احرازها وادخارها لوقت الحاجة ، اذ المال كما هو ما يميل اليه الطبع ويمكن ادخاره لحين الحاجة اليه (٨) ، والمنافع لا يمكن ادخارها ، لأنها من الأغراض التى لا تبقى زمانين فصاعدا وانما تكتسب شيئا فشيئا وبعد الاكتساب تفنى ولا يبقى لها اثر ، اذهى عرض ولابقاء للأعراض (٩) ومن ثم فلاتكون مالا ، وتقوم المنافع فى عقد النكاح ليس لانها متقومة فى ذاتها ، وبالتالى تجرى فى غيره ، لان تقومها

---

(١) اسنى المطالب ــ للشيخ زكريا الانصارى ــ جـ٢ ص ٣٤٣ ٠

(٢) شرح منتهى الا رادات ــ جـ٢ ص ٤٠١ ٠

(٣) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ــ جـ٣ ص ٤٥٢ ٠

(٤) التوضيح لصدد الشريعة ــ مع متلا خسرو ــ جـ٢ ص ٩٨ وما بعدها ٠

(٥) النساء ــ آية ٢٤ ٠

(٦) القصص ــ آية ٢٧ ٠

(٧) مغنى المحتاج ــ جـ٢ ص ٣٣٩ ، وكشاف القناع ــ جـ٣ ص ٥٦١ ، وجواهر الاكليل ــ جـ٢ ص ١٥١ ٠

(٨) حاشية ابن عابدين على الدر المختار ــ نفس المكان السابق ٠

(٩) التوضيح مع متلا خسرو ــ جـ٢ ص ٠٩٨

ثبت بالرضا استثناء على خلاف الاصل فلايقاس عليه (١) ، ووجه الاستثناء انها فى النكاح غير مقابلة بمال فيجرى التساهل فيها ، ولو صح تقومها فى غيره لقوبلت بالمال وتكون مبنية على المشاحة ، فلا يجرى التساهل فيها فى غيره ، ومنع تقومها فيه لذلك (٢) .

الرأى الراجح ومبررات الترجيح :

والرأى الراجح فى نظرنا هو رأى الجمهور، ذلك ان إستدلال الحنفية على ماذهبوا اليه بأن المالية لاتثبت الا بالاحراز والادخار محل نظر ، حيث لم يقم عليه دليل من كتاب أو سنة أو لغة ، ولو صح فليس من اللازم فى المال ان يحرز ويحاز بنفسه ، بل يكفى ان يحاز بحيازة اصله ومصدره ، والمنافع يمكن فيها ذلك ، واقرار الحنفية بجواز وقوع المنافع مهرا يعد اعترافا منهم بماليتها ، والمالية وصف لايتجزأ فيكون معناه حالا بالمنافع ، ولايحول دون ذلك ابتناء التعامل فيها على المشاحة طالما اعتبرت مالا ، وقد جرى تعامل الناس علىذلك ، ولما كانت هذه الاعتبارات تقوى ماذهب اليه الجمهور فاننى أرجح رأيهم ، وبمقتضاه تكون المنافع مالا ولها ماللمال من احكام ، ويقترب موقف القانون من الشريعة فى هذا الموضوع (٣) .

وسائل حماية أموال غير المسلمين :

وقد سلكت الشريعة الاسلامية فى المحافظة على اموال غير المسلمين مسلكا يعتبر علامة مشرقة فى جبين تلك الشريعة الغراء ، وعنوانا على يسرها وسماحتها ، وقدرتها المتميزة على تحقيق الغاية المثلى لما يحرص الناس عليه من وراء تداول المال وتملكه وتثميره ، ومنهج الشريعة الاسلامية فى هذا الخصوص يتسم بالدقة والتكامل ، ويتفوق على كل ما يمكن ان يضاهى به فى الفكر الانسانى المعاصر ، فلم يقتصر الامر فيه على مجرد احترام تملك المال اذا كان تحصيله قد تم وفقا للاسباب الشرعية الصحيحة ، بل استهدف مع العناية بتلك الأسباب وضع الضوابط التى تضمن حماية المال على أكمل وجه ، وذلك من خلال أمرين :

اولهما : تقرير مبدأ الرضائية فى التعامل .

وثانيهما : تحديد نطاق المسئولية عن المال ، وينبغى بيان هذين الامرين بشىء من التفصيل الذى تقتضيه تلك الدراسة .

الامر الاول : مبدأ الرضا فى التعامل :

وتوخيا لتحقيق حماية المال والمحافظة عليه للمسلمين وغيرهم ، قرر الحق سبحانه مبدأ الرضائية فى التعامل وجعله اصلا يقوم نظام تداول المال عليه ، ولاشك ان الرضا هو العنصر الهام الذى يكفل ترشيد مسيرة المال ، وتصحيح مهمته فى الحياة ، وبدون الرضا فى التعامل تنحرف رسالته ، فيصبح مادة للجريمة وأداة للحقد والتخريب ، الامر

---

(١) نفس المرجع — ص ٩٩ .
(٢) فتح القدير — جـ٥ ص ٤٦١ .
(٣) راجع دكتور محمد كامل مرسى — المرجع والمكان السابقين .

الذى يبرز حكمة الشارع سبحانه فى الاهتمام به ، وتحديد ملامح التعامل المشروعة من خلاله ، ومن هنا كانت مشروعية العقود المختلفة موصلة اليه ، وكان امر الله بالوفاء بالعقود والعهود محققا له ، قال تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ (١) » وقال تعالى : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً » (٢) ولهذا أيضا كان اهتمام فقهاء الشريعة الاسلامية ببيان حقيقته ، ودراسة الموضوعات التى تتعلق به ، وتجعل وجوده فى التعامل على النحو التام .

حقيقة الرضا فى الشريعة الاسلامية :

والرضا فى اللغة : مصدر للفعل « رضى » ضد سخط كما جاء الرضابمعنى الاختيار (٣)

وفى اصطلاح الفقهاء ، نلاحظ اختلافا دقيقا بين الحنفية وجمهور الفقهاء حول التعريف بالرضا ، حيث عرفه الحنفية بأنه « ارتياح النفس وانبساطها من عمل ترغب فيه وتستحسنه » .

أو هو كما يقول البخارى صاحب كشف الأسرار :

« الرضا عبارة عن امتلاء الاختيار ، أى بلوغه غايته بحيث يفضى أثره الى الظاهر ، من ظهور البشاشة فى الوجه ونحوها ، كما يفضى أثر الغضب الى الظاهر من حماليق العين والوجه بسبب غليان دم القلب » (٤).

ويستبين من هذا التعريف أن هناك فرقا بين الرضا والاختيار .

فالرضا فى مجال التعاقد يعنى رغبة العاقد فى آثار العقد مع العزم عليه والتوجه الى انشائه (٥) ، وهو على هذا النحو يمتزج القصد فيه الى السبب مع الحكم ، وذلك هو معيار تلك التفرقة الدقيقة .

ويبدو أن التفرقة بين الرضا والاختيار على نحو ما رأينا أمرا اختص به المذهب الحنفى ، فلم نلمس من خلال أقوال الفقهاء فى المذاهب الأخرى ما يشعر بوجود أثر لها ، فى موضع دراستها عند الكلام على الاكراه .

يقول الشربينى الخطيب من فقهاء الشافعية « لا يقع طلاق مكره بغير حق » .

ثم علل الشارح ذلك بقوله « لأنه قول لو صدر منه باختياره لحنث به » (٦) .

وهذا ظاهر فى نفى الاختيار عمن انعدم منه الرضا بالاكراه .

ويقول البهوتى من فقهاء الحنابلة : « من شروط البيع التراضى وهو أن يأتيا به اختيارا » (٧) .

وهذا يدل على أن الرضا والاختيار أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ويقول الحطاب من فقهاء المالكية : «والمكره غير قادر على الامتناع مما أكره عليه » . فهو حينئذ عديم الاختيار ، ولما كان الاكراه يعدم الرضا ، فدل ذلك على تلازمه مع الاختيار وجودا وعدما .

---

(١) المائدة ـ آية ١ .
(٢) الاسراء ـ آية ٣٤ .
(٣) القاموس المحيط ـ جـ٤ ص ٣٣٦ .
(٤) كشف الاسرار على أصول التردوى ـ جـ٤ ص ١٥٠٢ .

(٥) راجع فى هذا المعنى بحثا للدكتور حسن صبحى موضوعه الرضا وعيوبه فى العقد ـ نشرته لجنة تجلية مبادىء الشريعة الاسلامية بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ضمن مجموعة بحوث عنوانها ، الفقه الاسلامى اساس التشريع ـ ص ٢٨٦ وما بعدها .
(٦) نهاية المحتاج ـ جـ٦ ص ٣٣٤ .
(٧) كشاف القناع ـ جـ٢ ص ٥ .

ولعل وجهة نظر الجمهور فى عدم التفرقة بين الرضا والاختيار أنهم جعلوا الاختيار عبارة عن القصد الى العبارة ، بحيث تكون العبارة ترجمة فى الضمير ودليلا على مايقصده .. ومن ثم فاذا لم تتوافر فى العبارات تلك الدلالة فلا يوجد اختيار حينئذ ، اذ لا اختيار فى مجرد قصد النطق (١) .

ويبدو من خلال هذا الخلاف بين الفقهاء مدى الحرص على وصول الرضا حد الكمال، وبلوغه غايته ، ولعل فى مشروعيته الخيارات عند التعاقد ، وتحديد أهلية الالتزام وعوارضها ما يؤكد هذا المعنى ، واذا كان الرضا مقررا كمبدأ للتعامل فانه يسرى على المسلمين كما يسرى على غيرهم ، ويكون التراضى هو اجتماع رضا طرفى العقد .

ادلة التراضى فى التعامل مع غير المسلمين :

وتقرير الرضائية فى التعامل مع غير المسلمين يدل على احترام الشريعة الغراء لأموالهم وتقديرها لملكيتهم ، حيث يجىء مصدر تلك الدلالة من كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — ، واجماع الفقهاء وآثار الصحابة ، وذلك على النحو الآتى :

١ — من الكتاب :

(أ) يقول الله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ » (٢) .

ويقول عز من قائل : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (٣) .

ووجه الدلالة فى هاتين الآيتين الكريمتين :

ان الحق سبحانه قد نهى فى الآية الاولى عن أكل أموال الناس بالباطل ، واستثنى التعامل به عن طريق الرضا ، وفى الآية الثانية نهى أيضا عن أكل أموال الناس بالباطل ليكون وسيلة لاكل فريق من أموال الناس بالاثم ، فيكون المنهى عنه حرام ، وما خرج بالاستثناء على خلافه ، ومن باب أكل أموال الناس بالباطل المنهى عنه ، جحد الحقوق ومالا تطيب به نفس مالكه ، وأخذ مال الغير لا على وجه اذن الشرع (٤) ، وفى هذا دلالة على أن أكل المال دون رضا مالكه ، وعلى غير الوجوه المشروعة يكون حراما ، أعم من أن يكون ذلك المالك مسلما أو غير مسلم ، ومن ثم يكون الرضا هو المشروع بالنسبة لهما ، وتوجيه الخطاب للمؤمنين لا يغير من هذا المعنى ، فحكمه يسرى على

(١) كشف الاسرار — جـ٤ ص ١٥٠٥ ، وراجع فى هذا المعنى رسالة استاذنا الدكتور شوكت العدوى — نظرية العقد فى الشريعة الاسلامية — ص ٩٢ ، ودكتور حسن صبحى — المرجع السابق — ص ٢٨٧ .

(٢) النساء — آية ٢٩ .
(٣) البقرة — آية ١٨٨ .
(٤) القرطبى — الجامع لاحكام القرآن — جـ٢ ص ٣٣٨ ، وتفسير الطبرى — جـ٢ ص ١٨٣ .

المسلمين بالنص ، وعلى غير المسلمين بالعهد اذ بمقتضاه يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، ولا يتفق مع عدالة الاسلام وسموه أن يجرى على مال غير المسلمين ، ما حرم مثله على مال المسلمين ، فى هذا الامر الواضح فى دلالته على رضائية التعامل بالنسبة للمسلمين وغيرهم .

(ب) ويقول عز من قائل « وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (١) .

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

ان الحق سبحانه قد ذم قوما ، وتوعدهم بالعذاب الاليم بسبب اقترافهم عددا من المخالفات الجسيمة ، منها أكل أموال الناس بالباطل ، الامر الذى يدل على تحريمه ، ومن الباطل الذى حرمه الله كما يقول ابن تيمية : « ما يؤكل بالباطل فى المعاوضات والتبرعات وما يؤخذ بغيررضا المالك (٢) » والتفرقة بين مال المسلم وغيره فى الحرمة لا تجد سندا لها من نصوص الشريعة ، وبالتالى يكون الرضا هو سبيل التعامل معهما .

٢ ــ ومن السنة :

(أ) ما رواه أبو بكرة نفيع بن الحارث رضى الله عنه أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد خطب فى الناس يوم النحر فى حجة الوداع وقال : « أيها الناس ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ..

(١) النساء ــ آية ١٦١ .
(٢) القواعد النورانية الفقهية ــ ص ١١٥ ، وما بعدها .

ثم قال : الا ليبلغ الشاهد الغائب (٣) » .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث :

ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد حرم على الناس دماءهم وأموالهم وأعراضهم شبه ذلك التحريم بما يفيد أبلغه ، وتحريم المال يفيد عدم جواز تداوله الا بالرضا ، وليس فى الحديث ما يدل على التفرقة بين المسلم وغيره فى حرمة المال .

(ب) وبما روى عن عمرو بن يثربى قال : « شهدت خطبة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمنى ، وكان فيما خطب به أن قال : « ولا يحل لامرىء من مال أخيه الا ما طابت به نفسه (٤) » ، فقد دل هذا الحديث على أن مال المرء لا يحل الا برضاه التام ، وليس فيه ما يدل على اختصاص مال المسلم بحكم دول مال غيره ، بل ان منطوقه يدل على أن مال المسلم وغيره فى الحكم سواء ، اذ المرء هو الانسان (٥) ، فيكون معنى الاخوة فىالحديث مرادا به اخوة الانسانية وهى تشمل الناس جميعا دون تفرقة بين المسلم وغيره ، ويكون الحديث الشريف على هذا النحو دالا على المطلوب .

٣ ــ ومن الاجماع :

فقد أجمع الفقهاء على أنه لا يجوز أن يؤخذ من مال أهل الذمة غير ما اشترط عليهم ، وصولحوا عليه ، الا بطيب أنفسهم(٦) ، وقد

(٣) رياض الصالحين ــ ص ١١٧ وما بعدها .
(٤) نيل الاوطار للشوكانى ــ جـ٨ ــ ص ١٧٢ .
(٥) راجع : القاموس المحيط ــ جـ١ ص ٢٩ .
(٦) الاموال ــ لابى عبيد ــ ص ١٩٦ .

حقوق غير المسلمين
فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

نقل هذا الاجماع عن الاوزاعى وأبو عبيد فى الأموال فقال « فأما مازاد على ما اشترط عليهم وصولحوا عليه ، فما علمنا أحدا رخص فيه فى قديم الدهر ولا حديثه ، وفى ذلك آثار متواترة »(١) وفى هذا أبلغ الدلالة على احترام أموال غير المسلمين ، وعدم جواز التعامل معهم الا بالتراضى .

٤ ـ ومن آثار الصحابة :

(أ) ماروواه أبو عبيد عن أبى أمامة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ « ان رجلا سأله، فقال : انا نمر بأهل الذمة فنصيب من الشىء، فقال ابن عباس : لا يحل لكم من ذمتكم الا ما صالحتموهم عليه »(٢) .

فقد دل هذا الأثر على أنه لا يحل من أموال أهل الذمة الا ما اتفق عليه برضاهم ، ووقع الصلح عليه بارادتهم .

(ب) ومما رواه أبو عبيد أيضا عن أبى اسحاق عن صعصعة ـ رضى الله عنهم ـ قال : سألت ابن عباس ، فقلت : انا نسير فى أرض أهل الذمة فنصيب منهم ، فقال ابن عباس : بغير ثمن ؟ قلت : نعم ، قال : فما تقولون : قلت : نقول : حلالا لا بأس به ، فقال : أنتم تقولون كما قال بعض أهل الكتاب: **« ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »(٣) .**

ووجه الدلالة فى هذا الأثر : أن ابن عباس قد أفتى بعدم جواز اكل أموال أهل الذمة الا بالثمن ، وهو يفيد حصول التراضى منهم به ، وشبه العمل بخلافه ، بأنه كذب على الله بدون علم ، الأمر الذى يدل على احترام أموالهم ، وتقرير الرضائية فى التعامل معهم ، ومن المؤكد أن هذه الأدلة مجتمعة تدل على مشروعية الأمر الأول فى حماية أموال غير المسلمين وهو الرضا .

اما عن الأمر الثانى وهو تحديد نطاق المسئولية عن أموال غير المسلمين ، فسوف نقوم ببيانه فى مقالنا القادم بمشيئة الله ، والله المستعان .

عبد الله مبروك النجار
المدرس المساعد بكلية الشريعة والقانون

---

(١) المرجع السابق ـ ص ١٩٧ .
(٢) ابو عبيد ـ الاموال ـ ص ١٩٧ .
(٣) نفس المرجع والمكان السابقين .

رجاء الى :

● الاخوة راغبى الكتابة للمجلة ● الاخوة الأساتذة كتاب المجلة

سبق أن توجهت المجلة الى سيادتكم برجاء معاونتها على أداء رسالتها العلمية التى نحرص جميعا على البلوغ بها أرفع مستوى خدمة لهذا الدين وكتابه العزيز وسنة نبينا المصطفى - صلى الله عليه وسلم -

ولقد نعلم أن هذه المجلة للمقال أولا ، وهو ما يعنيها من أبواب الصحافة ، لذا تحرص المجلة على نشر المقال العلمى موثق المادة موضح المراجع فما كان من آية قرآنية كريمة ، أو حديث شريف ، فينبغى الدلالة عليه بالنص على سورة الآية ورقمها ، وبالنص كذلك على مصدر الحديث الشريف مؤلفا وكتابا وجزءا وصفحة ومطبعة وطبعة .

وان عدم الاهتمام بهذا الامر من توثيق المادة عموما اذا عرضت لنص من أسباب عدم نشرها .

كذلك ليست المجلة مسئولة ، ولا هى مطالبة برد المقال الذى لا ينشر ورجاؤها الأخير : أن يكون المقال بخط جيد ، أو مدونا بآلة كاتبة .

الى السادة راغبى الاشتراكات فى مجلة « الأزهر » الشهرية .

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :
مؤسسة الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة .

وفيما يلى قيمة الاشتراك :

* جمهورية مصر العربية مليم - جنيه
قيمة الاشتراك سنويا : ٤٠٠ ٢

* اتحاد البريد العربى والافريقى « بالبريد الجوى » .
- ١٥٫٠ خمسة عشر دولارا أو ما يعادلها .

* باقى دول العالم : ٣٠٫٠ ثلاثون دولارا أو ما يعادلها .

ملاحظة :يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

طرائف

قال الله تعالى :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (صدق الله العظيم)

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا الى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منفصم

حقًّا

ومحيا كالشمس منك مضيئا
أسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذى كان للدين
سرور بيومه وازدهاء

***

مولد كان منه فى طالع الكفر
وبال عليهم ، ووباء

***

رافعا رأسه وفى ذلك
الرفع الى كل سؤدد ايماء
رامقا طرفه السماء ومرمى
عين من شأنه العلو العلاء

من ميزات خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم

هو امام المرسلين وخير الخلق أجمعين •
وأصحابه خير الناس فى كل القرون •
وكتابه محفوظ من التحريف والتبديل •
وأعطى الشفاعة والمقام المحمود •
وصفوف أمته فى الصلاة كصفوف الملائكة •
وتنام عينه ولاينام قلبه •
وتبعث أمته غرا محجلين من أثر الوضوء •
ومن رآه فى النوم فقد رآه حقا •
وأول شافع وأول مشفع وأول من يقرع باب الجنة •
ولايحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته ولا يناديه باسمه •
وأعطى جوامع الكلم ، وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا ، وصلاة الله وملائكته عليه •

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من أسماء المصطفى صلى الله عليه وسلم

محمد ، المصطفى ، الماحى ، الحاشر ، العاقب ، المقفى ، الشهيد ، المصدق ، النور ، المسلم ، العبد ، الداعى ، الامام ، الهادى ، البشير ، النذير ، السراج المنير ، المدثر ، طه ، يس ، خاتم النبيين ، الصاحب ، عبد الله ، أحمد ، قاسم المزمل ، نبى الرحمة ، نبى الملحمة الطيب ، الكريم .

وقال ابن دحية :

أسماؤه ــ صلى الله عليه وسلم ــ تقرب من الثلاثمائة وانتهى بها بعض المتصوفة الى الألف .

***

توجيهات نبوية

* ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس .

* لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به .

* من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه .

* البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس .

* كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه .

من كتاب مختصر النبراوى
على الأربعين النووية

دعاء

اللهم انى أسالك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك وتقنع بعطائك .

■ الشيخ سليمان نوار

من أعلام الأزهر

■ من شعراء الأزهر
خالد الجرنوسى

من أعلام الأزهر

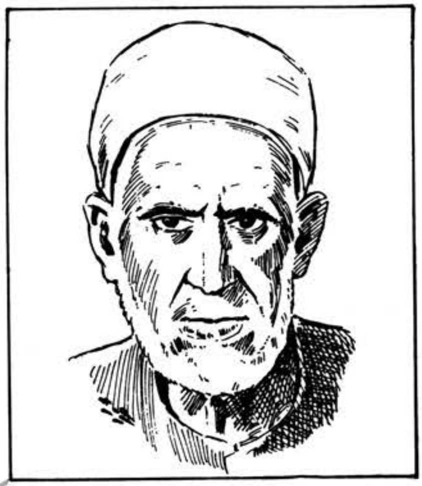

1886
11 فبراير
1969

الشيخ سليمان نوار

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

— ١ —

شخصية علمية كبيرة ، قامت بدور كبير فى خدمة الثقافة العربية والاسلامية فى الأزهر فى العصر الحديث .

كان رحمه الله ، فارع الطول ، قوى البنية تشع عيناه بريقا وذكاء ، يتكلم العربية الفصحى ولا يتكلم الا بعد تفكير طويل ، واذا تكلم كان رأيه فصل الخطاب .

عاش عصر النضال الوطنى العظيم ضد الاحتلال عصر مصطفى كامل ، وسعد زغلول ، وشهد ثورة الزعيم مصطفى كامل أو قل حركته الوطنية الكبرى من أجل الحرية واشترك فى ثورة ١٩١٩ ، فكان هو والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز والسيد حسن القاياتى ، والشيخ الزنكلونى ، رحمهم الله جميعا ، من خطباء الثورة المصرية ، وعلى منبر الأزهر كانت أصواتهم أعلى الاصوات ، وأكثرها حماسا وايمانا بحق مصر للخالد فى الحرية والاستقلال .

الشيخ سليمان نوار

وفى يوم من الأيام دعاه الصوفانى الى اجتماع وطنى ضد سعد زغلول ، فأبى ، وقال له : اذا كان سعد قد أيقظ مصر لتطالب بحقها فى الحرية فما ذنبه ؟

وفى عام ١٩٢٧ نشرت له صحيفة الاخبار سلسلة من المقالات حول ، اصلاح الأزهر والاصلاح الاجتماعى والثقافى فى مصر .

— ٢ —

ومنذ تخرج من الأزهر الشريف عام ١٩٢١ وهو يجعل النضال الوطنى من أجل حرية وطنه جزءا متمما لنضال العالم الدينى من أجل خدمة شريعة الاسلام ولغة القرآن .

وكان لابن « كفر شكر » العالم الازهرى الشاب النابغة — صوت مدو فى مختلف جوانب حياتنا المصرية الحافلة بأسباب النضال والثورة من أجل الاصلاح .

اشترك مع صفوة من العلماء فى المطالبة باصلاح الأزهر ، والعمل من أجل ازدهار حلقاته العلمية ، مسترشدا فى ذلك بأفكار الامام محمد عبده ، الذى كان أقرب العلماء فى العصر الحديث الى قلوب الشباب ، من أبناء الأزهر وخريجيه وشيوخه .

وأنشئت كليات الأزهر الشريف الثلاث : الشريعة — أصول الدين — اللغة ، فاختير الشيخ سليمان نوار أستاذا فى كلية اللغة العربية ، للثقة بعلمه ، وتفقهه فى اللغة والأدب فوق تفوقه فى الدراسات الاسلامية .

وفى عام ١٩٣٤ و ١٩٣٥ نهض الأزهر يطالب بتجدد حركة الاصلاح فى أروقته ، ويعلن أن الأزهر لا يمكن أن يكون سندا لطغيان القصر الملكى واستبداد أعوانه ، ومؤيدى بطش الوزارات المتآمرة على حرية الشعب ، ويطالب بمسيرة قوية للاصلاح فى الأزهر ،وكان شيخنا الجليل فى مقدمة المنادين بذلك ، وفصل من الأزهر مع من فصلوا بسبب ذلك ثم عادت الأمور فى الأزهر الى الاستقرار ، وعادت الدراسة فيه الى الانتظام ، ولكن ثورة الشيخ لم تهدأ ، فقد رأى أن الأزهر الذى حارب فيه طغيان السياسة قد بدأ يعود الى السياسة من الباب الخلفى مرة أخرى ، ومن أجل ذلك ناهض شيخنا نوار مشيخة الأزهر آنذاك وعاد الى الثورة مرة أخرى .

وعندما أنشأت الحكومة الجيش المرابط عام ١٩٣٩ فى وزارة على ماهر باشا ، أشرف الشيخ بنفسه على التدريب العسكرى فى معهد الزقازيق ، وشارك طلبته فى التدريب العسكرى ، بهدف تكوين الوطنى الحر المناضل .. واعتقله الانجليز عام ١٩٤٢ مع لفيف من الوطنيين الأحرار .

— ٣ —

ومن التدريس فى الازهر ، الى التدريس فى الكليات الأزهرية ، الى التفتيش على العلوم العربية فى الأزهر ، الى مشيخة معهد القاهرة الثانوى الأزهرى ، الى العودة لمنصب الاستاذية فى كلية اللغة العربية ، الى عمادة الكلية نفسها .. الى كثير من اللجان التى كان عضوا فيها ، ظل الشيخ يناضل ويكافح نضال الابطال وكفاحهم .

وقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فكان صوت جامعة الاسكندرية وصوت الشيخ سليمان نوار فى الأزهر أول الأصوات العالية فى تأييد

الثورة ومساندتها ، ودعوة الشعب الى الالتفاف حولها ، والثقة بها .

وترك للشيخ سليمان نوار منصب العمادة فترة قصيرة ، ثم أعيد الى العمادة مرة ثانية ، فالتف حوله طلابه وتلاميذه التفافهم حول رائد مناضل .

كان رحمه الله — يمثل شموخ العالم الازهرى وصموده فى وجه الأحداث أتم تمثيل.

وكان يقوم بتدريس البلاغة والأدب والحديث والتفسير لطلابه فى كلية اللغة العربية وأفاد الطلاب منه علما غزيرا ، وفكرا مستنيرا وعطلا متميزا قوى الشخصية والمنهج العلمى.

دعا الى الارتفاع بمستوى اللغة العربية

وعلومها وآدابها عن طريق التراث والاصالة مع المعاصرة أيضا بتأثير الاتصال بالثقافات العالمية .

وكانت أفكاره فى البلاغة العربية أفكار عالم ثائر على الجمود والتقليد يعمل من أجل تجدد الثقافة البلاغية ومن أجل تأصيلها وتعميقها فى أذهان الشباب .. وكتاباه فى القصر ، وفى الايجاز والاطناب والمساواة من أجل ما كتب فى هذه الجوانب فى البلاغة العربية ، مما يشهد له بعلو الباع فى فهم خصائص أسلوب العرب وبلاغتهم ، وبسمو الذوق الأدبى والموهبة المطبوعة على الفصاحة والبيان ، وبعظمة المنزلة العلمية فى علوم البلاغة ودراساتها .

وألف كذلك كتابا فى الحديث النبوى الشريف كان صدى لذوقه الرفيع ، وعلمه الغزير ، وملكته العربية المتطورة على اللسن والبيان والبلاغة .

وظل الشيخ مثابرا على القراءة والكتابة كما كان فى عهد شبابه ، وحتى بعد أن أحيل الى المعاش . حيث كان يقيم فى بلدته « كفر شكر » ، ويتردد على القاهرة فى أوقات فراغه ليلتقى بطلابه وزملائه التقاء الأستاذ والموجه والمرشد .

وبفكره المستنير ، وعقله الواسع ، وذوقه العربى الأصيل ، وثقافته الواسعة ، التى كان من أدواتها اجادته للغة الفرنسية .. كان يملك قلوب الناس وعقولهم ، ويستحوذ على ألباب الشباب وحبهم وتقديرهم .. وناحية أخرى فى حياته هى حبه للرياضة وكثرة حبه لرياضة المشى الطويل ، وبساطته فى حياته وفى كل مايتصل به مع التواضع والشموخ .. أخلص طول حياته للعمل من أجل ازدهار الثقافة العربية والاسلامية .

وكانت البساطة فى حياته منبعثة من ايمانه بأن الاسلام دين البساطة والسهولة والرفق وحب الناس والعمل من أجل اسعادهم ، وجلب الخير لهم .

وظل الشيخ الجليل ، يبنى من حيث يهدم غيره ، ويجهر برأيه حرا من حيث يصمت سواه .. الى اليوم الحادى عشر من فبراير عام ١٩٦٩ ، حيث وافته المنية ، ولقى ربه ، وترك الدنيا هذا العالم الأزهرى الكبير المتمكن وذلك الأديب الجليل الشاعر الموهوب .. بعد أن أدى واجبه فى خدمة الاسلام ولغة القرآن .. ومن أجل ازدهار الحلقات العلمية فى الأزهر الشريف .

رحمه الله رحمة واسعة .

محمد عبد المنعم خفاجى

من شعراء الأزهر

خالد الجرنوسى

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

فى الطليعة الملحوظة من الزعماء الوطنيين فى مصر ، يبرز اسم البطل (محمد فريد) زعيما لجيل فترة ما قبل ثورة مارس ١٩١٩ ، وقد تولى زعامة الحزب الوطنى ، وتلقف الشعلة ، على أثر انتقال الزعيم الوطنى الشاب : (مصطفى كامل) الى الرفيق الاعلى ، فى العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨ .

وقد ضرب (فريد) المثل الأعلى للتضحية والفداء ، اذ ضحى بماله وجاهه ومنصبه ، بل ودخل السجن .. راضيا مختارا ، من أجل المقدمة التى كتبها لديوان (وطنيتى) ، للشاعر على القاياتى ، التى قال فى مستهلها عن الشعر ، انه :

« من أفعل المؤثرات فى ايقاظ الأمم من سباتها ، وبث روح الحياة فيها .. »

وبرز من بين ظهرانى الثوار خطباء مفوهون ، وشعراء مفلقون ، وفنانون موهوبون ، يثبتون الثقة بين الناس بالثورة على الاستعمار ، ويحضونهم على الاستمرار فى الكفاح ، حتى تتحقق المطالب الوطنية .

وكان الشاعر « خالد الجرنوسى » من قادتها الشبان للذين تعاقبوا على أعواد المنابر فى شتى أنحاء القاهرة ، كما شارك فى النشاط الثورى ، باعداد المنشورات ضد الانجليز ، والاشتراك فى الاجتماعات والمحافل ، والخروج على رأس المظاهرات جنبا الى جنب من لداته من شباب هذه الفترة ، من شعراء وفنانين وخطباء ، أمثال : بديع خيرى وبيرم التونسى ومحمد فضل اسماعيل وحسن فايق وحسين المليجى وسيد درويش وعبد الوارث عسر ونجيب الريحانى وعبد الله شداد ومصطفى القاياتى والشيخ محمود أبو العيون وعبدالمجيد بدر وغيرهم .

وقد قال زعيم الثورة (سعد زغلول) ، قبيل نفيه ، ومعقبا على الشاعر خالد الجرنوسى — بعد القائه لاحدى قصائده النارية فى محفل كبير : « ان هذا الشاعر قد عض فى الكتف » .

* * *

ولد خالد الجرنوسى عام ١٨٩٨ بقرية (الجرنوس) احدى قرى (المنيا) ، عروس الصعيد ، وبعد أن أتم مرحلة التعليم الاولى

بالقرية ، وأتم حفظ للقرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة من عمره ، راح يلتهم كتب السـيرة بصفة خاصة ، بمكتبة والده ، الذى كان ، بدوره من أبطال الثورة العرابية • ووقف طويلا أمام قصص بطولة (سيف بن ذى يزن) و (أبو زيد الهلالى سلامة) و (عنترة العبسى) • ممـا شكل وجدانه فى هـذه السن الغضة ، وجعله يتشبع بحب البطولة والابطال ، وكان لذلك كله تأثيره العميق فى اتجاهه ونتاجه الادبى فيمـا بعد ، وجعله يكثر من الكتابة ونظم الشعر عن الحرية والديمقراطية ، وقصص الفروسـية والفداء ، أثناء وبعد ، دراسته بالأزهـر الشريف •

وقد التحق » خالد « بالازهـر الشريف ، والحرب العالمية الأولى يشـعل أوارها ، وفى أعقابها تجىء ثورة مصر فى سنة ١٩١٩ •• ومما استقر فى وجدان » خالد « من روح القرآن الكريم ، ومما اجتمع له من ميراث البطولـة الثائرة من أبيه ، ومما قرأ وتمثل من بطولات التاريخ العربى والاسلامى ، ومما ألهب روحـه وشحذ خياله من أصداء الحرب العالمية ، ومن حماسة الوطنية ، وشبوب شعلتها فى ثورة أمته •• ألقى » خالد « بنفسه فى غمار الثورة ، وكما يقول صديقنا الشاعر الكبير »الربيع الغزالى« فى تقديمه لديوان (على طريق النـور) (١) للجرنوسى : » وتمضى الحياة بخالد فى دورة من جهاد العيش، يشتغل بالتدريس ، ويتعهد رسالة الجهاد فى شعره ، فيكتب عن الحـرية ، وعن الديمقراطية ، ويكثر من شعر الوطنية « •

» ترى ذلك وتلمحه فى كل خطوة من خطواته وكل حركة أو سكنة من حركاته وسكناته •• وتراه فى كل عمل تناوله بين أعماله الكثر التى تولاها ، حتى بين الصحافة والتدريس ، حتى وهو طالب يطلب العلم فى الازهر وفى الجامعة المصرية القديمة فى وقت معـا ، ويتعلم من اللغات ما ليس مفروضا عليـه ، ليطلع فى آدابها وثقافتها « (٢) •

وقد عمل خالد بجريدة المصرى ، ونشر بها العديد مما أبدعه من الملاحم الشـعرية ، عن البطولات الاسلامية فى شتى حقب التاريخ ، التى جمعت بعـد ذلك بين دفتى ديوانيـه القصصيين : » اليواقيت « — الذى حاز به جائزة المجمع اللغوى عام ١٩٥٢ ، وطبع عـام ١٩٥٤ • و » قصص اسلامية « الذى طبعتـه الادارة العامة للثقافة ، ضمن سلسلة (الالف كتاب) ، وقد تحقق فى حرب رمضان المجيـدة عام ١٣٩٣ ، ما تمناه الشاعر حين قال :

---

(١) ص ٦ ط سنة ١٩٧٣ •
(٢) المصدر السابق •

خالد الجرنوسى

يا ليت فينا (صلاح الدين) يسمعنا
ونحن نرمى سهاما ، من قوافينا

وقوله :

ردوا على الشرق أمجادا ورثناها
ردوا له البأس والايمان والجاها
فى الجاهلية والاسلام السوية
على مشارف دنيانا .. رفعناها

وقد أهدى خالد ديوانه الأول الذى صدر عام ١٩٢٤ .. ومعظمه شعر وطنى سياسى ، للزعيم « سعد زغلول » ، قائلا فى مناجاته :

يا أبا الشعب .. وحسبى شرفا
أن روحى تتلقى مددك
بعثتنى فى الليالى شاعرا
دامع العين .. أناجى جلدك

وحينما حل ضيفا على سجن الاجانب لمدة شهر ، بعد القاء القبض عليه لمواقفه الوطنية وحماسته الملتهبة ، قال يصف يوم الاعتقال :

طاف فى فجره الجنود بدارى
وتدانوا .. وأوغلوا ايغالا
طوقوا سائر الجهات .. فراعوا
أنفس الناس .. جولة وصيالا
فرقة من جنودهم حشدوها ؟
ليت شعرى .. أيطلبون قتالا ؟!

ثم قال هازئا بسجانيه :

ضيقوا منفذ الحياة وهاتوا
كل ما تحسبونه .. أهوالا
ليت شعرى .. أألف باب علينا
قد وضعتم وراءها الأقفالا

.. نحن لو تجعل البيوت سجونا
لن ينال الهوان منا منالا

ثم يصف وحشة السجن وضيقه ، بعد أن استقر به ، وعانى الأمرين منه :

حجرة تسلخ الجلود من الحر
وتفرى العظام والأوصالا
حفرة من لظى الجحيم .. لبسنا
من غواشى لهيبها سربالا
نحن والمجرمون فيها سواء
نتدانى .. مساكنا ومآلا
.. فيم سجنى ؟ وفيم طول اعتقالى ؟
ألانى أريد الاستقلالا ؟

ثم يجيب على هذا التساؤل ، متحديا برغم ما يلقاه فى بلواه :

اسجنوا الشعب كله .. فهو مثلى
أنا منه ، منازعا وفعالا

ونستطيع أن نستشف قدرا من الحقائق عن سيرة الشاعر بقصيدته « دمعة على جدث » ، التى يستهلها مخاطبا مسقط رأسه (جرنوس) بقوله :

جرنوس يا مهد الطفولة
ومغارس الفطر النبيلة
لم أنس فى مغناك يو
م وقفت فى الدار المحيلة

ثم يناجى شجرة (الأثل) ، بقوله :

يا شجرة الأثل التى
ظلت على أهلى ظليلة
ها حدثينى عن أب
أودت به الأيام غيله

وذلك لأن والده كان ، ضابطا كبيرا ، أبلى بلاء حسنا ــ كما قدمنا ــ فى الثورة العرابية ، وشهد معارك شهد له جميع زملائه بالثبات فيها .. أو كما يقول الشاعر موضحا ذلك ، ومصورا غمار المعركة التى خاضها :

أو لست فى التل الكبير ..
منحت قومك كل حيلة
وثبت حين جرى الآلا
ء ، وفرق الباغى فلوله
قد ألجؤوك الى الميا
ه .. وما الى شط وسيلة
والنار تعلو فوق را
سك .. من مدافعها الثقيلة
حتى طلعت مع الصبا
ح .. بحيث تنظرك العقيله
رث الثياب .. تقاسمت
أثوابك المحن الوبيله

* * *

ويلجأ فى قصيدة أخرى الى (الشعر) ، ملتمسا فيه السلوى والعزاء ، بقوله :

هل يشفعن الشعر ان أرسلته
كالزهر يزهو فى الجمال ويعبق
هو ملجئى فى المشتكى وبشاشتى
فى الملتقى .. وهو السميع المطرق
من لى به ــ والنفس فى غليانها
ليست بغير جنونها تتعلق
من مبلغ عنى الذين بنايهم
جمعوا على همومهم .. وتفرقوا

وفى البيت الأخير صورة بلاغية طريفة .. ونستطيع أن نعرف شيئا عن اتجاه شاعرنا الأدبى ، وفهمه العميق لرسالة الشعر ، فى وقت مبكر بعشرينات القرن الحالى ، بقوله بمقدمة قصيدته (نصائح الشباب) : « ترك الجزء الكبير من الغزل الذى تقدم الموضوع ، لأننا من المحبين للجديد ، فنحن والحالة هذه ألد الأعداء للطريقة القديمة ، التى تجعل الغزل مقدمة لابد منها للشروع فى مدح أو نحوه ، وقد تأثرنا بها زمنا ، ثم لما تبين لنا وجه الخطأ فيها ، هجرناها معلنين الحرب عليها » الى أن يقول : « وهذه بقية من قصيدة طويلة ، لم يسعدنا الزمن بحفظها كلها ، وقد أحرقت فى ابان ثورة مارس سنة ١٩١٩ » .

ولاشك أن التجديد الذى عناه الجرنوسى : هو ذات التجديد الذى يصفه المرحوم الشاعر عبد القادر رشيد الناصرى ، بقوله :

لايؤخذ التجديد الا من فتى
درس القديم .. حواشيا ومتونا

وقول جميل صدقى الزهاوى :

الشعر لست أقوله
الا كما أنا أشعر
ما أن أقلد من مضت
قبلى ، عليه .. الأعصر

* * *

ويستوقفنا بديوانه : (على طريق النور) ، الذى أصدره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

خالد الجرنوسى

عام ١٩٧٢ ، بعد وفاة الشاعر فى الثالث والعشرين من يناير سنة ١٩٦١ ، خريدته الرائعة ، التى تحمل عنوان : (سكينة) .. التى يتغنى فيها بالسيدة سكينة ، احدى عقيلات (آل البيت) ، الذين قال فيهم الفرزدق بحق :

هم معشر حبهم دين .. وبغضهمو
كفر .. وقربهم منجى ومعتصم
ان عد أهل التقى .. كانوا أئمتهم
أو قيل : خير أهل الأرض ؟ قيل : همو

ويقول الجرنوسى :

لمن المزار عليه النور ينسكب
هذى سكينة .. لامين ولا كذب
ياليتما كان لى كاس فاشربها
مثل الصحاب الألى .. من نبعكم شربوا
قد سابقونى ، فجئت اليوم أسبقهم
وكدت أسبق .. لولا أنها .. رتب

وعلى الرغم من أن الشاعر قد أصدر ثلاثة دواوين فى حياته ، هى :

١ ــ ديوان خالد
٢ ــ قلوب تغنى
٣ ــ اليواقيت .

وصدر ديوانان بعد وفاته ، كما تقدم .. الا أن مالم ينشر بعد من نتاج الشاعر ، يفوق ماتم نشره ، كما أخبرنا بذلك نجله الاستاذ أحمد شوقى الجرنوسى .. والنداء موجه من فوق هذا المنبر للسيد وزير الثقافة ، لاصدار بقية أعمال الجرنوسى الشعرية ، ذات القيمة الفنية الرفيعة ، وهى تشتمل على شعره الاسلامى والسياسى والجمالى ، وملحمة خالد بن الوليد وغيرها .

وعلمنا أن نجله يحتفظ بها برمتها لديه .. ومنها مالم ينشر بعد من قبل .

.. وكم يعجبنا وصف الاستاذ الشاعر « ابراهيم عيسى » لشعر الجرنوسى ، بقوله انه :

شعر بأرغول الزمان مغرد
لا شلو أوزان .. ونحت خواطر

وقوله فى مقطع آخر من نفس القصيدة المتنوعة القوافى ، مؤرخا لدور الجرنوسى الرائد فى انشاء (ندوة شعراء العروبة) :

بالأمس شدت لنا (عكاظ) ، فمالها
صارت عليك اليوم .. حشد بكاء ؟
وكان أنداء الصباح على الربى
دمع الطبيعة .. يا أبا الشعراء

وندوة شعراء العروبة ، مدينة بوجودها ، بالفعل ، لخالد الجرنوسى ، الذى حمل وحده عبء قيامها ، بعد أن نبتت فكرتها فى ذهنه ، لتكون بمثابة الواحة الظليلة ، فى هجير الحياة ، تجمع شمل الشعراء من مشاركة وجدانية عميقة .

وكان الجرنوسى قد انضم من قبل الى (جامعة أدباء العروبة) ، التى كان يرأسها الوزير الشاعر ابراهيم دسوقى أباظة ، وهى من المعالم الادبية الكبيرة فى تاريخنا الادبى الحديث .. وعندما انفرط عقد (الجامعة) : عقد العزم على احياء حلم حياته ، بتكوين (الندوة) ، مهما كلفه الامر من جهد ومشقة ووقت .. وأخيرا تم له ما أراد ، فانطلق يجمع

رفاقه ، وينظم ندوات دورية للشعر ، يشدو به الشاعر العربى ، أنى كان موقعه •• وأطلق عليها فى البداية اسم : « ندوة الشعر الشهرية » وكان مولدها ومقرها احدى قاعات جمعية الشبان المسيحية ، فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٩ وبعد فترة من الزمن ، اتسع فيها نطاقها ، وثبتت أقدامها واستقرت ، وتغير اسمها ، فأصبح : ندوة شعراء العروبة • وكانت ندوات حافلة تنشر الصحف برامجها ، وتستهوى شداة الادب وأساتذته ، ويتناول الشعراء المشتركون فيها موضوعات حية ، تواكب الاحداث الجارية ، على النطاق العربى الشامل ، وتتفاعل معها ، وكانت هذه الموضوعات ، مع انشاء الشعراء ، تلقى صدى طيبا ، واقبالا من جمهور المثقفين ، فازداد عدد الاعضاء المنتمين الى الندوة ، وتكررت دعوة عدد من الشخصيات الادبية المرموقة للحضور ، والمشاركة والتعقيب(١) •

وأصبح للندوة شيئا فشيئا أثر كبير وصفة عامة ، دون أن يكون للجرنوسى نفوذ أو جاه يعينانه على تحقيق ما أصابت الندوة من نجاح اللهم الا ايمانه بفكرته ، وتضحيته بكل ما يستطيع فى سبيل استمرار الندوة فى أداء رسالتها على أكمل وجه • حتى كادت — بما أذكت من روح الثورة ، ودعت اليه من توحيد الصف العربى — أن تكون بمثابة ارهاص لثورة يوليو سنة ١٩٥٢ •• وقد سعد الجرنوسى

كثيرا ، بحضور الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى أحد اجتماعات الندوة ، ملبيا دعوته اليها ، وعقب فى نهايتها بكلمة ثناء وتقدير •

وكانت الندوة تعقد أحيانا فى قاعة ايوارت التذكارية ، الملحقة بالجامعة الامريكية فى القاهرة ، وأحيانا كانت الندوة تعقد ، بعد انتقال شعرائها الى المكان الذى تختاره ، على سبيل التجديد وتعميم نشر رسالتها ، واجتذاب أكبر عدد ممكن من الاعضاء والموهوبين اليها ، فى طول البلاد وعرضها ، بالمنيا والسويس ، بل وبقرية اسطنها فى الوجه البحرى ، وبضاحية (المعصرة) الواقعة على خط حلوان ، حيث يقيم الجرنوسى نفسه ، بكرمة ابن الوليد ، التى تحيط منزله الريفى بها ، باطار من الخضرة النضرة والفاكهة ، وأنسام فواحة من الزهر والرياحين •

ومن شعراء الرعيل الأول الذين انضموا الى الندوة عقب تكوينها ، كل من :

عبد الله شمس الدين ، صاحب نشيد (الله أكبر) المشهور ، والذى تولى ريادة الندوة بعد وفاة الجرنوسى ، والدكتور عفيفى محمود ومحمد عبد المنعم ابراهيم المحامى ، والربيع الغزالى ومحمد التهامى وابراهيم عيسى ومحمد على عبد العال ، وامام الصفطاوى

(١) انظر نشرة احتفال الندوة بيوبيلها الفضى من اعداد الشاعر خليل جرجس خليل رئيس تحرير مجلة (صوت الشرق) ، وسكرتير الندوة •

خالد الجرنوسى

وخليل جرجس ومحمد المصرى محمود وعبد السلام شهاب ومحمد على أحمد ومحمود شاور ربيع ونجاة شاور وغيرهم .

ومن أعضائها الحاليين : الدكتور عزت شندى موسى ، الذى تولى ريادة الندوة بعد وفاة الشاعر عبد الله شمس الدين ، وعبد الوهاب محمد والمهندس وليم نجيب سيفين عضو مجلس الشعب ، وصلاح جاب الله ومحمود خليفة غانم ورياض سوريال وعبد الله القبيدى وأحمد مصطفى حافظ وابراهيم محمد امام ومحمد عبد الفتاح حماده والدكتور محمد عبد المنعم خفاجة ومحمد وجدى شبانه ووديد الزند وهاشم السمان وابراهيم صالح ومحمود الجرف والدكتور أحمد كمال زكى والدكتور محمد أحمد العزب وعلى هاشم رشيد وعبد الله يوركى حلاق (صاحب ورئيس تحرير مجلة الضاد السورية) وغيرهم .

ومن الشواعر : جليلة رضا الحاصلة على جائزة الدولة التشجيعية للشعر ونور نافع وشريفة فتحى وعلية الجعار وأمانى فريد وكريمة زكى مبارك ونعمت عامر وحياة أبو النصر وسعاد حجازى وغيرهن .

وفى قصائد ديوان الشاعر ، الذى يحمل عنوان : « على طريق النور » ، فلتات شعورية ، تأخذ طريقها الى واعية المتذوق ، فى رفق وعمق ، كالأمواج المنسابة فى ريث ، وهى أشبه ماتكون بوثيقة نفسية ، بث الشاعر أنفاسه فى كل شطرة منها ، ونستدل منها

على سماحته وصفاء نفسه ، وترفعه الذى يذكرنا بقول الرافعى :

نفسى من الملأ الأعلى ، وسجيتى
تأبى على مذلة الانسان

* * *

أحمد مصطفى حافظ

■ فتح المدائن
عاصمة الفرس

من مناهج النصر

■ منابع الإرادة القتالية
للمجاهدين في سبيل الله

فتح المدائن عاصمة الفرس

البيان

لم يكن عبور جيش مصر قناة السويس وتحطيمهم خط ((بارليف)) المنيع ، أول عبور للمسلمين البحر ، وأول قضاء على كبرياء عدو شرس تعود العدوان على سواه ، فامجادهم فى ركوبهم البحار واخضاعهم من وراءها من الأعداء المتجبرين العتاة ، كل ذلك يرويه التاريخ بفخر واعجاب •

كانت المدائن عاصمة للفرس قبل الاسلام ، وكان نهر دجلة يجرى فى أحشائها ، فيقسمها قسمين :

أحدهما : شرقى ويسمى المدائن الشرقية •

وثانيهما : غربى ويسمى المدائن الغربية •

ولما سقطت المدائن الغربية فى أيدى المجاهدين المسلمين ، بقيادة سعد بن أبى وقاص فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، اشتاق المسلمون الى فتح المدائن الشرقية ، وكان نهر دجلة يحول بينهم وبينها ، وقد فاض ماؤه ، وبينما كان سعد جالسا يفكر فى طريقة غزوها ووقت البدء فيه ، اذ جاءه رجل فارسى وقال له : ان (يزدجرد) ينقل نفائسها ، فلو مضى عليك ثلاث ليال دون أن تدخلها ، فلن تجد فيها شيئا ، فهاجه ذلك وحفزه على التعجيل وعبور دجلة اليها •

وقد رأى بعض المسلمين فى منامه أن خيول المسلمين اقتحمت النهر فعبرت ، فقوت هذه الرؤيا عزم سعد على العبور •

أول اجراء للعبور

كان الفرس قد نزعوا كل وسائل الاتصال بين شطرى المدائن ، فلهذا جمع سعد الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البجر ، فلا تخلصون اليهم معه ، ولكنهم يخلصون اليكم فى سفنهم ــ اذا شاءوا ــ فيناوشونكم ، وليس وراءكم شىء تخافون أن تؤتوا منه ، وقد رأيت من الرأى أن تجاهدوا العدو قبل أن تحصدكم الدنيا ، الا انى قد عزمت على قطع هذا البحر ، فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل •

كيف عبر المسلمون البحر اليها

فدائية السلف الصالح

للأستاذ الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

اختيار الطليعـة

لما سمع سعد من رجال الجيش موافقتهم على العبور قال : من يبدأ العبور ليحمى الفراض ؟ ــ أى الثغر ــ حتى يتلاحق الناس وهم آمنون فاستجاب له رجل عظيم ــ هو عاصم بن عمرو صاحب البأس الشديد ــ فى ستمائة وستين من أهل النجدات ، فجعله أميرا عليهم ، فاختار منهم ستين فارسا ليكونوا معه طليعة العبور ، وجعل الخيل التى تحملهم ذكورا واناثا ، ليكون ذلك أسلس لسباحة الخيل ، ثم اقتجموا دجلة ، فلما رآهم الفرس هكذا يسبحون على خيولهم قلدوهم ، فركب بعضهم الخيل واقتحموا عليهم دجلة ، فلقوا عاصما وقد دنا من الفراض ــ أى الثغر(١) ــ فقال عاصم لرجاله : اطعنوهم فى عيونهم بالرماح ففعلوا ، فانهزموا وتبعهم المسلمون حتى قتلوا أكثرهم ، ومن نجا منهم صار أعور ، وتلاحق الستمائة والستون ، حتى وصلوا جميعا الى الفراض .

ولما رأى سعد عاصما ورجاله على الفراض يحمونها ، أذن لباقى الجيش أن يقتحم نهر دجلة ، وأوصاهم أن يقولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ثم قال سعد : والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزمن عدوه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وتلاحق الناس يعبرون دجلة على خيولهم ، وهم يتحدثون كما يتحدثون فى البر ، وكان الذى يساير سعدا فى الماء سلمان الفارسى ، فسبحت بهم خيولهم وسعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه، وليهزمن عدوه ان لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات ، فقال له سلمان : أما والذى نفس سلمان بيده ، ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا ، فخرجوا كما قال سلمان، لم يفقدوا شيئا ولم يغرق منهم أحد ، الا أن مالك بن عامر العنبرى ، سقط منه قدح جرى

(١) الفراض والثغر بمعنى الميناء ، وهى مرسى السفن .

فتح المدائن عاصمة الفرس

به الماء ، فقال له الذى يسايره معيرا له : أصابه القدر فطاح ، فقال : والله انى لعلى حالة ما كان الله ليسلبنى قدحى من بين العسكر ، فلما عبروا تحقق أمله فى الله تعالى ، حيث ألقت الأمواج بقدحه الى الشاطىء ، وأعاده الله الى صاحبه جزاء احسانه الظن بالله تعالى .

وحدث أن رجلا من بارق يدعى (غرقدة) زال عن فرسه أثناء العبور ، فثنى القعقاع عنان فرسه اليه ، وتلقفه بيده وأخرجه سالما ، وكان غرقدة هذا من أشد الناس ، فقال : تعجز النساء عن أن تلد مثلك ياقعقاع ، وخرج الجيش كله سالما ، وجعلت الخيل تنفض الماء عن أعرافها .

هول المفاجاة وآثارها

كان نجاح العبور الأول فى التاريخ مفاجأة أذهلت الفرس وفتت فى أعضادهم ، ففر (يزدجرد) ورجاله هاربين من المدائن ، حاملين ماقدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه ، ومعهم نساؤهم وذراريهم وتركوا فى خزائنهم من الثياب والمتاع والجواهر والنفائس ، ما لا يستطاع تقدير قيمته ، كما خلفوا وراءهم ما كانوا قد أعدوه للحصار الطويل ، من البقر والغنم والأطعمة ، وكان فى بيت المال ما لايحصى من الأموال .

نظام دخول الجيش الى المدائن

كان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ، وعلى رأسها قائدها عاصم بن عمرو ، ثم كتيبة الخرساء بقيادة القعقاع بن عمرو ، فجاسوا خلال الديار ، فلم يلقوا فى خلالها أحدا يخشونه من الفرس ، الا من كان فى القصر الأبيض ، فأحاطوا بهم ودعوهم فاستجابوا على أداء الجزية ، ولما علم بذلك من هاجر من أهلها عادوا اليها بشرط أداء الجزية(١) .

سعد فى ايوان كسرى

نزل سعد بن أبى وقاص القصر الأبيض ، واتخذ ايوان كسرى مصلى ، ولم يغير ما فيه من التماثيل ، ولما دخل سعد الايوان قرأ قوله تعالى « كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ » من سورة الدخان .

ثم صلى فيه ثمانى ركعات شكرا لله على الفتح ، وفى يوم المدائن قال أبو نجيد نافع بن الأسود :

وأملنا على المدائن خيلا
بحرها مثل برهن أريضا (٢)
فانتثلنا خزائن المرء كسرى
يوم ولوا وخاض منها جريضا(٣)

وكان فتح المدائن فى صفر من السنة السادسة عشرة الهجرية ، فى عهد الخليفة العظيم عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ .

ومن حوادث الشجاعة للجندى المسلم فى هذه الغزوة ، أنه لما سار المسلمون وراء الفرس ، أدرك رجل منهم جنديا فارسيا يحمى أصحابه ،

---

(١) فانهم مجوس ، والمجوس يعاملون معاملة اهل الكتاب فى دفع الجزية ان استسلموا .

(٢) الاريض الارض الطيبة التى تعجب العين .

(٣) الانتثال : الاخذ والجريض ما يغص به المرء فيبتلع ريقه بمشقة .

فضرب فرسه فهوى الى الأرض ، ولم يستطع مبارزة الجندى المسلم وحاول الفرار ، فقتله المسلم وأخذ سلبه ، كما أدرك جماعة من أشد الرماة اصابة ، فقتل زعيمهم وفر الباقون ، وأمثال تلك الحوادث الفردية كثير .

عظمة الغنائم وأمانة الجنود :

كان سعد بن أبى وقاص قد وكل الى عمرو ابن عمرو بن مقرن جمع الغنائم ، ووكل الى سلمان بن ربيعة قسمتها ، فأحصى ما فى القصر والايوان والدور وما يأتى به الطلب .

وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة وهربوا فى كل وجه ، فما أفلت أحد منهم بشىء الا أدركهم الطالبون فأخذوا ما معهم من المنهوبات ، ورأوا بالمدائن قبابا مملوءة سلالا مختومة برصاص ، فلما كشفوا عما فيها وجدوا بها آنية من ذهب وفضة ، كما وجدوا كافورا كثيرا ، فحسبوه ملحا فعجنوا به فوجدوه مرا .

ولما وصلوا الى جسر النهروان ، وجدوا جماعة قد ازدحموا عليه ، فوقع منهم بغل فى الماء ، فتجمعوا عليه لينقذوه بصورة تلفت النظر ، فقال بعض المسلمين ، ان لهذا البغل لشأنا ، فجالدهم المسلمون عليه وأخذوه منهم، فوجدوا عليه ثياب كسرى وخرزاته ووشاحه ودرعه المرصعة بالجواهر ، ثم أدركوا فارسين معهما بغلان ، فقتلوا الرجلين وأخذوا البغلين ، فاذا هما يحملان تاج كسرى المرصع برفيع الجواهر ، وغير ذلك من الجواهر شىء كثير لايحيط به الوصف ، وقد استخلصوه من أيدى ناهبيه .

وقد بعث سعد بتاج كسرى وحليته وثيابه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ليراه المسلمون ، وكانت الأمانة موفورة وتامة عند المسلمين فى جمع الغنائم ، ومن أمثلة ذلك أن رجلا منهم جاء (بحق) عجيب فيه نفائس ممتازة ، فقال عمرو بن عمرو وكيل سعد فى جمع الغنائم ، والله مارأينا مثل هذا ولا يقاربه شىء عندنا ، ثم سأله : هل أخذت منه شيئا ؟ فقال : والله لولا الله ما أتيتكم به ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : والله لا أخبركم فتحمدونى ولاغيركم فيقرظونى ، ولكن أحمد الله وأرضى بثوابه ، فأتبعوه رجلا حتى انتهى الى أصحابه، فاذا هو عامر بن عبد القيس .

وقال سعد بن أبى وقاص : والله ان الجيش لذو أمانة ، ولولا ما سبق لأهل بدر ، لقلت انهم على فضل أهل بدر ، وقال عمر بن الخطاب لما جاءته نفائس كسرى : ان قوما أدوا هذا لذوو أمانة ، فقال له على رضى الله عنهما : انك عففت فعفت الرعية .

ولما جمعت الغنائم قسم سعد الفىء بين الناس بعدما خمسه ، وكانوا ستين ألفا ، فأصاب الفارس اثنى عشر ألفا ، وكانوا كلهم من الفرسان ، وليس فيهم مشاة ، ونفل من الأخماس المبرزين الشجعان (٢) أهل النجدة ، وقسم المنازل بين الناس ، فأقاموا بها حتى فرغوا من جلولاء وحلوان وتكريت ، ثم تحولوا الى الكوفة .

بساط الأكاسرة العجيب

وأرسل سعد فى خمس الغنائم ثم الذى بعث به الى عمر — أرسل — كل شىء يعجب العرب، وأرسل له أيضا بساطا مربعا ، طول ضلعه ستون ذراعا ، وكانت الأكاسرة تعده للشتاء .

(٢) أى زادهم العطاء .

فتح المدائن عاصمة الفرس

ليشربوا وهم جلوس فوقه ، فيشعروا كأنهم فى الربيع حيث الأزهار والرياحين حولهم ، فلقد تفنن ناسجوه فى رسمه ، فرسموا فيه أنهار بخيوط من ذهب ، وجعلوا لتلك الأنهار شواطىء كأنها مزروعة بالبقول وشجيرات الزهور المختلفة الأشكال والألوان ، وما [illegible] منها فضيا رسموه بخيوط الفضة ، وجعلوا أزهاره حبات من الجوهر واللؤلؤ والماس وسائر الأحجار الكريمة ، ومن الذهب والفضة •

وجعلوا أوراق الشجر من خيوط الحرير الأخضر ، وبالجملة فقد أبدعوا رسمه ونسجه وأفرغوا فيه من روائع الفن مالا يتصوره الخيال الخصيب ، حتى بدا تحفة لا يجود بمثلها الزمان •

ولما أراد سعد أن يخمسه ، فيرسل الخمس لأمير المؤمنين ، والأخماس الأربعة يقسمها على المجاهدين ، وجد أن هذا البساط سوف تضيع قيمته بقسمته على ستين ألفا ، فاستأذن أصحابه من المقاتلين أن يتنازلوا عن نصيبهم فيه ويرسله الى عمر ليضعه كما يشاء ، وحيث يكون أجمل موقعا وأجدى نفعا لأهل المدينة من تقطيعه وتوزيعه عى هذا العدد الهائل من الجيش ، ولما عرض عليهم ذلك وافقوا أجمعين •

ولما قدمت الغنائم على عمر قسمها مقسم الخمس ، ثم قال لجلسائه : أشيروا على فى هذا القطيف ــ يعنى بساط الأكاسرة ــ فقال على رضى الله عنه : لم يجعل الله علمك جهلا ، ويقينك شكا ، انه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فأمضيت ، أو لبست فأبليت ، أو أكلت فأفنيت ، وانك ان تبقه على هذا اليوم ، لم تعدم غدا من يأخذ منه مالا يستحقه ، فقال صدقتنى ونصحتنى ، فقطعه بينهم ، فأخذ منه على قطعة باعها بعشرين ألفا ، وما هى بأجود تلك القطع •

وكنتم خير أمة أخرجت للناس

هؤلاء الذين أخضعوا الفرس ، وقضوا على نفوذهم وأخمدوا نيرانهم ، وورثوا أرضهم وديارهم وأموالهم ، وورثوهم العلم والايمان والعدل والاحسان ــ هؤلاء ــ هم خريجو المدرسة المحمدية ، ودعاة الديانة الاسلامية ، والذائدون عن التوحيد بعد أن تسلموا الأمانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا بحق (خير أمة أخرجت للناس) •

لقد انتقل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الرفيق الأعلى بعد أن أرسى قواعد التوحيد فى الجزيرة العربية ، وجمع الناس فيها على دين واحد ودولة واحدة ، يسود بينهم العدل والاخاء ، ويعيشون فى مجتمع فاضل ، أمرهم جميع وكلمتهم واحدة ، لاطمع يفرق بينهم ، ولا حفيظة تشق صفوفهم ، رهبان بالليل فرسان بالنهار ، ان حاول مفتون شق عصاهم هبوا سراعا لتأديبه ، وان طمع فيهم طامع وقفوه عند حدوده ، وان سالمهم مسالم كانوا الى السلام أسرع منه •

ثم تحولت الحال من النقيض الى النقيض :

فبعد أن كان المسلمون أمة واحدة أمرها مجتمع، أصبحوا أمما كثيرة ، بين ممالك وجمهوريات وامارات ، وكانوا كما قال الشاعر :

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

وكان لهذا التفرق أثره فى اضعاف الأمة الاسلامية ، وتسلط أعدائها عليها ، وابتلاعهم خيراتها ، ومعاداة بعضهم لبعض ، وقتالهم لهم بغير شفقة ولا رحمة ، استجابة لدسائس المستعمرين ، وامتثالا لتحريض الجبارين الشانئين .

يا أمة محمد ، ياخير أمة أخرجت للناس : انظروا الى تاريخكم المجيد ، ثم انظروا الى الأثر العظيم الذى أثمرته وحدتكم فى حرب رمضان سنة ١٣٩٢ هجرية ، لكى تعرفوا من هذا وذاك قيمة الوحدة وأثر الترابط ، فى قوتكم وعزتكم فى العالمين .

انكم تملكون أسباب الضغط على الطامعين فيكم ، بما تشتمل عليه بلادكم من اكسير الحياة لمصانعهم ، فان اتحدتم كانت ثرواتكم سببا لقوتكم ، وأن تفرقتم كانت نهبا لأعدائكم .

انه لا مانع من أن تكون فيكم ممالك وامارات وجمهوريات ، يحنو بعضهم على بعض ، ويمد قويهم ضعيفهم بما لديه من أسباب القوة ، من علم وخبرة ومال وأيد عاملة ، حتى ينتشر فيهم العلم والعرفان والرخاء ، ويكون المجتمع الاسلامى بذلك كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا :

كونوا أيها الأمجاد فى تكوينكم الداخلى كيف شئتم من ألوان الحكم التى ترضونها لأنفسكم ولبلادكم ، ولتكن لكم فيما وراء ذلك سياسة اسلامية واحدة ، تربط بينكم وتجعلكم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وما أعظمكم لوتمثلتم فى ترابطكم بقول رسولكم الصادق الأمين « مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

منابع الإرادة القتالية

للمجاهدين فى سبيل الله

جاء أعرابى الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — فآمن به ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبى — صلى الله عليه وسلم — بعض أصحابه ، فكانت غزاة غنم فيها النبى — صلى الله عليه وسلم — ، فقسم عليه الصلاة والسلام وقسم له • فقال الرجل : ماهذا ؟ فقال : قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى الى ها هنا (وأشار بيده الى حلقه) بسهم فاموت فأدخل الجنة ، فقال : ان تصدق الله يصدقك • فلبثوا ثم نهضوا فى قتال العدو ، فاتى به الى النبى — صلى الله عليه وسلم — محمولا قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : أهو هو ؟ قالوا : نعم • قال : صدق الله فصدقه ، ثم كفن فى جبة النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم قدمه فصلى عليه ، فكان مما قاله مما ظهر من صلاته دعاؤه : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا ، وأنا شهيد على ذلك » (أخرجه النسائى) •

وفى صفر للسنة الرابعة من الهجرة بعث الرسول — صلى الله عليه وسلم — المنذر بن عمرو فى أربعين (أو سبعين) من أصحابه الى بئر معونة لدعوة أهل نجد الى الاسلام وذلك تلبية لطلب أبى براء عامر بن مالك بعد أن تعهد بحمايتهم • فلما نزلوا بئر معونة بعثوا حرام ابن ملحان بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه ، وقالوا : لن نخفر أبا براء (أى ننقض عهده) ، وقد عقد لهم عقدا وجوارا ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم فأجابوه الى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق ••

وكان من بين الشهداء عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، قال ابن اسحق : فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منهم (أى من المسلمين) لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه ؟ فقالوا : هو عامر بن فهيرة •

قال ابن اسحق : وقد حدثنى بعض بنى جبار ابن سلمى بن مالك قال — وكان جبار فيمن حضرها (أى بئر معونة) مع عامر ثم أسلم • (قال) فكان يقول : ان مما دعانى الى الاسلام

للواء محمد جمال الدين محفوظ

أنى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت الى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت والله ! فقلت فى نفسى : مافاز ، ألست قد قتلت الرجل ؟! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا : للشهادة ، فقلت : فاز لعمرو الله (١) .

الشهادة أمنية وأمل :

هذه الصور الرائعة والكثير غيرها مما حفل به تاريخ الاسلام توضح كيف أن الشهادة بالنسبة للمجاهد أمنية وأمل . يسعى الى تحقيقه بل الى « الفوز » به ، وذلك أرقى درجات الارادة القتالية والقوة النفسية والمعنوية وهو ما ينفرد به منهج الاسلام فى بناء شخصية المجاهد ، وما لاتتسامى اليه أعظم نظريات المدارس العسكرية فى الشرق أو الغرب .

فالانسانية فى مختلف أزمنتها وأمكنتها تخاف الموت وتخشاه ، وهذا يقودها الى الاستعباد للأقوياء والذلة أمام الطغاة ، ويجعل القادة يبذلون غاية جهدهم لاقناع المقاتلين «بالتغلب» على هذا الخوف ، على أساس أن هذا الخوف أمر طبعى فى النفس الانسانية ، لايمكن انكاره أو الغاؤه ، وانما يكون المطلوب من المقاتل أن يحاول التغلب عليه ، وذلك هو أقصى ما تتمناه وتقدر عليه النظم الموضوعية لاعداد المقاتل نفسيا ومعنويا لمواجهة تحدى الموت ومشاق المعركة وأهوالها .

الاسلام يحرر المجاهد من خوف الموت :

أما الاسلام ، فانه يحرر شخصية المسلم من خوف الموت ، فان مالك الملك انما هو وحده الذى يملك الموت والحياة ، وهو الذى قدر الآجال وحدها « **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَايَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** » ، فالحرص على الحياة أو الجبن ليس من أسباب اطالة الأجل ، كما أن الشجاعة والاقدام ليسا من أسباب تقصير الأجل ، وقد بين الله تعالى ذلك فى كتابه الكريم ابانة تامة :

« **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** » (آل عمران ١٨٥)

« **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** » (النساء ٧٨) .

« **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَايَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَايَسْتَقْدِمُونَ** » (الاعراف ٣٤) .

« **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا** » (آل عمران ١٤٥) .

أما هؤلاء الذين قالوا : « **لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ**

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٣ — ١٨٧ .

الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا » فان الله سبحانه يرد عليهم : « قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ » (آل عمران ١٥٤) •

وهؤلاء الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا : « لَوْ أَطَاعُونَا مَاقُتِلُوا » فان الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله — صلى الله عليه وسلم — أن يرد عليهم قائلا : « فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (آل عمران ١٦٨) •

أما الذين يفرون أمام أعداء الله ، فهؤلاء « إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا » (آل عمران ١٥٥) •

اذن المؤمن الصادق الايمان لايعرف الجبن ، ولايستنزله الشيطان موسوسا له بالخوف من غير الله تعالى •

ومن أعظم مايروى فى هذا المقام أنه فى غزوة أحد ، وبعد أن أحاط المشركون بالمسلمين من كل جانب التف حول الرسول نفر قليل من المسلمين يدافعون عنه •• وفى ذلك الموقف العصيب ؛ بايع الرسول على الموت ثمانية هم على والزبير وطلحة وأبو دجانة والحارث بن الصمة والحباب ابن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ووقفوا يفدونه بأنفسهم ، ويقاتلون دونه ، ويتلقون السهام والطعنات والرماح والسيوف بأجسامهم ، ومع ذلك فلم يستطع المشركون أن يقتلوا منهم واحدا وعاشوا جميعا ! « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا » (آل عمران ١٤٥) •

المجاهد لايغلب أبدا :

يقول الله تعالى : « فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » (النساء ٧٤) .

يفهم من هذه الآية أن المجاهد فى سبيل الله يضع نصب عينيه أحد أمرين : اما شرف النصر أو شرف الشهادة •

والمتأمل فى المقابلة بين (يقتل) و (يغلب) فى الآية الكريمة قد يتساءل : لماذا لم يقل المولى جلت حكمته فيغلب (بفتح الياء) أو يغلب (بضم الياء) (١) ؟ لأن المقاتل اما أن يكون غالبا أو مغلوبا ؟

ويمكن الاجابة على ذلك بأن المجاهد المؤمن لايغلب أبدا (أى لايقهر) وذلك لأنه ينتظر احدى الحسنيين ولا ثالث لهما فيما يقدره من نتائج ، لأنه « فائز » فى كل من النصر أو الشهادة غير مغلوب •

وكذلك يلاحظ المتأمل فى هذه الآية أنه قدم فيها القتل على الغلب (فيقتل أو يغلب) وفى هذا تحريض للمجاهدين على الاقدام واسترخاص النفوس فى سبيل الله ، بل فيه اغراء بالاستشهاد ، واشعار بأن شرفه أعظم وأكرم من شرف النصر •

---

(١) أى دون ذكر « يقتل » .

المعركة مستمرة اذا لم يتحقق النصر :

كذلك يستشف من هذه الآية أن المقاتل المجاهد لايكف عن القتال حتى يكتب له النصر على عدوه ، فاذا لم يتحقق ، فالمعركة مستمرة مالم تزهق روحه ويقع سلاحه ، أى أنه لااستسلام فى الاسلام .

معية الله للمجاهدين :

كما يفهم أيضا أن المجاهد الصادق الذى يعد العدة الكافية ، ويتبع سنن الله فى الأرض ، لايمكن أن يغلب ، لأن الله تعالى فى هذه الحالة يكون معه ، ولأنه وعده بالنصر ، ووعد الله لايتخلف وقد قال تعالى :

« وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » (الروم ٤٧) .

« وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » (الحج ٤٠) .

« إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ » (النحل ١٢٨) .

« وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » (الصافات ١٧٣) .

الارادة القتالية لدى الشباب :

ومن صور الارادة القتالية لدى شباب المجاهدين أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منع سمرة بن جندب الفزارى ورافع ابن خديج وهما ابنا خمسة عشر عاما من الخروج للقتال ، فقيل للرسول : ان رافعا رام (أى يجيد الرمى) فسمح له ، ثم قيل له : ان سمرة يصرع رافعا ، فسمح له .

وقال عبد الله بن عمر : عرضت على رسول الله يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردنى ، ثم عرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى . ورد الرسول يوم أحد زيد بن ثابت والبراء بن عازب وعمرو بن حزم وأسيد بن ظهير ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم فى الخامسة عشرة .

ويقول عبد الرحمن بن عوف : « انى لفى الصف يوم بدر ، اذ التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمن بمكانهما ، اذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه : ياعم أرنى أبا جهل . فقلت : يابن أخى ، ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله ان رأيته أن أقتله أو أموت دونه .. وقال لى الآخر سرا من صاحبه مثله ، فأشرت لهما اليه ، فشدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى قتلاه » .. وقد استشهد هذان البطلان فى بدر وهما عوف وشقيقه معوذ ابنا الحارث الخزرجى الانصارى .

وأخرج ابن سعد عن سعد رضى الله عنه قال : رأيت أخى عمير بن أبى وقاص رضى الله عنه قبل أن يعرضنا (يستعرضنا) رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم بدر يتوارى . فقلت : مالك ياأخى ؟ قال : انى أخاف أن يرانى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيستصغرنى فيردنى وأنا أحب الخروج لعل

منابع الإرادة القتاليـــــة
للمجـــاهدين فى ســـبيل اللـــه

الله يرزقنى الشهادة . قال : فعرض على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فرده ، فبكى ، فأجازه . فكان سعد رضى الله عنه يقول : فكنت أعقد حمائل (حمالات) سيفه من صغره وهــو ابن ست عشرة سنة !

الارادة القتالية لــدى الشيوخ :

ومن صور الارادة القتالية لدى الشيوخ أن عمرو بن الجموح ــ وهو أعرج شديد العرج ــ كان له أربعة أولاد يقاتلون مع رسول الله ، فلما كانت غزوة أحد أصر على أن يخرج محاربا ، فأبى عليه أبناؤه لعجزه وكبر ســنه ، وقالوا : نحن نكفيك المؤونة ، وقد رفع الله عنك الحرج، فأتى الرجل الى رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ وقال : ان أبنائى يمنعوننى أن أجاهد معك . فقال له الرسول : ان الله قد وضع عنك الجهاد ، فقال الرجل : يارسول الله لاتحرمنى الجنة ، فانى أريد أن أدخلها فأطأ فيها بعرجتى، فقال الرسول لأبنائه ازاء اصرار أبيهم : ومــا عليكم أن تتركوه فلعل الله أن يرزقه الشهادة ، ثم خرج الرجل وقاتل واستشهد فى سبيل الله.

وقرأ أبو طلحة الانصارى سورة براءة حتى بلغ هذه الآية : (**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ**) فقال و يأمرنا أن نخرج خفافا ، شــباناوكهولا ، ماسمع الله عذر أحد ، وقال لبنيه : أى بنى ، جهــزونى ، جهزونى .. (يعنى الجهـــــاد) ، فقـــال بنــوه : يرحمك الله ! قــد غزوت مــع النبى ــ صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع أبــى بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحــن نغزو عنك .. فقال : لا ، جهزونى ، فجهــزوه بجهاز الحرب ، فغــزا فى البحــر . فمــات فى الطريق ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيهــا رضى الله عنـــه !

الارادة القتالية لــدى المــرأة :

حين خرج أبنـــاء الخنســاء الأربعـــة الى، القادسية ، توجهت اليهم بالوصية التى قــالت فيها « يابنى : انكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين .. والله الذى لا اله الا هو ، انــكم بنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحــدة ، ما هجنت حسبكم وما غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الاخرة خــير من الدار الفانيــة . اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . فان رأيتم الحرب قد شمرت عـــن ساقها وجللت نارا عــلى أوراقهــا ، فيممــوا وطيسها (المعركة والضرب) وجالدوا رسيسها (أصلهــــا) تظفروا بالغنــم والكرامة فى دار الحــرب والمقامة » .

فلما كشرت الحرب عن نابها ، تدافعوا اليها وتواقعوا عليها ، وكانوا عنــد ظن أمهم بهم ، حتى قتلوا واحدا فى أثر واحد .

ولما وافتها النعاة بخبرهم ــ وهى التى ملأت الدنيا على أخيها صخر الذى مات فى الجاهلية شعرا فيه رثاء وبكاء حتى فقدت بصرها ــ لم تزد أن قالت :

« الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » !!

ورحم الله ورضى عن الصحابية الجليلة أم خلاد عندما حضرت غزوة أحد مع زوجها وولدها وأخيها ، واستشهد الزوج والولد والأخ ، فحملتهم على بعيرها ، ولقيتها عائشة أم المؤمنين فى طريق المدينة فقالت لها : عندك الخبز فما وراءك ؟ قالت أم خلاد : أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جلل (أى هينة) واتخذ الله من المؤمنين شهداء ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾(١) .

قالت عائشة : من هؤلاء ؟ (تسأل عن الشهداء معها) قالت : أخى وابنى خلاد وزوجى عمر بن الجموح ! . وقد قال لها النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد أن دفنهم : « يا هند : ترافقوا فى الجنة ، عمرو بن الجموح وابنك خلاد وأخوك عبد الله » ، فقالت أم خلاد : يارسول الله ، أدع الله أن يجعلنى معهم .

لواء أ ح محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) تشير الى تراجع المشركين عن غزو قاعدة الاسلام فى المدينة ، والاكتفاء بمعركة خارجة عند جبل احد .

＊＊＊

■ من مزاعم المستشرقين حول الفكر الإسلامى

مع الفكر الغربى

■ القضاء وكتاب :
مقدمة فى فقه اللغة العربية

من مزاعم المستشرقين

حول الفكر الاسلامى

للدكتور محمد عبد المعطى بركات

(٣)

ونأتى الى الجانب التشريعى فى الاسلام . والحقيقة المعروفة أن مصدر التشريع فى الاسلام هو المعصوم : كتاب الله وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، اذ هى منه تعالى ، وحيا يوحى .

وهذه الحقيقة ليست تحكمية ، وانما لها قواعدها العقلية المتينة ومجال العقل فى التشريع مجال محدود . كما سيأتى .

فالتشريع فى الاسلام يرتكز على قاعدة وجوب أخذه من المعصوم . وهذه القاعدة مؤسسة تأسيسا عقليا صرفا . وبالتالى تصبح عصمة مصدر التشريع ضرورة عقلية . حتى يستقيم أمر الجماعة البشرية ، والا تخبطت فى قوانينها وتعثرت فى اصلاح شأن نفسها .

دليل العصمة .

والأساس العقلى فى الحاجة الى مشرع معصوم وهو الوحى الالهى ليس الا نجده فى حديث بعض فلاسفة الاسلام . وقد أجلاه ابن سينا اجلاء رائعا فى فكرة فلسفية قائمة على تحليل اجتماعى دقيق مؤداه .. أن الانسان محتاج الى بنى جنسه ولايتحقق الاجتماع الانسانى الا بالتعاون والتمانع ، أو بالمعارضة والمعاوضة .

فالانسان محتاج بطبعه الى اجتماع ، وهو معنى قول من قال أن الانسان مدنى بالطبع ، ولا يمكن لهذا الانسان أن يستقل وحده بأمر نفسه لأنه يحتاج الى أشياء كثيرة لا يمكن له أن يهيئها لنفسه اذا عاش فى عزلة، بل لابد من مشاركة الآخرين من بنى جنسه يقوم كل واحد منهم بعمل والتعاون والمشاركة لا يتمان الا بمعاملة ولابد فى هذه المعاملة — من سنة وعدل .

ولابد للسنة والعدل من قائم عليهما وذلك أنه لو ترك الناس وآراءهم لاختلفوا ولرأى كل منهم أن العدل الحقيقى ما يراه هو عدلا لا مايراه من عداه فيضطرب الأمر ويختل الاجتماع الانسانى .

فلابد من وجود انسان متميز باستحقاق الطاعة من الناس فيما يقرره بشأن تقرير وتحديد ما يحقق العدالة .

واستحقاق هذا الانسان للطاعة لا يكون الا

بخصوصية فى هذا الانسان . هذه الخصوصية ليست لسائر الناس ، ولا تتقــرر هــذه الخصوصية الا بآيات تدل على أن ما أتى به من أسس النظام وهو الشرع انمــا هــو من عند ربه •

وذلك الشخص هو « النبى » وليس غيره• والآيات المشار اليها هنا هى معجزاته ولاينتظم أمر الشريعة الا بتضمنها الثواب للمحســن والعقاب للمسيء •

وذلك يستلزم أو يتضمن معرفة المجــازى سبحانه ، وهذه المعرفة لا تثبت ولا تستقــر الا اذا كان معها سبب حافظ لها ، ومن هنــا فرضت العبادة المذكرة بالمعبود وكــررت فى أوقات متتالية كالصلاة وما يجرى مجــراها حتى يستمر التذكير • ويزول احتمال النسيان وبذلك تستمر الدعوة الى العدل الذى لولاه لما قامت للمجتمعات قائمة • لابد للمجتمــع اذن من نبى • ولا شك أن أفراد المجتمع باتباعهم شريعة النبى هذه ينالون السلام فى الدنيــا ، ولكنهم فضلا عن ذلك ينالون الاجر الجزيل فى الآخرة •

من هنا نلمح مدى متانة التأسيس العقلى للتشريع الالهى جملة • وندرك مدى عــلاقة تشريع العبادات بهذا التأسيس العقلى • من حيث دوام معرفة المجازى والمحاسب ، وهــو أمر هام فى الالتزام الأخلاقى وقاعدة الثواب والعقاب من أهم مايمكن أن ينظم به السلوك

الانسانى بل هى من عوامل اعــلاء أو ابدال الغرائز كما يقول علماء النفس •

راجع النمط التاسع من الاشارات لابن سينا مقامات العارفين فى حديث ابن سينا عــن الحاجة الى النبوة •

دواعى الانشال •

واذا كانت العبادات مرتبطة جميعها بالمبدأ الأصلى فى الحاجة الى التشريع الالهى عقليا واجتماعيا ، فان هذه العبــادات أو التكاليف اذا أخذت فرادى رأينا أن الاســلام خاطب العقل فيها عن طريق بيــان حكم معظمهــا وما تعود به من خير على الفرد والجماعة فى الدنيا والآخرة • وهذه الحكمة يظهر أثرهــا مباشرة على الفرد والجماعة كالصــلاة مثلا وعلاقتها بالنهى عن الفحشاء والمنكر • والنظافة للبدن والطهارة للروح • والزكاة وما فيها من نماء وطهر ، وتضامن وتعــاون وتكافل وغير ذلك كثير مما يطول شرحه ويقصر دونه المقام ، ولذلك وجدنا هناك من كتب من العلماء • مثلا أسرار العبادات فى الاسلام ، أو من كتب فى حكمة التشريع ، وكل هذه مقومات عقلية من شأنها أن تحث على الامتثال •

ورغم أن هناك أمورا تعبدية كثيرة — وهى التى لم نقف بشأنها على حكمة ، الا أن هــذه الأمور تأخــذ ســـندها العقلى من منطلق ما أسسناه عقليا من الناحية التشريعية •

وبناء عليه : فانه يكفى للاقتناع عقليــا بصحة الخبر الذى يحمل الينا هذا التكليف أو ذاك من الأمور التعبدية •

قصور العقل البشرى عن ادراك الذات العليا

على أن هذه الأمور تحمل فى نفسها معنى الابتلاء بالطاعة المطلقة ٠٠ أعنى أن عــدم استيعاب العقل لحكمة مع الامتثال أدخل فى باب الاسلام بمعناه الحرفى الذى يعنى الانقياد والتسليم أو اسلام الوجه لله •

ومن هنا يصح عدم بيان الحكمة . حكمة معقولة ومتعقلة لدى المؤمن على الرحب والسعة . من منطلق أنه أمر الهى واجب الامتثال .

هذا هو الاسلام فى ميزان العقل ، كما قلنا راجح تمام الرجحان ليس فيه ما ينفر منه العقل .

وانما هو دين متقبل عقليا مفهوم فلسفيا فى عقائده وتشريعاته .

وبرغم قيمة العقل الكبرى فىهذين الجانبين اللذين تحدثنا عنهما سواء فى : العقل فى — منظور الاسلام . أو الاسلام فى منظور العقل .

أقول .. رغم هذه القيمة الكبرى ، فان هناك نوعا من التحديد والتوجيه لهذه الملكة الانسانية ، من جانب الدين حتى لا تعمل مستقلة فتهلكوتهلك ، وهذا يجرنا الىالحديث عن مدى العقل وحدود قدراته المعرفية ؟

وهل هى مطلقة ؟

أو يمكن أن تكون مطلقة ولماذا ؟

واذا كانت مقيدة .

فما وجه تقييدها ؟

وما هو المجال الذى تعمل فيه ؟

هل هو الطبيعة ؟

أم ما وراءها ؟

واذا كان المجال الحقيقى للعقل هو الطبيعة

فهل يعنى ذلك انعزاله تماما عن الالهيات ؟

وهل هذا الانعزال يعنى التقليل من أهمية العقل ودوره فى الميتافيزيقا ؟

أقول .. ان للاسلام مع العقل فى هذا الشأن موقفا دقيقا ومعالجة دقيقة . فلقد حدد الاسلام للعقل مجالعمله المشروع ، حتى يمكن لهذه القوة الانسانية المميزة أن تعبر عن نفسها بحيث لا يؤدى كبتها كلية الى ارتباك نفسى وتوتر عصبى لدى هذا الكائن المعقد الذى شاء الله سبحانه وتعالى أن يطبعه على حب الاستطلاع . ومقتضى العدل الالهى حينئذ أن يفتح له مجال التعبير عن هذه الفطرة . مثل العقل فى ذلك مثل أى استعداد نفسى مركوز فى الفطرة البشرية ، ومن هنا كان هذا التحديد الذى يتضمنه الأثر النبوى الشريف الذى يقول فيه الرسول — صلى الله عليه وسلم — :

(تفكروا فى خلق الله ، ولا تتفكروا فى ذاته فتهلكوا) . الجامع الصغير منأحاديث البشير النذير للسيوطى حـ ١ .

ومن الملفت للنظر هنا أن هذا الأثر تمسك به المستشرقون الذين يرمونالاسلام بالحجر على العقول. ويقولون : ان هذا الحديث ينهى عن التفكير فى الالهيات والالهيات جزء من موضوع التفكير الفلسفى .

ولكن الواقع أن هذا الحديث الشريف يوجه التفكير وينظمه ولا يمنعه أو يحظره كما فهم ذلك بعضهم . هو يوجهه الى التفكير فى الطبيعة والكون ، ويمنع التفكير فى الذات الالهية ويعنى به محاولة استكناه الذلت العلية واستيعاب حقيقتها المقدسة ، وهو أمر خارج عن نطاق العقل .. وليس يمنع التفكير فى الالهيات من جميع الجهات . والا لما أهاب الكتاب الكريم بالعقل وخاطبه فيما يتعلق بوجود الله وصفاته على ما مر . أما محاولة الوصول للى حقيقة الذات أو معرفة كنهها فهذا هو المجال المحرم على العقل ولوجه فى النظرة الاسلامية الصحيحة . لاستحالة

احاطة مخلوق محدود بخالق لا محدود .ولا عن الاستدلال على وجود الله والعقائد .

وقد وجدت حكمة قديمة منقوشة على معبد بصالحجر . مؤداها : « محال على من يفنى أن يكشف النقاب عمن لا يفنى » .

ونستطيع بناء على ذلك أن نقول ، ان عزل العقل عن مجال الالهيات من الحيثية السابقة، هو عزل جـزئى ، لا عزل كلى . لأن الشرع صحب العقل الى الاستدلال على العقـائد .. وكذلك استصحب الاسلام العقـل الى الايمان بالغيبيات لأنها فوق طاقته ، وكـذلك الاستقلال بالتشريع أيضا أمر لا يتحمله العقل وقد مر بنا بيان الحاجة عقليـا الى المشرع المعصوم حتى يسـتقيم حـال الجماعـة الانسانية .

وان كان قد ترك له بعض المجالات سـيأتى بيانها .

حكمة معونة الاسلام للعقل فى معرفة الالهيات

ومن المهم أن ننبه هنا الى أن استصحاب الاسلام للعقل فى الاستدلال على الالهيـات والغيبيات جاء من منطلق مراعاة الاسـلام لأمر آخر فطر عليه الخلاق العليم الانسان ، وهو حب استطلاع الغيب ، وقد شغل هـذا الموضوع الناس قديما ، خاصة فيُمـا يتعلق بالمبدأ والمصير ونشأت حول هـذا الموضـوع فلسفات عديدة لم تأت الا بنتيجـة قلقـة لا تسمو الى مرتبة ما أتى به الدين أو ماأرشد اليه العقل فى هذا المجال ، وهو مجال الغيب الملح على عقل الانسان .

ونستطيع من خلال هذه النظرة فى ميـدان عمل العقل أن نقرر أن للعقل مجالا فى الالهيات والغيبيات ، ولكنه مجال للاستدلال للايمـان لا للاحاطة ومعرفة الكنه . وفى هذه الحدود فان عمل العقـل فى صورته المثلى يجب أن يسير فى ضوء الدين مسترشدا بتوجيهاته . والا فقد يضل أو يزل ، ومن الانصاف للعقل البشرى أن نقول انه فى حـركته المطلقة قد يهتدى بنفسه الى وجود خالق للكون مثلا . وقد يهتدى أيضا الى أن هناك خلودا وحيـاة أخرى . كما قيل مثلا أنه لو لم يكن هناك دار حساب أخرى ما كان أعظم حظ الأشرار .

ولكن نحب أن نلفت النظر هنا الى أنه : اذا كان هناك عقل يثبت فهناك أيضا عقل ينفى !! فهناك دليل على القضية . ودليل على نقيضها. فأصبح التفويض للعقل الخالص مدعـاة الى القلق والحيرة .

وتلك ظاهرة لمسها الامام الغزالى — رضى الله عنه — ولمسها فى العصر الحديث الفيلسوف الألمانى « عمانويل كانت » حيث أكد كل منهما قصور العقل فى هذا الميدان . ميدان الالهيات والأخلاق .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الاسـلام فى مجال للتشريع قد وضع الأصول والمبـادىء فى التشريع والأخلاق . لأن مصدرها لابد أن يكون معصوما كما قدمنا آنفـا ، ولكن من الانصاف أن نقول .. انه ترك للعقل مجـالا خصبا فى هذا الميدان ، لكنه بعيـد عن تقنين المبادىء والأصول ، فكانت شرعية الاجتهـاد لادخال غير المنصوص تحت المنصوص وقياس مالا نص فيـه عـلى مافيـه نص بنـاء عـلى منهـج مسـتقيم كالمنهج الأصولى ، كذلك الاستحسان والمصالح المرسلة . وحديث معاذ بن جبل يوضح هـذا المعنى كثيرا حينما بعثه الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى اليمن فقال : بم تحـكم ؟

قال معاذ : بكتاب الله . قال : فان لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ . قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ولا آلو . فقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ورسوله .

خطورة ترك العقل لنفسه

أما أن يستقل العقل كلية بالتشريع الأخلاقى والتقعيد السلوكى فتلك داهية الدواهى ، لأن الحق أنه ليس أجرأ على العقل من العقل نفسه ، ومن هنا يفقد التشريع صفة الالزام . فليس عقل المتبوع بأرجح من عقل التابع . خاصة فى نظر التابع وكلها عقول .

وهكذا ، علاوة على قصور التشريع فى ذاته حينئذ لأنه سوف يحمل كل خصائص البشر من عجز وقصور . فلا يحسن توجيه الانسان وقيادته الا خالقه جل وعلا ، ومن هنا كان وجوب عصمة مصدر التشريع الذى يتسم بالعموم والدقة والالزام السماوى أيضا ، لأنه وحده هو الذى يوفر عنصر المراقبة الداخلية وهذه كلها خصائص لا يمكن أن تتمثل فى تشريع بشرى مهما بلغ عقل صاحبه نبوغا وعبقرية .

تخبط العقل المجرد فى مجال الالهيات

ومن المهم أن نقرر هنا أن عزل العقل عن هذه المجالات معقول ، وليس عزلا تحكميا ..

وذلك أن التاريخ نفسه ينبئنا بعجز العقل فى هذه الميادين ولا أدل على ذلك من أن حصاد العقل فى هذا الميدان حصاد بلغ الغاية فى التناقض والاختلاف فى قضايا الميتافيزيقا والأخلاق . وكل مذهب يقوم على أشلاء سابقة ويستمد قواعده من حطام قواعد سابقة . والدليل على ذلك هذا الكم الهائل من الفلسفة اليونانية المتناقضة فى ميدان الالهيات والأخلاق فالله يعلم ما فى الكون عند أفلاطون . ولا يعلمه عند أرسطو . والنقص عند أحدهما كمال عند الآخر . هو مدبر للعالم عند فلان ، ومعزول عنه عند فلان .

كذلك لكل رأيه فى تحديد مفهوم الخير والشر . لاتكاد تظفر بمفهوم واحد لهذه الأمور فى تاريخ العقل الفلسفى وهذا يدل على أن هذا الميدان فوق العقل وأسمى من قدراته . ولا يقدر على سبر أغواره مستقلا عن هدى الخالق جل وعلا .

والملفت للنظر فى هذا الموضوع أنه كان فى اليونانيين أنفسهم من أدرك أن موضوعات الميتافيزيقا فوق العقل وأن خوض غمارها بالعقل الخالص مغامرة غير مأمونة العواقب. بل كانوا يتشوقون ــ فيما يحكى عنهم ــ الى وحى الهى يحسم هذه المسألة ويريحهم من هذا العناء الذى لا فائدة من ورائه ويأخذ بأيديهم .

فقد ورد عنهم أن جماعة من علمائهم كانوا يتناقشون فى مسألة خلود النفس ، ولكن لم يستقم لأى طرف من أطراف المناقشة دليل فسكتوا ثم قال أحدهم ــ وهو سمياس :

ــ ان العلم بحقيقة هذه الأمور ممتنع أو عسير جدا فى هذه الحياة ولكن من الجبن اليأس من البحث قبل الوصول الى آخر مدى العقل . فيجب : اما الاستيثاق من الحق واما ان امتنع ذلك استكشاف الدليل الأقوى والتذرع به فى اجتياز الحياة كما يخاطر المرء بقطع البحر على لوح من الخشب مادام لا سبيل لنا الى مركب أمتن وآمن ، أعنى الى وحى الهى .

من مزاعم المستشرقين

يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ومحاورات أفلاطون سمياسى •

وهذا فى الحقيقة يعكس الحيرة التى يمكن أن تصرع العقل فى غياب الوحى الذى يمكنه — وليس غيره — أن يحسم هذه القضية أو تلك مما هو فوق طاقة العقل ويهديه فيها ويرشده •

وبناء على ذلك وعلى شهادة التاريخ الفلسفى الانسانى بعجز العقل الخالص عن حسم هذه القضايا •

فاننا اذا سألنا العقل نفسه : أيهما أجدى وأليق بمكانة العقل نفسه •• أن يطلق سراحه ليعمل فيما يقع تحت سيطرته ومالا يقع ؟ أم أن يحجز عما لا ينتج فيه وتوفر طاقته الى مجاله الحقيقى • وهو الكون ؟

أقول : اذا وجهنا مثل هذا السؤال الى العقل الذى يحترم نفسه فانه لا يتردد فى اختيار الشق الثانى وهو أن يعمل فى مجاله • وهو الطبيعة • ليفيد ويستفيد ولا يضل أو يضل لأن عمله فى غير مجاله لا يجديه نفعا وانما ينهكه ويبدد طاقته فيما لا يفيد •

تكريم الاسلام للعقل

ومن الواضح أن الاسلام لا ينظر الى هذا العقل المحدود نظرة احتقار نتيجة لمحدودية بل تراه قد حباه حبا • بأنواع التكريم والصيانة على ما مر فى مقدمة هذه الدراسة ومجالات الانتفاع بالعقل فى حدوده كثيرة وكبيرة • فليس المقصود الحط من قيمة العقل ولا يمكن أن يكون ذلك القصور — وليس التقصير — عيبا يؤخذ عليه ، فذلك فوق مقدوره وأبعد من طاقاته ، واذا كان هذا قصور وليس تقصيرا فلا ينبغى أن يعاب عليه وانما يعاب على التقصير فيما يقع تحت قدرته •

ومن هنا كان الأمر باستعمال العقل فى مجاله ، ولا يستطيع عاقل أن ينكر فضل قوة العقل الرائعة فى حياة الانسان فى القديم والحديث ، فالقلم الذى أكتب به ، والورق المصقول الذىأكتبعليه ، والمصباح الكهربائى الذى أستضىء به فى كتابتى ، والسيارة التى أركبها وصولا الى عمالى ، والمطبعة للتى تطبع هذا المقال وغير ذلك •

أقول : هذا وغيره كثير ما هو الا بعض ثمار هذا العقل فى مجاله الذى أعد له •

ومن الواضح أن خطأ العقل فى هذا الميدان ربما لا يضير أو يشين • فجهد العقلقائم على التكميل وهو ميدان لا يتأتى فيه تضارب العقول ، ولا تكفير بعضها لبعض •

ولعله من الواضح أن عمل العقل فى ميدانه غير مفصول عن قضية الميتافيزيقا ، لأن عمل العقل على النحو الذى قدمناه يعضد الايمان ويحرسه من الطعن والتشويه ، كذلك يمكن من تسخير الكون لمنفعة الانسان على أتم وجه ، وهذا يؤدى الى تعميق الايمان بالله سبحانه وتعالى، مما يصبح الايمان معه ايمانا علميا مؤيدا بالدليل العلمى •

فهناك الاستدلال وهناك التسخير •

الغرور آفة قاتلة

ولكن ما هو الداعى الذى يصرف العقل عن ميدان تأثيره وانجازاته الى مجال عجزه وتعثره ، حتى يضل ويتناقض على النحو الذى قدمناه ؟

أقول : قد يكون ذلك من قبيل الغرور • فقد تصور أنه قادر على حسم مجال الالهيات

والغيب والأخلاق بناء على تفوقه فى مجال الطبيعيات ، أو الرياضيات مثلا ، فطرق مجال الغيبيات والالهيات • والفرق شاسع بين الاثنين ، لأنه فى الأولى برهانى ، وفى الثانية تخمينى على حد تعبير الامام الغزالى — رضى الله — عنه •

أما الأمر الثانى فقد يكون ذلك نتيجة لغياب الوحى الالهى فى بعض البيئات ، وقد يكون ذلك على فترة من الرسل • فيظل الدافع الداخلى لحب الاستطلاع يلح على الانسان فينطلق العقل محاولا الاجابة عما يطرقه العقل نفسه من أستفسارات تتعلق بالمبدأ والمصير ، والعلة الأسمى ، والأخلاق وغير ذلك •

وفى الحق أن ميدان الطبيعة والكون ومافيه ممتد أمام العقل يكتشف فيه كل يوم جديدا ومع ذلك لا ينتهى ، وذلك كله يمكن أن يؤكد قضية الالهيات على نحو مستقيم وصدق الله العظيم اذ يقول : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١) »

وقد يكون للعقل شطحاته فى وجود دين ولكنه لا يكفيه مئونة هذه الامور نتيجة لأنه دين وثنى أو شعبى كما كان شائعا فى البيئة اليونانية،ومن هنا نفهم استشراف «سمياس» الى وحى الهى لا الى دين أى دين أما محاولة السير الى هذه الامور بالعقل الخالص • مع وجود الوحى الالهى الذى يحكم فى هذه القضايا أو ينهى عن الخوض فيها فهو امتداد لنزعة الغرور الزائد •• وهنا فى هذه الحالة قد يهوى العقل بصاحبه الى دركات الكفر وليس ذلك ببعيد •

لكن العقل اذا اتخذ منطلقه الاصول الشرعية الوحيية أمن السلامة فى انطلاقه وحتى اذا أخطأ العقل فى هذه الحالة فهو غير مذنب بل هو مأجور لأن المجتهد دائر بين الأجر والأجرين كما تعلمنا ذلك فى الأصول •

والحق أن مسيرة العقل مع الكون مستمرة وكلما اكتشف جديدا لنتهى به وحسب أنه وصل الى نهاية المطاف ولكنه سرعان مايكتشف أن ما أنجزه ما هو الا حلقة فى سلسلة متصلة أو درجة فى سلسلة الترقى نحو استيعاب حقائقه يتقدم العقل فى اختراع وسائل الكشف فيكتشف الجديد ومن هنا نعمنا بالمخترعات وشقينا بها أيضا •

أما كيف نشقى فذلك موضوع طويل يدعونا الى أن نبحث مدى حركة العقل فى الطبيعيات والكون وهل هى مطلقة أو مقيدة ؟

واذا كانت مقيدة فهل هذا التقييد كمى أم تقييد كيفى •• وهل يحتاج العقل الى الدين ايضا وارشاده فى الميدان الطبيعى العلمى •

هذا وغيره ما سوف يكشف عنه الجزء الثانى من هذه الدراسة وهوموقف الاسلام من العلم لأن هناك شبهات طرحها المستشرقون حول جهود المسلمين العلمية •• فالى اللقاء • والله وحده المستعان •

الدكتور
محمود عبد المعطى بركات

---

(١) فصلت ٥٣

القضاء
وكتاب
مقدمة فى فقه اللغة العربية

للدكتور لويس عوض

القضاء يقرر :

أن حرية الرأى فى نطاق الدستور ليست حرية السخرية أو حرية الازدراء بالشرائع .

وأن هذا المؤلف لم يستهدف فى كتابه مجرد البحث العلمى ، وانما اللمز المستتر حينا والبين احيانا

ملخص للحكم والمبادىء القانونية التى تضمنها قرار المحكمة بتأييد أمر ضبط كتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور لويس عوض .

ـ أبلغت ادارة البحوث والنشر بالأزهر الشريف ـ مباحث أمن الدولة ـ بأن كتابا بعنوان « مقدمة فى فقه اللغة العربية » تأليف الدكتور لويس عوض ـ متداول فى الأسواق ـ وأنه يتضمن تهجما على الاسلام والمسلمين وعلى اللغة العربية والقرآن الكريم . كما يتضمن بعض الموضوعات التى تنال من الاسلام وتهاجم القرآن الكريم وتشكك فى صحته ـ وطلبت ادارة البحوث والنشر بالازهر اتخاذ اللازم قانونا نحو مصادرة الكتاب ـ حفاظا على مشاعر المسلمين ومنعا من حدوث فتنة ـ وذلك للأسباب المفصلة فى طلبها .

ـ قامت مباحث أمن الدولة بتحرير محضر عن هذه الواقعة مؤرخ ١٩٨١/١٢/١٥ والتحفظ على عدد ٢٤٠٠ نسخة من نسخ الكتاب التى تم طبعها بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب وعددها ٣٢٩٠ نسخة .

ـ وبعد اتخاذ الاجراءات القانونية ـ أعلنت النيابة المتهم بالحضور أمام جلسة المحكمة المحددة للنظر فى أمر ضبط الكتاب المذكور ـ وأبدى كل من الطرفين وجهة نظره ودفاعه ـ على النحو الذى أوضحه الحكم ـ ثم أصدرت المحكمة قرارها بجلسة ٨٣/٦/٣٠ حضوريا بتأييد أمر ضبط الكتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور لويس عوض . وقد أرست أسباب هذا القرار المبادىء القانونية الآتية :

١ ـ أن المادة ٤٧ من الدستور الدائم الصادر سنة ١٩٧١ صريحة فى أن حرية الرأى مكفولة لكل انسان فى حدود القانون والنقد

الذاتى البناء ــ ضمانا لسلامة البناء الوطنى وحرية العقيدة ــ ومن ثم فان حرية الرأى فى رأى الدستور ليست حرية السخرية ــ أو حرية الازدراء بالشرائع أو النظم والقوانين أو حرية التحريض على ماهو قائم فى المجتمع • وليس من قبيل النقد المباح ــ النقد الذى يتضمن التشهير أو التحريض أو الازدراء أو الاثارة •

٢ ــ أن المادة ١٠٢ مكرر من قانون العقوبات تنص على أن كل من أذاع عمدا أخبارا أو بيانات أو اشاعات كاذبة أو مغرضة أو بث دعايات مثيرة فيها ايذاء لمشاعر وشعائر الديانات الأخرى ــ ولا يشترط فى وجوب العقاب طبقا لما ورد فى الفقرة الاخيرة من المادة المذكورة عدم صحة البيانات أو الاخبار المذاعة أو المؤلفات بل يكفى أن تكون مغرضة •

٣ ــ وأنه بانزال حكم القواعد المتقدمة على موضوع الكتاب محل المساءلة وماورد به من تعليقات يبين :

أولا : أن المؤلف أورد بصفحة ٣٠٦ من كتابه أنه يلاحظ أن كلمة « صمد » العربية ــ وهى من الاسماء الحسنى ــ كلمة محيرة ــ لأنه مادة جامدة ــ وأنها كلمة غامضة المعنى نادرة الاستعمال ــ الاسم فيها هو الصفة والصفة هى الاسم ــ وأن معنى الصمدية ــ فى رأى المؤلف ــ هو « الثالوث » ، أو الثلاثة ــ فاذا كان الامر كذلك كان معنى للصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الانبثاق ــ ورفض مساواة المسيح لله فى الجوهر •

وهذا من المؤلف يتعارض مع السورة الكريمة : « **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ــ اللَّهُ الصَّمَدُ ــ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** » صدق الله العظيم ــ ومع للآيات الكريمة التى أوردها القرآن الكريم ــ وأثبتها الحكم فى أسبابه ــ والتى تقطع بوحدانية الله سبحانه وعبودية المسيح عليه السلام لله تعالى ــ وأنه ــ سبحانه ــ أفرد نفسه بالصمدانية أى بالفردية ــ وأكد ذلك فى كتابه العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •

ثانيا : أما ما ساقه المؤلف من انكاره لخصب جنوبى الجزيرةالعربية (اليمن) فى التاريخ القديم وتقريره بأن هذا القول يحتاج الى تشنجات جيولوجية فى تفسيره ــ فقد رد الحكم عليه بأن ذلك مخالف للثابت فى الآيتين ١٥ ، ١٦ من سورة سبأ اذ قال الله تعالى : « **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** » ــ الى آخر الآيات •

ثالثا : أن المؤلف تطرق فى صفحة ٥٤ ، ٥٥ من كتابه الماثل ــ الى القول بأن الاسلام الصحيح فيه طبقات غير طبقات الايمان والتقوى والعمل الصالح ــ وهذه هى طبقات العرق للعربى واللغة العربية ــ وهو مالم ينص عليه صراحة فى التاريخ الاسلامى خشية الفتنة ولمخالفته ، صراحة لجوهر الدين بل ولنصه ــ ولكنه متضمن فى تكوين الدولة الاسلامية ــ وقد رد الحكم على ذلك بأن هذا يتضمن من المؤلف زعما بأن الاسلام ينطوى على مايسمى بالعنصرية والعصبية والتفرقة ــ وهذا منه افتراء لايطابق الواقع والحقيقة ــ كما يخالف صريح الآية الكريمة :

القضاء
وكتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ـ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » صدق الله العظيم •

رابعا : وأما ما أثاره المؤلف فى صفحة ٦٣ ، ٦٤ من كتابه باتهامه الامام الشافعى ــ وهــو أحد الأئمة الأربعة ــ بالعصــــبية والعنصرية لمجرد أنه قال بأن لغة القرآن العربية تخلو من الألفاظ الأعجمية ــ فانه مردود عليه ــ عــلى النحو الذى أورده الحكم تفصيلا ــ فضلا عن مخالفته لقوله سبحانه فى كتابه الكريم: « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا » ــ وقوله سبحانه : « إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » صدق الله العظيــم •

٤ ــ وبعد أن فندت أسباب الحكم أقــوال المؤلف على التفصيل الذى أوضحته فيهــا ــ انتهى القرار الى أنه يبين مما سلف أن الغرض من المؤلف ليس مجرد البحث العلمى • بل ان به لمزا مستترا بقول مؤلفه أن الصمدية تعنى الثالوث فى اللغة المصرية القديمة ــ وكذلك فى اللاهوت ــ ولايسع المحكمة والحال كذلك ــ بالرغم من كون الكتاب قد قامت بطبعه مطــابع الدولة وباشرافها ــ الا أن تقول كلمتها فى هذا المؤلف المليء بالتحريض على التنافر والفتنة ــ ويحوى كثيرا من الهدم للأسس فى الكــون والخالق والحياة والآخرة والدين الاســلامى الحنيف ــ الذى وسع كل شىء ــ وأن تقضى بتأييد أمر الضبط لهذا الكتاب الذى ينال من الاسلام ويهاجم القرآن ويشكك فى صحة ماجاء به ــ ويتهجم على علماء المسلمين ويصفهم بما ليس فيهم •

ولهذه الاسباب قضت المحكمة بتأييد أمــر ضبط كتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربيــــة » للدكتور لويس عوض •

« بسم الله الرحمن الرحيم »

باسم الشــعب

محكمة جنوب القاهرة الابتدائية

حكــــم

بالجلسة المنعقدة علنا بسراى المحكمة فى يوم الخميس الموافق ١٩٨٣/٦/٣٠ م برئاســـة السيد الأستاذ : حسنين فؤاد •

رئيس المحكمة

صدر الحكم الآتى

فى التظلم رقم ٦٣٥ لسنة ١٩٨١ حصر أمن الدولة العليا المرفوع من : نيابة أمن الـــدولة العليـــا •

ضــــد

الدكتور/لويس عــوض

الهيئـــة

بعد سماع المرافعة ومطالعة الأوراق •

حيث ان الواقعة تخلص فيما أثبته محــرر محضر الضبط المقدم حمدى عبد الكــــريم بمحضره المؤرخ فى ١٩٨١/١٢/١٥ من أنه تم اخطار مباحث أمن الدولة من ادارة البحــوث والنشر بالأزهر الشريف من أنه يتــــداول

بالأسواق كتاب بعنولن « مقدمة فى فقه اللغة العربية » تأليف الدكتور لويس عوض وأن الكتاب يتضمن تهجما على الاسلام والمسلمين وعلى اللغة العربية والقرآن الكريم ، وأن الكتاب يتضمن بعض الموضوعات التى تنال من الاسلام وتهاجم القرآن الكريم وتشكك فى صحته (على التفصيل الموضح بالتقرير المرفق) وطلب السيد الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف اتخاذ اللازم قانونا نحو مصادرة هذا الكتاب حفاظا على مشاعر المسلمين ومنعا لحدوث فتنة .

وقد تم طباعة الكتاب بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وقد تم التحفظ على عدد ٢٤٠٠ نسخة من نسخ الكتاب المطبوعة وعددها ٣٢٩٠ نسخة ، ومرفق طيه عدد ثلاث نسخ وأرفق بمحضره تقرير صادر من مجمع البحوث الاسلامية « الأمين العام المساعد ، بمآخذ الأزهر على كتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » تأليف د. لويس عوض .

فى الفصل الثانى من هذا الكتاب يرى المؤلف أن مذهب أهل السنة فى القول بقدم القرآن وما تبعه من القول بقدم اللغة العربية يرتبط بنظرية اللاجوس المسيحية التى تقول بقدم الكلمة . ففى نظره أن فقهاء الاسلام اجتهدوا أن يضعوا نظرية الوحى فى الاسلام على غرار نظرية اللاجوس وهى كلمة الله المرادفة لعقل الله أو للروح المقدس ، أو نظرية الفيريوم وهى كلمة الله المرادفة للعقل الالهى ، أو الغياب أو الخلق الأول بكلمة « كن فيكون » فكان الكون وهى فى نهاية الأمر صورة من صور اللاجوس المرادفة لعبارة « روح الله وكلمته » ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٦٩ من الكتاب .

مهاجمة الكتاب عقيدة التوحيد الاسلامية وجعلها تقوم على مبدأ التثليث ، وكثيرا ما حاول وصم الاسلام بهذه النظرية فى مواقع كثيرة ، ويزعم أن كلمة « صمد » فى العربية ــ وهى من الأسماء الحسنى ــ كلمة محيرة لأنها مادة جامدة لم تشتق من فعل ولم يشتق منها فعل ويفهم من كلام د/لويس عوض ما يلى :

(أ) ان « صمد » ثلاثة وان الثلاثة فى مفهوم الكلمة قائم على اختلاف علماء اللاهوت المسيحية وطبيعةالمسيح والله وكيفية اتصالهما بكلمة « صَمد » بمعنى الاسم فيها هو الصفة والصفة هى الاسم ومعنى (الصمدية) الثالوث أو الثلاثة .

(ب) لم تشتق كلمة « صمد » من الفعل صمد أو يصمد .

(جـ) الصمد من الأسماء الحسنى وهى كلمة نادرة الاستعمال غامضة المعنى ، وهى كلمة محيرة ولذلك ربط المفسرون معناها دائما بتوكيد التوحيد وانكار التثليث فى مفهوم الصمدانية « ص ٣٠٥ » .

وزعم أن كلمة « الصمد » فى القرآن الكريم تنطوى على مبدأ التثليث ، فعند حديثه عن العدد « ثلاثة » ص ٣٠٥ عقد مقارنة بين كلمة « خمت » المصرية وكلمة « صمد » العربية وجعل كلا منهما مساوية للأخرى ، أو بعبارة ثانية جعل قوانين الفونطيقيا تسوغ التبادل بين الخاء الحامية والصاد العربية وبين التاء الحامية والدال العربية ، وحكم بأن الكلمة العربية « صمد » متطورة عن الكلمة المصرية القديمة « خمت » ومادام قد ذكر أن كلمة « خمت » المصرية ثلاثة فان كلمة صمد = ثلاثة أيضا .

الفضاء وكتاب..

يقول الكتاب . وطبقا لقوانين الفونطيقيا « خمت » المصرية = « صمد » العربية قانون (ح) الحامية تساوى س السامية فاذا كان الأمر كذلك كان معنى الصمدية « الثالوث » أو الثلاثة وكان معنى الصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الانبثاق .

نقول ان هذه التصورات مجرد أوهام لاتجد الدليل العلمى .

ومن الجوانب الخطيرة فى هذا الكتاب التهجم على النصوص القرآنية فالكاتب مثلا ينكر أمر خصب جنوبى الجزيرة العربية « اليمن » فى التاريخ القديم ويصف القول بخصب هذا الجزء من الجزيرة بأنه تشنجات بشرية تحتاج فى تفسيرها الى تشنجات جيولجية .

ونقول هذا انكار للحقائق المسلم بها وثائقيا وتاريخيا ، فالقرآن الكريم وهو أوثق النصوص وأعلاها يشير الى خصب جنوبى الجزيرة العربية قائلا : (**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ**) صدق الله العظيم فانكار خصب اليمن ووصفه بأنه تشنجات يعد اتهاما للنص القرآنى الموثوق به .

ومع ان الحقائق والوثائق تؤيد ما جاء ان الاسلام لاينطوى على العنصرية والعصبية فالاسلام كان يضم العرب والمستعربين « الموالى » .

وبالطبع — فى زعمه — يتضمن أن الاسلام الصحيح فيه طبقات غير طبقات الايمان — والتقوى والعمل الصالح وهو مالم ينص عليه صراحة فى التاريخ الاسلامى خشية الفتنة ولمخالفته صراحة لجوهر الدين ص ٥٤ من الكتاب .

وهذا من الكاتب مخالفة تاريخية وعلمية ، فالاسلام كان ومايزال يهتم بغير العرب وكان للموالى من الشرف الى حد كبير فى عصر الرسول — صلى الله عليه وسلم — والقرآن الكريم يضع هذا المبدأ المهم قائلا : (**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) (١) صدق الله العظيم .

أما أن مبدأ العنصرية لم ينص عليه صراحة فى الدين الاسلامى خشية الفتنة فهذا لا دليل عليه من الواقع ولا من التاريخ .

وهو يناقض نفسه حين يدعى أن جوهر الدين الاسلامى يتنافى مع التعصب وقد جعل الكتاب العصبية والعنصرية تتجلى فى قريش لأنهم آل النبى ومنهم من نشأ منشأ الترف معهم تبعا لهذه القبيلة .

ثم ان الخوارج والشيعة تمثلان — فى رأيه — ثوره واحتجاجا على سيادة الجنس العربى

---

(١) سورة الحجرات ، آيه ١٣ .

على الشعوب الاسلامية باسم اللغة والدين — بل وسيادة قريش على كافة القبائل العربية لمجرد أن النبي كان قرشيا . ص ٥٤ .

كما اتهم علماء العربية بالتعصب والعنصرية حين تحدثوا عن أثر لهجة قريش فى العربية وأنها تغلبت على بقية اللهجات واللغات العربية، وجعل ذلك كله بسبب نزول القرآن الكريم بلهجة قريش ، وبسبب سيادة قريش ولهجتهم بعد انتصار الاسلام .

وهذا الحديث من الكاتب قصد به الغض من شأن اللهجة القرشية خاصة واللغة العربية عامة والغض من شأن أصحاب تلك اللهجة التى نزل بها القرآن الكريم والتقليل من أثرها فى تكوين اللغة العربية ومحاولة ارجاع ذلك الاثر الى العصبية والعنصرية ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

اتهم الكاتب أئمة الاسلام كالامام الشافعى وأبى عبيدة بالعصبية والعنصرية أيضا لمجرد أنهما قالا : ان اللغة العربية تخلو من الالفاظ الأعجمية فقد اتهم قول الامام الشافعى بسعة اللغة العربية وامكان اتفاق لغتين فى بعض الألفاظ بأنه موقف دعاة العنصريةالعربية الذين غالوا فى تصورهم لقدم الجنس العربى والحضارة العربية ص ٥ كما ادعى أن نظرية التعصب للغة العربية بجعلها لاتقبل الألفاظ الدخيلة هو السبب فى دخول العربية فى مأزق شطرها الى لغتين لغة الكتابة المقدسة ولغة الكلام الدارجة ، وأن العلماء الذين قالوا بوقوع الأعجمى فى القرآن ليسوا شعوبيين بل منهم جمع غفير من الصحابة مثل ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبى عبيدة القاسم ابن سلام وغيرهم من جلة العلماء وكبار الباحثين قديما وحديثا.

أما دعواه بأن منع وقوع الأعجمى فى القرآن شطر العربية الى شطرين فهى دعوى غير مسلم بها ، بل انها تنطوى علىنظرة خبيثةتريد ترك الباب مفتوحا لدخول الألفاظ والتراكيب الأجنبية فى اللغة العربية لتفقد اللغة العربية شخصيتها ، بل ان طبيعة الانضباط وعدم التهاون هى التى حفظت لنا لغة القرآن سليمة حتى الآن .

فهذه التهم التى ألقى بها الكاتب تعد سابقة خطيرة فى التهجم على أئمة الاسلام والتهوين من شأن هؤلاء الأعلام وأثرهم ومكانتهم العلمية والدينية للمسلمين ولأئمة العربية وأنه يريد أن يصل الى أغراضه عن طريق قلب الموازين والحقائق وجعل اللغة طريقه .

وقد استنتج بناء على مقدمات افتراها أن صلب اللغة العربية ذاته كان من صلب الشجرة التى تفرعت عنها المجموعة الهندية الأوربية قبل هجرة العرب من موطنهم القوقازى الى شبه الجزيرة العربية التى تحمل اسمهم الآن ، وبالتالى فانه ادعى أن مانجده من عناصر غير هندية أوربية هو الدخيل وليسصلب الأصلاب وهو بهذا يحاول أن يثبت أن كتابه يقوم على دعم رأيه للذى يقلب الموازين فيجعل اللغة العربية من فروع اللغات الهندية الأوربية ، اذ أنه يقول انه انتهى من أبحاثه فى فقه اللغة الى أن اللغة العربية هى أحد فروع الشجرة التى خرجت منها اللغات الهندية الأوربية ، وأكثر من ذلك فانه جعل التأثير الاوربى مستمرا فى اللغة العربية حتى عصر الرسول — صلى الله عليه وسلم — .

ومن المغالطات الكبيرة فى هذا الكتاب محاولة من الكاتب فصل مصر عن العرب والساميين

وجعلها حامية وهى محاولة تدحضها حقائق التاريخ ، فالثابت أن الساميين والعرب نزلوا الى مصر وأفريقية فقد تمت هجرات قديمة الى مصر حوالى الألف الرابع قبل الميلاد وهاجرت عشائر سامية الى بلاد الحبشة قبل الميلاد بعدة قرون ، ويذكر المؤرخون أن الهجرات السامية ظلت تتدفق على مصر منذ عصور ماقبل التاريخ وطوال العصور القديمة حتى الفتح الاسلامى فى القرن السابع الميلادى ٠

ومن هذا يتبين أن المؤلف الدكتور/لويس عوض أراد الكيد للاسلام فألف كتابه زاعما أنه دراسة وعلم وتحقيق ، وفى الحق أنه زيف وباطل وتضليل ٠

وبعرض الأوراق على السيد محامى عام نيابة أمن الدولة أشر سيادته بتاريخ ١٥/١٢/١٩٨١ م بأمر الضبط ويعرض على السيد المستشار رئيس محكمة جنوب القاهرة لتحديد جلسه للنظر فى تأييد أمر الضبط ، وبعرضه على السيد المدعى العام الاشتراكى للنظر ٠ وبعرض الأوراق على السيد الأستاذ المستشار رئيس المحكمة أشر سيادته بتاريخ ١٦/١٢/١٩٨١ بندب الهيئة الماثلة لاتخاذ الاجراءات ، وبذات التاريخ أشرنا بتحديد جلسة ٢٣/١٢/١٩٨١ م لنظر الأمر وتكليف النيابة العامة باعلان المتهم وبعد أن تداولت الدعوى بالجلسات على النحو الموضح بمحاضرها وبجلسة ٣١/٣/١٩٨٢ م قضت هذه المحكمة وقبل الفصل فى الموضوع بتشكيل لجنة من السادة : الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى والأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى والأستاذ توفيق الطويل تكون مهمتها مطالعة كتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية للدكتور لويس عوض لبيان ما اذا كانت هناك مغالطات دينية أو لغوية يتضمنها الكتاب المذكور وما اذا كانت هذه المغالطات ٠ ان وجدت ستخالف نصوص الشريعة الاسلامية كمصدر للدستور والتشريع وتعد تهجما على الاسلام والمسلمين وعلى اللغة العربية والقرآن الكريم من عدمه٠

ثم عادت بجلسة ٢٧/٥/١٩٨٢ م وقضت قبل الفصل فى الموضوع باستبدال اللجنة السابق ندبها بلجنة أخرى تشكل من مجمع البحوث الاسلامية ومن بين أعضائه بحيث لا يقل عددهم عن ثلاثة يرأسهم السيد رئيس المجمع وعضويين من بين أعضائه وذلك لأداء المأمورية المبينة بمنطوق الحكم الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٣١/٣/١٩٨٢ وذلك بذات الصلاحيات الممنوحة للجنة السابق ندبها ٠

ونفاذا لهذا الحكم قدم المجمع ذات التقرير السابق الاشارة اليه والمرفق بمحضر الضبط وبعد أن تداولت الدعوى بالجلسات على النحو الموضح بمحاضرها وبجلسة ١٥/١/١٩٨٣ م لم يحضر المعروض ضده وقرر ممثل النيابة أن المعروض ضده أعلن لجلسة ١٥/١/١٩٨٣ والتمس تأييد أمر الضبط ثم حضر وكيل المعروض ضده والتمس أجلا لحضور المحامى الأصلى وللاطلاع ٠

وحيث أن المحكمة قررت اصدار حكمها بجلسة ١٩/٢/١٩٨٣ م ثم قررت مد أجل الحكم لجلسة اليوم فقدم المعروض ضده مذكرة بدفاعه أورد فيها ــ اعتراضه على

تغيير اللجنة السابق ندبها بالحكم الصادر بجلسة ١٩٨٢/٣/٣١ كما وأن اللجنة الحالية هى ذات الخصم والتمس القضاء برفض طلب التأييد والافراج عن الكتاب ومن باب الاحتياط الكلى ندب اللجنة التى سبق أن قضى الحكم التمهيدى فى ١٩٨٣/٣/٣١ م بتشكيلها لأداء المأمورية المبينة به .

وحيث أن المتهم أعلن ومثل بالجلسة بوكيل عنه ومن ثم يكون الحكم حضوريا فى حقه .

وحيث أن المادة ٤٧ من الدستور الدائم الصادر سنة ١٩٧١ م صريحة فى أن حرية الرأى مكفولة ولكل انسان التعبير عن رأيه ونشره بالقول والكتابة وغير ذلك من وسائل التعبير فى حدود القانون وبالنقد الذاتى البناء ضمانا لسلامة البناء الوطنى وحرية العقيدة ، ومن ثم فان حرية الرأى فى رأى الدستور ليست حرية السخرية أو حرية الازدراء بالشرائع أو النظم والقوانين أو حرية التحريض على ماهو قائم فى المجتمع ، واذا كان القصد الذى قصده الدستور المصرى وأباحه هو النقد الذاتى البناء ضمانا لسلامة البناء الوطنى وحفظ المشاعر للجماهير وحرياتهم وشرائعهم وحرماتهم ، ومن ثم فليس من قبيل النقد المباح النقد الذى يتضمن التشهير أو التحريض أو الازدراء أو الاثارة .

وحيث أن المادة ١٠٢ مكرر عقوبات تنص على أن كل من أذاع عمدا أخبارا أو بيانات أو اشاعات كاذبة أو مغرضة أو بث دعايات مثيرة اذا كان من شأن ذلك تكدير الأمن العام أو القاء الرعب بين الناس أو الحاق الضرر بالمصلحة العامة أو ايذاء مشاعر وشعائر الديانات الاخرى ، كما أنه لايشترط فى وجوب العقاب طبقا لما ورد بالفقرة الأخيرة للنص سالف الذكر عدم صحة البيانات أو الاخبار المذاعة أو المؤلفات ، بل اكتفى بأن تكون مغرضة .

وحيث أنه بانزال القواعد المتقدمة على موضوع الكتاب محل المساءلة وما ورد به من تعليقات والمشار اليها آنفا على الرغم من اعتراض المعروض ضده على اللجان وطلبه تشكيل لجان أخرى وماورد بمذكرات دفاعه فانه يتضح ما يلى :

أولا : أن المؤلف أورد بصفحة ٣٠٦ من الكتاب أن طبقا لقوانين الفونطقيا (خمت) المصرية = (صمد) العربية (قانون ح الحامية = س السامية) فاذا كان الأمر كذلك كان معنى الصمدية « الثالوث » أو « الثلاثة » وكان معنى الصمدية بناء التوحيد على قبول نظرية الانبثاق،ورفض مساواة المسيحلله فى الجوهر فى أهم مدرستين للاهوت المسيحى تبعتا الفكر البيزنطى ويلاحظ أن كلمة (صمد) العربية هى من الأسماء الحسنى كلمة محيرة لأنها مادة جامدة ، لم تشتق من فعل ولم يشتق منها فعل ولا صلة لها بالهرموتيم «صمد» «يصمد» وهى فولجياتاتية ، الاسم فيها هو الصفة ، والصفة هى الاسم ، وهى غامضة المعنى نادرة الاستعمال وأشهر استعمال لها فى الصمدية . وهذا من المؤلف يتعارض مع السورة الكريمة

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (١) صدق الله

(١) سورة الاخلاص .

القضاء .. وكتاب ..

العظيم • والآية الكريمة (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَافِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَافِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنت عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (١) صدق الله العظيم • كما أنه قال سبحانه وتعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (٢) صدق الله العظيم • كما قال سبحانه وتعالى : (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيًّا ، وَبَرًّا بِوالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ، مَاكَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (٣)

(١) سورة المائدة — الآيتان ١١٦ — ١١٧ .
(٢) سورة آل عمران — آية ٥٩ .
(٣) سورة مريم الآيات ٣٠ — ٣٥ .

صدق الله العظيم • كما قال سبحانه وتعالى (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَايَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا.إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ، لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) (٤) صدق الله العظيم•

ومن هذه الآيات جميعها يبين أن الله سبحانه وتعالى واحد أحد لم يلد — بقصد الحوائج — عيسى وليس كمثله شيء وقد أفرد نفسه بالصمدانية أى الفردية وليس مستطيعا بغيره كما ذهب المؤلف وأكد ذلك سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •

أما بالنسبة لما ساقه المؤلف من انكاره لخصب جنوبى الجزيرة العربية (اليمن) فى التاريخ القديم مقررا أن للقول يحتاج الى تشنجات جيولجية فى تفسيره فانه يخالف الثابت فى الآية الخامسة عشرة والسادسة عشرة من سورة سبأ اذ قال سبحانه وتعالى : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ) صدق الله العظيم ، هذا فضلا عن أن المعروض ضده قد تطرق فى كتابه الماثل ص رقم ٥٤ ، ٥٥ الى أن الاسلام الصحيح فيه طبقات غير طبقات الايمان

(٤) سورة مريم الآيات ٩٠ — ٩٤ .

والتقوى والعمل الصالح ، وهذه هى طبقات العرق العربى واللغة العربية ، وهو ما لم ينص عليه صراحة فى التاريخ الاسلامى خشية الفتنة ولمخالفته صراحة لجوهر الدين بل ولنصه ، ولكنه متضمن فى تكون الدولة الاسلامية (رد على الأصح حتى نهاية عصر الأمين لأن المأمون كان يرى رأى المعتزلة بسبب اختلاف العراقة، الى نهاية العصر العباسى الأول ومتضمن فى انصراعات السياسية التى نشبت بين الشيع الاسلامية سافرة كانت أو مقنعة المذاهب الاسلامية والفلسفية كلامية أو شرعية وهذا منه أى المؤلف ينطوى على زعم أن الاسلام ينطوى — على مايسمى بالعنصرية والعصبية والتفرقة بين أهل الجزيرة الذين دخلوا فى الاسلام بعد ذلك ، وهذا منه افتراء لايطابق الواقع أو الحقيقة ذلك أن الامام البخارى صاحب صحيح البخارى هو من سكان تلك الأقاليم التى يقرر مؤلف الكتاب المعروض أنهم أقل عنصرا من سكان الجزيرة العربية وهذا العالم الجليل رحمه الله له شأنه فى الاسلام بدليل أن كتاب البخارى من المراجع الفقهية الجليلة فى الأحاديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام — والمؤلف باللغة العربية وغيره كثيرون ممن تفقهوا فى اللغة العربية أمثال الزمخشرى وأبى الأسود الدؤلى وغيرهم ، ولم يقل أحد بأنهم أقل من أهل سكان الجزيرة العربية بل ان هذا القول منه يخالف ما حدث فى عهد الرسول — عليه الصلاة والسلام — من تكريم سلمان الفارسى الذى أسلم فى عهد الرسول — عليه الصلاة والسلام — وكان ابن أحد كبراء الفرس كما أنه يخالف صريح الآية الكريمة (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) (١) صدق الله العظيم ، بل ان المعروض ضده قد ذهب الى القول : بماذا يهمنا اذا كان الانسان قد انحدر من جمجمة واحدة أو من جماجم متعددة ومن وطن واحد أو من أوطان متعددة ، وفى هذا منه مالا يخالف النص القرآنى سالف الاشارة أما بالنسبة لما أثاره المؤلف فى صفحة ٦٣ ، ٦٤ من مؤلفه باتهامه الامام الشافعى « أحد أئمة المذاهب الاربعة » بالعصبية والعنصرية لمجرد أنه قال ان لغة القرآن اللغة العربية تخلو من الألفاظ الأعجمية وأن القرآن لايشتمل على كلمة واحدة غير عربية ، وذلك على سند من قول المؤلف ان بعض الألفاظ الأعجمية ومئات منها كانت متداولة فى أفواه الناس وفى فصيح الشعر فى صدر الاسلام بل وفى الجاهلية ، وبالتالى فقد كانت من صلب اللغة العربية أيام الوحى ، فانه فضلا عن مخالفة قوله هذا لما أورده بكتابه من شواهد وقرائن فانه يخالف قوله سبحانه وتعالى (**إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا**) (٢) ، (**إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**) (٣) كما أن هذا القول من المؤلف فيه لمزة لقوله سبحانه وتعالى وهو الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فضلا عن أنه يتيح لادخال ألفاظ وتراكيب غريبة عن اللغة العربية لافقادها ذاتيتها المستمدة من القرآن الكريم بالاضافة الى تهجمه الصريح المباشر على أئمة الاسلام واتهامهم بضيق

---

(١) سوره الحجرات ايه ١٣ .
(٢) سورة يوسف آية ٢ .
(٣) سورة الزخرف آية ٣ .

القضاء .. وكتاب ..
مقدمة فى فقه اللغة العربية

الفهم والتخبط ولا يعلم سوى الله سبحانه وتعالى غايته من ذلك .

وحيث أنه يبين من العرض السالف وهو قليل مما حواه الكتاب من مغالطات وتهجم وتزييف لحقائق ثابته منذ الأزل وحتى الأبد بكتاب أنزله سبحانه وتعالى فرقانا وهاديا ومرشدا ومعينا بلغة فسرها سبحانه وتعالى بأنها اللغة العربية متخذا المؤلف المعروض ضده من مصطلحات اخترعها لنفسه مقررا أنها بناء على دراسة علمية قام بها كم استغرقته تلك الدارسة عشر سنوات أو عشرون سنة أكثر أو أقل ، — أقول ألم يقل سبحانه وتعالى **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** (١) أيأتى بشر خلقه سبحانه ليتولى تبديل كلماته وهو القائل سبحانه وتعالى : **(لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ)** (٢) ألم يقل سبحانه وتعالى فى محكم آياته : **(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** (٣) ، **(وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ)** (٤) **(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)** (٥)

حتى يمكن أن يجىء الآن المعروض ضده بعد حوالى ١٤ قرنا هجريا ليقول : ان اللغة العربية التى نزل بها القرآن كانت قد تداخلت من لغات أخرى بل ان مئات الكلمات كانت منتشرة فى صدر الاسلام ونزل بها الوحى وهى ليست عربية ألا والله لقد **(سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)** كما يبين أن الغرض من المؤلف ليس مجرد البحث العلمى بل ان به لمزا مستترا بقول مؤلفه ان الصمدية تعنى الثالوث فى اللغة المصرية القديمة وكذلك فى اللاهوت .

ولايسع المحكمة والحال كذلك بالرغم من كون تلك الأمور كما قرر مؤلف الكتاب على لسان محاميه قد قامت بطبعها مطابع الدولة وباشرافها الا أن تقول كلمتها فى هذا المؤلف المليء ، بالتحريض على التناحر والفتنة ويحوى كثيرا من الهدم للأسس فى الكون والخلق والحياة والآخرة والدين الاسلامى الحنيف الذى وسع كل شىء حتى المغرضين وأن تقضى بتأييد أمر الضبط لهذا الكتاب الذى ينال من الاسلام ويهاجم القرآن ويشكك فى صحة ماجاء به ويتهجم على علماء المسلمين ويصفهم بما ليس فيهم .

فلهذه الاسباب

قررت الهيئة تأييد أمر ضبط كتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور لويس عوض ، .

أمين السر ..

رئيس الهيئة

(١) سورة الحجر آية ٩ .
(٢) سورة يونس آية ٦٤ .
(٣) سورة البقرة آية ٧٥ .
(٤) سورة البقرة آية ٤١ .
(٥) سورة النساء آية ٤٦ .

مجلة الأزهر من خمسين عامًا

مولده صلى الله عليه وسلم ونسبه الشريف

للشيخ إبراهيم الجبالى

بقلم الشيخ أحمد حسن جابر رجب

مقدمة لابد منها :

لما كان التذكير بنعم الله من آياته مرغوب فيه ، ومندوب اليه وفيه بعد الخروج من ظلمة الكفر الى نور الايمان — آيات ينتفع بها كل من كان قدوة فى الصبر والشكر قال الله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ » ابراهيم : ٥ .

وكان من أكبر النعم علينا قبل الايمان وبعده مولد سيد ولد آدم على الاطلاق سيدنا محمد — صلى الله تعالى عليه وسلم — والتذكير بمولده تذكير بنعم الله فى أيام وقوعها فانى أجمل الكلام فى النقاط التالية باختصار ، لضيق المكان ، ونفرة أهل هذا الزمان فى : كونه — صلى الله تعالى عليه وسلم — أول الانبياء خلقا ، وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله .

وأن نبوته ثابتة قبل خلق الروح فى آدم .

وأن احياء ذكرى مولده — صلى الله تعالى عليه وسلم — ثابتة بالنص .

أقول : لاخفاء على من مارس شيئًا من العلم ، أو خص بأدنى لمحة من فهم ، يغفل أو يمارى فى تعظيم الله قدر نبينا محمد — صلى الله تعالى عليه وسلم — وتخصيصه اياه بفضائل تفرد بها من العلم والعمل ، ومحاسن تتعلق بذاته الكريمة ، ومناقب يفتخر بها من عموم رسالته — صلى الله تعالى عليه وسلم — وسيادته ، وشفاعته فى يوم الحشر وما أعطاه الله له من الكمال النفسى والبدنى خلقا ، وخلقا وصورة ، وسيرة من الأمور الدينية والدنيوية، التى لا يدانيه فيها أحد ، وتنويه الله من عظيم

قدره الشريف بما تكلم عنه الألسنة والأقلام.

محمد أول الأنبياء خلقا :

أما انه ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ أول الأنبياء خلقا . فقد روى البيهقى فى الدلائل بسنده عن العرباض ابن سارية صاحب رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ أنه قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ يقول : « انى عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ، وسأخبركم عن ذلك : دعوة أبى ابراهيم ، وبشارة عيسى بى ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين ــ وان أم رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام وفى رواية يعقوب أضاءت منه قصور الشام » .

وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ انى عبد الله .. يريد به أنه كان كذلك فى قضاء الله تعالى وتقديره قبل أن يكون أبو البشر .

وقوله وسأخبركم عن ذلك... يريد به أن ابراهيم لما أخذ فى بناء البيت قال ... ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة : ١٢٩ .

وأما قوله : « وبشارة عيسى بى » فهو أن الله تعالى أمر عيسى عليه السلام فبشر به قومه فعرفه بنو اسرائيل قبل أن يخلق .

وأما قوله ورؤيا أمى التى رأت فانما عنى به ماروا البيهقى بسنده عن ابن اسحاق قال : وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فاذا وقع على الأرض فقولى أعيده بالواحد من شر كل حاسد ، فى كل بر عاهد ، وكل عيد رايد ، يرود غير رايد ، فانه عبد الحميد الماجد حتى أراه قد أتى المشاهد ، قال فان آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام ــ فاذا وقع فسميه محمدا فان اسمه فى التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الارض ، واسمه فى الانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه فى الفرقان محمد فسميته بذلك » .

وروى أبو اسحاق الجوزجانى ــ محدث الشام وأحد الحفاظ المصنفين المخرجين الثقات ــ فى تاريخه وابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ « كنت أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا » . والمراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد ، فانه قبل أن ولدته أمه لم يكن موجودا ، ولكن الغايات والكمالات سابقة فى التقدير لاحقة فى الوجود.

وروى احمد فى سنده ، وأبو نعيم فى دلائل النبوة وابن الجوزى فى الوفا عن العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم « انى عند الله فى أم الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته » . ورواه الحاكم وصححه .

وليس المراد والله أعلم .. أنه حينئذ كتب فى أم الكتاب ختمه للنبيين . وانما المراد الاخبار عن كون ذلك مكتوبا فى أم الكتاب فى

ذلك الحال قبل نفخ الروح فى آدم وهو أول ماخلق من النوع الانسانى .، فانه — صلى الله تعالى عليه وسلم — استخرج من ظهر آدم ونبىء فصارت نبوته موجودة فى الخارج بعد كونها كانت مكتوبة مقدرة فى أم الكتاب . ومثل ذلك كمن تولى ولاية ويؤمر بالتصرف فيها فى زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته وان كان تصرفه يتأخر الى حين مجىء الوقت المحدد له .

وفى صحيح البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى — صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « كان الله ولا شىء قبله ، وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شىء ، ثم خلق السموات والأرض » . ومن جملة ماكتب فى الذكر وهو أم الكتاب أن محمدا — صلى الله تعالى عليه وسلم — خاتم النبيين .

وروى الامام أحمد فى سنده والبخارى فى تاريخه والحاكم وصححه : عن ميسرة الفجر رضى الله تعالى عنه قال : قلت : يارسول الله متى كتبت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد .. وليعلم أن الكتابة انما تستعمل فيما هو واجب اما شرطا كقوله تعالى « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ » البقرة : ١٨٣ .

أو قدرا كقوله تعالى « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي » . المجادلة ٢١ .

وروى الترمذى وحسنه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : « قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » .

خلق آدم والمخلوقات من أجل المصطفى

وأما خلق آدم والمخلوقات لأجله — صلى الله تعالى عليه وسلم :

فقد روى أبو الشيخ فى طبقات الأصفهانيين والحاكم وصححه ، وأقره السبكى فى شفاء السقام ، والبلقينى فى فتاويه — عن ابن عباس — رضى لله تعالى عنهما — قال : « أوحى الله الى عيسى » « آمن بمحمد — صلى الله تعالى عليه وسلم — وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن » .

وروى الديلمى فى سنده عن ابن عباس — رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — قال : أتانى جبريل فقال يامحمد : ان الله يقول لولاك ماخلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار ..

وفى فتاوى البلقينى شيخ الاسلام وفى شفاء الصدور لابن سبع عن على كرم الله وجهه عن النبى — صلى الله تعالى عليه وسلم — عن الله عز وجل أنه قال : (يامحمد وعزتى وجلالى لولاك ماخلقت أرضى ولا سمائى ، ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء).

وذكر المصنفان المذكوران فى رواية أخرى عن على كرم الله وجهه أن الله تعالى قال لنبيه — صلى الله تعالى عليه وسلم — : من أجلك أبطح البطحاء ، وأموج الماء ، وأرفع السماء ، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار .. ولنقتصر على ذلك خشية الاطالة .

وأما أحياء ذكرى مولده — صلى الله تعالى عليه وسلم :

فقد روى البيهقى فى الدلائل بسنده عن مهدى بن ميمون عن أبى قتادة « أن أعرابيا قال يارسول الله ماتقول فى صوم يوم الاثنين ؟

فقال ذاك يوم ولدت فيه • وأنزل على فيه » •

وروى بسنده أيضا عن أبان بن يزيد عم أبى قتادة الأنصارى « أن أعرابيا سأل رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — عن صوم الاثنين ؟ فقال ذاك اليوم الذى ولدت فيه وأنزل علىّ فيه » قال البيهقى أخرجه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى فى الصحيح من حديث مهدى بن ميمون وأبان بن يزيد العطار •

وروى البيهقى بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « ولد نبيكم — صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاثنين » • كما روى بسنده عن محمد بن اسحاق « ولد رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — يوم الاثنين عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول » •

وبعد : فلما كان لا منزلة فى العالم أعلى من النبوة التى هى سفارة بين الله تعالى وعباده تبعث على مصالح الخلق ، كان أفضل الخلق بها أخص ، وأكملهم بشروطها أحق بها وأمس ، فهيأه الله لأشرف الأخلاق ، وأجمل الأفعال وأفضلها •

ولم يكن فى عصر الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، ومادانى طرفيه من قاربه فى فضله ولاداناه • فى كماله خلقا وخلقا ، وقولا وفعلا وبذلك وصفه الله تعالى فى كتابه بقوله : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » القلم : ٤ •

وكمال الفضائل من أمارات النبوة • ومن كمال الفضائل اجتناب الكذب ، وليس من كذب فى ادعاء النبوة بكامل الفضل ، فصار كمال الفضائل موجبا للصدق ، والصدق موجبا لقبول القول فجاز أن يكون من دلائل الرسل ولذا وضح ذلك علم أن الكمال المعتبر فى البشر يكون من أربعة أوجه :

احدها : كمال الخلق •

والثانى : كمال الخلق •

والثالث : فضائل الاقوال •

والرابع : فضائل الاعمال •

فأما كمال خلقه — صلى الله عليه وسلم — بعد اعتدال صورته فيكون بأربعة أوصاف :

احدها : السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية الى التقديم والتسليم فكان — صلى الله تعالى عليه وسلم — أعظم مهيب فى النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين أتوه فى أعينهم أعظم ، وان لم يتعاظم بأبهة ، ولم يتطاول بسطوة ، بل كان بالتواضع موصوفا والوطاء معروفا •

والثانى : الطلاقة الموجبة للاخلاص ، والمحبة الباعثة على المصافاة ، والمودة وقد كان — صلى الله تعالى عليه وسلم — محبوبا ولقد استحكمت محبة طلاقته فى النفوس حتى لم يقله مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب الى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظمأ •

والثالث : حسن القبول الجالب لمماثلة القلوب حتى تسرع الى طاعته وتذعن بموافقته وقد كان قبول منظره — صلى الله تعالى عليه وسلم — مستوليا على القلوب ، ولذلك استحكمت مصاحبته فى النفوس حتى لم ينفر منه معاند ، ولايستوحش منه مباعد الا من

ساقه الحسد الى شقوته ، وقاده الحرمان الى مخالفته •

الرابع : ميـل النفـوس الى متـابعته ، وانقيادها لموافقته وثباته على شـدائد ، ومصابرته فما شذ عنه معها من أخلص ، ولا ندعنه فيها من تخصص •

وهذه الاربعة من دواعى السعادة وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه ــ صلى الله تعـالى عليه وسلم ــ فكمل لما يوازيها واسـتحق ما يقتضيها •

وأما كمال خلقه ــ صلى الله تعالى عليـه وسلم ــ ، فيكون بخمس خصال :

احداها : رجاحة عقله ، وصـدق فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صـحة رأيه ، وصـواب تـدبيره ، وحسـن تألفه ، وأنه ما استغفل فى مكيدة واستفجر فى شديدة بل كان يلحظ الاعجاز فى المبادىء فيكتشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم الا بأصدق وهم وأصح جزم •

والثانية : ثباته فى الشدائد وهو مطلوب ، وصبره على البأساء والضراء وهـو مكـروب ومحروب ونفسه فى اختلاف ساكنة لا يجوز فى شديده ، ولا يشكين لعظمـة ويقـدر على الخلاص ، أو بالشر وهو لا يزداد الا اشتدادا وصبرا وقد لقى بمكة من قريش ما يشـيب النواصى ويهد الصياصى •

روى حماد بن سلمة عن ثـابت عن أنس أن رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ قال : لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ، ولقـد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شىء يواريه ابط بلال » ومن صبر على هذه الشدائد فى الدعـاء الى الله تعالى امتنع أن يريد به الدنيا وقد زويت عنه وماذاك الا لطلب الآخرة ، ومستحيل ممن كذب فى ادعائه اليها أن يستوحشها أو كذب عـلى الله تعالى أن يثاب بها • وفى السنة الصحيحة كثير •

والثالثة : زهده فى الدنيا واعراضه عنهـا وقناعته بالبلاغ منها فلم تمل الى نضـارتها ولم يله لحلاوتها ، روى سفيان الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن خيثمة بن عبد الرحمن قال قيل لرسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ ان شئت أعطيت خزائن الأرض ما لم يعط أحد قبلك ولا يعطاه أحد بعدك ولا ينقصك فى الآخرة شيئا قال اجمعوها لى فى الآخـرة فنزلت ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى إِن شَـاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ الفرقان : ١٠ وغـير ذلك كثير فى السنة •

وحقيق بمن كان فى الدنيا بهذه الزهادة حتى اجتذب أصحابه اليها أن لا يتهم بطلبها ويكذب على الله تعالى فى ادعاء الآخـرة بها ويقنع فى العاجل وقد سـلب الآجل بالميسور والنـذر ورضى بالعيش الكدر •

وتملك أصـحابه فرفضـوها واقتنعوا بالبـلاغة فيها •

الرابعة : حلمه ووقارة عن طيش يهـزه أو خرق يستفزه فقد كان أحلم فى النفار من كـل حليم ، وأسلم فى الخصام من كل سـليم ، وقد منى بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولا حليم غيره الا ذو عثرة ولا وفور سواه الا ذوهفوة ، فان الله تعالى عصمه من تزع الهوى

وطيش القدرة بهفوة أو عثرة ليكـــون بأمته رءوفا وعلى الخلق عطوفا وقد تناولته قريش بكل كبيرة ، وقصدته بكل جريرة وهو صـــبور عليهم معرض عنهم وما تغرر بذلك ســـفاؤهم دون حلمائهم ، ولا أراذلهم دون عظمائهم بل تمالأ عليه الجلة والدون حتى قهر فعفا وقدر فغفر حتى قال لهم حين ظفره ، عليهم يـــوم الفتح (لَاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ) يوسف ٩٢ •

الخامسة : حفظه للعهد ووفاؤه بالوعـــد ، فانه ما نقض لمحافظ عهدا ولا أخلف لمـــراقب وعدا يرى الغدر من كبار الذنوب ، والاخلاف من مساوىء الشيم فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب فيهما الأصعب حفظا لعهد ، ووفاء بوعده حتى يتبدىء معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالى لـــه مخرجا كفعـــــل اليهود من بنى قريظة وبنى النضـــير ، وكفعل قريش بصـــلح الحـــديبية فجعل الله تعالى له فى نكثهم الخيرة فهذه خمس خصال تكاملت فى خلقه فضله الله بها على جميع خلقـــه •

وأما فضائل أقواله : فقد أتى من الحكمـــة البالغة وأعطى من العلوم الحجة الباهرة ، وهو أمى من أمة أمية لم يقرأ كتابا ولا درس علمـــا ولاصحب عالما ولا معلما ، فأتى بما بهـــــر العقول وجعل مداد شرعه على أربعة أحاديث أوجز بها المراد وأحكم بها الاجتهاد •

احدها : انما الاعمال بالنيات الحديث •

وثانيها : الحـــلال بين والحـــرام بين •• الحديث •

وثالثها : من حسن اسلام المرء تركه مـــالا يعنيه •

ورابعها :دع ما يريبك الى مـــالا يريبك • وما هذه الفطرة فى الرسول الا من صـــــفاء جوهره وخلوص مخبره •

وحفظه لما أطلق الله عليه من قصـــــص الأنبياء مع الأمم وأخبار العـــــالم فى الزمن الأقدم حتى لم يغرب عنه منها قليل ولاكثـــير وهو لايضبطها بكتاب يدرسه ولا يمقطها بعين تحرسه وماذا الا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقلب مستريح وهذه الثلاثة آلة ما اســـتودع من الرسالة وحمل من أعباء النبوة فجـــدير أن يكون بها مبعوثا •

وما أمر به من محاسن الاخلاق ودعا اليه من مستحسن الأدب وحث عليـــه من صـــلة الأرحام والتعطف على الضعفاء والأيتـــام ، وما نهى عنه من التباغض والتحاسد ، والتباعد والتقاطع لتكون الفضـــائل فى الأمـــة أكثـــر ومحاسن الأخلاق بينهم أنشد ، وتكـــون الى الخير أسرع ومن الشر أمنع فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عز بهم الاســـلام وذل بهم الشرك فصاروا أئمة أبرارا •• هـــذا مع وضوح جوابه اذا ســـئل وحفظ لســـانه من تحريف فى قول يكون به الى الكذب منســـوبا والصدق مجانبا مع اقتصـــاره من الكلام على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هذرا ولا يحجم عنه حصيرا مع فصـــــاحة اللسان ووضوح البيان وأجزل لفظا وأصح معنى •

وأما فضائل أعماله : فحسن سيرته ، وصحة سياسته فى دين ابتكر شرعه حتى استقر وتدبير أحسن وضعه حتى استمر بجزم صـــائب ، وعزم ثاقب حتى استقر شرع الله نظـــاما

لاعصار تتقلب • صروفها ويختلف مألوفها أن يكون لمن قام به برهانا ولمن ارتاب به بيانا •

وجمع فيه بين رغبته من استمال ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان على نصرته ، وقاموا بحقوق دعوته فلذلك صار الدين بهما مستقرا والصلاح بهما مستمرا •

مع العدل فى ما شرع من الدين عن غلو النصارى فى التشديد وعن تقدير اليهود فى التقصير الى المتوسط بينهما وخير الأمور أوساطها • فلم يمل بأصحابها الى الدنيا كما رغبت اليهود ولا فى رفضها كما ترهبت النصارى وأمرهم فيها بالاعتدال ، وبين لهم مايحل ومايحرم من مباحات ومحظورات وفصل لهم مايجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات حتى احتاج اليهود فى كثير من معاملاتهم ومواريثهم لشرعه ولم يحتج شرعه الى شرع غيره وأمر الشاهد أن يبلغ الغائب فأحكم ماشرع من نص وتنبيه وعم بما أمر من حاضر

وبعيد لئلا يكون فى حقوق الله ذلك ولا فى مصالح الأمة خلل وذلك فى برهة من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب حتى أوجز وأنجز وما ذاك الا بديع معجزهم • فهذه جملة متفقة فى أعلام نبوته وقاعدة مستقرة فى ترتيب رسالته وأحكام شريعته بمناسبة مولده ولتقدم مقالة الشيخ بعنوانها المتقدم قال رحمه الله تعالى :

فى العدد الاول من مجلة (نور الاسلام) قطفنا زهرة يانعة ، بل جنينا ثمرة نافعة من بستان الكمال البشر ، والجمال الانسانى ، والجلال النبوى •

تلك كانت النبذة المتعلقة بهجرته — صلى الله عليه وسلم — من مكة المشرفة الى المدينة المنورة اقتطفناها من سيرته — صلى الله عليه وسلم الحافلة بأنواع الكمال ، وصنوف الفضائل بل التى هى مظهر التجلى الالهى الأكمل على أفضل خلقه الذى اصطفاه هاديا ورسول رحمة للعالمين •

والآن نردفها بكلمة فى المولد الشريف ، وانسب الطاهر ، آملين أن تدرج فى معارج هذا الأفق المتلىء بنجوم الهدى من أخلاقه — صلى الله عليه وسلم وشئونه وأفعاله وأقواله فنجلو لعيون القارئين من سناها مايضىء سبل السعادة والمجد •

وقد كان حقيقا بمن يتكلم فى السيرة النبوية أن يجرى مع ترتيبها فى الوجود فيبدأ بأولها وهو النسب ، ثم المولد ، وهلم جرا ، ولكن لما صادف ظهور أول عدد من المجلة فى أول شهر من السنة الهجرية ، وكان ذلك مدعاة للتكلم على الحادث الجليل الشأن الذى اختاره المسلمون مبدأ لتاريخهم اذ كان مبدأ ظهور نور الاسلام واضحا جليا ، وتبوؤ الدين الحنيف

مكانا عليا ، وهو هجرته — صلى الله عليه وسلم — التى أعز الله بها الاسلام والمسلمين •

رأينا أن نبدأ مقالات السيرة النبوية بالهجرة الشريعة ، وليس معنى هذا أن الهجرة كانت فى شهر المحرم ، بل لقد كانت فى ربيع الاول ، كما كانت ولادته — صلى الله عليه وسلم — وانتقاله الى الرفيق الأعلى فى ربيع الاول •

وانما جعل شهر المحرم تذكارا للهجرة النبوية ، لأنها لما جعلت مبدأ للتاريخ الاسلامى وكان المحرم ولا زال أول العام الهجرى — كان تذكارها أبدا قرين أول السنة الهجرية •

ولقد اخترنا شهر ربيع الأول للكلام على مولده عليه الصلاة والسلام ، لانه الشهر الذى تشرف فيه الوجود بطلعته الزاهرة ، ووفاقا لما جرت به عادة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، من التنويه بفضل هذا الشهر ، واحياء لياليه بالعبادات وبث الصدقات على الفقراء ، شكرا لله تعالى على نعمة اشراق هذا النور الساطع الذى كان هدى للعالمين ورحمة للناس أجمعين •

ويحسن قبل الكلام على المولد الشريف ، أن نبدأ بنبذة فى نسبه ــ عليه الصلاة والسلام ــ ليتبين أنه قد اختير من أفضل أرومة وأكرم منبت •

وهل ينبت الخطى الا وشيجه (١)
وتغرس الا فى منابتها النخل

« نسبه ــ صلى الله عليه وسلم » :

ورد عنه ــ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى منقريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم (٢) وقد اتفق على أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ من ولد أسماعيل بن لبراهيم خليل الرحمن ــ صلى الله عليهم وعلى جميع اخوانهم الأنبياء والمرسلين ــ وورد عنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ أنه قال : « أنا ابن الذبيحين » وأن أعرابيا قال له (يا ابن الذبيحين) فتبسم ولم ينكر عليه •

أما الذبيح الأول فهو اسماعيل عليه السلام فان الصحيح أنه هو الذبيح لا اسحاق عليه السلام ، ودليله من القرآن الكريم أنه تعالى بعد أن قص قصة الذبيح فى سورة الصافات بقوله تعالى (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَابُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) الخ الآية أردفها بقوله : (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) والظاهر المتبادر أنها بشارة أخرى •

وأما الذبيح الثانى فهو أبوه عبد الله ، وقصته مشهورة فى كتب السير •

هذا : والذى صح فى النسب الطاهر اتصاله بدوحة معد بن عدنان باتفاق النسابين وعدنان فرع من نبعة اسماعيل بن ابراهيم ــ عليهما السلام ــ باجماع ، ومابين عدنان واسماعيل فقد اختلف فيه النسابون •

وقد ورد فى بعض الآثار : أنه ما افترق الناس فرقتين الا كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أفضلهما •

وورد آن نوره ــ عليه السلام كان يرى متلالأ فى جبين آبائه الأكرمين ، ومازال يتنقل بين أصلاب كريمة وأرحام طاهرة حتى خصت العناية الصمدانية به والده عبد الله فكان أجمل نساء العرب يتعرضن له •

وروى أن سيدة من بنى أسد بن عبد العزى عرضت نفسها عليه وجعلت له مائة من الابل ان هو أجابها فقال لها :

أما الحرام فالممات دونه
والحل لاحل فاستبينه

(١) رواه مسلم فى الصحيح عن محمد ابن مهران وغيره عن الوليد بن مسلم وله شاهد مرسل •

(٢) الخطى : الرمح نسبة الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين لان الرماح تباع به ، والوشيج : شجرة الرماح •

يحمى الكريم عرضه ودينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه

وقد روى أن الله نظر الى آبائه نظر تكريم فى الجاهلية ، فكانوا كلهم سادة قادة ، وتجمع فضلهم فى عبد المطلب جده — عليه الصلاة والسلام — ، وهو الذى حفر زمزم بعد أن طمت ، وكان له بذلك أرفع منزلة فى العرب قاطبة •

والذى ينظر فى سيرتهم ويتتبع تاريخهم لا يجد فيهم الا من كان سيدا نابها عظيما دون له التاريخ ما يحفظ الذكر الحسن والأحدوثه الطيبة ولنرجع الى مولده الشريف وما تقدمه من تزوج أبيه وأمه •

تزوج أبيه عبد الله بأمه آمنة بنت وهب

روى أن عبد المطلب جده — صلى الله عليه وسلم — كان فى سفرة ، فمر براهب من أهل الكتاب فسأله :

الراهب : ممن الرجل ؟ قال من قريش •
قال من أيهم ؟ قال : من بنى هاشم •
قال أتأذن لى أن أنظر بعض جسدك ؟
قال نعم • مالم يكن عورة •

ففتش فى منخريه ، وقال : ان فيك ما يدل على الملك والنبوة ، وانا نجد ذلك فى بنى زهرة ، فعمد عبد المطلب الى بنى زهرة ومعه ابنه عبد الله وقد بلغ الثمان عشرة سنة فخطب اليهم لنفسه ولابنه ، وتزوج عبد الله آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة ، فعقد له عليها وبنى بها فحملت به — صلى الله عليه وسلم — •

وروى أنها لم تشك ثقلا لحمله ، وأنها أتاها آت فى المنام فقال لها : انك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، ورأت فى منامها كأن قد خرج منها نورا أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام •

وقد توفى أبوه وأمه حاملا به — كان قادما مع قومه من تجارتهم بالشام فمرض بالمدينة ، فأقام عند أخواله بنى عدى بن النجار ، فلما قدم أصحابه مكة سألهم عنه عبد المطلب فقالوا خلفناه مريضا عند أحواله ، فبعث اليه أحد اخوته فوجد قد توفى بالمدينة ودفن بها •

وكان السر فى يتمه — عليه الصلاة والسلام — من صغره أن تظهر عناية الله به من أول أمره وألا يظن أن العز قاصر على ما يكتسب من الآباء ، ولكيلا يكون عليه حق لسوى خالقه ، وليظهر مغزى قوله — صلى الله عليه وسلم — « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وروى أنه — عليه الصلاة والسلام — قال : « ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء ، فانى كنت فى الصغر يتيما وفى الكبر غريبا » •

مولده — صلى الله عليه وسلم — :

أشرق هذا النور الذى هدى الله به من اتبع رضوانه سبل السلام فى فجر يوم الاثنين لثمان ليال مضت من ربيع الأول من عام الفيل ، وقيل لاثنتى عشرة ليلة خلت منه ، وقيل غير ذلك ، فنزل — صلى الله عليه وسلم — مسرورا (١) ، مختونا نظيفا ، وروى أنه نزل على كفيه وركبتيه ساجدا ثم رفع رأسه الى السماء ، شاخصا ببصره اليها قابضا أصابع يده باسطا سبابته كالمتضرع ، وفى ذلك يقول البوصيرى :

رافعا رأسه وفى ذلك الر
الرفع الى كل سؤدد أيماء ••

(١) مقطوع السرة

رامقاً طرفه السماء ومرمى
عين من شانه العلو العلاء

وكان مولده – صلى الله عليه وسلم – فى دار عقيل بن أبى طالب عند الصفا ، وقد تلقته حين ولادته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، وحضنته أم أيمن .

وقد روى عن أمه أنه لما أخذها ما يأخذ النساء – وانها لوحيدة – رأت من الآيات ما كان تقدمة لمقدمه وارهاصا لنبوته – صلى الله عليه وسلم – .

ولما وضعته أرسلت لجده عبد المطلب ورفعته اليه فأخذه ودخل به الكعبة ثم عاد به اليها وقد ظهر لمولده آيات بينات واضحات وأخبر به من عنده علم من الكتاب ، وتصدع لأجله أيوان كسرى ، وغاضت بحيرة ساوه ، وانطفأت نيران الفرس وقد جاء عليها حين من الدهر لم تخمد جذوتها ، فكان هذا وما ماثله من الارهاصات التى تعد الاذهان لقبول مابعدها من شأن خطير ، وأمر عظيم .

ولنكتف بهذا المقدار فى السيرة النبوية مذكرين بأن رواية أصحاب السيرة ليست فى قوة رواية حفاظ الحديث ، فان المحدثين لكونهم يبلغون شرع الله وحلاله وحرامه يجب أن يكون احتياطهم بالغا الغاية القصوى .

وقبل أن نختم هذه الكلمة تقرر أن ظهور هذا النور النبوى للعالم كان من أعظم آثار رحمة الله التى سعد بها الناس دنيا وأخرى وأن السعادة الدنيوية لم تقف عند حد من آمن به ، بل قد اقتبست الامم التى لم تسعد بالايمان من نظم العدالة وتهذيب النفوس ، ما ارتقت به حياتها وهذبت به نفوسها ، فحق على كل من يعرف حق الجميل وشكر النعمة أن يرى مافى هذا الشهر العظيم من أفضل الذكريات فيشكر الله جلت قدرته بما قدر عليه من أنواع الزلفى اليه جل شأنه ، خصوصا صلة الأرحام وبث الصدقات على المحتاجين ففى الشكر زيادة النعم وتحصينها .

نسال الله تعالى أن يمن على الأمة الاسلامية بمنة المعرفة لنعم الله عليها والتمسك بحفظها ويزيدها من دوام الشكر للمنعم واستعمال النعمة فى وجوهها الحقيقية ، والله المستعان وهو ولى التوفيق .

نور الاسلام العدد الثالث ربيع الاول ١٣٤٩ هـ المجلد الاول .

من

نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب القواعد الفقهية لابن رجب الحنبلي

للأستاذ محمد عميره على

تسهم مكتبة الأزهر بمقالاتها فى مجلة الأزهر بابراز مكنوناتها وذخائرها العلمية النادرة والفريدة فى مكتبات العالم أجمع ، وهى اذ تقدم للقراء النادر من المخطوطات فى مختلف العلوم والفنون ، يسرها أن تقدم فى هذا المقال كتاب (القواعد الفقهية) للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن احمد بن رجب السلامى البغدادى ثم الدمشقى أبو الفرج زين الدين ! حافظ للحديث ، من العلماء · ولد فى بغداد سنة ٧٣٦ هـ ١٣٣٥ م ونشأ وتوفى فى دمشق سنة ٧٩٥ هـ ١٣٩٣ م · من كتبه « شرح جامع الترمذى » و « جامع العلوم والحكم » فى الحديث ، وهو المعروف بشرح الأربعين ، و « فضائل الشام » و « الاستخراج لأحكام الخراج » و « للطائف المعارف » و « فتح البارى بشرح صحيح البخارى » لم يتمه ، و « نيل طبقات الحنابلة » لابن أبى يعلى » جزآن ، و «الاقتباس من مشكاة وصية النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لابن عباس » و « أهوال القبور » و « كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة » و « القواعد الفقهية » و « رسالة فى شرح حديث بدأ الاسلام غريبا » و « التوحيد » و « رسالة فى معنى العلم » ·

قال عنه صاحب شذرات الذهب انه قدم من بغداد مع والده الى دمشق وهو صغير سنة أربع وأربعين وسبعمائة وأجازه ابن النقيب والنووى ، وسمع بمكة على الفخر عثمان بن يوسف واشتغل بسماع الحديث باعتناء والده وحدث عن محمد بن الخباز وابراهيم بن داود العطار ، وأبى الحرم محمد بن القلانس وسمع بمصر من صدر الدين أبى الفتح الميدومى .

ومن جماعة من أصحاب ابن البخارى ، ومن خلق من رواة الآثار ، وكانت مجالس تذكيره للقلوب صارعة وللناس عامة مباركة نافعة ، اجتمعت الفرق عليه ومالت القلوب بالمحبة اليه، وكان لايعرف شيئا من أمور الناس ولايتردد الى أحد من ذوى الولايات وكان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين ، قال ابن حجى أتقن الفن أى فن الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

وتتبع الطرق وتخـرج به غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق •

وقال صاحب الدرر الكامنة أنه ألف (القواعد الفقهية) وأجاد فيها وقرأ القرآن بالروايات وولد ببغداد فى ربيع الأول سنة ٧٠٦ هـ •

وكتاب (القواعد الفقهية) الذى نحن بصدد تعريفه بدأه المصنف بعد الديباجة قال : أما بعد فهذه قواعد مهمةوفوائد جمة،تضبطللفقيه أصول المذهب ، وتطلعه من مآخذ الفقه على ماكان عنه قد تغيب ، وتنظم له منثور المسالك فى سلك واحد وتقيد له الشوارد ، وتقرب عليه كل متباعد فليمعن الناظر فيه النظر ، ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه ، والمنصف من اغتفر قليل خطأ ألم فى كثير صوابه ، والله المسئول أن يوفقنا لصواب القول والعمل •

ورتبه على مائة وسبعة وثلاثين قاعدة فقهية وفصول وأبواب نذكر على سبيل المثال القاعدة الاولى ــ الماء الجارى هل هو كالراكد أو كل جرية منه لها حكم الماء المنفرد ، فيه خلاف فى المذهب ينبنى عليه مسائل •

احداها : لو وقعت فيه نجاسة فهل يتغير مجموعه ، فان كان كبيرا لم ينجس بدون تغير والا نجس أو تغير كل جرية بانفرادها فان بلغت قلتين لم تنجس والا تنجست • فيه روايتان حكاهما الشيرازى وغيره والثانية المذهب عند القاضى •

الثانية : ــ لو غمس الاناء النجس فى ماء جار ومرت عليه سبع جريات فهل ذلك غسلة واحدة أو سبع غسلات ، على وجهين حكاهما أبو الحسن بن الغازى تلميذ الآمدى ، وذكر أن ظاهر كلام الأصحاب أن ذلك غسلة واحدة ، وفى شرح المذهب للقاضى أن كلام احمد يدل عليه وكذلك لو كان ثوبا ونحوه وعصره عقب كل جرية •

الثالثة : لو انغمس المحدث حدثا أصغر فى ماء جار للوضوء ومرت عليه أربع جريات متوالية فهل يرتفع بذلك حدثه أم لا ، على وجهين أشهر ما عند الأصحاب أنه يرتفع حدثه وقال أبو الخطاب فى الانتصار ظاهر كلام احمد أنه لايرتفع حدثه لأنه لم يفرق بين الجارى الراكد •

قلت بل نص لحمد على التسوية بينهما فى رواية محمد بن الحكم فانه اذا انغمس فى دجله فانه لايرتفع حدثه حتى يخرج مرتبا •

الرابعة : لو حلف لاتقف فى هذا الماء وكان جاريا لم يحنث عند أبى الخطاب وغيره لأن الجارى يتبدل ويستخلف شيئا فشيئا فلا يتصور الوقوف فيه ، وقياس المنصوص أنه يحنث لاسيما والعرف يشهد له ، والايمان مرجعها الى العرف ، ثم وجدت القاضى فى الجامع الكبير ذكر نحو هذا والله أعلم •

ثم شرح قاعدة الملك فذكر أنها أربعة أنواع ، ملك عين ومنفعة ، وملك عين بلا منفعة ، وملك منفعة بلاعين ، وملك انتفاع من غير ملك المنفعة .

النوع الأول : فهو عامة الأملاك الواردةعلى الأعيان المملوكة بالأسباب المقتضية لها من بيع أو هبة أو ارث وغير ذلك ، واعلم أن ابن عقيل ذكر فى الواضح فى أصول الفقه اجماع الفقهاء على أن العباد لايملكون الأعيان وانما يملك الأعيان خالقها سبحانه وتعالى ، وأن العباد لايملكون سوى الانتفاع بها على الوجه المأذون فيه شرعا ، فمن كان مالكا لعموم الانتفاع فهو المالك المطلق ، ومن كان مالكا لنوع منه فملكه مقيد ويختص باسم خاص كالمستأجر والمستعير وغير ذلك .

وكذلك ذكر ابن الزاغونى فى كتاب « غرر انبيان » ورجحه الشيخ تقى الدين فعلى هذا جميع الاملاك انما هى ملك انتفاع .

النوع الثانى : ملك العين بدون منفعة وقد أثبته الأصحاب فى الوصية بالمنافع لواحد وبالرقبة لآخر وتركها للورثة وقد قال احمد فى رواية منها فيمن أوصى بخدمة عبد أو ظهر دابة تركب أو بدار تسكن . فقال الدار لابأس بها وأكره العبد والدابة لأنهما يموتان .

قال ابو بكر الذى أقول به : ان الوصيه تصح فى جميع ذلك لأن الدار يخرب أيضا ، وحمل القاضى كلام احمد على الكراهة دون ابطال الوصية ، وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله تعالى لم يرد أحمد أن الوصية لاتجوز الا بما يدوم نفعه ، فان هذا لايقوله أدنى من له نظر فى الفقه . فضلا عن أن يكون مثل هذا الامام . وانما أراد أن العبد والدابة اذا أوصى بمنافعهما على الناس فلم يترك للورثة ما ينتفعون به ، فلا يجوز أن يحسب عليهم ذلك من الميراث ، فانه لا فائدة فى الرقبة المجردة عن المنافع بل هو ضرر محض ، وقد شرط الله سبحانه لجواز الوصية عدم المضارة ، لكن ان قصد الموصى ايصال جميع المنافع الى الموصى له فهذه وصية بالرقبة فلا يحسب على الورثة منها شىء ، ولا يصح الايصاء معها بالرقبة وان قصد مع ذلك آنفا الرقبة للورثة ، أو الايصاء بها الآخر بطلت الوصية لامتناع أن تكون المنافع كلها لشخص والرقبة لآخر ولا سبيل الى ترجيح احد الأمرين فيبطلان ، أما ان وصى فى وقت بالرقبة لشخص وفى الآخر بالمنافع لغيره فهو كما لو وصى بعين لاثنين فى وقتين واستبدل على أن تمليك جميع المنافع تمليك للعين بالرقبى والعمرى فانها تمليك للرقبة حيث كانت تمليكا للمنافع فى الحياة وهذا المعنى منتف فى الوصية بسكن الدار لأن هذا تمليك منفعة خاص ينتهى بموت الموصى له وبخراب الدار فيعود الملك للورثة كما يعود الملك فى السكنى فى الحياة .

النوع الثالث : ملك المنفعة بدون عين وهو ثابت بالاتفاق وهو ضربان .

احدهما : ملك مؤبد ويندرج تحته صور منها . الوصية بالمنافع كما سبق وتشمل جميع أنواعها الا منفعة البضع فان فى دخولها فى الوصية وجهين ، ومنها الوقف فان منافعه وثمراته مملوكة للموقوف عليه ، وفى ملكه لرقبته وجهان معروفان لهما فوائد متعددة ، ومنها . الأرض الخراجية المقرة فى يد من هى فى يده ، وبالخراج تملك منافعها على التأبيد .

الثانى : ملك غير مؤيد فمنه الاجارة ومنافع

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

المبيع المستثناه فى العقد مدة معلومة ومنه ماهو غير موقت لكنه غير لازم كالعارية علـى وجه واقطاع الاستغلال •

النوع الرابع : ملك الانتفاع المجرد وله صور متعددة منها : ملك المستعير فانه يملك الانتفاع لا المنفعة الا على رواية ابن منصور عن احمد أن العارية الموقتة يلزم كذا قال الأصحاب ويمكن أن يقال لزوم العارية الموقتة انما يدل على وجوب الوفاء ببذل الانتفاع لا على تمليك المنفعة ، ومنها المنتفع بملك جاره من وضع خشب وممر فى دار ونحوه ، وان كان عقد صلح فهو اجارة ، ومنها اقطاع الارفاق كمقاعد الأسواق ونحوها ومنها الطعام فى دار الحرب قبل حيازته بملك الغانمون الانتفاع به بقدر الحاجة وقياس الأكل من الأضحية والتمر المعلق ونحوه ومنها أكل الضيف الطعام المضيف فانه اباحة محضة لايحصل به الملك بحال على المشهور عندنا ، وعن احمد رواية بجواز الاطعام فى الكفارات وينزل على أحد قولين : اما أن المضيف يملك ما قدم اليه وان كان ملكا خاصا بالنسبة الى الأكل ، واما أن الكفارة لايشترط فيها التمليك •• الى اخر ما شرحه فى هذه القاعدة •

والنسخة الموجودة فى مكتبة الأزهر فى مجلد بقلم معتاد بخط حسن ابن على المرداوى المقدس الحنبلى سنة ٨٤٠ هـ بآخرها وقف تاريخه سنة ١١٥٨ هـ فى ٢٠٦ ورقات ، ومسطرتها ١٩ سطرا وبحالة جيدة تسهل قراءتها •

فالى القراء الكرام لمن أرادوا البحث والاستقراء أن يتتبعوا ما تقدمه مكتبة الأزهر من نوادر المخطوطات خدمة للعلم والاسلام والمسلمين •

مدير مكتبة الأزهر
محمد عميره على

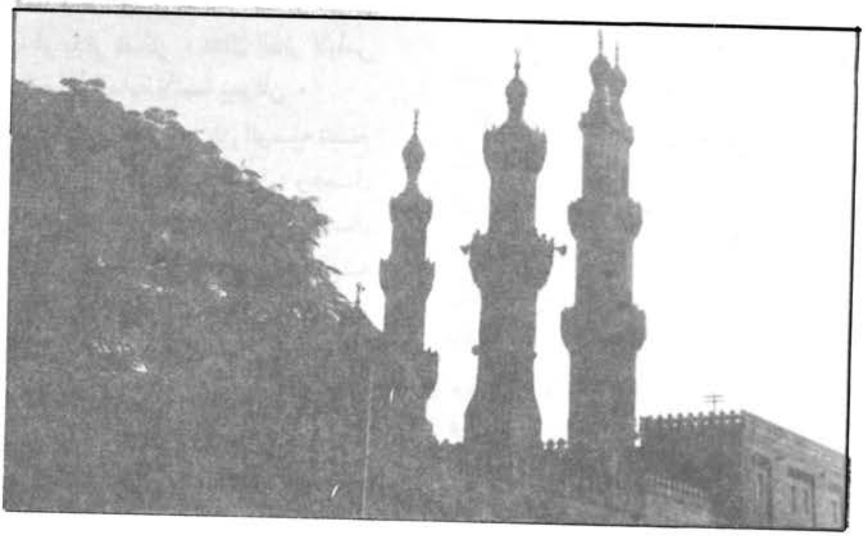

■ الجملة النحوية

في اللغة والأدب والنقد

■ شاعران وممدوحان

■ تغطية الإسلام

■ القيم الدينية في شعر محمد مصطفى الماحي

الجملة النحوية

نشأة ونظاما ونظما

دراسة الجملة لم تنل حظها من الدراسة والبحث والتحقيق ، مثل ماحدث لبعض الفرعيات كالفاعل والمبتدأ والخبر والمشتقات وغيرها .

فلم نر كتابا واحدا يختص بدراستها ويتوفر على مباحثها كلها غير أن هناك بعض الاشارات أو التعريفات جاءت منثورة على صفحات كتب النحو عند بعض الأوائل ، ثم تقسيمات واعرابات عند بعض الأواخر ، وعلى رأسهم ابن هشام : فى كتابه المغنى ، وكان هذا مختلطا بالآراء النحوية المتباينة ، تائها بين الخلافات الاعرابية مفرقا فى كتب النحو والبلاغة .

وبقيت دراسة الجملة تتردد على هذا النحو فى العصور المختلفة ونحاول فى هذا البحث أن نقدم دراسة عن الجملة النحوية : نشأة ونظاما ونظما .

يتقدم هذا كمدخل : التعرف على معنى الجملة لغة .

حد الجملة

فالجملة لغة : الجماعة غير المنفصلة وجماعة كل شىء : بكماله من الحساب وغيره : يقال : أجملت له الحساب والكلام . والجملة واحدة الجمل(١) .

وقد استخدم ابن بابشاذ الجملة فى هذا المعنى اللغوى فقال : « وأما قولنا : فجملة الأسماء الظاهرة عشرة أنواع(٢) .

كما جاءت الجملة فى القرآن الكريم بمعنى الجمع قال الله تعالى : « **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** »(٣)

بعد ذلك ننتقل الى عناصر البحث الثلاثة : ١

النشأة : أى كيف نشأت الجملة عند النحاة ؟

النظام : أى ما ترتيب أجزائها ونظامها ؟

النظم : أى كيف تختار مادة نظمها ؟

نشأة الجملة :

والمقصود بها الظاهرة التاريخية لدراسة الجملة فى كتب النحاة ، واطلاق هذا المصطلح على كلام معين .

عند نحاة البصرة :

لم يعرف هذا المصطلح عند نحاة البصرة ولم ينقل عنهم . فنرى سيبويه لم يستعمل هذا

(١) انظر مادة (جمل) فى الصحاح ، والقاموس ، واللسان ، والتاج ، والمصباح المنير ، والمعجم الوسيط ، ومعجم مقاييس اللغة .
(٢) الجملة النحوية فتحى الدجن : ١٦
(٣) سورة الفرقان : ٣٢ .

للدكتور محمد زين العابدين سلامة

المصطلح فى كتابه ، كذلك لم يشر الى تعريف مستقل للكلام . ولكنه فى مواضع متعددة يستعمل مصطلح الكلام عندما يتحدث عن الجملة فيقول فى كتابه « هذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وماهو مُحال كذب ، فأما المستقيم الحسن ... الخ » .

حينئذ نرى سيبويه يمثل للكلام المستقيم الحسن بجمل نحوية تامة ، فيقول : « فقولك : أتيتك أمس ، وسآتيك غدا »(١) .

كذلك نراه لم يتعرض لدراسة الجملة تفصيلا ولكنه أشار الى عناصر الجملة من حيث تركيبها وأجزائها حيث يقول : « هذا باب المسند والمسند اليه ، وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلمْ منه بدا ، فمن ذلك : الاسم المبتدأ والمبنى عليه وهو قولك : عبدالله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك : يذهب عبد الله ، فلابد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر فى الابتداء »(٢)

ثم تحدث عن دخول النواسخ على الجملة الاسمية ، وعن المتعدى واللازم من الأفعال(٣) .

فاذا نظرنا الى ما كتبه سيبويه فى كتابه نلحظ أنه قد تحدث عن تكوين الجملة وأجزائها:

(١) الكتاب ١ ، ٨ ط بولاق ، وانظر ١ ، ١٨ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، الى ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٢) الكتاب ١ ، ٧ ،
٣ الكتاب ١ ، ١٤ ـ ١٦ .

فقد تحدث عن الجملة الاسمية والفعلية ، كما تحدث عن الفعل اللازم والمتعدى ، ولكنه لم يطلق مصطلح الجملة .

وقد سار النحاة ــ غير المبرد ــ بعد سيبويه على هذا الطريق سيرا دقيقا ، فلم يتعرض أحد لدراسة الجملة اصطلاحا أو اعرابا ولكن كان هناك تعرض لدراسات حول أجزاء الجملة ، حيث أطلقوا عليها مصطلح الكلام(٤) .

أما المبرد : فقد تعرض بوضوح لمصطلح الجملة ــ ولعله أول من استخدم هذا المصطلح من النحاة(٥) وذلك فى باب الفاعل حيث يقول : « وانما كان الفاعل رفعا ، لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت ، وتجب بها الفائدة للمخاطب ، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر ، اذا قلت : قام زيد ، فهو بمنزلة قولك : القائم زيد (٦) فنجده قد تكلم على تقسيم الجملة ، كما نجده قد تحدث عن الجملة الفعلية(٧) ، وعن الشرطية(٨) ــ التى أطلق عليها مصطلح الجزاء .

عند نحاة الكوفة :

سار نحاة الكوفة على منهج سيبويه فى الكتاب ، فلم يستعملوا مصطلح الجملة ،

(٤) الجملة النحوية ٤٣ .
(٥) الجملة النحوية ٢١ .
(٦) المقتضب ١ ، ٨ .
(٧) المقتضب ١ ، ١٠ ، ١٣ .
(٨) المقتضب ٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٢ .

واستعملوا مصطلح الكلام .

فهذا الفراء يطلق مصطلح الكلام فى مواضع متفرقة من كتابه معانى القرآن ، فيقول : « وقد وقع الفعل فى أول الكلام »(١) وعندما يكون الفعل فى أول الكلام فهو ما يسميه النحاة بالجملة الفعلية — وعقب على قوله تعالى : « لايلاف قريش ايلافهم »بقوله : « يقول القائل : كيف ابتدىء الكلام بلام خافضة ليس بعدها شىء يرتفع بها »(٢) ، أما ثعلب : فقد استعمل مصطلح العربية ومصطلح الكلام ، — ولم يستعمل مصطلح الجملة — حيث يقول . « وليس فى العربية اذا قال : قام اخوتك أن يقول : قام هم »(٣) ، ويقول مستخدما مصطلح الكلام « قال : ضربتك اياك ، وضربتك أنت ، يجعلون المرفوع مثل التوكيد والعماد ، والتوكيد لا يكون أول الكلام »(٤) .

وأغلب الظن فى عدم استعمال ثعلب لمصطلح الجملة مع معاصرته للمبرد الذى استعمل هذا المصطلح ، أنه ربما لم يطلع على كتاب « المقتضب » للمبرد ولم ينتفع به ، اما للتنافس العلمى بين البصرة والكوفة عامة ، وبينهما خاصة ، وأنفته من استعمال اصطلاحات منافسيه ، واما تشاؤما من هذا الكتاب ، كما كانت النظرة سائدة نحو هذا الكتاب

(١) معانى القرآن ٢ ، ١٠ .
(٢) معانى القرآن ٣ ، ٢٩٣ وانظر استخدامه لمصطلح الكلام فى ٢ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤١
(٣) مجالس ثعلب ٢ ، ٥٩٣ وانظر ٢ ، ٥٩٧ .
(٤) مجالس ثعلب ١ ، ١٣٣ وانظر ٢ ، ٥٩٣ ، وانظر المدرسة الكوفية ٣٣٧ .

حينئذ(٥) .

عند نحاة بغداد :

يبدو أن دراسة الجملة عند نحاة بغداد قد نمت عندهم واتسعت وازدهرت — كما سنرى — ولكن كيف عرف هؤلاء النحاة مصطلح الجملة ، أغلب الظن أنه انتقل اليهم عن طريق المبرد — وهو أول من استعمل هذا المصطلح كما رأينا — فهو قد انتقل الى بغداد واتخذها مقرا له ، يعلم فيها نحوه ونحو البصرة الذ ينتسب اليه ، فلقد كان فى حلقته ابن السراج ، وكان من تلاميذ ابن السراج الزجاجى والفارسى(٦) .

لقد عرف نحاة بغداد مصطلح الجملة على أى وضع ، وهم أول من توسعوا فى استخدامه — ولكنهم فى الوقت نفسه لم يهملوا مصطلح الكلام — وظهر عندهم لأول مرة كتب تحمل أسماء « الجمل » ، مثل كتاب « الجمل » للزجاجى ، ويبدو أنه أول كتاب ظهر يحمل هذا الاسم ، ونفهم منه أنه أراد بالتسمية المعنى اللغوى(٧) ، كما ألف ابن خالويه كتابا يحمل اسم « الجمل »(٨) ، ثم نجد الشيخ عبدالقاهر الجرجانى يؤلف أيضا كتابا باسم « الجمل »(٩) وقد مال الشيخ عبد القاهر فى هذه التسمية الى المعنى اللغوى كما يظهر من مادة الكتاب ، ولكنه

(٥) انظر نزهة الالباء ١٨٣ ، وطبقات الزبيدى ٨١ ، وانباه الرواة ١ ، ١٥٩ .
(٦) نزهة الالباء ١٨٦ .
(٧) انظر ص ١٠ من الكتاب وما بعدها ط/٢ بتحقيق ابن ابى الشنب ، وأنظر الجملة النحوية ٢٦ .
(٨) كشف الظنون ٦٢٣/٢ .
(٩) انباه الرواة ١٨٨/٢ والكتاب مطبوع بتحقيق على حيدر .

فى آخره أشار الى المعنى الاصطلاحى للجملة(١) .

وذهب نحاة بغداد الى أن الجملة والكلام مترادفان تارة ، وتارة أخرى ذهبوا الى أنها مخالفة للكلام .

قال الزجاجى : « باب أقسام الكلام ، فأول ما تذكر من ذلك اجماع النحويين على أن الكلام اسم وفعل وحرف » (٢) .

وقال أبو على الفارسى : « الكلام يتألف من ثلاثة أشياء ، اسم وفعل وحرف » (٣) .

فالزجاجى والفارسى لا يريدان الجمل من هذا التعريف ، بل يريدان « الكلمة » ، وقد يراد من الكلام الجملة ، على ارادة أن الكلام أو الجملة لا يخلو من هذه أو من بعضها .

أما ابن جنى فانه يطلق مصطلح الجملة على الكلام بوضوح ، وأنه لا فرق بينهما عنده ، فيقول : « أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ، وهو الذى يسميه النحويون الجمل نحو : زيد أخوك ، وقام محمد »(٤) .

ويوضح الزمخشرى ذلك توضيحا تاما ،وأنه لا فرق بينهما ، وكل منهما مرادف للآخر فيقول « والكلام هو المركب من كلمتين أسندت احداهما الى الأخرى ، وذلك لا يأتى الا فى اسمين ، كقولك : زيد أخوك ، وبشر صاحبك ، أو فى فعل واسم نحو قولك : ضرب زيد ،وانطلق بكر ، ويسمى الجملة »(٥) .

(١) انظر الجمل ٤٠ .
(٢) الايضاح فى علل النحو ٤١ .
(٣) الايضاح العضدى ٦/١ .
(٤) الخصائص ١٧/١ .
(٥) شرح المفصل ١٨/١ .
وانظر المفصل ٦ ط/٢ بيروت .

وفى آخر كتاب «الجمل» للشيخ عبد القاهر أشار الى المعنى الاصطلاحى للجملة والى مرادفتها أيضا للكلام فيقول « ان الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة ، فاذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو : خرج زيد سمى كلاما وسمى جملة »(٦) ، كما يذكر معنى الجملة الاصطلاحى فى كتابه « دلائل الاعجاز »(٧) ، ثم فى كتابه « أسرار البلاغة » نجده يطلق مصطلح الكلام على الجملة(٨) .

لقد درس عبد القاهر الجملة دراسة واسعة تقوم على المعانى ، مع المحافظة على التنظيم النحوى لها ، وجعله مهما فى تركيب الجملة(٩) ، فقد تحدث عن التقديم والتأخير فى الخبر والاستفهام(١٠) ، وحذف المبتدأ(١١) والجملة الحالية(١٢) والجمل فى العطف(١٣) ، ومتعلقات الفعل(١٤) .

ولكن الحريرى يذهب مذهب النحاة القدماء حيث لم يستعمل مصطلح الجملة ، واكتفى باطلاق مصطلح الكلام ، فيقول : « الكلام عبارة عما يحسن السكوت عليه ، وتتم به الفائدة ، ولا يأتلف من أقل من كلمتين »(١٥) .

٦) الجمل ٤٠ .
٧) ص ٥ ، ١٥٢ ، ١٥٨ .
٨) ص ٨ وما بعدها .
٩) دلائل الاعجاز ٥٥ ، ومن اسرار اللغة د. ابراهيم أنيس ٣٠٢ والجملة النحوية ٤٤ .
١٠) دلائل الاعجاز ٩٣ .
١١) دلائل الاعجاز ٩٦ .
١٢) دلائل الاعجاز ١٣٥ .
١٣) دلائل الاعجاز ١٥٩ .
١٤) دلائل الاعجاز ٣٤٩ .
١٥) الجملة النحوية .

الجملة النحوية

عند نحاة الأندلس :

نحاة الأندلس لم يستعملوا مصطلح الجمله فى الأغلب الأعم ، ولا أستطيع القطع فى هـذه المسألة لعدم ألاطلاع على آثارهم ، على الأقل آثار هؤلاء النحاة التى بين أيدينا لم ير فيها مثل هذا الاصطلاح •

فهذا السهيلى لم يذكر مصطلح الجملة فى أماليه ، وكذلك ابن مضاء القرطبى نحا نحـوه ولم يشر اليها من قريب أو بعيد فى رده على النحاة •

أما ابن عصفور فانه يشير الى مصطلح الكلام فيقول : « الكلام اصطلاحا هو اللفظ المركب وجودا أو تقديرا المفيد بالوضع ، وأجزاؤه ثلاثة اسم وفعل وحرف » (١) .

غير أننا نقرأ عند ابن هشام أنه نقل عن ابن الطراوة مصطلح الجملة ، كما نقل أن ابن السيد البطليوسى يذهب الى أن « حتى » لا تعطف على المفردات فقط ، بل تعطف أيضا على الجمل(٢) ، ولا ندرى هل ابن هشام هو الذى استعمل هـذا المصطلح ، أو نقله عن الأندلسيين ؟ أغلب الظن أنـه مـن اطـلاق بن هشام ، وبخاصة أنه ذكر الجملة فى كتابه « المغنى » وقدم لها دراسة اعرابية واسعة ، كما تحدث عن الجملة مصطلحا فى أكثر كتبه •

كذلك ابن مالك لم يشر الى الجملة فى ألفيته، ولكنه ذكر مصطلح الكلام حيث يقول :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم
واسم وفعل ثم حرف الكلم

(١) المقرب ٤٥/١ •
(٢) المغنى ١٣٦/١ •

أما فى كتابه « التسهيل » فقـد أشـار الى مصطلح الجملة بايجاز(٣) ، وهذه هى الاشارة الوحيدة الى مصطلح الجملة عنـد الأندلسيين فيما رجعت اليه من كتبهم التى تيسرت لى •

عند نحاة مصر والشام :

نحاة مصر والشام كان أمامهم الاختيار من أقوال ومذاهب النحاة السـابقين ، كمـا كانت هناك هجرة النحـاة من الأندلس والعراق الى الشام ومصر ، فحصل الامتزاج والتأثر ، مـع اضافات واستدراكات ينفرد بهـا نحـاة مصر والشام •

وموقف هؤلاء النحاة من استعمال مصطلح الجملة والكلام ، نعرفه من شرحهم لقـول ابن مالك السابق •

فهذا ابن عقيـل يشرح ويقـول : « الكلام المصطلح عليه عند النحاة عبارة عن اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها ، وانما قال المصنف « كلامنا » ليعلم أن التعريف انما هو للكلام فى اصطلاح النحويين لا فى اصـطلاح اللغويين ، وهو فى اللغة اسم لكل ما يتكلم به مفيدا كان أو غير مفيد »(٤) •

فنجد ابن عقيل لم يشر الى الجملة ، واكتفى بتعريف مصطلح الكلام ، كما فعل ابن مالك ، ولعله يراهما مترادفين •

ولكن الأشمونى يفرق بين الكلام والجملة فى شرحه للالفية(٥) •

أما ابن هشام فانه يشير اشـارة واضـحة للجملة ، ويقدمها فى دراسة مستفيضة ، فيقول: « الكلام هو القول المفيـد بالقصـد ، والمراد

(٣) انظر التسهيل ١٦٧ •
(٤) شرح ابن عقيل للالفية ١٤/١ •
(٥) انظر شرح الاشمونى للالفية ٨/١ •

بالمفيد مادل على معنى يحسن السكوت عليه ، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ «قام زيد»، والمبتدأ وخبره كـ « زيد قائم » وماكان بمنزلة أحدهما نحو « ضرب اللص » و « أقائم الزيدان » و « كان زيد قائما » و « ظننته قائما » وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس ، وهو ظاهر قول صاحب المفصل ، فانه بعد أن فرغ من حد الكلام قال : ويسمى جملة ، والصواب أنها أعم منه ، اذ شرطه الافادة بخلافها ، ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ، وكل ذلك ليس مفيدا فليس بكلام(١) .

وذهب ابن هشام الى ذلك ، لأنه رأى تعريف الزمخشرى للجملة ليس جامعا مانعا ، وذلك لأنهم يقولون : جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ، وهذا ليس بكلام ، فليسا بمترادفين ، ولذلك قال : هما متغايران ، لأن تعريف القاعدة يجب أن يكون جامعا مانعا .

وابن هشام يعتبر بحق أول من توسع فى دراسة الجملة ، وقد حاول أن يكون محافظا(٢)، حيث انه لم يخرج عن تعريف القدماء للجملة ، سوى معالجته لجملة الشرط والصلة ، وعلى هذا توصل الى أن الكلام أخص منها ، ثم تحدث عن أقسامها واعرابها مفصلا وشارحا(٣) .

ولكن السيوطى يميل الى أنهما مترادفان ، فانه نقل مجموعة لأقوال من النحاة ، وختمها بقوله من يرى أنهما مترادفان ، أما اعتراض ابن هشام بأنهما ليسا مترادفين ، لأنهم يقولون: جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ،

(١) المغنى ٢/٣٧٤ ، وابن هشام نحوه وتاليفه د٠ محمد زين العابدين حسن سلامة ١٣٣ .
(٢) الجملة النحوية ٤٨ ـ ٤٩ .
(٣) المغنى ٢/٣٧٤ وما بعدها .

وهذه ليست مفيدة ، والكلام يكون مفيدا ، فيجيب عن ذلك السيوطى ناقلا عن « ناظر الجيش » : وأما اطلاق الجملة على ماذكر من الواقعة شرطا أو جوابا أو صلة ، فاطلاق مجازى ، لأن كلا منهما كان جملة قبل ذلك ، فأطلقت الجملة عليه باعتبار ماكان ، كاطلاق اليتامى على البالغين ، نظرا الى أنهم كانوا كذلك ، ثم تكلم السيوطى بعد ذلك عن تقسيمات الجملة(٤) .

ونختم الكلام على نشأة الجملة عند نحاة مصر والشام بقول عالم لغوى مشهور ، هو قول صاحب لسان العرب ، ففى اللسان «الكلام ماكان مكتفيا بنفسه وهو الجملة » وأيد ذلك بقوله « ومما يدل على أن الكلام هو الجمل المتركبة فى الحقيقة قول كثير :

لو يسمعون كما سمعت كلامها
خروا لعزة ركعا وسجودا

فمعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجى ولا تحزن ، ولا تمتلك قلب السامع ، وانما ذلك فيما طال من الكلام ، وأمتع سامعيه ، لعذوبة مستمعه ، ورقة حواشيه » (٥) .

(٤) انظر همع الهوامع ١/١٢ ـ ١٣ والجملة النحوية ٤٩ .
(٥) اللسان مادة « كلم » .

الجملة النحوية

عند النحاة المحدثين :

أما النحاة المحدثون كالأستاذ/عباس حسن، فنجده قد تعرض لمصطلح الجملة ، وأشار الى معناها ، وأعتبرها مرادفة للكلام ، فيقول : « الكلام أو الجملة هو ما تركب من كلمتين أو أكثر ، وله معنى مفيد مستقل »(١) .

خاتمة :

وفى خاتمة النشأة أشير الى أنه ورد اطلاق الكلمة على الجملة — التى هى مرادفة للكلام — فى قوله تعالى« كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا » اشارة الى قول القائل « رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » وفى قوله جل ذكره « وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا » أى : لا اله الا الله .

وفى قوله جل شأنه « تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ » .

وفى حديث الصحيحين (الكلمة الطيبة صدقة) .

وفى حديث النساء « استحللتم فروجهن بكلمة الله » .

وقوله — صلى الله عليه وسلم — « أفضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد » ، والمراد قول لبيد:

أَلَا كُلُّ شَىْءٍ مَاخَلَا اللَّـهَ بَاطِلُ
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

وقال صاحب اللسان : « كلمة التوحيد لا اله الا الله » .

والمراد — كما قال ابن هشام والسيوطى — المعنى اللغوى ، أى أن الكلمة تطلق لغة على الجمل المفيدة(٢) .

نظام الجملة :(٣)

تخضع الجملة لنظام معين فى ترتيب كلماتها ، ويلتزم هذا الترتيب فى تكوين الجمل ، فاذا اختل هذا النظام لم يحقق الكلام الغرض منه وهو الافهام ، فمفردات اللغة لا تمثل الا ناحية جامدة هامدة من تلك اللغة ، فاذا نظمت ورتبت ذلك الترتيب المعين ، سرت فيها الحياة ،وعبرت عن مكنون الفكر ، ومايدور فى الأذهان ، فاللغة فى حقيقة الأمر ماهى الا نظام من الكلمات العمد والفضلات — كل كلمة على حسب موقعها فى الجملة — ارتبط بعضها ببعض ارتباطا تحتمه قوانين معينة .

ولكى نعرف هذا النظام علينا أن نحدد معالم الجملة من العمد ومن الفضلات ، ويكون ذلك من الاستعمالات اللغوية التى تواضع الناس على افادتها واستقلالها بالمعنى .

فالجملة فى أقصر صورها هى أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا ، فكل الذى يجب أن يشترط فى الكلام لئلا يكون لغوا ، هو حصول الفائدة وتمامها ، وتشتمل الجملة فى هذه الحالة على ما يسمى بالمسند والمسند اليه وحدهما ، أى شىء ينسب اليه أمر من الأمور ، فالشىء هو المسند اليه ، والأمر هو المسند ،

(١) النحو الوافى ١٥/١ .

(٢) انظر شذور الذهب ١٢ ، والهمع ٣/١ ، والجملة النحوية ٣٨ ، ولسان العرب مادة « كلم » .

(٣) انظر من اسرار اللغة د. ابراهيم أنيس ٢٩٥ — ٣٤٨ الطبعة الرابعة وكتب النحو والبلاغة .

والمسند والمسند اليه هما الركنان الأساسيان اللذان يكتفى بهما فى هذه الجمل الصغيرة ، وذلك نحو قوله تعالى « فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا »(١) .

ولكن الجملة تتضمن فى الأغلب الأعم أمورا أخرى – هى الفضلات أو المتعلقات – تطول بها الجملة ، مثل قوله تعالى : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا »(٢) فالمسند اليه فى الآية قوم معينون من الناس ، وقد أسند اليهم ما يستحقونه من دخول الجنة والخلود فيها ، وقد جاء هذا الاسناد فى صورة من الكلام مطولة(٣) ، لأن الجملة اشتملت على المسند والمسند اليه ، وكثير من الفضلات أو المتعلقات .

اذن فالجملة فى أقصر صورها أو أطولها ، تتركب من ألفاظ ، هى مواد البناء التى يلجأ اليها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر ، يرتب بينها وينظم ، ويستخرج لنا من هذا النظام كلاما مفهوما ، نطمئن اليه ولا نرى فيه خروجا عما ألفناه ، فى صور وصيغ كلامنا العربى .

وحين نحاول البحث عن نظام الجملة العربية فى كتب القدماء ، يندر أن نرى منهم من قصر على مثل هذا البحث كتابا مستقلا ، أو فصولا فى كتاب ، حتى جاء عبد القاهر الجرجانى ، فعنى بهذا الأمر كل العناية فى كتابه « دلائل الاعجاز »(٤) ، فقد عرض فى هذا الكتاب لشىء من نظام الجملة ، حين تحدث عن التقديم والتأخير مع الاستفهام والنفى والخبر المثبت ، وحين تحدث عن الفصل والوصل ، وحين تحدث عن القصر ...

وقد حذا حذوه وسلك مسلكه أولئك الذين جاءوا بعده من البلاغيين ، كـ « السكاكى » و « الخطيب القزوينى » و « السبكى » وغيرهم من البلاغيين ، وهم حين يتحدثون عن نظام الجملة يتحدثون عنه فى مواضع متناثرة من كتبهم ، حين يتحدثون عن الفصاحة فى الكلام ، وحين يعرضون لأحوال المسند والمسند اليه – وبخاصة مبحث التقديم والتأخير – وأحوال متعلقات الفعل ، وحين يتحدثون عن القصر ، أو عن الفصل والوصل .

أما النحاة فقد قسموا علمهم تقسيما تقليديا، ورثوه عمن قبلهم ، وبوبوه على ذلك النظام المألوف المعروف فى كتبهم ، ولذا نرى بحثهم فى ترتيب الكلمات ، قد جاء متناثرا فى تلك الأبواب، يكاد ينتظم معظم أبواب النحو .

موضع المسند اليه فى الجملة :

لاشك أن تحديد موضع المسند اليه فى جملة من الجمل يترتب عليه أن يتحدد أيضا موضع المسند ، فتقدم أحدهما يستلزم بالتالى تأخر الثانى ، والعكس بالعكس .

(١) مريم ٢٦ .
(٢) النساء ٥٧ .
(٣) المرجع السابق ٢٧٧ .
(٤) انظر من ص ٦٠ – ١٨٠ ، ومن ٢٢٦ – ٢٥٧ .

الجملة النحوية

ولكى نحدد موضع المسند اليه نقسم الجملة الى :

أولا : الجملة التى لا تشتمل على فعل .

ثانيا : الجملة التى تشتمل على فعل .

أولا : الجملة التى لا تشتمل على فعل :

وهذه هى التى جرى عرف النحاة والبلاغيين على تسميتها بالجملة الاسمية ، ويغلب أن يكون المسند اليه فيها اسما ، والمسند وصفا مشتقا ، فاذا كان المسند فيها اسما جامدا أولوه بمشتق ، وذلك ليتحقق فيها ركنا الاسناد ، واذا كان المسند جارا ومجرورا أو ظرفا أو لو بكلمة « مستقر » .

والجمل الاسمية هنا ثلاثة أنواع :

النوع الأول : جمل يكون فيها المسند اليه معرفة والمسند نكرة ، وهذه قسمان متميزان فى نظام كلماتها .

١ ــ قسم يكون فيها المسند وصفا منكرا أو اسما منكرا ، وترتيب الجملة يكون بذكر المسند اليه ، فالمسند ، تقول : محمد فاهم ، والنصر فتح ، ولا يصح العدول عن هذا النظام الا حين تبدأ الجملة بنفى أو استفهام ، تقول : أكاتب أنت ؟ فالمسند فى هذا المثال وهو وصف مشتق لا تعريف فيه ، تقدم على المسند اليه ، وقد تقدم مع تنكيره بفضل الاعتماد على الاستفهام ، ويمكن أن يقال مثل هذا حين يكون المسند اسما منكرا لا وصفا مشتقا ، تقول : هل فتح النصر ؟ وهل النصر فتح ؟

٢ ــ وقسم يكون فيها المسند شبه جملة ، أى الجار والمجرور أو الظرف ، ولا فرق هنا بين أن يتقدم المسند أو يتأخر ، فالتعبيران جائزان مقبولان ، تقول : الحمد لله ، ولله الشكر ، والكتاب فوق المكتب ، وفوق المكتب الكتاب ، غير أن الكاتب قد يؤثر أحدهما فى موضع ما ، ويؤثر الآخر فى موضع آخر ، ولا يكاد يختلف المعنى فى كلتا الحالتين ، فالفرق بينهما فرق أسلوب ، فاختيار أحد الأسلوبين يرجع الى تلك النواحى الفنية التى تتأثر بمزاج الكاتب ، وموسيقى الكلام ، وعلاقة الجملة بما يليها وبما يسبقها ، ويظهر أن صفة التعدد فى المسند أو المسند اليه تجعل معظم الكتاب يؤثرون تأخير المتعدد منهما ، فيقال : الكتاب لك ولأصدقائك ولزملائك ، ويقال أيضا : لك الكتاب والكراسة والقلم ، فالمثال الأول تعدد فيه المسند فحسن تأخيره ، وفى المثال الثانى تأخر المسند اليه لأنه تعدد .

النوع الثانى : جمل اسمية يكون فيها كل من المسند والمسند اليه منكرا ، وقد عنى النحاة بتلك الجمل الاسمية التى يكون فيها المسند اليه منكرا ، ووصفوا لنا حالاتها ، ومثلوا لكل حالة ، وليس يعنينا منها هنا الا حالتان :

الحالة الأولى : حين يوصف المسند اليه بوصف يخصصه أو يقلل من عموميته ، مثل قوله تعالى « وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ(١) » ، وهنا تلتزم الجملة صورة واحدة ، يتقدم فيها المسند اليه على المسند .

---

(١) البقرة ٢٢١ .

الحالة الثانية : حين يكون المسند جارا ومجرورا أو ظرفا،وهنا نرى الجملةغير المعتمدة على نفى أو استفهام تلتزم صورة واحدة ،فيها يتقدم المسند ، تقول : فى الأزهر رجال ، فاذا اعتمدت هذه الجملة على نفى أو استفهام جاز تقديم المسند وتأخيره ، تقول : أطالبات فى الكلية ، كما تقول أيضا : أفى الكلية طالبات ، وكذلك الحال اذا اعتمدت الجملة على نفى ، والمعنى فى التقديم والتأخير واحد ، ولا يعدو أن يكون هذا فرق أسلوب ، وعلى كل هذا فرق بين الجملة المثبتة والمنفية فى نظام كل منهما .

النوع الثالث : جمل اسمية يكون فيها كل من المسند والمسند اليه معرفة ، نحو : الكاتب زيد ، والترتيب هنا بين المسند والمسند اليه لا يعدو أن يكون أمر أسلوب ، اذ لا يكاد المعنى يختلف بتأخير أحدهما أو تقديمه ، ولكن هناك صعوبة فى التمييز بين المسند والمسند اليه ، فأيهما المسند ؟ وأيهما المسند اليه ؟

للنحاة وعلى رأسهم سيبويه كلام كثير وخلاف كبير فى هذا(١) ، ولكن يبدو أن المسند اليه فى هذه الحالة هو المتحدث عنه ــ كما سبق أن قلنا فى تعيين المسند اليه عامة ــ أى الشىء الذى نعنى بالحديث عنه ، ونهدف الى نسبة صفة له ، فمعرفة ظروف الكلام وملابساته تيسر لنا التمييز بين المسند والمسند اليه فى مثل هذه الجمل .

ومما تتميز به الجمل الاسمية فى هذا النوع، الميل الى تأكيد المحكوم عليه فيها بضمير منفصل

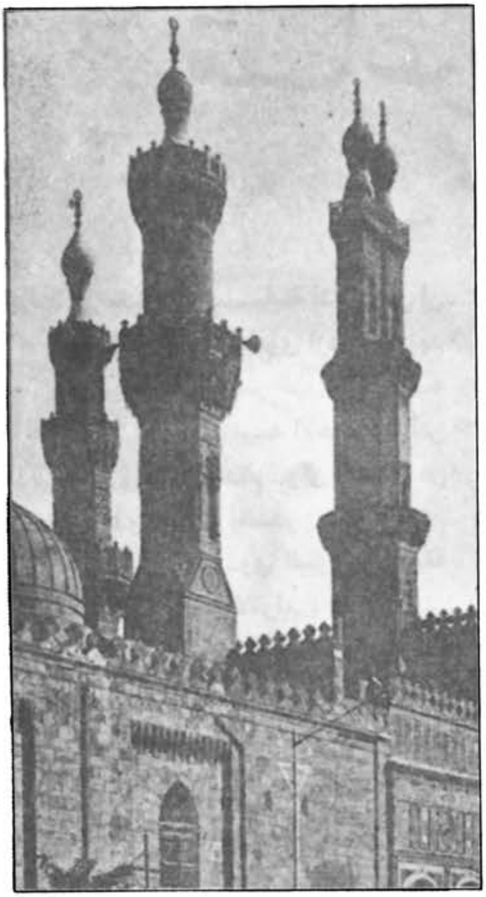

يقع بين الركنين ، مثل قوله تعالى «**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**»(٢) .

---

(١) انظر اسرار اللغة ٣٢٤ ، والمغنى ٢/٢٣٢ ــ القاعدة العاشرة .

(٢) المائدة ٧٦ .

شاعران وممدوحان

فى مقالات سابقة أشرت الى أن الشعراء فى العصر الأموى ازداد تكسبهم بالشعر ، لأنه العصر الذى كثرت فيه الأموال ، وظهرت فيه الأحزاب التى تتقاتل فى سبيل الحكم ، ومن الشعراء من كانوا ذوى فطنة يقصدون رجال الحكم أو القادة أو ذوى البيوتات العريقة فيجدون العطاء والاكرام ، ومنهم من كانت تضيع الطريق بين قدميه فيرجع بخفى حنين •

والشاعران اللذان أتحدث عنهما اليوم هما : أبو وجزة السلمى ، وأبو زيد الأسلمى : أما الأول فقصد آل الزبير ، وأما الآخر فقصد ابراهيم بن هشام المخزومى ، والتقيا فى طريقهما الى المدينة واصطحبا •

فقال أبو وجزة ، هلم فلنشترك فيما نصيبه فقال أبو زيد الأسلمى : كلا ، أنا أمدح الملوك ــ يعنى ابراهيم بن هشام المخزومى وكان والى المدينة من قبل ابن اخته هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى ــ وأنت تمدح السوق • فلما دخلا المدينة حدث ماخيب ظن أبى زيد الأسلمى وسيأتيك الخبر مفصلا بعد :

ذهب أبوزيد الى ابراهيم بن هشام فأنشده « يابن هشام يا أخا الكرام » فقال ابراهيم : وانما أنا أخوهم وكأنى لست منهم ، ثم أمر به فضرب بالسياط • وذهب أبو وجزة الى آل الزبير فكتبوا اليه بستين وسقا من تمر وقالوا : هى لك فى كل سنة • وقد نتج عن الموقفين شعر لكل من الشاعرين عنى أبو العباس المبرد به وفسره وسنذكره بعد اعطاء فكرة عن العصر وعن رجاله •

جموع الفراسة عند الأسلمى

مما لا جدال فيه أن أبا زيد الأسلمى قد أخطأ خطأ كبيرا ، فقد جال فى ذهنه أن ابراهيم بن هشام أكثر مالا وأعلى قدرا من آل الزبير لأنه والى المدينة ، ولم ينظر الى الزبيريين ومنزلتهم فى قريش وفى العالم الاسلامى ، فالزبيريون ينسبون الى الزبير بن العوام ، والزبير من رهط خديجة زوج الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجده أسد بن عبد العزى من ولد قصى بن كلاب ، والخلافة بعد عمر رضى الله عنه لم تخرج من بنى قصى ، فهى اما فى بنى هاشم أو بنى أمية وكلاهما من عبد مناف بن قصى ، واما فى بنى الزبير •

وكان عبد الله بن الزبير خليفة المسلمين لمدة تسع سنوات له كل الدولة الاسلامية ماعدا دمشق ثم كانت له ماعدا الشام ومصر ، وكان

للأستاذ السيد حسن قرون

أخوه مصعب والى العراق والعرب تلقبه بالملك . ملك العراق ويمتد أمره الى الفرس وماوليها من الشرق ، فالزبيريون أمراء ولهم مواقف مع بنى أمية وخطوب ومواقف مع بنى هاشم ، ولو بايع الهاشميون عبد الله بن الزبير لساد العالم الاسلامى كله ، ولذلك قبض على خمسة عشر منهم وأراد احراقهم لولا جيوش الشيعة التى قدمت من العراق فأنقذتهم . ولما سقط ملكهم بقيت لهم أموالهم وممتلكاتهم ومجدهم ، والعرب تعترف لهم بذلك وبقى لهم هذا الشأن فى العصر الأموى وصدر من الخلافة العباسية . ومما قصه علينا أستاذنا عبد الفتاح بدوى مدرس العروض والقوافى بكلية اللغة العربية — رحمة الله عليه — أن أحد الزبيريين فى عهد أبى جعفر المنصور حضر حفلا فيه راقصة تغنى ، فأعجبته فأعلن مبايعته اياها بالخلافة ، فقال أبو جعفر المنصور حين بلغه ذلك : الآن انتهينا من منازعة آل الزبير فى الخلافة .

وقد كان الزبيريون يردون مفاخر بنى أمية ولا يجد الأمويون منفذا للغض منهم ، وما دونته كتب الأدب من أن عثمان بن عفان — رضى الله عنه — قال للزبير حين فخر بأمه (صفية بنت عبد المطلب) : أدنتك من الظل وكنت ضاحيا لايكون ، لأن أبناء قصى على قدم المساواة فى المنزلة عند قريش وغيرها . واذا كان عبد مناف من أبنائه رسول الله فهذا شرف للعرب جميعا ولو خصصنا لكان شرفه لبنى هاشم فقط وهذا لايقوله أحد ، فهو رحمة مهداة الى الناس جميعا .

يروى الأمويون أن خالد بن يزيد بن معاوية قال شعرا فى زوجه آمنة بنت سعيد هو :

فتاة أبوها ذو العصابة وابنه
وعثمان ما أكفاؤها بكثير
فان تفتلتها والخلافة تنقلب
بأكرم علقى[1] منبر وسرير

فأبوها ذو العصابة يعنى سعيد بن العاص ابن أمية ، والحقيقة أنه جدها لأن أباها هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، وذلك أن قومه يذكرون أنه كان اذا اعتم لم يعتم قرشى اعظاما له وينشدون :

أبو أحيحة من يعتم عمته
يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

قال المبرد : ويزعم الزبيريون أن هذا البيت باطل موضوع . وأزعم أنا أن شعر خالد موضوع أيضا ، لأن خالدا جعل عثمان من الأدنين فى نسبها ، وخالد وعثمان سيان فى النسب اليها ، فجد خالد حرب بن أمية أخو العاص بن أمية (جد الفتاة) وأخو أبى العاص ابن أمية (جد عثمان) وأخو العيص وأبى العيص الى آخر الاخوة ، فلا حاجة الى تخصيص عثمان بالقرابة والفخر ، ولو كان الشعر لخالد لما عدل بحرب وأبى سفيان ومعاوية أحدا ، لأن مركز السيادة فى بنى أمية

(١) مثنى علق وهو النفيس .

شاعران وممدوحان

حرب وأبناؤه ، وهم الذين نازعوا على بن أبى طالب ، فى الخلافة • ومعنى تفتلتها تأخذها فجاءة ، والعلق الشىء النفيس ، والشعر جعل سريرها يعادل منبر الخلافة •

وانما سقت اليك كل هذا لأبين أن أبازيد الأسلمى خانته فراسته فى قياس مروءة الرجال وتغير الأحوال لاينزل من أقدار الكرام ، وقد كان بنو هاشم مقصين عن الرياسة ومع ذلك – فى هذا العصر – كانوا يقصدون ويمدحون ويجد الناس عندهم طعاما وعلما وجوائز سنية ولك أن تقرأ أخبار أجداد العرب فى الاسلام فستجد فى المقدمة عبيد الله بن عباس وعبد الله ابن جعفر والشاعران حين ذهبا الى المدينة كانت الخلافة فى عنق هشام بن عبد الملك الأموى ، وهشام تولى الخلافة سنة ١٠٥ هـ بعد أخيه يزيد بن عاتكة ، وهلك سنة ١٢٥ هـ فما قاله الشاعران وقع فى عهده •

بعد نظر السلمى

وقد وفق أبو وجزة السلمى فى انتجاعه آل الزبير ، وأبو وجزة ربى فى بنى سعد بن بكر أظئار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد ينسب اليهم فيقال « أبو وجزة السعدى » وجاءت تربيته عندهم لسباء حدث لأبيه وهو صبى فبيع لرجل من بنى سعد بن بكر وكبر عندهم ، فلما كانت خلافة عمر رضى الله عنه • ذهب اليه وقص عليه قصته • فقال عمر : « لاسباء على عربى » وخيره فى المقام بين بنى سعد وبين مغادرتهم فعاش بينهم ، وابنه أبو وجزه يعد من التابعين وعاش فى أوائل القرن الثانى من الهجرة ليمدح آل الزبير •

ولم يكن أبو وجزة وحده هو الذى يرحل الى آل الزبير لينال جوائزهم بل كثير من الشعراء كانوا يقصدونهم ، يحكى المبرد حين تعرض للغناء والمجيدين فيه أن الشاعر موسى شهوات قال لمعبد المغنى أقول شعرا فى حمزة ابن عبد الله بن الزبير وتتغنى أنت به فما أعطاك من شىء فهو بيننا فقبل معبد وقال موسى :

حمزة المبتاع بالمال الثنا
ويرى فى بيعه أن قد غبن
وهو ان أعطى عطاء كاملا
ذا اخاء لم يكدره بمن
واذا ما سنه مجحفة
برت المال كبرى بـ سفن
حسرت عنه نقيا لونه
طاهر الأخلاق ما فيه درن

فأبو وجزة لم يخطىء الهدف ، ولم يمدح من يكدر العطاء بمن ، وانما أعطاه الزبيرون ستين وسقا من تمر وجعلوها مفروضة عليهم كل سنة ، وناقته لاتستطيع حملها فأعطوه بها كتابا ، كما نفعل اليوم بكتابة (شيك) مبين فيه المبلغ ، والوسق خمسة أقفزة بملجم البصرة ، وفى الحديث عن النبى – صلى الله عليه وسلم – : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » هكذا يفسره المبرد ، فكم كيلة هذه الأوسق ؟ فى فقه السنة جعل نصاب الزكاة خمسين كيلة وهى خمسة أوسق ، فتكون الستون وسقا ستمائة كيلة حسب المعمول به فى مصر •

فماذا قال أبو وجزة فى هذا الأمر ؟ قال :

راحت رواحـــا قلوصى(١) وهى حامدة
آل الزبيـر ولـم تعـدل بهـم أحـدا
راحت بسـنين وسـقا فى حقيبتهـا
ما حملت حملهـا الأدنى ولا السددا(٢)
ما ان رأيت قلوصـا قبلهـا حملت
سـتين وسـقا ولا جابت بـه بـلدا
ذاك القـرى لاقـرى قـوم رأيتهم
يقـرون ضيفهم الملوية (٣) الجـددا

وماذا قال صاحبه أبو زيد الأسلمى وقد قراه ممدوحه السياطالجدد ؟ قال وقد عرف الحقيقة؟

مـدحت عروقا للنـدى مصت الثرى
حديثـا فـلم تهمـم بـأن تتزعزعـا
نقـائذ بـؤس ذاقت الفقـر والغنى
وحلبت الأيـام والدهـر أضرعـا
سقاها ذوو الأرحـام سجلا على الظمـا
وقـد كربت أعناقهـا أن تقطعـا
بفضـل سـجال لو سـقوا من مشى بها
على الأرض أرواهم جميعا وأشـبعا
فضمت بأيديهـا على فضـل مائهـا
من الـرى لمـا أوشكت أن تضلعـا
وزهدهـا أن تفعـل الخيـر فى الغنـى
مقاساتها من قبـله الفقـر جوعـا

وهذا الشعر يقتضينا القـاء الضوء على التغيرات التى حدثت للأسرة فى العهد الأموى ومنها بنو مخزوم ، ارتفع شأن بنى مخزوم فى عهد الخليفة الأول ارتفاعا عظيما بما قام بـه خالد بن الوليد من بطولة رائعة جعلت العقـاد يراها عبقرية ، فكان كتابه « عبقرية خـالد » وكان معه أبناء عمه فأبلوا فى الحروب الاسلامية بلاء حسنا ، ثم عزل خالد ، وعاش أبناؤه بعده فى الشام ، وكان ميل بنى مخزوم عند أمـر الشورى لعثمان بن عفان ولكنهم لم ينالوا من خلافته ما أملوا ، فتحولوا الى العطف على بنى هاشم ولاسيما الحسين ، ولم ينالوا امارة ولا قيادة حتى جاء هشام بن عبد الملك خليفة فنظر الى خاليه : محمد وابراهيم فولاهما عن خمول كما يقول المبرد ، ويخيل الى أنهما لم يكونا فى مستوى المسئولية ، وأنهما كأختهما أم الخليفة حمقاء وقد طلقها عبد الملك وهى حامل بهشام ، وربى هشام بعيدا عنها ، وكانا لاهم لهمـا الا اقصاء ولى العهد عن حقه فى الخـلافة وهـو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان جزاؤهمـا القتل والتنكيل بعد وفاة هشام وتولية الوليد . ومن حمق ابراهيم ممدوح أبى زيد الأسلمى أنه ما ان سمع مطلع الشعر فيه حتى أمر بضربه بالسياط لأنه خاطبه بقوله « يابن هشام يا أخا الكرام » وأخا هذه استخدمها القرآن كثيرا فلم يعبها أحد ، وانما هى الغطرسة وسوء الخـلق وضعف الوازع الدينى ، والعاقل لايفعل ذلك. يمدحه شاعر ، فان لم يعجبه الشعر فليتصدق عليه أو فليصرفه عنـه بالاعراض عن سـماع شـعره .

انما الضرب دون جريرة فهـذا نهـاية فى الغلظة والتجبـر والخـروج عـن المألوف . وابراهيم هذا ينتهى نسبه الى الوليد بن المغيرة من ولد هشام بن الوليد ، وقد كان الوليد غنيا فى الجاهلية ، ولكن ظروف الحياة تغيرت ، ونحن الآن فى القرن الثانى للهجرة ، ولابد أن يكون

(١) ناقتى الشابة .
(٢) المقاربة .
(٣) السياط .

شاعران ومحدوحان

ابراهيم وأخوه محمد قد ذاقا الفقر طويلا فلما وليا وصارا من الامراء السوقة ضنا بالمال وضنا بالكلمة الطيبة ، وكانا عبئا على الخليفة ، والشعر الذى قاله الشاعر فى ابراهيم يصف واقعه وصفا دقيقا ، فهو حديث الغنى لاتأخذه الأريحية فيهتز للكرم ، لقد أنقذ من البؤس بعد أن تقلبت به الأيام وعرف الجوع والشبع ، ولم يعرف الشبع بجهده وانما وصل اليه من ذوى الأرحام وهو هشام الخليفة ، بفضل من ماله وهذا الفضل كثير يسع الكثير من المحتاجين ، فقد شبعوا حتى أتخموا ، وأمسكوا بما ملكوا حتى جشعوا •

وزهدها أن تفعل الخير فى الغنى
مقاساتها من قبله الفقر جوعا

ومن شبع بعد الجوع ، واغتنى بعد الفقر أشد الناس حرصا على المال وجمعه • وقد وجد المبرد بغيته فى شعر أبى زيد ، فشرح بعضه ونحا ببعضه نحو النحو ، فتحدث عن أفعال المقاربة ، ولا بأس بالالمام بما قاله ، فنحو المبرد يعطى النحو واللغة والأدب معا •

واذا جئتك بما عنى به فانما أجيئك بخلاصة لأنه أمام كل كلمة لغوية يشرح ويستشهد ويوثق اللغة فهى لغة تتصل بالرواة ، ونسب مفرداتها معروف موصوف ، ولذلك تقول هذه لغة تميم أو أهل العالية أو لغة هذيل الى آخر اللغات أى اللهجات فعند قول أبى زيد « فلم تهمم بأن تزعزعا » يقول ، فانما هذا مثل ، يقال فلان يهتز للندى ويرتاح لفعل الخير كما قال متمم ابن نويرة فى وصف أخيه مالك بن نويرة :

تراه كنصل السيف يهتز للندى
اذا لم تجد عند امرىء السوء مطعما

ولايكتفى بهذا البيت وهو كاف بل يسوق فى ذلك بعده شاهدين ويعلق على كل لفظ يتصل بالاهتزاز للندى من التزعزع والاريحية وللسرور بما يعطى كأنه أخذ • وقوله « نقائذ بؤس » يجىء شرحه على هذا الوجه : وأحدتها « نقيذة » وتأويله أنهم أنقذوا من بؤس ، يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد تقول : هذا نقيذة بؤس تقع الهاء و (التاء) للمبالغة لأن أصله كالمصدر كقولك زيد مكرمة لأهله ، وزيد كريمة قومه أى يحل محل العقد الكريمة والخصلة الكريمة • وفى الحديث : « اذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه » وتقول العرب للرجل راوية ونسابة فتزيد الهاء للمبالغة وكذلك علامة وقد تلزم الهاء (التاء) فى الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد نحو ربعة ويفعة وصرورة وهذا كثير لاتنزع الهاء منه ، فأما رلوية وعلامة ونسابة فحذف الهاء جائز فيه ، ولايبلغ فى المبالغة ماتبلغه الهاء . وقوله : « وحلبت الايام والدهر أضرعا» فانه مثل يقال للرجل المجرب للامور : فلان قد حلب الدهر أشطره أى قد قاسى الشدة والرخاء وتصرف فى الفقر والغنى كما قال القائل :

قد عشت فى الناس أطوارا على طرق
شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرنى
ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الهول صدرى قبل موقعه
ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا

ومعنى قوله « أشطره » فانما يريد خلوفه ، يقال حلبتها شطرا بعد شطر ، وأصل هذا من التنصف لأن كل خلف عديل لصاحبه ، وللشطر وجهان أحدهما النصف كما ذكرنا من ذاك قولهم شاطرتك مالي والوجه الآخر القصد يقال خذ شطر زيد أي قصده . قال الله عز وجل : « فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (أى قصده) وَحَيْثُ مَاكُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ » (١) ثم يذكر شعرا بعد هذا .

وقوله « شعاها ذوو الأحلام سجلا على الظما » فالسجل فى الأصل الدلو وانما ضربه مثلا لما فاض عليها من ندى أقاربها ، يقال للدلو وهى مؤنثة سجل وذنوب وهما مذكران ، والغرب مذكر وهو الدلو العظيمة . ويقال فلان يساجل فلانا أى يخرج من الشرف مثل مايخرج الآخر . وأصل الساجلة أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما فى سجله مثل مايخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة وبين ذلك (الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب) فى قوله .

من يساجلنى يساجل ماجدا
يملأ الدلو الى عقد الكرب .

وسمعه الفرزدق الشاعر وهو ينشد فقال : أنا أساجلك ثقة بنسبه فقيل هذا (الفضل ..) فقال ما يساجلك الا من عض . وذكر كلمة قبيحة . ونسب الفضل لايعلوه نسب ، وبعد بحث غير قصير فى الدلو وأخواتها يقول فى قول الشاعر « وقد كربت أعناقها أن تقطعا » سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشا وكرب فى معنى المقاربة . وهنا يدخل فى النحو

ونحن على علم بأفعال المقاربة وأنها من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر ، ويقسمونها الى أفعال مقاربة مثل (كاد وكرب وأوشك) وأفعال رجاء مثل (عسى) وأفعال الشروع مثل (أخذ وأنشأ وطفق) ولكنه يقدمها لك بهذه الأناقة ، يقال ، كاد يفعل ذلك ، وجعل يفعل ذلك وكرب يفعل ذلك أى دنا من ذلك ، ويقال جاء زيد والخيل كاربته أى قد دنت منه وقربت فأما أخذ يفعل وجعل يفعل فمعناها أنه قد صار يفعل ولا تقع بعد واحدة منهما أن (وهكذا كل أفعال الشروع مثل طفق أنشأ وبدأ ...) فأن لا تستعمل بعد واحدة منها الا أن يضطر شاعر . قال الله عز وجل ، « إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا » أى لم يقرب من رؤيتها وايضاحه لم يرها ولم يكد .

وكذلك «يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ(٢) » وكذلك « كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ (٣) » بغير أن . ومن أمثال العرب : كاد النعام يطير . وكاد العروس يكون أميرا . وكاد المنتعل يكون راكبا . وقد اضطر الشاعر فأدخل أن بعد كاد كما أدخلها هذا بعد كرب فقال « وقد كربت أعناقها أن تقطعا » فكاد بمنزلة كرب فى الاعمال والمعنى وقوله : « ولما أوشكت أن تضلعا يقول لما قاربت ذلك ، والوشيك للقريب من الشىء والسريع اليه ، يقال يوشك فلان أن يفعل كذا وكذا والماضى منه أوشك وقعت بأن وهو أجود ، وبغير أن كما كان ذلك فى لعل — ولعل حرف من أخوات ان وانما أدخلها هنا المبرد من أجل أن ومثل لها

(١) سورة البقرة ١٥٠ .

(٢) النور ٤٣ .
(٣) التوبة ١١٧ .

شاعران وممدوحان

بقوله : تقول لعل زيدا يقوم فهذه الجيدة . قال الله عز وجل : «لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا » ..
وقال متمم بن نويرة :

لعلك يوما أن تلم ملمة .
عليك من اللائى يدعنك أجدعا (١) .

ولم يفعل النحاة فعله فهم يذكرون الأفعال فقط ولايبحثون فى الحروف ، ولكن المبرد ينفرد بما فعل ، لأنه لغوى نحوى وأديب وأخبارى أيضا . قال ، وعسى الاجود فيها أن تستعمل بأن كقولك عسى زيد أن يقوم كما قال الله عز وجل : « فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ » (٢) ويجوز طرح أن وليس بالوجه الجيد قال هوبة .

عسى الكرب الذى أمسيت فيه .
يكون وراءه فرج قريب

ونحن اليوم عند درسنا لتلك الأفعال نضع أوشك وعسى معا من حيث دخول أن على خبرها ، ونذكر ما ذكره المبرد .

وبعد هذا الكلام يعتذر المبرد قائلا : « وحروف المقاربة — يقصد أفعالها — لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها فى الكتاب (المقتضب) بغاية الاستقصاء .

وقوله «أن تضلعا» معناه أن تمتلىء وأصله أن الطعام والشراب يبلغان الأضلاع فيكظانها كذلك قال الأصمعى فى قولهم : أكل حتى تضلع

وأنت ترى المبرد لم يشرح الشعر كما نشرحه الآن ، فنحن نشرح الألفاظ الغريبة ثم نذكر المعنى الكلى للشعر ثم نبين ما فى أبياته من بلاغة ، ولا تتعرض للنحو الا بقدر ، وصنيعه غير مردود ، فهو يكتب لأناس يفهمون المعنى ويركز هو على مايحتاج الى الشرح والتنويه ، على أنه يوثق للغة ، وأن ما يذكره جدير بالحفظ والتقيد به حتى يجيء التعبير سليما من الخطأ جاريا على أساليب العرب .

وقد كان تعليقه على أبى وجزة قليلا ، لذا لم أذكره فى هذا الصدد (٣) .

وقد كانت رحلة الشاعرين الى المدينة للاستجداء بالشعر ونجاح أحدهما واخفاق الآخر سبيلا الى اثراء اللغة بمعان تكاد تكون مبتكرة وألفاظ مختارة فيها جمال وأناقة وما أجمل قول أبى وجزة فى حديثه عن حمل قلوصه .

راحت بستين وسقا فى حقيبتها
ما حملت حملها الأدنى ولا السددا

فهو معنى مبتكر ، لان صاحبها أخذ صكا بما يوجب هذا المقدار من التمر ، وهو غير المعنى الذى ذهب اليه الأعشى فى قوله :

وان عتاق العيس سوف يزوركم .
ثناء على أعجازهن مطلق

فانما أراد المدح الذى تحدى به النوق البيض وهى « العيس » والحادى من ورائها كما أن الهادى أمامها ، وشتان بين الحداء وحمل العطاء وكل افتنان فى التعبير وابداع فى الأداء ، كم فى الشعر العربى من جمال وجلال وبهاء .

---

(١) مصابا بقطع الانف أو الاذن والمراد الاصابة مطلقا .
(٢) المائدة ٥٢ .
(٣) راجع باب ١٧ من كتاب الكامل .

من المراجع
الكامل للمبرد
الاغانى : اخبار ابى وجزة .
اخبار الوليد بن يزيد
تفسير النسفى
مختار الصحاح
فقه السنة للشيخ سيد سابق .

تغطية الإسلام

تأليف : إدوارد . و . سعيد

عرض وتعليق : د . طه مصطفى أبو كريشة

كيف تتحكم وسائل الاعلام الغربى فى تشكيل و إدراك الاخرين وفهمهم ؟!

١

هذا الكتاب هو الترجمة العربية التى صدرت فى طبعتها الاولى سنة ١٩٨٣ عن مؤسسة الابحاث العربية ببيروت ، وقامت بالترجمة سميرة نعيم خورى عن النص الانجليزى للطبعة الامريكية الاولى الصادرة فى نيويورك سنة ١٩٨١ حيث يعمل المؤلف أستاذا للادب الانجليزى والأدب المقارن فى جامعة كولومبيا فى نيويورك .

والكتاب قائم على مقدمة وثلاثة فصول وملحق بالهوامش التى تشير الى المصادر والمراجع التى استعان بها المؤلف فى ثنايا عرض الكتاب .

والمقدمة تقدم تفسيرا وتوضيحا للتسمية التى قد يفهم من ظاهرها غير ما يراد منها ، ومع التوضيح والتفسير يظهر هدف المؤلف من تأليف الكتاب .

أما الفصول الثلاثة فتتناول هذه الموضوعات على الترتيب : الاسلام فى الاعلام — قصة ايران — المعرفة والقوة .

أما ترجمة الكتاب فشأنها شأن كثير من الترجمات اللبنانية المعاصرة التى تتسم بشىء من غموض الفكرة والعبارة الى جانب تردد بعض الالفاظ المنحوتة من مصطلحات أجنبية ، الامر الذى قد يعطى أسلوب الكتاب شيئا من العجمة اللفظية ، لكن ذلك ليس بالامر الكثير .

٢

أما تسمية الكتاب « تغطية الاسلام » فان لفظ التغطية ليس معناه الاخفاء كما قد يتبادر الى الذهن لأول وهلة ، وانما هو مأخوذ من استعمال « اعلامى » حين تتناول أجهزة الاعلام

موضوعا معينا ، فتذكر كل ما يتصـــل به فى تعبئة اخبارية تشمل الموضوع من جـــوانب متعددة ، فيقال انها غطته اخباريا ، وهذا مـا أشار اليه المؤلف فى مقدمة الكتاب بقوله « فى غضون السنوات القليلة الماضية خاصة منذ أن استولت الاحداث فى ايران على الاهتمـــام الاوربى والامريكى استيلاء بالغا ، اتجهت وسائل الاعلام لتغطية الاسلام : لقد قامت بعرضه وبسطه وتصويره ، وتحديد خصائصه وتحليله ، وتوفير مساقات فورية حوله ، ونتيجة ذلك جعلت الاسلام معروفا » (١٠) ثم ينتقل المؤلف الى بيان الهدف من تأليف الكتاب فيقول .. ولكن هذه التغطية زاخرة بالمغالطات .. ولقد زودت هذه التغطية مستهلكى الاخبـار بالشعور بأنهم باتوا يفهمون الاسلام دون أن تشـعرهم فى الوقت نفسه بأن القسط الأوفر من هذه التغطية النشـطة انمـا يقـوم على مادة هى أبعد ما تكون عن الموضوعية » ثم يقول « ولقد رافق هذا النوع من التغطية الكثير من التعمية » ويفسر ذلك بأن كثيرا من الذين تولوا التعبئة الاخبارية كانوا يرسلون دون أعداد أو خبرة تؤهل لذلك « بل يكمن المؤهل الوحيد فى براعتهم فى التقاط الاشياء بسرعة »

ويرتب المؤلف على ذلك أن الهدف هو كشف هذه المغالطات البعيدة عن الموضوعية ، وابراز هذه التعمية المبنية على الجهل وسوء الفهم .

والمؤلف – كما ذكر – لا يقصد بذلك الدفاع عن الاسلام بقدر ما يقصد وصف ونقـــد استخدام الغرب للاسلام فى أجهزة اعلامه

٣

وموضوع الفصل الاول هو « الاسلام فى الاعلام » وتحت عنوان « الاسلام والغرب » يذكر المؤلف أن هناك أحداثا معاصرة معينـــة استغلتها أجهزة الاعلام الغربى فى الدعاية ضد الاسلام وفى تشويه صورته لدى « المتلقين » وفى هذا المجـال أشـار الى البترول العربى ودوره فى توجيه الاقتصاد الغربى كما أشـار الى احـداث ايران التى بدت وكأنهـا بعث اسلامى ذكر العرب بقوة الاســلام وبتاريخه الماضى معه ، ذلك حين « هـددت محـــافل الجيوش الاسلامية وأساطيلها أوربا على مدى مئات من السنين ، فدكت ثغورها واستعمرت مناطقها » « ومن هنا حين بدأ – منذ الزيادات الهائلة فى أسعار النفط فى أوائل السبعينيات – كأن العالم الاسلامى على وشك أن يعيـد سابق انتصاراته ، أخذ الغـرب كله يرتعـد فرقا » ص (٣٧) .

ولذلك فان ردود الفعل على هذين الأمرين السابقين لم تنشأ من عدم ، بل ان هناك « فى وعى الجمهور الثقافى الاعلى ذلك الموقف القديم من الاسلام والعرب والشرق عموما فصورة الاسلام هى واحدة ثابتة لا تتغير حيثما نظرت، ومهما تكن المادة التى تعرضها يستوى فى ذلك الروايات الحديثة ، والكتب المدرسية المقررة فى مادة التاريخ ، والأشرطة الهزلية والمسلسلات التليفزيونية ، والافلام الفكاهية القصيرة » أما هذه الصورة الموحدة فهى تصوير المسلمين « كاريكاتوريا » بأنهم موردو نفط ، وارهابيون، وغوغاء عطشى للدماء ، وفى المقابل فان الحيز

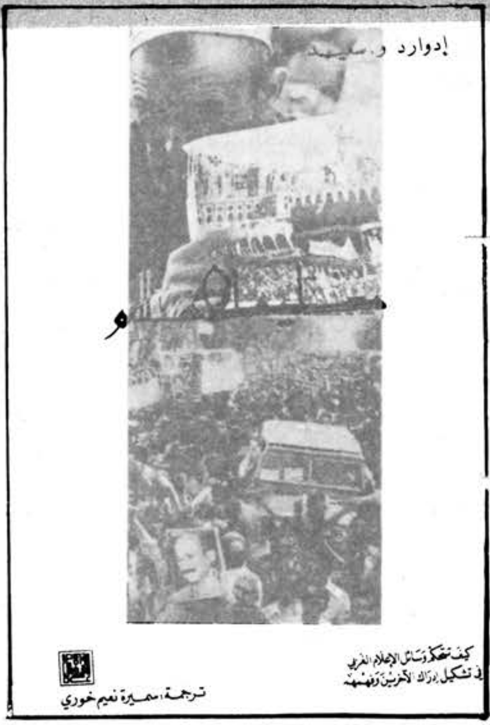

المتاح للتعاطف مع الاسلام حيز ضيق جدا ؛ سواء فى ذلك ما تتيحه الحضارة بشكل عام أو فى نطاق البحث والنقاش حول غير الغربيين بشكل خاص .

ومن أمثلة ردود العقل ما أشار اليه المؤلف ص (٣٩) من قيام ف . س نيبول بنشر حديث فى « النيوزويك انترناشيونال » فى ١٨ أغسطس ١٩٨٠ ذكر فيه أن المبادىء الاساسية فى الاسلام خلو من المضمون الفكرى ، ولذلك فلابد أن ينهار » .

ويرد مؤلف الكتاب على هذا الزعم بقوله « ان نيبول لم يفصح عن ماهية المبادىء الاساسية فى الاسلام أو يحدد ما يعنيه بها ، كما يفصح عن نوع المضمون الفكرى الذى يرمى اليه ، غير أننا لا نشك أنه قصد ايران ، كما قصد أيضا بعبارات غامضة كافة مظاهر الموجة الاسلامية المناهضة للامبريالية التى اجتاحت العالم الثالث بعد الحرب ، تلك الموجة التى يكن لها نيبول شعورا خاصا من النفور العميق » .

ويلخص المؤلف المضمون الذى تحويه الدعاية الغربية فى أجهزة الاعلام نحو الاسلام فى كون الاسلام ضد الغرب ، وهو مضمون يتضمن بالتالى أن يكون الغرب ضد الاسلام .

ويفرق المؤلف وهو يتحدث عن الاسلام والغرب بين موقف أوربا وأمريكا ، فأوربا كان لها ماض استعمارى فى بلاد اسلامية ، ومع هذا الاستعمار نما الاستشراق بما يعنيه من دراسات متخصصة فى جوانب الحياة والثقافة الاسلامية ، ومن أجل ذلك فان الاسلام فى نظر هؤلاء الاوربيين كان يمثل نوعا من التحدى الدينى الحضارى الدائم ، ويشير المؤلف فى هذا المجال الى أنه مهما كان قدر العداء بين أوربا والاسلام ، الا أنه كان هناك نوع من التجاوب عند بعض الشعراء والباحثين من أمثال جوته وجيراردى وفلوبير ولوى ماسينيون ، ومع ذلك فان الظاهرة العامة التى تبقى فى الأذهان هى ان الاسلام لم يلق الترحاب فى أوربا رغم وجود هذه الشخصيات .

أما أمريكا فانها على العكس من ذلك ، فهى ليس لها ماض طويل العهد بالاسلام ، وهذا ما يجعل الحوار أكثر تمييزا وأكثر تجريدا وأقل جدة وأصالة ، وكذلك فانه فيما يتصل بالحاضر فان الخبراء فى شئون الاسلام فى أمريكا كانوا دائما غرباء المولد ، ينتمون فى الاصل الى بلاد أخرى ، وقد انعكس هذا على الدعاية الأمريكية حيث تبدو السطحية فى فهم

تغطية الإسلام

الاســـــلام ومن امثلـــة ذلك أن مجلـــة « التـــايم » حـــين جعلت موضـــوعها الرئيسى عن الاســـــلام فى عـــــدد ١٦ أبريل ١٩٧٩ فانهـــا زينت الغـــلاف باحـــدى لوحات جيروم وهى لوحة تصور مؤذنا ملتحيا يعتلى مئذنة ، ويدعو المؤمنين بهدوء للصلاة ومع ذلك فانه من المفارقات التاريخية أن هذا المنظر الهادىء قد رصع بديباجة لاعلاقة بهـــا اطلاقا ، وهى عبارة « الاحياء النضالى » وكأن المجلة تزيد أن توجـد شـــعورا عدائيا لدى القـــارىء الأمريكى ذلك حين توحى بأن هذا النضال انما هو ضده فى واقع الامر (٤٦) •

ويتابع المؤلف وصف علاقة الغرب بالاسلام من خلال أجهزة الاعلام فى الآونـــة الراهنة ، ويخلص من ذلك الى أن المســـلمين والعـــرب « تتم تغطيتهم الاعـــلامية أساســـا ، ويدور النقاش حولهم ، بوصـــــفهم موردى نفط أو ارهابيين محتملين ، أما تفاصيل الحياة العربية الاسلامية والكثافة الشعورية الانسانية ، فلم يدخل الا النزر اليســـير منهـــا حتى فى وعى أولئك الذين امتهنوا تغطية العالم الاســـلامى والتقرير عنه ، ونجد لدينـــا عوضـــا عن ذلك سلسلة محدودة من الكتابة الكاريكـــاتورية الفجة المختزلة حـــول العالم الاســـــلامى ، معروضة بطريقة من شأنها أن تجعــل هـــذا العالم معرضا للعدوان العسكرى » (٥٧) •

وتحت عنوان « جماعات التفســـير » (٦٥) يشير المؤلف الى تلك النقلة التى حدثت عقب حرب رمضان بعد أن عبر الجيش المصرى خط بارليف المنيع ولم يفر الجنود العرب كما فعلوا سنة ١٩٦٧ ، وانما حـــاربوا بطريقة جيـــدة مدهشة فقـــد انتقل عـــدد كبير مـــن الـــدول والشخصيات الاسلامية من وضـــع الاعتراف بوجودها فقط لتحتل مرتبة « الأخبـــار » فى الوعى العام ، وكان هذا الانتقال فى غاية الدقة بحيث لا يكاد يدرك (٦٧) •

وكان أن حدثت ردود فعل لهذه النقلـــة فى أجهزة الاعلام الامريكى ضد الاسلام نفسه ومن ذلك ما نقله المؤلف عن « النيوريببلك » فى ٨ ديسمبر ١٩٧٩ اذ نشر « مـــايكل والترد » مقالة عنوانها « الانفجار الاسلامى » وفيهـــا أشار الى مجموعة من الاحداث العالمية الهامة فى القرن العشرين ، وقد رد أسبابها جميعهـــا الى الاسلام ، ومـــن هذه الاحـــداث أحداث الفلبين وايران وفلســـطين ومعنى ذلك أن كل هذه الاحداث هى ضد الغرب لأن الاســـــلام وراء تحريكها •

ومن صور ردود الفعل ماكتبته فلورا لويس عن الاسلام فى سلسلة أربعة مقالات فى جريدة « النيويورك تايمز » بتاريخ ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧٩ وكـــان جوهر هـــذه المقالات هو تقديم صورة مشوهة عن الاسلام من خلال الحديث عن خصائص اللغة العربية وعن العقيدة ، ومشيرة الى أن الاســـلام فى حقيقته يتساوى مع سلوك أى مسلم ينتسب اليه ، بعض النظر عن مطابقة ما تقوله الحقائق الواقعة بدقة ص (٦٨) •

ويشير المؤلف الى مصادر تفسير الاسلام فيذكر أن فرع الجهاز الثقافى الذى زود ويزود معظم الأمريكيين والأوربين بصفة عامة يشتمل فى معظم الأحيان على الشبكات الاذاعية والتليفزيونية والصحف اليومية ، والمجلات الاخبارية الواسعة الانتشار ، وتلعب الأفلام دورا دون شك ، حتى لو اقتصر ذلك الدور على ما نستمده من احساس بصرى بالتاريخ • وكل هذه الوسائل مجتمعة تشكل نواة مشتركة من التفسيرات توفر صورة معينة للاسلام ، وفى الوقت نفسه فان سعى هذه الوسائل الاعلامية للربح ، يجعل من المفهوم أن مصلحتها تكمن فى ترويج بعض التصورات عن الواقع بدلا من غيرها حتى تصل الى الجمهور الذى تربح من وراء ارضائه ، وهنا يلتقى الربح المادى مع التوجيه السياسى فى هدف واحد (٧٢) •

ويشير المؤلف الى الاثر الخطير الذى يترتب على استقاء المعلومات عن الاسلام من خلال هذه المصارد فيقول :

« من العواقب الخطيرة لذلك ألا تتاح للأمريكيين الا فرصة ضئيلة للتعرف الى العالم الاسلامى ماعدا النظر اليه بطريقة اختزالية وقسرية ومعارضة ، وتكمن المأساة الناجمة عن ذلك فى نشوء عدد من الاختزالات المضادة هنا وفى العالم الاسلامى نفسه ••• ومنها أن الاسلام يمثل فى نظر الغربيين والأمريكيين بعثا سلفيا لا يهدد بالعودة الى القرون الوسطى فقط بل بتدمير مادرجت العادة على تسميته بالنظام الديموغراطى فى العالم الغربى » كذلك فان من هذه العواقب محاولة تسوية الاسلام بالوضع الراهن فى أحد البلدان الاسلامية أو بسلطة من السلطات الاسلامية (٧٩) •

ويضيف المؤلف الى ذلك أن كثيرا من برامج الاعلام الغربى تغطى أجزاء عديدة من العالم الاسلامى ، لأن سكان العالم الثالث ومنهم المسلمون يعتمدون على جماعة صغيرة من وكالات الاخبار مهمتها نقل الأخبار واعادتها الى العالم الثالث ليكون مستهلكا بعد ان كان مصدرا • هذا بالاضافة الى أن كثيرا من الطلاب والباحثين فى العالم الاسلامى لايزالون يعتمدون على المكتبات والمؤسسات العلمية الأمريكية والاوربية فيما يتعلق بما يعتبر الآن دراسات « شرق أوسطية » ، وهذا من شأنه ان يجعلهم اسرى هذه المعلومات المختزلة والمحرفة عن الاسلام •

٤

وموضوع الفصل الثانى من هذا الكتاب هو « قصة ايران ، وتحت عنوان « الجهاد المقدس » يعرض المؤلف لحادث الاستيلاء على الرهائن الأمريكيين واحتجازهم داخل السفارة الأمريكية فى طهران فى نوفمبر ١٩٧٩، مشيرا الى الضجة الاعلامية الغربية التى صاحبت ذلك ، والتى استهدفت فيما استهدفت الهجوم على الاسلام والمسلمين ، ويذكر مجموعة من عناوين المقالات والتعليقات التى تعبر عن ذلك ومنها على سبيل المثال : كراهية المسلمين لأمريكا ــ هلال الازمة ــ الاعصار المندفع عبر النجد الاجرد •كذلك يشير الى ما صنعته احدى شركات التليفزيون حين عرضت فى ارسالها بعض الصور وهى تقدم نبذة

قصيرة عن الاسلام ، وكتبت فى الجانب الأيمن لهذه الصور عناوين موجزة روت القصة البغيضة نفسها ، قصة مفادها ان الامتعاض والشك والاحتقار هى رد الفعل الملائم للاسلام : للمحمدية ولمكة وللحجاب وللملاءة وللسنة وللفقهاء والأئمة ، هذا عدا المقالات

المستفيضة التى أخذت تربط بين الاسلام وبين الجرائم والحروب والنزاعات المستمرة التى تتخللها الفظائع وذلك باعتبار ان الاسلام لعب بوضوح دورا مهما فيها !! وذلك دون نظر الى الحقائق الثابتة ودون احساس بضرورة تقديم الادلة المطلوبة على مايقدم فيها من معلومات (١٠٤) .

ولم يقتصر الأمر فى الصحف على المقالات بل شمل كذلك ندوات كانت تعقدها هذه الصحف ، ومن ذلك الندوة التى نظمتها صحيفة « التايمز » وخصصت لها صفحتين فى عددها الصادر فى ١١ ديسمبر ١٩٧٩ ، وقد شارك فى هذه الندوة سبعة أشخاص ثلاثة من المسلمين الذين يعملون ويعيشون فى الولايات المتحدة وأربعة خبراء مرموقون متخصصون فى تاريخ العالم الاسلامى الحديث وثقافته ومجتمعاته المختلفة وكانت جميع الاسئلة التى وجهت اليهم أسئلة سياسية ، يشير كل منها الى تهديد الاسلام للمصالح الامريكية وخطره عليها ، وكانت خلاصة الندوة السخط والغضب اذ أوحت الاسئلة بوضوح أن المنطق والاقناع لن ينجحا ، وعليه فقد يكون من المحتم اللجوء الى القوة كملاذ أخير (١١٠)

وتحت عنوان « خسارة ايران » (١١٥) وعنوان « افتراضات مضمرة غير مدروسة » (١٣٩) وعنوان « بلد آخر » (١٤٠) يعرض المؤلف لموقف الاعلام الغربى من الثورة الايرانية من الناحية السياسية ، وذلك من خلال تطور الأحداث مع أزمة الرهائن ، وهى موضوعات ثلاثة تدور حول هذه الازمة وكيفية معالجتها ، وهى خارج نطاق ما سمى بتغطية الاسلام . وبها أنهى المؤلف حديثه فى هذا الفصل .

٥

اما الفصل الثالث فموضوعه « المعرفة والقوة » وتحت عنوان « سياسات تفسير الاسلام» (١٥١) يتحدث المؤلف عن الدراسات التى قامت حول الاسلام فى غير ميدان الاستشراق ، ويرى أن مثل هذه الدراسات لاتكون دقيقة ، ولا تكون بعيدة عن التحيز ، ومن هنا فان الاسلام اليوم بالنسبة الى الجمهور العام فى امريكا وأوربا يمثل أخبارا مزعجة بشكل خاص ، وتنضوى وسائل الاعلام والحكومة والخبراء الاكاديميون المختصون فى الاسلام — فى «جوقة متناغمة واحدة هى : الاسلام تهديد للحضارة الغربية» وليس معنى ذلك أنه لا يوجد فهم ايجابى وتصور عادل عن الاسلام — فذلك مالا يقول به احد ، وانما معناه أن الصور السلبية عن الاسلام هى أكثر شيوعا ورواجا عن كل ماعداها وأن هذه الصور لاتطابق حقيقة الاسلام ، بقدر ما تطابق أوضاعا معينة لتقاليد أو أعراف اجتماعية ظنوا أنها هى الاسلام (١٥٩) .

ومن الدلائل على ذلك أن الدراســات التى تقوم بها بعض المؤسسات عــن الشرق مثل مؤسسة فورد ، توجه العنــاية الى دراســة الشرق الأدنى الحــديث فى الاقتصــاد والسياسة والتاريخ والاجتماع ، بينما يقـل حضور الدراسات الاسلامية التقليدية ، وهذا يظهر فى مناهج الدراسة ، وفى عدد الأساتذة المختصين ، اذ تبدو القلة واضحة جلية .

واذا كانت هنــاك موضوعــات مطروحة للبحث ، فان القائمين على تنظيم هذه الدراسات كانوا يختارون موضوعات مــن شــأنها تحت توجيه معين — أن تســوىء العلاقــات بين المسلمين الافارقة وبين العرب ومن أمثلة هذه الموضوعات موضوع « الرق فى الاسلام » ، وقد لوحظ أنه من خلال ذلك تمارس الدعاية الصهيونية عملها حين كــان يحذر البــاحثون الاسرائيليون البلدان الافريقية من الاعتماد كثيرا على الشــعوب العربيــة التى أتقفرت بلادهم من سكانها فى الزمن الغابر على حــد ماتزعمه هذه الدعاية ، وفى مثل هذه الدراسات لوحظ أيضا أنه لم يدع أى باحث من العــالم العربى والاسلامى لحضورها ، وسبب هــذا تجاهل واضح ، لانه فى ظل حضورأى باحث متخصص ســوف لا تعمل الــدعاية الخبيثة عملها . (١٦٠)

وعلى هذا النمط أثيرت موضوعات أخرى للوصول الى نفس الغرض ومنها بحث **موضوع الاقليات الدينية فى البلدان الاسلامية ، ولم يكن البحث فى مثل هذا الموضوع بعيدا عــن التحيز ، وانما اتخذ وسيلة للاساءة** ومن أبرز الدلائل على عدم الموضوعية فى هذا الموضوع، أن القائمين على تنظيمه اعتبروا الفلسطينين من الاقليات ، وكان المتحدث بلسانهم أستاذا جامعيا اسرائيليا !! (١٦١) .

وتحت عنوان « المعرفة والتفسير » (١٧٦) يذكر المؤلف أن كل معرفــة تتنــاول المجتمع الانسانى هى معرفة تاريخيــة ، ولذلك فهى تقوم عــــلى الأحكام والتفسير ، وليس معنى ذلك أنه لا وجود للحقائق ، فالحقائق موجودة ولكنها تستمد أهميتها مما يسبغه التفســير عليها ، فالتفاسير تعتمــد اعتمادا كبيرا على من يقوم بها ، وعلى من يخاطبهم هذا المفسر، وعلى ماينشده هدفا لتفسيره وعــــلى اللحظة التاريخة التى يتم التفسير خلالها ، وكذلك فان أى تفسير لا حق لابد أن يقف على كل تفسير سبقه فى نفس مجاله ، اذا أريــد له أن يكون موضوعيا ودقيقا .

ويخلص المؤلف من هذه المقــــدمة الى أن الدراسات « الشرق أوسطية » أو الاسلامية الراهنة تفتقر افتقارا كبيرا الى هــذه المعرفة السـابقة عليها **ويضــيف المؤلف الى ذلك أن الدراسات الاسلامية تمت فى أغلب الاحيــان تحت تأثير الكراهية الثقافيــة ، وليس تحت تأثير المواجهة فحسب ، ومن هنا فان الاسلام حين يعرف ويفسر فانه يعرف تعريفا سلبيا على أنه فى موقع التعارض الجذرى مع الغرب .**

ويذكر المؤلف أنه مابقى هذا الاطار قائما ، فان الاسلام لا يمكن أن يعــرف بوصفه خبرة حيوية واقعية يحياها المسلمون .

تغطية الإسلام

كذلك فان من أخطاء التفاسير التى تنشأ حول الاسلام أنها لا تتم فى وضع حيادى ، ولا تحدث فى مختبر محصن بالامان ، وانما يعبر اغلبها عن نشاط اجتماعى مرتبط بالوضع الذى نشأ فيه أولا (١٧٧)

وينهى المؤلف كتابه بقوله فى ختام هذا الفصل « ان التغطية التقليدية للاسلام التى نجدها فى الجامعات وفى الحكومة ، وفى وسائل الاعلام هى فيها جميعها تغطية شديدة التداخل والتشابك ، وقد تم نشرها فى الغرب أكثر من أى تغطية أو تفسير غيرها ، فبدت أكثر اقناعا ونفوذا عما عداها ، ويمكن أن يعزى نجاح هذه التغطية الى مايتمتع به الناس والمؤسسات التى أنتجتها من نفوذ ، لا الى الدقة أو الحقيقة بالضرورة ، وقد خدمت هذه التغطية أغراضا لا تمت الى المعرفة الحقة بالاسلام نفسه بغير صلة عرضية » (١٨٢) ٠

٦

وبعد فانه اذا كان هناك شىء يمكن أن يتركه الكتاب فى ذهن القارىء فان هذا الشىء يبرز فى أمر واحد ، **ذلك الأمر هو أن الاسلام اليوم يواجه معركة ضارية ، وأنه لا مفر له من أن يتجه الى الميدان ، ووجوده فى الميدان لا يكون وجودا فعالا الا اذا تمثله المسلمون فى واقع حياتهم تمثلا صحيحا ، يبرز أصوله ويحدد شخصيته تحديدا لا يختلط بهذه الصور التى تعيش على هامشه ، أو تدعى زورا أنها هى التى تمثله وحدها ٠**

ان ماتقوم به أجهزة الاعلام الغربى ماهو الا رد فعل لصحوة مشهودة فى الطرف الآخر فى الواقع الغربى ، ذلك حين أخذ فريق من الناس يدخلون فى الاسلام عن ايمان واقتناع بل ويدافعون عنه بحرارة ويعقدون الندوات التى يشرحون فيها قضاياه ، على النحو الذى نطالعه فى الصحف بين الحين والحين ، وكل هذا بطبيعة الحال لابد أن يزعج الكارهين والحاقدين ، وهؤلاء لهم وزنهم وثقلهم فى أجهزة الاعلام ، ومن ثم يتخذونها وسيلة مضادة للحرب ضد الاسلام ، مسلطين عليه دعاية تستمد مادتها من حاضر مشوه ، ومن ماض شوهه اسلافهم ، وتناقلوه عبر قرون من التعصب الممقوت البغيض ٠

ان المسلمين اليوم أحوج مايكونون الى اليقظة والى التنبه ، فالاسلام على الرغم من الحرب الضارية يزحف ويتقدم ويجتاز الموانع التى تقام فى طريقه وقد بدت النتائج المثمرة تظهر فى كل مكان ٠ وعلى المسلمين أن يتجهوا باخلاص لنصرة دينهم ، وأن يصدقوا فى الانتماء له والمنافحة عنه ، ولن يكون ذلك الا بحسن التطبيق فى واقعهم ، وبحسن الادراك والفهم لما يحيط بهم ٠ « وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ »

د ٠ طه مصطفى أبو كريشة

القيم الدينية
فى شعر محمد مصطفى الماحى

○ للباحث : محمد محمد على التورى

اتصل الماحى بالثقافة الدينية منذ نشاته الأولى فى بيئة عرفت بالتمسك بأهداب الدين ، ثم بعد أن التحق بكتاب « الرمالى » ومدرسة « الحمزاوى » التى كان لها اهتمام كبير بدروس الدين والقصص القرآنى الحكيم ، وغذى الشاعر نزعته الدينية بقراءاته فى كتب الدين والحكمة والأخلاق ، من كل هذا الرصيد الذى احتفظ به من القيم والمثل.

ولاعجب اذن أن نلتقى بالروح الاسلامى فى كل منعطف من ديوان الماحى ، ذلك لأن شعره صورة نفسه التى أشربت مكارم الأخلاق ، والاخلاص فى الدعوة الى التمسك بها ، يشير الى ذلك — أو بعضه — مايحث به العرب على مراعاة الله فيما يفعلون والتمسك بتعاليم الملة الغراء التى تدعونا الى الوحدة والتآخى لتتحقق لنا الغلبة على أعدائنا (١).

ولو أنا رعينا الله حقا
وبتنا أخوة متحالفينا
لما وجد العدو له سبيلا
ولا أفشى ضروب الكيد فينا

وقوله يشيد بالاسلام وتعاليمه (٢) .

انما الاسلام نور وهدى
يرشد الناس ويدعو للوئام
وهو فى الدهر على أحداثه
مبعث الأمن وميثاق السلام

وأكثر ماينهض شاهدا على تغلغل الروح الاسلامى فى شعر الماحى قصيدته « الى ساحة النبى الاكرم محمد صلى الله عليه وسلم » التى أهدى بها الطبعتين الثانية والثالثة من ديوانه ومطلعها :

الى الساحة العظمى ، الى مطلع الهدى
بسطت لخير الناس أجمعهم يدا
فيارب هب لى حكمة وبلاغة
أوف بها حبى النبى محمدا

وهكذا نجد أنفسنا — عند قراءتنا فى شعر الماحى — أمام شاعر كريم الأخلاق ، طيب السريرة ، صافى النفس ، رقيق العتاب ، حافظ للوداد ، بار بأبويه ، شفق على أبنائه ، اذا

(●) الباحث يعمل مدرسا مساعدا فى كلية اللغة العربية بالزقازيق ، وقد نال درجة الماجستير عن رسالته التى أعدها عن حياة الماحى وشعره بتقدير جيد جدا ، وليس بتقدير جيد كما جاء فى عدد ذى الحجه الماضى من مجلة الازهر

(١) ديوان الماحى ٣٦ .

(٢) ديوان الماحى ١٠٩ .

القيم الدينية
فى شعر محمد مصطفى الماحى

غضب فللحق والفضيلة ، واذا افتخر فبوطنه ودينه ، تسود شعره نزعة انسانية ممثلة فى خلق الوفاء والصفاء والاعتدال والدعوة الى السلام والوحدة والذود عن الأوطان والتمسك بأهداب الدين ، واتخاذه دعامة لاصلاح النفوس ، وتحقيق السعادة ، وكل ذلك ثمرة السلوك والطبع والتكوين الدينى لشخصية الماحى •

وأكثر ما نلمس فيه المسحة الدينية من شعر الماحى شعره فى باب (الروحانيات) ويضم عشر قصائد نتبين من خلالها روح الصوفية ، وايمانها الكامل وصفاءها العامر •

وكانت هذه القصائد انطلاقات فاض بها وجدانه عندما أسعده الله بالطواف حول الكعبة وزيارة بيت الله الحرام ، ومثوى الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — وغير ذلك من الأماكن المقدسة •

ففى قصيدة « تضرع ودعاء » (٣) يناجى ربه بآيات تنم عن شفافية روحه ونزعته الصوفية •• فيقول :

يارب اى ثناء أستطيع به
ايفاء حقك من حمد وتمجيد
كم من يد لك عندى لست أجحدها
حلت بقلبى فكانت فرحة العيد

وكذلك كان شعر الماحى فى مجال الغزل شعرا يحرض فيه الشاعر على العفاف والطهر ولا أدل على ذلك من قوله يصور مدى عفافه ومحبوبته وطهرهما(٤) :

كانا فى التصون والتوقى
من خوف الله فى البلد الحرام
فقد ضرب العفاف أعز ستر
يقينا كل منقصة وذام

ونظم الشاعر اخوانياته فى اطار دينى أيضا ، اذ لا يعوزها صدق أو وفاء ولا يشوبها فظاظة أو مجافاه ، فهو فى عتابه أدنى الى الاشفاق منه الى التقريع ، فلا يقول لصفيه الذى خاب ظنه فيه الا مثل هذا العتاب الرقيق الذى تبدو من خلاله شفافية تحيل كل غضبة تحتمل فى نفسه الى غضبة مهيضة الجناح(٥) :

فياصاحبا ماسؤته ثم ساءنى
واصبح حقى عنده وهو ضائع
لقد كنت ان أخفقت سعيا وجدتنى
لتبلغ ماقصرت عنه أسارع
فبالله ماهذا الجفاء الذى بدا
الم يك لى فيما حبوتك شافع

ومراثى الشاعر أيضا هادئة لا نرى فيها أثرا لشق الجيوب أو لطم الخدود ، فقد امتثل الشاعر لقضاء الله ونزل على حكمه(٦) :

فلكل عمر ماتطاول ساعة
ولكل نفس موعد لحمام

وشعر الماحى فى مجال الأسرة صورة صادقة من تدينه وخوفه من الله : فهو مطيع لوالديه ، وفى لزوجه ولأولاده ، آخذ بيدهم نحو التقدم وعزة الوطن ، وحسبنا شاهدا على ذلك قوله

---

(٣) ديوان الماحى ١٣٤ •
(٤) ديوان الماحى ١٨٢ •
(٥) ديوان الماحى ٣٤٧ •
(٦) ديوان الماحى ٢٨٧ •

يسترضى والديه اللذين غضبا على أثر اقتراح صهر الشاعر عليه أن ينفصل عن والديه(٧) .

حنـانا فما التشـكوى لغيركما عدل
ورحماكما فقـد ناء بالكاهل الثقل
أأرضى انفصـالا عنكما وأنا الذى
أرى غضـب الآباء يتبعـه الذل ؟

ومما يتصل بهذا اللون من الشعر ما يشيع فى ديوان الماحى من نزعـة انسـانية تمثلت فى احساسه العميق بمآسى الحياة والأحياء ، فقد رق لأحوال اليتامى والمحجوبين وما يقاسـونه من بؤس وشـقاء ، فقال يحث الأغنياء عـلى مساعدتهم بعـد أبيات رائعـة صـور فيهـا حالهم(٨) :

يا قـوم حسـبهم ما فى قلوبهـم
من الأسى وهـم منـكم ذوو رحم
مدوا اليهم يد المعروف واسـتبقوا
صـنائع البر يغشـاهن كل ظـم

وانفعل الشـاعر بما يـدور فى العـالم من أحداث وصراعات تنتهك حقوق الانسان ،فندد بجوانب من تلك الحضارات الزائفـة فى العالم المتمدين التى تقر شريعة الغاب وطباع الجاهلية المتناحرة ، وتنفق أموالا طائلة على التسـليح وغزو الفضاء ، فقال هاديا ومرشدا (٩) .

ولو أنفقوا بعض الـذى ينفقـونه
لاسـعاف محتـاج وأسـو جريب
لأصبحت البيد الفساح نضـيرة
وصار جديب الأرض جد خصيب

(٧) ديوان الماحى ص ٧١ .
(٨) ديوان الماحى ص ٩٢ .
(٩) ديوان الماحى ص ٦٩ ، ٧٠ .

ورفت ظـلال الأمن واليمن طلقـة
عـلى امم محـرومة وشـعوب

ودعا الشـاعر ــ فى قصـيدة « من وحى الهجرة »(١٠) ــ الى حقـوق الانسـان وذكر ما للاسلام من فضـل الدعـوة الى الاخـاء والمساواة والعدالة فقال :

دعـاهم للهـدى داع يـؤيده
من جانب الحق ماارتاعت له الأمم
دعـاهم لمسـاواة يعز بهـا
من ليس ينجـده جـاه ولا نعـم
دعـاهم لاخـاء ليس يفسـده
سـوء المظنة أو تودى بـه التهم

وهكذا دعا الماحى الى كل بر وصالحة ، وشدا بالاسلام مصلحا للنفوس ، وحدا بالخلق الفاضـل دعـامة للرقى والمجـد وأساسا ترسـو عليه عزة الأمم ، الأمر الذى يؤكد نفاذ الاسلام الى فكر الماحى ووجدانه فغدا فى شعره طبيعة وسلاما .

محمد محمد على التورى
مدرس مساعد فى كلية اللغة العربية بالزقازيق

(١٠) ديوان الماحى ص ١٣٦ .

الفتاوى

هل للمنبر مكان معين من القبلة ؟

س : من السيد / م ٠ د

يوجد فى منطقتنا مسجد وضع المنبر فى زاوية من زواياه فى جهة اليسار حتى لا يقطع صفوف المصلين ٠ فما الحكم ؟

ج : لم يرد نص صريح بوضع المنبر فى المسجد فى مكان معين من القبلة ، وعلى ذلك فيجوز وضعه فى أى مكان فى المسجد يتمكن منه الخطيب من رؤية المصلين وسماعهم له ٠٠

تصرف مشروع

س : من السيد / محمود ٠ هـ ٠ ع ،ح

امتلك محلين لتجارة وقد بعت جزءا منهما لولد من أولادى وقبضت منه الثمن واشترطت عليه أن يقوم بادارة المحلين وأن يعول اخوته الصغار والمرضى فى حياتى وبعد مماتى ، وخصصت باقى المحلين بالأولاد الذين لم يتم تعليمهم والمرضى منهم ، علما بأن باقى الأولاد قد تم تعليمهم وأصبحت لهم مراكز مادية وأدبية مرموقة ٠ فما حكم ذلك ؟

ج : نفيد بأن بيعك جزءا من المحلين وقبض الثمن هو تصرف من مالك ، والمالك يتصرف فى ملكه كما يشاء فى حدود ما أمر الله ٠

وتخصيصك بعض أولادك الذين لم يتم تعليمهم والمرضى بباقى المحلين جائز ، اذ أنه يحرم تمييز بعض الأولاد عن بعض الا لمصلحة شرعية : كصلاح أو مرض ٠

ما حكم دفن الرجال والنساء فى مقبرة واحدة ؟

س : من السيدة / ح ، أ ٠ أمين

امرأة وحيدة ٠ مات شقيقها الوحيد الذى قام باعالتها وتربيتها وتعليمها ٠ وترغب أن تدفن معه فى مقبرته نفسها عند وفاتها ٠ فهل يجوز ذلك ؟

ج : الأصل أن يدفن الرجل وحده والمرأة وحدها ، ولكن اذا اقتضت الضرورة بأن ضاق المكان بالموتى ، أو كثرت الاموات ، فلا مانع من دفن أكثر من واحد فى قبر ، واذا دفنت المرأة مع رجل أو مع رجال فليكن بين المرأة والرجل حاجز من تراب أو غيره ٠

إعداد : عبد الحميد السيد شاهين

يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

عقد باطل

س : من السيدة / أ ٠ ح ٠ حسن ٠

رجل طلق زوجته قبل الدخول والخلوة بها ، وفى اليوم نفسه وقبل طلاقها تزوج بأختها بعقد عرفى بدون شهود ٠ فما حكم هذا العقد ؟ ٠ واذا كان باطلا فهل يجوز لها أن تتزوج بغيره ؟

ج : العقد الشرعى انما يتم بركنيه وهما الايجاب والقبول ، وبشرط صحته وهو الشاهدان المسلمان فى العقد على مسلمة ، وحيث ان العقد تم بدون شهود فهو عقد باطل شرعا ، هذا بالاضافة الى أن العقد على أخت الزوجة ــ قبل طلاق الزوجة غير المدخول بها ــ يعد باطلا أيضا ٠٠ ولها أن تتزوج بآخر اذا أرادت ٠

فى الميراث

س : من السيد / ب ٠ أ ٠ السيد

توفيت امرأة عن : زوج ، أخت شقيقة ، وأخ وأخت لأب ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوج النصف فرضا ، لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبها ، ولا شىء للاخوة لأب ، لاستغراق فروض التركة ٠

س : من السيد / م ٠ ر ٠ عامر

توفى رجل سنة ١٩٨٣ عن : بنت ، أولاد بنت ذكور واناث ، ابن عم شقيق٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة قبل والدها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ ٠

فتقسم التركة ثلاثة أجزاء :

جزء منها وصية واجبة لأولاد البنت ، يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ٠ والباقى وهو جزءان هو الميراث :

للبنت الموجودة النصف فرضا ، لعدم من يعصبها ، والباقى لابن العم الشقيق تعصيبا ٠

والله تعالى أعلم ٠

أنباء وآراء

* صرح فضيلة الاستاذ الدكتور الحسينى هاشم عقب عودته من الولايات المتحدة الامريكية لمندوب المجلة بأنه قام بزيارة ولاية توليدو الأمريكية وأعلن أنه يوجد بالولاية حوالى ٥٠٠ أسرة مسلمة وقد استطاع الاستاذ عبد المنعم خطاب مبعوث الأزهر بولاية توليدو أن يجمع جهود الجالية الاسلامية الى جانب جهود بعض الدول العربية فتم بناء مركز اسلامى به مسجد وعدة فصول ويقع فى موقع ممتاز بولاية توليدو وقد خطب فضيلة الأمين العام خطبة الجمعة فى هذا المركز أثناء اقامته ذكر المسلمين فيها بسماحة الاسلام وكذلك حثه للمسلمين على حسن الجوار ·

وقد افتتح المركز الاسلامى بولاية توليدو فى حفل كبير حضره الآلاف من المسلمين كذلك حضره رئيس ولاية توليدو ·

وقد أصدر رئيس الولاية قرارا بأن يكون يوم ٢٢ أكتوبر — وهو يوم افتتاح المركز — هو يوم الاسلام من كل عام · كذلك سمى الأسبوع الذى افتتح فيه المركز بأسبوع الاسلام فى ولاية توليدو ·

وقد وعدت الولايات المتحدة الأمريكية بانشاء دار للمسنين المسلمين ·

وقد عقدت جلسة حضرها المسلمون فى أمريكا وكندا وتبرعت الجالية الاسلامية بولاية توليدو بمبلغ ٢٧٧ ألف دولار لانجاز بعض الأعمال بالمركز الاسلامى لخدمة الدعوة الاسلامية ولتعليم أبناء الجالية الاسلامية اللغة العربية فيعرفون كتابهم الكريم وكذلك سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ·

وقد قابل الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية فى نيويورك رئيس مجلس السفراء المسلمين وهو سفير قطر وقد عرض رئيس مجلس السفراء على فضيلة الأمين العام مشروع بناء مركز اسلامى كبير ، لأن نيويورك بها مسلمون كثيرون والمركز الحالى لايتسع لآلاف المسلمين الموجودين فى أمريكا وقد جمع رئيس مجلس السفراء من المسلمين فى نيويورك عشرة ملايين دولار لهذا المشروع وقد وافق فضيلة الأمين العام على المشروع الضخم وسوف ينفذ المشروع « مقاول » مصرى فى نيويورك وقد وجهت الدعوة لفضيلة الاستاذ الدكتور الأمين العام للمجمع الاسلامى لالقاء خطبة الجمعة فى هيئة الأمم المتحدة ·

* استقبل فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر وفدا من ماليزيا بهدف الحصول على احتياجات المعهد الدينى بماليزيا من الكتب والأساتذة وقد وعد فضيلة رئيس الجامعة بتلبية احتياجات الوفد حتى يتمكن المعهد من أداء رسالته التى أنشىء من أجلها وهى نشر اللغة العربية ·

* استقبل فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف فضيلة الشيخ خلف الله عمر ابراهيم مدير المساجد والأوقاف بجمهورية السودان الشقيقة وتم خلال اللقاء التشاور بخصوص انشاء معهد لتأهيل الأئمة والدعاة بالسودان بناء على توجيهات الرئيس جعفر محمد نميرى ·

ومما هو جدير بالذكر أن السودان به حوالى ١٥٠٠٠ مسجد وحوالى ٨٠٠ كتــــاب لتحفيظ القرآن .

صرح بهذا فضيلة الشيخ خلف الله عمــر ابراهيم مدير المساجد بالسودان .

* اســتقبل فضـيلة الأســتاذ الدكتــور عبد اللطيف خليف نائب رئيس جامعة الأزهــر وفدا من السويد يضم ٢٩ شخصا يمثل جمعية (ميدبور جرار سكولان) وهى جمعية ثقافيــة دينية . نوقش خلال اللقاء دور الأزهر عــلى مدى ألف عام وكذلك دور جامعة الأزهر .

وقد أجاب نائب رئيس الجامعة على العديد من الاستفسارات الدينية المتعلقة بالاســلام والمسلمين .

وقد صرح رئيس الوفد أنه سعيد جدا بهــذا اللقاء الذى تعرف فيه على ســماحة الاسلام وعدالته ورحمتــه .

مؤتمر للنهــوض باللغة العربية فى باكســتان

بدأ فى اسلام أباد المؤتمر الدولى للنهوض باللغة العربية فى باكستان والذى تنظمه وزارة التربية والتعليم بالباكستان وجامعــة اقبــال والجامعة الاسلامية باسلام أباد والمنظمــة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وناقش المؤتمر خلال هذه الاجتماعات عددا من البحوث العلمية فى ســبيل تعليم اللغــة العربية فى الباكستان ، وتقييم برامج اللغــة العربية فى جميع المراحــل ، واعــداد برامج جديدة لتلك المراحل ، وامكانية تعليم اللغــة العربية فى مناهج المدارس الدينية .

اعداد :

أحمد عبد الرحيم السايح

عاطف زهــران   صفوت عبــد الجواد

عبد الفتاح السيد عبد السلام

أول مركز اسلامى افريقى بالخرطوم

تم انشاء مركز اسلامى افريقى بالخرطوم أسسته سبع دول عربية هى السودان ومصر والسعودية والكــويت والامــارات العربيــة وقطر والمغرب .. يهــدف المــركز الى نشر الدعوة الاسلامية ، وتعميق الثقافة الدينيــة بين المسلمين فى افريقيا ، واعداد الدعــاة . وخدمة المجتمعات الاسلامية عامة والافريقية بصفة خاصة ، والتعـــاون مع الهيئـــات والمؤسسات الاسلامية على نشر الاسلام .

— قام المركز بانشــاء دبلــوم للدعــوة والدراسات الاسلامية ويقبل كل من له معرفة جيدة باللغة العربية والعلوم الاســـلامية . والدراسة بهذا القسم مدتها عــامان يتــأهل الطالب خلالهما للعمل فى مجــال الدعــوة أو ادارة المســاجد ، أو التوجيه والارشــاد .

— وقد أضاف المركز الى اختصاصاته شعبة للدعوة من خلال العمــل الميــدانى والتدريب والاتصــال بالمنظمات والهيئات الاسلامية فى افريقيا والتعاون معها فى مجال الدعوة .

— أما شعبة البحوث والنشر فتهتم بجمع الوثاق والمؤلفات والدوريات الاسلامية .

أنباء وآراء

معهد الامام المودودى

أسست جمعية التعليم الاسلامى فى المنصورة ـ لاهور ، معهدا تربويا أسمته « معهد الامام المودودى العالمى للدراسات الاسلامية » ولغة التدريس فيه هى الانجليزية. أما اللغة العربية فهى مادة اجبارية يقوم بتدريسها معلمون عرب . ويضم المعهد فى البداية خمسة صفوف من الصف الثامن الى الصف الثانى عشر ، ويعد الطلاب للاختبار الثانوى والثانوى العالى المنعقد تحت اشراف مجلس التعليم الثانوى بلاهور » .

أول حزب اسلامى فى فرنسا

اعلن المسلمون الفرنسيون فى مؤتمر كبير عقد مؤخرا فى باريس ، أنهم بصدد اعلان تشكيل أول حزب اسلامى فى فرنسا ، ليتمكنوا من المطالبة بحقوقهم يلاحظ أن الدخول فى الدين الاسلامى ، أصبح الظاهرة الحضارية التى تنتشر فى فرنسا .

بين معهد التراث ومعهد المخطوطات

تم توقيع اتفاقية بين معهد التراث العلمى العربى ، ومعهد المخطوطات التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وقد اتفق الطرفان على طبع الكتب التراثية العربية المناسبة وتحقيقها ونشرها ، وتخرج الكتب المنشورة باسم المعهدين . واتفق الطرفان على أن يتم تحقيق ونشر الكتابين التالين حتى نهاية عام ١٩٨٣ م » .

١ ـ مخطوط « القولنج » للرازى ، تحقيق الدكتور صبحى حمامى يشمل الكتاب دراسة عن المخطوطة باللغة الفرنسية .

٢ ـ مخطوطة « دفع المضار الكلية عن الأبدان الانسانية » لابن سيناء تحقيق الدكتور محمد زهير البابا » .

الاسلام اليوم

صدر عن المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم « ابسيسكو » العدد الأول من المجلة الجديدة « الاسلام اليوم » وهى مجلة دورية تصدر مؤقتا كل ثلاثة شهور وبثلاثة لغات : العربية والانجليزية والفرنسية . وقد احتوى العدد الأول على عدد من الموضوعات الاسلامية أهمها موضوع عن مراكز الحضارة الاسلامية ، وموضوع آخر عن الزراعة والبيطرة عند العرب ، بالاضافة الى معلومات عن المؤتمر التأسيسى للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم « ايسيسكو » بأقلام كبار المفكرين المسلمين .

لجان للزكاة بجميع مدارس القاهرة

تقرر أن تعم لجان الزكاة بجميع مدارس القاهرة بالتعاون مع بنك ناصر الاجتماعى ، الذى يخصص مبلغ مائة جنيه لكل لجنة زكاة بالمدرسة ، وذلك لبعث روح التكافل الاجتماعى والمساواة فى نفوس التلاميذ ، وخاصة فى المرحلة الابتدائية ، ستخصص مبالغ الصندوق لمساعدة الطلاب غير القادرين ، ومدهم بالمال والكتب واشتراكهم فى مجموعة التقوية بالمجان .

« تعريب تعليم الطب ضرورة دين وانتماء »

كتب الاستاذ أحمد موسى سالم تحت هذا العنوان « بعمـــوده الاسبوعي » بالصفحة الدينية بجـــريدة الاخبار الصادرة بتاريخ ٣ من نوفمبر سنة ١٩٨٣ مقالا قال فيه :

تعريب التعليم الفنى بأنواعه ، وبخاصـــة تعليم الطب خطوة أساسية يجب التعجيل بها ، فى مقدمة هذا الجهد القومى للنهوض بلغتنـــا العربية الفصحى ، وتنميتها الى الحـــد الذى يكفل لنا بكل فئاتنا وللأجيال الناشـــئة ان تذوق الممارسة فى حياتنا الفكرية والعملية ، ونحن نرتقى بها الى تدبر كتاب الله، والى تفهم أحاديث رسول الله ، والى اســتجلاء نفائس هـــذا التراث الفكرى الغنى للأمة العربيـــة الاسلامية ، بينما نواصل فى واقعنا المعاصر ، طريق التنمية لمفردات هذه اللغة المبينة ، فى كل مجالات الدين والعلم ، والحضارة والانتاج ، والثقافة والأدب •

ولقد سبق لى منذ أكثر من عام أن كتبت عن ضرورة تعريب المصـــطلحات الطبية وأســـماء الأمراض فى تعليم الطب حتى لا تبقى هـــذه المصطلحات والاسماء عند اســـتخدامها فى قوالبها الاوربيـــة فى المستشفيات والعيادات الخاصة « الغازا » مبهمة أمام المرضى ، ورطانة محيرة لا يكون لها الا أسوأ الاثر على حالاتهم المرضية والنفسية ، وعلى صحة استجابتهـــم لارشاد الطبيب واستعمال الدواء •

لقد كان أملى كبيرا ولا شك عندما تقدمت بهذا الرجاء الى المسئولين من أجل تعريب التعليم الفنى بأنواعه وبخاصة تعليم الطب وهو الامر الذى فطنت الى أهميته ، وسبقتنا الى تنفيذه ، أكثر من دولة عربية شقيقة على أنـــه وان لم يتحقق من رجائى هذا شىء حتى الان ، فى مصر التى هى رائدة قوة الانتماء القومى ، والتقدم الحضارى فى الوطن العربى ، فانى بغير يأس ، أعود اليوم الى تجـــديد الدعـــوة لتعـــريف تعليم الطب مبشرا فى نفس الوقت بزوال أخطر العقبات أمام هذا الامل ، وذلك بعد أن تحقق خلال شهر أكتـــوبر المنصرم اصدار « المعجم الطبى العربى الموحد » وهو يضم ٢٥ ألف مصطلح طبى باللغة العربية مـــع ما يقابلها باللغتين الانجليزية والفرنســـية • معنى هذا بكل وضوح انه لم يعد هناك — فى مصر الرائدة والغالية أى مجال للتبـــاطؤ فى تعريب المصطلحات الطبية وبخاصة فى التعامل مع مرضى المستشفيات والعيادات الخاصة •

ان كلمة «الحمية» مثلا وقد وردت فى حديث مشهور للنبى — عليه الصلاة والسلام — هى ولا شك أقرب الى وعى وأذن المواطن من الكلمة الأوربية المقـــابلة لها وهى « ريجيم » بمعنى تنظيم تناول الطعام لهدف ما ، قـــد يكون مجرد التخسيس حسب قواعد التجميل : كذلك الكلام عن « أسباب العدوى » بأنهـــا « انفكتف كوزس » وعن « العوامل العضوية » بأنها « فسيولوجيك كوزس » الى غير ذلك وهو كثير •

« الاعتداء على المسـجد الاقصى قانونيا فى اسرائيل »

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ صلاح عزام فى جريدة الحياة الاسبوعية بتاريخ

٦/١١/١٩٨٣ مقالا قال فيه :

و .. منذ أيام أصدرت المحكمة العليا فى القدس حكمها ببراءة المتهمين فى قضية العدوان على المسجد الاقصى وعلى المصلين فيه باطلاق الرصاص عليهم هذه هى العدالة الاسرائيلية وهذا هو القضاء اليهودى به فهل سمعتم بذلك يا مسلمى العالم ؟ لا اعتقد لأن الخبر قد نشر فى بعض الصحف العربيـة بطـريقة لا تلفت النظر وفى بعض الصحف الاجنبية وقراؤها من العرب لا يهمهم مثل هذه الاخبار وبالتالى فلم نسمع تعليقا واحدا مـن كاتب اسـلامى أو « داعية » .. من هنا أو هنـاك وبالتالى فلم نقرأ بيانا من احدى المؤسسات الاسـلامية وما أكثرها على هذا الحكم والشىء المؤسف ان خصوم الاسلام قد استباحوا بيوت الله ـ فى كل بلاد الدنيا ونحن صامتون .....

ولا أدرى هل يمكن أن يتقبل العالم المسيحى أو اليهودى منا . نحن اتباع الاسلام عدوانا مقابلا وهل يمكن أن نتصور مـدى الضجيج الاعلامى من هذا العالم « المتحضر » لو ان بعضا منا اعتدى على أحـد معابدهم أو رجال دينهم ؟ انهم لا يطمئنون الى ان ديننا يحـرم علينا مثل هذا التصرف ولانهم يعلمون مـدى انشغالنا بأمور « جدلية » فقـد اسـتمروا فى عدوانهم على مساجدنا وعلى المصلين بها .... ويوم يكون لنا رأى ولحد .. ويوم ان نكـون صفا واحدا ـ ويوم أن نلتزم بحقوق آداب اسلامنا يومئذ لن يجرؤ كائن من كان أن يعتدى على مسلم أو مسجد ولو فى آخر البقاع حتى ولو كانت معه السلطة والمحـاكم والاحكام القضائية .. و .. لله الامر .

مسلمون فى كل مكان

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ محمود مهدى بصحيفة الاهـــرام فى ٤ من المحرم ١٤٠٤ ـ ٢١/١٠/١٩٨٣

أذاعت وكالة الانباء الفرنسية هذا الاسبوع نبأ نشرته بعض الصحف العالمية فى صفحاتهـا الأولى يقول : ان عددا يتراوح بين ثلاثين الى خمسين ألف فرنسى قد أشهروا اسلامهم خلال السنوات القليلة الماضية . وأهمية هـذا النبأ كما أعتقد ويعتقد كل الذين يعملون فى مجـال الفكر الدينى ويتابعون عن قرب الصـحوة الاسلامية العالمية فى الاعوام الاخيرة ترجـع الى عدة أمور من بينها ان النبأ صحيح مائة فى المائة ولا مجال للشك فيه فلم تنشره مجلـة عربية أو اسلامية حتى يمكن أن يقال ان شيئا من المبالغة قد لحق به وانما نشر فى مجلـة ، « لاكتواليتيه روليجيوز » وهى أكبر مجلـة كاثوليكية تصدر فى فرنسا ـ ومن الامور التى تجعلنا نولى اهتماما كبيرا بهذا النبأ أن العدد الكبير الذى دخل فى الاسلام من الفرنسيين خلال السنوات القليلة الماضـية يمثل كافة الاوساط الاجتماعية والاتجاهات الفكرية كمـا جاء فى المجلة التى نشرت للنبأ وذكرت من بينهم مفكرين مثل « روجيه جارودى » الذى ظـل فترة طويلة من أنصار ماركس وكان مناضـلا كبيرا لصالح الشيوعية الدولية و « ميشـيل شود كيوتيز » عالم الدراسـات الصـوفية وفنانين مثل « موريس بيجـاز » الـراقص ومصمم الرقصات وأساتذة فى الجامعات مثـل « فانش مونتى » الذى كتب عددا من أعمـاله عن السلام « وبيربنواميشان » عالم التـاريخ

الكبير الذى كتب « ابن مسعود » وراحت المجلة بعد ذلك تعلق على النبأ بأن هؤلاء جميعا قد اجتذبهم الاسلام ببساطته وبأنه دين حى يتسم بالقناعة والزهد وبما يتيحه من امكانية التوجه الى الله دون وسيط ، ثم تبقى الاهمية الكبرى لهذا النبأ والتى تجعلنا نقف عنده طويلا ونتخذه موضوع حديثنا هذا الاسبوع وهى أن هذا العدد الكبير من الفرنسيين من مختلف الاوساط الاجتماعية والفكرية يدخلون الاسلام فى الوقت الذى يواجه الاسلام بحملة ضارية يشنها الآن خصومه فى أوربا وأمريكا وتفرد لها بعض الصحف العالمية العديد من الصفحات كما يشارك فيها للاسف الشديد بالمغالطة والهجوم عدد من الهيئات العلمية والموسوعات العالمية ولو وضعنا هذا النبأ بجانب هذه الحملة الضارية على الاسلام لأدركنا على الفور ونحن والحمد لله على يقين من ذلك أن الله سبحانه وتعالى حافظ دينه ومظهره على الناس ولو كره الكافرون .

كتب السيد/محمد ابراهيم الشامى ــ القاهرة ــ حلوان .

مقترحا : بأن تجعل المجلة الهدية الملحقة بها من الكتب الموجودة بمكتبة الازهر التى ليس من السهل أن يعثر عليها كل الناس .

* نشكر لك يا أخى هذا الاهتمام ــ ونفيدكم بأن الملحق من أمهات الكتب سواء كان فى مكتبة الازهر أو فى غيرها . ونسأل الله أن يوفقنا ويوفقكم لما فيه الخير للاسلام والمسلمين .

كتب السيد / رأفت مصطفى أحمد ــ شنبارى ــ جيزة .

مقترحا : بأن تخصص المجلة بابا يهتم بأمور شباب الازهر خاصة وشباب الاسلامى عامة .

ثم يسأل عن كيفية حصوله على بعض الاعداد التى تنقصه من المجلة .

* المجلة تشكر لك هذا الشعور الطيب وترجو ــ ان شاء الله ــ أن توفق فى تحقيق طلبك للحصول على ما ينقصك وعليك الاتصال بتوريدات الأزهر بمدينة البعوث الاسلامية ــ القاهرة ــ حيث يوجد بها قسم لمبيعات مطبوعات الازهر .

كتب السيد /محمد مصطفى البحيرى ــ طهطا .

تحت عنوان ــ السعادة وكيفية تحصيلها فى نفس الانسان ــ

جاء فيها : بأن السعادة ليست فى جمع المال ولا فى كثرة العيال ولكن السعادة الحقة فى راحة الضمير .. وهناك من قال أن السعادة ــ عبادة الله والسعيد من قاطع كل طريق يخالف الرحمن .

كتب السيد/هاشم على ــ الجزائر . مستفسرا عن كيفية الاشتراك وقيمته للحصول على المجلة شهريا .

* عليك يا أخى الاتصال بادارة توزيع الاهرام فانها المختصة بهذا وعنوانها القاهرة شارع الجلاء ــ ادارة توزيع الاهرام .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية	٣٣٧
● أسس الرياسة عند الرسول فى ذكرى ميلاده لصاحب الفضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	٣٣٨
مع الرسول صلى الله عليه وسلم	
● سيدى ٠٠ يا رسول الله للدكتور على الخطيب	٣٤٣
● من شمائله ـ صلى الله عليه وسلم للاستاذ / على حامد عبد الرحيم	٣٤٦
● الاشراقة العظمى للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٣٥٦
● ومضات من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٣٦٠
● الرسول رحمة مهداه للشيخ محمد صابر البرديسى	٣٦٧
● قادة النبى صلى الله عليه وسلم للاستاذ ابراهيم عبد الرحمن ابو الغيط	٣٧٢
● آراء ٠٠ وآراء للمستشار / السيد عبد العزيز هندى	٣٧٥
الشعر	
● مولد الربيع للدكتور حسن جاد	٣٨٠
● انه بسمة الحياة للاستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين	٣٨١
● يا طيبة النور للاستاذ ابو زيد ابراهيم سيد	٣٨٢
● قصة الصرفة للدكتور محمد محمد ابو موسى	٣٨٤
● أثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج التاريخى الاوربى الحديث مع المقارنة للدكتور الحسينى هاشم	٣٩٠
● أثر منهج المحدثين فى المنهج الاوربى التاريخى الحديث للدكتور احمد عمر هاشم	٣٩٥
● حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الاسلامية للدكتور عبد الله مبروك النجار	٤٠٢
● طرائف ٠٠ ومواقف للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٤١٢
من أعلام الأزهر	
● الشيخ سليمان نوار للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	٤١٥
● خالد الجرنوسى بقلم احمد مصطفى حافظ	٤١٨
من منابع النصر	
● فتحى المدائن عاصمة الفرس للاستاذ / مصطفى محمد الحديدى الطير	٤٢٦
● منابع الارادة القتالية للمجاهدين فى سبيل الله للواء ا ح محمد جمال الدين محفوظ	٤٣٢
مع الفكر الغربى	
● من مزاعم المستشرقين حول الفكر الاسلامى للدكتور محمود عبد المعطى بركات	٤٣٩
● القضاء وكتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية	٤٤٦
● مجلة الازهر من خمسين عاما بقلم الشيخ احمد حسن جابر رجب	٤٥٧
● من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر للاستاذ محمد عميره على	٤٦٧
فى اللغة والأدب والنقد	
● الجملة النحوية للدكتور محمد زين العابدين حسن سلامه	٤٧٢
● شاعران وممدوحان للاستاذ السيد حسن قرون	٤٨٢
● تغطية الاسلام عرض وتعليق الدكتور طه مصطفى ابو كريشة	٤٨٩
● القيم الدينية فى شعر محمد مصطفى الماحى للباحث : محمد محمد على التورى	٤٩٧
● الفتاوى اعداد الاستاذ / عبد الحميد السيد شاهين	٥٠٠
● انباء وآراء للاساتذة : احمد عبد الرحيم السايح، صفوت عبد الجواد، عبد الفتاح السيد، عاطف زهران	٥٠٢
● قسم اللغة الانجليزية للدكتور انس النجار	٥١٢
● مراجعة الموضوعات والعناوين الداخلية للاستاذ عبد المنعم مهنا	

طبع بمطابع روزاليوسف

MOHAMMAD

The early life of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) is highly characterised by working for a living. This remarkable aspect from early childhood certainly added to his illustrious character the sense of duty and responsibility, and a perceptive depth in the needs and nature of human goodness and virtue.

His marriage to Khadija lasted twenty five years and terminated by her death. During that period the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) at that active and youthful age did not think of marriage to a second wife. He remained to honour and respect her during her life and after her death. Several true honourable Hadith are related specifying the high ranking position of Khadija and the great esteem she deserved amoung all people and the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) in particular.

At this stage of the life (Al-Sira) of the esteemed honourable magnanimous Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him), this treatise ends. In Sha-Allah, continuation of his superb and unique life will appear in future articles.

References

1 — Hayyat Mohammad.
Mohammad Hussein Heikal.
Dar Al Maarif, 1977, Cairo.

2 — Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen.
24th. Edition, 1978.
Sheikh Mohammad Al Khodary Bey.
Great Commercial Library, Cairo.

3 — Alsira Alnabawiah.
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi.
Dar Al Sharak, Jeddah.

4 — Fiqh Alsira.
Dr. Mohammad Ramadan Albooty.
7th. Edition 1977.
Dar Al Fikr — Cairo.

It is evident that the ancestal lineage of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) is specifically designated and characterised by divinely preordained selective genealogy of genetical purity, honour, and human distin ction. This reality is confirmed by the laws of inheritance of dominant characters; and is also supported by several honourable Hadith and Quranic text.

By divine will and wisdom, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) was born an orphan, and lost his mother and grandfather by the age of eight years. He was totally deleted from paternal connections to remain exclusively under divine care and godly ordinance. His character, intellect and conduct; his insight and contemplation, his scrutiny and precognition — were all developed by transcendent heavenly supreme schooling from the creator «ALLAH», in preparation for his future task as «ALLAH's Messenger». He was pious, devout, humble and free from worldly want, power or lust. He possessed no drive of racial or tribal superiority, support, or distinction of class. With such attributes was his culture and inherent personality in order that people will not confuse the reverence of prophethood with world rank, arrogance or power.

The incidence of thoracotomy that occured when he was in the dwellings of Bani Saad has been extensively argued by materialist thinkers to the extent of denial. However, the reality of the event has been well confirmed in the Honorable Hadith, and is absolutely accepted by those with unfaltering faith in Allah and the Prophethood of Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him). This event proper is a prodromal insignia that Allah has enshrined and exalted him with sele ctive choice of eminence and sanctified status. Among the numerous extra-ordinary and mirac ulous events occuring to prophets and men alike, this particular incidence is amenably accepted by the unbiased mind. How easy it is to believe as reality when we love enough the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) trust enough in his virtuous honourable Hadith.

The communication of speech from the Hermit Buhira to Abu Taleb when he recognised in his nephew signs of prophethood has been related by all biographers of the prophets life (Al-Sira). This speech indicates that both Jewish and Christian theologians and priests had in their scriptures signs and descriptions of the expected prophet; and several indications of his recognition. This understanding is well documented in the Quran.

The People of the Book
Know this as they know
Their own sons; but some
of them conceal the truth
which they themselves know.

(Al-Baqarh II, 146)

Several of those theologians that embraced Islam confessed to the understanding that their past traditions and teachings describe signs of the expected apostle. Salman Al-Farsi (the famous sahabi) accepted Islam by closely following the signs and descriptions of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) as documented in Christian and Jewish scriptures, and as instructed to him by their priests and theologians.

MOHAMMAD

At the age of twelve years, his uncle Abu- Taleb took him on a trade journey to Al-Shaam (Syria). This was the first trip for the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him). On their way, they passed by a Hermit called Buhira who was knowledgeable in Christian Theology. When Buhira saw the young master, he closely scrutinised him and realised in him the signs of future prohethood well known at the time in Christian and Jewish doctrinism. Buhira warned Abu Taleb from the danger of Jews in the event they see his nephew and recognise his future status as endowed with divine selection and appointment to be the Messenger of Allah. Consequent upon this warning, Abu Taleb hurried back with his nephew to Macca.

At the age of twenty years, he witnessed the war of Al-Fujjar between the tribes of Kuraysh and Qays; and also attended the alliance of Al-Fudool uniting all the clans of Kuraysh within one affiliation to antagonise, condemn and resist any injustice or harm to all people. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) in later years acclaimed this treatise conformed by the clans of Kuraysh at that time.

The second trade journey of Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) was in the service of Khadija Bent Khuwaylid Al-Asadiah who was a Korashian lady of high esteem, rank, honour and wealth. She employed men to expedite and promote her trade in return of shares in profits. Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) at the age of twenty five years was eminently notable and reputed for his peity, puritan honesty, truthfullness and virtuousness. Such reputation of supreme character and conduct drove Khadija Bent Khuwaylid to ask his services in trading for her. He accepted and travelled to Al-Shaam trading with Khadija's funds. She entrusted to his assistance Maysarah a yeoman in her house hold. Mohammad (Prayes and Peace from Allah upon Him) was very prosperous and successful, and returned from this trade route with bountiful gratuity. He also incurred the highest esteem, respect and true devotion which he so very well deserves. Khadija was highly impressed with and deeply respectful to such supreme human characters by which Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) was outstandingly reputed by all. She asked him in marriage through her friend Nafisa Bent Munayah;and the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) accepted. His uncle Abu Taleb asked her hand for his nephew from Khadija's uncle Amre Ibn Assad. Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) married at the age of twenty-five and Khadija was at the age of forty.

This chronological sequence of events of the life of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) from birth to marriage has emphasized salient aspects during that period, However, several important considerations should be brought to our understanding in order to acquire an intelligent comprehensive knowledge pertaining to that period of his reverend and honourable life.

MOHAMMAD

PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM

FROM BIRTH TO MARRIAGE

By :
Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D. PHD

In the Name of Allah most Gracious most Merciful.

The ancestral descent of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) is ascertained and accepted by all chroniclers to be as such. He is Mohammad Ibn Abdullah Ibn Abdul-Mutaleb Ibn Hashim Ibn Abed-Manaf Ibn Qusai Ibn Kelab Ibn Murrah Ibn Kaab Ibn Luai Ibn Ghaleb Ibn Fahr Ibn Malek Ibn Al-Naddre Ibn Kenanah Ibn Khuzaymah Ibn Mudrakah Ibn Ilyas Ibn Muddar Ibn Nezar Ibn Maad Ibn Adnan. To this extent of parenthood, his honourable descent is undisputed. There is also unanimous agreement that Adnan is a direct descendant of Ismail Ibn Ibrahim (Peace be upon them all).

The mother of the prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) is Amenah Bent Wahb Ibn Abed-Manaf Ibn Zahrah Ibn Kelab. She was married to Abdullah the youngest son of Abdul-Mutaleb when he was eighteen years old. Two months after conceiving, Abdullah died on his way back from a trade journey and was burried at Al-Madina.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) was born an orphan on Monday 12th. Rabie Al-Awal corresponding to April 20th. 571 AD, and was taken in the guardianship of his grandfather Abdul-Mutaleb. According to prevailing Arab cutoms at that time, the infant was charged to the care of a bedouin wet nurse called Halima Bent Abi Zoayb from the tribe of Bani Saad Ibn Bakre. At the home of Halima, Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) lived in the dwellings of Bani Saad till the age of five years. During that period, the famous event of seraphic thoracotomy took place. Soon after the incidence, he was returned to his mother in Macca.

At the age of six years his mother died, and consequently the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon Him) was taken under the complete custodianship of his grandfather Abdul-Mutaleb. When he was eight years old, his grandfather died, and he was taken under the protectorship of his uncle Abu-Taleb. During the years that followed, Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon Him) occupied his time working as a shepard., humble and content, away from the common conduct and boisterous behaviour of the youngesters of his age.

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٥٠٦ / ٩٠٩٩٢٢

● صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم

أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رضى الله عنهم ، هم خير القرون ، وأسبق السابقين الى الايمان ، وخير من عمل بالإسلام لهم ميزتهم على الأمة ، وفضلهم على أهل الاسلام .

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

« خير أمتى أهل قرنى » (١) .

هم عدول هذه الامة ، وحواريوها ، وأسوتها فى كل خير .

نزلت سورة النصر : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ

---

(١) صحيح البخارى ٢/٢٤٧ طبع الوهبية .

* الجزء الرابع * السنة السادسة والخمسون
ربيع الآخر ١٤٠٤ هجرية * يناير ١٩٨٤ ميلادية

أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

فقرأها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى ختمها ، ثم قال :

« الناس حيّز ، وأنا وأصحابى حيّز » (١) ٠

فهم القمة التى نذكرها مقدرين ، ونستعرض جلالها شاكرين ، فاذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفوة الخلق ، فهؤلاء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ صفوة الأمة ، وَإِنَّ مِنْ أيسر أعمالهم فضلا ما يستمر ذخائر حسناته الى يوم الدين ٠

هذا عثمان بن عفان ، ذو النورين ، يحفظ ـ رضى الله عنه ـ عن رؤية وعمل وضوء رسول الله ـ صلى الله عايه وسلم ، فيتحدث به علما وعملا أمام الناس ، ويحتوى « صحيح مسلم » فى باب الطهارة عمله هذا فيستمر فضله نصب أعيننا الى يوم الدين ، وله ـ بعد ـ ـ ماله شأنه :

أذكُرُهُ اذ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

---

(١) مسند أحمد ٣/٢٢

« من يحفر بئر رومة فله الجنة » .
فحفرها عثمان !!

واذ قال – عليه الصلاة والسلام :

« من جَهَّزَ جيش العسرة فله الجنة » .
فجهزه عثمان !! (١) .

رضى الله عن سيدى : عثمان بن عفان بشره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجنة على بلوى تصيبه ، فأصابته ، ولازال يُصَاب .

.. .. ..

وانما عثمان واحد من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من القوم الذين اختارهم الله – سبحانه – لنبيه – صلوات الله وسلامه عليه .

عن محمد بن طلحة المدينى عن عبد الرحمن ابن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « ان الله اختارنى ، واختار لى أصحابا ، جعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه – يوم القيامة – (٢) صرفا ولا عدلا » (٣) .

وروى – فى هذا المعنى من حديث أنس رضى الله عنه ، ولفظه : « من سب أصحابى فقد سبنى ، ومن سبنى فقد سب الله » رواه ابن البناء .

وعن عطاء بن رباح عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : « لعن الله من سب أصحابى » .

رواه أبو أحمد الزبيرى : حدثنا محمد ابن خالد عنه ، وقد روى عنه عن ابن عمر مرفوعا (٤) – من وجه آخر .

رواهما اللالسكائى .

وقال على بن عاصم :
أنبأ أبو قحذم ، حدثنى أبو قلابة عن ابن

---

(١) صحيح البخارى ٢/٢٥٥ الوهبية .
(٢) أى لا يكون له خير يقبل منه .
(٣) ابن تيمية – الصارم المسلول ص ٥٧٧ ط أولى مطبعة السعادة – شعبان ١٣٧٩ .
(٤) نفس المرجع ص ٥٧٧ ، ٥٧٨ .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

مسعود قال ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

اذا ذكر القدر فأمسكوا ، واذا ذكر أصحابى فأمسكوا » (٤) .

.. .. ..

ولقد تعلمنا من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم حملة العلم أصحابه — رضوان الله عليهم — ما للقوم من منزلة ، وما ينبغى لهم من تقدير ، فكان خير التابعين من لزم سنن التقدير والاجلال لأصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

أَوْتَرَ معاوية بن أبى سفيان — رضى الله عنهما بركعة بعد العشاء ، وعنده (٢) (مولى) لابن عباس — رضى الله عنهم — فقام بنفس المولى شىء من ركعة واحدة ، فأتى ابن عباس فأخبره ، فقال ابن عباس : « .. دَعْهُ ، فإنه قد صَحِبَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم » (٣) .

كذا على خير أدب وأكرم سنن ، فلم يُخَطِّىء أو يُجَادل ، أو يمارى أو يخوض ، بل أشار الى صحبة معاوية — رضى الله عنهما — وفيها من العلم عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما فيها ، وقطع بها الطريق على وساوس الشيطان فى نفس (المولى) .

وهذا ما ينبغى من التابعين مع صدر المؤمنين — رضوان الله عليهم ، ولذا يحذرون كل الحذر ثلاثا :

(أ) سب أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أو أحدهم .

(ب) أو التعريض بهم — رضوان الله عليهم — أو بأحدهم .

(ج) أو اثارة أمرهم — فى غير مقامه — فيكون مضغة فى أفواه الناس على اختلافهم وتفاوتهم فيستحسنون من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويستقبحون !

وما واحدة من تلك الا مساوية لغيرها وشرها ثالثتها لما فيها من اثارة الفتنة والايقاع فى الضلالة ، وجر الناس الى الكبائر قال التسترى : سمعت أبا زرعة (٤) يقول :

« اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فاعلم أنه زنديق ، لأن الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — عندنا حق ، والقرآن حق ،

---

(١) نفس المرجع ص ٥٧٨ .

(٢) اى رقيق اعتقه فصار حرا .

(٣) صحيح البخارى ٢/٢٦٥ طبع الوهبية .

(٤) ابو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازى من الاعلام الائمة توفى ٢٦٤ هـ .

وانما أدى الينا هذا القرآن والسُّنَن أصحابُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وانما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة » (١) .

روى الامام أحمد — بسنده — الى المزنى قال ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

« الله الله فى أصحابى — الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضا بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله — تبارك وتعالى — ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » (٢) .

قال تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا » (٣).

قال الامام أحمد — عن الأئمة الأربعة فأصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

« وهم خلفاء راشدون ، مهديون ، ثم أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد هؤلاء الاربعة خير الناس .

لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته ليس له (أى لولى الأمر) أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ويستتيبه ، فان تاب قبل منه ، وان ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده فى الحبس حتى يموت أو يراجع » (٤)

لذا يشغف المخلصون بحب أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويستزيدون من فضلهم ، ويحرصون على مجانبة ما يمسهم ، ويتهم ائمتهم من يفعل .

قال أحمد بن حنبل للميمونى — رضى الله عنهما :

يا أبا الحسن ، اذا رأيت أحدا يذكر أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بسوء ، فاتهمه على الاسلام » .

وصرح — بأوضح من ذلك فقال :

« ما أراه على الاسلام » . (٥) .

فكيف بمن استثار شئونهم — على أى وجه و لون من النشر — فلاكها الناس طعنا وقدحا !!؟

نسأل الله العافية .

ولم يكن هذا الامر ليغيب عن سلفنا الصالح من فقهاء الأمة ، فنظروا اليه — فى ضوء القانون — سواء وقع بين صفوف المسلمين أو المعاهدين ، قال القاضى أبو يعلى :

---

(١) انظر مقدمة العواصم من القواصم للقاضى أبى بكر بن العربى ص ٣٤ تحقيق محب الدين الخطيب ١٣٩٠ .

(٢) مسند أحمد ٥/٥٤ ، ٥٧ الميمنية .

(٣) الاحزاب — ٥٧ .

(٤) ابن تيميه — الصارم المسلول ص ٥٦٧ .

(٥) راجع لابن تيميه — الصارم المسلول ص ٥٦٧ .

« الذى عليه الفقهاء فى سب الصحابة :

ان كان مستحلا لذلك كفـر ، وان لم يكن مستحلا فسق » (١) ثم بقى بعد ما يلزم الأمة تجاه تلك الصفوة البارة ــ رضوان الله عليهم ــ ويتمثل فى الآية الكريمة :

« وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (٢) .

وأسبق السابقين الى الايمان هم أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولو جاز سبهم ، أو التعريض بهم ، أو اثارة حديثهم للنيل منهم ــ ما جاز الاستغفار لهم كما لايجوز الاستغفار للمشركين ، وفى ذلك دليل على حب الله ــ سبحانه ــ لهم ، وما أبعد نظر عائشة ــ رضى الله عنها ــ اذ تقول : « أمروا بالاستغفار لاصحاب محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فسبوهم » .

وابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ اذ يقول :

لا تسبوا أصحاب محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فان الله قد امر بالاستغفار لهم ، وقد علم انهم سيقتتلون » (٣) .

وامر الله جاء فى قوله تعالى :

« فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ » (٤) .

وبعـد :

فمن اراد الحيطة لدينه فتلك عُرْوَتُه .

د. على الخطيب

(١) نفس المرجع ص ٥٦٩ .
(٢) الحشر ــ ١٠ .
(٣) انظر الصارم ٥٧٤ .
(٤) سورة محمد ــ ١٩ .

■ الحمد
في القرآن الكريم

دراسات إسلامية

■ غارة تبشيرية
جديدة على أندونيسيا

الحمد

فى القرآن الكريم

مقـــدمة البحث

ان النعم التى تفيضها يد الله فى حياة المؤمن ــ وما اكثرها ــ ينتفض لها قلبه حمدا لصانع النعم ، ويمضى الحمد يحمله الكرام الكاتبون فيجتازون به أطباق السموات الى ساحة المنعم رجاء ان يؤدى لــرب النعم بعض ما يجب ، ولن يقضى حمــد الحامــدين ما عليهم ، وان تحولت حياتهم ألسنة تلهج بحمــد اللــه لأن اياديه غمرت الانسان منذ التقى ماء الاصلاب والترائب فى الأرحام فكان نطفة ، وعاشت معه نعم الله فى الظلمــات الثــلاث ترعاه فى تلك المضايق ، وتربط بينه وبين الام اسباب الحياة وحبالها ، وينفخ الله فيه من روحه روحا تبعث الحياة فى ذلك الانسان الذى صورته يــد الله بشرا (هُــوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ).

ونعم الله التى تعيش مــع الانســان فى الأرحام وهو عاجز عن شكرها لا تتخلى عنــه حين ينبعث من الأرحام ، بل انه يمضى أعوام طفولته وأعواما أخرى بعد طفولته غــارقا فى نعم الله ولا يؤدى لها شكرا .

فالانسان مدين لله بالشكر على نعمه عليــه حين لم يكن يدرك أن النعم تستوجب الشكر ، فما أحراه حين أدرك نعم الله عليــه ، وأدرك الدين الذى فى عنقه لربــه أن ينتفض قلبــه ولسانه بحمد الله على ماآتاه ويؤنبه من نعم لا ينقطع مددها على الزمن ، فهو فى كنف الله ما عاش ، ثم تمتد جسور النعم مع المؤمن الى الحياة الآخرة حيث النعمة الكبرى : نعمــة الخلود فى رضوان اللــه فى جنــة (عرضــها السموات والارض) (فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الاعين)

ومفتاح جنة الله : ايمان « بالله وبرسل الله وبكتب الله وباليوم الآخر ، وعمل بما جاءت به شرائع الرسل ، وسلوك » ينبع من التأثــر الصادق بمناهج الانبياء والصــديقين ممــن اصطفاهم الله فكان سلوكهم مشــاعل عــلى طريق الحق يهدى بها الله من عاش شــاكرا

للدكتور محمد محمد خليفة

أنعمه ، وعاش لسانه رطبا بذكر الله مرددا أبدا من الأعماق :

« سبحان الله وبحمده سبحان العظيم » .

والحمد فى اللغة : الشكر والرضاء والجزاء وقضاء الحق .

وقيل فى الفرق بين الحمد والمدح والشكر :

ان المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده ، أما الحمد فلا يكون الا بعد الاحسان ، والمدح قد ينهى عنه أما الحمد فمأمور به .

والحمد عام لما وصل اليك والى غيرك والشكر خاص بما وصل اليك ، فالحمد ثناء على الله بسبب ماوصل الى الخلق من الانعام ، والشكر ثناء على الله بسبب ماوصل الى الشاكر فقط .

والحمد لله أفضل من أحمد الله : لان التعبير الاول يفيد أن الله محمود قبل حمد الحامدين وشكرهم ، بخلاف الثانى فانه يدل على أن القائل قادر على حمده وعلى تجديد ذلك الحمد .

والاول كذلك يدل على أن الحمد حق وملك له لكثرة نعمه فهو مستحق للحمد لذاته .

والثانى يدل على أن شخصا حمده ولا يدل على استحقاقه للحمد لذاته .

وقد ورد الحمد بمشتقاته فى القرآن فى ثمان وستين موضعا بصيغ مختلفة : بعضها بصيغة المصدر وبعضها بصيغة المضارع وبعضها بصيغة اسم الفاعل وبعضها بصيغة اسم المفعول وبعضها بصيغة فعيل أو أفعل أو مفعل فجاءت بصيغة المضارع فى آل عمران واسم الفاعل فى التوبة واسم المفعول فى الاسراء وبصيغة أفعل فى الصف وبصيغة مفعل فى « آل عمران » والأحزاب ومحمد والفتح » وبصيغة فعيل فى : «البقرة . هود . ابراهيم» فى موضعين وفى الحج فى موضعين وفى لقمان فى موضعين وفى سبأ وفاطر وفصلتوالشورى والحديد والممتحنة والتغابن . والبروج . والنساء » . ووردت بصيغة المصدر :

١ ــ مقترنة بالله رب العالمين فى : « الفاتحة ــ والانعام ــ يونس ــ الصافات ــ الزمر » .

٢ ــ فى فواتح السور فى : « الفاتحة ــ الانعام الكهف ــ سبأ ــ فاطر » .

٣ ــ مقترنة بالتسبيح فى : البقرة ــ الحجر ــ طه ــ السجدة ــ الزمر ــ غافر فى موضعين ــ الشورى ــ ق ــ الطور ــ النصر ــ الرعد ــ الاسراء ــ الفرقان » .

٤ ــ غير مقترنة بالتسبيح فى : « الفاتحة ــ الانعام فى موضعين ــ الاعراف ــ يونس ــ ابراهيم ــ النحل ــ الاسراء ــ الكهف ــ المؤمنون النمل فى ثلاثة مواضع ــ العنكبوت ــ لقمان ــ سبأ ــ فاطر فى موضعين ــ الصافات ــ الزمر فى ثلاثة مواضع ــ غافر » .

٥ ــ تقدم الجار والمجرور على صيغة المصدر « الحمد » بما يفيد الحصر وذلك فى :

الحمد فى القرآن الكريم

« القصص ــ الروم ــ سبأ ــ الجاثية ــ التغابن •

واليكم ما جاء من الصيغ المختلفة فى القرآن :

١ ــ الحمد لله رب العالمين ، الفاتحة :

الحمد : الثناء ، واللام فى قوله: « لله » قد تكون للاختصاص على معنى أن الحمد لا يليق ولا يختص الا به ، لجلاله وفضله واحسانه وقد تكون اللام : للملك ، على معنى أنه مالك للكل ، فوجب أن يملك من العالمين اشتغالهم بحمده وقد تكون اللام للاستيلاء على معنى أنه مسئول على الجميع ومستعل عليهم •

والحمد لله : شكر على نعمه الماضية والمستقبلة التى تتجدد تحقيقا لوعد الله « لئن شكرتم لأزيدنكم » •

وان فاتحة البشرية وخاتمة مايتصل بدنياها من ايمان وعمل : الحمد لله حيث ان آدم لما توسطت الروح جسده عند خلقه عطس، فقال : « الحمد لله » وكان ذلك أول كلام تكلم به •

وحين يبلغ المؤمنون الجنة يقولون الحمد لله ، « وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » وقد أضاف الله الحمد الى نفسه فى قوله : « الحمد لله » ، ثم وصف نفسه بانه رب ــ ثم أضاف رب الى العالمين ، ومعنى ذلك أن الله أحب الحمد فنسبه الى نفسه على أنه مملوك له ، ثم عرف نفسه بكونه ربا للعالمين ، وربوبيته للعالمين أكمل الصفات وأتمها وفى ربوبيته للعالمين اشارة الى أنه يملك الكثير من الخلق غير البشر •

والرب : مصدر بمعنى التربية ، سمى به المالك ، لأنه يحفظ ما يملك ، فالله رب العالمين : يربيهم ويرعى شئونهم ، ويحسن اليهم ، ويرزقهم من خزائنه التى لاتنفد قبل سؤالهم : رباهم أجنة فى أرحام الأمهات ، ولم ينقطع احسانه عنهم ولا عن أحد من خلقه ، بل وسعت نعمه ورحمته كل شىء ، ان المراحل التى مر بها الانسان من نطفة الى علقة : الى مضغة الى عظام وغضاريف وشرايين الى أجهزة : للتنفس والهضم • وغيرهما الى الرأس وما خلق الله فيها من المخ الذى تعيش فيه الاعصاب لتؤدى وظائفها من الاشارات المتلاحقة للسمع والبصر واللمس والذوق ، كل ذلك الخلق والتدبير والاحكام فى كل مراحل الحياة يدل على تربية الرب للعبد ، وخلق مايحتاجه للحياة التى وهبها الله له « وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » •

فلو أبصر الانسان نفسه ، ومشى وراء نعم الله فى تلك النفس لخر ساجدا لمن رباه

والعالم : اسم لما سوى الله من المخلوقات (وما يعلم جنود ربك الا هو) ويطلق ذلك

الاسم على كل جنس من خلق الله : كعالم الملائكة وعالم الأفلاك وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الزواحف وعالم الجن وعالم الانسان .

وقيل : هو اسم لأولى العلم من الملائكة والثقلين : الانس والجن .

وقيل : يطلق على الناس فقط .

وقيل يطلق على كل ما علم الله من الأجسام والأعراض .

وربوبية الله حاصلة لجميع أفراد كل جنس من أجناس العالمين .

٢ — « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » البقرة ٣٠ .

تدل هذه الآية على تعظيم الله لآدم عليه السلام وفى تعظيمه تشريف له ولذريته وملائك جمع : ملاك ، كشمائل وشمأل والتاء لتأنيث الجمع .

والملائكة أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، وهم كثيرون كثرة يدل عليها قوله عليه الصلاة والسلام « أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع » والأطيط : صوت تحدثه الابيل مما تحمل من الأثقال وقد ذكر القرآن أصنافا من الملائكة وأوصافهم :

فمنهم : حملة العرش ذكرهم الله فى قوله : وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » الحاقة ١٧ .

ومنهم الحافون حول العرش ذكرهم الله فى قوله : « وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ » الزمر ٧٥ .

ومنهم أكابر الملائكة ذكرهم الله فى قوله : « مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ » البقرة ٩٨ .

ومنهم ملائكة الجنة ذكرهم فى قوله : « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد ٢٣ ، ٢٤ .

ومنهم ملائكة النار ذكرهم الله فى قوله : « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) المدثر ٣٠ ، ٣١ وسماهم الله : الزبانية فقال : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ » العلق ١٧ ، ١٨ .

ومنهم الموكلون ببنى آدم ذكرهم الله فى قوله : « عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ » ق ١٧ .

ومنهم كتبة الأعمال ذكرهم الله فى قوله : « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ » الانفطار ١٠ ، ١١ .

أما عن طاعتهم لله فقد ذكرها القرآن فى قوله : « وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ » البقرة ٣٠ « وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ

الحمد فى القرآن الكريم

الْمُسَبِّحُونَ » الصافات ١٦٥، ١٦٦ وهم الممتثلون لأمر الله : « فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ » الحجر ٣٠ وقوله : « لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » الأنبياء ٢٧ •

وقوله : « يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ » الأنبياء ٢٠ وقوله : « لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » التحريم ٦ •

ووصفهم الله بالخوف منه فى قوله : « يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » النحل ٥٠ •

وقد أخبر الله ملائكته باستخلاف آدم فى الأرض فى قوله : « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » أى مصير فى الأرض والمراد : جميع الأرض مشارقها ومغاربها •

والخليفة : من يخلف غيره ويقوم مقامه ، وقد خلف آدم الجن فى الأرض حيث كانوا يعمرونها قبله ، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وقتل بعضهم بعضا ، فأخرجوا من الأرض ليخلفهم فيها آدم وذريته •

وقيل سماه الله خليفة : لأنه يخلف الله فى الحكم بين المكلفين من خلقه •

وقد ذكر الله الاستخلاف فى الأرض فى قوله : « ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ » أى يخلف بعضكم بعضا •

وقد ذكرت الآية ما دار من القول بين الله والملائكة حين قالت الملائكة : « أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ » والمراد بمن يفسد ويسفك الدماء أولاد آدم وقد أضاف الملائكة الفساد وسفك الدماء للمخلوقين من البشر أما الملائكة فانهم يسبحون بحمده ويقدسون له والتسبيح تنزيه ذات الله عن كل نقص ، والتقديس تنزيه أفعاله عن صفات الذم ، وهم لم يسألوا ليقدحوا فى حكمة الله لأنهم يسبحون بحمده ، ويعترفون بعظمته ، ولكنهم بسؤالهم يطلبون الحكمة فى التفضيل •

ومعنى نسبح بحمدك : نسبح لك حامدين ومتلبسين بحمدك مقرنين التسبيح بالحمد لنقر بفضلك علينا بالنعم المختلفة لأنك تستحق الحمد •

وفى التسبيح تبرئة من السوء وتنزيه الله عما لا يليق به اعتقادا وقولا وعملا والاسراع فى طاعته •

وقيل المراد بالتسبيح : الصلاة ، فمعنى نسبح لك : نصلى لك وهذا قول ابن عباس — رضى الله عنهما — •

وقيل التقديس : التطهير ، فمعنى تقدس لك أى نصفك بما يليق بك أو نطهر أنفسنا من الخطايا ابتغاء مرضاتك وقد أجاب الله عن

سؤال الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها بقوله : « انى أعلم مالا تعلمون » من دواعى الخلافة والصالح للاستخلاف .

والمعنى : لا تتعجبوا من أن يكون فيهم من يفسد ويقتل فانى أعلم أن فيهم الى جانب ذلك الكثير من المتقين ومن لو أقسم على الله لأبره ، وفيهم من يتضرعون الى الله ويلوذون به من خطاياهم ، ويجأرون حين يعصون : ربنا ظلمنا أنفسنا ورب الملكوت عليم بالحكمة فى استخلاف آدم وبنيه فى الأرض .

٣ ــ « لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » آل عمران ١٨٨ .. قال تعالى فى الآيات السابقة على هذه : « لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا » وكان من جملة ايذائهم : أنهم يفرحون بما أتوا من الخبث والكذب وتحريف الحق والتلبيس ويحبون أن يحمدوا بأنهم من أهل البر والتقوى والصدق وصالح الأعمال ، فأخبر الله نبيه بأنه لا يظن أنهم ناجون من عذاب الله على ما يفعلون بعد أن كشفت طواياهم .

وفى هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيه له الى الصبر على أذى المشركين والكتابيين واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال بعضهم :

نزلت فى اليهود الذين يحرفون نصوص التوراة ، ويفسرونها حسب أهوائهم ، ويفرحون بهذا الصنع ، ويحبون أن يحمدوا بأنهم أهل ديانة وصدق وعفة .

وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شىء فى التوراة فكتموا الحق ، واخبروا بخلافه ، وفرحوا بذلك التلبيس وطلبوا من الرسول أن يثنى عليهم فأطلع الله رسوله وكانوا قد توقعوا أن يحمدهم النبى ويثنى عليهم وقيل نزلت فى المنافقين يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان وتوقعوا أن يحمدهم النبى على ما لم يكن فى قلوبهم منه شيئا . وقال أبو سعيد الخدرى : نزلت فى رجال من المنافقين كانوا يتخلفون عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فى الغزو ويفرحون بتعودهم عنه ، فاذا اعتذروا قبل عذرهم ، وطمعوا فى أن يثنى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليهم .

وليس هؤلاء أو أولئك بنجاة من عذاب الله على مواقفهم ولهم عذاب أليم لكذبهم وتدليسهم وتلبيسهم والمراد بالحمد فى قوله : (أن يحمدوا) أن يثنى عليهم ويشكروا .

٤ ــ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) الأنعام ١ .

التحميد فى هذه الآية خاص لخلقه السموات والأرض وانشاء الظلمات والنور ، أما التحميد فى أول الفاتحة فانه لرب العالمين .. والعالمون : كل ما خلق ، فالحمد هنا مستحق وثابت لله الذى خلق السموات والأرض

الحمد فى القرآن الكريم

وأنشأ الظلمات والنور والخلق : هو التقدير ، ومعناه علم الله النافذ فى الكليات والجزئيات التى فى السموات والأرض والآية فيها تعليم

للعباد ، والمعنى قولوا : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وخلق السموات والأرض بما فيها من النعم التى سخرها الله للانسان يستأهل من الانسان أن يحمد الله على خلقهما وخلق ما فيهما من للنعم .

ووصف الله بأنه خلق السموات والأرض بما فيهما خليق بأن يحمد لذلك الخلق .

وقدم ذكر السموات على الأرض لأن منافعها أعظم وقيل : لأن السماء كالدائرة والأرض كمركز لتلك الدائرة وحصول الدائرة يوجب تعين المركز .

والفرق بين الخلق والجعل : أن الخلق فيه معنى التقدير أى أن علمه نافذ فى كل الكائنات فى السموات والأرض أما الجعل ففيه معنى الانشاء والتعبير كانشاء شىء من شىء وتعبير شىء وشيئا كقوله تعالى « وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا » بمعنى أنشأ منها زوجها .

ولفظ الظلمات والنور يشير الى تعاقب كل منهما ، وكأن كلا منهما تولد من الآخر ، والظلمات كثيرة لأنها ظل للأجرام ولذلك جمعها أما النور فهو من النار ، وذلك جنس واحد

ولذلك أفرده .

وفسر بعضهم الظلمات : بالشرك والنفاق والكفر والنور بنور الاسلام ، والباطل كثير ولذلك جمعه أما النور فواحد وهو الايمان .

وقدم الظلمات على النور ، لأن الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق على الوجود .

٥ ــ « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » الأنعام ٤٥ .

بين الله فى الآية السابقة على هذه حالة أولئك الذين نسوا ما ذكروا به من الشدة والضر فلم تنفعهم عظات ولا عبر حيث تركوا الانتفاع بالعظات ، ولم يشكروا الله على نعمه التى فتح لهم أبوابها ، فأخذهم الله بغتة وهم مبلسون متحسرون آيسون ، وقد استدرجهم الله ثم أخذهم وهم فى حالة الرخاء ليكون الأخذ أشد عليهم حسرة على مافاتهم مما كانوا فيه من النعم ، وحين طال ظلمهم لأنفسهم وجحدوا آلاء الله قطع الله دابرهم ، واستأصل شأفتهم ، ولم يترك منهم أحدا وفى الآية ما يؤذن بالحمد عند ما يهلك الظالمون .

وقوله : والحمد لله رب العالمين : قد يكون معناه أنه تعالى حمد نفسه على قطع دابر هؤلاء الظالمين .

وقد يكون المعنى أن الحمد لله رب العالمين حصل لأنه أخذهم بالبأساء والضراء ثم نقلهم الى النعم وأمهلهم ، وبعث الأنبياء والرسل اليهم فازدادوا فى غيهم وطغيانهم فأفناهم ، وطهر الأرض منهم فكان الحمد لله على النعم التى أنعمها عليهم قبل أن يأخذهم ويقطع دابرهم .

٦ ـ « وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) الأعراف ٤٣ .

هذه الآية تصور حال المؤمنين فى الآخرة حيث ان الله جلت قدرته يزيل الأحقاد التى كانت بين الناس فى الدنيا حين يدخلهم الجنة فيقتلع كل ما كان يعيش فى القلوب من الأضغان ، أو يزيل أسباب الغل التى كانت تشعل القلوب حقدا ، ويضع فى النفوس المحبة والود ، أو أنهم لا يتحاسدون على الرغم من اختلاف درجاتهم ومنازلهم فى الجنة .

وقدانعم الله عليهم بالجنات التى تجرى من تحتهم الأنهار جزاء ما عملوا فى دنياهم .

ثم حكى الله عنهم أنهم يقولون عندئذ : « الحمد لله الذى هدانا لهذا أى لما جزاؤه هذا الذى نحن فيه من النعيم حيث أعطانا فى الدنيا العقل والقدرة لنتدبر فى ملكه وما فيه من آيات تدل على أنه الاله القادر الحكيم فآمنا به ، وعملنا بما يقتضيه الايمان من العمل الصالح ، ونحمده كذلك لأنه أزال الموانع من طريق تفكرنا وتدبرنا حتى اهتدينا ، ولولا أن هدانا الله مااهتدينا (قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ).

فالذين أنعم الله عليهم بالجنة يحمدونه ويثنون عليه لأنه هداهم للايمان والعمل الصالح والخلق الطيب والسلوك الحسن وكل ما استحقوا به الجنة .

٧ ـ « دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »يونس ١٠ .

دعواهم بمعنى : دعاؤهم أو عبادتهم أو قولهم .

وعبادة المؤمنين فى الجنة ليست عبادة تكليف حيث ان الآخرة ليست دار تكليف وانما هى دار جزاء وانما عبادتهم فى الجنة تجمع بين التسبيح والتحميد للتلذذ بتسبيح الله وشكره على نعمه فيقولون : اللهم انا نسبحك ـ وتحيتهم فيها سلام وهى تحية الملائكة لهم وخاتمه دعائهم الذى هو التسبيح « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » أنهم يحمدون الله على الفوز الذى نالوه وهو الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار وقد روى الحسن البصرى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : ان أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون أنفاسكم) والاشتغال بتسبيح الله وحمده من أعظم مايتقرب به الى الله ويحمل الشكر على النعم ولهذا كان آخر الدعاء : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

٨ ـ حمد أبينا ابراهيم :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)

ابراهيم ٣٩ •

ينص القرآن على أن الله رزق ابراهيم اسماعيل واسحاق فى سن الشيخوخة ، وذلك ما بينه ابراهيم حين حمد الله على أن وهبه فى الكبر اسماعيل واسحاق ، وتقدم اسماعيل فى الذكر يدل على تقدمه فى الولادة على الرغم مما ادعاه الاسرائيليون من أن اسحاق هو الأكبر •

ولم ينص القرآن على سن ابراهيم حين وهبه الله اسماعيل واسحاق ، ولهذا اختلفت الروايات : فقيل حينما ولد اسماعيل كانت سن ابراهيم تسعا وتسعين سنة ، ولما ولد اسحاق كانت سن ابراهيم مائة واثنتى عشرة سنة •

وقيل ولد اسماعيل وسن ابراهيم أربع وستون سنة وولد اسحاق وسن ابراهيم تسعون سنة •

وروى عن سعيد بن جبير أنه لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة من عمره •

وهبة الله لابراهيم فى الشيخوخة عظيمة ، لأنها جاءت بعد اليأس من الانجاب ، والانجاب بعد الكبر من أعظم النعم وكانت ولادة الولدين فى الكبر آية لابراهيم تستوجب حمد المنعم على تلك النعمة •

وقد حكى الله عن ابراهيم بعد حمده على عطاء الولدين قوله : ان ربى لسميع الدعاء « أى انه عالم بالمقصود صرح به أو لم يصرح ، وان الله لسميع دعاء من دعا سواء أجاب أو لم يجب •

وكان ابراهيم قد سأل ربه الولد فى غير هذا الموضع حينما قال : رب هب لى من الصالحين الشعراء واضافة السميع الى الدعاء من اضافة الصفة الى مفضولها وأصله لسميع الدعاء وفى الآية توجيه للناس الى حمد الله على نعمه التى ينعم بها على عباده •

٩ ــ الفزع الى الله لكشف الكروب •

« فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ »

الحجر ٩٨ •

لقد كفى الله محمدا أمر المستهزئين من قريش فى قوله : « إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ » •

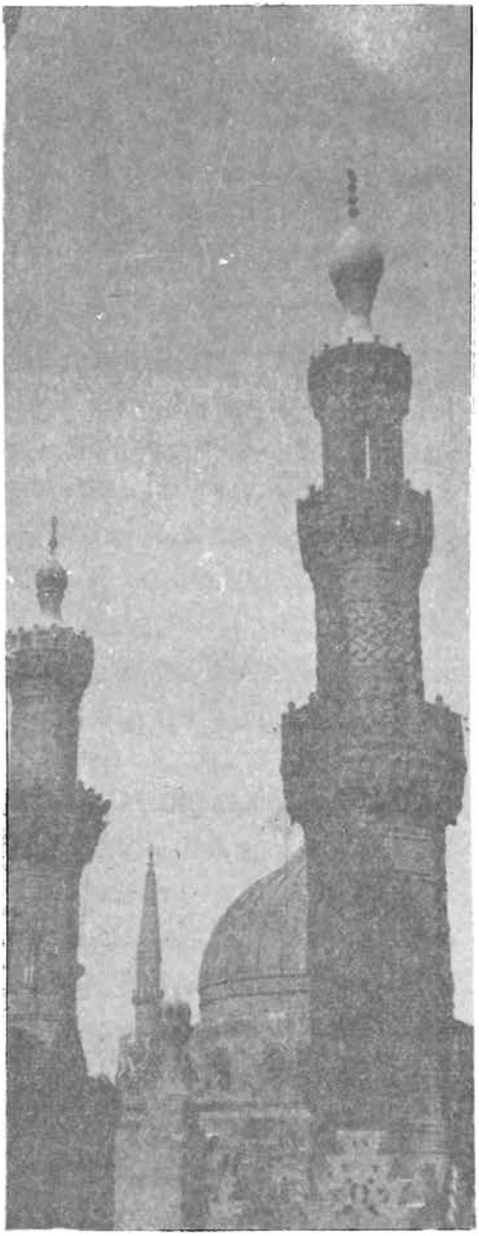

* وعن ابن عباس رضى الله عنهمـــا أن أولئك المستهزئين ياتوا يوم بدر قال جبريل : انى أكفيكهم ، فأومأ الى ساق الوليد فمـــر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظيمـــا فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات ، وأومـــأ الى اخمص العاصى بن وائل قددخلت فيهـــا شوكة فانتفخت رجله فمات ، وأشار الى عبد الأسود بن المطلب فعمى ، وأشـــار الى أنف الحارث بن قيس فامتلأ قيحا ومات ، والـــى الأسود بن يغوث فجعل ينطح رأسه بشجرة حتى مات .

وهكذا كفى الله نبيه هؤلاء الخمسة الذين كانوا يستهزئون به وبالقرآن .

ثم أمر الله نبيه أن يفزع اليه فى كل ما نابه من الشدائد ، والفزع الى الله انما يكون بذكر

الله دائما وكثرة السجود لله وقـــد اطلـــق السجود وأراد الصلاة فى قـــوله : وكن من

الســـاجدين .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة .

وفى الآية أربعة أوامر التسبيح والتحميـــد والسجود (بمعنى الصلاة) ثم العبادة عامة.

ومعنى نسبح بحمد ربك : سبح ربك مقترنا بالحمـــد .

للبحث بقيـــة

دكتور / محمد محمد خليفه

غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا

تأليف : أبو هلال الأندونيسى

« غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا » عنوان للكتاب الذى ألفه أبو هلال الأندونيسى، وقامت بطبعه ونشره «دار الشروق» فى جدة ، وهو كتاب من سلسلة الكتب التى تكشف عن دور التبشير فى البلاد الاسلامية ، خاصة تلك التى رزحت تحت نير الاستعمار طويلا ، ثم قدر لها أن يتولى زمام الأمر فيها ولاة ضعفت لديهم عاطفة الدين ، ولم يكن لهم من الاسلام الا حبال واهية تصلهم به ، ومن هنا أمكن للاستعمار من خلال ذلك أن يواصل دوره عن طريق خلفائه من المبشرين .

أما مؤلف الكتاب فهو كما جاء فى التعريف به كاتب مسلم أندونيسى ، عاش مع أحداث بلده ، منذ انهيار الاستعمار الصليبى أمام الغزو اليابانى سنة ١٩٤٠ ، الذى استغله زعماء أندونيسيا لاعداد الوثبة التحررية الأندونيسية الكبرى ، وقد كان المؤلف ممن شاركوا فى النضال التحررى ضد الاستعمار ، كما كان ممن وقف على ما تلا ذلك من أحداث ومناورات وتآمر ضد الاسلام من خصومه وأعدائه ، ومن ثم جاء حديثه فى كتابه حديث العارف ببواطن الأمور .

والكتاب يكشف عن تفاصيل الغارة التبشيرية الجديدة على أندونيسيا تحت عدة عناوين منها :

قصة النصرانية فى أندونيسيا — مؤتمر ممثلى الأديان فى أندونيسيا فى نوفمبر ١٩٦٧ — غضبة المسلمين فى « مكاسار » على أعمال المبشرين — آخر أوضاع التبشير فى أندونيسيا .

وفى مواجهة العمل التبشيرى قدم المؤلف الجهود التى بذلت تحت عناوين أخرى هى (المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الاسلامية تحديات أمام العمل الاسلامى — أهداف ومخططات) .

وفى نهاية الكتاب قدم المؤلف كشفا بأسماء الهيئات الأجنبية العاملة فى القطاع التبشيرى المسيحى فى أندونيسيا . وبذلك أنهى المؤلف كتابه الذى يقع فى ١٩٠ صفحة من القطع الكبيرة .

— ٢ —

أما فيما يتصل بالجانب الأول الذى كشف

عرض وتعليق الأستاذ الدكتور
طه مصطفى أبو كريشة

فيه المؤلف عن تفاصيل الغارة التبشيرية الجديدة على أندونيسيا فان صاحب الكتاب قدم لذلك بمقدمة أوضح فيها الهدف النهائى من التبشير ، وهو الوصول الى تنصير كل أندونيسيا خلال ٥٠ عاما كما جاء فى قرارات مؤتمر المبشرين الذى عقد فى مدينة « مالانج » .

وقد كشف المؤلف عن الوسيلة التى رأى المبشرون أنها توصلهم الى هذا الهدف بسهولة وفى أسرع وقت ، وهذه الوسيلة هى استغلال بؤس الشعب الأندونيسى .

يقول المؤلف « وقد اتخذت الغارة الشعواء على أندونيسيا شكل الصليب يحمل حفنة من أرز وزجاجة من دواء لتقدم باسم المسيح الى الجماهير المسلمة الجائعة العارية المريضة الخائفة ... ومنطق الجوع والعرى والمرض والخوف يقضى أن الجائع يهرع الى من يطعمه ، والعارى يقبل على من يكسوه ، والمريض يسرع الى من يعالجه ، والخائف يلوذ بمن يمنحه الأمن والطمأنينة » ، وانهم يتسللون الى السجون والمعتقلات ويتصلون بالمساجين والمعتقلين ، ويعرضون عليهم الوعود بأنهم سيمدون أسرهم وذويهم بالغذاء والكساء والحاجات الضرورية شريطة أن يوقع أولئك المساجين على تعهد بأنهم مستعدون للتنصر لقاء ذلك » (١٣ — ١٤) .

وتحت عنوان «قصة النصرانية فى أندونيسيا» يذكر المؤلف أن أندونيسيا تتكون من ١٣ ألف جزيرة متناثرة على خط الاستواء ، وتبلغ المسافة بين حدودها الشرقية والغربية ، المسافة من لندن الى الخليج العربى ، كما يبلغ عدد السكان ١٣٠ مليون نسمة ينتظم الاسلام أغلبيتهم عقيدة وشريعة ، وينتهى المؤلف من هذا التوضيح الى أن هذا الكيان الاسلامى الجديد الذى يمثل أكبر تجمع اسلامى سياسى لم يرق للكثيرين من الموتورين من الاسلام أو الحاقدين عليه ، حيث لا يريدون لهذا الشعب المسلم الهادىء أن يتكتل ويتفرغ للانماء والبناء .

ثم يقدم المؤلف تاريخ الكاثوليكية فى أندونيسيا ، فيذكر أن تاريخ أول رجل دخل أندونيسيا من أتباعها كان فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وتتابع بعد ذلك بعض الأفراد الى أن ازدهرت الكاثوليكية خلال القرنين السادس عشر والثامن عشر ، ثم ازدادت ازدهارا بتعيين أول قاصد رسولى فى أول القرن التاسع عشر . وفى أوائل القرن العشرين تكونت الارساليات المتعددة ، وتبع ذلك نشاط وفير فى شتى الجوانب الدينية والتعليمية والصحية والادارية والاجتماعية ، وقد توج ذلك كله بانشاء « مجلس دعاة الكنائس بأندونيسيا » له رئاسة

غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا

وأمانة عامة ، وتضم هذه الأمانة أقساما للموظفين ولشئون التعليم والشئون المالية والخدمات العامة وشئون المستندات والاعلام الى جانب بعض المعاهد وبعض لجان الاشراف على أوجه النشاط المتعددة (١٧ ــ ٢٠) .

أما تاريخ « البروتستانية » فى أندونيسيا ، فان ذلك يعود الى أوائل القرن السابع عشر ، وقد كان الأندونيسيون البروتستانت قليلين فى أول الأمر ، ومع ذلك فقد بلغت كنائس البروتستانت عددا كبيرا تجاوز المئات ، نظرا لما تمثله فى نظر أتباعها من الحرية فى فهم النصوص الدينية .

ويعقب المؤلف على الثراء الواضح على المؤسسات التابعة لمجلس الكنائس الأندونيسى مشيرا الى التمويل الخارجى الذى لابد من وجوده فيقول : « ان الفرق العددى بين المسلمين والنصارى الأندونيسيين كبير جدا ، وكان المسلمون والنصارى حتى لحظة استقلال أندونيسيا متساوين فى حالة الفقر والغنى ، فلم يكن بين النصارى قبل ذلك مليونير معروف حتى يمكن تعليل ثراء هذه الطائفة الذى مكنها من انجاز المنشآت الضخمة الكثيرة فى ذلك الوقت الوجيز ، والتى اذا وزعت تكاليفها على أفرادها كلهم لغرم كل واحد منهم عشرات الألوف بل ربما مئات الألوف من الدولارات » (٢١) .

ومن بيان تاريخ الطوائف المسيحية فى أندونيسيا ينتقل المؤلف الى الحديث عن مؤتمر ممثلى الأديان فى أندونيسيا الذى عقد فى نوفمبر ١٩٦٧ وفى مقدمة هذا الحديث يورد تمهيدا أوضح فيه أن عام ١٩٦٧ شهد قمة التوتر فى علاقات المسلمين بالمسيحيين فى أندونيسيا ، وذلك بسبب : تفاقم المحاولات التى يقوم بها المسيحيون لتنصير المسلمين ، ثم ردود الفعل التى تصل أحيانا حد العنف من قبل المسلمين ضد التبشير ومؤسساته فى بعض المناطق المعنية ، وكان من أثر ذلك أن دعت الحكومة ممثلى الأديان فى البلاد الى اقامة حوار مفتوح للتشاور وتبادل الآراء فى أسباب تدهور العلاقات بينهم للتوصل الى أحسن الحلول لتسويتها . لكن المؤتمر لم يصل الى شىء ، وأخفق فى الوصول الى الغرض الذى عقد من أجله بسبب اصرار النصارى على رفض مقترحات الجانب الاسلامى فى المؤتمر . (٢٥) .

أما المؤتمر ومادار فيه فقد طلب رئيس الجمهورية من ممثلى الأديان أن يقوم بينهم مبدأ الاحترام المتبادل وأن لا تكون هناك أية محاولة من أية جهة كانت لفرض دين من الأديان على الناس ، كما طلب أن لا يكون الهدف من أعمال الدعوة والتبشير مجرد الاكثار من الأتباع فقط ، وبخاصة اذا كانت هذه الأعمال

والأساليب المستخدمة فيها تتسبب فى احساس أتباع الأديان الأخرى أنها موجهة اليها مكرسة ضدها .

ويقدم المؤلف بعد ذلك مقتطفات من كلمات الأعضاء ، ويورد نصا كاملا لكلمة عضو سرد فيها كثيرا من الأمثلة للمحاولات المستميتة التى يقومبها المبشرون لتحويل المسلمين عن دينهم ، تحت ظروف الفقر والعوز التى يوجد فيها الكثير منهم ، كذلك يقدم أمثلة أخرى عن شراء الأراضى التى تتميز بموقع حسن بغية اقامة المؤسسات التبشيرية عليها خاصة تلك المواقع التى تلاصق المساجد ، أو التى تتصدر الميادين العامة ، وفى كلمة هذا العضو الى جانب ذلك حديث عن التسامح فى الاسلام ، فى تعامله مع أهل الكتاب ، مقارنا ذلك بالتسامح الذى ينادى به أهل الكتاب المسلمين ، والذى يعنى أن يسكت المسلمون وأن يلتزموا الصمت ازاء ما يرونه من أعمال التبشير ضد اخوانهم المسلمين .

أما عن نتائج هذا المؤتمر فان المؤلف يذكر أن النقاش عندما وصل الى الفقرة الخاصة بعدم التعرض بأعمال التبشير للفئات التى اختارت لنفسها دينا من الأديان ، والاقتصار على ترقية مستوى العقيدة والوعى الدينى لدى أبناء الطائفة التى ينتمى اليها المبشر نفسه ، ثم دعوة الجماعات البدائية ــ عندما وصل النقاش الى ذلك رفض ممثلو الطوائف الأخرى من غير المسلمين الموافقة على ذلك ، وأصروا على مواصلة منهجهم فى التبشير مدعين أنهم موجهون فى ذلك بأمر الهى لابد من تنفيذه والبذل والفداء من أجله (٥٩) .

وتحت عنوان « آخر أوضاع التبشير فى أندونيسيا » يلقى المؤلف الضوء على الأوضاع التبشيرية فى الفترة التى أعقبت مؤتمر ممثلى الأديان ١٩٦٧ ، وفى هذا المجال يذكر المؤلف أن التبشير اتسع نطاقه ، فبعد أن كان محصورا فى الماضى فى المجالات التقليدية مثل انشاء المدارس والكنائس والمستشفيات وملاجىء الأيتام فانه أصبح اليوم متغلغلا فى مختلف ميادين الحياة العامة فى أندونيسيا بفضل الوسائل الحديثة التى تجاوزت المؤسسات التقليدية .

أما المسلمون المغلوبون على أمرهم فهم مضطرون الى الوقوف وقفة المتفرج وأفئدتهم تتفطر أسى وحزنا وذلك تحت شعار التسامح الدينى الذى يفسر به هذا الموقف لدى البعض .

ويقدم المؤلف أمثلة من الوسائل الحديثة التى تجاوزت المؤسسات التقليدية فيذكر من بينها الأفلام والمسجلات ووسائل الطباعة ، واستخدام بواخر بأكملها ترتاد السواحل والجزر النائية عن مراكز التجمعات الاسلامية، وكذلك استخدام طائرات الهليكوبتر فى الوصول الى المناطق البرية النائية .

كذلك يذكر المؤلف أن التبشير استخدم أسلوبا جديدا مؤداه الاسهام فى أعمال التنمية ومشاريعها فى الاقطار النامية ، مثل اقامة القرى الزراعية وعقد الدورات التدريبية المهنية لمختلف التخصصات الفنية ، وتقديم القروض المباشرة الى الفلاحين عن طريق مؤسسات وحدات الاقراض ومشروعات التهجير الداخلى للسكان

وغير ذلك ، وكان من بين هذه الأقطار التى وقع عليها الاختيار أندونيسيا فى آسيا والحبشة والكاميرون فى افريقيا .

أما موقف أندونيسيا من هذه المعونات التى يقدمها مجلس الكنائس العالمى والفاتيكان فيوضحه المؤلف بقوله فى شىء من المرارة .

« أندونيسيا بلد فرض عليه التخلف فرضا ، وهو يحاول قطع مسافة التخلف واللحاق بركب التقدم والرقى ، وكل ذلك فى حاجة الى رءوس أموال ضخمة ، فأنى لها أن ترفض اسهام رءوس الأموال المقدمه من مجلس الكنائس أو الفاتيكان مثلا أو تحول دون توظيفها عن طريق الحكومة أو طريق مؤسسات التبشير ، مادامت تعمل فى قطاع الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية وغيرها ، ولا تبالى الحكومة العلمانية التى تعتبر كل الأديان فى نظرها متساوية ، ما اذا كان وراء ذلك ما وراءه » !!

ويعقب المؤلف بالاشارة الى المغزى الحقيقى من وراء كل ذلك بقوله متسائلا ومستنكرا :

« انه من السخافة ومنتهى الغباء أن يظن أحد أن هذه الهيئات التبشيرية والارساليات الأجنبية بأموالها الضخمة التى تكاد لا تحصى، وفيالق خبرائها المتخصصين فى مختلف المؤهلات الدينية والعلمية قد جاءوا الى أندونيسيا لمجرد المساعدة على رفع مستوى الحياة ونشر العلوم والمعارف للشعب الأندونيسى » .. وواقع التطبيقات يثبت خلاف هذا الظن » .

أما المسلمون ازاء هذا الزحف التبشيرى المدعوم بكل وسائل الاغراء ، فانهم يقفون بدون أية وقاية أو حماية أو غطاء أو تحصين ، أوضاعهم الاقتصادية متردية جدا ، ومنظماتهم السياسية رفع منها اسم الاسلام ، ولم يبق لديهم الا المنظمات الخيرية الاسلامية ، وهذه المنظمات مع ما قامت به من عمل خيرى فى مختلف المجالات الا أنها لا تملك المال الكافى ولا تتلقى أية معونات من الخارج . (٨٤ — ٩١) .

— ٣ —

أما الجانب الثانى الذى يتعرض فيه المؤلف لتفاصيل العمل الاسلامى فى مواجهة هذه الأخطار التبشيرية ، فان المؤلف يقدم تحت عنوان « المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الاسلامية » تاريخ دخول الاسلام الى أندونيسيا مشيرا الى أن ذلك تم منذ عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان على رأى بعض المؤرخين ، ثم يعرض لتاريخ الاستعمار الصليبى الذى كان البرتغال أول طلائعه ، ومن بعده الاستعمار الهولندى ، ذاكرا أوجه النضال المسلح ضد المستعمرين الذين مكثوا فى البلاد قرابة ثلاثمائة وخمسين عاما ، لم يهدا المسلمون خلالها من ثورة الا ليقوموا بثورة أخرى .. وحين تحررت البلاد أصبح على القادة أن يبدأوا العمل من الأساس ، وهو ترسيخ جذور الايمان فى أعماق النفوس ،

وتوطيد أسس العقيدة فى البناء الجماهيرى ، ومن ثم كان بدء تكوين هذه الهيئة التى سموها «المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الاسلامية» ثم يلى ذلك عرض المواد المنظمة لهذه الهيئة (١٠٥ — ١١٦) .

وتحت عنوان « تحديات أمام العمل الاسلامى » يقدم المؤلف أمثلة من التحديات التىوا جهت هذا المجلس بعد انشائه ، ومنها تلك المصالحة التى حاول بعض الحكام أن يقيمها بين الاسلام والشيوعية ، ومنها أعمال المبشرين ونشاطهم بين المسلمين ، ومنها عودة النشاط البوذى الى البلاد بحيث أصبح معترفا بالبوذية مع بقية الأديان التى تمثل العقائد المختلفة للشعب (١١٧ — ١٢٠) .

وتحت عنوان « أهداف ومخططات » يذكر المؤلف موقف المجلس الأعلى من هذه التحديات حيث شرع يعمل ، وهو لا يملك أكثر من الايمان بأنه مدعو للاضطلاع بالمسئولية الضخمة ،وأنه مجند للقيام بواجب الانقاذ .

ومن أمثلة ما قام به المجلس فى سبيل ذلك قيامه بعملية حصر الدعاة والوعاظ والمبلغين ، وحصر الميادين التى سيعملون فيها ، وتبين لهم أن هؤلاء الدعاة ينقصهم الاعداد الفنى وتنقصهم المادة ، وينقصهم التنسيق ، كما تبين لهم أن ميدان العمل فسيح الأرجاء ، فهناك الالحاد والشيوعية ، وهناك طلائع الجيل الصاعد الذى عاش ردحا من الزمن فى ظل قيم ومفاهيم وتقاليد ليس بينها وبين مجتمعه أى سبب أو رابطة وهناك جماهير الشعب التى أجبرت زمنا على تجرع التعاليم والمبادىء الالحادية هذا فضلا عن الوجود التبشيرى الواسع النطاق .

وكان أن عمل المجلس على اقامة حلقات التدريب الدورية لجماعات الدعاة والمبلغين ، وأعدت منهم طائفة خاصة لمواجهة المبشرين ، مع العناية بالمساجد الأهلية ، وتنظيم الدروس الدينية التى تلقى فيها ، وخاصة دروس الفجر ، هذا الى جانب القيام بالخدمات الاجتماعية ، وقوافل التوعية الدينية المتنقلة التى تصل الى أعماق الريف مع الخدمات الصحية ، وبذلك تكفى القروى مئونة الذهاب الى المدن ، والارتماء فى أحضان المؤسسات التبشيرية .

وقد تعددت مجالات الدعوة خارج المساجد فشملت أوساط الموظفين والطلاب والمعتقلين الشيوعيين .

ثم يقدم المؤلف سردا للرعاية الصحية التى قام بها المجلس ، وكذا ما يقوم به فى مجال الخدمات التربوية والتعليمية ، ومن أبرزها تلك المنح الدراسية التى أتاحها لكثير من المسلمين للدراسة فى الجامعات الاسلامية فى بعض جامعات العالم الاسلامى (١٣٦ — ١٤٨) .

وتحت عنوان « مستقبل الاسلام والعمل الاسلامى فى أندونيسيا » يذكر المؤلف أن موقع أندونيسيا الجغرافى يضعها بين قارتى آسيا واستراليا ووسط أقطار تحيط بها احاطة السوار بالمعصم ، مثل الفلبين التى يتم فيها اعداد المبشرين ، ثم الصين الشعبية معقل الشيوعية والبوذية ، ثم أقطار الهند الصينية

غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا

وسيام وهى أقطار عريقة فى البوذية ، ثم **استراليا فى الجنوب .**

وينتهى المؤلف من توضيح هذا الموقع الجغرافى الى نتيجة هى أن هذا يجعل من أندونيسيا اما مركز اشعاع اسلامى ينجح فى أن يغمر بالنور الالهى الوهاج جاراتها تلك ، واما أن يجعلها هدفا ومرمى يسدد اليه من كل حدب وصوب رماة مهرة فى تسديد الأهداف .. ومن هنا تكمن طبيعة المواجهة التى بكابدها العمل الاسلامى فى أندونيسيا ، والتى يقوم بتحمل أعبائها المجلس الأعلى للدعوة الاسلامية .

ثم ينهى المؤلف كتابه بأمل مرتقب وبغاية مرموقة يستوحيها من قول الله تعالى « **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** » .

ـ ٤ ـ

وبعد .. فتلك صورة من صور التبشير التى تعمل عملها فى البلاد الاسلامية التى قدر لها أن تعيش تحت ظروف اجتماعية واقتصادية قاسية ، وهى صورة لا يخطىء فيها الهدف والغاية ، ولا يلتبس فيها الباعث والنتيجة ، هى صورة فيها بيان وتذكرة ، وفيها بلاغ لكل من يعنيه أمر دينه ، بأنه مستهدف من قريب أو من بعيد ، وأن الحروب المتنوعة التى تسلط عليه لن تقف عند حد لا تتعداه ، بل هى على استعداد لأن تصل اليه فى عقر داره فى تبجح وطغيان ، كما حدث فى أندونيسيا ، والأمر لا يتطلب أكثر من يقظة تدرك جيدا ما حولها ، وتفرق بين ما هو حق وماهو باطل ، تفرق بين السم المدسوس فى العسل ، وبين العسل الصراح .

ولن يكون ذلك الا من خلال وعى بالدين مكين ، وارتباط بالعقيدة لا يلين ، من خلال استشعار المسلم بعزته النابعة من تمسكه باسلامه ، وليس من خلال نسبة مدعاة لا تلبث الا أن تتهاوى أمام الرياح والأعاصير القادمة .

أما أولئك الذين يسعون جاهدين لمحاربة هذا الدين فانهم ينطحون الصخر وسوف يغرقون يوما حين تعشى أبصارهم أنوار الاسلام وصدق الله العظيم « يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » .

د. طه مصطفى أبو كريشة

نفحات من السنة المباركة

خالد

■ أولياء الله

■ الإسلام وقضايا الفكر المعاصر

■ مع بعض المفاهيم

■ رعاية اليتيم

■ رئيس جامعة الأزهر يتحدث لمجلة الأزهر

■ سفراء النبى عليه الصلاة والسلام وكتابه ورسائله

■ محاضرة الأستاذ الدكتور « رجاء جارودى »

أولياء الله

لفضيلة الدكتور محمد محمود شعبان

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان الله تعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب • وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه • ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وان سألنى أعطيته ولئن استعاذ بى لأعيذنه » •• الحديث • رواه البخارى •

* **الولى** : من الولاية بفتح الواو ضد العداوة •

وهو اما بمعنى : فاعل : وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان •

واما من فعيل بمعنى : مفعول : وهو من يتولى الله تعالى أمره فلا يكله الى نفسه بل يتولى الحق تبارك وتعالى رعايته قال تعالى : **وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** : وقال تعالى : **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** :

والولى لغة : المحب • والصديق • والنصير•

وشرعا • بينهم الله تعالى بقوله : **أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ** « يونس •

وعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله تعالى قال :

الذين اذا رؤوا ذكر الله » رواه البزار عن ابن عباس باسناد حسن .

* وقال فيهم أيضا : هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا قوله تعالى : « أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .. الآية (١) .

وعند علماء التوحيد : الولى هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصى حسب الامكان المعرض عن الانهماك فى الملذات والشهوات المباحة .

وقال ابن حجر : الولى العالم بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعة المخلص فى عبادته .

ويرى البعض أن الولى : هو من أقبل على الله تعالى بكليته فلا يغفل عنه طرفة عين .

والولاية ثابتة بنص القرآن والسنة قال تعالى .. أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ : يونس .

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى وأبو داود . عن أبى هريرة .

وقال : اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا : البقرة .

وقال : هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ : الكهف .

وقد ذكر الله تعالى : الولى والأولياء والولاية فى القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة سواء كانت الولاية للمؤمنين أم كانت الولاية بين الكافرين بعضهم مع بعض كما قال تعالى : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ : البقرة .

وقال : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ » المائدة .

وبناء على هذا فالولاية يجب الايمان بها وكذلك يجب الايمان بالولى ومن أنكر ذلك فقد كفر لأنه أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة قال شارح الطحاوية : الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين كما قال تعالى : أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ » .

الولى : هو المواظب على الطاعة ولأن الله تعالى تولى أمره فلم يكله الى نفسه ولا الى غيره لحظة .

ثم قال : ومن شرط الولى أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما : وكل من كان عليه اعتراض فهو مغرور مخادع لذلك قال القشيرى رحمه الله تعالى : والمراد بكون الولى محفوظا أن يحفظه الله تعالى من

تماديه فى الزلل والخطأ ان وقع فيهما بأن يلهمه التوبة فيتوب منها والا فهما لا يقدحان فى ولايته .

وعلى هذا فالولى يجوز أن يقع منه الذنب سهوا أو خطأ لكنه لا يصر عليه بل يستغفر ويتوب فى الحال :

ولا يصدر من الولى بأنه بلغ حالة تسقط عنه التكاليف الشرعية مطلقا لذلك قال النووى : من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربن منه .

وقال أبو يزيد البسطامى : لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة .

وقال الجنيد رحمه لله تعالى : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة :

لذلك ما يدعيه بعض الملاحدة والزنادقة من أن الانسان يصل الى درجة فى التصوف والزهد يسقط بها عنه الأمر والنهى من التكاليف الشرعية انما هو ضلال مبين .

وأيضا ما يدعيه بعض الفلاسفة من أن الولى ربما كان أفضل من نبى زمانه لأن الولى يصل الى الله بعمله واجتهاده بخلاف النبى فوصوله الى الله منحة من الله تعالى وليس بكسبه : فهذا من تزيين الشيطان .

قال صاحب الطحاوية : كثير من الجهال المتصوفة والاتحادية يظن أنه يصل برياسته واجتهاده فى العبادة وتصفية نفسه الى ما وصلت اليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم . أو يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء فهذا من تسويل الشيطان .

وقال صاحب العقائد النسفية : ولا يبلغ ولى درجة الأنبياء أصلا ولا يصل العبد الى حيث يسقط عنه الأمر والنهى . والنصوص تحمل على ظاهرها والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن الحاد : وبذلك تسقط دعوى بعض المتصوفة فى زماننا هذا بأن لهم حالة مع الله تسقط عنهم الصلاة والصوم والزكاة والحج وفرائض الاسلام ثم يستبيحون لأنفسهم أكل أموال الناس بالباطل ويأمرون الناس بارتكاب المحرمات فى الموالد والمواسم وحلقات الذكر . انما هو من تسويل الشيطان لهم لهذا يجب محاربتهم وابطال بدعهم لأنها ليست من الاسلام فى شىء بل أعمالهم تسىء الى الاسلام والمسلمين أكثر من أعدائه الظاهرين .

والأولياء درجات . فمن كانت عنده ذرة من الايمان والتقوى فعنده ذرة من الولاية . ومن كان كامل الايمان فهو كامل الولاية .

قال تعالى : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » الانعام .

وقال تعالى : « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » المجادلة .

وقال النسفى : العبيد أربعة : قن . ومأذون . ومكاتب . وآبق فمثال الأول : ولى العزلة : الذى حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثانى : ولى العشيرة فهو نجى الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطى لله . فالدنيا سوق تجارته والعقل رأس بضاعته . والعدل فى الرضا والغضب ميزانه . والقصد فى الغنى والفقر عنوانه والعلم مفزعه ومنحاه . والقرآن كتاب الأذن من مولاه كائن فى الناس بظواهره وبائن عنهم بسرائره . يأكل ممايأكلون ويشرب ممايشربون وما يدريهم أنه ضيف الله .

والنبى صلى الله عليه وسلم جمع بين الحسنيين فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين فباطن أحواله مهتدى ولى العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولى العشرة .

وأما الثالث : فهو المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه فى اليوم والليلة خمس وفى كل مائتى درهم خمسة وفى السنة شهر وفى العمر زورة . فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى فى فكاك رقبته خوفا من البقاء فى ربقة العبودية وطمعا فى فتح باب الحرية ليسرح فى رياض الجنة .

والرابع : الآبق . فمنهم السلطان الجائر والعالم غير العامل والواعظ المرائى . فضلا عن الزانى والسارق والقاتل والظالم وآكل الربا والنمام والمغتاب وشارب الخمر . هؤلاء الذين أخبر عنهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : ان الله تعالى لينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم فى الآخرة : رواه الطبرانى فى الكبير عن عمر بن النعمان بسند حسن . فاذا أحب العبد ربه ورسوله وجد حلاوة الايمان وذاق طعم الاحسان وصار موضع الرضا من الرحمن وكان الله تعالى أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الأسماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى وان سأله أعطاه وان استعاذ به أعاذه قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره : رواه البخارى وابو داود .

ان لله تعالى عبادا لم يبلغوا ما بلغوا اليه بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله تعالى بعلمه واستخلصهم لنفسه . من علاماتهم أنهم لا يسبون شيئا ولا يلعنونه

من نفحات السنة المباركة ـ أولياء الله

ولا يؤذون من يخونهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم • هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا لا يدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم انما قلوبهم تصعد فى السقوف العليا ارتياحا الى الله تعالى فى استباق الخيرات • أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون :

وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه لرجل أتحب أن تكون لله تعالى وليا قال : نعم • قال : لا ترغب فى شىء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله وأقبل عليه بوجهك ليقبل عليك ويواليك •

هؤلاء القوم هم الذين نصروا الله فلذلك ينصرهم الله تعالى فى كل أمورهم ويؤيدهم بالكرامات •

والكرامة هى الأمر الخارق للعادة الذى يظهر على يد عبد مستور الحال دون اظهار التحدى بها • وهى غير المعجزة لأن المعجزة لا تكون الا لنبى ويتحدى بها •

والكرامة جائزة عقلا ونقلا وواقعه فعلافقد جاء فى القرآن الكريم والسنة والآثار مما يدل على وقوعها فعلا ما أخبر الله تعالى به عن مريم رضوان الله عليها بقوله : « كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » •

وكذلك قصة ذى القرنين وأصحاب الكهف• وجليس سليمان رضى الله عنه مع سليمان عليه الصلاة والسلام بنقله عرش ملكة سبأ قبل أن يرتد اليه طرفه وما ورد فى الحديث من حديث جريج الراهب الذى كلمه الطفل فى المهد حين قال له ياغلام من أبوك ؟ قال فلان الراعى •

وكذلك حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة وما ورد فى الصحيحين فى أبى بكر رضى الله عنه مع ضيفه الذى قال فيه وأيم الله ما أكلنا لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك •

وما صح عن عمر رضى الله عنه وهو على المنبر يقول : ياسارية الجبل الجبل فبلغ صوته الى سارية فى ذلك الوقت فانقض على الأعداء وهزمهم •

وما ورد فى البخارى من حديث أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما قال فيه : خرجنا من عند النبى صلى الله عليه وسلم

فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى اتى أهله .

* وماحكاه النووى فى البستان رحمه الله تعالى عن أبى مسلم الخولانى رضى الله عنه قال :

كان أى أبو مسلم قد رحل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه فتوفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق : ولما ادعى الاسود العنسى النبوة باليمن بعث الى أبى مسلم الخولانى فلما جاءه قال أتشهد أنى رسول الله فقال : ما أسمع : قال : أتشهد أن محمدا رسول الله قال : نعم فردد ذلك مرارا عليه فأمر بنار عظيمة فأججت وألقى فيها أبا مسلم فلم تضره فقيل له انفه عنك والا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى أبو مسلم المدينة وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه فأناخ أبو مسلم رلحلته بباب المسجد وقام يصلى فبصر به عمر رضى الله عنه فقام اليه وقال ممن الرجل ؟

قال من أهل اليمن قال ما فعل الذى حرقه الكذاب بالنار قال ذلك عبد الله بن ثوب قال : نشدتك الله أنت هو قال : نعم . فاعتنقه ثم بكى ثم ذهب به الى أبى بكر رضى الله عنه وأجلسه بينهما وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله .

وقد كثرت الكرامات فى عصر التابعين وتابع التابعين الى وقتنا هذا وقد سئل الامام أحمد رحمه الله تعالى عن قلة الكرامة أيام الصحابة وكثرتها فيمن بعدهم فقال : أولئك أى الصحابة كان ايمانهم قويا فما احتاجوا الى زيادة شىء يقوون به . وغيرهم كان ايمانهم ضعيفا فقووا باظهار الكرامات .

ولقد أنكر بعض المسلمين والزنادقة وكثير من المعتزلة . الكرامة محتجين بأنها لو ظهرت لالتبست بالمعجزة فيلتبس النبى بالولى .

ولو فطنوا لظهر لهم بأن ظهور الكرامة لا يؤدى الى التباسها بالمعجزة لأن المعجزة مقرونة بدعوى النبوة دون الكرامة .

ويجوز أن يعلم الولى أنه ولى لله تعالى لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر كثيرا من أصحابه بأنهم من أهل الجنة ومع ذلك لم يركنوا الى الدنيا ولم يتركوا الخوف من الله تعالى ولم يأمنوا مكره سبحانه والكرامة للأولياء واقعة فى حال حياتهم وبعد موتهم لأن الروح بعد الموت تكون قد تخلصت من شوائب المادة الجسمانية وأصبحت تمرح فى رحاب الجنة وان كان لها تعلق بالجسد وقد قال تعالى فى شأن الشهداء « وَلَا تَحْسَبَنَّ

من نفحات السنة المباركة ـ أولياء الله

الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ • فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » •

وقد ثبت فى الصحاح أن صحابيا ضرب خباءه فى الصحراء فسمع صوتا من تحته يقرأ سورة تبارك الذى بيده الملك • فتبين أنه قبر فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثون آية من كتاب الله تشفع لصاحبها « تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » رواه الاربعة والحاكم •

والأولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ولا هم يحزنون على ما وراءهم فى الدنيا ولهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البشرى لهم فى الدنيا فقال : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له : وأما فى الآخرة فهى الجنة وقيل بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كقوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ » فصلت •

وقال تعالى : لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ » الانبياء •

فاللهم اجعلنا من أوليائك وأحبابك وانصرنا على أعدائك واحشرنا فى زمرة سيد الانبياء والأولياء ولا تحرمنا من النظر الى وجهك الكريم • اللهم آمين •

كتبه

د• محمد محمود شعبان

المدير العام للتعليم الثانوى الأزهرى

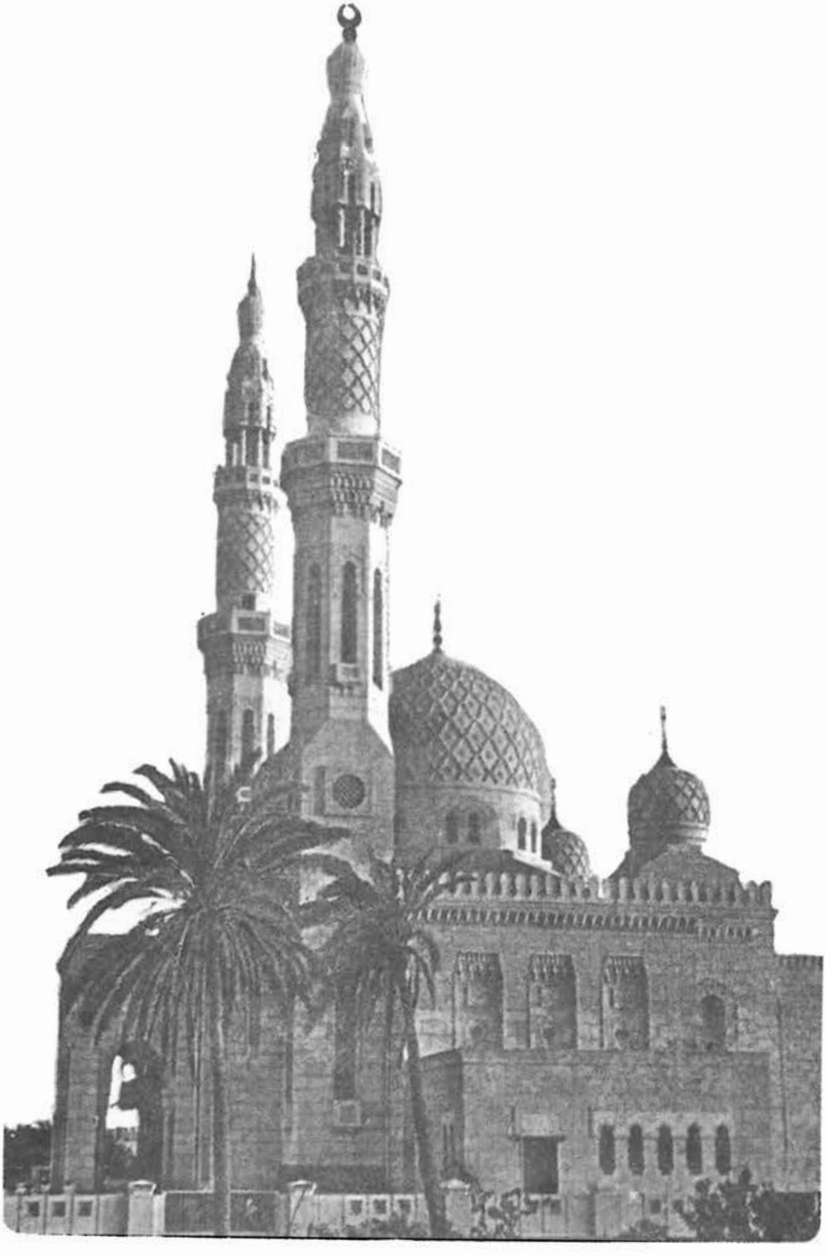

رعاية اليتيم

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ·

« كافل اليتيم له أو لغيره ، أنا وهو كهاتين فى الجنة » ·

وأشار مالك بالسبابة والوسطى (١) ·

أولا :

اللغة : كافل اليتم كفل اليتيم اذا عاله وأنفق عليه وقام بأمره ·

ثانيا : ما يشتمل عليه الحديث ·

١ ــ معنى اليتيم ·

٢ ــ اليتيم أحق الناس بالشفقة والعناية·

٣ ــ واجب الأقارب والأولياء حسن رعايتهم لليتيم ·

٤ ــ اهمال اليتيم جناية على المجتمع ·

٥ ــ البشرى لكافل اليتيم أنه مع الرسول (صلى الله عليه وسلم فى الجنة) ·

٦ ــ احاديث تحث على الرحمة باليتيم ·

(١) رواه مسلم عن ابى هريرة ، ورواه مالك عن صفوان ·

البيان

١ ــ معنى اليتيم : اليتيم من بنى الانسان، من مات أبوه ، ولم يبلغ ، فقد فقد الذى كان يرعاه بنفسه ، وماله ، ويحبه من أعماق قلبه ، ويؤثر مصلحته على مصلحته ·

ومما يؤلم النفس ، ويحزن القلب ، ويذرف الدمع رؤية صبية صغار ساعة موت أبيهم ، يخلفهم الميت وراءه ·

* وكل آماله وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة أن يقوم مقامه وصبى تقى مرشد يرعاهم كرعايته ، ويقوم بمصالحهم ويسوسهم كسياسته يخفف عنهم آلام اليتم ببره ولطفه ، ويجعل منهم مستقبلا رجالا فى الحياة ، يَمْلَئُونَ العيون ، ويشرحون الصدور ، ينفعون أهلهم ووطنهم ·

٢ ــ اليتيم أحق الناس بالشفقة :

ان اليتيم الذى شاء الله له أن يحرم عاطفة الأبوة لظروف وحكمة قدرها الله ، ينبغى

للشيخ محمد صابر البرديسى

رعايته والعطف عليه ، وهو أولى الناس بالشفقة والرحمة ، فحرمان الطفل من عاطفة الأبوة لا يعوض ، لهذا كان فى حاجة الى من يأخذ بيده ، ويوجهه ، ويعنى بشئونه .

ليس فى استطاعة انسان أن يمحو من اليتيم ما ألم به .

فلا أقل من أن نضع أمام عينه بريق أمل ، وبسمة رجاء ، عله يجد منها تعزيه وسلوى ، أنها لمسة انسانية ، ورقة ايمانية ، يخفف بها المسلم عن الطفل اليتيم .

فلتكن أيها المسلم له كالأب الرحيم ، وقدر لنفسك أن تموت ويبقى لك ولد يتيم فكما تزرع تحصد .

(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ ، وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا) (١)

ولقد شكا رجل الى النبى (صلى الله عليه وسلم) قساوة قلبه .

فقال : أتحب أن يرق قلبك ، وتدرك حاجتك ؟ قال : نعم ، قال : « ارحم اليتيم ، وامسح رأسه ، وأطعمه من طعامك ، يلن قلبك ، وتدرك حاجتك (٢) » .

وقال (صلى الله عليه وسلم) « من قبض يتيما من بين المسلمين الى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ، الا أن يعمل ذنبا لا يغفر » (٣) .

لقد تفضل الله علينا ورزقنا من الطيبات ، وجعلنا آمنين مطمئنين وأغنى أولادنا عن الحاجة ، فالواجب علينا ازاء هذه النعم العظام أن نشكره ليحفظ علينا نعمه ويزيدها من فضله قال تعالى (**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**) (٤).

وشكر الله يكون بالعمل الصالح ، والاحسان الى عباد الله ، ومن ذلك العطف على اليتيم والاحسان اليه ، فالراحمون يرحمهم الرحمن.

ان الشفقة والرأفة على اليتيم أثر من آثار رحمة الله يجعلها الله فى قلوب بعض عباده ، فمن كان رحيما باليتيم فله البشرى والهناء بهذا الخلق الكريم ، وله السعادة فى الآخرة حيث يرحمه الله يوم الحسرة والندامة ، فالراحمون يرحمهم الرحمن ، وهل جزاء الاحسان الا

---

(١) سورة النساء اية ٩ .

(٢) أخرجه الطبرانى عن أبى الدرداء (رضى الله عنه) .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(٤) سورة ابراهيم ـ ٧ .

الاحسان ، ويكون فى صحبة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة .

٣ ـ واجب الأقارب والأولياء نحو اليتامى.

من رحمة الله باليتامى أنه لم يترك أمرهم بلا رعاية ، بل كان من رحمته بهؤلاء الضعفاء أن أوصى بهم خيرا فأوجب على أقاربهم وأوليائهم حسن رعايتهم ، بل أوجب ذلك على المجتمع عامة ، فهم أمانة ، ورعايتهم واجبة، وتربيتهم والعطف عليهمواجب شرعا ، ومطلوب دينا ، والمحافظة عليهم ، وتوجيههم الى الخير يحتمه الدين وقد وعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالجزاء الأوفى لمن يسهم فى معاونة اليتيم وكفالته وحفظ ماله .

روى البخارى عن سهل بن سعد (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين اذا لتقى » وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما) (١) .

فاذا راعى كافل اليتيم الأمانة فيما اسندت اليه ولايته واتقى الله فى كل تصرف يتعلق باليتيممن جهةتنشئته تنشئة حسنة ،والحرص على ماله ، وعدم التبذير فيه كان جديرا بمنزلة كريمة ، وخليقا بدرجة رفيعة ، وكان رفيق رسول الله فى الجنة .

ان اليتيم بحاجة الى الرعاية ، والتربية والسقى والتعهد ، انه فى حاجة الى تعليمه وتأديبه ، واصلاح عيوبه وما يبدو من اعوجاج فيه انه كالعجينه الرخوة يصورها المربى كيف يشاء .

أما الذين يَجْفُون اليتيم ، وينفرون منه ويعاملونه بالقسوة ان كان فقيرا ويتخذون كفالته موردا لاقتناص الأموال واختلاسها ، والتربص لها ، وأكلها ظلما ان كان غنيا فان هؤلاء سيبعثون يوم القيامة وأفواههم تتأجج نارا ولقد عنى القرآن الكريم بأمر اليتيم مستقصيا أحواله ، مبينا أحكامه فأمر بالاحسان اليه فقال تعالى (**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**) .

وقد استثار عطف النبى ورعايته ورعاية المسلمين لليتامى فقال : (**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى**).

وقد نهاه عن قهر اليتيم فقال : (**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**) .

وجعل العنف عليه والشدة فى غير محلها ، والغلظة فى غير موضعها ومن غير رعاية لتعليمه وتربيته ، جعل ذلك أمارة على التكذيب بالدين ، قال تعالى(**أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ، فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ**) .

وأمر باصلاحه فى كافة أحواله فى نفسه وفى خلقه ، فى تربيته وتعليمه وفى ماله ، قال تعالى : **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ**

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى .

خَيْرٌ » وحذر من قرب ماله الا بالمعروف ، قال تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » وأمر باعطاء اليتامى أموالهم عند بلوغ رشدهم وحذر من أكلها فقال: (فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا) وأمر بالعدل والقسط فى يتامى النساء اللائى يرغب الاوصياء أو أبناؤهم فى التزوج منهن طمعا فى أموالهن ، أو تخففا من المهر الذى يدفع لأمثالهن ، قال تعالى (وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا)
وهكذا استقصى القرآن أحوال اليتامى منذ نعومة أظفارهم الى أن يبلغوا سن الرشد والزواج .

وليست هذه الوصايا والتحذيرات بأمور ترجع الى فرد بصفته وانما هى للأفراد بصفاتهم المختلفة فالمجتمع كافة .

اهمال اليتيم جناية على المجتمع :

ان الذين لا يحسنون للى اليتامى ولايقومون بحق الكفالة نحوهم من حسن التربية والرعاية لهم ومعاملتهم كمعاملة أبنائهم من الحرص على تعليمهم وتثقيفهم والمحافظة على صحتهم وتقويم أخلاقهم انهم ظالمون مسئولون أمام الله :

ان اهمال اليتيم يخلق منه عضوا فاشلا وانسانا فاسدا يضر نفسه وأهله ومجتمعه .

ان كثيرا من اليتامى أصبحوا مشردين ، وانحرفوا عن الطريق المستقيم بسبب قسوة قلوب الأوصياء الذين لا تعرف الرحمة قلوبهم، ويسبب اهمالهم وتركهم دون تربية سليمة ولا توجيه صحيح ، فسلكوا بهم طريق الغى ، وبعدوا بهم عن الجادة ، فكانوا من المفسدين .

وما فعلوه باليتيم عمل اجرامى بعيد عن الرحمة « ولا تنزع الرحمة الا من شقى » .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره ، وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله وكنت أنا وهو فى الجنة أخوين كما أن هاتين اختان ، والصق اصبعيه « السبابة والوسطى » (١) .

فلنقم نحن المسلمين بواجباتنا نحو اليتيم ولنعمل على اصلاحه وحسن تربيته ولنحث الناس على هذا الخلق القويم فانها دعوة الانسانية ودعوة الدين ، والله الهادى الى سواء السبيل .

محمد صابر البرديسى

---

(١) رواه ابن ماجه .

سفراء النبى صلى الله عليه وسلم

وكُتَّابه ورسائله

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبى الكريم، وبعد :

فقد نزعت النفس منذ زمن إلى التعلق بشخصية الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ثم أخذت أتتبع عن قرب ذلك النور المحمدى المتألق الفياض الذى أنار الله به ظلمات هذا الكون بتلك الرسالة الخالدة ، وبذلك القرآن العظيم الذى أوحى به الله الى عبده ورسوله الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان من أهم ما استرعى انتباهى تلك الرسائل الملهمة التى وجهها رسولنا العظيم الى الملوك والعظماء ، يدعوهم فيها الى الدخول فى الاسلام :

وهى الرسائل التى حملها رسل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولئك السفراء الكرام الذين بلغوا رسائل النبى فى اخلاص وأمانة ودراية وحكمة واقناع وكانت هذه الرسائل النبوية الشريفة طليعة الدعوة الاسلامية الباهرة التى سرعان ما ملأت أرجاء الدنيا ، وكتبت للاسلام النصر المؤزر والفتح المبين ولقد رأيت أن أكتب للشباب هذه الرسالة عن كتب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكتابه وديوانه حتى يقفوا ولو بصورة سريعة مختصرة على قبس من ذلك النور المحمدى الباهر الذى أنعم الله به على هذا الوجود • ويالفرط سعادتنا نحن الذين ننعم ونمرح فى هذا النور المحمدى الشريف •

فاليك ياسيدى يارسول الله أقدم فى تواضع وخشيه وخشوع هذه الصفحات ، يشفع لى فيها

للأستاذ الدكتور مختار الوكيل

الصدق والاخلاص ، آملا أن تظفر منك ياسيدى بالرضا والقبول •

وأنال بها من الله العفو والمغفرة •

أهمية الكتاب والسفراء في مضمار الدعوة الاسلامية

من الموضوعات الهامة فى جهاد النبى محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فى ميدان الدعوة الاسلامية المباركة — موضوع كتابه ورسائله وسفرائه ، وهو موضوع يكشف لنا عن جانب من جوانب هذه الشخصية العظيمة الجليلة التى بهرت العالم برسالتها الخالدة الباقية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها •

ولقد سجل عظماء الغرب وأقطابه ومفكروه الفطاحل اعترافات صريحة صادقة بعظمة الرسول الأعظم وعظمة رسالته الباقية على مر الدهور ، ومن هؤلاء : روسو وكارليل وبرناردشو وجيته ونابليون •

ولقد أثر عن نابليون قوله : « آمل أن أجمع وأوحد كل العقلاء والمثقفين من مختلف بلاد الأرض وأقيم نظاما موحدا على أسس القرآن ومبادئه ، فهى وحدها المبادىء الحقة التى يمكن أن تقود البشر الى السعادة » !

وقال برناردشو عن دين الاسلام الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام : « سيكون هذا الدين مقبولا غدا ، كما بدأ الناس اليوم يقبلونه فى أوربا » •

وقال عنه جيته الشاعر الالمانى الكبير : « اذا كان هذا هو الاسلام أفلسنا جميعا نتفيأ ظلاله » ؟ •

سفراء فوق العادة !

وكتابة الوسائل وايفاد الرسل أمر معروف منذ أقدم العصور لدى مختلف الدول والشعوب، ولقد عرف اليونان والرومان هذا الضرب من الاتصالات الدولية ، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة ، وعرفه من قبل قدماء المصريين • ثم أخذ يتطور ويتأهل تدريجا فى العصور المتأخرة حتى أصبح من أهم ضروب الاتصالات الدبلوماسية المعروفة فى العصور

سفراء النبى عليه الصلاة والسلام وَكُتَّابه ورسائله

الحديثة : فالملوك والرؤساء يوفدون الشخصيات الممتازة فى مهام معينة حاملين رسائل موجهة الى ملوك الدول المختلفة ورؤسائها ، تنطوى على آراء أو مطالب معينة ، ولهؤلاء الرسل أو من يدعونهم اليوم (السفراء فوق العادة) — وهم غير السفراء الذين يمثلون بلادهم عادة فى تلك البلاد — حصانات « دبلوماسية » ، فلا يستطيع أحد أن ينالهم بسوء ، مهما كان مضمون الرسائل التى يحملونها •

ويختار هؤلاء السفراء فوق العادة من بين الاشخاص الذى يتميزون بالعلم الواسع والذكاء الخارق والسمعة الطيبة والمظهر اللائق والرونق الشائق والمنطق اللطيف والبديهة الحاضرة ، حتى يكون لكلامهم أجمل وقع ، ويبلغوا رسالاتهم على أحسن وجه •

والنبى العظيم — صلوات الله وسلامه عليه — قد أقبل على هذه الدنيا برسالته الخالدة التى غيرت وجه التاريخ ، وستظل تحمل نور القرآن الكريم أبد الآبدين •

ولقد ميز الله نبيه العظيم بميزة كريمة فبعثه أميا ، وهو الذى اصطفاه سبحانه لتلقى القرآن • ولتبليغه للناس أجمعين •

ومع ذلك فقد عرف العرب منزلة الكتابة حتى فى الجاهلية : وان قلت حاجتهم اليها فى معاشهم ، ولذلك كان عدد الذين أتقنوا الكتابة فى الجاهلية قليلا •

وروى الواقدى أن الذين كانوا يعرفون الكتابة فى المدينة أحد عشر شخصا ، ومهما يكن من شىء فقد كانت الأمية هى الغالبة على أهل الجزيرة العربية •

الكتـــاب

وكان هذا النبى الامى العظيم يتلقى آيات القرآن الكريم من جبريل عليه السلام ، ثم يرددها على أصحابه وأتباعه وأنصاره • وكان كتاب الوحى يسجلون ما يسمعون من النبى الكريم من آيات القرآن العظيم •

وكان كتاب الوحى كثيرين ، ولكن أهمهم — كما جاء فى كتاب (أنباء الانبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الملوك والامراء) هم عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب — رضى الله عنهما — فان غابا كتب أبى بن كعب ، وزيد بن ثابت — رضى الله عنهما •

وذكرت مصادر كثيرة منها كتاب (الاستيعاب) أن أبى بن كعب وزيد بن ثابت كانا ألزم الصحابة لكتابة الوحى •

هذا عن كتاب الوحى •

أما رسائله الشريفة فقد أوصل ابن عساكر فى (تاريخ دمشق) كتابها الى ثلاثة وعشرين كاتبا ، وترجم لهم فى نهجه الحافل فأوصلهم الى خمسة وعشرين ، ومنهم :

أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب، وعثمان

ابن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وعامر ابن فهيرة ، وعبد الله بن الأرقم وأبى بن كعب ، وثابت بن قيس بن شماس ، وخالد بن سعيد ابن العاص وأخوه حيان ، وحنظلة بن أبى عامر الأسدى ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وعبد الله ابن عبد الله بن أبى بن سلول ، والزبير ابن العوام ، والمغيرة بن شعبة ، وخالد ابن الوليد ، وعمرو بن العاص وعبد الله ابن رواحة ، وعبد الله بن سعيد بن أبى السرح ، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص ، والعلاء بن الحضرمى ، وحويطب بن عبد العزى العامرى .

ولقد أوصل العراقى المؤرخ كتابه عليه الصلاة والسلام الى اثنين وأربعين كاتبا ، بل لقد ارتفع بهم الحلبى فى حواشى الشفا الى ثلاثة وأربعين كاتبا . ولكن ما يشهد به كثير من المؤرخين هو أنهم لم يكونوا كلهم كتاب وحى ، وكان أكثرهم مداومة على كتابة الوحى هو زيد ابن ثابت كما قدمنا ، بل انه كان يواظب على تحرير الرسائل الأخرى والاجوبة عن تلك الرسائل التى تصل النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

ديوان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ

وهكذا نشأ (الديوان) ، **وهو الموضع الذى يجلس فيه كتاب الرسائل** ، فلقد بدأ النبى ــ عليه الصلاة والسلام يكاتب الامراء وكان أمراء سراياه من الصحابة يتابعونه .

ولما رجع ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الحديبية كتب الى الروم ، فقيل : انهم لا يقرءون كتابا الا أن يكون مختوما ، فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر : (محمد) سطر و (رسول) سطر و (الله) سطر ، وختم به الكتاب .

كذلك كان النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ أول من أملى كتب العهود والمواثيق ، ومنها عهده ــ عليه الصلاة والسلام ــ لنصارى (أيلة) القدس (١) ،وكان بخط على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقد كان متخصصا فى كتابة المعاهدات .

وبدأ ديوان الكتاب فى عهد النبى ينتظم ويتولى الرد على الرسائل الموجهة للنبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ بلغات أجنبية : ومن ذلك ما روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه من أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : انه تأتينى كتب ولا أحب أن يقرأها أحد ، فهل تستطيع أن تتعلم العبرانية أو قال السريانية . فقلت : نعم ، يا رسول الله ، فتعلمتها فى سبع عشرة ليلة !

المترجمون

وجاء فى (العمدة) للتلمسانى أن زيد بن ثابت الأنصارى كان ترجمان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية فضلا عن السريانية والعبرية . وأنه تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن .

وجاء فى (العقد الفريد) لابن عبد ربه : أن زيدا تعلم الفارسية من رسول كسرى ، والرومية من حاجب النبى ــ صلى الله عليه

سفراء النبى عليه الصلاة والسلام وَكُتَّابه ورسائله

وسلم ــ ، والحبشية من خادم النبى والقبطية من خادمته ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

ميزات كتاب النبى

وكتاب رسائل النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ نماذج حية فى الامانة والاستقامة والتقوى ، فكانوا موضع ثقته الكاملة : ومن ذلك ما رواه محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير من أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ استكتب عبد الله بن الأرقم ، فكان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب الى بعض الملوك فيكتب ، ويأمره بأن يطبعه ويختمه ولا يقرؤه لأمانته عنده .

ومما يروى أيضا فى معرض أمانة الكتاب واخلاصهم المطلق للرسول الكريم ما ذكره البغوى من أن مالكا روى عن زيد بن أسلم عن بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : كتب الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كتابا ، فقال لعبد الله بن الأرقم الزهرى : أجب هؤلاء عنى ، فأجابهم ، ثم جاء بما كتب يعرضه عليه ــ عليه الصلاة والسلام ــ فقال : أصبت فيما كتبت . قال عمر : فمازالت فى نفسى حتى جعلته على بيت المال !

وقصارانا هنا أن نشير فى ايجاز الى أن كتاب النبى الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانوا يكتبون فى مجالات شتى :

فمنهم ــ كما قدمنا ــ كتاب الوحى القدسى ، ومنهم كتاب الرسائل الى أمرائه وسراياه وبعوثه . ومنهم كتابه اذا عاهد أو صالح .

ومنهم كتاب حوائجه ومداييناته ، ومعاملاته .

ومنهم من كان يكتب أموال الصدقات وخرص النخل.

وهكذا كان ديوانه ــ عليه الصلاة والسلام ــ أول ديوان حافل فى الدولة الاسلامية ، وتقصى ذلك والافاضة فيه يحتاج الى أبحاث طوال .

أسلوب الرسائل النبوية

ولقد اشتهرت رسائله ــ عليه الصلاة والسلام التى بعث بها الى الملوك والأمراء يدعوهم فيها الى الاسلام وتمتاز هذه الرسائل النبوية الكريمة بأسلوبه الجامع المانع الموجز المحكم المضىء المبين عليه الصلاة والسلام .

ولقد فصل القلقشندى الحديث عن رسائله ــ عليه الصلاة والسلام ــ فقال : انه كان يفتتح كتبه بعبارة (من محمد رسول الله) الى فلان، وربما افتتحها بلفظ (هذا كتاب) ، وقد يفتتحها بقوله : (أسلم أنت) .

وكان ــ عليه الصلاة والسلام يصرح باسم المرسل اليه فى أول رسالته ، وربما اكتفى بلقبه الذى اشتهر به (كالقيصر) مثلا ، فان كان المرسل اليه ملكا كتب بعد ذكر اسمه (عظيم القوم) ، وربما كتب (صاحب مملكة كذا)، وكان

يعبر عن نفسه — صلى الله عليه وسلم — فى ثنايا رسائله بلفظ المفـــــرد مثل (انى ، ولى ، وجاءنى ووفد على •• وما أشبه ذلك) • وربما جاء بصيغة الجمع مثل (بلغنا وجاءنا ونحـــــو ذلك) وكان يخاطب المرسل اليه بكاف الخطاب مثل لك وعليك وتاء المخاطب مثل أنت قلت كذا وكذا وجعلت كذا ، وعند التثنية يقول : انهمـــا ولكما وعليكما ، وعند الجمع بلفظه مثل : أنتم ولكم وعليكم وما أشبه ذلك •

وكان يبدأ رسائله بالسلام : فيقول فى خطاب المسلم :

سلام عليك ، وربما قال : السلام على من اتبع الهدى ، وربما أسقط السلام فى صـــــدر الخطاب •

وكان يأتى فى صدر الرسالة ، بالتحميد بعد السلام فيقول انى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، وقد يأتى بعد التحميد بالتشهد •

وكان يخلص بعد ذلك الى المقصود تارة بـــ (فأما بعد) وتارة بغيرها •

وكان يختم كتابه — عليه الصلاة والسلام — تارة فيقول فى خطاب المسلم : والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وربما اقتصر عـــــلى السلام • ويقول فى خطاب الكافر : والسلام على من اتبع الهدى • وربما أسقط السلام فى آخـــر كتبه •

وكتبه — عليه الصلاة والســــلام — الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام قد افتتحها على ثلاثة أساليب :

أولها : أنه — عليه الصلاة والسلام — يبدأها بعبارة (من محمد رسول الله الى فلان) •

وثانيها : بأما بعد •

وثالثها : أن يفتتح الرسالة بلفظ (هـــــذا كتاب) •

وكان من عادة كتاب رسائله الشريفة أن يذكروا أسماءهم آخرهــــا لعلهم يرجون أن يكونوا شاهدين على صدورها منه عليه الصلاة والسلام •

وروى الشعبى أن رسول الله — صلى اللـــه عليه وسلم — كان يكتب كما تكتب قـــــريش (باسمك اللهم) ثم نزلت عليه الآية الشريفـــة

(ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَـاهَا) **فكتب — عليه الصلاة والسلام — (باسم الله) حتى نزلت عليه آية : (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ) فكتب (باسم الله الرحمن) حتى نزلت عليه آية (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّـــــهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم •**

« يتبـــع »

د/مختار الوكيل

الإسلام
وقضايا الفكر المعاصر

كان اسلام روجيه جارودى المفكر الفرنسى الكبير أعلانا عالميا بعظمة الفكر فى الاسلام ، وبجلال المبادىء الاسلامية المثلى التى تحمل روح التقدم للانسانية جمعاء .

ومن قبل أسلم كثير من المفكرين فى أوربا ، منهم من استطاع ، اعلان اسلامه ، متحديا كل الظروف من حوله ، ومنهم من كتم اسلامه فى نفسه لأن روح التعصب السائدة فى المجتمع الاوربى حوله ضد الاسلام لم تسمح له بأن يعلن ايمانه بخاتم الاديان ، وآخر الرسلات .

ومن قبل أسلم المستشرق المجرى الكبير « عبد الكريم جرمانوس » ، وأشاد بعظمة الفكر الاسلامى ، وعظمة الحضارة الاسلامية ، بل أسلم الآلاف من العلماء والباحثين والمفكرين وسواهم ، وايمانا منهم بالدين الخاتم ، وبالعقيدة المحمدية الطاهرة .

ان الاسلام مع امتداده العظيم لم يحمل روح التعصب أو العداء لأحد أو لجنس أو لحضارة .. يحمل — نظريا وتطبيقيا الى الناس كافة روح الاخاء والحرية والمساواة ، روح الاعتزاز بالانسان وكرامته ، لأن هذا الانسان هو فى الاسلام خليفة الله فى الأرض وحامل ميراث النبوات والرسالات ،والمؤمن بكل قيم الحق والعدل والخير والفضيلة والشرف فى الحياة .

لقد قامت فى ظلال الاسلام حضارة رفيعة ، لم تعرف الانسانية فى تاريخها الطويل حضارة مثلها ، تقوم على المادة والروح ، وعلى الايمان والعمل ، وعلى الفكر والتطبيق ، وعلى الايمان

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

بالمسئولية والامانة ، وبحقوق الانسان ، وبالأمل والرجاء ، وبالحرص على سعادة كل الناس ، وبأن يحب الانسان لغيره ما يحبه لنفسه .

الفكر فى الاسلام يصاحب التفكير فى سعادة الانسانية وتقدم الحياة ، وجلب الرخاء والرفاهية والامان لكل الناس .

يقول « وولز » : الدين الحق الذى يساير المدنية هو الاسلام .

ولقد صاح « بترارك » الشاعر الايطالى المعروف (١٣٣٤ — ١٣٧٤ م) مبهورا بفكر الاسلام وحضارته قائلا : ياعجبا ، لقد استطاع «شيشرون» أن يكون خطيبا بعد «ديموستين»، واستطاع فرجيل أن يكون شاعرا بعد « هوميروس » ؟

فهل قدر علينا ألا نؤلف بعد العرب ؟

لقد تساوينا نحن والاغريق وجميع الشعوب غاليا ، وسبقناها أحيانا ، الا العرب ، فيالعبقرية ايطاليا النائمة الخامدة .

ويعترف مسيو « لبيرى » بأن نهضة أوربا هى ثمرة الحضارة الاسلامية وتقدم الفكر العربى ، فيقول : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا عدة قرون » .

ويقول «غوستاف لوبون» فى كتابه « حضارة العرب » : — مبهورا بعظمة الحضارة الاسلامية وبالفكر الاسلامى الحضارى العظيم : « الحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوربا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وعند ما كانوا لا يرهبوننا بأسلحتهم كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية الساحقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالامس .

***

وأتباع محمد هم المسلمون ، والعجب أن يتصور هذا المفكر أن المسلمين كانوا أعداء لاوربا ، وهم الذين أيقظوا الغرب من سباته حتى سار الى العصر الحديث ، وفى مراكز الحضارة الاسلامية فى الاندلس تعلم شباب أوربا ، والعرب لم يرهبوا الغرب ، انما كانوا داعين إلى حضارته وتقدمه ليشارك فى بناء الحياة الانسانية .

والعجب أن أوربا هى التى وقفت فى الماضى تحمل روح العداء للاسلام ، فالامبراطوية الرومانية الشرقية وعاصمتها « بيزنطة » هى التى وقفت — بعد معركة اليرموك — على طول الاجيال — فى وجه الاسلام — تشن عليه الحروب ، وتدبر له المؤامرات ، وتؤلب عليه القوى المختلفة ، فهى المحركة للحروب الصليبية ، وهى المحركة لجيوش التتار لغزو العالم الاسلامى وتدمير حضارته ، وحسبنا دليلا على ذلك ما يرويه التاريخ من أن «هيتون» ملك أرمينية كان العامل الرئيسى فى اقناع المغولى « مان جوخان » (٦٤٦ — ٦٥٥ هـ / ١٢٤٨ — ١٢٥٧ م) بارسال تلك الحملة التى دمرت بغداد ، عام ٦٥٦ هـ /١٢٥٨ م بقيادة « هولاكو » ، ولقد زوج هولاكو ابنه من ابنة امبراطور القسطنطينية •

ولقد كانت القوى العالمية ، قبيل ظهور الاسلام ، ممثلة فى ثلاث قوى : الامبراطورية الفارسية ، والامبراطورية البيزنطية ، والقوة الثالثة ، هى قوة الاتراك التى كان الشعب الخزرى هو القوة الفعالة فيها •

وبعد ظهور الاسلام تركزت القوى الدولية فى قوى ثلاث أيضا : الامبراطورية الاسلامية والامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)، والامبراطورية الخزرية ، وقد اصطدمت الجيوش الاسلاميه بالامبراطوريتين : البيزنطية ، والخزرية ، على حدود الخلافة الاسلامية ، مرارا ، وكانت الدولة الخزرية هى التى حمت الامبراطورية البيزنطية طويلا ، ووقفت — فى جانبها — ضد القوة الاسلامية ، واعترفت بيزنطة بفضل الخزر عليهم ، فتزوج ولى عهد الامبراطور البيزنطى أميرة خزرية ، قدر لابنها أن يحكم بيزنطة باسم «ليو الخزرى» وفى عام ١٢٢ هـ/٧٤٠ م اعتنق الخزر اليهودية خوفا من القوة الاسلامية فى الشرق ، ومن سيطرة القوى الغربية المسيحية فى الغرب ، وذلك قبل التقرب الكبير بين بيزنطة والخزر •

— ٢ —

ان الفكر الاسلامى بطبيعته فكرى مثالى ، وحضارى وانسانى وتقدمى ، حقا •

ولقد نهضت الحضارة الاسلامية ، بعد ظهور الاسلام بقليل على جناح من مبادىء الاسلام العظيمة ، وجناح آخر من فكر العلماء المسلمين، الذين أثلوا صروح الحضارة العربية الاسلامية فى مختلف المجالات : من طب وهندسة ورياضة وكيمياء ، وعلوم الدين واللغة ومختلف العلوم الانسانية •• ويقول مستشرق ألمانى هو صاحب كتاب « الاسلام قوة الغد العالمية » فى ختام كتابه نقلا عن مفكر انجليزى : لا يساورنى أدنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا ، وتحمل فى جوانحها عقيدة مثل الاسلام ، لا ينتظرها مستقبل باهر

فحسب ، بل ستكون أيضا خطرا على أعدائه»٠
وأقول لهما معا :
ان الاسلام ليس له أعـــداء ، الا الذين ينصبون أنفسهم أعداء له بحكم التعصب والرغبة فى السيادة على الشعوب الاسلامية ، والاسلام ليس خطرا على أحد ، بل هو سلام ورحمة وخير للانسانية كافة ٠
ان الاسلام يكره العنف والبطش والطغيان والاستبداد ، ويؤمن بالاخاء والسلام والحرية ، ويدعو الى الحب والتعاون ٠
والاسلام لا يقبل الدعوات الضــالة والمنحرفة ، من اباحية وعلمانية ومادية جدلية ووجودية وماركسية وغيرها ، والذين يرفعون عقيدتهم مرددين قولهم : « دع ماالله لله وما لقيصر لقيصر » من دعاة العلمـانية ، الذين يبعدون الدين عن طريق المجتمعات الانسانية لاشك مخطئون ، فالانسانية لا تحيـا الا اذا استرشدت بتعاليم السماء ، وبعدها عن المنهج الاسلامى القرآنى هو الذى جر عليها الويلات والنكبات والحروب على امتداد الاعوام ٠
والمسلم بطبعه لا يمكن أن يكون ملحدا أو علمانيا أو ماركسيا ، أو أى لون آخر من ألوان الانحراف الفكرى والسياسى والاجتماعى ٠
الاسلام يحرص على تطبيق العلم والعمل فى نظرياته التربوية والفكرية ، والمجتمـع الاسلامى هو الذى ينفذ المنهج الاســلامى والقرآن فى كل جوانبه ، ويطبقه فى كل مجالات حياته ، ويعمل على اثراء الحياة وتجديدهـا بروح مبدعة تجعل منه نواة صالحة لخلافــة الله فى الأرض ٠

ومن ثم كان تطبيق المنهج الاسلامى جناحا من أجنحة الايمان بالعقيدة ، هذه العقيـدة السامية الصالحة لكل زمن ومكان ، المتجددة على امتداد الايام والاجيال ، التى تحمـل بذور الصفاء والنماء والرخاء والاخاء لكل الناس فى كل أنحاء الأرض ٠
والتقدم هو هدف الشريعة الاسلامية فى كل مجالات الحياة وجوانبها : السياسـية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية والفكرية والعلمية ، فالاسلام هو دين النهضة والمدنية ولقد قام التقدم العلمى فى ظلال الاسـلام ليبنى حضارة مثلى ليس لها نظير فى العالم حتى اليوم ٠

— ٣ —

والاسلام دائما دين العلم ، وفى ظلاله حدثت نهضة علمية رفيعة شهدتها فـاس والقيروان وقرطبة وأشبيليه ، كما شهدتها الفسـطاط والقاهرة ودمشق وبغداد ، وغيرها من حواضر العالم الاسلامى الكبير ٠٠ ونحن ننادى اليوم الشعوب الاسلامية بأن تتسلح بسـلاح العلم فى كل مجال لتستطيع أن تأخذ مكانهـا الرفيع بين مختلف الدول العالمية القـوية ، فبالعلم تستطيع أن تعيش عصر الرخـاء والحضارة والقوة والسيادة ٠
والاسلام دائمادين المثاليات الرفيعة فالعالم فى نظره وحدة واحدة ، بكل أجناسه وألوانه وأممه وشعوبه ٠٠ وكان أكثر دول العالم فى عصور القوة والازدهار يعيش فى ظلال الاسلام دولة واحدة ، وفكرا واحدا وحضارة واحدة ، مما أكسب المسلمين العزة والمنعة والسـيادة

والرخاء والأمن والسلام ، وفى حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان بلال الحبشى نائبا عن الرسول الاعظم — صلى الله عليه وسلم — فى حكم المدينة ، وأسند الى مهران الفارسى ولاية اليمن ، ولما مات مهران ولى ابنه مكانه ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول فى سلمان الفارسى : سلمان منا أهل البيت ، وتزوج رسول الله من صفية بنت حيى بن أخطب ملك خيبر غير المتوج ، ولما رأتها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، سألها رسول الله : ماذا رأيت ؟ فقالت : رأيت يهودية بين يهوديات ، فقال — صلوات الله وسلامه عليه — لها : لا تقولى هذا فقد أسلمت .. وقال — صلوات الله عليه — : لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى والعمل الصالح .

وكان ذلك كله عنصرا من عناصر الفكر الاسلامى الرفيع المتقدم ، يقول فلبى : « انه عند مفترق عصرين : عصر تعطلت فيه العلوم والفنون ، فغشى الدنيا كلها ظلام وجهل وعصر تألق فيه نجم المعرفة بعد كسوف طويل ، سوف ندرك مدى النهضة الفكرية الشاملة ، عاشها المسلمون ، وكانت بشيرا بحضارة انسانية ، رفيعة ، تمثلت فى تنقيب العلماء عن كنوز الماضى الدفينة ، حتى أصبحت علوم الاغريق المنسية فى متناول العالم ، بعد أن نقلها علماء المسلمين ، حيث نقلوا كتب الفلاسفة وعلماء الفلك والطب والنبات من الاغريقية الى العربية .

ويقول نيتشه الفيلسوف الالمانى الكبير :

« لقد حرمتنا البابوية من ميراث العبقرية القديمة ، ثم حرمتنا بعد ذلك من الاسلام ، لقد ديست بالاقدام تلك المدينة العظيمة مدينة الاندلس الخالدة ، ولماذا ؟ لانها نشأت من أصول رفيعة ، ومن غرائز شريفة : ان تلك المدينة الاسلامية لم تنكر الحياة ، بل فتحت لها صدرها ، ولهذا قاتل الصليبيون تلك المدينة بعد ذلك ، وكان أولى بهم أن يسجدوا لها على التراب ويعبدوها ، وما مدنيتنا فى هذا القرن التاسع عشر ، الا فقيرة وانية بجانب مدنية الاسلام فى ذلك الوقت » .

— ٤ —

وماذا أقول ؟ ان الذى أقوله الآن هو أن الفكر المعاصر قاسى كثيرا من ألوان الحجر على الحريات ومن التعصبات المختلفة ، ومن مادية الحضارة والحياة ، ومن شيوع فلسفة الجنس والانحلال ، وان الفكر المعاصر يعانى الكثير اليوم من الازمات الحادة التى تعمل عملها فى انهيار الحضارة الراهنة.. وان الحل الاوحد ، والمنقذ الاكبر للانسانية اليوم وللفكر المعاصر فى هذا الوقت بالذات ، هو الاسلام نفسه الذى وجد فيه « روجيه جارودى » كل حل لازمة

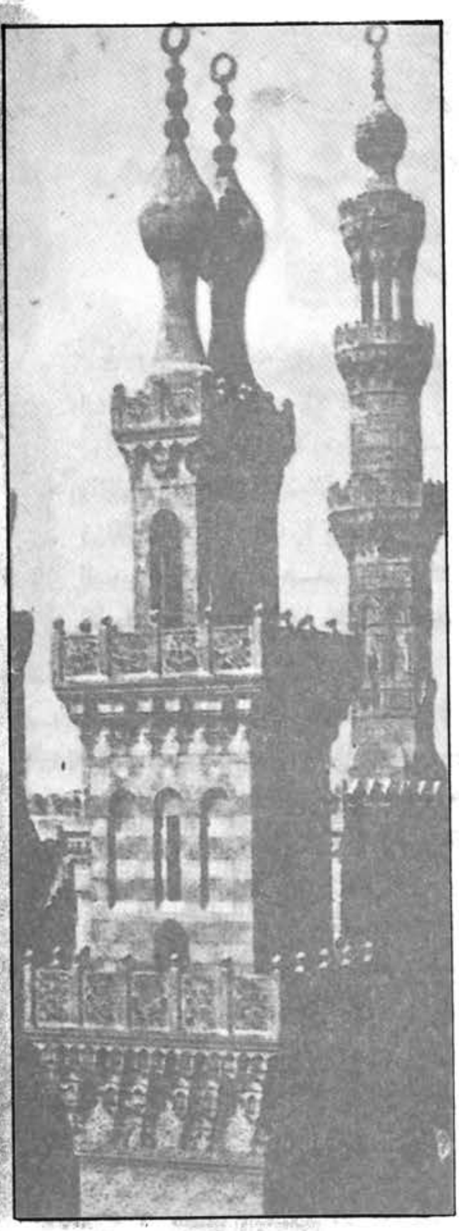

الانسان المعاصر ولازمة الفكر المعاصر أيضا .

يقول برناردشو : « ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة ، وهو صالح لكل العصور » ، ويقـول عن رسول الاسلام ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه يجب أن يسمى منقذ الانسانية .

ويقول الفيلسوف المسلم محمد اقبال : مثلت حضارة الغرب دورها ، وقد شاخت وهرمت ، أينعت كالفاكهة وحان قطافها ، وسوف ينهـار العالم الذى حوله مغامرو الغرب الى حـانة للفساد ، ولقد رأت أوربا بعينها النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والاخلاقية والعلمية ، ولسوف تتمخض الانسانية عن عالم جديد ، وهـذا العالم لا يحسن تصميمه الا من بنى للبشرية البيت الحرام ، وورث محمدا وابراهيم قيادة العالم .

واذا كانت مراكز الاستعمار العـالمى تحذر كل الحذر من انبعاث المد الاسلامى، والفكر الاسلامى ، خوفا على نفوذهـا وسيادتها والثراء الذى تحيط نفسها به ، وتراقب العملاق المسلم كل المراقبـة ، وتعرقل سيره ومسيرة حياته بكل ماتستطيع فلقد يأتى اليوم الذى يقوى هذا العملاق الراقد على السير والتقدم والاعلان عن مسيرة جديدة للحياة البشرية وللحضارة الانسانية ،ويومئذ سيكون الانسان فى كل مكان هو سيد الحياة وحامل مسئوليتها أمام التاريخ .

محمد عبد المنعم خفاجى

مع محاضرة الأستاذ الدكتور رجاء جارودى

١ ــ فى المحاضرة القيمة التى القاها الاستاذ الدكتور / رجاء جارودى فى يوم الاثنين ٢١ مــن مارس ١٩٨٣ بالمركز القومى للدراسات القضائية ــ قدم السيد المستشار سمير ناجى مدير المركز ــ السيد المحاضر بقوله عنه : هو عندى تجسيد حى لفريضة فرضها الاســلام علينا حين ارتضيناه دينا : هى الفكر .

ــ ومن هذا المنطلق ــ نود أن نناقش ما قاله السيد المحاضر ــ فى خصوصية موضوع بحثنا الماثل عــن الجــريمة والعقــاب فى الشريعة الاسلامية .

يقول السيد المحاضر : ما من مرة ألقى فيهــا محاضرة عن قضايا الاسلام الا ويقف أحــد الحاضرين ويطالبنى بالحديث عن قطع يــد السارق .

ويستطرد فيقول : وقــد اعتدت أن اجيب هكذا : أعتقد أن من الحمق أن نهاجم قطــع يد السارق فى حين أنه فى بلدان كثيرة كفرنسا ــ وحتى ستة شهور خلت ــ كانت تقطع رقبــه بعض المجرمين ــ كما أننا يجب أن نلاحظ فى أى ظروف تاريخية أمرنا القرآن بقطع يــد الســارق ــ كان ذلك فى ظل مجتمع مزقتــه حوادث الثأر الجمــاعى وأيضــا العقوبــة الجماعية ــ فى ظــروف كتلك بكــون قطــع يد السارق بمثابة الاتجاه نحو تفريد العقوبة ــ **ما هو تفسيرى الذى أعرضــه على المعارضين** الغربيين ــ ومن هذا المنطلق تكون هذه العقوبة التى تتسم بالتفريــد ــ خطوة تقــدمية اذا قارناها بديانة تتحدث عن خطيئة بنى آدم كما هو الحال فى المسيحية ــ .

للمستشار السيد عبد العزيز هندى

عضو مجمع البحوث الاسلامية

٢ ــ وقد عقب فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ــ شيخ الازهر على كلمة السيد المحاضر فور انتهائه من محاضرته بقوله :

« ولنأت الى تفريد العقاب وشخصية العقوبة .. عمر أيضا وجد أن هناك ضرورة ــ وقاعدة الضرورة من قواعد التشريع ..

العقوبات فى الاسلام شخصية ــ هذا حق ــ لكنها قد تكون جماعية ذلك أنه بدلا من أن تقيد القضية ضد مجهول لعدم وجود دليل ــ هنا الاسلام وجد علاجا ــ الشريعة الاسلامية فى هذا ــ فى باب يسمى القسامة والقسامة تعنى أننا اذا وجدنا قتيلا فى مكان لم يستدل على القاتل فان دم القتيل لا يذهب هباء ــ لأنه لايطل دم فى الاسلام ــ بل يدفع أهل عاقلته ديته .

ــ واستطرد فضيلة الامام الاكبر قائلا : أن ماسمعه من ترجمة لأقوال الأخ « رجاء » فى شأن عقوبة قطع يد السارق وأنها تعتبر اهانة للفرد لاصقة به ــ هذا القول مردود بأن العقوبة لا تعتبر اهانة للمعاقب ــ باعتبار أن الغاية منها ــ هى حماية المجتمع فى نفسه وأمواله ــ ولاضرر فى التحذير ممن يرتكب الأخطاء الجسيمة فى حق المجتمع ــ بل أن النظام المعاصر قد وضع **صحائف السوابق للتحذير من الخطائين والمجرمين** .

ومن ثم فلا يكون قطع يد السارق اهانة له أو اهدارا لآدميته ــ وانما هو تحذير لغيره من أن يقدم على أمر يعاقب عليه بهذا العقاب .

٣ ــ واذا كان لى أن أضيف ــ من ناحية التشريع العقابى ــ شيئا ــ عن عقوبة قطع اليد فى حد السرقة ــ مع جزيل الشكر وعظيم التقدير للمجمع ــ فأقول :

(أ) من الثابت أن المجتمعات الانسانية يسودها فى الوقت الحاضر موجة طاغية من الاجرام تتخذ أشكالا وصورا تثير الفزع فى النفوس ــ ويقف علم الاجرام من هذه الظاهرة يحلل أسبابها ــ بينما يحاول علم العقاب أن يجعل من العقوبات أو التدابير الاحترازية ــ وسائل لتقويم المجرم واصلاحه حتى يترك الجريمة ويتآلف مع المجتمع ــ ذلك

فى الوقت الذى يراعى المشرع الجنائى أن يكون العقاب رادعا للمجرم نفسه — وهو ما يعرف « بالردع الخاص » — وأن يكون زاجرا مخيفا لغيره من ارتكاب الجريمة وهو مايقال له « الردع العام » . ومهما تعددت النظريات والاساليب فى الشأن — فان هناك حقيقة تظل راسخة — هى أن العقاب يجب أن يكون بالقدر الذى يزيد فى ايلام الجانى عن الشعور بالمنفعة الذى عاد عليه من الجريمة — حتى يوازن الشخص بين مايمكن أن يحصل عليه من فائدة اذا باشر السلوك الاجرامى — وبين ما يتعرض له من عقاب — فيجد أن مصلحته دائما أن يبتعد عن طريق الجريمة — ويكون على يقين جازم بأن « الجريمة لاتفيد » — الامر الذى يتعين معه اعادة النظر فى دعائم السياسية العقابية الحالية من أساسها — ولن يصلح حال هذه الانسانية آخر الامر الا بما صلح به أوله — وهو العلاج الربانى الذى نرره من خلق هذه النفس وسواها فألهمها جورها وتقواها .

ومن عجب ان نتقبل رأى الطبيب — وهو بشر قد يخطىء ويصيب — ونسارع الى تنفيذ رأيه اذا رأى وجوب بتر عضو من الاعضاء لانقاذ باقى الجسم من خطر داهم — ثم نجادل بغير علم فى حكم العليم الحكيم — الذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير — مع ان التجربة الواقعية والاستقراء العملى يقطعان بأنه حتى فى البلد الواحد وفى نفس البيئة السكانية — بصرف النظر عن الغنى والفقر — حين طبقت السعودية حد السرقة — اختفت تماما ظاهرة النهب والسلب — حتى لحجاج بيت الله الحرام — التى كانت تسود هذه البلاد قبل تطبيق حدود الله .

هذا — على حين أن مجتمعا موغلا فى الرفاهية والترف وتدليل المجرمين — كالمجتمع الامريكى بخاصة والغربى بعامة — تتزايد فيه جرائم السرقة والاغتصاب بمعدلات رهيبة تغرى بالمحاكاة — وتنذر بأوخم العواقب على المجتمع نفسه — **وليست الرحمة التى يطلبها الاسلام هى الشفقة أو الرأفة بالجانى فحسب — انما هى الرحمة بالكافة — وهى توجب تشديد العقوبة — وهى الرحمة بالمجتمع — وهو المجنى عليه فى حقيقة الأمر** — وحقه أولى بالرعاية — ومن ثم كانت الحدود — فى أساسها — حقا خالصا لله تعالى حماية للعباد وانقاذا للبلاد وليست موقوتة بعصر معين ولا بيئة معينة — وانما هى صالحة لكل زمان ومكان وما من شك فى أن الدواء الناجع هو الذى ينتصر على المرض لا الذى ينتصر عليه المرض — وأن العقاب الناجع هو الذى ينتصر على الجريمة لا الذى تنتصر عليه الجريمة .

ثم ان المشرعين الوضعيين لم يستغلظوا عقوبة الاعدام بالنسبة الى بعض الجرائم التى قدروا

أنها خطيرة – من ذلك فى مصر مثلا – القرار القانونى رقم ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ فى شأن مكافحة المخدرات وتنظيم استعمالها والاتجار فيها – هذا القانون الذى قرر عقوبة الاعدام – جزاء لمن صدر أو جلب جواهر مخدرته – ولمن أنتجها أو استخرجها أو صنعها بقصد الاتجار وليس من شك فى أن هذه العقوبة أشد من عقوبة القطع فى السرقة الحديثة – فالعبرة اذن هى بالعقوبة المناسبة الفعالة فى مقاومة الجريمة وتحقيق الامن والاستقرار للمجتمع – واليدان للانسان – كما جاء فى كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين – جـ ٢ ص ١١٤ وما بعدها – كالجناحان للطائر فى اعانته على الطيران – فعوقب السارق بالقطع – قصا لجناحه – وتسهيلا لأخذه اذا عاود السرقة – وعقوبة السارق بالقطع – أبلغ وأردع من عقوبته بالجلد – ولم تبلغ جنايته حد العقوبة بالقتل (كما تفعل بعض الدول الشيوعية حاليا) فكان أليق العقوبات به – ابانة العضو الذى جعله وسيلة الى أذى الناس فأخذ أموالهم –

(ب) أما بالنسبة للضرورة التى تدرأ الحد فقد رأى عمر – رضى الله عنه – أن المجاعة تكون شبهه مانعة من اقامة الحد وان كانت لاتسقطه – اذ أن الحد فى نظره – لم يستوف شروط اقامته – لأن السارقين وقتئذ – كانوا فى حال اضطرار وقرائن الاضطرار كانت قائمة – فالسرقة كانت فى مجاعة – وقد ذبحوا الناقة وأكلوها – وكانوا عبيدا لرجل عرف بأنه يبيع غلمانه فكانت حالة الاضطرار قائمة – والضرورات تبيح المحظورات – فضلا عن أن كلا منهم قد أخذ مادون النصاب الذى يستوجب الحد .

وقد حسب بعض الناس أن عمر أسقط الحد بعد أن توافرت أسباب اقامته – وحاشاه وهو من نعرف علما وعدلا – وما كان لأحد أن يسقط حدا من حدود الله – وانما الامر كما ذكرنا من قبل – من أنه فضلا عن قيام الشبهة الدارئة للحد – فان ركن النصاب لم يتوفر فى حق كل منهم حتى يقام عليه الحد .

وما ورد عن السيد المسيح عليه الصلاة والسلام – من أنه لم يشترك فى رجم المجدلية المتهمة بالزنا وثبط الشهود عن رجمها – انما مرده – كما هو واضح – أنه أيا من الشهود لم يكن بلا خطيئة – وبالتالى فلا يصح أن يكون شاهدا عدلا يمكن الاعتداد بشهادته فى هذا المقام – وليس فى ذلك اسقاط لحد واجب من حدود الله ..

السيد عبد العزيز هندى

عضو مجمع البحوث الاسلامية

مع بعض المفاهيم

تحديد « المعنى » لأى « لفظ » يلقى الضوء قويا على مفهومه ، فلا يجد عسرا فى طريقه الى الذهن ، لاسيما اذا كان هذا « المعنى » مجردا من التواء مقصود ، أو قيد مصطنع يحيط به ، فليس غريبا أن يتعثر أى « مفهوم » حين يسلك طريقه الى العقل مقيدا بنص ليس من طبيعته ، وليس من شان العقل أن يفهمه .

من هنا كانت قضية « الألوهية » فى الاسلام يسيرة الفهم ، متجردة من صكوك القيود :

فالله واحد لا ند له ، ولا مثيل ، ولا شريك ، فرد — سبحانه — قادر لا يعجزه شىء فى الكون : سمائه وأرضه .

« لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا » (١)

« مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ
إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ .
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (٢) .

ومادامت هذه القضية هى الحقيقة ، فالله رب العالمين ، هذا الكون كله ما نرى منه ومالا نبصر ، ما نعلم منه ، وما نكتشف ، وما سوف

---

(١) الانبياء — ٢٢ .
(٢) المؤمنون — ٩٢ .

للأستاذ متولى الجرجاوى

نكتشف ، ثم مالا نعلم ، فالله ــ وحده ــ رب هذا كله ، وخالقه .

« فأى آيات الله ينكرون »

ما ينكر ذلك الا جاحد ، مكابر .

والجاحد المكابر ليس له وزن فى باب الفكر و « العلم » أيا كان لونه .

فالحقيقة تقتضى الخضوع لها .

فوجب على الخلق عبادته ــ سبحانه ــ وأبسط « مفهوم » العقلاء أن يشكر أحدهم من قدم له « هدية » فلا يتلقى زيد هدية من عمرو فيقول لخالد : شكرا !!!؟

انما الشكر لصاحب الهدية ، فاذا صرف لغيره كان جحودا ، وسوء أدب ، وصغارا ممجوجا .

« وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى » (١) .

لذا وجبت عبادته وحده ، لأنه صاحب الحق كله ، فانه هو الخالق ــ وحده ــ مهدى الحياة ، والنعمة .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٢) .

سلسلة من المنطق الحق لا تهوى الى ظلام الفكر أو تضل السبيل .

ولقد حدث فأوت بعض الفرق الى وضع قضية « الألوهية » خارج نطاق مثالية الفكر ، وشققت لها أجزاء ، وألزمت الايمان بها بقوة القانون تارة ، وبارهاب النفوس أخرى فما تطاولت العصور حتى سوى القانون واضمحل الارهاب ، وأبى الفكر أن يؤمن بما لا يتسم بالمنطق فاستشرى الالحاد فى الأتباع ولا يزال .

واستنارة العقيدة فى الاسلام ــ فى ضوء ما قدمنا ــ كانت تعنى احتضان الأخلاق

(١) النحل ــ ٦٠ .

(٢) البقرة ــ ٢١ .

الكريمة فى مثلها العليا ، فمن تمام اسلام المرء أن يكون عبدا مستسلما لمولاه فى كل أمر راضيا لحكمه وقضائه :

فى عقيدته ، فى معاملته للناس ، فى اخلاصه لوطنه ، ولعمله ،عافا عما فى أيدى الناس صادقا غير منافق لفائدة أو منصب ، وليتق الله ربه .

« قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » (١) .

والايمان بهذا المستوى حصن لصاحبه ، ودرع لمجتمعه ، وحماية لوطنه ، فان الأوطان لا تقوى ولا تسمو بمجرد القوة المادية ، فلقد تذوب هذه القوة كلها برجل خائن ، بينما تبدو قوة الوطن من نواة مجتمعه :

من الأسرة ، وقد حصنها الاسلام بسلامة الاختيار وقوة ترابط أفرادها صغارا وكبارا .

فالجار بماله من حقوق وبما عليه من واجبات .

وما المجتمع كله الا أسرة أو جار .

وفى الكتاب العزيز خلاصة للأمر كله

(١) الانعام ـ ١٦٢ ، ١٦٣ .

فيما نتلوه من وصايا عشر جاءت فى قوله تعالى :

« قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... » الآيات (٢) .

وفيما نكره سبحانه فى سياق « عباد الرحمن » فى هذا الاطار الذى يطرح عليهم من المولى ـ سبحانه ـ الرحمة :

فى قوله تعالى :

« وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا .. (٣) الآيات .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

متولى الجرجاوى

(٢) سورة الانعام الآيات ١٥١ ـ ١٥٣ .
(٣) سورة الفرقان الآيات ٦٣ ـ الى اخر السورة .

رئيس جامعة الأزهر يتحدث لمجلة الأزهر

● الجامعة تطور نفسها بنفسها لأن متطلبات الحياة تحتم ذلك ولأن حركة العصر تتطلب ذلك

قبل أن أبدأ حوارى مع فضيلة رئيس الجامعة أود أن أسجل له بكل الشكر والتقدير أنه صاحب الباب المفتوح لكل صاحب حاجة ومادام صاحب حق فله فى الحق ألف حق ·

وأبدأ حديثى مع فضيلته رغم كثرة أعبائه ·

نود فى البداية لو تفضلتم ببسط سياستكم لهذه الجامعة العتيقة وكم نرجو أو تكرمتم ببيان ارتباطها بالمعاهد الأزهرية من جهة ثم مجمع البحوث من جهة أخرى فان وحدة الأزهر فى هذه الثلاث ؟؟

حديث أجراه صفوت عبد الجواد

- لا أدعى لنفسى أننى أرسم سياسة الجامعة .. فالجامعة كيان عظيم له مقدرته الذاتية على أن يرسم سياسته .
- الجامعة لها صلات بمختلف المؤسسات الثقافية والعلمية فى العالم .

ـ جامعة الأزهر هيئة من هيئات الأزهر الشريف وهيئات الأزهر كما تعلمون المجلس الأعلى للأزهر ويختص برسم السياسة العامة للتعليم والدعوة ومجمع البحوث الاسلامية ويختص باختصار بالاجتهاد فيما يتصل بأمور الحياة وخصوصا ما يستجد منها وعرضها على الشريعة الاسلامية وابداء الرأى فيها، ثم الادارة العامة للمعاهد الأزهرية وتختص بالتعليم قبل الجامعى وجامعة الأزهر تختص بالتعليم فى المرحلة العالية كما تختص بالبحث العلمى فيما يتصل بشئون هذا التعليم ومن هنا نجد أن جامعة الأزهر لها دور فى النهوض برسالة الأزهر يتكافأ مع الأدوار التى تختص بها الهيئات الأخرى أما السياسة التى تنشد الحديث فيها فهى سياسة مرسومة فعلا فى القانون ونحن ننفذها ويمكن أن تندرج تحت مسألتين رئيسيتين وكما ذكرت شئون التعليم العالى والبحث العلمى أما تفريعات هذه السياسة وتطبيقاتها والمصبات التى تصب فيها فذلك مرجعه أولا الى مجالس الأقسام العلمية والى مؤتمرات هذه المجالس ثم مجالس الكليات ومؤتمرات الكليات ثم مجلس الجامعة ، والذى يرسمه مجلس الجامعة يعرضه على المجلس الأعلى للأزهر لاقراره ومن هنا لا أستطيع أن أدعى لنفسى أننى أرسم سياسة الجامعة فالجامعة كيان عظيم له مقدرته الذاتية على أن يرسم سياسته وخط سيره بنفسه ورئيس الجامعة يكون ملزما بحكم القانون وبحكم الجانب الأدبى أن ينفذ هذه السياسة بعد اقرارها واعتقد أن الجامعة بخير وأنها ماضية فى سياسة رشيدة منذ أنشئت فمن هذه الناحية تطمئنون على أن جامعة الأزهر تسير فى خط السياسة التعليمية المرسومة بالفعل ودائما الجامعة تطور نفسها بنفسها لأن متطلبات الحياة تحتم ذلك ولأن حركة العصر تتطلب ذلك ولأن التكنولوجيا أو (التقنية) تتطلب ذلك . كل يوم جديد من العلم وجديد من المعرفة ومن هنا فان الجامعة تأخذ بهذا الجديد وهذا يدعونا ونحن ننفذه فعلا الى أن تكون لنا صلات علمية وثقافية بمختلف المؤسسات التعليمية فى بلدان العالم كله وهذا أمر واقع فنحن نوفد الى كثير

من جامعــات العالم فى أوربا وأمريكا وآســيا وافريقيا أيضا طلابا يسمون طلاب البحــوث ليدرســوا ويحصلوا عــلى درجــات علميــة « الدكتوراه والماجستير » أحيانا ليعودوا الينا بخبرتهم التى يأخــذونها من الجامعــات التى أوفدوا اليها •

ومن ناحية أخرى فاننــا نمــد المؤسســات التعليمية ومراكز البحــوث وخاصــة فى الوطن العربى وفى بعض البلاد الآســيوية والافريقية بأساتذة يقومون بعبء التعليم العــام والبحث العلمى فى هذه المؤسسات مشــاركة منا فى أداء الواجب ونشر العلم وهذا من شــأنه أيضا أن يزيد من أواصر العلاقات الثقافيــة بيننــا وبين البلدان التى فيها هذه المؤسسات كما أننا نتبادل الرسائل العلمية والمطبوعات والمصنفات بقــدر الامكان مع الجامعات والمؤسســات التى تطلب ذلك والعلم رحم بين أهله والعلم لا وطن لــه ومن هنا فاننا ننشر العلم فى كل مكان •

بيد أنه يجب أن نؤكد تأكيدا خاصــا على ان جامعة الأزهر تختص بعلوم الشريعة ومن هنــا فان الوفود التى تأتينــا من البــلاد المختلفــة ليدرسوا فى جامعــة الأزهر انما يرجعــون الى بلادهم بعد أن يكونوا قــد تــزودوا بالــزاد الاسلامى فيما يتصل بالشريعة وهــو زاد طيب ونحن نحرص عــلى أن يتزودوا بهــذا الــزاد ليعودوا الى قومهم كمــا نصت الآية الشريفة :

« فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُــوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

يَحْذَرُونَ » والعلماء ورثة الأنبياء والأنبيــاء لم يورثوا مالا ولا عقارا وانما ورثوا العلم الــذى علمهم الله ومن هنا نرجو أن نكون ورثة حقيقيين نفخر بهذه الوراثة ونحرص على الانتفاع بهذا الميراث الربانى العظيم الذى أخذناه عن رسول الله ــ صلى الله عليــه وســلم ــ عبر الأزمان المختلفة •

وأخيرا فان أى أستاذ يعمل فى الداخل أو فى الخارج ويتكلم بكلمة الاسلام انما يؤدى واجبا وهو الدعوة الى سبيل الله ومن حسن الحظ أن الأزهريين يدينــون بالآية الكريمــة « ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ » وهــذا اطار ندعو فيه الى سبيل الله سواء كما قلت فى الداخل أو فى الخارج والله الموفق •

• العلم رحم بين أهله ولا وطن له ، والعلماء ورثة الأنبياء .
• زيادة نسبة القبول بأصول الدين واللغة العربية والدعوة والتربية ٢٥٪ عن الأعوام الماضية .

تستطيع الجامعة أن تقدم الكثير والكثير بالنسبة للدعوة والدعاة الذين يتخرجون من كلية أصول الدين فما هى الوسيلة لزيادة الدعاة الذين ينشرون كلمة الله فى الأرض ؟؟

— بسم الله الرحمن الرحيم .

نحن كلنا خدام للدعوة والمعاهد التى تنشأ انما هى وسيلة لتعليم الأشخاص الذين ينتهى بهم الأمر الى أن يدعوا الى سبيل الله وكما قلت نحن ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا مالا ولا عقارا وانما ورثوا العلم الذى علمهم الله فنحن علينا أن نأخذ هذا العلم ولا نحتجزه لأنفسنا وانما علينا أن ننقله الى الناس هذا هو الذى فعله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان ما يوحى به الله من ربه ينقله الى الناس فور نزوله وهذا هو الواجب على المسلمين وهو واجب كفائى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، كما قلت فى الاجابة على الموضوع الأول .

وجامعة الازهر بكلياتها كلها : سواء أصول الدين أو الدعوة أو الشريعة أو الدراسات الاسلامية والعربية أم زراعة أم علوم أم طب أم هندسة كل الكليات تخرج الدعاة ولكن هناك داعية يتفرغ للدعوة وهناك داعية لا يتفرغ لها فالذى يتفرغ للدعوة هو الذى يتخرج فى كليات أصول الدين وكليات الدعوة .

« وعندما كنت وكيلا للأزهر الشريف عندما يأتينى متخرج فى احدى هذه الكليات ويرغب فى أن يعين مدرسا فى المعاهد ارفض وأقول له مكانك اما فى الوعظ واما فى المسجد وبين الجماهير وهذه سنة استننتها وأرجو أن تستمر .

فالذى يتخرج فى كلية اللغة العربية أساسا يدعو الى سبيل الله بين الطلاب الذين يعلمهم وكذلك فى كلية الشريعة وكلية الدراسات العربية الخ ...

والذى يتخرج فى كلية الطب أنا لا أطلب منه

أن يكون داعية مثل خريج كلية أصول الدين وانما يكفينى منه أن يكون قدوة فى سلوكه

وهذه القدوة هى أعظم شىء فى الدعوة عندما يجد الذين يترددون عليه أنه عندما يحين وقت الصلاة يستأذنهم فى أداء الصلاة ثم يعود الى

مراجعة مرضاه هذه قدوة طيبة . والمهندس الذى يكون فى موقع من المواقع ويكون اليوم يوم صيام ويعرضون عليه المشروب فيقول لهم انى صائم لأن اليوم من رمضان أو لأنى نذرت أن أصوم هذا اليوم ، هذا المهندس يكون قدوة طيبة ليس هذا فقط بل تقدير الناس واحترام الكبير والعطف على الصغير واحسان الكلمة واماطة الأذى عن الطريق والعطف على الفقير والمحروم وآداب كثيرة جدا جدا يتخلق بها المسلم العادى يكون فيها قدوة لغيره فاذا أضيف الى هذا ــ وهو متخرج من كلية الطب مثلا ــ شىء من العلم الاسلامى الذى يؤدى به فرائض الله والطاعات فانه بهذا المسلك يؤدى للدعوة عاملا طيبا جدا وبحمد الله عندما جئت الى هنا وبمعاونة اخوتى العاملين فى الجامعة استطعنا أن نعطى كليات أصول الدين والدعوة عددا زائدا بمقدار ٢٥٪ عن العدد الذى قبل فى العام الماضى وكذلك فى كلية اللغة العربية لأن المجتمع محتاج لهذه النوعيات التى أصبح العجز فيها واضحا .

مساجدنا بحمد الله عامرة ونحن نحاول أن نخرج من أصول الدين والدعوة الذين يؤمون الناس ويخطبونهم فى هذه المساجد .

مدارسنا والحمد لله عامرة ولكن فيها عجز فى مدرسى اللغة العربية وفى المدرسين التربويين ومن هنا فاننا زدنا الأعداد المقبولة فى كلية اللغة العربية والتربية بنسبة ٢٥٪ عن الأعوام الماضية وهذا شىء طبيعى .

ومن هنا فاننا حريصون على أن تؤدى كلية الدعوة وأقسام الدعوة فى كليات أصول الدين واجبها .

بقى أن على هذه الكليات ألا تكتفى بالدروس النظرية بل تطبق العلم على العمل وأن تخرج بطلبتها الى المساجد والمجتمعات ليتمرن الطلاب ويتدربوا فيها حتى اذا ما خرجوا الى الحياة الوظيفية والعملية كانوا مستعدين لأن يقولوا كلمة الله بين الناس وهى الكلمة التى أمر بها الله « **الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالله التوفيق** » .

س : هل توافقون على استمرار الامتحان التحريرى فى القرآن الكريم نرجو لو نتعرف خطتكم بشأن القرآن الكريم وأنتم أعلم بأمره ؟

القائم الآن أن يمتحن الطالب فى القرآن تحريريا وشفهيا وهو نظام مقبول ومعقول وهناك شرط أن يحصل الطالب على ٣٠٪ على الأقل من كل من الامتحانين وأن يحصل فى المجموع على ٥٠٪ حتى يصير ناجحا والامتحان الشفهى له مزاياه والامتحان التحريرى له مزاياه والجمع بينهما افضل وبالله التوفيق .

صفوت عبد الجواد

من أعلام الأزهر

الدكتور: حسن جاد

من أعلام الأزهر

حسن جاد حسن
شاعر الأزهر بعد الأسمر

للأستاذ عبد الرحمن خضير

هكذا يطلقون عليه ، وهو لقب يصدق على الشاعر كل الصدق ، فهو الشاعر الذى يمثل شعره الثقافة الأزهرية المحافظة المتجددة فى سماتها الدينية ، والعربية ، واللغوية ، وهو الشاعر الذى شب فى أحضان الأزهر ، وأنفق حياته كلها فى ظله ، يتغنى بعظمته ، ويشيد بمجده ، ويدافع عن حقوقه ، ويواجه خصومه ، ويتعقب كل من ينحرف عن سمته ، أو يفرط فى حقه ، أو يحاول أن يشوه صفحته الناصعة ، وتاريخه المجيد ، بنقده اللاذع الجرىء ، وهو نقد بناء ، دفعت اليه غيرته الشديدة ، وحرصه الملح ، على أن يظل الأزهر شامخ الرأس ، مرفوع الجبين ، نقى الصفحة ، موفور الكرامة ، سليم السمعة ، فهو نقد واقعى بناء يستهدف الاصلاح والتغيير ، وليس هجاء يستهدف الهدم والتشهير · وهو الشاعر الذى رفع اسم الأزهر فى كثير من المواقف والمناسبات ، وحصل على الكثير من الجوائز الأدبية ، وفاز فى كثير من المسابقات فى الشعر العربى ·

— ١ —

ولد (حسن جاد حسن عطا الله) بقرية (منشاه الجمال) التابعة الآن لمركز (منية النصر) بمحافظة الدقهلية ، وذلك فى ١٣ يناير سنة ١٩١٤ ، ونشأ فى أسرة متدينة متواضعة الحال ، وكان أبوه يحفظ القرآن الكريم ، ويلم بقسط من الثقافة الدينية ، أما أمه

فتنتمى الى قبيلة عربية .

وقد توفى والده ، وهو فى سن الخامسة ، فكفلته أمه ، وأدخلته (كتاب القرية) فحفظ القرآن الكريم ، وأحسن تجويده ، ثم التحق بمعهد دمياط الدينى سنة ١٩٢٦ م وبعد أن أتم دراسته الابتدائية فى هذا المعهد التحق بمعهد الزقازيق الثانوى سنة ١٩٣٠ م حيث كان من زملائه الشيخ محمد متولى الشعراوى ، والدكتور محمد الطيب النجار — مدير جامعة الأزهر ، والشيخ محمد خاطر — مفتى الجمهورية ، والأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ، والشاعر طاهر محمد أبو فاشا وغيرهم .

وفى هذا المعهد بدأت شاعريته تتفتح ، حيث أخذ ينظم الشعر فى كل مناسبة ، وأصدر ديوانه الأول (زورق الشجون) وهو فى السنة الرابعة الثانوية . وفى سنة ١٩٣٥ م التحق بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، وكان من المتقدمين فيها ، حيث كان ترتيبه دائما الثانى . وحصل على الشهادة العالية ، ففاز بجائزة الملك فؤاد التى كانت تمنح للأول والثانى فى الشهادة العالية .

وفى هذه المرحلة أتصل بكبار الأدباء والشعراء مثل : سيد قطب ، ومحمد الأسمر ، وأحمد الزين ، والهراوى ، ومحمود غنيم ، ومحمود حسن اسماعيل ، وأحمد فتحى ، وأحمد مخيمر ، والعوضى الوكيل ، وعبد الحميد الديب ، والشيخ حسن القاياتى ، ومحمود أبو الوفا وغيرهم .

وفى هذه المرحلة بدأ ينشر قصائده فى الصحف والمجلات ، ويشترك فى المسابقات الأدبية ، وقد حصل على كثير من الميداليات الذهبية ، وألقى قصائده الفائزة فى دار الأوبرا الملكية .

ثم التحق بقسم الدراسات العليا متخصصا فى البلاغة والأدب فى سنة ١٩٣٩ م ، وفى هذه المرحلة اشترك فى مسابقة الشعر البريطانية التى كانت تعقد كل عام أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد فاز بالجائزة الأولى عن قصيدته (دنيا الغد) عام ١٩٤٤ م ، وفاز بالجوائز الثلاث عام ١٩٤٥ م عن قصائده (أمل الفلاح — الجامعة العربية — نشيد النصر) وكانت لجنة التحكيم مؤلفة من : الدكتور طه حسين ، والأستاذ عباس العقاد ، والأستاذ أحمد حسن الزيات .

وفى سنة ١٩٤٦ م حصل على (الدكتوراه) فى البلاغة والأدب بتقدير (ممتاز) وذلك بعد أن توفيت والدته بشهر واحد قبل حصوله على هذه الشهادة ، وقبل أن يلتحق بوظيفة كان ينتظرها ليرد لأمه بعض الجميل على ما قدمته له من تضحية ورعاية وطول انتظار

.... فكأن موتها صدمة كبيرة أنسته فرحته بالشهادة و « الوظيفة » .

— ٢ —

وفى أواخر سنة ١٩٤٦ م عين مدرسا بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، ثم أستاذا مساعدا فى سنة ١٩٦٤ م ثم أستاذا فى سنة ١٩٦٩ م ثم رئيسا لقسم الأدب فى سنة ١٩٧٦ م ثم عميدا للكلية فى سنة ١٩٧٨ م .

وفى سنه ١٩٥٤ م ألقى قصيدة فى عيد الجلاء بقاعة الامام محمد عبده حيث حضر الحفل رجال الثورة ، وقد طالب فى قصيدته بحقوق الأزهر المهدرة فى صراحة وشجاعة ، وقد أعجب الرئيس جمال عبد الناصر بصراحته وشجاعته ، وشد على يده شاكرا ، ومقدرا ، وواعدا ، وفى القصيدة قال :

أسود الحمى حيّاكُم الأزهر الذى
يُكَبِّرُ للبشرى ويهتف شاعره
تمائل للبعث الجديد وقد صحت
أمانيه واهتزت رجاء منابره
أَلَحَّ عليه السقم من طول ياسه
وشقت من الحرمان مطلا مرائره
وأوهن باس الظلم عزم شيوخه
وكان أعز المالكين يحاذره
وصار يُلَقَّى الأمر من كل تابع
وكانت على الحكام تملى أوامره
أتنساهُ مِصْر وهى تفخر باسمه
ويذكره بالقول لا الفعل ذاكره ؟!
وتمنع دون الجامعات حقوقه
وتعطى كما شاءت مناها نظائره ؟

اذا ما شكا قالوا : عهدناه قانعا
تقشفه فى العيش تروى مآثره
وان ضاق بالحرمان قيل له : ائتد
وعلله بالزهد من لا يصابره
أليس لنا حق الحياة كغيرنا
وأين سبيل العدل ان جار جائره

وفى سنة ١٩٦٠ م — سنة ١٩٦١ م أعير لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، وعند انشاء جامعة الأزهر الجديدة، قدم قصيدة لعاهل الكويت ، فتبرع لهذه الجامعة بنحو مائتى ألف جنيه .

وفى هذه القصيدة يقول :

الأزهر المعمور فى أيامنا
نسى المعز الفاطمى وجوهرا
لله جامعة نماها منجب
كرمت به أصلا وطابت عنصرا
سبقت عوارفكم بها فتضوعت
مسكا وفاحت فى الكنانة عنبرا
فاذا ذكرت الأوفياء وعهدهم
فاذكر على عهد الوفاء الأزهرا

وفى عام ١٩٦٩ م أعير للجامعة الاسلامية بليبيا ، وظل حتى عام ١٩٧٣ م .

وفى عام ١٩٧٣ م فجعه القدر فى ولده الوحيد (محمد) وكان طالبا بالثانوية العامة د ث فقد بفقده كل أمل كان ينتظره منه فى شيخوخته ، وقد حطمت هذه الفاجعة نفسه ، وذهبت ببصره ، وزادته انطواء على نفسه وبعدا عن الأضواء والشهرة ، وقد رثى ابنه

هذا بقصيدة من عيون الشعر بلغت نحو مائة بيت . وقد قال أحد النقاد : « ان أعظم رثاء للولد فى تاريخ الشعر العربى هو رثاء ابن الرومى لابنه ، والزيات لولده ، وحسن جاد لوحيده » . ومطلع هذه القصيدة :

ودعت فيك صفاء العيش ياولدى
ياطول همى وياحزنى وياكمدى

وفى سنة ١٩٧٦ م عين عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب . وفى ابريل سنة ١٩٧٨ م أقيم مهرجان شعرى كبير ضم شعراء الجمهورية وشواعرها . وفى هذا المهرجان اختار الأدباء تنصيبه عميدا للأدب العربى ، وقد أحدث ذلك ضجة كبرى فى الصحف ، ووسائل الاعلام غير أن الشاعر رفض هذا التنصيب الذى لم ير نفسه أهلا له .

وفى سنة ١٩٨١ م منحه الرئيس أنور السادات (وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى) وبعد أن أحيل الى التقاعد فى عام ١٩٧٩ عمل أستاذا متفرغا بكلية الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الأزهر .

ـ ٣ ـ

ولقد أشرف على نحو مائة وخمسين رسالة علمية للماجستير والدكتوراه فى الأدب والنقد أما أهم مؤلفاته فهى :

١ ـ الأدب العربى بين الجاهلية والاسلام .
٢ ـ الأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين .
٣ ـ ابن زيدون (عصره ، حياته ، ادبه) .
٤ ـ الأدب العربى فى المهجر .

٥ ـ دراسات فى النقد الأدبى القديم والحديث .
٦ ـ الأدب المقارن .
٧ ـ ميزان الشاعر فى العروض والقوافى .
٨ ـ مناهج البحث الأدبى .
٩ ـ ديوان حسن جاد .

وقد كان لى شرف جمعه ، وتبوبيه ، وكتابة دراسة عنه ، تقدمت بها للحصول على الماجستير فى الأدب والنقد ، وهو ديوان مخطوط كبير يضم عدة أبواب هى . الشعر الدينى ـ الشعر الوطنى والقومى ـ شعر الرثاء ـ الشعر الاجتماعى والانسانى ـ شعر الطبيعة ـ شعر المرأة ـ بين الجد والفكاهة ـ شعر النقد ـ أناشيد .

ـ ٤ ـ

عاش الشاعر « حسن جاد » قانعا راضيا لا يسعى الى ثراء . ولا يحرص على منصب أو جاه ، معتزا بكرامته ، متعزيا بحب تلاميذه له ، وهم يبلغون الألوف من شتى

البلاد العربية والاسلامية ، يكره النفاق والمنافقين ، ويمقت التزلف والمتزلفين ، ويجاهر برأيه فى صراحة وجرأة مما جر عليه ذلك من ايذاء أو حرمان • وقد عبر عن ذلك بقوله :

اضاعنى حر رايى فى صراحته
وقبل كم ضاع ذو حس ووجدانى

ويقول :

ولكننى اعتز بالله وحده
وليس لغير الله يركن جانبى

ولى من اباء النفس اكرم عاصم
عن الذل والزلفى وأمنع حاجب
وما ضرنى أن لم تدع لى صراحتى
وفاء محب أو مودة صاحب
اذا كان قول الحق يؤذى فاننى
ألفت من الأيام مر النوائب
ولست عن الرأى الصريح بحائد
ولا عن طريق الحق يوما بناكب

وبعد فهذا شاعر الأزهر الذى يمجده ، ويفخر بانتسابه اليه ، ويرد له الفضل فى براعته فى الشعر ، وتفوقه فى البيان :

هو المعمور فخر الشرق طرّا
وليس له على الغبراء ثان
يسافر صيته شرقا وغربا
الى قاص من الدنيا ودان
وكيف يفوتنى فى الشعر سبق
ومجد الأزهر العالى نمانى
وما عرف البيان الحر شاد
اذ لم ينش منه شذا البيان

فرائد من كريم الدر شاقت
كرائمهن لبات الغوانى
وما أنا فيه الا ازهرى
أغنى للوفاء وقد دعانى
شاوت فوارس الميدان فيه
وحزت الخصل من قصب الرهان

وهو الذى يقول فى العيد الألفى للأزهر :

هرم من الأهرام الا انه
حرم يلوذ به الحجيج وَمَشْعَرُ
ليس الذى يبنى الحجارة مثل من
يبنى العقول النيرات وَيَعْمُرُ
ما شاد بان فى الكنانة مثلما
شاد المعز الفاطمى وَجَوْهرُ
لبيك شيخ الجامعات ومن به
مصر على الدنيا تتيه وتَفخرُ
يكفيك انك انت مصر ومجدها
يوم الفخار وأن مصر الأزهرُ

عبد الرحمن خضير

الشعر

■ فى الدوائر العروضية

■ السحرتى فى ديوانه «أزهار الذكرى»

■ «حنين مغترب»

حنين مغترب

للدكتور : حسن جاد

وَطَنِى يا أعزّ مافى الوجود   أنت فى مسمع الزمان نشيدى
أبدًا أنت ماثل فى خيالى   حاضر فى فؤادى المعمود
أتملاك شاديا من قريب   وأناجيك نائحًا من بعيد
كلما هب من حماك نسيم   هاج شوقى الى حماك السَّعيد
أَوْ بَدَا فى الآفاق سَانِحُ بَرْقٍ   عاود القلب خَفْقُهُ من جديد
أو شدا باسمك المحبب شادٍ   خف روحى لذلك الغريد
كل شىء حولى قصيدة شَوْقٍ   وأنا فى الحنين بَيْتُ القصيد
وكأن النسيم أنفاس أحبابى   إِذَا ما احتوى أريج الورود
والهتوفُ الصدّاح سأجل نجوا   ى وحيدا يشكو النوى لوحيد
غربة عَلَّمَتْ محاجرى الدمع   وكانت من قبلها فى جمود
وطنى يا أعز مافى الوجود   أنت فى مسمع الزمان نشيدى
فى سبيل العلا وفى ذمة المجد   عنائى وغربتى وجهودى
واحتمالى الصعاب غير مبال   وركوبى الأخطار غير قعود
مجدك العبقرى ياوطنى الخالد أسمى رجائى المنشودِ
ها هنا من مباهج الحسن دنيا   وفنون من طارف وتليدِ
اجتليها فما تُهَدْهِدُ اشواقى   لذكرى ملاعبى وعهودى
اى حسن حيال حسنك يسبى   وهو دنيا من الجمال الفريدِ
اتغنى به فخارا وَأَشْدُو   بمغانيه فى سماء الخلود
اين منى ديار اهلى واحبابى   ومغنى عشيرتى وجدودى ؟
ومجالى الشباب بين ليال   باسمات المنى وعيش رغيدِ
وطنى يا اعز ما فى الوجود   انت فى مسمع الزمان نشيدى
طال شوقى وطال عنك اغترابى   وحنينى لوردك المورود
فمتى أُسْعِدُ العيون بمرآ   ك واشدو بظلك المَمْدُودِ
يوم عَوْدِى إِليك أيَّةُ بشرى   لفؤادِى الغريب بل أىُّ عيدٍ .. ؟!

السحرتى فى ديوانه

أزهار الذكرى

ليس من شك فى أن الشعر الجيد ينزع تلك الأقنعة الكثيفة التى كثيرا ما يخفى الشاعر خلفها قلبا مليئا بأنبل ألوان المشاعر والخلجات .

فقد عرفت السحرتى رحمه الله منذ خمسة وعشرين عاما . ولمست كما لمس المقربون منه صفاته وطباعه .

يومئذ كان مصطفى عبد اللطيف السحرتى رئيسا لرابطة الأدب الحديثه يراسها فى شرف وجدارة .

كان نبعا صافيا مغداقا يستقى منه زملاؤه قبل تلامذته . وكنت أنا مازلت ناشئة أخطو فوق درب الشعر فى حرص وتردد كنت أعرف جيدا ان السحرتى انسان بكل ما تعنى الكلمة ، وكما يقول عنه رفيق العمر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى مقدمة كتاب (دراسات فى النقد المعاصر) وهو بقلم لفيف من أعلام الأدب ، احتشدوا جميعا ليقدموا دراساتهم عن السحرتى الناقد تكريما له .

يقول الدكتور خفاجى عنه :

« أديب من أدبائنا النوادر الذى جمعوا الى الشخصية الجذابة النبوغ الأدبى ، وهو مثال انسانى حر على الأخوة الانسانية والتعاون الأدبى والروح المتوقد لخير الأدب والأدباء ، ان السحرتى انسان طيب السيرة والسريرة .

وانسان هادىء النفس دمث الخلق ، حلو الحديث ، وانسان يعامل الناس معاملة رقيقة ، ويغفر لهم زلاتهم ويهتم بشئونهم اهتمامه بنفسه » .

للشاعرة جليلة رضا

أقول اذن • عرفت السحرتي عن قرب منذ ربع قرن ولكنى أعترف اليوم اننى لم أعرفه المعرفة الكافية الا بعد أن انتهيت من قراءة ديوانه هذا الذى بين يدى اليوم ، وبعد رحيله عن دنيانا •

ويقينى اننى حين فكرت فى وقفة أمام شعره وهو شيخ النقاد لم أحد عن الطريق الذى اتخذته عنوانا لكتابى (وقفة مع الشعر والشعراء) فالسحرتى شاعر قبل أن يكون ناقدا •

وعندما قمت بقراءة ديوانه الوحيد « أزهار الذكرى » قدرت كيف خسرت روضة الشعر طائرا غردا فر من دوحتها ذات يوم ليتجه الى كهوف النقد الصخرية وليمهد طريقها وينير سراديبها المجهولة أمام أبناء الجيل الحاضر وانى لأتساءل كيف لم يعمل السحرتى على ارضاء هوايته فينظم بين الحين والآخر •

انه لشىء قيم أن يكون هذا الديوان هو باكورة عمل السحرتى فديوان « أزهار الذكرى » يحتوى على ما يقرب من سبعين قصيدة • وانه لعدد واف وان كان يجمع القليل من الأبيات والكثير من المعانى والوفير من المشاعر •

فان أول ما يلفت النظر فى الديوان هو ذلك التركيز الصائب فى سرد الحدث والتعبير عن المعنى مما لا يدع مجالا للملل مع تنوع الموضوع •

وحب الشاعر للطبيعة قانون سائد على أغلب قصائده •• فالطير والزرع والموج والضوء والشمس والظل كلها منابع شعره وبهجة روحه حين تضيق به الحياة •

ففى قصيدة « زهرة الذكرى » يقول عن زهرة « البانسيه » :

أيها السائر مهلا بين زهر الذكريات
قف قليلا وتمهل تلق فيه الأمنيات
أمنيات الروح جلت سرها دنيا النبات

أما فى قصيدة « شفاء الروح » فسيرى القارىء كيف أن الطبيعة كانت للشاعر الدواء من آلامه وأشجانه وسأقتطف بعض أبياتها حيث يقول :

عصفت بقلبى ثورة الآلام
وتوزعت روحى وضاق مقامى
فخرجت فى جو الطلاقة ساريا
وطفقت أضرب فى أثير ركامى
فاذا الطبيعة فى حنان وارف
واذا الجواء ترف بالأنغام
واذا اليمامة فوق غصن هانىء

فى شجوها نغم يذيب سقامى
واذا السماء بزرقة وعذوبة
تهدى الى ذهنى الخيال السامى
والنهر فى فيضانه متضاحك
متهلل فى مهده المترامى
والشمس بعد تألق فى بهجة
غريب مع الشفق الجريح الدامى

ويكمل الشاعر قصيدته وقد جن الليل وهو يسبح بين المشاهد •

حتى شدا الكروان موقظ مهجتى
فشفيت من ألمى ومن أوهامى
وتلألأ القمر الوديع بوجهه
فأزاح ما بالقلب من اظلام

ثم يهتف الشاعر متمنيا لو عاش حياته بين الطبيعة بعيدا عن نفاق الأحياء ، فهى الجنة والفن والخواطر والأحلام •

***

ومن الملاحظ أنه ما من قصيدة فى شعر السحرتى الا واختتمها ببعض الآراء الفلسفية الواضحة الخالصة من التعقيد والترديد ولنستمع اليه وهو يتمعن فى مشاهد الطبيعة وتمعن فى سرد حركات طائر فى قصيدة «وقفة» حيث يقول فيها :

يدق الأرض بالمنقار كالفلاح بالفاس
ويحفر ثغرة فيها ليلقط باطن الغرس
وأصوات العصافير مراح اللب والحس
هى الأحداث صارخة بكل روائع الحدس
فدعنى فى مجاليها أذيب مشاكل الرأس
فهذا الجسم منقرض ويبقى الاسم للرمس

وتثور مياه النيل تحت قناطر « دهشور » وتشبه ثورة البحر وتتراقص مع ضياء الشمس ، فيبهر هذا المنظر وجدان الشاعر الرقيق فى « ثورة النهر » •

هيا ارقصى يامياه •• مع الضياء السعيد
وانعشى كل قلب •• يعطر نهر الخلود
فانت لاريب عندى••مثوى الجمال الفريد

ان أقل حركة أو همسة من حركات وهمسات الطبيعة التى قد يمر عليها أى انسان فلا يراها أو يفكر فيها ، انها عند السحرتى الشاعر من آيات الخالق الفنان • وانه ليعتز بشجرة قد تبناها فأصبحت لديه ربة الجمال أو « جميلة الأشجار » فى قصيدة شجرتى المحبوبة » •

اجميلة الأشجار اى جمال
هيفاء مثلك لم تر العينان
الريح حولك فى حبور دافق
تحنو على الأفنان كالولهان
والماء تحتك ساجد متذلل
بدت الغصون بموجه الأسوان
والطير فوقك ناعم مترنم
فهم الحياة وعاش بالوجدان

والبعث يبــدو آيـة علــوية
لتجـدد الأزهـــار والأفنـــان
وي .ؤك الصـوفى أعـذب منبـع
للمـؤمنين ومرتجـى السـلوان
دامت حيـاتك فى جمـال فـاتن
وبقيت رمـز العطف والاحسـان
وبقيت أروع ما يكـون لعاشق
ناجى الطبيعـة فى بـديع بيـان

وحتى المطر .. ينصت الشاعر الى ألحانه ويقول ان المطر موسيقى مغردة ولحنها الفريد يورث النفس عاطفة جديدة . ان المطر أيضا يتغنى بالشعر مثل النجم والبحر والـريح والشمس والسحرتى جدير بأن يطلق عليـه « عاشق الزهرة » فهو لا ينى يذكرها فى كـل قصائده . ولنستمع اليه فى هذه القصـيدة الرائعة « زهرة الأراوله » فهو يصفها بأنهـا زهـرة بيضـاء اللون جميلة تنبت فى الخريف ومنظرها رائع بديع مبهج وهى تتربع عرش الحديقة :

مشـعشعة منـورة الجبين
كاكليـل عـلى رأس العـروس
منســقة بفعـل يد صـناع
تشـير اللطف فىعمـق النفـوس
أتتنـا والخـريف على قـدوم
فحـاكت مقـدم الضيف الأنيس
زهاها الحسن فانتظمت قصـيدا
يهـز عـواطف القلب الحبيس
تشـير لنـا بايمـاء خفـى
بتـرك الغل والحقـد الخسيس

لنحيـا مثلهـا طهـرا ولطفـا
ونبسـم مثلمـا بعـد العبـوس

هذا هو الناقد الكبير مصطفى عبد اللطيف السحرتى ، هذا هو الشـاعر المبدع الـذى خسرناه شاعرا وكسبناه ناقدا ..

والآن لنستعد لمفاجـأة كبرى فى شـعر السـحرتى أول من نـادى بالشـعر الحر واستخدمه .. بل واعترف به كنـاقد كبـير وجعل له منزلة فى الأدب المعاصر عنـدما قال فى كتابه « شعر اليوم » « لا يهم فى اعتقادنا نوعية الصياغة مقفاة أو متحـرره ولا نوع أسلوب التعبير أو طريقته . فللشـاعر كل الحرية فى استخدام الشعر المقفى أو الحـر لأن هذا متروك لمزاجـه وطبيعتـه وقـدرته الفنية وطبيعة التجربة التى يريد أداءهـا . ومن التعنت الزامه بسلوك طريقة بعينها .. ».

وأما فى قصيدة « الفراشة » وهى من الشعر الحر فيقول :

شـهدتها فى الفضـاء
تميس فى أحـلام
كأنهـا أقحـوان
ملت حيـاة المقـام
تطـوف بالـورد
تهـدى لـه السـرا
وتسـرب القبـلات
مـن خـده الغض
وترشـف الألـوان
مـن قطـرة الأنـداء
فى صـحوة الفجـر

ويخال الى ان السحرتى فى شعره الحر قد تأثر بالشعر الفرنسى ومال اليه فى أسلوبه وتفكيره وطريقة سرده .

فهنا فى قصيدة « المرح » يظهر بوضوح مدى التشابه .

كل شىء فى الوجود .. يمرح . ماخلا الانسان
كل وقت ساهم متوهم .. حتى الممات
هاهو الوادى يغنى بالأغانى
من هواء وطيور ونبات

تماما كأنه ترجمة لشاعر فرنسى يهيم بالطبيعة ولا غرابة فى ذلك فالسحرتى قد اطلع على كل علوم وآداب الغرب فليس بعيدا أن يتأثر بها وهو الحر المتحرر .

لِمَ لا نملأ الدنيا ابتساما مثل أحداث الطبيعة
لِمَ لا نبذر الفرحة فى كل مكان
فظلال الموت فى اثر الأنام

وهذه النزعة المتفائلة نقع على شواهدها فى كثير من قصائده :

فمالى لا اسير بلا قيود
وابسم فى غدوى او رواحى
وامرح مثل عصفور صغير
والتمس المنى فى كل ساح
فما الدنيا سوى جذل وانس
ولذات جنين من الكفاح

لقد أفصح السحرتى الشاعر فى ديوانه « أزهار الذكرى » عن مثالية مشاعره فى أسلوب مستقيم ناصع وتصوير جرىء ولون جديد فيه القدرة الرفيعة على التبسيط والحرص الشديد على عدم التكرار .

والسحرتى الانسان يعرض لنا بوضوح مشاعره النبيلة حيث يرثى من فقدهم من الأصدقاء ففى « دمعة وفاء » يقول ببساطة باسطا ألمه ، فاتحا مكنون صدره :

تاه منى فى الزحام .. يوم ان كان معى
صاحب كالزهر فى طيب الخلال
قد تحلى بجمال وذكاء ألمعى
أسدل الموت على الروح القناع
وتوارى النور من عين الصديق
ليت شعرى .. ما الحياة
النهار .. سيعود .. وصديقى لن يعود

وتظهر أكثر تلك المشاعر الرقيقة فى قصيدة « وحيدة » وهى عن أم فقدت طفلها ابان الحرب وأثناء غارة الأعداء ، وفى قصيدة « أين الأم » وهى عن طفلين فقدا أمهما أثناء الغارة أيضا ، وفى قصيدة « الضرير » وهو يتحول فى الطريق ، حتى الحيوان لم يفتقد الرحمة من هذا القلب الكبير ، ففى «كلاب الطريق » وهى من أجمل قصائد الشاعر وأبدعها حيث يقول :

شريدة فاجأتنى فى ذلة وعناء
وكنت وحدى غريبا فى عزلتى ونجائى

وحان وقت غـذائى فشاركتنى غـذائى
وكان عطفى عليها تجـاويا للاخـاء
وكلما نظرت لى لمحت معنى الحيـاء
وحادثتنى بصـمت واستشرقت لندائى
وودعتنى بلطف جم عـزيز المنـال
وعلمتنى دروسـا من الدروس الغوالى

ويرى الشاعر كم يقاسى الفلاح فى حقلـه فيقارن بين حامل الفأس وحامل الكأس ويقول فى قصيدة « حامل الفأس » .

يهـدى لنـا زرعـه
لا يجتنـى ثمـره
كـالعنز فى المـرعى
تهـدى لنـا اللبنـا
لا ترتجـى جرعـه

ويختم ديوانه بقصيدة «مآل » حيث وقعت عين الشـاعر على صفحة الوفيـات :

سـننعى هـا هنـا يـوما
عـلى صـفحات أمـوات
ونـذهب مثـل مـن ذهبـوا
زرافـات زرافـات
ولـن يبقـى لنـا خلـف
سـوى طيب ونفحـات
ومـا نفـع لأولادى
ولا جـدوى لثـروات
ومن ينظـر الـى المـاضى
يجـد مـا يلهم الآتـى

وبعد لو استطعت لاتسعت فى عرض هذه المجموعة الشعرية « أزهـار الـذكرى » ولأطلت وقفتى أمامها ، فلن تنقصنى المـادة ومواضيعها تكفى لملء صفحات وصفحات .

ولكنى آثرت أن أنتقى القصائد المفصحة عن طريقة أسلوب السحرتى فى النظـر ومـدى حرصه على اختيار الكلمة والصورة والقـدرة الحية على التعبير عن خلجات نفسـه وكيف يمزج بين القديم والحديث وعبوره فى صفحات قصار مئات السنين والأجيـال ، ومدى حنينه للماضى والحاضر .

ولا زلت أقول .. ان السـحرتى طائر صداح فر من دوحتـه الوارفـة الظايلة فخسرت روضة الشعر طـائرا غنى ذات يوم فابدع وأسـكر فـاترع وخضر بمشاعره فاينع .

رحمه الله رحمـة واسـعة ، والهم الدارسين أن يتوفـروا على دراسـة نتاجه الممتاز ، الذى يستحق كل احتفاء وتقدير .

جليلة رضـا
عضـو لجنة الشعر بالمجالس القـومية المتخصصـة

فى الدوائر العروضية

للدكتور يوسف حسن نوفل

ابتكر الخليل بن أحمد الفراهيدى (١) الدوائر العروضية الخمس متضمنة بحور الشعر العربى فى نظرية فنية متكاملة فى موسيقى الشعر العربى ، قائمة على استقصاء شامل وحصر دقيق لموازين الشعر المستنبطة من تراثنا الأدبى ، فحفظ لشعرنا العربى تقاليده الموسيقية التى تكفل له التميز والبقاء .

والحق أن ملكات هذا العالم الجليل لم تتوقف عند فن أو علم . بل تعدت ذلك الى التنوع بين اللغة والنحو ، والصرف ، والعروض ، والمعاجم ، والموسيقى ، والنغم ، والايقاع ، كما يبدو من تأمل أسماء مصنفاته ، وكما اشتهر بمعجم (العين) ، اشتهر باستنباط العروض ، ووضع رموز الشكل والحركات ، كما يذكر أبو الحسن بن كيسان نقلا عن المبرد (٣) ، وبلغ من علمه قدرا جعل ابن المقفع يقول عنه :

« رأيت رجلا عقله أكثر من علمه » (٤) . وقد جمع الى ذلك أوصافا يذكرها

(١) هو الخليل بن احمد بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الفراهيدى الازدى ، ولد فيما يعرف الان بعمان على شاطىء الخليج العربى سنة ١٠٠ هـ ، وتوفى سنة ١٧٥ هـ (وقيل سنة ١٧٠ هـ ، و سنة ١٧٤ هـ) ، وقد نشأ بالبصرة ونما فيها غلاما فطالب علم فعالما فشيخا ، لذا لقب بالبصرى ، وهو من أصل عربى ، وليس من الموالى كأستاذه أبى عمر بن العلاء ، وتلميذه سيبويه .

(٢) يشك بعضهم فى نسبته اليه .

(٣) هامش انباه الرواة ص ٣٤٢ .

(٤) نفسه ص ٣٤٥ ، وانظر قصته مع ابنه الذى ظن به الجنون حيث رآه يقطع بيتا (نفسه ص ٣٤٢) .

المؤرخون منها : الذكاء ، والفطنة والكرم العلمى ، والزهد والورع ، والمنزلة بين العلماء ٠

ابتكر الخليل (٥) وضعا يفى بمنهجه الاحصائى لبحور الشعر المستعملة عند العرب ، وجمعها فى خمس دوائر وجعل ذلك قائما على « الفك » أى استخراج بحر من آخر بترك مافى أوله من « سبب » أو « وتد » ليكون بحرا ثانيا وهكذا ، حتى يقف الدارس على البحور المستعملة والمهملة فى هذه الدوائر ٠

وهى طريقة لو أحسنا تبسيطها للناشئة لسهل الدرس العروضى ، وزال عنه ما يشيع من غموض ٠

(٥) اقرأ عن الخليل (على سبيل المثال لا الحصر) :

اخبار النحويين البصريين ، لابى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى الكاثوليكية ، بيروت ٠

وانباه الرواة على انباه النحاة ، لجمال الدين القفطى ، ت محمد أبو الفضل ابراهيم ط ١ ، دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ ٠

نعية الوعاة للسيوطى جـ ١ ص ٥٥٧ ٠

تهذيب الاسماء واللغات للنووى ، جـ ١ ص ١٧٧ ٠

الحروف للخليل ، ت د٠ رمضان عبد التواب ، جامعة عين شمس ١٩٦٩ ٠

غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين الجزرى ، المثنى ، بغداد جـ ١ ص ٢٧٥ ٠

المعارف لابن قتيبة ، ط ١ ١٣٥٣ هـ ، ١٩٤٣ ـ القاهرة ٠

نزهة الالباء فى طبقات الادباء لابن الانبارى ـ محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر ، ص ٤٦ ٠

وفيات الاعيان لابن خلكان دار الثقافة ، بيروت جـ ٢ ص ٢٤٤ وغيرها مما لا يكاد يحصى من مصادر قديمة ٠

وقد لا نجنى كثير فائدة من ذكر ما ساقه المتقدمون تعليلا لتسمية البحور ، وتعليلا لتسمية الدوائر على نحو فيه افتعال غير مقنع ، فقد أخذ الخطيب التبريزى فى ذلك فى (الكافى) (٦) ، وكذلك ابن جنى فى (العروض) (٧) ٠ أما صاحب المعيار ، فكفانا مئونة التعليل للتسمية ٠

وقد لا يشغل الباحث باختلاف الترتيب فى ذكر الدوائر ، اذ نراها لدى التبريزى ، وابن جنى هكذا : المختلف ، فالمؤتلف، فالمشتبه فالمجتلب ، فالمتفق ٠

بينما نجد الترتيب عند الشنتريني فى (المعيار) (٨) هكذا : المتفق ، فالمجتلب ، فالمؤتلف ، فالمختلف ، فالمشتبه اذ يعلل كل منهم لذلك الترتيب ، من ذلك قول الشنتريني : « فهكذا كان ينبغى أن ترتب الدوائر فيبدأ بدائرة الخماسى ، ثم دائرة السباعى ، ثم المركب منهما ، غير أن الخليل قدم ماكثر استعماله ، وزادت حروفه أو حركاته ، والكل قد اجتهد فيما اليه قصد ، وعليه اعتمد » (٩)٠

وقد صاغ القدماء جملتين لضبط طريقتين

(٦) الخطيب التبريزى ، الكافى فى العروض والقوافى ، ت الحسانى حسن عبد الله ، المدنى ، القاهرة ص ٥٠ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٢٩ ٠

(٧) أبو الفتح عثمان بن جنى ، العروض ، ت د٠ حسن شاذلى فرهود ط ١ ، دار القلم ، بيروت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ ص ٤٢ ـ ١٠٠ ٠

(٨) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج الشنتريني الاندلسى ، المعيار فى أوزان الاشعار ، ت د٠ محمد رضوان الداية ، دار الملاح ط ٣ ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ ص ١٦ ـ ٢١ ٠

(٩) نفسه ٠

للترتيب ، فجملة هى (خف لشق) ، أى : المختلف ، فالمؤتلف ، فالمجتلب ، فالمشتبه ، فالمتفق . وجملة أخرى هى (خف شلق ، باختلاف ترتيب المشتبه والمجتلب .

وكما اختلف القدماء فى الترتيب اختلفوا فى مضمون دائرتين هما : المجتلب والمشتبه !

ويبدو هذا الخلاف بين المعيار والكافى (١٠).

وقد ترتب على هذا الخلاف فى الترتيب والمضمون اضطراب فى رسم الدوائر التوضيحية فى هاتين الدائرتين ، اذ نجد فى كتاب (العروض) رسما لدائرة المشتبه محتويا مضمون دائرة المجتلب .

ويقول أسفل الرسم (١١) بالنص !

« وهذه الدائرة الثالثة سميت دائرة المشتبه » ، ثم يذكر بحورها : الهزج ، والرجز ، والرمل ، بينما نجد الرسم المسمى بدائرة المجتلب (١٢) محتويا البحور الثلاثة السابقة ويذكر بحورا أخرى تبدأ بالسريع . أى أن محتوى الرسم فى الدائرة لم يتطابق مع التعليق عليها ، والتغير الذى حدث يرجع الى وضع الرسم ، وضرورة مطابقته التعليق ، ليستقيم العرض ، وذلك باحلال كل رسم من الرسمين محل الآخر .

والحق أن اختلاف ترتيب الدوائر ، ثم اختلاف مضمونها بين عالم وآخر يؤدى الى اللبس لدى بعض الدارسين ، وبخاصة الناشئة ، اذ انعكس هذا الاختلاف فى الترتيب على بعض الدراسات المعاصرة ، وأصبح من المهم النظر الى أساس نظرية الدوائر ، ومضمون كل دائرة بصرف النظر عن اسمها ، وهذا لا يشغلنا عن التنويه بضرورة تصحيح رسم الدائرة فى كتاب (العروض) لابن جنى فى طبعته المشار اليها منعا للاضطراب الذى قد يخفى على الناشئة .

د/ يوسف حسن نوفل

---

(١٠) يذكر صاحب المعيار البحور المستعملة لدائرة المجتلب : الهزج ، والرمل ، والرجز ، والبحور المستعملة لدائرة المشتبه : المضارع ، والمقتضب ، والمجتث ، والسريع ، والمنسرح ، والخفيف (ص ١٦ ـ ٢١) .
بينا يذكر صاحب الكافى العكس (ص ٩٢ ، ١٢٦) .

(١١) العروض ص ٧٥ .

(١٢) نفسه ص ٩٩ .

■ طابا بأرض سيناء ..
هل هى جزء من مدين ؟

دراسات سياسيّة

■ صانعو السياسة
البريطانية فى المشرق العربى

صانعوا السياسة البريطانية

فى المشرق العـــربى

ان موضوع « صانعى السياسة » ــ حتى ولو كان فى فترة محدودة ، وبالنسبة « لحكومة معينة » ــ لموضوع صعب ودقيق • خاصـــة بالنسبة لباحث مصرى عن صانعى السياســة البريطانية • فهو موضوع يلائم باحثا بريطانيا ملاءمة أكثر •

ولكن الذى خفف من هذه الصـــــعوبة أن الموضوع متعلق بمنطقتنا •

ومن ناحية أخرى ، فان الوثائق والمصادر التى استندت اليها لا تمثل كل ما يجب أن أطلع عليه للتعرض لمثل هذا الموضوع فهناك فى دور الوثائق البريطانية وهناك من الاوراق الخاصة للساسة الانجليز ومذكراتهم ما هــو بعيــد عن متناول أيدينا ، ومع ذلك فهذه محاولـــة متواضعة لعرض هذا الموضوع •

اذا ألقينا نظرة سريعة على أولئك الــذين أسهموا فى وضع السياســـة البريطانية ازاء المشرق العربى فيمكن أن نصنفهم على أسس مختلفة :

(أ)منهم من يوجه الامور من برجه العالى الذى يطل منه على المسرح العالمى وينظر اليه بعين بريطانية من أمثال لويد جورج وبلفور •

(ب) ومنهم من كان يوجه الســياسة من قاعدة سياسية خارج المشرق العربى ولكن على علاقة أوثق بوزارة الخارجية البريطانية مثــل المعتمد البريطانى ورجاله فى القاهرة •

(جـ) ومنهم من كان يدبر أمور السياســة البريطانية ازاء المشرق العربى من خارجه دون أن تكون لديه صورة واضحة عن المسرح العالمى مثل حكومة الهند (هاردنج) •

ومنهم من كان يعمل فى قلب المشرق العربى، بعضهم متأثر بالمصالح الهندية البريطانية مثل ولسون وبعضهم متأثر بالمصــالح البريطانية العربية مثل لورنس واللنبى وفيلبى وبل •

ويمكن أن نقسم صانعى السياسة البريطانية فى المشرق العربى الى عدة مستويات عــلى النحو التالى :

للأستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار

(أ) المستوى الاول

- **لويد جورج ٠**
- **بلفور ٠**
- **تيرزون ٠**
- **كنشنر ٠**
- **تشرشـــل ٠**
- **منتاجو ٠**

(ب) المســـتوى الثانى

وينقسم الى قسمين

- **مكما هون ٠** Mcmahon
- **اللنبى** Allenby
- **ويلســـون ٠** Wilson
- **كوكس ٠** Cox
- **وينجت ٠** Wingate

(جـ) المســـتوى الثالث

- **لورنس ٠** Lawrence
- **مس بل ٠** Mais Bell
- **فلبيى ٠** Philby
- **هوجارث ٠** Hogarth
- **ستورز ٠** Storse

وفوق هؤلاء وهولاء البرلمان البريطانى ، وحكومة الحرب البريطانية والى جانب اولئك المشار اليهمهناك العديد ممن لعبوا أدوارا لها قيمتها فى توجيه ووضع السياسة البريطانية من أمثال هرتزل،ديكسون،وويلسون — غنصل جدة وادموندز فى كردستن ، وكيركيرايد ٠

ولكن ادوارهم كانت ثانوية ٠

وفى هذا البحث سنعنى برجال الصف الثانى من صانعى السياسة خلال الحرب العـــالمية الأولى ، وقد عنينا بهم لأسباب :

أولا : لم تكن هناك سياســـــة بريطانية واضحة ازاء المنطقة ، فلقد كانت الخطوات العسكرية لمواجهة دخول تركيا الحرب وتحركها ضد معاقل ومناطق النفوذ البريطانى فى المشرق من الامور المتفق عليها ولكن دون أن تكـــون هناك سياسة محددة نحو مســـتقبل المشرق العربى ٠

ثانيا : ان رجال الصف الثانى — فى غياب سياسة بريطانية — محددة وضعوا مخططـــات أحيانا متناقشة وأحيانا أخرى متضاربة ٠

ان الغالبية العظمى من اولئك الانجليــــز المسئولين عن السياسة البريطانية فى المشرق العربى والذين كانوا يقيمون فيه خلال الحرب العالمية الاولى كانوا قد زاروه أو عاشـــوا فيه لفترات ليست بالقصيرة جعلتهم على دراية مسبقة بأحوال البلاد وغالبيتهم العظمى كانوا من الرحالة والمدققين فى أوضاع المجتمـــع والاقتصاد ٠

كما كانت أغلبيتهم العظمى أيضا تتكلم اللغة العربية وتعرف الكثير عن آثار البلاد القديمـــة

وتاريخها الوسيط والحديث وتوزيع السكان والثروة والمستوى الثقافى .

كذلك فان كثيرا منهم كانوا على علاقات وثيقة مع شيوخ العشائر والامراء فى المنطقة الأمر الذى ساعدهم على التعامل مع هؤلاء.

ومن أبرز أولئك الذين كانوا على هذا المستوى العالى من المؤهلات اللازمة للعمل فى البلاد العربية لورانس Lawrence وبل Bell, وكوكس Cox, وكلايتون Clayton وهاوجارت Hogarth

كذلك فان غالبيتهم العظمى كانت تعمل فى السلك العسكرى البريطانى ، وهذا يؤكد أن الاهداف العسكرية كانت فى المرتبة الأولى ، ولقد لاحظنا فعلا أنه كانت توجد خطة عسكرية بريطانية شاملة ازاء المشرق العربى بينما لم نعثر على خطة سياسية شاملة مقابلة .

ومن هؤلاء المسئولين الانجليز فى المشرق من كان قد استهوته الحضارة الاسلامية والبيئة العربية ، واستطاع أن يتغلب على كبريائه الأوربى لعوامل نفسية فى داخل ذاته ليعيش حياة البداوة . فى أول الامر وكان ذلك وسيلة للوصول الى قلوب الشيوخ العرب لتحقيق أهداف بريطانيا ، ولا شك أن « بل » و « لورانس » كانا ، من هذا النوع ، أما فيلبى فقد استهوته الحياة العربية ، حتى تحول الى مسلم يعبد الله ، ولا ندرى أى الرأيين هو المصيب هل ظل يخفى حقيقة هدفه وهو خدمة بريطانيا حتى بعد اسلامه ونسكه أم أنه كان صادقا فى اسلامه .

وهناك من رأى أن هذه المخاتلة هى التى نمت فى ابنه روح الخيانة لوطنه حتى تحول الى جاسوس للسوفييت ضد بريطانيا .

ومن هؤلاء المسئولين الانجليز من كان على صلف وكبرياء شديدين ليس ازاء العرب فقط ، بل ازاء الاوربيين كذلك .

المنجهية البريطانية

ولقد كان هاردنج وويلسون من طراز واحد اذ كانا يمثلان الانجليزى المتغطرس المتعالى الذى يحتقر العربى وينظر اليه على اعتبار أنه انسان غير جدير بالافادة من منجزات العصر الحديث الا بعد طول خدمته لمصالح الامبراطورية البريطانية وان معاملة العرب يجب ان تقوم على أساس (العصا والجزرة) (١) .

(١) اى خدم الافندية ـ مجلة الازهر .

وأيا كانت مكانة هؤلاء الموظفين البريطانيين المدنيين والعسكريين فى المشرق العربى ، فكيف يمكن أن نصف ايا منهم بأنه واضع سياسة أو صانع سياسة على اعتبار ان حكومة الدولة الام هى المسئولة عن وضع السياسة ليصبح هؤلاء منفذين لها فى المشرق العربى • الواقع ونكرر مرة أخرى ، أنه لم تكن هناك سياسة بريطانية واضحة ازاء المشرق العربى خلال الحرب العالمية الأولى •

فلماذا لم تكن هناك سياسة محددة ؟

وما أدلة عدم وجود سياسة محددة على غير المألوف ؟

١ ــ فطول المسافة بين المشرق ولندن كان يؤخر المكاتبات فتنقضى فترة ليست بالقصيرة خاصة اذا عرضت المكاتبات على لجان متخصصة تضطر المسئولين فى المشرق الى اتباع سياسة معينة لحين وصول الرد • ولقد اتضح من مراسلات ويلسون ــ الذى جاء كوكيل للمسئول السياسى فى العراق عقب نزول الحملة البريطانية اليه أنه تعب من تكرار مطالباته للحكومة البريطانية بتوضيح سياستها ازاء ــ ح ــ العراق الذى احتلته القوات البريطانية خلال الايام الاولى من الحرب ولكن لم يصله الرد •

٢ ــ ان المكاتبات لا تفيد فى فهم المقصود بدقة ، فيمكن فهم النص بطريقة قد تختلف عن الهدف الذى يرمى اليه ، الامر الذى يزيد من طول فترة المراجعات والمناقشات عبر البريد ، ويكون فى هذا فرصة لرجال الصف الثانى لوضع السياسة التى تروق لهم والتى قد لا تكون مقبولة من وزارة الخارجية البريطانية وهذا ما صور لنا ويلسون وهذا ما حدث فى العراق خلال الحرب العالمية الاولى •

٣ ــ نظرا لامكانيات المسئولين الانجليز فى المنطقة من حيث الاتصال المباشر بالزعامات العربية هناك ، ونظرا لان معلومات هؤلاء المسئولين عن أحوال المنطقة أكثر وأعمق ، ولأن الاحداث تصل أنباؤها اليهم فى سرعة كبيرة استخدم رجال الصف الثانى هذه الميزات لفرض وجهات نظرهم على الزعامات العربية أو دفعهم الى السياسة التى تخدم مصالح بريطانيا أولا وحلفاءها ثانيا • وهذا ما حدث فعلا فى العراق كما سنرى •

كانت نتيجة كل هذا امكانية وجود سياسة معينة يضعها مسئول بريطانى فى العراق مثلا لا تتمشى مع سياسة وزارة الخارجية البريطانية أو أن تصدر الأخيرة تعليمات اليهم لا تتفق مع السياسة التى وضعوها ، ونظرا لتعدد الجبهات المسئولة عن السياسة البريطانية فى المشرق مثل وزارة المستعمرات ، ووزارة الهند ، وحكومة الهند ووزارة الحرب البريطانية ، المعتمد البريطانى فى القاهرة ، كل هذا فضلا عن (الخارجية البريطانية) قد أظهر مخططات متعددة ومتضاربة • وظهرت اقتراحات ، واقتراحات مضادة حيث ان كل طرف ينظر الى الموضوع من زاويته ، مما يترتب عليه فى بعض الظروف أن نجد ، أحد السياسيين يغير موقفه بسرعة

المذكرات والمذكرات المضادة

ثم هناك ذلك السيل من المذكرات، والمذكرات المضادة التى تكتب فى موضوع معين ، كمشكلة الموصل مثلا ، واعتقدت فى أول الامر ان قصورى فى مراجعة كافة الوثائق هو الذى أوقعنى فى هذه الحيرة ، حتى قرأت كتاب • Busch: Br., Inet., and the Persian Young الذى لستخدم كافة الوثائق التى تبحث فى السياسية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى فذكر نفس الحقيقة وهى أن الجدل طويل ومرهق ، ومع هذا لم يصل المسئولون البريطانيون الى قرار محدد ازاء العديد من القضايا ولم تصدر سياسة بريطانية محددة متفق عليها من كافة الاجهزة المعنية بالمشرق العربى •

النزاع بين الجهات المتعددة اصله

ومن المعروف لدينا أنه كان هناك نزاع بين حكومة الهند ووزارة الخارجية البريطانية حول تحديد سياسة معينة لبريطانيا ازاء المشرق العربى ، فما هى الأصول الاولى لهذا النزاع ؟

فى اعتقادى ان التطورات التى صاحبت التغلغل البريطانى فى المشرق العربى منذ مطلع القرن السابع عشر بصفة خاصة قد وضعت أساس هذا النزاع فقد تغلغل الانجليز فى شمال المشرق العربى من جهة البحر المتوسط ، فكان طبيعيا ان يكون المسئول عن مصالح بريطانيا فى تلك الجهات هو وزارة الخارجية البريطانية .F.O وتغلغل الانجليز فى شرق وجنوب المشرق العربى من قواعدهم فى الهند فكان طبيعيا ان تتولى حكومة الهند ووزارة الهند .I.O مسئولية السياسة الانجليزية وتخطيطها فى هذه الجهات • واستمر هذا الحال لعدة قرون دون وقوع خلافات جوهرية حتى اذا ما وقعت الحرب العالمية بلغت هذه الخلافات ذروتها •

ولكن بتتبع الجهات التى يتبعها أى من المسئولين عن توجيه السياسة البريطانية فى المشرق العربى نجد أن للخارجية البريطانية النصيب الاكبر وقلة قليلة كانت تتبع حكومة الهند ، وحتى أولئك الذين كانوا يمتون الى حكومة الهند كانوا مرتبطين بشكل أو بآخر بالخارجية البريطانية •

ردكليف ينفذ خطة لاقامة حرب على روسيا

هل كانت الدوائر السياسية البريطانية خلال مختلف القرون السابقة على مثل هذا التضارب فى البرامج على ذلك النحو الذى نشاهده ازاء العرب خلال الحرب العالمية الاولى ؟

هناك أمثلة على مثل هذه المواقف المتضاربة بين وجهة نظر الحكومة ووجهة نظر ممثليها

فيما وراء البحار ، وهذا أمر طبيعى فى كثير من الاحيان ينتج عن أن المسئول البريطانى فى موقعه يرى الامور بأفق أضيق من ذلك الذى أمام الحكومة فى لندن .

ومما زاد من وضوح الخلافات بين حكومة الهند والخارجية البريطانية F.O. خلال الحرب العالمية الأولى ان حكومة لويد جورج (١٩١٦ – ١٩٢٠) اتهمت بأنها وضعت الامور السياسية فى يد « البيروقراطية البريطانية » ، فسمحت هذه « البيروقراطية » (١) لكل ذى رأى من رجال الصف الثانى أن يعمل على فرض رأيه ووضع سياسته الخاصة موضع التنفيذ ، ولا شك أن ظروف الحرب هى التى ساعدت على ظهور هذه الحالة الفريدة غير المعتادة فى للتاريخ الانجليزى .

عدم وجود سياسة عامة محددة جعلت كل واحد صانع سياسة

ومن المعتاد ان يعثر الباحث بسهولة على الخطوط الرئيسية لسياسة دولة كبيرة ازاء منطقة حساسة مثل المشرق العربى ، ولكن الحقيقة هى ان المشكلة الكبرى التى واجهت السلطات البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى فى العراق بصفة خاصة هى عدم وجود سياسة محددة بريطانية ازاء العراق بصفة خاصة والمشرق بصفة عامة ، فاتخذ المسئولون الانجليز فى المشرق سياسات متعددة الامر الذى أعطى الفرصة لهؤلاء المسئولين الانجليز فى المشرق لكى يصبح كل منهم صانعا لسياسة بريطانية يتفق معه فيها بعض زملائه ويختلف معه آخرون .

تعدد الاطراف المشتركة فى توجه سياسة المشرق

ولكى نصور ضخامة المشكلة ، نشير الى أنه اذا كانت الخلافات قبيل الحرب العالمية الاول قاصرة على وزارة الخارجية البريطانية F.O. ووزارة خارجية الهند I.O., فقد دخلت أطراف عديدة بريطانية أخرى على نفس هذه المستويات العالية حلبة التوجيه السياسى وتحملت مسئولية وضع القرار ونعنى بذلك : وزارة الحرب W.O. ووزارة المستعمرات C.O., والسلطات البريطانية فى البصرة ثم بغداد والسلطات البريطانية فى القاهرة وعلى رأسها المعتمد البريطانى وزادت المشكلة تعقيدا بتأسيس المكتب العربى Arab Beureau

خطة عسكرية لا تقابلها خطة سياسية

ولقد أجلت الخارجية F.O. عمدا توضيح سياستها أزاء العراق ، حقيقة كانت هناك

(١) تعنى الكلمة : سلطة المكاتب ، اى التحكم الادارى فى الجمهور باسم السلطة التى يملكها الموظف مما يترتب عليه توقف مصالح الناس ..

سياسة عسكرية محددة واضحة فى المشرق العربى يمكن أن تختصرها بأنها القضاء على القوة العسكرية التركية ، ولكن لم تكن فى مقابل ذلك خطة سياسية تحدد طريقة ادارة البلاد المفتوحة حديثا مثل جنوب العراق أو تحدد مستقبل هذه البلاد هل ستصبح مستعمرات ؟ هل ستصبح محميات ؟؟ هل تقام فيها ادارة مباشرة بريطانية أم ادارة وطنية تحت السيطرة البريطانية أم ادارة وطنية فقط ؟ كل هذا لم يكن واضحا •

« طول الفترة اللازمة لوصول الرد »

ولقد أدرك المسئولون الانجليز فى البصرة منذ أوائل الحرب العالمية الأولى هذه المشكلة وكتبوا كثيرا ولفترة طويلة عنها ولم تكن المشكلة فى عدم وصول « الرد » فقط ، بل قد يصلهم بعد مرور فترة من الوقت تكون فيه الخريطة السياسية والعسكرية قد تغيرت بسبب أن الفترة كانت فترة حرب تحدث فيها التغيرات بسرعة كبيرة لا تتناسب مع الفترة التى تقضيها الرسالة ذهابا الى لندن وعودة منها • وهذه الحقيقية أكدها ارنولد ويلسون فى مؤلفاته وأوراقه •

لاتنسيق بين وزارة الخارجية البريطانية F.O., ووزارة الهند I.O. •

ولقد كانت هناك الاوامر والتعليمات التى توجه من حكومة الهند ومن وزارة الهند الى المسئولين الانجليز عن الحملة فى العراق ولكن هذه الاوامر كانت تصدر دون ان يكون هناك تنسيق بين وزارة الهند I.O. ووزارة الخارجية البريطانية F.O., •

ولقد أبرز « ستوز » هذه الحقيقة حين انتقد المسئولين الانجليز الكبار من حيث أن احدا منهم لم يعن لفترة طويلة لا بالتنسيق بين وزارة الهند I.O. والخارجية البريطانية F.O., ولا حتى بين حكومة الهند والقاهرة وهما أقرب سلطتين بريطانيتين من المشرق العربى • فقد قال ويلسون فى معرض حديثه عن اتفاقية « سيكس — بيكو » •

We have the slightest information about the Sy. — picot Agr. (١)

« تشكيل اللجان لم يؤد الى وضع سياسة »

ولقد اهتمت الحكومة البريطانية بتشكيل لجان متخصصه تسعى الى تحديد سياسة

(١) لدينا اقل المعلومات عن اتفاقية « سيكس ربيكون » — مجلة الازهر •

بريطانية واضحة ازاء المشرق ، وحتى دخول بريطانيا فى مفاوضات لتقسيم الدولة العثمانية لم تكن هذه اللجنة قد وصلت الى قرار بعد ، ودخلت بريطانيا فى مفاوضاتها مع روسيا دون ان يكون لديها مثل هذه السياسة المحددة .

العراق أشد المناطق احساسا بعدم وجود سياسة

وهناك عوامل ساعدت على عدم وضع سياسة بريطانية محددة ازاء المشرق العربى وخلال الحرب العالمية الاولى خاصة بالنسبة للعراق . ونحن سنركز على العراق لسبب جوهرى وهو أنه كان مجال الصدام بين المسئولين الانجليز بشكل واضح بينما كانت سياسة بريطانيا ازاء بقية المناطق — مثل « شريف مكة » ، واليمن والادريسى واضحة الى حد كبير ولا تثير خلافات ، أو اذا كانت هناك خلافات فقد استطاعت الخارجية البريطانية وسلطات القاهرة أن تفرض رأيها حتى لو لم تكن حكومة الهند راضية عنه .

فحكومة الهند كانت ضد فكرة اشعال ثورة عربية يتزعمها الشريف حسين ولكن سارت الامور حسب الخطة التى وصفها كتشنر وحكما هون . F.O.

وأما صدى هذه الثورة فى العراق فهو الذى أثار الكثير من الجدل والخلاف بين وزارة الهند I.O. والخارجية البريطانية ,.F.O.

ونظرا لأن عبد العزيز بن سعود كان يتعامل مع سلطات الانجليز فى العراق وكان موقفه على جانب كبير من الاهمية ازاء الحسين والعراق ، أى انه كان بين منطقتى نفوذ وزارة الهند I.O. والخارجية البريطانية ,.F.O فقد دار جدل شديد حول السياسة التى يجب أن تتبع نحوه .

وقيمة جبهة العراق كانت أمرا مختلفا عليه بين وزارة الهند I.O. والخارجية البريطانية ,.F.O فجبهة العراق من وجهة نظر الخارجية البريطانية F.O. كانت جبهة ثانوية لا تحسم الحرب ، ولكن بالنسبة للهند يراها هاردنج جبهة على جانب عظيم من الأهمية .

وقد طالب هاردنج بالحد من استنزاف القوى البشرية والمادية والعسكرية الهندية فى الجبهات الاوربية وتركيز الجهد العسكرى الهندى فى التوسع فى العراق . وهذا ما كان تعارضه الخارجية البريطانية . F.O.

ومنذ الاشهر الاولى من وقوع الحرب العالمية الاولى بدت حكومة بريطانيا وكأنها أمام معضلة لا تستطيع ابداء الرأى فيها بسرعة ، وهى أن الظروف الاستراتيجية تفرض عليها فرضا — بعد اعلان تركيا الحرب أن تبعث بقواتها الى العراق للأسباب المعروفة وهى بترول عبادان وحماية الكويت — ووقف تيار الانضمام الى حركة الجهاد ... الخ .

هذه الضرورة العسكرية واجهها عامل مناقض وهو هل الوقت مناسب للاستمرار فى سياسة التوسع الامبريالى ؟ أم أن الرقعة اتسعت على بريطانيا بحيث يصير أى توسع جديد خطرا عليها .

لهذا شكلت الحكومة البريطانية لجنة على مستوى عال عرفت بلجنة «بنسن Bunsen» فدرست الموضوع وأصدرت توصياتها بأن الأجدى للحكومة البريطانية أن تقتصر على عملية تقويم أطراف الامبراطورية وعدم الاقدام على أى توسع جديد وكان من أنصار هذا الرأى كل من « هنرى ولسون » رئيس الهيئة الامبراطورية العامة الذى دعا الى التمسك بما هو تحت يد بريطانيا فعلا و « هوجارث » أحد المسئولين الانجليز فى القاهرة الذى كان يرى أن الامبراطورية وصلت الى ذروة اتساعها .

وعندما تمت هذه الخطوة ، خطوة السيطرة على « البصرة » ، بدأت المشكلات تظهر بين الخارجية البريطانية F.O. ووزارة الهند I.O. فلم تتحدث تعليمات الخارجية البريطانية عن مستقبل هذه المنطقة .

هل ستصبح مستعمرة بريطانية أم ماذا ؟ فعلى ضوء هذه السياسة يمكن أن توضع سياسة ادارية تخدم هذا الهدف .

وكان من الطبيعى أن تتطاير المقترحات وأن يدلى كل مسئول بدلوه ، ويحاول أن يضع هو بنفسه سياسة بريطانية فى المنطقة تختلف عن سياسة الخارجية البريطانية F.O. مما أدى الى منازعات حول السياسة الصحيحة بين أكثر من طرف مسئول .

ولقد بدأ النزاع بين هاردنج والخارجية البريطانية F.O. فى أعقاب نشوب الحرب ضد تركيا مباشرة وذلك عندما قامت الطائرات البريطانية بالقاء منشورات على الحجاز تقول:

ان بريطانيا لن تستولى على شبر من الأراضى العربية ، على اعتبار أن مثل هذا المنشور يتنافى مع السياسة التى سبق واتخذها ويلسون وشرع فى تنفيذها فى جنوب العراق تلك

السياسة التى تقضى بأن يكون احتلال هذه المنطقة احتلالا بريطانيا دائما وانه فى المستقبل سيتحول جنوب العراق الى مستعمرة بريطانية.

وأسرع هاردنج الى اخطار الخارجية البريطانية F.O. بأن البصرة ليست من البلاد الداخلة فى شبه الجزيرة العربية واذا كان هذ صحيحا فقد دفع ويلسون بهذا المفهوم فيما بعد الى مستوى آخر حين قال : ان العراق برمته لا يمت الى البلاد العربية .

ثم صرح هاردنج بأن بريطانيا لن تغادر البصرة ، وفتح بذلك الباب أمام تخريجات جديدة فقال كوكس المسئول السياسى فى العراق أنه اذن احتلال دائم Permanent occupation، وأطلق هرتزل

الذى سيصبح بعد قليل مساعد وكيل وزارة الهند – احتمال تطبيق سياسة الضم Annexation وآخذت سياسة الضم تستهوى بعض كبار المسئولين عن سياسة بريطانيا فى العراق – وبوجه خاص – ارنولد ويلسون – الذى كان يشغل منصب (١) Deputy of Civil Commussioner in Mesop. وخشى « ادوارد جراى » من أن يتجه هؤلاء المسئولون الى سياسة الضم لأن بريطانيا سبق لها ان ضمت قبرص وأعلنت الحماية على مصر ، فاذا ضمت البصرة – وبمعنى آخر – جنوب العراق – فان ذلك سيثير غضب حليفتيه فرنسا وروسيا اللتين فقدتا الكثير من أراضيهما العزيزة أمام الألمان •

وبعث جراى بتعليمات تقول : انه يرى ان الاحتلال المؤقت Provisional Occup. هو سياسة بريطانيا • وكان هذا التعبير المائع على غير هوى « ويلسون» بالذات فتجاهل هذه التعليمات وفضل أن يسير فى سياسة الضم ويدافع عنها بطريقة أو بأخرى •

وقال : ان الهند يجب ان يكون لها مستعمراتها التى تخفف عنها حدة المشكلة السكانية التى تعانيها عن طريق تهجير الهنود الى العراق وبذلك يهند جنوب العراق ويصبح قاعدة بريطانية لا تزول وهكذا كانت هناك سياسة تتخذها حكومة لندن وأخرى

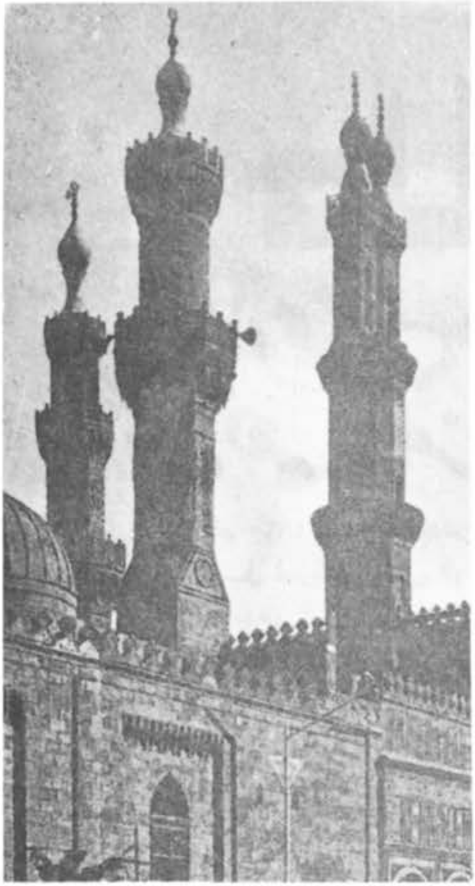

يطبقها مسئولو بريطانيا فى العراق التابعون لحكومة الهند •

وخطا ويلسون خطوات كبيرة فى تحقيق هدفه الخاص بأن يظل الحكم البريطانى فى جنوب العراق أبديا فقد كان هذا هدف الادارة التى انشأها ويلسون لتحل محل الادارة العثمانية •

وقد يبدو أن ويلسون هو صاحب سياسة تهنيد العراق •

يتبع

د/عبد العزيز سليمان نوار
وكيل الدراسات العليا جامعة عين شمس

---

(١) اى نائب المندوب السامى – مجلة الازهر

طابا بأرض سيناء

هل هى جزء من مدين ؟

فى خلال عام ١٨٩٠ ميلادية حضر الى مصر رجل اسرائيلى ينتمى الى الدولة الألمانية يدعى (بول فريدمان) واتصل بسلطات الاحتلال البريطانى فى القاهرة وأبلغها بنيته فى الهجرة الى سواحل خليج العقبة ولم يمانعه الانجليز فى تحقيق تلك الرغبة .

لذلك عاد فى أواخر العام التالى سنة ١٨٩١ مع عشرين من اليهود الالمان والروس ونزلوا جميعا على ساحل الخليج المذكور واشتروا أرضا فى ناحية (المويلح) مع أن قوانين الدولة العثمانية كانت لا تبيح بيع الأراضى للأجانب فى شبه جزيرة العرب .

ولقد انبرت الصحف المصرية فى ذلك الوقت الى التنبيه للخطر الاسرائيلى أو اليهودى (كما غلب على تسميتهم) القادم من أوربا مما أثار الحكومة العثمانية فاتخذت الاجراءات الآتية : —

أولا : طرد الاسرائيلى فريدمان وجماعته من منطقة خليج العقبة كلها .

ثانيا : سلخ الأراضى التى كانت تديرها مصر شرق خليج العقبة وهى « ضبا » « والمويلح » والعقبة طبقا للفرمان الصادر فى يونيه سنة ١٨٤١ الى « محمد على » والى مصر وقتئذ .

ثالثا : انتزاع شبه جزيرة سيناء كلها من السيادة المصرية .

فزع الحكومة البريطانية من اقتراب الدولة العثمانية من قناة السويس :

ولقد فزعت الحكومة البريطانية من الاقتراب العثمانى من قناة السويس مما يهدد وقتئذ شريان الامبراطورية البريطانية الحيوى فقامت تلك الحكومة باجراء ضغط دبلوماسى بريطانى عنيف على الحكومة العثمانية مما جعل السلطان العثمانى يترك

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

سيناء لمصر بعد ان كانت نيته تتجه لضمها الى ولاية الحجاز وكان ذلك بموجب برقية أرسلها جواد باشا الصدر الأعظم فى تركيا بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ الى خديوى مصر عباس حلمى الثانى أثر توليه حكم البلاد بعد وفاة والده الخديوى محمد توفيق •

ـ وقد وضحتها مذكرة المعتمد البريطانى فى القاهرة بتاريخ ١٣ ابريل من نفس ذلك العام والمرسلة الى « تيجران باشا » وزير الخارجية المصرى وقتئذ والتى أبلغه فيها أن حدود شبه جزيرة سيناء يحدها من الشرق خط يسير فى اتجاه جنوبى شرقى من نقطة قريبة من شرق العريش الى رأس خليج العقبة ، وأن قلعة العقبة الواقعة شرق هذا الخط هى فقط التى سوف تبقى قسما من ولاية الحجاز وقد أبلغت مختلف الدول بمضمون تلك البرقية خصوصا ممثل فرنسا والروسيا فى القاهرة (١)•

اثارة الازمة من جديد سنة ١٩٠٦ :

لما ازدادت عملية مد الخطوط الحديدية داخل الدولة العثمانية وبالذات سكك حديد الحجاز وكان فى النية مد أحد فروعها من « معان » الى « العقبة » رأت الحكومة العثمانية أن الوجود البريطانى فى مصر خطر على هذا الفرع خصوصا وأن جريدة اللواء المصرية التى كان يصدرها المرحوم مصطفى باشا كامل ذكرت فى مقال لها بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٥ أن سلطات الاحتلال البرياطنى فى مصر تعد سيناء لأعمال حربية مهمة ووضعت تصميمات هذه الاعمال وعينت « الكولونيل براملى » قومندانا لطور سيناء •

وأرسل والى سوريا الى الحكومة العثمانية بأن قوات الاحتلال البريطانى ستشارك القوات المصرية فى بناء ثكنات عسكرية فى المنطقة بين « العقبة » « والقسيمة » •

ولما أرسلت الحكومة المصرية قوة يقودها الضابط سعد رفعت لاحتلال طابا النقطة الهامة التى تقع على الساحل الغربى من خليج العقبة على بعد خمسة أميال من قلعة العقبة بحرا وثمانية أميال برا فوجئت بوجود وحدات من الجيش العثمانى تأمرها بعدم النزول فى طابا ولو أدى الامر الى استعمال القوة بحجة أنها تدخل ضمن الأراضى التى تتبع مدينة العقبة وليست ضمن الأراضى الممنوحة لمصر ولذلك فقد قامت القوات العثمانية بالنزول فى طابا واحتلالها وطلبت من القوات

---

(١) كتاب الأصول التاريخية لمسالة طابا دراسة وثائقية تأليف دكتور/يونان لبيب .

المصرية التى تمركزت فى جزيرة فرعون الانسحاب منها (١) •

موقف الحكومة البريطانية :

لم تقف الحكومة البريطانية ازاء الازمة موقف الصامت بل اتخذت الاجراءات الآتية : ـ

١ ـ اجراء ضغط دبلوماسى بريطانى على الحكومة العثمانية بتقديم احتجاج شديد اللهجة على احتلال القوات التركية لطابا وعدم السماح للقوات المصرية بالنزول فيها •

٢ ـ التصاعد بالتهديد السياسى الى حد ارسال السفن الحربية البريطانية الى مكان الازمة فأرسلت البارجة (ديانا) لتبقى فى مدينة السويس واحتمال تقدمها الى مياه خليج العقبة ، وارسال البارجة (منيرفا) لتبقى فى مدينة بور سعيد تحت طلب السلطات البريطانية فى القاهرة •

٣ ـ ثم التقدم بانذار الى الحكومة العثمانية وكان ذلك بتاريخ ٣ مايو سنة ١٩٠٦ لتعيين خط الحدود بين رفح الى رأس خليج العقبة على أساس برقية الصدر الاعظم فى تركيا والمرسلة الى خديوى مصر بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ وتكليف العثمانيين باجلاء قواتهم عن طابا وحدد لهذا الانذار مدة عشرة أيام فقط والا ستكون النتائج وخيمة للغاية •

استجابة الحكومة العثمانية :

وفى ٥ مايو أرسلت الحكومة العثمانية مبعوثا خاصا عنها الى السفير البريطانى فى استنبول تجدد معه تأكيداتها باحترام برقيتها السابقة والمؤرخة فى ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ وانها لا تدعى أى شىء لها غرب خليج العقبة وهى بسبيل تكليف القوات العثمانية بالجلاء عن طابا •

ثم وصلت مذكرة الحكومة العثمانية بتاريخ ١٤ مايو سنة ١٩٠٦ ردا على الانذار البريطانى وفيها :

أولا : توافق الحكومة العثمانية على كل ما جاء فى برقيتها المؤرخة فى ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ الى خديوى مصر •

ثانيا : وأنها قررت الجلاء عن طابا وصدرت الاوامر لتنفيذ هذا القرار •

ثالثا : وأن خط الحدود يمتد من رفح الى

(١) المرجع السابق •

رأس خليج العقبة على بعد ثلاثة أميال غرب قلعة العقبة (١) .

وهكذا كانت أزمة طابا — والتى امتدت من سنة ١٨٩١ حتى ١٩٠٦ — تثور تارة وتخمد تارة أخرى حتى انتهت الى تثبيت حقوق مصر وأنها أرض مصرية لا مجال للجدل فيها .

المطامع الصهيونية فى سيناء :

حاولت الصهيونية العالمية التمركز فى منطقة طابا فى شبه جزيرة سيناء كما قدمنا آنفا فى صدر هذا المقال ولما فشلت محاولاتها سنة ١٨٩١ على يد (بول فريدمان) الاسرائيلى الالمانى عاودت محاولتها مع السلطان العثمانى ثم مع السلطات البريطانية مستهدفة منطقة العريش هذه المرة ، فلقد شددت الصهيونية من ضغطها عليها مما أدى الى ان تعرض بريطانيا على هرتزل ممثل الصهيونية وقتئذ اقتراحا بايفاد بعثة فنية الى مصر لدراسة المنطقة لمعرفة مدى صلاحيتها لانشاء مستوطنات ووصلت البعثة الفنية الصهيونية فعلا الى مصر فى أواخر يناير سنة ١٩٠٣ ومكثت شهرا فى شبه جزيرة سيناء ووضعت تقريرها ، وبناء عليه قام هرتزل باعداد مشروع اتفاق لعرضه على الحكومة المصرية ولكن الحكومة المصرية رفضت قبول المشروع كلية من أساسه (٢) .

الصراع العربى الاسرائيلى وشبه جزيرة سيناء :

لما انهت بريطانيا انتدابها على فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ عبر الجيش المصرى شبه جزيرة سيناء ليشترك مع الجيوش العربية الأخرى فى تحرير فلسطين من الاحتلال الاسرائيلى الا أن نتيجة تلك الحرب كانت مخيبة لآمال العرب فلم يتم لهم النصر وأعلن عن قيام دولة اسرائيل ، واعترفت بها أغلب الدول الاوربية والامريكية ، وأثر ظهور تلك الدولة العنصرية قامت بتشريد الكثير من الشعب الفلسطينى وطرده من وطنه .

ولما تكرر عدوان دولة اسرائيل على مصر سنة ١٩٥٦ ، وسنة ١٩٦٧ حاولت ضم شبه جزيرة سيناء اليها باكملها الى أن قامت حرب العاشر من رمضان الموافق ٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٣م فعبرت القوات المصرية أكبر حاجز مائى وهو قناة السويس واقتحمت التحصينات الاسرائيلية التى عرفت باسم خط بارليف على الضفة الشرقية لقناة السويس وسحقت الجيش الاسرائيلى ولولا استغاثة رئيسة وزراء اسرائيل بالولايات المتحدة الامريكية لنجدتها ومسارعة تلك الاخيرة بمساعدتها بما لديها من مخزون السلاح الاستراتيجى فى ترساناتها الحربية

(١) المرجع السابق .
(٢) كتاب سيناء بين الحرب والسلام أعداد سهير الكرداوى ورجاء الشريف .

لأمكن للجيش المصرى القضاء على تلك الدولة المصطنعة ولأراح العرب والعالم منها ومن شرورها (١) .

معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ :

سارت مصر على طريق السلام بتوقيع تلك المعاهدة بوصفها خطوة على طريق السلام الشامل واسترداد الحقوق الاساسية للشعب الفلسطينى وحق تقرير مصيره بما فى ذلك حقه فى اقامة دولته .

وكان من نتائج المعاهدة المشار اليها تحقيق جلاء الجيوش الاسرائيلية عن سيناء من العريش الى رأس محمد طبقا للمراحل الآتية : ـ

المرحلة الأولى :

تشمل الساحل الشمالى حتى مدينة العريش وسلمت لمصر فى ٢٥ مايو سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الثانية :

تمتد من « رأس سدر » حتى « أبو زنيمة » على امتداد خليج السويس ، وسلمت فى ٢٥ مايو سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الثالثة :

من « أبو زنيمة » حتى « أبو صوير » فى جنوب سيناء وسلمت فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الرابعة :

تمتد من « أبو صوير » حتى « رأس محمد » فى جنوب سيناء سلمت فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الخامسة :

(أ) تشمل منطقة « سانت كاترين » والمناطق السياحية حولها ووضعت تحت السيادة المصرية فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٧٩ قبل شهرين من التاريخ المتفق عليه فى المعاهدة .

(ب) تشمل وسط سيناء ومنطقة المضايق الاستراتيجية سلمت لمصر فى ٢٥ يناير سنة ١٩٨٠ .

(١) كتاب حرب رمضان الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة اكتوبر سنة ١٩٧٣ اعداد لواء حسن البدرى واللواء المجدوب والعميد ضياء الدين زهدى .

المرحلــة الأخيرة :

وفيها تم الانسحاب النهائى لاسرائيل من جميع الاجزاء المتبقية من سيناء وهى المنطقة الممتــدة من شرق خط العــريش حتى رأس محمد (١) .

احتفاظ اسرائيل بمنطقة طابا المصرية :

الا أنه مما يثير الدهشة حقا أن اسرائيــل وان جلت فعلا عن تلك المنطقة الأخيرة لكنها احتفظت بمنطقة طابا على خليج العقبة لتعيد الى الاذهان أحلام الاسرائيلى الالمانى (بول فريدمان سنة ١٨٩١) واطماع الصهيونية التى كان يمثلها (هرتزل وبعثته) فى شبه جزيرة سيناء أواخر يناير سنة ١٩٠٣ .

ما الهــدف من احتفاظ دولة اسرائيل بطابا ؟

مما لا شك فيه ان هناك اطمــاعا تحــاول اسرائيل ان تخفيها وراء وثوبها الى شــبه جزيرة سيناء وحتى بعد جلائها عنها تحاول ان تجعل لها منطلقــا الى تلك المنطقــة ولو بنقطة ارتكاز صغيرة مثل طــابا ولــما كانت اليهودية والصهيونية منذ القرن الماضى على وفاق مع الصليبية ومؤسساتها التى تقــوم على طبع ونشر الكتاب المقدس الذى يضــم « العهــد القديم » والمشتمل على أســفار اليهود « والعهد الجــديد » المشــتمل على أسفار النصــــارى لذلك فقــد نشرت تلك المؤسسات الصليبية فى صلب كتابها المقــدس خريطة سيناء وفلســطين وجعلت بطــريق التدليس بلاد مديان على ضفاف خليج العقبة بأرض سيناء بمعنى أنهــا فى أرض طــــابا وما جاورها من أراض على خليج العقبة على زعم انها بلاد مدين التى عاش فيها موسى بن عمران بعضا من عمره (٢) .

قصة موسى ومدين كمــا وردت فى القــرآن الكريم :

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز حكاية عن موسى عليه الســلام فى ســـورة القصص (**وَجَــاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَــةِ يَسْــعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، فَخَرَجَ مِنْهَــا خَائِفًــا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّــالِمِينَ .**

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَــاءَ مَــدْيَنَ قَــالَ عَسَى رَبِّى أَن يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ . وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَــدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِــن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَــا لَانَسْقِى حَتَّى يُصْــدِرَ الرِّعَــاءُ وَأَبُونَا شَــيْخٌ

(١) كتاب سيناء بين الحرب والسلام اعــداد سهير الكرداوى ورجاء الشريف .

(٢) انظر خريطة سيناء وفلسطين بالكتــاب المقدس .

طابا بأرض سيناء .. هل هى جزء من مدين ؟

كَبِيرٌ • فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ • فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَىَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ، قَالَ ذَلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَىَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) (١) •

وقريب من ذلك ما ورد بسفر الخروج عن موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وذلك فى قوله (ثم خرج فى اليوم الثانى واذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب : لماذا تضرب صاحبك ؟ فقال : من جعلك رئيسا وقاضيا علينا أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى فخاف موسى ••• فسمع فرعون هذا الامر فطلب أن يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن فى أرض — مديان (٢) •

اذن أين تقع مدينة مدين حقيقة :

يقول الامام ابو الفداء اسماعيل بن كثير ان أهل مدين كانوا قوما عربا يسكنون مدينتهم التى هى قريبة من أرض معان من أطراف الشام مما يلى ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط وكانوا بعدهم بمدة قريبة ، وبناء على هذا الكلام فانها تدخل فى نطاق وحدود وسيادة دولة الاردن (٣) •

وخلاصة القول فان مدينة طابا بعيدة عن أرض مدين :

فانه بناء على ما ذكره المؤرخ الامام أبو الفداء اسماعيل ابن كثير — رحمه الله — فان مدينة طابا وما جاورها من أراض على خليج العقبة تعتبر بعيدة كل البعد عن أرض مدين ، وتعتبر هذه الخريطة خطأ فادحا يجاوز الواقع ويتخطى ما للحق من حدود ••

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

---

(١) سورة القصص ١٩ — ٢٨ .

(٢) سفر الخروج الاصحاح الثانى عدد ١٢ — ١٥ .

(٣) كتاب قصص الانبياء للامام ابى الفداء اسماعيل بن كثير الجزء الاول تحقيق الدكتور / مصطفى عبد الواحد .

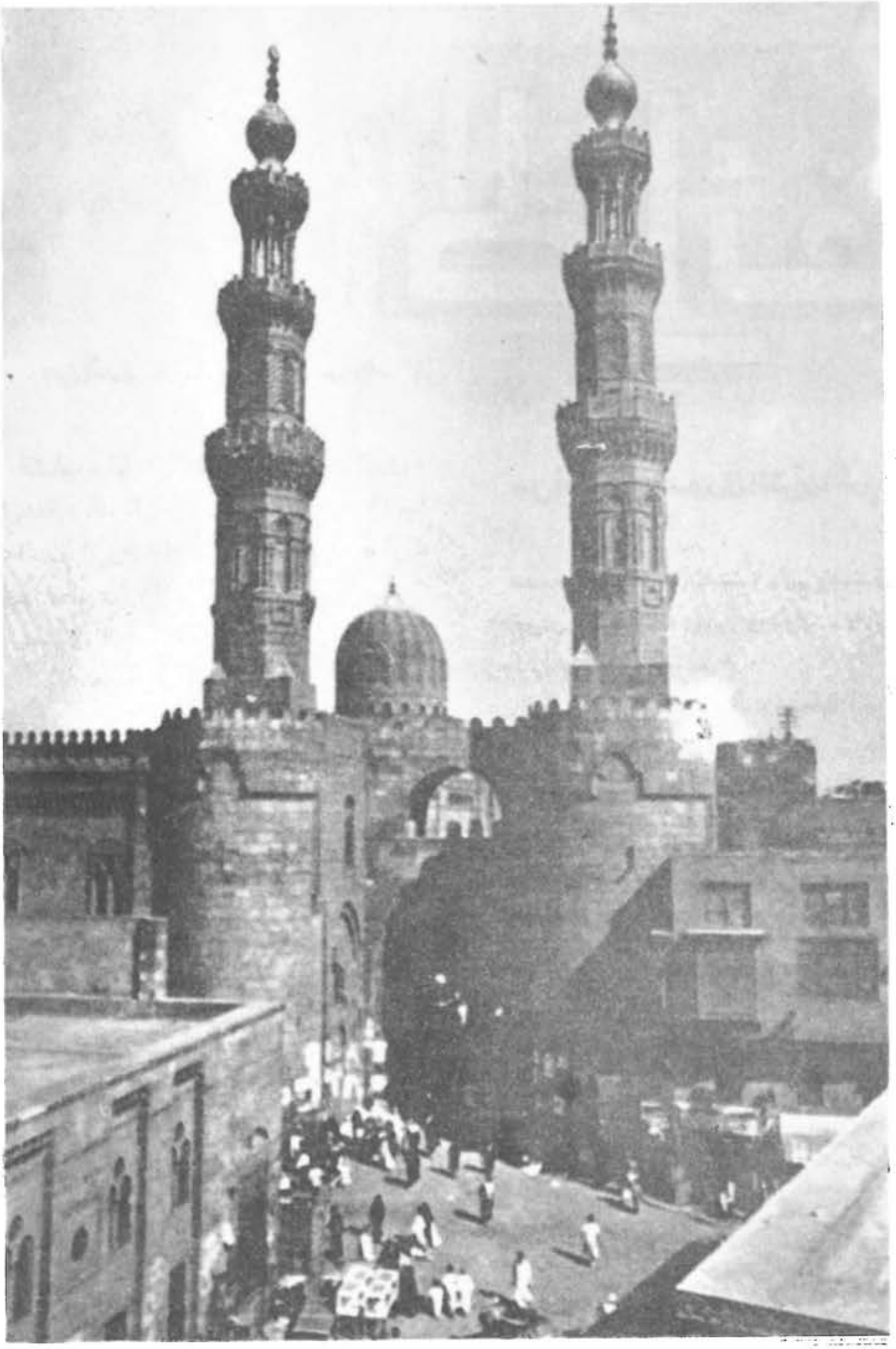

طرائف

من أسماء القرآن الكريم

الكتاب ، القرآن ، الكلام ، النور ، الهدى ، الرحمة ، الفرقان ، الشفاء ، الذكر ، النبأ العظيم ، الروح ، الوحى ، البلاغ ، البصائر ، الحق ، الصدق ، التنزيل .

حكى ربنا ما قالت مؤمنو الجن :

« إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ » .

ان القرآن هو الحق ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

من أسماء سور القرآن الكريم

الفاتحة تسمى : فاتحة الكتاب ، أم الكتاب ، أم القرآن ، السبع المثانى ، الوافية ، الكافية ، الحمد الأولى ، الصلاة .

سورة « البقرة » تسمى : سنام القرآن .

سورة « النحل » تسمى : سورة النعم .

سورة «الرحمن» تسمى : عروس القرآن .

سورة « يس » تسمى : قلب القرآن .

سورة « الشعراء » تسمى : الجامعة .

من أعاجيب السور فى القرآن الكريم

سورة « الحج » ففيها مكى ومدنى ، وحضرى وسفرى ، وليلى ونهارى ، وحربى وسلمى وناسخ ومنسوخ .

وكذلك سورة « يوسف » سماها القرآن أحسن القصص لاشتمالها على ذكر : حاسد ومحسود ، ومالك ومملوك ، وشاهد ومشهود ، وحبس واطلاق ، وسجن وخلاص ، وخصب وجدب ، وصبر وجلد ، واستقامة واستعصام .

من ألفاظ القرآن الجارية مجرى المثل

« ذلك بما قدمت يداك » .

« أليس الصبح بقريب » .

« لكل نبأ مستقر » .

« الآن حصحص الحق » .

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » •

« ما على الرسول الا البلاغ » •

« تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » •

« ضعف الطالب والمطلوب » •

« وقليل ما هم » •

« فاعتبروا يا أولى الأبصار » •

« لايستوى الخبيث والطيب » •

« كل حزب بما لديهم فرحون » •

على الحاكم في الإسلام

العدل والنصيحة والانصـــاف •

ولـــه :

الطاعة والنصيحة وحسن المعاونة وحقوق الحاكم واجبات المحكوم •

وحقوق المحكوم واجبـات الحـــاكم ، ولا فضل لأحدهما على الآخر الا بالتقوى •

قــــالـــــوا

* لا يبلغ الأعداء من جاهل ، ما يبلـــغ الجاهل من نفسه •

* لا تشاور مشغولا وان كان حازما ، ولا جائعا وان كان فاهما ، ولا مهمـــوما وان كان عـــاقلا •

* انى لأستحى أن أظلم من لا يجد على ناصرا الا الله •

* خير من العـــدل ، الفضـــل •

* لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من كان فقيها فيما يأمر به ، فقيها فيما ينهى عنه •

* لم يضع مالك ما وعظك •

* اياك وعزة الغضب فانها تصيرك الى ذل الاعتذار •

دعــاء

اللهم انى أعوذ بك أن أقول قولا حقا فيه رضاك ألتمس به أحـــدا ســـواك •

وأعـــوذ بك أن أتزين بشىء يشيننى عنـــدك •

وأعوذ بك أن أكون عبرة لأحـــد من خلقك •

التصرف الزين في مناجزة سقم العين

شغل الرأى العام فى الايام الأخيرة بالحديث عن تعريب الطب ، وتبارت الاقلام على صفحات الجرائد اليومية بين المؤيد والمعارض ، كل يدافع عن رأيه .

وقضية تعريب الطب والعلوم ليست وليدة اليوم ، انما حدثت فيها مناقشات كثيرة منذ سنوات الا أن الأصوات لا تكاد تعلو تطالب بالتعريب حفاظا على لغتنا الجميلة ، حتى تخفت الا أن واحدا ظل يعمل فى صمت وعلى مدى عشر سنوات أو تزيد حتى قفز الى واقع وكان نتيجة ذلك أن أصدر منذ أشهر كتاب (التصرف الزين فى مناجزة سقم العين) وهو أول كتاب بالعربية فى الطب للأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز وبعد أن علمنا بذلك ذهبت اليه ليحدثنا عن تجربته فى تعريب الطب ويشرح لنا نظريته وفكرته .

وقد وافق مشكورا على أن يعطى مجلة الأزهر من وقته هذا الحديث .

* ترجمه وليست خلقا *

---

* * الاستاذ الدكتور محمد عبد العزيز

استاذ ورئيس قسم الرمد بجامعة الأزهر نرجو من سيادتكم اعطاء القارىء لمحة سريعة حول فكرة تعريب الطب ، ومن روادها ؟ وما تقويمكم للاعمال التى ظهرت فى هذا الميدان .

قال سيادته :

هناك محاولات سبقتنى فى تعريب الطب .

وأذكر فى طب العيون على سبيل المثال : الدكتور محمد حسن الرشيدى الذى كتب كتابا بعنوان : (ضياء النيرين فى علاج أمراض العين) سنة ١٨٤٠ م . والدكتور محمد علوى باشا كتب كتابا أسماه (النخبة العباسية للأمراض العينية) سنة ١٨٩٢ ، كما كتب الدكتور عطا الله يوسف فهمى كتاب (العين فى الصحة والمرض) سنة ١٩٣٦ . والذى ظهر منه الجزء الاول فقط فى تشريح العين . وهناك مدرسة عربية للطب فى سوريا .

ولكن كل هذه المراجع كانت ترجمات لكتب أجنبية وليست خلقا جديدا . فكتاب (ضياء النيرين) كان ترجمة لكتاب الاستاذ سيشل فى أمراض العيون كما يعترف المترجم بذلك .

حديث مع الأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز محمد
أستاذ ورئيس قسم الرمد بجامعة الأزهر
أجرى الحديث عاطف زهران

وكتاب (النخبة العباسية) كان ترجمة لكتاب الأستاذ مير ، والمدرسة السورية انما هى مدرسة تعريب وترجمة لمراجع أجنبية ولكن بلغة العصور الوسطى .

*** رائد التعريب ***

ثم يستطرد سيادته فى الحديث فيقول :

أما كتابى (العين) الذى صدر منذ أشهر . فهو ليس ترجمة لكتاب أجنبى ، وليس اقتباسا من كتاب آخر ، انما هو تأليف وخلق جديد بكل ما تحويه الكلمة من معنى . وعلى ذلك فهذا أول عمل فى التأليف فى هذا المجال .. مجال طب العيون بالعربية .

« الاصل العربى للمفردات الطبية »

*** * قبل أن يظهر كتاب (العين) كان لسيادتكم جهد مشكور فى تعريب مفردات طب العيون . رددت فيه أغلب المفردات الطبية فى مجال تخصصكم الى أصل عربى . مما يثير لدينا سؤالا هاما :**

ما الذى أوحى لسيادتكم بهذه الفكرة . بفكرة أن العربية هى أصل اللغات ؟

*** فأجاب قائلا :**

استلهمت هذه الفكرة من القرآن الكريم . فحين كنت أقرأ قول الله تعالى « **وكنتم قوما بورا** » لفت نظرى أثناء تلاوتى أن كلمة (بورا) فى الآية تتفق مع كلمة (Poor) الانجليزية فى الجرس والنطق . كما أنهما تؤديان نفس المعنى . وهو الفقر والعدم والقلة .

وكلمة (قسط) ومعناها فى العربية العدل تشبه كلمة (Just) الانجليزية والتى تؤدى نفس المعنى بتغيير بسيط فالقاف العربية تبدل (J) بالانجليزية .

كما أن هناك تشابها بين كلمة القسطاس العربية ، وكلمة (Justice) الانجليزية ، وكلمة مثقال تقابلها فى الانجليزية كلمة (Meticulaus) وكلمة أرض تقابلها فى الانجليزية (Earth)

وهكـذا يمكـن أن نجىء بآلاف الكلمـات المتشابهة .

ومن يطالع كتاب (الاصل العربى لمفردات طب العيون) سيجد الكثير الذى يدعم هـذا الرأى . وسيرى كيف أثبت بالبرهان أن العربية فعلا هى الأم والأصل لجميع اللغات !.

*** شـهادة تقـدير ***

ثم استمر سيادته فى الحـديث عن كتابه المذكور فقال .

قدم الكتاب لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . وعكف عليه على مدى ثلاث جلسات متواصلة أصدر بعدها توصية « بأن هذا الكتاب لو لم يكن صاحبه حاصلا على (الدكتوراه) لكان كافيا للحصول على الدكتوراه ، وأنه قلب المفاهيم وغير طريقتنا فى التفكير » .

*** اسباب الخوف من التعريب ***

**** تقفز بخاطرى سؤال . لم أشـا أن ارجئه لكثرة مـا الح على فقلت لسـيادته : مادامت العربية اصل اللغات كما ترون . فلماذا التخوف من التعريب اذن فى الطب والعلوم ؟**

*** قال رئيس قسم الرمد بجامعة الأزهر :**

هناك عاملان أساسيان يرجع اليهما الخوف من التعريب هما :

فقر المادة العلمية .

ثم عدم القدرة على الانطـلاق فى رحـاب العلم . ومن هذين العاملين نشأ السبب القوى فى تخلـف القطـاع الأغلب مـن المثقفين . واشفاقهم من محاولة الدراسة باللغة العربية بل وعدم الترحيب به .

فأما من ناحيتى فـانى أرى أنهم على حق لو كانت الأمور حقيقة تسير كما تشير الظواهر وكما يظنون . ولكن العبرة هنا ليست بالنتيجة الموجودة حاليا فى الدول التى تدرس بالعربية انما العبرة بالطرق الخـاطئة التى شـكلت . وفداحة قصورها فى الوصول الى الهـدف .

والبعض يعارض التعريب خوفا من التخلف والتقوقع . وأنا حين أدعـو الى التعريب لا يعنى ذلك أننى أدعو الى التقوقع والتأخر . بل العكس أدعو الى الانتشار والانطلاق من قاعدة الفهم السـليم والرؤية الواضـحة للدارس العربى . وفى نفس الوقت أطلب — فى الحاح — أن يتعلم ما وسعه من لغات أجنبية فهى النافذة على العالم والتقدم .

*** العربية هى الأصل ***

**** هناك أسـئلة مطروحة امامنا مـن المعارضين للتعـريب . اهمها واكثرها ترددا حسب ظنى هذا السؤال : لمـاذا يجب تعريب الطب ؟ ونرجو من سيادتك ايضاح هذا الأمر**

كما نرجو ايضاح بعض الحقائق التى أردت ابرازها فى تآليفك العربية فى الطب ؟

*** فقال :**

كانت أمامى عدة حقائق حين فكرت فى التأليف باللغة العربية فى الطب . عل فيها مايرد على سؤال : (لماذا يجب تعريب الطب) .

أولا : ان اللغة العربية ليست لغة حديثة . انما هى لغة قديمة قدم الدهر . فهى لغة مخلوقة وليست موضوعة . وهى لغة القرآن . وحيث ان القرآن من عند الله فلغته من عند الله . وحيث أنه أنزل للناس كافة فلغته يجب أن تعرف للناس كافة . فالعربية هى الاصل لجميع اللغات .

ثم ان ما ندرسه حاليا بلغات أجنبية له أصل أو أساس عربى ، وما اعتراه من تغيير انما هو فى المظهر فقط ، ويمكن تشبيه ذلك بشخص عربى يلبس الملابس اللاتينية أو اليونانية ، فاذا خلعت عنه هذه الملابس ظهرت حقيقته العربية .

وهذا فعلا ما نجده فى هذه اللغات ، فبقليل من التحليل المعملى لأغلب الكلمات الاجنبية فانه يمكن ردها لأصلها العربى .

ثانيا : أننى أهدف الى الوصول الى أهم نقطة فى الموضوع ، ألا وهى احداث صورة ذهنية مبنيه على وجود صلة سمعية بين اللفظ الاجنبى واللفظ العربى ، وبذلك يسهل على الدارس أن يستظهره ويستوعبه ويستبقيه فى ذاكرته بأيسر سبيل . فحاسة السمع أقوى من حاسة البصر فى الادراك والحفظ .

* نظرية التطابق الصوتى *

ثم يبرهن سيادته بمثال على مايقول ليتضح الأمر أكثر فيقول :

خذ مثلا كلمة (Trolecula) وهى النسيج المصفوى الموجود فى الزاوية الطرفية للخزانة الامامية للعين ويتسرب منه السائل المائى الى خارج العين . استعملت لها كلمة (الترابطات والدروب) والتى هى فعلا دروب ومسالك وترابطات فى شكلها العام . وفى نفس الوقت تطابقت صوتيا مع الكلمة الاجنبية ، وهذا ما أسميه (التوافق) والمكون من التطابق الصوتى والمعنوى .

ونحن بذلك انما نريد للغتنا الانتشار والمجد .

الانتشار لأن لغتنا تقاربت صوتيا ومعنويا مع اللغات الاجنبية .

والمجد لأن لغتنا هى السابقة . ولا نريد تخريب لغتنا من الداخل كما يسلك البعض .

* بعيدا عن التعصب *

ثالثا : ان الدعوة للتأليف باللغة العربية فى الطب والعلوم ليست تعصبا قوميا . بقدر ما هى رغبة صادقة القصد منها أساسا هو تسهيل ايصال (المعلومة) الى ذهن الطالب والدارس العربى . وذلك بواسطة اللغة التى يتحدث بها ، والتى لها مدلول وكيان قائم فى أعماقه . وعلى أساسه يستطيع أن يقرأ ويدرك ويستخرج ثم يقارن ويؤلف وينشر .

التصرف الزين فى مناجزة سقم العين

*** هذه الكلمات ***

*** * الاستاذ الدكتور : نريد من سيادتك أن تذكر للقارىء بعض النماذج لكلمات وجدتم لها أصولا عربية .**

فقال سيادته : على سبيل المثال :

كلمة Shape ردت الى (شـبه) أى سمت

كلمة Clat ردت الى جلطه

كلمة Hala ردت الى هاله

كلمة Flatten ردت الى فلطح

كلمة Chart ردت الى خرطه

كلمة Chranic ردت الى قرونى (زمنى)

كلمة Scotoma ردت الى أماكن سكوت

وأمثال هذا كثير . ومنه يتبين الكم الهائل من الالفاظ الأجنبية التى لها أصـل فى اللغـة العربية . والتى ردت اليها ختطا بقت صـوتيا ومعنويا . فسهل على من يقرؤها سرعة فهمها والاحتفاظ بها . كما تبين ايضاالتطبيق العلمى لنظرية المواءمة الصوتية بين الالفاظ الاجنبية والمتشابهة مع العربيـة . والتى تؤدى نفس المعنى . ونظـرية (التوافق والتشـابه) هى النظرية التى اهتديت اليها وادعو للعمل بهـا حاليا .

*** أسـاس دينى ***

*** * الاستاذ الدكتور :**

ذكرتم أن كتابكم فى طب العيون هـو أول عمل فى تعريب الطب . وهو جهـد مشـكور لسيادتكم وخطوة مباركة نحـو الهـدف .. تعريب الطب والعلوم فما الاساس الذى قام عليه هذا الكتاب ؟

*** فقال سيادته :**

اسـتغرق تأليف كتـاب (العين) عشر سنوات ، وحصيلة أكثر من ثلاثين عـاما من الخبرة وأسـميته التصرف الزين فى منـاجزة سقم العين .

وللكتاب خلفية وأسـاس دينى بمعنى أن تعاليم القرآن الكريم من خلال آياته البينات، وما لها من علاقة فى صـحة الفرد النفسـية والبدنية منصـوص عليهـا فى أغلب أبواب الكتاب وفصوله . وهـذه الآيات البينـات ترجمت معانيها الى اللغة الانجليزية . وذلك حتى يتمكن القارىء الأجنبى من التعرف على شىء من عظمة الاسلام .

« مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ » .

وسيجد القارىء للكتاب أن المراجـع التى بنى عليها أولها وأساسها القرآن الكـريم ثم الحديث الشريف .

*** تطبيق على العنـوان ***

*** * الأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز :**

من يقرأ عنوان الكتاب (التصرف الزين فى مناجزة سقم العين) يدهش لهذا العنـوان

الطويل والمسجوع ، على طـريقة السلف • وذلك يجعلنا نسأل : لمـاذا اخترتم له هـذا العنـوان ؟

* فقـال :

أردت أن أربط بهذا العنـوان المـاضى بالحاضر ، والحاضر بالمستقبل ، أردت أن أسير على نهج السلف فى طريقة تسمية المؤلفات ، وذلك لتعميق الفكرة بأننى عربى ••• جذورى عربية •• وثقافتى عربية ، وأننى لا أستطيع أن أنسلخ منها أو أتمرد عليها هذا من ناحية الماضى •

اما من ناحية المستقبل فهو للاعلام بـأن كلمة (مناجزة) هى أصلا كلمة (Management) وكلمة (سقم) هى أصلا كلمة (sick) وكلمة عين هى أصلا كلمة (Eye). •

وبذلك يكون التعبير : (منـاجزة سـقم العين) هو بعينه Management of Sick Eye.

وليس أدل على توقع انتشار اللغة العربية مستقبلا الا هذا التوافق بينها وبين اللغـات الأخرى •

* أسس الكتاب ومضمونه *

* * الأستاذ الدكتور :

نامل فى سيادتكم أن تعرض عرضا سريعا للأسس التى قـام عليها هـذا الكتـاب • وما مضمونه ؟

* فقال :

السؤال ينقسم الى شطرين نفرق بينهمـا فنقول :

أولا : الأسس التى قام عليها الكتـاب أو طريقة تأليفه فنوجزها فى نقاط أهمها :

(أ) أننى أومن بالله وقدره ، وأومن بأن الشفاء من عنده • (وَإِذَا مَرِضتُ فَهُوَ يَشفِينِ) وبذلك فاننى لم أغفل القيم الدينية والايمانية وعلاقتها بالشفاء ، ولم أنكب على المادة فقط بل استعديت عليها القوى الروحية والنفسية ، وأثرت كوامنها فى نفسى وفى نفس المـريض حتى يتم الشفاء باذن الله •

(ب) أننى أشعر فى أعماقى أن الانسـان به قوى هائلة فى أعماقه كامنة قابلـة • لأن تشحذ وتتفجر •

واذا كنا نحن العرب نرجو اللحوق بركب التقدم فيجب أن نشحذ هممنا ونعطى الدارس كل ما يمكننا من علم ومدركات فى هذا العصر•

اننى أدعو الى امداد الطالب بكل المـادة العلمية وبأدق التفاصيل •

(جـ) أننى ساعة تأليفى لهذا الكتاب ، وأنا أكتب باللغة العربية ، كـانت أمامى صـورة العالم العربى بكل شعوبه وآمـاله وآلامه ، لذلك كنت أحاول أن أربط بعضـه ببعض عن طريق الكلمة والبحث والانجاز •

* البساطة والوضـوح *

ثم يمضى رئيس قسم الرمد بجامعة الأزهر فى شرح مضمون الكتاب فيقول :

ثانيا : أما مضمون الكتاب فهو بسـيط وواضح • ويمكن ايجازه فى نقاط منها :

(أ) تسـهيل المعلومـة وتبسيطها مهما كانت صعبة •

(ب) تسخير الكلمة فى خدمة الفكرة وليس

العكس . فلم أقف موقف المتهيب لأى تعبير ملائم فى اللفظ ، ولم أقف جامدا أمام الكلمات القديمة ، بل فحصت ونقبت وغربلت واستخلصت أحلى مافى لغتنا الجميلة وسردتها قلائد جميلة معبرة مع الدقة فى المواءمة بين الكلمات الأجنبية والكلمات العربية صوتا ومعنى :

ولقد أدى ذلك الى كشف وسك مئات الألفاظ العربية التى تعبر أصدق تعبير عن واقع الحال . كما أهملت الألفاظ الجافة .

(جـ) الاهتمام بالرسم والصورة كوسيلة لتوضيح المعلومة بمختلف الأشكال والأوضاع والألوان ، حتى يلمس الدارس حقيقة كل شىء وأبعاده ويقف على أرض ثابتة من المعرفة .

(د) احترام اللفظ الأجنبى وخاصة ذلك الذى يشرح التعبيرات الطبية . ولذلك لم أهمله ، بل جئت به عزيزا مكرما مع أخيه العربى ، وعليه فأنا لم (أنغلق) على نفسى ولم أغلق نوافذ المعرفة على طلبتى بل فتحتها على أوسع ما تكون .

* نصيحة هامة *

**** ما النصيحة التى تسدونها لمن حذا حذوكم فى التاليف بالعربية فى العلوم .**

*** فاجاب سيادته :**

أعتقد أنه ليس كل شخص يستطيع أن يتصدى للتاليف بالعربية وبخاصة فى مجال العلوم الا أولئك الذين تسلحوا بتعلم اللغات الأجنبية فكلما كثرت هذه المعرفة وتعددت ، وضحت للشخص عظمة اللغة العربية وبانت أمام عينيه الحقيقية المذهلة بأن جذورها ممتدة فى جميع اللغات على اختلاف أصولها .

* كلمة أخيرة *

**** وبعد هذا الحديث الشيق . نريد أن توجه كلمة للفريقين . المعارضين للتعريب والمؤيدين له .**

فماذا تقول لهؤلاء وأولئك ؟

*** فقال الأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز .**

ان لغة الضاد مضى عليها حين من الدهر ولواؤها معقود لأناس من غير أهلها ، فكان معلموها هم أعاجمها ، وباحثوها هم وأدتها . ولقد آن الأوان لأبنائها كى ينهضوا للحفاظ على تراث لغتهم وحمل لوائها فى مسيرة العلم والنور .. يغوصون فى بطون أسفارها فى طلب دررها ، وينهلون من فيض مواردها . حتى يعود لها رونقها وروعتها كأصدق اداة للوصف والتعبير ولله در حافظ . حين قال على لسان بنت عدنان :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آى بـه وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

ترجمة الطب إلى العربية وضماناتها

للدكتور السيد الجميلى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد

أثيرت هذه الأيام قضية تعريب الطب ، ونقل مصطلحاته ومخترعاته ومستحدثاته المتطورة الى اللغة العربية ، ولكنى أقول ان العرب هم أقدم من مارس الطب منذ القديم ، وأعرف الناس بالعقاقير الطبية الشافية ، وكان لهم فى مضماره سبق أى سبق ، فاذا ماقمنا بتعريب الطب فانما نكون قد أعدنا للأيام سيرتها الأولى وأعدنا للعربية خالى امجادها وسالف عزها الأصيل الذى أسسه علماؤها ورجالها منذ القدم .

فلقد بلغ الطب عند العرب شأوا بعيدا ، وقد كان طبا بسيطا لكنه نافع يقوم على المجربات ، وهو متوافق مع ما يستحدثه المعاصرون من أساليب متنوعة فى فروعه المختلفة ، انما يتلاقيان فى الأصول وقد نهلت أوروبا من هذا المورد السخى العذب ، وارتوت من هذا الفرات السائغ ردحا من الزمان أقالها من عثرتها وبدد عنها ظلمات القرون الوسطى .

ترجمة الطب إلى العربية وضمانتها

ويشفق الكثيرون من أن عملية التّعـــريب سيروح ضحية لها كثير من المصطلحات التى لا يمكن للعربية أن تتسع لها ، وهذا خطأ مردود عليه ، فان اللغة العربية غاية فى المـــرونة والاتساع واذا كانت قد اتسعت للقرآن الكريم بما فيه من اعجازات شتى للأفهام ولكل حرف فيها دلالته العظيمة ، وقد أدت دورها الرائع فى بيان عظمة القرآن الكريم ، وجميل لمحـاته ، وجليل شرفه وشريف مقاصده ، وروعة عظمته وعظيم روعته ، واننا ازاء هذا لنجـزم بقـوة ونتكلم بيقين وصراحة أنها لا يمكن أن تقصر فى بيان دقيق أو شرح مصطلح طبى مهما كانت درجته ، ولو كان هناك شبهة عجز أو تقصير فانه لن يكون من اللغة العربية ولكن سيكون من القائمين على ذلك ــ منا نحن أنفسنا ــ فلغتنا القومية العظيمة ــ ويعرف ذلك جيدا دارسو اللغات الأخرى ــ تتفوق على ما عداها من لغات أخرى بدقة ايحاءاتهـا وعمق دلالة ألفاظهـا ومرونة استيعابها وشمولها وجرسها العظيم ووقعها الرائع البديع .

* * *

والذين يقولون بأن القضية معقدة صعبة ، نرد عليهم فنقول ان هناك دليلا على نجاحهـا سلفا وهو الكثير من الكتب الطبية التى ترجمها ونقلها للعربية كثير من زملائنا الأطباء . وقد أعجبنى كتاب بالغ الأهمية ألفه أستاذنا العالم الكبير الدكتور محمد زكى سويدان اســـمه « الصحة والامراض المعدية » صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٠ م . وقد استمتعت بقراءة هذا الكتاب باللغة العربية وأعتقد أنه لو ترجم للانجليزية لكان وافيا شـافيا لدارسى الطب وللباحثين على حد سواء .

وكذلك فقد قرأت كتاب :

Forensic Medicine and Toxcology

« عن الطب الشرعى والســموم » باللغـــة الانجليزية والذى صدرت طبعته الأولى ســنة ١٩٦٤ م . للدكتور البهنساوى ود . يحيى الشريف ثم قرأت الترجمة العربية لنفس الكتاب والتى قام بها المؤلفان الكريمان ، فأعجبنى دقة التعريب وعظمة البيان ووضوحه وقد صـــدرت النسخة العربية فى طبعتها الأولى سنة ١٩٦٩. (مطبعة جامعة عين شمس) .

ولا يفوتنى أن أنوه عن عميق تقـــديرى واعجابى بكتاب قيم جامع شامل وهو كتاب (علم الصحة) للدكتور عبد الواحد الوكيل وزير الصحة سابقا وقد صدر بالعـــربية فى طبعته

راجع الطب عند العرب للدكتـــور أحمد شوكت الشطى ، والطب المصرى القديم للدكتور بول غليونجى والأستاذة زينب الدواخلى .

الاولى سنة ١٩٣٥ م . والطبعة الثانية سنة ١٩٤٠ والثالثة سنة ١٩٤٤ والرابعة سنة ١٩٥١م والكتاب يلتزم بالمنهج العلمى الطبى الدقيق فى أسلوب منسق مشوق جذاب ، وانى لأتساءل أين هذه المراجع العظيمة فى طبعات جديدة منقحة مضافا اليها الحديث والمعاصر ؟؟

مرجع آخر وضعه طبيب باحث أديب ، وتزداد قيمة العطاء الطبى عندما يمتزج بجرعة أدبية كالتوابل المشهية اذا ما أضيفت الى الغذاء تفتح الشهية وتفتق الذهن هذا الكتاب القيم هو (على هامش الطب) للدكتور سليمان عزمى صدر سنة ١٩٦١ م وهو جميل رائع دقيق فى تناوله لكن لم يطبع مرة أخرى ، هذا كله ناهيك عن المراجع القديمة العديدة المتنوعة وفى مخطوطات دار الكتب رأيت وقرأت الكثير والكثير من المخطوطات الطبية القديمة المعاصرة التى لم يقترب منها انسان ولم تتناولها يد محقق ولوتم ذلك لأثرينا العلم والحضارة الحديثة .

وكل ما يقتضيه التعريب انما هو الاهتمام بتشكيل لجان فى كل فروع التخصصات الطبية من أمراض باطنة أو ظاهرة أو مختلف الجراحات لترجمة المراجع والمتون الطبية فى آخر طبعاتها المعاصرة ، وترجمة كل ما يدور فى المؤتمرات الأوروبية وغيرها وليس هذا فحسب بل نطالب بلجان مسئولة عن ترجمة المجلات الطبية الدورية التى تصدرشهريا فى انجلترا وأمريكا حتى نكون حريصين على متابعة أحدث التطورات وآخر المستحدثات الشائقة الممتعة.

وحتى نكون جادين فى تنفيذ هذا الموضوع من واقع المسئولية والالتزام وبعيدا عن المبالغة أو التفريط فلابد من تشكيل هذه اللجآن العلمية العملية النشطة على أن تكون قائمة مستمرة بدون توقف أو انقطاع .

وأقترح أن تساهم فى تأسيسها وزارة التعليم العالى ووزارة البحث العلمى وذلك باشراف الجامعات المصرية الثرية بالمواد العلمية وهذه اللجان منوط بها تعريب ومتابعة كل ما يجرى من مؤتمرات وبحوث ورسائل جامعية هنا وهناك فى كافة البلدان وفى مختلف المؤتمرات وبمتباين اللغات وتكفل نقله لنا الى اللغة العربية ، بذلك نكون قد أوضحنا جانب المسئولية والالتزام

ومتى التزمنا بهذه المقتضيات ، فانى أتوقع نجاحا عظيما ــ ان شاء الله وبهذا نكون قد أثبتنا ــ بحق واقتدار ــ أن لغة القرآن الكريم قادرة على احتواء علوم الطب مثلما اتسعت لعلوم القرآن الكريم ، والله سبحانه الموفق والهادى الى سواء السبيل .

د . السيد الجميلى

طبيب باحث لدراسات الدكتوراه ــ واخصائى امراض باطنة بالوحدة العلاجية بالمعادى

من التراث

■ مجلة الأزهر.. من خمسين عاما

■ من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

فضيلة الصبر

للشيخ ابراهيم الجبالى

بقلم الشيخ أحمد حسن جابر رجب

لما كان الصبر من عزائم الامور ، ومفتاح مغاليق الضيق ، وكان مولد النبى — صلى الله تعالى عليه وسلم — فاتحا لما أغلق ، ونورا فتق الظلام ، وكان — صلى الله تعالى عليه وسلم — قدوة أولى العزم من الرسل ناسب أن يعقب الكلام على مولده الشريف الكلام فضيلة الصبر اذ هو ركيزة دعوته الى الله تعالى وحظى منه — صلى الله تعالى عليه وسلم — بحظ وافر .

يطلق الصبر على معان : هى الصبر على أداء الفرائض لله تعالى على كل حال : فى الشدة والرخاء والعافية والبلاء طوعا وكرها .

الصبر على كل مانهى الله عنه ومنع النفس من كل ما مالت اليه بهواها مما ليس لله تعالى فيه رضا طوعا وكرها .

وهذان صبران فى موطنين : هما فرض على العباد أن يعملوا بهما .

الصبر على النوافل وأعمال البر مما يقرب العبد الى الله تعالى فيحمل نفسه على بلوغ الغاية منه للذى رجاه من ثواب الله — عز وجل .

والصبر على قبول الحق ممن جاء به من الناس ، ودعاك اليه بالنصيحة ، فيقبل منه ، لأن الحق رسول من الله جل ذكره — الى العباد ، ولا يجوز لهم رده ، فمن ترك قبول الحق ورده فانما يرد على الله تعالى امره .

وهذا هو الصبر الواجب على الخلق الذى لا يسعهم جهله ، ولابد لهم منه ، والصبر نصف الايمان وهو احتمال مكروه النفس اذا وقع بها ماتكرهه تجرعت ذلك ، وأنفت من الجزع ، وتركت البث والشكوى ، وكتمت مانزل بها . يروى فى الحديث الشريف « ان الصبر على المكاره من حسن اليقين »

وجماع ذلك أن الصبر صبران : صبر المرء على مايكره ، وصبره عما يحب ، والصبر على المكروه أكبرهما وأشبههما أن يكون صاحبه مضطرا •

وأحق ماصبر عليه مالا سبيل الى تغييره ، ومن حسن التوفيق وامارة السعادة الصبر على الملمات والرفق عند النوازل وبه نزل الكتاب وجاءت السنة قال الله تعالى « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » • ال عمران /٢٠٠ يعنى اصبروا على ما افترض عليكم ، وصابروا عدوكم ،ورابطوا على الجهاد ، وعلى انتظار الصلوات وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ « ألا أدلكم على مايحبط الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله : قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطى الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » •

والصبر دعاء الى مايشق على الانسان فعله ، كأن يدفع السيئة بالحسنة ، ويقابل غلظة عدوه بالملاينة استكفافا لشره وأذاه حتى يعود الى اللطف فى المقال ، والجميل من الفعل فيصير بعد أن كان عدوا كأنه صديق قريب القربى ، « وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ »

أى ما يوفق لذلك الا من ملك أمر نفسه ، وصبر على احتمال الاذى من عدوه •

ومن الصبر أيضا صبر العبد على ماليس بمكتسب له ، كصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما يناله فيه مشقة • قال الجنيد : المسير من الدنيا الى الآخرة هين سهل على المؤمن ، وهجران الخلق فى طاعة الله تعالى شديد ، والمسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد • والصبر مع الله أشد ، لأنه التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البليات ، واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة ، والوقوف مع البلاء بحسن الأدب والغناء فى البلوى بلاظهور شكوى •

وأما الصبار فهو الذى عود نفسه الهجوم على المكاره مع الثبات على أحكام الكتاب والسنة ، وأما التصبر فهو السكون مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة • وعلامة الصبران لايفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما • وآفة الصبر الشكوى ولذلك فاز الصابرون بعز الدارين •

وحد الصبر أن لا تعترض على التقدير : أما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافى الصبر قال الله تعالى فى قصة أيوب : « إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » ص

/٤٤ مع ما أخبر عنه تعالى أنه قال « أنى مسنى الضر » وقد استخرج الله منه هذه المقالة « مسنى الضر » لتكون متنفسا لضعفاء هذه الامة .

وحقيقة الصبر : الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام فانه قال فى آخر بلائه : (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) الانبياء / ٨٣ فحفظ أدب الخطاب ،حيث عرض بقوله وأنت أرحم الراحمين ولم يصرح بقوله : أرحمنى .

ولنكتف بهذا القدر ونقدم كلمة الشيخ بعنوانها المتقدم قال :

وعدنا فى الكلمة الماضية أن نطالعك بكلمة عن فضيلة الصبر نبين فيها حقيقته وأقسامه وفوائده ، وآثاره وما يعين عليه وينميه فى النفوس .

ولقد نرى فى أسلوبنا هنا شيئا من المغايرة لما سبق ، فاذا رأيت ذلك فاصبر وما صبرك الا بالله ، واذا لحظت أن فى الكلام دقة فى التعبير أو توسعا فى التقسيم ، أو ميلا الى عبارات المؤلفين التى تتطلب اجهاد فكر واطالة امعان ، فاصبر ان الله مع الصابرين وقد قال عز وجل « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا » .

وقبل آن ندخل فى بيان حقيقة الصبر يجب أن ننظر الى منزلة الانسان فى الترتيب بين الملائكة والبهائم ، فقد خلق الملائكة مجبولين على طاعة الله تعالى والتقرب اليه ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) . ولم يودع فى خلقهم ما يصرفهم عن هذا من شهوة تدعوهم الى نقص ، أو غضب يثور بهم الى شر ، فهم كرام بررة خيرون بأصل الخلقة لا يتصور منهم مخالفة ولا معصية ؛ وخلقت البهائم مسخرة لشهواتها لا تتحرك الا لجلب لذائذها العاجلة أو دفع مؤذياتها الحاضرة .

وأما الانسان فقد خلق جامعا الخصلتين المتعارضتين ففيه شبهمن كلا النوعين ، خلق فى أول أمره وبدء طفولته لا يعرف الا شهوة غذائه ، فاذا ماكبر ونما نبت فيه شهوت أخر كشهوة الزينة واللهو ، ثم يبدو حب العلو فى نفسه وينشأ من كل ذلك قوة الغضب اذا فاته شىء مما يشتهيه ويتبعها الحركة وقوة النفس والمغالبة على احرازه ، فاذا ما شب وترعرع نبت فيه غرائز أخرى وصحبها التمييز والعقل وحب النافع ولو مؤلما وكراهية الضار ولو لذيذا ولكنه لا يعدو النظر الى العاجلة ، فاذا ما اكتمل عقله وآن أوان تكليفه صح أن يفكر فى الآجلة ، وأن ينظر بكلتا عينيه الى كلتا حياتيه: حياته الدنيا ، وحياته الآخرة ، وهنا يجد نفسه بين قوتين متعارضتين تتجاذبانه الى جهتين متضادتين ،

الأولى : منهما القوة البهيمية تدعو الى اللذاتوانتهاز فرصها قبل الفوات ، توهمه أن فى فوات الفرصة عقبة .

والثانية : تنبهه الى ما هيىء له من نعيم مقيم ، وما أعد له من مكان عظيم ، وكل منهما لها خطرها ولها أثرها ولها مددها ولها نفعها أو ضررها .

فأما الأولى فقد نشأت مع النفس وتمكنت بمرور الزمن وقوة الالف ، واستحكام العادة

ثم بحضور ثمرها وللحاضر معنى من القوة لا يناله الغائب •

وللثانية أهميتها وعظم هولها وخطر شأنها وعدم القدرة على تحمل نتيجة مخالفتها ومواجهة هولها وانها لمعركة،حامية وموقعة دامية ميدانها قلب الانسان وجيشاها جند الرحمن وجند الشيطان ، وسعادة المرء وشقاوته بين كفتى الميزان فاما نال أعظم الربح ، واما باء بأعظم الخسران فهو اما فى مصاف الملائكة ، واما ملحق بالبهائم أو بحزب الشيطان ، فالصبر هو ثبات جند الفضيلة أمام جند الرذيلة ، هو تقوية جند الله حتى تقهرجنود الهوى فتنتصر النفس على الشيطان عدوها وتفوز بأقصى أمانيها ، وبذلك ترى الصبر داخلا فى كل عمل من أعمال الانسان النافعة ، فقلما تجد عملا نافعا الا وله صوارف متنوعة ، أما الكسل عنه أو استصعاب طريقه أو الانصراف عنه لما هو حاضر اللذة ، وكذلك الأعمال التى هى من باب الكف والترك وهى الانتهاء عن المعاصى تجد النفس دائما تنازعك بطموحها الى الحركة المشتهاة لها •

وأن شئت فقل الصبر هو ضبط النفس وقمعها عما تهوى وحبسها عما تكرهه حبا فى احراز خيرها الأجل ونعيمها المقيم وسعادتها الدائمة•

لما كان الايمان المعتد به شرعا هو ما يجمع بين تصديق القلب اليقينى وبين العمل بمقتضى تصديقه وعرفنا أن عمدة كل الاعمال هو الصبر عليها والصبر عن الصوارف عنها كان الصبر بهذا الاعتبار كما ورد « نصف الايمان » • وسيجىء لهذا تتمة توضيح •

مقومات الصبر : يعتمد الصبر على دعامتين تقومانه وتكونان حقيقته وهما :

قوة اليقين ، وقوة الارادة ، وذلك أن الأعمال النافعة دائما تجد ميولا فى النفس مضادة لها تصرفها عنها وتلك الميول غرائز سابقة فى النشأة على وجود الفضيلة فى النفس ، فاذا همت النفس بعمل ما يجدر بها أن تعمله ويطلبه داعى الدين ، هبت تلك الميول فى وجهها هبوب العاصفة تصرفها عنها وتطالبها أن تستوفى متعها وتنعمها بما يحيط بها ، وألا تفوت على نفسها فرحها فتقع النفس فى الحيرة بين هاتين الداعيتين : داعية الهوى يقويها الف النفس له واعتبارها أياه ويغذيه أنه عاجل وقد طبعت النفوس على حب العاجلة ، وداعية الفضيلة يقويها عظمة شأنها ودلال نعيمها وهنا تنشب المعركة بين الداعيتين وتتصارع القوى فتحتاج داعية الفضيلة الى مدد يقويها حتى تظفر بخصمها وتتغلب عليه وتقهره ، وذاك المدد وهو قوة اليقين وقوة الارادة فأما اليقين فيتقوى بتكرار التذكر لعقيدته التى لا يشك فيها أى بمعاودة

استحضار ايمانه المرة بعد المرة حتى لاتبتعد عقيدته طويلا عن خاطره واليه الاشارة بقوله جل شأنه : (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) وانك لتشاهد الرجلين كل منهما يجزم بأن عمله وكده سينتج له نتيجة عظيمة هو حريص عليها وراغب فيها اتم رغبة ، ولكن أحدهما دائما يتذكر حرصه على نتيجته المرجوة فلا تكاد تبرح اليه ولا تزايل خاطره ، والثانى لاه عنها غافل حتى تذكره بها فيقول لك حقا ان هذا لازم ولكنا انصرفنا عنه ، وقد يجد فى تذكيرك له ألما ومضايقة لانك أشعرته بالحرمان الذى سيلحقه من اهماله ، ولا يجد عذرا يقنع به نفسه ويريح ضميره من الوخزات التى تلحقه ساعة الذكرى ، فقد يعمد الى التلهى عن ذلك التذكير فرارا من ألم التأنيب الذى يحسه من نفسه ، وتارة يجمع قواه ويحفز همته ويحمل نفسه وهى كارهة ، كارهة لأنها ألفت البطالة وخلدت الى الراحة والكسل أو استملحت مذاق تلك الملاذ والملاهى ، فاذا عاودتها الذكرى قويت نوع قوة على الداعية المضادة ، فاذا ما تتكرر التذكر وطال أمده كانت قوته بلا ريب من قوته حين يكون لمحات أو خطرات سريعة الزوال . وقد حمل بعضهم معنى زيادة الايمان ونقصه على هذا أى على زيادة الاستحضار ونقصه ودوام ملاحظة المعنى الذى يؤمن به أو سرعة انصرافه عنه فيقوى هذا الاستحضار حتى يكون اليقين فيه كالشهود والمعاينة ، وبه فسروا ما ورد فى شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه من أنه لو وزن ايمانه بايمان هذه الأمة لرجح بها وهذا هو السر فى طلب ادامة الذكر ، فالمقصود ادامة التفكير والذكر القلبى وانما جعل الذكر اللسانى وسيلة له ، لأن النفس غالبا تتذكر معنى ما تنطق به بل ما تسمعه أيضا ، وأما الارادة ، فتقوى بالمران والتعود بأن يتتبع المرء خواطره المتنافرة ويتعاهدها بيقظة تحملها على تغليب مرضاة الله على مرضاة الهوى ، فاذا ما ظفر مرة عاود الثانية فاذا ما تتكرر له هذا سهل عليه ان يقود نفسه كالمطية التى تراض على السير الخاص فتجمع فى أول أمرها فلا يزال يحملها على ما تكره حتى يصير ذلك عادتها وكالشخص الذى يتعود المصارعة مرة بعد أخرى فيكتسب بمرانه قوة لم تكن له قبل المران فهكذا نجد النفس فى أول تدريبها جامحة عن السير الذى يراد منها فتحمل عليه قسرا فتتعاصى مرة بعد مرة حتى يسلس قيادها وتلين شكيمتها ، فاذا ما كررت ذلك عليها أصبح هذا المسلك ديدنها والتحق بغرائزها ووجدت فيه غبطتها ومسرتها وأصبح ما كنت تسميه قسرا وصبرا رضا وطمأنينة فهذا طريق علاج النفس حتى تتحلى بفضيلة الصبر وكما أنه لا يكفى فى سلامة البدن من الآفات مجرد معرفة أنواع الأدوية والعلاج بل ينبغى أن تراعى الوقاية من المرض قبل حلوله وذلك أفضل من التعرض له استنادا على العلاج الميسور كذلك لا يكفى فى سلامة النفس من آفات الأخلاق المرذولة معرفة أدويتها وأنواع علاجها بل ينبغى استعمال الوقاية والعناية بها وتقديمها على اللجأ الى العلاج بعد حلول

المرض النفسانى .

وعلى هذا ينبغى الابتعاد عما يثير فى النفس دواعى الشر حتى يكفى شر المرض ومؤونة العلاج وهذا يأتى العوارض الاختيارية وهى التى تكون مبادؤها من ميول الانسان واختياره وذلك كارسال النظر الى المشتهيات المحظورة والاسترسال الى التفكير فى اللذائذ المنهية مما يجعل النفس متطلعةلها فتنقاد اليها متى سنحت فرصتها وكالاستسلام لثوران النفس عند غضبها أو الاشتغال بالمماراة والمجادلة بغير الطريقة المثلى ، فانه مما يعرض النفس لزلات قد تندفع فيها بلا تبصر ، ولا تروفلا تفطن لنفسها الا وقد تردت فيما تكره فتعود على نفسها بالندم واللائمة ان كانت من النفس اللوامة أو تستمرىء ذلك المرعى الوبيل ان كانت من فريق المخذولين وفى ذلك دمارها وهلاكها ، فقطع تلك الأسباب من أساسها أسهل وأضمن للسلامة من علاجها بعد تورطها فيها ولذلك جعل الشارع الحكيم للمحرمات سياجا واسعا بيتعد بالنفوس عن حماها ، وجاء فى الحديث : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله محارمه ، ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » رواه البخارى .

منزلة الصبر من الفضائل : ان نسبة الصبر للأخلاق الفاضلة كنسبة الأصل الى الفروع أو كمنزلة الماء من الأحياء ، تلك المنزلة المذكورة فى قوله تعالى : «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» . فلا تكاد تجد المرء فى حال من أحوال حياته غنيا عن التذرع بفضيلة للصبر ليتحلى بالخلق الذى تستدعيه حاله ، فالغنى فى حاجة الى الصبر ليضبط نفسه عن

البطر والطغيان المشار اليه فى قوله تعالى(كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ) . ، ولا نظن أن الصبر على هذه الحال حال الغنى وما على شاكلته من التمتع بالصحة والجاه والولد وأنواع النعم من الهنات الهينات ، فالنفس مشغوفة بالاسترسال فى ملاذها والاستزادة منها والطعام يقوى شهوة النهم، وقد جاء قوله جل شأنه : (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) ، فالانسان بحاجة الى أن ينظر اليها بعين أنها نعمة أوجبت عليه حقا يقوم به وليس من حقها عليه أن ينهمك فى ملاذها ويغفل عن شكرها ويستوجب لنفسه على الناس حقا لا يلزمهم من أجلها فهو بين فتنة الانهماك فيها وفتنة التقصير فى

الشكر عليها وفتنة زعمه أنه وقد أنعم الله عليه بها يجب على الناس أن يعطوه من التوفير والتعظيم والتمييز من أجلها مالا يملكه عليهم، أفلا تراه يغضب ان خوطب خطاب المساواة ممن لم يساوه فيها ؟

وهل هذا الا جنوح للعظمة الممقوتة وادعاء لما ليس له ؟ فهو بحاجة الى ضبط نفسه عن هذه الأحوال وذلك من أبواب الصبر ، والفقير أو المحروم من بعض متع الحياة بحاجة الى ضبط النفس وحبسها عن التذمر والضجر والجزع مما حل به ، وأن يرى فى نفسه أنه عبد قد منحه سيده الذى خلقه نعما لو قاس بها ما حرم منه لم يكن شيئا مذكورا فضلا منه لا وجوبا عليه (**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا**) فهل تأمل هذا الفقير نعمة وجوده وامتاعه بحواسه وصحته وقواه ؟ بل هل التفت الى قوة تدبير غذائه ومراتب جهاز هضمه مما يتم على أكمل وجه لا شعور له به ؟ وهل دفع ثمن ذلك ؟ وهل راعى المريض أنه قد سلم من الأمراض الأخرى التى عوفى منها ؟ وما من بلاء الا والمرء معرض لما هو أشد منه وأكبر ، واستعرض بعد ذلك الأخلاق تفصيلا واستخرج منزلة الصبر منها فانك تجد العفة صبرا عما يشتهى ، والشجاعة صبرا حين البأس ، والصدق صبرا عما يطمع فى احرازه لو كذب ، وكتمان السر صبرا عن الأفشاء المحبوب بسبب أن يذكر للغير ما يتطلع لمعرفته ، وتجد فى الأمانة صبرا على منازعة النفس أن تفوز بما أؤتمنت عليه ، وهل الحلم الا الصبر عن الأذى ؟ وهكذا دواليك تجد الصبر من الأخلاق كالماء من الأحياء .

ثم استعرض الطاعات تجد الصلاة بحاجة الى الصبر على أداء تلك الأركان والتغلب على الشواغل التى تصرف عنها ، بل تحتاج الى الصبر على استحضار أسرار الصلاة والخشوع وحضور القلب وهو أعظم من صبر الجوارح والصوم ما هو ؟ أليس هو الصبر عن المشتهيات وكف النفس عما تميل اليه بطبعها ؟ ولشدة الاتصال بين الصوم والصبر ورد فى شأنهما جزاء متناسب فقال عز وجل فى شأن الصبر (**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**) وقال عليه الصلاة والسلام فى شأن الصوم (**كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وانا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها**) فقد جعل جزاء كل من الصبر والصوم خارجا عن التقدير موكولا الى فضل العليم الخبير فهو أعلم بمقدار ما يعانيه الصائم والصبور من مكافحة الميل ومعاصاة الهوى وقوة الجلد فى اكتساب مرضاة الله وذلك أمر يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال وهو أعلم بذلك من صاحب هذه الأحوال نفسه ، والزكاة بحاجة الى ضبط النفس وكفها عن البخل ومنعها من الاستئثار بما ليس لها من حق الفقير الذى وقع تحت يدها ، وهل يخفى عليك المشاق التى يتعرض لها الحاج والمتاعب التى تعترضه فى طريقه فضلا عن بذل المال المحبوب فى سبيل طاعة الله ، ولعلك قائل وما علاقة الصبر بالايمان : وأقول لك قد روى « الصبر نصف الايمان » م

وقد فسر ذلك بتفسيرين أحدهما أن الايمان المعتد به شرعا هو المعنى الجامع لليقين والعمل على مقتضاه ، وقد رأيت العمل كله بحاجة الى الصبر ، والثانى أن الايمان انما يكون ايمانا اذا أثمر ثمره فى نفس المؤمن وذلك أن يكون شاكرا على السراء صابرا على الضراء والمرء فى حياته لا يخلو عنهما ، فالصبر صبران : صبر على ما تكره ، وصبر عما تحب ، ولعل الثانى أشق من الأول ، فالمكاره فى الغالب محدودة الأمد وأما المحاب فهى محيطة بالنفس تطالبها أن تستوفيها فهى محتاجة الى مصابرة أطول ويقين أثبت وايمان حاضر فى كل لحظة .

آثار الصبر : وأما آثاره وثماره فحسبك فى تقديرها اجمالا ما رأيت من دخوله فى كل الطاعات واحتياج المرء اليه فى جميع الحالات ، وواضح كل الوضوح ، ان الانتهاء عن المحظورات بحاجة الى الصبر عنها كاحتياج متثال الطاعات الى الصبر عليها ونزيدك معرفة لقدرة نظرك الى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة فى شأنه وانظر الى قوله جل شأنه بعد أن أمر عباده بالذكر والشكر ونهاهم عن الكفر : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ • وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ • وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ — الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ • أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**) .

فأنت ترى فى تعقيب الأمر بالذكر والشكر والنهى عن الكفر بالامر بالاستعانة بالصبر والصلاة ان الصبر قوام الطاعات ومعين عليها، وأن اقترانه فى الآية الكريمة بالصلاة التى هى عماد الدين لآية جلية فى ذلك ، وهل يمارى ـد فى تلك المنزلة الرفيعة التى منحها الله ـصابرين وانه معهم وأى شرف وفوز أعظم من هذه المنزلة الرفيعة ، وانك لتلمح فى قوله جل شأنه (**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**) واقتصاره على الصبر ولم يضف اليه الصلاة مع اقترانها به فى الأول تلمح من ذلك ما قدمناه من دخول الصبر فى أنواع العبادات ، فالمصلى صابر فى صلاته فالله معه ثم انه جل شأنه قد بين عقب ذلك حقائق يعين فهمها على الصبر ، ويقوى النفوس على الطمأنينة وتفتح أمام الذهن مغالق خفية متى عرفت على وجهها سهل الاذعان للصبر عليها بل الاطمئنان اليها ، فقال جل من قائل : (**وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي**

سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) ، فنهاهم عن أن يصفوا الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله بالموت والقتل غاية المصائب وبين أنهم أحياء حياة لا نشعر بها ، وحسبنا أن أخبرنا بها ربنا ثم بين حكمة تعريفه عباده للمصائب وأن هذا ابتلاء منه لعباده ليتميز الخبيث من الطيب ، وليتبين عدل الله لعباد الله فقال تعالى : **(ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات)** فعدد أنواعا من المصائب تصيب العباد وجعلها مثلا منه كما قال عز وجل **(الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)** ، ثم أردف هذا الابتلاء بتبشير الصابرين الذين بين صفتهم وعلامتهم بأنهم الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا بلسانهم قولا يطابقه اعتقادهم ويقينهم : انا لله وانا اليه راجعون،انا لله عبيدا يملكنا ولا نملك عليه شيئا أنعم علينا بفضله بدون أن نستوجب ذلك فهو المنشىء لنا والخالق وهو الواهب لهذه النعم بلا ملجىء ولا قاهر ، فله ما أعطى ، وله ما أخذ وانا اليه راجعون فيجزى كل امرىء بما عمل ، فان لم يكن الصبر اعترافا بأنه هو مالك كل شىء فليكن أملا فى الفوز بما وعد به الصابرين يوم يرجعون اليه وما أجمل السياق الذى ذكرت به بشرى حيث قررها على وجه الثبات والتمكين فى قوله : **(أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)** فقد عرف فى أسلوب اللغة العربية أن التعبير عن شىء بصيغة اسم الاشارة بدل الضمير بعد سبق التحدث عنه باثبات صفات تناسب السياق نكتته أن الحكم الذى تثبته قد نشأ عن تلك الصفات واستحق بسببها ، فكأنه هنا يقول ان الصابرين بما صبروا وبما قالوا واعتقدوا من أنهم ملك لله وراجعون اليه يستحقون من الله الصلوات والرحمة يستحقون الثناء العظيم ، يستحقون العطف والاحسان صلوات ورحمة تشملهم وتعممهم وتغدق بهم وتعلو عليهم ، ثم وصفهم كذلك بأنهم هم المهتدون للحق والصواب باعترافهم بعبوديتهم لله ورجعوهم اليه المهتدون للفوز بما يشتهون وادراك ما يرجون فهذا قوله **(أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)** .

وقد قال عمر رضى الله عنه فى ذلك نعم العدلان ونعمت العلاوة جعلنا الله منهم وحشرنا فى زمرتهم .

ابراهيم الجبالى
مدرس بقسم التخصص بالأزهر

مجلة نور الاسلام العدد ٩ رمضان ١٣٤٩ هـ المجلد الأول

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر
كتاب إبراز المعانى من حرز الأمانى
لأبى شامة

لما كان أفضل الأشياء كتاب الله المنزل على رسوله ومصطفاه، وكان علم القراءة لتعلقه به أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا ، فهو أولى ما صرفت فيه الهمم العوالى . وكان الاسناد فيه من مهمات الدين ، وطلب العلو فيه قربة من رب العالمين .

ويجدر بنا أن نشير الى « أن القراءات اختلاف ألفاظ الوحى فى بعض الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وفتح وتقليل وامالة وتفخيم وترقيق وحذف واثبات . وجمع وافراد وغير ذلك .

وقد عرفه صاحب (اتحاف البشر) بأنه علم يكفيه أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله .

(وموضوعه) كلمات القرآن من حيث يبحث فيه عن أحوالها كالمد والقصر والنقل وغير ذلك .

(واستمداده) من السنة والاجماع .

(وفائدته) صيانة كتاب اللــه تعالى عن التحريف والتغيير مع ثمرات كثيرة .

ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارىء معنى لايوجد فى قراءة الآخر . والقراءات حجة الفقهاء فى الاستنباط ، ومحجتهم فى الاهتداء ، مع مافيه من التسهيل على الأمة . ونكتفى بهذا القدر من التعريف بعلم القراءات .

ومن أشهر كتب القراءات . كتاب (حرز الأمانى ووجه التهانى) فى القراءات السبع (للسبع المثانى) .

وهى القصيدة المشهورة بالشاطبية للشيخ أبى محمد القاسم بن قره الشاطبى الضرير المتوفى بالقاهرة سنة ٥٩٠ هـ .

وقد تناوله بالشرح العلامة (٢) شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم ــ المقدس الدمشقى الشافعى المعروف بأبى شامة المولود فى دمشق سنة ٥٩٩ هـ ــ ١٢٠٢ م والمتوفى سنة ٦٦٥ هـ

---

(١) الكتاب موجود بمكتبة الاز هرتحت رقم خاص ١٩٥٢ رقم عام ١٦١٩٠ فى علم القراءات
(٢) الاعلام للزركلى جـ٤ ص ٧٠

للأستاذ محمد عميره علـى

(سنة ١٢٦٧ م) مؤرخ • محدث • بـاحث أصله من القدس • ومولده فى دمشق ، وبها منشؤه ووفاته •

ولى بها مشيخة دار الحديث الأشرفية ، ودخل عليه اثنان فى صورة مستفتيين فضرباه فمرض ومات • له « كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين : الصـــلاحية والنورية » و « ذيل الروضتين » سماه ناشره « تراجم رجـــال القرنين السادس والسابع » و « مختصر تاريخ ابن عساكر » خمس مجلدات و «المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز » فى المكتبة البديرية بالقدس ، وكتابان فى « تـــاريخ دمشق » أحدهما كبير فى خمسة عشر جزءا والثانى فى خمسة أجزاء وله « ابراز المعانى » فى شرح الشاطبية وغير ذلك ووقف كتبـــه ومصنفاته جميعها فى الخزانة العادلية بدمشق، فأصابها حريق التهم أكثرها • ولقب أبا شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الايسر •

وقيل عنه فى طبقات الشافعية الكبرى (١) كان أحد الأئمة قرأ على الســـخاوى وعنى بالحديث فسمع بنفسه من دواوين مـــلاعب واحمد بن عبد الله العطار والشيخ الموفـــق وطائفة ، وبرع فى فنون المعلم • وقيل بلـــغ رتبة الاجتهاد ومن محاسنه (كتاب نور المسرا فى تفسير آية الاسرا واختار فيه أن الاسراء بالنبى ــ صلى الله عليه وســـلم ــ الى بيت المقدس والى السموات وقع مرتين أو مرارا تارة فى المنام وتارة فى اليقظة •

قال : وعلى ذلك يخرج جميع الأحاديث على اختلاف عبارتها والاختلاف فى المكان الذى وقع فيه الاسراء قال : وهذا القول نصره الامام أبو نصر بن الاستاذ أبى القاسم القشيرى فى تفسيره واختاره أيضا أبو القاسم السهيلى وحكاه عن شيخه أبى بكر بن العربى وحكاه ابن المهلب بن أبى صفره فى شرح البخارى عن طائفة من العلماء ، وتعقب فيه قول السهيلى مستدركا قول أهل اللغة أن أسرى وسرى لغتان بمعنى واحد اتفقت الروايات على تسميتــه اسراء ولم يسمه أحد سرى فدل على أن أهل اللغة لم يتحققوا العبارة الى آخر ما ذكـــر السهيلى •• الخ •

وقد ابتدأ المؤلف العلامة أبو شامة رحمـــه الله شرحه على الشاطبية المسمى (كتـــاب ابراز المعانى من حرز الأمانى) •

فقال : « الحمد لله الذى أسبغ علينا نعمه وأفاض لدينا مننه وأنزل الينا كتابه الـــذى فصل آياته فأحكمه وأتقنه ، وجعلنا من حملته وخدام شرعه الذى علمنا فروضه وســـننه ، وخصنا بارسال أكرم الخلق عليه الذى طهـــر

(١) جـ٥ ص ٦١ •

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

غابه وأظهر لسنه وجعل خير الناس أمته وخير القرون قرنه الذى به قرنه،أبى القاسم محمد ابن عبد الله خاتم أنبيائه وسيد أصفيائه وعلم أولياءه الذى زان عصره وشرف زمنه ، صلوات الله وسلامه عليه ما قصد (شام) شامة وبلغ يمان يمنه ، وعلى آلــه الابـــرار الممتثلين أمره المقتفين سننه ، وعلى أصحابه الكرام الذين منهم من آواه ونصره ومنهم مــن هجر لأجله أهله وماله ووطنه ، وعلى كل من تسمهم باحسان فى جميع الأزمان ممن اتخذ طاعـــة ربه سكنه ، ووافق فى الصلاح سره وعلنه ، وجعلنا ممن أصغى للمواعظ فى الدنيا أذنــه وأذهب عنه فى الآخرة حزنه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » .

ثم قال : « ان أولى ماأفنى فيه المكلف عمره وعلق به خاطره » وأعمل فيه فكره تحصـيل العلوم النافعة الشرعية واستعمالها فى الأعمال المرضية ، وأهم ذلك علم كتاب الله تعالى الذى تولى سبحانه حفظه لفضله وأعجز الخلائق أن يأتوا بمثله وجعل ذلك برهانا لتصديق رسالة من أنزل عليه وأخبر أن الباطل لا يأتيه من خلفه ولا من بين يديه .

واستطرد ــ رحمه الله فى شرحه فقال : ان العلوم المتعلقة به كثيرة وفوائد كل علم منــه غزيرة ، لكن الأهم أولا اتقان حفظه وتقويم لفظه ولا يحصل ذلك الا بعد الاحاطة بما صح من قراءاته وثبت من رواياته ليعلم بــأى لفظ يقرأ وعلى أى وجه يروى ، والقرآن كـــلام الله تعالى منقول نقل التولتر عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، الذى أنزل اليــه لم يزل فى كل حين وجيل ينقله خلق لا يحصى ويبحث عن ألفاظه ومعانيه ويستعصى .

وذكر انما يعد أهل العلم منهم من كثرت عنايته به واشتهر عند الناس بسببه الامام أبو عبيد القاسم بن سلام ــ رحمه اللـــه تعالى ــ فى أول كتابه فى القراءات تسمية من نقل عنهم شىء من وجوه القراءات من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أكابر أئمة المسلمين فذكر الخلفاء الاربعة وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وغيرهم من المهاجرين ــ رضى اللـــه عنهم أجمعين ــ وذكر من الأنصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل ومن التـــابعين بالمـــدينة ابن المسيب وعروة وسالما وعمر بن عبد العزيز وبمكة عبيد بن عمر وبالكوفة علقمة والأسود وبالبصرة عامر بن عبد قيس وبالشام المغيرة ابن شهاب . قال : ثم تجرد قوم للقـــراءة فاشتدت بها عنايتهم حتى صاروا أئمة يأخذها الناس عنهم وهم خمسة عشر رجلا من هــذه الامصار الخمسة .

ونقدم للقارىء نموذجا من شرحه لأبيات الشاطبية قال :

بدأت ببسم الله فى النظم أولا تبـــارك رحمانا رحيما وموئلا أى قدمت باسم اللــه الرحمن الرحيم فى أول نظمى هذا يقال : بدأت بكذا اذا قدمته . فالباء الأولى لتقوية الفعل والثــانية هى التى فى أول البســـملة أى

بـدأت بهـذا اللفظ والنظـم الجمـع ، ثم غلب على جمع الكلمات التى انتظمت شعرا، فهو بمعنى منظوم ، أو مصدر بحاله . (واللام) فى النظم للعهد المعلوم من جهة القـرينة وهى قائمة مقام الاضافة ، كقوله تعالى : (**فِى أَدْنَى الْأَرْضِ**) أى فى نظم نزله منزلة المعـروف المشهور تفاؤلا له بذلك ، أو أراد فى هـذا النظم نزله منزلة الموجود الحاضرفأشار اليه كقوله تعالى : (**هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ**) و (أولا) نعت مصدر محذوف أى فى أن نظمت نظما أول . أى أنه مبتكر لم يسبق اليه وهو نظم قصيدة على روى واحد فى مذاهب القراء السبعة موجزه بسبب ما اشتملت عليـه من الرموز .

وقد تشبه به قوم فى زماننا فمنهم من سلك مسلكه مختصرا لها ومنهم من نظم فى مذاهب القراء العشرة زاد رواية أبى جعفـر المدنى ويعقوب الحضرمى وخلف البزار فيما اختار ، والفضل للمتقدم الذى هـو أتقى واعلم ، (فالألف) فى قوله أولا على هذا الوجه للاطلاق لأنه غير منصرف ، ويجوز أن يكون الألف بدلا من التنوين على أن يكون أولا ظرف زمان عامله بدأت أو النظم أى بدأت فى أول نظمى ببسـم الله ، أو بدأته ببسم الله فى نظمى الواقع أولا فهو كقول الشاعر :

فسـاغ لى الشراب وكنت قبلا

(والبركة) كثرة الخير وزيادته واتساعـه وشىء مبارك أى زايد تام وما لا يتحقق فيه ذلك يقدر فى لازمه وما يتعلق به كقوله تعالى: (**وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ**) (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**) ، أى كبير خير ذلك وما يتعلق به مـن الأجر .

وتبارك تفاعل من كتعاظم من العظمة وتعالى من العلو .

وقيل : انه فعل لم يتصرف أصلا لا يقال بتبارك وغيره ، ثم كمل لفظ البسملة بقـوله رحمانا رحيما ، وزاد قوله وموئلا وهذا المعنى زاد دخول الواو فيها حسنا . والموئل المرجع والملجأ وهو وان لم يكن لفظ ثابت الاطلاق على الله تعالى من حيث النقل فمعناه ثابت نحـو (اليه مرجعكم والى الله المصير) .. الخ .

وقد دون المؤلف ـ رحمه اللـه ـ أبيـات الشاطبية بالمداد الاحمر ولا نعلم ان كانت بخط المؤلف أو احد تلاميذه ، والنسخة فيما نعلـم ليس لها نظير فى المكتبات الاخرى وتعتبـر من المخطوطات النادرة ، ورتب المؤلف شرحـه حسب ترتيب سور القرآن الكريم ، والنسخة موضوع البحث كاملة لا نقص فيهـا مكتوبة بخط النسخ الجيد تسهل قراءتها وعدد أوراقها ٣١٢ ورقة وأسطرها مختلفة .

ومكتبة الأزهر لا تألو جهـدا فى أن **تقدم لقراء مجلة الأزهر تعريفاً بقـدر استطاعتها عن المكنون من ذخـائرها فى مخطوطاتها النادرة من حيث نوعيتهـا وأقدمية تاليفها نفع الله المسـلمين بما تركه السلف الصالح من علم ينتفع به ومعين لا ينضب ما بقى الزمن .**

مـدير
مكتبة الأزهر
محمد عميرة على

في اللغة والأدب والنقد

■ أدب الرافعي في خدمة العروبة والإسلام

■ الجملة النحوية

■ العقد الفريد.. لابن عبد ربه.

■ في حاشية الأمير

■ دراسة عن مجلة الشباب وعلوم المستقبل

حتى ..

معانيها .. واستعمالاتها

حتى حرف ياتى لافادة معان ثلاثة : ١ ـ انتهاء الغاية وهو الغالب ، ٢ ـ التعليل ، ٣ ـ وبمعنى (الا) فى الاستثناء وهو أقلها ، وقل من يذكره من النحويين .

استعمالاتها : تستعمل حتى على ثلاثة أوجه : ١ ـ جارة بمنزلة (الى) ، ٢ ـ عاطفة كالواو ، ٣ ـ أن تكون حرف ابتداء .

حتى الجارة

الاستعمال الأول لحتى استعمالها حرف جر كالى فى المعنى والعمل ، كقول ابن خفاجة الأندلسى :

فحتى متى أبقى ، ويظعن صاحب ؟
أودع منه راحلا غير آئب

ولكنها تخالفها فى أمور ثلاثة :

أولها : أن المجرور بها له شرطان :

شرط عام ، وهو أن يكون ظاهرا لا مضمرا خلافا للكوفيين والمبرد ، وأما قول الشاعر :

أنت حتاك تقصد كل فج
ترجى منك أنها لا تخيب

فهو ضرورة .

واختلف فى علة منع جرها المضمر . فقيل : لأن مجرورها لا يكون الا بعضا أو كالبعض مما قبلها ولا يجوز عود ضمير البعض على الكل ، ويرد هذا التعليل أن للضمير قد يكون حاضرا (ضمير مخاطب) كما فى البيت فلا يعود على ما قبل حتى ، كما أنه قد يكون ضمير غيبة عائدا على ما تقدم غير الكل نحو : محمد أكرمت الوفد حتاه .

وقيل : علة المنع التباسها بالعاطفة ، ويرد هذا:أنها لو دخلت على الضمير لقيل فى العاطفة مثلا : قام القوم حتى أنت وأكرمت القوم حتى اياك بفصل الضمير عنها ، لأن الضمير لا يتصل بعامله العاطف .

وقيل فى الخافضة : حتاك بالوصل كما فى البيت ، وحينئذ فلا التباس .

الشرط الثانى خاص بالمسبوق بمعطوف عليه ذى أجزاء ، وهو أن يكون آخر تلك الأجزاء نحو : أكلت السمكة حتى رأسها أو متصلا

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

بالآخر نحو قوله تعالى : (سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) .

ثانى الأمور التى تخالف حتى فيها « الى »، هو أنها اذا لم يكن معها قرينة تقتضى دخول ما بعدها كما فى قول الشاعر :

القى الصحيفة كى يخفف رحله

والزاد ، حتى نعله ألقاها

أو عدم دخوله كما فى قوله :

سقى الحيا الأرض حتى أمكن عزيت

لهم فلا زال عنها الخير مجدودا

حمل على الدخول ، عكس ما بعد « الى » فانه يحكم بعدم دخوله على الغالب فى الحالتين .

وقد ادعى شهاب الدين القرافى أنه لا خلاف فى دخول ما بعد حتى ، وهذا غير صحيح فالخلاف واقع مشهور، وانما المتفق على دخوله هو ما بعد حتى العاطفة لا الخافضة ، والفرق أن العاطفة بمعنى الواو .

ثالثها : أن كلا من حتى والى قد ينفرد بموضع لا يصلح فيه الآخر ، فمما انفردت به « الى » أنه يجوز أن تقول : تحدثت الى رئيس المدينة ، وأنا الى على ، أى أننى وفى مخلص له ومعين له فى كل أموره ، وسرت من السويس الى الاسماعيلية ، ولا يجوز : تحدثت حتى رئيس المدينة ، ولا حتى على ، وحتى الاسماعيلية . ومما انفردت به حتى وقوع الفعل المضارع المنصوب بعدها نحو : حثثت السير حتى أدخل المدينة قبل حلول الظلام على تقدير حتى أن أدخل المدينة ، وأن المضمرة هذه والفعل المضارع فى تأويل مصدر مجرور بحتى وانما نصب الفعل بعد حتى بأن مضمرة لا بحتى نفسها كما زعم الكوفيون ، لأنه قد ثبت واشتهر أن حتى تجر الأسماء وما يعمل فى الأسماء لا يعمل فى الأفعال ، وكذلك العكس .

وحتى هذه الداخلة على المضارع المنصوب لها ثلاثة معان :

١ ــ مرادفة « الى » فى الجر نحو قوله تعالى : (قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ)، ٢ ــ تعليلية بمعنى (كى) نحو قوله سبحانه : (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) ، وقوله : (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا) .

ونحو قولك : (أخلص العمل حتى تظفر بالاحترام) ويحتمل المعنيين (مرادفة « الى» والتعليل) قوله تعالى : (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ) ، ثالثها : أن تكون بمعنى (الا) فى الاستثناء ، وهذا المعنى يفهم من قول سيبويه فى تفسير قولهم : (**والله لا أفعل الا أن تفعل**) المعنى : حتى أن تفعل ، فجعل حتى مرادفة « الا » ، وحالة محلها ، كما

"حتى" معانيها واستعمالاتها

يفهم بوضوح أيضا مما أنشده ابن مالك من قول الشاعر :

ليس العطاء من الفضول سماحة
حتى تجود وما لديك قليل

وأيضا قول امرىء القيس :

والله لا يذهب شيخى باطلا
حتى أبير مالكا وكاهلا

لأن ما بعد حتى فى البيتين ليس غاية لما قبلها فتكون بمنزلة الى فى الجر ، ولا مسببا عنه فتكون تعليلية .

وجعل ابن هشام من هذا القبيل الحديث المشهور (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه) لأن زمن الميلاد لا يطول ويمتد فتكون حتى فيه للغاية ، وليست الولادة على الفطرة علة لتهويد المولود أو تنصيره ، فتكون حتى فيه للتعليل ، ويمكن تخريجه على وجه آخر ، وهو تقدير جملة محذوفة ، أى كل مولود يولد على الفطرة، ويستمر كذلك حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه .. الخ .

حكم الفعل المضارع بعد حتى الجارة

الفعل المضارع الواقع بعد حتى الجارة يأتى منصوبا ومرفوعا ، فينصب اذا كان مستقبلا ، ثم ان كان استقباله بالنسبة الى زمن التكلم فنصبه واجب نحو قوله تعالى فى (سورة البقرة) : **(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)** وقوله سبحانه (فى سورة الانعام) : **(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ)** . وقوله عز شأنه (فى الأعراف) : **(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)** وقوله أيضا فى سورة التوبة : **(عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)** وقوله تعالى فى سورة يوسف : **(قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)** وقوله فى سورة الرعد **(وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ)** وقوله جل علاه فى سورة الكهف : **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا)** وقوله سبحانه فى سورة طه : **(قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)** .

وأمثلة هذا النوع من الكتاب العزيز بينة موفورة .

وان كان استقباله بالنسبة لما قبلها خاصة جاز نصبه ورفعه ، وقد قرئ بالوجهين (النصب والرفع) قوله تعالى : (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؟) فاستقبال الفعل هنا بالنظر الى وقت الزلزال لا بالنظر لوقت سرد القصة علينا فى زمن التكلم ، فقراءة نافع بالرفع بتقدير حتى حالتهم حينئذ أن الرسول والذين معه يقولون كذا وكذا ويرتفع الفعل بعد حتى اذا استوفى شروطا ثلاثة :

أولها : أن يكون للحال أومؤولا بالحال ، فان كانت حالية بالنسبة لزمن التكلم وجب رفعه كقولنا : سار محمد حتى يدخلها اذا قلنا ذلك حال دخوله ، وان كانت حالية محكية وليست حقيقية يرفع ، ويجوز نصبه اذا لم تقدر الحكاية كالآية آنفة الذكر •

ثانيها ، أن يكون مسببا عما قبلها ، فلايجوز أن تقول : سرت حتى تطلع الشمس ، ولا أن تقول : ماسرت حتى أدخلها ، ولا ، هل سرت حتى تدخلها ، لأن طلوع الشمس لا يتسبب عن السير ، وأن الدخول لايتسبب عن عدم السير ، وأما المثال الثالث (هل سرت حتى تدخلها) فالسبب مشكوك فى وجوده • ويجوز أن تقول : أيهم سار حتى يدخلها ؟ ومتى سرت حتى تدخلها ؟ لان السير الذى هو سبب الدخول محقق ، وانما المشكوك فيه هو عين الفاعل ، وعين الزمان •

وأجاز الأخفش الرفع بعد النفى على تقدير أن الكلام أصلا ايجاب ثم دخلت آداة النفى على مجموع الكلام بأسره لاعلى ماقبل حتى خاصة ، وسيبويه لايمنع الرفع بعد النفى اذا كان مسلطا على جملة الكلام بمجموعه لكنه يمنعه اذا كان النفى منصبا على السبب خاصة ، وهذا موضع اتفاق بينهم •

ثالثها : أن يكون فضلة ، فيمتنع أن تقول : سيرى حتى أدخلها لكيلا يبقى المبتدأ بغير خبر ، لأن المرفوع بعد حتى مستأنف ، وكذلك كان سيرى حتى أدخلها ان قدرت كان ناقصة، لئلا تبقى بغير خبر ظاهر أو مقدر ، فان قدرت كان تامة جاز الرفع •

للاستاذ : أحمد حسن عبد العواض هلالى

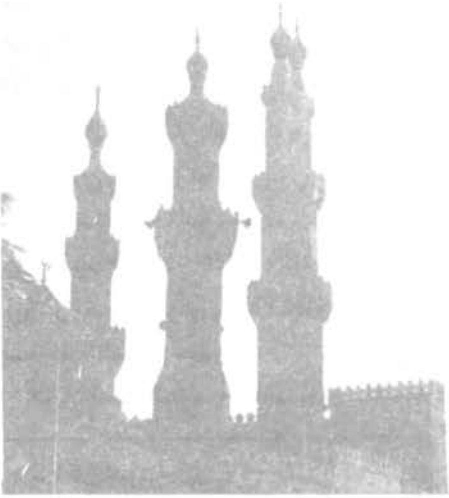

الجُملة النحْويّة

ثانيًا

الجملة التى تشتمل على فعل

ثانيا ـ الجملة التى تشتمل على فعل :

والفعل فيها يكون مسندا ، ومثل هذه الجملة قد تكون اسمية ، وقد تكون فعلية ، وفعل هذه الجملة قد يكون ماضيا ، وقد يكون مضارعا ، ثم الجملة مع الفعلين تكون مثبتة أو منفية(١) وقد دل الاستقراء على أن موقف المسند اليه فى جملة الماضى غيره فى جملة المضارع ، وعلى أنه فى الجملة المثبتة غيره فى الجملة المنفية أو الاستفهامية(٢) .

أ ـ فالجملة التى اشتملت على فعل ماض وخالية من النفى ، نظامها يكون بذكر المسند أولا فالمسند اليه ثانيا ، تقول : حضر محمد ، وقد يوجد غير هذا النظام ، فيقدم المسند اليه ويؤخر المسند ، ويكون هذا النظام أسلوبا من أساليب القصر والحصر .

ب ـ أما الجملة الماضوية المنفية أو الاستفهامية ـ ولا تكون أداة النفى بين المسند والمسند اليه ، فلا نكاد نعثر فى الأساليب الصحيحة على شىء يشبه «أنا ما فعلت هذا»(٣) ـ فأكثر الترتيب فى مثل تلك الجمل يكون بتقديم أداة الاستفهام أو النفى ـ لأن لهما الصدارة كما يقول : النحاة ـ فالمسند والمسند اليه ، تقول : هل حضر محمد ؟ ، وما حضر محمد ، فاذا حصل تقدم للمسند اليه على المسند أحسسنا أن كلا من المتكلم والسامع يفترض أن الحديث قد حصل ووقع وكان ، وأن موضع نفيه أو استفهامه هو المسند اليه نفسه وبذاته ، فعليه ينصب النفى أو الاستفهام ، أما نفى وقوع الحدث أو الاستفهام عن وقوعه فأمر ثانوى يفهم تبعا فى مثل هذا الأسلوب ، ولذا فهذا الأسلوب طريق آخر من طرق القصر والحصر(٤) .

---

١ ـ انظر أسرار اللغة ٣٠٦ .

٢ ـ أسرار اللغة ٣٠٧ .

٣ ـ من أسرار اللغة ٣١٢ .

٤ ـ المرجع السابق .

للدكتور محمد زين العابدين حسن سلامة

وقد وقع مثل هذا الترتيب فى القرآن قال تعالى «أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ»(١) «أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ» (٢) • فالحدث قد وقع فعلا ، فقد كسرت الأصنام ، وقد قيل للناس اتخذوا عيسى وأمه الهين ، ولكن الاستفهام الانكارى منصب على المسند اليه ، فهو محل التساؤل ، أما هذا الترتيب فى الأسلوب مع النفى فلم يقع فى القرآن الكريم(٣) •

جـ ــ الجمل المثبتة التى اشتملت على فعل مضارع لها صورتان :

الصورة الأولى : تبدأ بالمسند يليه المسند اليه ، تقول : يذهب على ، وهذه الصورة هى الكثيرة الشيوع ، ولا يكاد يعرض للمضارع فيها تغيير ــ فلا تلحقه علامة تثنية أو جمع فى المشهور ، وقد تلحقه علامة تأنيث وقد لا تلحقه ، على تفصيل يعرف فى باب الفاعل فى النحو •

الصورة الثانية : أن يتقدم المسند اليه ، فنقول : على يذهب ، وحينئذ يجب أن نعد الجملة جملة اسمية ، والمضارع حينئذ يجب مطابقته للمسند اليه •

د ــ الجملة المضارعية المنفية :

والصورة الشائعة لهذه الجملة فى ترتيبها هى : أداة النفى فالمسند فالمسند اليه ، تقول : لم يحضر على ، وهذه جملة فعلية ، ويندر أن يسبق فيها المسند اليه المسند ، مع تقدم أداة النفى على الجمع(٤) ، أما اذا توسطت أداة النفى بين المسند اليه والمسند ، نحو : محمد لا يلعب فى الحديقة ، فهذا استعمال كثير ، ويعد هذا الاستعمال جملة اسمية ، وذهب د/ ابراهيم أنيس ، الى أن مثل هذه الجملة لا تعد من الناحية اللغوية جملة منفية ، بل هى كالمثبتة تماما (٥) •

الاعتراض بين جزأى الجملة :

الاعتراض فى الجملة الواحدة ورد فى النصوص الصحيحة بالجمل الدعائية ــ مثل : ويل له ، لا فض فوه ، رحمه الله ، أيده الله وبالقسم والشرط والنداء والجار والمجرور والظرف •

على أن النحاة حين يعرضون للفصل بين

١ ــ الانبياء ٦٣ •
٢ ــ المائدة ١١٦ •
٣ ــ من أسرار اللغة ٣١٢ ــ ٣١٣ •
٤ ــ المرجع السابق ٣١٧ •
٥ ــ من أسرار اللغة ٣١٦ •

الجملة النحوية

جزأى الجملة الواحدة ، يرون بعض الأجـزاء أوثق فى ارتباط بعضـها ببعض من الأجـزاء الأخرى ، فبينما يجيزون الفصل بين المسـند والمسـند اليه ، وبين النعت والمنعـوت ، وبين القول ومقوله ، نراهم يتحرجون من الفصل بين العدد والمعدود ، وبين المضاف والمضـاف اليه ، ويختلفون فى هذا اختلافا كبيرا — انظر المغنى والتصريح وشرح المفصل وشرح الكافية .

ومن أمثلة الجمل الاعتراضـية الحسـنة ، ما ورد فى القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : « وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ »(١) ، « وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ »(٢) ، « قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ »(٣) ، « إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ »(٤) .

موقع غير المسند والمسند اليه فى الجملة :

غير المسند والمسند اليه هو ما يطلق عليـه البلاغيون « متعلقات الاسناد » وهو ما يسميه النحويون بـ « الفضلات » ويشمل هذا أشياء كثيرة ، كالمفعول به ، والمفعول المطلق ، والمفعول لأجله ، والمفعول معه ، والاستثناء ، والتمييز ، والحال ، والجار والمجرور ، والظرف ، وغـير ذلك مما تزخر به كتب النحاة .

---

١ — الاعراف ١٤١ .
٢ — البقرة ٧٠ .
٣ — الانعام ١٥ .
٤ — الانعام ٢٣ .

هذه الأمور ما مكانها فى الجملة ؟ لقـد عالج البلاغيون هذا بأن أرشدونا الى دسـتور عام يبين موضعها فى الجملة ، فقرروا أن الأصل فيها التأخر ، أى تكون فى أواخر الجمل ، ولا تتقدم على المسند اليه الا لنكتة بلاغية ، ولا تتقـدم على ركنى الاسناد الا حين يراد التخصيص أو التأكيد ، تاركين تفصيل هـذه الأحـكام لكتب النحاة .

فاذا رجعنا الى قواعد النحاة المدونة فى كتبهم وجدنا تطويلا وتفصيلا وخلافا فى بيان الحـكم الاعرابى ، يكاد يغمر تلك المتعلقات وموضـعها من الكلام ، وهم قد يشيرون الى مكانهـا ولكن مع ذكر الاختلافات الطويلة بينهم ، وليس هذا مقام تتبع مكان هذه المتعلقـات ، فلنرجع الى كتب النحاة والتعرف على ما فيهـا من أحكام ، وذلك لكى نبنى جمـلا خاليـة من المخالفـات النحوية .

نظام الجملة فى الشعر :

ماسبق هو نظام الجملة فى النثر ، فهل هـو نفس نظامها فى الشعر ؟ لا شك أن الأمر يختلف ، لأن الشعر له نظام يترتب عليه مخالفته لنظـام الجملة فى النثر .

فالشعر له نظام من معالمه :

أن له موسيقى هى الأوزان والقافية .

وأنه يتخذ من ألفاظ اللغة قدرا خاصا يحرص عليه الشعراء المجيدون أشد الحرص .

وهو يهدف الى العاطفة والخيال ، فيحلق مع

خياله ، وينتزع من قريحته صورا لا تكاد تخطر على بال • وأنه يكثر فيه أسلوب المجازات والاستعارات ، رغبة من الشاعر فى تجلية صوره وأخيلته •

وأن الألفاظ تشحن فيه بأكبر قدر من المعانى، فالشاعر لا يكتفى بما تدل عليه الألفاظ والتعابير من معنى حقيقى واضح الحدود فى أذهان الناس ، بل يستغل الى أبعد حدود الاستغلال ظلال المعانى ، وما توحى به العبارات مع معناها من ذكريات وتجارب ذات أثر قوى فى النفوس، فالايجاز فى اللفظ والاطناب فى المعانى من سمات الشعر ، ومن أهم أهداف الشعراء ، ويكفى أن يحاول أحد نثر أبيات لشاعر مجيد ، ليتضح له أن ما تتطلبه تلك الأبيات من عبارات نثرية تزيد كثيرا عما تتضمنه تلك الأبيات من ألفاظ ، لأنه سيوضح معانى الألفاظ المباشرة ، ثم ما يوحيه الشعر من ظلال المعانى ، وما يثيره من الخواطر والعواطف ، وان لم يعبر الشعر عنها تعبيرا مباشرا فى ثوب من الألفاظ والجمل •

وقد ترتب على رغبة الشاعر فى شحن ألفاظه المختارة بقدر كبير من المعانى ، مع استعمال الأخيلة وأسلوب المجاز ، وفى نفس الوقت مع المحافظة على الوزن ، ان عمد الى نظام خاص به نابع من نفسه فى ترتيب تلك الألفاظ ، فرارا من المألوف المعهود فى نظام النثر الذى يقيده ويحدده ، — وهو بطبعه ميال الى الحرية والتحليق بلا قيود — وأدى مثل هذا الى أن شهدنا للشعر صفة خاصة به فى ترتيب كلماته •

ولكن ما نشهده فى نظام الشعر لا يصل عادة الى أن يصبح ذا كيان مستقل عن نظام النثر ، بل يشترك مع نظام النثر حينا ، ويفر منه حينا آخر ، دون أن يعمد الشاعر الى مثل هذا الخروج ، أو يلتمسه قصدا ، بل يرد فى نظمه وهو لا يكاد يشعر بوروده ، حتى يفد اليه أحد اللغويين فيدله عليه،ويلفت نظره اليه ، وهنا قد يثور الشاعر لفنه ، وتنشب تلك الخصومات بين الشعراء واللغويين القدماء ، كالذى حصل بين الفرزدق وعبد الله بى أبى اسحاق الحضرمى(١)

اذن فالشعر له نظام فى ترتيب جمله ، يخالف ترتيب جمل النثر التي ذكرت سابقا ، وذلك فى القليل النادر ، والشعراء لا يقصدون الى مثل هذه المخالفة ، ولا يعمدون الى شىء منها ، بل ترد فى النظم وهم لا يكادون يشعرون بوجودها وكان هذا النظام الخاص بالشعر بسبب ما له من معالم تميزه عن النثر •

نظم الجملة :(٢)

الكلمة أو العبارة حين ترهق بالقيود والأغلال تصاب بالجمود وتحرم الطواعية والنماء ، وتتوقف عن أن تكون رباطا ومسجلا ومستودعة للحياة ، وحينئذ لا تروق ولا تشوق ، ولاتسعف ولا تطرف فى عصر التكنولوجيا المتغير المتجدد ، ولكن اذا نفض ما علاها من قيود ، تنطلق فى التعبير وتستوعب الجديد ، وتجد فى الترجمة ، وتسهم فى حضارة العصر بالتعبير والتسجيل ،

---

١ — انظر نزهة الالباء ١٩ ، وطبقات الزبيدى ٣١ ، والقاضى الجرجانى وكتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه ، د• صلاح عبد التواب — دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٥ص ١٤٥ ، والموشح ١٠٢ ، والشعر والشعراء ١١ ، ١٢ •

٢ — انظر مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٢٨ ، وجريدة الاهرام العدد ٣٥٣٠٦ •

الجملة النحوية

وذلك فى اطار التعابير الواضحة ، والكلمات الجليلة الظاهرة .

ان فى العربية صيغ عويصة ، وجلاميد صخر شديدة ، فما المانع من استبعاد هذا ؟ ، ثم اصطفاء : الرائق الجميل من صورها وعباراتها وما أكثره،مع ملاحظة أن فى العربية سعة وفنونا من الاستعمال ، فاذا تعسر بناء من الأبنية ، أو ثقل أسلوب من الأساليب ، صرنا الى شىء آخر ، أليس سهلا أن نلجأ الى أسلوب الاضافة فنقول : « أنظمة التسوية » بدلا من أسلوب « الأنظمة التسووية » والاضافة تؤدى ما يؤديه أسلوب النسب ، وبذلك نتخلص من الثقل البغيض،الحاصل من اجتماع الواوين فى حشو الكلمة الواحدة ، وهى « التسووية » .

والحشو ـ عامة ـ فى الجمل ليس من الرائق الجميل فى اللغة ، وذلك لأنه ينزل بالكلمات منزلة الدرك الأسفل ، ويجعلها فضفاضة خالية من محتواها الحقيقى ، فقوة الجملة وحيويتها تكمن فى خلوها من الحشو ، مع أقصى مايكون من الدقة ، لأن للجملة المفيدة حجم يأخذ حظا من الزمان ومن المكان يجب ألا يتعداه ، فأحسن الكلام كما يعرفه الجاحظ « ماكان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه فى ظاهر لفظه »(١) .

والكلام السهل الذى يخاطب آلاف الناس ، أو الذى تقرؤه الجماهير ، يعتمد على القدرة فى تبسيط المادة ، وعرضها فى أسلوب شيق ممتع ، هذه البساطة فى تركيب الكلام ، هى التى تجذب أنظار الناس لكاتب معين يقرأون له ، أو لمتحدث محدد يستمعون له ، ويتحدثون عنهما ، ولن تقوم الصلة الوثيقة بين كاتب وقرائه ، أو بين متحدث ومنصت ، الا عندما يصل ببساطة لغته وبراعة أسلوبه الى عقول الناس .

والمواد المقروءة أو المسموعة تتأثر تأثرا مباشرا بمدى سهولة الكلمات والجمل التى تشتمل عليها فى نظمها وتركيبها ، فكيف نحقق ذلك ، ونصل الى كلمات وجمل سهلة ميسورة فى نظمنا لأسلوبنا ؟ هناك أمور لو راعيناها حققنا ذلك .

أولا ـ فى الكلمات :

لكى نصل الى كلمات سهلة علينا أن نراعى الأمور الآتية :

١ ـ الكلمة الشائعة التى يكثر تكرارها وتداولها أسهل من غيرها ، فكلمة « رجل » أسهل من كلمة « زميل » لشيوع الأولى .

٢ ـ الكلمات القصيرة أسهل من الكلمات الطويلة ، فالكلمة تزداد صعوبة تبعا لزيادة عدد حروفها ، لأن الكلمة الطويلة ثقيلة فى النطق والهجاء والاستعمال ، وعلى ذلك فكلمة « دار » أسهل من كلمة « منزل » لأن الأولى مكونة من ثلاثة حروف ، والثانية مكونة من

١ ـ البيان والتبيين ١/١٨٦ .

أربعة ، ولذلك كانت الكلمات الثلاثية كثيرة فـي اللغة لحفظها وسهولتها •

٣ ــ نوع الكلمة يحدد مستوى سهولتها ، فالأسماء أقرب الى السهولة من الأفعال ، لأنها تدل على وجود ذاتى أو معنوى ، أما الأفعـال فأحداث فى زمن ، والزمن أكثر تجريدا مـن معنوية الأسماء ، ولذلك كانت الأسماء أصـلا للأفعال ، وبالتالى أكثر دورانا وتكـرارا من الأفعال ، ثم أسماء الذوات أسهل من اسـماء المعنى ، فمثلا كلمة « قلم » أسهل فى ادراكهـا من كلمة « فكر » ، لأن الكلمات الحسية أسهل الى الفهم ، وبالتـالى أسرع الى التـداول ، وهكذا يحـدد مفهوم الكلمـة مـدى شيوعها ومستوى سهولتها •

٤ ــ الضمائر الشخصية سبب فى سـهولة الكلمة ، لأن الحديث عن النفس ممتع جذاب ، ولذا فالضمائر الشخصية تؤثـر فى سـهولة استعمال الكلمة ، والفهم المباشر لهـا ، فعندما تحدث انسانا عن نفسه فانه يهتم بحديثك أكثر مـن اهتمامه بحديثك عن شخص آخـر ، أو موضوع غـير شخصى ، ولـذا تكثر الضمائر الشخصية فى حوار الناس وحديثهم ، مثـل « أنا وأنت » وغير ذلك مما يثير مباشرة الفرد ، ولعل هذا هو أحد الأسباب التى تجعل الناس يميلون الى قراءة القصص والروايات ، لأنهـا تعبر بطريق مباشر أو غير مباشر عن شخصياتهم وعواطفهم وآمالهم وآلامهم ، والقصة الناجحة هى التى تمس أعماق النفس ، فتثير الانفعـال والاعجـاب •

٥ ــ الكلمات الغريبة فى رسمها أو معناهـا تحدد مستوى سهولة الكلمة ، فسهولة العبارات تتأثر بنسبة الكلمـات الشـاذة الغريبة التى تحتوى عليها ، لأن هذه الكلمات تعوق الفهم ، وتحول بين الفرد وبين التعرف الصحيح عـلى الكلمة ، لغرابة رسمها ، أو لغموض معناهـا ، أولهما معا ، ولذا يستحسن تجنب اسـتخدام الأوزان غير الشائعة لبعض الأفعال ، مثـل « يئس » فـ « أيس » أسهل منهـا ، وتجنب الألفاظ الثقيلة ، مثل « استحجر » فـ «تحجر» أسهل منها ، والمصطلحات الدقيقة ، مثـل « المصادق » فـ « المراجـع » أسهل منهـا ، والكلمات التى تحتمل أكثر من معنى ، مثـل « عين » بمعنى جهاز الابصـار فى الانسـان ، وبمعنى بئر الماء ، وبمعنى جاسوس ••• ، لأن مثل هذه الكلمات غامض الـدلالة ، تتعب فى الفهم ، فيحار الانسان فى تحديد المراد منها ، كذلك يجتنب ما أمـكن استخـدام الأسـماء المقصورة مثل « صرعى » لاختلاف نطقهـا عن اسـمها •

هذه أمور لو روعيت لأمكن الوصول الـى كلمة سهلة خفيفة نطقا وكتابة وفهما •

ثانيـا ــ سهولة الجمـل :

الجمل المناسبة تؤثر على بساطة الأسـلوب وسرعة فهم الفكرة ، ولذا يجب أن تخضـع الجملة فى فكرتها وصورتها وبنائها للوضوح ، حتى تؤدى هدفها فى تيسير القراءة ، وسـلامة التعبير ، وتقاس سهولة الجملة بما يأتى :

الجملة النحوية

١ ــ البساطة الفكرية للجملة : فالجملة الكاملة تؤدى معنى ، ويختلف مستوى صعوبة الجملة أو سهولتها تبعا لعدد الأفكار التى تشتمل عليها ، ولذا يجب أن تحتوى الجملة على جزء محدود من الفكرة التى تقوم عليها الفقرة ، فعلاقة الفقرة بالجملة هى علاقة الفكرة بأجزائها .. ولذا يجب ألا تختلط هذه الأجزاء ، بل تتتابع فى انتظام ونسق واضح ، بحيث تؤدى فكرة أية جملة الى فكرة الجملة التى تليها .

وهكذا تتحقق البساطة الفكرية للجملة ، وتصبح قراءتها سهلة ، وفهمها ميسورا .

٢ ــ طول الجملة يؤثر فى سهولتها ، فالجملة القصيرة جدا قد تؤدى الى الايجاز المخل ، وهذا الايجاز يعوق فهم المعنى ، كما أن الجملة الطويلة جدا تؤدى الى الاطناب الممل ، والاطناب الكثير يؤدى الى الكلل ، وتشتت الانتباه ، وقد يؤدى أحيانا الى اختلاط الجملة بالفقرة ، ولذا يجب أن يكون طول الجملة مناسبا لمستوى القارىء .

٣ ــ نوع الجملة يؤثر فى سهولتها : فالجمل الاسمية أبسط وأسهل من الجمل الفعلية ، لأنها تبدأ بالاسم ، الذى هو فى الأغلب والأعم أسهل من الفعل ، لذا فالأفضل أن نعتمد على الجمل الاسمية فى انتاج مواد القراءة السهلة ، والمواد المسموعة الميسرة .

٤ ــ التقديم والتأخير يزيد فى صعوبة الجملة : يتقدم المبتدأ على الخبر فى الصورة الأصلية للجملة الاسمية ، ولكن عندما يتقدم الخبر على المبتدأ يزداد تعقيد الجملة ، لأنها تخرج بذلك عن الصورة المألوفة لها ، لذا فالأحسن أن نراعى الصورة المألوفة للجملة الاسمية ــ مع المحافظة على قواعد النحو ــ منعا لتشتت الفكر وبطء الفهم ، وبخاصة مع المستويات الأولى .

٥ ــ تباعد مكونات الجملة يزيد من صعوبتها:

يراعى أن نتجنب التباعد الكبير بين المبتدأ أو الخبر ، أو بين اسم « ان » وخبرها ، أو اسم « كان » وخبرها ، أو بين الشرط وجوابه ، أو بين الضمير والاسم الذى يعود اليه ، كذلك يراعى الابتعاد عن كثرة الجمل الاعتراضية ، وذلك حتى لايتعقد المعنى ، وحتى لاتقوم العوائق أمام الفهم المباشر السريع للجمل المختلفة ، لذا كان ولابد أن نقارب بين مكونات الجملة ، حتى يستقيم التركيب اللغوى ، وحتى تتيسر عملية القراءة والانصات والفهم .

٦ ــ حذف أحد مكونات الجملة يزيد فى صعوبتها : تحتوى الجملة فى صورتها الأصلية على مكوناتها دون حذف أو تقدير ، وبذلك يظهر المبتدأ أو الخبر فى الجملة الاسمية ، والفعل والفاعل فى الجملة الفعلية ، وعندما يختفى أحد هذه المكونات فان المعنى يصبح غامضا ، لأنه يحتاج الى جهد عقلى معين لادراكه ، لذا يجب

أن نتجنب الحذف والتقدير في بنائنا اللغوى للجملة .

٧ – المبنى للمعلوم أسهل من المبنى للمجهول بناء الفعل للمعلوم في الجملة يوضح الفعل والفاعل ، ولذا فهو أيسر فهما ، وأقرب منالا من البناء للمجهول ، الذى يغير صورة الفعل ، ويحذف الفاعل ، وهكذا نرى الاعتماد على المبنى للمعلوم في التكوين اللغوى للجملة ، وخاصة في عملية انتاج المواد السهلة .

٨ – الانتقال السريع في زمان الفعل يعقد المعنى : الانتقال السريع من الماضى الى الحاضر .. أو من الحاضر الى المستقبل ، أو في الزمن عامة مهما كانت صورته ، قد يكون جميلا في البناء اللغوى الناضج ، لأنه يتطلب تركيز الانتباه ، ويضفي على الصورة اللغوية جمال الحركة والمرونة ، لكنه مهما كانت صورته يعوق الفهم السريع المباشر للجملة ، ويوقف التفكير المطلوب فيه أن يكون سريعا حادا يتمشى مع نبضات عصر السرعة ، لذا لابد أن نراعى الوحدة الزمنية للجملة ، فلا نضمنها أكثر من صورة زمنية واحدة للفعل ، وما أمكن نراعى هذا التناسق الزمنى في الجمل المتعاقبة ، حتى لانفاجىء القارىء أو السامع بالصور الزمنية المختلفة الماضية والحاضرة والمستقبلة،بل نسير معه وفق سرعته الفعلية ، ومستواه الاستيعابى الموجود فيه .

٩ – عدم الاسراف في الصفات : فكثرة الصفات – بلا داع – تبعث على الملل والسأم وفي نفس الوقت من نتيجة هذه الكثرة تباعد مكونات الجملة ، وهذا بدوره يؤدى الى طول الجملة واطنابها ، وكل ذلك غير مستحب في سهولة الجملة ، وسرعة فهمها واستيعابها .

هذه أمور وموازين لو أخذت في الاعتبار عند نظم الجملة ، فلعها تجعلها سهلة ميسورة ، واضحة جلية ، في الفهم والاستعمال .

والمقصود من كل ماسبق هو أن يكون الحديث واضحا ، والكتابة جلية ، وهذا هو المطلب الأسمى في كل كتابة على الاطلاق ، هذه هى القضية ، وهى قضية هامة للغاية ، أو هى رسالة .

وبذا أصل الى نهاية ما أردت بيانه وعرضه من أمور تخص الجملة نشأة ونظاما ونظما ، أما اعراب الجملة وذكر أعداد التى لها محل أو التى لامحل لها ، وكذلك تقسيمها الى اسمية وفعلية أوغير ذلك،وتقسيمها الى صغرى وكبرى .

فلم يكن ذلك من قصدى ومرادى ، فلم أرم الى شىء من ذلك ولا دار بخلدى ، لسبب بسيط جدا هو ان كتب النحو فيها ذلك ، في مكان واحد أو في أماكن متفرقة ، وبخاصة كتاب المغنى لابن هشام ، فلتراجع عند الرغبة في ذلك (١) ، أما ما ذكرت فارجو أن أكون موفقا فيه ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

---

١ – انظر المغنى ٢/٤١٩ وما بعدها ، وشرح المفصل ١/١٨ ، ٨٨ وما بعدها ، شرح الكافية ١/١٦ ، وهمع الهوامع ١/١٢ – ١٣ ، والتسهيل ٤٨ ، ١٦٧ ، واعراب القرآن للزجاج ١٧١ ، ٦٣٠ .

مُصطفى صَادِق الرَّافِعى

نفحة من عبقريته

تذكرنا لأديب الأمة الاسلامية الكبير ، المغفور له مصطفى صادق الرافعى ، فى هذه الآونة بالذات ، ضرورى وحتمى ، لأنه يعد بمثابة افتقاد البدر فى الليلة ، أو الليالى الظلماء .. كما قال الشاعر . لأن بلاغة الرافعى تذكر الأمة العربية جمعاء، وما تشهده اليوم من محن واحن ؛ بما كانت عليه فى الامس القريب حينما كان الشعب « يتعلم من دفن شهدائه كيف يستنبت الدم ، فينبت به الحرية ، وكيف يزرع الدمع ، فيخرج منه العزم ، وكيف يستثمر الحزن ، فيثمر له المجد » وعلى الجملة فقد كان أفراد **الشعوب العربية « فى معانى قلوبهم لا فى** غيرها ، فاصمت أراهم الا عظماء فى عظمة المبدأ الذى ينتصرون له أقوياء فى قوة الايمان الذى يعملون به ، أجلاء فى جلال الوطن الذى يحيون ويموتون فى سبيله » (١) ..

ويطلق فى وجوه (لحوم البحر) صيحته المجلجلة ، لأبطال معركة الرجال والنساء ، على شاطىء البحر ، الذى يموج بأشباه العراة من الجنسين قائلا بسخرية أليمة : « يالحوم البحر سلخك جزار من ثيابك ، جزار لا يذبح بألم ، ولكن بلذة .. ولا يحز بالسكين ، ولكن بالعاطفة .. ولا يمت الحى الا موتا أدبيا .

الى الهيجاء يا أبطال معركة الرجال والنساء، فهنا تلتحم نواميس الطبيعة ونواميس الاخلاق .. للطبيعة أسلحة العرى ، والمخالطة ،

---

(١) انظر (الاخلاق المحاربة) ـ وحى القلم ج ٢ ص ٣٠٦ .

بقلم : أحمد مصطفى حافظ

والنظر ، والانس والتضاحك ، ونزوع المعنى الى المعنى ..

وللاخلاق المهزومة سلاح من الدين قد صدىء ، وسلاح من الحياء مكسورا .. يالحوم البحر سلخك من ثيابك جزار .. »(١) .

ثم يقول بعد ذلك محذرا ومنذرا المرأة الشرقية ، وهى النجم الذى أضاء منذ النبوة ، أن تقلد هذه الشمعة التى أضاءت منذ قليل ، يقول :

احذرى تهوس «الاوربية» فى طلب المساواة بالرجل .. لقد ساوته فى الذهاب للى الحلاق ، ولكن الحلاق لم يجد فى وجهها اللاحية انها خلقت لتحبيب الدنيا الى الرجل فكانت بمساواتها مادة تبغيض ثم يهيب بها قائلا : « احذرى أن تخسرى الطباع التى هى الاليق بأم انجبت الانبياء فى الشرق، أم عليها طابع النفس الجميلة ، تنتشر فى كل موضع جو نفسها العالية . فلو صارت الحياة غيما ورعدا وبرقا ، لكانت هى الشمس الطالعة ، ولوصارت الحياة قيظا وحرورا واختناقا ، لكانت هى فيها النسيم يتخطر .. أم لا تبالى الا أخلاق البطولة وعزائمها ، لأن جداتها ولدن الابطال » (٢) .

وحين يحزُبه ما يراه حوله من فوضى شاملة تستشرى فى كل مكان ، يتذكر (الازهر) .. ورسالته الخطيرة فى دفع ذلك كله ومجابهته ، فيقول : « عندى أن الأزهر فى زماننا هذا ، يكاد يكون تفسيرا جديدا للحديث : « مصر كنانة الله فى أرضه » .. فعلماؤه اليوم أسهم نافذة من أسهم الله ، يرمى بها من أراد

(١) المصدر السابق جـ١ ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر السابق جـ ٣ ص ٤٢ .

مصطفى صادق الرافعي

دينه بالسوء ، فيمسكها للهيبة ، ويرمي بها للنصر .. ويجب أن يكون هذا المعنى أول معانيهم في هذا القرن العشرين ، الذي ابتلى بملء عشرين قرنا من الجرأة على الأديان واهمالها والالحاد فيها » (١) .

هذا على الرغم من أن الرافعي لم يكن من خريجي الأزهر ، وبتتبع سيرة حياته بايجاز نجد أنه اقتصر أو شاء له القدر أن يقتصر ، — في تعليمه المدرسي على الالتحاق بمدرسة دمنهور الابتدائية في سن الثانية عشرة ، ثم انتقل مع والده الشيخ عبد الرازق ، القاضي الشرعي ، الى المنصورة ، حيث أكمل دراسته الابتدائية بها ، وحصل على شهادتها في سن السابعة عشرة ، ولم يحصل بعدها على شهادات دراسية أخرى ، لانه مرض بحمى التيفود ، ولم يبرأ منها الا بعد أن تركت مضاعفاتها حبسة في صوته ، ولازمته الى آخر عمره ، كما أحدثت وقرا في أذنيه ، عاقه عن استكمال الدراسة ، ولم يجد أي علاج لشفائه منه ، الى أن انتهى به الامر الى الصمم التام ، في سن الثلاثين ، التي أكمل فيها ، كتابه (تاريخ آداب العرب) بأجزائه الثلاثة .. وحال المؤهل الدراسي بينه وبين الاستقرار في بحبوحة وظيفة حكومية ذات شأن ، تعينه على تكاليف الحياة ، واقتصر الأمر على التحاقه في سن التاسعة عشرة بوظيفة صغيرة بمحكمة طلخا الشرعية عام ١٨٩٩ بمرتب أربعة جنيهات شهريا ، ثم نقل الى محكمة ايتاى البارود ، فمحكمة طنطا ، واستمر عمله بطنطا وأقامته بها الى آخر عمره سنة ١٩٣٧ حيث قضى نحبه في العاشر من مايو من هذه السنة

وكان معروفا بين زملاء العمل بالنبل وكرم الاخلاق ، ووفق — رغم ضآلة مرتبه الذي لم يتجاوز في ذروته سبعة عشر جنيها شهريا — الى تربية أبنائه العشرة أحسن تربية ، حتى استكملوا جميعا تعليمهم العالي ، ومنهم من حصل على شهادة الدكتوراه ، مستعينا بجانب المرتب المحدود ، على ذلك بما تدره عليه كتبه ومقالاته في الصحف والمجلات الادبية من دخل زهيد .

وقد عوض الرافعي عن قلة حصيلته من التعليم المنظم ، أنه منذ ولد في يوم ما من شهر يناير عام ثمانين وثمانمائة وألف ببلدة (بهتيم) ، احدى قرى محافظة القليوبية ، الى أن بلغ العاشرة من عمره ، ظفر برعاية وحدب والده العالم الجليل ، الذي أشرف على تربيته وتنشئته بنفسه تنشئة قويمة ، جعلته يجمع القرآن كله حفظا ، ويجوده بأحكام القراءة ، وهو في سن العاشرة . كما يخبرنا الرافعي بذلك بمقاله (قرآن الفجر) ، الذي يستعيد فيه ذكريات الحداثة مع والده ، الذي كان يعتكف كل سنة في أحد المساجد ، الايام العشرة الاخيرة من شهر رمضان .. وذهب الرافعي ذات ليلة الى أبيه وبات عنده لينهل ، في هذه

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٠ .

السن الغضة ، من الجو الروحى العميق الذى يشعه المسجد ، ويعيش فى آفاقه السامية ، ويصف ذلك بأبلغ عبارة ، فيقول : « لا أنسى أبدا تلك الساعة ، وقد انبعث فى جو المسجد صوت غرد رخيم ، يشق سدفة الليل فى مثل رنين الجرس تحت الافق العالى ، وهو يرتل هذه الآيات من آخر سورة النحل :

« ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ » .

يقول الرافعى : « وكان هذا القارىء يملك صوته أتم ما يملك ذو الصوت المطرب ، فكان يتصرف فى التطريب كل مبلغ يقدر عليه القادر ، حتى لا تفسر اللذة الموسيقية بأبدع مما فسرها هذا الصوت » . الى أن يقول : بهذا المقال النفيس :

« وسمعنا القرآن غضا طريا كأول مانزل به الوحى ، فكان هذا للصوت الجميل يدور فى النفس ، كأنه بعض السر الذى يدور فى نظام العالم ، وكان القلب وهو يتلقى الآيات ، كقلب الشجرة .. يتناول الماء ويكسوها منه . واهتز المكان والزمان ، كأنما تجلى المتكلم سبحانه وتعالى فى كلامه .. وبدأ الفجر كأنه واقف يستأذن الله أن يضىء من هذا النور » !

ثم يقدم لنا الرافعى مفتاح سخصيته وتفسير منهجه الادبى ، واتجاهه الوجدانى بعد ذلك ، وتأثير تلاوة قارىء القرآن للآيات الكريمة لأول مرة — بالنسبة له — حينما كان قادرا على الاستماع بقوله : « أما الطفل الذى كان فيومئذ فكأنما دعى بكلذلك ليحمل هذه الرسالة ويؤديها الى الرجل الذى يجىء فيه من بعد .. فأنا فى كل حالة أخضع لهذا الصوت : « ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ » وأنا فى كل ضائقة أخشع لهذا الصوت : « وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ .. » (١)

وقد كان الرافعى ، رحمه الله ، فى (أزهر) من أهله ، كما يقول المرحوم الزيات صاحب (الرسالة) فى رثائه ، لأن وظيفة القضاء والافتاء كادت تنحصر ، فى احدى الفترات ، فى الرافعيين ، الذين وفدوا من الشام الى مصر، وما منهم الا قاض أو مفت ، منذ عام ١٢٤٣ هجرية ، وبلغ عددهم فى زمن واحد أربعين قاضيا فى محاكم مصر وسائر البلاد العثمانية، مما أتاح للرافعى أن ينشأ فى كنفهم نشأة اسلامية رفيعة .

وبادىء ذى بدء ، كانت مكتبة والده العامرة بذخائر الكتب الدينية والأدبية ، والفقهية ، هى جامعته الكبرى ، التى أقبل على قراءتها بشغف وصبر وتصبر ، حتى أصبح « حجة فى علوم اللسان ، ثقة فى فنون الادب ، عليما بأسرار اللغة ، بصيرا بمواقع اللفظه، خبيرا

(١) المصدر السابق جـ٣ ص ٣٠ ومابعدها .

مصطفى صادق الرافعي

بمواضع النقد ، محيطا بمذاهب الكـــلام ٠٠ وقلما تتهيا هذه الصفات لغير المطبوعين من الأدباء » • كما يقول المرحوم الزيات فى حديثه عن الرافعى ، بعد عام من رحيله •

وفى فصل هام من كتابــه (وحى القلم) ، بعنوان : « قلت لنفسى وقالت لى » يستطيع الدارس لأدب الرافعى ، أن يقف عــلى وثيقة هامة عن طبيعة أسلوب الرافعى فى تكوين نفسه ومثابرته لشق طريقه خلال الوعود وصـــلد الصخور ، لبلوغ المنزلة التى كان يهفو اليهـا بطموح لا يعرف الكل أو الهوادة ، حين يقول لنفسه : « ويحك يا نفس ما لى أتحـامل عليك فاذا وفيت بما فى وسعك أردت منك ما فوقــه وكلفتك أن تسعى فلا أزال أعنتك من بعـــد كمال فيما هو أكمل منه ، وبعد الحسن ، فيما هو الأحسن ٠٠ وما أنفك أجهدك كلما راجعك النشاط ، وأضنيك كلما ثابت القوة ، فان تكن لك هموم ، فأنا أكبرهـــــا ، واذا ساورتك الاحزان ، فأكثرها مما أجلب عليــك ! أنت يانفس سائرة على النهج ، وأنا أعتســف بك أريد الطيران لا السير ، وأبتغى عمل الاعمار فى عمر ، وأستحثك من كل هجعة راحة ، بفجر تعب جديد » • وتجيبه النفس بما يثبت به فؤاده :

« ليست دنياك يا صاحبى ما تجده من غيرك، بل ما توجده بنفسك، فان تزد شيئا على الدنيا، كنت أنت زائدا على الدنيا ، وان لم تدعهـــا أحسن مما وجدتها ، فقد وجدتها ، ومـــــا وجدتك • وكما يقول أوفى تلاميذ الرافعى :

وكاتب وحيه ومترجم حياته المرحوم محمد سعيد العريان فى كتابه الممتع (حياة الرافعى)•

ان الرافعى قد « اجتمعت له كل أســباب المعرفة والاطلاع ، وكانت علته خيرا وبركة » •

وكم من مصاب فى ثناياه العــزاء ، أو رب ضارة نافعة كما يقولون ، فقد انقطع الرافعى عن دنيا الناس ، للتفكير والتأمل ، واســماع الناس رأيه وفكره وبيانه ، مادام قد أصبح هو عاجزا عن الاستماع اليهم •

وقد شاء الله تعالى للرافعى أن ينقطـــع للنثر الادبى بكليته فى أخرياته ، بعد أن كـــان قد قطع شوطا كبيرا فى مداعبته لقيثارة الشعر، وبراعته فى العزف عليها ، حتى ليقول للطير متعاطفا :

كلانا على التغريد يا طـــير نلتقى
وما بيننا الا ٠٠ اختلاف لغـــات

ومن منا لم يردد مقاطع نشــيده الوطنى الحماسى المشهور :

اســـلمى يا مصر اننى الفـــدا
ذى يدى ان مدت الدنيـــا يـدا
ابدا لن تســــتكينى أبـــدا
اننى أرجـــو مع اليوم غـــدا
ومعى قلبى وعــزمى للجهـــاد
ولقلبى أنت بعـــد الدين دين
لـــك يا مصر الســـلامه
وســـلاما يـــا بـــلادى

ان رمى الـــدهر ســــهامه
أتقيهـــا بفـــــؤادى

وقوله فى نشيد اسلامى آخر :

يا شـــباب العـــالم المحمدى
ينقص الكـــون شـــباب مهتدى
فـــاروه دينكم ليهتـــدى
دين عقـــل وضـــمير ويـــد

وقوله ، الذى ينبغى أن ينبه الخاملين :

حمـــاة الحمى يا حمـــاة الحمى
هلمـــوا هلمـــوا لمجـــد الزمن
لقد صرخت فى العـــروق الـــدما
نموت نموت ويحيـــا الوطن

وانقاد النثر للرافعى ــ طوعا ــ لا كرهـا كما كان يردد خصومه ، الذين كانوا ينفسون عليه طاقته البيانية العالية وبهاءه اللغـــوى المترع بالرفعة والسمو ، الذى يستشرف بـــه آفاقا سامقة ، لم تبصرها عين كعينـــه ، أو يستنزل غررها قلم كقلمه .. لان الامر بالنسبة له أمر رسالة أخذ على عاتقه أمر القيام بأدائها .. وكما يقول : « أنا لا أعبأ بالمظـــاهر والأغراض التى يأتى بها يوم وينسخها يـــوم آخر ، والقبلة التى أتجه اليها فى الادب انمـــا هى النفس الشرقية فى دينها وفضائلها ، فلا أكتب الا ما يبعثها حية ويزيد فى حياتهـــا وسمو غايتها ، ويمكن لفضائلها وخصائصهـــا فى الحياة ، ولذا لا أمس من الآداب كلهـــا الا نواحيها العليا ، ثم انه يخيل لى دائمـــا أنى رسول لغوى ، بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه » .

وهذا ما حدا به الى أن يقول لخصومه ، الذين عابوا لغته وبيانه ووهجه الروحى ، بقوله فى مقدمة الجـــزء الاول من (وحى القلم) : « ربما عابوا السمو الأدبى بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ، وبأنه مخالف ، ولكن الحق كذلك ، وبأنه محير ، ولكن الحسن كذلك ، وبأنه كثـــير التكاليف ، ولكن الحرية كذلك .. ان لم يـــكن البحر ، فلا تنتظر اللؤلؤ ، وان لم يكن النجم ، فلا تنتظر الشعاع ، وان لم تكن شجرة الورد ، فلا تنتظر الورد ، وان لم يكن الكاتب "بيانى" ، فلا تنتظر الأدب » .

ولا شك أن القارىء الذواقة ، اذا أراد أن يمتع نفسه بالقراءة الراقية لكاتب عبقرى ، يكون ما يخطه قلمه ترجمانا لضميره ، وعمق أغواره ، فعليه أن يهرع الى خميلة الرافعى ، يستظل بفيئها الظليل ، ويقطف من جناهـــا الشهى الطيب ، الذى أوردنا قطرة من بحـــره فى كلمتنا هذه ــ ليقربه عينا ، وينشرح صدرا .

فالرافعى منجم لا تنفد نفائسه لكل وارد ونهر لا يتوقف هديره وتدفقه عن أى مرتشف .. وقيمة نتاجه الادبى الحقيقية وبـــرهانه الساطع أنه يصمد لتحريات الزمن ، الذى يطوى الزبد ، أما العمل الاصيل فيبقى فى الاســـفار بأثره العميق النافع ، بعد وفاة صاحبه ، بقرون وقرون ، شامخا فذا متجددا .. شأنه فى ذلك شأن عباقرة الانسانية فى شتى عصورهـــا ومجالاتها .

ولا يستمد الرافعى منزلته فى الأدب العربى المعاصر من سعة أفقه وثقافته وتنوعهـــا ، ومقدرته على روعة الصياغة وبراعة التوليد

مصطفى صادق الرافعى

والابتكار فحسب ،بل من نقاء سريرته أيضا ونورانيته واشراقه ، واطلاله على الدنيا اطلال مغفرة على آثام ، عبر معانيه السامية ، صابرا على عنت الأيام وعدم انصاف مجتمعه له ، فكان فى وظيفته المتواضعة وتفانيه فى الابداع الفنى ، مثله كمثل العباس ابن الأحنف ، اذ يقول فى بيته المشهور :

كنت كانى ذبالة نصبت

تضىء للناس وهى تحترق

***

وان كان قد قضى نحبه فى عمر قصير نسبيا ، قبل حملة التطهير التى كان يتمنى أن يقوم بها بعد خروجه الى المعاش المبكر ، كما ذكر ذلك لصديقه الزيات فى رسالة خاصة ، قبل وفاته بأسبوع واحد .. فان قيمة المرء ليست فى ضخامته أو طول عمره « كما يقول الشاعر الانجليزى » بن جونسون (١٥٧٣ — ١٦٣٧) « فى قصيدته : (The perfect life) بل فى عنصره :

« فالزنبقة التى تزدهر لمدة يوم واحد فى الربيع أجمل بكثير ، من شجرة البلوط التى تعيش ثلاثة قرون ثم تهوى بعدها قطعة من الخشب ، جافة ، مجردة من الأوراق » .

وصفوة القول ، ان الذين يكرمون الرافعى بالكتابة عنه ، كلما سنحت الفرصة أمامهم لذلك، انما يكرمون أنفسهم فى ذات الوقت ، اذ يفيئون الى أدبه الرصين ، مجددين العهد به ، لتصفو نفوسهم ، وتشحن « بطاريات » وجداناتهم ، نفحة من عبقريته الباقية على الدهر .

وقد كان الرافعى ملء سمعى وبصرى ، منذ بدأت القراءة الأدبية الجادة ، فى منتصف الأربعينيات ، فى ريق العمر ، وحين اهتديت اليه ، لم أكف عن قراءة آثاره الخالدة .

حديث القمر ، والمساكين ، ورسائل الأحزان ، والسحاب الأحمر وأوراق الورد ووحى القلم .. بين الحين والحين ، بل اننى أصبحت لا أعرف للأعياد والمواسم مذاقا ، الا من خلال صفحات كتبه ، وعكوفى على قراءتها بلذة لا تعد لها لذة أخرى ، حسية كانت أو معنوية ، ولم يشتد ويصلب عود هذا القلم بين أناملى ، الا من ترددى الدائم الدائب على (صومعته) الأدبية المتمثلة فى تراثه وان كنت لم ألتق به قط فى حياتى لأنه ودع الدنيا وأنا مازلت فى مدارج طفولة السادسة من عمرى .

وحينما فقدت والدى فى سن السابعة عشرة ، اتخذت الرافعى الخالد أُسْوَةً أتادب بأدبه ، وأجعله من مثلى العليا للتربية والتثقيف الذاتى ، لاننى وجدت وراء عباراته الثاقبة ، الجوهر الكامن لعبقريته وشفافيته وانسانيته .

يرحمه الله .

أحمد مصطفى حافظ

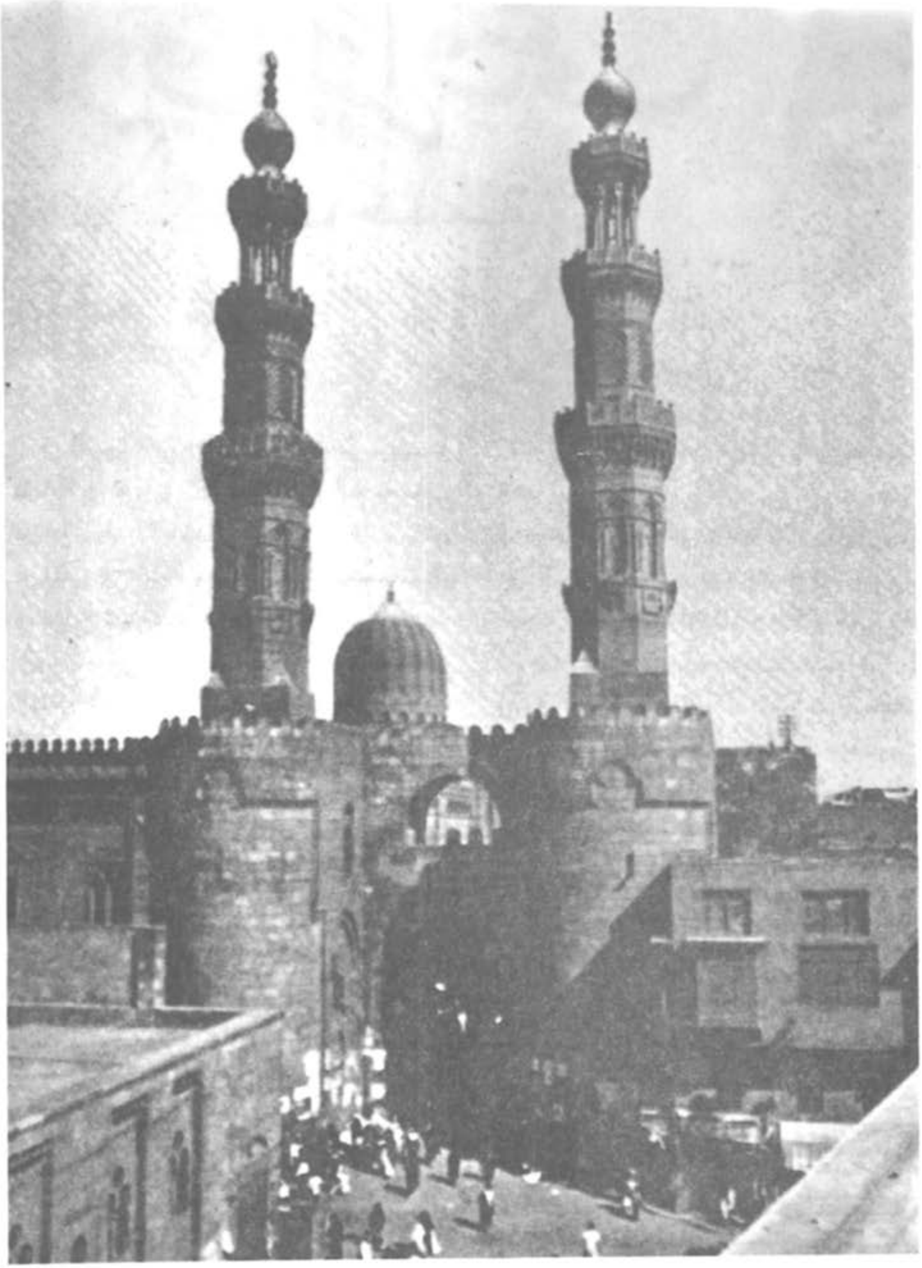

أدب الرافعي في خدمة العروبة والإسلام

في الفترة التي بدأ الرافعي يباشر فيها نشاطه في ميدان الكتابة كان الاسلام يعاني من مؤامرات الاستعمار معاناة مريرة ، فكان الرافعي في مقدمة من تولوا مهمة النضال والدفاع عن الاسلام والعروبة وقد شجعه على النهوض بتلك المهمة الكبيرة : نشأته الدينية ، وثقافته التي تأسست على حفظ القرآن الكريم والتفقه في علوم الدين والتمكن من علوم اللغة وفهم أسرارها .

هذه الثقافة العربية الأصيلة مكنت الرافعي من صد هجمات الحاقدين على الاسلام وردهم على أعقابهم خاسرين . ولم يخل كتاب من كتب الرافعي من تغن بقيم الاسلام ، وانتصار لمبادئه . وقد أحسن الرافعي صنعا حينما استخدم أدبه وملكاته التي امده الله بها في الذود عن حياض القرآن ولغته ، وفي تجلية مبادىء الاسلام ، ومن هنا كتب لهذا الأدب البقاء والخلود ، وصدق الله حيث يقول : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » وبهذا وحده يكون الرد على من يتعجبون من تعدد طبعات كتب الرافعي وزيادة اقبال الناس على اقتنائها على الرغم من غموضها وارتفاع ثمنها (١) .

رحم الله الرافعي ، لقد كان عصرا بتمامه من عصور الأدب ، وجيلا بناسه في تاريخ العرب وفصلا بعنوانه في مجد الاسلام ، وكان له هدف عاش يسعى جاهدا لتحقيقه هو : أن يبعث الحمية الاسلامية في نفس كل مسلم ، ويوقظ النخوة العربية في قلب كل عربي ، فكان بذلك رسول العروبة والاسلام الى كل مسلم وكل عربي ، فلا جرم كان بذلك أحب كتاب العربية الى كل مسلم وكل عربي ، حياته الأدبية كلها تدور حول هذا المحور ونشأته الأدبية كلها يسعى بها الى هذا الهدف ، ومعاركه الطاحنة كلها تنشب في هذا المعترك ، وما عادى عدوا قط من أدباء العربية الا للدين أو اللغة أو القرآن ، وما اتخذ صديقا من رجال الادب أو السياسة الا للدين أو اللغة أو القرآن

لقد نظر الرافعي أمامه فوجد مجموعة

---

(١) انظر : دراسة في أدب الرافعي د. نعمات أحمد فؤاد ص ٦٥ وما بعدها ط ثانية .

للدكتور فتحى عبد القادر فريد

من الكتاب والأدباء يناصبون العربية والاسلام العداء ، فانتهى باستنتاجه الملهم الى آن هناك مؤامرة متعددة الأطراف متباينة الأساليب تنتهى الى هدف واحد هو : اعلان الحرب على اللغة العربية واشاعة التفتيت بين جسم الأمة العربية ، والنيل من قدسية المبادىء الاسلامية .

فكانت هناك فئة تنادى بالعامية وتتحمس لها وتطالب بجعلها لغة للكتابة .

وكان هناك من ينادى بالفرعونية مذهبا وقومية محاولا أن يقطع كل صلة بين مصر العربية لغة ودما وحضارة وفكرا وبين بقية جسم الامة العربية التى تمثل مصر منها مكان القلب من الجسد ، وكان هؤلاء « المتفرعنون » يعملون لحساب الاستعمار الذى قطع أوصال الأرض العربية ، وخلق حدودا مصطنعة فى أرض الوطن الكبير ، وقسم الامة العربية أحزابا وشيعا .

وكان هناك أيضا من يحاول صرف الأمة عن تراثها وأمجادها ، ويتحمس للتراث الأوروبى قديمه وحديثه .

وكانت هذه الطائفة امعانا فى عداوتها للأدب العربى تنسب كل جميل مستطرف الى الأدب الأوروبى وتنسب كل جمود وقبح الى الادب العربى .

وكان هناك فريق آخر أشد خطرا على الناشئة من أبناء ذلك الجيل ، وهو فريق الجاهريين بالالحاد المنكرين رسالات الأنبياء والمرسلين ، وفى هذه البيئة الأدبية التى جمعت بين الضدين فى ميدان التدين والمجاهرة بالالحاد ، والعروبة والفرعونية عاش الرافعى المؤمن بعقيدته ولغته وحضارته ، ومن ثم فقد هيأ نفسه ليكون الذائد عن حمى الدين المنافح عن أمجاد لغة القرآن .

لقد كان الرافعى من غير شك أديب الفكرة الاسلامية دون منازع ، فى فترة زمنية كان النيل من العقيدة دربا يستهوى كثيرا من أدباء العصر كى يسيروا فيه ، وكان التحامل على اللغة العربية ومحاولة طمس معالمها ظاهرة من مظاهر التجديد حسبما تخيل بعض المتأدبين وكان الرافعى بحكم نشأته وتربيته وثقافته وقناعته يرى فى هذه الاتجاهات معاول هدم وبوادر نقض فى جسم الامة يجب أن توقف عند حد ، وأن يضرب عليها بشدة ، ومن ثم فرضت عليه طبيعة الأمور أن يخوض معركة قلمية فكرية ضارية أمام أعلام الكتاب آنذاك أمثال : الدكتور طه حسين ، وأحمد لطفى السيد ، ومحمد حسين هيكل ، وعباس العقاد، وسلامه موس وغيرهم .

وكانت معركة الرافعى مع خصومه معركة بيانية اسلامية فريدة ربما لم تتكرر كثيرا فى مسيرة تاريخ أدبنا وفكرنا منذ عهد بعيد .

د/فتحى عبد القادر فريد
أستاذ البلاغة المساعد كلية اللغة العربية بالأزهر — القاهرة

العقد الفريد

لابن عبد ربه
منهجه والغاية منه

العقد الفريد هو احد الكتب الجامعة لفنون الأدب ، وألوان الثقافة المعروفة حتى نهاية القرن الثالث فى البيئة الأندلسية ، جلا فيه مؤلفه وجه الحضارة الاسلامية .

وهو ايضا واحد من الكتب التى عنيت بحفظ التراث العربى بجمع مادته فى مختارات منتخبة ، كافية فى لم شتات هذه المادة ، شافية لنفوس رواد العلم والأدب ، وهواة الأخبار والطرائف ، وشداة الشعراء ممن يحاولون صقل مواهبهم الفنية ، والتزود بتلك الثقافة كى تنمو تجاربهم وتتسع آفاقهم ، اذ حرص فيه ابن عبد ربه على أن يكون واحدا من بناة النهضة الثقافية والأدبية فى عصره :

بما نقل من علم المشرق وأدبه .

وبما اختار من أخباره ، وفنون آثاره مما جرى على ألسنة الخاصة والعامة ، والملوك والسوقة ، لتكون زينة المجالس ، وأنس النفوس وغذاء العقول والقلوب ، كما ابتغى بها أن تسهم فى اعلاء شأن الأندلس ، فقد عد العقد :

أول مجموع ضخم صدر عن مؤلف أندلسى .

وأول بضاعة شرقية وردت الى تلك البلاد بعد أن أحسن جامعها اختيارها ، وتأنق فى تصنيفها وحدد موضوعاتها .

وقد حاول ابن عبد ربه بهذا الكتاب أن يكون (محايدا) فى نقله ، معتدلا فيما ذهب اليه فطبيعة العصر ، ومذهب العلماء والمؤدبين ، ومجالسة الأمراء والخلفاء ، كلها كان يدعو الى سلوك هذا السبيل ، فلم يغرق فى الميل مع الهوى ، ولم يجر عن القصد فى الأخذ بيد الناشئة ، باطلاعهم على مآثر قومهم ، وحضارة أسلافهم ، وبخاصة فنون القول ، وما يكفى لرسم صورة واضحة تميز معالم المجتمع الاسلامى فى الجزيرة العربية وخارجها ، فى الوقت الذى عنى فيه غيره بنقل مظاهر تلك الحضارة ، كل فى مجال تخصصه ، وما تميل اليه نفسه من ألوان الثقافة . كالفقه

للأستاذ الدكتور أحمد محمد النجار

والحديث والنحو والغريب والأدب والتاريخ والفلسفة والطب وغيرها .. فقد سبقته أجيال من الأندلسيين الى ارتياد هذه الشارع منذ توثقت العلاقة بين مشرق البلاد الاسلامية ومغربها من وقت أن كانت الأندلس ولاية أموية تتبع الخليفة فى دمشق ، وقد كانت علاقة قائمة على عناصر مادية وأخرى روحية كانت أعظم زاد لرواد هذه البلاد وسكانها الذين أخذوا يمترجون بالعرب وبالبربر الفاتحين ، ويصهرون اليهم ، ويندمجون فيهم ، ويعرفون لغتهم ، ويدينون بدينهم وان كانوا فيه من الواغلين الا من شرح الله صدره للاسلام وتخلى على نعرته وعصبيته القومية .

وقد سرى تيار الثقفة العربية والاسلامية مع (الطوالع) الأولى . اذ القوم عرب مسلمون وفنهم القولى أخص ما لديهم من فنون ، بل هو فنهم الوحيد الذى وجهوا نحوه وجهتهم واعتبروا أنفسهم أقوى الأمم حظا منه ، وأفصح الناس لسانا ، وأنصعهم بيانا ، وان لم تبد فى هذه الفترة ظواهر أدبية واضحة ، ذات معالم محدودة ، ولم تؤلف فيها كتب ، ولم تدون لهم آثار — فيما بدا لنا — لأنهم كانوا عنه فى شغل بالفتح والجهاد وطلب الاستقرار ، حتى كان عهد (عبد الرحمن بن معاوية) الملقب (بالداخل) ذلك الفتى الطموح لبناء دولة أموية فى المغرب تكون عوضا عما فقده الأمويون فى المشرق ، كما تكون مجالا جديدا لابراز دور الحضارة الاسلامية فى تلك الأصقاع النائية ، وان خلت هذه الأيام من مظاهر النهضة الثقافية والحركات العلمية . دون أن ننسى دور من رحل الى المغرب من المشارقة من أمثال :

معاوية بن صالح الحضرمى قاضى الأندلس فى عهد عبد الرحمن الداخل ، وأصله من (حمص) فى بلاد الشام .

ومثل أبى المخشى الشاعر الأعرابى الطارىء على الأندلس ، وقد وصف شعره بالجودة وسلوك سبيل الأقدمين فى الحوك والصنعة ، فقد نشأ عربى الدار والمربى ، وصار عندهم من فحول الشعراء المتقدمين (١) .

وعرفنا ممن رحل الى المشرق فى ذلك العهد من الأندلسيين أبا موسى الهوارى ، وهو أول من جمع الفقه فى الدين ، وعلم العرب بالأندلس ، ورحل فى أول خلافة عبد الرحمن الداخل ، فلقى الامام (مالكا) ونظراءه من

(١) انظر الجذور ص ١٧٧ .

الأئمة فى الدين كما لقى الأصمعى وأبا زيد الأنصارى وغيرهما من أعلام الأدب واللغة ، كما داخل الأعراب فى محالها » (٢) •

وعرفنا منهم الغازى بن قيس الذى التزم التأديب بقرطبة أيام عبد الرحمن أيضا ثم رحل الى المشرق وشهد تأليف (مالك) للموطأ وهو أول من أدخله الأندلس ، ثم استاذيه الأمير هشام بن عبد الرحمن والحكيم بن هشام لأبنائهما وتوفى سنة (١٩٩ هـ) •

وكذلك عرفنا (زيادا اللخمى) الملقب بشبطون •• ثم خلف من بعد عبد الرحمن الداخل خلف عنوا بأمر هذه الثقافة الشرقية ، فتوالت الوفود المرتحلة الى المشرق قصدا وطلبا للعلم ، كما توافد التجار لجمع صنوف الكتب ونوادر الأصول الأدبية والعلمية •

* مما امتلأت به خزائن الكتب فى القصور والمساجد ، فلما كان عصر ابن عبد ربه ، وقد كانت عينه على ثقافة عصره وعلى الاهتمام بنشرها بين ناشئة قومه ، وأدباء جيله ، رأى أن يختار من نتاج هؤلاء جميعا أطيبه ، سالكا سبيلا جديدا فى عرضه لجذب الانتباه اليه ، وحمل النفوس على قراءته وحفظه ، وان لم يهتم كثيرا بأخبار مجتمعه وأدباء موطنه لأن قصده كان أولا الى تعريف الناشئة بأصول ثقافتهم العربية والاسلامية ، وكانوا بحاجة أشد الى تنمية هذه الأصول ، وصقل أذواقهم وتدريب ملكاتهم على محاكاة هذه النماذج أول الأمر ، ولم يغفل ابن عبد ربه عن ذلك عمدا أو سهوا ، وانما كانت هذه غايته من تأليف هذا الكتاب الجامع ، كما كان قصده الى مساماة السابقين بتأليف أدق نظاما ، وأفضل اختيارا ، وأخصب نتاجا ليدل على ما بلغه من الأدب والعلم والذوق •

وأما منهجه فان سبيله فيه هو ما ذكره فى مقدمته قائلا : (فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعانى وجواهر الحكم ، وضروب الأدب ، ونوادر الأمثال ، ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه ، فجعلته بابا على حدته ، ليستدل الطالب للخير على موضعه من الكتاب ، ونظيره فى كل باب ، وقصدت من جملة الأخبار ، وفنون الآثار أشرفها جوهرا ، وأظهرها رونقا ، وألطفها معنى ، وأجزلها لفظا ، وأحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة ، آخذا بقول الله تعالى : (**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**) •

وقول يحيى بن خالد : (والناس يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون) •

ورأى أن (أهل كل طبقة ، وجهابذة كل أمة ، قد تكلموا فى الأدب ، وتفلسفوا فى العلوم على كل لسان ، ومع كل زمان ، وأن

(٢) انظر طبقات الزبيدى ص ٢٧٥ •

كل متكلم منهم قد استفرغ غايته ، وبذل مجهوده فى اختصار بديع معانى المتقدمين ، واختيار جواهر ألفاظ السالفين ، وأكثروا من ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار والمتخير الى اختيار) .

ورأى أيضا أن (آخر كل طبقة ، وواضعى كل حكمة ، ومؤلفى كل أدب ، أعذب ألفاظا ، وأسهل بنية ، وأحكم مذهبا ، ووضح طريقة من الأول ، لأنه ناكص متعقب ، والأول بادىء متقدم) .

ثم أتم تبيان نظامه فى التأليف بقوله :

« وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ، ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجواهر ، ولباب اللباب » .

ولعله بهذا وصف (العقد) بالفريد وان خلا من هذه بعض كتب القدماء من أمثال (المقتبس) لابن حيان ، وما كتبه ابن حزم ، والشقندى وابن شرف القيروانى ، والحميدى ، والفتح بن خاقان ، ومن نقلوا عنهم كالضبى فى (بغية الملتمس) وابن دحية فى (المطرب) وياقوت فى (المعجم) .

فلما كان عهد ابن الأبار المتوفى عام ٦٥٨ وجدناه فى كتابه (اعتاب الكتاب) يأخذ منه ،

ويطبقه (بالعقد الفريد) فى أكثر من موضع بالكتاب ، واعتبر وصفه بالفريد ، على هذا ، أقدم وصف له به ، لا الا بشهى صاحب (المستطرف) — وهو من رجال القرن التاسع الهجرى بعد عصر ابن الأبار بنحو قرنين من

الزمان .. ولعله كان يحذف هذا الوصف اختصارا كما يقال الآن : النفخ ، والمطمح ، والبيان ، والعيون بدلا من نفح الطيب ، ومطمح الأنفس ، والبيان والتبيين ، وعيون الأخبار .

وقد أبان ابن عبد ربه عمله فيه ، فلم يزعم لنفسه الا فضل (تأليف الأخبار ، وفضل الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش صدر كل كتاب) ونقل أكثر هذه الآثار عن كتب السابقين ، وروى بعضها عن أفواه العلماء والحكماء ، وبذلك يكون قد حدد أصول مروياته من كتب ودواوين ، ومشافهة على طريقة الرواة الأولين ، وحيث كان قصده الى الجوهر واللباب ، رأيناه عمد الى حذف الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للاستخفاف والايجاز ، وهربا من التثقيل والتطويل :

(لأنها أخبار ممتعة ، وحكم ونوادر لاينفعها الاسناد باتصاله ، ولا يضره ما حذف منها) .

وان يكن الاسناد قد فرضه علماء الحديث ، فان بعضهم كان يحذف أسانيده على نحو ما روى من أن الحسن البصرى كان يحدث بحديث ، فقيل له : يا أبا سعيد ، عمن ؟ قال :

وما تصنع بعمن يابن أخى ؟ أما أنت فنالتك موعظته ، وقامت عليك حجته .. ويعقب المؤلف بقوله : (فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة ، ومن مثل سائر ، وخبر مستطرف وحديث يذهب نوره اذا طال وكثر) مادام القصد الى الثمرة والنتيجة فى الكتابة والحفظ والرواية ،

والى المنقول لا الى الناقل ، والى الغاية لا الطريق .

والحق انه بهذا السلوك قد خرج عن حدود المنهج العلمى الدقيق عند رواة الأحاديث ، ونقله الآثار والأخبار والأشعار من السابقين الأولين ، وربما أفقد الثقة بمروياته التى خلت من الأسانيد اذ (انهم كانوا يعتمدون فى قراءة الأدب والتاريخ على الرواية من جهة ، وعلى الذوق من جهة أخرى ، وكانوا يرضون الرضا كله ، اذا رويت لهم الأخبار عن هؤلاء الثقات الذين اعتمد عليهم القدماء فى نقل السير والأخبار ، كما كانوا يرضون الرضا كله ، اذا وقعت اليهم القصيدة الجيدة ، أو المقطوعة المختارة ، فلاءمت أذواقهم ، ومثلهم الأعلى فى الفن) (١) .

وقد صار العقد بذلك مصدرا من مصادر الأدب ، وسجلا لبعض احداث التاريخ ، دون أن يعتد به اعتدادا كبيرا ككتاب للأدب والتاريخ بالمعنى العلمى الدقيق ، وصارت الحاجة الى سلوك السبل المنهجية فى الدراسة والتاليف أشد فى عصرنا الذى يمضى مفسرا محللا ، باحثا وراء الدافع والهدف فى مجال التخصص وتقدم العلوم ، وتطوير الآداب مع تطور مناهج البحث .

(١) حديث الاربعاء ١٢/٢ .

ولكن ابن عبد ربه ، من وجهة نظره ، وللهدف الذى استهدفه كان لا يهمه الا أن يروى ما اعتبره جوهر الجواهر ، ولباب اللباب ، كما يهمه طلب الاستخفاف والاختصار،هربا من التثقيل والتطويل متخففا — فى الغالب — من مذهب علماء الحديث الذى سلكه علماء الأدب والتاريخ ، على مثال ما اتبعه ابن قتيبة فى (عيون الأخبار) فى كثير من الأحيان ، وعلى نحو ما اتبع فيما

بعد فى كتاب الأغانى واعتبر اسرافا فى التطويل واثقالا على القراء ، وعد عمل ابن عبد ربه فى العقد أفضل من عمل الاصفهانى فى الأغانى ، كما كان أكثر تنظيما وأحسن تبويبا من عمل أصحاب المختارات السابقة ، وصار كتابه بعد (عيون الأخبار) الذى ارتكز عليه ، أوفى هذه المصادر كلها مادة ، وأمتعها أدبا وخبرا ، — قبل أن يذيع فى الناس كتاب الأغانى لأن العقد أقدم منه عهدا .

وكما كان ابن عبد ربه واضح الشخصية فى تصنيفه وتأليفه ، كان ما (فرش) به كتب العقد مظهرا آخر من مظاهر وضوح شخصيته فى كتابه ، فلم يسلك مسلكه هذا أحد سواه فى مثل هذه الكتب الجامعة ، وكان ما أشاع منه فى العقد من مسائل وآراء ، وما علق به عليها من سماته الدالة ، وخصائصه المميزة ، يضاف الى ذلك مختاراته النادرة فى بعض

الأحيان ، حتى صار العقد بحق مدرسة جامعة يتخرج فيها من يريد أن يجرى فى البيان العربى على عرق ، وأن يتثقف ثقافة العرب والمسلمين . وأن يقف على أساليب الحكم ونظم الاجتماع فى البيئة التى نتجت هذه الثقافة على مدى نحو ثلاثة قرون ، ولذلك عنى به المثقفون واستمدوا منه ما شاءوا ، ورووا عنه ما استملحوا واستجاروا ، ولم يغض من شأنه قول (الصاحب بن عباد (١)) — وقد حرص على أن يحصل عليه — : (هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ..) . ولم يستحق لوم (القيروانى) فى قوله (٢) : (اذ لم يجعل فضائل بلده ، واسطة عقده ، ومناقب ملوكه يتيمه سلكه) .. لأنه — كما قلنا آنفا — :

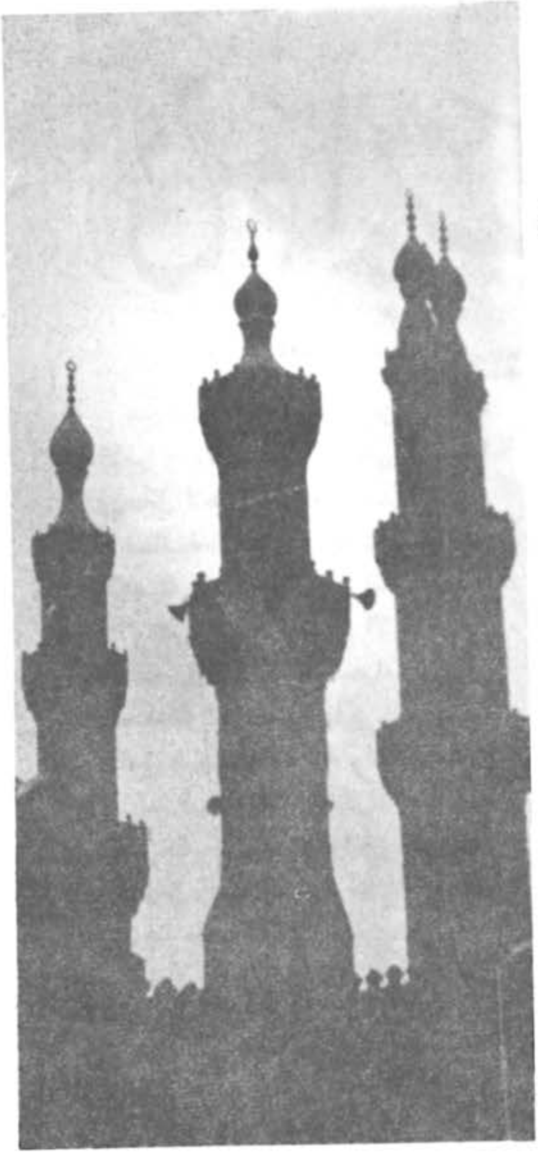

كان يقصد وجهة واضحة عندما رأى أن يؤدى العقد وظيفة ثقافية فى المجتمع الأندلسى ، دون أن يخليه جملة من اخبار الأندلس مثلما فعل فى عرضه التاريخى لبنى أمية حتى زمانه ، وكما ضمنه مختارات من شعر يحيى بن حكم الغزال ومؤمن به سعيد ، وفرج بن سلام وغيرهم ، وكما اعتمد على بعض ما رواه الرواة الأندلسيون كابان بن عيسى ، وأيوب بن سليمان ، وبقى بن مخلد ، ومحمد بن عبد السلام الخشنى وغيرهم كثير ..

د. أحمد محمد النجار
أستاذ الأدب العربى بكلية البنات
جامعة عين شمس

(١)معجم الادباء ٢١١/٤ .
(٢) النفح ١٢٣/٢ المطبعة الازهرية .

في حاشية الأمير

حين عزمت على أن أكون من « حاشية الأمير » وضعت نصب عينى أهدافا ووسائل لأحظى بذلك المجد المؤثل ، « فحاشية الأمير » جليلة نبيلة تستحق الجهد والبذل والمثابرة ، فقد وجدت بالاستقراء أنها لا تضم الا القمم من العلماء والأدباء والشعراء وأرباب الصناعات التى لها وزنها فى « حاشية الأمير » ولاسيما النحاة ولجلالة قدرها جذبت اليها الخلفاء والأمراء . وهؤلاء الذين طاب ذكرهم ليسوا من قطر واحد ولا زمن واحد وانما هم من أقطار شتى وأزمنة متعددة متلاحقة .

فلما تم لى ما أردت استأذنت الأمير فى الدخول الى حاشيته لأنال حظا من أفضاله ونصيبا من سامى أقواله ، ولأرجع من « دارين بجر الحقائب » كما يقول الشاعر القديم ، وكان كريما معى فأذن لى فدخلت فماذا وجدت ؟

وجدت هياكل من نور مسورة حول « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » فتراءت لى عن كتب العرائس الحسان والحور العين من داخل مغنى اللبيب وبين حاشية الأمير .

وسألت الشيخ محمد الأمير عن المغنى وعن صاحبه ، فكان جوابه : انه تأليف الامام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى الخزرجى الشافعى ثم الحنبلى . هكذا ينسبه وكان ينبغى أن يضاف الى ذلك « المصرى » فهو كما يقول : ولد بالقاهرة سنة ثمان وسبعمائه هجرية ، ولم يأخذ عن أبى حيان غير أنه سمع منه ديوان زهير بن أبى سلمى – بضم السين – وتوفى فى ذى القعدة سنة احدى وستين وسبعمائة . فعاش بعد تأليف هذا الكتاب

للأستاذ السيد حسن قرون

« مغنى اللبيب ... » نحـــو أربع ســـنين ، ودفن خارج باب النصر . ومن شعره :

ومن يصـــطبر للعلم يظفـــر بنيـــله
ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

ومن لم يـــذل النفس فى طلب العــلا
يســيرا يعش دهرا طـــويلا أخا ذل

وترك ولدين : محب الدين ، وعبد الرحمن. ورثاه ابن نباتة المصرى — بضم النون — بقـــوله :

سقى ابن هشـــام فى الثرى نوء رحمة
يجـــر على مثـــواه ذيـــل غمـــام
سأروى لـــه من ســـائر المدح سيرة
فمازلت أروى ســـيرة ابن هشـــام

تورية بعبد الملك بن هشام صاحب السيرة. ولهم ثالث محمد بن يحيى بن هشـــــام الخضراوى نســـــبة الى الجـــزيرة الخضراء بالأندلس ويقال له الأندلسى .

ورابع محمد بن أحمد بن هشام اللخمى .

وابن نباته معاصر لابن هشام وقد أعجبه المغنى فبكى مؤلفه وتوفى بعده ســـنة ٧٦٨ هـ فعاش بعده سبع سنوات تقريبا .

ولو ترك ابن نباتة نفسه على سجيتها لأتى بمرثية تناسب مقدرته الشاعرية ، ولكنه اهتم بالتورية فحال بين عاطفته والتدفق .

على أن الشيخ الأمير لم يذكر لنا شـــيئا عن عصر لبن هشام ، وهو عصر جدير بالقاء النظرة الفاحصة عليه فهـــو مغموط الحق لأن المماليك يستبدون بصنعه ، وقد ورثنا ذمهم والحط من شأنهم ، ولكنهم كسائر الحكـــام لهم الحسنات ومنهم السيئات .

ويكفى أن القاهرة فى عصرهم كانت مركـــز العلم والثقافة لبلاد الاسلام جميعا . فقـــد نهضت مصر نهضة عظيمة ومن أهم أســـباب النهضة غيرة العلماء وحرصهم على اعادة مجد الاسلام بعد سقوط بغداد وضياع المؤلفات الثمينة تحتسنابك خيل التتار ،وكان للسلاطين فى ذلك الزمان سبل الى العلم والعلماء . ألم يروا أنهم أصبحوا حماة الخلافة الاسلامية ، وأن دولتهم صارت ملجأ الفارين من آســـيا والقادمين من الأندلس ؟

وجد العلماء ونشـــطوا وخلفـــوا وراءهم موسوعات فى كل علم وفن ، وظهر أثر الأزهر جليا فى تلك الحلبـــة وحـــــافظ على التراث ومن أشهر المؤلفين فى ذلك العصر .

فى حاشية الأمير

شهاب الدين بن فضل الله العمرى وكتابه « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » جليل فى عطائه .

وشهاب الدين أحمد بن على القلقشندى وكتابه « صبح الأعشى » .

ثم النويرى أحد رجال الناصر بن قلاوون ، واشتهر بكتابه « نهاية الأرب فى فنون الأدب » .

وبجانب ذلك ابن تيمية ومؤلفاته .

والقسطلانى صاحب « ارشاد السارى الى شرح البخارى » .

وابن هشام صاحبنا يمثل للغة بنحوها وقدرته على التعليل فى بيان واضح يدل على ملكة أدبية . ملأ صيته العالم الاسلامى ، فقال عنه ابن خلدون فى مقدمته : « مازلنا ونحن فى المغرب نسمع أنه ظهر فى مصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » وله تصانيف فى النحو غير المغنى « قطر الندى وبل الصدى » و « شذور الذهب ».

وقد ابتكر هذا العصر المتون والشروح ، فقد تعود بعض المؤلفين — وبخاصة مؤلفو العلوم العربية والدينية — أن يضعوا موجزا فى العلم يسمونه متنا ، ثم يفسرون مجمله فى شىء من الاسهاب ويسمون هذا التفسير شرحا .

وأشهر هذه المتون فى النحو الألفية لابن مالك ، وفى القراءات الشاطبية للشاطبى ، وفى الفقه الحنفى متن الكنز للنسفى .

وهذه النزعة يراها بعض المفكرين معطلة للمبتدئين عن الفهم وسرعة التحصيل .. قالوا .. ولماذا لا يوضع العلم أول وهلة أمام الطالب فى أسلوب واضح مفهوم سائغ ؟ وهذا الرأى له وجاهته .

وجاء العصر العثمانى فأضاف الى المتن والشرح الحواشى . فكتاب « الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه « يقول » : وبقيت هذه الحال حتى أوائل الحكم العثمانى ، ثم اخترع تأليف الحواشى والتقريرات والرسائل الخاصة بشرح قاعدة أو جملة أو قصيدة ، وضعفت عبارتها وازدادت تعقيدا وغموضا حتى أصبح ذلك مما يتنافس فيه ، ويظن فى صاحبه العلم والدقة » جاء هذا تحت عنوان « كتاب التدوين والتصنيف » وما من شك فى أن ابن هشام قد علا على المتون والحواشى والشروح فهو واضح التأليف قويم التعبير سواء فى مؤلفه الكبير مغنى اللبيب أو فى مؤلفاته الصغيرة ، ولا ضير عليه اذا أنشئت الحواشى حول كتبه ، فلكل عصر مسلكه ، على أن الشيخ محمد الأمير لم يفته أثناء تعليقاته على المغنى أن يأتى بما قيل فيه من شعر ، فقد علق على مقدمة المؤلف عند قوله سميته « بمغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » بقوله : لم يقل الأريب مع

أن فيه لزوم مالا يلزم ، لخفة اللام والباء عن الراء والهمزة ، وللبرهان القيراطي توفى سنة ٧٨١ هـ :

جـلا ابن هشـام من أعاريبـه لنا
عروسـا عليهـا غيره الدهر لا يبنى
وابـدى لنا من كنزه الـذهب الذى
تقر له الشمس المنيرة بالحسن
واهـدى لأرباب اللسـان مصـنفا
يفدى بعين كلما حل فى أذن
ولقبـه مغنى اللبيب فاصـبحوا
ومـا منهم الا فقـير الـى المغنـى

والشيخ الأمير لم يذكر هذا عند الترجمـه انتظارا لما يجىء فى المقدمة خضوعا لمقاصـد الحاشية ، وكم للحاشية من أحكام وقوانين !! وقد ضاق بها طلاب الأزهر فقالوا : « شرحوا الشروح وللشروح حواش » وأظن أن الأزهر خفف منها أو تركها فأنا لا أعرف مناهجه اليوم. لكن حاشية الأمير لها نهج خاص يبعـدها عن وصمة الغموض وحيرة التعقيد لسلامة لغته ، ولسليقته الأدبية .

وكنت آمل أن يضع لنفسه ترجمة كما فعـل السيوطى فى العصر المملوكى ، ولكنه اكتفى بالسنة التى انتهى فيها من تأليف حاشيته . فدفعنى ذلك الى أن أسجل ما قـاله وأبحث عن ترجمة حياته فى الكتب التى عنيت به . فماذا قال فى آخر الحاشية ؟

قال :

« وافق الكمال صبيحة ليلة الاثنين المبارك من شوال سنة ثمان وثمـانين ومـائة وألف ١١٨٨ هـ » .

ولقد راجعت هذا التاريخ فى يوميـات الجبرتى ، لأعرف ما جرى فى هـذه السـنة ١١٨٨هـ فوجدت الجبرتى يؤرخ لها بما يوافق

(١٤ مارس ١٧٧٤ ــ ٢ مارس ١٧٧٥) مـن التاريخ الميلادى . قال الجبرتى :

« استهلت ووالى مصر (من قبل السلطان العثمانى) خليل باشا محجور عليه ليس لـه فى الولاية الا الاسم والعلامة على الأوراق ، والتصرف الكلى للامـير الكبير محمد بـك أبو الذهب ... والوقت فى هدوء وسـكون وأمن ، والأحكام فى الجملة مرضية ، والأسعار رخية ، وفى الناس بقية ، وسـتائر الحيـاء عليهم مرخية .

وما الدهر فى حال السكون بساكن
ولكنـه مسـتجمع لوثـوب »

ولئن كان الجبرتى متشائما وله نظـرته المستقبلية ، فان الشيخ الأمير كان راضـيا عن وطنه وحاله وعمله ، فهو شاب يلقى الكرامة حيثما حل ، وله علمه المعترف به ، ولا أدرى ان كانت الحاشية صيغت أثناء الـدرس أو كانت فى خلوة الشيخ ببيته ، وهى حاشـية جديرة بأن تكون كتابا قائما بذاته ، فيها الأدب يصـاحبه التاريخ والنحـو يرافقـه الشرح والترجمة للنحـاة ، وكثيرا ما يعنى بألفـاظ اللغة عنايته بالمصطلحات الفنية والنحـوية ، فقد تجلى علمه الغـزير فى تلك الحاشـية ، ووددت ولا فائدة للتمنى لو أن شيخنا ألف ولم يكن صاحب حاشية ، ومثل فى ذهنى صنيع أبى الحسن الأخفش ، فله تعليقات على كتاب الكامل للمبرد تدل على أصالة فى فهم النحـو

فى حاشية الأمير

والتعمق فى الرواية ومعرفة الرجال والأنساب ، وعلى كل فكلاهما مفيد وقوله سديد :

محمد الأمير المتوفى سنة (١٢٣٢ هـ ـ ١٨١٧ م)

هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الشهير بالامير . هبط أهله مصر بعد أن جاءوا

من المغرب وسكنوا بلدة (سنبو) من أعمال محافظة أسيوط ، وهى تكتب اليوم بالصاد فيقال (صنبو) وفيها ولد الشيخ محمد ، وقد قدم به والده الى القاهرة وهو ابن تسع سنين وكان قد حفظ القرآن الكريم ، فلما جوده طلب العلم فى الأزهر ، وأخذ عن أئمة الأشياخ فيه حتى جود المعقول والمنقول ، وحذق ما تهيأ لعصره من الحساب والهندسة والفلك . ثم تصدر لالقاء الدروس بأعين أشياخه ومجيزيه فذاع أمره واشتهر فضله ، وقصد اليه الطلاب من كل مكان ، وعرف عند الخاصة والعامة ، وسافر الى القسطنطينية زائرا وهى يومئذ حاضرة للخلافة فألقى دروسا حضرها أعيان العلماء هناك فأقروا بفضله وشهدوا بسعة علمه ، واستجازوه فأجازهم .

وقد صنف فى كثير من العلوم فكانت مصنفاته موضع الاجلال والثقة لما امتازت به من براعة التحرير ، وقوة التحقيق حتى لقد كان بعض شيوخه اذا غم عليهم الأمر فى احدى مسائل العلم راجعوا بأعين طلابهم ما كتب فيها الأمير ، وكلها حواش وشروح فى الفقه المالكى وعلم العربية وكان رحمه الله رقيق القلب ، مرهف الحس ، حلو الحديث ، زاهدا فى متاع الدنيا ، شديد الرغبة عنها ، ولقد عاش ما عاش ماتهافت على صحبة الحكام ، ولا داور ظنامة الظلام ولا جهد فى احراز الجاه ولا جمع الحطام .

وكان يعالج نظم القصيدة أحيانا ومن قوله فى التشبيه :

يا حسن لون الشمس عند غروبها
فى روض أنس نزهة للأنفس
فكأنه وكأنها فى ناظرى
ذهب يجول على بساط سندس

هذا ما نقلته عن « المفصل » ببعض التصرف .

وشاعرية الشيخ أصابها ما أصاب الشعر فى عصره ، فهل من موضوعات الشعر «التشبيه ؟

ثم ان هذا الشعر ينظر الى ما صاغه ابن خفاجة الأندلسى فى وصف نهر ، منه :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى
ذهب الأصيل على لجين الماء

وميزة ابن خفاجة أنه جعل الأصيل كالذهب لصفرته ، والماء كالفضة فى بياضها ، وقالوا انه من اضافة المشبه به للمشبه . والشيخ قد جعل لون الشمس ذهبا يجول على بساط سندس أى أصفر على أخضر .

وأستادنا البهى الخولى فى معهد أسـيوط الدينى أملى علينا قصيدة للشيخ الأمـير فى وصف نزهة ختمها بقـوله :

وان يكن لهـو فلهـو
بشىء نافـع والله أعلم

وأنا لا أعرف له ديوانا من الشعر ، وانمـا أروى ما قرأته أو سمعته ، وكتاب المفصـل جعل الشيخ بعيدا عن الحياة العامة ، ولكن الجبرتى وضعه فى المعمعة سواء على عهـد المماليك والوالى التركى أو فى أيام الحملـة الفرنسية ثم فى العمل على تولية محمـد على باشا . ولا أطيل على القارىء فحسبى موقفه

من الأحـداث سنة ١٢٠٩هـ وفى ذى الحجـة الموافق ١٧٩٥ م قبل الحملة الفرنسية بثـلاث سنوات ، فقد كان أحد الأعـلام الأزهـريين الذين اشتركوا فى وثيقـة الشرع التى تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وأسـباب ذلك بايجاز كما دونها الجبرتى فى يومياته :

أن الشيخ عبد الله الشرقاوى كـانت لـه حصة بشرقية بلبيس فجاءه أهلها شـاكين من

(محمد بك الألفى) وذكروا أن أتباعه أوقعوا عليهم ظلما فادحا فى فرض أموال لا طاقة لهم بدفعها وليست فى بند الضرائب ، فاغتـاظ الشيخ وذهب الى الأزهر فاجتمع المشـايخ وأغلقوا الأبواب ، وذلك بعد عرض الأمر على ابراهيـم بك ومراد بك اللـذين لم يبديا شيئا . وفى اليوم الثانى ركبوا واجتمع اليهم جمع غفير من أفراد الشعب وسـاروا خلفهم حتى بلغوا منزل الشيخ السـادات ،

وازداد الزحام من جهة الباب والبركة بحيث يراهم ابراهيم بك ، فأرسل من قبله أيـوب بك الدفتردار . فوقف بين الجمع الحاشـد ، وسلم على المشايخ وسألهم عن مطـالبهم ، فقالوا له : « نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع ، وابطال الحوادث والمكـوس

التى ابتدعتموها .. » قال أيوب بك : « لايمكن الاجابة الى هذا كله ، فاننـا ان فعلنـا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات » قال المشايخ : « هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقـات وشراء المماليك ؟ والأمير يكون أميرا بالعطاء لا بالأخذ » فقال : أبلغ .

ومعنى هذا أن الأمر مازال كما هو ، ولذلك اتجه المشايخ الى الأزهر ، واجتمعت حشود من القاهرة وضواحيها وباتوا فى المسـجد . وأرسل ابراهيم بك اليهم يسترضيهم ويقول لهم : أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطرى ومرادى .. ومن جهة أخرى أرسل الى مراد بك ينذره بعاقبة ما فيه المماليك ، فبعث اليـه

مراد بك أجيبكم الى كل شىء الا شيئين : ديوان بولاق ، وطلبكم المنكسر من الجامكية . ونبطل ما عدا ذلك وندفع لكم جامكية سنة تاريخـه أثلاثا . وطلب مع ذلك أربعـة من المشـايخ عينهم بأسمائهم فذهبوا اليه فلاطفهم والتمس منهم الصلح على ما شرط .

فى حاشية الأمير

وفى اليوم الثالث حضر الباشا (الوالى التركى) الى منزل ابراهيم بك واجتمع الأمراء هناك ، فقد تفاقم الأمر ولابد من حل ، فكان أن أرسلوا الى المشايخ • فحضر الآتى أسماؤهم :
الشيخ السادات ، والسيد النقيب ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ البكرى والشيخ الأمير • ومنع العامة من السير خلفهم • فلما تم الجمع عرضت القضية • وبعد الحوار بين العلماء والأمراء استقر الشأن على أن الأمراء تابوا وأنابوا والتزموا بما شرط العلماء عليهم ، وانعقد الصلح على أن يدفع المماليك سبعمائة وخمسين كيسا موزعة ، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ، ويصرفوا غلال الشون •

* وأموال الرزق ، ويعطلوا ما أحدثوا من مظالم مثل الكشوفيات والتفاريد (١) والمكوس — ما عدا ديوان بولاق — وأن يسيروا فى الناس سيرة حسنة •

* وكان القاضى حاضرا فى المجلس فكتب عليهم حجة بذلك ، « وفرمن » (٢) عليها الباشا ، وختم عليها ابراهيم بك وأرسلت الى مراد بك فختم عليها أيضا • وانجلت الفتنة ، ورجع المشايخ وحول كل واحد منهم جمهور من الشعب وهم ينادون : « حسب مارسم سادتنا العلماء » •

وهذه الوثيقة تعد من مفاخر مصر ، انها معاصرة لوثيقة الثورة الفرنسية تقريبا • ولكن الوثيقة الفرنسية وجدت من يعلنها ومن يدعو لها حتى اعترف بها العالم أجمع ، وبقيت الوثيقة المصرية فى يوميات الجبرتى وكتابنا المعاصرين •

وتعقيب الجبرتى عليها يدل على تشاؤمه بنتائجها ومستقبلها • فقال : وفرح الناس وظنوا صحته وفتحت الأسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر ثم عاد ما كان مما ذكر وزيادة •

وفى عهد كليبر ترى الشيخ الأمير له مكانته عند الغاصب وعند أبناء الشعب ، وحدث ما أغضب كليبر من المصريين حين تلاقى جيشه بجيش العثمانيين ، واتهم المصريين بمساعدة عدوه فأنزل بهم من النكال ما تنوء بحمله الجبال ، انتهزها فرصة ، ففرض الضرائب وطالب بالأموال الكثيرة التى يعجز عن أدائها أغنى الأغنياء وكان مما فرضه على الشيخ السادات خمسمائة وخمسة وثلاثون ألف

---

(١) التفاريد : فرض ضرائب على كل فرد •
(٢) فرمن : صدق •

فرانسة ، وعجز الرجل عن دفعها فقبض عليه ، وتعرض للضرب والاهانة صباحا ومساء ، وبيع مافى داره فلم يف بما طلب منه ، وزادوه نكالا فأحضروا معه زوجته وكرروا ضربه أمامها .. « ثم ان المشايخ وهم الشرقاوى

والفيومى والمهدى ومحمد الأمير ، وزين الفقار كتخدا تشفعوا فى نقلها من عنده ، فنقلوها الى بيت الفيومى ، وبقى الشيخ على حاله . » هكذا يروى الجبرتى .

فالشيخ الأمير لم يعتزل العمل السياسى ولم يول ظهره للأحداث ــ وان كان غير مفهوم بوظيفة أو مال . هذه مناقبه ومواهبه .

أما صفاته الجسمية فكل شيوخنا وصفوه بجمال الصورة وحسن المنظر مع عفة وورع وتقوى تحرس ذوى الجمال من الوقوع فيما يشين الجمال .

وقد رزقه الله الولد ، وكان له ابن شارك فى الأحداث على عهد الحملة الفرنسية (١٧٩٨ ــ ١٨٠١) .

يتبع

السيد حسن قرون

دراسة عن

مجلة الشباب وعلوم المستقبل

بعض الاستفهام .. !

.. هل يكفى الشباب تحقيق صحفى هنا ..او هناك لينال منه المعرفة التى يريد ، ويملأ منه الفراغ الذى يحس به ؟

ان الشباب فى بلدنا يزيد على ستة عشر « مليون » شاب .. ، فهل يستوعب حماس هذا الشباب لقاء « تليفزيونى » ؟ أو « حوار اذاعى » من حين وآخر .. ؟!

ثم اين صحافة الشباب ..؟! واعنى بصحافة الشباب .. الصحف التى تهتم بقضاياه ومشكلاته .. ، والتى تحتضن منه المواهب .. وتنشر له الأمل .. وتضىء الطريق امام براعمه ، وتتابع الحلول وتقدم المعونة بالرأى والفكرة والمشورة ..

وشبابنا حائر .. ، فهو يرى تناقضا فى حياته اليومية ، ويرى تيارا من الاغراءات يتمثل أمامه فى أكثر من حال ، ثم يجد هو نفسه مشدودا بطهره وصفائه الى دينه وعقيدته .. !!

وربما تعرض للتشكيك فى هذه العقيدة من ذوى الأفلام المنحرفة والفكر الغريب وبقدر فداحة هذه الحال من التناقض كانت أخطاء الشباب فادحة .. !! ، .. ، والاصرار على الأفكار الغربية قويا .. !!

ووسط هذه الأجواء برزت « مجلة الشباب وعلوم المستقبل » فبرز معها نتاج الرجال الذى نشدناه ، وظللنا نمنى النفس بتحقيقه ، حتى رأينا واقعا يطل علينا فى هذه المجلة الغراء ، فدفعنى وجودها الى اطلالة دراسة أقدمها فى هذه الصفحات .

و « مجلة الشباب وعلوم المستقبل » حديثة العهد ، لم يتعد عمرها سنوات سبع ، لكنها والحق يقال اشتملت على كثير من فنون الصحافة ، وحرصت على أن تكون الصوت المعبر عن شباب بلادنا .. لهذا ، يسعدنى أن أقدم للقارىء « بطاقة تعارف » بالمجلة ثم نتأملها معا .. ونهمس سويا فى أذن القائمين عليها بما نراه حقا لهم علينا

للأستاذ حسن على محمد العنيبسى

من النصح المخلص .. من أجل شبابنا ..

* بطاقة تعريف بالمجلة (١) : ـ

١ ـ الشعار : مجلة ثقافية علمية .

وهذا يحدد لنا مسار واتجاهات المجلة ، وما نتوقعه من » مضمون » صحفى للقارىء.

٢ ـ الصفة : ثقافة عامة .

ولكنها لم تحرص على هذه الصفة فقد مالت الى التخصص منذ ميلادها ـ ، خصوصا فى جانب الثقافة الطبية ، والهندسية.

٣ ـ تاريخ صدور العدد الأول : أغسطس ١٩٧٧ م ـ شعبان ١٣٩٧ هـ .

٤ ـ طريقة الصدور : شهرية ، مع بداية كل شهر افرنجى .. ولا أدرى لماذا لا تصدر كل صحافتنا الشهرية مع مطلع كل شهر عربى .. !؟ فان كان مراسيمنا تصدر ـ رسميا ـ بالتاريخ العربى .

٥ـ فترة الصدور : بلغت ـ حتى الآن ـ ست سنوات وشهرين ، فى عدد أكتوبر ١٩٨٣ ، ونتمنى لها التوفيق والاستمرار .

٦ ـ عدد الصفحات : مع العدد الأول وحماس الشباب كانت « ١٩٢ » صفحة ثم لسبب ما نقص هذا العدد الى « ١٤٨ » صفحة ، ثم من عدد نوفمبر ١٩٨٢ وحتى آخر عدد بين أيدينا ـ الآن ـ نقصت هذه الصفحات الى « ٩٦ » صفحة فقط وصفحتى الغلاف أى أنها نقصت طوال رحلة عمرها الصحفية ما يقرب من مائة صفحة وهو رقم كبير يجعلنا نتساءل : .. لماذا ؟

٧ ـ الثمن : ٢٥ خمسة وعشرون قرشا مصريا .

٨ ـ الناشر : مؤسسة الأهرام ـ القاهرة .

٩ ـ رئيس التحرير . الأستاذ / صلاح جلال .. منذ أن صدرت وحتى كتابة هذه السطور .

١٠ ـ الخطة : وفى الحق ، فاننى طلبت من بعض العاملين بالمجلة أن يمدنى بشىء من المعلومات عن خطة النشر .. فظن أنها من الأسرار التى لا يحسن نشرها .. ، وقد تحدثت مع الأستاذ / محمد محمد سليمة مدير التحرير فقال لى انه لا توجد خطة نشر محددة سوى ما نناقشه فى اجتماع التحرير بالمجلة .. !!

ومع هذا ـ فانه يمكن لنا أن نعرف شيئا عنها من خلال افتتاحية العدد الأول التى كتبها رئيس التحرير يقول (٢) : ـ

« فى أول أعداد المجلة الجديدة » الشباب

---

(١) نستعير هذا اللون من التقسيم من الاستاذ / د. على شلش كأسلوب وصفى ، لذا لزم التنويه .

(٢) راجع مجلة الشباب وعلوم المستقبل ، المجلد الأول ، افتتاحية المجلة ، ص ٥ .

وعلوم المستقبل » يلتقى شـــباب الفـكر والعقل ، شباب الايمــان والعلم ، شــباب المستقبل والحاضر .. الخ .

ومن خلال ما كتبه رئيس التحرير يمكن أن نستبين ملامح الخطة فالمجلة تضع الشـــباب نصب عينيها ..

لكن هل نفذت المجلة هذا الوعد .. وهى التى تؤمن بالله .. وبالحق .. وبالعدل ؟

وهل حلت المجلة مشكلة الفراغ الدينى عند الشباب ؟

وهل قدمت حلولا لبقية مشكلات الشباب ؟

ثم ما أهم النوعيات التى تخاطبها المجلـــة وأعنى بالنوعيات قطاعات الشباب المختلفة.. كشباب العمال ، والفــلاحين ، وشـــباب المحامين ، وشباب المهن الأخرى .. الخ .

ونهمس فى أذن القــائمين على المجلـــة أن بضع مقالات اسلامية لا تكفى .. ولا تسهم فى حل مشاكل القراء من الشباب .. ، بل ان ما نشر من موضوعات دينية اســــلامية فى المجلة لا يروى غلة شاب مســلم يبحث عن أساسيات فى دينه تزوده معرفة به تعينه على تجنب الفكر المنحرف

ورب قائل يقول : ان هــذا الجانب وظيفة المجلات الدينية ..

أقــول :

* ان الدين حياة ، لــه فى الشـــباب « عروج وسمو الى غايات نبيلة لا ينقصها » الحمــاس ولا التضــحية ، ثم هى غايــات لا تعرف التجزئة من مجلـــة الى أخــرى ، ومجلة الشباب حملت نفسها عبء الشباب ، فينبغى أن تنبض نبضاته وتتمثــل عقليتــه ووجد انه وهما كيان لا يتجزأ ولا ينفصــل ، وهذا الشباب بين يدى المجلـــة اذا لم يجـد نفسه فيها فأين يجدها ؟ !

من هنا أرى أن على المجلة أن ترعى هذا الجانب ليكون وجبات غنية هادفة ســـامية عاصمة من التطرف والخذلان .

ثم ان المجلة تتوجه الى الشباب المثقف.. الشباب الذى لديه القــدرة على القــراءة الواعية ، فمستوى شبابها فوق « فك الحظ » بكثير ، ونلاحظ أن المجلة تنسى قطاعا عريضا من شباب المحامين .. والمحاسبين .. والعمال ... الخ وتقتصر — فى التـــوجه — الى شباب الجامعة والأطباء والصيادلة والمهندسين وحســـب ... !؟

١١ — أهم الكتاب والمحررين (١) : —

صلاح جلال ، محمد متولى الشعراوى ، عبده مباشر ، محمد محمد سليمه د. محمــد عبد المنعم خفاجى ، د. عبد العزيز شرف ، د. فوزى سويحه يوسف عبد القــدوس ، طه محمد كسبه ، عثمان الجوهرى ، مهندس محمد تيمور .. الخ .

هذا، الى جانب عشرات من أسماء المحررين

---

(١) يراعى ان ترتيب الاسماء لا يخضع لاى اعتبارات .

والمحررات يضيق المقام بنا .. ان كتبنا عن كل كاتب أو محرر بالمجلة فنكتفى بهذا القدر .. ونعتذر للقارىء وللاخوة المحررين بالمجلة .

١٢ ـ **الأبواب الثابتة** : فى الحقيقة لم تخضع المجلة لأبواب ثابتة حسب الظروف ونوعية الموضوعات وان كانت جميعها لم تخرج عن :

(أ) الاسلاميات .
(ب) تحقيقات مرضية .
(جـ) شباب .
(د) علوم .

باب الاسلاميات : ـ

وقد احتوى على مقالات لكتاب اسلاميين وأحاديث مرضية خصوصا فى الأعداد الأخيرة لعام ٨٢/٨٣ مع الشيخ متولى الشعراوى ، وقصصا لكبار الصحابة والمسلمين فى صدر الاسلام ولنا عودة الى هذا الموضوع عند الحديث عن المحاور الأساسية فى سياسة التحرير بالمجلة .

*** والتحقيقات الصحفية :**

من الأبواب التى أفردت لها المجلة مكانا « متسعا » وهى فى هذا أقرب الى روح الشباب غير أن معظم هذه التحقيقات لاتهم « الشباب » كثيرا ، .. فلو أن هذه التحقيقات كانت مع الشباب ومنهم ، ثم مع المسئولين عن الشباب ..لكانت أفضل ..

*** باب الشباب :**

ويشمل الموضوعات التى تدور حول الشباب ومشكلاتهم وأفكارهم وسوف نرى عند الحديث عن سياسة التحرير كم من الصفحات أفردتها « مجلة الشباب» .. للشباب .. !! ؟

*** ثم باب العلوم :**

ويضم أقساما ثابتة مثل : ـ

نادى الطيران ، الطب للجميع ، نادى الهواة ، فى « الألكترونيات » ، ثم ملحق بالانجليزية عن أحدث الموضوعات الطبية .

(ملاحظة اجمالية) : ـ

يلاحظ على « الأبواب الثابتة »أنه لا يوجد بها أقسام يندرج تحتها كل المقالات التى تنتمى الى باب الشباب مثلا .. أو كل المقالات التى تنتمى الى باب الاسلاميات ..، ولكن يلاحظ أن المقالات متداخلة .. فقد تجد حديثا مع الشيخ الشعراوى ثم بعده مباشرة مقالة عن الشباب ثم بعد ذلك حديثا عن مشكلة الكتاب الجامعى ثم تحقيقا عن المواصلات .. الخ .

١٣ ـ **الأعداد الخاصة :**

لا يوجد .. ولكن هناك ملاحق تصدر عن المجلة مثل : ـ

(أ) ملحق التعليم الطبى المستمر : ويصدر كل ثلاثة شهور .

(ب) ملحق الأسرة والسكان : ويصدر كل ثلاثة شهور .

(ج) ملحق البيئة : ويصدر كل ثلاثة شهور بالتبادل مع ملحق الأسرة والسكان .

(د) صندوق الدنيا : وهى تهتم بالناشئين .

١٤ ـ **الاخراج** : ـ صفحة الغلاف .. ، ويوضع العنوان (اسم المجلة) فى أعلى يمين الصفحة .. يعلوه شعار الأهرام ..

« وكلمة الشباب » تكتب بخط هرمى مربع الحروف ثم كلمة « علوم المستقبل » فى « برواز » أسود والطباعة « أوفست » ، والغلاف بالألوان وغالبا ما يخصص لنشر الصور الهامة التى كثيرا ما تكون أحد موضوعات المجلة الهامة .

١٥ ـ الاعلانات : وهى ليست كثيرة .. وان كانت الصفحة الثانية ظهر الغلاف كاملة والصفحة الأخيرة للغلاف بوجهيها .. ولنا تعليق على موضوع الاعلان فى المجلة نذكره فى حينه .

١٦ ـ التوزيع : وهو المقياس الحقيقى لرواج المجلة والمؤشر الذى يوضح لنا الفاعلية الاعلامية ومدى التأثير والانتشار .. غير أنه من الأسرار الصحفية ذكر رقم التوزيع الحقيقى .. !!

لهذا نعتذر عن عدم حصولنا عليه .

١٧ ـ مجموع الأعداد الصادرة : ـ

وحتى كتابة هذه السطور صدر ٧٤ عددا على مدى ست سنوات وشهرين فقط بعد هذه الجولة .. وهذا التعارف الضرورى .. نود أن نناقش معا بعض الأمور الهامة حول المجلة وذلك **من خلال النقاط الأساسية التالية : ـ**

١ ـ المحاور الأساسية فى سياسة التحرير بالمجلة .

٢ ـ سياسة التحرير .

٣ ـ نظرة على الشكل العام للمجلة .

أولا : المحاور الأساسية لسياسة التحرير : ـ

١ ـ الافتتاحية :

ويكتبها رئيس التحرير .. وهى فى الصفحة الرابعة من كل عدد وبمساحة صفحتين .. ، والطابع الغالب على ما يكتبه رئيس التحرير هو التركيز على الأخطاء والظواهر غير السوية والبحث عن جذور هذه الأخطاء .. ثم تقديم الحلول لبعض هذه القضايا .. وطرح البدائل لما ينادى بتجنبه ..

وحين تقرأ الافتتاحية تشعر أن كاتبها شاب فى مقتبل العمر فنجد أسلوبا متدفقا يمتزج بحماس الشباب ..

٢ ـ الاسلاميات (١) : ـ

وهو اتجاه يحمد للمجلة .. ونغبط أسرة التحرير عليه .. ، فالشباب فى بلادنا يحتاج الى أن يعرف دينه ، ويتفهم قضاياه ، ويعيش مجتمعه والعالم من حوله أيضا وذلك فى خط متواز ، وجنبا الى جنب ليعلم الشباب : أين ما يرى من دينه ..

والموضوعات الدينية المقدمة لابد أن تكون مدروسة ، وفقا لخطة محددة تضمها المجلة فى فترة زمنية محددة ..

---

(١) ونعنى بها كل الموضوعات الدينية من مقالات او احاديث صحفية او تحقيقات او عرض لبعض الكتب الاسلامية .

ولكن — للأسف — نجد هذا الباب « اسلاميات » غير ثابت ، كما أن قيمة ما يقدم من موضوعات ليست على المستوى الذى نتوقعه وننشده من مجلة شبابية على مستوى راق من التحرير والاخراج ، وانتقاء الموضوعات العلمية والثقافية الأخرى فلماذا لا تكون الموضوعات الدينية بنفس القدر ونفس الاهتمام : —

ونتمنى أن تتابع المجلة النشر فى القضايا الفكرية الدقيقة التى تهم الشباب المسلم ، وأن تتبنى الرد على الأفكار الغربية عن الاسلام سواء كان ذلك من المستشرقين أو من الكتاب المسلمين ، أو من الرأى المتطرف .. أو المتحرف .. ولهذا نحن نريد من المجلة الاهتمام بالفكر الدينى بشكل أكثر ، وأعنى بالتحديد أن تقدم المجلة حلولا لمشاكل الشباب الحالية من منظور اسلامى وفى الحق فان المجلة قدمت خلال عامها الأول حوالى ٤٣ موضوعا عن أعلام الفكر الاسلامى ، وعرضت لنماذج للشباب المسلم أمثال .

* حمزة عم النبى « صلى الله عليه وسلم » ، وأسامة بن زيد رضى الله عنهما وعرضت لنماذج من المفكرين فى العصر الحديث كطه حسين ، ولطفى السيد وغيرهما ..

ولكن اذا علمنا أن مجموع الموضوعات التى قدمت خلال عام واحد هى ٢٧٢ موضوعا ، الاسلامى منها لم يزد عن ٤٣ موضوعا فقط فالنسبة هنا لا ترضينا ؟

ولا ننكر أن المجلة فى بعض أعدادها توسعت فى عرض الموضوعات الدينية ، كما فى العدد الثانى من السنة الثانية (سبتمبر ١٩٧٨ — رمضان ١٣٩٨) ويلاحظ هنا سبب هذه الزيادة هو مناسبة شهر رمضان..

ونحن نسأل ألسنا مسلمين دواما : فى رمضان وغير رمضان !! ؟

٣ — نشر الجديد فى العلم والتكنولوجيا

وآخر ما توصل اليه العلماء فيهما : —

وهذا المحور فى حد ذاته هدف أساسى من أجله قامت المجلة وهو هدف محمود تسعى اليه الأمم الراقية والصحافة الجادة وقد قدمت المجلة فى خلال عامها الأول حوالى « ١٦ ستة عشر » موضوعا عن الطاقة الشمسية ، « ١٦ وستة عشر » موضوعا عن الفضاء وأكثر من ٢٠ عشرين موضوعا عن الحيوان والنبات .

وقد حظيت الدراسات الطبية بقسط وافر من اهتمامات المجلة فقدمت حوالى ٣٠ ثلاثين موضوعا طبيا ..(١)

٤ — باب القراء وتطوير المجلة ..

كان هذا الباب من خلال متابعتى له .. نبضا حيا لاهتمامات القارىء بالمجلة ، ورأيت أن أسرة التحرير أخذت بكثير من آراء القراء ، واهتمت بهذه الآراء الشبابية .

ونرى أن هذا الباب هو همزة الوصل بين المجلة وجمهورها وأنه « المقياس »

---

(١) راجع البحث المنشور بالمجلة فى العدد الاول للسنة الثانية اغسطس ١٩٧٨ .

دراسة عن
مجلة الشباب وعلوم المستقبل

الذى يوضح درجة حرارة العلاقة بين المجلة والقارىء .. ولهذا لم تغفله صحيفة أو مجلة فى معظم بلاد العالم — !

الى جانب هذه المحاور الأربعة السالفة الذكر فان المجلة تقوم بتبسيط المعارف للشباب ، وتقوم بربط العلم باحتياجاتنا الفعلية ، وتتقدم للقارىء فرصة ممارسة هوايته من خلال نوادى العلوم والمعارض الدولية التى تنظمها ..

وبصفة عامة :

١ يمكن القول أن المجلة اهتمت بالشباب لأنه الجمهور الحقيقى للمجلة ولكنها — للأسف — لم تعش معه مشكلاته كاملة ، ولم تقدم له ما يساعده فى حل مشاكله واشباع احتياجاته الفكرية .

٢ — المجلة تخاطب القطاع المثقف من الشباب ولكنها نسيت أن هذا القطاع لا يمثل ٢٥٪ من مجموع شبابنا .. ولهذا فأين نصيب الفلاحين الشبان ، والعمال الشبان ، والمهن الأخرى من الشباب .. !؟

٣ — يلاحظ أن هناك « تحيزا » لقطاع الاطباء والمهندسين من الشباب فى سياسة التحرير والمساحة المخصصة لهما دون غيرهما من قطاعات الشباب الأخرى مثل المحامين ، المدرسين .. الخ من شباب مصر ، والمجلة كما نرى تعبر عن كل شباب مصر .. فلماذا هذا التحيز .. !؟

ثانيا سياسة التحرير كما يراها رئيس التحرير .

ذكر لنا رئيس التحرير فى ص ٦ من العدد الأول فى السنة الثانية (١) :

« أن المجلة لا تؤمن بالكلمات الصاخبة ، ولا الصور الفاضحة — ولى استدراك حول هذه الحملة — تؤمن بالله وبالانسان ، وبالشباب وبالمستقبل ..

ونحن نحيى رئيس التحرير على تأكيده دائما على ايمان المجلة بالله تعالى وادراكها لقيمة الانسان ولكن نعتب على المجلة التى لا تقدم الصور الفاضحة .. نعتب عليها فيما هو منشور بالصفحة الثانية من الغلاف فى العدد الأول من السنة الأولى أى فى بداية أول أعدادها وحياتها الصحفية حيث نرى :—

« اعلانا » عن عطور فرنسية وفيه : —

صورة لساقى امرأة .. ، وهاتان الساقان عاريتان وبين هاتين الساقين كرسى عليه صنف من العطور .. !!

وقد تكرر هذا الاعلان لعدة أعداد ونتمنى ألا يتكرر فى أعداد قادمة ، ونرجو ألا يطغى الاعلان على المبادىء مهما كان العائد من وراء هذا الاعلان .. ، فصاحب المبدأ .. لا قيمة للمال أمام ما يعتقده ويؤمن به ! والغريب أنه فى بعض هذه الأعداد مقال

---

(١) راجع العدد الاول — السنة الاولى — اغسطس ١٩٧٧ ، ص ٢ .

اسلامى ثم بعده مباشرة اعلان عن نوع من أنواع الكلونيا بشكل لافت للنظــر .. !!
وعلى أية حال مثل هذه الملحوظات لا تقلل ــ أبدا ــ من شأن المجلــة ولا من قيمة ماتدعو اليــه .. وما هى عليــه فعلا من فن صحفى راق ..

ثالثا : الشكل العام للمجلة .

المجلــة ثقافيــة ، علميــة ، شــهرية ، بدأت عددها الأول ، وكــان يحتــوى ثنتين وتسعين ومائة (١٩٢) صفحة ثم هبط الى (١٤٨) صفحة فى العددين (١١) ، (١٢) ، ثم الى (٩٨) صفحة فى الاعداد الحالية الآن .

وقدمت المجلــة خلال العام الأول نحــو ١٩٤٢ صفحة (١) ، من بين هذه الصفحات نحو ٧٥٤ صفحة بالألوان بنسبة ٤٠٪ من اجمالى الصفحات ، كما قدمت حوالى (٢٥) ملحقا على مدار العام كلها بالألــوان عــدا ملحقا واحدا ، وكان عدد صفحات المــلاحق يقرب من (٤٧٤)صفحة .

وشكل المجلة ــ عامة ــ متطور ولا تأخذ الصفحة الأولى شكلا واحدا وانما تتغــير صفحة الغلاف بتغير الموضوعات كل شهر عدا « البنط » الذى كتبت بــه عنــوان المجلــة فهو ثابت الشكل والحجم .

كما نلاحظ أناقة الطباعة والغلاف الجذاب وما فيه من جهد ، كذلك نــلاحظ أن «البنط» منــاسب لحجم المجلــة وان كان المفروض أن يكون (٤)أسود بدلا من كــونه أبيض حتى يساعد العين على القراءة .

والمجلــة تكاد تخلو من الأخطاء المطبعية هذا الى جانب البساطة فى العرض والتبويب و « ديناميكية » التبويب تجعلها فى حــل من أمرها فى اضافة باب جديد أو الأستغناء عنه وفقا لموضوعات المجلــة والأحداث الجــارية وخطة التحرير للعــدد الواحد .

وفى ختام البحث يطيب لى أن أقتبس من مقالة للأستاذ / محمد محمد سليمة حول مجلة الشباب فى عدد يناير ١٩٧٩ ما نصه : ــ

« لا أدرى هل كل ما يكتب فى هذا الصوت الشبابى الوحيد (مجلة الشباب) لم يجــد صدى عند المسئولين ؟ . وأين النتيجــة ؟ فهما وتفهما لكل ما يطرح من خلال ما يدرس ويبحث ؟ أو حتى على الأقل خــلافا .. أو اختلافا فى الرأى .. والتفسير .. » .

واخيرا أود أن أقول :

*** ان شباب مصر جاد يريد أن يبنى فهــل تأخذ بيده ؟**

*** وشبابنا لا يقل نشاطا وذكاء عن شباب العالم فهل يمكن أن نســتوعب هذا النشــاط ونستثمره . !؟**

*** وشبابنا يحتــاج الى الأبــواب التى تمارس انتاجه ليثبت ذاته فهل تتــاح له هذه الفرصة !؟**

شــكر واجب

يتوجه الباحث بالشكر الى الأســتاذ محمد سليمه مدير التحرير والآنســة آمال بسكرتارية التحــرير والأخــوة الزملاء المحررين ..

---

(١) راجع عدد اغسطس سنة ١٩٧٨ .

الفتاوى

خطأ قاتل

س : من المواطن/ع ٠ م ٠ الدسوقى ٠

رجل يدعى أنه « رفاعى » وأن الثعابين لا تضره ٠٠ قال لآخر : أنا ألف الثعبان حول رقبتك ولا يضرك ٠٠ وفعلا وضع « الرفاعى » الثعبان على رقبة الرجل الآخر ولفه عليها فلدغه الثعبان فى أذنه ٠٠ وبعد مدة شعر « بدوخة » نقل على أثرها الى المستشفى ولكنه مات فى الطريق ٠٠ وقرر الطبيب أن سبب الوفاة راجع الى تسمم دموى وصدمة عصبية٠ فما الحكم ؟ أهو القصاص أم الدية ؟

ج : اذا تيقن موت الرجل بلدغة الثعبان من أهل الاختصاص فهو خطأ لا يجب القصاص فيه ، وانما تجب الدية ٠٠ ومقدارها (٢٣٦٣٢) جراما من الفضة تضرب فى سعر الجرام عيار ٩٠٪ يوم الحادثة ، يدفعها الذى تسبب فى الموت وتعاونه أسرته فى ذلك ٠٠

وهذه الدية حق لورثة الميت ٠٠ ويجوز تقسيطها على ثلاث سنوات ٠

وعلى المتسبب فى القتل بالاضافة الى ذلك الكفارة ، وهى عتق رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ٠

زكاة المال المستثمر

س : من المواطن / ٠ و٠ اسماعيل ٠

يضع شخص مبلغا من المال فى بنك اسلامى للاستثمار وليس ايداعا ٠٠ فهل يدفع الزكاة عن المبلغ الأصلى أم يدفع عن الربح فقط ؟

ج : الجمهور يوجب اخراج الزكاة عن الأصل والربح معا ٠٠٠

وهو الأولى وعليه الفتوى ٠

ويرى عبد الله بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز والسيدة عائشة ورواية عن الشافعى رضى الله عنهم جميعا : أن الزكاة عن الربح فقط ٠٠

مسجد .. لا ورشة

س : من المواطن / م ٠ أ ٠ ٠ محمد ٠

بنى مسلم مسجدا وشاركه الناس فى بنائه وأقيمت فيه الصلاة ٠٠ ثم حوله الى مخزن (لورشته) ٠٠ فهل يجوز له ذلك ؟ وما الحكم ؟

ج : المسجد ثبتت مسجديته ببنائه مسجدا وصلاة الناس فيه ، ولا يصح أن يتخذ لأى غرض آخر غير العبادة ٠

الجماع .. والطلاق

س : من المواطن / أ ٠ عبد اللطيف ٠

هل يجوز الزوجة أن تطلب الطلاق

إعـــداد عبد الحميد السيد شاهين

بعد أن ثبت أن زوجها غــير قــادر على الناحية الجنسية ؟

ج : اذا ثبت أن الزوج غــير قــادر على ممارسة الجنس مع زوجتــه ، فللزوجــة أن ترفع أمرها الى القــاضى ، فــاذا ثبت لــدى القاضى حقيقة ما تدعيه الزوجة فان للقــاضى أن يطلقها عليه .

طلقــة واحــــدة

س : من المواطن / م . ح . عبد العاطى . حلفت على زوجتى قــائلا بموجب ورقــة عرفية كتبت فيها : أنا العبد الفقير لمغفــرة الله (أنا فــلان) .. بــأننى طلقت زوجتى (فلانة) ثلاث طلقات ومحــرمة على وتحــل لغيرى وأشـــهد الله على ذلك .. وأذنت لمن يشهد والله خير الشاهدين .. وهــذا ثــانى طلاق .. فما الحكم ؟

ج : هذا يمين يقع به طلقة واحدة رجعية ، فلك مراجعة زوجتك مادامت فى العدة ، فاذا انقضت عدتها منك ، حلت لك بعقد ومهــر جديدين وبرضاها . وتبقى معك على طلقــة واحــدة .

ميــــراث

س : من المواطن / م . ص . محمد . توفى رجل عن أختين شقيقتين . أختين لأم ، اخوة لأب ، فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأختين الشــقيقتين الثلثان فرضــا ، لعدم من يعصبهما أو يحجبهما . يقسم بينهما بالتساوى ، وللأختين لأم الثلث فرضا ، لعدم من يحجبهما يقسم بينهما بالتساوى .

ولا شىء للاخوة لأب ، لاستغراق لفروض التركة .

س : مــن المــــواطن / ك . ط . أبو ســعدة .

توفيت امرأة عن : ابن ، بنت ، أولاد بنت . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة المتوفاه وصية واجبــة لأولاد البنت بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانــون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ م .

والمسألة من أربعة أجزاء : منها جزء وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .. ، والباقى ثلاثة أجزاء هــو الميراث للابن والبنت تعصيبا للذكر ضعف الأنثى .

والله اعلم ...

أنباء وآراء

مفكر إسلامى أندونيسى يترجم معانى القرآن بلغة بلاده !

*** اقيم احتفال كبير بجامعة الأزهر حضره فضيلة الأمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الاستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر وسعادة سفير اندونيسيا بالقاهرة والجالية الاندونيسية والسادة نواب رئيس الجامعه والأساتذة والطلاب وذلك بمناسبة (المحاضرة التى ألقاها الحاج عمر بكرى عميد كلية الدراسات الاسلامية باندونيسيا والمفكر الاسلامى الكبير وذلك حول نقل معانى القرآن الكريم الى اللغة الأندونيسية الحديثة وقد سمى ترجمته التى ضمها مجلد كبير بأسم (الرحمة) .**

وقد عرض المفكر الاسلامى فى كلمته التى شهدها لفيف كبير من المهتمين بشئون الاسلام والمسلمين للهدف الكبير من ترجمته لمعانى القرآن قائلا :

اننى قمت بهذا العمل حتى يستطيع شعب اندونيسيا فهم معانى القرآن الكريم واضاف قائلا أن هناك تجربة سابقة قام بها علماء سابقين فى اندونيسيا فى القرن السابع عشر سبقونا فى حقل الدعوة الاسلامية .

وفى ختام كلمته قال الحاج عمر بكرى : ان الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله — صلى الله عليه وسلم — للبشر أجمعين ولم يرسله للعرب فحسب .

ثم القى فضيلة الدكتور رئيس الجامعة كلمة قال فيها :

ان الاسلام يحيا بالقرآن والقرآن يحيا باللغة العربية وعلينا اذا ان ننشر اللغة العربيه فى كل مكان .

ثم تحدث فضيله الامام الاكبر شيخ الأزهر فقال :

قال الله تعالى : **(فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)** ولعل هذا القول شامل لما أداه الحاج عمر بكرى وما قام به وما قال به من ترجمة لمعانى القرآن الكريم .

وهناك ايضاح أقوله لابنائى الطلاب وهو أنه لا ارتباط بين « النظريات العلمية » وبين آيات القرآن الكريم فليس لنا أن نفسر القرآن الكريم بنظريات علمية تتغير من وقت لآخر فقديما كانوا لايقولون بكروية الأرض وجاء فى كتب التفسير ما ينفى هذا . ان النظريات العلمية فقط للتقدم العلمى والفكرى . والقرآن كتاب علم ودين .

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ) .

ان الترجمة الحرفية للقرآن لا تؤدى اطلاقا

المعنى ، ولقد جاء المستشرقون يحـــاولون الترجمة وكانت الأخطاء .

لكننا نشجع كل ترجمة لعالم مسلم متفقة مع الدين .

ومن ناحية اخرى فان اندونيسيا بها حوالى ١٣٥ مليون مسلم .

مصرى يفوز بجائزة الملك فيصل فى الأدب واللغـة .

* صرح فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد للحق شيخ الأزهر عقب عودته من المملكة العربية السعودية لحضور احتفالات لجان جائزة الملك فيصل بأن هناك نظامـــا جديدا للجان التحكيم ترتب عليه أن أصبح أعضاء لجان التحكيم غير دائمين كما كانوا فى الماضى ويفسح ذلك مجالا للاختيـار كل عام وصارت الجوائز خمسا . وهى جائزة خدمـة الاســلام . جائزة للدراسات الاســلامية .

جائزة الدراسات الادبية واللغوية الجـــائزة الطبية وجائزة العلوم .

وكانت لجان الاختيار كما تسميها لائحـة الجوائز جامعة لشخصيات كثيرة متنوعـــة من مختلف البلاد العربية والاسلامية والاوربية والامريكية وجائزة للعلوم منحت لاول مـرة هذا العام وقد حجبت فى العام الماضى أمـا الجائزة الطبية فقد منحت لثانى مرة هـــذا العام وقد فاز من المصريين بالجائزة الادبية واللغوية الاستاذ محمود محمد شركس .

إعداد / صفوت عبدالجواد
أحمد عبدالرحيم السايح
عبدالفتاح السيد عبدالسلام

أعلى وسام فى المانيا .. لأستاذ بجامعة الأزهر

* أهدت مؤسسة جاكــوب فيلهلم جريم العلمية التى ترعى اللغة الالمانية وادابهـا فى العالم وسام الأستحقاق من الطبقة الاولى الى الاستاذ الدكتور محمد أبو حطب خالـــد رئيس قسم اللغة الالمانية بكلية اللغـــات والترجمة بجامعة الأزهر تقديرا لجهوده وجهود جامعة الأزهر فى نشر اللغة الالمانية وادابها فى جمهورية مصر العربية وقد تسلم الدكتور محمد ابو حطب الوسام بمقر رئيس الوزراء الالمانى ببرلين وقد حضر الاحتفال مستر فيلى شتوف رئيس الوزراء وكذلك وزير التعليم العــالى وكبار رجال التعليم بالمانيا ورجال الســلك السياسى والدبيلوماسى العربى والاجنبى .

مفتشو التربية الدينية يجتمعون لوضع خطة للمادة لجميع مراحل التعليم .

* اقامت وزارة التربية والتعليم حلقـــة دراسية لوضع اساس لدليل المعلم فى مـادة التربية الدينية لجميع الصفوف الدراســية

بجميع مراحل التعليم وذلك لمساعدة المعلم فى اداء رسالته وللافادة الكاملة من مناهج التربية الدينية ونشر الروح الدينية وتعميقها فى نفوس الناشئين .

مشروعات تقنين الشريعة الإسلامية

القاهرة

وافقت اللجنة التشريعية بمجلس الشعب على تشكيل ثلاثة لجان لدراسة المشروعات الثلاثة لتقنين الشريعة الاسلامية .. وهى القانون المدنى ، وقانون العقوبات ، وقانون الاثبات .. على أن تنتهى اللجان من عملها فى موعد يسمح بعرض المشروعات على المجلس فى دورته الحالية ..

ويرأس هذه اللجان السادة مختار هانى وزير شئون مجلس الشعب والشورى ، وممتاز نصار والمستشار حلمى عبد الآخر ..

الشريعة الإسلامية فى القمة

أصدرت الندوة الدولية التى دعت اليها كلية الحقوق بجامعة السربون لمناقشة قضايا الفقه الاسلامى بالاشتراك مع لجنة الحقوق فى المجمع الدولى للقانون المقارن التى حضرها أساتذة القانون من مختلف دول العالم — عدة قرارات هامة أذاعتها على العالم .

أولا : ان الفقه الاسلامى يحتوى على ثروة حقوقية ونظريات قانونية خالدة القيمة وأن مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة حقوقية تشريعية لا تصل الى مستواها أية شرائع أو تشريعات قانونية أخرى .

ثانيا : ان اختلاف المذاهب الفقهية فى الاسلام ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات من الأصول الحقوقية . وأن الفقه الاسلامى يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة ..

تعديل القوانين المدنية فى الكويت احتراما للشريعة

وكان قد نشب خلاف بين الحكومة ومجلس الأمة حول تعديل المادة الأولى من القانون المدنى حيث وافق ثلاثون نائبا فى المجلس على التعديل المقترح باعطاء الشريعة الاسبقية على العرف اذا لم يتوافر النص القانونى أمام القاضى . كما أضيف الى التعديل فقرة أخرى : بأن للقاضى أن يحكم بسلطة الشريعة الاسلامية اذا وجد أن النص مخالف لها ..

الكويت ..

وافق خمسة وعشرون عضوا من اعضاء مجلس الأمة الكويتى على اقتراح تقدم به خمسة نواب بالمجلس يطالبون بتشكيل لجنة متخصصة لمراجعة القانون المدنى كله ، وتعديل المواد التى تخالف التشريع الاسلامى ..

رجاء جارودى وفشل الغرب والشرق .

زار المفكر الفرنسى المسلم رجاء جارودى مكتب رابطة العالم الاسلامى بنيويورك وقال

في حديث للمسئولين بمكتب الرابطة : ان الأنظمة الرأسمالية الغربية والنظام الاشتراكى السوفيتى • قد فشلت جميعها فى مواجهة تحديدات مشاكل العالم الحالى وان الاسلام هو القادر على حل كافة المشاكل والمستقبل له حتما •

الشريعة الإسلامية تحمى غير المسلمين

أكد الرئيس السودانى جعفر نميرى « ليوحنا بولس الثانى» أسقف الكاثوليك العام اثناء زيارته لروما • أن تطبيق الشريعة الاسلامية فى السودان لن يؤثر على حقوق الأقليات غير المسلمة ، لأن الشريعة الاسلامية تحترم حقوق الأقليات خاصة حرية العقيدة والعبادة ••

أشهر رجل اقتصادى فى العالم يعتنق الاسلام

اعتنق الاسلام أشهر رجل اقتصادى فى العالم بعد دراسة عميقة لهذا الدين وسمى نفسه (أحمد) تيمنا باسم رسول الاسلام — صلى الله عليه وسلم — ، الذى ورد فى القرآن الكريم على لسان السيد المسيح « **ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد** » •

قال رجل الاقتصاد البريطانى : كريستوفر شامونت الذى اعتنق الاسلام : اننى وجدت فى الاسلام ما كنت أبحث عنه • فأى مشكلة يواجهها الانسان فى حياته يجد حلها فى القرآن الكريم •• والاسلام هو الدين الذى يخاطب عقل الانسان • ويضع يده على بداية الطريق ليحقق السعادة فى الدنيا والآخرة ••

المسابقة السنوية للقرآن الكريم

تنظم وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية المسابقة السنوية السادسة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره فى الفترة من شهر مارس القادم وحتى الثالث عشر منه •• وتهدف المسابقة الى تشجيع الناشئة من المسلمين على حفظ كتاب الله الكريم وتجويده والاقبال عليه بالدراسة ، حيث رصدت مبالغ ضخمة كجوائز للفائزين فى نهاية المسابقة • وقد وجهت الدعوة الى أربعين دولة اسلامية للمشاركة فى هذه المسابقة • كما وجهت الدعوة لأربع وتسعين جمعية من الجمعيات والمراكز الاسلامية فى الدول غير الاسلامية ••

اللغة العربية فى الصومال

أصدرت الحكومة الصومالية قرارا بالزام جميع الموظفين باستعمال اللغة العربية قراءة وكتابة خلال ستة أشهر •

يأتى هذا القرار ضمن حملة واسعة النطاق بهدف تنمية اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، والتأكيد على الانتماء العربى ••

وكان الاستعمار الأوربى يعمل على طمس اللغة العربية والثقافة الاسلامية وتشجيع

السكان على استعمال اللغة الصومالية المحلية فى محاولة لقطع الارتباط بين المسلمين ودينهم ..

أول مصرف اسلامى عالمى بالقاهرة

قرر رؤساء أربعة عشر مصرفا اسلاميا انشاء أول مصرف اسلامى عالمى برأسمال (خمسمائة مليون دولار) ليكون أساس نظام مصرفى اسلامى ويتولى ادارة سوق مالية اسلامية ، والتنسيق بين البنوك الاسلامية وتمويل مشروعات التنمية فى العالم الاسلامى ..

كذلك قرر المؤتمر التأسيسى الاسلامى أن يتولى البنك مهام تخطيط السياسات التمويلية ووضع خريطة لاستثمارات العالم الاسلامى واستثمار فوائض الأموال الاسلامية ، وانشاء مصارف اسلامية فى الدول الاسلامية التى لا تمتلك مثل هذا النوع من المصارف .

وكان المؤتمر التمهيدى ، قد قرر انشاء المصرف وتشكيل لجنة من ست من رؤساء المصارف الاسلامية لاتخاذ الاجراءات القانونية للتأسيس ودعوة المؤسسات المالية الاسلامية الأخرى الى المشاركة فى المصرف وتشكيل لجنة فنية للقيام بالدراسات التكميلية اللازمة للتأسيس ..

أول مسجد فى الدول الاسكندنافية

استوكهولم

أعلن رئيس رابطة المسلمين فى السويد أن أول مسجد يقام فى الدول الاسكندنافية سيفتح فى شهر رمضان القادم ١٤٠٤ هـ فى مدينة « مموى » وستمول المنظمة العالمية الاسلامية هذا المسجد الذى تقدر تكاليفه بسبعة ملايين « كورنة » سويدية ، وستلحق بالمسجد مدرسة للعلوم القرآنية .

ويقيم فى السويد اكثر من خمسين الف مسلم ينحدرون من خمسين دولة مختلفة .. كذلك يعتزم المسلمون المقيمون فى الدول الاسكندنافية بناء مسجد فى « كوبناجن » ..

ثلاثة مساجد فى أمريكا

فى مدينة « ريفرسايد » بكاليفورنيا بامريكا . قام اتحاد الطلبة المسلمين هناك بافتتاح مسجدهم الجديد الذى سمى (مسجد الاسلام) ..

كذلك احتفل مؤخرا فى نيويورك بالانتهاء من انشاء الجامع الذى شيدته الجالية الاسلامية فى كورونا . احدى ضواحى نيويورك .

اما المسجد الثالث فقد افتتح فى ولاية

(نيوجرسى) وهو أول مسجد بالمدينة يضـــم قاعة للمحاضرات وبعض المرافق الاخرى .

مراكز للدراســات الاســلامية

أبو ظبى

تم مؤخرا التوقيع على اتفاقية بين دولـــة الامارات العربية المتحدة ، وجمهورية باكستان الاســلامية .. تنص على تسليم ثلاثة مراكز للدراسات العليا فى مجال الدراسات العليـــا واللغة العربية الى حكومة باكستان « وقد تم الحاقها بجامعات : كــراتشى والبنجـــاب وبيشـــاور » ..

آراء

كتب للمجلة السيد / محمد عبد الرحيم فرغل .

أن تساعده فى رفـع صوته الى المسئولين لاتخاذ الوســائل الكفيلة باتمام العمل بمسجد (حوض الجنينة) ببندر نجع حمادى ـــ قنا .

ـــ نسأل الله ـــ التوفيق والعون .

كتب للمجلة السيد الحاج عبد اللـــه محمد عبد الله ـــ ٨ ش الميرغنى ـــ قسم الاشارة ـــ خلف نجـــــدة الزقازيق شرقية .

ان ترفع شكواه الى المسئولين التى يرجـــو فيها أن يبت سريعا فى العمل الادخال (مجارى) لمسجد الشيخ سيد تكفه الضيفى .

ولقد أبدى المسئولون بالمنطقة استعدادهم لهذا العمل منذ ثلاث سنوات . نرجو سرعـــة البت فى ذلك .

نسأل الله التوفيق .

كتب للمجلة السيد / مصطفى فرغلى جارحى ـــ منفلوط ـــ نزة قرار .

يشكو من عدم انتشار المعاهد الابتدائية الأزهرية فى جميع أنحاء الدولة وكثرة المعاهد الثانوية . وهو يتوجه بندائه هذا الى المسئولين فى الأزهر .

ـــ نشكر للاخ هذا الشعور للطيب نحـــو الأزهر ونسأل الله التوفيق .

كتب الاخ / عارف الامى عارف محمود ـــ سوهاج ـــ المنشاة ـــ الحريزات الغربية .

يشكو من عدم وصول المجلة الى سوهاج ومستفسرا عن كيفية الاشتراك فى المجلة .

أفادت مؤسسة الاهرام ـــ شئون التوزيع ـــ بالعدد المطروح بسوهاج ونأمل بمشـــيئة اللـــــه زيادته .

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

- اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
للدكتور على الخطيب ٥١٣

دراسات اسلامية

- الحمد فى القرآن الكريم
للدكتور محمد محمد خليفة ٥٢٠
- غارة تبشيرية جديدة على اندونيسيا
للدكتور طه مصطفى ابو كريشة ٥٣٠

دراسة فى السنة

- من نفحات السنة المباركة أولياء الله
للدكتور محمد محمود شعبان ٥٣٨
- رعاية اليتيم
للشيخ محمد صابر البرديسى ٥٤٦
- سفراء النبى عليه الصلاة والسلام
للدكتور مختار الوكيل ٥٥٠
- الاسلام وقضايا الفكر المعاصر
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ٥٥٦
- مع محاضرة الاستاذ الدكتور رجاء جارودى
للمستشار السيد عبد العزيز هندى ٥٦٢
- مع بعض المفاهيم
للاستاذ / متولى الجرجاوى ٥٦٦
- رئيس جامعة الازهر يتحدث لمجلة الازهر
للاستاذ صفوت عبد الجواد ٥٦٩

من أعلام الأزهر

- حسن جاد حسن شاعر الازهر بعد الاسمر
للاستاذ عبد الرحمن خضير ٥٧٥

الشعر

- السحرتى فى ديوانه « ازهار الذكرى »
للشاعرة جليلة رضا ٥٨٢
- فى الدوائر العروضية
للدكتور يوسف حسن نوفل ٥٨٨

دراسات سياسية

- صانعو السياسة البريطانية فى المشرق العربى
للاستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار ٥٩٢
- طابا بأرض سيناء هل هى جزء من مدين ؟
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٦٠٢
- طرائف ومواقف
للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦١٠

الموضوع — الصفحة

- التصرف الزين فى مناجزة سقم العين
للاستاذ / عاطف زهران ٦١٢
- ترجمة الطب الى العربية وضماناتها
للدكتور السيد الجميلى ٦١٩

من التراث

- فضيلة الصبر للشيخ ابراهيم الجبالى
عرض وتقديم الاستاذ احمد حسن جابر رجب ٦٢٣
- من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر
للاستاذ محمد عميره على ٦٣٢

فى اللغة والأدب والنقد

- حتى معانيها .. واستعمالاتها
للاستاذ احمد حسن عبد العواض هلالى ٦٣٨
- الجملة النحوية
للدكتور محمد زين العابدين حسن سلامة ٦٤٢
- مصطفى صادق الرافعى
بقلم احمد مصطفى حافظ ٦٥٠
- أدب الرافعى فى خدمة العروبة والاسلام
للدكتور فتحى عبد القادر فريد ٦٥٨
- العقد الفريد لابن عبد ربه
للدكتور احمد محمد النجار ٦٦٠
- فى حاشية الامير
للاستاذ السيد حسن قرون ٦٦٦
- دراسة عن مجلة الشباب وعلوم المستقبل
للاستاذ حسن على العنيبى ٦٧٤
- الفتاوى
اعداد عبد الحميد السيد شاهين ٦٨٢
- أنباء وآراء
اعداد / صفوت عبد الجواد ـ احمد عبد الرحيم السايح ـ عبد الفتاح السيد عبد السلام ٦٨٤

القسم الانجليزى

- المقال الثانى
بقلم الاستاذ سليمان بركات ٦٩٣
- المقال الأول
بقلم الدكتور انس النجار ٦٩٦

مراجعة الموضوعات وعناوين داخلية
للاستاذ عبد المنعم مهنا

ings and Legislation of Islamic doctrine.Those who sin or fault or transgress through weakness, error or human neglect are required to repent in penitence, atone and repose trusting in the forgiveness of Allah.

Be quick in the race for forgiveness from your Lord,
And for a garden whose width is that (of the whole) of the heavens and the earth,
Prepared for the righteous.

(Surat Al-Imran III, 133)

And those who, having done something to be ashamed of,
Or wronged their own souls, Earnestly bring God to mind,
And ask for forgiveness for their sins,
And who can forgive sins except Allah
And are never obstinate in persisting knowingly
In (the wrong) they have done.

(Surat Al-Imran III, 135)

The thelogy of Islam teaches that Faith does not demand supression or submission, it requires pious self willing humble obedience to the words of Allah and the tradition of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him). Its substance is simple inherent belief originating from the heart free from force or compulsion, thus extoring for itself reverence and dignified fidelity and devotion.

To witness that there is no God but Allah and that Mohammad is the messenger of Allah is the trunk of Islamic Faith. This axiom dominates, encompasses and entails within its intrinsic detail a supreme tunning, efficiency and fulfillment of human righteous behaviour, conduct, and achievement.

If anyone desires a religion other than Islam,
Never will it be accepted of him; and
In the Hereafter He will be in the ranks of those who have lost.

(Surat Al-Imran III, 85)

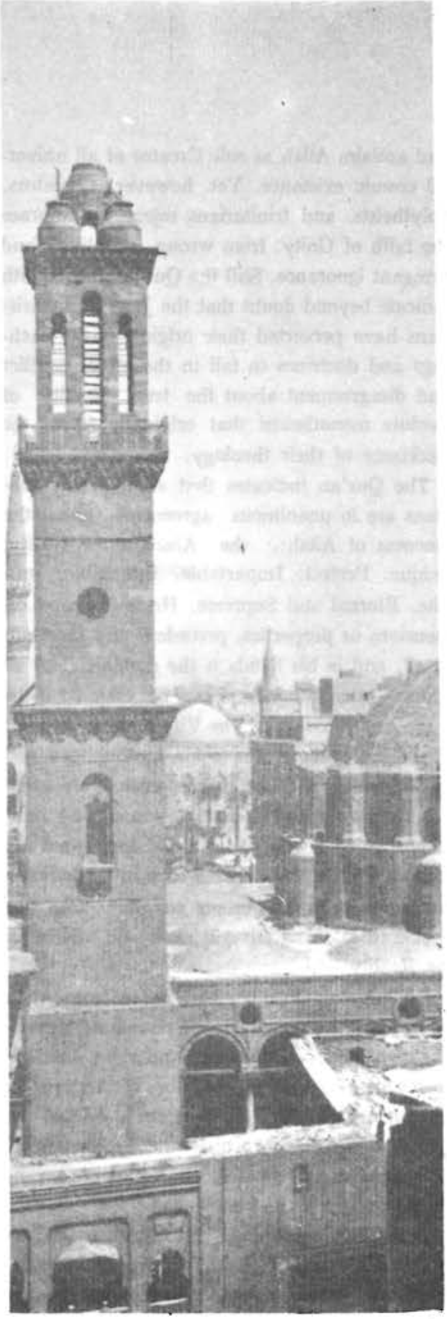

and acclaim Allah as sole Creator of all universal cosmic existance. Yet, however, idolators, polytheists, and trinitarians reject to embrace the faith of Unity; from wrong standing and arrogant ignorance. Still the Qur'an and Hadith indicate beyond doubt that the Jews and Christians have perverted their original basic teachings and doctrines to fall in the pit of conflict and disagreement about the true Reality of absolute monotheism that originally forms the backbone of their theology.

The Qur'an indicates that all heavenly religions are in unanimous agreement about the Oneness of Allah;, the Absolute, Reality, Unique, Perfect, Impartable, Intangible, Infinite, Eternal and Supreme. He is beyond dimensions or properties, precedent and successor to all, and in his hands is the dominion of all things. Jesus is not, and has not claimed to be a son or a junior god. The Virgin Mary with her esteemeed position was not a mother to a god nor a medium for God to humanize. Only Allah has the power and domain to create, the right to charge with what He ordains and what He forbids. He does not coerce man into obedience but leaves us to recognition, comprehension and choice to attain a self-will faith and belief in the Reality.

Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) was ordained and chosen as Messeoger of Allah, with guidance and right faith in mercy of all mankind, and for perfection of human morals. All Muslims are ordered by Qur'anic command to obey the Prophet in all he advocates and to reject all that he denies and forbids.

Belief in the unknown and unseen is the core of Muslim Faith; in fact, it is the decisive distinction between believers and non-believers. The attributes mentioned in the Qur'an of the righteous are their belief in the unseen, those are bestawed with utmost guidance from Allah.

A.L.M.
This is the book; in it is guidance sure without doubt to those who fear God.
Who believe in the Unseen, are steadfast in prayers,
And spend out of what We have provided for them.
And who believe in the Revelation sent to thee,
And sent before thy time, and (in their hearts)
Have the assurance of the Hereafter
They are on (true) guidance, from their Lord,
and it is these who will prosper.

(Surat Al-Baqara II, 1-5)

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) and the believers have belief in Allah, in the revelation, in His Angles, His scriptures. His Apostles. In the Quranic text is stated:-

The Propher believeth in what hath been revealed to him from his Lord.
As do the men of faith
Each one (of them believeth in
God, his angels, his books, and his apostles.
«We make no distnictoin (they say) between one and another of his apostles»,
And they say: «We hear, and we obey:
(We Seek) Thy forgiveness our Lord, and to Thee is the end of all journeys.

(Surat Al-Baqara II, 285)

From such perception and comprehension, Muslims believe firmly in the Hereafter, Resurrection, Account, Reward and Punishment, Paradise and Hell; and in ordainment and predetination. They are firmly bound by all teach-

FROM

THE TEACHINGS OF ISLAM

by: Soliman Barakat

«There is no God but Allah, Mohammad is the Apostle of Allah». This dual statement is the core of Muslim faith, A monotheist is not a believer who denies the prophethood of Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him).

Allah, highly exalted is the sole Creator of all, A peer to Him is sheer impossibility. Divinity and the right to be workshipped are particular to Him alone. Allah is Eternal, Absolute, He begetteth not, nor is He begotten. Allah is not a mere abstract of philosophical conceptions, He is the Reality unique in qualities and nature.

Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) is the last of the chain of prophets. He is the Messenger of Allah to mankind rather than to certain people with command and decree to convey the words of Allah to man of all colours and tongues.

The Qur'an is the word of Allah revealed to His Messenger through the Archangel Gabdiel. The revelation of the Quran was protracted over twenty three years — the years of the mission. Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) most honestly conveyed the exact text of the Quranic revelation and arranged it as ordered before his death. Allah has explicitly undertaken to preserve the exact text from alteration, perversion, omission or addition from time of revelation to eternity.

The implemetation of Quranic elements and teachings were bequeathed to Muslims through the Tradition (Sunna) of Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him). His life's conduct and Hadith have been applications and interpretations of Islamic code as portrayed in the Qur'an. The scope of this understanding entails that both the Qur'an and the Tradition are binding to all Muslims as the solid source of Islamic legislation (the Shari'ah). This Islamic Shari'ah sanctifies, legalises; legislates and essentially dominates by divine code all aspects of human life and conduct.

Knowledge of the Qur'an and Tradition constitutes the bulk of Islamic doctrine from which no Muslim can ignore or absolve himself of its precepts. Such are the pillars of Islam-Prayer (Salat), Fasting of Ramadan, Zakat, and attending Pilgraimage (if rendered possible). These pillars are supplemented by adherent obedience and strict compliance to restrains and restrictions that Allah has specified. These supplements include social, financial, matrimonial, cultural, educational, behavioral, spiritual, and all similar components of man's existance both worldly and in the life hereafter. All these facets together command and formulate a Muslim's attitude, inward intention, thought, and outward conduct.

The absolute Oneness of Allah is the salient maxim and assertion in Islamic Faith. It stands out awe-inspiring throughout the Qur'an from beginning to end. Next comes the affirmation that Allah has chosen to all nations—Apostles from among them — calling them to distinguish

Mary said:

«O children of Israel. I am the Apostle of God sent to you confirming the Law (which came) before me, and giving Glad Tidings of an apostle to come after me, Whose name shall be Ahmad».

But when he came to them with clear signs, They said «This is evident sorcery».

(Surat Al-Saff, LX[illegible] 6)

The dawn of the Revelation was ve[illegible]se, and the fullfilment of the **prophecies** of Moses and Jesus was about to materialise in the person of Mohammad Ibn Abdu-Allah (Prayers and Peace from Allah upon him) to be the last of all prophets, to carry the message of Islam to dislose humanity from the pitch of darkness to the Reality, to the Light, to the Truth. The Revelation of the Qur'an reinstates man in the appropriate rank of **descency** and dignity.

Prayers and Peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

References

1 — Alsira Alnabawiah.
3rd Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi.
Publisher, Dar Al Shorook, Jeddah.

2 — Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th Edition 1978.
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey.
Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

3 — Mashahid min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy.
Kilani Library — Cairo — printed 1980.

4 — Hayyat Mohammad.
Mohammad Hussein Heikal.
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo

5 — Figh Alsira.
Dr. Mohammad Ramadan Albooty.
7th Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

6 — The Holy Quran.
Text, Translation and Coumentary.
Abdullah Yusuf Ali.

Ibn Al-Mughirah Al-Makhzumii being an elder respectable figure in Kuraysh rose and counselled them to adhere to patience and accept the judgement of the first man who enters the courtyard of the Kabaa. By divine providence the first man that entered was Mohammad (Prayers and Peace from Allah Upon him). All the clans applauded and commended his judgement knowing him well as the honest and truthfull. He spread his robe and requested from the chieftain of each clan to lift the robe after placing the Black Stone in the robe, reaching the site of the stone in the corner of the Kabaa he placed it there himself. By this wise management and solution he prevented an impending war between the clans of Kuraysh.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was approaching the age of forty years. He was experiencing a severe inner contrariety and struggle resulting from his true piety and distinct spiritual refinement as opposed to the repudiative chaotic infamy and human disintegration around him. His aptitude for solitude and thoughtfull contemplation drove him to seclusion and withdrawal from society around him. With provident direction, he chose an encavement at Mount Hira (North West of Macca) to be the place of his retreat. There, it became his custom to remain for several nights, alone in deep meditative thought, worship, and earnest search for Reality and Truth. He purified himself from arrogance, envy, hypocracy, world lust, repentance and inner self discipline and restraint.

He gave thought to creation and its wounderous mysteries, to the law and power that govern the universe in perpetual harmony and order. He was paving his mind, heart and self to the Absolute infallible belief. His conduct and behavior during that period was undoubtedly preparatory and provisional to the revelation that later came to him in his seclusion and retreat.

Both the Taurah and Gospel explicity document precise statements indicating the oncoming of a prophet after Moses and Jesus. Such indication is rightly stated in the Qur'an.

> «Those who follow the Apostle, the unlettered Prophet whom they find mentioned in their own Srriptrres, In the law and the Gospel.
>
> For he commands them what is jrst, and forbids them what is evil; he allows them as lawful what is good (and pure) and prohibits them from what is bad (and impure);
>
> He releases them from their heavy burdens and from the Yokes that are upon them.
>
> So it is those who believe in him, honour him, help him, and follow the light which is sent down with him. It is they who will prosper».
>
> (Surat Al-Araf VII, 157)

This cearly indicates that prophecies about Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) are stated in the Taurah and Gospel. In the reflex of the Taurah as now accepted by the Jews, Moses says «The Lord thy God will raise up unto thee a Prophet from the midst of thee of thy brethren, like unto me (Deut, XVIII, 15). The only Prophet bringing a Shari'ah like that of Moses was Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him), and he descended from the house of Ismail the brother of Issac the father of Israel. Also in the reflex of the Gospel as now accepted by the Christians Christ promised another Comforter (John XIV, 16). The original prophecy of Jesus stated the name Ahmed. The names Ahmed and Mohammad both originate from the same Arabic meaning of the «Praised One». This prophecy of Jesus is distinctly stated in the Qur'an.

«And remember, Jesus», The Son of

MOHAMMAD

PRAYERS AND PEACE FROM ALLAH UPON HIM

FROM MARRIAGE TO THE REVELATION

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

The married life of the Prophet (Prayers and Peace form Allah upon him) with his first wife Khadija Bent Khuwaylied was highly distinguished by mutual fidelity,faithfulness, understanding, liniency and clement compassion. She recognised in him the rarity and uniqueness of supernal qualities of character and personality. She identified and acknowledged the depth of his subtle humble wisdom and his aspiring aptitude and inborn faculty for intellectual reasoning. He was inherently endowed with transcendent wonder and meditative contemplation and thoughtfullness. She respected and esteemed his reverence, devoutness and solemn piety. Married to a man of such extraordinary distinctions and refinement, she relieved him from expediting and promoting her trades to allow him the time, peace and tranquility necessary for his theosphic perceptions. Khadija gave birth to all the children of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) except Ibrahim. She was the mother of two male children Al-Qassim and Abdu Allah who died as infants; and Zainab, Ruqaiah, Um-Kulthoum and Fatimah as female children who survived to be married. The years went on and Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) shared with Kadija a life of peace, content and tender kind companionship. In Macca he was emmnent among Kuraysh sharing with them timely events, renouned as the honest and truthfull; with sincere modesty, inteliigence, wisdom, tolerant, generous, determined and confindent. He was pure and pious, and did not indulge himself in transgression or sin, profligacy or want-on unchastity. His greatness, resoluteness and thoughtfull serious character was dominating.

At the age of thirty five years, torrents of rain surged over Macca causing disasterous damage specially to the Kabaa. Kuraysh decided to rebuild the Kabaa, and the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) took active part in the reconstruction. The clans of Kuraysh arranged to divide the four faces of the Kabaa among them to pull it down and reconstruct; taking the foundations of Ibrahim and Ismail (Peace upon them) as mounting understructure. When the building was shoulder high, a dispute between the clans took place concerning replacing the sacred Black Stone to its original site. Each clan desired for itself the privilage and honour of carrying the Black Stone to its place. The dispute was escalated between the clans to reach armed confrontation. At that critical situation of stubborn disagreement between the clans of Kuraysh reaching the edge of armed conflict, Abu Umayah

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج ومقام من أجل صحابة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

رضوان الله – تعالى – عليهم هم السابقون الأولون الى هذا الدين رضى ويقينا ، الحاملون نصوصه أمانة وبلاغا ، الناشرون لواءه هديا واعلاما ، فلهم بهذه « الروافد » وقاية تمنعهم لغط الناس ، وتصون أمامتهم فى الأجيال أعلاما أئمة مهتدين .

وهذا حقهم بالكتاب والسنة واجماع الأمة .

وأجرهم – عند الله سبحانه – فوق ما يحصيه ذكاء البشر ، حتى لتصير « المبالغة » هباء لايقضى بحق أو يصور ثوابا .

الجزء الخامس السنة السادسة والخمسون

* جمادى الأولى ١٤٠٤ هجرية *

* فبراير ١٩٨٤ ميلادية *

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د . على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان :

إدارة الأزهر بالقاهرة

٩٠٩٩٢٢ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف

جامع عمرو بن العاص

منهج ومقام من أجل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

« من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا يَنقُصُ ذلك من أجورهم شيئا .
ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا »

صدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم . ترى :

كم يبلغ أجر عمرو بن العاص ــ رضى الله عنه ــ وهو أحدهم ؟ !!

انه لا ينبت بمصر وليد يشهد « أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله » .

الا كان لعمرو أجر اسلامه وذريته الى يوم الدين ، لا ينقص أجره من أجرهم شيئا ، فيمين « عمرو » هى التى أهدت الاسلام الى مصر ، وبه صار أهلها مسلمين ما أصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

« لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » الحديث .

لذلك كان للحديث عنهم ــ رضوان الله عليهم ــ مقام ، وكان له منهج .

فأما المقام :

فقد بينه المصطفى الأمين اذ حد حدودا بينة أوجب علينا ألا نقترب منها ، فلزم :

(أ) ألا نذكرهم بسوء .

(ب) وألا نتحدث بوقائعهم ــ بعضهم مع بعض .

ذلك أن ما وصل الينا من شأنهم لا يعطى من أخبارهم الا شذرات لا تغنى شيئا من علم فى هذه الوقائع .

فان (رمنا) منزلتهم وجب علينا عدم الخوض !

وان رُمْنَا « العِلْم » فليس بين أيدينا حقائق الأشياء ، وسط ركام من رُوَاةِ السوء ، وَصُنَّاعِ اللبس ، وَرُوَّادِ الحقد ، وَأُجَرَاء الدسيسة ، وعملاء الأعداء .

فما بَقِيَ لنا ــ بعد ــ الا هُدَاهم .

ونحمد الله أن كان رُوَاةُ الْهُدَى أهل الهدى . وفى « الْهُدَى » ننظر ، وبه ننتفع فى اطار « منهج » .

وللمنهج علماؤه المختصون ، لا نكابر فيما أسسوا من (حق) فى سند الرجال ومتن الحديث :

فالرجال علم ينبغى أن يحاط به لنأخذ ما نأخذ عن بينة وللحديث(متن) له موازينه فى ضوئها نأخذ ونتنفع وفى ضوء « المنهج » و «المقام» نأوى الى سلوك مستقيم .

للدكتور على الخطيب

دراسات قرآنية

ولا تقولوا لمن ألقى إليكم
السلام لست مؤمنا

الحمد في القرآن الكريم

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا

البيـــــان

فرض الله عـــلى عباده المؤمنين أن يجاهدوا فى سبيله ، ويقاتلوا أعـــداءه الذين يتربصون بدينه الدوائر ، كفـــا لأذاهم ، ودفعا لعدوانهم وخيانتهم ، فان هم أسلموا أو عاهدونا على الســـلام والأمان ، كففنا عنهم وبادلناهم ســلاما بسلام ، وكنا أكثر منهم وفاء بما تعاهدنا معهم عليه ، فلا نكرههم على الايمـــان ، قال تعالى « لَا إِكْرَاهَ فِى الـــدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ » (١) .

وأحيانا تحدث من المجـــاهدين أخطـــــاء ، يخالفون بها تعاليم الاسلام ونصوص القرآن، وقد يحدث ذلك بضرب من التأويل ــ والقرآن ينزل ــ فعند ذلك يوحى الله تعالى الى رسوله من الأوامـــر والنـــواهى ما يرد المخطئين الى الصواب ، وأحيانا يكون ردهم اليه بهدى نبوى وقد يجتمع الأمران .

ومن ذلك ما أخرجه ابن جرير عن الســـدى قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ سرية عليها أسامة بن زيد الى بنى ضمرة ، فلقوا رجلا منهم يدعى مرداس بن نهيك ، معه غنيمات له وجمل أحمر ، فأوى الى كهف جبل ، واتبعه أسامة ، فلما بلغ مرداس الكهف وضـــع فيـــه غنمه ثم أقبل عليهم فقال : « السلام عليكم . أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فشد عليه أسامة فقتله من أجل جمله وغنيمته ،

وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بعث أسامة أحب أن يثنى عليه خيرا ويسأل عنه أصحابه ، فلما رجعوا لم يسألهم عنه ، فجعل القـــــوم يحدثون النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون : يا رسول الله . لو رأيت أسامة وقد لقيه رجل ، فقال الرجل : لا اله الا الله محمد رسول الله ، فشد عليه فقتله ــ وهو معرض عنهم ــ فلمـــا أكثروا عليه رفع رأسه الى أسامة فقال « كيف أنت ولا اله الا الله » فقال : يارسول الله . انما قالها متعوذا يتعوذ بها(٢) .

فقال صلى الله عليه وســـلم : هلا شققت عن قلبه فنظرت اليه « ، ثم نزلت الآية .. ويعنى بالآية قوله تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ**

(١) البقرة ٢٥٦ .

(٢) اى يلجأ الى الشـــهادة ليحتمى بها من القتل لا عن عقيدة .

لفضيلة الشيخ

مصطفى محمد الحديدى الطير

إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » . (١) وقد ذكر لنزول هذه الآية أسباب أخرى ، وحسب القارىء ما ذكرنا .

فأنت ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعجبه تصرف أسامة ، حيث قتل رجلا ألقى اليه السلام ، وأعلن بكلمتى الشهادة اسلامه ، فقد أعرض عن استماع الثناء عليه من أصحابه ، بعدما أبلغه الوحى ما فعل أسامة قبل عودته الى المدينة ، ولم يكتف الرسول بهذا الاعراض ، بل ناقش أسامة فى قتله مرداس ابن نهيك بعد أن أعلن اسلامه ، ولم يقبل منه اعتذاره عن قتله اياه ، بأنه لم يكن مخلصا فى اسلامه ، بل أسلم تعوذا وتقية ، فقد قال له معنفا ولائما : « هلا شققت عن قلبه فنظرت اليه » يريد بذلك أن أمر القلوب الى الله تعالى فيكفينا فى اسلام المرء وحقن دمه أن ينطق بالشهادتين ، وحسابه على الله تعالى ، فان كان مخلصا أثابه ، وان كان منافقا عاقبه ، ولم يكلفنا الله التنقيب عما أضمره فى قلبه ، فان ذلك سيظهر فيما بعد من تصرفاته .

ولم يقف الأمر عندما فعله الرسول مع أسامة ومرافقيه فى السرية ، بل أنزل الله هذه الآية الكريمة توجب على المسلمين أن يتبينوا ويتعرفوا وجه الحق فى تصرفاتهم ، وتنهاهم عن التسرع فى الحكم ، حتى لا يقتل أحد ظلما وتبين أنه يكفى فى اسلام المرء أن ينطق بالشهادتين فالمقصود بالقاء السلام اليهم النطق بالشهادتين أمامهم ، وتسميتهما سلاما ، لأنهما أمارتان على المسالمة من جانب قائلهما ، وسببان للسلام والأمان من جانب المسلمين ، فلا يحل اهدار دم من نطق بهما .

ومن العلماء من فسر السلام فى الآية بتحية الاسلام : (السلام عليكم) ولكننا لم نأخذ بهذا التفسير ، لمخالفته لسبب النزول ، ولأن العاصم الأول للكافر من القتل هو نطقه بالشهادتين ، فقد أخرج الامام مسلم بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » .

وفى رواية أخرى لمسلم عنه أنه — صلى الله عليه وسلم — قال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) .

سنة التدرج فى الاسلام

ولكى تزداد علما بأن الشهادتين هما مفتاح

---

(١) النساء ٩٤ .

السلام بيننا وبين من نطق بهما ، وانهما صمام الأمان الأول لمن أراد الدخول فى الاسلام ، وأنهما أول ما يطلب منه ، ثم يطلب منه سواهما بعد أن ينطق بهما على سبيل التدرج ـ لكى تزداد علما بذلك ـ أسوق اليك هذا الحديث الصحيح : عن ابن عباس (أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما بعث معاذا الى اليمن قال : « انك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله عز وجل فاذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم ، فاذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فاذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم » .

فالرسول يعلم معاذا أن يبدأ أهل الكتاب بتعريفهم بوحدانية الله وتخصيصه دون سواه بالربوبيه ، وذلك ما يدعو اليه الاسلام فى صورة النطق بالشهادتين ، وبهما يعصم دم قائلهما وماله ، كما تقدم فى حديث مسلم ، وبعد أن يعلمهم توحيد البارى ، يعلمهم الصلاة ، فاذا استجابوا وأطاعوا أخبرهم بأن الله فرض على

أغنيائهم زكاة لفقرائهم ـ من باب التكافل الاجتماعى ـ وليقضى على الحقد والبغضاء فى المجتمع الاسلامى ، فان اجتمع قوم على ترك الصلاة والزكاة قاتلناهم حتى يعودوا الى أدائهما ، ولا نبدؤهم بالقتال حتى ننصحهم فلا يستجيبوا .

وفى ذلك يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله » أخرجه الامام البخارى فى كتاب الايمان .

وانما اختصت الصلاة والزكاة بقتال من تركوها بشكل جماعى ، لأن الاجتماع على ذلك هدم لأعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين .. وطمس لأهم شعائره ، وذلك دون شك أمارة على فقدان الايمان وهروبه من أعماق القلوب ، وأثره على ايمان المؤمنين واقبالهم على الطاعة جد خطير ، فما لم يؤخذ على أيدى هذه العصابة ، انتقلت عدواها الى البيئات الصالحة .

وقد سلك أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ هذا المسلك الذى رسمه الحديث الشريف مع مانعى الزكاة بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهم قوم أنكروا وجوب أداء الزكاة للامام بتحريض من مالك بن نويرة ، ولكنهم أقروا بالصلاة ، فلما أراد أبو بكر قتالهم قال عمر بن الخطاب : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » .

فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقاتلتهم على منعه .

فقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو الا ان رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق » : ا هـ من حديث أخرجه الامام مسلم عن أبى هريرة .

العصمة تكون بالشهادتين :

فمما تقدم من نصوص الكتاب والسنة تعلم أن من نطق بالشهادتين يعصم دمه وماله ، ثم يعلم أحكام الاسلام وآدابه ، ويطالب بأداء مايجب عليه منها من صلاة وزكاة وحج وعفة عن الفواحش وأمانة ، وغير ذلك من حقوق الله وحقوق عباده ، ولايهدر دمه كفرا بعد أدائه الشهادتين فى أية معصية من المعاصى ، فان المعاصى لاتكفر مؤمنا حتى يهدر دمه بفعلها .

ولقد شرع الله تعالى للعصاة حدودا وتعازير فى بعض المعاصى ، كما شرع التوبة والاستغفار فيما لم تشرع فيه حدا ولا تعزيرا .

وأعلم أن المعاصى الخفية التى يتستر فيها العصاة ولايعلم الناس عنها شيئا ، وكذلك فساد القلوب ونفاقها فأمر العباد فيها الى الله تعالى وحسابهم عليه سبحانه ، وفى شأنها يقول الله تعالى لنبيه : « **إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ** » (١) فقد نفى الله سيطرة نبيه على قلوب الناس ، وأثبت حقه فى تذكيرهم ووعظهم ، ولم يجعل له حقا فى قتلهم ولهذا لم يقتل أحدا من منافقى المدينة وما حولها مع علمه بنفاقهم (٢) ، لأنهم يحتمون بالنطق بالشهادتين ، والله تعالى قد أمره بالكف عمن ينطق بهما فلا يقاتله ولايقتله ، كما تقدم بيانه قرآنا وسنة ، وانما نهاه عن الصلاة على من مات منهم والقيام على قبره ، بقوله سبحانه :

« **وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** »(٣) .

فأنت ترى أنه تعالى كشف فى هذه الآية ماانطوت عليه قلوبهم من الكفر ، وما اتسم به سلوكهم من الفسق ، ومع هذا فانه تعالى لم يأمره بقتلهم لأنهم يتظاهرون بالاسلام ، ويحضرون الى المساجد ، ويشهدون الجماعات، ولقد كانت لهم مواقف جماعية هددت الاسلام وكادت تقضى عليه لولا أنه دين الله ، وهو الذى يكلؤه ويرعاه .

ففى غزوة أحد رجع منهم ثلاثمائة بزعامة عبد الله بن أبى بن سلول،وكادت طائفتان من المؤمنين أن يفشلا بسببه ، وانتهت الغزوة بهزيمة المسلمين فيها بسبب هؤلاء المنافقين ، كما أنهم قاموا بأوفر دعاية فى قصة الافك التى ابتدعوها وزوروها ، وحينما وعد الله المؤمنين بالنصر فى غزوة الخندق قالوا « **مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا** » (٤) ثم انسحبوا من المعركة قائلين « **إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا** »(٥) .

---

(١) الغاشية ٢١ و ٢٢ .

(٢) (**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**) الآية ١٠١ من سورة التوبة .

(٣) التوبة ٨٤ .

(٤) الاحزاب ١٢ .

(٥) الاحزاب ١٣

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا

والخلاصة أن النطق بالشهادتين يعصم الناطق بهما فى دمه وماله ، حتى يحدث منه مايوجب حدا أو تعزيرا أو قضاء حق من الحقوق ، ويثبت ذلك عليه باقرار أو شهود فيقام عليه الحد ان أصاب مايوجبه ، أو التعزير ان فعل ما يقتضيه ، أو يلزم برد الحق لصاحبه ان ثبت عليه .

وهذا هو حق الاسلام فى قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » من حديث مسلم .

المعاصى لاتكفر مسلما

ان الله هو الذى خلق الانسان ، وهو الذى يعلم ماطبع عليه من الغرائز والشهوات ، وأنه عرضة للتأثر بغرائزه ، وشهواته ، ومخالفة أمره ونهيه ، فلهذا فتح له باب التوبة والاستغفار ، وجعل أمر من لم يتب اليه وحده ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه .

فهذا آدم خلقه الله بدون واسطة ، وعلمه الأسماء والمسميات ، وأسجد له الملائكة ، وتكبر عليه ابليس وحذره الله منه ، ولكنه أغراه حتى أكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها ، فأهبطه الله الى الأرض مع زوجه ، لأن الجنة لم تعد للخطيئة ، وانما أعدت لها الأرض ، حيث جعلت دارا للتكليف ، ولم يكفر الله آدم بخطيئته ، بل وصفه بالعصيان ، ثم تاب الله عليه وهدى ، والمؤمنون اذا قاتل بعضهم بعضا لايسلب عنهم الايمان ، بل يوصفون به ، مع عصيان الباغية منهم ، وفى ذلك يقول الله تعالى

« وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » .

فقد وصفت الطائفتان المتقاتلتان بالايمان وبأنهم اخوة للمؤمنين ، وأن عليهم أن يصلحوا بين أخويهم .

ولم يحدث أن كفر النبى عاصيا بمعصيته ، ولو وصلت الى حد الزنى ، فهذا ماعز والغامدية لما زنيا واعترفا حاول النبى أن يصرفهما عن الاعتراف ، فلما أصرا عليه أقام عليهما حد الزنى ــ وهو الرجم ــ ولم يحكم بكفرهما ، فلا كفر الا بانكار ماعلم من الدين بالضرورة كانكار ألوهية الله أو وحدانيته أو نبوة أنبيائه أو اليوم الآخر ، أو نحو ذلك مما يهدم أساس العقيدة ، ويزلزل قواعد الايمان .

ومن الأمثلة الهامة على أن المعصية لاتكفر مؤمنا ماحدث من حاطب بن أبى بلتعة أحد الذين شهدوا بدرا ، فقد كتب رسالة الى قريش يخبرهم فيها بما يستفاد منه عزم الرسول على فتح مكة ، وبعث بهذه الرسالة مع جارية ،

---

(١) الحجرات ٩ ، ١٠ .

فاعلم الله رسوله بهذه الخيانة العظمى ، فأرسل فى أثرها عليا والمقداد والزبير بن العوام ، فالتقوا بها فى روضة خاخ وأخرجوا الرسالة من عقاص شعرها ، وأتوا بها الى الرسول ، ولما سأله عن سر هذه الخيانة قال : انى لم أكن من قريش بل كنت حليفا لها ، فأردت أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ولم أفعله ارتدادا عن دينى ، ولارضا بالكفر بعد الايمان .

فقال — صلى الله عليه وسلم — انه قد صدقكم ، وعفا عنه لأنه شهد بدرا ، ونزل فيه قوله تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِى سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** »(١) .

بعد هذا العرض أقول انه لايصح أن يكفر مؤمن بمعصية ولايقتل بها ، وانما يؤاخذ بمعصية ان وصلت الى القضاء وثبتت عليه باقرار أو شهود ، وتكون عقوبته وفقا لما تقرر فى الاسلام من حد أو تعزير ، حسب نوع هذه المعصية ومن لم تبلغ معصيته الى القضاء فعليه أن يتوب الى ربه ولا يلقاه بذنبه ، وباب التوبة والاستغفار والعفو مفتوح على مصراعيه للتائبين الصادقين . قال تعالى : « **قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ** »(٢) .

بهذا البيان والتحقيق نرجو أن نكون قد حسمنا مشكلة قديمة تجد من يثيرها من جيل الى جيل فمن قديم قال بعض الفرق بكفر من يرتكب المعاصى ولايتوب ، ولا نزال نقرأ أو نسمع من يثير هذا الرأى الذى يجافى كتاب الله وسنة رسوله .

ونسال الله تعالى أن يعصمنا من الزلل ويوفقنا الى منهج القرآن والسنة المطهرة على الدوام ، والله حسبنا ورجاؤنا ، عليه توكلنا واليه أنبنا واليه المصير .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

---

(١) الممتحنة ١ .

(٢) الزمر ٥٣ ، ٥٤ .

١٠ ــ مثل للرد على عبدة الأصنام :
« ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » النحل ٧٥ .

هذا مثل ساقه الله للرد على عبدة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ، وقد سيقت الآية لاثبات التوحيد ودفع الحمقى من عبدة الأوثان : ومفهوم المثل : أن العبد المملوك الذى لا يقدر على شىء لا يجوز فى عقل أحد أن يسوى بالحر الكريم الغنى الذى ينفق من ماله سرا وجهرا فى الاجلال والاكبار ، فكما أنه لا يمكن التسوية بينهما فى التنظيم على الرغم من اتفاقهما فى الصورة البشرية فكذلك لا يمكن أن يسوى بين الله القادر على الخلق والرزق وبين الأصنام التى لا تملك شيئا .

وقيل المراد بالعبد المملوك : الصنم وهو ذليل مملوك (**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا**) .

(**وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا**) : **هو عابد** الصنم لأن الله رزقه المال الذى ينفق منه على ما يريد .

فكيف يسوى عقلا بين الصنم وعابد الصنم ، وكيف يجوز الحكم بأن الصنم الذى صنعته يد الناحت يساوى رب العالمين الخالق لكل شىء .

والتعبير بصيغة الجمع فى قوله :(**هَلْ يَسْتَوُونَ**) معناه الأحرار والعبيد .

ثم قال : الحمد لله « الذى أنعم على أوليائه بنعمة التوحيد وان الحمد كله له ، وليس شىء منه للأصنام بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون أن الحمد لله وحده » .

أو الحمد لله على قوة الحجة التى قدمها وظهورها وان كان أكثر المشركين لا يعلمون وضوح الحجة التى ساقها فى المثل ، ولا يفهمونها لأنهم ضلوا عن طريق الحق وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون .

١١ ــ كيفية التحميد :

(**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**) الاسراء ١١١ .

أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى الآية السابقة أن يدعوه بلفظ الجلالة أو الرحمن أو أى اسم من أسمائه الحسنى فكلها له جل جلاله وهو السميع لكل من ناداه بأحدها أو بكلها ، ثم نهاه عن الجهر بالصلاة حتى لا يسمع المشركون فيسبوا الله عدوا بغير

لفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفه

علم كما نهاه عن التخافت بها حتى يستحيل سماعها على أصحابه .

وأمره أن يسلك صوته سبيلا وسطا بين الجهر والاخفات .

ثم علمه كيفية التحميد وصفات التنزيه والجلال بعد أن أمره بتقديم الحمد لله الذى وصف نفسه بصفات :

أولها : أنه لم يتخذ ولدا ، لأنه من ولد له يحفظ النعم لولده ولا يفيضها على غيره ، ومن ليس له ولد ينعم على عبيده جميعا .

ثانيها : أنه لاشريك له ، لأنه لو كان له شريك لا يكون مستحقا وحده للحمد والشكر ، بل يشركه فى الحمد شريكه .

ثالثها : أنه لم يكن له ولى من الذل ، لأنه لو جاز أن يكون له ولى من الذل لم يجب شكره لجواز أن يكون غيره هو الذى حمله على الانعام .

رابعا : التكبير : والمراد تكبير الله فى ذاته وفى صفاته من حيث الكمال والعظمة والجلال ، وتنزيهه عن صفات النقص وتكبير الله فى أسمائه وأحكامه .

وتشير الآية الى اقتران الحمد بالتكبير عند ذكر الله ، وفى ذلك تعليم للعباد .

١٢ ــ الحمد لانزال القرآن :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) الكهف ١ ــ ٣ .

لقد كرم الله نبيه محمدا ــ صلى الله عليه وسلم باتخاذه عبدا له فى سورتين متتاليتين بدأ احداهما بالتسبيح : « **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ** » .

وبدأ الثانية بالتحميد : « **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ** » والكتاب : القرآن « **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** » .

وانزال الكتاب على عبده نعمة للمنزل عليه ونعمة على أمته ، ولهذا كان الحمد واجبا على النبى وعلى أمته :

أما كون الكتاب : وهو القرآن نعمة على محمد ــ صلى الله عليه وسلم ، فلأن الله أطلعه بهذا القرآن على التوحيد وصفات الجلال وأحوال الملائكة وعالم الآخرة وغير ذلك مما حواه القرآن وما أكثر ما حوى مما لم ينزل على بشر قبله وايثاره بذلك كله نعمة تستوجب حمد رسول الله على ما آتاه الله وفضله به على غيره من الرسل .

وأما أنه نعمة على أمته فلأنه مشتمل على التكاليف والأحكام والسلوك والوعد والوعيد والثواب والعقاب وغير ذلك مما ينتفع به الانسان فى دنياه وأخراه وتلك النعمة تستوجب شكر الأمة الاسلامية كلها على اختلاف الأجيال والأحقاب وقد وصف الله القرآن المنزل على عبده بوصفين فى قوله :

« وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا قَيِّمًا » وأشار بنفى العوج عنه : الى أنه كامل وأشار بقوله : قيما الى أنه قائم بمصالح الغير ، والمراد بنفى العوج : نفى التناقض عن آياته « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » .

والمراد بالقيم : المستقيم أو أنه الهادى الذى يجرى مجرى القيم للأطفال ، واثبات الاستقامة بعد نفى العوج الذى يدل على الاستقامة فيه تأكيد .

ثم بين السبب فى انزال الكتاب بأنه أنزله للانذار والبشارة ، فهو ينذر الكافرين بأسا شديدا ، والبأس : العذاب وهو يبشر المؤمنين الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح بالأجر الحسن الدائم وهو الجنة .

والآية تدل على أن الله يوجه رسوله — صلى الله عليه وسلم — الى انذار الناس جميعا وتبشير المؤمنين الذين وصفهم بأنهم يعملون الصالحات .

* وفى الآية كذلك تلقين للأمة وتفقيه لها فى الثناء على مسبب انزال الكتاب الجامع لخير البشرية على عبده محمد .

١٣ — أمر الله لنبيه بالصبر والتسبيح والتحميد :

« فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ » طه ١٣٠ .

بين الله فى الآية السابقة على هذه : أنه لولا كلمة سبقت من ربك بتأخير عذاب هؤلاء الكفرة الى يوم القيامة لحل بكفار مكة العقاب بسبب تكذيبهم الرسول ، ثم أمره فى هذه الآية بالصبر على ما يقولون من أنه : ساحر أو شاعر أو مجنون أو كذاب كما أمره بأن يفزع الى التسبيح بحمد الله أى سبحه وأنت حامد لربك على توفيقه لك بالتسبيح واعانتك عليه واختلف فى المراد من قوله : « فسبح » .

فقال بعضهم : المراد بالتسبيح : الصلاة ، وفسروا الآية على أن المراد : الصلوات الخمس ، فالمراد بقوله : قبل طلوع الشمس الفجر ، وقبل غروبها ، الظهر والعصر ، ومن آناء الليل : المغرب والعشاء .

وقال بعضهم : المراد بقوله قبل طلوع وقبل غروبها الليل والنهار وفيهما الصلوات الخمس ، أما قوله ، ومن آناء الليل :

فيراد بذلك : صلاة النوافل فى الليل هذا اذا كان المراد بالتسبيح : الصلاة .

واذا كان المراد بالتسبيح : الذكر . كان المعنى اذكر الله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل وأطراف النهار ، أى اذكر الله فى كل الأوقات — وأفضل الذكر ما كان بالليل : « إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا » « أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ » والليل وقت الراحة فاذا صرفه الانسان فى العبادة كان له الأجر العظيم لمشقة تلك العبادة على النفس وقت راحتها ، والثواب على قدر المشقة .

والخطاب فى قوله : « لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ » : للنبى صلى الله عليه وسلم .

والمراد اذكر الله وسبحه مقرنا التسبيح بالحمد على النعم العظيمة التى أنعم بها عليك

وعلى أمتك ، أو صل فى هذه الأوقات وتهجد فيها لعلك ترضى بثواب الله عليك أو باعطائك الشفاعة لأمتك وتنال بـذلك ما ترضى بـه نفسك وما يسر قلبك •

١٤ ــ الحمد عند النجاة من الظالمين :

« فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)

المؤمنون ٢٨ •

وردت هذه الآية فى قصة نوح حيث دعا نوح ربه أن ينصره على قومه لتكذيبهم لـه فى دعوته التى جاء بها وهى : عبادة الله ونبـذ الأصنام فأوحى الله اليه أن يصـنع الفلك ، ونهاه عن مخاطبته فى شأن الظـالمين ممن لم يؤمنوا ، لأن الله قضى عليهم بالغـرق ، ثم أمره عندما يستوى على الفلك ، ويسـتقر عليها هو ومن آمن معه أن يحمد الله ، ويثنى عليه ، لأنه نجاه من شر الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بعدم ايمانهم ، وظلموا أتباعهم الذين اقتدوا بهم فى انكار ما دعا اليه نـوح عليـه السلام ، وقد كان نوح اماما لمن آمنوا معه ، فأمر الامام بحمد الله على النجـاة أمـر للمأمومين كذلك •

وفى أمر الامام بالحمد اشـعار بمكـانته وفضل نبوته ، وليس الحمد للنجاة فحسب ، ولكن لاهلاك أعداء الله •

ووصف القوم بالظلم لظلمهم أنفسـهم بالشرك (**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) •

ثم أمره الله بالدعاء أن ينزله منزلا مباركا فى الآية التى بعد هـذه ــ والمـراد بالمنـزل المبارك : السفينة ، لأنها المنزل المبارك الذى نزله نوح ومن معه فأمنوا شر الطوفان •

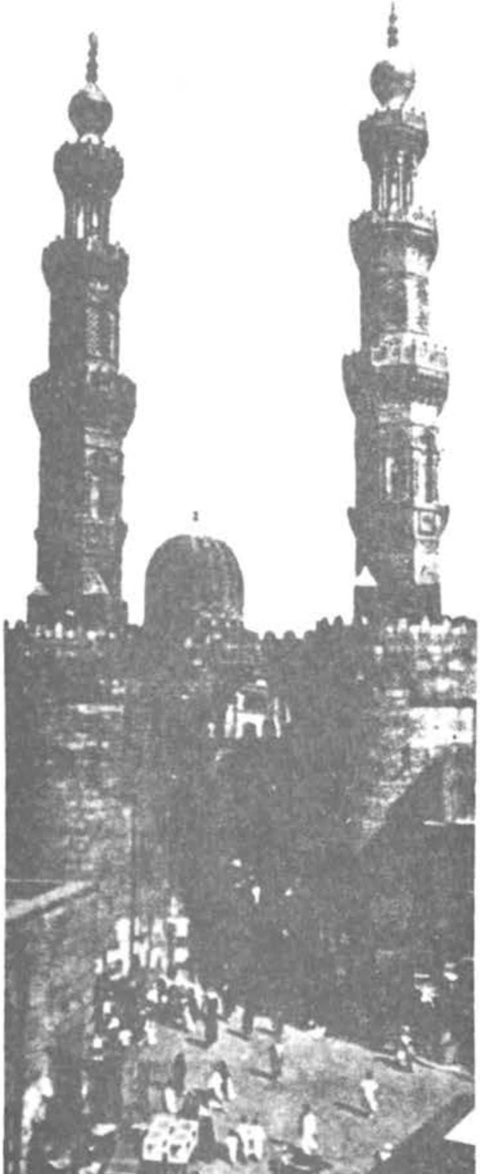

أو المراد بالمنزل : الأرض التى ينزلون بها حينما تبتلع الأرض ماءها وتستوى السفينة على الجودى وهو جبل رست عليه السفينة .

ويقال عندئذ : ((**بعدا وهلاكا للقوم الظالمين**)) .

وقد جعل الله الأرض التى نزلوا عليها منزلا مباركا لأهل الدين والطاعة بعد أن استجاب دعاء نوح عليه السلام :

(**رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا**) نوح ٢٦ ، ٢٧ وقد طهر الله الأرض من الشرك بالطوفان حينًا من الدهر استجابة لدعاء نوح عليه السلام .

١٥ ــ حمد داود وسليمان :

((**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**) النمل ١٥ .

لقد وهب الله داود وسليمان عليهما السلام علما غزيرا أو طائفة منه فعملا به قلبا وجارحة ، ومما علمهما الله منطق الطير ولغة النمل ، ولما أدركا هبة الله نطقا بحمد لله شكرا على ما آتاهما من فضيلة العلم .

وقد فضلهما الله بعلمهما على من لم يؤته علما أو من أوتى علما أقل من علمهما .

وقد آتاهما الله ملكا ولكنهما ، قصرا شكر الله على العلم لانه فى نظرهما أعظم من نعمة الملك والسلطان ، والعلم الذى فضلا به : هو علمهما بالله وبصفاته علما لم يغفل عنه قلباهما ، بل استغرقا فيه حياتهما : فلم يشغلهما عن التفكير فى الله شاغل مما يخطر بالنفوس فينأى بها عن التفكر فى جلال الله وعظمته وعظمة ملكوته . وتشير الآية الى تواضعهما حينما قالا : فضلنا على كثير من عباده ، ولم يقولا : فضلنا على جميع عباده اعترافا بأن غيرهما قد يفضلهما فيما أوتياه .

كما تشير الآية الى فضل العلم وأهله ، وان النعمة به من أعظم النعم ، ولم يوصف العلماء بأنهم ورثة الانبياء فى الشرف والمكانة الا لما أوتوا من العلم ((**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**)) .

وفى الآية توجيه لحمد الله وشكره على كل نعمة ينعم بها ((**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا**)) ولو غبر الانسان حياته بلهج لسانه بحمد الله لما وفى حق نعم الله عليه .

١٦ ــ أمر لرسول الله بالحمد والسلام على المصطفين قبله :

((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**)) النمل ٥٩

اما أن تكون هذه الآية متصلة بما قبلها من القصص الذى ساق الله فيه أخبار الانبياء قبل محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وماحل بمعذبيهم من العذاب من نحو قوم صالح ولوط ، وأن الله أمر نبيه محمدا بالحمد على اهلاكهم والسلام على عباده ورسله الذين

اصطفاهم فأرسلهم الى أولئك الأقــوام ثم أنجاهم وأهلك أقوامهم واما أن تكون الآيـــة بدءا ، فبعد أن ذكر الله أحــوال الانبيـــاء ومانزل بأقوامهم مـــن العذاب ممـــن كذبوا وكان محمد ــ صـــلى الله عليه وســـلم ــ مخالفا لمن قبله فى أمر العذاب ، حيث رفع الله عن قومه عذاب استئصالهم أملا فى أن يستجيبوا يوما للحق ، أو أن يكون من ذريتهم من يستجيب للحق بعدهم ، ولهذا أمر الله نبيه أن يشكره على ما اختصه به مـــن هذه النعمة ، وهى نعمة الابقاء على قومه وعـــدم استئصالهم حين كذبـــوه ، كما وجهـــه الى السلام على المصطفين ممن سبقوه من الانبياء بأن يقول عند ذكر نبى منهم : عليه الســـلام فاذا ذكر موسى مثلا قال : أخى موسى عليه السلام وكذلك غيره •

والآية تشير الى توجيه الرسول الى الحمد والسلام على الانبياء وفى ذلك تعليم وأدب جميل لأمة محمد فى التبرك بحمد الله ، وكان لذلك التوجيه الالهى أثره فى توارث العلماء والخطباء والوعاظ لهذا التوجيه فى شـــتى المـــواقف حيث يبدءون خطبهم وعظـــاتهم ودروسهم بحمـــد اللـــه ، كمـــا توارث ذلك المؤلفون والكتـــاب حين يفتتحون مؤلفـــاتهم وكتبهم بحمد الله •

وليس المـــراد من قوله : « **آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ** » تصوير الموازنة بين خالق الخير ومالك الملك وبين ما أشركوا به ولكنه ســـاق ذلك على سبيل التبكيت والتهكم ، لأنهم فضلوا عبادة الأصنام على ، عبادة الله ، ولا يفضـــل عاقل شيئا على شىء الا اذا كان فى المفضل من الخير والنفع ما يدعو الى التفضيل ، فبين لهم أنه لا خير فيما فضلوه ولكنه الافراط فى الجهل والضلال هو الذى حداهم الى عبـــادة صنم صنعته أيديهم ثم خروا له سجدا ، وان الصنم المعبود لايستجيب لداع ولا ينفع مستنفعا فآلله الخالق الرازق النافع الرحيم السميع خير أم هذا الحجر الأصم الـــذى عبدتموه •

١٧ ــ حمد وانذار :

« **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** » النمل ٩٣ •

أمر الله نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل هذه الآية بأوامر :

أولها : أن يخص الله بالعبادة ولا يجعـــل له شريكا ووصف الله نفسه بأنه رب هـــذه البلدة وهى مكة التى اختصها وشرفها باضافة اسمه اليها « رب هذه البلدة » لأن فيها بيت الله الحرام ومسقط رأس نبيه محمد ومهبط وحيه عليه ،وقد حرمها فلا تنتهك حرماتها ، ثم بين أن العالم بكل مافيه ملك لله •

وثانيها : أنه أمر نبيه أن يكون من المسلمين •

وثالثها : أن يتلو القرآن عليهم فمن اهتدى الى الحق فهداه لنفسه ومن ضل فضلاله عليها **(وما محمد الا رســـول منذر ثم)** ثم أمـــره أخيرا بالحمد : « قل الحمـــد لله » على مـــا أعطانى من نعمة العلم والحكمة والنبوة •

أو الحمد لله على توفيقى فى أداء رسالته وابلاغ أمانته وفى أمـــر الرسول بالحمد توجيه لأمته • بحمد الله على كل ما ينعم به •

ثم جاء الانذار ، سيريكم آياته فتعرفونها، حيث لا ينفعكم الايمان « **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** »

وليس الله بغافل عما تعملون ، وستحصى عليكم أعمالكم ثم يكون الجزاء ثوابا طيبا لمن اهتدى وعذابا لمن ضل واتبع الهوى .

١٨ ـ الحمد لله فى الأولى والآخرة :
« وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِى الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » القصص ٧٠ .

كان القرشيون يقولون فيما حكاه الله **« لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ »** الزخرف ويعنون : الوليد بن المغيرة بمكة وأبا مسعود الثقفى بالطائف ، فرد الله عليهم بقوله : **« وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ »** .

فهو وحده الذى يختار الرسل ، ويصطفيهم من أطهر عباده وأصدقهم **(اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)** فهو المالك المنزه عن النقد ، فالخلق والاختيار مفوض الى الله لا يشركه فى ملكه ولاتدبيره أحد ، انه يعلم ماتضمر صدورهم ، فلا يخفى عليه شىء مما تطويه الصدور من الاحقاد ، وما خاضوا فيه من المطاعن ، فهو الله الذى لا اله الا هو قادر يجازى المحسن على احسانه ويعاقب المسىء على عصيانه .

* وله الحمد فى الأولى على نعمه التى لا تحصى على خلقه ، ولا يليق الحمد والثناء الا له ، لأن عطاءه تفضل واحسان منه على خلقه .

وله الحمد فى الدار الآخرة حين يقول المتقون ، وقد رأوا ما وعدهم الله حقا : **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ » « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ » « وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »** وانهم ليلهمون التسبيح والتقديس .

وله الحكم فى الأولى والآخرة كذلك ، لأن كل حاكم فى الدنيا ينفذ بحكمه وقضائه وحكمته ، وأما فى الآخرة فهو الحاكم وحده الذى يحكم بين عباده فينتصف للمظلوم من الظالم ، والى محل قضائه وحكمه ترجعون جميعا فيقضى بينكم بحكمه وعدله ، وفى قوله « وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » انذار للإخافة من حسابه وعذابه .

د. محمد محمد خليفه

دراسات في الحديث

من نفحات السنة المباركة

مناهج كتابة السير

سفراء النبي
صلى الله عليه وسلم

من هدي النبي
صلى الله عليه وسلم

مؤلفات الإمام البخاري

من نفحات السنة المباركة

حب الصحابة

رضى الله عنهم وتوقيرهم

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : خير الناس قرنى . ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم . فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته متفق عليه :

كان الناس قبل بعثة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى جاهلية جهلاء . وضلالة عمياء . عقيدتهم فاسدة . وضمائرهم ميتة . فلما أراد الله تعالى بالانسانية خيرا أرسل اليها محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور وليكون رحمة للعالمين أمره ربه أن ينذر عشيرته الأقربين ويبلغ الناس دعوته فصدع بالامر فاستجاب له جماعة من الذين صفت نفوسهم ، وطهرت قلوبهم ، واستنارت ضمائرهم .

ولما اشتد الامر عليهم هجروا أوطانهم التى أحبوها . وخرجوا من ديارهم التى نشأوا فيها وفارقوا أولادهم وأهليهم فرارا بدينهم . ورغبة فى مثوبة مولاهم رب العالمين .

لا يبالون بما فاتهم من متع الحياة الدنيا ايثارا لما عند الله تعالى فى الدار الآخرة ولما هاجر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة المنورة وجد بها أنصارا يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . رأى المهاجرون والانصار الفرصة مواتية لاعلاء كلمة الله ونشر دين الله . وازالة العقبات عن طريق دعوة الحق . فبذلوا أرواحهم رخيصة فى سبيل الله . وباعوا أنفسهم عن رغبة صادقة فى رفع كلمة اليقين . وأنفقوا أموالهم على حبها وشدة حاجتهم اليها فى سبيل مرضاة مولاهم وتثبيت عقيدتهم . والدفاع عنها ضد عدوهم (الغاشم اللدود) وهم فى كل هذا مخلصون لله تعالى غاية الاخلاص . متمسكون بآداب الدين الحنيف غاية التمسك . ناصحون لله ولرسوله الأمين ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى اذا ما ثبتت قواعد الايمان واستقرت أسس الاسلام .

لفضيلة الدكتور
محمد محمود شعبان

وعلت كلمة الله اندفعوا فى الأمصار ينشرون كلمة الله ويرفعون راية الحق ويحققون العدالة بين الناس • ويخلصونهم من شرور أنفسهم وأمرائهم لهذا أثنى الله تعالى عليهم فقال :

« وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ». التوبة ١٠٠ •

وقال تعالى « لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » • التوبة ٨٩ •

وقال تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا » • الفتح •

وقال تعالى : « مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ». الفتح •

وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لاتسبوا أصحابى لاتسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ماأدرك مد أحدهم ولا نصيفه : رواه مسلم •

ولقد أوجب الشارع الحكيم على الناس جميعا : محبتهم • وتوقيرهم واتباع سنتهم • والاستغفار لهم • والترضى عليهم • وحرم

على الخلق ايذاءهم سواء كان باللسان أو بالسنان •

قال الله تعالى : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ • وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » • الحشر •

وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه :

رواه الترمذى وابن حبان •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ان الأنصار كرشى وعيبتى وان الناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم : رواه مسلم •

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اللهم اغفر للانصار ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار : رواه مسلم •

وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : وعظنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا : قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد • وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة : رواه الترمذى وأبو داود •

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : من مات من أصحابى بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة : رواه الترمذى •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى — صلى الله عليه وسلم قال : يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم فيكم من رأى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ فيقولون نعم : فيفتح لهم • ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم فيكم من رأى من صحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ فيقولون نعم : فيفتح لهم • ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ فيقولون نعم • فيفتح لهم: متفق عليه •

وعن أبى بردة عن أبيه قال : ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه الى السماء فقال : النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد • وأنا أمنة

لأصحابى فأذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون. وأصحابى أمنة لأمتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون : رواه مسلم فى صحيحه .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان الله تعالى نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد — صلى الله عليه وسلم — خير قلوب العباد فاختاره لرسالته ثم نظر فى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد بعد قلبه فاختارهم لصحبته :

فالصحابة رضى الله عنهم هم خير الخلق بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

والصحابى : هو من لقى النبى — صلى الله عليه وسلم مؤمنا به بعد بعثته حال حياته ومات على الاسلام ولو تخللت ذلك ردة على القول الصحيح وتثبت الصحبة بالقرآن والسنة وشهادة بعض الصحابة للبعض وبأخبار الصحابى عن نفسه بشرط أن تكون المعاصرة للنبى — صلى الله عليه وسلم ممكنة شرعا وزمنا .

وبناء على هذا فالصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول سواء منهم من آمن قبل الفتح أو بعده وعدالتهم ثابتة بنص الكتاب والسنة قال تعالى : « **كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنَّاسِ** » . آل عمران .

وقال تعالى : « **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** » . البقرة .

وماورد فيهم من أحاديث صحيحة منها ماتقدم ومنها أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم قال : كأن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم . متفق عليه .

ومنها قوله — عليه الصلاة والسلام : اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان متفق عليه .

وسواء لابسوا الفتنة أو لم يلابسوها وسواء ارتكب كبيرة ثم تاب عنها أو لم يرتكب: وهذا هو رأى جمهور أهل السنة والجماعة ومعنى عدالتهم قبول مروياتهم من غيرأن نبحث عن عدالتهم أو أن نطلب من أحد تزكيتهم لأنه لايوجد من هو أفضل منهم .

وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون عن الخطأ ويستحيل عليهم الذنوب والمعاصى.هذا ما أورده النووى فى التقريب وابن الصلاح فى مقدمته ثم قال : لأن الصحابة رضى الله عنهم هم حملة الشريعة والناقلون لها الينا فلو توقفنا فى مروياتهم وبحثنا عن عدالتهم وطلبنا تزكيتهم لانحصرت الشريعة على عصر النبى — صلى الله عليه وسلم — ولما أمكن أن تسترسل الى الأمصار . ولذلك يجب قبول ما قالوه وتحريم انتقاصهم قال أبو زرعة رحمه الله تعالى : اذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق :

وأما من قال ان الصحابة كلهم عدول الى حين وقوع الفتنة فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه فهذا قول مردود على صاحبه وقد قال ابن كثير فى كتابه الباعث الحثيث : وأما ما شجر بينهم بعده عليه السلام فمنه ما وقع عن غير قصد كيوم الجمل ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين والاجتهاد يخطىء ويصيب لكن صاحبه معذور وان أخطأ ومأجور أيضا . أما المصيب فله أجران اثنان .

وأما من قال ان الصحابة كلهم عدول الا من قاتل منهم على بن أبى طالب وصحبه

الذين كانوا معه فقد رده ابن كثير أيضا بقوله : قول باطل مردود فقد ثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم أنه قال عن ابن بنته الحسن بن على وكان معه على المنبر : ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين :

وظهر مصداق ذلك فى نزول الحسن لمعاوية عن الأمر بعد موت أبيه على واجتمعت الكلمة لمعاوية • وسمى عام الجماعة وذلك سنة ٤٠ من الهجرة فسمى الجميع مسلمين وقال تعالى :

« وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا » فسماهم مؤمنين مع الاقتتال • ومن كان من الصحابة مع معاوية ؟ يقال لم يكن من الفريقين مائة من الصحابة : وجميعهم صحابة فهم عدول كلهم •

وقال الامام النووى على شرح مسلم فى باب فضل الصحابة : أما على فخلافته صحيحة بالاجماع وكان هو الخليفة فى وقته لا خلافة لغيره وأما معاوية فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء •

وأما الحروب التى جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم عدول ومتأولون فى حروبهم وغيرها ولم يخرج شىء من ذلك أحدا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا فى مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل من الدماء وغيرها ولايلزم من ذلك نقص أحد منهم •

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام :

قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق فى هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغى عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة امام العدل فى قتال البغاة فى اعتقادهم •

وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق فى الطرف الآخر فوجب عليه مساعدته وقتال الباغى عليه •

وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب فى حقهم لأنه لا يحل الاقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته فى قتال البغاة عليه فكلهم معذورون ــ رضى الله عنهم ــ •

ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به فى الاجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم •

وأما طائفة الروافض الذين قالوا ان الصحابة كفروا كلهم الا سبعة عشر •• فهو قول باطل صادر عن خبث فى العقيدة ولؤم فى الطبع ، لأنهم بذلك يريدون هدم قواعد الاسلام وطمس معالم الشريعة والطعن فى حملتها حتى يشككوا الخلق فيها وكأنهم : لو كانوا مؤمنين:

لم يسمعوا قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أيما رجل مسلم كفر رجلا مسلما

فان كان كافرا والا كان هـــو الكافر : رواه أبو داود •

فهـــؤلاء الروافض ما هم الا طائفة من الناس من اليهود والمجوس دخلوا فى الاسلام لا حبا فيه ولكن ليدفنوه وليطفئوا نوره •كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا •

وقد قال الامام مالك ـــ رحمه الله تعالىـ : من شتم أحدا من الصحابة أبا بكر أو عمـــر أو عثمان أو عليا أو معاوية أو عمرو بن العاص، فان قال : كانوا على ضلال كفر وقتــل وان شتمهم بغير هذا نكل نكالا شديدا •

وقالت عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ـــ صـــلى الله عليه وسلم ـــ فسببتموهم • سمعت نبيكم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يقول : لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخـرها أولها : رواه أصـــحاب السنن •

وقال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: سيكون بين أصـــحابى فتنة يغفـــر الله لهم بصحبتهم اياى ، ثم يستن بها قوم بعـــدهم يدخلون النار بسببها : رواه أصحاب السنن •

وبناء على هذا لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسب أحدا من الصحـــابة ـــ رضى الله عنهم ـــ ولا أن يخوض فيما شجر بينهم لأجل أن يوقد نار الفتنة بين المسلمين•

فقد قال رسول الله ـــ صـــلى الله عليـــه وسلم ـــ فى شأن معاوية ـــ رضى الله عنه ـــ : اللهم اجعله هـــاديا مهـــديا واهـــد به : رواه الترمذى •

وقال أيضا فيه : اللهم علمه الكتاب والحساب وَقِهِ العذاب : رواه الطبرانى وأخرجه البخارى فى التاريخ والامام أحمد وابن جرير •

وفى رواية : « وأدخله الجنة » •

وروى الطبرى : أن قبيصة بن جابر الأسدى قال : ألا أخبركم من صحبت ؟ صحبت عمـــر ابن الخطـــاب فمـــا رأيت رجـــلا أفقه فقهـــا ولا أحسن مدارسة منه ثم صـــحبت طلحـــة ابن عبد الله فما رأيت رجلا أعطى للجـــزيل من غير مسألة منه ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلا أحب رفيقا ولا أشـــبه سريرة بعـــلانية منه •

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : أخبرنا أبو سعيد الأشج عن أبى اسحاق السبيعى أنه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه لقلتم كـــان المهدى •

ولقد كان معاوية ـــ رضى الله عنه ـــ عادلا حليما كريما زاهدا •

روى الامام أحمد فى كتاب « الزهد » عن ابى حملة قال :

رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقوع •

وثبت أنه خليفة من الخلفاء بصريح الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى كتاب الامارة عن جابر بن سمرة قال :

دخلت مع أبى على النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فسمعته يقول: ان هذا الأمر لاينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفـــة • قال ثم تكلم بكلام خفى على فقلت لأبى ما قال ؟ قال: كلهم من قريش •

وكذلك رواه البخارى والترمذى ، وفى سنن أبو داود ومسند الامام أحمد .

وعن أنس بن مالك قال حدثتنى أم حرام بنت ملحان أخت أم سليم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال عندهم فاستيقظ وهو يضحك . قالت : فقلت : يا رسول الله ما أضحكك ؟ قال : رأيت قوما ممن يركب ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة قالت فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال : فانك منهم .

قالت : ثم نام فاستيقظ وهو يضحك قالت: فقلت يارسول الله ما أضحكك فقال مثل مقالته، فقلت يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال : أنت من الأولين .

قال : فتزوجها عبادة بن الصامت فغزا فى البحر فحملها معه فلما رجع قربت لها بغلة لتركبها فصرعتها فاندقت عنقها فماتت : رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

والمعروف بأن ركوب البحر حدث فى زمن معاوية حين غزا قبرص زمن عثمان — رضى الله عنه — .

وقبرها بقبرص الى اليوم .

وأما عمرو بن العاص — رضى الله عنه — فهو من المجاهدين العظماء الفاتحين لفلسطين ومصر الذى سار فى أهل البلاد سيرا حسنا يضرب به المثل فى العدالة والعفة والنزاهة .

وأما ما وصفه به أهل الخبث من أنه كان داهية فى السياسة وهو الذى أشعل نار العداوة فى موضوع التحكيم بين على ومعاوية ، فهذا أمر مدسوس عليه كما بين ذلك ابن العربى فى كتابه « العواصم من القواصم » حيث قال : هذا كله كذب صريح ما جرى منه حرف قط ، وانما هو شىء أخبر عنه المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصى الله والبدع .

ولقد شهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لعمرو — رضى الله عنه — بقوله : ان عمرو بن العاص من صالح قريش : رواه أحمد .

وقال طلحة بن عبيد الله : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول عن عبد الله بن عمرو بن العاص : نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله : رواه أحمد فى مسنده .

وأيضا قال فيه وفى أخيه هشام : ابنا العاصى مؤمنان هشام وعمرو : رواه أحمد . لذلك وجب علينا أن نمسك عن الكلام فيما حدث بينهم . قال صاحب جمع الجوامع : ونمسك عما جرى بين الصحابة ونرى الكل مأجورين : ولا نكفر أحدا بذنب .

وقال صاحب العقائد النسفية فى « علم التوحيد » .

ونكف عن ذكر الصحابة الا بخير ، ونشهد بالجنة للعشرة الذين بشرهم النبى — صلى الله عليه وسلم — بالجنة .

وقال الامام الغزالى سئل ابراهيم النخعى عن القتال الذى دار بين الصحابة فقال : تلك دماء قد سلمت منها أيدينا فلا نلطخ بها ألسنتنا .

ونرى من الواجب على كتاب هـذا العصر ومؤرخيه والمحققين من العلماء أن يعيدوا النظر فى دراسة الأمور التى تتصـل بالاختلافات المذهبية والسياسية من تاريخ الاسلام وحياة رجاله وأن يمحصوا كل خبر بالرجـوع الى أقدار رواته وأهوائهم على طريقة علماء الحديث فلا تقبلوا الا الخبر الذى تناقله العـدول المنصفون من أهل الصدق والبصيرة حتى نغلق باب الفتنة • وبذلك تطهر القلوب التى امتلأت غلا وحقدا على أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فان الشباب فى هذا العصر أصبح يبرر مسلكه نحو السنة من نبذ لهـا وترك بالعمل بها مما يقرأه من الكتـاب عـلى صفحات (الجرائد) •

وقد أخبر عن ذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الحديث الصحيح المتفـق عليه : (يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عنى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وماوجدنا فيه من حرام حرمناه • ألا وان ما حـرم رسول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ــ مثل الذى حرم الله •

وكذلك نرى الفئات المختلفة يبـررون مايفعلون بقولهم : اذا كان هذا حدث بيـن الصحابة وهم من هم فما بالنا نحن لا نسـلك منهجهم فى القتال الدائر بين الفلسـطينيين بعضهم مع بعض وبين العراقيين والايرانيين وبين الفرق الاسلامية الأخـرى •

وأيضا لقد ظهرت الفئات الضالة من جراء ذلك كل فئة تدعى بأنها على الاسلام الصحيح وغيرها قد ضل الطريق يحل قتله وسلب مالـه

وانتهاك عرضه وعدم التعاون معه • وعـدم العمل بحكمه • ولو كانوا آباءهم واخوانهـم فهم فى نظرهم كفار •

ألم يأن للكتاب والمؤرخين أن يثـوبوا الى رشدهم وأن يقفوا عنـد حـدود اللـه • وأن يلتزموا بالسنة الصحيحة • وألا يقولوا عـلى أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الا الحق •

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَاتَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) •

اللهم املأ قلوبنـا بحبك وحب نبيك وحب أصحاب نبيك والتابعين لهـم باحسان الى يوم الدين • اللهم آمين :

د • محمد محمود شعبان

المدير العام للتعليم الثانوى بالازهر

مناهج كتابة السير

وحلقات : (على إمام المتقين)

ان الذى يكتب التاريخ ناقلا — كما يفعل الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى حلقاته فى الأهرام عن ابن تيمية وابن حزم وعز الدين بن عبد السلام وعلى امام المتقين أخيرا معرض للذاتية المفرطة فيما يكتب فيميل الى أن يختار من النصوص التى أمامه ما يبدو له أنه جدير بالاختيار ، وهو فى ذلك لا يستطيع الفكاك من وجهة نظره الخاصة ، ولايحيد عن طريق الوصول الى هدفه الا ليعود اليه .

واذا استهدف الباحث التحقيق التاريخى فانه يعلن ذلك فى مبتدأ قوله ، ويغلب على مايكتب طابع التحقيق المتميز ، وصلب هذا الطابع الحياد فى ذكر الحوادث والاقوال والتفسيرات وتفنيد بعضها وترجيح الاخر ، وضرب الضعيف بالقوى من الأخبار وطرده .

والأستاذ الشرقاوى بناء على ذلك لا يقصد تأريخا بالمعنى الفنى للتاريخ فى كتاباته المشار اليها ، لكن طابع التأريخ بالنقل له أيضا شروطه الأولية التى لا يجب أن تغيب عن المتصدى له . ويزيد فى قسوة هذه الشروط أن يكون التناول لشخصية مثل شخصية الامام على ، لأنه من الذين أمر المسلمون بالاقتداء بهم والسير على سنتهم بقول النبى — صلى الله عليه وسلم — : (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى) ولاينطبق على سير هؤلاء القادة ما يمكن أن يتسامح فى انطباقه على غيرهم ، لأن الخطأ والتجاوز أو الاختيار المنحاز الذى يسمح بدخول الضعيف والمكذوب من الأخبار يترتب عليه كبير الضرر بعقائد الناس وأفكارهم ، ويقل ذلك الضرر — ولا ينمحى — فى سير ابن حزم وابن تيمية والعز بن عبد السلام ، لأن أقوالهم ليست حجة ملزمة فى الدين ، فيؤخذ من اجتهادهم ويترك بلا حرج .

وتثير حلقات : (على امام المتقين) كثيرا من المثقفين لجافاتها لمناهج السير واكتظاظها بالمبالغات غير المقبولة عقلا ولا نقلا ، وقد تناول الاستاذ الكبير ثروت أباظة فى جريدة

للأستاذ محمد أحمد بدوى

الاهرام بعض هذه الحلقات بالتعليق ، وفى اطار من الاهتمام بالشيوعية ، ونفى أى تقارب بينها وبين الاسلام من الأستاذ ثروت نقاطا ثلاثا .

أولاها : هى افتراض الاستاذ الشرقاوى صحة ما أورد من نصوص وصحة صدورها عمن نسبت اليهم ، فبنى عليها ما بنى من استنتاجات رأى فيها الاستاذ ثروت محاولة لجر الاشتراكية الى الاسلام أو جر الاسلام الى الاشتراكية ، فبين أن قصر حق الملكية على العمل وحده وهو لب الفلسفة الشيوعية فى الاقتصاد لايستفاد من النصوص التى ساقها الأستاذ الشرقاوى مع كونها مجتزأة ومبتورة من سياقها الكامل . وأن قصر التركة التى يتركها المسلم على اللسان الذاكر والقلب الخاشع والزوجة الصالحة كما ذكر الاستاذ الشرقاوى غير مسلم ، واستشهد بغنى عبد الرحمن بن عوف فوق استحالة توريث اللسان الذاكر والقلب الخاشع وللزوجة التى تعين أحدنا على دينه ، وعارض ما نقل الأستاذ الشرقاوى من عزم عمر على الحاق أسفل الناس بأعلاهم ، وكى صاحب الدنانير كيات بعددها بالصحيح من قول النبى – صلى عليه وسلم – (ان دماءكم وأمولكم حرام عليكم) فوق ما يثيره ذلك من ضباب حول تأخر عمر عن تنفيذ ما رآه صوابا وتأجيله الى العام المقبل .

والثانية : معارضة ما ساق الأستاذ الشرقاوى من أخبار غير موثقة عن حق الملكية بالموثق من الأخبار بثبوت الارث وطلب السيدة فاطمة عليها السلام ميراث أبيها صلى الله عليه وسلم من الخليفة أبى بكر رضى الله عنه .

وحق الملكية كما يثبت بالارث كما ذكر الأستاذ ثروت يثبت كذلك بالهبة من غير أولى الأمر ومن أولى الأمر كالجوائز التقديرية التى هى زيادة على ما حصلوه من عمل بنشره ، ونحن نزيد على ما ذكر الأستاذ الشرقاوى فى تعقيبه على تعقيب الأستاذ ثروت أن هبات الأمراء لم تكن كلها مقننة كجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية وقد يثبت حق الملكية بلا عمل اطلاقا كالعثور على منجم أو آثار بما تخصص الدولة من مكافآت على ذلك ، وقد تثبت باحياء الموات أو وضع اليد مددا متطاولة بدون منازع .

والثالثة : عما عمد الأستاذ الشرقاوى من الاجتزاء من النصوص وابراز البعض واغفال البعض ، وهذا مخالف للمناهج العلمية بكل المقاييس .

قد يعترض الأستاذ الشرقاوى كما اعترض من قبله الدكتور طه حسين بأن

مناهج كتابة السيرة

اشتراط التوثق من الأخبار فى كتابة التاريخ تضييق لما وسعه المؤرخون من شروط قبول الأخبار .

وهنا تثار مشكلة التوسع والتضييق فى شروط قبول الأخبار بصفة عامة وفى الأخبار ذات الصبغة الدينية بخاصة .

ان التوسع فى قبول الأخبار منهج (الفنانين) لا منهج المؤرخين . وقد أثيرت فى الآونة الأخيرة مسألة حرية « الفنان » فى تجاوز الحقائق التاريخية ، واستقرت الآراء على عدم جواز ذلك بحال . وقد بين ابن خلدون ضرورة التوثق من الأخبار جميعها دينية وغير دينية ، وهو فى هذا متفق مع رجال الحديث اتفاقا تاما . على أننا نأخذ على بعض علماء الحديث ما صرحوا به من تسامحهم فى قبول الأخبار المتعلقة بالسير وتدقيقهم فى الأخبار المتعلقة بالأحكام . والرد على هؤلاء الذى ربما أعطى المؤشر للأستاذ الشرقاوى ليتتبع مقالاتهم ليجد فيها (سنادا) لا حقا لما يكتب أن أخبار السير غير الموثقة والمليئة بالمبالغات أشد ضررا بالعقل وبالعقائد من أحاديث الأحكام .

ان العلوم النفسية والاجتماعية قد كشفت أن العقل يتكون أساسا وبصفة مطلقة مما يدخل فى خبرة المرء مما يسمع ويرى وما يقرأ من مبدأ حياته الى نهايتها كما تتكون عاداته العاطفية والسلوكية بهذه الوسيلة ، لاسيما اذا كان لما يسمع ويقرأ قداسة دينية أو عرفية صحيحة أو كاذبة ، والقصص الذى توسع هؤلاء العلماء فى شروط قبوله يتعامل مع الوجدان الذى هو خزان الدوافع للعمل والسلوك والاعتقاد بينما أحاديث الأحكام تخاطب العقل والمنطق فتفيد المعرفة ، أما الأخبار فهى التى تطبع الوجدان بطابعها فتتكون فيه عادات عقلية تقبل الخرافة ومبالغاتها ، وتنفر من الجد واتزانه وتبتغى دائما الاستماع الى المعجزات والخوارق ، ويكون ثبات سنن الله وعدم التفاوت فى خلق الله كلاما أجوف بلا مضمون يتلى فقط بقصد التعبد ، وقد انتبه الى هذه الحقيقة كثير من العلماء ، وألف الامام السيوطى رسالة أسماها (تحذير الخواص من أوهام القصاص) وكتب غيره فى بيان أثر القصص فى عقول الناس ، ونحن على بينة مما يحدثه القصص كأحد أساليب الغزو الفكرى ، وقد ذكرت (بروتوكولات حكماء صهيون) أن من وسائلها استخدام القصص والتمثيليات ، وقد استخدمت الشيوعية القصص فى نشر مبادئها بين الناس ، ولا تزال أخلاق الريفيين متأثرة الى الآن بسيرة عنترة والهلاليين .

اننا نعرف أن القضايا الفكرية مهما ظننا أن الكلمة الأخيرة قد قيلت فيها يمكن أن تحيا من جديد بكل جدتها وكأن أحدا لم يتناولها قط بتحليل ، فقد ثارت مشكلة التوثق من الأخبار فى السير بين الدكتور طه حسين من جهة وبين الغرابلى باشا والدكتور محمد حسين هيكل منذ ما يزيد عن نصف قرن تقريبا .

ويكفى أن نذكر أمثلة لما تمتلىء به حلقات (على امام المتقين) من بعد عن المنهج لأن استقصاءها فوق الطاقة ، ويدل القليل الذى يذكر على الكثير الذى لم يذكر .

وأول هـذه الأمثلـة وأكثرهـا ورودا فى الحلقات استناد الأستاذ الشرقاوى الى غـير الموثق بل والمكذوب من الأخبار الـذى يحب العوام أن يسمعوه ويقرءوه ، ولعل عين الأستاذ الشرقاوى كانت عـلى هـؤلاء العـوام حين يكتب الحلقات فلم ير غيرهم أمامه ممن يمكن أن يحسب لهم أى حساب . ففى الحلقة الثالثة يرفع على كرم الله وجهه بابا من أبـواب خير لم يستطع ثمانية رجال أن يقلبوه عـلى جنبه ، وهـذا خـرافة فوق أن خبره غير موثق بل مكذوب قالت السيرة الحلبية بعد أن أوردت الخبر بصيغة التشكيك ص ٤٣ جـ ٣ : قـال بعضهم : طرق الحديث كلها واهية ، وقـال الذهبى : ان الحديث منكر ، وقال فى الامتاع : قال بعضهم : ان حمل على للباب ومبـاشرة القتال وهو فى يده ثم رميه به الى بعد قـدره ثمانون شبرا لا أصـل له ، وانمـا يروى عن رعاع الناس أ هـ من السـيرة الحلبيـة ، وفى الحلقة الرابعة ذكر الأستاذ الشرقاوى آيـات كثيرة من القرآن الكريم نزلت فى سيدنا على ومن هذه الآيات قوله تعالى :

(**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً**) الآية .

اذ قال : نزلت فى على وأبى بكر ، وقال الشيخ رشيد رضا فى المنار : لم يصح فى نزول الآية شىء ومعناها عام ، وساق الأستاذ الشرقاوى قصة اطعام سيدنا على وامـراته وابنيـه مسكينا ويتيما وأسيرا بما كانوا يعـدونه للافطار ثلاثة أيام متواليات مكثوها صائمين ، وذكر أن هذه الآية نزلت فيهم :

(**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**) .

قال القرطبى فى تفسير الآية : هذا الحديث لا يصح ولا يثبت وقال الترمذى الحـكيم : هذا حديث مزيف مـزوق قـد تطـرف فيـه صاحبه حتى تشبه على المستمعين ، فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفا ألا يكون بهذه الصفة ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم . وقد قال تعالى :

(**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْـو**) .

وهو الفضـل الذى يفضـل عن نفسـك وعيالك ، ووردت الأخبار أن خير الصـدقة ما كان عن ظهر غنى .

وقال صلى الله عليه وسلم : كفى بالمـرء اثما أن يضيع من يقوت .

أفيحسب عاقل أن عليا جهل هذا الأمر حتى أجهدأبناءه الصغار على جـوع ثـلاثة أيام ولياليهن حتى تضوروا من الجوع حتى أبكوا رسول الله بما بهم من الجهد ؟. هب أنه آثر على نفسه هذا السائل ، فهل كان يجوز لـه أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام بلياليهن ؟ ما يروج هذا الا على حمقى جهال ، أبى الله لقلوب متنبهة أن تظن بعلى مثل هـذا . وليت شعرى من حفظ هذه الأبيـات كل ليلة عن على وفاطمة ــ رضى الله عنهما ــ واجابة كل واحد منهما صاحبه ، حتى أداه الى هؤلاء الرواة ؟ فهذا واشباهه من أحاديث أهل السجون فيما أرى ، بلغنى أن قوما يخلدون فى السـجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون أحاديث فى السـمر وأشباهه ، ومثل هذه الأحاديث مفتعلة ، فاذا صارت الى الجهابذة رموا بها وزيفـوها أ هـ بالحرف من القرطبى .

واعتذر عن القرطبى فهو لم يكن يعرف أن الأستاذ الشرقاوى سيردد مثل هذا .

وساق الأستاذ الشرقاوى قصة اسلام أبى طالب بحديث لا يدرى مدى صحته ولا فى أى كتاب هو لكنها تعارض وتفند بما رواه الامامان البخارى ومسلم ، فأما البخارى فقد ذكر قصة أبى طالب فى خمسة مواضع من كتابه وأورد مسلم منه ثلاث روايات وذلك عن طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أبى طالب أن يسلم فلم يستجب له .

ثالثا : أورد الأستاذ الشرقاوى فى حلقاته نصوصا فيها سب لعصر عثمان وعصر على وهو من خير القرون التى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم فقال فى الحلقة الأولى : بهذه النبالة (التى ساق منها الأستاذ الشرقاوى ما صح أقله ولم يصح أكثره) كابد على عصرا من اللؤم حين ولى أمر المؤمنين .

رابعا : تشنيع الأستاذ الشرقاوى على أشخاص بأعيانهم ممن بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة منهم عثمان وطلحة والزبير وغيرهم وقد تناثر ذلك فى كثير من الحلقات فمن وصفه لهم أنهم خونة وعباد مال واقطاعيون يبايعون عليا وينكرون البيعة ويقول طلحة والزبير انهما بايعا عليا والسيوف على رقابهم مع أن الأستاذ الشروقاوى حين ذكر بيعتهم لم يذكر معها اكراها .

خامسا : المبالغات غير الموثقة ومنها — فوق حمل على بابا لا يقلبه على جنبه ثمانية رجال — كان على فى زمن كان طول رجاله فى مثل قامة الجمل حتى ليقال : ان من هؤلاء الطوال من كان يقبل امرأته وهى فى هودجها على ظهر بعير ! .

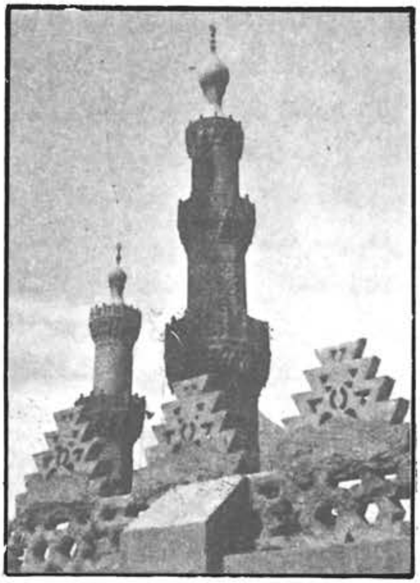

سادسا : استعمال الأستاذ الشرقاوى لعبارات تقترب من الأدب المكشوف عن حكايته عن زواج سيدنا عثمان ببنت القرافصة (فى الحلقة ١٨) اذ قال عثمان لعروسه : لا يهولنك يابنت القرافصة ما ترين من صلع فان وراءه ما تحبين .. الى أن قال حينما استحيت أن تحل ازارها بناء على طلبه : فحل لها ازارها فكانت أحظى نسائه عنده .

سابعا : فى غمرة اعجاب الأستاذ الشرقاوى بسيدنا على الذى لا يخرجنا مشاركته فيه عن المنهجية الواجبة قد أظهر سيدنا على بمظهر غير الخبير فى السياسة ولا بالحكم من حيث أراد أظهاره بمظهر المتمسك بالحق وعدم خشية لوم اللائمين فيه .

وفى هذا القدر كفاية فى تقويم حلقات (على امام المتقين) رضى الله عنه وكرم وجهه ..

محمد أحمد بدوى

من هُدى النبى صَلى الله عليه وسلم

حفظ السر

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده من طريق أبى بكر بن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن سعد قال : سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته ، وتفضى اليه ثم ينشر سرها .

اللغة : قال : الجوهرى (شر) فيه معنى التفضيل لا يثنى ولا يجمع ، ولا يؤنث .

الافضاء مباشرة البشرة وهو هنا كناية عن « الجماع » .

السر : ما يسر ويخفى من الأمور .

الراوى : كنيته أبو سعيد ، واسمه : سعد ابن مالك بن سنان بكسر السين المهملة وبنونين بينهما ألف ، الخدرى : بضم الخاء وسكون الدال نسبة الى خدرة : هو الأبجر بطن من الخزرج وقيل خدرة : أم الأبجر ، ثم سعد وأبوه صحابيان استشهد أبوه فى وقعة أحد .

روى لأبى سعيد عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ألف ومائة وسبعون حديثا .

اتفق البخارى ومسلم على ستة وأربعين حديثا .

انفرد البخارى بستة عشر حديثا .

انفرد مسلم باثنتين وخمسين حديثا .

عن حنظلة بن أبى سفيان الجمحى عن أشياخه قالوا : لم يكن أحد من أحداث الصحابة أفقه من أبى سعيد وفى روايته أعلم ومناقبه كثيرة .

توفى بالمدينة يوم الجمعة سنة أربع وستين . وقيل وسبعين ودفن بالبقيع .

وبعد :

فان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرشد الى تبكيت صاحب الذنب وفاعله وأن اتصال الرجل بزوجته من الأمور التى يمنع الشرع عدم اذاعتها أو التحدث بها ولا يذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع وقبله من مقدماته ويفهم من الحديث الوعيد الشديد على ذلك بكونه من أشر الناس منزلة يوم القيامة يؤكد ذلك الوعيد ما جاء من طريق آخر لمسلم عن

الراوى المذكور قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ان من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر سرها • وكتمان السر من أقوى أسباب النجاح وأبعد من داء الحسد المفضى الى زوال النعمة أو عدم دوامها وتمامها •

قال الامام على كرم الله وجهه : سرك أسيرك فان تكلمت به صرت أسيره والعاقل يكون جوادا بماله ضنينا بأسراره ومن كتم سره أمن من الضرر خاصة فيما يتعلق بالأمور الزوجية وعلاقاتها • وكم من سر ظهر أراق دم صاحبه • وان الوشاة ماتركوا أديما لرجل صحيحا • ومن أفشى سره بلسانه ثم لام عليه غيره فهو أحمق وفى افشاء السر ثلاث أحوال مذمومة :

احداها : ضيق الصدر وقلة الصبر •

ثانيها : الغفلة عن تحذير العقلاء ، والسهو عن يقظة الأذكياء ، فلا يأمن أن يودعه حازما فيزل ، أو جاهلا فيخون •

والثالثة : مالرتكبه من الغرر واستعمله من الخطر •

وواضح من الحديث :

ما ينبغى أن يتحلى به المسلم من وجوب صيانة سر فراشه ، لما فى ذلك من صيانة لبيته كله ، واكرام لأهله ، وتوقير لبنيه وبناته ، واكسابهم المنزلة بين الناس عكس ما لو أفشى هذا السر فتغامز به الناس ونالوه ونالوا أهله وبسطوا ألسنتهم فى ولده فأسقط منزلته بيده ، وجنى على نفسه بنفسه •

واعلم أن من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق ، واستشارة ناصح مسالم فلتختر من تأمنه عليه وتستودعه اياه ، فليس كل من كان على الأموال أمينا كان على الأسرار مؤتمنا • لأن العفة عن الأموال أيسر من العفة عن اذاعة الأسرار ، ولأن الانسان قد يذيع سر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ويشح باليسير من ماله حفظا له ، ولا يرى ما أضاع من سره كبيرا فى جنب ما حفظه من يسير ماله مع عظم الضرر الداخل عليه •

من أجل ذلك كان أمناء الأسرار أشد تعذرا وأقل وجودا من أمناء الأموال • وكان حفظ الأموال أيسر من كتم الأسرار ، لأن احراز الأموال منيعة واحراز الأسرار سهلة الفتح غير منيعة •

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : القلوب أوعية الأسرار ، والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرىء مفتاح سره •

ومن صفات أمين السر : أن يكون ذا عقل عاقل ، ودين حاجز ، ونصح مبذول ، وود موفور وكتوما بالطبع ، فان هذه الأمور تمنع من الاذاعة ، وتوجب حفظ الأمانة ممن كملت فيه فهو من الندرة بمكان •

وليحذر صاحب السر أن يودع سره من يتطلع اليه ويؤثر الوقوف عليه • فان طالب الوديعة

خائن . والطالب للسر مذيع . وليحـــذر كثرة المستودعين لسره ، فان كثرتهم سبب الاذاعة وطريق الى الاشاعة لأمرين :

احدهما : أن اجتماع هذه الشروط فى العدد الكثير معوز ولابد اذا كثروا من أن يكون فيهم من أخل ببعضها .

والثانى : أن كل واحد منهم يجد سبيلا الى نفى الاذاعة عن نفسه واحالة ذلك على غـــيره فلا يضاف اليه عيب ولا يتوجه اليه عتب ، لأنه كلما كثرت خزان الأسرار ازدادت ضياعا وكل سر جاوز الاثنين فشا ومن فشا سره كثر عليه المتآمرون .

وقالوا فى الحكم : صـــدور الأحرار قبـــور الأسرار فعلى العاقل أن يختار هذه الصـــدور وأرجو الله أن يوفق فى الاختيار ، ويستودع سره منله اداء الأمانة فيه بالتحفظ والتناسى له حتى لا يخطر له على بال ، ولا يدور له فى خلد ثم يرى لذلك حرمة يرعاها ولا يدل ادلال اللئام ويخفيه عن نفسه كأنه لم يسمعه وباتباع ذلك الهوى الراشد يبلغ المرء غاية النجـــاح ويأمن سهام الحاسدين .

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان فـــان كل ذى نعمة محسود . أخرجه ابن عـــدى فى الكامل ، والطبرانى فى الكبـــير ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الايمان .

والله الموفق للصواب وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

احمد حسن جابر رجب

سُفَراءُ النبيّ صلى الله عليه وسلم

وكتّابه وَرَسائله

قال ابن هشام — فى سيرة النبى — صلى الله عليه وسلم — :

حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهذلى قال :

بلغنى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته للتى صد عنها يوم الحديبية ، فقال :

« ايها الناس ، ان الله قد بعثنى رحمة وكافة فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، فقال أصحابه :

وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟

قال : « دعاهم الى الذى دعوتكم اليه » .

فاما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم .

وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل فشكا ذلك عيسى الى الله ، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم لغة الأمة التى بعث اليها .

واستطرد ابن هشام قائلا :

فبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اثر ذلك — رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا الى الملوك يدعوهم الى الاسلام :

فبعث دحية بن خليفة الكلبى الى قيصر ملك الروم .

وبعث عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى ملك فارس .

وبعث عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ملك الحبشة .

وبعث حاطب ابن أبى بلتعة الى المقوقس ملك الاسكندرية .

وبعث عمرو بن العاص السهمى الى جيفر ، وعياذ ابنى الجلندى الى الازديين ملكى عمان

وبعث سليط بن عمرو الى تمامة بن آثال وهوذة بن على ملكى لليمامة .

وبعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين .

وبعث شجاع بن وهب الاسدى الى الحارث

للأستاذ الدكتور مختار الوكيل

ابن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام .. الخ .. الخ .

السفير دحية الكلبى

وحامل رسالته — عليه الصلاة والسلام — الى قيصر ملك الروم سفير من أعظم سفرائه ، وهو دحية الكلبى . وكان شابا صادق الايمان من الرعيل الاول الذى تخرج فى المدرسة المحمدية المثالية العليا ، وكان جميل الصورة . عظيم الذكاء ، وقيل فى وصف جماله : ان جبريل عليه السلام كان يفد على النبى — عليه الصلاة والسلام — فى مثل صورته .

كيف وصل كتاب النبى الى قيصر ؟

قال ابن عباس رضى الله عنهما :

لما جاء كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — الى قيصر قال حين قرأه : التمسوا لى رجلا من قومه أسأله عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فأخبرنى أبو سفيان أنه كان بالشام رجال من قريش قدموا تجارا . وذلك فى الفترة التى نشب فيها القتال بين رسول الله — عليه الصلاة والسلام — وبين كفار قريش . فأتانى رسول قيصر ، فانطلق بى وبأصحابى ، وأدخلنا عليه، فاذا هو جالس فى مجلس ملكه عليه التاج ، واذا حوله عظماء الروم .

فقال لترجمانه :

سلهم : أيهم أقرب نسبا من هذا الرجل ؟ (يعنى النبى — صلى الله عليه وسلم —) .

قلت : أنا

قال : وما قرابتك منه ؟

قلت : ابن عمى

(قال أبو سفيان : وليس فى الركب رجل من عبد مناف غيرى) .

فقال قيصر : ادنه منى !

ثم أمر بأصحابى فجعلوا خلف ظهرى : ثم قال لترجمانه :

قل لأصحابه : انى سائل هذا عن هذا الرجل (يعنى رسول الله ، — صلى الله عليه وسلم —) فان كذبنى فكذبوه !

قال أبو سفيان : فوالله ، لولا الحياء يومئذ أن يؤثر عنى الكذب لكذبته حين سألنى ، ولكنى استحييت أن يؤثروا عنى الكذب ، فصدقته عنه .

ثم قال لترجمانه : قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟

قلت : هو فينا ذو نسب !

قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟

قلت : لا ..

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قلت : لا .

قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟

قلت : لا .

قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟

قلت : بل ضعفاؤهم !

قال : فيزيدون أم ينقصون ؟

قلت : بل يزيدون !

قال : فهل يرتد أحد منهم سخطا على دينه بعد أن يدخل فيه ؟

قلت : لا ..

قال : فهل يغدر ؟

قلت : لا ، ونحن منه الآن على خلاف ونحن نخاف ذلك .

قال : فهل قاتلتموه وقاتلكم ؟

قلت : نعم .

قال : فكيف كانت حربه وحربكم ؟

قلت : كانت دولا سجالا ، يدال علينا المرة ويدال عليه الاخرى .

قال : فبم يأمركم ؟

قلت : يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة والوفاء بالعهد وأداء الأمانة !

قال أبو سفيان :

فقال قيصر لترجمانه :

قل له : انى سألتك عن نسبه فيكم ، فزعمت أنه ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث فى أنساب قومها .

وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله ، فزعمت : أن لا :

قلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله !

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فزعمت أن لا !

فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله !

وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟

فزعمت أن لا : فقلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه !

وسألتك : أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟

فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه ، والضعفاء هم أتباع الرسل !

وسألتك : هل يزيدون أو ينقصون ؟

فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الايمان حتى يتم !

وسألتك : أيرتد أحد سخطا على دينه بعد أن يدخل فيه ؟

فزعمت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل قاتلتموه وقاتلكم ؟

فزعمت أن قد فعل ، وأن حربه وحربكم تكون دولا : يدال عليكم مرة ، وتدالون عليه الأخرى .

وكذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لها العاقبة !

وسألتك : بماذا يأمركم ؟

فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ، ويأمركم بالصدق والوفاء بالعهد وأداء

الامانة ، وهذه صفات نبى قد كنت أعلم أنه خارج !

ولكن لم أظن أنه منكم ! وان يكن حقا ماقلت فيوشك هذا الرجل أن يملك موضع قدمى هاتين ! والله لو أعلم أنى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه !

قال أبو سفيان :

ثم دعا قيصر بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فأمر فقرىء ، فاذا به :

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

من محمد بن عبد الله ورسوله .

الى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى ..

أما بعد ..

فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم الأريسيين (الفلاحين) .

(يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (١).

حوار دحية مع قيصر !

وقال السهيلى فى الروض ص ٣٥٥ من الجزء الثانى :

لما قدم دحية على قيصر قال :

يا قيصر : أرسلنى من هو خير منك ، والذى أرسله هو خير منه ومنك ، فاسمع بذل ثم أجب تنصح ، فانك ان لم تذلل لم تفهم ، وان لم تنصح لم تنصف .

قال قيصر : هات .

فقال دحية : هل تعلم أكان المسيح يصلى ؟

قال : نعم !

قال دحية : فانى أدعوك الى من كان المسيح يصلى له ! وأدعوك الى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح فى بطن أمه ، وأدعوك الى هذا النبى الأمى الذى بشر به موسى ، وبشر به عيسى ابن مريم ، وعندك من ذلك أثارة من علم تكفى عن العيان ، فان أحببت كانت لك الدنيا والآخرة ، والا ذهبت عنك الآخرة وشوركت فى الدنيا ! واعلم أن لك ربا يقصم الجبابرة ويغير النعم !

فأخذ قيصر الكتاب ووضعه على عينيه ورأسه ، وقبله وقبل خاتم الرسول الكريم ، ثم قال :

أما والله ما تركت كتابا الا قرأته ولا عالما الا سألته ، فما رأيت الا خيرا ، فأمهلنى حتى أنظر : من كان المسيح يصلى له ؟ فانى أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غدا ما هو أحسن منه ، فأرجع عنه فيضرنى ذلك ولا ينفعنى ، أقم حتى أنظر !

وروى البخارى أنه لما تلى كتاب النبى — عليه الصلاة والسلام — على هرقل (قيصر) غضب ابن أخيه غضبا شديدا وقال : أرنى الكتاب !

قال قيصر : وما تصنع به ؟

قال ابن أخيه : انه بدأ بنفسه ، وسماك صاحب الروم !

فقال قيصر :

والله انك لضعيف الرأى ! تريد أن أرمى كتاب رجل أتاه الناموس الأكبر ! لئن كان رسول الله انه أحق أن يبدأ بنفسه ، وقد صدق فأنا صاحب الروم !

---

(١) آل عمران / ٦٤ .

ثم أمر قيصر باكرام دحية الكلبى سفير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

والواقع أن البحث ليتشعب كثيرا لو حاولنا التوسع فى الحديث عن ذلك الحوار الشائق الذى دار بين رسل ـ النبى عليه الصلاة والسلام ـ والملوك والأمراء الذين أرسلوا اليهم : فعلى من يرغب فى ذلك التوسع أن يرجع الى الجزء الثانى من كتاب (الروض) للسهيلى ففيه تفصيل الحوار البارع الذى أداره بتوفيق الله وهدايته أولئك الرسل الكرام الذين أوفدهم المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ الى الملوك والأمراء والحكام الأجانب ، مما ينبغى أن يدرسه ويحققه ويعيه ويستوعبه كل الدارسين وطلاب المعرفة من المسلمين بل غيرهم ممن هم مهتمون بتدريب سفراء الغد ورجال السلك السياسى تدريبا قويما من شأنه اطلاق المنطق السليم المستقيم من عقاله ، واخراج الحجة الدامغة فى اللحظة الحاسمة لتكون فصل الخطاب !

أين رسالة النبى لقيصر اليوم ؟

وروى الحافظ السهيلى فى (الروض) ص ٣٢١ من الجزء الثانى أن (هرقل) قيصر وضع كتاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قصبة من ذهب تعظيما له . وأنهم لا يزالون يتوارثونه كابرا عن كابر فى أرفع محراب وأعز مكان حتى كان عند (أدمونش) الذى تغلب على (طليطلة) وما أخذ من بلاد الاندلس ، ثم كان عند ابن بنته المعروف بابن (السليطة) وروى الشيخ عبدالحى الكتانى فى كتابه المعروف (نظام الحكومة النبوية) قول الحافظ بن حجر فى (فتح البارى) الأثر الذى أحدثه كلام السهيلى : وأنبأنا غير واحد عن القاضى نور الدين بن الصائغ الدمشقى أنه قال : حدثنى سيف الدين فليح المنصورى ، قال : أرسلنى الملك المنصور قلاوون الى ملك المغرب بهدية ؛ فأرسلنى ملك المغرب الى ملك الفرنج فى شفاعة فقبلها ، وعرض على الاقامة عنده ، فامتنعت ، فقال : لأتحفنك بتحفة سنية . فأخرج لى صندوقا مصبغا بذهب ، فأخرج منه مقلمة من الذهب ، فأخرج منها كتابا قد رأيت أكثر حروفه وقد التصقت على حرفه حرير ، فقال : هذا كتاب نبيكم الى جدى الأعلى (قيصر) ومازلنا نتوارثه الى الآن ، وأوصانا آباؤنا أنه مادام هذا الكتاب عندنا لايزال الملك فينا ، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا !

ويعلق الشيخ عبد الحى الكتانى فى كتابه (نظام الحكومة النبوية) الجزء الاول على هذا بقوله : « ويؤيد هذا ما وقع فى حديث سعيد ابن أبى راشد من أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرض على التنوخى رسول (هرقل) قيصر الدخول فى الاسلام فامتنع ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام : يا أخا تنوخ : انى كتبت الى ملككم بصحيفة فليمسكها ، فان يزال الناس يجدون منه بأسا مادام فى العيش خير ! » .

وكذلك أخرج أبو عبيد فى كتاب (الأحوال)

عن عمير بن اسحاق ، قال :

كتب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى قيصر وكسرى : فأما كسرى فلما قــــرأ الرسالة مزقها ، وأما قيصر فلما قرأها طواها ثم رفعها ، فقال رسول الله ــ صــلى اللــه عليه وسلم ــ ، أما هؤلاء فيمزقون ، وأمــا أولئك فستكون لهم بقية !

ويؤيد ذلك ما روى من أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما جاءه جواب كسرى قال : مزق الله ملكه ، ولما جاء جواب قيصر قال : ثبت الله ملكه !

هذا وقد تواترت الأنباء منذ مدة أن أحــد حكام العرب قد اشترى الرســـالة االنبوية الكريمة التى كانت أرسلت الى قيصر ، ولاشك أن العالم الاسلامى يهمه كثيرا أن يكشف عن وجه الحقيقة فى هذا الامر الجليل وأن يقطع الشك باليقين !

ولقد أفضت الحديث عن رســـالة النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ الى قيصر . والحق أن الكلام عن هذه الرسالة الشريفة وحدهــا يطول ويتشعب ، ويمكن أن يكتب المرء عنــه رسالة قائمة بذاتها ولضيق المقام نجتزىء بهذا الحديث المفصل عن هذه الرسالة الشريفة .

خاتم النبى

أشرنا فيما تقدم الى أن النبى ــ صــلى الله عليه وسلم ــ كان يختم رسالته بخاتمــه الشريف .

وفى ذلك يقول البخارى نقلا عن أنس رضى الله عنهما : « انه لما أراد رسول اللــه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يكتب الى الروم قيل له : لن يقرءوا كتابك اذا لم يكن مختوما ، فاتخــذ خاتما من فضة ، ونقشه : (محمد رسول الله) فكأنما أنظر الى بياضه فى يده ــ صلى اللــه عليه وسلم ــ » . وعن أنس رضى اللــــه عنه قوله كذلك :

كان خاتم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ (محمد ــ فى سطر ورسول فى سطر واللــه فى سطر وانها كانت تقرأ من أسفل فصاعدا ليكون اسم الله فوق الجميع) .

وقال المهلب ، كان ــ عليــه الصــــلاة والسلام ــ لا يستغنى عن الختم به فى الكتب التى يبعثها الى البلدان فى أجوبة العمال وقواد السرايا .

وكان الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ أول من ختم الرسالة بخاتمــه الشريف من قريش وأهل الحجاز ، على ما رواه السيوطى .

صاحب خاتم النبى

وكان لخاتم النبى ــ عليــه الصــــلاة والسلام ــ حافظ يطلق عليه اسم صـــاحب الخاتم ، ويحفظه عندما يخلعه ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

وتقول بعض الروايات : أن صاحب خاتمه الشريف هو معيقب بن أبى فاطمة ، وتقــول روايات أخرى : انه كان يعهد بخاتمه الشريف الى حنظلة بن الربيع بن صيفى ابن أخى الكتم ابن صيفى الأسدى .

مؤلفات الإمام البخاري

وللامام البخارى ، غير الجامع الصحيح مؤلفات . فى تاريخ الرجال وأحوالهم .

ومؤلفاته هى خير دليل على سعة أفقه وأمانته ومقدرته فى معرفة أحوال الرواة وتقدمه على غيره فى هذا الشأن .

ومن مؤلفاته التى تعتبر خير شاهد يؤكد الثقة بصحة جامعه الصحيح والثقة فى كل مروياته .

« التاريخ الكبير » :

وهو بحق على حد تعبير طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ « تأليف الحافظ الناقد شيخ الاسلام جبل الحفظ وامام الدنيا أبى عبد الله البخارى » . رواية أبى الحسن محمد بن سهل بن كردى البصرى عنه .

ورواية أبى أحمد عبد الوهاب بن محمد موسى الغندجانى عنه .

ورواية الشيخ الجليل أبى الحسين عبد الحق ابن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد ابن يوسف عنه .

وقد حاول فيه استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم الى طبقة شيوخه ، والكتاب ثمانية أجزاء فى أربعة مجلدات ضخمة — رتبه على حروف المعجم وبدأه بالمحمدين تكريما لاسم الرسول — صلى الله عليه وسلم — ووفق الى حسن المطلع فباركه باسم الرسول — صلى الله عليه وسلم — ونسبه .

وقد جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء فى الباب الواحد على حروف المعجم وراعنى هذا فى الحرف الأول من أسماء الآباء أيضا ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر باب ابراهيم ثم باب اسماعيل ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم هكذا .

ويذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه ، وقد يذكر حديثا له وقلما يذكر جرحا وتعديلا ويبين الصحابى بالتنبيه عليه .

« والتاريخ الكبير » يعطى صورة واضحة عن سعة علم البخارى ومعرفته بالرواه ويضفى الثقة الكاملة على كتابه الجامع الصحيح حيث ان أى ناقد لم يبلغ مبلغه فى معرفة القوم فكأنه شهد القوم على حد تعبير أستاذه اسحاق ابن راهويه .

ويعجب الباحث من قوة هذه الموهبة التى حباها الله للبخارى والروحانية المباركة التى

لفضيلة الاستاذ

الدكتور الحسينى هاشم

أمده الله بها حتى يعلم أن الله أفاضها عليه عند قبر صاحب الرسالة الروحانية النبى — صلى الله عليه وسلم — حيث ألفه حول المقام .

وقد ألف البخارى « التاريخ الكبير » فى مقتبل حياته قبل الجامع الصحيح .

يقول البخارى : فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ الكبير فى المدينة عند قبر النبى — صلى الله عليه وسلم — فى الليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول .

وقد قوبل « التاريخ الكبير » فى عصر البخارى من شيوخه ومن طبقتهم بالتقدير والاعجاب حتى ان شيخه الامام اسحاق بن راهويه لم يتمالك أن قام فدخل به على الأمير عبد الله ابن طاهر فقال أيها الأمير ألا أريك سحرا ؟

وقال الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف وكتب التواريخ والرجال جمعت بين الثقات والضعفاء وهى كثيرة وفيها أحوال كثيرة من الوضاعين ومنها كتاب « التاريخ الكبير » للبخارى وقد ذكر به أسماء رواة الحديث من عصر الصحابة الى زمنه وفيه نحو من أربعين ألفا ما بين ثقة وضعيف ورجل وامرأة .

وقال التاج السبكى : انه لم يسبق اليه وكل من ألف بعده فى التاريخ والأسماء والكنى فعيال عليه وقد جمع الحاكم من ظهر جرحه ممن ذكرهم فكانوا نحوا من (١٢٦) رجلا .

ويصور لنا أبو أحمد الحاكم الكبير مدى أثر التاريخ فيما ألف من كتب ضخمة ذخرت بها المكتبات الاسلامية مثل كتب أبى زرعة وابن أبى حاتم ومسلم بن الحجاج والغسانى وغيرهم وقد حمل البخارى لواء نهضة تاريخ الرواة كما حمل لواء نهضة تدوين الحديث بحق فى العصر الثالث العصر الذهبى والبخارى باعث نهضته فى تاريخ الرجال وتدوين الحديث .

يقول الحاكم : وكتاب محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن ألف بعده شيئا فى التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنه فمنه من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعة وأبى حاتم ومسلم ومنهم من حكاه عنه فالله يرحمه فانه هو الذى أصل الأصول .

وفى تذكرة الحفاظ على ما فى مقدمة المعلمى لتقدمة الجرح والتعديل عن أبى أحمد الحاكم الكبير أنه ورد الرى فسمعهم يقرأون على ابن أبى حاتم كتاب « الجرح والتعديل » .

قال : « فقلت لابن عبدويه الوراق هذه

مؤلفات الإمام البخاري

ضحكة أراكم تقرأون كتاب التاريخ للبخـارى على شيخكم وقد نسبتموه الى أبى زرعه وأبى حاتم فقال يا أبا أحمد ان أبا زرعة وأبا حاتم لما حمل اليهما تاريخ البخـارى قالا هـذا علم لا يستغنى عنه ولا يحسن بنـا أن نـذكره عن غيرنا فاتعدا .

وعبد الرحمن يسألهما عن رجل بعد رجـل وزادا فيه ونقصا » .

وعلق المعلمى بقوله : لا ريب ان ابن أبى حاتم هذا فى الغالب حذا حذو البخـارى فى الترتيب وسياق كثير من التراجم وغـير ذلك لكن هـذا لا يغض من تلك المزية العظمى وهى التصريح بنصوص الجرح والتعديل ومعها زيادة تراجم كثيرة .

وحـاول أن يبرز قيمـة كتـاب « الجـرح والتعديل » وشخصية صاحبه فيه بأنه تكميـل وبه زيادات ونقص وهـو كتاب رائـع وعظيم لا شك فى ذلك .

ولست أنقص من قيمـة كتـاب « الجـرح والتعديل » بل كلما زادت قيمة كتاب « الجرح والتعديل » ازدادت النظـرة التقـديرية الى أصله كتاب التاريخ الكبير للبخارى .

وقد بين الأستاذ المعلمى فى تحليـل رائـع ما يؤيد ذلك وبين عذر ابن أبى حاتم فى عـدم ذكر آراء البخارى .

كما بين أن علم والده انما يرجع الى عـلم التاريخ الكبـير قال « حرص ابن أبى حـاتم بارشاد ذينك الامامين (أبى زرعة ووالده محمد ابن ادريس) على استيعاب نصوص أئمة الفن فى الحكم على الرواة بتعديل أو جرح وقد جعل فى يده ابتداء نصوص ثلاثة من الأئمة وهم أبوه وأبو زرعة والبخارى ، أما أبوه وأبو زرعة فكان يسائلهما فى أغلب التراجم التى أثبتها فى كتابه ويكتب جوابهما وأما نصـوص البخارى فانـه استغنى عنها بموافقة أبيه للبخـارى فى غالب تلك الأحكام » .

« ومعنى ذلك أن أبا حـاتم كان يقف عـلى ما حكم به البخارى فـيراه صـوابا فى الغالب فيوافقه عليه فينقل عبد الرحمن كلام أبيه » .

ثم بين الأستاذ المعلمى أيضا السبب المباشر فى عدم ذكر البخارى ونسـبة أحكامه اليـه « ويمكن أن تعتبره سببا شخصيا أو سياسيا ».

فقال « وكان محمد بن يحيى الذهلى قد كتب اليهم فيما جرى للبخارى فى مسألة القرآن على حسب ما يقوله الناس على البخارى كما ذكره ابن أبى حاتم فى ترجمة البخارى فى كتابه فكأن هذا هو المانع لابن أبى حاتم من نسـبة أحكام البخارى اليه . فعلى كل حال فالمقصود حاصل.

رحم الله مؤصل الأصـول الامام البخارى ورحم الله من اقتفى أثره فقدم للاسلام خيرا .

« والتاريخ الكبير » طبع بمطبعة حيدر أباد الدكن بالهنـد طبعته جمعيـة دائرة المعـارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ ــ ١٣٦٢ هـ فى أربعـة مجلدات ضخمة جيدة على ورق جيد .

د . الحسينى هاشم

عطاء الإسلام

قوة الشخصية الإسلامية
فى عصر القلق

المؤمن الحق

قوة الشخصية الإسلامية

فى عصر القلق

للـواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

يصف الباحثون فى العلوم الانسانية وعلم النفس على وجه خاص عصرنا الذى نعيش فيه بأنه « عصر القلق » ، ذلك لأنه عصر تعددت فيه وتنوعت عوامل اثارة القلق . من صراعات وحروب وأزمات سياسية واقتصادية وتقدم مذهل ورهيب فى أسلحة الدمار .

ولقد أدى ذلك الى انتشار « الاضطرابات النفسية » التى سيطرت على كثير من مظاهر السلوك ، فضجت المجتمعات بالشكوى من اضطراب العلاقات الانسانية واضطراب العمل وقلة الانتاج وضعف الاقبال على الحياة وفقد الحماسة والايجابية والتوازن النفسى وشيوع اللامبالاة واليأس وعدم الاحساس بالأمن الى غير ذلك مما يعصف بحياة الناس وطمأنينتهم وراحتهم النفسية، ويعوق حركة الأمم نحو البناء والنهضة والتقدم .

من أجل ذلك اتجهت جهود العلماء والباحثين والقادة نحو البحث عن طرق وقاية المجتمعات من هذه الأخطار من خلال العناية بصحة الأفراد النفسية وبناء نفسياتهم بناء سليما ، وظهرت أهمية مايسمى «بعلم الصحة النفسية» الذى يرشد الى الأساليب الوقائية والعلاجية من عوامل الاضطراب النفسى لتحقيق التوازن النفسى والسعادة للأفراد والجماعات .

وعلم الصحة النفسية هو « علم التكيف أو التوافق النفسى الذى يهدف الى تماسك الشخصية ووحدتها ، وتقبل الفرد لذاته ، وتقبل الآخرين له ، بحيث يترتب على هذا كله شعوره بالسعادة والراحة النفسية » (١).

ومعنى ذلك أن الصحة النفسية تعنى : قدرة الفرد على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، وهذا التوافق يؤدى الى التمتع بحياة خالية من الاضطرابات ، مليئة بالحماسة ، ويتسم الفرد وفقا لهذا المفهوم بالرضا عن الذات أى (رضا الفرد عن نفسه)

١ ـ د. مصطفى فهمى ـ الانسان وصحته النفسية ص ١٨.

ولا يبدو من سلوكه ما يدل على عدم التوافق الاجتماعى ، فلا يأتى سلوكا اجتماعيا شاذا ، بل يكون سلوكه مقبولا ومعقولا ويدل على اتزانه الانفعالى والعاطفى والعقلى فى مختلف المجالات وتحت تأثير جميع الظروف ٠

والشخص الذى هذا نمطه ، يعتبر فى نظر علم الصحة النفسية « شخصا سويا » ، أو ذا « شخصية سوية » ، ويتمتع بالصحة النفسية٠

وأهم ما تتميز به الشخصية السوية ، القدرة على التحكم فى الذات ، وتحمل المسئولية وتقديرها ، والتعاون البناء ، والقدرة على مواجهة المخاوف والقلق وأشكال الصراع المختلفة ، والتمتع باحترام الذات ، والقدرة على جذب الآخرين ، والحصول على حبهم وتقديرهم ، والمرونة فى مواجهة الواقع ، وعناية الانسان بغيره من أبناء المجتمع ، والقدرة على اتخاذ أهداف تتناسب مع قدرته على تحقيقها ٠

منهج الاسلام هو الطريق الأمثل :

ومهما أجهد العلماء والباحثون أنفسهم فى الدراسة والبحث ، فلا يتسامى ما يقررون من مبادىء ونظم الى منهج الاسلام فى بناء شخصية المسلم ، فهو الطريق الأمثل لبناء الانسان صحيح العقل والنفس والجسم ... وأبلغ دليل على قصور المناهج الموضوعية فى هذا المجال انتشار الاضطرابات النفسية فى المجتمعات الغربية برغم توفر كل أسباب الرفاهية واشباع الحاجات التى كانوا يظنون أن فيها سعادة الأفراد والجماعات ٠ فلقد ظهر من احصاء قريب (١) باحدى الدول الغربية أن أكثر من ستة بالمائة من السكان يعانون نوعا من سوء التوافق (٢) ، وأن واحدا من كل عشرة من السكان يحتاج الى معونة الطبيب النفسى ان عاجلا أو آجلا ، وأن واحدا من كل ثمانية عشر شخصا ينفق بعض الوقت فى مصحة عقلية ، وأن عدد من يدخلون هذه المصحات كل عام يساوى عدد من يتخرجون فى الجامعات ، وأن المصابين بأمراض عقلية — اى بالجنون — يشغلون من أسرة المصحات اكثر مما يشغله جميع المرضى بكافة الأمراض الأخرى ، وأن نصف من يترددون على أطباء البدن لعلل جسمية يعانون فى الواقع من اضطرابات نفسية انفعالية ٠

١ — عقيدة التوحيد :

ان الاسلام اذا خالطت بشاشته القلوب ، يشيع فيها الطمأنينة والثبات والاتزان الانفعالى والعاطفى والعقلى ، ويقيها من القلق والخوف والاضطرابات كما يفهم من قوله تعالى :

— « **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ** » (ابراهيم ٢٧)٠

— « **فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** » (البقرة ٣٨) ٠

---

١ — د. مصطفى فهمى — الانسان وصحته النفسية ص ٨ ٠

٢ — يكون الفرد (حسن التكيف او التوافق اذا تمكن من أن يعيش حياة سعيدة ناجحة ، فان عجز عن ذلك بالرغم مما يبذله من جهود للتكيف قيل انه « سىء التكييف او التوافق » ٠

ـ « وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » (الاسراء ٨٢) .

ومن منطلق العقيدة الصحيحة ، وفى ضوء التوحيد ، يتجه مسار شخصية المسلم اتجاها واحدا مستقيما هو « اسلام الوجه لله » ، ويكون ذلك فى العقيدة بالايمان بوحدانية الله، ويكون فى الأخلاق بأن يتخلق الانسان بالأخلاق التى أمر الله بها ، وقد فسر الله سبحانه معنى « أسلام الوجه لله » حينما وضع ذروته ممثلة فى شخص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليسترشد أتباعه اذ يقول :

« قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَاشَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » (الانعام ١٦٢ ـ ١٦٣) .

٢ ـ دوام الصلة بالله :

ويربى الاسلام شخصية المسلم على دوام الصلة بالله حتى يدوم له الأمن والطمأنينة وذلك منذ بداية نشأته وفى المراحل الأولى من عمره ، ومن ذلك مثلا وصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعبد الله بن عباس ـ وقد أردفه خلفه وهو صبى ـ :

« ياغلام ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف الى الله فى الرخاء ، يعرفك فى الشدة ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك ، لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك ، لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك » (١) .

٣ ـ الصبر والشكر :

ومن شيم المؤمن ومن أسباب الطمأنينة والخير له ، الصبر عند البلاء ، والشكر فى السراء ، وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

ـ « وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » (البقرة ١٧٧) .

ـ « وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ » (النمل ٤٠) .

ـ « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » (ابراهيم ٧) .

وعن صهيب بن سنان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » (رواه مسلم) .

وسأل عليه الصلاة والسلام جماعة من أصحابه : أمؤمنون أنتم ؟ فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : نعم يارسول الله .. فقال : فما علامة ايمانكم ؟ .. فقال : نشكر على الرخاء ، ونصبر على البلاء ، ونرضى بالقضاء .. فقال : مؤمنون ورب الكعبة .

---

١ ـ الحديث فى سنن الترمذى فى كتاب القيامة.

٤ ــ المرونة فى مواجهة الواقع :

ويوجه الاسلام الانسان الى المرونة فى مواجهته الواقع ويقيه من القلق والحزن اذا لم تتحقق له بعض حاجاته فى الحياة ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى : « **وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** » (البقرة ٢١٦) .

والانسان وحده قد يكون ضعيفا لايقوى على تيار الحياة وصعوباتها وقد تنتابه الانفعالات المختلفة التى تؤثر على صحته الجسمية والنفسية ، ولذلك ينصحه القرآن بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، والمسلم بهذا مستقل عن القيم الزائفة فى مجتمعه لأنه يؤمن بالقيم التى أقرها الاسلام .. ويقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

وأعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

٥ ــ روابط الحب والتراحم :

ويقيم الاسلام الصلة بين المسلمين على الحب والمودة والتراحم ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

ــ « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر** » (مسلم ــ البر والصلة) .

ــ « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » (البخارى ــ كتاب المظالم) .

ــ « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » (البخارى ــ كتاب الايمان) .

٦ ــ التسامح والعفو :

والحياة بين المسلمين حياة تعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، والطريق الذى يزيد المودة بينهم ويبعد البغضاء هو التسامح وكظم الغيظ والعفو عن الناس ، فهذه الفضائل دليل قوة النفس وتقوى الله .. يقول الله تعالى :

ــ « **وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ** » (فصلت ٣٤) .

ــ « **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** » (آل عمران ١٣٣ ــ ١٣٤) .

٧ ــ الزهد والقناعة :

وتطلع الانسان الى ما فى يد غيره ، وتطلعه الى أهداف فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية يجعله دائم الضيق والألم ، وقد يدفعه ذلك الى الانحراف لكى يصل الى مثل ما وصل اليه غيره .. والقرآن يعالج هذه الناحية ، فيطلب من المسلم القناعة:

« **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ** » ، فاذا أراد شيئا فليسأل الله

قوة الشخصية الإسلامية فى عصر القلق

من فضله ، فان أعطاه شكر ، وان لم يعطه صبر ، وله الثواب فى الحالين ، ومع ذلك فقد يدَون ما فى يد غيره مقصودا به الفتنة ولقد عافاه الله منها :

« وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ » (طه ١٣١) ، فتستريح نفسه ويشكر الله الذى عافاه من هذا الابتلاء ويبعد نفسه بذلك عن كثير من الاضطرابات النفسية وهو بهذا يستعلى عن المغريات ولو كان فى حاجة اليها ويتوج هذا كله بأن يطلب المسلم من الله أن يصفى قلبه وألا يجعل فى قلوبنا **« غلا للذين آمنوا »**

٨ ـ التفاؤل الدائم :

ويطلب الله جل شأنه من المسلمين أن يكونوا متفائلين دائما وأن يبعدوا اليأس عنهم ، فان المؤمن متفائل دائما :

« وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (يوسف ٨٧) .

ويطمئنهم سبحانه بأنه معهم دائما اذا سألوه فانه قريب منهم يجيبهم اذا دعوه : **« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ »** (البقرة ١٨٦) .

وهذا نهاية الطمأنينة والأمن الذى يحتاجه الانسان .

وأخيرا وليس آخرا فان الاسلام ينفرد بقاعدة فى بناء الانسان وبناء شخصيته وهى أن بلوغ المسلم « سن التكليف » ياتى فى مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعى الذى تقرره النظم الوضعية ، وينطوى ذلك على معنى عظيم وعميق هو أن يخرج المسلم الى الحياة يحمل رصيدا مناسبا من الأسس النفسية السليمة التى تقيمها التربية الاسلامية منذ مرحلة الطفولة كالصلة القوية بالله ، ويقظة الضمير ، وتوافق الانسان مع نفسه ، والقدرة على التحكم فى الذات ، والسيطرة على نزعاته وغرائزه ، الى غير ذلك مما يهيىء له أسباب الصحة النفسية والعقلية والجسدية ولقد امتحن المؤمنون ، فكانوا بإيمانهم أقوى من الأحداث التى واجهتهم كما يقول الله تعالى :

« فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » (آل عمران ١٤٦) .

لواء أ . ح / محمد جمال الدين محفوظ

المؤمن الحق

للأستاذ أحمد على منصور

ان المؤمن الحق — هو الذى يؤمن بالله عز وجل ، ويعلم علم اليقين أنه تعالى متصف بكل كمال يليق بذاته العلية ، جلت حكمته ، وأنه منزه عن كل نقص لايتمشى مع قدرته وعظمته ، وتدبيره وحكمته ، وأنه يجوز فى حقه جل جلاله فعل الممكن وتركه ، فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ويسعد أقواما ويشقى آخرين ، ولايسأل عما يفعل وهم يسألون •

ويؤمن بملائكة الله الكرام ، الذين اصطفاهم لطاعته ، واختارهم لعبادته ، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يضعفون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، وهم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله الواحد القهار ، ورئيسهم أمين الوحى جبريل عليه السلام ، والسفير بالوحى بين الله العلى العظيم ، والمصطفين الاخيار من الانبياء والمرسلين، صلوات اللهوسلامه عليهم وعلى آلهموأصحابهم أجمعين ،

ومنهم ميكائيل واسرافيل وعزرائيل ملك الموت ، ورضوان خازن الجنة ، ومالك خازن النار ، ورقيب ملك الحسنات ، وعتيد ملك السيئات ، ومنكر ونكير ، الموكلان بسؤال الموتى فى القبور • ويؤمن بكتب الله المنزلة منه عز علاه ، على النبيين والمرسلين ، لهداية البشر ، ويعلم منها الأربعة التى صرح القرآن العظيم بها ، وهى زبور داود ، وتوراة موسى ، وانجيل عيسى ، وقرآن خاتم الأنبياء وامام المرسلين، عليهم وعلى آلهم وأصحابهم أفضل الصلوات وأتم التسليم •

ويؤمن برسل الله من لدن آدم ، الى سيدنا ومولانا محمد ، عليهم الصلاة والسلام ، ويعتقد اعتقادا قويا أنهم كثيرون ، لايعلم عددهم الا الله أحكم الحاكمين ، وقد قال بالآية الثامنة والسبعين من سورة غافر : (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ ، مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ**

أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) فقبل سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أرسل الله تعالى رسلا كثيرين الى أممهم ، مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيى عن بينة ، وان الله لسميع عليم ، ومن هؤلاء الرسل من أنبأ الله نبينا الكريم بأنبائهم ، ومنهم من طوى ذكر أخبارهم عنه ، لسر عظيم هو بالغه ، وذهب فريق من العلماء الى أن الله عز وجل بعث ثمانية آلاف نبى ، أربعة آلاف من بنى اسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس ، ولما اقترح كفار قريش على خاتم النبيين أن يأتيهم بالآيات عنادا ، وحسدا من عند أنفسهم ، من بعد ماتبين لهم أن ماجاءهم به هو الحق ، أعلمهم الله فى هذه الآية الكريمة ، بأنه أرسل للأمم جميعهم تفضلا وكرما ، كثيرا من الرسل لهداية الناس فى كل زمان ومكان ، وما كان لواحد من هؤلاء المصطفين الأخيار ، أن يأتى بآية الا باذن الله ، فمن أين للهادى البشير النذير ، أن يأتى بآية مما يقترحونه عليه ، الا أن يشاء الله العلى القدير ، ويأذن فى الاتيان بها ؟ واذا جاء يوم الحساب فاز المؤمنون ، وخسر هنالك المبطلون المعاندون ، الذين اقترحوا الآيات عنادا ، وفى هذا وعيد لهم ، ولكل من دار فى فلكهم ، وفعل مثل أفعالهم .

ويجب على كل مكلف أن يعرف أسماء خمسة وعشرين نبيا ورسولا ، وردت فى القرآن العظيم منهم ثمانية عشر ، وردت بسورة الأنعام الشريفة من الآية الثالثة والثمانين ، الى الآية السادسة والثمانين ، وفيها يقول الله جلت حكمته : « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، كُلاًّ هَدَيْنَا ، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ، وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ، وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ، وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) والأسماء السبعة المكملة للخمسة والعشرين هى :

ادريس وهود وشعيب ، وصالح وذو الكفل وآدم ، والمصطفى الصادق الأمين ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى آلهم وأصحابهم والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، وفى هذا يقول علماء التوحيد والعقائد :

حتم على كل ذى التكليف معرفة
بأنبياء على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا منهم ثمانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
ادريس هود شعيب صالح وكذا
ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

وعلى المؤمن الحق أن يعتقد أن هؤلاء الأنبياء والمرسلين ، يجب لهم كل كمال بشرى ويستحيل عليهم كل نقص بشرى ، فيجب لهم الصدق والأمانة ، والتبليغ والفطانة ، ويستحيل عليهم أضداد ذلك ، من الكذب والخيانة والكتمان

والبلادة ، ويجوز فى حقهم مايجوز فى حق سائر الناس ، ممـا لايؤدى الى نقص فى مراتبهـم العلية ، أو ينفر الناس منهم ، ويؤمن باليـوم الآخـر وما يكون فيـه مـن الحشر والنشر ، الصراط والميـزان والحوض ، والشـفاعة والثواب والعقاب والجنة والنار ، ونحوها مـن السمعيات التى ثبتت بالنصوص القطعية ، من القرآن العظيم والسنة النبوية ، ويؤمن فضـلا عن ذلك بالقضاء والقدر ، خيرهما وشرهمـا ، حلوهما ومرهما •

ويعمل بأركان الاسلام الخمسـة ، مـن الشهادتين ، واقام الصـلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحـرام ، ان استطاع الى ذلك سبيلا ، ويحسن معاملته مع الخالق والمخلوق ، ويحب للناس مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لها ، ويكون اللـه ورسـوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء حبـا مجردا عن الهوى والغرض ، بأن يحبه لوجـه الله الكريم ، وأن يكره أن يعود الى الكفر بعـد أن ذاق حلاوة الايمان ، كما يكره أن يقذف به فى النار ، وأن يؤدى واجبه بلا نقص منه ، وأن يأخذ حقه بلا زيادة عليه ، وأن ينأى بجانبه عن الظلم والأذى ، والمعاصى والسيئات ، واذا ذكر الله عز وجل امتلأ قلبه خشية منه ، واذا تليت عليه آياته زادته ايمـانا على ايمـانه ، وتأدب بآدابها ، وعمـل بأحكامها ، وفوض الى مولاه جميع أموره ، وتوكل عليه فى كـل شـئونه ، ويجعل فى ماله حقا معلوما للسائل والمحـروم ، فيمسح دمعة الباكى ، ويواسى المحتاج ، ويعطف على الفقير والمسكين ، ويرحم اليتامى والأرامل

المؤمن الحق

والبائسين ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولايغتر بالحياة الدنيا وزينتها ، واذا أصبح فلا ينتظر المساء ، واذا أمسى فلا ينتظر الصباح ويعتبر نفسه فى هذه الدار الفانية غريبا أو عابر سبيل ، ويتزود منها بخير الزاد ، ليوم الحساب والمعاد ، فيأخذ من حياته لموته ، ومن صحته لمرضه ، ومن غناه لفقره ، ومن فراغه لشغله، ومن دنياه لآخرته ، ويضع نصب عينيه أن الحياة وان طالت قصيرة ، وأن الآخرة وان بعدت قريبة ، وأننا جميعا الى الله صائرون ، ولكأس المنية شاربون ، ولأولادنا وأهلنا وأقاربنا مفارقون ، وعن الدنيا راحلون ، ونحو الآخرة مقبلون وبين يدى ربنا تبارك وتعالى واقفون ، وعلى ماقدمنا فى حياتنا محاسبون ، أمام محكمة العدل الالهية والقاضى فيها رب العالمين ، يوم تشهد على الناس ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ، بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، ويعلمون أن الله هو الحق المبين ، وفى هذا يقول بالآية السابعة والأربعين ، من سورة الأنبياء وهو أصدق القائلين : **(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)** .

والمؤمن الكامل الايمان هو الذى يتواصى مع غيره بالحق ، والأمر الثابت الذى لايسوغ انكاره ، وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته ، والمسارعة الى الخيرات ، والبعد عن السيئات ، ويتواصى مع سواه بالصبر عن المعاصى وعلى الطاعات ، وما يبلو به الله عباده على مر الأيام وتوالى السنين . وهؤلاء المؤمنون الكاملون فى ايمانهم سبقت لهم من ربهم الحسنى ، والسعادة فى الدارين أو البشرى بالثواب ، أو التوفيق للطاعة ، ونالوا من مولاهم العناية فى البداية ، وتحققت لهم الولايه فى النهاية ، وهم فى الآخرة عن النار مبعدون لايسمعون حسيسها ، وصوتها الذى يحس وحركة تلهبها ، وهم فيما اشتهت أنفسهم من نعيم الجنان خالدون ، لايحزنهم الفزع الأكبر .

يوم الدين ، وتستقبلهم الملائكة على أبواب الجنان مهنئين ، ويقولون لهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون ، وسلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، ولهم فيها مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من الناس أجمعين .

وبالآيات الثانية والثالثة والرابعة ، من سورة الأنفال العزيزة ، يقول مولانا تبارك وتعالى فى وصف المؤمنين الكاملين فى ايمانهم : **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ، وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)** .

وفى هذه الآيات الثلاث الكريمة ، التصريح

بأن المؤمنين الكاملين فى ايمانهم ، هم الذين اذا ذكر الله تبارك اسمه ، ولا اله غيره ، امتــلأت بالخوف أفئدتهم ، وفزعت لذكره عــز شأنه ، استعظاما له ، وتهيبا من جلاله ، واشفاقا من عظمته وسلطانه ، واذا قرئت عليهم الآيـــات القرآنية زادتهم ايمانا ، وطمأنينة ويقينـــا ، وانصرفوا خاشعين خاضعين الى العمل بأحكامها والتأدب بآدابها ، وفوضوا أمورهم الى اللــه لايخشون ولايرجون الا اياه ، واعتمدوا عليــه فى جميــع شئونهم ، واســتعانوا به ســبحانه وتعالى فى كل أحوالهم ، وعلمــوا علم اليقين أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوهم بشىء ، لن ينفعوهم الا بشىء قد كتبه السميع العليم لهم ، وان اجتمعوا على أن يضروهم بشىء لن يضروهم الا بشى قد كتبه العلى العظيم عليهم ولقــــد جمعوا بين أعمال القلوب ، من الوجل والاخلاص والتوكــل على الله ، وبين أعمــال الجــوارح والاعضاء من اقام الصلاة، باسباغ وضوئها ، والاتيان بأقوالها وأفعالها تامة كاملة ، فى أروع صورها ، وحافظوا عليها فى أوقاتها ، ولم تلههم تجارة ولا بيع عنها ، وأكثروا من السعى بالغدو والآصال ، وتحت جنح الليل الى بيوت الرحمن التى أذن أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه ، يرجون رحمته ، ويخشون عذابه ، ويحمدونه لأنه رب العالمين ، ويثنون عليــه لأنه الرحمن الرحيم ، ويمجدونه لأنـــه مالك يوم الدين ، ويخصــونه وحده بالعبادة ، ويطلبون منه وحده الاستعانة ، ويرفعون اليه أكف الضراعة والابتهــال ، أن يهديهم الصراط المستقيم ، ويثبتهم على المنهاج الواضح القويم ، فيعملوا بأحكام الاســلام العظيم ، الذى جاء لسعادة البشرية فى العــاجل

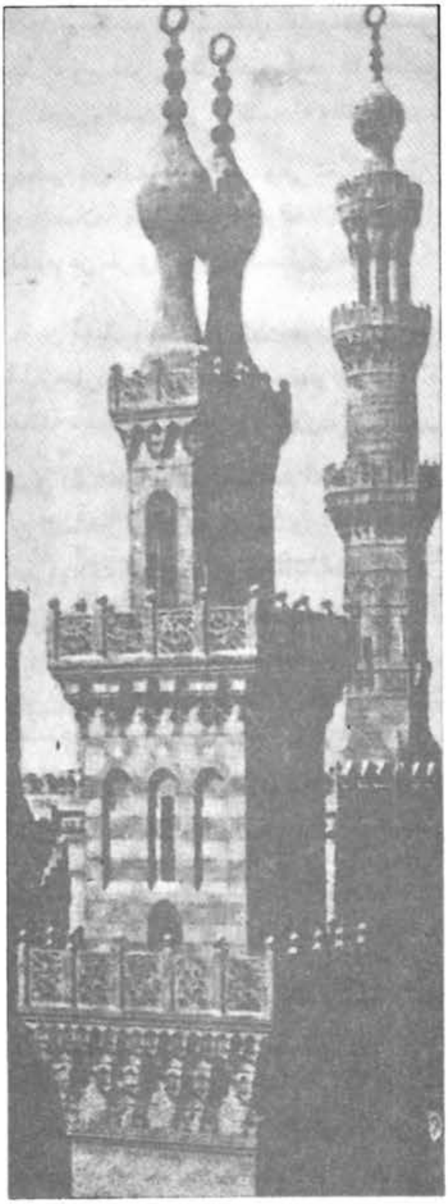

المؤمن الحق

والآجل ويوفقهم فى المستقبل كما وفقهم فـى الحال ، ويسلكوا سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ،

ويجمعوا بين النعمة المطلقة ، وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال ، وينأوا بجانبهم عن طريق اليهود والنصارى ٠

ومن أعمال الجوارح والأعضاء التى اتصف بها المؤمنون الكاملون ، مع اقامتهم للصـلاة الصدقة ، فهم مما رزقناهم ينفقون ، ولاينسون

حقوق المستحقين ، فيما أعطاهم أحكم الحاكمين وان المتصفين بذلك هم المؤمنـون ايمانا حقا ، ولهم درجات عند ربهم ، ومراتب بعضها فـوق بعض على قدر أعمالهم ، ولهم مغفرة وتجاوز لسيئاتهم ، ورزق كريم ، صاف عن كد وتعب الاكتساب ، وخوف وترقب الحساب ٠

قال رجل للحسن البصرى رحمـه اللـه : أمؤمن أنت ؟ فقال الحسن ٠٠ ان كنت تسألنى

عن الايمان بالله وملائكته ، وكتبـه ورسـله واليوم الآخر ، والبعث والحساب والجنة والنار

فأنا مؤمن ، وان كنت تسألنى عما وصف اللـه تعالى به عباده المؤمنين الكاملين ، فى قوله عـز

وجل بسورة الأنفال : (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**) الآيات ، فـلا أدرى أنا منهم أم لا ؟

وكان قتادة رحمه الله اذا سئل أمؤمن أنت ؟ يستثنى فى الجواب ويقول أنا مؤمن ان شـاء الله ، وكره ذلك بعض العلماء ، وقيل لقتادة :

لم تستثنى فى ايمانك ؟ فقال اتباعا للخليـل ابراهيم عليه السلام فى قوله : (**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**) فقال له : هلا اقتديت به فى قوله : (**أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**) ؟ ٠

وعن ابراهيم التيمى رحمه الله : قل أنـا مؤمن حقا ، فان صدقت أثبت عليه ، وان كذبت فبعدك عن رياض الايمان أشد من كذبك ٠ وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا ٠

اللهم اجعلنا من المؤمنين حقـا ، ولا تكلنـا الى انفسنا طرفة عين ولا اقل من ذلك ، وأنت أنت الله السميع القريب المجيب ٠

« احمد على منصـور »

مع الشعر

أجل إنها أحلام

جيلى عبد الرحمن فى ديوانه

الوطنية والعروبة فى شعر محرم

من ذكريات الريف

للدكتور : حسن جاد

على شاطىء جدول صغير ينساب فى رقة بين أحضان المزارع فى الريف تنهض خميلة من الاشجار الباسقة ما تزال قائمة حتى الآن اتخذت ظلها محرابا للشعر ، ومهبطا لالهامه ، وذلك منذ ريعان الصبا فى أول عهدى بنظم الشعر حيث قلت هذه القصيدة قبل أن أبلغ سن العشرين ٠

خميلةَ الشِّعْر كم حرَّكْتِ أوتارِى ... للشَّدْوِ فيكِ وكم أَلْهَمْتِ أفكارِى
يامَبْعَثَ الروح فى الأبدان هامدةً ... ومهبِطَ الوحى من آيات أَشْعَارى
حَيَّيْتُ فيكِ مكاناكم نظمتُ به ... لآلِىءَ الشِّعْرِ فوق الْجَدْوَلِ الجارى
من كلِّ عصماء من نجواك رائعةٍ ... عَذْرَاءَ تَخْتَالُ فى وَشْىٍ وَأَنْوَار
ساجَلْتُ طَيْرَك فيها شاكيا غرِدًا ... كاننى طائر مابَيْنَ أَطْيَارِ
بَكَتْ أَلِيفًا عن الوكْرِ الجميل نأى ... فَرُحْتُ أبكى أَلِيفًا نائِىَ الدَّار
والبذْرُ يُشْرِقُ أَحْيَانًا فيؤنسُنِى ... وتارة يتوارى خَلْفَ أستارِ
والأرضُ مجلوّة الآفاق وادعةٌ ... تبْدى المزارعُ فيها قُدْرَةَ البارى
والكوْن حوْلك قد سار السكونُ به ... عدا نسيمٍ رقيق النفْح مِعْطار
والكوْن مَعْبَدُ رُوحِى فى محاريِهِ ... أُسَبِّح اللَّهَ فى صَمْتٍ وَإِسْرَار
خميلةَ الشِّعْرِ كَمْ منْ أنْعُمٍ عَظُمَتْ ... أَصُونُهَا لكِ فى حُبٍّ وَإِكْبَار
كَمْ عِشْتُ فى جَوِّك النشوانِ منفردًا ... مُطَهَّرَ النَّفْسِ من حِقْدٍ وَأَوْضَارِ
سئِمْتُ من مَعْشَرٍ بيضٍ ظواهرُهم ... لكن بواطنهم سوداءُ كالقارِ
وَجَدْتُ فيكِ ـ غناءً عن صداقتهم ... خِلًّا وَفِيًّا ، ومحرابًا لِأَفْكَارِى

الاستاذ : محمد عبد الرحمن صان الدين

أنا مازلت فى حكم الحياة … وراء الوهم أعدو فى فلاة
وفى فلك السراب قضيت عمرا … أجدف فى بحار ما ثجات
وقد وهنت قوى جسمي وكلت … وأنفاسى غدت متلاحقات
ولم تحصد سوى الأضغاث كفى … كمحتطب الليالى الداجيات
أبهر فى كلال فى ملال … متى يارب أصحو من سباتى

***

تمر بى الحوادث والليالى … كأسراب الطيور الرائحات
أشيعها الى الماضى بعين … وعين ترتجى مخبوءآت
وفى قلبى رحيق مستلذ … وصاب من كئوس مترعات
وأعطى حاضرى فكرى وجهدى … لأجنى ينعه عند الغداة
كأنى قد ملكت الدهر وحدى … أصرفه كما أهوى لذاتى

***

حسبت الخلد والاسعاد فيما … يشيد من قصور باذخات
وفى السلطان ذى الجبروت يعنو … لسطوته الرهيبة كل عات
وفى زمر من الخلان تحظى … بلذات الحياة المشتهاة
حسبت المجد فى هذا وهذا … ولم أحفل بغير البارقات
ولكنى رأيت الكل يزوى … كما تزوى أزاهير النبات
ويذهب كل شىء فى أيادى … أعاصير الخريف العاصفات
فأين الجالسون على عروش … موطدة الدعائم راسيات
وأين المترفون على بساط … بأحضان النعيم الآمنات
وأين أماجد فى الناس كانوا … رياحين النفوس الكاسفات
لقد كانوا نياما واستفاقوا … الى أخرى على متن الوفاة
أقاموا برهة ومضوا تباعا … كأطياف تمر مجنحات
الى الأبد المحجب حيث حلوا … وغابوا عن عيون شاخصات
وانى لم أزل فى الحلم أحيا … متى يارب أصحو من سباتى

طلع البدر علينا

كتبت الطالبة « ريهام أحمد مصطفى حافظ » تحية الى : رسول الله ــ صلى الله عايه وسلم:

طلع البـدر علينا

طلـع البـدر علينـا
بالهنـا تأتى الينـا
مرحبا زيـن البـدور
فى ربيـع بالسرور

طلع البـدر علينا

فى ربيـع الأول
بالمعـالى ينجـلى
كان ميلاد الرسـول
فاتحـا بـاب القبـول

طلع البـدر علينا

عيـد أعيـاد الزمـان
بهجـة فى كـل آن
يتجلى كل عـام
بصلاة ٠٠وسلام

طلع البـدر علينا

كـان فى الدنيـا يتيما
ويـرى دوما رحيمـا
كـان فيضـا مشرقـا
وأمينـا صـادقا

طلع البـدر علينا

فامسـحوا دمـع اليتيم
واسـلكوا النهج القويم
كى تنـالوا حبـه
كى تكـونوا قـربه

طلع البـدر علينا

يـوم لا ينفـع مـال
دون تقولكـم ٠٠ محـال
تطمئنـوا ٠٠ فى حمـاه
أن تفـوزوا برضـاه

« بمدرسة عبد الله النديم/بمدينـة
نصر بالقاهرة » ٠٠

جيلى عبد الرحمن فى ديوانه

"قصائد من السودان"

للشاعرة : جليلة رضا

شاعران من السودان قصدا أرض مصر فضمتهما كأم فى زهو وفخر ومنحتهما حنانها الكبير وضمختهما بعبير أسرارها المقدسة : انهما جيلى عبد الرحمن وتاج السر حسن .

شاعران لايمكن أن نذكر احدهما دون ذكر الآخر . فقد عاشا فى مصر وأنتجا سويا ديوانهما الاول «قصائد من السودان» المطبوع عام ١٩٥٦ . ولست بصدد المقارنة بين الشاعرين فلكل منهما أسلوبه الخاص ومقدرته الفنية واتجاهاته .

أما جيلى عبد الرحمن فقد ولد عام ١٩٣١ فى جزيرة « صاى » ثم هاجر الى مصر فى سن التاسعة ليلحق بوالده الذى سبقه اليها سعيا وراء الرزق .

بدأ جيلى حياته الفنية شاعرا « رومانسيا » يكثر من الحنين الى وطنه ويردد الشكوى من الاغتراب .

ثم انتقل بعد ذلك الى الشعر الواقعى الهادف المتحرر ، واستطاع أن يسيطر على عاطفته الشخصية فلم يعد شعره قائما على مجرد الانفعال الثائر بل تخطاه الى التفكير المنظم والموسيقى الهادئة والتصوير الواضح الخالص من التهويل والترديد واتجه نحو التقطيعات الحرة والاستقامة الفكرية .

وعندما فهم الشاعر الواقعية فهما صحيحا بدأ شعره يحمل السهولة فى اللفظ والبساطة فى التعبير مع التصوير الجيد بل فى كثير من الأحيان كان تصويره مبدعا مجسدا بجعلنا نعيش فى أحداث ومرئيات القصيدة ونحس بكل اختلاجاتها الحسية .. وسوف أبدأ

بقصيدته « حارة زهرة الربيع » لأنها تتربع قمة الديوان فلنستمع اليه وهو يصف (حارته) :

حارتنا مخبوءة فى حى « عابدين »
تطاولت بيوتها كأنها قلاع
وسدت الأضواء عن أبنائها الجياع
للنور ·· والزهور والحياة
فاغرورقت فى شجوها وشوقها الحزين
وبابها العجوز ··

هكذا عاش الشاعر جيلى عبد الرحمن فى القاهرة فى قلب الحارة وامتزج بحياة أهلها ·

عاش مع البسطاء وعرف كيف يجوع الفقير ويشقى الأجير فصور كل ذلك بأسلوب صادق أمين وكأنك يأعزيزى القارىء دخلت الآن حارة الشاعر ورأيتها مخبوءة تعلو بيوتها القديمة وتسد الاضواء وهى تبكى الحرمان والحنين الى النور · لقد وصفها الشاعر وصفا دقيقا فى كلمات مجسدة ثم أراد بعد ذلك أن يدل القارىء على اسم هذه الحارة فى مرارة وسخرية : « وفوق عتمة الجدار · صفيحة مغروسة فى كومة الغبار تآكلت حروفها لكنها تضوع · « حارة ·· زهرة الربيع » ·

هذه الأبيات القليلة السابقة من أجمل ما قرأت لشاعر يصف الحى الذى يعيش فيه لقد قال فيها كل شىء ببساطة عميقة وكأنه لم يقل شيئا ·· ثم يعود الشاعر ليصف · الآن أبناء الحارة وأعمالهم ·

وفى البكور يخرج الرجال
أقدامهم منهوكة وصمتهم سعال
يدعون للاله فى ابتهال ·· يا اله
افتح لنا الأبواب ·· وسهل الأرزاق
وتختفى أقدامهم فى زحمة الحياة

وبعد أن يصف الباعة وضجيجهم وشتائم أهل الحارة يذهب بنا بعيدا نحو الاحلام الزائفة وأوهام بنات الحارة ··

وترسل البنات من نوافذ البيوت ·
اشذاء أغنيات تحن « للنيون » والعبير ·
فى عالم بعيد ·· وللعريس وهو فى ثيابه يميس ·
وتورق الالحان فى القلوب ··
فتنسج الكروم من أشعة النهار ··

ثم يأتى دور الاطفال الصغار ، وهم عصافير الحارة فنستمع الى أجمل وأحلى حوار يضم هؤلاء الاطفال الابرياء ·

« محمد » عيونه السهدية الصفاء
تخضل بالحنان ·· « وصابر » فى وجهه استدارة الريال ·

و « رفعت » بأنفه يدب كالمنقار ·
وأخته كالنور ياسمين ·· فى رجلها خلخال ·
« محمد » يحكى لهم فى لثغة العصفور ·
عن راكب الحصان فى الميدان ·· والماء من نافورة بيضاء ·
ينساب للسماء ·· والشجر المخضوضر الكثير ··
حارتنا يا اخوتى تمتد كالثعبان · ووالدى
هناك عبر شارع مسحور ·· بيوته قصور ··

يبيع فى ملابس النساء والرجال وصاحب الدكان .. « خواجة » دماؤه حمراء كالبطيخ فقالت الأطفال .. يا سلام ..

تصوير بديع كل الابداع حيث يصور الشاعر ياسمين تلك الطفلة الصغيرة التى هى مشروع أنثى تميل وتحن لمفاتن الحياة فتطلب

من محمد أن يرجو والده فيمنحها فستانا ثم تلقى عيونها على محمد فاذا به فى ثوب مهلهل قديم ، وينهى الشاعر قصيدته الرائعة بعودة

رجال الحارة الى بيوتهم كعادتهم كل مساء .. أقدامهم معروفة وصمتهم سعال ولكن الأطفال

مازالوا يحلمون براكب الحصان فى الميدان وبالشجر الاخضر والقصور المضيئة هذا هو

الشاعر جيلى عبد الرحمن الذى كان فى عمر الزهور حين كتب هذه القصيدة وغيرها فى

ديوانه « قصائد من السودان » وحقا .. ان السودان العظيم ، عظيم فى شعرائه الذين

ينضجون قبل الاوان ، انه يمنحهم أغلى هباته وأسماها ، فهو يبعث فيه رقة الشعور

وبعد النظر وبديع التصوير .. ففى قصيدته «الفجر فى القرية» يحكى لنا جيلى عبد الرحمن

عن قرية فيها ترامت الأكواخ فى حضن الظلمة:

« أكواخ راجفة جهمة .. نامت كى تصحو فى الفجر . ويطل الديك على دور تجثو فى اتليل المضفور .. وتهادت أنه طنبور وينام هناك على السطح .. « عم سعيد » والوجه القمحى الطيب حفنة نور .. وشعيرات كانت ترشح كالبللور .. عرق الأرض الساخن .. ودجاجات كانت تمشى وتنفقر فى الطين على حب .. ونباح مبحوح .. هو كلب الجيران الأجرب » .

ويفرغ الشاعر جيلى عبد الرحمن من وصف القرية فينتقل الى المدينة .. فالمدينة أيضا لها عنده ذكريات كبار وبها مايكفيها من اليأس والدمار .. فى قصيدة « شوارع المدينة »

شوارع المدينة المخضوبة البيوت بالدخان والزيوت .. نعيش فى أعماقها .. نعيش لا نموت .. ان المدينة عنده هى المصانع « والشغيلة » والحوارى الجرداء فى أحنائها الشقاء والحصير والظلام ، ولكنها أيضا الاضواء والقصور والرخام والجسور والناس فى الصقيع يحلمون بالربيع .

أما قصيدة « قطرات الصيف » ففيها تبدو انسانية جيلى عبد الرحمن حين يدعو شجرة الصفصاف قائلا :

ياظل الصفصاف أياحب .. مد فروعك واطرد كل غيوم الصيف وافرش هذا الشارع بالعشب ، واسق الحيطان من النور .. قل للغيمات أيا غيمات .. هذا زيف .
أن تمطرن ونحن نشم عبير الصيف .

وكان الشاعر رائعا مبدعا حين خط على الورق لصاحبته هذه الأبيات :

عيناك تشعان بقلبى الفرحه
والسمرة فى وجهك كالكرمه
كالطمى على النيل الشادى
عيناك كاشواق بلادى

بارك الله فيك أيها الشاعر الوفى لبلادك ..

الوطنية والعروبة

فى شعر محرم

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كانت عرائس الشعر قد طوفت بالهامها على ضفاف النيل السعيد • وأرسلت أولى نغماتها الشجية على لسان البارودى ومن بعده شوقى العظيم • فاخذت دولة الشعر تزهو وتشتد أركانها•

وفى العشرين من يناير عام ١٨٧٧ ضمت عرائس الشعر الى قيثارتها وترا جديدا •• واستقبلت مملكتها وافدا عزيزا اتخذته من أعوانها ومنحته الهامها •• ذلكم هو شاعرنا : أحمد محرم ••

ولم تكد شاعرية محرم تعلن عن نفسها حتى طار ذكره على الألسنة وهو لما يزل بعد فى ريق الصبا •• وشرخ الشباب •• ومقتبل العمر وغصت الصحف والمجلات بقصائده المبدعة •• يضرب بها فى كل فن •• ويجول فى كل ميدان •

ويتبوأ شاعرنا مكانه فى الصف الأول من شعراء عصره •

وقد عاش أحمد محرم فترة طويلة من حياته توالت فيها على مصر المحن وتتابعت الخطوب • فاتخذ من هذه الأحداث وقودا يؤرث به نار الحقد على الغاصبين •• ويحفز الهمم •• ويذكى روح الوطنية فى النفوس •• ويملأ بها الأسماع •

وأحب شاعرنا وطنه حبا عميقا ملك عليه نفسه وقلبه وروحه ووجدانه ودفعه هذا الحب الى التغنى بمصر وأمجادها •

فان يسألوا : ما حب مصر ؟ فانه
دمى وفؤادى والجوانح والصدر

لنفسى وفائى ان وفيت بعهدها
وبى لا بها أن خنت حرمتها الغدر

لفضيلة الدكتور

طه عبد الرحيم عبد البر

أخاف وأرجو وهى جهد مخافتى
ومرمى رجائى لاخفاء ولا نكر
بذلك آمنا فيا من يلومنا
لنا فى الهوى ايماننا ولك الكفر

ومن آثار ذلك الحب أن الشاعر أهدى ديوانه الذى طبع الجزء الأول منه عام ١٩٠٨ الى النيل على غير عادة الشعراء ومن ذلك قوله فى المقدمة :

« لقد جرى أكثر الكتاب والشعراء على أن يهدوا مؤلفاتهم الى من شاءوا من ذوى الثروة والجاه .. لكننى انصرفت بشعرى عن تلك المواقف .. وآثرت أن أهدى ديوانى الى النيل ذلك الأب الذى وهبنى نعمة الحياة ... » .

فيانيل أنت الهوى والحياة
وأنت الأمير وأنت الأب
ويانيل أنت الصديق الوفى
وأنت الأخ الأصدق الأطيب
وهبتك ملك القريض العتيد
وذلك أفضل ما يوهب

وشعره فى الوطنية تزجيه عاطفة جياشة .. وشعور صادق بحب الوطن . وتطلع وثاب الى مجده المرموق .. **ومن هنا أطلق على نفسه لقب « شاعر الوطن »** وذلك فى قصيدته التى يناجى فيها خزان أسوان ، والتى يقول فيها :

رويدك أن شخصك ملء عينى
وذكرك ما يزال على لسانى
أيشغل شاعر الوطن المفدى
سواك وأنت شغل بنى الزمان

وشعر الوطنية عند محرم تغذيه روافد ثرة . منها حبه لمصر . وقد دفعه هذا الحب الى أن يرفع عقيرته بالنداء .. ويهتف بأبناء أمته كى يستيقظوا من سباتهم .. ويهبوا من غفلتهم حتى يتبوءوا المكانة السامية : اللائقة بهم .. فما أضاع الشعوب الا نوم بنيها واستسلامهم لأعدائهم ، وفى ذلك يقول :

يا أمة خاط الكرى أجفانها
هبى فقد أودت بك الأحلام
هبى فما يحمى المحارم راقد
والمرء يظلم غافلا ويضام
هبى فما يغنى رقادك والعدا
حول الحمى مستيقظون قيام
شيئان يذهب بالشعوب كلاهما
نوم عن الأوطان واستسلام
الا يحن للراقدين قيام
فعليهم وعلى الديار سلام

ويضرب شاعرنا لقومه الأمثال .. ويقص عليهم قصص الشعوب المناضلة كى يجمعوا أمرهم .. ويرأبوا صدعهم ويقفوا صفا واحدا يسعى الى مجد الحياة .

سلنى بأدواء الشعوب فاننى
طب بأدواء الشعوب مجرب

ان الشعوب اذا استمر جثومها
جثم الردى من حولهـا يترقب
ليس الشقاء بزائل عن أمة
حتى يـزول تفـرق وتحـزب

ثم نراه فى قصيدة أخرى يعرب عن اشفاقه لما تتردى فيه مصر من اضطراب •• ويدعوأبناء مصر الى العمل الجاد قبل أن تندلع جـذوة الشر فلا يملكون اخمادها •

عنائى عـلى مصر المحبب نيلها
الى عنـاء الخائن العرض والدم
أفيقوا فهـذى جذوة الشر بينكم
تلظى والا تخمد اليوم تعظـم
وجدوا فان الهون أشأم صاحب
وان العـلا للكادح المتجشـم

ومن أجل مصر وحرصه على عزها ومجدهـا يتوجه الى الخديوى يزجى اليه النصـح •• ويدعوه الى العمل من أجل رفعـة شأنها حتى تحيط به قلوب الشعب وفى ذلك يقول :

أحب المـالكين الى الرعايـا
مليك ليس يألوها افتقـادا
تغلغل فى مـكان الحس منهـا
فكان السـمع فيها والفـؤادا

وحين يتنكر « عباس » للحركة الوطنيـة ويقف فى وجه زعمائها يقرعه أحمد محرم تقريعا شديدا •• ويلومه أشد اللوم وأقساه •

أضر النـاس ذو تاج تـولى
فما نفع البـلاد ولا أفـادا
وكان على الرعيـة شر راع
وأشـأم مالك فى الدهـر سادا
تبيت له الأريكـة فى عنـاء
تمـارس منـه أهوالا شـدادا
ويمسى مـلكه فى زى ثـكلى
كساها فقد واحدهـا الحدادا
حياة توسـع الأحيـاء عـارا
ونكر يملأ الدنيـا سـوادا

ونراه فى قصـيدة أخرى يهاجمه فى جـرأة وعنف •• ويعلن نقمته عليه •• ذلك لأن شاعرنا يحب مصر •• ويكلف بها •• فمن خانها أو قصر فى حقها فلا حرمة له عنـده •• ولا وزن له فى حسابه •• ولو كان سلطان مصر وحاكمها •

ولنستمع اليه مخاطبا الخديوى عبـاس فى جرأة نادرة :

ماذا بدا لك فاعتزلت صفوفنـا
أفاصبحت حرب الغـزاة سلاما
أتخون مصر وما تحـول نيلها
سما وما انقلب الضياء ظـلاما
عباس رأيك فى البلاد وأهلهـا
ان الأذى يستضرم الأدغـاما

وفى قصيدة أخرى نجد أحمـد محرم يعلن نقمته على الملوك وجنايتهم على شـعوبهم •• ويندد بهم • ويجردهم من القيم الانسانية •• ويميهم بكل نقيصة •• وقد عبر عن رأيـه فى صراحة لا تعرف المواربة •

كذب الملوك ومن يحـاول عندهم
شرفـا ويزعم أنهم شرفـاء
رتب وألقـاب تغر وما بهـا
فخر لمحرزهـا ولا اسـتعلاء

ذنب الملوك رمى الشعوب بنكبة
جلى تنوء بحملها الغبراء
لا المجد مجد بعد ما عبثت به
أيدى الملوك ولا السناء سناء
مالوا عن الشرف الصميم وأحدثوا
ما شاءت الأوهام والأهواء

وكان شاعرنا نبض أمته .. يحس باحساسها ويشعر بشعورها . وقد تأثر لما ألم بها من أحداث جسام .. ووقف من أحداث أمته ووطنه موقفا صلبا .. لا يخشى فيه عسف ظالم ولا يرهب بطش محتل .. ولا يداور فى حق يعتقده ... ولا يصانع فى رأى يراه .. ولا يداهن ولا ينافق .

ففى صيف عام ١٩٠٦ تهتز البلاد على أثر الوحشية والظلم الصارخ اللذين حلا بقرية دنشواى .. فقد ذهب عدد من بنيها ضحية نزوة طائشة من جند الاحتلال الذين أتوا القرية لصيد الحمام .. فأصابت رصاصة من رصاصاتهم امرأة .. وحرقت جرن قمح ... فتجمع أهل القرية غاضبين .. فاعتدى الانجليز عليهم بأسلحتهم وقتلوا شيخ الخفراء فدافع الناس عن أنفسهم بالحجارة .. فجرح أحد الضباط الانجليز فى رأسه وفر ومن معه .. وجروا فى وهج الشمس ما يقرب من ثمانية أميال .. فمات متأثرا بضربة الشمس .

وثارت ثائرة الانجليز لهذه الحادثة .. وأسرفوا فى تصويرها اسرافا جعلهم يخرجونها من صفتها الفردية الى التعصب الدينى وعقدوا محكمة عسكرية قضت على واحد وعشرين رجلا بأحكام مختلفة .. وأعدم منهم أربعة على مرأى ومسمع من أهليهم وذويهم وتهيج ثائرة الوطنيين .. وتستعر حفيظتهم .. ويدوى صوت مصطفى كامل فى أنحاء أوربا يندد بوحشية هؤلاء الذين ملأوا جنبات الدنيا بأنهم حماة الحضارة .. ورسل المدنية .

ويمور الحقد فى القلوب .. وتشتعل الصدور بالغضب .. ويصدر شعر يتدفق حماسة يندد بالانجليز وسياستهم الاستعمارية ويصرخ شاعرنا صرخة عاتية .. ويجاهر الانجليز بتصميم الأمة على الكفاح حتى يغادروا البلاد الى غير رجعة .. ويرميهم بالكذب والخداع . ومن ذلك قوله :

بنى التاميز كونوا كيف شئتم
فلن ندع الكفاح ولن نلينا
خذوا أنصاركم انا نراهم
لنا ولقومنا الداء الدفينا
هم الأعداء لسنا من ذويهم
وليسوا فى الشدائد من ذوينا
نممنا عهدكم فمتى نراكم
تشدون الرحال مودعينا
زعمتم أن موعدكم قريب
كذبتم أمة تحصى السنينا

وتهب الثورة المصرية عام ١٩١٩ .. وتندفع مصر مطالبة بحقها فى الحرية والاستقلال ... ويتعرض شبابها الثائر لنيران المستعمر وقذائفه ويذكى أحمد محرم الشعور الوطنى بقصائده الملتهبة ويعلنها ثورة مشبوبة الضرام على المستعمر وأعوانه .. ينشد الأشعار يلهب بها المشاعر .. ويقوى العزائم .. ويثير النفوس الخائفة .. ويدفعها الى الاقدام والتضحية .

يا مصر أنت لكل نفس مطلب
جلل وأنت لكل قلب مطمع

تحيين بالقتل النفوس فــلا المنى
تطوى لديك ولا الدمــاء تضــيع
بدمى وكـــــل دم الى محبب
دمك الزكى اذا أصـابك مضجع

ويســجل شاعرنا رأيه فى فتنة الأحزاب التى أعقبت الثورة المصرية ويدعو دعوة مخلصـة الى اليقظة والوقوف فى وجـه الفتنة حتى لا تجتاح الصفوف •• ويتصــدع الشمل •• ويتمزق شـمل الأمة •

لمن تتـالب الأحزاب شــتى
وما هــذى الصـواعق والرعود
تداعوا للــوغى فهوى صريعا
على أيـديهم الوطن الشــهيد
مضت أسلابه تــزجى اليهــم
فماتمه لــدى الأقــوام عيــد
اذا ساد التخــاذل فى أنـاس
فاعــوز ما ترى شــعب يســود

ويرى أن الكلمة للشعب وليست لملك أو حزب من هذه الأحــزاب المتناحرة •• أو زعيم من أولئك المتطاحنين على الحكم والمآرب الفردية ولذلك نراه يخاطب المعتمد البريطانى قائلا :

اذا سعت الوفود اليك فاحــذر
عواقب ما تقــول لك الوفــود
فما أحــد بمالك أمــر مصر
وما بالشــعب جبن أو جمــود
مضت دنيـا القيود وتلك دنيـا
تـذم بهـا وتحتقــر القيـود
حمينـا ماحمى الآباء قــدما
وصــان لنـا وللنيل الجـدود
بلاد ما تبـــاع وبا قيـــات
من الآثــار معدنهــا الخلود

وحين تطير الأنباء باتساع هوة الخلاف بين أعضاء الوفد المصرى وانقسامهم على أنفسهم يجزع شاعرنا أشد الجزع •• وينظر للأمر من زاويته الخاصة •• فلا يعنيه أن يكون الزعيم سعدا أو سعيدا •• وانما الذى يعنيه أن يسلم استقلال مصر •

يقــول البــرق : شر مسـتطير
وخلف بين ســادتنا شــديد
اذا اختلفوا أو اتفقوا فانــا
سوى اســتقلال مصر لا نريد
هو الحــق الــذى نسعى اليــه
ولسنا عنــه ما عشـنا نحيد
اذا لم يحفظ اســتقلال مصر
فلا سعد يطــاع ولا ســعيد

وفى عام ١٩٢٥ ترسل انجلترا معتمدا جديدا لها فى مصر خلفا لسابقه •• ويتوقع شاعرنا على يده شرا ، لأن مصر تعودت هــذا دائما •

اتسال مصر ما صــنع العميد
وهل عنــد الرماة لهـا جــديد
هو الســهم الذى عرفتــه قدما
وجـــرب وقعه الشعب الوئيد

ثم يستعرض تاريخ سلفه وماذا حدث منـه فى دنشواى •• وكيف عاد الى بلــده مشـيعا باللعنــة والغضــب من الشــعب بينمــا الوطن صــامد باق •• والأحــرار قائمــون بحق بلادهم لا يدخرون فى سبيلها وسعا ولا يألون جهدا •• مهما طال الزمن •• وامتد أمد الكفاح •

عميد الغاصبين نزلت ارضا
يبيد الغاصبون ولا تبيد
يذود الواحد القهار عنها
اذا قهرت جنودك من يذود
أتذكر اذ لقومك ما أرادوا
واذ لكرومر البطش الشديد
اتذكر دنشواى وكيف كادت
جوانبها باهليها تميد
ونحن المقبلون على المنايا
اذا الابطال كان لهم صدود
نضن بمصر ان عدت العوادى
ولكنا بانفسنا نجود

وكان أحمد محرم يتخذ من ذكرى الزعماء الوطنيين فرصة يتغنى فيها بمجد الوطن ... ويبكيها فيما حل بها من أرزاء .. فنراه يقول فى ذكرى ــ مصطفى كامل ــ عام ١٩٢٦ :

طبيب النيل هل للنيل شاف
وهل للداء بعدك من طبيب
هوى الوطن الجريح وكنت قدما
تضم جوانب الجرح الرغيب
على الدنيا العفاء اذا تولى
أطباء الممالك والشعوب
اذا ما مصر زلزل جانباها
فمن خفقان قلبك والوجيب
وان جرت الرياح بها لهيبا
فتلك حرارة الوجد المذيب

وكان شاعرنا أمينا على مبادىء الزعيم مصطفى كامل الوطنية .. يرى هوادة المحتل خيانة .. وأشد أعداء البلاد عداوة من لا يرى المحتل من أعدائه .

واشد أبناء البلاد عداوة
من لا يرى المحتل من أعدائه
هى فى جلالتها حمى أبنائه
ومضاجع الماضين من آبائه
أفمن يبيع بلاده كمجاهد
ينأى بها عن بيعه وشرائه

ولاحمد محرم الكثير من هذه الفرائد والدرر التى تزخر بالعاطفة الجياشة .. والغيرة على الوطن وقضيته .. ينطق بها بين حين وآخر فى المناسبات الوطنية المختلفة .

ولقد كان حبه لمصر يملك عليه شغاف قلبه حتى ليعز عليه أن يفرط فى أى حق من حقوقها .

وهبت الصبا والشيب والشوق والهوى
لمصر وان لم أقض حق الهوى مصرا
بلاد حبتنى أرضها وسماؤها
حياتى وأجرى نيلها فى دمى الدرا

فلسطين :

وتقفز مشكلة فلسطين على مسرح السياسة العربية مؤذنة بخطر داهم يجتاح العرب جميعا ان لم يهبوا يدا واحدة لانقاذها . وتؤذن الاحداث بغد مظلم .. فتهيج عاطفة محرم .. ويلقى بصيحة عالية يوجه فيها الانظار الى ما تتعرض له فلسطين من بغى وظلم وعدوان وذلك من خلال قصيدته ــ نكبة فلسطين ــ والتى يقول فيها .

فى حمى القدس ومن حول الحرم
أمة تؤذى وشعب يهتضم
فزع القدس وضجت مكة
وبكت يثرب من فرط الالم
ومضى الظلم خليا ناعما
يسحب البردين من نار ودم

بعثتــــه شــــهوة وحشـــية
تتلظى مثـــل اجــواف الاطم
اهــون الاشياء فى شرعتهـــــا
امـــة تمحى وشـــعب يلتهم
يا فلســطين اصطليهـــا نكبـــة
ماجهـــا للقوم عهد مضــطرم
لا تنـــامى للعـــوادى وادابى
واذهبى طامحـــــة فى المزدحـــم
ليس بالمـــدرك حقـــا غافـــل
نام والاحداث يقظى لـــم تنـــم

ويهيب بالاحرار أن يخفوا لحمـــاية وطنهم العربى •• ويدفعوا عنه ما سيم من خســـف وظلم •• ويعـــرض لمؤامرات الاســـتعمار والصهيونية من خلال وعد «بلفور» الذى أعطى فيه (من لا يملك وعدا لمن لا يستحق) •

همم الاحــــرار تحمى وطنـــا
عربيـــا ســـيم خسفا وظلـــم
باعــه ذئب لـــذئب غيلـــــة
فهـــو للذئبين نهب مقتســـم
تنـــــزع الارزاق من أبنـــائه
وتســـل الارض من فرط النهم

هذا وقد ظفرت فلسطين من شعر محـــرم بنصيب وافر فى وقت لم تكن فيه قضيتها قـــد بلغت الاسماع والقلوب •• وكـــان يرى فى مناصرته لفلسطين واجبا اسلاميا مقدسا بعـــد أن أحس بالخطر الذى يتهدد أولى القبلتين • ولمح نذر العاصـــفة التى توشك أن تجتـــاح الامة العربية بأسرها •

وطن يعـــذب فى الجحيم وامة
أعزز علينا أن تصاب وتنكبـــا
بقلوبنـــا الحرى وفى احشائنا
ما شـــب من أشــجانها وتلهبـــا
نتجرع البلـــوى وندرع الاسى
نرعى لاخوتنـــا الذمام الاقربا
انا لنعـــلم أن آكــل لحمهـــم
ســـيخوض منا فى الدماء ليشربا

ويمضى محرم مع الركب العربى يحدوه •• ويستطلع له الآفاق •• حتى يرى بشـــائر الوحدة فيحث أمة العرب على أن تأخذ مكانها وتضم قواها فى وحدة عربية تحمى لواءها •• وتجمع صفها •• فذلك هو السبيل لاستعـــادة مجدها •• ولن ينجو الوطن العربى من هـــذا الطوفان الجائح الا اذا اعتصم بوحدته ••• ونظم عقدها المنثور وفى ذلك يقول :

أمم العروبة جاء يـــومك فاعملى
والى مكانك فانهضى وتقـــدمى
لك فى فم الأحداث دعوة صارخ
ينفى القرار عن الشعوب النوم
فدعى المضاجع وانفضى عنك الكرى
وخذى السبيل الى المقام الاعظم
ضمى القوى وتجمعى فى وحـــدة
عربية تحمى اللـــــواء وتحتمى
هذا زمان ليس يفهـــم أهلـــه
الا حــــديث النار أو لغة الدم

امم العروبة جد جـــدك فانظمى
من عقـــدك المنثور ما لـــم ينظم
لك أن تسودى تحت رايتك التى
خفقت لها الدنيا فسودى واسلمى

وفى مارس عام ١٩٤٥ قامت الجامعة العربية وقد سبقها كثير من الاستعداد والدعوة الى جمع الكلمة .. وكان محرم سباقا فى هذا الميدان .. فكم أنشد من قصيدة يدعو فيها العـــرب الى الوحدة .. ويهتف بأبنائهم أن يعرفوا مكانتهم ويبارك كل خطوة فى هذه السبيل .

ومن أجل هذا الامل الذى يرقب شـــاعرنا فجره فى لهفة وشوق نجده لا يألو جهـــدا فى الانطلاق بصيحته الوطنية كلما لمع فى الافـــق بارقة .. أو أبصر سعيا الى وحدة الصـــف وجمع الكلمة . ويرى فيه بشيرا صادقا ببزوغ الفجر .

ولم يدع أحمد محرم مقاما تفرضه عليـــه وطنيته الا أدلى فيه برأيه صادعا بكلمـــة الحق .. محذرا وناصحا .. مشجعا ومقرعا . ولم يضعف من وطنيته خوف من ذى جـــاه أو سلطان .

وهكذا أسهم أحمد محرم بشعره فى الحركات الوطنية .. وفى الثورة على فساد الحكام وعبثهم بمصالح الامة ومقدراتها .. وكـــان له دوره الكبير فى تعبئة طاقات الامة .

كما شارك مشاركة فعالة فى الدعـــوة

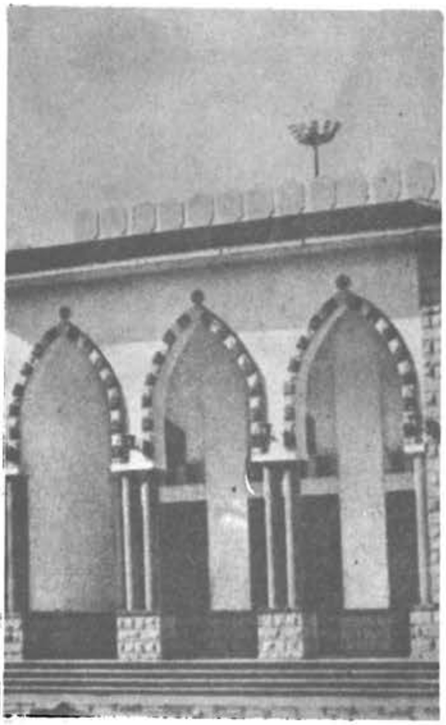

الى جمع صفها ووحدة كلمتها .. وعبر فى جملة شعره عن خلجات النفوس فأحسن التعبير .. وانفعل بما يضطرم فى الصدور والقلوب فصدق انفعاله .. وحـــدا ركب الوطنية فكان أجمل حاد .. وظل حياتـــه وفيا لفنه ومبادئه .

وقد عده النقاد فى الطبقـــة الاولى من شعراء عصره .. وسلكوه فى صف شوقى وحافظ ومطران .. وهو بما قدمه لوطنه وأمته خليق بأن يكتب فى سجل الخالدين .

دكتور : طه عبد الرحيم عبد البر

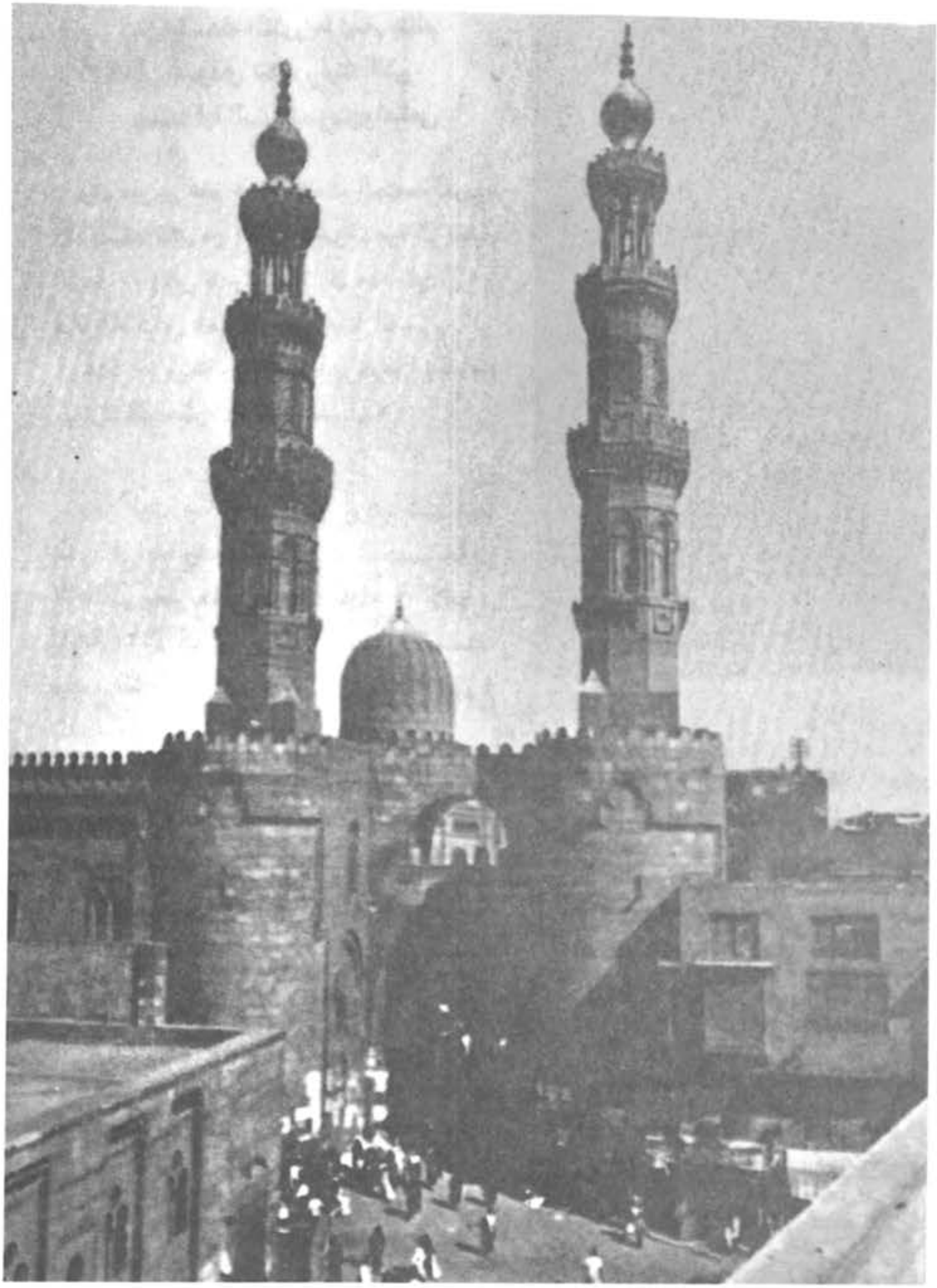

من أعلام الأزهر

حسن منصور "بك"

حسن منصور "بك"

لحفيده الأستاذ مدحت فتحى شريف

فضيلة الشيخ حسن منصور (بك) عالم جليل ..

عرفت معاهد العلم فضله ، وقرأ له المسلمون روائعه فى الدين والأدب ولد — رحمه الله — فى الاسكندرية عام (١٨٧٠ م) وفيها حفظ القرآن الكريم ،

ثم التحق بمسجد الشيخ (مسجد ابراهيم باشا) بمنطقة « الميدان » بالاسكندرية على ماتجد تفصيلا له بكلمة مجلة (الأزهر) التى أبنت بها الشيخ رحمه الله عقب وفاته فى العشرين من شعبان عام (١٣٥٠) هـ.

تلقى — رحمه الله — العلم بالأزهر ثم بدار العلوم ، وأحرز مناصب عالية فى التدريس منذ أهلته سيرته النقية للتدريس « بمدرسة السنية » .

وفى أوائل يونيو ١٩٣٠ أحيل الى « المعاش » ومنح (نيشان) النيل تقديرا له من الدولة .

وما كان — رحمه الله — فى أعماله الادارية أقل كفاءة منه فى مناصبه العلمية وندع لمجلة الأزهر (نور الاسلام) كلمتها فى هذا المقام . قالت

« وفاة عالم جليل »

« فى ليلة الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان ١٣٥٠ فجع العلم والدين والأدب فى وفاة الاستاذ العالم الجليل الشيخ حسن منصور وكيل دار العلوم سابقا وأحد محررى مجلة

(نور الاسلام) فتصدعت القلوب لهذا المصاب حزنا . وسالت له العبرات حسرة ، فقد كـان الفقيد رحمه الله تعالى راسخا فى العلم . مهذب الأخلاق . قوى الايمان محمود السـيرة حسن البيـان .

ولد الفقيد فى الاسكندرية ونشأ بها . وحفظ القـرآن وجـود قراءته على أشـهر قـراء الاسكندرية المرحوم الشيخ ابراهيم ادريس .

وابتدأ بعد حفظ القرآن وتجويده يطلب العلم فى جامع الشيخ ابراهيم باشا .

فكان هذا الجامع المعهد الدينى بالاسكندرية لذلك الوقت ، ثم انتقل الى الأزهـر الشريف وتلقى فيه العلم نحو سـبع سنين ، ثم دخـل دار العلوم واستمر بها حتى أحرز شهادتها ، وولى بعد احراز هذه الشهادة التدريس فـى مدرسة السنية ، ثم تولى التدريس فى مدرسـة خليل أغا . ثم نقل الى محكمة الاستئناف كاتبا ورئيسا لقلم النسخ . ولمـا أنشئت مدرسـة القضاء عين بها مدرسا وظهـر تحقيقه بوجـه خاص فى التفسير والحديث ، ثم عين وكيلا لها مع عدم الانقطاع عن التدريس ولما الغيت مدرسة القضاء وأنشئت (تجهيزية دار العلوم) عين ناظرا لها حينا ثم عين وكيلا لدار العـلوم ومدرسا بها ومازال بها حتى بلغ الستين فأحيل على المعاش .

ولمـا عزمت مشيخة الأزهـر الجليلة على اصدار مجلة نور الاسلام اختارته للتحرير بها. فاختص بقسم التفسـير وشرح السنة والملح والطرف فدل مايكتبه على تضلع فى علوم الدين وبراعة فى التحرير وسلامة ذوق فى الاختيار .

وما لنا أمام هذا المصـاب الا أن نقـول (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .

ونسأل الله تعالى أن يفيض على قبر الفقيد رحمة ونورا ويعوض المسلمين منه خيرا .

وقد كتب ــ رحمه اللـه ــ مؤلفات عـدة فى التفسير والأدب ، لايزال بعضها مخطوطا هذا الى جانب ما أملاه من مذكرات على طلبته .

واشترك ــ رحمه اللـه ــ فى تأليف كتـاب

حسن منصور "بك"

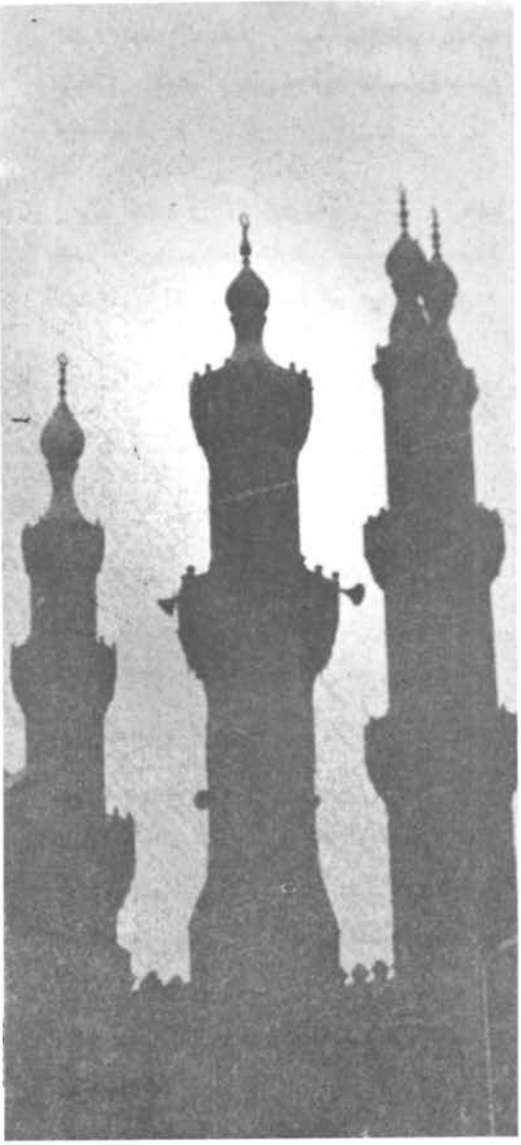

« الدين الاسلامى » وهــو من أجمــع الكتب وأنفعهــا للصف الثانوى . وشــاركه فيه كــلا زميليه : الشيخ مصطفى العنانى (بك) والشيخ عبد الوهاب النجار ــ رحمهم الله .

وكتب تفسيرا لجزء (تبارك) لم يتم نشره . وكان له ــ رحمه الله ــ ندوات علمية ، شبه دورية يعقدها مع اخوانه الفضلاء أصحــــاب الفضيلة الأساتذة :

الشيخ أحمد ابراهيم حمروش ، والشـــيخ عبد العزيز جاويش ، والشـــيخ حســـن مأمون والشيخ على محفوظ ، والشـــيخ عبد العـــزيز الخولى ، والسيد محمد الببلاوى ، والشـــيخ على الجارم ، والشيخ عبد الوهاب خير الدين ، والدكتور أحمد أمين ، ومحمـــد (بك) زكى ، وسعيد (بك) الروبى ، ومحمـــد (بك) نسيم وجمهرة ممن تخرج من مدرســـة (القضـــاء الشرعى) و (دار العلوم) من ثمرات غرســـه وسقى فكره نذكر منهم :

الشيخ محمد أبو زهرة ، والأســـتاذ الدكتور مهدى علام ، والأســـتاذ على حسب الله ، والأستاذ محمـــد محمـــد شورى ، والأستاذ أمين الخولى .

فصحب ــ رحمه الله ــ العلم والأدب تراثا وقمما .

نفعنا الله بـــه .

« مدحت فتحى شريف »

دراسات سياسية

صانعو السياسة البريطانية
فى المشرق العربى

صانعو السياسة البريطانية

في المشرق العربي

— ٢ —

من صاحب سياسة التهنيد
« ويلسون » أم « هرتزل » •
كان المتحدث بخطة تهجير الهنود الى العراق» هو « هرتزل » في لندن في رسالة له •
فايهما كان صاحب الفكرة •• ؟!
هل نادى بها « ويلسون » واخذ بها « هرتزل » ؟ أم التقطها « ويلسون » من مراسلات هرتزل ؟! •

الأمر الذى لاجدال فيه أن رسائل الرجلين في وقت متقارب جداً كانت تتحدث عن تهجير الهنود حتى في أعقاب هزيمة « تونسند » في معركة « سلمان باك » في ١٤ نوفمبر ١٩١٥ •

كوكس Cox يدفع الهند فتدفع الخارجية البريطانية F.O الى التقدم الى سلمان باك

ونظرا لأن كوكس Cox كان في ميدان القتال ويرى الأمور مباشرة كان يستطيع أن يضع الأمور أمام حكومة الهند بالطريقة التى تروق له في اطار عظمة بريطانيا • كان كوكس Cox يريد احراز نصر كبير يضع العراق في يد بريطانيا في أسرع وقت ، وأقنع دف Duff قائد الجيش الهندى بوجهة نظره مع أن الامكانيات العسكرية كانت محدودة ، ولم يدرك «دف Duff أن كوكس وضع الأهداف السياسية والدعائية فوق الأهداف العسكرية (افغانستان / فارس الجهاد) وتحت ضغط حكومة الهند وافقت الخارجية البريطانية F.O على الزحف الى بغداد فوقعت نكبة الجيش عند سلمان باك في ١٤/١١/١٩١٥ وحوصر جيش تونسند في كوت العمارة حتى استسلم في أبريل ١٩١٦ •

وفي مواجهة هذا الموقف الدقيق الخطير اختلفت الآراء كذلك ، فقد دعا لويد جورج L. George — وزير المالية البريطانى حينذاك — وكذلك وينجت Wingate الى سحب القوات البريطانية من العراق •

ورد عليهما هاردنج وهرتزل بشكل متطرف :
قال هاردنج : ان العراق لايقل أهمية لبريطانيا عن السودان •

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز سليمان نوار

وقال هرتزل بضرورة استمرار التقدم — رغم تلك النكسة — بل وبتهنيد جنوب العراق وتحويل جنوب العراق كله الى محمية بريطانية تمتد من البصرة الى بغداد الى الاسكندرونة .

ولعل هرتزل التقط مشروع « كتشنر » لارسال حملته الى الاسكندرونة .

أدت تلك النكسة فى سلمان باك ثم فى كوت العمارة وكذلك فى حملة غاليبولى الى أن يسعى البريطانيون الى كسب قوى جديدة تشد أزرهم فزاد الانجليز من قوة اتصالاتهم بالشريف لتحريضه على الثورة وهى اتصالات بدأت ايام ان كان « كتشنر » فى مصر فلما غادرها ليتولى وزارة الحربية ترك مهمة الاتصال بالشريف الى مكماهون المعتمد البريطانى فى مصر .

ولما علم هاردنج ببعض تفاصيل المراسلات بين مكماهون والشريف أبدى اعتراضه على فكرة قيام ثورة عربية وعلى اعطاء أية وعود للعرب بالاستقلال أو حتى شبه استقلال ولهذا عارض بشدة مكماهون من كافة الجوانب المستطاعة حتى فى شخصه فقد اتهمه بأنه رجعى ليس له مؤهلات السياسى الحصيف .

وفى اعتقادى أن « هاردنج » لم يكن مصيبا فى الهجوم على مكماهون على اعتبار أنه صاحب نظرية التفاهم مع العرب على اشعال ثورة عربية . فمكماهون فى رأيى هو منفذ لسياسة الخارجية البريطانية ، وليس بصانع سياسة رغم تلك الشهرة الكبيرة التى أحاطت به بسبب مراسلاته مع « الحسين » . فقد كان من المتواتر أن مراسلات الحسين توقفت فجأة دون الوصول الى اتفاق بسبب يأس الحسين من الوصول الى شروط أحسن ، وأن المراسلات توقفت هكذا .

تعليمات الخارجية البريطانية

ولكن الحقيقة هى أن تعليمات الخارجية البريطانية الى « مكماهون » كانت صريحة بألا يصل الى اتفاق محدد المعالم مع « الحسين » حيث ورد ما نصه :

«There is not time to discuss an exact formula»(1)

وأن يسير وفقا لتطورات مفاوضات « سيكس مع بيكو » وكانت مهارة مكماهون فى أنه دفع

١ — لا يوجد وقت لمناقشة صيغة محددة ... مجلة الازهر .

الحسين وسايره الى أن وصل الى هذه النتيجة التى أرادتها الخارجية البريطانية • على أن تعليمات وزارة الخارجية هذه هى فى حدها جزء من عدم قدرتها على وضع سياسة واضحة محددة المعالم ازاء هذه المنطقة ففضلت الصيغ المطاطة مثل مراسلات الحسين مكماهون ومثل وعد بلفور وغيرها •

ومن ناحية أخرى كان مكماهون فعلا تحت تأثير مستشاريه العسكريين فى القاهرة أولئك المستشارين الذين كانوا يرون فى خلق أية قوة ضارية ضد الأتراك مكسبا للمجهود الحربى البريطانى بصفة عامة ، فدفعوه بقوة نحو خطة كتشنر من قبل وهى الافادة من الحسين كقوة ضاربة ضد الاتراك للتخفيف عن الجبهة المصرية التركية فى وقت كانت فيه الجيوش البريطانية تعانى من الهزائم فى سلمان باك وغاليبولى ولا تستطيع زحزحة الالمان خلال حرب الخنادق •

وبطبيعة الحال كان موقف « هاردنج » شديدا ازاء « سيكس » لمجرد أنه كان أحد طرفى اتفاقية « سيكس — بيكو » •

والحقيقة أن « سيكس » لم يكن صاحب الأفكار التى جاءت فى هذه الاتفاقية ، وانما تولى مهمة الوصول الى اتفاقية بعد أن قطعت المفاوضات الفرنسية البريطانية شوطا بعيدا ، وتبنى من بعد سياسة ترضية فرنسا ولو مؤقتا •

تضارب :

وفى نفس الوقت كان « سيكس » يكره السياسة الهندية ، ولايقدر المسئولين عنها ، وكان « هاردنج » فى نظر « سيكس » سياسيا من ذلك الطراز القديم الذى عفا عليه الدهر . وأنه قصير النظر فهو يرى مصالح الهند ولايستطيع أن يلائم بينها وبين مصالح الامبراطورية •

وبادله « هاردنج » الكراهية بمثلها ، ومصداق ذلك أن هاردنج رفض استقبال « سيكس » عندما أرسلته حكومته لاستطلاع رأى حكومة الهند فى الاتفاقية المقترحة الا على اعتبار أنه زائر عادى وليس بصفته مسئولا عن السياسة البريطانية ، ويبدو أن هذه الكراهية المتبادلة كانت وراء اهمال الخارجية البريطانية اخطار حكومة الهند بتفاصيل هذه الاتفاقية كما أن « هاردنج » من جانبه استخدم نفوذه فى ابعاد سيكس عن رئاسة المكتب العربى البريطانى فى القاهرة فأسند الى « كلايتون » • كذلك لم يعلم ويلسون بأنباء هذه الاتفاقية الا بعد عقدها ، وحتى المعلومات التى وصلته عنها كانت قليلة جدا • الأمر الذى أثار المرارة فى نفسية « ويلسون » وبخاصة أن وجهة نظر ويلسون كانت متفقة مع هاردنج حول هذه الاتفاقية على اعتبار أنها لاتحترم مصالح حكومة الهند البريطانية واتهم ويلسون سيكس بأنه عندما جاء الى الهند انما جاء بفكرة اختمرت فى ذهنه وجاء الى الهند ليجمع المعلومات التى

تؤيد هذه الفكرة فقط بغض النظر عن الحقائق الأخرى التى كانت فى نظر ويلسون تستحق الأولوية فى الترتيب •

ويقصد « ويلسون » بذلك أن سيكس ماجاء الهند الا ليجمع معلومات تخدم فكرة اقتسام المشرق العربى مع فرنسا واقامة حكومات عربية •

واذا كان سيكس على هذه الصورة التى صورها لنا ويلسون ، فلا شك أن عامل الاسقاط واضح فى هذا الموضوع •

فلقد كان ويلسون نفسه من ذلك النوع من السياسيين الذين لايرون من الوقائع والأحوال الا مايخدم الفكرة التى تكونت لديه والتى يسعى الى تنفيذها كما سنرى فى موقف ويلسون من ثورة العشرين •

لقد أصبح موقف ويلسون دقيقا • فبعد أن سار قدما فى سياسة هى أقرب الى تحويل جنوب العراق على الأقل الى مستعمرة هندية اذا به يواجه اتفاقية بريطانية فرنسية تفرض عليه تعديلا فى خطته لأن الاتفاقية تشير الى عبارة خطيرة يكرهها « ويلسون » وهى اقامة حكومات عربية أيا كان نوع هذه الحكومات فى المشرق •

ان « اللنبى » فى مصر لم يواجه مثل ذلك الموقف العصيب الذى واجهه ويلسون فى العراق وأعنى هنا بالموقف العصيب عدم وجود سياسة بريطانية تتعارض مع اتجاهاته الأساسية ، والسبب فى ذلك أن الأتراك هم الذين بدأوا الهجوم على مصر وتقدموا حتى قناة السويس فلم يواجه اللنبى مشكلة حول طريقة ادارة أرض محتلة ولايكاد يعمل على السيطرة على فلسطين حتى كان أمامه وعد بلفور ١٩١٧ •

أما ويلسون فقد واجه المشكلة فى الأيام الأولى من الحرب العالمية وظل طوال سنواتها يبحث عن سياسة بريطانية محددة وظل كذلك ينفذ سياسة رسمها هو يعلم أنها لا تقابلبالرضا من جانب وزارة الخارجية ، بل وتعقد موقف ويلسون ازاء وزارة الخارجية عندما نفضت الهند يدها الى حد كبير من مشكلات المشرق تاركة ويلسون يتحدث عن وجهة نظر الهند ازاء وزارة الخارجية •

كذلك لم يواجه (اللنبى) مشكلة تداخل الاختصاص بين الأجهزة الحكومية البريطانية بعكس (ويلسون) الذى واجه هذا التدخل بأحلى صورة ، بل واجه ما هو أشد مرارة ، أعنى ضعف نشاط حكومة الهند امام نشاط وزارة الخارجية التى لم يكن ويلسون على انسجام معها وزاد الطين بلة أمام ويلسون ماحدث بعد ذلك من نقل المسئولية عن سياسة بريطانيا فى المشرق الى وزارة المستعمرات وحدث هذا التحول فى وقت كان فيه ويلسون قد وسع نطاق سياسته سواء نحو الموصل أو نحو دير الزور • فقد اتجه الى :

أما أن يستقل كردستان واما أن يضم الى العراق • أما الموصل فقد كانت فى نظره مكملة للعراق ، كل هذا كان يوجه خطوات ويلسون رغم أن وزارة الحربية كانت تقدر قيمة اعطاء الموصل الى فرنسا لخلق منطقة حاجزة بين العراق البريطانى وروسيا ، وكانت وزارة الخارجية قد سلمت الموصل لفرنسا نظريا فى اتفاقية « سيكس ــ بيكو » ولكن رجال الصف

الثانى من صانعى الدبلوماسية البريطانية فى المشرق تحدوا هذا الاتفاق فيما يتعلق بالموصل.

وفعلا أخذ لويد جورج بوجهة نظر ويلسون الخاصة بالحفاظ على الموصل تحت يد بريطانيا متخطيا بذلك اتفاقية سيكس بيكو ومقدراً لويلسون خطواته الجريئة بشأن السيطرة على الموصل بعد توقيع الهدنة .

على أن هذا التقدير من جانب لويد جورج لقدرات ويلسون تلك كان يخفى حقيقة الصراع بين ويلسون ووزارة الخارجية ، حيث أن السياسة التى كان ينتهجها ويلسون كانت لاتزال تتعارض حتى مع بعض تصريحات لويد جورج نفسه بشأن اقامة نوع من الحكومات العربية فى المناطق المحررة من الاحتلال التركى .

وكان طبيعيا أن تؤدى طول هذه الاختلافات الى فكرة تكوين لجان ومؤسسات تتولى مسئولية التخطيط والتنسيق بين الأجهزة المختلفة المسئولة عن المشرق العربى . وكان انشاء المكتب العربى Arab Bureau واحدا من هذه المؤسسات التى ظهرت لهذا الغرض ، ولكن الحقيقة حتى هذه المحاولة كانت محدودة الفائدة فقد دخل المكتب العربى طرفا فى النزاع الدائر حول الاختصاصات وحول السياسات التى يجب أن تتبع ، وكانت

منازعاته حادة مع حكومة الهند برغم أن مس بل — سيدة المخابرات — قد كلفت بأن تكون همزة الوصل بين الهند و Arabs (العرب) .

ومن ناحية أخرى كان المكتب العربى يضم عددا من المسئولين الانجليز المكروهين ! ونفى بذلك كراهية ويلسون للورنس ، وكان الأخير يبادله الكراهية والنقد بأشد منه حتى لقد اصطدم بالغالبية العظمى من ضباط الحملة البريطانية فى العراق ممن احتك به خلال اقامته القصيرة هناك .

كذلك تشكلت اللجنة الشرقية لعلاج مشكلة عدم وجود سياسة بريطانية محددة فتشكلت اللجنة الشرقية Eastern Committee التى ترأسها « كيرزون » .

ولكن لويد جورج كان يرى أن كيرزون غير كفء لمواجهة العبء الكبير ومن ناحية أخرى فشلت هذه اللجنة فى وضع سياسة محددة بريطانية نحو الشرق ، بينما تم تكوين فريق آخر برئاسة (Smuts) لتوجه سياسة بريطانية فى مؤتمر الصلح .

تيـاران :

وأدى هذا كله الى ظهور تيارين فى دوائر السياسة البريطانية فى هذا الصدد عرفوا بـ :

Easterners and Westerners

كان الغربيون يرون أن الجبهة الغربية هى الفاصلة فى الحرب وأن فرنسا أهم لبريطانيا من العرب أما الشرقيون فيرون أن هزيمة المانيا غير ممكنة وأن التوسع فى الشرق خير لبريطانيا .

أدت التضاربات الى ظهور فكرة تكوين جهاز خاص فى لندن يتولى أمور الشرق الأوسط

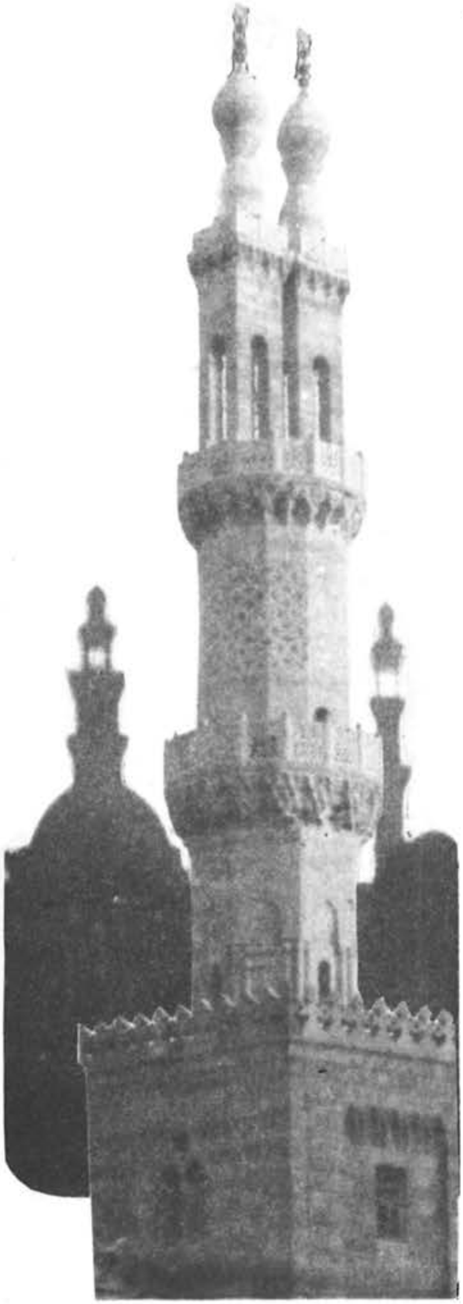

« Center for the Middle East»
وليتفوق على الخلافات المتتالية بين وزارة الهند ووزارة الخارجية البريطانية ..F.O وأسندت هـــــذه المهمـــة أولا الى روبرت ســـيسل
Robert Cicil
ولكنه فشل واقترح انشاء قيادة واحدة للشرق الأوسط .

One M.E. Commander

وسعى الى ادخال العراق فى هذه القيـــادة فاعترضت وزارة الهند فاقترح كيرزون انشـــاء منصب وزير دولة لشئون الشرق الأوسط .

بينما اقترح (اللنبى) وضع جنوب العراق كله تحت الحماية البريطانية وتتولى مسئوليتها وأيد تشرشل فكرة اســـناد جنوب العراق الى وزارة المستعمرات .C.O ولكن خشى المسئولون رد فعـــل ذلـــك لـــدى العـــرب عنـــدما يجدون أنفسهم يتعاملون مع وزارة المستعمرات وخلال دراسة « ملنر » لأسباب ثورة ١٩١٩ فى مصر اقترح انشاء منصب
High Commisioner for M.R.
يكون مقره القاهرة ويكون المكتب العربى نواته .
وأيد اللنبى هذا الرأى مطالبا بعدن ، كمـــا اقترح « جاكوب » ــ مقيم عـــدن ــ انشـــاء مكتب اسلامى

A Moslem Bureau

وأخيرا اســـتقر الأمـــر على أن تتولى وزارة المستعمرات مسئولية المشرق العـــربى باستثناء الحجاز وجنوب العراق .
فهل وضعت سياســـة بريطانيـــة لمواجهـــة

احتمالات النصر القديم وتسويات مابعد الحرب ؟

لم يحدث ذلك ، بل الذى حدث بعد ذلك كان أكثر ازعاجا ولنضرب لذلك مثلا ، ففى الوقت الذى كانت فيه « اللجنة الشرقية

(Eastern Committee

تضع مشروعات لمستقبل العراق على أساس انشاء حكومة « قومية وشعبية » ونبذ سياسة الضم أو اعلان الحماية ، لم تكن هذه اللجنة تعرف ما كان يدور من مفاوضات بين حكمنصو ــ ولويد جورج فى ديسمبر ١٩١٨ ٠

وقد أدخلت اللجنة الشرقية فى اعتبارها أن شعب العراق لم يحارب الى جانب بريطانيا خلال الحرب العالمية الاولى فلا يستحق أن تسمح له بريطانيا بالافادة من مبدأ حق تقرير المصير ٠

ولنضرب مثلا آخر على فوضى التضارب بين الجهات العليا المسئولة عن وضع سياسة بريطانية ازاء العراق ومشكلاته ٠

كان مستقبل ولاية الموصل مدار محادثات بين الفرنسيين والانجليز فى مكانين منفصلين كل الانفصال ليس انفصالا مكانيا فقط وانما كذلك لم يدر لويد جورج وهو يفاوض كلمنصو فى باريس حول قضية بترول الموصل أن هناك مفاوضات تجرى بين لونج وبرنجر

(Long and Berenger)

ولقد توصل فعلا لونج وبرنجر

(Long and Berenger)

الى اتفاقية حول توزيع الأنصبة فى بترول الموصل ٠

ولما علم « لويد جورج » بها ألغاها ، لأنه كان يريد ألا تعقد هذه الاتفاقية الا بعد التسوية النهائية لمشكلة الموصل كذلك لم يكن «كلمنصو» يعرف بتلك الاتفاقية ٠

وهكذا بينما كانت الحرب تقترب من نهايتها كان الصراع بين الأجهزة يزداد حدة ، وكان رجال الصف الثانى يتبعون سياسة خاصة بهم : ويلسون فى العراق ولورنس مع الثورة العربية

ولكن هذه الأجهزة والى جانبها تلك المشاكل بدأت تواجه عوامل ضغط عليها لا حول لها ولا قوة فى ردها مثل تلك القنبلة التى ألقاها الرئيس الامريكى ويلسون ونعنى بها (حق تقرير المصير) وقد أثرت فى تفكير لويد جورج السياسى وجعلته يتكلم عن أهداف الحرب الديمقراطية فى الشرق أيضا ٠

الأمر الذى أزعج هاردنج وحكومة الهند ، وأصبح أمل هاردنج فى تحقيق هدفه هو أن تعلن فرنسا سياسة ضم سوريا ولذلك يصبح لدى حكومة الهند المبرر لضم العراق ٠ وكان نفس الاتجاه لدى ويلسون ٠

ومع أن التيار الدولى ، وفى الخارجية البريطانية كان ضد اتجاهات هاردنج وويلسون الا أنهما أصرا على تحقيق هدفه حتى ولو زورا تعليمات الخارجية البريطانية فعندما طلبت

وزارة الخارجية من هاردنج أن يطمئن الشريف بأن بريطانيا تسعى الى تحرير البلاد العربية ولاتسعى الى ضمها :

«Liberation not annexation» (١)

حذف هاردنج عبارة

«not annexation » (٢)

اتبع ويلسون سياسات لم يكن يوافق عليها من قبل لعله يمنع وزارة الخارجية من تحقيق هدفها ، فقد اعتقد أن القضاء على الحسين يشل يد وزارة الخارجية عن متابعة سياستها العربية ولهذا أيد ويلسون فكرة أن يعلن عبد العزيز ابن سعود نفسه ملكا وكان يود لو استطاع ابن سعود أن يجتاح الحجاز ، وعندما اشتدت الأزمة بين الحسين وابن سعود وأبدى الحسين رغبته الصورية للاعتزال هلل « ويلسون » لذلك حتى تختفى معالم المطالبة بدولة عربية موحدة .

وبالنسبة للعراق قاوم بشدة فكرة وضع أمير عربى عليه أو اقامة حكومة عربية ولكن تنازل قليلا بأن تخلى عن سياسة الضم واكتفى بفكرة اعلان الحماية على العراق .

ولما طلبت وزارة الخارجية منه اجراء استفتاء فى العراق لمعرفة رأيه فى مستقبله استغل ويلسون الاستفتاء ليثبت وجهة نظره القائلة بأن الشعب لا يريد أى حاكم عربى وأن النظم الدستورية لاتصلح للعراق وانما يريد مندوبا ساميا بريطانيا .

ولقد قال يانج (Young) أحد كبار المسئولين عن اجراءات ويلسون تلك

« Public opinion is not to be en couraged or even alloced to express itself in a sense contrary to Wilson's opinion »«٣»

فقد طلب ويلسون من رجال ادارته أن يسجلوا فقط وجهات النظر المتمشية مع خطته السياسية تلك .

ولقد علق « كيرزون » على أساليب ويلسون بقوله :

«When the French do this sort of thing we are up in arms. but when our man does it because it is marked Secret and Confidential may have acted with the best intentions But his intentions were not our orders.»«٤»

وعندما نمت حركة المقاومة الوطنية ضد الحكم البريطانى فى العراق كان يكتب الى الخارجية البريطانية ان كل شىء على مايرام ولكن الخارجية البريطانية شعرت بأن الموقف يتحرج يوما بعد يوم وأنه يجب كسب ثقة الوطنيين عن طريق وعدهم بنظام حكم يعطى للعرب مكانا واضحا فيه تحت الانتداب البريطانى . ولكن ويلسون كان ضد أى فكرة تدعو الى اشتراك الشعب فى الحكم ، وكان على

---

١ ــ تعنى العبارة : « تحريرا وليس ضما » . . مجلة الازهر

٢ ــ تعنى العبارة : « ليس ضما » . مجلة الازهر

٣ ــ لا يسمح للراى العام ، ولا يشجع على التعبير عن نفسه براى مخالف لراى ويلسون » . مجلة الازهر

٤ ــ « عندما يفعل الفرنسيون مثل هذا العمل نرفع السلاح ــ ولكن عندما يفعل ذلك رجلنا ــ لانها مختومة بكلمة سرى وشخصى ــ انما يفعل ذلك بأحسن النيات ، لكن نواياه لم تكن اوامرنا » مجلة الازهر

عادته مستعداً لتزوير تعليمات وزارة الخارجية اذا تعارضت مع خطته .

فعندما طلبت الخارجية منه أن يصدر بيانا ينبه بريطانيا فى وضع قانون أساسى وانشاء مجلس يسوده العرب

An Arab Council of State

حذف ويلسون كلمة عرب من العبارة حتى ينشىء مجلساً غير عربى تحقيقا لأهدافه .

كذلك كان ويلسون لايتورع عن تشويه صورة الحركة الوطنية فى العراق بكافة الوسائل فتارة يؤكد أن العشائر ستعانى من (الأفندية) اذا ما أقيمت حكومة عربية فى العراق ، كما أتهم الوطنيين بأن البلاشفة يحركونهم وهى نفس الاتهامات التى رددها « وينجت » عندما وقعت ثورة ١٩١٩ ، واستخدام البلشفية كان مقصوداً به كسب الرأى العام الانجليزى ضد الحركة الوطنية العراقية (١٩٢٠) وكسب تشرشل الذى كان العدو الشديد ضد البلشفية .

لقد كان ويلسون شخصية قوية فى الثلاثين من عمره عندما تولى زمام الأمور فى العراق ، ليواجه مشكلات معظمها جديدة وليست تقليدية وهو نفسه كانت تعوزه الخبرة الطويلة . وكان لا يزال يعيش بعقلية أبناء الامبراطورية التقليديين فى عصر نمت فيه قوميات الشرق ، وهو لم يكن يدرك ذلك .

لقد كان ويلسون يفقد أصدقاءه بسرعة ، سواء فى العراق أو القاهرة أو فى لندن . ففى العراق أصبح فى نظر الوطنيين عدوهم الأول .

وفى داخل السلطة البريطانية نفسها ظهرت جماعة من المسئولين الانجليز تهاجم سياسة ويلسون وتؤيدوجهةالنظر الوطنية ولكن فى حدود ضيقة ، وهذه الجماعة كانت بزعامة « جرترود بل Bell » ترى أن ويلسون يتبع سياسة عفا عليها الزمن وأنه بذلك يشكل خطرا على مستقبل المصالح البريطانية فى العراق وفى المنطقة .

وفى اعتقادنا أن مس (بل) التى قدمت خدمات ضخمة لويلسون ، أدركت بذكائها أن أيام ويلسون قد ولت ، وأنه لابد وأن يبعد عن العراق بعد أن ساءت علاقاته مع الجميع فقلبت له ظهر المجن وأخذت جانب الرجل المرشح ليلعب الدور الأول فى العراق بعد ويلسون وهو كوكس Cox

فقد أصبح ويلسون الحصان الخاسر .

ومن ناحية أخرى أصبح الرأى العام فى بريطانيا والرأى العام العالمى ضد سياسة (التهنيد) ومع سياسة اعطاء العرب ولو بعض حقوقهم ومن ثم أصبحت خطط ويلسون غير ذات موضوع وعفا عليها الزمن كما قالت مس بل ، وفيلبى ، ولورنس .

ولقد أدى وقوع الاضطرابات فى العراق الى أن يلقى عدد من المسئولين باللائمة على ويلسون فقد اتهم « يانج (Young) ويلسون بأن عناده ضد كل ماهو شريفى زاد من الاضطرابات وتعقيد الموقف ووصف هاردنج ويلسون فى ظروف ماقبيل ثورة العشرين

« The whole situation is too big for Col. Wilson to cope with» (١)

وكانت ثورة العـــراق السبب الرئيسى فــى ابعاده عن العراق ولكن حكومته كرمته اذ عـــين

1 — Hardinge minute, F.O. 371/5129.

فى منصب كبير فى شركة البترول « الأنجـــلو ــ فارسية » وتابعت أخذ وجهات نظره فى مستقبل البلاد وبخاصة فى مؤتمر القاهرة الذى انعقـــد فى سنة ١٩٢١ .

وفى اعتقادنا أنه فى غياب سياسة محددة ازاء العراق أطلق ويلسون العنان لنفسه لوضــــــع سياســـة تصورها ونفذها وأيدته فيهـــا حكومة الهند التى لم يكن لها دور فى تخطيط هـــــذه السياسة بقدر ما كان لها دور فى الموافقة عـــلى هذه السياسة التى وضعهـــا ونفذها ويلســـون وتحطمت فى نهاية الأمر ولكن أكسبت بريطـــانيا بصفة عامة مكاسب كبيرة .

ولكى يتغلب كوكس عندما استدعى للعـــراق بعد ثورة العشرين على تضارب الاتجاهات وعلى مشكلة عدم وجود سياسة محددة طالب الحكومة البريطانية بأن تمنحه (٢) «Full Powers» فى تصريف أمور العراق .

---

١ ــ « ان الموقف ــ كاملا ــ اكبر واضـــخم من أن يقدر الكولونيل ويلسون على أن يتعـــامل معه » . مجلة الازهر

٢ ــ « كامل النفوذ » . مجلة الازهر

كوكس فى العـراق

كان وصـول كوكس الى العراق وابعـاد ويلسون عنه بدايةلاستقرار السياسة البريطانية نحو العراق ، ولكن لم تصبح لدى بريطانيـا سياسة محددة ازاء المشرق الا على يد تشرشل عندما خلف « ملنر » فى وزارة المستعمرات وعقد مؤتمر القاهرة • وتبنى الحل الشريفى الـذى كان يقاومه ويلسون وأعنى به تولية « فيصل » على العراق ، وتولية « عبد الله » على الأردن لأن الأخير كان فى نظر كثير من ساسة بريطانيا تافها لن يعرقل أهداف بريطانيا •

واستطاع تشرشل أن يعلن فى مجلس العموم البريطانى فى ١٩٢١ لأول مرة :

«We have a single clear policy upon which the authorities, Military and Civil at the present time agree.» (١)

وهـذا الحـل الشريفى يقودنـا الى رجلين شهيرين :

لورنس وفيلى ثم مس بل •

لورانس

ولا شـك لدى فى أن الظـروف التى رفعت لورنس الى الشهرة كانت غير عادية ، وأن هناك يـدا خفية كانت تدفعـه ، وبـلا شـك كـان « هوجارت » يدفعه ولكن هذه اليد كانت أعلى من « هوجـارت » وأعنى بهـا « المخـابرات البريطانية » التى وجدت فيه استعداداً كـاملا ليؤدى الدور الذى تريده ، دور البريطانى الذى وضع نفسه فى خدمة العرب • وكانت هذه اليد تحميه وكان يعتمد عليها فى تصرفاته غير اللائقة حتى مع كبار المسئولين من العسكريين •

والدور الذى أداه لورنس فى الثورة العربية معروف لنا جميعا ، ولكن هناك عدة نقاط يجدر ابرازها وهى أنه مثل « جرترود بل » كان يعانى من أزمات نفسية وعاطفية حادة • وكانت لـه علاقاته المشوبة،وكان يكره المرأة بمرارة حادة•

وكان لورنس يعتقد ان المجتمع كله ضـده ، وكان يضفى على نفسه هالةمن الأكاذيب ليضخم صورته فى الأذهان حتى لقـد قال : انه عرض عليه منصب المندوب السامى فى مصر أكثر من مرة ، وان الفاشيين فى بريطانيا طلبوا منه أن يكون دكتاتور المستقبل •

وكان يتطلع الى أن يكون قائد ثورة الحجاز ولكن « كلايتون » رفض طلبه فهو يعـرف ماهى حدود وقـدرات لورنس وكان يـود أن يصبح شريفا ووزع الملوك العرب ، ولكن كـل هذا لايغمط حقه فى خدمة بلاده بالطريقة التى تصورها ، وهى الحل الشريفى ، فقد وجـد فى (فيصل) ضالته خاصـة وأن لورنس — عـلى العكس من فيلبى — كان يـرى أن الوهابيـة كالبلشفية خطيرة على مصالح بريطانيا •

---

١ — يريد : « نحن لناسية واحدة واضـحة يتفق عليها جميع السلطات الحربية والمدنيـة فى الوقت الحالى » . مجلة الازهر

لقد كان فيلبى أكثر حصافة من لورنس اذ تنبأ الأول بان المستقبل لآل سعود ، ومع أن فيلبى لم يكن معقدا عاطفيا مثل لورنس ، فانه لم يكن مستقرا ايديولوجيا •

فقد كان يؤيد مطالبة النقيب باقامة جمهورية فى العراق •

واذا كان ويلسون صاحب سياسة معينة سعى الى تطبيقها بخيرها وشرها فان لورنس كان فى الطرف الثانى يسعى الى سياسة هاشمية بخيرها وشرها وسعى فيلبى الى سياسة سعودية وكل منها اصطدمت بالأخرى وسواء كانت نتائج هذه السياسات ايجابية أو سلبية ناجحة أو فاشلة فقد خدمت المخططات البريطانية حتى « فيلبى » الذى أسلم وتسمى بعبد الله عاش للمصالح الانجليزية معظم حياته حتى اذا ما مات عبد العزيز بن سعود واتجه « سعود » نحو الولايات المتحدة USA لم يعد لفيلبى مكان فى السعودية •

الصف الثانى

واذا نظرنا الى موقف رجال الصف الثانى من أمثال « هاردنج » ولورنس و « هوجارت » و « مس بل » وغيرهم لوجدناهم جميعا « فرانكو فوبيا » وان كان ذلك بدرجات مختلفة فقد كان لورنس أشدهم عداء للفرنسيين حتى ان مفتاح دراسة تاريخه هو كراهيته لفرنسا وما ألقى بثقله الشديد الى جانب الشريف وأولاده الا لهذا الغرض •

وأخذ لورنس يتحدث مع الزعماء العرب عن أن بريطانيا انما تسعى الى اقامة دولة عربية موحدة وكان فيصل(١) من السذاجة لأن يعتمد على مثل هذا الرجل الذى كان فى حقيقة الأمر من رجال المخابرات زج به فى الجيش وانتسب الى هيئة الأركان البريطانية دون مؤهلات بواسطة المخابرات البريطانية ليلعب هذا الدور، دور البريطانى المؤمن بقضية العرب وعدالتها •

اللنبى

ورغم الوصول الى ما عرف باسم اتفاقية « سيكس بيكو » ، فقد أطلق « اللنبى » العنان لرجال لورنس وفيصل للدعاية له ولحكومة عربية مناهضة للفرنسيين وكان هذا يتم بمعرفته وبتشجيعه ولكن نظرا لأن اللنبى كان يعرف بمضمون هذه الاتفاقية فقد فضل أن يمسك العصا من الوسط بأن وضع البلاد التى منحت لفرنسا تحت سيطرته هو المباشرة تاركا فيصل يعمل فى المنطقة الداخلية (دمشق • حمص • حماه • حلب) وفى نفس الوقت أيضا عمل على منع الفرنسيين ما استطاع من أن يضعوا أقدامهم فى سوريا ولبنان الا فى آخر لحظة عندما لا يجد بدا من ذلك •

وكان اللنبى يصور الوجود الفرنسى فى سوريا ولبنان على أنه نذير باضطرابات قد تجر بريطانيا الى مواجهة مع فرنسا •

أما لويد جورج وبلفور فقد كانا يريان أن التحالف مع فرنسا أجدى من التضحية به من

١ ــ ملك العراق ..

أجل العرب وهكذا كانت هذه « الفرانكو فوبيا » تقل حدتها كلما صعدنا من رجال الصف الثانى الى رجال الصف الأول •

تحت أنظار الصف الأول

على أن رجال الصف الأول من أمثال لويد جورج وبلفور كانوا يدركون حقيقة الخطوات التى كان يتخذها رجال الصف الثانى ضد الوجود الفرنسى ، وكانوا يعطونهم الفرصة لتنفيذ سياسة غير تلك التى قد يجدون أنفسهم مضطرين اليها وأعنى بها التفاهم مع فرنسا على أساس حصولها على سوريا ولبنان ، وذلك لتكون هذه الاجراءات أوراقا يلعب بها المفاوض البريطانى مع غريمه الفرنسى •

نتائج

أدت هذه السياسة المضطربة أن يفهم رجال الصف الثانى أنهم يستطيعون فرض سياستهم الخاصة على حكومتهم لدرجة أن **اللنبى وويلسون** بلغ بهما الجرأة أن منعا المبعوثين **الفرنسيين** الى سوريا والموصل ــ كل فى دائرة اختصاصه ــ من الوصول الى مقارهم المتوقعة، ولم يصغ لويد جورج الى الاحتجاجات الرسمية التى قدمتها الحكومة الفرنسية بهذا الصدد •

كل هذا أدى الى تمادى لورنس فى سياسة « الفرانكو فوبيا » •

أما بالنسبة للحركة فقد كان لورنس يعمل لبلاد عربية مفككة وليس لوحدة عربية ، ولكنه لم يكن يتوقع أبدا أن يترك الانجليز فيصل ليفترسه الفرنسيون دون تدخل وهذا هو الذى قضى على آمال لورنس •

والحقيقة

هناك مشكلة تثير الباحثين وهى :

لماذا هذا الضجيج الضخم حول لورنس مع أنه لم يكن سوى مغامر فى ميدان حرب محدودة فى الوقت الذى يتساقط فيه الألوف من الأبطال فى جبهات القتال فى فرنسا ؟

ولكن لا شك أن وقفته بجانب فيصل عسكريا فى الشام وسياسيا خلال مؤتمر الصلح جعلت العلاقات بين فيصل والانجليز متصلة لا تنقطع رغم الضربات التى تلقاها منهم •

أما هذا الضجيج فيفسره أحد المؤرخين الانجليز بأن صحفيين كرها الدماء المسيلة غير المثيرة فى الجبهة الغربية وبحثا عن موضوع مغامرات ساحر فاستهواهما لورنس بطل الثورة العربية •

فما دور لورنس فى وضع سياسة بريطانية ازاء المشرق العربى ؟

الواقع أن الكثير من وجهات نظر لورنس أخذ بها فى وزارة الخارجية وكثير منها لم يؤخذ بها ولكن يكفيه فخرا أن الحل النهائى الذى توصل اليه ونستون تشرشل لوضع سياسة بريطانية

في المشرق كان هو الحل الشريفي

The Sharifian Solution   Z

الذى نادى بــه لــورنس

باستمراره •

واذا كان لورنس قد ترك فيصــل يذهب الى العراق ملكا ، فقد سلمه ليد أمينه ــ من وجهة

النظــر البريطانيــة ــ مس بل ، التى تعمــل للمخابرات البريطانية والتى كانت تســتطيع أن تحقق الكثير من فيصل ، لقد كانت معجبة بــه وكان معجبــا بهــا ، بعكس موقف « بل » من « عبد العزيز بن سعود » الذى لم تثره هــذه المرأة فاستشاطت غضبا وعاشت حياتهــا وهى تناصب العداء ذلك الرجل العملاق الذى عاملها كانسان بسيط عادى •

أما عبد الله فيلبى ، فكان على طراز لورنس، ولكن تحكمه تقاليد وقيم مختلفــة عن تلك التى كان لدى لورنس ، لم يكن فيلبى ليقدم الى كل من عبد العزيز بن سعود أو عبد الله بن الحسين فى الأردن وعودا مبالغا فيها • كان واقعيــا فى خطواته وعلاقاته •وكان بعيد النظر حين اكتشف أن عبد العزيز بن ســعود سيكون من رجالات العرب المسموعى الكلمة وأن التفوق ســيحالفه أمام الحسين ، وهذا مالم يكن يتصوره لورنس•

وكثرة كثيرة من المســئولين الانجليز ــ حتى مس « بل » ذات التوافق الذهنى مع « فيلبى » لم تكن تتصور ذلك •

تم البحث ،،،

د• عبد العزيز سليمان نوار
وكيل الدراسات العليا ــ جامعة عين شمس

طرائف

فضل الأدب

قال شبيب بن شبة : اطلبوا الأدب فانه مادة للعقل ، ودليل على المروءة ، وصاحب فى الغربة ، ومؤنس فى الوحشة ، وصلة فى المجالس .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالا ، وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا .

وقال بعض الحكماء : اعلم أن جاها بالمال انما يصحبك ماصحبك المال ، وجاها بالأدب غير زائل عنك .

الحسن البصرى

سئل خالد بن صفوان عن الحسن البصرى رضى الله عنه فقال :

كان أشبه الناس علانية بسريرة ، وسريرة بعلانية ، وآخذ الناس لنفسه بما يأمر به غيره . واستغنى عما فى أيدى الناس من دنياهم ، واحتاجوا الى مافى يديه من دينهم . اهـ

وكان الحسن البصرى كريما على نفسه ، صانها أن تبذل للئيم أو أمير فعف عن الأبواب الا باب الله — وحده ، وحفظ على نفسه لسانه وحكمه فعز على الفتنة ، وارتفع عن الضعة .

طلبه الحجاج فى مرض موته وألحف فى الطلب .. فلما ذهب اليه شكا اليه « الحجاج » مايجده فى مرض موته ، فقال له : قد كنت نهيتك أن تتعرض للصالحين فلججت ، فقال الحجاج : يا « حسن » لاأسألك أن تسأل الله أن يفرج عنى ، ولكنى أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحى ولايطيل عذابى » .

فبكى الحسن بكاء شديداً ، ثم انصرف .

مأثورات فى الحلم

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : بم بلغ فيكم الأحنف مابلغ ؟

قال : ان شئت بخلة ، وان شئت بخلتين ، وان شئت بثلاث .

قال : فما الخلة ؟ قال : كان أقوى الناس على نفسه .

قال : فما الخلتان ؟ قال : كان موقى الشر

ومواقف

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ملقى الخير .

قال : فما الثلاث ؟ قال : كان لايجهل ، ولا يبغى ، ولا يبخل .

وقيل لقيس بن عاصم : ما الحلم ؟

قال : أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك .

وقالوا : ماقرن شىء الى شىء أزين من حـــلم الى علم ، ومن عفو الى قدرة .

وقال الحسن : المؤمن حليم لايجهل وان جهل عليه ، وتلا قول الله عز وجل : « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

وقال الشاعر :

ليست الأحــلام فى حــين الرضـــا
انمــا الأحــلام فى حــين الغضب

لا أعــود لمثلها

شتم هشام بن عبد الملك رجلا ، فقال لـــــه الرجل : أما تستحى أن تشتمنى وأنت خليفـــة الله فى الأرض ؟

فاستحيا منه هشام ، وقال : اقتص منى !

قال الرجل : اذا أنا سفيه مثلك .

قال : فخذ منى عوضا من المال .

قال : ماكنت لأفعل .

قال : فهبها لله .

قال : هى لله ، ثم لك . فنكس هشام رأسه واستحيا .

وقال : واللـــه لا أعود لمثلها أبـــدا .

أســوأ النــاس

قيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالا ؟

قال : من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته ، وبعدت همته .

وأسوأ منه حالا من لم يثق بأحد لســـوء ظنـــه ، ولم يثق به أحد لسوء فعله .

حــقـــا

ان الذى يقبض الدنيـــا ويبسطها
ان كان اغناك عنى ســـوف يغنينى

دعاء

اللهم انى أسألك حبك وحب من يحبك ، والعمل الذى يبلغنى حبك .

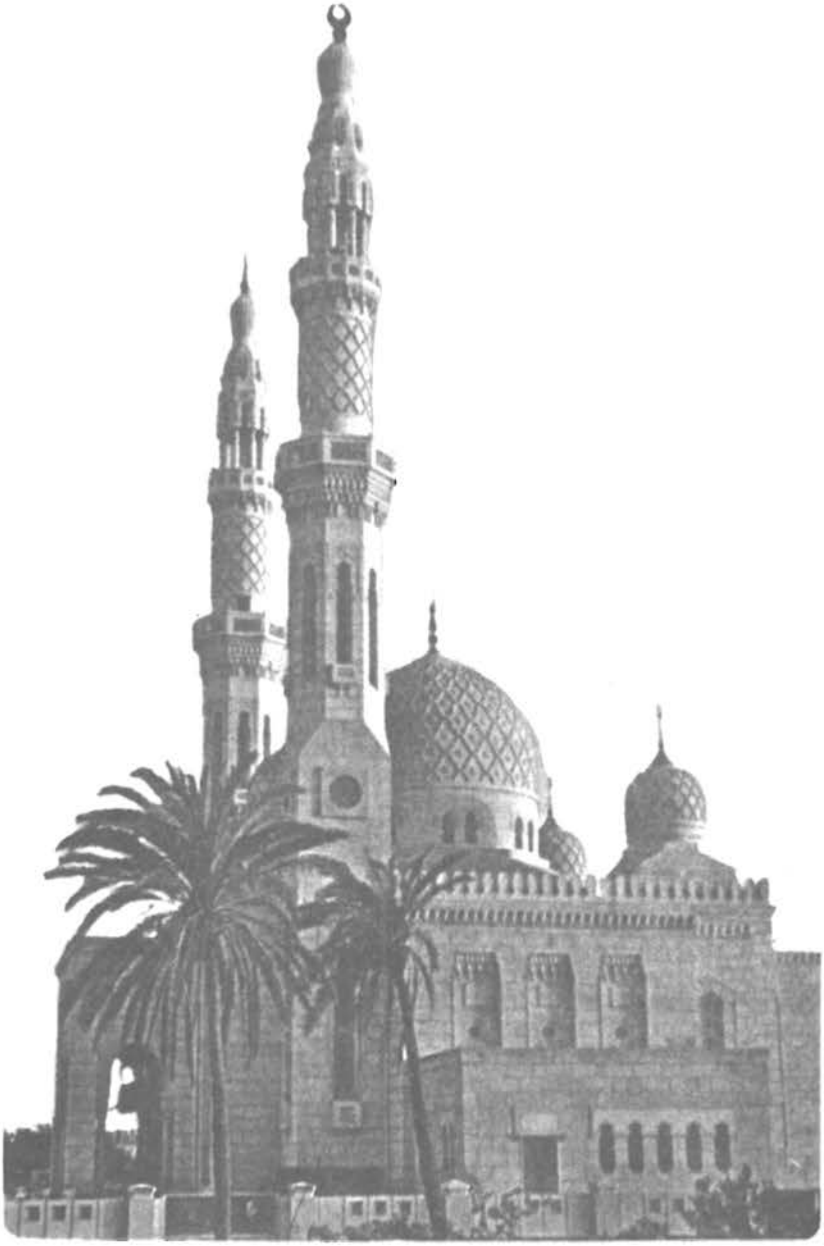

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

من نوادر المخطوطات

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

الامانة زينة العلم وروحه وبها يزكو فينفع ويفيد ، وأنت اذا دققت وأمعنت النظر فى تراجم رجال العلم فى العالم عامة رأيت فيهم الأمين وغير الأمين •

الاول : فى مكانة مرموقة محفوفة بالاجلال والوقار ، وانتفاع الناس منه فى ازدياد •

والثانى : فى منزلة أدنى، ونفوس الناس عنه منصرفة ترمقه بازدراء • وتذهب ثقتهم به فلا يكادون ينتفعون منه بشىء ومن هنا يظهر مقدار صلة العالم بمزية الامانة ، فالامانة فى العلم لها صلة وثيقة بخلق العالم عندما يسأل عما لا يعلم فلا يجد فى صدره حرجا أن يقول : « لا أعلم » •

قال الشيخ ـ رحمه الله :

فلاح (١) الأمة فى صلاح أعمالها ، وصلاح أعمالها فى صحة علومها ، وصحة علومها أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصفون ، فمن تحدث فى العلم بغير أمانة فقد مس العلم بقرحة ، ووضع فى سبيل فلاح الأمة حجر عثرة •

لا تخلو الطوائف المنتمية الى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلوا بأسنى فضيلة ، أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة، وأمثال هؤلاء لا تجد الامانة فى نفوسهم مستقرا فلا يتحرجون أن يرووا ما لم يسمعوا، أو يصفوا ما لم يعلموا ، وهذا ما كان يدعو جهابذة أهل العلم الى نقد الرجال وتمييز من يسرف فى القول ممن يصوغه على قدر ما يعلم ، حتى أصبح طلاب العلم على بصيرة من قيمة ما يقرءونه ، فلا تخفى عليهم منزلته من القطع بصدقه أو كذبه أو رجحان أحدهما على الآخر، أو احتمالهما على سواء •

قيض الله للسنة النبوية رجالا أشربوا فى قلوبهم التقوى ، فنهجوا فى روايتها نهج

---

(١) نور الاسلام (مجلة الازهر) ربيع الآخر ١٣٥٠ هـ •

لفضيلة الشيخ
محمد الخضر حسين
تقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا يروون الا ما وثقوا من صحته ، وهم بعد هذا الاحتراس البالغ على فريقين : فـــريق يحافظون فى الرواية على الألفاظ لا يغيرون منها حرفا ، ومن أصحاب هذه الطريقة القاســم ابن محمد بن أبى بكر الصديق ، ورجـــاء ابن حيوة ، ومحمد بن سيرين •

وفريق من أولئك الراشدين يحافظون فما يروون من الحديث على المعنى ؛ ولم يروا بأسا فى التعبير عنه بلفظ غير لفظ الرواية على شرط أن يؤدى المعنى كما هو ، ومن أصحاب هذه الطريقة الحسن البصرى . والشعبى وابراهيم النخعى •

اندس بين هؤلاء الأمناء أشخاص يتشابهون فى الاستخفاف بصدق اللهجة ، ويختلفون فى الأغراض التى دعتهم الى هذا الاستخفاف ، فمنهم الجاهل الذى يحسب أن من طـــرق الاحسان الى الدين وضع أحاديث للترغيب فى بعض ماندب اليه من أعمال صالحة ، كما وضع نوح بن أبى مريم أحاديث فى فضل ســـور القرآن ، وقال : رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن اسحاق ، فوضعت هذه الاحاديث حسبة •

ومنهم المغلوب على رشده : يضع الحديث لنحو تأييد مذهب أو اصابة عرض زائل كأن يصنع حديثا فيما يوافق هوى ذى سلطان ليزداد عنده حظوة . مثل غيـــاث بن ابراهيم رأى المهدى يلعب بالحمام ، فتصرف فى حـــديث (لا سبق الا فى نصل أو خف أو حافر) فزاد فيه (أو جناح) وقد شاء الله تعالى أن يتنبه المهدى لهذه الخيانة ، فأنب غياثا وترك الحمام وأمر بذبحها •

ومنهم الزنديق : يضع أحاديث ليفســـد القلوب ويزعزع الايمان كما وضـــع بعض عباد الأوثان حديث « لو أحسن أحدكم ظنـــه بحجر لنفعه » •

ونهض باللغة العربية وآدابها رجال طبعوا على الأمانة ، مثل أبى عمرو بن العـــلاء ، والمفضل الضبى ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والأصمعى ، وابن الأعرابى ، وأبى عمـــرو الشيبانى ، ومحمد بن مسلم الدينورى ، ولم تخلص اللغة وآدابها من أن ينتمى اليها نفـــر لا يتحاشون أن يدخلوا فيهـــا ما ليس من دقائقها ، كقطرب (١) ، وحماد الراوية ، ولولا العلماء الذين ينقدون ما يرويه أمثال هـــؤلاء لأصيبت اللغة بفساد كبير •

---

(١) كان متهما فى رأيه وروايته عن العـــرب (مقدمة التهذيب لأبى منصور الازهرى) •

وللتاريخ القسط الأوفر من اختلاق الرواة وتزوير الكتاب ، فكم من حقائق شاخصة حاولوا أن يذهبوا بها هباء ، وكم من سير نقية أخرجوها فى صورة ما يستحق هجاء ، وسير مدنسة ألبسوها ثوب ما يستأهل ثناء ، ومن ناحية المحرومين من نعمة الأمانة فى العلم صدرت كتب مثل كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة وصفت كثيرا من أفاضل السلف فى غير انصاف ، وولغت فى اعراض الصحابة وهم خير أمة أخرجت للناس ، وقد حذر أهل العلم من التسرع الى تسليم ما يكتبه المؤرخون فى شأنهم ، وانما يعول فى أخبارهم على الروايات الموثوق بها كالأخبار الواردة عنى طريق علماء الحديث .

وكذلك ترى فى غير الحديث واللغة والتاريخ من العلوم رهطا يمسونها بأيد غير مؤتمنة ، ويحشرون فيها ما لا يصح رواية أو لا يقبل دراية ، فيتناولها الجهابذة بالنقد ، فينفون خبثها كما تنفى النار خبث الحديد .

فالأمانة زينة العلم وروحه الذى يجعله زاكى الثمر لذيذ المطعم ، واذا قلبت النظر فى تراجم رجال العلم ، رأيت بين العالم الأمين وقرينه غير الأمين بوناشاسعا ، ترى الأول فى مكانة محفوفة بالوقار ، وانتفاع الناس منه فى ازدياد ، وترى الثانى فى منزلة صاغرة ، ونفوس طلاب العلم منصرفة عن الأخذ عنه أو متباطئة .

وقد تقرأ كتابا . فتراه حافلا بالمسائل النادرة ، فكبر صاحبه فى عينك ، ومتى عرفت أنه من المطعون فى أمانتهم ، شعرت بأن شطرا من ذلك الا كبار قد ذهب ، وخالطك الريب فى صحة ما أعجبت به من المسائل الراجعة الى الرواية .

كيف تكون منزلة الجاحظ عندك لو درست حياته فخرجت مالئا يدك بالثقة من أنه راوية أمين ؟ لا أشك فى أن الأمانة اذا انحازت الى مثل ذكاء الجاحظ وسعة اطلاعه بلغ صاحبها فى الشرف والسؤدد المكانة القصوى ، ولكنك تقرأ ما شهد به بعض (١) ناقدى علماء العربية من أن الجاحظ غير مأمون فيما يروى ، فلا يبقى فى نفسك من احترامه الا ما جاءها من ناحية سعة علمه وبراعة بيانه . ولا أظنك بعد أن تعلم أن أبا الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى غير معدود فيمن يطمأن الى روايته (٢) الا أن تقرأ كتاب الأغانى على أنه كتاب أدب يجمع بين الصحيح والسقيم ، حتى اذا أردت تدقيق موضوع تاريخى ، لم تعول على ما ينفرد بروايته فتورده كما تورد ما يرويه ابن جرير الطبرى مثلا — وأنت مطمئن اليه ، ولو كنت اذ درست حياة أبى الفرج وجدتها خالصة مما يخدش فى أمانته لأخذ فى نفسك مكانة فوق المكانة التى حازها من جهة سعة اطلاعه واتقانه لصناعة التأليف .

فالرجل الذى يكون على جانب من العلم ولا يتصرف فيه بأمانة حصينة ، يرمقه الناس بازدراء ، وتذهب ثقتهم به فلا يكادون ينتفعون بما يمكنهم أن ينتفعوا به من معلوماته الصحيحة وهذا صاعد بن الحسين البغدادى

---

(١) ابو منصور الازهرى فى مقدمة كتاب « التهذيب » .

(٢) انظر « عيون التواريخ » لابن شاكر .

– دخل قرطبة أيام المنصور بن أبى عامر ، وكان عالما باللغة والأدب والأخبار ، ولكن أهل العلم اختبروه فوجدوه يتنفق بالكذب ، فأعرضوا عنه ولم يأخذوا منه شيئا ، وألف كتابا باسماه الفصوص نحافيه نحو الأمالى لأبى على القالى فغلب شؤم ما فيه من كذب على ما فيه من صدق ، وكان شكرهم لهذا الكتاب أن طرحوه فى النهر .

قد يقع الرجل فى حال يرى أن الاعتراف فيه بالجهل يذهب بشىء من احترام سائليه له ، فيقف بين داعيين : فضيلة الأمانة تدعوه الى أن يقول « لا أدرى » وحرصه على أن يبقى احترامه فى نفوس سائليه غير منقوص يدعوه الى أن يستمد من غير الحقيقة جوابا ، وفى مثل هذا الحال يظهر مقدار صلة العالم بمزية الأمانة ، فان كان راسخا فيها رسوخ الجبل تشتد به العواصف فلا تزحزحه قيد شعرة ، اجاب داعيها ، ولستيقن أن الاحترام الحق فى الوقوف عند حدودها ، وان كانت الأمانة كلمة يقولها بفمه ويسمعها بأذنه دون أن تتخلل مسلك الروح منه ، آثر لذة الاحترام فى ذلك المشهد ، وأجاب بما ليس له به علم حضر بعض أدباء المغرب مجلس السلطان اسماعيل أو ابنه محمد وقرأ هذا الاديب بين يديه صحيفة ، فجاءت كلمة « الوخيد » (١) فقرأها «الوخيذ» بالذال المعجمة ، فأرجعه السلطان ، فقال ذلك الأديب : انه بالمعجمه والمهملة ، فطلب منه شاهدا على ذلك فارتجل :

أقول لصاحبى لما ارتحلنا
وأشرعنا النجائب فى الوخيذ

تمتع من لذيذ كلام حوارا
فما بعد العشية من لذيذ

واذا كان هذا الأديب قد خرج من مجلس السلطان فى ستر ، فقد لقى ما يلقاه المستخف بحق الأمانة فى العلم ، فافتضح أمره ، ووعت صحف التاريخ حديثه ، فأزرى بقدره .

واذا أبديت فى العلم رأيا ، ثم أراك الدليل القاطع أو الراجح أن الحق فى غير ما أبديت ، فمقتضى الأمانة أن تصدع بما استبان ذلك أنه الحق ، ولا يمنعنك من الجهر به أن تنسب الى سوء النظر فيما رأيته سالفا ، فما أنت الابشر ، وما كان لبشر أن يبرىء نفسه من الخطأ ، ويدعى أنه لم يقل ولن يقول فى حياته الا صوابا ، والأمانة هى التى كانت تحمل كبار أهل العلم على أن يعلنوا فى الناس رجوعهم عن كثير منآراء علمية أو اجتهادات دينية تبينوا أنهم لم يقولوا فيها قولا سديدا ، تجد هذه الفضيلة فى الأئمة المقتدى بهم كمالك بن أنس وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل ، والفتاوى التى رجع عنها أمثال هؤلاء العظماء منبه عليها فى كتب الأحكام ، ولا يعدشىء منها فيما يصح الاقتداء به الا أن يراه بعض المجتهدين صحيح الاستنباط ثابت الأصل فحكمه العمل على ما رأى .

يسأل العالم ذو الخلق العظيم عما لا يعلم ، فلا يجد فى صدره حرجا أن يقول « لا أعلم » وهذه سيرة علمائنا الاجلاء ، يلقى الواحد منهم السؤال فى العلم الذى علا فيه كعبه ، فاذا لم يحضره الجواب أطلق لسانه بكلمة «لا أدرى» غير مستنكف ولا مبال بما يكون لها من الأثر فى نفوس السائلين ، واذا فاته أن يجيب طالب

(١) الوخيد للابل : الاسراع .

العلم عما سأل ، لم يفته أن يعلمه خلقا شريفا هو أن لايتحدث فى العلم الا على بصيرة، فيحفظ مقامه من أن يرمى بضعف الرأى ان كانت المسألة من قبيل الدراية ، أو بقلة الأمانة ان كانت عائدة الى الرواية ، ولأن يقال : سئل فقال : لا أدرى ، خير من أن يقال : سئل فقال خطلا ، أو روى ما لم يكن واقعا .

قال ابن هرمز : ينبغى للعالم أن يورث جلساءه قول « لا أدرى » .

والمسائل التى قال فيها كبار العلماء « لا أدرى » بالغة من الكثرة ما لا يحيط به حساب .

سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة ، وذكر أنه أرسل فيها من مسيرة أشهر من المغرب ، فقال له : أخبر الذى أرسلك أنه لا علم لى بها. قال : ومن يعلمها ؟ قال : من علمه الله ، وسأله آخر عن مسألة استودعه اياها أهل المغرب ، فقال : « ما أدرى ما هى » فقال الرجل : يا أبا عبد الله تركت خلفى من يقول : ليس على وجه الأرض أعلم منك ، فقال مالك غير مستوحش : اذا رجعت فأخبرهم أنى لا أحسن ، وقال الكاتبون فى سيرته : لو شاء رجل أن يملأ صحيفته من قول مالك « لا أدرى » لفعل .

ونقرأ فى سيرة الشعبى أنه سئل عن مسألة فقال « لا أدرى » فقال له السائل : فبأى شىء تأخذون رزق السلطان ! فقال : لأقول فيما لا أدرى « لا أدرى » .

ومن شواهد أمانة محمد بن الأعرابى أن محمد بن حبيب سأله فى مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح ، فكان يقول : لا أدرى ، ولم أسمع ، أفأحدس لك برأيى !

وقد تخون الرجل ذاكرته أو تأخذه غفلة فيقع لسانه فى خطأ ، وينبه بعد أو يتنبه من نفسه الى هفوته ، فان كان على حظ عظيم من الأمانة بادر الى اصلاح خطئه بنفسه غير مستنكف من الاعتراف بما أخذه من ذهول قلب أو غلط لسان ، حضر أبو بكر بن العربى (١) مجلس أبى الفضل النحوى فسمعه يقول : طلق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وآلى وظاهر ، فلما انصرف قصده الى منزله ، وقال له : أصلحك الله ! قلت : انه — صلى الله عليه وسلم — طلق وآلى وظاهر ، وانه — صلى الله عليه وسلم — لم يظاهر ، فان الله جعل الظهار منكرا من القول وزورا ، فكان من أبى الفضل أن شكره ، ومن الغد قال أبو الفضل لأهل مجلسه بعد أن قرب ابن العربى اليه : انى قد قلت لكم بالأمس : ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — طلق وآلى وظاهر ، وان هذا أرشدنى الى أنه لم يظاهر ، وهو كما قال، وانه شيخى فى هذه المسألة .

من الأمانة الرجوع الى الحق ، وهو كمال لا تحرص عليه الا نفوس ذللت لها سبل المكارم تذليلا ، ومن الأمانة أن تنتقد الآراء ولا تغمض

---

(١) هكذا وردت هذه القصة فى كتاب « الفائق » لابن راشد القفصى وأوردها ابو بكر بن العربى فى كتاب « الاحكام » على انها وقعت لمحمد بن قاسم العثمانى حين حضر مجلس أبى الفضل الجوهرى .

فيما تراه باطلا وان كان بينك وبين صاحبها صلة الصداقة أو القربى •

قدم أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهـــرى الملك المستنصر فى تونس كتابا فى النحـــو ، فدفعه المستنصر للأستاذ أبى الحسن حازم ، فزار أبو جعفر حازما يوما ، فرأى الكتاب بين يديه ، فقال له يا أبا الحسن « وعين الرضـــا عن كل عيب كليلة » فقال له حازم : أنت سيدى وأخى ، والعلم لا يحتمل المداهنة ، فقال لـــه أبو جعفر : فأخبرنى بما عثرت عليه ، فأراه مواضع فسلمها وأصلحها بخطه •

ومن امانة العـــالم أن لا يفتى أو يقضى بما يراه باطلا ، فحرام عليه أن يفتى أو يقضى برأى غيره وهو لا يتردد فى بطلانه ، ويبقى النظر فى المسائل التى تعود الى الاجتهـــاد ولا يتعدى حكمها مراتب الظنون ، وهـــذا ما يمكن أن يكون موضع اختلاف الفقهـــاء فى قضاء العالم أو افتائه بغير مذهبه ، كأن يقضى بين خصمين من أتباع بعض المذاهب عـــلى مقتضى المذهب الذى تقلداه • كان العـــالم الجليل قاسم بن محمد بن ســـيار يفتى فى الأندلس بمذهب مالك وهو يخالفه فى كثير من المسائل ، فقال له أحمد بن خالد : أراك تفتى الناس بما لا تعتقد ! وهذا لا يحل لك ، فقال : انما يسألوننى عن مذهب جرى فى البلد فعرف، فأفتيهم به ، ولو سألونى عن مذهبى لاخبرتهم به •

ويسهل على العالم السبيل لافتاء القـــوم بمذهب امام تقلدوه أن المجتهد وان خالف غيره من المجتهدين فى بعض الأحكام المستنبطة، يرى أن عبادات كل مجتهد ومن يقلدونه فى مذهبه

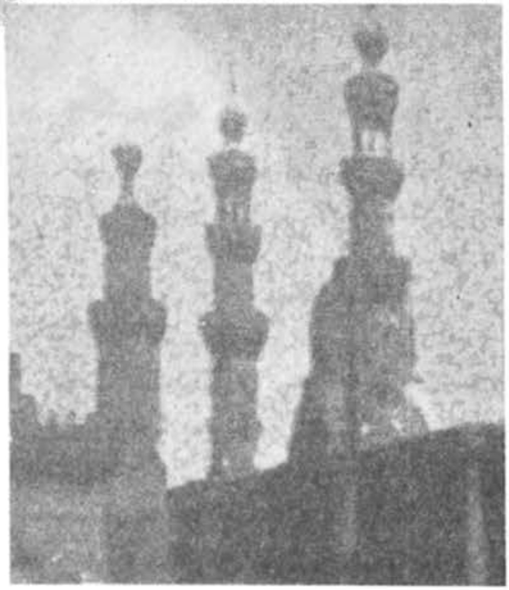

صحيحة ، لأنها قائمة على الاجتهاد الذى هو أقصى ما كلفهم الله بالعمل عليه ، وليس عليهم أن يكون اجتهادهم مطابقا لما هو الصواب عند الله •

وممن لا يجيز للعالم أن يحكم بمذهب غير راجح فى نظره أبو بكر الطرطوشى ، فانه كان ينكر ما يفعله ولاة قرطبة من أنهم اذا ولوا أحدا القضاء شرطوا عليه أن لا يخرج عن قول ابن القاسم ، وقال : هذا جهل عظيم •

والحق أن ولاية القضاء المتبعين لمذهب بعض الأئمة المقتدى بهم — عند فقد المجتهدين — صحيحة ولولى الأمر أن يشترط عليهم الحكم بالمشهور أو الراجح فىمذهب يعينه عند الولاية، ضبطا للأحكام وسدا لأبواب اتباع الأهواء ، ولا حرج فى قضائهم على هـــذا الشرط وان حكموا بما لا تطمئن اليه نفوسهم ، فان آراء من لم يبلغ رتبة الاجتهاد المطلق أو المقيـــد تسقط أمام آراء المجتهدين ، وليس لها فى نظر

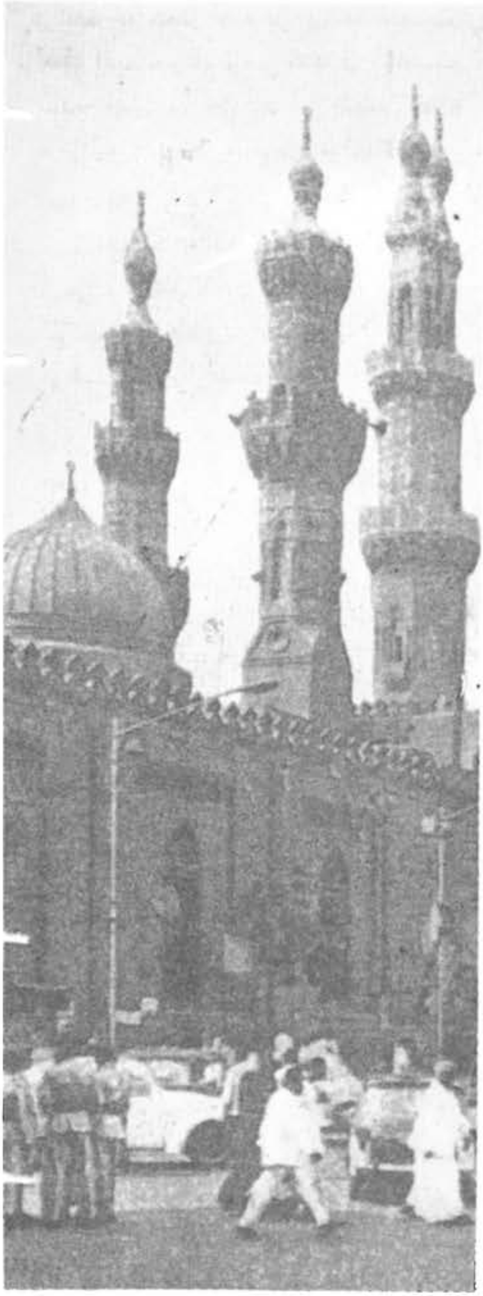

الشارع من قيمة ، أما بالغ رتبة الاجتهاد فليس له أن يحكم بغير ما قامت الأدلة القاطعة أو الراجحة على أنه حكم الله الذى شرع لعباده •

واذا كانت الأمانة فى العلم منبع حياة الأمم وأساس عظمتها ، زيادة على أنها الخصلة التى تكسب صاحبها وقارا وجلالة ، كان حقا علينا أن نعطف على نشئنا من طلاب العلم ، ونتخذ كل وسيلة الى أن نخرجهم أمناء يروون أو يصفون ، ذلك بأن نتحرى فى دروسنا الأمانة فيما نروى ، ولا نجيب سؤالهم الا بما ندرى أو بقولنا « لا ندرى » واذا أوردنا رأيا استبنا بعد أنه مأخوذ من غير أصل ، قلنا لهم فى صراحة : قد أخطأنا فى الفهم ، أو خرجنا على ما تقتضيه أصول العلم •

ومن أساليب تلقينهم الأمانة فى العلم أن نتلقى مناقشاتهم بصدر رحب ، ولا نقتل آراءهم بالكلمات الجارحة ، أو نتعسف فى ردها فندافعها بما نعتقد فى أنفسنا أنه غير كاف لدفاعها •

وعلى الأستاذ بعد أن يقوم بحق الأمانة ملاحظة سير الطلاب حتى اذا وقع أحدهم فيما يدل على أنه غافل عن رفعة شأنها وغزارة فوائدها ، أرشده الى أن العلم بغير أمانة شر من الجهل ، وأن ذكاء لايصاحبه صدق اللهجة نكبة على العقل (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)

محمد الخضر حسين

من نوادر المخطوطات

قواعد الشريعة

لعز الدين بن عبد السلام

عرض وتقديم
محمد عميرة على

من المعلوم أن علم أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية قدرا وأجلها نفعا وأكثرها فائدة .

وهو العلم الكفيل بالنظر فى الادلة الشرعية قرآنا وسنة واجماعا وقياسا من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف .

وهو يعصم الذهن عن الخطأ فى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية .

وهو العمدة لأصحاب التخريج الذين عنوا بتفريع الأحكام الفقهية وتخريج الوقائع والحوادث الوقتية على أصول تنبنى عليها وتؤخذ منها . وكذلك لأصحاب الترجيح من أتباع الأئمة فانه لايعتد بترجيحهم الا اذا ردوا الأقوال الى أدلتها على وجه لا تخرج به عن قواعد الأصول .

وقد تصدى لصناعة التخريج والترجيح كثير من الفقهاء فيما دونوه من كتب الأصول والفروع لتحقيق مذاهب الأئمة والترفع بها عن مواطن الضعف والدخل كما تصدى كثير منهم لصناعة الخلاف فكانت حاجتهم الى الأصول كحاجة الفقيه المجتهد . الا أن الفقيه المجتهد يحتاج اليه للاستنباط وصاحب الخلاف يحتاج اليه لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلته . ولذلك فائدة جليلة فى معرفة مآخذ الأئمة وأدلتهم ومثار اختلافاتهم ومواقع اجتهادهم . والغرض الأصلى من معرفة الأصول هو تحصيل ملكة استنباط الأحكام الفقهية من أدلتها التفصيلية على وجه

(١) الكتاب موجود بمكتبة الازهر برقم خاص ٨٦٥ رقم عام ٢٢٤٢٨ فى علم الاصول .

معتـد به وذلك لا يكون الا لمجتهد تحصل لديه جملة من العلوم العربية والشرعية والعقليـة وعـلى درجـة خاصـة من الفطنـة والفهـم واستعداد يؤهله لخوض عباب هذا الاستنباط الخطير الذى قلما تتوفر دواعيـه لكثير مـن الباحثين •

ومن الذين توفرت لديهم هذه الدعائـم الامام(١) عبد العزيز بن عبد السـلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء : فقيه شافعى بلغ رتبة الاجتهاد • ولد ونشأ فى دمشق سنة ٥٧٧ هـ (سنة ١١٨١م وزار بغداد سنة٥٩٩ هـ، وأقام شهرا ، وعاد الى دمشق فتولى الخطـابة والتدريس بزاوية (الغزالى) ، ثم الخطابـة بالجامع الأموى • ولما سلم الصـالح اسماعيل ابن العادل قلعة « صفد » للفـرنج اختيـارا أنكر عليه ابن عبد السـلام ولم يـدع لـه فى الخطبة ، فغضب وحبسه • ثم أطلقه فخـرج الى مصر ، فولاه صاحبها الصالح نجم الـدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الأمـر والنهى • ثم اعتزل ولزم بيته • ولما مـرض أرسل اليه الملك الظاهر يقـول : ان فى أولادك من يصلح لوظائفك • فقـال : لا • وتوفى بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) •

ومن مصنفاته « التفسير الكبير » و « الالمام فى أدلة الأحكام » و « قواعد الشريعـة » و « قواعد الأحكام فى اصلاح الأنـام » و « ترغيب أهل الاسلام فى سكن الشـام » و « الغاية فى اختصار النهاية » و « الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز » •

قالت عنه رحمه الله طبقات الشـافعية الكبرى للسبكى (٢) : هو امام عصره بـلا مدافعة القـائم بالأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر فى زمانه المطلع على حقائق الشريعـة وغوامضها العارف بمقاصدها ، لم ير مثـل نفسه ولا رأى من رآه مثلـه علمـا وورعـا وقياما فى الحق وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسـان ، تفقـه على الشـيخ فخر الدين بن عساكر وقرأ الأصول على الشـيخ سيف الدين الأمدى وغيره ، وسمع الحديث من الحـافظ أبى محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبى القاسم بن عساكر وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بـن اسماعيل بن أبى سـعد البغدادى وعمر بـن محمد بن طبرزد وحنبل بن عبد الله الرصـافى روى عنه تلامذته شيخ الاسلام بن دقيق العيد وهـو الذى لقب الشـيخ عز الدين سـلطان العلماء والامام علاء الدين أبو الحسن الباجى والشيخ تاج الدين بن الفركاح •

وتقول عنه الطبقات اطلع شيخنا عزالدين مرة الى السلطان فى يوم عيد الى القلعـة فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ومجـلس المملكة وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهـة وقد خرج على قومه فى زينته على عـادة سلاطين الديار المصرية وأخذت الأمراء تقبـل

---

(١) الاعلام للزركلى جـ ٤ ص ١٤٤ •

(٢) جـ ٥ ص ٨٠ •

الأرض بين يدى السلطان فالتفت الشيخ الى السلطان وناداه يا أيوب ما حجتك عند الله اذا قال لك ألم أبوىء لك ملك مصر ثم تبيح الخمور ؟

فقال هل جرى هذا • فقال نعم • ألحانة الفلانية يباع فيها الخمور وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة يناديه كذلك بأعلا صوته والعساكر واقفون •

فقال يا سيدى هذا أنا ما عملته هذا من زمان أبى •

فقال أنت من الذين يقولون (انا وجدنا أباءنا على أمة) فرسم السلطان بابطال تلك الحانة وغيرها ، وسئل الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر • ياسيدى كيف الحال ؟ • فقال يابنى رأيته فى تلك العظمة فأردت أن أهيئه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه• فقلت يا سيدى أما خفته ؟ فقال والله يا بنى استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان أمامى كالقط •• الخ •

وكتاب قواعد الشريعة الذى نقدمه لقرائنا لسلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام ذكر فى مقدمته : الحمد لله الذى خلق الانس والجن ليكلفهم أن يوحدوه ويعبدوه ويقدسوه ويمجدوه ويشكروه ولا يكفروه ويطيعوه ولا يعصوه وأرسل اليهم رسوله صلى الله عليه وسلم ليعزروه ويوقروه ويطيعوه وينصروه فأمرهم على لسانه بكل بر واحسان وزجرهم على لسانه عن كل اثم وعدوان وكذلك أمرهم بالمعاونة عن كل اثم وعدوان وكذلك أمرهم بالمعاونة على البر والتقوى ونهاهم عن المعاونة على الاثم والطغيان وحثهم على الاقتداء والاتباع كما زجرهم عن الاختلاف والابتداع •• الخ•

ورتب المصنف مؤلفه فى ثمانية وثمانون بابا • وكل باب الى عدة فصول وختمه بقواعد وفوائد •

وقال ان الغرض فى بيان مقاصد هذا الكتاب مصالح الناس من حيث الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات ليسعى العباد فى كسبها ، وبيان مفاسد المخالفات ليسعى العباد فى درئها ، وبيان مصالح المباحات ليكون العباد على خيرة منها ، وبيان مايقدم من بعض المصالح على بعض ، وما يؤخر من بعض المفاسد عن بعض ، مما يدخل تحت اكساب العبيد دون مالا قدرة لهم عليه ولا سبيل لهم اليه ، والشريعة كلها نصائح اما بدرء مفاسد أو بجلب مصالح ، فاذا سمعت الله يقول « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** » فتأمل وصيته بعد ندائه فلا تجد الا خيرا يحثك عليه أو شرا يزجرك عنه ، أو جمعا بين الحث والزجر ، وقد أبان فى كتابه ما فى بعض الأحكام من المفاسد حثا على اجتناب المفاسد • وما فى بعض الأحكام من المصالح حثا على اتيان المصالح •

ونورد نموذجا لبعض فصول الكتاب فيما يتعلق به الثواب والعقاب من الأفعال قال فيه : لايثاب الانسان ولا يعاقب الا على كسبه واكتسابه ، اما بمباشرة أو بتسبب قريب أو بعيد • قال تعالى « **إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** » وقال « **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** » أى ليس له الا أجر سعيه ، وقال « **وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا** » ولأن

الغرض بالتكاليف تعظيم الاله بطاعته واجتناب معصيته ، وذلك يختص بفاعليه . اذ لا يكون معظم الحرمات منتهكا لها بانتهاك غيره، ولا منتهك الحرمات معظما لها بتعظيم غيره، فلذلك لا تجوز الاستنابة فى المعاصى والمخالفات ولا فى الطاعات البدنيات الا ما استثنى من الطاعات كالحج والعمرة والصدقات رحمة للعاجزين بتحصيل ثواب هذه القربات وللنائبين عنهم بالتسبب الى انالة ثواب هذه الطاعات وأما قوله عليه السلام **« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »** ومعناه انقطع أجر عمله أو ثواب عمله فهذا على وفق هذه القاعدة ، لأن هذه المستثنيات من كسبه .

فان العلم المنتفع به من كسبه فجعل له ثواب المتسبب الى تعلم ذلك العلم ، وكذلك الصدقة الجارية تحمل على الوقف وعلى الوصية بمنافع داره وثمار بستانه على الدوام فان ذلك من كسبه لتسببه اليه ، فكان له أجر التسبب ، وليس الدعاء مخصوصا بالولد ، بل الدعاء شفاعة جائزة من الأقارب والأجانب ، وليست مستثناة من هذه القاعدة لأن ثواب الدعاء للداعى والمدعو به حاصل للمدعو له ، فاذا طلبت له المغفرة والرحمة كانت المغفرة والرحمة مخصوصتين بالمدعو له. وثواب الدعاء للداعى ، كما لو شفع انسان لفقير فى كسوة أو فى العفو عن زلة كان للشافع ثواب الشفاعة فى العفو والكسوة . وكانت مصلحة العفو والكسوة للفقير ، وقد ظن بعض الجهلة أن المصاب مأجور على مصيبته وهذا خطأ صريح ، فان المصائب ليست من كسبه بمباشرة ولا تسبب ، فمن قتل ولده أو غصب ماله أو أصيب ببلاء فى جسده فليست هذه المصائب من كسبه ولا من تسببه حتى يؤجر عليها . بل ان صبر عليها كان له أجر الصابرين ، وان رضى بها كان له أجر الراضين ، ولا يؤجر على نفس المصيبة لأنها ليست من عمله . وقد قال تعالى « **إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** » كيف والمصائب الدنيوية عقوبات على الذنوب والعقوبة ليست ثوابا ويدل على ذلك قوله تعالى « **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** » الى آخر ما أورده فى هذا الفصل .

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد قديم بخط محمد بن عبد الرحمن الشافعى سنة ٧٢٦ هـ فى ١٨٢ ورقة ومسطرتها مختلفة ، وقال الناسخ قوبلت هذه النسخة من أولها الى آخرها على النسخة المنقولة منها مع بذل الجهد فى ذلك ، وبهامشها تعليقات عليها وتصحيحات ، ويوجد بمكتبة الأزهر نسخة أخرى فى مجلد بخط محمد بن ثابت العوضى الحلبى سنة ٨٢٣ هـ بها خروم وتلويث ونقص من أولها وتقع فى ٣٢٨ ورقة ومسطرتها سبعة عشر سطرا .

مدير مكتبة الأزهر
محمد عميره على

لغة وأدب ونقد

حتى .. العاطفة

مصادر العقد الفريد

وطريقة ابن عبد ربه فى الرواية والصياغة

دراسات عن مجلة الرسالة الجديدة ١٩٥٤ - ١٩٥٩

ودورها فى الأدب والنقد

حــتى .. العـاطفة

الاستعمال الثانى لحتى أن تكون حرف عطف مثل (الواو) فلا تفيد ترتيبا مع الفور (كالفاء) ولا مـــع التراخى (كثم) وقيل : انها للترتيب مع نوع مهلة دون مهلة ثم ، فهى واسطة بينها وبين الفاء ، ويؤيد أنها ليست للترتيب قـــول الشـــاعر :

رجالى حتى الاقـــدمون تمالئوا
على كل أمر يورث المجد والحمدا

لكنها تخالف الواو فى أمور ثلاثة :

أولها أن معطوفها يلزم أن تتـــوفر فيـــه شروط ثلاثة :

١ ــ أن يكون ظاهرا لامضمرا، كما أن هذا شرط فى مجرور حتى الجارة .

٢ ــ أن يكون بعضا من المعطوف عليـــه حقيقة بأن يكون جزءا من كـــل نحـــو أكلت السمكة حتى رأسها ، أو أفرادا من جمـــع نحو : قدم الحجاج حتى المشاة ، أو نوعـــا من جنس نحو : أعجبنى الثمر حتى البرنى ، أو يكون بعض المعطوف عليه تأويلا كقول ابن مروان النحوى .

ألقى الصـــحيفة كى يخفف رحله
والـــزاد حتى نعلـــه ألقـــــاها

بنصب نعله بالعطف ، فان المعطوف وان لم يكن بعض المعطوف عليه حقيقة ، الا أنه على تقدير : ألقى كل ما يثقله من الصحيفة والزاد حتى نعله ، والنعل بعض ما يثقله فالمعطوف اذن بعض المعطوف عليه تأويلا ، ويحتمل أن يكون منصوبا بفعل محذوف يفسره المذكور ، وهو ألقاها ،وعلى النصب بالعطف يكون ألقاها توكيدا وعلى تقدير النصب بفعل مقدر يكون ألقاها تفسيرا ، وأما من رفـــع نعلـــه فعلى الابتداء ، وجملة ألقاها خبر المبتدأ أو يكون شبيها ببعض المعطوف عليه لشدة اتصاله به نحـــو : أعجبتنى الجـــارية حتى كلامهـــا ، ويمتنع أن يقـــال أعجبتنى الجـــارية حتى ولدها ، لأن ولد الجـــارية ليس جزءا منهـــا لشدة اتصاله بها صار كجزء منها .

٣ ــ أن يكون غاية لما قبلها فى زيادة حسية نحو : حاتم يهب الأموال الكثيرة حتى الألوف فالألـــوف بالنســـــبة للامـــوال غـــــاية فى الزيادة الحســـية ، أو فى زيـــادة معنـــوية ، نحـــو : مات الناس حتى الانبياء والملـــوك

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلال

فالانبياء والملوك غاية الناس فى الزيادة المعنوية ، أو فى نقص حسى نحو : المؤمن يجزى بالحسنات حتى مثقال الذرة فمثقال الذرة غاية فى النقص الحسى ، أو نقص معنوى نحو : غلبك الناس حتى النساء والصبية ، فان النساء والصبية غاية فى النقص المعنوى وهو الاتصاف بالأنوثة والصبا ، وقد اجتمعت الغايتان (الزيادة والنقص) فى قول الشاعر :

قهرناكم حتى الكماة فانتم
تهابوننا حتى بنينا الأصاغرا

فالكماة غاية فى زيادة القوة والهيبة ، والبنين الصغار غاية فى زيادة الضعف والعجز .

والمعتبر فى تقدير الغاية مع حتى هو ترتيب أجزاء ما قبلها فى الذهن من الأقوى الى الأضعف والعكس ولا يعتد بالترتيب الخارجى المستفاد من نص الكلام لجواز أن تكون ملابسة الفعل لما بعدها قبل ملابسة الأجزاء الأخر نحو : مات كل آبائى حتى آدم ، أو تكون ملابسة ما بعدها فى أثناء ملابسة ما قبلها نحو : مات الناس حتى الأنبياء أو تكون الملابسة لهما فى زمان واحد ، نحو جاءنى القوم حتى نافع ، اذا جاءوك معا ، ونافع هو الغاية فى القوة أو الضعف . وَيُعلَم من كلام الموضح أنه اذا لم يكن ما بعد حتى بعض ما قبلها تحقيقا أو تأويلا أو كبعضه أو كان كذلك ، ولكنه لم يكن غاية له ، أو كان غاية ولكنه لا يحتمل زيادة أو نقصا حسيين أو معنويين امتنع العطف بحتى فلا يجوز : صادقت العرب حتى العجم لاختلاف الجنس ، ولا خرج الفرسان حتى بنو سعد ، وبنو سعد أولئك من أوساط الفرسان لفقدان الغاية لأن الغاية لا تكون الا بين الأطراف تامة التفاوت فى العلو أو الدنو ، ولا جاء القوم حتى هشام ، اذ أن المعطوف وهو هشام لم يتصف بزيادة أو نقص من رفعة أو ضعة .

ثانيها : أن معطوفها يتعين أن يكون اسما مفردا لا فعلا ، لأنها لا تدخل على الأفعال ، فلا يجوز أن تقول : أكرمت أحمد بما أستطيع حتى خدمته بنفسى ، ولا أن تقول : بخل على جعفر بكل شىء حتى أبى منحى درهما واحدا ، ذلك أنه يشترط فى معطوفها أن يكون بعضا أو جزءا مما قبلها أو كالجزء منه مثل : الجارة ، ولا يتأتى ذلك الا فى المفردات وقد

حتى .. العاطفة

ادعى بعضهم فى قول امرىء القيس :

سريت بهم حتى تكل مطيهم
وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

فيمن رفع تكل ، أن جملة تكل معطوفة بحتى على سريت بهم على معنى حتى كلت مطيهم ، ولكنه جاء بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ، وأما من نصب تكل فان حتى عنده جارة ، والفعل بعدها منصوب بأن المضمرة ، والمصدر المؤول من أن والفعل المضارع مجرور بحتى ، والحق أن حتى فى الموضعين من البيت ابتدائية ، وليست عاطفة ولا جارة •

وعلى النصب لابد من تقدير زمان مضاف الى المصدر المؤول من أن والفعل ، أى حتى زمن كلال مطيهم ، والواو على النصب فى الشطر الثانى من البيت عاطفة لمحذوف على سريت بهم فى الشطر الأول تقديره : وسريت بهم حتى الجياد الخ حتى لا يرد أنه لا يستقيم عطف حتى الابتدائية وجملتها على حتى الجارة ومجرورها •

ثالثها : أنها اذا عطفت على مجرور فالأحسن اعادة الجار فى رأى ابن عصفور ليظهر الفرق بين العاطفة والجارة وقال ابن الخباز يتعين اعادة الجار للفرق بينهما نحو : سألت عن الغائبين حتى عن سعيد ، وقيد ابن مالك اللزوم بألا يتعين كونها للعطف نحو : اعتكفت فى الشهر حتى فى آخره ، فان تعينت للعطف لم تلزم الاعادة ، نحو : عجبت من القوم حتى بنيهم ، وقول الشاعر :

جود يمناك فاض فى الخلق حتى
بائس دان بالاساءة دينا

وهو حسن ،ورده أبو حيان ، وقال : هى فى المثال جارة ، اذ لا يشترط فى تالى الجارة عنده أن يكون بعضا أو كبعض ما قبلها بخلاف العاطفة ، ولذا منعوا (أعجبتنى الجارية حتى ولدها) ، قال : وهى فى البيت محتملة للأمرين، ذلك أن الجارة التالية ما يفهم الجمع أو الكل ذا الأجزاء يشترط فىمجرورها أن يكون بعض ما قبلها أو كبعضه ، وقد ذكر ذلك ابن مالك فى باب حروف الجر وأقره أبو حيان عليه •

وخلاصة ذلك كله أن الموضع الذى يصح أن تحل الى فيه محل حتى العاطفة تكون حتى فيه محتملة للأمرين فيحتاج حينئذ الى اعادة الجار اذا قصد العطف نحو : اعتكفت فى الشهر حتى فى آخره ، بخلاف المثال (عجبت من القوم حتى بنيهم والبيت ، فيتعين العطف ويمتنع الجر لعدم صلاحية الى فى موضع حتى ، ولكون ما بعدها ليس آخرا ولا متصلا بالآخر واذا كانت تصلح للعطف والجر فالجر أحسن لقلة العطف بها حتى لقد أنكره الكوفيون وحملوا ما ورد من نحو : جاء القوم حتى أبوك ، ورأيت القوم حتى أباك ، وسررت من القوم حتى أبيك على أن حتى ابتدائية ، وأن ما بعدها ، مرفوعا أو مجرورا أو منصوبا انما هو باضمار عامل رفع أو نصب أو جر •

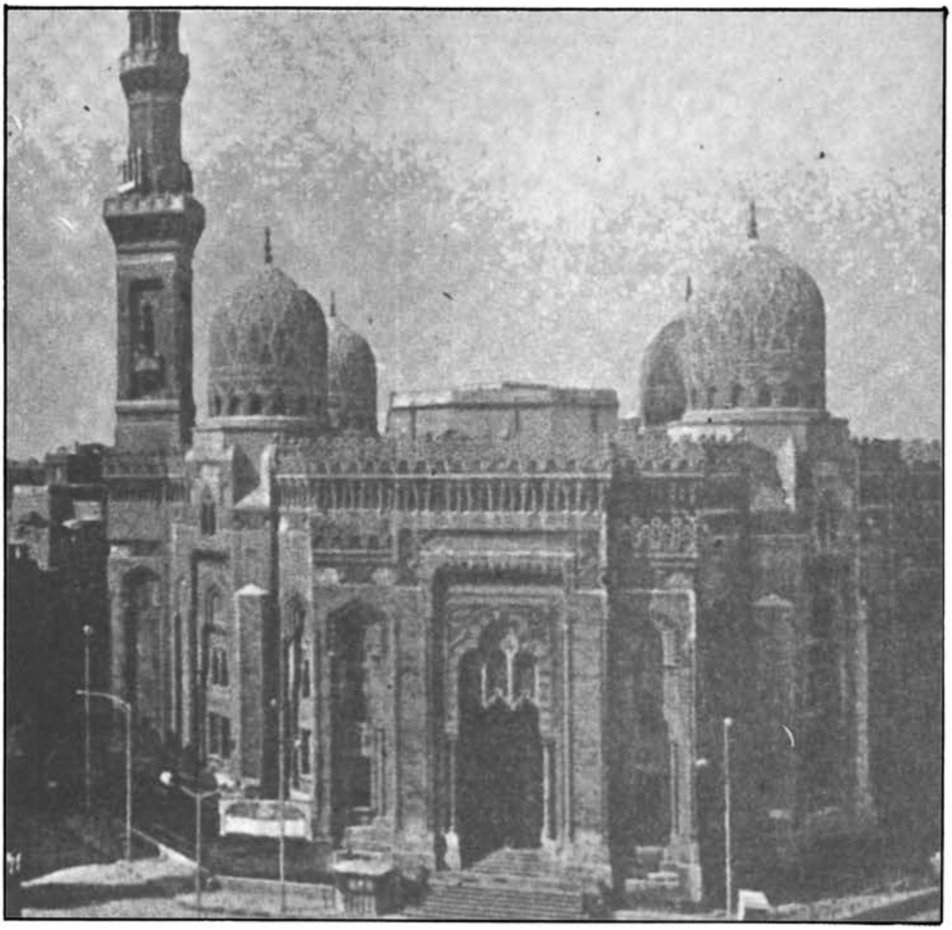

الا اذا جاء بعـــد الاسم التـــالى حتى فعـــل مشتغل بضميره المنصوب نحو : عاقبت المهملين حتى عمرا عاقبته فالنصب أحسن على تقـــدير كون حتى عاطفة ، وعاقبته توكيد لعاقبت عمرا الذى تضمنه عاقبت المهملين لدخـــول عمرو فى عداد المهملين أو ابتدائية ، وعاقبتـــه تفســـير للفعل المضمر الناصب عمرا . فان اشـــتغل الفعل برفع الضمير ، نحو قام القوم حتـــى زيد قام وانصرف الحاضرون حتى صـــالح انصرف امتنع النصب ، وجاز الرفع والجر.

وعلة ايثار النصب عـــلى الجر أن فيـــه مشاكلة الضمير لمرجعه فى الاعراب ، وقد روى بالوجهين (النصب والجر) : حتى نعله ألقاها ، وتكون ألقاها حينئذ توكيدا لألقى نعله المستفاد من ألقى الصحيفة ، أى ألقى الصحيفة والـــزاد ، حتى ألقى نعله ألقاها ، كما روى بالرفع أيضا عـــلى اعتبار أن حتى ابتـــدائية . ونعله مبتدأ ، وجملة ألقاها خبر المبتدأ .

أحمد حسن عبد العواض هلالى

مصادر العقد الفريد

وطريقة ابن عبد ربه فى الرواية والصياغة

سلك ابن عبد ربه طريقه المختار فى تأليف (العقد الفريد) على النظام الذى رآه أدق مسلكا ، وأجمل مذهبا ، وأوضح غاية ، حين وجد من سبقه اما (جماعا) لا يتخذ لنفسه منهاجا ، ولا يوضح لعمله غاية مستهدفة ، واما (مختارا ذواقة) أعرف بخطته ، وأبصر لغايته ، وان يكن قد قصرها على فروع من الثقافة دون ما ينبغى أن تحتفل به الكتب الجامعة التى تسهم فى تثقيف الأديب .

ولعل (الجاحظ) قد سبق الى فوضى التأليف الأدبى فى عصره ، على الرغم مما امتاز به من قوة العقل والبصيرة ووضوح المنهج والمقصد ، غير أنه غلب (الاستطراد) على طريقته ، حتى سار على نهجه (المبرد) فى كتابه (الكامل) ، الا أن (ابن قتيبة) اهتدى الى سبيل أدق تنظيما وأوضح منهاجا ، وأشد حرصا على تحقيق الهدف من تأليفه كتابه (عيون الأخبار) . فكان أن اقتفى أثره (ابن عبد ربه) فى الاختيار والتبويب والترتيب ، وحرص مثله على أن يجمع كتابه ثقافة الأديب فى عصره ، مع سعة بينة فى مختاراته بحيث توائم بيئته وحاجة أهل ناحيته ، فاذا قصرت مادة (عيون الأخبار) عن جمع فنون هذه الثقافة ، فان مادة العقد أوفى وأتم ، والارتباط بين عناصرها أوثق — وكيف لا يكون كذلك ، وجواهره الأدبية ينظمها على قوله : (دقة السلك وحسن النظام) .

وقد كان (ابن قتيبة) فى نظر كثير من المثقفين مثالا للأديب والفقيه واللغوى ، بما لقنه من ثقافات متعددة الألوان : عربية ودينية : اسلامية وغير اسلامية كما كان له فضل معرفة بلغة الفرس ، واطلاع واسع على آدابها ، تشهد بذلك كتبه ، ويدل عليها قوله فيما نقل ابن عبد ربه عنه :

(اذا أردت أن تكون عالما فاطلب فنا واحدا . واذا أردت أن تكون أديبا فتفنن فى العلوم) ، وكما تنوعت ثقافته وتعددت كتبه لتحقيق أغراضه الدينية واللغوية ، فاننا نلتمس آثاره فى صياغته البليغة ، وصدق لهجته وحرارة أسلوبه وابتكاره منهجا دقيقا فى التأليف . يدل على غزارة مادته ، وسلامة ذوقه فى اختياره ، مما كان سببا فى علو منزلته ، وذيوع شهرته فى أقطار المسلمين فى المشرق والمغرب فعظم فى

للأستاذ الدكتور أحمد محمد النجار

عين كل عالم وأديب ، حتى قال عنه (ابن كثير): « **وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن فى منزله شىء من تصنيفه** » (١) .

وقد حمد لابن قتيبة كثير من المسلمين والعرب دفاعه الحار عن الاسلام والعربية والعروبة ، بوقوفه فى وجه التيار الشعوبى ، وكانت له أسمى منزلة فى بلاد المغرب بخاصة ، حيث كانوا يتخذونه أستاذا واماما ، وظنوا فيمن لم يقرأ كتبه الظنون ، وتجاوزوا ذلك الى القول : « **بأن من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة** » ، كما كانوا يقولون : « **كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لا خير فيه** » (٢) .

ولعل من أثر ذلك أنا وجدنا ابن عبد ربه يعتمد عليه كثيرا فى نقل ما شاء من كتب المشارقة فى العلم والأدب ، وعلى ما رواه الرواة المشارقة والمغاربة ، فجد فى طلب هذه الكتب وبخاصة ما كان منها جامعا مثل البيان والتبيين والكامل الى جانب عيون الأخبار وهى الكتب التى عظم قدر المختار منها فى العقد ، وكان المختار من عيون الأخبار أوفاها حظا فيه . اذ كان بما أحصينا واستقرأنا أهم مصادره ، وأوضح منهاج على سلكه عندما نظر فيه وأطال النظر ، ووضعه نصب عينيه ، وهو يسلك جواهره فى سلك عقده النظيم .

وبيان ذلك أنا وجدنا ابن قتيبة قد أحصى موضوعات كتابه وحصرها فى عشرة كتب صغار ، هى كتاب السلطان وكتاب الحرب وكتاب السؤدد وكتاب الطبائع والأخلاق المذمومة وكتاب العلم والبيان ، وكتاب الزهد ، وكتاب الاخوان ، وكتاب الحوائج ، وكتاب الطعام ، وكتاب النساء . .

ثم جاء ابن عبد ربه فتناول هذه الكتب فى (عقده) ونظم من مادتها وزاد عليها كتبا أخرى حتى بلغت عدتها خمسة وعشرين كتابا ، ليكون (العقد) « كافيا شافيا جامعاً لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة . وتدور على ألسنة الملوك والسوقة ، مع تحلية كل كتاب بشواهد من الشعر ، تجانس الأخبار فى معانيها الخ » (٣) ثم يتفرد العقد باضافة كتب أخرى عالجت موضوعات عامة رآها ابن عبد ربه ضرورية لتكون ثقافته الأديب .

وقد نهج ابن عبد ربه فى الاسناد منهجا غير منهج ابن قتيبة الذى كان يذهب مذهب المتقدمين فى اسناد الأخبار الى رواتها ، والأشعار الى

---

(١) البداية والنهاية ٥٧/١١

(٢) انظر ترجمة فى مقدمة كتابه الميسر والقداح لمحب الدين الخطيب .

(٣) مقدمة العقد لابن عبد ربه ص ٣ .

قائليها فى الغالب ، واذا نقل من كتاب فكثيرا ما يذكر اسم الكتاب . الا أن ابن عبد ربه قصد الى حذف الأسانيد من أكثر الأخبار ، طلبا للاستخفاف والايجاز . وهربا من التثقيل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر ، وذلك حسبها .. ومع ذلك وجدناه يخالف عن مذهبه ذاك عند ذكر التواريخ والأحداث فنجده بخاصة فى كتاب السجدة الثانية وفى الخلفاء ، وتواريخهم وأيامهم ، وفى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة يسند اسنادا متصلا تارة ، ومنقطعا تارة أخرى ، ولعل لطبيعة الموضوع دخلا فى اختيار الاسناد توثيقا له ، ودلالة على اتجاه بعض رواتها ، والكشف عن ميولها .

وربما كان حذف الأسانيد أجدى فى جمع ضروب الآداب وفنون الآثار لتكوين ثقافة الأديب فى عصر متقدم ، أما فى عصرنا الذى بلغ فيه الاهتمام بالمنهج العلمى مبلغا أتم وأوفى ، وألصق بمنهج أهل الحديث ، فيعتبر حذف الأسانيد طريقا غير مأمونة فى مجال التخصص وتمحيص القول ، ونقد المأثورات ايمانا بانتهاء عصر المسلمات تثبيتا لليقين ودفعا لعجلة التقدم والتطور فى شتى الميادين .

وقلما نسب ابن عبد ربه ما نقله من كتاب مصرحا باسم مؤلفه ، فنراه يذكر كتاب (التاج) وهو لابن عبيدة وكتاب (الأشربة) وهو لابن قتيبة ، و (مسند ابن أبى شيبة) وناقله بقى ابن مخلد و (الروضة) وهو للمبرد و (الموالى والعرب) وهو للجاحظ ، و (الموسيقى) وهو لبطليموس ، و (الأمثال) وهو لأبى عبيد و (المغازى) وهو لابن اسحاق ، و (تفضيل العرب) لابن قتيبة ، و (الأدب) للجاحظ ، و (اللحون الثمانية) لبطليموس .

وقد يورد اسم المؤلف دون الكتاب ، والمختار منه يشهد بأنه نقل عنه ، فنراه ذكر أبا عبيدة دون النقائض و (أيام العرب) . وابن هشام دون السيرة النبوية ، ومحمد بن يزيد المبرد دون (الكامل) والجاحظ دون (البيان والتبيين) و (البخلاء) ، وابن قتيبة دون (عيون الأخبار) ودون (الشعر والشعراء) وابراهيم الشيبانى دون (الرسالة العذراء) ، وصاحب الفلاحة وان لم يصرح بابن وحشية ، وصاحب المنطق دون أرسطو ، وأخيرا يذكر أبا عبيد دون (غريب الحديث) ...

وفى أحيان قليلة يقول : (وفى كتاب للهند) .. وأقل منها ما صرح فيه باسم (كليلة ودمنة) (وكتب العجم) (وكتاب التاج) .

واذ ارتكز على كتابى عيون الأخبار والشعر والشعراء فقد رأيناه يذهب فى الأخذ عنهما مذهبا بعيدا ، وبخاصة عيون الأخبار الذى نقل عنه نقلا حرفيا ، وأوضح ما يكون ذلك النقل فى الموضوعات المشتركة بينهما مثل : كتاب السلطان وكتاب الحرب وكتاب العلم والبيان وكتاب الزهد ، وكتاب الطبائع وكتاب الطعام وكتاب النساء .

فهو مثلا يعتمد على هذا الكتاب منذ بدأ مقدمته .. فاذا قال ابن قتيبة : (وصنفتها أبوابا) ، وقرنت الباب بشكله ، والخبر بمثله ،

والكلمة بأختها ، ليسهل على المتعلم علمها ،وعلى الدارس حفظها وعلى الناشد طلبها(١) •• قال ابن عبد ربه : (فتطلبت نظائر الكلام ، وأشكال المعانى ، وجواهر الحكم وضروب الآداب ، ونوادر الأمثال ، ثم قرنت كل جنس الى جنسه فجعلته بابا على حدته ، ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، ونظيره فى كل باب)(٢) •

واذا كان ابن قتيبة يذهب مذهب المحدثين فى الاسناد فيقول : « وحدثنى محمد ، قال : حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبى قلابة قال : « قال كعب : مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد »(٣) فالفسطاط الاسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب والأوتاد الناس • لا يصلح بعضه الا ببعض » •• قال ابن عبد ربه على مذهبه فى ترك الاسناد : « وقال كعب : مثل الأسلام السلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأطناب »(٤) مع مخالفة يسيرة فى رواية بعض الألفاظ •

ورأيناه اتبع هذا المنهج فى النقل واختصار السند فى سائر ما نقل عنه ، وقد تقع بعض المخالفات اللفظية بسبب اختلاف النسخ أو تصحيف النساخ ، أو التصرف فى النقل •

وقد يبلغ به الأمر أن ينقل عن ابن قتيبة بلسانه ، فضمير المتكلم يكون لابن قتيبة ، وينقله ابن عبد ربه دون تغيير ، كأن يقول ابن قتيبة (وقرأت فى كتاب للروم) : اذا أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة فانظر الى لسانها فان الجنين يكون على لونه(٥) •• ثم يقول ابن عبد ربه : وقرأت فى كتاب للروم وينقل الخبر • مما يدل على نقله عنه دون تصرف •

غير أننا نجده لا يلتزم دائما ألفاظ ابن قتيبة وأساليبه فيما نقل•فقد كان يرسل قلمهمنقحا، مختارا لفظا أسهل • أو عبارة يراها أجمل ، وأحيانا يضيف بعض الألفاظ والجمل ، وكان تصرف ابن عبد ربه فيما نقل بالحذفوالاختصار أو الزيادة ، غير قاصر على ما أورده نقلا عن كتب ابن قتيبة ، فالواقع أنه سلك هذا المسلك فيما نقل عن أبى عبيدة ، والجاحظ ، وأبى عبيد، والمبرد وغيرهمفقد أجرى يد التغيير والاختصار فيما نقله عن (النقائض) لأبى عبيدة الذى قال عن (يوم الغبيط) مثلا : « فان سليطا وزيان الضبيرى وجهما السليطى قالوا : غزا بسطام بن قيس ، ومفروق بن عمرو ، والحارث الحوفزان ابن شريك ، بلاد بنى تميم فأغاروا على بنى ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن عدى بن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان وكانوا متجاورين بصحراء فلج ، فاقتتلوا فهزمت الثعالب ، وأصابوا فيهم واستاقوا ابلا من نعمهم »(٦) •• الى آخر الخبر الذى صاغه ابن عبد ربه فى العقد هكذا : وقال أبو عبيدة : حدثنى سليط بن سعد ، وزبان الضبيرى ، وجهم بن حسان السليطى ، قالوا : غزا بسطام ابن قيس ، ومفروق بن عمرو ، والحارث بن شريك وهو الحوفزان بلاد بنى تميم — وهذا

---

(١) مقدمة عيون الاخبار ؟؟!! طبعة دار الكتب

(٢) مقدمة العقد ص ٣ •

(٣) عيون الاخبار ص ٢ •

(٤) العقد ١/٨ •

(٥) عيون الاخبار ٧٥/٢ •

(٦) النقائض ص٣١٢ •

اليوم قبل يوم العظالى — فأغاروا علـى بنى ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سـعد بن ضـبة ، وثعلبة بن عدى بن فزارة وثعلبة بن سـعد بن ذبيان فلذلك قيل له « يوم الثعـالب — وكان هؤلاء جميعا متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا فانهزمت الثعالب ، فأصابوا فيهم واستاقوا ابلا من نعمهم •• الخ •

فهو هنا يتصرف فى العبـارة بتغيير بعض الألفاظ وحذف بعضها ، وزيادة بعضـها الآخر محاولا فيما فعل تبسيط سرد الواقعة وتوضيح المراد ببعض الألفاظ •

وقد جرى على مثل ذلك كثيرا فيما نقله عنـه فى (أيام العرب ووقائعهم) ، ولعله وقف علـى كتاب أبى عبيدة (الأيام) فقـد كان مشهورا عنه ، وذكرته بعض المصادر كالفهرست(٢) ، غير أن الموافقة بين النقائض والعقد تكاد تكون تامة مما يرجح أنه رجع اليه واعتمد عليه •

ومثل هذا فعله فى كثير مما نقله عن (الجاحظ) من أقوال فى البيان وحكايات البخلاء ونوادرهم ومن أمثلة ذلـك ما ذكره الجـاحظ فى البيـان والتبيين(٣) بقوله : « وجلس معاوية بالكوفـة يبايع الناس على البراءة من على رحمه الله ، فجاءه رجل من بنى تميم ، فأراده علـى ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ، ولانبرأ من موتاكم ، فالتفت الى المغيرة فقال : ان هذا رجل فاستوص به خيرا » وجاء ابن عبد ربـه ونقل الخبر بتصرف يسير •

ولم يكن يقتصر فيما نقل من حكايات البخلاء ونوادرهم على (عيون الأخبار) بل كان ينقـل مباشرة عن (البخلاء) للجاحظ مثل ما نقله من بخل (الكندى) ، وبخل (سـهل بن هارون) الذى نقل رسالته فى البخل كما ساقها الجاحظ مع ما وقع من زيادة بعض الجمل ، ومخالفـة فى ترتيب بعض العبارات ، لعل مرجعهـا الى اختلاف النسخ والروايات •

وكانت هـذه طريقته فى نقـله عن (الكامل) للمبرد ، وبخاصة ما رواه عنه فى أخبار الأزارقة، ومثل ذلك يقال فى اختصاره بعض الخطب • فقد أورد — مثلا — خطبة لأبى حمزة بالمدينة ، ثم ذكر فى آخر ما نقله قوله : (أسقطنا من هـذه الخطبة ماكان من طعنه على الخلفاء)(٤) •

وقد تناول (الرسـالة العذراء) بالتلخيص والحذف فى عدة مواضع من العقد عرض فيها لمسائل فى النقد والبلاغة رواية عن ابراهيمبن محمد الشيبانى على نحو ما هو مدون فى العقـد فى الجزء الرابع بخاصة ، فقد قدم بعض مانقله منهـا على بعض ، وحـذف وبدل وزاد بعض الألفاظ والجمل كدأبه فى التصرف فيمـا ينقـل كشأن النساخ فى تصرفهـم فيمـا يكتبـونه بأيديهم •

ورأيناه نقل عن أبى عبيد القاسم بن سلام فى (غريب الحديث) دون أن يصرح بذكر الكتاب ، ونقل عنه فى (الجوهرة فى الأمثال) حيث قال

---

(٢) الفهرست ص ٨٦ •
(٣) البيان والتبيين ٢/١٠٥ •
(٤) العقد ٤/١٤٤ •

وهو يفرش له : (ومن أمثال العرب مما روى بو عبيد ــ) وعرفنا نقله عن أحمد بن أبى طاهر (طيفور) فى كتابه « اختيار المنظوم والمنثور : من بلاغات النساء والفصول القصار عقب التوقيعات ، وجرى فيما نقل عنه وتصرف فيه على عادته التى أشرنا اليها واعتمد فى مسألة الشعوبية والتعصب للعرب على ما كتب ابن قتيبة فى (تفضيل العرب) وعلى ما ذكر الجاحظ فى كتابه « الحيوان » وكتابيه اللذين صرح بذكرهما : الموالى والعرب ، وفضل قحطان على عدنان ..

ثم انه لم يلتزم فيما نقله عن (كليلة ودمنة) حرفية النقل سواء أكان نقلا مباشرا أم غير مباشر فيما ذكره منها ابن قتيبة فى (عيون الأخبار) اذ كان ابن قتيبة وسيلة معرفته بآثار الروم والعجم والهند فيما رواه فى العقد منسوبا اليهم . وكذا ما ذكره منقولا عن التوراة والانجيل والزبور .

بل وجدناه قد تجاوز فى النقل هذه الحدود فحذف بعض الجمل والكلمات فى حديث نبوى شريف رواه عن مالك فى (الموطأ) تحت عنوان : (اللباس) جاء فيه : « ان جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى غزوة بنى أنمار ، فبينما أنا نازل تحت شجرة ، اذا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، قال جابر : وعندنا صاحب له نجهزه يذهب يرعى ظهرنا ، قال : فجهزته ، ثم أدبر يذهب فى الظهر وعليه ثوبان قد أخلقا.. الخ(١) وتذكر رواية الموطأ جملة طويلة توضح المراد بصورة أتم هى قوله : « فنزل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، قال جابر : فقمت الى غرارة لنا ، فالتمست فيها ، فوجدت فيها جرو قثاء(٢) ، فكسرته ثم قربته الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقال : من أين لكم هذا ؟ قال : فقلت : خرجنا به يا رسول الله من المدينة .

قال جابر : وعندنا صاحب لنا نجهزه .. الى آخر الحديث برواية مالك فى موطئه تحت عنوان : «ماجاء فى لبس الثياب للجمال بها »(٣) ولعل ابن عبد ربه فعل مثله فيما نقل عن (مسند ابن أبى شيبة) ، وقد نقل عنه أكثر ماروى فى العقد من آثار نبوية . اعجابا به ، وتأثرا بأستاذه (بقى بن مخلد) ناقل المسند المذكور الى بلاده ..

للبحث بقية

د. أحمد النجار
كلية البنات ــ عين شمس

(١) العقد ٦/٢٢٤ .

(٢) جروقثاء : قثاء صغيرة .
(٣) الموطأ ص ٢٦٥ طبعة الهند .

دراسات عن

مجلة الرسالة الجديدة

١٩٥٤ - ١٩٥٩

قامت المجلات والصحف بدور واضح في نهضة الادب المعاصر ، سواء منها ما خصص صفحات للادب ، أم تفرغ له كلية ، اذ أتاحت لجانب كبير من انتاج الادباء أن ينشر تباعا على صفحاتها في صورة مقال أو بحث أو قصيدة .. الخ .

وبذلك يمكن القول ان كثيرا من النتاج الأدبى المجموع فى كتاب أو ديوان أو مجموعة قصصية نشر — أول مرة — على هذه الصفحات الادبية أى أنه مدين فى انتشاره لها ، وربما راد هذا المقال أكثر من رائد من أدبائنا عبر أجيال الادب المتتابعة جيلا بعد جيل .

وحين يمضى هذا الحديث مع الصحف (١) والمجلات يبرز دور مجلة (الرسالة) (٢) للزيات حيث ولد على صفحاتها جيل من الكتاب .

وفى محاولة لاستعادة طيف هذا المنبر الأدبى ظهرت مجلة (الرسالة الجديدة) مختلفة عن سميتها العريقة فى الشكل ، حيث الاخراج الصحفى المحدث .. ولسنا فى مقام الموازنة بين المجلتين ، ولكنا فى مجال الحديث عن هذه المجلة ، ومدى اسهامها فى الحياة الأدبية بعد سابقتها .

صدر العدد الأول من مجلة (الرسالة الجديدة) فى ابريل سنة ١٩٥٤ ، وظلت تصدر شهريا عن دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة (٣) ، حتى توقفت سنة ١٩٥٩ ، ثم عادت الى الظهور

---

(١) لن نفيض فى الحديث عن مجلات : البيان ، والسياسة ، والسفور ، والفجر ، والجريدة ، والمجلة الجديدة ، ومجلتى ، والثقافة ، والكتاب ، والكاتب المصرى .. الخ .

(٢) ظهرت الرسالة فى يناير سنة ١٩٣٣ لأحمد حسين الزيات (١٨٨٥ — ١٢ يونيو ١٩٦٨) ، ثم أصدر الرواية سنة ١٩٣٧ ، ثم اندمجتا ، وتوقفتا فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣ .

(٣) تأسست دار التحرير سنة ١٩٥٣ ، وكان مديرها العام محمد أنور السادات ، وجلال الدين الحمامصى نائبا له ، ويوسف السباعى مديرا للتحرير ، ثم أصبح رئيسا ، وكان عبد العزيز صادق سكرتيرا للتحرير .

للأستاذ الدكتور
يوسف حسن نوفل

ودورها فى الأدب والنقد

فى تجربة أخرى (٤) فى مايو سنة ١٩٧١ .

صدرت المجلة فى وقت كان الجيل الرائد — بزعامة طه حسين — يقود الحياة الأدبية منتبها الى جيل جديد بدأ يشاركه النشاط الادبى ، من هذا الجيل ، السحار ، ونجيب محفوظ ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويوسف السباعى ، وأمثالهم ، وقد توقع قارىء المجلة أن يجد فى المجلة جديدا ، لا سيما حين نقرأ لرئيس تحريرها فى كلمة المحرر كلمة بعنوان (ثورتنا الثقافية) (٥) يقول فيها :

« وعندما صدرت هذه المجلة منذ عامين كان فى الجوقتامة ، وفى محيطه وجوم ، وفى ميدانه صمت حزين أشبه بصمت ميادين المعارك بعد الانسحاب ، وقد تناثرت أشلاء المجلات الأدبية وتعالى من حولها الانينوالنوح ، وكانتأحاديث الادباء نواحا ورثاء وعناوين حزينة لا تتجاوز « محنة الادب » .

حين يقرأ قارىء ما كتبه رئيس التحرير ، ويمضى مع قضايا المجلة وموادها لا يستطيع أن يسلم بوجودثورة ثقافية ، غير أن ذلك لايمنع من الالمام بصورة لما أسهمت به المجلة جامعة بين عطاء الجيلين ، فمن ناحية نجد كتابات توفيق الحكيم ، فهو يتحدث حديثا ذا صلة بمناهج دراسة الادب العربى ونقده ، يقول :

« اعتاد النقاد فى مصر أن يؤرخوا للأدب ، على أساس تقسيمات شخصية ، وهذا يفسد حقيقة التاريخ الادبى والفكرى الى حد بعيد ، وقد يكون من الأقرب الى الدقة والصواب أن يكون التقسيم طبقا لمراحل التفكير والفن ، فمثلا يمكن تقسيم الادب العربى الحديث فى مصر الى المراحل الفكرية والادبية والفنية الآتية ، أشير اليها باختصار كما يلى :

١ — من ١٨٨٠ الى ١٩٠٠ مرحلة الأفكار الجديدة التى تسربت الى العقول ، وأهم العوامل فى اثارتها رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى .

٢ — من ١٩٠٠ الى ١٩٢٠ مرحلة التطلع الى الحرية ومقاومة الاحتلال ، وفتح النوافذ على الغرب ، وأهم المظاهر فى الفكر العربى ظهور ترجمات فتحى زغلول ، والتربية الاستقلالية ، وما نقله المنفلوطى ونحو ذلك .

٣ — من ١٩٢٠ الى ١٩٤٠ مرحلة بناءالقومية

(٤) كان الدكتور عبد العزيز الدسوقى مديرا للتحرير .

(٥) بمناسبة احتفال المجلة ببدء العام الثالث لقيامها فى العدد ٢٥ (ابريل ١٩٥٦) ، ومن قضايا هذه الكلمة : دعم جمعية الادباء — يناير ١٩٥٦ ، والمسابقات الادبية — ديسمبر ١٩٥٥ ، والمجلس الاعلى للفنون والآداب — مايو ١٩٥٦ ، ومخاطبة ادباء فرنسا — نوفمبر ١٩٥٦ .

المصرية بعد نجاح ثورة ١٩١٩ ، وظهور الخلق الفعلى لأدب مصرى حديث ، وادخال قوالب جديدة فى الأدب العربى مثل النقد المنهجى والتراجم والقصص والمسرحيات .

٤ ـ من ١٩٤٠ الى ١٩٦٠ مرحلة الاتجاهات الاجتماعية الحديثة ، ولم تتم هذه المرحلة بعد ولكن المدة الباقية منها بالمقارنة بما مضى تدل على أن اتجاهها سيكون الأهداف الاجتماعية .

وهذا التقسيم ليس تام الانفصال ، لأن هذا مستحيل فى تاريخ أى أدب ، انما الحاصل دائما أن المراحل تتداخل فى بعض ، فمثلا فى مرحلة سابقة قد تجد بعض الآثار الاجتماعية الهدف ، كما قد تجد قصة مؤلفة مصرية فى مرحلة الترجمة ، وهكذا ، ولكن المعول عليه فى مثل هذه التقسيمات والمراحل هو الطابع العام الغالب للمرحلة » (٦) . أ . هـ .

وهذا الاسهام من كتاب الجيل الأكبر مع الجيل الشاب اسهام يدل على تجدد عطاء هذا الجيل ، وسواء وافقنا الحكيم على آرائه أم لم نوافقه فان هذا الرأى نابع من تجربة أديب مع الابداع الأدبى من ناحية ، ومعاصرته لأحداث مجتمعه وتطوره من ناحية أخرى ، مما يجعلنا حريصين على اثبات هذه السطور السابقة ولا نعتبر ذلك استطرادا .

وقد أسهم الحكيم أيضا بحديثه عن مهمة الكاتب معللا تناول الجنس فى روايته (الرباط المقدس) (٧) ، ويتحدث عن مذهبه الذى دعا اليه فى كتابه (التعادلية)(٨) .

ومن ذلك الجيل كان طه حسين فى بعض كتاباته(٩) وأحمد حسن الزيات(١٠) ، ومحمد مندور(١١) ، وعثمان أمين(١٢) ، وعباس حافظ(١٣) ، ويحيى حقى الذى ينقد أعمالا لكتاب الجيل الثانى ، فيكتب عن (الوسادة الخالية) لاحسان عبد القدوس ، وعن رواية (عذراء أسيوط) لعبد السميع المصرى ، و (غصن الزيتون) لمحمد عبد الحليم عبد الله(١٤) ، كما قرأنا فى المجلة نقاشا دار بين السباعى وعبد الحليم من ناحية ، وعبد القادر القط من ناحية ثانية اذ أصدر الأخير كتابه (فى الأدب المصرى المعاصر)(١٥) متناولا روايات لأبى حديد والسباعى وعبد الحليم ، ورأى أن رسم هؤلاء الكتاب لشخصياتهم السلبية راجع لغلبة السلبية عليهم ، وكان أن ردا(١٦) عليه بالرسالة فرد قائلا :

---

(٦) ديسمبر ١٩٥٥ ـ ص ٤ .
(٧) ابريل ١٩٥٦ ص ٦ .
(٨) سبتمبر ١٩٥٥ ، وظهر الكتاب بعد ذلك .
(٩) ابريل ١٩٥٦ ، ونوفمبر ١٩٥٦ .
(١٠) ابريل ١٩٥٦ ، ومايو ويونيو ١٩٥٦ .
(١١) ديسمبر ١٩٥٥ ونوفمبر ١٩٥٦ .
(١٢) مايو ١٩٥٦ .
(١٣) يناير ١٩٥٥ ، وابريل ، ومايو ، ويونيو ونوفمبر ١٩٥٦ .
(١٤) يناير وديسمبر ١٩٥٥ ، وضمنها كتابه (خطوات فى النقد) .
(١٥) فى الادب المصرى الحديث ـ دراسة تطبيقية لمشكلات معاصرة ـ فصل السلبية فى القصة المصرية ص ١ ـ ٤٤ ـ مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة سنة ١٩٥٥ .
(١٦) بعنوان (فى مخالب القط) ـ انظر الرسالة يناير ١٩٥٦ ، ورد القط ـ الرسالة فبراير ١٩٥٦ ص ١٨ ، ورد يوسف السباعى بعنوان (من الكاتب المراهق الضال الى الناقد الايجابى .. الناضج المهتدى) .

فى مخالب القط
حول مشكلة النقد
بقلم
د. عبد القادر القط

فى العدد الماضى من الرسالة(١٧) كتب السيد محمد عبد الحليم عبد الله ردا على ما وجهته من نقد الى قصته « بعد الغروب » فى كتابى « فى الأدب المصرى المعاصر » صب فيه كل ما تفيض به نفسه من مرارة منذ أن قرأ ذلك الكتاب . وقد أسيت له وأدركت أنه يعانى أزمة نفسية حادة تتلمس مخرجا ولو من خلال السباب والتبذل . ولكن ما حيلتى وقصته ليست هرما من تلك الأهرام التى أشار اليها فى مطلع مقاله وقال : ان الفراعنة وحدهم هم بناتها ، ولكنها هرم مقلوب يقف مزعزعا على رأسه رغم ذلك الحزام الأخضر الذى غلفها الكاتب به وكتب عليه اسم الجائزة التى نالتها !.

والحق أن تلك الجوائز التى نالها الكاتب هى عقدته التى تجنى على أدبه وتدفعه الى تلك الثورة الجامحة على النقد . والا فما باله يعزو نقدى لقصته الى اننى ثائر منذ سقط ديوانى فى مسابقة المجمع اللغوى ، كأنما يخيل اليه أنه « صاحب محلات المجمع اللغوى » وقد اعتدى « عماله » على وحرمونى جائزة الشعر !

فأى علاقة هناك بين سقوط ديوانى ونقدى لقصته ؟ انه ليس شاعرا فأغار منه ، ولم يكن من بين أعضاء لجنة التحكيم فأسخط عليه . فما سر هذا الالتواء النفسى العجيب اذن ؟ سره أن الكاتب قد ركبه الغرور لكثرة ما نال من تلك الجوائز فخيل اليه انها المقياس الاوحد لمقدرة الأديب وان الأدباء جميعا يحسدونه عليها . لذلك يقول عنى فى تهكم :

ان الحرمان قد يلد عبقريا . وصحيح أن الحرمان قد يلد عبقريا اما التخمة والتدليل فمن المؤكد أنهما لا يلدان الا فاشلا !

على أنه اذا كانت نفوس بعض الكتاب قد خلت من الخير الذى يعصمها من الانزلاق الى هذا الأسلوب الشائن من النقد فان فى نفوس القراء خيرا كثيرا . فما لقيت أحدا ممن قرأوا ذلك الرد — على كثرتهم — الا أبدى تقززه وعجبه لهذا الاسفاف .

وقد رمانى الكاتب بأنى لم أكن أمينا على المنهج الذى رسمته فى مقدمة الكتاب لأنى « خلقت من بعض الكتب سماء ومن بعضها الآخر أرضا» ولم ألتفت الا الى الجانب السيىء من قصته . والواقع انى اتخذت من تلك القصة نموذجا لعيب فنى يتخذ صورة الظاهرة فى قصصنا فلم يكن هناك مجال للحديث عن جميع جوانبها . أما اشارتى الى الجوانب المختلفة من القصص الأخرى فانها خاضعة لطبيعة الموضوع ، فقد درست تلك القصص لأبين مدى نجاح مؤلفيها فى التوفيق بين غاية الأدب وفنيته فكان طبيعيا أن أتحدث عن محاسنها ومساوئها. لذلك قلت فى مقدمة ذلك البحث وقد اخترنا من أدبنا المصرى أربعة نماذج تمثل أشكال الأدب المختلفة لنرى مدى ما فيها من اتباع للمنهج الصحيح أو انحراف عنه ، وان كنا حريصين كما قلنا فى مقدمة الكتاب على أن ننبه الى الأخطاء ، لذلك كان عجيبا أن يتهمنى الكاتب

---

(١٧) يناير ١٩٥٦ .

بأني خلقت من تلك الأعمال سماء مع اني نبهت الى كثير من الأخطاء فيها . وهكذا يرى القارىء مدى « أمانة » الكاتب فى النقل . ولعل سر ثورته ان بعض من أثنيت على نواحى التوفيق فى أعمالهم لم ينالوا جوائز المجمع فهو لا يستطيع أن يتصور كيف يمكن أن يكونوا أدباء مجيدين !.

وقد استخلص الكاتب ست قواعد من كتابى تمثل فى رأيى القصة سأعرضها وأناقشها ليرى القارىء مدى أمانة الكاتب وقدرته على الفهم :

١ ــ لا تكن أيها الكاتب سلبيا لأن المجتمع الذى انت فيه سلبى !

وهذا صحيح . فليست مهمة الكاتب مجرد تسجيل الظواهر فى مجتمعه ، بل عليه كما قلت فى مقدمة الكتاب « أن يضعها تحت ضوء خاص يخلق لها دلالات جديدة ويبث فيها معانى طريفة تجعل من قصته حافزا الى الحياة ومنبها الى ما فيها من خير وشر ، بحيث يخلق فى نفوس قارئيه وعيا قويا بمجتمعهم ومشكلاتهم ونفوسهم وحقيقة ما يعتمل فيها من أحاسيس » وفى هذا ردى على قوله :

« ان القصاص لا يستطيع الا أن يرسم مجتمعه » .

٢ ــ لا تتفلسف لأن الفلسفة تتلف العمل الفنى الا اذا كان البطل فيلسوفا !

لم أقل هذا بل قلت لا تتفلسف على لسان انبطل الا اذا كانت شخصيته وموقفه يحتملان هذه الفلسفة . ولك بعد ذلك أن تتفلسف حين تعلق بنفسك على الأحداث أو تحلل المواقف .

وهذا من أوليات النقد . وتلك « أمانة » ثانية !

٣ ــ واحذر أن تكون جميل الأسلوب .. فان هذا فى الشعر وحده !

لم أقل هذا . بل أخذت على الكاتب حرصه الشديد على الزخرف والرصانة التى تجعل أسلوبه يجرى على وتيرة واحدة وقلت فى هذا فالمؤلف حريص أشد الحرص على الأسلوب العربى الرصين الذى لا يتلون كثيرا باختلاف المواقف والأشخاص . « قلت فى موضع آخر » ولسنا بذلك ندعو الى الركاكة والاسفاف ولكن هناك فرقا بين أن يكون الأسلوب قويا جميلا لأنه يعبر فى صدق عن الموقف والشخصية وبين أن يكون جماله مجرد حلى ظاهرة ليس وراءها شىء . وهذه « أمانة » ثالثة !

٤ ــ لا تكتب الحوار بالفصحى لأن العوام لا يتكلمونها !

لم أقل هذا . بل قلت « وهو يفضل الحوار العربى على العامى ولو كان الأخير أقدر على تصور الشخصية أو الموقف . وقد يكون فى هذا مجال لاختلاف وجهات النظر ، ولكنى لاأستطيع أن أقره على استعمال « المحط » مثلا بدل « المحطة » تلك الكلمة الحية المألوفة . واذا كانت لغتنا الأدبية غير قادرة على التطور الذى ينبعث من استعمال اللغة فى الحديث ، فلا أقل من أن نتيح لها التطور على أقلام كتابها .

ومن هذا يرى القارىء انى لم أقبل بوجوب استخدام اللغة العامية فى الحوار ، بل قلت ان فى ذلك مجالا لاختلاف وجهات النظر . ولكنى أخذت على الكاتب حرصه البالغ على « قواعد المجمع » مانح الجوائز ! وهذه أمانة رابعة .

وبمناسبة الحديث عن الأسلوب واللغة أنصح

الكاتب أن يقرأ الفصل الذى كتبته عن أسلوب الشعر فى الكتاب المدرسى الذى « حفر اسمى عليـه » فيستفيد منه كثيرا فى هذا الموضوع .

٥ ــ المصادفة فى القصة تدل على انك كاتب قدرى جبرى انهزامى !

لم أقل هذا . بل أخذت على قصته تتابع المصادفات فى سلسلة عجيبة لا يمكن أن تحدث فى الحياة . وكثير منها يحدث فى مواقف حاسمة من القصة ماكان ينبغى أن تحل عن طريق المصادفة . وهذه أمانة خامسة !

٦ ــ كن ثائرا كثورة الحياة !

قلت ذلك وأتبعته بما يوضحه » . ا هـ

والذى يلحظه قارىء المجلة ما يبدو من حدة لدى القائمين عليها ازاء ما يوجه اليهم من نقد قد يكون موضوعيا ، وكان هـذا واضـحا من مناقشاتهم مع « القط » ، وبالمنهج نفسـه كان للمجلة دور فى معركة أدبية أخرى بين السباعى وعبد الحليم من ناحية ، ومؤلفى كتـاب « فى الثقافة المصرية »(١٨) ، اذ قسـما الكتاب الى قسمين : كتاب الطبقـة المتوسطة ، والكتـاب الأحرار ، وعدا من القسـم الأول السـباعى وعبد الحليم ، فشهدت المجلة(١٩) ردودا لهما على الكتاب اتخذا فيها جانبا أكثر موضوعية ، كما رد عليهما المؤلفان(٢٠) .

.. .. ..

وبعيدا عن اطار المعارك الأدبيـة ، وجـدنا ألوانا من النقـد ، مثـل نقـد محمـد فوزى العنتيل(٢١) ، وتوفيق حنا(٢٢) لبعض الأعمال الروائية ، ونقد السباعى قصة « صح النوم » وليحيى حقى(٢٣) و « هكذا خلقت » لهيكل(٢٤) وفى مجال اهتمامها بالفن القصصى(٢٥) نشرت قصصا كثيرة لأجيال شتى ، ونقـدا لأقاصيص الناشـئين الفائزين بجـوائز مسـابقة نادى القصة(٢٦) ، ووجدنا بابا طريفا هو باب « قصة القصة » بدأه احسـان عبد القدوس مخاطبـا يوسف السباعى قائلا :

« على كل حال . فانى أحمد لك أنك لم تتول بنفسك كتابة قصة احدى قصصى والا فتصور ما كان يمكن أن يحدث لنا لو أنك كتبت قصـة قصة « لا أنام » ، وكتبت أنا قصة قصة « بين الأطلال » .. أين كان يمكن أن نكون ــ أنت وأنا ــ الآن » . وقد أشار الكاتب الى ضرورة « الذاتية فى العمل الفنى » والا أخـذ الكاتب من غيره(٢٧) .

---

(١٨) لمحمـود أمين العالم ، وعبـد العظيم أنيس ، وهو مجموعة مقالات نشـرت بمجـلات لبنانية ومصرية ، وقد قرظته عقب صدوره مجلة الثقافة الوطنية بلبنان ، ومن موضوعات الكتاب : البرجوازية ونجيب محفوظ ، والحوار ، والبطل . ونماذج من المازنى والشرقاوى .

(١٩) سـبتمبر ١٩٥٥ ، ومارس ، وابريل ١٩٥٦ ، وأغسطس ١٩٥٦ ، ونجد فى هذا المجال عنوانات الردود : المقاييس الضـيقة ، والارهاب الادبى ، وبين المذهبية والانسانية .. الخ .

(٢٠) أغسطس ١٩٥٦ .

(٢١) سبتمبر ١٩٥٧ .

(٢٢) فبراير ١٩٥٨ .

(٢٣) ديسمبر ١٩٥٥ .

(٢٤) مايو ١٩٥٦ .

(٢٥) انظر (دليل القصة القصيرة المصرية ــ سيد حامد النساج ، الهيئة المصرية ١٩٦١ .

(٢٦) نوفمبر ١٩٥٦ .

(٢٧) ص ٨ ديسمبر ١٩٥٥ .

ثم كتب الحكيم قصة القصة بعنوان « قصة القصة بين توفيق الحكيم ويوسف السباعى »(٢٨) ، كما نشرت المجلة ــ للمرة الأولى ــ رواية « بين القصرين » ــ أولى أجزاء الثلاثية لنجيب محفوظ ــ قبل أن تنشر كاملة ، كما نشرت مسرحيات من ذوات الفصل الواحد لعلى أحمد باكثير ، وجزءا من ذكريات عبد الحميد جودة السحار قبل أن تظهر فى كتاب(٢٩) .

ونشرت المجلة نماذج من الأدب العالمى مثل مقال «ميرميه»(٣٠) وأقصوصة « نصف اجازة » لهكسلى(٣١) ، ونهر الحياة عن الروسية ترجمة عباس حافظ(٣٢) ، وظهرت اهتمامات بالأصول الأوربية للمذاهب الأدبية ، وظهرت أعداد خاصة مثل : الرومانتيكية (١٩٥٥) ، والوجودية(٣٣) ، والواقعية(٣٤) ، وتعادلية الحكيم(٣٥) .

واهتمت المجلة بالشعر ، وظهر باب (بريد الشعر) باشراف محمد فوزى العنتيل(٣٦) ، ولمع فى المجلة شعراء كثيرون ، وظهرت نقود عن شعر العنتيل(٣٧) ، وملك عبد العزيز(٣٨) .

وبدت جهود زكريا الحجاوى فى الأدب الشعبى « والفولكلور » واضحة جلية ، ورأينا كتابات : ثروت أباظة ، وأنيس منصور ، وعبد العزيز جادو ، وغنيمى هلال ، وسعد الدين وهبة ، ومحمد العزب موسى ، وعبد المنعم شميس ، وكمال النجمى ، وعبده بدوى ويوسف ادريس ، وبدر شاكر السياب وغيرهم .

وهكذا نرى أن هذه المجلة حاولت أن تأخذ من طيف مجلة « الرسالة » منعوتا ، وأضافت له صفة « الجديدة » ، ولا شك أن المناخ مختلف بين الرسالتين فلا ضرورة لمقارنة ، يكفى أن نقول :

ان مجلة « الرسالة » عاصرها كثير من المنابر الثقافية من صحف ومجلات ، مثل الثقافة لأحمد أمين (يناير ١٩٣٩ ــ ١٩٥٣) ، والكاتب المصرى (١٩٤٥ ــ ١٩٤٨) ، والسياسة الأسبوعية ، والكتاب (١٩٤٥ ــ ١٩٥٣) ، والأدب المصرى (١٩٥٠) لمحمد مفيد الشوباشى ، والآداب

---

(٢٨) ص ٦ يناير ١٩٥٦ .
(٢٩) ابريل ومايو ١٩٥٦ .
(٣٠) سبتمبر ١٩٥٥ .
(٣١) يونيو ١٩٥٦ .
(٣٢) سبتمبر ١٩٥٥ .
(٣٣) يناير ١٩٥٥ .
(٣٤) نوفمبر ١٩٥٦ .
(٣٥) سبتمبر ١٩٥٥ .
(٣٦) انظر ــ مثلا ــ تعليقا على شعر عبد الرحمن الابنودى ــ نوفمبر ١٩٥٦ ص ٥٠ .
(٣٧) يناير ١٩٥٥ ، ونوفمبر ١٩٥٦ .
(٣٨) فبراير ١٩٥٦ .

البيروتية (١٩٥٢) وغيرها •

كما ظهرت مسلسلات قصصية مثل : اقــرأ (١٩٤٣) ، وكتب للجميع (١٩٤٧) ، وروايات الهلال (١٩٤٩) ، وكتــاب الهــلال (١٩٥١) ، والكتاب الذهبى عن نادى القصة (١٩٥٢) •

كما عاصرت « الرســالة الجديدة » مجلات مثل : الأدب عن جمــاعة الأمنــاء (١٩٥٦) ، والمجلة (١٩٥٦) ، والشــهر (١٩٥٨) ، كمــا استمر صدور بعض الدوريات المذكورة من قبل، وهكذا نجد أن المجلتين عاصرتا مجلات ودوريات عديدة ، غير أن بروز (الرسالة) وحضــورها الأدبى كان أعظم بكثــير من الحضــور الأدبى لسميتها ، حتى ليمكن القول بايجاز شــديد ــ ما أشد ما بينهما من فارق فى الرسالة والمحتوى والأثر ، برغم استعارة الاسم ومحاولة احيائه فى اخراج صــحفى جــديد ملون لم تعهــده ــ شكلا ــ المجلات الأدبية من قبل •

ونضيف أنهــا أدت دورا فى حياتنــا الأدبية شأنها شأن كثــير من المجــلات والصحف • لكنها لم تتفوق على ماعاصرها من مجلات كما تفوقت الرسالة،كما أنها لم تسهم فى انشــاء جيل أدبى ــ عــلى المستوى العربى لا المحلى فحسب ــ كما سبق أن أسهمت الرسالة من قبل •

د• يوسف نوفل

مع رسالة جامعية

منهج الاسلام

فى معالجة دوافع السلوك الانسانى

(منهج الاسلام فى معالجة دوافع السلوك الانسانى) هو عنوان للرسالة التى تقدم بها الباحث/طلعت محمد عفيفى المعيد بكلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة الى قسم الدعوة والثقافة الاسلامية بكلية اصول الدين جامعة الازهر بالقاهرة لنيل درجة التخصص «الماجستير» .

وذلك فى يوم السبت ٢٨ من صفر سنة ١٤٠٤ هـ الموافق ٣ ديسمبر سنة ١٩٨٣ م وقد تكونت المناقشة من :

أ د / نجيب عمارة أستاذ الدعوة والثقافة الاسلامية بأصول الدين بالقاهرة مشرفا .

د / على يوسف السبكى مدرس الدعوة والثقافة الاسلامية بأصول الدين بالقاهرة مشرفا متابعا .

أ . د / محمد عبد الغنى أبو شامه وكيل كلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة عضوا .

أ . د / عبد الغفار محمد عزيز بكلية للدعوة الاسلامية بالقاهرة عضوا .

وبكلية أصول الدين بالقاهرة تمت مناقشة الباحث وقررت اللجنة منح الباحث درجة الماجستير بتقدير « ممتاز » .

وتتكون الرسالة من :

١ ـ المقدمة .
٢ ـ منهج البحث وخطته .
٣ ـ ثلاثة أبواب .
٤-الخاتمة .

أولا ـ « المقدمة » :

وفى هذه المقدمة تحدث الباحث عن الهدف من اختياره لهذا الموضوع الذى يرجع الى أن موضوع « دوافع السلوك » قد نال اهتمام كثير من علماء الغرب وقد كانت لهم فيه نظريات وآراء ينظر اليها الناس أو هكذا أوهمهم أصحاب هذه النظريات على أنها من مسلمات العقل ومعطيات العلم ، وتصور بعض المسلمين أن الدعوة الاسلامية قرينة الاصابة بالمرض والفقر وأنها حجر عثرة أمام تمتع الناس بطيبات الحياة .

ومن بين الاسباب أيضا أن معظم الذين تحدثوا عن الدوافع كانوا يرددون ما قاله الغرب فى هذا الشأن وغاب صوت الاسلام فى خضم الآراء الكثيرة مما أدى الى ندرة الابحاث التى كتبت عن منهج الاسلام فى هذا الجانب « الدوافع » .

للباحث طلعت محمد عفيفي

ثانيا ـ (منهج البحث وخطته) :

فى هذا البحث التزم الباحث بعدة أشياء فى منهج البحث والخطة التى وضعها لبحثه وهذه الاشياء تتمثل فى النقاط الآتية :

١ ـ ايراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تتعلق بموضوع الدوافع مقرونة بما قاله علماء التفسير والحديث وأئمة الفكر الاسلامى من القدامى والمحدثين مع تسليط الأضواء على ما كتبه علماء النفس المحدثون .

٢ ـ عمد الباحث الى تسمية المناهج التى تتعارض مع الاسلام فى شأن الدوافع بالمناهج المنحرفة وبين السبب فى هذا وصدرها بالحديث عن منهج الاسلام ليكون ذلك متفقا مع عنوان الرسالة وكل ذلك فى ضوء القرآن والسنة . ثم التنويع فى أسلوب الاستشهاد بآراء الباحثين فتارة بذكرها بنصها وأخرى بشىء من التصرف وتارة بأسلوبه مع الاشارة الى المرجع فى الهامش وحرص على تنويع المراجع من قديمة وحديثة بالاسلوب الذى يتناسب مع موضوع الاستشهاد .

٣ ـ تقديمه لكل باب أو فصل بتمهيد للقارىء لاعداده نفسيا لمعرفة أهمية المقبل عليه .

« أبواب الرسالة »

الباب الاول : (مناهج البحث فى العلوم الانسانية وموقف الاسلام منها) ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول هى :

الفصل الاول (تعريف المنهج) وفى هذا الفصل تحدث الباحث عن تعريف المنهج قائلا : انه جاء فى لسان العرب منهج الطريق وضحه والمنهاج كالمنهج وفى التنزيل قال تعالى : « لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا » ٤٨ من سورة المائدة .

« أنواع المنهج » أنواع المنهج ترجع الى نوعين ١ ـ **المنهج التلقائى الآلى :** وهو ما يسير عليه انسان فى حياته اليومية وفق عاداته التى درج عليها .

٢ ـ **المنهج التأملى الدقيق** وهو ما يسير عليه الانسان فى تفكيره عند مواجهة المسائل العلمية .

الفصل الثانى بعنوان « منهج الاسلام فى دراسة الانسان وخصائصه » :

لمنهج الاسلام فى دراسة الانسان تصور خاص ينفرد به دون سائر المناهج الاخرى ويتلخص هذا المنهج فى كونه متكاملا ينظر الى الانسان نظرة موضوعية تنبثق من احتياجاته الفعلية وترتقى به الى أعلى مستوى يمكن الوصول اليه كما أنه منهج ربط الجسد والروح والدنيا والآخرة ، ويعمل على التآلف والانسجام بين مختلف اهتمامات الانسان دون تصارع أو تصادم بينهما.

خصائص منهج الاسلام فى دراسة الانسان هى :

(أ) الوسطية بين الروح والجسد والدنيا والآخرة : وفى هذه الخاصية يقول الباحث ان الله تعالى اقتضت حكمته أن يخلق الانسان من طبيعة مزدوجة تقوم على قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله كما صور ذلك القرآن الكريم (**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**) سورة ص ٧١ — ٧٢ ولذلك فان منهج الاسلام منهج متوازن معتدل يوائم بين أشواق الروح وحقوق الجسد ، وبذلك يستخدم كل طاقات الانسان دون ان يهدر منها طاقة واحدة يمكن أن تعود على الفرد والمجتمع بالخير بخلاف بعض الآراء الأخرى التى ترى أن هذه الحياة الدنيا وهذا الوجود البشرى المتكون من اللحم والدم مبعث الألم وموطن شقاء الانسان وأن الروح فى الجسد كمثل الاسير فى غيابة السجن يذوق آلام الحبس عقابا على بعض ما اقترفه من أخطاء .

(ب) الواقعية فى التعامل مع الانسان : يقول فيها الباحث ان النفس الانسانية والتصرفات البشرية يعتريها أحوال من الانتكاس الخلقى والارتكاس السلوكى — وتعد هذه — بمثابة الشذوذ عن الفطرة القويمة والسلوك الأرشد الا أن المناهج الوضعية الحديثة قد أقرت هذا الشذوذ بحجة (الواقعية) لأنهم يرون أن مجرد بروز التصرف الى أرض الواقع يعطيه أحقية ومشروعية فى أن يوجد كما نسمع ونشاهد ونقرأ عن العالم الاوربى واباحته للمخدرات والجنس .

أما منهج الاسلام فانه يختلف تماما فهو يرى ان الامر الواقع قد يكون سيئا فلا يعطيه ذلكشرعية الوجود بليصفهبالسوء مهما اتسعت دائرته والواقعية فى الاسلام هى التى تصف الواقع الانسانى وصفا صحيحا مشتملا على جوانب الضعف فيه لا لكى تبرر له الانحراف وانما لترتقى به الىالمستوى اللائق به كانسان كما دلت على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله على سبيل المثال قوله تعالى : (**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) ٩ الحشر وقوله : (**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) سورة البقرة رقم ٢١٦ .

(جـ) الجمع بين الثبات والتطور : يختلف منهج الاسلام عن المناهج الوضعية قديمة أو حديثة فى الثبات والتطور فهو منهج له أصوله وقيمه التى لا يقبل التفريط فيها قيد أنملة ولا يقبل أن يعيش المسلمون عالة على غيرهم ولكن لا يمنع من امكان أخذ المسلمين من

الغرب ببعض البواعث فى ميدان العلوم المجردة والتجريبية .

الفصل الثالث بعنوان (المناهج الحديثة فى العلوم الانسانية) : وهذه المناهج تشتمل على منهجين هما :

(أ) التجريبيون : وهم الذين يرون ضرورة اخضاع العلوم الانسانية للمنهج التجريبى

(ب) غير التجريبيين : وهم الذين يرون أن اخضاع العلوم الانسانية للمنهج التجريبى لا يحقق ما يهدف اليه من خدمة البشرية فالفارق بعيد بين المادة الصماء والنفس الانسانية من حيث موضوع البحث والنتائج المترتبة عليه والاسباب فى ذلك واضحة منها ان قوانين العلوم الانسانية ليست موضوعية خالصة فان الباحث لا يستطيع أن يتجرد من أهوائه وميوله ومصالحه بعكس العلوم الطبيعية فان تجرد الباحث من كل هذا ميسور عند علاج موضوعاتها وأيضا الدقة فى قوانين العلوم الطبيعية مرجعها الى صورتها الرياضية لأنه من الميسور ان تقاس مقاديرها بالكمية على عكس العلوم الانسانية فيتعذر اخضاع موضوعاتها لهذا الضبط الكمى .

وفى نهاية الباب الاول تخلص الى أن منهج الاسلام فى دراسة الانسان لا بديل عنه اذا أراد الانسان سعادة الدنيا والآخرة .

الباب الثانى بعنوان (دوافع السلوك الانسانى بين منهج الاسلام ومدارس علم النفس) يتكون هذا الباب من ثلاثة فصول هى:

الفصل الاول وعنوانه **(تعريف دوافع السلوك وتقسيمها)** ـ وفى بداية هذا الفصل عرف السلوك بأنه « الافعال التى يأتيها الفرد ويكون لها بالحياة النفسية أو العقلية عنده علاقة » وبذلك تخرج الافعال العشوائية .

أقسام الدوافع : يقول الباحث انه يمكن تصنيف الدوافع حسب أرجح الآراء فى الدراسات السلوكية الى :

١ ـ فطرية .

٢ ـ ومكتسبة وكل منهما الى (أ) شعورية (ب) لا شعورية .

أنواع الدوافع الفطرية هى :

(أ) دوافع المحافظة على بقاء الفرد كالأكل والشرب .

(ب) المحافظة على بقاء النوع كدافع الجنس ودوافع الطوارىء كالهرب والمقاتلة .

أنواع الدوافع المكتسبة : دوافع اجتماعية عامة ، دوافع اجتماعية حضارية مثل ميل شعب من الشعوب للتملك والسيطرة فى حين أن مجتمعات أخرى لا يرى فيها أثر لمثل هذه الدوافع .

ـ دوافع اجتماعية فردية : وهى التى تميز الإفراد بعضهم عن بعض حتى ولو كانوا ينتمون الى حضارة واحدة .

أما سمات الدوافع الفطرية : فهى عامة ومشتركة بين جميع أفراد النوع مهما اختلفت بيئاتهم وحضاراتهم كدافعى الجوع والجنس وتنتقل عن طريق الوراثة فلا تحتاج الى تعلم ثم انها بسيطة فى طبيعة تكوينها . فى حين أن الدوافع المكتسبة معقدة فى التركيب والسر فى أنها تنشأ فى ظل الظروف المختلفة وتتغير باختلاف الافراد .

أما الدوافع الشعورية : فيراد بها تلك الدوافع التى يدركها الفرد ويعيها ويعرف حقيقتها وذلك مثل الطالب الذى يندفع الى

المذاكرة بدافع الرغبة فى النجاح والجائع فى بحثه عن الأكل .

أما الدوافع اللاشعورية : فهى التى يضطر فيها المرء بسببها الى مباشرة بعض الاعمال دون معرفة السبب الكامن من وراء هذا التصرف كالذى يباشر سلوكا غير اجتماعى لا يرضى عنه المجتمع .

الفصل الثانى وعنوانه (منهج الاسلام فى معالجة دوافع السلوك الانسانى) : ويشتمل على الآتى :

(أ) اعتراف الاسلام بالدافع : لابد وأن تعرف أن الاسلام لم ينكر الاعتراف بالدافع لأن تصرف المرء عبارة عن مجموعة من الدوافع منها ما يتعلق بالجانب العضوى ومنها ما يتعلق بالناحية النفسية ، وأنه من المحال على الله أن يخلق شيئا عبثا فهذه الدوافع وجودها ضرورى للمحافظة على بنية الانسان والحيلولة دون هلاكه فمثلا لو فكرت فى دافع الجوع الذى يستحثك على الأكل ففى ذلك قوام البدن وحياته ومماته وذلك عين الحكمة وإذا كان وجود الدوافع لدى الانسان ضرورة للمحافظة عليه وتعمير الدنيا فان ذلك من شأنه تهيئة الفرصة له للحصول على مرضاة ربه ونيل السعادة فى الدارين ووضع النظم التى تحقق له الأمن والأمان .

(ب) هل استعمل الاسلام لفظة الدوافع :

وعن هذه النقطة قال الباحث ان القرآن الكريم والسنة النبوية لم يستعملا لفظة دوافع باعتبار أنها محرك للسلوك وانما استعمل ما يشير الى المعنى كااستعمال (لفظ) الشهوة(١) فى قوله تعالى : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ » ١٤ من آل عمران وذلك للمظهر النفسى أما الجسدى فيتمثل فى التوجيه وهو النية وهنا اعترض عليه أحد أعضاء لجنة المناقشة وقال له ان القرآن الكريم قال فى احدى آياته (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) سورة فصلت .

(جـ) استعمال الاسلام للضبط والتهذيب فى معالجة الدوافع ولقد سلك فى سبيل ضبط الدوافع وتهذيبها عدة طرق منها :

١ ــ افهام المرء بأن الدوافع ليست غاية فى ذاتها وانما هى وسيلة الى غاية أرفع وأنبل .

٢ ــ ربط الاسلام « القلب البشرى » بالله وخشيته وتقواه ومراقبته فى كل عمل وحركة وشعور .

٣ ــ الحدود التى جاء بها الاسلام فجعل حلالا يحق استخدامه وجعل هناك حراما فيه ضرر على الانسان فمنع استخدامه .

٤ ــ كذلك بين القلب البشرى واليوم الآخر وهذا بالطبع يمنع الانسان من التهافت على شهوات الأرض .

« وفى رفض الاسلام لانحراف الدوافع وعلته يأخذ شكلين متباعدين » هما :

أولا : استقزاز هذه الدوافع وعدم الاعتراف بها ومعالجتها بالكبت والقمع تخلصا من الشعور بالاثم .

ثانيا : فتح الباب على مصراعية أمام الحاح الدوافع دون النظر الى خلق ودين .

وبالنسبة لموقف الاسلام من النقطة الاولى وهى استقزاز هذه الدوافع وعدم الاعتراف بها بأن الكبت ينشأ لدى الانسان من عدم اعترافه فى داخل نفسه بأحقيته بأن يفكر فى

تلبية حاجاته واشباع دوافعه وهذا من شأنه أن يحدث اضطرابا فى نفس الانسان ومن الامثلة التى واجهت الرسول ــ عليه السلام ــ قصة الرهط الذى جاء الى بيوت ازواج النبى ــ عليه السلام ــ يسألون عن عبادته فلما عرفوه تقالوه أى « عدوها قليلة » فقالوا وأين نحن من النبى ــ عليه السلام ــ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم فأما أنا فأصلى الليل دائما والثانى وأنا أصوم الدهر كله ولا أفطر والثالث وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ــ فعلم النبى ــ عليه السلام ــ بهذا فخطب قائلا: « أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » •

وبالنسبة لموقف الاسلام من النقطة الثانية وهى فتح الباب على مصراعيه أمام الحاج الدوافع أمام الشهوات دون ضابط واعتقد البعض ان هذا الاجراء من شأنه ان يهىء للناس الفرصة للحصول على كل ما تشتهيه أنفسهم فتفاقمت بسببه المشاكل وزادت ضراوة الشهوة فلم تقنع النفوس من هذه الحياة بالأشياء المباحة بل طلبت المزيد والمزيد واصطنعت من الأساليب ما لا يليق بمكانة الانسان ولهذا رفض الاسلام هذه الفوضى وأقام لها الحدود للضرب على أيدى العابثين

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : **﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾** • سورة الانعام ٣٢ وهذا يعتبر محافظة من الاسلام على أصل الغرائز وتوجيهها الوجهة المعتدلة الصالحة التى لا افراط فيها ولا تفريط •

الفصل الثالث بعنوان (مدارس علم النفس وقضية دوافع السلوك الانسانى) ــ وتحدث الباحث قائلا بأن المدارس ثلاث الأولى : المدرسة الغرضية : وهذه المدرسة تنسب الى العالم الاسكتلندى « وليم مكدوجل » وله نظرية فى الغريزة بأنها استعداد فطرى وجسمى يدفع الفرد الى ان يدرك وأن ينتبه الى أشياء من نوع معين وان يشعر بانفعال خاص عند ادراك هذه الاشياء ويسلك نحوها سلوكا خاصا أو يحدث فى نفسه على الاقل نزوعا الى هذا السلوك ومن الغرائز التى اعتبرها « مكدوجل » المحركات الأولى للسلوك مثل •

الهرب وانفعالها الخوف ــ المقاتلة وانفعالها الغضب ــ السيطرة وانفعالها الزهو ولكن نظرية « مكدوجل » لم تلبث ان تكشف عن كثير من الاخطاء التى أدت الى القضاء عليها منها :

١ ــ انها لم تضف جديدا الى فهم سلوك الانسان ودوافعه وانما هى قد وصفت الواقع•

٢ ــ انها لم تقدم تفسيرا مقنعا لكثير من انماط السلوك والتى كشفت عنها الدراسات الاجتماعية •

٣ ــ ان نظرية دارون كانت مصدر الالهام « لمكدوجل » حين خرج بنظريته وقد كشف العلماء بطلانها •

الثانية : مدرسة التحليل النفسى ومؤسسها هو الطبيب النمساوى « فرويد » وهى التى بدأت بأسلوب لمعالجة بعض الامراض النفسية وتختلف هذه المدرسة عن سابقتها بأن صاحبها زعم ان الانسان

محكوم بغرائزه ومنساق لشهواته أراد أم لم يرد وان « فرويد » أعطى الغريزة الجنسية على وجه الخصوص أهمية قصوى فأرجع اليها جميع التصرفات الانسانية فردية أو اجتماعية وقد وجدت هذه المدرسة ونظريات صاحبها بيئة خصبة لذيوعها وانتشارها فضلا عما تبناه اليهود من اذاعة وترويج الافكار ولكن سرعان ما قوبلت هذه النظريه بعاصفة من النقد الشديد حيث انها على حسب قول بعض العلماء أن نظرية «فرويد» كفيلة بتحطيم القيم والأخلاق التى تعارف عليها الناس بواسطة الايمان وزعم « فرويد » أن الحياة كلها جنس وأن كل شىء نابع منه قوبل بعاصفة من النقد أيضا — هذا من ناحية النظرية أما من ناحية منهجه فى البحث فقد اعتمد فى ابحاثه على المرضى ثم عمد الى تعميم نظريته مما أدى الى اضطراب النتائج للفارق الكبير بين المرضى والاصحاء، وتأثره بطفولته كيهودى فى النمسا المتعصبة لليهود واعتماده على الاساطير اليونانية القديمة وتصديقه لها — لهذه الاسباب أعلن العلماء رفضهم لاراء « فرويد » ونظريته .

الثالثة : المدرسة السلوكية : تختلف هذه

تختلف هذه المدرسة مع المدرستين السابقتين فى مسألة دوافع السلوك الانسانى فهى ترى أن سلوك الكائن الحى لا يتأثر بعوامل داخلية وانما يأتى نتيجة عوامل خارجية تثير سلسلة من الأفعال المنعكسة لدى الكائن الحى يتكون منها فى النهاية السلوك الكلى وهى بذلك ترى أن الكائن الحى ما هو الا آلة معقدة تدرس سلوكه كما تدرس آلة لا عقل لها ولا شعور .

أما العوامل النفسية الباطنية كالارادة والرغبة والذهن والتفكير فلا أثر لها فى العقل أو النتائج وقد عورضت هذه النظرية بشدة من العلماء حيث أنكروا ما ذهب اليه السلوكيون من رفض لدوافع السلوك .

الباب الثالث بعنوان :

نماذج من معالجة الاسلام للدوافع وأثر ذلك على الفرد والمجتمع ..

ويشتمل هذا الباب على فصلين هما الفصل الاول بعنوان ..

(نماذج من معالجة الاسلام الدوافع) ..

وقام فيه الباحث بعرض لدافعى (الجنس — التملك) ..

وفى دافع الجنس تحدث قائلا : ان العناية الآلهية أناطت بدافع الجنس وظيفة وهى التناسل لبقاء النوع ومعالجة الاسلام له بأنه اعترف به وبحق الانسان فى تلبيته ورفضه الانحراف به كبتا أو انطلاقا بلا حدود وقد وضع له الضوابط التى تكفل لهذا الدافع تحقيق هدفه بمنهج خاص له — ومن أدلة احتفاء الاسلام بالجنس وتقديره للدور الذى يقوم به اذا كان فى نظافة وطهارة ما سنه رسول الله عليه السلام من قراءة اسم الله قبل البدء فيه فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : — أما ان أحدكم اذا أتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فرزقا ولدالم يضره الشيطان » .

ثم نأتى الى معالجة الاسلام للانحراف به كبتا أو انطلاقا بلا حدود فيقول الباحث انه اذا كان الله قد أناط بالدافع الجنسى مهمة حفظ النوع الانسانى عن طريق التزاوج والتكاثر فان هذا الاتجاه المعوج لو قدر له ان يهيمن على سلوك الناس كان حريا بتوقف عجلة الحياة بانقطاع النسل ثم ان الله جعل الحياة الزوجية مصدرا للمشاعر الفياضة بالرحمة والمودة بين الزوجين وبالعطف والشفقة على الأولاد ومبعث هذه الرحمة اختلاط الأرواح واتصال النفوس – وأباحة الجنس أو الانحراف الجنسى فى البلاد الأوربية نشأ عنه زيادة التعلق بالجنس وانعدام السعادة ، واضراب الشباب عن الزواج وانهيار الأسروضياع الأولاد – وبالنظرة الى هذه الاخطار نجد أن الاسلام حرص على الدافع الجنسى بوجود الزواج لضبط هذا الدافع وفى ظل الزواج يشهد الانسان بفطرته فيما يملكه ويستقر نفسيا وعصبيا .

أما عن دافع التملك فقد تحدث الباحث فى التمهيد عنه قائلا : ان الفطرة الانسانية والطبيعة البشرية تميل الى حب تملك الأشياء وحيازتها كما نوه القرآن الكريم عن ذلك بكثير من الآيات منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى « **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ** »

(آل عمران رقم ١٤) وهذه الآية دليل على ان الطبيعة البشرية لاتكتفى بمجرد الميل الى المال وانما تقبل عليه بنهم شديد وكذلك قوله تعالى : « **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** » (الفجر ٢٠) وقوله « **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** » (العاديات ٨) ويقصد بالخير المال وقد عالج الاسلام الحنيف هذا الدافع من خلال (١) الاحتفاء بالمال وتقديره لماله من دور كبير فى حياتنا الدنيوية واحتفاء الاسلام بالمال جعل من حق الفرد الايتنازل عن ماله كلية حتى لايصبح فقيرا فيما بعد .

وتحدث الباحث عن موقف الاسلام من الفقر قائلا : ان الانسان اذا ابتلى بالفقر حمله ذلك على الاتصاف بصفات رذيلة كالاحتياج وكونه عالة على غيره من أهله وقد يضطره الاحتياج الى كشف الاسرار وقد يعطل موهبة عنده تحتاج الى مال لتنفيذها والاستفادة منها .

٢ – رفض الاسلام للانحراف بدافع التملك كبتا أو انطلاقا : تناول فيه الباحث موقف الاسلام من الرافضين لدافع التملك بأن الفقر لايقف ضرره عند حرمان الجسد من مطالبه الرئيسية من طعام وشراب وغيرهما وانما يتعداه الى افساد مشاعر الفقير وأفكاره والهبوط عما ينبغى اللانسانية أن تهدف اليه فهو اما أن يستذل الاغنياء الفقراء بالاحتياج اليهم ، واما أن يحقد الفقراء على الاغنياء بما لديهم وهذه من الصفات التى ذمها الاسلام وقد أوضح موقف الاسلام من عباد المال الذى يجمعونه رغبة فيه ولذة فى الحصول عليه ثم يستغلون هذا المال بطرق لاتتفق والشرائع السماوية .

٣ – قيام الاسلام بوضع الضوابط المنظمة لمال : ان قيام الاسلام بوضع النظم

والضوابط التى تنظم عملية التعامل بالمال يدلنا على أن الاسلام لم يترك المرء ليجمع المال من كل طريق ومكان وانما جعل هناك طرقا محرمة لجمع المال كالربا والغش والاغتصاب وغير ذلك وأعطى اللانسان طرقا مشروعة يكتسب منها المرء رزقه حلالا طيبا بلا اضرار لنفسه أو المجتمع ومثال ذلك التجارة ــ العمل بأجر للآخرين ــ الزكاة للمستحق ــ الصيد •

ورغم كل هذا الحرص والاحتفاء بالمال جعل الاسلام حقوقا عامة وخاصة فى هذا الدافع وهذا من باب العدالة الاجتماعية •

الفصل الثانى « أثر المنهج الاسلامى فى رقى الفرد والمجتمع » ويشتمل هذا الفصل على :

١ ــ أثر المنهج الاسلامى فى رقى الفرد وسعادته : وفى ذلك يمكن تلخيص الآثار المترتبة على منهج الاسلام فى معالجة الدوافع بالنسبة للافراد فى النقاط التالية : **١ ــ تحقيق انسانية الانسان والرقى به الى اعلى مستوى ممكن •**

(ب) تحقيق السعادة المنشودة فى الدنيا والآخرة •

(جـ) المحافظة على حيوية الانسان وصحته

(د) العمل على توزيع الطاقات الانسانية بصورة عادلة تمنع من اشباع جانب على حساب آخر وكل ذلك يتأتى عن طريق تلبية الانسان منا لحاجات بدنه دون الجور على الجانب الاخر وهو الروح ، وسعادة الانسان فى اتباع منهج الله فى تصريف هذا الدافع « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » •

٢ ــ أثر المنهج الاسلامى فى رقى المجتمع وسعادته : كل ماسبق من فوائد تفيد الافراد فانها أيضا تنعكس على المجتمع من حيث ان المجتمع يتكون من لبنات هم الأفراد •

« الخاتمة »

وفى خاتمة هذا البحث يقول الباحث : انه قد وضح من خلال هذه الدراسة المطولة عن منهج الاسلام فى معالجة دوافع السلوك الانسانى أنه منهج يقوم على الاعتدال والضبط وينأى بأهله عن الانحراف افراطا أو تفريطا كما أنه منهج يتعامل مع الانسان فى واقعه فهو يعترف بدوافعه ويحق المرء فى تلبيتها مع وضع كافة الضمانات التى تخول للمرء الارتقاء الى أعلى مستوى ممكن •

وحين حاولت مناهج البشر ان تقحم نفسها فى هذا المجال بعيدا عن هدى السماء لم يكن من نصيبها سوى الفشل والارتكاس بالانسان الى درك الشقاء يستوى فى ذلك منهج الكبت والقمع الذى تمثله الديانات البشرية كالبوذية والبراهمة والرهبانية ، ومنهج الانطلاق والفوضى « كالفرويدية » •

وعلى وسائل الاعلام الدور فى ترشيد الناس بمبادىء الاسلام وكشف سلبيات المناهج البشرية عندما تخلت عن منهج الله ــ وعلى الدعاة ان يتحركوا ويفهموا الناس حقائق الاسلام قياما بدورهم الذى كلفهم الله به ، وعلى الجميع ان يعرفوا أن دين الله جاء لكل زمان ومكان ، وأن التعامل معه يكون على هذا الاساس وبالتالى تنتفى من الاذهان اكذوبة ان الدين جاء لفترة مضت ثم انتهى •

الفتاوى

نصاب الزكاة

س : من المواطن/السيد .. .. نجم الدين .

رجال ذهبوا الى البلاد الأجنبية وعملوا فى التجارة والصناعة واصبحوا اثرياء فكيف يخرجون زكاة أموالهم وما مقدار النصاب الشرعى بطريقة ثابتة ؟

وهل يمكن ربط مقدار النصاب الشرعى بقيمة الذهب أو الفضة ، لأن جميع العملات غير ثابتة ؟

ج :الزكاة تجب فى عروض التجارة اذا بلغت نصابا فائضا عن حاجته الأصلية وحال عليها الحول .

والنصاب بالنسبة للفضة مقداره (٥٩٥ جراما فى سعر الجرام يوم خروج الزكاة ، وبالنسبة للذهب (٨٤٫٤) جرام فى سعر الذهب يوم خروج الزكاة أيضا .

والمزكى حر فى اختيار نصاب الذهب أو الفضة فى تقديره لنصاب الزكاة بالنسبة لأمواله .

أما فى الصناعة فالآلات والمبانى لا زكاة فيها انما الزكاة فى صافى الايراد اذا بلغ نصابا وحال عليه الحول .

وقيمة الزكاة (٢٫٥٪) اثنان ونصف فى المائة .

ختان البنات

س : السيد/ م .. .. بدوى

ماحكم ختان البنات ؟

ج : الختان قد اختلف فيه أئمة المسلمين على ثلاثة مذاهب :

الاول : أنه واجب على الرجال والنساء وهو المعتمد عند الشافعية والحنابلة .

الثانى : أنه سنة للرجال مستحب للنساء . وهو رأى الحنفية والمالكية .

والثالث : أنه واجب على الرجال وسنة للنساء . وهو رأى للشافعية والحنابلة .

وكيفية الختان فى الأنثى : أن يقطع شىء يسير من البظر ، ويسن عدم المبالغة فى ذلك .

ليس فى البشعة احتكام

س : من السيد/ع . ع . ع .

فى بعض المجتمعات يعمدون الى عرض المتهم فى جريمة من الجرائم على مايسمى (بالبشعة)وهى وعاء من الحديد يحمى على

اعداد: عبد الحميد السيد شاهين

نار شديدة حتى يتوهج ، ويلحسه المتهم بلسانه ، فان كان بريئا لم يصب بسوء وان كان مذنبا أصيب . ويحكم عليه بناء على ذلك من دفع أموال أو خلافه.. فما حكم الاسلام فى ذلك ؟

ج: اتباع هذه الطريقة مخالف للشريعة ؛ لأن الاسلام قد حدد لاثبات الوقائع والأحكام الشرعية طرقا خاصة وهى :

اقرار المتهم ، أو البينة الشرعية واليمين على من أنكر ، وأجاز بعض الفقهاء القرائن القوية .

فمن عدل عن ذلك الى وسائل أخرى ضارة ـ تزيد من الشبهات ولاتثبت بها أية واقعة بطريق شرعى سليم ـ كان آثما ـ وعلى هذا فالاحتكام الى البشعة لا يجوز شرعا .

الزواج من كتابية

س : من السيد/ م . م . عبد العظيم انا شاب مسلم مصرى الجنسية . هل يجوز لى الزواج بفتاة مسيحية الديانة بلغارية الجنسية ؟

ج : يجوز للمسلم أن يتزوج من أهل الكتاب (يهودية أو نصرانية) وعلى ذلك فيجوز لهذا الشاب أن يتزوج من هذه الفتاة المسيحية .

ميراث

س : من السيد/محمود سيد أحمد السداوى .

توفيت امرأة عن : ابن ، بنت ، أولاد ابن ذكور واناث ،أولاد بنت ذكور واناث فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد الابن وأولاد البنت المتوفيين قبل أمهما بمقدار ماكان يستحقه أصل كل منهما لوكان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م .

وحيث ان نصيب الابن والبنت المتوفيين يزيد على الثلث فترد الوصية الواجبة الى الثلث . فتقسم التركة تسعة أجزاء :

ثلاثة أجزاء منها وصية واجبة ، يخص أولاد البنت جزء واحد يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، ويخص أولاد الابن جزءان يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

والباقى وهو ستة أجزاء هو الميراث للابن والبنت ـ الموجودين على قيد الحياة ـ تعصيبا ، يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى .

والله أعلم ..

أنباء وآراء

الإمام الأكبر يصرح فى الاسماعيلية : الاسلام ليس مجرد صلاة بل عقيدة وشريعة

* صرح فضيلة الامام الأكبر الشيخ • جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى مسجد الهداية بمناسبة افتتاحه بالاسماعيلية قال :

ان المساجد لله وانها بيوت الله التى نلجأ اليها خمس مرات فى اليوم والليلة لكن الاسلام ليس مجرد صلاة بل انه عقيدة وشريعة لنستمع الى ما قاله القرآن فى شأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »

ثم هناك اخلاق للاسلام وصفات وصف بها الله رسوله — صلى الله عليه وسلم — ينبغى أن نتحلى بها •

* تقرر ضم ثلاثة وعشرين مسجدا فى قرى محافظة سوهاج ومراكزها على ان تضع الوزارة يدها على ملحقات هذه المساجد •

* تجرى حاليا بديوان وزارة الأوقاف اختبارات لثلاثة آلاف قارىء تقدموا لمسابقة حفظ القرآن الكريم وتلاوته تجريها الوزارة لايفاد القراء بالداخل والخارج فى التجويد والحفظ برواية حفص عن عاصم •

مؤسسة أدبية لنشر الثقافة العربية

أنشئت فى تونس مؤسسة أدبية مهمتها ترجمة الأعمال العربية الأساسية ، وتعريف الحضارات الأخرى بها •• وعقدت المؤسسة أولى دورات مجلسها العلمى ••

وصرح السيد/أحمد عبد السلام رئيس المؤسسة : أن المؤسسة الوطنية للترجمة

ووضع النصوص والدراسات ، حددت لنفسها هدفا هو الاسهام فى انطلاق الثقافة العربية

والاسلامية فى الافاق العالمية مع الحفاظ على أصالتها ، ومواكبة كل ما هو حديث •

وتعتزم المؤسسة توسيع نطاق الحوار بين الحضارات ، وخاصة من خلال ترجمة النصوص الجوهرية التى تدعو للتفكير والتأمل من اللغة العربية واليها •

غلق محال الخمور

أصدر الشيخ سلطان بن محمد القاسمى ، حاكم الشارقة ، قرارا باغلاق محال الخمور فى الامارة واحالة جميع قضايا شرب الخمر الى المحكمة الشرعية ، لتطبيق الشريعة الاسلامية •

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
صفوت عبد الجواد

● فضيلة الشيخ جاد الحق

الاقتصاد الإسلامى فى باكستان

أعلن السيد خواجه محمد صفدار رئيس مجلس الشورى الباكستانى فى ختام زيارته لمصر أن باكستان طبقت عددا كبيرا من قوانين الشريعة الاسلامية مثل : قطع يد السارق وتحريم الخمر ، وتنفيذ نظام عشر الزكاة ، والمحاكم الشرعية .. وأضاف رئيس مجلس الشورى أن باكستان تبحث حاليا قانونى : دية القصاص والشهادة الاسلامية أمام المحاكم بجانب اقامة نظام الاقتصاد الاسلامى فى البنوك تمهيدا لتطبيق ذلك قريبا .

والمعروف أن الرئيس الباكستانى ضياء الحق يقود حركة تطبيق الشريعة الاسلامية منذ تولى الحكم ، ويتميز التطبيق بالتدرج والدراسة المتأنية .

ندوة "اللغة العربية والوعى القومى"

بدعوة من معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والمجمع العلمى العراقى عقدت فى بغداد (ندوة اللغة العربية والوعى القومى) وناقشت الندوة التى استمرت يومين عدة أوراق منها :

- العربية الفصيحة لغة التعليم .
- وسائل الاتصال الجماهيرى ودوره فى نشر اللغة .
- اللغة ووسائل الاعلام الجماهيرية .
- من خصائص اللغة العربية .
- الاسس النفسية والاجتماعية للغة العربية .

مجمع اللغة العربية الأردنى

أسس المجمع سنة ١٩٢٤ وفى عام ١٩٧٦ جدد انشاء المجمع الذى يتطلع الى الحفاظ على سلامة اللغة العربية وجعلها تواكب متطلبات الأداب والعلوم والفنون الحديثة ، وتوحيد مصطلحات العلوم والأداب والفنون ، ووضع المعاجم ، والى الاهتمام باحياء التراث العربى والاسلامى فى المجالات المختلفة ، ولتحقيق هذه الاهداف يهتم المجمع بالقيام بالدراسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية ، وتشجيع التاليف والترجمة والنشر ، وعقد المؤتمرات اللغوية مع الاهتمام باصدار مجلة باسم مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى » .

(مجلة اخبار التراث الكويت) .

أنباء وآراء

معهد التراث العلمى العربى

يبدأ معهد التراث العلمى العربى فى الحادى عشر من ابريل ١٩٨٤ م المقبل ولمدة يومين المؤتمر السنوى الثامن لتاريخ العلوم عند العرب ، كما يحتفل بذكرى مرور ثمانية قرون على ميلاد الطبيب ، ومؤرخ الطب العربى (ابن ابى أصيبعة) بهدف المؤتمر الى تقديم أبحاث أصيلة لم تنشر سابقا فى موضوعات تاريخ العلوم الاساسية والعلوم الطبية عند العرب • كما يهدف المؤتمر الذى سيعقده المعهد فى جامعة حلب بالتعاون مع الجمعية السورية لتاريخ العلوم الى ابراز مساهمة الحضارة العربية فى اغناء الحضارة الانسانية ، وبيان مكانة العلوم العربية ، ومدى ما أسهم به العرب فى تقدم العلوم ، اضافة الى القاء الضوء على حياة وأعمال الطبيب والمؤرخ أحمد موفق الدين بن أبى أصيبعة •

لجنة للعناية بشئون التراث العربى الإسلامى

ضمن اهتمامات وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فى الكويت بشئون التراث العربى الاسلامى ، شكلت الوزارة مؤخرا لجنة خاصة للعناية بأمور التراث العربى الاسلامى، واحياء منتخبات منه عن طريق تحقيقها ونشرها •

تهدف اللجنة الى تنسيق الجهود فى نشر التراث وتأمين وسائل دراسته وفهرسته ووضعه فى متناول الباحثين ، وذلك عن طريق اعداد خطة لنشر التراث العربى فى الوزارة ، وترشيح كتب للتحقيق أو المراجعة أو الطبع ، مع الاهتمام بدراسة ما تتطلبه العناية بالتراث الاسلامى لاسيما المخطوطات والوقفيات ، ووضع السياسة العامة والوسائل العلمية فى هذا المجال •

مؤتمر "الإسلام اليوم"

عقد مؤخرا فى اسلام اباد مؤتمر اسلامى تحت عنوان « الاسلام اليوم » وقد ناقش اعضاء المؤتمر « وثيقة للدستور الاسلامى » تحتوى على العناصر الاساسية والاسس اللازمة للحياة الاسلامية • والوثيقة تعتمد كليا على الشريعة الاسلامية التى تجمع بين القرآن والسنة •

المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام

عقد فى عمان مؤخرا المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام الذى نظمته الجامعة الأردنية باشراف خبراء مختصين فى تاريخ بلاد الشام •

وقد برزت فكرة الدعوة الى هذا المؤتمر عندما لوحظ أن هناك بعض الاتجاهات التى تسعى الى زعزعة الحدث التاريخى ، ومعالجته خارج اطاره الطبيعى واحساسا بمسئولية

الجامعة الأردنية العلمية ، تجاه هذا التحوير ،

فقد تبنت اقتراحا بعقد مؤتمرات ونـــدوات متتابعة ، يشارك فيها العلمـــاء المؤهلـــون والمؤرخون من أجل الكشف عن الحقـــائق التاريخية والعلمية فى مرحلة أصبحت الحاجـة فيها ملحة لكتابة تاريخ بلاد الشام لاسيما بعد قيام الكيان الصهيونى الغريب فى المنطقة .

وكان المؤتمر الاول قد عقد فى الجامعـــة الأردنية سنة ١٩٧٤ ، كما عقد المؤتمر الثانى بالتعاون مع جامعة دمشق عام ١٩٧٨ ، وعقد المؤتمر الثالث فى الجامعة الأردنية بالتعاون مع جامعتى دمشق واليرموك ســـنة ١٩٨٠ م ، وزادت بحوث المؤتمر الثالث على المـائة وكان محورها « تاريخ فلسطين » . ورافق عقـد هذه المؤتمرات الثلاثة انشاء مـــركز للوثائق والمخطوطات .

وناقش المشاركون فى المؤتمر الرابع ، كل الابحاث التى خصصت للحياة الدينية والفنية والادبية .

وشارك فى هذا المؤتمر الى جانب الباحثين المسلمين ــ العديد من الباحثين والمستشرقين من الجامعات الفرنسية والامريكية ودوائـــر الاثار العربية ، والمعهد الفـــرنسى للاثار ، والمدرسة البيزنطية فى مدينة القدس والمعهـد الألمانى للاثار .

آراء

كتب السيد/عبد العزيز عبد اللـــه محمد ــ الجيزة ــ الصف مقترحا زيادة عدد صفحات المجلة .

نحن أمام عدة مقترحات منها اقتراحكم هذا الى اقتراح آخر يرى أن تضم الهـدية الى صفحات المجلة فى ملزمة مستقلة يمكن فصلها فى نهاية العام .. الى غير ذلك والمجلة تدرس موضوع طرح هذه الآراء فى استفتاء عـــلى القـــراء .

كتب السيد/مختار مصطفى النزهى ــ مطوبس ــ كفر الشيخ ــ يريد ترجمـة مقال الدكتور أنس النجار المشرف عـلى القسم الانجليزى ليستفيد به الجميع .

ابلغنـــا الاستاذ الدكتور بالاقتراح . ونسال الله التوفيق .

كتب السيد/عز العرب محمد ضيعون ــ كفر الشيخ ــ بيلا .

يريد الحصول على أبحاث مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية ، وكتبه .

❋ عليك ــ يا أستاذ عز العرب ــ الاتصال بتوريدات الازهر بالعباسية حيث يوجد بهـا مبيعات .

كتب الأخ/محمد مصطفى سالمان ــ سوهاج ــ طهطا .

كلمة تحت عنوان (صوت الضـــمير وأثره فى الانسان) جاء فيها :

أن الضمير هو الذى يحض الانسان عـلى اتقان العمل سواء أكان هذا العمل لنفســـه أم لغيره . وهو النذير الذى يحذر الانسان من الوقوع فى الخطيئة .

فهرس العدد

- منهج ومعام من أجل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –
  للدكتور على الخطيب ٦٩٧

دراســـات عربية

- ولا تقـــولوا لمن ألقى اليـكم الســـلام لست مؤمنا
  لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير ٧٠٠
- الحمد فى القرآن الكريم
  للدكتور محمد محمد خليفة ٧٠٦

دراســـات فى الحـــديث

- من نفحات السنة المباركة حب الصحابة – رضى الله عنهم –
  للدكتور محمد محمود شعبان ٧١٤
- مناهج كتابه السير وحلقات (على امام المتقين)
  للاستاذ محمد احمد بدوى ٧٢٢
- من هدى النبى – صلى الله عليه وسلم – حفظ السر
  للشيخ احمد حسن جابر رجب ٧٢٧
- سفراء النبى – صلى الله عليه وسلم – وكتابه ورسائله
  للدكتور مختار الوكيل ٧٣٠
- مؤلفات الامام البخارى
  للدكتور الحسينى هاشم ٧٣٦

عطـــاء الاسلام

- قوة الشخصية الاسلامية فى عصر القلق
  للواء ٠أ ح محمد جمال الدين حفوظ ٧٤٠
- المؤمن الحق
  للاستاذ احمد على منصور ٧٤٥

الشـــــــعر

- من ذكريات الريف ومحراب شاعر
  للدكتور حسن جاد ٧٥٢
- أجل انهـــا احلام
  للاستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ٧٥٣
- طلع البدر علينا
  للطالبة ريهام احمد مصطفى حافظ ٧٥٤
- جيلى عبد الرحمن فى ديوانه قصـــائد من السودان
  للشاعرة جليلة رضا ٧٥٥
- الوطنية والعروبة فى شعر محرم
  للدكتور طه عبد الرحيم عبد البر ٧٥٨

من اعلام الأزهر

- حسن منصور « بك »
  لحفيده الاستاذ مدحت فتحى شريف ٧٦٨

دراسات سياسية

- صانعو السياسة البريطانية فى المشرق العربى
  للدكتور عبد العزيز سليمان نوار ٧٧٢
- طرائف ومواقف
  للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٧٨٦

من التـــراث

- مجلة الازهر من خمسين عاما « الامانة فى العلم »
  اعداد عبد الفتاح حسين الزيات ٧٩٠
- من نوادر المخطوطات «قواعد الشريعة» لعز الدين بن عبد السلام
  عرض وتقديم محمد عميرة على ٧٩٧

لغـــه وادب ونقد

- حتى ٠٠ العاطفة
  للاستاذ احمد حسن عبد العواض هلالى ٨٠٢
- مصادر العقد الفريد وطريقة ابن عبدربه فى الرواية والصياغة
  للدكتور احمد محمد النجار ٨٠٦
- دراسات عن مجلة الرسالة الجـــديدة ١٩٥٤–١٩٥٩ ودورها فى الادب والنقد
  للدكتور يوسف حسن نوفل ٨١٢
- منهج الاسلام فى معالجة دوافع السلوك الانسانى
  عرض عبد العزيز احمد جيره ٨٢٠
- الفتـــاوى
  للاستاذ عبد الحميد السيد شاهين ٨٣٠
- انبـــاء وآراء
  اعداد : احمد عبد الرحيم السايح
  عبد الفتاح السيد عبد السلام ٨٣٢
  صفوت عبد الجواد

الانجليـــزى

- المقال الثانى
  للاستاذ سليمان بركات ٨٣٨
- المقال الأول
  للدكتور انس النجار ٨٤١

مراجعة وعنـــاوين داخلية
الاستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا

CONTEMPLATING A SHORT SURA

by: Soliman Barakat

«By Time (through the Ages), verily Man is in loss, Except such as have faith, and do righteous deeds, and (join together) in the mutual teachings of Truth and of Patience and Constancy.»

(Surat-Al Asr, C III)

Sura Al Asr is one of three suras which as regards the number of verses, are the shortest in the Holy Qur'an. Each is in three verses; but so brief as they are, they contain momentous purports. The other two Suras, Al-Kawthar and Al-Nasr, are addressed to Prophet Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) in his private concern. The former is Allah's answer to those who, out of hatred, taunted him with the death in his old age of his baby-son. The Sura gives the holy Prophet the good tidings of a grace of unfailing abundance bestowed on him by Allah in requital for his devotion and endurance, and puts the divine seal on the complete effacement of all traces of his malicious antagonists. In the latter, that is Al-Nasr, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) is reminded of the fact that, having fulfilled his mission, with the help of Allah, to His satisfaction, it is time he joined the Supreme Divine Company.

Al-Asr is addressed to people as a warning and guidance. In Arabic, Asr has two different meanings: time, that immeasureable dimension of continuity on the earth, and late afternoon when a day is doomed to deciine. Allah swears by it, which draws attention to the great value it imports. Man's life is not a peaceful current. Both by constitution and by the circumstances encompassing him, man is making for perdition, his progress really drawing him nearer and nearer to his end. Still, the Hereafter is there and he must provide for his everlasting abode in it.

The constituents of mans's salvation are four: faith, good deeds, promulgation of truth, and recommendation of patience. Rather than incline to the earth and follow his lust, man is hereby incited to sublimate his soul and refine upon his methods. It is not worthy that faith always occurs in the Qur'an coupled with good deeds. In Surat Al-Ma'un, wroshippers who abstain from meeting the needs of the distressed are warned of the rejection by Allah of their worship.

Promulgation of truth and recommendation of endurance are no doubt among righteous deeds. However, it is not redundant of the Qur'an to particularize them. They provide the solid foundation of successful society, and good citizenship.

According to a Prophet's Hadith, faith has more than seventy branches, the highest of which is belief in Allah, and the lowest is clearing the path of harm. Good deeds are detailed both in the Qur'an and in Tradition. Essentially, they are adherance to lawful interests, resistance of unseemly persuasions, and voluntary acts of benevolence. As for patience it is the active fortitude and strong allegiance; which none is granted save a man of mighty fortune. True faith is the armour of the Believer which wards off the stress and strain of the material world. The spiritual ascent of man is fundamentally attributed to his positive indulgence in righteous conduct in life, and his positive contribution to that end in the life of others.

Living for one's own self is not self fulfillment. Moral and spiritual behavior must be propagated among mankind; so that Truth and Reality are realised, esteemed and observed in patient hope and unshaken constancy.

sumption of the revelation; emmensely afraid of Allah's rejection. He deeply aspired for the Light and Honour he experienced, to be the Messenger of Allah's message to humanity. The revelation descended again, and the Archangel Gabriel revealed to him the Qura'nic Text:

O thou wrapped up
Arise and deliver thy warning
And thy lord Do thou magnify
And thy garments keep free from stain —
And all abomination shun
Nor expect, in giving any increase for thyself
But, for thy Lord's cause
Be patient and constant
(Surat Al-Muddathir LXXIV,1-7)

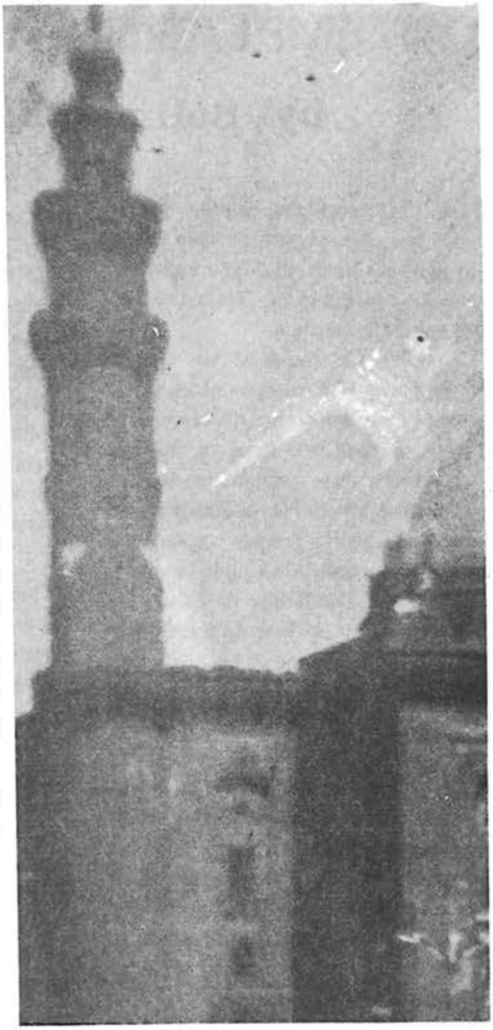

In these supreme early verses, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) is given a command for a mission and definite precise manners of conduct of worship and unsurpassed esteem and respect to allah. Finally, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) is warned and advised to be patient steadfast, and constant in his mission in the cause of Allah.

This Sura was followed by the revalation of the whole Qur'an in protacted fragments over a period of approximately twenty years.

References :

1 — Alsira Alnabawiah.
3rd. Edition 1981.
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi.
Publisher, Dal Al Sharook, Jeddah.

2 — Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen.
24th. Edition 1978.
Sheikh Mohamad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial library, Cairo.

3 — Mashahid min Alsira Alatirah.
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy.
Kilani Library — Cairo — Printed 1980.

4 — Hayyat Mohammad.
Mohammad Hussein Heikal.
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo.

5 — The Holly Quran.
Text, Translation and Commentary.
Abdullah Yusuf Ali.

6 — Fiqh Alsira.
Dr. Mohammad Ramadan Albooty.
7th. Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

THE REVELATION

tance eversince man's creation on earth. The Reality that forms the essence and core of all prophetical teachings prior to his time: a Reality that has been masked by human errors and dark ignorance.

Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) at this phase of physical purity, mental constitution of belief and spiritual elevation was ready to receive the Revelation — the words from Allah — the Message composing the highest order for man's enlightenment and redemption. At a preordained time, the Archangel Gabriel appeared to him during his seclusion at Mount Hira and told him «Read», the Prophet (Preayers and Peace from Allah upon him) answered «I cannot read» — the Archangel pressed him hard then left him and said «Read» — and he said «I cannot read», and the Archangel pressed him a second time then left him and said «Read» — and he said «I cannot read» and the Archangel pressed him a third time then left him and said:

> «Read in the name of thy Lord and Cherisher,
> Who created,
> Created man out of a mere clot
> of congealed blood.
> Read, and thy Lord is most bountiful,
> He who taught the use of the Pen,
> Taught man that which he knew not.
> (Surat Al-Alaq XCVI, 1—5)

This was the first divine commission of the Revelaton to proclaim and announce the message. By worldly measures, the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was illetrate and unversed, but with spiritual knowledge he was mentally and spiritually supreme. The words he heard and reapeated were imprinted in his mind and heart. He became filled with fear and perplexity consequent upon this strange, unexpected encounter. He returned home, tired, physically and mentally exhausted, bearing within him the vision and memory of the stressing ordeal and asked his wife Khadija to wrap him in order to overcome his shivering and anxiety After he regained tranquility and composure, he related to Khadija what was of his encounter with the Archangel, and explained to her his apprehension and concern. She reassured and comforted him with proof that Allah will never abandon or forsake him — he the man with such true piety and outstanding generous character. Accepting her words of reassurance, he reconcilled to sleep.

During his sleep, Khadija went in deep thought about the matter, fluctuating in her mind between aspiring hopes and pitifull doubts. She finally resolved to consult one she knew renouned for wisdom and knowledge in such supernatural matters as this.

When the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) awakened, Khadija accompanied him to her cousin Waraqa Ibn Naufal Ibn Assad Ibn Adb-Al-Uzza, who was well learned in Jewish and Christian scriptures. He was old and blind. Khadija asked him to listen to what her husband had to relate. Hearing the details of the event W. Ibn Naufal told Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) that it was a revelation carried to him by the Archangel Gabriel which is akin to that which Moses was favoured with. Waraqa wished he was younger to witness the oncoming consequences and to champion and support him; for his people will surely display enmity and antagonism against that which he the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) will call for. The call to the enlightenment, enrichment, and honourable freedom of all mankind. Waraqa died soon after.

There was a period that followed during which the revelation ceased. That period has been disputed among chroniclers. Some authors give three years, others give six months, some give forty days. Most authors, however, agree more on the shorter periods. The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) awaited patiently and with anxious expectancy the re-

THE REVELATION

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D. PHD

In the name of Allah

Most Gracious Most Merciful.

Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) continued to lead a life of seclusion to achieve spiritual ascent and refinement, to pursue repentence, self discipline, piety and intellectual clarity. He desired to achieve understanding of Reality and Truth of Life's perpetual inherent order and harmony; to attain comprehension of universal intricate and complex coherance What is underlying and what is over-ruling this vast infinite cosmic expanse? What law governs this bewildering profound symmetry and dynamic conforming equilibrium? What is before life and what is beyond death? What thin line separates right from wrong and virtue from evil? Millions of questions pound and throb within the mind of man seeking an answer. Such was the case of Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) at the time of his meditative contemplation at Mount Hira. He was in pursuit of Reality, and his thoughtfull assiduous intellect aspired highly to realize and comprehend the truth and reality hidden within the multitude phenomena of nature around him.

At Mount Hira Mohammad (Prayers and Paece from Allah upon him) would remain for several days extending to weeks in continuous worship for guidance and analytical thought. It is documented by most authors that the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) followed in his worship the practice of Ibrahim (Peace be upon him), and also his own personal practice as an outcome of his apprehensive mind; beseeching for light and guidance. After few years in his retreat and seclusion, only coming home to take his needs; he became highly purified and attained a remarkable state of spiritual rank. He sanctified himself from perplexity and comprehended the simple reality of the oneness of the Creator. With clear perception of the intellect and with profound unabated faith, he ascertained with cognizance that reality that has dominated human exis-

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٥٠٦ / ٩٠٩٩٢٢

● صورة الغلاف

مسجد السلطان حسن

سيدى صاحب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

لأنت ـ بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ خير الناس ٠

يأبى الله الا أن تكون فوقهم علما وخلقا وأسوة ، وأن تطوق حسناتك العفيفة رقابهم ، ورقاب آبائهم ، وآباء آبائهم الى عام العشرين من الهجرة ، حين أتيت بالايمان المصفى فى عقيدة طاهرة أخرجتنا وأبناءنا من الظلمات الى النور على جناحين من عدل وحرية وأى شىء يعدل نعمة الايمان ٠٠ ؟!

الجزء السادس السنة السادسة والخمسون
جمادى الآخرة ١٤٠٤ هجرية
مارس ١٩٨٤ ميلادية

سيدى صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم

لذلك

سيدى ، صاحب رسول الله ــ صــلى الله عليه وسلم ــ

كان « العالم كريم المعدن من الناس » يعرف فضلك ، ويعلم قدرك ، ويزداد صفاؤه ضوءا يلألائك ، اذ ينطق القرآن العزيز بــ « فيك » ويستشهد بحكمة النبى ــ صلى اللــه عليه وسلم ــ بــ « لســانك » فيزداد نوراً على نــور :

لايلتوى به القصد ، فيعض يــداً أهدت لــه الايمــان وأنقذته من النار •

ولايضحى بك قربانا لشرق أحمر ، أو غرب أثيم •
فأنت أعــز عليــه من أمــه وأبيــه !!

ألست امام قبلتــه •• ونــور عينــه ••• وضوء قلبه •• وجلال ايمانه •
أليم ــ فى قلبــه ــ أن يتخــذك غرضــا لدنيــا •

وحقــير ــ فى نفسه ــ ما اكتنزت فى الغض منك والمساومة عليك ذلك ، لأن معدنه الكريم ••• الى علمــه الطاهر ••• كلاهما يطمس ضوءه أدنى غرض أثيم ، فــلا يصفو ــ من بعــده ــ أبــداً •

فشرفه الرفيع ذو مناعة تصــد كل حقــير
ويــده الطــاهرة تحيى جهــادك وتلتمس هــداك

هــذا ــ ســيدى ــ صاحب رســول الله ــ صلى الله عليه وســلم ــ العالم كريم المعــدن منهم •

دكتور علــى الخطيب

رسالة من الأزهر

إلى جلالة الملك الحسن الثانى

رئيس مؤتمر القمة الإسلامى

الى أصحاب الجلالة والفخامة الملوك والرؤساء المسلمين أعضاء هذا المؤتمر : الرباط

قال الله تعالى :

« وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ».

كونوا هذه الامة التى استمعت الى هذا القول الكريم من الله سبحانه ، وانظروا فى أمر جمع كلمة المسلمين والارتفاع فوق الشقاق والخلاف ، فان شعوبكم الاسلامية على اختلاف ألسنتها وألوانها ومواقعها على أرض الله تتوق الى وحدة الصف ، واجتماع الكلمة ، فقد تداعت عليهم الامم من حولهم ، بين واثب عليهم ينتقص من أرضهم وأموالهم ، ويقتل أبناءهم ، ويهدم ديارهم ، ومترقب لمصير هذه الامة التى أضاءت تاريخ الانسانية بوحدتها وعدالتها ، وعلومها وانسانيتها ، لأنها اهتدت بالقرآن الكريم ، واتبعت سنة رسول الله ، فعاشت كما وصفها قوله – صلى الله عليه وسلم – :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » .

أصحاب الجلالة والفخامة :

لم تجتمع لأمة من الأمم دعائم الوحدة

وعزائم القوة كما جمع الله لأمة الاسلام ، فهذا القرآن يتلى فيكم وعليكم ، وهـذه الكعبـة المشرفة قبلة واحدة . وها نحن فى الصلوات

نقف صفوفا متراصة فى نظام وانتظام ، وأنتم أولياء أمور هذه الأمة، فأجمعوا أمركم ووحدوا

صفكم وانبذوا الخلاف وتجاوزوا أسبابه ، وتصافوا ، وتحابوا ، وكونوا على قلب رجـل

واحد ، فهذه شعوبكم تئن وتشكو الى الله هذا التمزق ، وتلك الفرقة ، حتى تخطفهـم

الناس من حولهم ، فهذه « أفغانستان » يجثم فوق أرضها أعداؤها ، ويقاوم أبناؤها غزاتها ،

ولكن الخلافات نشبت بين قادتها ، وهـذه «فلسطين» اقتتل أبناؤها ،وبدلا من أن يعملوا

على استرداد حقوقهم ذهبوا يقتتلون ويخربون أرضهم وديارهم بأيديهم وأيدى أعدائهم .

وهذا لبنان قد غرق فى النزاع والحـروب والتخريب منذ سنوات ، واحتمى كل بفـريق

من الاعداء الذين وقفوا يتـرقبون ويثيرون الخلافات ، ويشعلون النار اذا خمدت .

يا أصحاب الجلالة والفخامة :

الأزهر يذكركم بأنكم المسئولون أمام الله عما آلت اليه حال المسلمين ، فأدوا الأمانة التى حملتموها ، وأصـلحوا ما بينكم يصلح الله بكم أمتكم ، ويضـع عنكم أصركم ، ويرفع لكم ذكركم .

وأجيبوا قضـايا شعوبكم بالجـد والحسـم ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم ..

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ..

شـيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

دراسات قرآنية

لمن الخطاب
في قوله تعالى

الحمد في القرآن الكريم

هل من مجمع لترجمات
تفسير القرآن الكريم

٥

لمن الخطاب فى قوله تعالى ؟

« فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين »

يقول الله تعالى : « هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ » ..

(آل عمران ٧) .

محكمات القرآن ما كانت واضحة الدلالة على المراد منها .

ومتشابهاته ما لم يتضح المراد منها ، فاشتبه أمرها على بعض الناس .

وقد دلت الآية على أن محكمات القرآن أصل لأحكامه ، وهذا هو المقصود من كرنها (أم الكتاب) فيجب أن يتعرف على معانى المتشابهات وأحكامها عن طريق هذه المحكمات وتلك هى وظيفة الراسخين فى العلم ، فهم الذين يردون هذه المتشابهات الى أصولها من المحكمات ، ولا يدعون تأويلها لذوى الضحالة فى العلم ، أو الزيغ فى العقيدة ، أو الهوى المريض .

ومن هذه الآيات المتشابهة آية سورة يونس :

« فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ » .

فالخطاب فيها لم يعرف من نصها من هو المقصود به ؟ فاشتبه أمرها ووقع فيها من وقع، اما بتأويلها بصورة غير جيدة ، واما يصرفها الى معنى مناسب لأهواء المحادين لله ولرسوله،

وهذه الأخيرة هى شنشنة بعض أهل الكتاب غير المنصفين ، ممن استحبوا العمى على الهدى ، فحاولوا أن يعكروا الماء الصافى من

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الطير

دين الاسلام ليصطادوا فيه ، ويأبى الله الا أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق، ومثل هؤلاء فى حرمانهم من تحقيق ما أرادوه من النيل فى الاسلام « كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » .

لقد زعم هؤلاء الشانئون أن الخطاب فيه للنبى — صلى الله عليه وسلم ، وقالوا كاذبين: ان محمدا — صلى الله عليه وسلم — كان يشك فيما يحدث به ، أهو من عند الله فيكون رسولا، أم ليس من عنده سبحانه بل هو أحاديث شيطان لا تمت الى الحق بصلة فلا يدعو الناس اليها ، وأنه طلب منه أن يسأل فى شأنه أهل الكتاب ليبعثوا فى نفسه الطمأنينة من جهته .

« كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » .

ونحن نسأل هؤلاء المغرورين الأسئلة التالية

١ — من الذى طلب الى محمد فى الآية أن يسأل أهل الكتاب عما أنزل اليه ؟ أهو الله الذى أرسله ؟ أم هو شيطان التبس أمره عليه ؟ فان كان الذى طلب منه سؤال أهل الكتاب هو الله الذى أرسله ، فمع أن فى هذا اعترافا ضمنيا منكم بأن محمدا رسول من الله وكفرتم به ، فذلك مستحيل ، لأنه سبحانه حينما يختار من عباده رسولا ، فانه يؤهله لهذه الرسالة بالصفاء التام ، والشفافية المطلقة ، واليقين الثابت والآيات البينات ، بحيث لا يعتريه شك فى أنه رسول من عند الله ، ولا يحوجه الى أن يسأل عن صحة رسالته أحدا من البشر — صدقوه أم كذبوه —

والدليل على ذلك ما جاء فى القرآن عن هذه القضية فى أول سورة النجم ، اذ يقول سبحانه «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى » .

فمن هذا النص نعلم أن نبينا محمدا — صلى الله عليه وسلم — لم يشك لحظة فى رسالته ، وما ضل عن الحق فيها وما غوى ،

وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلاوحى أوحاه الله إليه ، علمه إياه شديد القوى ، وأنه بلغت ثقته بما أنزل الله عليه الى الدرجة القصوى التى صورتها الآية ، اذ جعله يتحداهم بقوله :

« **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى۔أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى** » .

٢ ــ هذه السورة مكية ، ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب يمكن أن يكون حجة فى أمر خطير كهذا، فكيف يكون الخطاب فى الآيةموجها الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

٣ ــ كيف يعقل أن يكلف الله رسوله أن يسأل أهل الكتاب عما يؤكد له صحة ما أنزله الله عليه ، وهم خصوم لرسالته ، فانها ناسخة لما بأيديهم من الكتب ، وموجبة للتخلى عن دياناتهم المنسوخة ، والتحلى بشريعة الاسلام الناسخة ، ولاأدل على ذلك من مواقفهم منه بعد الهجرة، فقد كانوا به كافرين، وله مناوئين، فكيف يحوله الحكيم الخبير عليهم ليطمئنوه ويشهدوا بصدقه ، وهم به كافرون ، وله كارهون ، وعلى قتله وقتاله متآمرون !

ولهذا أمره سبحانه بعد أن أظهروا خيانتهم، وبدت البغضاء من أفواههم ــ أمره ــ أن يطهر المدينة ــ مركز الدعوة الاسلامية ــ من سوء جيرتهم ، فقاتل بعضهم وأجلى بعضا آخر منهم ، وصالح البعيدين الذين لا يخشى خطرهم .

وان كان الذى طلب منه أن يسأل أهل الكتاب شيطان يحدثه فهل هم اخصائيون فى أحاديث الشياطين ، لأنهم أولياؤهم ويتمتعون بثقتهم ، فيصدرون الفتوى لصالحهم ، ويجيبون عن السؤال بما يرضيهم ، ثم هل تتنزل الشياطين بالتوحيد ، حتى يحال أمر الفصل فى دين التوحيد الى دعاة الشرك والوثنية ، وصدق الله تعالى اذ يقول :

« **وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ۔إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ** » .

فمن كل ذلك لا يصح أن يكون الخطاب فى قوله تعالى : « **فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ** .. » **موجها إلى النبى ــ صلى الله** عليه وسلم ــ .

أيها الشانئون :

ان الشاك فى أمر من الأمور لا يستطيع أن يمضى فيه بعزيمة ولا بهمة ، فالشك يحيره ، والتردد يؤخره ولا يقدمه ، ويجذبه ولا يدفعه فكيف يعقل تكليف شاك بعبء الدعوة الى التوحيد فى مشارق الارض ومغاربها ، وكل هؤلاء مجادلون ومقاتلون ومناوئون !؟

لقد عرض عليه قومه الرياسة والمال ، بل عرضوا أن يضعوا على رأسه عمامة الملك فى مقابل أن يترك دعوتهم الى عبادة الرحمن بدلا من عبادة الاوثان ، فأبى ذلك على وسطائهم وقال كلمته الحاسمة : والله لو وضعوا الشمس فىيمينى والقمر فىيسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه، فلما لم يثنه ذلك عن عزمه ومضيه فى سبيل ربه، عرضوا على بنى عبد مناف دية مضاعفة ويسلمونه ، فأبوا عليهم ذلك ،ثم عرضوا على عمه أبى طالب أن يعطوه سيدا من شبابهم

يتبناه ويسلم لهم ابن أخيه فقال : عجبا لكم • نعطوننى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ فلما رأوا ذلك أجمعوا على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب ولدى عبد مناف واخراجهم من مكة والتضييق عليهم فلايبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمدا — صلى الله عليه وسلم — للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة ، لتكون وثيقة مقدسة ملزمة لكل طرف منهم ، فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك فى شعب أبى طالب ، ودخل معهم بنو المطلب مسلمهم ومشركهم ، عدا أبى لهب فانه كان مع قريش ، وخذلهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ابنى عبد مناف ، فجهد القوم حتى كانوا يأكلون أوراق الشجر ، وكان أعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم ، وفى مقدمة المانعين عمه أبو لهب، وظل حصارهم شديدا ثلاث سنين تباعاوهم صابرون ، تأييدا للنبى — صلى الله عليه وسلم — فى قضيته معهم ، فهل يفعل ذلك رجل يشك فيما أنزله الله عليه — كلا أيها الشانئون المغرورون •

الخطاب للمكلف الذى يشك فى الرسالة

ليست كل دعوة الى الحق تقابل من الأمة المدعوة بالتصديق الفورى ، بل الغالب فى أمرهم أن يقابلوها بالاعراض ، نظر لمخالفتها ما نشئوا عليه من العقائد •

ومنهم من يناصبها العداء عن فكر جامد ويبس فى العقيدة وتقليد للآباء •

ومنهم من يتردد فى أمرها ويشك فى صحتها، وهؤلاء هم الذى تهتم بهم الشرائع ، فتتمهل بهم وتوجههم الى سبل الرشاد •

واعلم أن من آيات الاعجاز فى القرآن حديثه عن قصص الانبياء مع أممهم حديث الصدق ، فى حين أنه — صلى الله عليه وسلم — كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ، فلا سبيل له الى التعرف عليها من قراءة كتب الانبياء قبله ، وفى ذلك يقول الله سبحانه **«وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ»** •

والله سبحانه يرشد المتحير الشاك فى القرآن الذى أنزل اليه — يرشده — الى أن يسأل أهل الكتاب عن قصصه التى اشتملت عليها سورة يونس ، ليعلم من وجودها لديهم صدق محمد فى نبوته ، وفى حديثه عن مصارع المكذبين بالمرسلين قبله ، فانه لا سبيل له الى علمها الا بوحى من العليم الخبير •

واعلم يا أخى المسلم أن القرآن كما أنزل الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — وحيا وتبليغا ، أنزل الى أمته أيضا عملا وتكليفا :

فمن الأول قوله تعالى فى سورة النحل «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» وقوله سبحانه فى سورة النساء : «إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ» •

ومن الثانى قوله تعالى خطابا للأمة : **«لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ»** ، وقوله سبحانه فى سورة النور : **«وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ»** ، ومنه أيضا هذه الآية خطابا لمن يشك **«فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ**

مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ » .

صلة الآية بما قبلها .

كتبنا عن صلة هذه الآية بما قبلها فى التفسير الوسيط فقلنا ما يلى :

بعد أن تحدثت هذه السورة عن قصص المرسلين من أممهم ، وآخرها قصة موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام مع فرعون وقومه ، جاءت هذه الآية تطالب من يشك فى صدق هذه القصص التى ساقها الله للعبرة ، وللدلالة على صدق محمد – صلى الله عليه وسلم – فى نبوته – تطالبه – بأن يسأل الذين يقرءون الكتاب من علماء اليهود والنصارى ، ليتأكد من وجودها فى كتبهم ، وليحمله ذلك على الايمان بنبوة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – ، فالخطاب فى قوله تعالى : « فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ .. » الخ موجه الى من يتعرض للشك من الأمة التى أرسل اليها النبى – صلى الله عليه وسلم – وليس موجها للنبى – عليه الصلاة والسلام – ثم قلنا فيه أيضا ما يلى :

والمعنى : فان كنت أيها المكلف من أمة الدعوة المحمدية ، فى شك من صدق ما أنزلناه من هذه القصص على رسولنا اليك ، لتعرف به صحة نبوءته ورسالته – صلى الله عليه وسلم – فاسأل علماء اليهود والنصارى الذين يقرءون كتبهم ، ويعرفون أن هذه القصص قد وردت بها منقولة من جيل الى جيل قبل وجودك ، حتى تعلم من وجودها قديما فى كتبهم ، أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – صادق فى نبوته ، وثقة فى رسالته ، فانه أمى لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يجالس من قرأها وعلم بها ، فقد نشأ بين قريش الوثنية ، فهذا برهان واضح على أن الله تعالى هو الذى أعلمه بها وأوحاها اليه ، وأنه صادق فيما أبلغكم عن الله ، وأن الايمان بنبوته فيه النجاة ، وأن الكفر بها يستتبع الهلاك .

ثم ختم الله الآية بقوله « لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ » ، أى لقد جاءك أيها المكلف الحق من ربك فلا تكونن من أصحاب الشكوك والأوهام ، بل كن من ذوى الايمان الثابت بهذا الحق المبين ، ثم عقب الله هذه الآية بقوله : « وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ » وهذه الآية خير شاهد لما قلناه من أن الخطاب ليس موجها الى الرسول – صلى الله وسلم – بل الى كل مكلف من أمة الدعوة المحمدية ، فان محمدا – صلى الله عليه وسلم – لا يتصور منه أن يكون مكذبا لآيات الله وهو يدعو الناس الى الايمان بربه .

والمعنى : وكما نهيناك أيها المكلف عن الشك فيما أنزلناه اليك على لسان محمد – صلى الله عليه وسلم – ، ننهاك عن التكذيب بآيات الله ، فلا تكونن من جملة المكذبين بدين الاسلام ، فتكون بذلك التكذيب فى عداد الخاسرين فى الدنيا والآخرة .

فصل الخطاب فى الآية

وفصل الخطاب فى قضية هذه الآية تراه بعد تسع آيات تليها ، اذ يقول الله سبحانه فيها

لنبيه : « قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » . فقد جاءت هذه الآية فى أعقاب بيان حال المكذبين ومآلهم ، وتسلية النبى — صلى الله عليه وسلم — عن تكذيبهم ، بأن ذلك من حكمة الله تعالى،وأنه لو شاء لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، وأنه ليس مطلوبا منه أن يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، فانه ما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ، بل المطلوب منه أن يبلغهم أن ينظروا فى ملكوت السموات والأرض — وقد فعل — وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ، وأن حالهم يشبه حال من ينتظر أن تصيبه مثل أيام الأمم الخالية ، وأنه لو نزل بهم مثل ذلك فان حقا على الله أن ينجى المؤمنين ، ففى أعقاب ذلك كله أمر الله نبيه أن يدعوهم قائلا :

« قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » وحين يبلغهم فلا تبعة عليه فى بقائهم على شكهم وكفرهم .

فمما سبق نعلم أنه سبحانه خاطب كل شاك على انفراد بقوله تعالى «فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ » .

وأمر نبيه أن يخاطب جميع الشاكين بقوله « قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى» الآية .

« وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ » .

الاسلام فى هذا العصر :

وبعد فان الاسلام فى هذا العصر يشق طريقه الى القلوب النقية ، والأرواح الزكية ، دون مشقة ولاعناء وبلا حرب ولا قتال ، انه يغزو عقول المثقفين ، ويبهر بصائر المستنيرين كلما وصل اليهم نقيا من أباطيل المبطلين ، وبعيدا عن تزييف المزيفين ، ونظيفا من الحاد الملحدين ، انك ترى اليوم عشرات الملايين من العلماء والفلاسفة ، والرهبان والأساقفة ، يخرون سجدا لله رب العالمين ، حينما تتجلى لهم حقائق الاسلام ونقاء سيرة نبى الاسلام وسريرته .

انك تسمع النداء الى الصلاة وتوحيد الديان من مآذن المساجد فى طوكيو ونيويورك وواشنطن كما تسمعه منها فى كثير من العواصم الأوربية والآسيوية ، بين البوذيين والوثنيين وأهل الكتاب .

تنبؤات برناردشو للإسلام :

الفيلسوف الانجليزى برناردشو ، هو من أبرز فلاسفة القرن العشرين — ان لم يكن أبرزهم — وقد تنبأ للاسلام بالانتشار سلميا فى أوروبا ، وندد بأراجيف المرجفين حوله ، وشهد له شهادة تستحق أن نسجل بعضها فى هذا المقال كما يلى .

يقول برناردشو : كنت فى كل الأحيان ولازلت أتناول دين محمد (١) فأقدره تقديرا عظيما ، وذلك لروحيته العجيبة ، وحيويته

العظيمة ، انه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية البشر ، وملاءمة الأزمنة ، فهو حرى بأن يكون دين الجميع فى كل زمان ، ويجب على العالم أن يرتب أهمية عظمى على ذلك .

لقد تنبأت عن دين محمد – صلى الله عليه وسلم – أنه سيكون مقبولا وملائما لأوروبا الوسطى – اما لجهلهم المطبق واما لتعصبهم فى الوقت الحاضر ، ان قساوسة القرون الوسطى اما لجهلهم المطبق واما لتعصبهم الأعمى – قد رسموا الاسلام بألوان سوداء مظلمة ، وكانوا فى الحقيقة قد نشأوا على كره محمد ومقت دينه لأن محمدا كان فى نظرهم ضد المسيحية أما أنا فقد درست الدين الاسلامى وشخصية محمد – صلى الله عليه وسلم – تلك الشخصية العظيمة اللامعة ، فوجدت محمدا – صلى الله عليه وسلم – بعيدا عما يلحقونه به من التهم ، ويجب أن يسمى فى الحقيقة مخلص الانسانية ومنقذها .

انني أعتقد أن رجلا مثله لو أخذ على نفسه قيادة شعوب العالم المعاصرة ، وكان حاكما مطلقا لتمكن من أن يقودهم أحسن قيادة ، ولتمكن من تسييرهم نحو طريق السعادة والسلام ان أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد ، وتعشق دينه وفلسفته ، كما أنها ستبرىء العقيدة الاسلامية مما اتهمت به من أراجيف رجال أوروبا فى القرون الوسطى ، سيكون دين محمد النظام الذى يؤسس عليه العالم دعائم السلام والسعادة ، ويستند الى فلسفة فى حل المعضلات وفك العقد والمشكلات،

ان كثيرا من مواطنى ومن الأوروبين يقدسون تعاليم محمد ، ولذلك يمكننى أن أؤكد نبوءتى فأقول : ان بوادر العصر الاسلامى الأوروبى قريبة لا محالة :

تعليقنا على تنبؤاته ..

لقد أنصف هذا الفيلسوف فى حكمه ، وتحقق قدر غير يسير من توقعاته ، وان العالم الآن يموج بالفتن ، ويضطرب بالأرزاء والمحن ، وقد هرب السلام من ربوعه ، ولاينقذه مما هو فيه سوى شريعة الاسلام ، شريعة الحق والعدل والمساواة والسلام .

وإن علينا أن نترجم معانى القرآن العظيم الى اللغات الأجنبية ترجمة متينة أمينة ، ونعمل على نشرها فى جميع الأقطار ، ليسارع الناس الى دين الله جماعات وأفرادا ، ويدخلوا فيه وحدانا وأفواجا ، حتى ينقذوا أنفسهم من الجحيم الذى يعيشون فيه ، بالرجوع الى مبادئه فى القضاء والمعايشة ، والسلام والمسالمة ، وذلك خير جهاد نفعله اليوم فى سبيل الحق – « وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

الحمد في القرآن الكريم

للدكتور محمد محمد خليفة

— ٣ —

١٩ — اعتراف الكفار بأن اللـه الرزاق المحيى الأرض وأمر الرسول بالحمد :

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » العنكبوت ٦٣

فى خلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر لنفع العباد ما يشير الى قدرة الله ، وفى بسط الرزق لمن يشاء وتضييقه على من يشاء لحكمة يراها ما يدل على نفوذ مشيئته وارادته ، وذلك ما بينه فى الآيتين السابقتين .

وقد أفحمهم فى هذه الآية بما لا ينكر وذلك حين يسألون : من الذى نزل الماء من السماء فأحيا به الأرض من بعد موتها وأخرج الزرع والثمر وكل ما تأكلون وتدخرون فى بيوتكم منهما ومن غيرهما لم يكن لهم من جواب : الا : اللـه ثم ساق أمره لنبيه — صلى الله عليه وسلم — « قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون »

والحمد لله اما أن يكون اعتراضا بين كلام متصل : والتقدير : ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله بل أكثرهم لا يعقلون ، وقد ذكر فى أثناء ذلك الكلام المتصل : الحمد لله لبيان تلك النعم التى أنعم بها من انزال الماء من السماء واحياء الأرض .

واما أن يكون الكلام متصلا وأنهم يعرفون أن ذلك من الله وأكثرهم يعترف ولا يعمل بما يعلم فيحمد غير الله على نعمة هى من اللـه ، أما أنت ومن معك فانكم تعلمون وتعملون بعلمكم فقل الحمد لله على نعمة العلم والعمل .

٢٠ — الأوقات المفضلة للتسبيح والتحميد :

« فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ » الروم ١٧ — ١٨ .

أمر الله عباده بتنزيهه عن النقص فى قوله

فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وفى ذلك توجيه لعباده بتسبيحه ، وكأن المعنى : قولوا سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون

وقال بعض المفسرين : المراد بالتسبيح : الصلاة فمعنى : سبحان الله : صلوا لله حين تمسون الخ •

وقال البعض : المراد بالتسبيح التنزيه •

وعلى ضوء أن المراد بالتسبيح : الصلاة ، سئل ابن عباس — رضى الله عنهما — : هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن ؟ فأجاب : نعم وقرأ هاتين الآيتين ، فقوله : تمسون : يراد به: صلاتا المغرب والعشاء •

(وتصبحون) يراد به : صلاة الفجر ، (وعشيا) يراد به صلاة العصر ، (وتظهرون) يراد به صلاة الظهر •

وقوله : وله الحمد فى السموات والأرض ، اعتراض يشير الى أن المميزين من أهل السموات والأرض يحمدونه وان التسبيح الذى يسبحه العباد لأنفسهم نفعه فليحمدوا الله على توفيقه لهم بالتسبيح •

(وله الحمد فى السموات) حيث ملائكة الله : يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، فهم بين قائم وراكع وساجد منذ الخلق حتى يأذن الله ، وكلهم فى شغل بتسبيح الله وتحميده على خلقه ونعمه •

وله الحمد فى الأرض •• حيث يعيش الانس والجن وتحت سمع وبصر المؤمنين من هؤلاء وأولئك تتوالى نعم الله وما أكثرها ، ويتوالى من مؤمنى الثقلين حمد الله كلما ذكروا نعم الله •

فاذا أبصر المؤمن الشمس وأدرك ما تحمله من الخير لسبح لسانه بحمد الله ، واذا شاهد القمر وما يحمل أدرك نعمة الله فحمد الله واذا لاحت لعينه الكواكب وأدرك نعم الله فيها حمد الله ، واذا أبصر الأرض وما عليها وما يسديه باطنها وظاهرها من الخير لمن يعيش فيها وعليها وأبصر رواسى الجبال التى جعلت أوتادا للأرض حتى لا تميد بما عليها ومن عليها وأبصر الأنهار تجرى على الأرض وأدرك ما تفيض من الخير حمد الله ، واذا شاهد البحر وقد سخره الله بما يحوى لخير الانسان حمد الله « وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » ١٤-النحل

ألا ما أعظم نعم الله التى تستوجب حمد من فى السموات ومن فى الأرض « وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » •

٢١ — اعتراف الكفار بأن الله خالق السموات والأرض :

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »

لقمان ٢٥

قدم الله فى الآيات السابقة على هذا الدليل على وحدانيته سبحانه ، فبين أنه خلق الأرض، وسخر للانسان ما فيهما وأسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة •

ثم بين فى هذه الآية أن الكفار معترفون بأن الله هو خالق السموات والأرض فان سألتهم

عن خالقهما : قالوا : هو الله وهذا يقتضى منهم أن يكون حمدهم لله ، وألا يعبدوا معه غيره مما يعبدون أو يدعون أنهم يتقربون بعبادتها الى الله بل أكثرهم لا يعلمون أن اعترافهم بأن السموات والأرض من خلق الله يلزمهم بحمده وعبادته ،وأنهم اذا وجهوا الى الحقيقة تغافلوا عنها وغفلوا عما يتطلبه اعترافهم من الايمان بالله وعبادتهم له .

وقد سلى الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — فى الآية السابقة بقوله : فلا يحزنك كفرهم الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا والمعنى : الذى يربط بين الآيات السابقة وبين هذه الآية أن الله يقول لنبيه : لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم يبين عن قريب حين رجوعهم الينا .

وقد يكون ذلك قبل القيامة ، لأنهم معترفون بأنه خالق السموات والأرض وهذا يصدقك فيما جئت به من التوحيد ، ويكشف كذبهم فى الاشراك فقل الحمد لله على ظهور صدقك وكذب أعدائك وأكثرهم لا يعلم أى ليس له علم يمنعه من تكذيبك مع اعترافه بما يوجب تصديقك حيث اعترفوا بأن الله خالق السموات والأرض واعترافهم يستوجب أن يوحدوا الله ويعبدوه وحده ويخلصوا العبادة لوجهه .

٢٢ — حمد المؤمنين حين تذكيرهم بآيات الله :

« إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » السجدة ١٥ .

يكشف الله عن صورة المجرمين يوم القيامة وهم ناكسو الرءوس ، لأنهم انهمكوا فى دنياهم فى الشهوات ، وألهاهم أنهماكهم عن التفكر فى هذه العاقبة ، وحينما يقفون للحساب ينادون : ربنا أبصرنا العذاب ، وسمعنا اليوم ما كنا تصاممنا عن سماعه من قبل ، فأرجعنا الى الدنيا نعمل صالحا ، ولم يجدوا ثمت من جواب الا حكما يقتلع القلوب :(**ذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ**) . وتركناكم تعانون عذاب الخلد بما كنتم تعملون ، فقد أنكرتم كل ما عرض عليكم من الآيات ، ولم تؤمنوا بها (إنما يؤمن بآياتنا) التى قدمناها أولئك الذين اذا ذكرهم مذكر بها تجلت فيهم صفات :

أولا : أنهم خروا سجدا وانقادت قلوبهم وأعضاؤهم لله .

ثانيا : أنهم سبحوا بحمد ربهم ، فانطلقت ألسنتهم بتنزيه الله عن أن يشرك به غيره وقد قرنوا التسبيح بحمد الله على أنه وفقهم لذلك التسبيح .

ثالثا : أنهم لا يستكبرون عن عبادته ، فقلوبهم خاشعة تنتفض لجلاله ، لا تعرف التكبر على الخضوع لعزته ومن لم يستكبر عن عبادته فهو المؤمن الصادق الايمان .

وويل لمن يصر على الاستكبار عن آيات الله ويعرض عنها وكأنه لم يسمعها أو لم يطرق سمعه التذكير بها .

أما المؤمنون بالآيات وهم الذين آتاهم الله العلم بها وحسن التدبر فيما تحمل فانهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا فأولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة العين والفرحة الغامرة بثواب الله .

— ٢٣ ، ٢٤ —

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى

الْأَرْضِ وَلَـهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ وَهُـوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ » سبأ ــ ١ •

لقد افتتح الله خمس سور فى القرآن بقوله : الحمد لله : فى النصف الأول : الأنعام والكهف وفى النصف الثانى سبأ وفاطر وفاتحة الكتاب فى أول القرآن ••

وفى هذه الآية يوجه الله الناس فى قوله :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَـهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ » الى الحمد على كل النعم التى له وحده فى السموات والأرض مما لا يحصى من نعم الدنيا فهو المحمود على أنه ملأ السموات والأرض بجلائل النعم ، وحمد نعم الدنيا واجب على الناس ؟

لأنهم المنتفعون بما فى السموات وما فى الأرض مما يدرك بالسمع والبصر والعقل وما لا يدرك مما يعلمه الله فكم فيهما من نعم مرئية محسوسة ونعم غير مرئية لا يحصيها ويعلمها الا الله الحكيم الذى تخفى أسرار حكمته فى خلق ما خلق على الكثير ، بل قد تغيب أسرار حكمته عن خلقه فلا يدرك مغزاها الا الله، وذلك الحمد واجب كذلك لأنه طريق يوصل الحامدين الى نعمة الآخرة وهى الثواب : هى الجنة : هى مقام الصدق فى رضوان الله •

وتلك النعمة الأخروية محجوبة وراء الغيب عن العالم الدنيوى ، وقد نطق بها كتابه حين وعد بها المؤمنين الصالحين من عباده ، ووعده الحق ، وكم حدث القرآن عن جناته وما فيها «وَفِيهَا مَاتَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَـذُّ الْأَعْيُنُ » ونعم الله ليست وقفا على عباده فى الدنيا بل تمتد الى الآخرة وأعظم نعم الآخرة رضوانه فله الحمد فى الأولى وله الحمد فى الآخرة •

وهو الحكيم ، الذى يدبر شئون خلقه فى الدنيا ونعيم المؤمنين فى الآخرة •

وهو الخبير بعباده فى الدنيا وبما تنطوى عليه الأعمال من الصدق أو المراء ، ومن الايمان أو النفاق ، وهو الخبير كذلك بما يسعد المؤمنين فى جناته مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر •

وهو الخبير كذلك بما يمزق قلوب المشركين ندما على ما فرطوا فى جنب الله وما أنكروا من آياته •

٢٥ ــ الحمد لمبدع السموات والأرض •

« الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِى أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » فاطر ــ ١ •

وجه الله عباده الى حمد الله الذى أبدع السموات والأرض فخلق « سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ » وخلق الأرض وجعلها « بِسَاطًا.لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا » وجعل لها الجبال أوتادا فأرساها •

والسموات والأرض من ابداع المبدع الحكيم فله الحمد على ما أبدع فيهما •

وقد يراد بالفطرة الشق ، وقد وصف الله نفسه بأنه فطر السموات وشقها لتنزل الأرواح والملائكة من الأقطار التى شقها ، كما وصف نفسه بأنه فاطر الأرض لخروجه الأجساد منها

يوم القيامة ويدل على ذلك قولـه : « جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً » لأن الملائكة تكون رسل الله يوم القيامة يتلقون عباده « وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ » وقـد جعل اللـه الملائكة أصحاب أجنحة : اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة •

وقد روى عن رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ أنـه رأى جبريل ليلة المعراج ولـه ستمائة جناح ، وصور الملائكة من الغيبيات ، وكل ما نص عليه القرآن : أنهم أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع أما ما تجاوز أجنحتهم ذلك العدد فمرجعه السنة الصحيحة من حيث العدد والعظم ، فلنقف عندما صح من السنة فى ذلك •

وان الله ليزيد فى الخلق مايشاء ، فيزيـد فى حسن الوجه وفى الصـوت وفى ملاحة العينين وطول القامة وذلاقة اللسـان والجمال ماشاء فهو القادر على الابداع والاحكام •

وهكذا يوجـه الله المؤمنين الى حمـد فاطر السموات والأرض مبدعهما والذى جعل الملائكة رسلا يتلقون عباده على باب الجنة يقولون لهم: ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود •

٢٦ ـ حمد المؤمنين فى الجنة :

« وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ » فاطر ٣٤ ، ٣٥ •

وعد الله السابقين بالخيرات بالفضل الكبير : بجنات عدن التى يحلون فيهـا بالذهب واللؤلؤ ولباس الحرير ، وحينما يرون وعد الله وقـد تحقق لهم به ثواب ما عملوا فى دنياهم يحمدون الله الذى أذهب عنهم الحـزن كل الحـزن ، وأسـباب الحزن وما يجـره الحزن من آلام النفس وضجرها ـ وذهاب الحـزن يسـتأهل حمد الله •

وبعـد أن يحمـدوا اللـه يذكـرون غفرانه لسيئاتهم التى اقترفوها فى دنياهم حيث غفرها لهم فى الآخرة ، وهو الشكور بمعنى المشكور ، لما أعطى من نعمة الغفران ونعمة اذهاب الحزن، ولما وفق به من الحمد فى الدنيا على تلك النعم ، وهو المحمود كذلك لأنـه أكرمهم بدار الاقامة الخالدة التى لا يمسهم فيها اعياء ، ولا يمسهم فيها سبب لهذا الاعياء من مرض أو غيره فليست الجنة مظنة التعب والاعياء والكـدح ، ولكنهـا مقام الراحة والنعيم •

ـ ٢٧

« سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الصافات ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ •

أخبر الله فى الآيات السابقة على هذه بنصر رسله فى قوله : (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) ، ثم خاطب نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته بما فى هذه الآية فأمر بتسبيحه وتنزيهه عن كل ما يصفونه به من أن له ولدا كما قالت اليهود والنصارى : قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقالت اليهود : ان الله فقير ونحن أغنياء » وغير ذلك من النقائص فسـبح ربك رب العـزة عن كل ما لا يليق بجلاله وكبريائه وبصفات الألوهية ،

فهو رب العزة ، والتربية تدل على كمال حكمته ورحمته ، وعزته تدل على كمال قدرته ، وأنــه مالك الملك فليس لغيره شيء فى ملكه ، ثم وجهه الى السلام على المرسلين ، لأنهم يرشدون خلق الله ، ويهدونهم الى الحق والخير .

ثم وجهه الى حمد رب العالمين على عظائم نعمه على الخلق ، وكونه رب العالمين يدل على أنه غنى عن العالمين ، والعالمون فقراء الى رحمته ونعمه الظاهرة والباطنة وتلك النعم تستوجب حمد الله رب العالمين .

والآية تحمل تنبيه المؤمنين الى كيفية تسبيح رب العزة وتحميده والتسليم على رسله الذين بلغوا رسالاته الى البشر لينتشلوهم مما يعبدون من دون الله .

وفى التوجيه الى السلام على المرسلين تشريف للمرسلين وايذان بأنهــم ســالمون من المكاره فائزون بكل المآرب ، وأعظمهــا اســتجابة من هداهم الله الى الدعوة .

٢٨ ــ مثل يفرق بين المسلم والمشرك :

« ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ » الزمر ٢٩ .

هذا مثل ساقه للكشف عن الفرق بين المشرك الذى كثرت آلهته فعبد الكثــير من الأصــنام كاللات والعزى ومناة وغيرها مما حملت أسماء ومما لم تحمل ولكنها عبدت ، وبين المسلم الذى يعبد الها واحدا .

وكأنما يقول الله لنبيــه ــ صلى الله عليــه وسلم ــ ولكل داعية يدعو الى اللــه : اضرب مثلا للمشركين : ماذا يقــولون فى رجــل قــد اشترك فى ملكيته شركاء متشاكسون متنازعون مختلفون يتجــاذبونه بينهــم ، ويتعاورونه فى حاجاتهم فبينما هو يقوم بعمل لأحــدهم حتى يطلبه الثانى والثالث والرابع ، فهم يتدافعونه وهو حائر فى أمره بينهم لا يدرى أيهــم يرضى وعلى أيهم يعتمد .

ورجل آخر يملكه واحد فهو يقوم بما يطلبــه منه ، ويعتمد عليه فيما يصلح أمره .

والمراد بالمثل : بيان الفرق بين الرجلين وبين من يخدم كل منهما من حيث التعــدد والوحدة ليتوصل من المثل الى الفرق بين من يعبد آلهــة متعددة ، فهو لا يدرى أيهم أعظم ليعبده وعلى ربوبية أيهم يعتمد والى أيهم يخلص وممن يطلب رزقه ، وممن يلتمس الرفق ؟؟ وبين من يعبد الها واحدا ســلم لــه أمره ، وأخلص فى طاعته وحمل فى ثقة تكاليفه ، وعرف ما يرضيه فعمله ، وما يسخطه فاجتنبه ، ذلك هو المسلم والله الواحــد الهه ، أمــا الآخر فهو المشرك وما أكثر أربابه **« أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ »** (هل يستويان مثلا) وصفته ، والمعنى هل يستوى الرجلان اللذان قدمتهمــا الآية مثلا وصفة ؟

ولما ثبت عدم مساواة الرجلين بطل الاشراك، وثبت أنه لا اله الا الله الواحد ، وثبت أن لــه الحمد لا لغيره ، بل أكثرهم لا يعلمون أن الحمد له وأنه مستحق للعبادة لأنه الله الواحد .

وقيل لما قدم الدلائل فى هــذا المثل لبيان أن المعبود بحق هــو الله الواحــد الرازق قال :

الحمد لله على ظهور الدلائل البينــة وان كان أكثر الناس لم يعلمها أو لم يفهمها ، ولم يقف على ما حمله المثل من الدلائل .

٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ــ حمــد أهل الجنــة والملائكة المحيطين بالعرش :

« وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَــاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ۝ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الزمر ٧٤ ، ٧٥ .

قدم فى الآية السابقة على هــذه ســوق أهل الجنة اليها ، وقد يكون المراد : سوقهم هم حين يتأخرون لمشــاهدة مواقف الجــلال فى الحشر فيساقون الى الجنة ، أو أن الحب الذى جمــع الأخلاء منهم فى الله يدعو الى الوقوف لانتظار الأخلاء فيساقون الى الجنة .

وقد يراد بالسوق : أنهم تســاق مراكبهم ، والمراد : اسراعهم الى دخول الجنة ، وأبواب مفتحة لهم قبل أن يدخلوها « **جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ** » ويسمع أهل الجنة عند دخولها أصوات الملائكة خزنتهــا تــردد لهم الكلمــات الثلاث : (**سَــلَامٌ عَلَيْكُمْ**) : حيث يبشرونهم بالسلامة من كل شر بعد ذلك .

(**طِبْتُمْ**) من كل أدناس الدنيا وخطاياها .

(**فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**) حيث قضى لهم بالخلود فى دار الخلود .

وعذد ذلك يهتف المؤمنون : « **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ** » الذى بشرنا به فى الدنيا حيث قال فى قرآنه : « **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَــا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَــافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَــدُونَ** »

وقد من الله عــلى المؤمنين فأورثهم الأرض : أرض الجنة ، لأنهــا كانت لأبيهم آدم عليــه السلام فلما رجعت الى المؤمنين من بنيه سميت ارثا لهم ، أو لأنه وفقهم فى الدنيــا للأعمــال الصالحة التى أورثتهم الجنة ، وكأن لكل واحد من المؤمنين جنة لا يحتاج منها الى جنة غــيره فهو يتبوأ من جنته وينزل منها حيث يشاء .

ويقول الله على لسان ملائكته عندئذ : (**نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**) الذين عملوا الصالحات فى الدنيا فأثابهم الله بالجنة أجرا لهم فى الآخرة .

ثم قدم صورة للملائكة الحــافين المحيطين الطائفين بالعرش وهم كذلك يسبحون بحمــد ربهم فينزهونه عن كل نقص مقرنين تسبيحهم بالتحميد ، وكأن تسبيحهم ممتد من عمر الدنيا الى عمر الآخرة ، فهم فى عمر الدنيا (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) وهم فى حياة الآخرة كذلك مستغرقون فى عبادتهم يسبحون ويحمدون وقضى بينهم بالحق على تفاوت درجــاتهم ، ويقول الملائكة عند القضاء بينهم بالحق : الحمد لله رب العالمين ، فهم يحمدون الله لا لانعــامه وانما يحمدونه لأنــه رب العــالمين الذى ربى العالمين ودبر شئونهم فى الدنيا والآخرة .

وقد يراد بقوله : وقضى بينهم بالحق : البشر حيث انتصف للمظلوم من الظالم فيحمد المظلوم ربه على نصره فى الآخرة ــ وخاتمة ثنائهم على الله بعد أن دخلوا الجنــة وتبوأوا منهــا حيث شاءوا وقضى بينهم بالحق : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وحق لهم أن يحمــدوا رب العــالمين ويثنوا عليه لأنه أنعم عليهم بالجنة .

دكتور محمد محمد خليفة

هل من مجمع لترجمات تفسير

القرآن الكريم

ينتشر الاسلام دون توقف منذ أن بلغ سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ رسالته الى البشرية كافة • ويبلغ المسلمون الآن حوالى المليار نسمة ينتشرون على مساحة متوسطة من العالم تزيد على ربع مساحة المعمورة وتقدر هذه المساحة بـ ٣٧ مليون كم٢ من أصل ١٣٦ مليون كم٢ من اليابسة •

ويعيش ثلث المسلمين على شكل أقليات تحت حكومات شيوعية أووثنية أو مسيحية أو يهودية، وبلغ ما أمكن حصره من اللغات التى استعملها المسلمون فى ترجمة أو محاولة ترجمة معانى القرآن الكريم حوالى ١٢٤ لغة وهذا العدد لا يمثل الا جزءا بسيطا من اللغات التى يستعملها المسلمون ، حيث أن هناك شعوبا اسلامية كثيرة ليس لديها تفسير مطبوع للقرآن الكريم بلغاتها حتى الآن وان كانت بعض الشعوب الأفريقية لديها تفاسير شفوية غير مكتوبة تتناقلها الألسن مشافهة •

وكان يصاحب انتشار الاسلام فى الصدر الأول انتشار مواز للغة العربية بحيث أن الحاجة الى تفسير للقرآن الكريم بغير العربية كانت قليلة أو غير واردة ولم يبدأ ظهور تفاسير باللغة الفارسية الا فى عام ٣١٠ هـ حيث تم ترجمة تفسير الطبرى •

وفى عام ٧٣٤ هـ تم ترجمة نفس التفسير الى التركية •

أما الأردية وهى لغة أحدث من السابقتين فقد ظهرت بها أول ترجمة لمعانى القرآن الكريم عام ١١٩٠ هـ والتى قام بها مولانا « شاه رفيع الدين » •

وقد كانت التفاسير وترجمة المعانى تنبع من

الاستاذ الدكتور/ حسن المعايرجى

حاجة اسلامية وبأيد اسلامية أمينة على تبليغ رسالة الاسلام ومعانى القرآن الكريم لمن لا يحسن العربية •

وبعد فتوحات المسلمين فى أوروبا والأندلس واحتكاك المسلمين والمسيحيين فى الحروب الصليبية وغيرها بدأ المسيحيون فى ترجمة معانى (القرآن الكريم) فى محاولة للتعرف على « كتاب محمد » أو التعرف على « القانون التركى » أو على « قرآن محمد » كما أطلقوا عليه وقد ترجم الى اللاتينية بمعرفة رهبان ديركلونى عام ٥٠٨ هـ •

وحفظت هذه الترجمة لدراسات الرهبان للتعرف على دين المسلمين ولم تطبع الترجمة الا فى عام ٩٥٠ هـ ومن هذه الترجمة نقلت ترجمات الى الفرنسية والألمانية والانجليزية وغيرها من اللغات الأوربية حيث ان المترجمين لم يكونوا على علم باللغة العربية فوجدوا الترجمة اللاتينية أقرب منالا • وبعد هذا

التعرف المبدئى بالاسلام عن طريق هذه التراجم اشتد ساعد الأوروبيين فى حربهم للاسلام وظهرت حركات التبشير والاستشراق وانقضوا على تراثنا الاسلامى اما بحرقه فى أسبانيا أو بنهبه وحفظه فى مكتباتهم وجامعاتهم أو بدراسته واثارة الشبهات كلما أمكنهم ذلك ، وكانت ترجمة معانى القرآن الكريم وسيلتهم لتحريف الكلم عن مواضعه أو لصرف أقليات اسلامية سقطت تحت حكمهم عن النص القرآنى الكريم وتحويلهم الى ترجمة ميسرة بلغتهم كما حدث فى بلغاريا اذ قام المبشر الألمانى « هوبه » A.H. Hoppe وفريق من الدارسين بعمل ترجمة باللغة البلغارية لشعوب البوماك المسلمين وكان حدثا اعتبره المبشرون عيدا ، وكالترجمة التى قام بها القس جودفرى ديل بالسواحيلية ووزعها على مراكز التبشير ومدارس الأحد فى شرق افريقيا حتى يمكن محاجة المسلمين عن علم ومناقشتهم عن معرفة • وهكذا نجد أن ترجمة معانى القرآن الكريم استعملها غير المسلمين لمحاربة الاسلام •

وظهر فى الميدان آخرون يترجمون معانى القرآن الكريم لخدمة أغراضهم ومعتقداتهم وأقصد بهم الأحمدية القديانية التى كان لها

هل من مجمع لترجمات تفسير القرآن الكريم

ومازال نشاط كبير فى الترجمة ، وأوقفوا الأوقاف لهذا الغرض حتى انهم ترجموا معانى القرآن الكريم الى أغلب اللغات الأوروبية كما ترجموه الى السواحيلية لأهمية هذه اللغة التى تستعمل فى شرق ووسط افريقيا • وسبقت الترجمات الأحمدية فى بعض اللغات ترجمات أهل السنة ، وامتلأ الميدان بترجمات فاسدة يقوم بها صليبيون أو يهود أو قاديانيون أغلبها مترجم عن غير العربية • فالنسخة البلغارية مثلا هى نسخة مترجمة عن الألمانية والألمانية عن الانجليزية والانجليزية عن اللاتينية واللاتينية عن العربية ولا أدرى كم من المعنى القرآنى الصافى بقى بعد هذه الرحلة الطويلة •

وفى العصر الحديث ظهرت ترجمات بأيد مسلمة من أهل السنة وكانت متأخرة جدا ولكنها سدت فراغا طالما أشفق منه العارفون بخطورة مانحن فيه من اهمال تبليغ رسالة الاسلام الصافية الى المسلمين بألسنتهم المختلفة ، وقد سبقنا بالفضل فى هذا اخواننا من علماء المسلمين من الهند من أمثال « يوسف على» «وأبو الاعلى المودودى» فى الانجليزية « وحميد الله » فى الفرنسية وغيرهم فى اللغات الأخرى •

وبينما كانت الترجمات لمعانى القرآن الكريم تترى بكل لغات الأرض الصالح منها والفاسد ، الموجه للتبليغ منها والموجه لحرب الاسلام ، كان المسلمون فى معركة حامية • هل يجوز أن نترجم القرآن ؟ وهل ترجمة القرآن تسمى ترجمة معانى أم ترجمة تفسير ؟•

وفى الوقت الذى أمكن حصر ٤٣٥ ترجمة فى اللغات الأوروبية وحدها ومازالت وفى تزايد ناهيك عن اللغات الآسيوية والافريقية وحيث تناهز الترجمات فى اللغات الاسلامية الكبرى الثلاث « التركية » « والأردية » «والفارسية» ما يقرب من ١٢٠٠ ترجمة •

كانت المعركة مستمرة بين أنصار الاباحة ، وأنصار التحريم ، وأنصار الاباحة بشروط ، ومازالت هذه المعركة تعتمل فى النفوس حتى وقتنا الحاضر •

وقد كان لتراجع اللغة العربية عن الانتشار لمواكبة انتشار الاسلام الأثر الكبير فى تزايد الحاجة الى تفاسير مترجمة وقد قال ابن تيميه « ان اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب فان فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم الا باللغة العربية ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » وعن عمر بن الخطاب أنه قال « تعلموا العربية فانها من دينكم » •

فتعلم العربية للمسلم واجب ونشر العربية يجب أن يكون خطا موازيا تماما للدعوة الى الاسلام ومن الجهة المقابلة يقوم واجب الترجمة لمن لا يعرف العربية من المسلمين حتى يعرف تعاليم الاسلام والى أن يتعلم العربية • فالترجمة مرحلة تنتهى بانتشار العربية بين المسلمين •

الأهداف :

١ — حصر ترجمات معانى القرآن الكريم باللغات المختلفة •

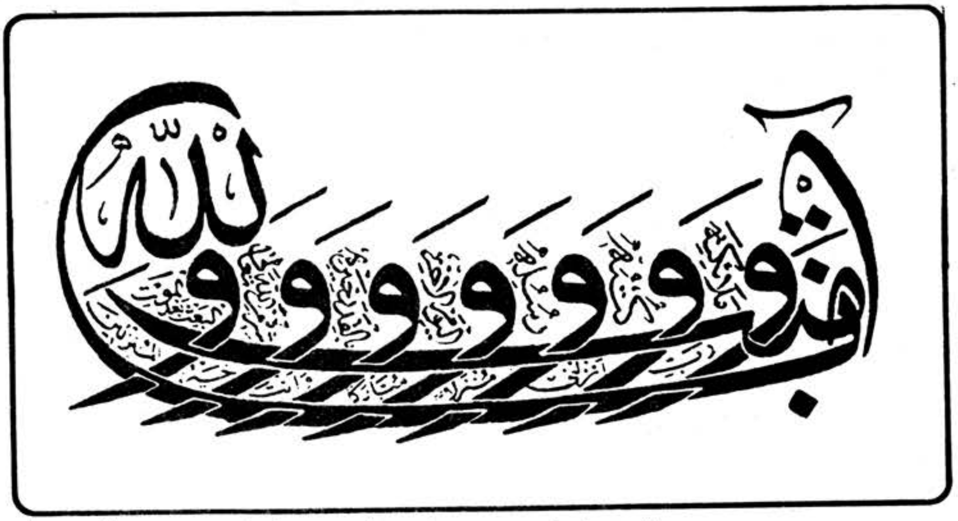

٢ — جمع نسخ من هذه الترجمات لتكوين مكتبة لها تساعد الباحثين والمحققين والمترجمين •

٣ — عمل دليل لهذه الترجمات يبين الجيد منها ويحذر من الترجمات المشبوهة •

٤ — اختيار بعض الترجمات الجيدة فى كل لغة وطبعها وتوزيعها على المسلمين •

٥ — تكوين لجنة لاختيار تفسير عربى مناسب يترجم الى اللغات الأساسية الواسعة الانتشار بين المسلمين •

١ — حصر ترجمات معانى القرآن الكريم باللغات المختلفة :

قد تم حصر بعض هذه الترجمات فى اللغات المختلفة بجهود فردية متناثرة ، فقد قام الأستاذ « محمد حميد الله » بعمل قائمة للترجمات باللغات الأوروبية ، وقام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول بعمل قائمة للترجمات باللغات الأوروبية والآسيوية والافريقية ومازال العمل يحتاج الى جهود أخرى لتعميق هذا الحصر واستكماله ثم متابعة رصد هذه الترجمات وتسجيلها عند ظهورها • والعمل يحتاج الى مختصين فى عمليات الفهرسة واعداد القوائم والاستعانة بالمكتبات والجامعات فى الدول المختلفة •

٢ — جمع نسخ من هذه الترجمات :

وهذا العمل ضرورى لحفظ نسخ من كل ترجمة تصدر بأى لغة فى العالم وجمع ماسبق صدوره منها وتصوير المخطوط وتكوين مكتبة من هذه الترجمات لتساعد الباحثين والمحققين والمترجمين كما أنها تحفظ هذه الترجمات من الاندثار والضياع بتصوير هذه الترجمات على « ميكروفيلم » وحفظه •

ويتساوى فى ذلك الترجمات الجيدة والسيئة، وهذا الجمع يحتاج لارسال مختصين لجمع هذه الترجمات من الدول المختلفة والاستعانة بالهيئات الدبلوماسية الممثلة للدولة فى الخارج لجمع ورصد هذه الترجمات • كما أنه عليهم التعرف على المجموعات الخاصة الموجودة لدى الأفراد والهيئات لتصويرها والحصول على

فهارسها أو شرائها ان تيسر ذلك •

٣ ــ عمل دليل للترجمات :

والمقصود من ذلك هو تكوين لجان لدراسة ترجمات كل لغة وتقييم هذه الترجمات ومعرفة الجيد ومعرفة الأخطاء فى الفاسد منها ووضع ذلك على شكل دليل يبين الأخطاء الموجودة فى الترجمة ان كان بها أخطاء ويحدد مدى دقة هذه الترجمة وهل يمكن الاعتماد عليها • وتصنف هذه الترجمات فى عدة مستويات تسهل على مستعملى هذه الترجمات تقييمها ومعرفة الصالح منها والفاسد •

وهذا العمل يحتاج الى محققين باللغات المختلفة على مستوى علمى قرآنى رفيع •

٤ ــ اختيار وطبع الجيد من الترجمات :

وعلى ضوء عمل اللجان فى المرحلة السابقة يمكن اختيار ترجمة أو ترجمتين من كل لغة لطبعها وتوزيعها على المسلمين ، لحين اتمام المرحلة الخامسة •

٥ ــ تكوين لجنة لاختيار تفسير عربى مناسب يترجم الى اللغات الأساسية الواسعة الانتشار بين المسلمين :

(أ) الاختيار :

وهذه المرحلة قد سبق تنفيذها ولو جزئيا باصدار التفسير الميسر(١) الذى قامت به لجنة من علماء الأزهر الشريف لهذا الغرض والخطوة التالية هى ترجمة هذا التفسير الى اللغات المختلفة ان كان اختيار هذا التفسير مازال ساريا ومقبولا من علماء التفسير •

(ب) الترجمة :

وهذه المرحلة تحتاج الى جهود كبيرة ومكثفة وتكوين لجان كثيرة للترجمة ، كل لجنة تختص بأحدى اللغات وتكون الأولوية للغات التى يستعملها الكثرة من المسلمين ثم ننتقل الى اللغات الأقل انتشارا وهكذا •

ولكل لجنة ترجمة تكون هناك لجنة مراجعة •

(جـ) الطبع :

ثم تبدأ عمليات الطبع والاخراج لهذه الترجمات المعتمدة وهى تحتاج الى مطابع

---

(١) التفسير الذى يصدره الازهر ــ مجمع البحوث الاسلامية هو « التفسير الوسيط » فأما التفسير الميسر » فهو من عمل فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ــ رحمه الله ــ مجلة الازهر •

تستمر فى تزويد المسلمين فى شتى أنحاء الأرض بما يحتاجونه من تفاسير بكل اللغات ولعل مطبعة المدينة المنورة القرآنية هى من أنسب الأماكن لهذا العمل .

(د) التوزيع :

وهو من أهم العمليات وأكثرها كلفة وأدقها حيث أن اتقان هذه العملية يؤدى الى وصول التفاسير الى الأيدى التى تحتاجها ، وكثيرا ماتطبع التفاسير ولا تصل الى مستحقيها فى البلدان المختلفة ولعل موسم الحج من أنسب المواسم لوصول هذه التفاسير الى مختلف الشعوب كما أنه يمكن عمل مراكز فى افريقيا وآسيا للتوزيع .

هذه باختصار لمحة عن فكرة المجمع وأهدافه ومهماته وهى لعمرى مهمات كثيرة وشاقة وتحتاج الى عمل دائب من رجال تعمل بروح المجاهدين ، كما تحتاج لسنين طويلة من العمل الجاد المستمر .

وأحمد الله على فضله ، فبجهد فردى أمكن جمع مكتبة كبيرة من الترجمات ومازالت فى نمو كما ان ثبتا مكتبيا (ببيليوجراف) للترجمات فى سبيل الطبع بعد عمل طويل شاق كان الفضل فيه لمركز الأبحاث للتاريخ والثقافة والفنون الاسلامية باستانبول ، كما ان رابطة العالم الاسلامى قامت بطبع العديد من الترجمات الجيدة كالترجمة اليابانية للمرحوم الحاج « عمر ميتا » والترجمة الانجليزية « ليوسف على » وبصدد طبع مليون نسخة من ترجمة تركية هذا علاوة على ترجمة بالصينية واليوريا والهوسا كما ألفت لجنة لعمل ترجمتين جديدتين بالانجليزية والفرنسية . كما ان التفسير الميسر قد طبعه سمو الشيخ « زايد بن سلطان »ويعتبر تفسيرا جيدا جاهزا للترجمة للغات المختلفة ، أى ان هناك أعمالا متناثرة يمكن جمعها فى صلب مراحل تنفيذ المشروع ولن نبدأ من فراغ . والى أن تشرق شمس اللغة العربية على أمم المسلمين فلابد من الترجمة والله المستعان وله الفضل من قبل ومن بعد .

قال الله تبارك وتعالى فى محكم آياته :

« وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ » .

٢٢ ــ الروم

« تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا »

الفرقان ــ ١

« وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ »

الشعراء ١٩٢ ــ ١٩٥

الدكتور / حسن المعايرجى

قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
إنما بعثت معلما
١٣٨٦
يوسف

دراسات فى السنة والتشريع

الخوف والرجاء

حقوق غير المسلمين

إلغاء الإعدام وإبقاؤه

عن تطبيق الشريعة
الإسلامية

الخوف والرجاء

عن أنس — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : (قال الله : يابن آدم ، إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتنى غفرت لك) (١)

الخوف : انقباض النفس لانتظار ما هو مكروه عند الانسان والخوف من الله متوقف على الصلة بالله ، والشعور بخشيته وخشيته تدفع الى كل صلاح ، وتنهى عن كل انحراف ، وتجعل العبادة والعمل خالصا لله وحده .

والرجاء : ارتياح لانتظار ماهو محبوب عند الانسان ، ورجاء العبد دائر بين ذنب يرجو غفرانه ، وعيب يرجو اصلاحه وعمل صالح يرجو قبوله ، وتقرب الى الله يرجو أن يحظى به .

والحديث يبين لنا أن المؤمن اذا اتجه الى الله بقلبه ، ورفع أكفه الى السماء فى ضراعة ، فان الله يحقق له الرجاء ولا يرده خائبا ، فعن سلمان الفارسى (رضى الله عنه) عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « ان الله تعالى ليستحى أن يبسط العبد اليه يده يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبين » (٢) .

---

(١) رواه الترمذى

(٢) رواه ابو داود والترمذى .

للشيخ محمد صابر البرديسى

وعن عبادة بن الصامت أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال :

« ما على ظهر الأرض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة إلا أتاه الله إياها ، أو كف عنه من السوء مثلها ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم » (١) .

ومجرد الرجاء والدعاء لا يفيد ، بل لابد أن يقترن ذلك بالعمل فالعمل هو الذى تجرى عليه المقاييس عند الله تعالى ، وهو الذى يرد الناس الى ميزان واحد هو اسلام الوجه لله .

وليس الرجاء كلمات تقال أو عبارات تردد، فان من يرجو الله ويطمع فى مغفرته لابد أن يكون صادقا مع الله فقول بلا صدق كذب كبير ومقت .

ولذا لم يترك الله العبد لمجرد رجائه بل جعل الايمان شرطا ضروريا لقبول العمل ، واستجابة الرجاء .

قال تعالى : « لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ، وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا »(٢)

فهذا نص صريح فى اشتراط الايمان لقبول العمل ، فالايمان يجعل العمل الصالح يصدر عن ارادة معينة ، ويجعله حركة طبيعيةايمانية، لا مدخل لهوى شخصى ، ولا استجابة لغرض عاطفى لا يقوم على أساس .

فمن كان يرجو ثواب الله ورضوانه ، ويتطلع الى القرب من الله وجواره فليأخذ الوسيلة والأساس .

الوسيلة التى لا وسيلة سواها وهى العمل الصالح والاساس الذى لا أساس غيره وهو

(١) اخرجه الترمذى .

(٢) سورة النساء ١٢٣

الخوف والرجاء

الايمان بالله وعدم الاشراك به .

فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » (١) .

ولقد يسمو الرجاء فيكون أملا فى

الاستشهاد ، ورغبة فى لقاء الله ويتحمل المسلم فى سبيل ذلك كل ما يلاقيه من صعاب وآلام وأثقال من دنياه ، بل ربما وجد فى ذلك متعة وراحة يستطيبهما .

« ولقد كان المسلم يضرب بالسيف فى سبيل الله فتقع ضربات السيوف على جسمهفتمزقه فما يحسها الا كأنها قبلات أصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه » (٢) .

عن شداد (رضى الله عنه) أن رجلا من الأعراب جاء الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فآمن به واتبعه ثم قال : أهاجر معك ؟ فأوصى به النبى — صلى الله عليه وسلم — بعض أصحابه ، فلما كانت غزاة ، غنم النبى — صلى الله عليه وسلم — فقسم للجند ، وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم — فلما جاء دفعوه اليه ، فقال : ما هذا : قالوا : قسم قسمه لك النبى — صلى الله عليه وسلم — فأخذه فجاء به الى النبى — صلى الله عليه وسلم —

فقال : ماهذا ؟ قال : قسمته لك .

قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى الى ها هنا (وأشار الى حلقه) بسهم فأموت فأدخل الجنة .

فقال له الرسول — صلى الله عليه وسلم — « أن تصدق الله يصدقك » فلبثوا قليلا ، ثم نهضوا الى قتال العدو ، فأتى به الى النبى — صلى الله عليه وسلم — يحمل ، قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — « أهو هو ؟ قالوا نعم .

قال النبى — صلى الله عليه وسلم — صدق الله فصدقه ثم كفنه النبى — صلى الله عليه وسلم — فى جبته التى عليه ثم قدمه فصلى عليه ، وقال فى صلاته : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا ، وأنا شهيد على ذلك » (٣) .

لقد أعلن هذا الصحابى الجليل بأنه باع نفسه ابتغاء رضوان الله ، وكله أمل ورجاء ، فى أن يفوز بالشهادة ، ويدخل الجنة ، وكان صادقا مخلصا فى قوله ، فصدقه الله ، وحقق أمنيته وفاز برضوان الله وجنته ، وشهد على ذلك الرسول (صلى الله عليه وسلم .

وهكذا كل انسان ينسجم قوله مع عمله وعقيدته يثيبه الله ، ويعوضه بكرمه ويحقق له رجاءه ، ويدخله الجنة بفضله وكرمه .

لقى أنس بن النضير ، رسول الله — صلى

---

(١) سورة الكهف ١١٠

(٢) مصطفى صادق الرافعى .

(٢) رواه النسائى

الله عليه وسلم ـــ فقال : يارسول الله غبت عن أول قتـــال ، قـــاتلت فيــه المشركين ، لئن أشـــهدنى الله قتـــال المشركين لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع ، فلما كان يوم أحد ، وانكشـــف المسلمون ، فقال : اللهم انى أعتــــذر اليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ اليـك مما صنع هؤلاء (يعنى المشركين) ثم تقدم ، فاستقبله سعد بن معاذ (رضى الله عنــه) فقال : ياسعد بن معاذ (الجنة ورب النضر) انى أجد ريحها دون أحد .

قال سعد : فما استطعت يارسول الله أن أصنع ما صنع .

قال أنس بن مالك :

فوجدنا أنس بن النضر وبه بضعا وثمانين ضربة بسيف أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتـــل ، ومثل بـــه المشركون ، فما عرفه أحد الا أخته ببنانه (أصــبعه) . فقال أنس بن مالك : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه ، وفى أشباهه ، «مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُم مَّـن يَنتَظِرُ وَمَا بَـدَّلُوا تَبْدِيلاً » (١) .

رجاء المؤمن فى رحمة الله لا يخيبـــه الله أبدا ، بل يحققه على طول الطريق اما بالنصر والفوز فى الدنيا ، واما بالشـــهادة والجنة فى الآخرة وكلاهما خير وكلاهما رحمة .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (٢) .

الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض ، والايمان الصادق كالبذر الحى ، والطـــاعات جارية مجرى تنقية الأرض وتطهيرها وسياقة الماء اليهـــا .

فاذا كانت الأرض خصبة ، والبذرة بها حياة وسليمة وأحطناها بالظروف الملائمة لانباتهـــا من تنقية ورى فى وقت الحاجة ، وبحفظهـــا من الآفات المفســـدة ، فانها سرعان ما تنبت وتنمو وتؤتى ثمرها ، فانتظار الزارع حينئذ للثمر يسمى رجاء .

والعبد اذا بث الايمان فى قلبه وكان ايمانا صادقا فيه حياة ويقين فى الله وصادف قلبـــا طيبا خصبا متقبلا لماء الطاعات وسقى بهـــا ، وطهر القلب من شـــوك الأخلاق الرذيلة ، فان العبد يجنى ثمرة ايمانه ، من القبول وحسن الخاتمة والمغفرة ودخول الجنة .

وكان انتظاره لذلك يسمى رجاء محمودا ، وكما أن الرجاء طريق يسلكه الراجون للاتصال بالله ، والقـــرب منـــه والأمـــل فى رحمتـــه

---

(١) الاحزاب ٢٣ .

(٢) سورة البقرة ٢١٨

ورضوانه ، كذلك الخوف من الله . فان العبد اذا رق قلبه ، وخشى ربه ، وراقبه فى السر والعلانية وصدق الله فى كل ما يصدر عنه ، وسار وفق منهج الله وشريعته فان الله يجله ويقدره ، ويتولاه برعايته وتوفيقه ، وعاش هادىء النفس ، مستريح الضمير ، لا يخاف من شىء وكيف يخاف ، ومعه الطمأنينة ؟ لا يضطرب من شىء وكيف يضطرب وعنده الإستقرار ؟ لا يخشى مخلوقا وكيف يخشى ومعه الله ؟

ولهذا كانت الخشية فى مقام الاحسان ، وهو « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وكانت الخشية من صفات العلماء ، « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (١) ومن صفات الأتقياء المؤمنين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » (٢) .

فخشية الله من الدعائم التى قامت عليها الحياة الروحية التى تسمو بالانسان الى كل خير ، لذلك جاءت الأديان تسعى لغرس هذه النزعة فى نفوس الأفراد ، ولولا خشية الله لاسترسل الناس فى شرورهم وانكبوا على شهواتهم ، ولما نفعت القوانين والتشريعات التى شرعت للمحافظة على الانسان من العدوان .

وان ما يعانيه العالم اليوم من تدهور فى الأخلاق ، وانكباب على الرذائل ، وانتشار للاجرام ، انما ذلك بسبب ماران على قلوبهم من الغلظة والقسوة ، وغفلتهم عن خالقهم ، وعن استحضار عظمته التى تجعل فى القلب رهبة تحول بين الانسان وبين الميل الى الشر .

والاسلام مع ماشرعه من تشريعات وعقوبات تردع الانسان عن اقتراف الشر لم يهمل تذكيره بخشية الله ، والخوف من عقابه ، لأن ذلك أدعى الى طاعته ، وسلوك الطريق المؤدى الى رضائه ، والفوز بنعيمه ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (٣) وقال تعالى : « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ » (٤) وخشية الانسان لله تهبه قوة ، وتخلق فيه شجاعة أدبية وهى من محاسن الصفات التى يتحلى بها الانسان قال تعالى : « يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا

---

(١) سورة فاطر ٢٨ .
(٢) سورة البينة ٧ ، ٨ .
(٣) سورة الملك ١٢
(٤) سورة النور ٥٢ .

يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ » (١) .

والعبد لابد له أن يجمع بين الخوف والرجاء ، لأنه ان غلب عليه الخوف حتى فقد رجاء الله فقد وقع فى طريق اليأس ، ولاييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ولا يقنط من رحمة ربه الا الضالون .

وان غلب عليه الرجاء حتى فقد الخوف ، وقع فى طريق الأمن من مكر الله ، ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون .

والمختار للعبد فى حال صحته أن يغلب خوفه من الله على رجائه ، حتى يكون أكثر تقربا الى الله وبعيدا عن ارتكاب الآثام .

وقال أهل التوحيد :

وَغَلِّبِ الْخَوفَ على الرجاء

وسر الى مولاك بلا تناء

وتخويف العبد من ربه له حدود لا ينبغى تجاوزها الى اليأس فان التربية التى تقوم على الخوف المطلق تربية فاسدة لأنها تطمس نور القلب ، وتمنع عناصر الخير من النهوض ، ففى كل انسان عواطف وميول للعمل الصالح تشجعها المكافأة الحسنة ، ويحفزها الأمل الباسم ، وينميها الوعد الصادق برحمة الله ورضوانه .

« وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (١) .

والمأثور مما تطمئن اليه النفس أنه حين يمرض الانسان ، أو يحضره الموت أن يغلب جانب الرجاء ، لما ورد عن جابر (رضى الله عنه) أنه سمع النبى (صلى الله عليه وسلم) — قبل موته بثلاثة أيام يقول :

(لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل) (٣) وعن حيان أبى النضر قال : خرجت عائدا ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسفع ، وهو يريد عيادته ، فدخلنا عليه ، فلما رأى واثلة بسط يده ، وجعل يشير اليه فأقبل واثلة حتى جلس ، فأخذ يزيد بكفى واثلة فجعلهما على وجهه .

فقال له واثلة ، كيف ظنك بالله ؟ قال : ظنى بالله ، والله حسن ، قال : فأبشر فانى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول قال الله عز وجل : « **أنا عند ظن عبدى بى إن ظن خيرا فله ، وإن ظن شرا فله** » (٤) .

ولما حضرت الامام احمد الوفاة قال لولده عبد الله أذكر لى أحاديث الرجاء .

(وبعد)فان خشية الله المقرونة بالرجاء لهى أقوى المؤثرات فى أعمال الانسان ، لأنها تربى الضمير الانسانى ، وتجعله فردا صالحا فى المجموعة الانسانية وبها يحيا الناس حياة طيبة يعيشون فى صفاء من نعيم النفس ، وراحة القلب .

رب ان الهدى هداك والخير بيدك ، رب اهد الأمة الاسلامية الى محاسن دينك ووفقها لما تحبه وترضاه .

محمد صابر البرديسى

---

(١) سورة المائدة ٥٤ .

(٢) الاعراف ٥٦ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) اخرجه الامام احمد وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى .

سفراء النبى صلى الله عليه وسلم

وكتابه ورسائله

٣

نصوص الرسائل النبوية

١ ــ رسالة النبى الى كسرى (١)

وجه النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ رسالة الى كسرى عظيم الفرس وفيما يلى نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس • سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا اله الا الله وحده ، لا شريك له • وأن محمدا عبده ورسوله • ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فانى رسول الله الى الناس كلهم لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين •

أسلم تسلم فان توليت فعليك اثم المجوس •

وقد حمل هذا الكتاب العظيم الى كسرى السفير النبوى الكريم عبد الله بن حذافة السهمى ، فلما قرىء على كسرى مزقه ، فبلغ ذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقال كلمته الخالدة : مزق ملكه •

وقد كان كما نطق النبى الكريم •

وروى فى كتاب الأموال لأبى عبيد عن عمر ابن اسحاق ، قال : بعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رسالة الى كسرى وأخرى

(١) سبق أن أثبتنا فيما تقدم من الحديث نص الرسالة النبوية الشريفة الى قيصر الروم •

للأستاذ الدكتور مختار الوكيل

الى قيصر ، فلما قرأ كسرى الرسالة النبوية الشريفة مزقها ، ولما قرأ قيصر رسالته عليه الصلاة والسلام طواها ثم رفعها وحفظها ، فقال عليه الصلاة والسلام تعليقا على هاتين الحادثتين :

أما هؤلاء (يعنى الفرس) فيمزقون ، وأما هؤلاء (يعنى الروم) فستكون لهم بقية !

وروى كذلك أنه لما جاءه عليه الصلاة والسلام جواب كسرى قال كما سبق أن ذكرنا .

ــ مزق ملكه !

ولما جاءه جواب هرقل قيصر الروم قال ·

ــ ثبت ملكه !

٢ ــ الرسالة النبوية الى النجاشى

وكتب عليه الصلاة والسلام رسالة الى النجاشى جاء فيها قوله الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى النجاشى ملك الحبشة ، أما بعد فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، واشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ، ونفخه كما نفخ آدم بيده ، وانى أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ، فانى رسول الله ، وانى أدعوك وجنودك الى الله تعالى ، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتى .

وقد بعثت فيكم ابن عمى جعفرا ، ومعه نفر من المسلمين .

والسلام على من اتبع الهدى .

وبعث عليه الصلاة والسلام كتابه الكريم مع عمرو بن أمية الضمرى .

فقال النجاشى عندما تلا الخطاب الشريف :

« أشهد بالله أنه النبى الأمى الذى ينتظره أهل الكتاب . وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل » !

جواب النجاشى على رسالة النبى

ثم كتب النجاشى جواب الكتاب الكريم الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الى محمد رسول الله ــ صلى الله عليه

وسلم – من النجاشى أصحمة » •
سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الله الذى لا اله الا هو الذى هدانى للاسلام•
أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله ، فما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثغروقا (١) انه كما ذكرت •
وقد عرفنا ما بعثت به الينا •
فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك ، وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لرب العالمين •
وقد بعثت بابنى ، وان شئت أن آتيك بنفسى فعلت يا رسول الله •
فانى أشهد أن ما تقوله حق •
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » •
وقد أرسل ابنه مع ستين رجلا فى اثر من أرسلهم مع جعفر بن أبى طالب ، فغرق ابنه ومن معه •
ووافى جعفر بن أبى طالب وأصحابه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وكانوا سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف ، منهم اثنان وستون من الحبشة ، وثمانية من أهل الشام •
فقرأ عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سورة يس الكريمة الى آخرها •
فبكوا حين سمعوا القرآن ، وآمنوا ، وقالوا :
– ما أشبه هذا بما كان أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام !
وفيهم نزل قول الله تعالى :

(وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ • وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (٢) •

٣ – رسالة النبى الى المقوقس

وبعث النبى عليه الصلاة والسلام الى المقوقس ، ملك مصر والاسكندرية ، رسالة جاء فيها قوله الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله •
الى المقوقس عظيم القبط •
سلام على من اتبع الهدى •
أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم •
يؤتك الله أجرك مرتين •
فان توليت ، فعليك اثم القبط •

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (٣)•

---

(١) الثغروق هو ما بين النواة وقمع التمر •

(٢) سورة المائدة/٨٢ – ٨٣ •
(٣) آل عمران/٦٤ •

وحمل الرسالة الشريفة السفير النبوى حاطب بن أبى بلتعة ، فأخذ المقوقس كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم — ، فوضعه فى حق من عاج ، ودفعه لجارية له ، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية ، فكتب الى النبى — صلى الله عليه وسلم — :

نص جواب المقوقس ..

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله .

من مقوقس عظيم القبط .

أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ماذكرته وما تدعو اليه .

وقد علمت أن نبيا بقى ، وقد كنت أظن أن يخرج بالشام .

وقد أكرمت رسولك .

وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام .

ولم يزد المقوقس على ذلك ، ولم يسلم .

٤ — رسالة النبى الى ملك البحرين

وكتب عليه الصلاة والسلام كتابا الى المنذر ابن ساوى ملك البحرين ، يدعوه فيه الى الاسلام ، وبعث الكتاب الشريف مع سفير كريم هو العلاء بن الحضرمى ، فكتب المنذر ابن ساوى الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول :

(أما بعد يا رسول الله — فانى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه . ومنهم من كرهه . وبأرضى يهود ومجوس ، فاحدث الى فى ذلك امرك!)

فكتب اليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد رسول الله .

الى المنذر بن ساوى .

سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو . وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

أما بعد فانى أذكرك . الله عز وجل ، فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه . ومن يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى . ومن ينصح لهم فقد نصح لى .

وان رسلى قد أثنوا عليك خيرا ، وانى قد شفعتك فى قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه .

وعفوت عن أهل الذنوب ، فاقبل منهم ، وانك مهما تصلح فلن نعزلك من عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مسيحيته فعليه الجزية» .

٥ — رسالة النبى الى ملكى عمان

وكتب عليه الصلاة والسلام الى ملكى عمان رسالة بعث بها مع عمرو بن العاص ، جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد عبد الله ورسوله .

الى جيفر وعبد ابنى الجلندى .

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام .

أسلما تسلما ، فانى رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على

الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما. وان أبيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما ، وخيلى تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما » •

وكان الذى تولى تحرير هذه الرسالة الشريفة الصحابى الجليل أبى بن كعب ، وختم الكتاب ، فأجابا بالاسلام •

وفى ذلك يقول عمرو بن العاص :

(وقد خليا بينى وبين الصدقة ، وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لى عونا على من خالفنى !) •

٦ ــ الرسالة النبوية الى صاحب اليمامة

وكتب عليه الصلاة والسلام الى هوذة بن على صاحب اليمامة رسالة بعث بها مع سليط بن عمرو العامرى ، وهى تجرى على النسق التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد رسول الله •
الى هوذة بن على •
سلام على من اتبع الهدى •
واعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر •
فأسلم تسلم •
أجعل لك ما تحت يدك » •

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مختوما أنزله منزلا كريما وحياه وقرأ عليه الكتاب •

فكتب الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول :

(ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله ! والعرب تهاب مكانى ، فاجعل لى بعض الأمر أتبعك) •

وأجاز سليطا مبعوث النبى الكريم بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر ، فقدم بذلك على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وقرأ خطابه •

فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ :
ــ لو سألنى قطعة من الأرض ما فعلت ! باد وباد مافى يده !

فلما انصرف النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الفتح جاء جبريل عليه السلام فقال : ان هوذة قد مات !

فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ •
ــ أما اليمامة فسيظهر بها كذاب يتنبأ ، ويقتل بعدى ! فكان كذلك !

٧ ــ رسالة النبى الى الحارث

ابن أبى شمر الغسانى

وكتب ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الحارث بن أبى شمر الغسانى وكان بغوطة دمشق :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله .
الى الحارث بن أبى شمر .
« سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله وصدق .

وانى أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لاشريك له يبقى لك ملكك » .

وأرسل النبى الكريم رسالته الشريفة مع شجاع بن وهب ، فلم يسلم الحارث ، فقال عليه الصلاة والسلام :
— باد وباد ملكه !
وقد كان !

٨ — رسالة النبى الى تميم بن أوس الدارى

وقدم على النبى — صلى الله عليه وسلم — تميم بن أوس الدارى فى ستة نفر من الداريين فأسلموا جميعا ، وسألوه ، — صلى الله عليه وسلم — أن يعطيهم أرضا من أرض الشام ، فأعطاهم اياها ، وكتب لهم فى ذلك كتابا شريفا نحواه

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد — صلى الله عليه وسلم — للداريين اذا أعطاه الله الأرض ، وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطون وبيت ابراهيم ومن فيهم الى أبد الأبد » .

وشهد على هذه الرسالة الجليلة عباس بن عبد المطلب عم النبى وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وهو الذى تولى كتابة الرسالة .

ثم قال النبى عليه الصلاة والسلام :
— انصرفوا حتى تسمعوا أنى هاجرت (أى رجعت الى المدينة) ، لأن قدومهم كان عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من تبوك ، فلما رجع — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة قدموا عليه ، فسألوه أن يجدد لهم كتابا آخر ، فكتب كتابا فيما يلى نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا ما أعطى (١) محمد رسول الله تميما الدارى وأصحابه :

انى قد أعطيتهم بيت عين وحبرون والمرطون وبيت ابراهيم برمتها وجميع ما فيها عطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد ، فمن آذاهم فيه آذاه الله » .

وشهد على هذه الرسالة النبوية أبو بكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب : أى الخلفاء الراشدون جميعا ، وكان على رضى الله عنه هو الذى تولى تحرير الرسالة بخطه ، فقد كان من كبار كتاب النبى — صلى الله عليه وسلم .

والحديث عن هذه الرسالة يطول وكذلك شرح ظروفها ويمكن الرجوع الى كتاب (نظام

---

(١) معظم الروايات وردت (أنطى) بمعنى أناط ووهب وأعطى — وقد وردت الرسالة بأساليب مختلفة .

الحكومة النبوية) لمؤلفه الشيخ عبد الحى الكتابى المغربى ، للوقوف على تفاصيل تلك الروايات المختلفة .

٩ ــ رسالة النبى الى صاحب أيلة (بيت المقدس) ..

وكتب عليه الصلاة والسلام ليوحنا بن رؤية صاحب أيلة (بيت المقدس) لما أتاه بتبوك ، وصالح رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأعطاه الجزية :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أمنة (أى أمان) من الله ، ومحمد النبى رسول الله ليوحنا بن رؤية وأهل أيلة ، أساقفتهم وسيارتهم فى البر والبحر ــ لهم ذمة الله وذمة النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه ، وأنه طيب لمن أخذه من الناس . وأنه لايحل أن يمنعوا ماء يردونه . ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر .

١٠ ــ رسالة النبى الى اهل جرباء وأذرح

وكتب ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأهل جرباء وأذرح لما أتوه بتبوك وأعطوه الجزية :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لأهل جرباء وأذرح انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد .

وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان الى المسلمين ، ومن لجأ اليهم من المسلمين فى المخافة .

١١ ــ رسالة النبى الى ابن ضميرة

« من محمد رسول الله لابن ضميرة وأهل بيته :

إن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أعتقهم ، وإنهم أهل بيت من العرب إن أحبوا أقاموا عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم فلا يعرض لهم إلابحق ، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيرا » .

وكانت هذه الرسالة بخط أبى بن كعب رضى الله عنه ــ كاتب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

د. مختار الوكيل

إلغاء الإعدام وإبقاؤه

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

الدكتور محمد رجب البيومى

نشرت جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩/٣/١٩٨٢ مانصه :

(لندن فى ١٨ وكالات الأنباء ـ وقع نحو ٥٠ عضوا من الأعضاء البرلمانيين لحزب المحافظين البريطانى أمس على طلب يؤيدون فيه دعوة جهاز البوليس البريطانى لاعادة العمل بعقوبة الاعدام شنقا للمتهمين المدانين فى قضايا القتل مع سبق الاصرار والترصد وذلك فى محاولة للحد من تزايد موجة الجرائم الخطيرة التى زادت بنسبة ١٠٪ فى عام ١٩٨١ لتصل الى رقم قياسى معدله ٢ر٩ مليون جريمة خطيرة .

وكانت مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا قد أعربت عن معارضتها لتعديل القانون واعادة عقوبة الاعدام بالشنق الذى الغى فى بريطانيا فى ١٩٦٥ باستثناء جريمة الخيانة العظمى وأقر مجلس العموم هذا الالغاء عند طرحه للنقاش عام ١٩٧٩) .

وهكذا نجد انجلترا تتراجع فى مسألة الغاء عقوبة الاعدام وليست أول حكومة تفكر فى الغاء عقوبة الاعدام ، فقد سبقتها الى ذلك بعض الدول كالبرتغال واليونان وهولنده والنرويج والهند ورومانيا والكثير من المقاطعات السويسرية ودول أمريكا الجنوبية . وقد كان القرن الثامن عشر يموج بحرب فكرية بين دعاة الالغاء ودعاة الابقاء ، وظلت المناقشة قائمة الى يومنا هذا ، يشترك فى ميدانها أساتذة مصريون وبريطانيون وبلجيكيون وايطاليون ، ولكل فريق أدلته وبراهينه ، ولقد

إلغاء الإعدام وإبقاؤه

كان لهذه المناقشات المدوية أثرها البعيد ، فامتنعت بعض الدول نهائيا عن عقوبة الاعدام واستبدلت بها الأشغال الشاقة المؤبدة أو الحجز الانفرادى أو النفى الى مجاهل مظلمة ، كما أضطرت بعض الدول التى ترى ابقاء العقوبة الى انقاص عدد الجنايات التى يعاقب مقترفها بالاعدام ، واتخذت بعض الدول وسائل مخففة لتنفيذ الاعدام ، مع أن الموت بالزهر كالموت بالفحم كما يقول أمير الشعراء •

وقد جاءت الشرائع السماوية منادية بتطبيق العقوبة ، وتنفيذها فى حالات خطيرة لا يسد مسدها غير عقوبة الاعدام • فالتوراة تنص على وجوب قتل النفس بالنفس كما قال الله عز وجل : « وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ •• » الآية • والشريعة الاسلامية تجعله زجرا للقاتل وحسما للجريمة • فقد قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ، الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ • وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» •

ونحن نعلم أن ميدان الحياة فسيح للتناحر والشجار ، وأن بعض النفوس البشرية يتعذر عليها أن تستجيب لنوازع الخير ، فقد جبلت على القسوة الطاغية ، فأغلقت آذانها عما يتردد من هتاف بالفضيلة والتسامح ومراقبة السماء• وهذه النفوس القاسية التى توغل فى الشر وتندفع الى الدماء ، لابد أن تجد الجزاء العادل الحاسم • واذا اعتقد القاتل أنه سيفلت من القتل بعقوبة ما ، فان الرغبة فى الشر ستتأجج فى جوانبه والاندفاع سيبلغ أبعد مداه • ولهذا كان القتل أنفى للقتل كما يقول المثل العربى • ولعل أصدق شاهد على ذلك أن بعض الدول التى قررت الغاء عقوبة الاعدام كايطاليا ، قد عادت الى تنفيذه وتطبيقه اذ هالها وأزعجها استفحال الشر وتفاقم الخطب • وصدق الله عز وجل حين قال : « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » •

ولنستمع الآن الى أدلة القائلين بوجوب الالغاء ، ثم نتبعها بردود معارضيهم ، ليدرك القارىء أى الفريقين أكثر اتزانا ، وأبعد عن العاطفة فى معركة تستهدف الخير والصلاح ؟•

يقول المحبذون للالغاء :

١ — ان القانون حين يعاقب على القتل خليق به أن يستأصله من مواده ، فلا يأمر بعقوبة يشدد عليها النكير •

٢ — ان اعدام المجرم خسارة ثانية للأمة ، فانها ستفقد اثنين بتنفيذ العقوبة لا واحد فقط • كما أن اعدام القاتل لن يفيد أهل القتيل •

٣ ــ ان العقوبة أثر من آثار الوحشية والبربرية • وليس من العدالة أن نتمادى فى تنفيذ عقوبة يتألم لها الشعور الانسانى النبيل •

٤ ــ ان عقوبة الاعدام متى حكم بها ونفذت نهائيا ، فقد أصبح من المحال أن نصحح آثارها الظالمة ، اذا ثبت أن الحكم بها قد بنى على أدلة غير صحيحة وهنا تكون الكارثة كأفدح ماتكون •

٥ ــ ان عقوبة الاعدام هائلة مريعة ، ومن الامكان أن نستبدل بها عقوبة أخرى ؛ كالأشغال المؤبدة أو الحجز الانفرادى مدى الحياة ، أو النفى الى مطارح نازحة •

٦ ــ لقد لوحظ أن البلاد التى ألغت هذه قد قلت بها حوادث القتل والاجرام •
وكان الالغاء نفسه أداة اصلاح •

٧ ــ ان عقوبة الاعدام تمنع من اصلاح المجرم ، مع أن العقاب فى وضعه الأصلى قد شرع للاصلاح والتهذيب •

هذه هى أدلة القائلين بالالغاء • والرد عليها هين ميسور • وسنوجزه ايجازا يحمل الحجة الملزمة والاقناع المريح فنقول :

١ ــ أما أن القانون الذى يعاقب على القتل خليق بأن يستأصله من مواده ، فمغالطة واضحة ، لأن القانون بتنفيذه الاعدام يمثل المجتمع ، والقاتل بجريمته الشنعاء يمثل نفسه وحده ، وما يحرم على الفرد لايحرم على المجتمع • فكما له الحق فى المصادرة والغرامة والحبس ، فله الحق فى تنفيذ الاعدام •

٢ ــ وأما أن اعدام المجرم خسارة ثانيه للأمة ، فهو غير معقول ، لأن استئصال المجرم كسب أى كسب • ولو استمرت حياته فلن يؤمن شره • والقول بأن اعدام القاتل لن يفيد أهل القتيل ، يتضمن اغفالا تاما للناحية النفسية لدى هؤلاء ، فلا ريب أن أحزانهم ستهدأ حين يجدون القاتل قد لقى جزاءه العادل • والا فلا مناص من الثأر والتربص ، مما يضطرب معه الأمن أسوأ اضطراب • وقد راعت الشريعة الاسلامية شعور ولى الدم ، فجعلت له الحق فى الاصرار على القصاص أو العفو بمحض ارادته ، كيلا يعتقد عجزه عن ادراك طلبته فتدب فى صدره عقارب الغيظ والانتقام •

٣ ــ وأما أن العقوبة أثر من آثار الوحشية والبربرية • ومفزعة للشعور الانسانى • فهذا كلام تقطره العاطفة المتذبذبة ، دون أن يجد مجالا لدى الادراك الصحيح ، فالوحشية تتجسم حين يعتدى القاتل على البرىء المظلوم ولن تكون فى استئصال الشر وبتره ، والعاطفة المستنيرة تؤيد العقل فى محق الاجرام ، ولا تتألم لاقامة الحق • ونحن نقرأ فى الصحف أنباء المشنوقين ونسمع أقوالهم الأخيرة ، فلا نتأوه لمصارعهم العادلة ، اذ كانت فى حقيقتها حسما للداء •

٤ ــ وأما عقوبة الاعدام اذا نفذت خطأ ، فلن يقدر على ملافاتها بحال ، فهذا قول له وجاهته السطحية ، اذ أن

الخطأ القضائى فى هذه العقوبة نـــادر جدا • وقد تمر أعوام دون أن يسمع به فى شتى نواحى العالم • وقد أخذت لـه الاحتياطات الواقية بالرجوع الى مفتى الجهة وارسال أوراق القضية اليه ، على أن الشريعة الاسلامية لاتجيز الاعـدام الا فى حالة الثبوت باعتراف المتهـم أو بشهادة شاهدى الرؤية • وهذا خير من ترك الأمر الى ضمير القاضى واقتنـاعه كما فى قانون العقوبات الذى يعمـــل به الآن •

٥ ــ وأما أن عقوبة الاعدام هائلة مفزعـة ويمكن أن يستبدل بها الأشغال الشاقة المؤبدة مثلا • فهذا فرار من شر الى أشر منه ، بـل ان بعض المجرمين ينتحرون خلاصا من الحياة اذا صدموا بالأشغال الشاقة صباح مسـاء •

٦ ــ وأما أن البلاد التى ألغت هذه العقوبة قد قلت بها حوادث القتل ، فهذا مايصـــطدم بالحقائق الواقعية ، ولايمكن أن يتقبله عقـل بتسليم واذعان • والواقع أن البلاد التى تقل بها حوادث القتل هى التى تبقى العقوبة وليس الأمر بالعكس كما يقول محبذو الالغاء • ولديك الهند مثلا ، فقد ثبت أنها تعدم ســـنويا ٢٥ شخصا مع أن عدد الســكان ٣٦٥ مليونا واذن فقد كان الالغاء وليد الندرة وليست النــدرة وليدة الالغاء •

٧ ــ أما القول بأن الاعدام يمنع من اصلاح المجرم ، فمع التسليم به ، ينبغى أن نعلم أن الاشغال المؤبدة نفسها لاتكفل اصلاح المجرم فهل نتركه اذن حرا طليقا يعبث كما يشاء ، أو نلجأ الى شر لابد منه وهو الاعدام •

ولعلنا بعد هذه المناقشة المنصفة ، نستطيع أن ننادى بابقاء هذه العقوبة رغبة فى صـلاح المجتمع ، وتنفيذا لشريعة السماء • وليعلـم المعارضون أن قانون الله لا يخضع لعاطفـة جامحة ، أو يتغير بفلسفة مثالية تحتقر الواقع وتتجاهل حقائق الاشياء •

د • محمد رجب البيومى

حقوق غير المسلمين

فى ظل تقنين الشريعة الإسلامية

الحلقة الخامسة

للأستاذ عبدالله مبروك

رأينا فى المقال السابق أن الشريعة الاسلامية السمحاء تنشد فى أحكامها المحافظة على أموال غير المسلمين ٠

وفى سبيل تحقيق تلك الغاية قرر الحق سبحانه مبدأ التراضى فى التعامل ، حيث لا يجوز للانسان أن يأكل من مال أخيه الا عن طيب نفس منه ، ولهذا حرم الغرر والغش فى التعامل ، ونهى عن الغصب والسرقة، لما تنطوى عليه تلك التصرفات غير المشروعة من أمور تمس مبدأ الرضا وتنال منه ، وتجعل اكتساب المال مشوبا بما نهى الله عنه ٠

وقد استبان لنا أن مبدأ التراضى فى التعامل يقوم على أسس قوية من كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، واجماع الفقهاء ، وآثار الصحابة ، وان نطاق الدلالة فى تلك المصادر لا يقتصر على تقرير المبدأ فى التعامل مع المسلمين ، بل يشمل أيضا غير المسلمين ٠

ومن ثم يكون المسلمون وغير المسلمين أمام شرع الله فى تقرير مبدأ الرضائية فى التعامل على درجة سواء ، وتلك مفخرة أخرى لشريعة الله الخالدة التى شملت بالحماية والرعاية أموال غير المسلمين ، وقررت لها احتراما لا يقل عن احترام مال المسلم ، من خلال ما قرره الفقهاء لبلوغ الرضا منتهاه كطريق للمحافظة على المال ٠

ونستكمل اليوم بيان الأمر الثانى فى المحافظة على أموال غير المسلمين وهو يتعلق بمبدأ المسئولية عنها ٠

الامر الثانى ــ تحديد ضوابط المسئولية عن المال :

وموضوع المسئولية عن المال يعتبر مع

الرضا هو الوجه الثانى لغاية واحدة تستهدف المحافظة على المال •

ولهذا كان ارتباط الأمرين ببعضهما قويا ، لأن مجرد تقرير مبدأ التراضى فى التعامل دون تنظيم لضوابط المسئولية عن المال من خلاله ، ينأى بفكرته عن غايتها ، ويجعل منه أمرا نظريا قد لا يتمشى مع واقع التعامل بين الناس ، ذلك أن أثر قيام المسئولية يكفل للمبدأ الاحترام ، ويضمن له الفعالية فى التطبيق ، ويصل بحفظ المال الى أعلى معدل له •

وتلك غايات يأمل واضعو التقنينات الوضعية فى الوصول الى مثلها ، لما تحققه من آثار مؤكدة فى الارتقاء بنظام التعامل ، ونتائج تعود بالخير على الناس •

وقد كفلتها شريعة الله من خلال ارتباط الأمرين فى نصوص الفقه الاسلامى ، فكشفت عن عمق نظرتها وقوة أساسها ، وصلاحيتها لحكم تصرفات الناس أجمعين فى كل زمان ومكان والى ما شاء الله ، وسوف نبين فى هذا المقام حقيقة المسئولية وأسبابها وأحكامها ومصادر تلك الأحكام فى الفقه الاسلامى ، وذلك على النحو التالى :

حقيقة المسئولية عن المال فى الفقه الاسلامى :

المسئولية فى اللغة :

والمسئولية لغة ، مصدر صناعى ، للفعل «سأل » ، يقال : سأله عن كذا • وبكذا (١) ، أى طلب منه ايضاحا لأمر أسند اليه،أو تفسيرا لفعل وقع منه ، وتوجيه السؤال اليه يدل على أنه فى موضع التحمل لتبعة ما يحدث منه أو يناط به ، والمصدر الصناعى يدل على العموم ، ولهذا فان تحقق المساءلة على هذا النحو يستوعب كل فعل يؤدى اليه سواء كان متصلا بجانب المعاملات أم الجنايات ، أو ما يسمى فى فقه القانون بالمسئولية المدنية، والمسئولية الجنائية ، وليس المراد بها فى كلتا الحالتين حقيتهما ، بل المراد بها ما يترتب عليها من الزام يتحمل تبعاتها ، أو عقوبة تترتب عليها ، ولهذا غالبا ما ينصرف الاطلاق اللفظى فيها الى تلك اللوازم الناشئة عنها •

ولهذا يعبر عنها فى الفقه الاسلامى « بالضمان » ، بمعنى التعويض والعقوبة ، يقال ضمنت المال وبالمال، أى التزمته ، وضمنته المال أى ألزمته اياه (٢) ومن ثم كانت كلمة الضمان أو التضمين فى الشريعة الاسلامية أقرب ما يؤدى المعنى المراد من كلمة « مسئولية » فى الفقه الوضعى الحديث (٣) ، ولهذا ينبغى التعريف بها من خلال هذا الاطلاق مع مراعاة أن مدلوله شامل للمال والعقوبة •

وفى اصطلاح الفقهاء :

تعددت تعريفات المسئولية بمفهومها السابق ، فعرفها بعض الفقهاء بأنها «الالتزام

---

(١) القاموس المحيط ج٣ ــ ص ٤٠٣ •

(٢) مختار الصحاح ص ٣٤٨ ، والمعجم الوسيط ج١ ص ٥٤٦ ــ طبعة ١٩٦٠ م•

(٣) راجع فى هذا المعنى « الاسلام عقيدة وشريعة » للامام محمود شلتوت ص ٤١٢ ــ دار القلم •

بما يجب أداؤه » (١) ، ومن الواضح أن هذا التعويف يبرز بعض أسباب المسئولية بمقدار ما يبتعد عن بيان حقيقتها .

كما عرفها البعض الآخر من الفقهاء بأنها «لزوم ما التزم به الانسان»(٢) وهذا التعريف وان كان قدأدرك الكثير من حقيقة المسئولية ، الا أنه يقصر بيان حقيقتها على بعض أنوعها ، وهى المسئولية الناشئة عن سبب ارادى كما تفيده كلمة «ما لتزم به» الواردة فى التعريف.

وذهب بعض الفقهاء الى تعريفها بأنها «شغل الذمة بمايجب الوفاء به من مال أو عمل»(٣)

ويرد على هذا التعريف ما ورد على التعريف الأول فهما يتقاربان معنى وان اختلفا فى اللفظ .

وذهب البعض الآخر الى أنها « عبارة عن الحكم على انسان بتعويض الضرر الذى أصاب الغير من جهته » (٤) ، ويلاحظ على هذا النعريف أنه غير جامع لكل آثار المسئولية ، حيث يقتصر مدلوله على التعويض عن الضرر مع أنها قد تكون متضمنة للعقوبة فى كثير من الحالات كما فى السرقة .

ولما كانت المسئولية أثرا للالتزام الشرعى ، وهو يعرف بأنه : « ترتيب الشارع تسغل الذمة بمايجب أداؤه على سبب ارادى أو جبرى»(٥) فاننا نعرف المسئولية بأنها : « الأثر الناشىء عن ترتيب الشارع شغل الذمة بما يجب أداؤه على سبب ارادى أو جبرى » ، وبذلك نكون قد تلافينا به ما أخذ على تعريفات الفقهاء للتضمين من ملاحظات ، مع وضوح طبيعة المسئولية وأسبابها فيه بما يعبر عن حقيقتها ، ويجعلها صالحة للدلالة عليها فى حالة الجناية على المال (٦) .

أسباب المسئولية عن المال :

المسئولية على هذا النحو أثر لما قرره الشارع لشغل ذمة المكلف ، بناء على الأسباب الشرعية التى وضعها الحق سبحانه لتحقيق تلك الغاية ، وهذه الاسباب قد يكون للارادة فيها دور من ناحية اتجاهها للسبب مجردا ، أو للسبب والحكم معا ومن ثم يكون السبب اراديا .

وقد لا يكون للارادة فى حصول تلك الاسباب أى دور حين يقدر الشارع السبب ، ويلزم

---

(١) « مغنى المحتاج » جـ٢ ـ ص ١٩٨ والمغنى والشرح الكبير عليه جـ٥ ص ٧٠ ـ مطبعة المنار .

(٢) « المحلى » لابن حزم الظاهرى ـ جـ٨ ص ١١١ .

(٣) الشيخ على الخفيف ـ « الضمان فى الفقه الاسلامى » ـ ص ٥ ـ طبعة ١٩٧١ م .

(٤) الامام محمود شلتوت ـ المرجع والمكان السابقين .

(٥) راجع مقالنا بمجلة الازهر ـ عدد شوال سنة ١٤٠٢ هـ ، يوليو سنة ١٩٨٢ م ـ ص١٣٩٢

(٦) وقد عرفها الشيخ أحمد فهمى أبوسنةبانها « وجوب رفع الضرر على من لحقه اما برد العين أو العوض أو ازالة التعدى أو العقوبة راجع بحثا له بعنوان : « نظرية الحق ـ نشرته لجنة تجلية مبادىء الشريعة الاسلامية فى كتاب الفقه الاسلامى أساس التشريع ـ ص ١٩٧ ـ طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ولو أنه عبر بكلمة « عن من لحقه » بدلا من كلمة « على من لحقه » الواردة فى تعريفه لكان أفضل .

المكلف بالحكم الناشىء عنه ، وقد يتمخض عن التزام بأداء حق قرره الشارع لمن يستحقه ، ومن ثم يكون سبب المسئولية غير ارادى (١) ، ونشير الى هذين النوعين بشىء من التفصيل :

١ ـ الاسباب الإرادية :

وهى التى يتوقف وجودها على اتجاه الارادة فى الانسان ، حيث اعتبر الشارع سبحانه مثل هذا العمل الارادى سببا ورتب عليه حكما • وقد أشار القاضى صدر الشريعة الى هذا المعنى بقوله : » اعلم أن ما يترتب عليه الحكم ان كان يصنع المكلف ولا يدرك العقل تأثيره فان كان غرض الشارع من وضعه ذلك الحكم كالبيع للملك فهو السبب » (٢) • ويقول التفتازانى : « واعلم أن من الاحكام ما هو أثر لأفعال العباد كالملك فى البيع والحل فى النكاح والحرمة فى الطلاق وهذه تسمى الاختصاصات الشرعية • فسببها الأفعال التى هى آثارها وهى التصرفات المشروعة كالايجاب والقبول مثلا (٣) » فالحق سبحانه قد جعل التصرف الارادى سببا للحكم وطريقا يصل بسالكه الى ما رتبه الشارع على سلوكه من نتائج والتزامات ، والربط بين السبب والمسبب يتم بصنع الله وارادته ، حتى لا تذهب الحقوق ضحية تعارض الرغبات وتنازع الأهواء •

مجال الارادة فى المسئولية عن المال :

ومجال الارادة فى المسئولية عن المال له مدى واسع فى الفقه الاسلامى ، حيث لا يقتصر على نشاط الارادة فى مجال التعاقد ، بل يتعدى ذلك النطاق ليشمل أيضا دورها فى مجال الجناية عليه ، حين تتمخض الجناية عن جريمة محددة تنصب على المال وتنال من مصلحة حمايته ، وفى هذه الحالة تلعب الارادة دورا بارزا فى تكوين بنيان الجريمة بتمثل فى ركنها المعنوى ، أو ما يطلق عليه فى كل من الشريعة والقانون « بالقصد الجنائى » ، الذى لا يتأتى الا من جراء نشاط الارادة وثمرة لتحركها تجاه اتيان الفعل المحرم على المال •

ومجال الارادة فى هاتين الحالتين يمثل سببا جعليا من قبل الشارع سبحانه لترتيب آثار المسئولية عليه فى التعويض والعقاب ، أو ما يستوعب مسائل كل من المسئولية المدنية والجنائية عن المال فى فقه القانون •

مجال الارادة ـــ اذن ـــ فى المسئولية عن المال يتسع ليشمل نشاطها فى التعاقد ، ودورها فى تكوين القصد الجنائى فى التعدى على المال ، وينبغى توضيح ذلك •

---

(١) من المؤكد ان وجود هذا النوع من الاسباب غير الارادية لا يخلو من حكمة بالغة تتواءم وعدم اتجاه ارادة الانسان اليها ، لان القيام بأحكامها فى تلك الحالة يدل على امتثال العبد لحكم الله وصدق عبوديته له ، ولهذا فانها تجرى فى العبادات وفى المعاملات ، كدخول الوقت للصلاة ، وشهود الشهر لصيام رمضان ، ولما فى وجوب النفقة للاقارب ووجوب الدية على العاقلة ، وهى مع حكمة الامتثال تقوم على وضع يعتبره الشارع ويكون المكلف به أحق الناس بالمساءلة عنه •

(٢) « التوضيح » ـ حـ ٢ ص ١٤٥ • مطبعة صبيح •

(٣) « والتلويح على التوضيح » ـ حـ ٢ ص ١٤٤ ـــ الطبعة المشار اليها •

(أ) دور الإرادة فى التعاقد :

تلعب الارادة دورا رئيسيا فى مجال التعاقد كسبب للمسئولية عن المال ، ودورها فى هذا المجال يكاد يمثل وسيلة وغاية فى حد ذاته ،ولهذا عرف الكمال بن الهمام العقد بأنه : « مجموع ايجاب أحد الطرفين مع قبول الآخر وكلام الواحد القائم مقامها » (١) ، ويظهر من خلال هذا التعريف أن الارادة فى مجال التعاقد يمكن تحليلها الى ركنين هما : الايجاب ، والقبول .

معنى الايجاب والقبول :

والايجاب لغة : اللزوم والاستحقاق (٢) ، **وفى اصطلاح الفقهاء :** نلمس فى تعريفه اختلافا يمكن رده الى قولين :

أولهما : لفقهاء الحنفية ، وحاصل قولهم فى تعريفه : « أنه الصيغة الصالحة لافادة العقد بقيد كونها أولا » (٣) .

ثانيهما : لجمهور الفقهاء غير الحنفية ، ومن خلال ما ذكروه فى كتبهم ، نجد أنهم يخصون الايجاب بما صدر عن عاقد معين بالذات هو الملك ، ومن ثم يكون تعريفه عندهم : « أنه الصيغة الصالحة لافادة العقد والصادرة من الملك » (٤) .

والقبول لغة : من قبلت العقد (٥) ، وكما اختلف الفقهاء فى معنى الايجاب شرعا ، اختلفوا كذلك فى معنى القبول على أساس الخلاف المتقدم ، فعرفه الحنفية بأنه : «اللفظ الصادر ثانيا الواقع جوابا للأول » (٦) .

وعرفه الجهور بأنه : « اللفظ الصادر من المتملك » (٧) .

ومن يتأمل قول الجمهور لا يجد وجها لهذا التخصيص ، اذ الواقع أن كلا منهما ايجاب أى لزوم ، وانما سمى الثانى قبولا تميزا له عن اللزوم الأول ، ولأنه يقع قبولا ورضا بفعل الأول ، ومن ثم يكون المعيار الدقيق للتفرقة بينهما هو الصدور أولا وعدمه .

ويكون قول الحنفية فيهما هو الراجح فى نظرنا لهذا الاعتبار .

ولما كان الايجاب والقبول مكونين للعقد ، وهو علامة على التراضى ، فقد وضع الفقهاء لكل منهما شروطا توصل الى هذا المعنى وتضبط حقيقتهما .

منها .

أن يكونا بلفظ الماضى .

وأن يكونا متوافقين .

وان لا يرجع الموجب عن ايجابه قبل قبول المتعاقد الآخر .

وان يتم كل منهما فى مجلس العقد .

وفى الرجوع الى كتب الفقهاء ما يغنينا عن تفصيل تلك الشروط فى هذا المقام الذى لا يتسع لمثله ، كما يقوم مقام الايجاب والقبول كل فعل يدل على معناهما كالكتابة ، والاشارة المفهمة ،

---

(١) « فتح القدير » ـ حـ ٢ ص ٣٤١ .
(٢) « القاموس المحيط » ـ حـ ١ ص ١٤١ .
(٣) « البحر الرائق » ـ هـ ٥ ـ ص ٢٨٣ وما بعدها .
(٤) « المجموع » للنووى ـ حـ ٩ ـ ص ١٦٥ ، وحاشية « الدسوقى » على الشرح الكبير ـ حـ ٣ ص ٣ ، « وكشاف القناع » ـ حـ ٢ ص ٣ .
(٥) « القاموس المحيط » ـ حـ ٤ ص ٣٦ .
(٦) « البحر الرائق » ـ نفس المكان السابق .
(٧) « المجموع للنووى » ـ نفس المكان السابق « وحاشية الدسوقى » ـ نفس المكان السابق وكشاف القناع ـ نفس المكان السابق .

والتعاطى على النحو الذى قرره الفقهاء فى كتب الفروع (١) •

ولا يشترط لكى تؤتى الارادة ثمرتها فى هذا الصدد كسبب للمسئولية عن المال أن يرتبط وجودها بارادة أخرى على النحو المعهود فى التعاقد ، بل قد يكفى أن يكون الالتزام بارادة واحدة وهو كثير فى كل من الشريعة والقانون •

(ب) الإرادة وقصد الجناية على المال :

ولا يقتصر دور الارادة فى قيام المسئولية عن المال على مجال التعاقد ، بل يتعدى ذلك المجال الى مجال الجناية عليه ، حيث تلعب الارادة دورا رئيسيا فى وجود المسئولية يتوقف عليه ترتب آثارها ، واستحقاق العقوبة التى قررها الشارع لها ، ولما كان نشاط الارادة فى الجانى هو الذى يكشف عن خطورته ، حيث يبرهن وجودها حين الجريمة على أن فعل الجانى المؤثم قد جاء وليد تفكير يدل على عزم نيته على ارتكاب الجريمة مع علمه بتحريمها ، وادراكه للآثار الضارة التى ستنتجم عنها ومنها قيام حق العقاب عليه ، فقد قرر الفقاء أن الجانى لابد أن يكون مكلفا مختارا (٢) ، عالما بأن ما يفعله يمثل أمرا محرما يستوجب العقاب •

ولا يمكن أن يتحقق التكليف مع فقد الارادة ، لما صح عنه — صلى الله عليه وسلم — : « رفع القلم عن ثلاثة : الصبى حتى يحتلم والنائم حتى يصحو ، والمجنون حتى يفيق » (٣) •

وكذلك لا يتحقق التكليف بالنسبة لفاقد الادراك ولا المضطر ولا المكره ، لقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (٤) •

ومن الواضح أن تلك الحالات لا يكون للارادة فيها دور يمكن أن يكشف عن وجود القصد الجنائى لدى الجانى ، ومن ثم تنعدم مسئوليته ، وعدم قيام المسئولية بدونها ، يدل على مدى تأثير الارادة على قيام الجريمة ، حيث تمثل الركن المعنوى لها •

وقد كانت اللجنة العليا لتطوير القوانين وفق أحكام الشريعة الاسلامية موفقة ، حين عبرت عن هذا المعنى للارادة ، فنصت المادة الاولى من مشروع حد السرقة ، فى الفقرة (أ) على أنه : « يكون مرتكبا جريمة السرقة المعاقب عليها حدا كل من أخذ وحده أو مع غيره مالا مملوكا للغير مع اجتماع الشروط الآتية :

---

(١) راجع «شرح الحطاب» — حـ ٤ — ص ٢٢٩ « والمغنى » لابن قدامة — حـ ٤ — ص ٥ ، وبدائع الصنائع — حـ ٥ ص ١٣٥ •

(٢) راجع « بداية المجتهد » — حـ ٢ ص ٤٣٧ ، « ومنتهى الارادات » — ص ٣٦٥ وما بعدها ، « والهداية » شرح بداية المبتدى للميرغنانى الحنفى — حـ ٢ ص ٩٥ « نهاية المحتاج » — حـ ٧ ص ٤٦٢ وما بعدها •

(٣) « سنن الترمذى » — حـ ١ ص ٢٦٧ •

(٤) « سبل السلام » — حـ ٣ ص ١٤١ •

(أ) أن يكون الجانى بالغا عاقلا مختارا غير مضطر .. الخ » (١) .

وعلى هذا النحو يظهر دور الارادة فى قيام المسئولية عن المال فى المجالين التعاقدى والجنائى .

٢ ـ الأسباب غير الإرادية :

وهى تلك التى تؤدى الى قيام المسئولية ، والزام المكلف بآثارها ، حتى ولو كان ذلك الالزام منافيا لما تتجه اليه ارادته .

ولهذا المعنى آثرنا تسمية تلك الأسباب بالأسباب غير الارادية ، لأن قيامها قد يكون على غير ما يرغب الانسان وتهوى نفسه ، وهى تتمثل فى جعل الشارع شيئا سببا لقيام المسئولية وترتيب آثارها ، وهذا السبب يكون لوضع الشارع سبحانه دون دخل لارادة المكلف فى تقديره ، ويكون ذلك عن طريق خطاب الوضع .

ولهذا عرف بعض الاصوليين السبب بأنه كل مادل الشرع على كونه طريقا معرفا للحكم الشرعى ، ولهذا كان أثرا لخطاب الوضع (٢) وهذه الاسباب تؤدى الى قيام المسئولية بناء على وضع يعتبره الشارع ومن شأنه أن يكون المكلف على صلة به تجعله أجدر الناس بتحمل تبعاته .

ومن أمثلة تلك الاسباب غير الإرادية القرابة ، « حيث » جعلها الشارع سبحانه سببا يترتب عليه حكم شرعى يتمثل فى وجوب النفقة على القريب اذا توافرت شروطها ، قال تعالى « وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » (٣) .

وقال تعالى « وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ » (٤)

فهاتان الآيتان الكريمتان تدلان على وجوب الانفاق على المولود والقريب ، فتكون القرابة هى سبب الوجوب (٥) .

ومن المؤكد أن وجود ذلك السبب لا دخل لارادة الانسان فيه ، ومع ذلك فمن الواجب أن يمتثل الحكم الناشىء عنه ، لأن الله قد أمر به ، يقول الشيخ الخفيف « يلاحظ أن المسئولية فى تلك الحالة وأمثالها لا تعدو أن تكون ضمانا أمر به الشارع وألزم به ، لأن الضمان حكم ولا حكم الا للشارع ، فكل التزام تشغل به الذمة مرده الى الزام الشارع غير أن الزام الشارع قد يكون مباشرا أو منصبا على الملتزم به ابتداء .

وقد يكون مترتبا على سبب وعندئذ يضاف الى هذا السبب المباشر وان كان مرده فى النهاية الى الزام الشارع وذلك كما فى سائر أحوال الضمان ، فان الالزام فيها أوجبه الشارع عند وجود سببه (٦) » .

ومن تطبيقات هذا النوع من الأسباب غير

---

(١) راجع : مشروعات قوانين القصاص والديات والحدود الشرعية ـ ص ٧٣ ـ دار الاعتصام .

(٢) راجع : مذكرة استاذنا الدكتور محمد انيس عبادة ـ أصول الفقه للحنفية ـ ص ١٣٦ ـ الطبعة الاولى ، وانظر ماهية الحكم الشرعى ـ للدكتور عبد المنعم النجار ـ بحث منشور بمجلة كلية الشريعة والقانون بأسيوط لعام ١٩٨٣ م ـ ص ١١٦ .

(٣) البقرة ـ اية ٢٣٣ .

(٤) الاسراء ـ اية : ٢٥ .

(٥) يلاحظ ان القرابة كما تكون سببا لشغل الذمة بالنفقة للاقارب ، فانها تكون سببا لشغل ذمة الأقارب بوجوب حق عليهم يكون القريب سببا فى وجوده ، دون اتجاه ارادتهم له ، كما فى وجوب الدية على العاقلة .

(٦) الشيخ على الخفيف ـ « الضمان فى الفقه الاسلامى » ـ ص ١٤ .

الارادية فى مجال بحثنا ما قرره صاحب الهداية بقوله : « وتجب النفقة مع اختلاف الدين للزوجة والأبوين والأجداد والجدات والولد وولد الولد ، أما الزوجة فلما ذكرنا أنها واجبة بالعقد لاحتباسها لحق له مقصود ، وهذا لا يتعلق باتحاد الملة .

وأما غيرها فلان الجزئية ثابتة ، وجزء المرء فى معنى نفسه ، فكما لا يمتنع نفقة نفسه لكفره ، لا يمتنع نفقة جزئه (١)» .

ويدخل فى هذا الاطار أيضا ما قرره الفقهاء من تضمين مالك الحيوان اذا أتلف الحيوان زرعا للغير كالراعى يقود غنما قريبا من الزرع بحيث لو شاءت تناولت منه ، فأتلفت منه شيئا فانه يضمن ما أتلفته (٢) .

ومن الواضح أن قيام المسئولية فى تلك الحالات ، لا يتوقف على وجود دور للارادة فى قيامها ، بل يجب امتثالا لحكم الشارع ، الذى يحمى أموال الناس ، لا من التعدى فقط ، بل ومن الاهمال والعبث أيضا ، مع مراعاة الاعتبارات التى قدرها الحق سبحانه والتى أشرنا اليها .

نطاق المسئولية عن المال فى الفقه الاسلامى :

والمسئولية عن المال فى الفقه الاسلامى ، لا تقتصر على مجرد قيامها فى ذمة المسئول عنها ، وانما تنسحب آثارها الى ما يملكه من مال ، ليستوفى الدين (٣) منه ، ولهذا كانت المسئولية ذات طبيعة شخصية وعينية فى وقت واحد معا (٤)

ومن خصائص ذلك التوصيف للمسئولية فى الفقه الاسلامى ، أن المدين قد لا يقدر معه على التهرب من وفاء حقوق الناس بالتصرف الصورى فى أمواله توطئة لتضييع فرصة الضمان على دائنيه ، فالفقه الاسلامى يوسع من نطاق المسئولية ليحفظ حقوق الناس ، ويترتب على ذلك الاعتبار الشخصى للمسئولية ، أن حق الدائن يتعلق بذمة المدين وماله ، ومن ثم فانه اذا أخل بمقتضى الأمانة فى التعامل وماطل فى السداد ، فقد أجاز الشارع أتخاذ عدد من الاجراءات ضده فى شخصه ، حثا له على الوفاء ومنعه من التلاعب بحقوق الناس ، كالحبس ، وملازمة الدائن لمدينه والحجر وبيع ماله جبرا عليه ، وقد قامت الأدلة على مشروعية مباشرة تلك الاجراءات ضد المدين الظالم الذى يمتنع عن أداء حقوق الناس ، لما روى أن رسول الله —

(١) « الهداية » — شرح بداية المبتدى للميرغنانى الحنفى — حـ ٢ ص ٤٧ — مطبعة صبيح .

(٢) « جامع الفصوليين » — حـ ٢ ص ٨٦ ، «والشرح الكبير» — حـ ٥ ص ٤٥٥ ، « والشرقاوى على التحرير » — حـ ٢ ص ٤٥٩ .

(٣) « وتبيين الحقائق » للزيلعى — حـ ٥ ص ٢٤

(٤) راجع فى هذا المعنى : « تبيين الحقائق » للزيلعى — حـ ٥ ص ٢٤ ، « مغنى المحتاج » — حـ ٧ ص ١٤٤ وما بعدها « المغنى » لابن قدامة — حـ ٤ ص ٤٨٦ ، « بداية المجتهد » — حـ ٢ ص ٢٨٢ ، «المحلى» لابن حزم الظاهرى جـ٨ ص١٧٤

صلى الله عليه وسلم ــ قال « مطل الغنى ظلم يحل عرضه وعقوبته (١) » •

ولما رواه البيهقى « أن عبدا كان بين رجلين فأعتق أحدهما نصيبه ، فحبسه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى باع غنيمة له (٢) » •

ولما رواه الدار قطنى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجر على معاذ ماله وباعه فى دين (٣) » •

ولا شك أن مسلك الشريعة الاسلامية فى هذا الصدد يتفوق على ما قرره الفقه الوضعى ، حيث ينحصر نطاق المسئولية فيه على مال المدين دون شخصه ، ومن ثم كان نطاق حماية الحق فيه ضعيفا •

وقد حاول القانون أن يتلافى ذلك القصور بعديد من الاجراءات والدعاوى ، ومع ذلك فلم يستطع أن يصل معها الى مثل ما وصل اليه الفقه الاسلامى ، من خلال ذلك التحديد لنطاق المسئولية ، فتلاشى به منذ البداية ما ترتب على مسلك القانون الوضعى من آثار قد تنطوى على كثير من المضار •

أحكام المسئولية ومصادرها :

ومن خلال ما سبق ، يستبين لنا أن المسئولية عن المال قد تتمخض عن تعويض يلتزم به الانسان ، وقد تسفر عن عقوبة تحل به ، والنوع الأول يمكن أن يقابل المسئولية المدنية فى الفقه الوضعى ، والثانى يقابل المسئولية الجنائية ، ولكننا نؤثر تسمية النوع الأول بالمسئولية التضمينة ، مراعاة لاستقلال مسميات الفقه الاسلامى ، وصلاحية الاصطلاح للدلالة على المسئولية الناشئة عن سبب ارادى ، والمسئولية الناشئة عن سبب غير ارادى •

ومن ثم تكون المسئولية عن المال نوعان : مسئولية تضمينية ، ومسئولية جنائية، وسوف نقوم ببيان مصدر هذين النوعين من المسئولية عن أموال غير المسلمين فى الشريعة الاسلامية•

مصادر المسئولية التضمينية عن مال غير المسلمين :

وهذا النوع من المسئولية يستوجب الوفاء بالعقود مع غير المسلمين اذا كان مصدر المسئولية عقدا من العقود ، أو تعويضهم عن ما أخذ من أموالهم اذا كان مصدر المسئولية واقعة غير العقد كالاتلاف ، أو رد ما أخذ منهم اذا كان قد تم على جهة التعدى والغصب •

وقد قامت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والأثر وذلك على النحو التالى :

١ ــ من الكتاب :

قال الله تعالى: **« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » (٤)** ، ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم ، أن الحق سبحانه قد أمر بالوفاء بالعقود •

وقد ورد الأمر بالوفاء عاما ليشمل جميع أنواع صوره ، سواء كان بين مسلم ومسلم ، أو بين مسلم وغير مسلم •

وعدم الوفاء بالعقد يعنى الغدر والنكث ،

---

(١) « نيل الاوطار » للشوكانى ــ جـ٨ ص ٣٤٢
(٢) المرجع السابق ــ ص ٣٤٣ •
(٣) المرجع السابق ــ جـ٥ ــ ص ٢٤٥ •
(٤) المائدة ــ آية ١ •

حقوق غير المسلمين

وقد حرم الحق ذلك فى كثير من الآيات •

منها قوله تعالى : « وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ ، أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » (١) •

وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ • كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » (٢) •

وقال جل من قائل : « أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » (٣) ،
الى غير ذلك من النصوص المتضافرة فى هذا المعنى ، والدالة على وجوب الوفاء بالعقود وتحريم نقضها سواء كانت بين مسلم ومسلم أو بين مسلم وغيره •

ولأن غير المسلم بالذمة صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومن ثم فلا مجال للتفرقة بينه وبين المسلم فى هذا الخصوص •

٢ ــ ومن السـنة :

(أ) ما رواه أبو داود والدارقطنى من طريق كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « المسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو حلل حراما » (٤) •

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف ، أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد أخبر بأن المسلمين واقفون عند شروطهم ، وهذا الخبر يدل على أنهم يجب عليهم الوفاء بما شرطوه على أنفسهم •

وهذه الدلالة عامة تشمل ما شرطوه على أنفسهم مع المسلمين أو غيرهم ، والأمر الذى يدل على الوفاء بعقود غير المسلمين •

(ب) وبما روى أن رسول ــ الله صلى الله عليه وسلم ــ قال : وعلى اليد ما أخذت حتى ترد » (٥) ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد أخبر بأن على الانسان ما أخذه من مال الغير بيده •

وهو يدل على وجوب ضمان مال الغير سواء كان مسلما أم غير مسلم •

(د) وبما روى عن أنس ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان عند بعض نسائه ، فأرسلت بعض أمهات المؤمنين بقصعة فيها طعام ، فضربت بيدها فكسرت القصعة ، فقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « طعام بطعام وإناء باناء »(٦)

---

(١) الرعد ــ آية ٢٥
(٢) الصف ــ الآيتان ٢ ، ٣ •
(٣) البقرة ــ آية ١٠٠

(٤) « سنن أبى داود » جـ٣ ــ ٣٠٤ •
(٥) « سبل السلام » جـ٣ ص ٧٠ •
(٦) المرجع السابق ــ ص ٧١ •

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف أنه قد دل على أن من استهلك على غيره شيئا كان مضمونا بمثله وليس فيه ما يدل على اختصاص المسلم بحكم دون غيره ، بل المسلم وغير المسلم فى هذا الحكم سواء .

فقد روى الدار قطنى : أن تلك الواقعة قد صارت قضية من النبى صلى الله عليه وسلم أى حكما عاما لكل من وقع له مثل ذلك ، فاندفع قول من قال انها قضية عين لا عموم فيها ، (١) ولهذا فقد قرر الفقهاء أن الخمر والخنزير يعتبران من الأموال المتقومة فى حق الذمى ، ومن ثم يكون على متلفهما الضمان سواء كان مسلما أم ذميا (٢) .

لما روى ان عمر — رضى الله عنه — حين سأله عما له :ماذا يصنعون بما يمر به أهل الذمة من الخمر ؟ قالوا : نعشر ، فقال : لاتفعلوا ، ولكن ولوهم بيعها ، وخذوا أثمانها (٣) ، فقد جعلها فى حقهم مالا متقوما يجرى فيه البيع ، وأمر بأخذ العشر من الثمن .

٣ — ومن الأثر :

ما رواه أبو عبيد فى الأموال عن ضمرة عن رجاء مولى أبى سلمة ، عن الوليد بن هشام المعيطى قال : ولانى عمر بن عبد العزيز « قنسرين » (٤) ، وكانت صلحا فشكا اليه أهل الذمة المسلمين أنهم قد نزلوا منازلهم فكتب الى : أن أنظر من كان فى منازل أولئك الذين كانوا من أهلها حين صولحوا ، فأخرج من كان فى منازلهم عنهم .

ووجه الدلالة فى هذا الأثر كما يقول أبو عبيد أن عمر بن عبد العزيز قد حكم لهم بمنازلهم لأنها من حقوقهم التى يجب على المسلمين ردها اليهم ، لأن الصلح قد وقع معهم وهذه الاشياء موجودة بأيديهم فجرى عقد الصلح عليها فلا يجوز أخذها منهم (٥) .

ولايخفى ماف ذلك من دلالة على احترام أموال غير المسلمين ، وقيام المسئولية عنها بما يستتبع قيامها من ضمان ورد وازالة للتعدى اذا وقع عليهم من المسلمين .

ومن خلال ماسبق ، نرى أن المسئولية التضمينية عن أموال غير المسلمين وهى التى تقابل المسئولية المدنية فى الفقه الوضعى ، تقوم على اساس من كتاب الله الكريم وسنة نبيه الهادى البشير — صلى الله عليه وسلم — وذلك الأثر المروى عن عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — .

أما المسئولية الجنائية عن أموال غير المسلمين ، وهى التى تستوجب العقوبة فانها هى الاخرى تقوم على أصول قوية من الكتاب والسنة والاجماع .

وذلك على نحو ما سنبينه فى مقالنا القادم باذن الله ، والله الموفق والمستعان .

عبد الله مبروك النجار

---

(١) المرجع والمكان السابقين .

(٢) راجع « تبين الحقائق » للزيلعى — جـ٥ ص ٢٣٥ « ونهاية المحتاج » — جـ٥ ص ١٦٣ ، « وكشاف القناع » — جـ ٢ ص ٣٤ ومابعدها ، والشرح الكبير للدردير جـ ٣ ص ٤٤٨ .

(٣) « المبسوط » للسرخسى — جـ ١٣ ص ١٣٧ .

(٤) مدينة قديمة فى سوريا الشمالية وكانت احدى الولايات العسكرية التى قسمت اليها البلاد التى فتحها العرب .

(٥) راجع : أبو عبيد فى الاموال — ص ٢٠١ — طبعة ١٩٧٦ — دار الفكر .

عن تطبيق الشريعة الإسلامية

رسالة إلى الأستاذ أحمد بهجت

أخى الفاضل الاستاذ أحمد بهجت ..
تحية من عند الله مباركة طيبة ..

ــ وبعـــد :

ــ فان حديثك فى « صندوق الدنيا » من جريدة الاهرام الغراء ــ هو متعة ــ دائما ــ للروح والعقل ــ أو يجمع بين حسن العرض وجلاء الفكرة وصـــفاء الروح ــ ويذكرنى حديثك عن الصوفية بالوصف الذى اختاره لها شيخنا الجليل الشيخ عبد الحليم محمود ــ رحمة الله ورضوانه عليه ــ من أنها مشتقة مــن الصفاء لا من الصوف .

ــ ولكن أرجو أن تأذن لى ــ فى تعقيـــب سريع موجز على حديثك المنشور اليـــوم (٢٦/١٢/١٩٨٣) بجريدة الأهرام عن تطبيق الشريعة الاسلامية فى السودان الشـــقيق ــ وخاصة ماورد به من أن :

« عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أوقف الحدود فى عام المجاعة ادراكا منه لهذا المضمون الداخلى للشريعة ــ وهى أنها لاتنطبق الا اذا توفرت شروط انطباقها وهى وجود المجتمـع الاسلامى » .

١ ــ قد يرى البعض ــ أن نقيم المجتمـع الفاضل أولا قبل أن نطبق الشريعة الغراء ولكن لما كانت الشريعة هى أداة تقويم المجتمع وعلاجه ــ فانه يتعين بداءة أن نطبق الشريعـــة أولا حتى يقوم المجتمع الفاضل .

ان الله جلت قدرته وتعالت حكمته ــ لـم يرسل الى الملائكة رسلا ــ لأن الملائكـــة لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون. ولكنه ــ سبحانه ــ أرســـل الى البشر

للمستشار السيد عبد العزيز هندى

رسلا مبشرين ومنذرين — مع علمه المسبق بما قالته الملائكة فى حقهم حين قالوا : **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** — فرد عليهم سبحانه بقوله :

« إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » •

والمريض هو الذى يحتاج للعلاج والدواء - وحدود الله وتعاليمه فيها الدواء الشافى لأمراض المجتمع من كل داء •

ومن المقرر أن العقوبات زواجر قبل الفعل — وجوابر للمعصية بعده — فهى تقيل المذنب من عثرته بعد أن تطهره من اثمه — فالله أكرم من أن يجمع عليه عقوبتين عن نفس الفعل — فى الدنيا والآخرة بعد توبته — الا أن يشرك به فيخرج نفسه من رحمته •

ويرى الامام ابن تيمية أن اقامة الحدود كالجهاد فى سبيل الله — لأن بها يستقيم أمر المجتمع •

٢ — ومن الثابت أن المجتمات الانسانية تسودها حاليا موجةطاغيةمنالاجرام — تتخذ أشكالا وصورا تثير الفزع فى النفوس — ويقف منها علم الاجرام موقف المحلل • بينما يحاول علم العقاب أن يجعل من العقوبات أو التدابير الاحترازية — وسائل لتقويم المجرم واصلاحه حتى يترك الجريمة ويتآلف مع المجتمع — وأن يكون العقاب رادعا للمجرم نفسه — وهو مايعرف « بالردع الخاص » — وأن يكون مخيفا لغيره — وهو مايعرف « بالردع العام » — ومهما تعددت النظريات والأساليب فى هذا الشأن فان هناك حقيقة تظل راسخة — هى أن العقاب يجب أن يكون بالقدر الذى يزيد فى ايلام الجانى عن الشعور بالمنفعة الذىعاد عليه من الجريمة — حتى يوازن الشخص بين

مايمكن أن يحصل عليه من فائدة اذا باشر السلوك الاجرامى — وبين ما يتعرض له من عقاب — فيجد أن مصلحته دائما أن يبتعد عن الجريمة — ويكون على يقين جازم بأن الجريمة

لاتفيد — ولن يصلح حال هذه الانسانية آخر الأمر — الا بما صلح به أوله — وهو العلاج

الربانى الذى قرره من خلق هذه النفس وسواها فألهمها فجورها وتقواها •

ومن عجب أن نتقبل رأى الطبيب — وهو بشر قد يخطىء ويصيب — ونسارع الى تنفيذ رأيه اذا رأى وجوب بتر عضو من الأعضاء لانقاذ باقى الجسم من خطر داهم — ثم نجادل رأى الحكيم العليم — الذى يعلم من خلق

وهو اللطيف الخبير ــ مع أن التجربة الواقعية والاستقراء العملى يقطعان بأنه حتى فى البلد الواحد وفى نفس البيئة السكانيــة ــ بصرف النظر عن الغنى والفقير ــ حيـــن طبقت السعودية حد السرقة ــ اختفت تماما ظاهــرة النهب والسلب ــ حتى لحجـــاج بيت الله الحرام ــ التى كانت تسود هذه البلاد قبــل تطبيق حدود الله •

هذا ــ على حين أن مجتمعا موغــلا فى الرفاهية والترف وتدليل المجرمين ــ كالمجتمع الامريكى بخاصة والغربى بعامة ــ تتزايد فيه جرائم السرقة والاغتصاب بمعدلات رهيبــة تغرى بالمحاكاة ــ وتنذر بأوخم العواقب على المجتمع نفسه ــ وليست الرحمة التى يطلبهــا الاسلام هى الشفقة أو الرأفة بالجانى ــ انما هى الرحمة بالكافة ــ وهى توجب تشـــديد العقوبة ــ وهى الرحمة بالمجتمع ــ وهو المجنى عليه فى حقيقة الامر ــ وحقه أولى بالرعايــة ــ ومن ثم كانت الحدود ــ فى أساسها ــ حقا خالصا لله تعالى حماية للعباد وانقاذا للبــلاد وليست موقوتة بعصر معين ولابيئــة معينــة وانمــا هى صــالحة لكــل زمــان ومكــان

وما من شك فى أن الــدواء الناجع هــو الذى

ينتصر على المرض لا الذى ينتصر عليه المرض ــ وأن العقاب الناجح هو الذى ينتصر على الجريمة لا الذى تنتصر عليه الجريمة •

ثم ان المشرعين الوضعيين لم يســتغلظوا عقوبة الاعدام بالنسبة الى بعض الجرائم التى قدروا أنها خطيرة ــ من ذلك فى مصر مثلا ــ القرار بالقانون رقم ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ فى شأن مكافحة المخدرات وتنظيم استعمالها والاتجار فيها ــ الذى قرر عقوبة الاعدام جزاء لمن صدر أو جلب جواهر مخدرة ــ ولمن أنتجهـــا أو

استخرجها أو صنعها بقصد الاتجـــار وليس من شك فى أن هذه العقوبة أشد من عقوبة القطع فى السرقة الحدية — فالعبرة اذا هى بالعقوبة المناسبة الفعالة فى مقاومة الجريمة وتحقيــق الأمن والاستقرار للمجتمع — والبدان للانسان — كما جاء فى كتاب أعلام الموقعين عـــن رب العالمين — جـ ٢ ص ١١٤ ومابعدها — كالجناحان للطائر فى اعانته على الطيران — فعقـــوبة السارق بالقطع — أبلغ وأردع من عقـــربته بالجلد — ولم تبلغ جنايته حد العقوبة بالقتل (كما تفعل بعض الدول الشيوعية حاليا) فكان أليق العقوبات به — ابانة العضو الذى جعلـــه وسيلة الى أذى الناس وأخذ أموالهم •

٣ — أما بالنسبة للضرورة التى تدرأ الحد :

« فقد رأى عمر — رضى الله عنـــــه — أن المجاعة تكون شبهة مانعة من اقامة الحـــد وان كانت لاتسقطه — اذ أن الحد فى نظره — لـــم يستوف شروط اقامته — لأن السارقين وقتئذ — كانوا فى حال اضطرار وقرائن الاضـــطرار كانت قائمة — فالسرقة كانت فى مجاعة — وقد ذبحوا الناقة وأكلوها — وكانوا عبيدا لرجـــل عرف بأنه يجيع غلمانه فكانت حالة الاضـــطرار قائمة — والضرورات تبيح المحظـــورات — فضلا عن أن كلا منهم قد أخذ ما دون النصاب الذى يستوجب الحد •

وقد حسب بعض الناس أن عمر أسقط الحد بعد أن توافرت أسباب اقامته وحاشاه وهـــو من نعرف علمـــا وعدلا — وما كـــان لأحد أن يسقط حدا من حدود الله — وانما الأمـــر كما ذكرنا من قبل — من أنه فضلا عن قيام الشبهة الدارئة للحد — فان ركن النصاب لم يتوافر فى حق كل منهم حتى يقام عليه الحد •

وماورد عن السيد المسيح عليه السلام — من أنه لم يشترك فى رجم المجدلية المتهمـــــة بالزنا وثبط الشهود عن رجمها — انما مرده — كما هو واضح — أن أيا من الشهود لم يكـــن بلا خطيئة — وبالتالى فلا يصح أن يكون شاهدا عدلا يمكن الاعتداد بشهادته فى هذا المقــــام — وليس فى ذلك اسقاطا لحـــــد واجب من حدود الله •

٤ — ولعنا الآن على اتفـــاق — أيها الأخ العزيز — أن تطبيق الشريعة الغراء — بكـــل حدودها ومقوماتها — قد غدا لـــزاما — وأن السبيل اليها انما يكون بالحكمة والموعظـــــة الحسنة فان الوسائل فى الشريعة الاســـلامية لاتنفصل عن الغايات ومن ثم يجب أن تكـــون الدعوة اليها على النحو الذى شرعه الله وسار عليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو وصحبه الأخيار الراشدون •

وتحية منى معك للسيد الرئيس جعفر نميرى على خطوته الموفقة الرشـــــيدة بتطبيق الشريعة الاسلامية فعلا — ونحن فى مصر — بحمد الله على الدرب سائرون بعد أن أتمت اللجان الفنية المشكلة لتقنين الشريعة الاسلامية مهمتها بتوفيق الله • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ••

المستشار/السيد عبد العزيز هندى
عضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر

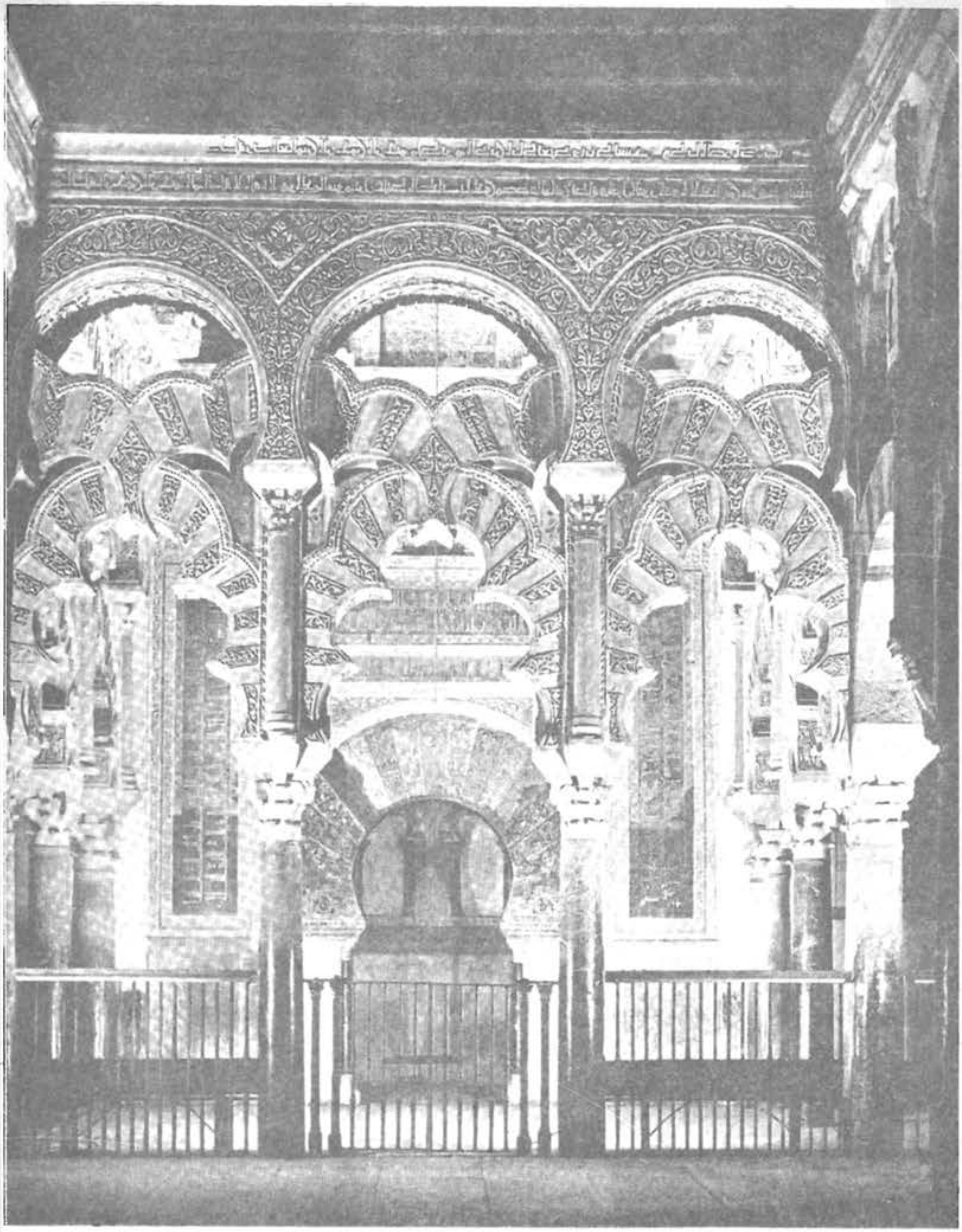

سقف حرم المسجد الجامع فى غرناطة بالأندلس

شعر وشاعر

نماذج بشرية

من وحى الإيمان

محمد فضل إسماعيل

نماذج بشرية

... مغرور ...

« المغرور المتكبر كالرجل فوق الجبل يرى الناس صغارا وهم يرونه صغيرا »

للدكتور حسن جاد

ومارد تخدع الأبصار قامته — وكم وراء خداع العين من كذب
شوامخ السرو اذ طالت بلا ثمر — ما جاوزت قدر أعواد من الحطب
أعمى الغرور على جهل بصيرته — فما يفرق بين الفحم والذهب
حتى تخيل أن الشمس هامته — وأن نعليه قد قدا من الشهب
والأنجم الزهر من أنواره اقتبست — فمزقت كبد الظلماء والحجب
وكل موعظة من هديه انطلقت — فبددت نزغات الشك والريب
وأنه شاعر الدنيا بمفرده — وأنه وحده صناجة العرب
قد ادعى كل شيء وهو ليس على — شيء من العلم أو حظ من الأدب
ويحسب الفن ألفاظا منمقة — والعلم ضربا من الأسجاع والخطب
له على كل باب قرع منتجع — يستعذب الذل فى الالحاح والطلب
فاعجب لذلته فى عنجهيته — ومن جهالته ما شئت من عجب
قد ازدهاه غرورا طول قامته — وما درى أنه لوح من الخشب

من وحي الايمان

شعر : الاستاذ
محمد عبد الفتاح حماده

تقبلت آلامى المريرة طائعا ... ولم أك فى يوم من العمر جازعا
ترانى رغم الجرح ينزف باسما ... وكم بت مهموم الفؤاد ودامعا
ظلمت ولم ألجأ الى غير خالقى ... وعشت كريم النفس سمحا وقانعا
تقدم من كانوا يسيرون خلفنا ... ويحزننى أنى أدارى ضفادعا
فياقدرى عفوا اذا كنت مذنبا ... ورفقا بانسان يناديك ضارعا
لئن ضقت بالدنيا وقفت مصليا ... أطيل سجودى بعد أن كنت راكعا
بقوة ايمانى أضيف كتيبة ... ولو صوبت عمدا الى المدافعا
وكل الذى أخشاه أصبح جاريا ... وفكرت فيه منذ أن كنت يافعا
أردنا ولكن ليس للمرء حيلة ... اذا كان فى بعض الأمانى طامعا
فان شاء ربى كان للخير مانحا ... وان شاء ربى كان للشر مانعا
وقد يرغب الانسان فيما يضره ... وينفر مما يجلب الرزق واسعا
فسبحان من بالنفع والضر عالم ... تنزه رحمانا بصيرا وسامعا
اذا هذه الدنيا اليك تقربت ... وقد لبست ثوبا أنيقا ورائعا
فلا تتوقع أن يدوم صفاؤها ... وكن رجلا فى الحق كالسيف قاطعا
ألا ان أخلاق الرجال ذخيرة ... وخير امرىء ما كان للناس نافعا

أيشرع الانسان للانسان ؟

لا والذى فطر الوجود بلا مثا ل سابق متعاقب الأطوار
يجرى بقانون تناهى حكمة خطته من قدم يد الأقدار
ما قامت الدنيا بعقل محدث لكنها صنع القدير البارى
ما العقل للانسان غير ذبالة محدودة الاشعاع والابصار
منحت له لتنير حيز جهده ويعيس عبد الخالق القهار
لا يستقل وان زكا بشريعة من نسجه تخلو من الأوطار
ما الظن فيه اذا اعترته آفة أو سكرة فى حانة الخمار
ومن الذى أدراه سر جبلة من دونها فى الناس ألف ستار
أيشرع الانسان للانسان ما ينجى من العثرات والأخطار
ويقوده نحو السلامة فى الحيا ة ، كثيرة الأشواك والأوضار
كلا ورب الكون ، ذلك بارق يعزى حلوم الصبية الأغرار
أرأيت يوما عالما متبصرا ركنت مداركه الى منهار ؟
هل جاء حقا كامل من ناقص أو جاد جدب قاحل بثمار ؟
كم غازل فى الناس ينقض غزله من علة تبدو به وعوار
يكفى صنيع الناس نقصا أنه كمدبجيه ....من القداسة عار

للأستاذ : محمد عبد الرحمن صان الدين

يغـرى بـه فى غفلـة أو يقظـة | زمرا مـن الأخيـار والأشرار
فالعـدل حينئذ خيـال مفـرق | والأمـن حلم فى رءوس صـغار

لكن شـرعة خـالق الانسـان نسـج محكم مـن عـالم الأسرار
كفل السلامة فى الحياة لمن تفيـأ ظلهـا فى زمـرة الأبـرار

لو كان فى الانسـان عقـل مجزى | ما كـان رسـل الله فى الأعصار
ولما مضى فى الأرض يسجد خاشعا | للنجم والحيـوان والأحجـار

ولمـا استبد بـه الغـرور فظـن أن يديه تملك قـدرة الجبـار

فمضى يبث قذائفا مـن صـنعه | أدهى مـن البركـان والاعصـار
ليرى شعوب الأرض قد دانت لـه | وأتت تتـوج هـامه بفخـار
وهو الذى يدرى بـأن صـنيعه | يأتى على العمران والعمـار
ويحول الأرض الخصيبـة جاحما | مـا فـوقها مـن باغم أو ضار
ياويحه بيـديه يـوبق نفسـه | مثل الفراش يطير فـوق النـار
فرحـا بهـا فـاذا به جوفهـا | قد صـار ذرا فى اظى وسـعار
ومن امتطى اللب الذكى مجـردا | القاه فى مهوى بغـير قـرار
يأيهـا الانسـان انك راحـل | فى سـفرة هى آخـر الأسـفار
ماذا تقول اذا سئلت ومـا الذى | يجديك عنـد اللـه مـن أعذار ؟
ان السـما أوحت اليك بهديهـا | فـأبيت الا التيـه فى اصـرار
فاذهب الى ما شاء شيطان الهوى | فى حـيرة مجنـونة وبـوار

محمد فضل اسماعيل

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

يمر السادس من أكتوبر كل عام ، فتحل ذكرى رحيل هذا الشاعر الكبير عن دنيانا دون أن يظفر بكلمة من منصف تحيى ذكراه ، أو تشيد بموهبته ، وتترحم عليه، لما قدمه لوطنه من ذوب قلبه ، وهتفات وجدانه ، التى تتمثل فى القصائد التى أبدعها لتشق الطريق ، للسير قدما نحو الغد الأرغد ، والمستقبل الأسعد .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر

ولعل رثاء شوقى ، أمير الشعراء ، للمنفلوطى ـ حينما لقى وجه ربه ، فى ذات يوم اطلاق الرصاص على الزعيم سعد زغلول ، الذى يستهله بقوله :

اخترت يوم الهول يوم وداع
ونعاك فى عصف الرياح الناعى
هتف النعاة ضحى .. فأوصد دونهم
جرح الرئيس منافذ الأسماع
من مات فى فزع القيامة لم يجد
قدما تشيع أو حفاوة ساعى
ماضر لو صبرت ركابك ساعة
كيف الوقوف .. اذا أهاب الداعى

لعل هذه الأبيات ، أكثر انطباقا على فضل الذى رحل الى جوار مولاه ، فى السادس من أكتوبر عام ١٩٦٩ ، وظل عدد قليل من الأوفياء لذكراه ، يحتفلون بها سنويا بمقر جمعية الشعراء والزجالين بالاسكندرية ، نذكر منهم الشعراء والأدباء :

عبد العليم القبانى ومحمد رخا والسيد عقل وادوار سعد ونعمت عامر وكمال أبو الغيط ،

وبعض أساتذة الجامعة ، والناقد الكبير الراحل مصطفى عبد اللطيف السحرتى ، والسيد محمد بدوى الخولى محافظ السويس الأسبق ، (وصاحب اليد الطولى فى ظهور ديوانه بعد ذلك) وآخرين ممن لا تعيهم الذاكرة الآن •

جاء نصر السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ، فكان خيرا وبركة على الجميع الا •• فضل ! فقد ضاعت ذكراه فى غماره ، فلا يكاد يذكره الذاكرون أثناء الاحتفالات السنوية بعد ذلك بهذا اليوم المجيد ، على الرغم من أن هذا الشاعر المغبون كان من أبرز صناعه ، بما دبج من القصائد الحماسية الملتهبة،استشرافا لفجر هذا اليوم ، كما يتجلى ذلك فى قوله ـ رافضا ومتجاوزا هزيمة الخامس من يونية ١٩٦٧ :

لخط النار مهد لى الطريقا
فلست أهاب فى النار الحريقا
ونيران العدا ليست بشىء
اذا الايمان كان معى رفيقا
و (ابراهيم) مر بها سلاما
وعاد يؤكد العهد الوثيقا
فديت المسجد الأقصى بروحى
وبالدم أفتدى البيت العتيقا (١)

وشاعرنا نجلته أسرة رقيقة الحال ببلدة (فاقوس) بمحافظة الشرقية فى الرابع والعشرين من نوفمبر عام ١٨٩٨ ، وكان أكبر أبنائها • وما أن بلغ الرابعة من عمره ، حتى كان أحد الصبية الذين يترددون على (كتاب) الشيخ اسماعيل ، حيث حفظ القرآن الكريم ، ثم انتقل به والده الى مدينة السويس • وألحقه باحدى مدارسها الابتدائية ، وبعد أن حصل على (الابتدائية) لم يشأ والده ـ رغم ضيق ذات يده ـ أن يكون هذا اليافع موظفا حكوميا ، جريا على العادة المتبعة فى ذلك الوقت ، متمثلة بالقول المأثور المرذول : « ان فاتك الميرى ، اتمرغ فى ترابه ! » ، بل أراد أن يهيىء لابنه أفقا متسعا فى العلوم الدينية والفقه ، على يد شيوخ الحلقات بالأزهر الشريف •• وبالفعل تم له ما أراد ، وبقى الفتى فضل عامين كاملين به ، وأخبرنى رحمه الله أكثر من مرة ، أن هذين العامين كانا ذوى أثر بعيد فى تكوينه وتوجيهه الى تعشق علوم العربية وتذوق الشعر ، واهتدائه اليه لأول مرة منذ نعومة أظفاره ، بعد أن أتيح له التزود بالعلم الغزير ،من فقه

---

(١) ديوان فضل ص ٧ .

محمد فضل اسماعيل

ومتون ، وشروح وحواش •

ولم يقنع بدراسة المقررات فحسب ، بل كان يحضر حلقات الصفوف العالية ، فى سنه الغضة ، ليشبع تعطشه الشديد للعلم والمعرفة ، ويكتسب خبرة وافية فى حقل الدراسات الاسلامية ، وكل مايتعلق بالقرآن والسنة والتفسير ، وماتزخر به الحلقات من أدب وبلاغة ، وقد بلغ من تأثير هذه (الحسوة) اليسيرة نسبيا من علوم الأزهر وآدابه ، أن رغب الى ، حينما وجدنى أشمر عن ساعد الجد لتجميع ماتناثر من شعره بذواكر الحفظة ومئات « المسودات » لدى أصدقائه ومريديه ، رغب الى أن أبدأ فى ترتيب مادة الديوان بشعره الدينى ، الذى نبتت جذوره الأولى فى بيئة الأزهر الخصبة •

وقد كان يعزو ما أطلق العنان لشاعريته ، وارفادها بالديباجة الجزلة والأصالة اللغوية ، الى فترة دراسته تلك بالأزهر الشريف ، رغم قصرها نسبيا ، واللبق اللبيب يفيد من العلم القليل ، مالا يفيده القدم الخامل من العلم الغزير ، فى السنوات المتطاولة •• وقد لاحظ تأثير الثقافة الدينية على نتاجه الأدبى

عضوا لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، اللذان قدما ديوان فضل ، وهما : الدكتور مختار الوكيل والشاعر عامر بحيرى ، حينما قالا فى تقديمه :

« ان الناظر فى شعره يستطيع أن يضع دون تحرج هذه الابتهالات الدينية فى صف من عيون الشعر الدينى ، ليس فى عصرنا المتأخر وحده ، بل وفى عصور سوالفه ، شاعت فيها نفحات الشعر الدينى ، وتراتيله الرخيمة » •

**

ومن بواكير شعره فى تلك الفترة ، قوله من قصيدة « الى الذات العلية » :

يا مالك الملك يا قيوم سبحانك
قد جل ذنبى •• فهب لى منك غفرانك
انى اتبعت هوى نفسى فواخجلا
ماذا أقول اذا حكمت ميزانك
مهما تعاظم ذنبى أو تملكنى
فلا أريد به يارب عصيانك
حسبى بذاتك ايمانا ومعرفة
أن لست أجحد فى التوحيد سلطانك

وقوله متهدجا مناجيا المصطفى — صلى الله عليه وسلم — :

جاءنا القرآن يطرى أحمدا
بالتجلى فى ثناء عطر
يا شفيع الخلق أن جئنا غدا
مالنا فعل حميد الأثر
صلوات الله ما طير شدا
أو تغنى بلبل فى السحر
هل لعينى يا حبيبى أن ترى
نور (طه) •• قبل فوت الأجل ؟
واضعا خدى على ذاك الثرى
ممعنا فى تربه •• بالقبل (1)

(١) ديوان فضل ص ١٨٠ ، وقد قمنا بتجميعه وتحقيقه ، واصدره المجلس الاعلى للفنون والاداب عام ١٩٧٢ •

وقوله فى الهجـرة :

ياليتنــى يــوم الرحيـل شـهدته
فنظمت فيـه قلائـد العقيـــان
ووقفت عنـد الغـار أحرس بابـه
وفديتـه بجوارحى وجنـــانى(١)

**

وبعد تلك الفترة من طلب العلم بالأزهـر ، أظهـر ولعـا عظيما بالجندية وحمل السلاح ، ليكون رب السيف والقلم ، كمحمود سـامى البارودى ، الذى تتلمذ على شعره .. لهـذا طلب اللحاق بالمدرسـة الحربيـة فى القـاهرة (الكلية الحربية الآن) ، وهـو فى السـادسة عشرة من عمره ، فلم يوفق لهذا الغرض ، ولكنه استطاع فى آخر الأمر أن يلتحـق بالمدرسـة الحربية بالخرطوم ، نظرا لأن والده كان مـن أبناء السودان ، ولما له من عمومة وأنسـاب فى شتى نواحى السـودان .

وكان الطالب العسـكرى (محمـد فضـل اسماعيل) موضع اعجاب رفاقه وزملائه ، فهو شـاعرهم ولسانهم الصـادق فى ندواتهـم ومجتمعاتهم ، الأمر الذى أثار حفيظة قومندان المدرسة (الكولونيل باتيسون) وقتذاك ، وألب عليه مدير المعارف السودانية (المستر كروفت) ووكيله (المستر سمبسون) ، حيث تقرر بعـد سنة من لحاقه بتلك المدرسة ، فصله من سـلك طلبتها ، وابعاده عن موطن أبيه وأجداده فورا ، لما كان يبثه بين الطـلاب ، من روح منافيـة لأوضاع الحكومة السودانية وقوانينها ، فى ذلك الحين (٢) . وبخاصة حينما أنشد الطلاب قصيدته التى يقول فيها ، واصفا ما جرى فـى مأساة (دنشواى) :

أمـن أجـل أفـاق يصـيد حمامة
تساق الضحايا كالذبائح تنحــر
وتشـنق بالحبـل المهين رجـولة
تثـور لعـرض يسـتباح ويهدر
ويؤخـذ للسجن البرىء تعسـفا
ويجـلد بالسوط .. الأبى الغضنفر

**

الى أن يقول :

متى كان فى شرع الحضـارة عندهم
اهـانة شعب للكرامة يثـأر
وفى الجيش لـ (اسفنكس) أوامـر قائد
لـه مصر والسـودان جنـد وعسـكر
وحسـبك (كرشو) فى القضـاء جنـاية
على العـدل والقـانون فى مصر أبتـر
وللدين صـندوق عليـه حراسـة
وللرى تفتيش عـلى المـاء يحجـر(٣)
وللأمـن والشرطات والمـال فتيـة
لتركيـز الاستعمار فى القطـر شـمروا

**

وعاد الشاعر أدراجه الى مصر ، حيث التحق بمدرسة « المعلمين العامة » بالزقازيق ، وفيها تخرج مدرسـا ، وعمـل فى مدارس السويس الابتدائية ، حيث يقيم والده وأسرته عام ١٩١٦ وبقى فى هذه المدارس حوالى أربـع سنوات ، كان خلالها يتصل بكثير من رجـال الصحف والأدباء والشعراء ، حتى أصبح موضع ثقـة الدكتور (يعقوب صروف) ، فعينه وكيلا وكاتبا

---

(١) ديوان فضل ص ٥٩ ، ٦٠ .
(٢) انظر مقدمة قصيدة السودان فى عدسـة المصور بديوانه ص ٨٩ .
(٣) من قصـائد الديوان .

محمد فضل إسماعيل

للمقطم بالسويس .

**

وفى النهاية ، رأى الشاعر أن يستقل بنفسه فأصدر جريدة الثغر الشرقى بالسويس وصدر العدد الأول منها فى يوم الأحد ١٦ محرم سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٤ م وكان مقرها « بسراى دائرة المرحوم جليدان » بشارع المحافظة بالسويس ، وبصدر العدد مقدمة ، قال فيها مخاطبا الوطن :

« أقف اليوم أمام جلالك ، أتغنى على دوحة مجدك الرائع » .

« أتقدم اليك بهذا القلم الذى أحمله بين أناملى ، فلست أملك سواه من حطام الدنيا ، هذا القلم الذى عرفت اخلاصه من قبل ، سيظل كذلك حتى الموت ، مداده الصدق ، وصريره الحق » .

وقد التزم الشاعر بعهده الذى قطعه على نفسه ، فلم يتوان عن أن يكون جزءا لايتجزأ من ثورة ١٩١٩ ، منذ اليوم الأول الذى نادى فيه (سعد زغلول) بالجلاء ، الى اليوم الأخير الذى قال فيه سعد : « أنا انتهيت » وهو يوم احتضاره .

ومن الطريف أن الشاعر نشر بالعدد الثانى من (الثغر الشرقى) الصادر فى ١٩٢٤/٨/٢٤ الاعلان التالى :

(ديوان فضل تحت الطبع)

وكتب يقول :

« قد شرعنا بعونه تعالى فى طبع الجزء الأول من ديواننا ، حافلا بجميع القصائد والأبيات التى نشرت لنا على صفحات الجرائد والمجلات ، منذ عشر سنوات . وبما أننا قد فقدنا كثيرا من القصائد السياسية المهمة ، فنرجو كل من يعثر على قصيدة لنا أن يتكرم بارسالها لادارة جريدة (الثغر الشرقى) وسنرسل له نسخة من الديوان ، بعد طبعه ، مجانا » .

وقد مضى على نشر هذا الاعلان أكثر من نصف قرن من الزمان ، لم يقم الشاعر خلالها بنشر أى ديوان ، ولم يرشد أحد الى المصادر التى يمكنه الرجوع اليها لتجميع شعره ، تطيرا من أن ذلك قد يكون نذيرا بوشك وفاته ! ..

وعلى ذلك فقد عانينا الأمرين فى البحث بدوريات دار الكتب وغيرها ، حتى أمكننا العثور على بعض القصائد والأبيات اتفاقا ، بعد تصفح آلاف الصفحات الأدبية ، بجرائد ومجلات :

الأهرام ، والمحروسة ، ومصر ، ووادى النيل ، والبلاغ ، والبلاغ الأسبوعى ، وكوكب الشرق ، والشبان المسلمين ، والأهالى..الخ) منذ عام ١٩١٤ ، حتى أوائل الخمسينيات ، حيث استقر الشاعر نهائيا بين ظهرانينا بالسويس عند بلوغه السن القانونية فى نوفمبر عام ١٩٥٨ وبعد ذلك كنت أحصل منه على أصول ومسودات قصائده التى دبجها ببراعة فى شتى الأغراض ، تمهيدا لاصدار ديوانه ، الذى أخذت على عاتقى أمر تجميعه ، كما تقدم .

**

وحين اشتدت وطأة الشاعر على الاستعمار ورجاله الذين كانوا يتولون بعض الوظائف

العامة الهامة فى الدولة ، فى ذلك الحين ، بنقداته اللاذعة بـ (الثغر الشرقى) ، قامت السلطات باغلاق صحيفته،واعتقاله وتضييق الخناق عليه فعاد مرة أخرى يزاول مهنة التدريس ، ومكث بها اثنتين وأربعين سنة ، تنقل فيها بين معاهد التعليم المختلفة ، وقضى الشطر الأكبر منها فى مدارس التعليم الحر (الأهلى والشبيه بالحكومى) ، كمدارس جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية ، الى أن نقل الى ديوان الوزارة عام ١٩٤٥ مفتشا للأناشيد بمناطق الوجه البحرى والاسكندرية ، وحين بلغ سن التقاعد قال :

يقولون : المعاش نذير موت
فقلت جهلتمو معنى المعاش
فان الموت يلقى كل حى
كما يلقى ابن آدم وهو ماش
أموت على المكاتب كل يوم
فكيف اليوم أفزع من فراش
كسبت لقيمتى ستين عاما
كما كسبت لقيمتها «المواشى» !
وداعا يا وظيفة ، حيث انى
خرجت من الممات الى .. المعاش(١)

**

الا أن الشاعر رحمه الله ، كان متفائلا أكثر من اللازم ، فلم يعتمد له (معاش) من الدولة كما تخيل ، اذ لم تحتسب له مدة خدمته بالتعليم الحر ، واقتصر الأمر على صرف مكافأة له عن مدة خدمته (الرسمية) بالحكومة، وبعد أن (تبخرت) هذه المكافأة الضئيلة فى مدة وجيزة ، فى أوجه خير يطول شرحها ، فزع الى نقابة المهن التعليمية بالاسكندرية ، التى كان عضوا بها ، فقررت صرف معاش شهرى له ، قدره أربعة جنيهات فقط لاغير فقال ساخرا ، بمرارة وألم :

أمثلى يعيش على .. أربع ؟!
وما سرت يوما على حافر ؟!
وان كان ذاك .. فمن أين لى
دوانق تدفع للتاجر

الى أن يمس شغاف القلوب ، بقوله مجهشا :

ثيابى اهابى ، وزادى الطوى
أليس لذلك من آخر
ولا بيت آوى الى عقره
لدى الحر .. أو يومنا الماطر

ولما لم يجد أية استجابة لزيادة هذا المعاش، لجأ الى مخاطبة السيد/عبد الرحمن أبو العينين وكيل وزارة الخزانة لشئون المعاشات قائلا :

أبا العينين يا أمل الضعيف
ورب المبدأ العالى الشريف
كأنك (يوسف الصديق) .. يحيى
(عجاف الدهر) .. بالحل اللطيف

وعلى أثر ذلك صدر قرار جمهورى ، بصرف معاش استثنائى له ، قدره خمسة جنيهات .

ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد أن شاعرنا سبق أن ظفر قبل خروجه الى المعاش برعاية الدكتور طه حسين وتقديره ، وكان ذلك عام ١٩٥٠ م أثناء توليه وزارة المعارف العمومية وقد لمس مافيه شاعرنا من غبن شديد ، فاستصدر قرارا من مجلس الوزراء بترقية الشاعر درجتين استثنائيتين (من السادسة الى الرابعة) ، غير أن فرحة شاعرنا لم تتم ، اذ

---

(١) ديوان فضل ص ٦ .

محمد فضل إسماعيل

عمدت الوزارة التى تولت الحكم قبل قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م الى الغاء قرار ترقية الشاعر ، فعاد الى قواعده ، بالدرجة السادسة !

وقد سردت كافة ما تقدم للدكتور طه حسين رحمه الله ، لتجديد عهده وذكرياته عن الشاعر ، حينما سعدت بمقابلته بسكناه بفيلا (رامتان) بالجيزة مرتين ، فلم ينكر شيئا مما ذكرته عن واقعة ترقية الشاعر الاستثنائية كما رواها الشاعر لى قبل وفاته ، واكتفى بالابتسام ..

كذلك كان (طه حسين) قد وافق على كتابة مقدمة لديوان فضل ، تحقيقا لرغبة الشاعر الراحل ، الا أن ظروفه الصحية ، لم تمكنه من املاء المقدمة .

وقد ظل الشاعر وفيا للسويس بعد العدوان حتى الرمق الأخير ، ومكث بها ، رغم شيخوخة السبعينيات ، لمدة عام ، يسهم بقصائده النارية فى اذكاء الشعور الوطنى ، فى مرحلتى الصمود والردع ، بروح فتية لاتعرف الكلل . ومن شعره فى هذه المرحلة قوله بمطلع احدى القصائد :

يالسانك العربى لاتتكلم
بل بالمدافع ، للأمام تقدم

**

وكان يضمر للاسكندرية عشقا مبرحا ، ويذكرها فى كثير من قصائده بشغف شديد ، يثيره فراقه لها ، مرغما ، للاقامة لدى من يعطفون عليه من ذوى قرباه بالقاهرة ، بعد احالته الى المعاش ، وبعد أن صفرت يده من النقود .. فيقول فى نجواها :

اسكندرية مانسيت هواك
هيهات ينسى شاعر ذكراك
علمتنى لغة الهوى فنظمتها
من مهجتى .. لأنال حسن رضاك
ونثرت فيك على الشواطىء أدمعى
يوم الرحيل وما احتملت نواك
لو أن رب الناس صور جنة
فى هذه الدنيا ، فليس سواك (١)

**

وقد كان فضل اسماعيل واحد الآحاد فى فن القاء الشعر ، فى العصر الحديث بلا منازع ، لأن حنجرته القوية ، وتمكنه من طبقات صوته ، وبراعته فى الالقاء والايحاء والايماء ، وتمثيل المعانى بالاشارات والانفعالات التى تتبدى بوجهه وحركاته ، المصاحبة لعلو الصوت وانخفاضه وتوسطه ، لأداء المعانى بدقة وايضاح ، كل هذا كان يجعل الجمهور الغفير يحتشد بالحفل الذى يعلم أن فضلا سوف ينشد فيه احدى قصائده ، ولاتكف الأكف فيه عن التصفيق له ، بين الأبيات والوقفات والفقرات مستزيدة مستجيدة مستعيدة .

---

(١) ص ٣١٦ بالديوان .

وفى قصيدة له ذكر فيها طفلا مشردا فى ليلة من ليالى الزمهرير بالاسكندرية ثم التفت الى نفسه قائلا :

أتـدرى كيف قابلنى الشـتاء
وكيف تكون فيـه القرفصـاء
وكيف البـرد يفعـل بالثنـايا
اذا اصطكت ٠٠ وجاوبها الفضـاء
وكيف نبيت فيـه علـى فـراش
يجور عليـه فى الليـل الغطـاء
لقد وافـى ٠٠ وقابلنى بوجـه
كوجـه النـذل ، فارقه الحيـاء !
فان حـل الشـتاء فأدفئـونى
فان الشـيخ آفتـه الشـتاء ٠٠

**

ونلمس مسغبة الشاعر وما تعرض له فى هذه المرحلة المتقدمة من حياته من عوز ، فى قـوله مخاطبا (أمه) فى يوم ذكراها :

يا طالمـا قلت ان الشـعر مذبحـة
تودى بصاحبـه من غير سـكين
والشعر يا أم أغـلى ما احتفظت به
ان عشت أو مت ٠٠ فهو الدمع يبكينى
تركتنى لصروف الدهـر فاهتصرت
عودى ٠٠ وحسـبك أيـامى تربينى
خرجت من ظلمـات البطـن ملتمسا
نـورا ٠٠ فكان ظلاما ما يغشـينى

**

ويبلغ قمة تأثره ، حين يقـول :

ولا سـبيل لدنيـا الناس أطـرقه
فمن الى قبرك المجهول يهدينى ؟!(١)

ويندم على عهد (ظلمات البطن) ، فيقـول من قصيدة أخرى :

قد كنت فى ظلمـات البطن مضطجعا
فى مأمن لاأرى خوفا ولا فزعـا
حتى خرجت الى الدنيا ٠٠ فأدركنى
هم بكيت له فى حينه تبعـا

ثم يقول متحسرا :

هل من رسـول الى أمى ، يبلغهـا
أن البناء الذى شادت قد انصـدعا

ويعنى بالبنـاء ٠٠ نفسـه ، وكان فى وهن الشيخوخة التى أحنت عوده ، وكفت بصره أو كادت ٠٠ وكما يصـور هو هيئتـه فى البيتين التاليين ، أنه أصبح :

شـيخا أضر بـه صيف ، وأسـلمه
برد الشـتاء الى ركن به قبعـا (٢)

سـبعون عاما بـه مرت فمـا تركت
من المحاسن الا ٠٠ منظرا بشعا ! (٣)

**

---

(١) ديوان فضل ص ٢٣٥
(٢) ديوان فضل ص ٢٣٩ .
(٣) ديوان فضل ص ٣٢١ .

محمد فضل إسماعيل

وكان آخر ما نظم فضل ، وقد حضرته الوفاة بدار رعاية الشيوخ بالاسكندرية ، التى حمل اليها على أعناق بعض فاعلى الخير ، بعد أن التقطوه من الطريق العام ، منكسرا متضعضعا ، لايجد العلاج والدواء ·· وقضى نحبه فيها متأثرا بالجرح الغائر بسلسلته الفقرية ، على أثر تعثره أثناء صعوده سلم الفندق الذى كان يقيم به ·· كان آخر ما قاله ، تلك الأبيات عن الموت :

قرأت كتاب الموت من عهد آدم
الى يومنا هذا ·· ولما أتمم
وعودت نفسى ، أن قرأت صحيفة
أو احتجت فى بحثى لسفر ومعجم

**

قرأت الى أن يفرغ الصبر كله
وطالعت حتى كل حرف مطلسم
فأعرف ما ترمى اليه سطوره
وأخرج بالمغزى على خير مغنم
ولكن سفر الموت خيب فطنتى
وضيع آمالى ·· فلم أتفهم

**

الى أن يقول بختام القصيدة :

تحيرت يارباه فى الأمر ·· انى
أمام جلال الموت قد جئت أرتمى

فسبحانك اللهم أنت خلقتنا
من الطين فى لحم على بعض أعظم

**

نروح ونغدو فى الحياة ·· فان دنت
يد الموت ، لم ننبس ، ولم نتكلم
وعدنا ــ كما كنا ــ ترابا ·· مهادنا
صخور ·· وفى ضيق من القبر مظلم

**

ولم يبق للدنيا سوى ذكرياتنا
اذا ما فقدنا ·· صورة اللحم والدم

يرحمه الله ·

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد البنا "بك"

الشيخ محمد البنا بك

١٨٩٧ م – ١٩٦٩ م

من أعلام الأزهر الذين مارسوا عملهم العلمى فى ميدانه الأصيل هدى للناس وتعليما لطلبة العلم فى دراساتهم العليا ، حيث تلقوا – على يديه – محاضراته فى « السياسة الشرعية » فنما هذا الفرع على يديه حتى صار أصلا بأقسام التخصص بكلية « الشريعة والقانون » جامعة الأزهر .

ثم مارس عمله الجليل بالسلك السياسى فى أكثر من قطر من أقطار أوربا ، فزاد مصر جلالا ووقارا ، وترك آثار دينه تشهد بجلال « قومية هذا الدين » بأكثر من بلاط فى أوربا انحنى تقديرا لهذا الدين الذى لمسه فى رجل تمسك به عن ثقة ومارسه عن ايمان .

ولقد يكون لذلك ضريبته لكنها ضريبة تهون أمام الدين وكرامته مادامت حوزته لم تمس ، وكيانه فوق الرءوس .

ذلك هو صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى فرج البنا (بك) أحد اخوة أربعة نشأوا يريدون لمصر كرامة الاستقلال والخلاص من التبعية فأغضبوا جبهتى الحكم فى مصر : الملك والانجليز .

ولم يكن أمام الاخوة الأربعة الا الاستمرار فى الكفاح حتى بعد أن صدر الحكم باعدام أخيهم محمد الشافعى البنا متهما بقتل جندى انجليزى ... ولم تكن حيثيات الحكم منطقية، ولم يكن القانون عصيا على الشيخ محمد البنا فسعى من أجل أخيه حتى التقى بمسئول كبير فى انجلترا وعرض عليه الامر بحججه ، فلم تملك انجلترا الا تخفيف الحكم على أخيه بسجن مؤبد قضى معظم سنواته حتى أفرج عنه وعين عقب الافراج عنه نائبا لمدير الاذاعة، وعاد الشيخ الى مصر ، وفى يقينه أنه غير ملوم لسعيه من أجل أخيه . وفى الحق ان الأزهريين الذين عملوا بالسلك السياسى استطاعوا أن يقدموا مصر على خير ذخيرتها فى أكثر من بلاط فى أوربا قدرهم أعظم تقدير لما لمسوه فيهم من قومية هذا الدين والاعتزاز به .

للأستاذ محمد كامل البنا

وبعودة الشيخ الى مصر تلقفته وظائف عدة حرص خلالها أن يتلقاها طبيعية ، ويمارسها طبيعية ، ويبقى بهـا ما بقيت طبيعية ، فلم يغامر الشيخ ـ رحمه الله ـ فى اقرار « نسب شريف » لأحد الرجال ، ولم يرض أن يطعن وفاءه لشخص عزيز كريمة يده عنـده ، ولم يقبل آن يؤلف كتابا وينحنى عن مساره العلمى وبعد :

فمجلة الأزهر تترك لشقيقه الاستاذ محمد كامل البنا تقديم أخيه : الشيخ محمد مصطفى فرج البنا (بك) .

فى أواخر القرن التاسـع عشر وقبـل ان يقبل على الكون قرن جديد ، وفى قـرية من قرى مركز منوف التابع لمديرية المنوفية ، فى تلك القرية (شبرا زنجى) ولد للشيخ العالم مصطفى البنا وليـد ابيض الوجـه ، أخضر العينين فأسماه (محمدا) على عادته التى تعودها . وهى أن يسمى كل مولود ذكر يولد له باسم محمد تيمنا باسم أفضل الخلق سيد المرسلين محمد بن عبـد الله عليـه أفضـل الصلوات وأتم التسليم .

امتاز ذلك الوليد عن أخيه الذى ولـد قبله وسمى محمدا بأن لقبـه أبوه « بالصـغير » حتى يكـون ثمت فـرق بين الوليـدين وكبر الصغير وترعرع فى أحضان أسرتـه . ثم لم يكد يشب عن الطوق حتى أدخله أبوه مدرسة الزامية فى البلد ليحفظ القرآن ويتعلم بعض مبادىء العلوم .

ولم تكد تمضى سنوات تسـع حتى حفظ الغلام القرآن الكريم وتعلم مبادىء الحساب وبعض تعاليم الدين الحنيف .. وعـرف بين أقرانه ولداته بأنه ذكى قوى الحـافظة ، منظم العقل والفكر ، قليـل الكـلام ، كثير الصمت والنظر الى ما أمامه من فضاء ..

الشيخ محمد البنا "بك"

ذهب والده ذات يوم الى المدرسة فسره أن قال له معلم ولده أن مخايل النجابة وصفاء الذهن وسعة الأفق تبدو عليه ..

وأدخله والده مع بعض أبناء القرية الأزهر الشريف ، وما كاد يمضى عامين حتى عقد امتحان للطلبة لاختيار من يتفوق منهم لمنحه مكافأة . فكان أصغر الطلبة الذين تقدموا للامتحان ولكنه تفوق عليهم أجمعين وتصدر قائمة الناجحين من أبناء قريته وغيرهم وقررت له مكافاءة مستديمة كانت بعض خبز (الجراية) ومبلغا من المال .

وما أن أتم فى الأزهر أربع سنين حتى تقدم مع عديد من الطلبة للامتحان الذى عقد لدخول مدرسة القضاء الشرعى ورآه ناظر المدرسة (محمد عاطف بركات) نحيلا صغيرا بين أقران يكبرونه سنا وجسما فسأله عن عمره فأجاب أحد عشر عاما فسكت ولم يتكلم وظهرت

نتيجة امتحان القبول للمدرسة فكان ابن الأحد عشر ربيعا أول الناجحين على جميع المتقدمين .. والتحق بالمدرسة وكانت تعقد

امتحانا كل ثلاثة أشهر تمنح فيه مبلغا من المال تشجيعا لأوائل الطلبة .. فظل طيلة

دراسته يحافظ على أولية الفصل وأولية امتحان النقل من سنة الى أخرى ... حتى

تخرج فى عام ١٩٢١ وكان الأول بتفوق كبير .

تعيينه مدرسا بالمدرسة

وطلبت وزارة الحقانية (العدل) من ناظر المدرسة (على الكيلانى بك) الموافقة على تعيينه قاضيا بالمحاكم الشرعية ولكنه عارض وقال : انى متمسك بتعيينه مدرسا فى المدرسة التى نشأ فيها وترعرع . وكان أن صدر قرار بتعيينه ، ومن المصادفات أن عهد اليه بالتدريس لطلبة السنة النهائية . وكان منهم بعض زملائه الذين أعادوا السنة لرسوبهم فى امتحان الدور الأول .

بين الملك وشيخ الأزهر

كان الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخا للأزهر وفى الوقت ذاته رئيس لجنة امتحان طلبة السنة النهائية بمدرسة القضاء ، وعقب ظهور نتيجة الامتحان قابل الشيخ أبو الفضل الملك فؤاد ودار الحديث بينهما عن امتحان القضاء الشرعى .. فقال شيخ الأزهر : لقد عرض على فى أثناء امتحان طلبة الشهادة النهائية طالب كان عجبا فى ذكائه وسعة اطلاعه ودقته فى الأجوبة على الاسئلة التى توجه اليه واضطرت اللجنة أن تعطيه أعلى الدرجات فى جميع العلوم التى امتحن فيها . وسأل الملك عن اسم هذا الطالب ولم يكد شيخ الأزهر ينطق باسمه حتى أظهر الملك عجبه وسأل ما صلة هذا الطالب بالشيخ البنا الكبير قال انه حفيده . وسكت الملك لأنه كان لا يحب الأسرة ولا عميدها (١) .. ولكن هذا الحادث كان له أثر فى حياة الطالب العلمية والوظيفية كما سيأتى .

تعيينه اماما للسفارة المصرية بباريس

ظل الشيخ يدرس فى مدرسة القضاء حتى عام ١٩٢٣ وصدر تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ يعلن رفع الحماية عن مصر ومنحها الدستور وتبادل التمثيل السياسى بين بعض الدول الكبرى واختير الاستاذ البنا اماما للسفارة المصرية فى فرنسا ولاختياره قصة طريفة تلك أن الملك فؤاد حينما أرادوا تعيين سفراء ووزراء مفوضين لمصر فى بعض العواصم الأوربية رأى أن يكون فى كل سفارة رجل من رجال الدين يسمى اماما وملحقا دينيا ورشحت وزارة الحقانية عددا من رجال الدين ليختار منهم من يريد ولكنه فجأة قال لهم لقد حدثنى شيخ الأزهر عن طالب امتحنه وكان شديد الاعجاب به لقبه « البنا » فقيل له أنه مدرس فى مدرسة القضاء فطلب أن يقابله .

كان الوقت صيفا وكان الأستاذ يقضى أجازته فى بلده فجاءه خطاب من القصر الملكى يحدد له موعدا للتشرف بمقابلة جلالة الملك فحضر الى القاهرة وهو لا يعلم شيئا عما يسمونه (البروتكول) لكن موظفى القصر أخذوا يلقون عليه التعليمات فلم يأبه بشىء منها ودخل على الملك فسلم عليه ولم يقبل يده كما نصحوه وجلس فقدم اليه الخادم قهوة فى فنجان من ذهب فاعتذر ولم يأخذه فأشار الملك الى الخادم اشارة فعاد بقهوة فى « فنجان » غير ذهب فأخذه وتناوله وعندئذ قال له الملك : أنا ممنون منك كثيرا لأنك رفضت أن تشرب القهوة فى فنجان ذهبى ولأجل هذا سأعينك اماما للسفارة المصرية فى باريس مع الأميرة فوقية وزوجها محمود فخرى وآمل أن تحافظ على سمعة مصر وأن تشرفها فقال : أرجو أن أكون عند حسن ظن جلالتك.

بين فرنسا وبلجيكا

وكانت السفارة المصرية فى باريس قد أضيف اليها عمل سفارة مصر فى بلجيكا وقصد السفير ومعه موظفو السفارة لتقديم أوراق الاعتماد للملك « البرت ملك بلجيكا » وكان ذلك فى شهر رمضان وجاء ترتيب الجلوس : السفير المصرى الى جوار الملك والامام الدينى الى جوار الملكة وقدم الشاى والحلوى للحاضرين فاعتذر الاستاذ البنا عن تناول شىء لأنه صائم ، وعد هذا التصرف فى البلاط الملكى خروجا على التقاليد اذ كيف يعتذر موظف رسمى فى حفل رسمى عن تناول الشاى والحلوى .. وكانت أزمة .

استدعاؤه من فرنسا

حينما ذهب سعد زغلول لمفاوضة (مكدونالد) رئيس الوزارة البريطانية مر على باريس واستقبل استقبالا رسميا من السفارة المصرية وعند وصوله سأل السفير : أين الأستاذ البنا ؟ فقدمه له فحدثه طويلا عن مهمته ثم عرج على ذكر أخويه المسجونين السياسيين (محمد الشافعى البنا ، محمد كامل البنا) وقال له : انى مصمم على الافراج عنهما رغم معارضة الانجليز فاطمئن وقر بالا ، وشكر الشيخ لسعد صنيعه ولكن هذه المقابلة أغضبت القصر الملكى فلم تكد وزارة

سعد تستقبل على أثر مقتل «السير لى ستاك» سردار الجيش المصرى ويبدأ أعضاء الهيئة الوفدية يستقيلون منها • حتى استدعى البنا على وجه السرعة منقولا الى وزارة «الحقانية» قاضيا فى الريف وعين سعد اللبان مكانه ومن العجيب أن سفير مصر « محمود فخرى » كان كلما عرضت عليه مسألة دينية يتصل بالأستاذ البنا ليفتى له فيها ، فأرسل اليه — فى مصر — يستفتيه فى أمير حضرته الوفاة وأراد أن يوصى ، كان الامير قد أرسل الى سفارة مصر بباريس يطلب اليها أن ترسل اليه مندوبا يستمع لوصيته ، الى غير ذلك من الشئون •

انتدابه للتدريس فى كليات الأزهر

ظل الشيخ محمد البنا قاضيا فى المحاكم ينتقل من بلد الى بلد لا يستقر له قرار حتى أنشئت كليات الأزهر • وكان له دور كبير فى تعيين الشيخ المراغى شيخا للأزهر فى عام ١٩٢٨ اذ ساهم هو وبعض العلماء كالشيخ شلتوت وعبد اللطيف دراز وعبد الجليل عيسى وسليمان نوار وغيرهم فى اسداء النصح لرئيس الحكومة اذ ذاك على أن يصر على تعيين المراغى شيخا للأزهر وكان الملك فؤاد شديد المعارضة فى هذا الأمر وقد رفضه أكثر من مرة ••

ولما أنشئت كلية الشريعة انتدب للتدريس بها — وكان قاضيا فى محكمة الزقازيق — وكانت المادة التى اختير للتدريس بها جديدة على الطلبة ، تلك هى مادة (السياسة الشرعية) •

أول مؤلف عصرى

أخذ يلقى على الطلبة محاضرات فى تلك المادة الجديدة حتى اذا انتهى العام الدراسى وتجمعت عدة محاضرات تناولت هذا العلم وتعرضت لأول مؤلف فيه وهو الامام ابن تيمية •• جمع تلك المحاضرات القيمة فى كتاب سماه (السياسة الشرعية) ووزعه على الطلبة وظل يتوسع ويضيف اليه جديدا كل عام حتى صار مؤلفا له قيمته وله وزنه • وكان أول مرجع يرجع اليه الأساتذة والطلاب فى كليات الأزهر • واقتبس منه كثير من أساتذة الأزهر ولكيانه ونسجوا على منواله اذا ألفوا فى هذه المادة •

الوظائف التى تقلدها

فى عام ١٩٣٦ أنشئت فى مجلس الوزراء ادارة باسم الشئون الدينية ، فصدر قرار من رئيس الوزراء بنقل الأستاذ البنا اليها لينظمها ويديرها فأخذ يعمل جاهدا حتى جعلها ادارة كبيرة تنظر فى المسائل الدينية التى تتصل من قريب أو من بعيد بالوزارة سواء أكانت اسلامية أم مسيحية أم يهودية وأخذت الأوامر والتعيينات فى جميع الشئون الدينية فى الوزارات والهيئات على اختلافها تصدر عن تلك الهيئة ، وغدت همزة الوصل بين الحكومة وبين الجهات الدينية على اختلافها • ولاول مرة فى تاريخ مصر يعرف الناس أن

لها ادارة دينية كبرى يرجع اليهـا فى تعيين الموظفين والرؤساء الدينيين وصبغ الحكومة المدنية بالصبغة الدينية ، ولأول مرة فى تاريخ مصر تقام حفلات فى المناسبات الدينية الكبرى كرأس السنة الهجرية والمولد النبوى الشريف وغير ذلك .

اول عمل ايجابى

على أثر انشاء الادارة الدينية وقع خـلاف حاد بين المملكة السعودية والحكومة المصرية نشأ عن ارسال المحمل والكسـوة الشريفـة الى الكعبة . وكانت العادة قد جرت أن يحتفل بالمحمل احتفالا رسميا ثم تسافر بعثة مـع الكسوة والمحمل الى السـعودية ويعيـدون الاحتفال ، ورأى الملك عبد العزيز آل سعود ــ رحمه الله ــ ان هذه البـدعة لا يمكن أن يوافق عليها وتمسـكت الحـكومة المصريـة برأيها فى الاحتفـال واحتـدمت الأزمة بين الحكومتين وتدخل بعض الوسطاء وانتهـوا الى تأليف لجنة مصرية سعودية لتبحث الامر وتحاول التوفيق بين الرأيين المتناقضـين . وألفت اللجنة المصرية من عبد الحميد بدوى كبير مستشارى مصر ورئيس أقلام قضـايا الحكومة ومعه بعض المستشارين ومحمد البنا ممثلا للادارة الدينية ولما طرحت المسـألة تمسكت كل جهة برأيها وأصرت على موقعهـا وكادت الاجتماعات تنتهى دون نتيجة ، فمصر تريد للمحمل والكسوة أن يذهب الى السعودية بالطبول والموسيقى والسـعودية تأبى هـذا وتوقفت المفاوضات وهنا تقدم الشيخ محمد البنا باقتراح حل الأزمة وأرضى الأطـراف جميعا ذلك أن مصر تريد أن تحتفل بالمحمـل والكسوة فلنحتفل بها فى بلدنا وعلى أرضنا وفى البواخر التى تحملها الى ميناء جده حتى اذا وصلوا الى المملكة السعودية نزل القـوم بالكسوة وحدها وبقى عـازفو الموسـيقى والأناشيد فى البواخر حتى انتهاء الموسـم ونكون بذلك قد كسونا الكعبة كعادتنا واحتفلنا بالمحمل حسب تقاليدنا » . ووافـق الجميـع على هذا الاقتـراح وانحلت الأزمـة وبعث الملك عبد العزيز آل سعود يشـكر الحـكومة المصرية على هذا الحل الموفق وبعث برسول خاص قابل الأستاذ البنا يحمل رسالة تقدير وشكر من العاهل السعودى اليه .

فصله ثم اعادته الى المحاكم

وفى أول عام ١٩٣٨ أصـدرت الحـكومة المصرية أمرا بالغاء الادارة الدينيـة واحـالة مديرها الى المعاش وفعلا جمع المدير أوراقه ولزم داره ولكن وزير الحقانية اذ ذاك (احمد زكى ابو السعود) قال لرئيس الحكومة : انى أريد نقل الاستاذ البناء الى القضاء كما كان لأنه من أكفأ وأنزه من عرفت من رجال القانون فضلا عن أنه يجمع بين الثقـافتين الدينيـة والأجنبية مع سعة فى الأفق وحسـن تصرف وفعلا أعيد الى وزارة الحقانية قاضـيا ولكن الحكومة ظلت تطارده مرة أخرى وتنقلـه من بلد الى بلد وأخيرا اختير مفتشا بالـوزارة . وظل بها الى عام ١٩٤٢ وهو طيلة هذه المدة لم ينقطع عن التدريس لطلبة كلية الشريعـة فى مادته التى تخصص فيها ولم يكن ألف فى هذه المادة مؤلفات الا عدد يسير من الأساتذة نذكر منهم الشيخ عبد الوهاب خلاف والشيخ

السايس ..

وفى عام ١٩٤٢ عين مرة أخرى مديرا عاما لادارة الشئون الدينية برياسة مجلس الوزراء . وفى هذه المرة جدد فى تلك الادارة وابتكر ووضع تقاليد ظلت تنفذ الى أوائل الخمسينيات .

من تلك التقاليد :

احياء المناسبات الدينية

كانت الحكومة المصرية لا تعطى المناسبات الدينية كالعام الهجرى ومولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وغير ذلك اهتماما ولا تحس البلاد الا بالاجازة الرسمية . ولكن الشيخ البنا تقدم لمجلس الوزراء بمذكرة يطلب فيها أن تحتفل الحكومة رسميا ببدء العام الهجرى وأن تحيى ذكرى مولد سيد الخلق عليه أفضل الصلاة وأتم السلام بما يليق بها من جلال وكمال واقتراح أن تقام فى كل مناسبة من تلك المناسبات حفلة رسمية فى قصر الزعفران تحت رياسة رئيس مجلس الوزراء يدعى اليها رجال السفارات الاسلامية والعربية ورجال الدين والهيئات والطبقات المختلفة وأن يلقى رئيس الحكومة خطابا مناسبا يشرح فيه الغرض من الاحتفال حتى يعلم الناس عن الاسلام ما لم يعلموا ويعرفوا عن خير المرسلين عليه الصلاة والسلام ما لم يعرفوا وأن تذاع تلك الحفلات على جميع البلاد الاسلامية ، وكذلك يقام حفلان دينيان فى المسجد الحسينى يتلى فى أحدهما كتاب الله الكريم من أشهر القارئين ، وفى الثانية قصة العام الهجرى أو المولد النبوى حسب المقام ... الخ .

يضاف الى هذا كله أن ترصد الحكومة مبلغا كبيرا من المال يوزع فى العام الهجرى على المحتاجين والمعوزين وفى المولد النبوى الشريف على الأيتام الفقراء بمناسبة ميلاد أفضل يتيم ظهر على وجه البسيطة .. ووافقت الحكومة على هذه المذكرة ونفذتها فعلا بجميع (بنودها) وجعلتها تقليدا ظل معمولا به لفترة طويلة .

اتهام واعتذار

فى عام ١٩٥١ قررت الحكومة رصد خمسين ألف جنيه بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف لتوزع على الاطفال اليتامى وتألفت لجنة برياسة وكيل وزارة الشئون الدينية والأستاذ البنا وعضوية مفتى الديار المصرية والمدير المالى لمحافظة القاهرة الاستاذ عبد العزيز على ، الذى عين فيما بعد وزيرا للشئون البلدية والقروية فى عهد الثورة .. وكانت مهمة هذه اللجنة أن تضع القواعد والأسس لتوزيع المنحة على الايتام . واتفق على أن لا يصرف لأى أسرة مهما تكن ظروفها أكثر من خمسين جنيها حتى يمكن أن يستفيد أكبر عدد ممكن ووضعت اللجنة شروطا وقيودا وقواعد لتضمن أن يصل ما يقرر الى أصحابه .. وفى اجتماع للجنة عرض عليها

طلب من أرملة تسكن فى بلدة (أبى حمص ، محافظة البحيرة تعول سبعة أطفال صغار ليس لهم من عائل ولا مورد فقررت اللجنة أقصى ما تملك وهو خمسون جنيها ولكن الشيخ (البنا) رأى أن هذا المبلغ ضئيل بالنسبة لحالة تلك الأسرة فأخرج دفتر الشيكات من مكتبه وحرر شيكا بخمسين جنيها أخرى من حسابه الخاص وكلف سكرتير اللجنة بأن يرسل لأم أولئكم الأطفال مائة جنيه وفعل السكرتير وانتهت المسألة لتثار من جديد عند قيام ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ وتولى عبد الناصر الحكم فأمر النائب العام أن يحقق فى هذا الأمر .

وفى هذا المبلغ وأين صرف ؟ وكيف صرف ؟ فألف رئيس الحكومة لجنة برئاسة وكيل الشئون الدينية وقصد رئيس نيابة مصر الى مقابلة الأستاذ البنا — بعد أن بعث برسله وأعوانه الى عدد من الذين صرفت لهم المنحة . وكانت أرملة أبى حمص من اللواتى سئلت عن مقدار ما وصلها من اللجنة فأجابت مائة جنيه فعجب المحقق لأن الكشف الذى تحت يده فيه خمسون فقط فأخذ يعيد عليها ويستجوبها وهى تصر على أنها تسلمت مائة كاملة ..

قصد رئيس النيابة ليحقق مع الأستاذ البنا قبل أن تصله التحريات وكان جوابه أنه لم يصرف أى مبلغ الا برأى اللجنة وبايصال البريد ولكن المحقق ظل يلح ويرمى بتعريضات فيها غمز ولمز .. وفيم هو يحقق ويعيد وصلته التحريات فعجب وأوقف التحقيق واستدعى سكرتير اللجنة ليسأله عن الواقعة التى ذكرتها أرملة أبى حمص فقال له ان رئيس اللجنة ناداه وقال له أن المبلغ الذى قرر لتلك الأرملة لا يكفى وناوله شيكا من حسابه الخاص بخمسين جنيها أخرى وأوصاه أن يرسله اليها وأن يظل هذا سرا لا يعرفه أحد ... هنالك ذهب رئيس النيابة ليعتذر للأستاذ البنا وأعلن (حفظ التحقيق) .

مشيخة الأزهر

كانت حكومة ماقبل الثورة قد رشحت الشيخ البنا أكثر من مرة شيخا للأزهر . فكان فاروق الذى ورث كراهية اسرة البنا عن أبيه شديد المعارضة لهذا الامر ورفض رفضا باتا أن يعينه شيخا للأزهر أو وزيرا للاوقاف وكان قد رشح لهذا المنصب أكثر من مرة . وكانت ألاعيب القصر ورجاله ودسائسهم ضد أسرة البنا موضع حديث الناس ، ولم يكن اسم من أسماء أبناء تلك الأسرة يرسل الى القصر فى تعيين فى منصب أو ترقية الى وظيفة الا اعترض الملك عليه وأعاده الى الحكومة مرفوضا .

موقف دينى أخلاقى

كان الملك فاروق قلبا لا يستقر على حال ، يرضى عن انسان يوما ثم لا يلبث أن يغضب عليه ثم يعود الى الرضا عنه ... وهكذا .

وكانت الحكومة قد رشحت له الشيخ البنا ليكون شيخا للأزهر ، وقضى الله فأصدر القصر مرسوما بتعيين « الشيخ عبد المجيد سليم » شيخا له . ولم يكد يمضى على هذا التعيين وقت قصير حتى غضب الملك ، لأن شيخ الأزهر طعن فى القصر ، وقال كلمته المشهورة : « تقتير هنا وتبذير هناك » .

وغضب الملك وأصر على اقالته ، واحتارت الحكومة ورئيسها ، وأحيل الامر الى وكيل الشئون الدينية فأجاب :

ان هذه سابقة خطيرة ، لم تحصل فى تاريخ الأزهر ، ولا يليق بحال من الاحوال أن يجرى هذا التقليد !!

وحاول - كثير من الوزراء اغراءه بأن هذا المنصب كان لك ، لكنه أصر على رأيه ورأى رئيس الحكومة - فى النهاية أمام مخالفة الوضع للدستور واشتداد الخلاف فيهبين الحكومة والقصر - أن يحتكموا الى رئيس أقلام قضايا الحكومة الأستاذ (محمود حسن) فجمع أعضاء لجنته ومستشاريه ، وانتهوا الى فتوى جديدة هى : (أن الملك هو الذى يعين شيخ الأزهر ، ومن يملك التعيين يملك العزل) فصدر - لأول مرة فى تاريخ الأزهر - أمر ملكى باقالة الشيخ عبد المجيد سليم من مشيخة الأزهر ، وتعيين الشيخ أحمد حمروش مكانه ، ولم يدم ذلك طويلا فقد أعاد الملك الشيخ عبد المجيد الى منصبه بعد أن أشير على الشيخ حمروش بالاستقالة، وكان تعليق الشيخ محمد البنا على ذلك أن تمثل بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اللهم انى أبرأ اليك ممافعل خالد » .

وظل الشيخ البنا يقوم بتدريس مادة « السياسة الشرعية » لطلبة كلية الشريعة حتى عهد شيخه الامام محمد الخضر حسين الذى ظل متمسكا به .

ثم لزم الشيخ بيته وعكف على العبادة والتأليف .

مجلة لواء الاسلام

فى عام ١٩٤٦ أنشا أحمد حمزة مجلة لواء الاسلام ، وكان محمد البنا من أعمدتها والمشتركين فى التحرير فيها من أول أعدادها ظهورا كتب فيها بحوثا علمية وتاريخية وفقهية لاتزال مرجعا يعتمد عليه كثير من الباحثين ويرجعون اليه .

كتب فى سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وشرح شرحا مستفيضا حياته فى مكة والمدينة فى عشرات من المقالات والبحوث كان يكتب سلسلة متصلة لا تنقطع الا حين تأتى مناسبة دينية كشهر رمضان أو العام الهجرى والمولد النبوى والعيد الأصغر والأكبر .. يكتب فى هذه المناسبات كتابه المتمكن الثبت ثم يعود الى مابدأ من سلسلته حتى أتم ذلك فى أواخر أيامه وقبل أن ينتقل الى جوار ربه الكريم ، ويملى على أبنائه نعيه.

ندوة لواء الاسلام من تفكيره

كان كامل البنا الشقيق الاصغر للشيخ البنا رئيسا لتحرير مجلة لواء الاسلام وذات يوم حضر اليه مفتى (الصومال من العاصمة مقديشيو) يسأل عن حكم الشريعة الاسلامية فى أهل مقديشيو الذين يظلهم شهر رمضان فى جو من الحرور غير محتمل وهو فى الوقت نفسه موسم الحصاد فان خرج الناس للحصاد صائمين هلكوا ، وان صاموا ولزموا

بيوتهم خشية الهلاك من الحر ماتوا من الجوع فماذا يصنعون ؟؟ واتصل رئيس التحرير بشقيقه يسأل عن حكم الشرع فى هذا فاقترح عليه أن يدعو عددا من كبار العلماء الذين يكتبون بحوثهم فى المجلة ليبدوا رأيهم فى هذه المسألة الخطيرة حتى لا يتحمل وحده المسئولية أمام الله وأمام المسلمين . وكان أن اجتمع عدد كبير من العلماء والمفكرين فى دار المجلة وقالوا كلمتهم فى هذه الفتوى ورأى الأستاذ البنا أن هذا الاجتماع نجح فقال : لم لا يتكرر الاجتماع كل شهر وتعرض عليه المسائل التى يهم المسلمين معرفتها وحكم الشرع فيها ، وكان أن تقرر اجتماع « ندوة لواء الاسلام » فى الاسبوع الاول من الشهر العربى لبحث المشاكل الكبرى التى تهم المسلمين وكانت تلك الندوة من أنجح أعمال المجلة واشتهرت المجلة بسببها فى جميع البلاد الاسلامية .

مشادة بينه وبين السفير واستقالة

وعادوا الى الفندق فجرت بينه وبين السفير مشادة عنيفة اذ كيف يفعل هذا ولماذا لم يفطر حتى لا يخرق التقاليد ؟ فأجابه فى هدوء ماكنت لأغضب الله ابتغاء مرضاتك أو مرضاة ملك أو ملوك الأرض جميعا ، ولما احتدم النقاش ترك الحجرة وعاد الى حجرته وأرسل للسفير خطاب استقالة ذكر فيه الأسباب فى صراحة وشجاعة وتدخل بعض موظفى السفارة لتلطيف الجو فأصر على رأيه وصمم على أن يعود الى مصر اثر وصوله الى باريس وتكهرب الجو واشتدت الأزمة ، وجاء الحل من السماء بأمر لم يخطر على بال أحد ..

اعتذار ورجاء ومفاجأة

كان قد بقى على موعد الافطار قرابة نصف ساعة واذا بسكرتير السفير يسارع الى حجرة الاستاذ يدعوه لأمر خطير يريده السفير فاعتذر وقال للرسول قل لسيدك ..

انى لن أحضر ، لأنى أحللت نفسى من الوظيفة وسأعود الى مصر . وعاد الرسول ومعه مستشار السفارة والسكرتير الأول يلحون عليه لأن رسولا من قبل الملكة (اليزابيث) ملكة بلجيكا يريد أن يكلمه فى أمر هام وذهب فاذا بكبير الأمناء بالقصر البلجيكى الملكى يقول له ان جلالة الملكة راقها تمسكك بدينك واصرارك على طاعة ربك وقد أعدت افطارا فى القصر الملكى وبعثتنى لأصحبك الى القصر .. وتقدم السفير المصرى معتذرا ومزق خطاب الاستقالة . وذهب الأستاذ الى القصر الملكى وحضر مأدبة الافطار التى أعدت خصيصا له وقدمت اليه الملكة ساعة ذهبية بغطاء وسلسلة تقدر بمئات الجنيهات ولكنه اعتذر عن قبولها لأن الاسلام يحرم على رجاله أن يحملوا الذهب فأبدلت الهدية بطاقم فاخر ليس بذهب مكون من عدة قطع فاخرة فقبله شاكرا .

مشيخة الأزهر مرة أخرى

لما أحيل البنا الى المعاش لزم داره وعكف على العبادة والتأليف وكان أن فقد من

أشقائه : الأكبر منهم محمـد مصطفى وكيل دار الكتب المصرية ، والشافعى البنا نـائب مـدير الاذاعة فأخذنت وفاتهما فى نفسـه ألما وسلم الأمر لربه وانطـوى على نفسـه ومضت ايام فطلب اليه أن يدرس مادة الفقه « لمعهد البحوث العربية » وكان معهدا حديث الانشاء ـ يتبع الجامعة العربية ـ وخصص للطلبـة الوافـدين الى مصر فأخـذ يلقى المحاضرات على الطلبة ثم تدون حتى صارت مؤلفا كبيرا .. وكان اذا تخلف عن المحاضرة لعذر طارىء يحضر الطلبة الى داره فى ضاحية مصر الجديدة ليتلقوا عليه محـاضرة حتى لا

يحرموا من علمه واطلاعه ، ولما تكرر حضور الطلبة اليه كلما غاب كان يتحامل على نفسه ويذهب الى المعهد مهما كان به مـن تعب أو نصب .

وذات يوم طلب اليـه أن يكـون شـيخا للأزهر .على أثر تعيين شيخه (عبد الرحمن تاج) وزيرا فى الوزارة الاتحادية عقب اعلان الوحدة

مع سوريا لكنه اعتذر لظروفه الصحية التى لا تسمح له بأن يباشر مهام منصـب كبير كهذا

فسئل : فمن ترشح ؟ فأجاب : ثمة ثلاثة مـن العلماء هم : محمود شلتوت وحسـن مأمون

وفرج السنهورى . فعين شـلتوت شـيخا للأزهر كما هو معروف .

آثـــاره العلمية

ذكرنا فى بداية هذه الكلمة أن له مؤلفا فى السياسة الشرعية نسج على منواله كثير ممن جاء وابعده وألقوا فى هذه المادة وتحت يـد شقيقه نسخة منه . وله غير ذلك مؤلف اسـمه الكتاب والسنة وهو الذى ألقاه عـلى طلبـة معهد البحوث العربية وقد طبع هذا المؤلف فى كثير من البلاد الاسلامية بواسطة طلبته الذين تخرجوا على يديه . وبهـذه المناسـبة لقـد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء والفقهاء ورجال القانون منهم مـن تولى الافتـاء . وبعض القضاة والمستشارين وأساتذة الكليات الجامعية وكلية الشريعة وأنى قصد الانسان بلـدا من البـلاد العـربية أو الافريقية أو الاسلامية رأى للشيخ تلامذة يحيون ذكـره ويقتفون أثره وينشرون مؤلفاته وعلمـه وله أكثر من مؤلف لم يطبع فى مختلف العلوم أضف الى ذلك أكثر من مائتى بحث نشرتهم مجلة لواء الاسلام على مدى ثلاثين عاما منذ انشائها الى أن انتقل الى جوار ربه الكريم .

أما آثاره فى عضوية اللجـان التى اشترك فيها سواء فى الأزهر أو فى وزارة العدل أو فى رياسة مجلس الوزراء أو فى الاذاعة فهى أجل من أن توصف وأكثر من أن تذكر ولكنا نشير الى أثاره فى لجنة تعديل لائحة المحاكم الشرعية قبل الغائها والجهـد الذى بذلـه حتى ظهر قانون «الوصية الواجبة» و «الطلاق المعلق » « والطلاق الثلاث بلفظ واحد » والتقـارير الخاصـة بتنظيم الشـئون الـدينة ومجلس الأزهر الاعلى وغير ذلك مما امتلأت به مكتبته

التى لاتزال محفوظة فى داره وهى تشمل مئات بل آلافا من المؤلفات القديمة والحديثة فى شتى العلوم من فقه وأصول وأدب واقتصاد وسياسة وتقريب بين المذاهب الاسلامية وردود على الشبهات التى يوجهها المستشرقون ضد الاسلام •

وفاته وضريحه

فى عام ١٩٦٩ شعر بآلام فى كبده شخصها الأطباء بأنها التهاب فى المثانة أثر على الكبد

فقرروا اجراء جراحة له ـ وانتقل الى « المستشفى اليونانى » وأجريت له الجراحة فنجحت وخرج معافى لكن لم يطل به الأمد

بل عاوده الألم مرة أخرى وعاده الأطباء فقرروا أن الجراحة كانت خاطئة وأنها أضرت به ••• ولزم الفراش مدة من الزمن كانت الآلام فيها مبرحة لاتطاق ولكنه احتملها فى صبر ورضا بقضاء الله • وظل مستيقظ الذهن ، حاضر الفكر الآخر لحظات حياته ويتحدث الذين كانوا الى جواره فى أيامه الأخيرة وقبل أن يلفظ أنفاسه بساعات قليلة ان كريمته الكبرى كانت تقرأ له صحيفة يوميةوهو ينصت اليها ويتتبع ما تقرأ فأخطأت فى اللغة العربية وهى تقرأ فأصلح لها الخطأ ونبهها الى الصواب •

ومضت عدة ساعات فاضت بعدها روحه الى بارئها ، وانتشر خبر الوفاة فى ١٧ من ديسمبر ١٩٦٩ ، وباتت الأسرة تعد العدة لتشييع الجنازة الى مثواها الأخير بمقابر « الخفير » ، وشيعت لبضع خطوات من مسجد عمر مكرم الى أول القصر العينى ، ثم سبق المشيعون الى الضريح وهناك رقد ـ رحمه الله ـ الى جوار الشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا •

محمد كامل البنا

إلى رحمة الله

إمام النحو والصرف

فضيلة الأستاذ الدكتور

محمد عبد الخالق عضيمة

من الذين فتحوا سجل المعارف أمام الباحثين المحققين الذين وسعوا نطاقها وأناروا بها الأذهان ـ أستاذنا الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة كان من الثقات في كل فرع من فروع المعرفة تفتحت فيه خصوبة الفكر على آفاق للحياة رحيبة ـ من الفرسان الذين أمضوا عزيز العمر في ميدان العلم في الأزهر الشريف يشقون عباب بحر عجاج لا يعرف له حد يوقف عنده وحمل قبس علمه الوهاج ونشر لواءه الظليل خارج البلاد ، وازدان به ذلك العصر بجهوده الفذة ويذوب آلامه وتضحياته .

ظهرت كتبه مكتملة الرواء باسقة الأعواد متعددة الأفنان ثم هو مؤلف موسوعى مستنير يجانب الاندفاع وراء الوثبات الفكرية العارمة وما يتبعها من الاجتراء على الأقداس والحرمات والسخر بمأثور التقاليد ، نفسه تواقة متطلعة الى استجلاء الخافى وكشف الغامض بيقظة لا تخدع وثقة لا تنالها عاطفة متعجلة ـ بل معاناة صادقة وكمال استيعاب وعقلية قابلة للتجديد مع التمسك بقيم الماضى الطاهرة عاش للعلم وعاش عليه فلقد أعانت مساعيه الى الاصلاح ونبهت على الجديد فهو عظيم الفواضل غزير المعارف يتبارى الى أبعد الغايات فيحوز بنبوغه قصب السبق ويرجع برفيع الذكر وسابغ اليسر .

نال جائزة الملك فيصل العالمية ولم يكن يسعى ـ رحمه الله ـ وراء الشهرة المستفيضة والصيت الذائع ويؤيد ذلك ما قاله فى خطبته امام الملك فهد حينما نال الجائزة « نحن سدنة العلم وخدمة كتاب الله نؤمن أعمق الايمان بأن

للأستاذ محمود عبد الرازق عقباوى

ما لنا من تقدير وتكريم انما يرجـع الى تكريم الله لنا بفضل وقوفنا فى محراب العلم وملازمتنا له لهذا نعاهد الله عـلى أن نظـل فى محرابنا لا نتحـول عنـه ولا نلتفت يمنـة ولا يسرة ، والحمد لله والشكر لله على أن مـد فى أعمارنا وأطال بقاءنا حتى ظفرنا بهذا التقدير الكريم »•

ومكتبة أستاذنا رحمه الله بمنزلـه بحلوان غاصة وعامرة بأصناف الكتب القيمة والنفائس النادرة وكانت محرابه وزاده يقضى بها معظم أوقاته فيشع بالهدى ويهـدى الى الكتـاب والسنة •

ولد الشيخ رحمه الله ببلدة قطور مركز طنطا محافظة الغربية فى ١٥ من ينـاير سـنة ١٩١٠ وتلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى معهد طنطا الدينى — ثم حصل على اجازة فى علوم اللغـة العربية من كلية اللغة العربيـة جامعـة الأزهر والتحق بالدراسات العليا وتخرج منها بدرجـة امتياز عـام ١٩٤٣ وكان موضـوع رسـالته (أبو العباس المبرد وأثره فى علوم العربية) ثم عين مدرسا بكلية اللغة العربيـة ، وابتعث الى مكة المكرمـة فى أول بعثـة أزهرية الى المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٦ فجاور بيت اللـه الحرام خمس سنوات وكان من ثمرة هذه الفترة أن هداه الله الى البحث فى الدراسات القرآنية فعمل موسوعته « دراسـات لأسـلوب القرآن الكريم » استغرق فى تأليفه خمسا وثلاثين سنة، بدأه عام ١٩٤٧ م وانتهى منـه فى صـيف عام ١٩٨٢(١) ، وهو أستاذ فى جامعـة الامام محمد ابن سعود الاسلامية بالرياض حتى قبيل وفاته فى يناير ١٩٨٤ وقد حاز الأسـتاذ العالم عـلى وسام العلوم والفنون من الدرجـة الأولى من الأزهر الشريف •

له عدة مؤلفات فى مواضيع اللغـة العربيـة أهمها :

١ — دراسات لأسلوب القرآن الكريم — هو عمل ضخم جليل لم يسبق اليه عرفه المؤلف بأنه معجم نحوى صرفى للقرآن الكريم يقع فى أحد عشر مجلدا طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة •

والذى دعاه الى تأليفه عدة أسباب :

يقول الشيخ رحمه الله : « قدمت الى مكة

---

(١) يبدو ان الكاتب نسى شيئا ذا اهمية ، فان قسم النحو من هذا الكتاب صدر مطبوعا فى اوائل السبعينيات وقد حصلنا والحمد للـه .. كاملا ، وفيه وعد من الشيخ ان يعمل قسم الصرف ، فلعل الكاتب يقصد هذا الاخير . على الخطيب .

الى رحمة الله
امام النحو والصرف

المكرمة عام ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٦ م ولم يكن فى ذهنى تخطيط لدراسة ما ، وكنت أقضى معظم الوقت فى بيت الله الحرام حيث ان اعداد الدروس لم يكن يكلفنى وقتا ، لأننا كنا ندرس لطلبة مبتدئين فى النحو فدعوت الله أن يوفقنى الى دراسة لها صلة بالقرآن حتى تناسب هذا المكان المقدس وحتى تكون على صلة بمادتى التى تعبت فى اعدادها وبعد أسبوع واحد خطر ببالى أن أدرس أسلوب الاستثناء فى القرآن الكريم وقلت أن الاستثناء المنقطع فى كتب النحو لا يتجاوز آيتين ومثالا واحدا وهو (قام القوم الا حمارا) وسألت نفسى هل جاء الاستثناء المنقطع فى القرآن قليلا أو كثيرا ؟ هذا أول خاطر خطر ببالى فرجعت الى كتب فهارس ألفاظ القرآن الكريم وعلى رأسها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للمغفور له الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى كما رجعت الى المرشد لآيات القرآن الكريم لمحمد فارس بركات من دمشق والى غيرهما أيضا فلم أجد فى هذه الكتب آيات استثناء (بالا) ووجدت أن هذه الكتب قد أغفلت جميع آيات حروف المعانى — كما أغفلت جمع بعض الأسماء والظروف الكثيرة الذكر مثل اذ واذا فقلت من هنا أبدأ دراستى فأحصيت آيات حروف المعانى وبعض الأسماء التى أغفلت هذه الكتب جمعها فجاء ذلك فى مجلد ضخم هو المجلد الأول .

السبب الثانى : رأيت أن أنتفع بكتب اعراب القرآن وكتب التفسير التى اهتمت بأمر النحو كالبحر المحيط لأبى حيان فلخصت أعاريب البحر المحيط واعراب القرآن للعكبرى ، وحاشية الجمل على الجلالين ورتبت هذه التلخيصات على أبواب النحو فجاء ذلك فى مجلدين كبيرين .

السبب الثالث : ثم قلت ان القرآن ليس مقصورا على رواية حفص بل كل ما تواتر فهو قرآن ، ثم ان القراءات الشاذة يحتج بها فى العربية باتفاق العلماء فاتجهت الى كتب القراءات،فقرأت شرح الشاطبية لابن القاصح وهى عبارة عن (غيث النفع فى القراءات السبع) و (النشر فى القراءات الأربعة عشر) ، و (المحتسب) لابن جنى و (شواذ القرآن) لابن خالويه .

قرأت هذه الكتب قراءة استقراء ثم لخصت أعاريبها وتوجيهاتها ورتبتها ترتيب أبواب النحو فجاء فى ثلاثة مجلدات .

السبب الرابع : رأيت أن الكتب المؤلفة فى فهرست ألفاظ القرآن لا يتأتى النفع بها لأنها مرتبة ترتيبا هجائيا فاذا احتجنا فى البحث الى أوزان المصادر فى كل صيغة لابد من قراءة هذه الكتب ، وهكذا دواليك — فرأيت أن أرتب ألفاظ المصحف بترتيب ألفاظ الصرف والنحو فجاء هذا العمل فى مجلدين .

هذه المجلدات الثمانية انما تمثل مرحلة واحدة من مراحل هذا البحث وهى مرحلة الجمع والاعداد .

وتلى ذلك مرحلة الدراسة .

فى دراسة الحروف والأدوات مثلا كنت أقرأ جميع كتب النحو من سيويه الى ابن هشام فى كل حرف ثم أرجع الى كتب التفسير فى كل آية من آيات كل حرف وبعد هذا أسجل الظواهر

النحوية التى تفيدها هذه النصوص » •

ويقول الشيخ عليه سحائب الرضوان :

« وكان هــدفى من البحث أن أصــنع للقرآن الكريم معجما نحويا صرفيــا ويكــون مرجعــا لدارس النحو ، وقد رأيت أن الشــعر اســتبد بجهد النحاة فركنوا اليه وعولوا عليه بل جاوز كثير منهم حده فنسب اللحن الى القراء الأئمــة ورماهم بأنهم لا يدرون ما العربية ، وكان تعويل النحويين على الشعر ثغرة نفذ منهــا الطاعنون عليهم لأن الشعر روى بروايات مختلفة كما أنه موضع ضرورة لهذا مست الحاجة الى انشــاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم فى جميع رواياته اذ فى هذه القراءات ثروة لغوية ونحوية جديرة بالدرس وفيها دفاع عن النحو تعضــد قواعده وتدعم شــواهده وأنا فضــلت هــذه الدراسة واعتبرت العمل فيها عبادة أتقرب بهــا الى الله تعالى فى جوار بيته الكريم وأنا راض عن هذا العمل » •

آراء العلماء فى كتــاب دراســات لأســلوب القرآن الكريم : يقــول الدكتــور / عبد الله التركى فى معرض ثنائه على هذا البحث « وقد وافقت الجامعة على هــذا البحث : دراســات لأسلوب القرآن الكريم لمؤلفه الأستاذ / محمد عبد الخالق عضيمة فنال اعجابهــا واســتحق تقديرها ورعايتها لعمق الفكرة وشمول النظرة وبــذل أقصى الجهــــد فى التقصى والبحث فى مجلدات متعددة » •

ويقول الأستاذ / محمود محمــد شــاكر فى وصف هذا الكتاب « عمل ضخم لم يسبقه اليه أحد ولا أظن أن أحدا من أهل زماننا كان قادرا عليه بمفرده،فان الشيخ قد أوتى جلدا وصبرا ومعرفة وأمانة فى الاطلاع ودقــة فى التحــرى لم أجدها تتوافر لكثــير ممن عرفت » ويقــول أيضا :

« ان فى هذه الدراسة استدراكا عــلى النحاة من سيبويه الى ابن هشام ويقول :

والشيخ حفظه الله لم يتــرك مجــالا للاستدراك على عمله العظيم فكل ما أستطيع أن أقوله انما هو ثناء مستخرج من عمل يثنى على نفسه ولكن بقى ما نتهاداه فى هذه الحياة الدنيا وهو أن أدعو الله لــه بالتوفيــق وأن يزيده من فضله » •

ومن مؤلفاته :

٢ ــ المغنى فى تصريف الأفعال سنة ١٣٧٥ هــ نوفمبر سنة ١٩٥٥ الطبعة الأولى.

٣ ــ هادى الطريق فى ذخائر التطبيق طبــع القاهرة ١٣٨١ هــ ١٩٦٢ م •

٤ ــ تحقيق المقتضب والتعليق عليــه طبــع فى أربعة أجزاء بمعرفة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٦ ــ ١٣٨٨ هــ

٥ ــ فهارس سيبويه تقع فى ٩١٢ صفحة •

٦ ــ تحقيق كتاب المــذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى طبــع الجزء الأول بمعــرفة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية والثانى معد للطبع •

وكانت حرارة ايمانه وقــوة يقينــه دافعتين لتفتيت الصعاب واذابة العقبات التى تصــادفه فى وطنه أو خارجه نائيا عن خلانــه يغــامر فى أعوص الموضوعات وأعنفها مسلكا وحســبه أن يهنأ بما استجلاه بعد طول جهد وطويل عنــاء ، فلا غرو أن تكون منزلتــه فى نفــوس زملائه وتلاميذه ومحبيه أن يعترفوا له بالفضل ويقابلوا معروفه بالبر ــ فهل نضن بالشكر على عمله أو الثناء على فضله ؟رحمة الله رحمة واسعة.

طرائف

طلب العلم

قيل لأبى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال ان كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن بـه أن يتعلم ٠

وقال عـروة بن الزبير لبنيـه : يابنى اطلبوا العلم فان تكونوا صغارا لا يحتاج اليكم ،فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم ٠

وروى عن أحد ملوك الهند أنه قال لولده وكان له أربعون ولـدا : يابنى أكثروا من النظـر فى الكتب وازدادوا فى كل يوم حـرفا فان ثلاثـة لا يستوحشون فى غربة : الفقيه العالم ، والبطل الشجاع ، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى٠

وقال المهلب بن أبى صـفرة لبنيه : اياكم أن تجلسوا فى الأسواق الا عند زراد أو وراق٠

بليغ العظات

قال بعض العظماء لحكيم من حكمائه : عظنى بعظة تنفى عنى الخيلاء ، وتزهدنى فى الدنيا ، قال : فكر فى خلقك ، وانكر مبدأك ومصـيرك ، فاذا فعلت ذلك صـغرت عند نفسـك ، وعظم بصغرها عندك عقلك ، فان العقـل أنفعهما لك عظما ، والنفس أزينهما لك صغرا ٠

قال ذلك العظيم : فان كان شىء يعين عـلى الأخلاق المحمودة فصفتك هذه ٠

قال : صفتى دليل ، وفهمك محجة ، والعلم علية ، والعمل مطية ، والاخلاص زمامها ٠ فخذ لعقلك ما يزينه من العلم ، وللعلم ما يصونه من العمل ، وللعمل ما يحققه الاخـلاص ، وأنت أنت قال : صدقت ٠

أقوال البلغاء فى أطيب الكلام

قال أحد البلغاء : أبلغ الكلام ما حسن ايجازه، وقل مجازه ، وكثر اعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه ٠

وقال غيره : أبلغ الكلام ما يؤنس مسـمعه ، ويؤيس مضيعه ٠

ومواقف

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وقال سواهما : ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنانه ، أو يبسط رهان القول وميدانه، بل هى أن يبلغ أمد المراد ، بألفاظ أعيان ،ومعان أفراد ، من حيث لا تزيد على الحاجة ، ولا فى اخلال يفضى الى الفاقة .

ووصف أهل البيان البليغ فقالوا : فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بألين زمام ، حتى كأن الألفاظ تتحاسد فى التسابق الى خواطره ، والمعانى تتغاير فى الانثيال على أنامله .

الى هذا يشير أبو تمام الطائى بقوله :

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له
حتى ظننت قوافيه ستقتتل

من الصعب

سأل القاضى اللص : هل لديك شركاء فى هذه الجريمة ؟

فقال اللص : متأسفا : لا ياسيدى لأنه من الصعب فى هذه الأيام الحصول على شريك أمين .

قالوا

*** من المصائب أن يكون الرجل قليل الادراك فلا يعرف كيف يتكلم ، وأن يكون ضعيف الارادة فلا يعرف كيف يصمت .**

*** راحة الجسم فى قلة الطعام ، وراحة اللسان فى قلة الكلام ، وراحة القلب فى قلة الاهتمام وراحة النفس فى قلة الآثام .**

دعاء

« رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » .

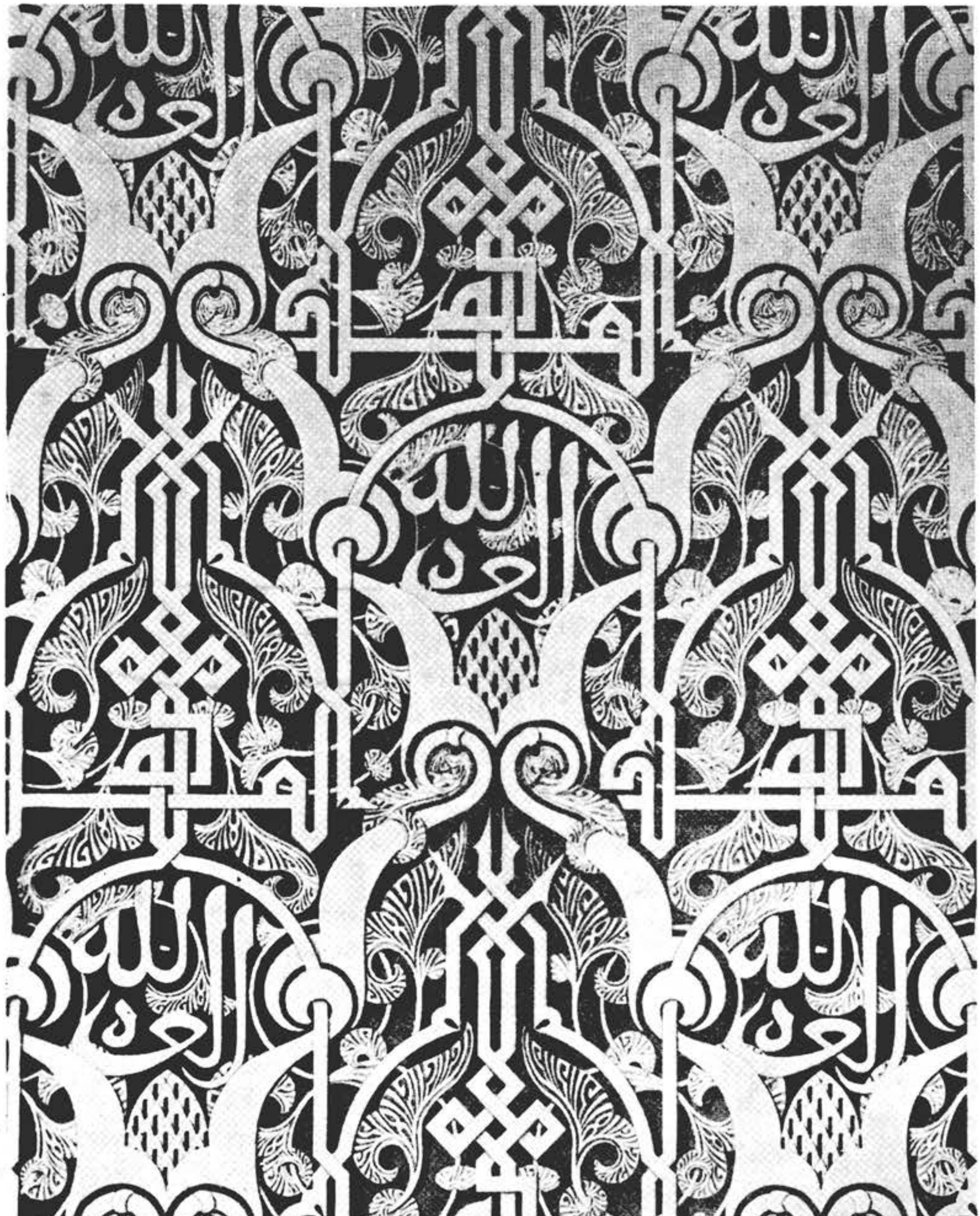

في المجتمع المصري

طابا أرض مصرية

الشعب المصري
عراقة أصله العربي

مشيخة علماء
الجامع الأحمدي

طابا أرض مصرية

تمهيد ..

اننى من قمة ٦٥ سنة هى عمرى اقف متاملا حكمة الله فى الانسان وانبهر مقرا : ياعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما ابعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ولكنه هو الله اعلم حيث يجعل رسالته . ولعله لمثل هذه الظروف هدانى الله للاسلام بعد دراسة ذاتية لمدة خمس سنوات من عام ١٩٥٥ حتى ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦ باحثا عن الرسول النبى الأمى الذى وجدته فى التوراة والانجيل وسرعان ما أعلنت اسلامى على الملأ فى حفل أقامه أهل الحى بمنزلى .

طرح المستشار محمد عزت الطهطاوى سؤالا هذا نصه : « طابا بأرض سيناء .. هل هى جزء من مدين ؟ (١) » .

وأجيب على هذا وقد حبانى الله بدراسة اللاهوت دراسة مستفيضة بلغت بها أرقى المناصب فى كلية اللاهوت بأسيوط فضلا عن دراسة للاسلام فى رؤية مستنيرة وقلب بصير وذهن متوقد وارادة مخلصة لله ولرسوله محمد — صلى الله عليه وسلم — فأقول نعم انها أرض مصرية .

ولن أكتفى بهذا بل أقيم حججى الباهرات

---

(١) مجلة الازهر الغراء الجزء الرابع السنة السادسة والخمسون صفحات ٦٠٢ — ٦٠٨

للأستاذ إبراهيم خليل

من مصدرين أساسيين همـا :

١ ــ العهد القديم المتداول بين أيدى اليهود والنصارى ومرادفاته قاموس الكتاب المقدس وانى أستند الى الترجمة العربيـة البيروتية التى قام بها المراسلون الامريكيـون عـام ١٨١٦ م •

٢ ــ كتابات علماء الآثار الغربيين أمثـال برستد ــ Breasted فى كتابه
a History of the Ancient Egyptians.
وأمثال Sayce فى كتابه :
The Ancient Empi res of the East .
وأمثال Weigall فى كتابه a Short History of. Egypt وغيرها من المراجع لعلماء غربيين

وهذه حجتى أقيمها فى ضوء ماقدمت لئـلا يكون لاسرائيل على « مصر فى حقها فى طابا » حجـة •

والآن سنتدبر نصوص العهد القديم المتداول فى ضـوء المنهج العلمى الرشـيد والمعـارف التاريخية لتحليل قضية خروج موسى من مصر الى أرض (مديـان) حيث اسـتقبله « يثرون كاهن مديان » وتولى حمايته ورعايته « فارتضى موسى أن يسـكن مع الرجـل • فأعطى موسى صفورة ابنته•فولدت ابنا فدعا اسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلا فى أرض غريبة »(١) •

وللعلم فان مديان نسـبة الى مديـان بن ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام من زوجته قطورة « وعاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة • فولدت له زمران ويقشـان ومدان ومديان ويشباق وشوحا »(٢) •

فلقد جمعهما الاصل الواحد ألا وهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام •

لقد شعر موسى ــ بعد أن بلغ الأربعين من عمره وهو ربيب فرعون ــ بحنين جارف الى قومه ــ بنى اسرائيل ــ بعـد أن فر عقب أن وكز المصرى ــ دون قصيد ــ فقتله •

وفى (مديان) كـان مـوسى « يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب (٣) ولعـل الفعل دليـل واضح لاجتيـاز أرض سـيناء ولن يفيد الاستقرار بأرض سيناء وهذه هـى مهمة رعاة الأغنام يتنقلون من مكان الى مكان طلبا للماء والمرعى هذا هو السبب الظاهرى •

لكن السبب الحقيقى هو اصطفاء الله لـه

---

(١) خروج ٢ : ٢١ ، ٢٢
(٢) تكوين ٥ م : ١ ، ٢
(٣) خروج ٣ : ١

رسولا نبيا الى بنى اسرائيل وكانت الظاهرة التى جذبت أنظار موسى للاستماع الى صوت الله هى « العليقة التى تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق » ٠

وذكر الله هذا الأمر فى القرآن الكريم(٢) فى :

سورة طه : ٩ — ١٤
وسورة النمل : ٦ — ٩
وسورة القصص : ٢٩ — ٣٠

**

والآن نستقرىء علماء الآثار عن مصر وجيرانها جغرافيا وحضاريا لنتتبع الطريق الذى سلكه موسى عند هروبه من مصر من وجه فرعون الذى طلب أن يقتله ٠

ونترك جيمس هنرى برستد ليحدثنا عن مصر القديمة فيقول (١) :

« كان المصريون منذ العصور السابقة على التاريخ لا يفتأون يتطلعون بأنظارهم الى المناطق التى تتاخم بلادهم والى ما وراء هذه المناطق ، فكانوا يستخرجون النحاس من صحراء سيناء ٠ وكانوا يستخرجون الذهب من جبال النوبة ، وكانوا لايفتأون يبعثون بالحملات لتأديب القبائل التى تغير على الحدود ويطاردونها الى مسافات بعيدة ، حتى يكفلوا تأمين الطرق الى المناجم والمحاجر كما يكفلوا تأمين طرق التجارة ٠

وكان ثمة طريق برى يصل كذلك بين مصر وفلسطين عبر صحراء سيناء ٠ وكان الفراعنة منذ أقدم العصور يهتمون أعظم الاهتمام بتأمين ذلك الطريق ، حتى لقد اضطروا فى عهد الأسرتين الخامسة والسادسة الى غزو بعض المدن الفلسطينية والاستيلاء عليها لكفالة الطمأنينة اللازمة للقوافل المصرية فى ذهابها وعودتها ٠

مكانة مصر فى العالم القديم :

وكانت المدن السومرية الواقعة فى منطقة ما بين النهرين تتطاحن فيما بينها منذ عام ٢٨٠٠ق٠م حتى أمكن للملك (سرجون الأكدى) أن يسيطر عليها فى عام ٢٣٥٠ ق٠م ، ويؤسس أول امبراطورية سامية فى التاريخ ٠

بيد أن هذه الامبراطورية لم تلبث أن انهارت بعد قرنين من الزمان تحت وطأة الجويتين ، وهم من الشعوب غير السامية التى وفدت من شمال شرقى آسيا ، ومن ثم دخلت الحضارة السومرية فى عصرها الثانى ٠

وقد ازدهرت فى ذلك العصر مملكة «أور» (٢)

---

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور . تاليف جيمس هنرى برستد ، ترجمة الدكتور حسن كمال

(٢) يتحدث العهد عن مينة « اور » مسقط راس ابراهيم .. فتقول .. « واخذ تارح ابرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراى كنته امراة ابرام ابنه فخرجوا معا من « أور الكلوانيين » ليذهبوا الى ارض كنعان . فاتوا الى حاران واقاموا هناك » تكوين ١١ — ٣١

مجلة الازهر : يتفق الكاتب مع السيد المستشار فى ان « طابا » ارض مصرية ليست داخلة فى نطاق مدين وان مدين ليست من الاراضى المصرية .

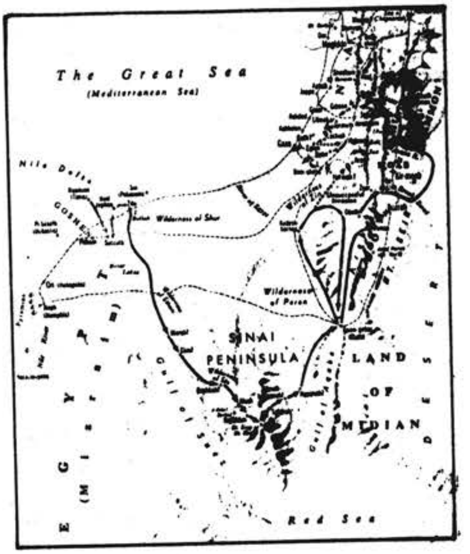

التى كان لها فى تاريخ تلك البلاد شأن عظيم •

بيد أن هذه المملكة لم تلبث أن انهارت بدورها وظهرت فى بلاد ما بين النهرين الأسرة البابلية الأولى عام ١٨٠٣ ق•م ، وقد بلغت ذروة مجدها فى عهد الملك (حمورابى) ، أى فى عام ١٧٢٨ ق•م وكان ذلك فى أواخر عصر الدولة الوسطى فى مصر •

وقد كان للسومريين صلات قديمة بالمدن السورية ومن ثم كانت هذه المدن ملتقى الحضارتين المصرية والسورية •

ظهور مملكة داود عام ١٠٤٨ ق•م :

يقول الله سبحانه بعد اصطفائه لبنى اسرائيل :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ » (الأنبياء ١٠٥) •

ويقول جيمس هنرى برستد مستطردا :

بيد أن الامبراطورية المصرية لم تلبث أن اصطدمت بكثير من المتاعب والمصاعب فى الداخل والخارج ، فما انتهى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، حتى كانت تعانى كثيرا من التفكك والتصدع ، وقد فقدت كثيرا من البلاد الخاضعة لها • بل لقد تجرأ كثير من البلاد على مناوأتها والطمع فى غزوها والسيطرة عليها ، ولاسيما بعض الشعوب الأوروبية التى تحالفت مع القبائل الليبية وأغارت على مصر من البر والبحر • فكان خطرها عليها لا يقل عن خطر الهكسوس ، بل يزيد عليه ، لولا أن تمكن الفراعنة من صدها وقد اشتبك معها رمسيس الثالث فى موقعة حاسمة وهزمها عام ١١٨٧ ق • م •

وقد تمزدت على مصر سوريا ولبنان وفلسطين •

استطاع الملك النبى داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى ذلك الحين تكوين مملكة اسرائيل •

بيد أن هذه المملكة التى بلغت ذروتها فى عصر سليمان لم تلبث أن انهارت اثر وفاة

طابا أرض مصرية

سليمان عام ٩٧٥ ق • م الى مملكتين :

مملكة يهوذا فى الجنـــوب •

ومملكة اسرائيل فى الشمال •

وسرعان ما أبيدت مملكة اسرائيل عـــــام ٧٢٢ ق • م • تحت وطأة (شلمنأصر) ملـــك أشـــور •

وكذلك مملكة يهوذا عـــام ٥٨٦ ق • م تحت وطأة (نبوخذ نصر) ملك بابل فزال الكيـــان السياسى الى الأبد من اسرائيل •

وبدأت دولة أشور تسيطر على بلاد مابين النهرين ، وتتطلع بأنظارها نحو الأقطـــــار الواقعة على حدودها الغربية فاصطدمت بمصر ومن ثم دخلت مصر فى مرحلة عنيفة مـــــن التطاحن مع الأشوريين ، ثم مع الفرس ، ثـــم مـــع اليونـــان ، ثم مـــع الرومـــان ، فتفاعلت حضارتها مع حضارات هذه الأمم جميعا وأثرت فيها وتأثرت بها ، ولكنها احتفظت على الدوام بأسبقيتها وأصالتها •

A Dictionary of The Bible, By William Smith, LL. D., seventh printing 1973

المصدر الثانى : وهو فى الـــواقع المصـــدر الأول العهد القديم وبين يدى قاموس الكتاب المقدس الطبعة السابعة عـــام ١٩٧٣ •

وأرفق هنـــا صفحـــة خريطة خـــروج بنى اسرائيل من مصر Midian

مديان هـــو ــ فيمـــا يحكيه العهـــد ــ ابن ابراهيم عليه الصلاة والسلام على ما جـــــاء بالعهد « تكوين ٢٥ : ٢ ، أخبـــار الأيام الأول ١ : ٣٢ » وهو الجد الأعلى للمديانيين Midiamites أو العرب Arabians الساكنين على الخصوص فى الصحراء شـــمال شبه جزيرة العرب • **وتمتد بلاد مديان جنوبا على طول خليج العقبة الشرقى ، وتمتد شمالا على طول تخم فلسطين الشرقية •**

ان أرض مديان هى الأرض التى فر اليهـــا موسى من وجه ملك مصر الذى يطلب قتـــــله « خروج ٢ : ١٥ ، ٢١ » •

ثم يتحدث القاموس عن العلاقات العدائية بين المديانيين وبنى اسرائيل أيام موسى عليـــه الصلاة والسلام حتى أيام داود عليه الصـــلاة والسلام لسنا فى حاجة اليها ذلك لأن هدفنـــــا تحديد بلاد مديان وقد بدا بوضوح أن مديان **بـــلاد متاخمة للشـــاطىء الشرقى من خليج العقبة •**

بـــــلاد أدوم :

ونمتد فى بحثنا الى بلاد متاخمة لشـــــــبه جزيرة سينا ألا وهى بلاد أدوم •

هذه البلاد ــ بالكلية ــ أراض جبلية ضيقة تشمل رقعـــة أرض جبليـــة ضيقة حوالى ١٠٠ ميل طولا ، ٢٠ ميل عرضا • وهى تمتـــد على طـــول الجانب الشرقى للجزيرة العربية من نهاية خليج العقبـــة شمالا وتقترب الى نهاية الساحل الجنوبى للبحر الميت والنتيجـــة هى أن طابا أرض مصرية بحجج من الكتـــاب المقـــدس وكتابات علماء الآثار الغربيين •

« ابراهيم خليل أحمد »

الشعب المصرى

عراقة أصله العربى

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

مصر مربع الفضلاء ، ومرتع النبلاء ومطلع البدور ، وموضع الصدور ، وأهلها أذكياء أزكياء ، يبعد من أقوالهم وأعمالهم العى والعياء » .

بهذا الوصف الجميل الرائع وصفها ووصف شعبها العماد الأصفهانى الكاتب الأديب فى دولة بنى أيوب (١) .

عمارة مصر بعد الطوفان :

يذكر القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى أن أول من عمرها بعد الطوفان كان بيصر بن حام ابن نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ولما مات جاء بعده ابنه مصر أو مصريم الذى قيل ان البلاد تسمت باسمه فحكم البلاد وعمرها وكثر خيرها ، واستمرت ذرية حام بن نوح فى ادارة حكم البلاد وعمارتها حتى وفد اليها العماليق وهم من العرب البائدة كانوا يقطنون شمال الجزيرة العربية فقبلوا على مصر وحكموها وهم أصل الفراعنة المصريين (٢)

أصالة العروبة فى شعب مصر ..

والشعب المصرى عريق فى عروبته منذ أقدم عصور التاريخ تلك حقيقة أثبتها البحث العلمى النزيه والتقصى التاريخى لمنطقة المشرق العربى ولتاريخ أجناسها ، فلقد انتشر العرب فى هجرات سلمية منذ أجيال سحيقة فى أعماق

(١) كتاب فريدة القصر وجريدة العصر تاليف العماد الاصفهانى الكاتب ـ الجزء الاول .

(٢) كتاب صبح الأعشى لأبى العباس احمد القلقشندى الجزء الثالث .

الشعب المصرى عراقة أصله العربى

التاريخ القديم ويؤيد العلماء هذا القول كل فى تخصصه :

١ ــ فعلماء المناخ يؤكدون أن ذبذبات المناخ فى العصور التاريخية القديمة قد دفعت بالعرب من المناطق الجافة الفقيرة فى وسط الجزيرة العربية الى أماكن الغنى والاستقرار فى الشام واليمن وعمان والعراق ووادى النيل •

٢ ــ وعلماء الجغرافيا يؤكدون ان شبه الجزيرة العربية كانت متصلة بافريقية الى أن ظهر البحر الأحمر ظهورا مفاجئا فصل بينهما ، أى أن شرق العرب ومغربهم كانا يكونان وحدة جغرافية واحدة •

٣ ــ وعلماء الأجناس يقولون ان الصفات الجنسيةكشكل الرأس والشعر وأبعاد الأطراف والخصائص الدموية تقوم دليلا على أن سكان المنطقة التى يسكنها العرب فى الوقت الحالى يكونون وحدة جنسية •

٤ ــ وعلماء اللغة يؤكدون أن لغات الشعوب التى استقرت فى المناطق العربية فى العصور القديمة ترجع الى أصل واحد هو الأصل السامى ، فلما جاء الاسلام وتجددت الموجات العربية لم يكن فى ذلك سوى التقاء الفروع بالأصول ــ أصول واحدة ، أجداد وآباء وأحفاد كلهم من العرب (١) •

ولئن كانت مصر قد تعرضت طوال تاريخها للغزو من كثير من الدول الا أن شعبها العريق كان من القدرة على أن يذيب الغزاة فى مجتمعه وأن يحصن نفسه فيحتفظ للمجتمع المصرى بكامل صفاته الأساسية حتى كان الفتح الاسلامى العربى ، ولأول مرة يذوب الشعب المصرى فى هذا النظام الجديد ذوبانا حير علماء التاريخ الذين لم يفطنوا الى الحقيقة الأزلية ألا وهى أن مصر عربية أصلا وفصلا ، وقلبا وقالبا حتى من قبل ظهور الاسلام •

ماذا كان يقصد بلفظ (عربى) قديما :

١ ــ ان أقدم نص ورد فيه لفظ (عرب) هو نص آشورى يعود الى الملك شلمنصر الثالث ملك آشور فيما بين سنة ٨٥٩ حتى سنة ٨٢٤ قبل الميلاد (٢) •

٢ ــ وكان أهل العراق يقصدون من وراء هذا اللفظ الاشارة الى مشيخة البادية أو مقاطعة البادية المتاخمة للحدود الغربية الآشورية ، وتدريجيا اتسع مفهوم لفظى عرب بحيث تشمل كل البادية الغربية الكائنة غرب نهر الفرات والفاصلة بين العراق والشام بما فيه شبه جزيرة سيناء ، أى كل المنطقة الواقعة فى شمال شبه الجزيرة العربية •

٣ ــ وكان قدماء المصريين يعتبرون المنطقة الممتدة شرق النيل الى غرب الفرات بلدا واحدا بما فيها بلاد العراق وبلاد الشام وشبه جزيرة سيناء ، وكانوا يطلقون على سكان هذه المنطقة (عامو) •

٤ ــ ولقد أكد المؤرخ اليونانى هيرودوت المتوفى سنة ٤٣٥ قبل الميلاد القول بأن كلمة

---

(١) كتاب مفاهيم المجتمع العربى الجديد تأليف الاستاذ محمد عبد الوهاب زايد •

(٢) آشور مملكة قامت قديما شمال العراق •

(عربية) يقصد بها شبه جزيرة العرب كلها ، مضافا اليها ماهو شرقى بوادى النيل وهـــو المعروف بالصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء وذلك لكثرة من كان مستقرا فى تلك المنطقة من العرب الوافدين اليها فى جمـــاعات متفرقة ومتتابعـــة .

٥ ــ ثم تطور مفهوم كلمة عرب شيئا فشيئا حتى جرى العرف على التسليم به كعلم على قومية خاصة أو اسم لجنس معين وهم سكان منطقة الشرق الأوسط العربية ، مع ملاحظـــة أنه كان يطلق فى الماضى على شبه جزيرة العرب أنها مهد السامية ، وأنها المنبع الذى خرجـت منه الموجات المتلاحقة من الهجرات الساميـــة خارج شبه الجزيرة العربية .

٦ ــ وبعد قيام الدولة الاسلامية الكبـــرى اندرج تحت اسم العرب كل سكان المناطـــق والبلاد الواقعـــة فيمـــا بين المحيط الأطلسى والخليج العربى الفارسى وذلك من قبيل غلبة عنصر العرب على باقى العناصر المحلية ثـــم اختلاطها وانصهارها جميعها فى بوتقة التقاليد والتاريخ والمصلحة المشتركة فى المصير والالام والآمال ، فأطلق على تلك البقعة البلاد العربية ولم تكن هناك عوائق تعوق الترحال والانتقال فقامت هجرات واختلاطات واندماج وكل ذلك انصهر فى بوتقة الفتوحات الاسلامية بوحـــدة الضمير أو القومية وأصبحت عروبة شـــاملة للأنساب بلا عصبية ، وجامعة للأديـــان بـــلا تعصب (١) .

شبه جزيرة العرب والهجرات السكانية :

مما لا جدال فيه أن شبه الجزيرة العربيـــة كانت بمثابة الخزان الهائل للسكان المهاجـــرين الى المنطقة المحيطة بها خصـــوصا الى وادى النيل وبلاد العراق وبلاد الشام ، وقد حدث هذا قبل ميلاد المسيح على نبينا وعليه أفضـــل الصلاة والسلام بأكثر من ٣٥٠٠ عام وظـــل يتكرر دائما على مدى العصور والأجيال حيث كانوا يفدون الى مصر عن طريق باب المنـــدب وعن طريق سيناء وعن طريق الثغور العربيـــة والمصرية التى كانت موجودة على البحـــر الأحمـــر (٢) .

استقرار العروبة فى مصر منذ أقدم العصور:

وفى ذلك يدلل المرحوم الدكتور عبد الحميد العبادى عميد كلية الآداب الأسبق بقوله :

(ان المصريين والعرب هما فى الحقيقة أبناء بيئة تكاد تكون واحدة فالعلاقات التاريخيـــة بينهما منذ فجر التاريخ شبكة متصلة ، ثم ان مصر كانت قد تعربت الى حد ما قبل الفتـــح العربى ، فجزيرة سيناء كانت تعمرها قبائـــل عربية انضم بعضها الى جيش عمرو بن العاص فى زحفه الى مصر ، وفى الجاهلية عبرت الـــى مصر واستقرت على سواحل البحر الأحمر وفى شمال السودان قبائل عربية يذكر ابن خلـــدون بعضا منها مما يؤكد أن بداية استعراب وادى النيل سابقة على الفتح العربى بكثير ولما جـــاء

---

(١) كتاب مصر عربية للاستاذ محمد فاوى عسر من مطبوعات المجلس الاعلى للشـــئون الاسلامية بالقاهرة .

(٢) المرجع السابق .

الشعب المصري عراقة أصله العربي

الفتح العربى حدث امتزاج بين المصريين وبين القبائل العربية المهاجرة الى مصر خصوصا بعد اعتناق غالبية الشعب المصرى لعقيدة الاسلام واقبالهم على التكلم باللغة العربية حتى غلبت العربية على ماسواها من اللغات . ومازالت السرعة التى انتشرت بها اللغة العربية عقب الفتوحات الاسلامية لغزا يثير حيرة المفكرين خاصة وأن اللغة العربية ليست باللغة السهلة أو القليلة التعقيد (١) .

المصريون القدماء جاءوا أصلا من شبه جزيرة العرب :

يتفق كثير من المؤرخين والأثريين على أن شبه الجزيرة العربية كانت الموطن الأصلى للمصريين القدماء ، ونسوق فى ذلك أولا شهادة علماء الغرب :

١ ـ يقول العلامة (جونستون) فى كتابه (استعمار أفريقيا) .

ان المصريين القدماء قدموا الى وادى النيل من شبه جزيرة العرب ثم اختلطوا بجماعات من الصوماليين والليبيين ، وان جماعات من العرب قد استمرت تفد الى مصر فى عصور مختلفة متعاقبة مهاجرة أو غازية وسرعان ما كانت تندمج فى المجتمع المصرى الكبير الذى قامت بعض أسسه الأولى على عرائق أسلافها .

٢ ـ ويؤكد العلامة (شوين فورت) أن المصريين القدماء قدموا فى الأصل من بلاد اليمن وحضرموت ويعلل ذلك بظواهر نباتية اذ يرجع كثير من نباتاتهم الأولى الى تلك البلاد مثل القمح والشعير والكتان .

٣ ـ أما الدكتور (رينر) وهو عالم أمريكى من أصل ألمانى تعلم اللغة الهيروغليفية (٢) فى برلين (وأقام أكثر من ثلاثين سنة فى مصر للتنقيب عن آثارها فى منزل قرب أهرام الجيزة مع أعضاء بعثة أمريكية أوفدتها جامعة هارفارد ومتحف بوستون) **فيقول فى أبحاثه :**

ان المصريين القدماء كانوا خليطا من العرب والليبيين وان الحروف الخاصة بلغة العرب والتى تعد من سماتها المميزة كحروف الحاء والعين والقاف والصاد والضاد كان لها مثيل فى لغة المصريين القدماء ، وحتى الفرق بين السين والصاد كان واضحا كل الوضوح فى تلك اللغة .

٤ ـ ويقول الدكتور (اسرائيل ولفنستون) فى كتابه (تاريخ اللغات السامية) ان شمال مصر كان دائم الاتصال بالقبائل العربية قبل الاسلام .

٥ ـ ويقرر العلامة (بروكس بك) فى كتابه (تاريخ مصر تحت حكم الفراعنة) ان أطراف الدلتا الشرقية ومنطقة المنزلة كان يغلب على سكانها العنصر العربى قبل الفتح الاسلامى .

٦ ـ ويذكر المؤرخ (استرابون) ان نصف سكان مدينة (قفط) بجنوب مصر كان من العرب ولعل أقدم القبائل العربية التى أقامت بمصر منذ عهد الفراعنة قبيلة (ألمازة) التى

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الهيروغليفية كانت لغة المصريين القدماء .

ورد ذكرها فى النصوص الهيروغليفية القديمة باسم (مازيو) وكان أفرادها يجليون البخور من شبه جزيرة العرب الى المعـــابد المصرية القديمة (١) .

٧ — ويقرر المؤرخان الألمانيان أدولف أرمان وهرمان رانكة فى كتابهما (مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة) .

ان المصريين القدماء ينتمون الى أجنـاس من البدو عاشوا فى البلاد المتاخمة لمصر وفى بلاد العرب ، لذلك فقد كان للغات الســامية ومنها اللغة العربية أثر ظاهر فى اللغة المصرية القديمة .

٨ — أما الأساتذ (شارب) فيروى فى كتابه مصر تحت حكم الرومان) ان سبب نجـاح قمبيز ملك الفرس فى غزو مصر يرجـع الى استعانته بجنـــود من العرب فـرحب بهم الفلاحون المصريون وأحسنوا اســـتقبالهم لأنهم كانوا يمتون اليهم بصـلة القـــربى ولعلهم كـانوا يأملون منهم تخليصـــهم من استبداد حكامهم الطغاة .

٩ — ويؤيد الأستاذ (مالان) فى كتـابه (الوثائق الأساسية للكنيسة القبطية) ماذكره سلفه ويضيف اليه قوله .

ان كثيرا من أعيان مصر عند الفتح الفارسى كانوا من أصل عربى فرحبوا بأقاربهم الـذين كان يضمهم الجيش الفارسى ، الا أن الفرس هزموا وردوا على أعقابهم عندما تمرد جنودهم من العرب وشقوا عصا الطاعة عليهم (٢) .

شهادة علماء المشرق عـن أصل المصريين العربى :

١ — يقول الهمذانى فى كتابه (صفة جزيرة العرب) ان بعض قبائل (قضاعة) مثل تنوخ وسليم وبلى كانت تسكن شبه جزيرة سـيناء وان ديارها كانت تمتد عند فرع النيل الشرقى كما كانت بعض قبائل (كهلان) مثـل طـىء وجذام ولخم تمتد مساكنها من شبه جـزيرة سيناء حتى وادى النيل .

٢ — ويذكر الدكتور عباس مصطفى عمـار فى كتابه (المدخل الشرقى لمصر) ان ســكان مدينتى رفح والعريش وبعض المدن الأخـرى الواقعة شرقى النيل كانـــوا من العـــرب المسيحيين وكانت تلك الجماعات تفد الى وادى النيل تباعا ، وتفضل فى بادىء الأمر أن تحتفظ بكيانها القبلى ، وملامحها البـدوية حتى اذا مارست الزراعة وذاقت ثمارها عافت حيـاة الترحال وطاب لها الاستقرار وتخلصـــت من تقاليدها القبلية البدوية المتوارثة كما يحـدث الآن عاما بعد عام فى أطراف وادى النيـــل حيث تفد جماعات من البدو الذين أنهكتهم حياة الصحراء وتجذبهم ظلال الريف وخـــيراته فيختلطون شيئا فشيئا بسكانه الفلاحين الذين قد لا يكونون أقل منهم عروبة وان كانوا أسبق منهم الى التحضر .

٣ — وقد تحدث الدكتور ابراهيم نصحى فى كتابه (تاريخ مصر فى عهد البطالمة) عن هجرات العرب الى مصر وتأثيرهم فى الحيـاة العامة

---

(١) كتاب الدرر الذهبية فى أصول أبناء الامة العربية تأليف الاســـتاذ محمـد احمـد عيـد الهاشمى .

(٢) كتاب مصر عربية للاستاذ محمد فاوى عسر .

الشعب المصرى
عراقة أصله العربى

فيها ، وانه كانت توجد قرى مصرية تتناثر فى أرجاء البلاد ينتمى سكانها جميعا للعرب الذين آثروا حياة الزراعة والاستقرار ، وقد عثر فى احدى تلك القرى وهى قرية بويس فى محافظة (منف) على خطاب صادر من اثنين من سكانها العرب سنة ١٥٢ قبل الميلاد باللغة الاغريقية حرره لهما شاب يدعى أبولونيس لجهلهما بالقراءة والكتابة .

كما عثر على أوراق أخرى تتضمن أسماء أعراب آخرين كانوا يشتغلون فى ذلك العهد القديم برعى الماشية فى ضيعة لوزير المالية بالفيوم .

وأزيد من ذلك فانه كانت توجد منذ القدم محافظة بأكملها على فرع النيل الشرقى تسمى (أرابيا) أى بلاد العرب ، وقد عرفت فيما بعد باسم أرض (أويناس) ولعلها من الأماكن التى اندثرت فى العصور الأخيرة (١) .

٤ ـ ويقرر المرحوم عباس العقاد عن أصل المصريين الآتى :

يقول المستعمرون ان المصريين ليسوا عربا وانما هم فراعنة يتوسلون بمساعداتهم للدول العربية لهدف التوسع فقط وهذه الفرية تدحض بمنطق العلم الذى يؤكد أن الفراعنة ينحدرون من أصل عربى ، وقد خلص عالم الآثار العلامة (ألبرت سميث) وهو من أشهر علماء الأجناس أيضا بعد دراسات مضنية الى أن التماثل تام فى التكوين الجسمانى للعرب المحدثين الذين يسكنون اليمن والحجاز والبدو الرحل الذين يفدون الى مصر من آن لآخر ولا يختلف عن النماذج الجنسية التى عرفت من البقايا العظيمة لسكان مصر فى عهد ماقبل الأسرات ، وأنه من الصعب التمييز بين الهياكل البشرية المصرية القديمة والهياكل البشرية العربية الحالية (١) .

٥ ـ ذكر العالم الأثرى المصرى الكبير المرحوم أحمد كمال باشا فى محاضرة ألقاها بمدرسة المعلمين فى سنة ١٩١٤ أنه خرج من دراسته للغة المصرية القديمة منذ كان فى الثامنة عشرة من عمره حتى بلغ الستين الى اكتشاف نتيجة هامة ، وهى انتماؤها الى نفس الأصل الذى تنتمى اليه اللغة العربية وذلك ان لم تكونتا لغة واحدة تفرقتا بما دخلهما من القلب والابدال كما حدث فى كل اللغات القديمة .

وقد لفت نظره الى هذه الملاحظة أنه أثناء دراسته للغة المصرية القديمة على الأسلوب الذى تلقاه من أستاذه (بروكس بك) وجد أن للالفاظ العربية مثيلا فى اللغة المصرية القديمة فجعل يدون ملاحظاته وانتهى الى وضع قاموس لغوى أثبت فيه اشتراك أكثر من عشرة آلاف كلمة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة مما يدل على اتحاد هاتين اللغتين فى أصليهما (٣) كما لاحظ أن المصريين

---

(١) المرجع السابق .
(٢) كتاب الدرر الذهبية فى أصول أبناء الامة العربية تاليف الاستاذ محمد أحمد عيد الهاشمى .
(٣) المرجع السابق .

القدماء كانوا ينظرون الى شبه جزيرة العرب نظرة احترام وتقديس ويعتبرونها أرضا مقدسة فآلهة العرب القديمة فى الجاهلية (اللات والعزى ومناة) كانت من آلهة المصريين القدماء •

(أ) فقد عرف المصريون (اللات) بنفس هذا الاسم وكانت آلهة الحصاد والنمو •

(ب) أما (العزى) فهى المعبودة المصرية (أزى) وكانت احدى (الحاتحورات) السبع (١) •

(د) والمعبودة (مناة) كانت احدى الحاتحورات السبع أيضا ووجدت رسومها فى هيكل اسنا (٢) •

٦ ــ ويتساءل الاستاذ الدكتور عبد العزيز صالح أستاذ الحضارة بجامعة القاهرة فى دراساته تحت عنوان (الى أى الأجناس ينتمى شعب مصر القديمة والى أى حد يمكن أن نتلمسه فى شعب مصر المعاصرة) فيقول : داومت مصر القديمة اتصالاتها بجيرانها الساميين فى الشرق عن طريق معبريها الرئيسين شبه جزيرة سيناء والبحر الاحمر وأفضت هذه الاتصالات الى استمرار التجانس فى الملامح البشرية وأصول اللغات بين أهلها وبين جيرانها وهو تجانس مازالت تؤيده حقيقة مادية ملموسة تتمثل فيما نعرفه من أن المصريين هم من أقرب الساميين شبها بعرب الأردن وشمال شبه الجزيرة العربية الآن حيث استعد المصريون للامتلاء البدنى أكثر من جيرانهم نتيجة لظروف بيئتهم الزراعية فى مقابل بيئة جيرانهم الصحراوية أو شبه الصحراوية •

وعن الحديث عن مدى روابط اللغات القديمة عند المصريين وعند بقية جيرانهم من الساميين تحس التفرقة بين طرق الكتابة فى ناحية وبين اللغات المنطوقة فى ناحية أخرى ، فمهما بدا للعين من غرابة تصور الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية) الا أن لغتها المنطوقة تضمنت من الأصوات والصيغ والمفردات السامية مالا يمكن معه أن ترد صلتها بالأصول السامية الى مجرد اقتباسات طارئة ، وانما لا سبيل الى تفسير هذه الصلة الا بافتراض أصل مشترك لها ، ويتطلب شرح هذه القضية عقد مقارنة بين خواص اللغة المصرية القديمة وبين خواص اللغة العربية الفصحى طبقا لما يلى :

الخواص المشتركة :

١ ــ أخذت اللغة المصرية القديمة فى قواعد نحوها بكثير مما نعرفه عن خواص اللغة العربية

٢ ــ من حيث وجود العين والحاء والقاف بين حروفها وهى حروف اقتصر تداولها على اللغات السامية •

٣ ــ ثم من حيث شيوع الأفعال ذات المصدر الثلاثى فيها وغلبة الأفعال المعتلة الآخر بينهما •

---

(١) الحاتحورات كانت تعنى عند المصريين القدماء المعبودات السماوية •

(٢) المرجع السابق •

الشعب المصرى عراقة أصله العربى

٤ ــ ومن حيث ما أخــــذت به من تركيب عباراتها من سبق الفعل للفاعل والحاق الصفة بالموصوف أو تأكيد الجمل الاسمية ببدئهـــا بحرف (ان) •

٥ ــ ومن حيث استخدام صـيغة المثنى ، واضافة تاء التأنيث فى نهاية بعض الأســماء والصفات المؤنثة واستخدام تمييز البعض من الكل •

٦ ــ وكذا اســتخدام (يــاء النسبة) ، واستخدام (ياء الاضافة) للمتكلم • •

٧ ــ واستخدام (كاف المخاطب) فى حالة المضاف اليه والمعطى له •

٨ ــ واستخدام (نون الجمــع) و (واو الجماعة) واضافة (ميم المكان) ، و (ميــم الأداة) لتكوين أسماء مركبة وكل ذلك مما لا يتأتى الا عن طريق وحدة الأصل القديم بين اللغتين (١) •

وتشهد بعض المفردات المصرية القــديمة• بمثل ماشهدت به قواعدها مع تغيرات طفيفة فى النطق ترتبت على اختلاف اللهجات بيـــن بلد وآخر وبين اقليم وآخر •

١ ــ فكان من الافعال التى نطقها المصريون القدماء ما يشبه نطقها فى لغتنا العربية أفعال (حسب ــ ختم ــ حب ــ خر ــ شد ــ نم ــ وعى ــ وهن ــ هوى ــ عشق ــ حزن ــ نقم) •

٢ ــ وهناك من الأسماء التى نطق المصريون القدماء بمايشبه نطقها الحالى فى اللغة العربية كثير نذكر منها : (ذئب ــ جناح ــ قمــح ــ بركة ــ منحة ــ همهمة ــ عين ــ صـــباع (اصبع) ــ أيد (يد) ــ ودن (أذن) وكل ذلك الى جانب متشابهات أخرى فى (الضمائر) و (القواعد) •

وينتهى الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح فى نهاية دراساته بما لا يدع مجالا لأى شــك فى أن أبناء مصر القديمة هم من أجناس أبناء الجزيرة العربية أصلا ولغة ودينا ، وأنه قديما عندما دخلت المسيحية مصر لم تدخل اليها الا بدين جديد لم يغير شيئا من جنسيتها ، وعندما دخلها الاسلام دخل اليها بدين جديد ســمح كريم ولغة عربية لها بعض الروابط باللغــة المصرية القديمة ثم بدم عربى جدد الـــدم السامى القديم ، ولم يكن مختلفا عنه فى شىء كثير (٢) •

وبعــــد :

فخلاصة القول أن الشعب المصرى فيـــه أصالة السامية وعراقة العروبة وذلك منذ أعمق عصور التاريخ القديم وحتى عصرنا الحديث•

يؤكد هذا المعنى العالم الجغرافى المعاصر الدكتور جمال حمدان فى كتابه •

(شخصية مصر : ودراسة فى عبقـــرية المكان) •

اذ يقــرر :

أن مصر تنتمى الى العالم العربى انتمــاء جغرافيا وحضاريا وسياسيا واقتصـــاديا فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل ، وهـــى

(١) كتاب الدرر الذهبية فى اصول ابنـــاء الامة العربية تاليف الاستاذ محمد احمد عيـــد الهاشمى •

(٢) المرجع السابق •

بتجانسها ووحدتها تتحرك ككتلة واحدة دون أن تعرف الانقسامات والشظايا ، ولهذا كان الاستقرار السياسى فى مصر سمة واضحة لها فهى بمطلق حجمها وبتجانسها المطلق مركز الثقل وقطب القوة فى العالم العربى ، ينتشر ظلها وشبه الظل ، بل والصدى بعيدا فى آفاقه والتاريخ يسجل أن مصر كانت ملتقى العرب ومجمع الاسرة ٠

وأحيانا ملجأ وملاذا وخط الدفاع الأخير عن التراث العربى ٠

ففى العصور الوسطى حين بدأت أخطار الأندلس وقلاقل المغرب تدفق العلماء والصناع على مصر كابن خلدون والامام القرطبى وغيرهم من عرب الأندلس ، ومن العراق مع الطوفان المغولى وبعدهم انتقل العلماء والأدباء والكتاب العرب الى مصر ٠

وفى العصور الحديثة خاصة القرن الأخير كانت مصر بؤرة تستقطب موجات النازحين ، والمهاجرين من عرب الشام من المثقفين والمضطهدين ٠

وفى كل الحالات كانت مصر تلعب دور المنار للاسلام ودور المنبر للعروبة ، واذا كان لهذا مغزى فهو ليس أنها تجمع بين الأضداد والمتناقضات وانما هى تجمع بين أطراف متعددة وجوانب كثيرة خصبة ، وبين أبعاد وآفاق واسعة بصورة تؤكد فيها أن مصر مالكة للحد الأوسط مما يجعلها أمة وسطا ٠

أمة وسطا فى الموقع والدور الحضارى والتاريخى ، وفى الموارد والطاقة ٠

وأمة وسطا فى السياسة والحرب وفى النظرة والتفكير ولعل فى هذه الموهبة سر صمود شعبها وبقائه وحيويته واحتفاظه بعروبته على مر العصور ورغم مر العصور »٠

انتهى كلام الدكتور جمال حمدان (١) ٠

ولعل فيما ذكره ذلك الباحث الكبير مايفسر لنا سر وصية رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه بمصر وبشعبها فيما يروى عنه اذ يقول (ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما) (٢) :

أما الرحم فان هاجر زوج أبى الأنبياء ابرهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأم اسماعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أبى العرب مصرية من قرية كان يقال لها (أم العرب) تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات من الساحل الشمالى وتعرف آثارها حاليا بتل الفرما ٠

وأما الذمة فلأن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تزوج مارية المصرية وقد دعتها كتب السيرة النبوية مارية القبطية وكانت من قرية فى صعيد مصر بقيت منها أطلال قريبة من مركز ملوى بمحافظة المنيا ، وقد أنجب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من تلك السيدة المصرية ابنه ابراهيم ــ الذى لم يعش طويلا بل أدركته المنية وهو طفل صغير ٠

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

(١) كتاب مصر والمصريين قراءات ودراسات للاستاذ عبد الحميد الكاتب بتصرف٠

(٢) صحيح الامام مسلم ٠

مشيخة علماء الجامع الأحمدى

تمهيـــد :

قبل حديثنا عن نظام الدراسة والشــيوخ وغير ذلك من الطلاب والأوقاف المرصدة عليهم بالجامع الأحمدى بطنطا ينبغى أن نلم بطرف على الأقل عن السيد احمد البـدوى الـذى ينسب اليه الجامع الذى نحن بصدد الحديث عنه ، وما ينسب اليه من علمـاء وطـلاب ومقارىء للقرآن وما يكون بـه من خلفـاء أحمديه ، وكيف أن هذا الجامع الشهير لقـى من الســلاطين والأمراء والأغنياء كل اعتنـاء واهتمـام ٠

كيف نزل السيد احمد البدوى الى طنطا :

فى أواسط القرن السابع الهجرى ، هبط الى مدينة طنطا السيد أحمد البدوى ـــ الذى ولد من البيت العلوى الكريم فى مدينة «فاس» من اقليم « مراكش » فى سنة ٥٩٦ هـ ، ثم هاجرت أسرته بعد ذلك الى الحجاز حيث حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه الاسلامى على مـذهب الامام الشافعى ـــ وقرأ القرآن بالقـراءات السبع ، وظل يتدرج فى سلوكه الصوفى حتى صفت نفسه ، وتهذبت روحـه ، وأصـبح من المتصوفة الكبار الذين يشار اليهم بالبنان٠

ثم هاجر الى العراق وتجول فى ربوعها من سنة ٦٣٢ هـ يتعرف على رجال التصوف ، ويدرس أحوال المتصوفين ، وبعد أن زار العراق رجع الى الحجاز ٠ واعتزل الناس ٠

يتعبد مؤتنسا بربه ٠ فساح فى الأرض ٠ حتى وصل الى مصر ٠

وليس بغـريب أن ينزح القطب الى مصر فقد وفد اليها أبو الحسن الشاذلى وجاءها أبو العباس المرسى وغيرهما ٠

وفى سنة ٦٣٨ هـ انتهى المطاف بالسيد احمد البدوى الى مدينة طنطا حيث حل ضـيفا على الشيخ « ركين » أحد تجار طنطا الكبار ٠

واشتهر أمر سيدى احمد البدوى فى أنحاء المدن والقرى المجاورة وانتهت شهرته فى آخر حيـاته الى السـلطان الظـاهر بيبرس

للدكتور مجاهد توفيق

البندقدارى الذى أرسل اليه يومئذ شيخ الاسلام « ابن دقيق العيد » ليسبر غوره وليختبر غرضه ويعرف حالته ، لكنه اقتنع بعد محاورات بأن السيد البدوى رجل صالح وأنه لا غرض له من حطام الدنيا ومتاعها وأنه بعيد عما يخشاه الظاهر من التيارات والقلاقل السياسية ، ولذلك جاء الظاهر بيبرس لزيارته — لما علم بحالته — وأهدى تلامذته ومريديه كثيرا من الكساوى والأطعمة .

وقد أخذت مدينة طنطا تنمو وتكبر بسرعة مذهلة ، وأخذ النازحون اليها والراغبون فى الاقامة بها يزدادون فى سرعة مماثلة ، وكلهم راغب فى أن يعيش ويموت بجوار سيدى احمد البدوى صاحب الكرامات .

بقى السيد البدوى بتلك المدينة متمتعا بعبادة ربه واقبال الناس عليه حتى مات الشيخ « ركين » فاستضاف لديه شيخ البلد وقتئذ « ابن شحيط » الكائن بيته بجوار مسجد البورصة ، المعروف الآن بجامع البهى وأقام بهذا البيت عاملا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الى أن لقى ربه سنة ٦٦٩ هـ ودفن فى مسجده الشهير المنسوب اليه .

السلطان قايتباى المحمودى يزور مقام وجامع السيد البدوى :

يعتبر الجامع الأحمدى بمدينة طنطا من الجوامع التى حازت شهرة كبيرة فى العصر المملوكى عامة والجركسى خاصة ، لما يتمتع به صاحبه من سمعة طيبة فى الوسط الصوفى وقد اهتم بهذا الجامع سلاطين وأمراء العصر المملوكى الجركسى ، وأوقفوا الأوقاف الكثيرة عليه ، وحينما تسنح الفرصة لأحدهم لزيارة هذا الجامع لا يتوانى عن ذلك .

وهذا هو السلطان « قايتباى » الذى حكم مصر تسعا وعشرين سنة نراه وهو يتفقد الجسور باقليم الغربية سنة ٨٨٨ هـ سنة ١٤٨٣ م يعرج على « طنتدا » لزيارة مقام سيدى احمد البدوى (١) .

وكان هذا الجامع جامعة مصغرة لجامعة النظامية والمستنصرية ببغداد وجامعة الأزهر بالقاهرة ، فلا عجب اذن أن يشد طلاب العلم

(١) عبد الرحمن عبد التواب : قايتباى المحمودى — سلسلة الاعلام — ص ٥٨ .

والمعرفة الرحال اليه لينهلوا من هذا المورد العذب على يد أعظم الأساتذة وأتقاهم •

وقد كان النظام المتبع فى ذلك العصر هو نظام الجامعات ، أى أنه كان هناك الأستاذ الذى يدرس بالجامع وهو من علماء المسلمين الأجلاء ، وكان هناك المعيد المقرى الذى يعيد على الطلبة ما ألقاه عليهم الأستاذ الشيخ المدرس (٢) •

المدرسون والطلاب بالجامع الأحمدى فى العصر المملوكى والعثمانى :

درس ودرس بالجامع الاحمدى بطنطا عدد لا يحصون كثرة فى العصر المملوكى والعثمانى .. ولا نستطيع الاستطراد فى عجالة كهذه ، ولكننا سنذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر ، فمنهم •

١ ــ محمد بن عيسى بن ابراهيم الشمس النواجى (٣) الطنتدائى ثم الأزهرى الشافعى الضرير ولد « ببيزوك » وتحول الى «نواج» حيث نشأ فيها ، ثم تحول قرب البلوغ منها الى طنتدا فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون بالجامع الأحمدى ثم تحول الى الأزهر فأكمل الدراسة به .. مات سنة ٨٧٩ هـ وسنة ١٤٧٠ م •

٢ ــ نور الدين على الشونى الشافعى الصالح ، المجمع على جلالته وعفته ، ولد بشونى قرية بناحية طنتدا من غربية مصر ، نشأ منذ صغره فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انتقل الى مقام سيدى احمد البدوى فأقام فيه مجلس الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وجلس فى الجامع الأحمدى عشرين سنة ، ثم انتقل الى الأزهر وانتشرت طريقته التى سميت بعد ذلك « بالمحيا » وانتشرت ببركته فى الآفاق مات سنة ٩٤٤ هـ سنة ١٥٣٧م ودفن بزاوية مريده الشيخ عبد الوهاب الشعرانى (٤) •

تبادل العلماء بين الأزهر بالقاهرة والجامع الأحمدى بطنطا :

كان هناك تبادل علمى بين الجامع الأزهر بالقاهرة والجامع الأحمدى بطنطا •

يحدثنا العلامة السخاوى : عن الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان الديمى الأصل الطبناوى (١) ثم القاهرى الأزهرى الشافعى المولود سنة ٨٢١هـ سنة ١٤١٨ م ، حفظ القرآن الكريم بعدة بلاد مجاورة لبلدته منها (بهوت « وديما » و (طبنا) ، ثم اشتغل بالزراعة ، ثم فر من الفلاحة سنة ٨٤٢ هـ الى القاهرة حيث درس بالأزهر الى أن نبغ فى علوم كثيرة منها الحديث الشريف •

عينه شيخه العبادى (٢) لتدريس الحديث واسماعه بالجامع الاحمدى بطنتدا فتوجه اليه

---

(٢) فهرس مكتبة القصبى بطنطا ــ ص٥٣ •
(٣) نسبة الى « نواج » احدى قرى مركز طنطا ، وهى قرية مشهورة بالعلم والعلماء •
(٤) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى حـ ٨ ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩ •

(١) طبنا من أعمال سخا من الغربية •
(٢) نسبة « لمنية عباد » من أعمال الغربية الضوء اللامع حـ ١١ ص ٢١٤ ، التحفة السنية لابن الجيعان ص ٩٧ •

مرة بعد مرة وذاع صيته (٣) .

وكان ممن درس بالجامع الأحمدى ودرس به أيضا العلامة : ابن حجر الهيتمى (٤) .

وقد أهمل المعهد الأحمدى فى العصر العثمانى ، لكن الدراسة به كانت مستمرة وقد تحسنت أكثر فى عهد الأمير « على بك الكبير » الذى رتب له الأوقاف العظيمة ..

نظام الدراسة وطرق التدريس والكتب :

أصبحت مدرسة الجامع الأحمدى مدرسة مرموقة يؤمها طلاب العلم من المشرق والمغرب يقول على مبارك فى خططه (٥) عن الجامع الأحمدى فى أيامه :

انه صار (له فى تدريس العلوم شبه بالجامع الأزهر) وأن فيه (٢٠٠٠ ألفين من الطلاب غير المدرسين) ، وان له (شيخا كشيخ الجامع الأزهر) ، وأنه (قد تداولت مشيخة العلماء بالجامع الأحمدى قديما وحديثا جملة وافرة من أجلاء العلماء وفضلائهم) .

كانت العلوم التى تدرس بالجامع الأحمدى علوما دينية وعربية كما هو الحال فى جميع المدارس فى أيام العثمانيين ، وهى تشمل بهذا المفهوم علوم : التفسير والحديث والفقه والأصول والقراءات والتوحيد والفرائض والنحو والبيان والبديع والمعانى والعروض ، وتشمل بجانب ذلك أيضا بعض العلوم الدنيوية المتصلة بالعلوم الدينية ، كعلم الحساب وعلم الهيئة ، وعلم الفرائض (المواريث) والطبقات .

أما طريقة التدريس فهى نظام الحلقات والشيخ فى وسط طلابه يشرح لهم وهم ملتفون حوله ، وهو يلقى محاضرته من مخطوط أو مرتجلا ، وفى نهاية الدرس يطلب من طلابه الاسئلة ويفتح لهم بابها . والطلاب يسألون بأدب وذوق عظيمين ، فاذا بقى شىء لم يفهمه بعض الطلاب ، فان المعيد يقوم بشرحه وتوضيح ما كان غامضا منه .

الأوقاف على طلاب وشيوخ الجامع الأحمدى :

نظرا لشهرة الجامع الأحمدى وقيامه بتعليم المسلمين العلوم الدينية والعربية وتصدى علماؤه وطلابه للحملات التبشيرية والتيارات الوافدة ، وجدنا الأمراء والخيرين يقومون برصد الأحباس والأوقاف على الجامع الأحمدى وسنتحدث فقط عن جزء من وقفية على بك الكبير .

كان بالجامع الأحمدى فى أيام « على بك الكبير » عشرة من العلماء الاعلام ، يقومون بالقاء الدروس فى عشر مواد ، ويوقف عليهم سنويا مائة اردب من القمح (١) ..

كما أنه أوقف أيضا ٢١٦٠ نصف فضة (٢) تصرف سنويا (فى معلوم رجل من علماء المسلمين المحدثين ، يقرأ فى المسجد المرقوم فى كل يوم درسا فى حديث البخارى) .

وتنص الوقفية أيضا على أن يعطى لكل

---

(٣) الضوء اللامع جـ ٥ ص ١٤٠ ـ ١٤٢ .
(٤) راجع : دليل القيم الثقافية ـ القاهرة سنة ١٩٦٥ ص ٢٥٠ .
(٥) الخطط التوفيقية جـ ١ ص ٤٦ .
(١) حجتى وقف على بك الكبير على الجامع الاحمدى بأرشيف وزارة الاوقاف رقم ٧٤٣ .
(٢) النصف فضة ، ثلاثون منه تساوى جنيها تقريبا أى ما يعادل اثنتان وسبعون جنيها تقريبا .

مجاور ستة أرغفة من الخبز القرصة وفولا نابتا ، بعد صلاة الصبح ، وشربة بر ، وفى رمضان تزيد الجراية ، فيدخل فيها اللحم والأرز والمسلى والبصل والحمص والمصلح (١) .

كذلك خصصت الوقفية أثمانا للكساوى ، تشترى لكافة العلماء والمجاورين والعميان والأيتام بالجامع الأحمدى من بفتة وزعابيط وقماش أبيض كل شخص بما يليق ، وذلك فى حدود ١٨٥ ألف نصف فضة ضمن جميع ما كان يصرف مما تغله أوقاف على بك الكبير على الجامع الأحمدى وتبلغ ٧١٨ر٩٧٥ اردبا من القمح فى الوقفية الأولى وريعا صافيا قدره ٨٤٨ر٥٢٥ نصف فضة فى الثانية ، وهى بلا شك أرقام كبيرة حتى فى أيامنا هذه .

وقد خصصت الوقفية معلوما سنويا لمعيد مقرىء يبلغ ٧٢٠ نصف فضة وشرطت أن يكون عالما فاضلا فقيها شافعيا محدثا مفسرا نحويا أصوليا .

فما بالنا اذن بامام الجامع الذى كان يمنح طلبته درجة العالمية كما كان شيخ الأزهر يفعل قبل القوانين المنظمة للدراسة والامتحانات .

شيوخ الجامع الأحمدى بطنطا :

لا نستطيع حصر شيوخ الجامع الأحمدى من بداية الدراسة على وجه الدقة ولكننا استطعنا بعون الله تعالى ثم بمساعدة فضيلة أستاذنا الشيخ محمد ابو الفتح شاهين شيخه الحالى وفضيلة أستاذنا الشيخ صديق عوض والشيخ الأحمدى أبو جبل والشيخ على حتاتة وكلاء المعهد أن نتعرف من خلال لوحة فى حجرة الشيخ على عدد الشيوخ الذين تولوا مشيخة المعهد وكان أولهم وأقدمهم :

١ ــ **الشيخ / محمد أبو النجا وشهرته مجاهد** وهو شيخ الجامع على عهد على بك الكبير وصاحب القبة الشرقية بالمسجد الحالى.

٢ ــ **السيد امام القصبى** (٢) ابن صاحب زاوية القصبى الشهيرة بجوار الجامع الأحمدى بطنطا والذى تولى التدريس بالجامع الأحمدى عندما شب عن الطوق ، والذى رأى الجامع على يديه الخير كل الخير .

٣ ــ **السيد محمد القصبى** الذى كان له درس لكافة المجاورين بالجامع الاحمدى صباحا ثم يعقد للخاصة من الكبار علماء الجامع الأحمدى ومن الزوار بالمساء مجلسا يناقش فيه ما استعصى عليهم فهمه فى درس الصباح المبسط ، وهو أشبه شيىء بما نسميه الآن الدراسات التخصصية أو العليا .

٤ ــ **الشيخ / ابراهيم الظواهرى (٣) :**

---

(١) المصلح هو نوع من ملح الطعام الذى وضع عليه بعض التوابل (يسميه العامة دقة) .
(٢) القصبى نسبة الى بلدة « القصبات » بالمغرب العربى والذى ينسب اليها آل القصبى بمصر .
(٣) نسبة الى الظاهرية احدى قرى محافظة الشرقية ، وهذا الشيخمدفون بزاوية الظواهرى بشارع السباعى بطنطا .

وكان أيضا ناظرا على أوقاف الجامع الأحمدى بطنطا ٠

٥ ـ الشيخ حسنين مخلوف : وفى عهده وضع حجر أساس المعهد الأحمدى الكائن الآن بجوار محطة السكة الحديد بطنطا ٠

٦ ـ الشيخ / محمد الأحمدى الظواهرى : الذى تولى بعد ذلك مشيخة الجامع الأزهر ، وهو الذى شارك فى تطوير الأزهر بعد توليه مشيخته ٠

٧ ـ الشيخ / عبد الغنى محمود ٠
٨ ـ الشيخ / عبد المجيد الشاذلى (٣) ٠
٩ ـ الشيخ / محمد الدينارى ٠
١٠ ـ الشيخ / سليمان السرتى ٠
١١ ـ الشيخ / سليمان نوار (٤) ٠
١٢ ـ الشيخ / ابراهيم الجبالى (٥) ٠
١٣ ـ الشيخ / محمد عبد الفتاح العنانى ٠
١٤ ـ الشيخ / احمد حميدة ٠
١٥ ـ الشيخ / الجهنى ٠
١٦ ـ الشيخ / الحسينى سلطان ٠
١٧ ـ الشيخ / مصطفى الشربينى ٠
١٨ ـ الشيخ / عبد الآخر أبو زيد ٠
١٩ ـ الشيخ / محمد زغلول ٠
٢٠ ـ الشيخ / عبد العزيز محمد سمك ٠
٢١ ـ الشيخ / محمد ابراهيم الحفناوى ٠
٢٢ ـ الشيخ / زكى حسن سليم ٠
٢٣ ـ الشيخ / ابراهيم الشيخ عبد السلام ٠
٢٤ ـ الشيخ / محمد احمد على محمود ٠
٢٥ ـ الشيخ / محمد ابو الفتح محمد شاهين ٠

اللوحة التأسيسية للمعهد الاحمدى بطنطا :

لما ضاق الجامع الاحمدى بطنطا وزاد المد التعليمى فى الأزهر ، أراد الخديوى عباس حلمى الثانى أن يخفف على طلاب العلم عناء التعب والارهاق ، بالاضافة الى محاربة البدع والخرافات والوقوف ضد التيارات الوافدة علينا من الغرب ، فوافق على انشاء المعهد الأحمدى ، وقد جاء فى اللائحة التأسيسية هذا المعهد العريق :

« أنشىء هذا المعهد فى عهد الجناب المعظم الحاج عباس باشا حلمى الثانى ، وكان سعادة شفيق باشا مديرا للأوقاف ، وقد تمت عمارته فى زمن ابراهيم بخيت باشا الذى خلفه ، وكان الشيخ حسنين مخلوف شيخا للجامع الأحمدى ، ومحمود فهمى بك باشمهندسا (١) للديوان ، وضع أساسه فى يوم السبت ٢٩ صفر سنة ١٣٢٩ هجرية ١١ فبراير سنة ١٩١١ ميلادية وتم انشاؤه سنة ١٣٣١ هـ وسنة ١٩١٣ م ٠

---

(٣) من مواليد شبراتنا ـ مركز كفر الزيات، والآن تتبع مركز بسيون ـ غربية ٠

(٤) كان بعد ذلك عميدا لكلية اللغة العربية ، ونجله هو الاستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار رئيس قسم التاريخ الحديث والمشرف على وحدة الميكروفيلم ودراسات الشرق الاوسط بجامعة عين شمس ، والشيخ سليمان نوار من مواليد كفر شكر قليوبية ٠

(٥) كان الشيخ الجبالى عميدا لكلية اللغة العربية ، وهو من مواليد محافظة البحيرة ، وله مدرج باسمه بالكلية هو مدرج الشيخ ابراهيم الجبالى ٠

(١) كذا ٠

مشيخة علماء الجامع الأحمدى

طلبة العلم الشريف بالجامع الأحمدى كانوا يعفون من طلب القرعة العسكرية :

كان كل طالب علم بالجامع الأزهر والجامع الأحمدى وغيرهما يعفون من التجنيد حسب القانون الذى جاء فى المادة السادسة عشرة من الباب الرابع منه والصادر سنة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م :

« يعفى من الخدمة العسكرية العلماء والمدرسون بالجامع الأزهر أو بغيره بأى بلدة أو مدينة كانت بالقطر المصرى بشرط أن يكون بمقتضى شهادات من حضرة شيخ الجامع الأزهر .

يعفى أيضا من الخدمة العسكرية جميع الطلبة المشتغلين بالعلم الشريف فى الجامع الأزهر وغيره سواء كانوا بمصر المحروسة أو ببلدة أخرى من القطر المصرى بشرط أن يتفرغوا لطلب العلم مدة الخدمة العسكرية وتتحقق جميع هذه الأحوال كمعافاتهم من العسكرية بمقتضى شهادات تعطى لهم من المشايخ أساتذتهم مصدقا عليها من حضرة شيخ الجامع الأزهر وهذه الشهادات يجب أن يقدموها الى مجالس « القرعة » وقت انعقادها بالمديريات والمحافظات للاقرار عليها، والحكم بالمعافاة على مقتضاها .

وبشرط أن يتفرغوا لطلب العلم بلا حرفة ولا صناعة سواه فى المدة المقررة للخدمة العسكرية ، وأن يكون امتحانهم فى العلوم الواجب عليهم تحصيلها للمعافاة بموجبها واجراء الاستعلامات والتحريات اللازمة للوقوف على خلوهم من الحرف والكارات والصنائع .

ويصير تشكيل مجلس علمى فى كل محافظة أو مديرية ، مركب من قاضى ومفتى المحافظة أو المديرية ، ومن يلزم من حضرات مشاهير العلماء ذوى اللياقة بالجهة المذكورة تحت رياسة أحدهم .

ويشترط فى الترخيص لتقديم الانهاء السابق ذكره ... بوصف طلب العلم أن يكون الطالب قد تلقى فى فن الفقه على مذهبه وفى فن النحو عمن يعتبر التلقى عنه من حضرات العلماء مدة سنتين على الأقل .

ويشترط فى قبول الانهاء المذكور للمعافاة بوصف كون الشخص من طلبة العلم أن يكون قد تلقى فى المدة المذكورة من كتب النحو مثل متن الأجرومية ببعض شروحها كشرح الكفراوى أو هو وشرح الشيخ خالد عليها فأزيد على حسب ماتعارفعليه أهل الجهة فى طلب العلم ثم ان كان طالب العلم حنفىالمذهب يشترط فيه زيادة عن تلقيه السابق ذكره فى فن النحو أن يكون قد تلقى من كتب فقه مذهب الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان أيضا شرح مراقى الفلاح على متن الايضاح هو وشرح الطائى الصغير على متن الكنز فأكثر .

وان كان شافعى المذهب ... أن يكون قد تلقى من كتب الفن شرح ابن قاسم الغزى على متن أبى شجاع أو هو وشرح الخطيب الشربينى على متن أبى شجاع المذكور فأكثر .

وان كان مالكى المذهب ... أن يكون قد

المعاهد الدينية العلمية الاسلاميه

مشيخة الجامع الأحمدى

شهادة

بنتيجة الامتحان السنوى للطالب [illegible] سنة ٢ قسم أول

سنة ١٣٣٠ — ١٣٣١ دراسية

العلوم	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى	الدرجات التى حصل عليها الطالب	العلوم	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى	الدرجات التى حصل عليها الطالب	العلوم	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى	الدرجات التى حصل عليها الطالب
التوحيد ...	٤٠	٢٠	٤١	السيرة النبوية	٣٠	١٢	٤٠	التجويد ...	٢٠	—	١٠
الحديث ...	٤٠	٢٠	—	الاخلاق الدينية	٣٠	١٢	٢٢	الخط	٢٠	—	١٢
الفقه	٤٠	٢٠	٢٨	الحساب ...	٣٠	١٢	٢١	قواعد الصحة	٢٠	—	—
النحو	٤٠	٢٠	٢٩	الاملاء ...	٣٠	١٢	٢٤	الاشياء ...	٢٠	—	١١
الصرف ...	٤٠	٢٠	٢٢	بيان ...	٣٠	١٢	—	التاريخ ...	٢٠	—	
المطالعة ...	٤٠	٢٠	٤٠	المنطق ...	٣٠	١٢		تقويم البلدان	٢٠	—	
الانشاء ...	٤٠	٢٠	—					السلوك ...	٥٠	٤٠	١٠
								المواظبة ...	٤٠	٣٠	٤

النتيجة ناجح ونقل الى السنة الثالثة

ترتيبه فى الناجحين ٦٧ مكرر من عدد الناجحين من طلبة سنته ٢٨٨

والمشيخة تنصح طلاب القسم الاول أن يتمسكوا بالآداب الشرعية ويشتغلوا بمذاكرة العلم وتلاوة القرآن الشريف وحفظ ما يفيدهم من الفوائد العلمية والقطع الشعرية والنثرية والله الموفق والمعين

شيخ الجامع الاحمدي

تلقى من كتب الفن **شرح ابن تركى على متن العشماوية أو هو وشرح الزرقــانى على متن العزية فأكثر .**

وان كان حنبلى المذهب ... أن يكون قــد تلقى من كتب الفن **شرح نيل المآرب على متن دليل الطالب أو هو وشرح المقنــع على متن الزاد فأكثر** أو ما شاكل تلك الكتب بحســب ماتعارفه أهل كل جهة . (١)

حلقات العلم بالجامع الأحمدى فى النصــف الثانى من القرن التاسع عشر :

كثرت حلقات العلم بالجــامع الأحمــدى بطنطا حتى صار الجامع كخلية النحل نشاطا وحركة ودقة ونظاما وعلما وفنا ، **يؤدى دوره** فى خدمة علوم الاسلام وعلوم العربية والعلوم العقلية والفلسفية ، **وقد قــام هذا الجــامع** بدور بارز **فى صــد التيــارات والحمــلات** التبشيرية الصليبية المستترة على مصر كلهــا **ونلمس ذلك واضحا فى المظاهرات التى قامت** بطنطا من طلاب وشيوخ هذا الجامع **يكشفون** للرأى العــام ألاعيب الانجليز وخــداعهم **فى** سبيل نشر المذاهب الهدامة فى الوجة البحرى، ووقف رجال المعهد الأحمدى يلهبون مشاعر الناس ضد الانجليز ، وحينما كانت تشــتد

(١) راجع صفحات ١٥ ، ١٦ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ من قانــون القرعة العسكرية المصرية ط الخامسة المطبعــة الاميرية ببولاق سنة ١٨٨٥ م .

مشيخة علماء الجامع الأحمدى

الحرب فى الاسكندرية .. كان الجامع الأحمدى يستضيف طلابها وشيوخها ، فينزلونه مكرمين ، ويجلسون فى حلقات العلم ينهلون من فيضه العميم .

وكان لكل شيخ حلقة من حلقات الجامع ، وبعضهم تخصص فى الحديث الشريف والبعض تخصص فى التفسير ، والآخر تخصص فى الفقه الشافعى أو الحنفى أو المالكى أو أصول الفقه ، حتى اشتهر بعضهم بتدريس شرح كتاب معين هو حاشية كذا على شرح كذا فى فن كذا حسبما نفصله قريبا .

شيوخ العلم بالجامع الأحمدى سنة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م ودرجتهم فى العالمية ومذهبهم :

استطعنا ــ بفضل الله تعالى وبمساعدة العلماء بطنطا وبما عثرنا عليه من دشت أن نكون فكرة عن نظام الدراسة بالجامع الأحمدى بطنطا ، وفى أوراق مبعثرة متخلفة عن حريق كتب عليها « سجل حصر المجاورين بالجامع الأحمدى » سنة ٣٠٢/٣٠٣ هـ وجدنا أسماء الشيوخ المدرسين ودرجاتهم العلمية ومذاهبهم الذين كان لهم حلقات بهذا الجامع:

فمن علماء الدرجة الأولى من الشافعية :

١ ــ حضرة (١) السيد محمد القصبى شيخ الجامع الأحمدى .
٢ ــ حضرة الشيخ محمد الجندى .
٣ ــ الشيخ عبد العزيز يحيى .
٤ ــ الشيخ سيد احمد الحويحى .
٥ ــ الشيخ سيد الطوخى .
٦ ــ الشيخ محمد البهى الحويحى .
٧ ــ الشيخ محمد محسن الشبينى .
٨ ــ الشيخ محمد الفقى .
٩ ــ الشيخ على عطا الله البشبيشى .
١٠ــ الشيخ محمد البسيونى أبى رية .

ومن علماء الدرجة الثانية فى العالمية :

١١ــ الشيخ على المليجى .
١٢ ــ الشيخ سيد البشبيشى .
١٣ــ الشيخ موسى عبد ربه .
١٤ــ الشيخ أحمد العريان .
١٥ــ الشيخ ابراهيم هاشم .
١٦ــ الشيخ عثمان بدوى .
١٧ــ الشيخ أحمد أبى ليلة .
١٨ ــ الشيخ سيد محيى الدين .
١٩ــ الشيخ عبد الوهاب بركات .

ومن علماء الدرجة الثالثة فى العالمية :

٢٠ــ الشيخ عبد الرحمن الدماطى .
٢١ــ الشيخ مصطفى الجندى .
٢٢ــ الشيخ يوسف عبد الحافظ .
٢٣ــ الشيخ على الحضرى .
٢٤ــ محمد السحيمى .
٢٥ ــ الشيخ دسوقى الشبينى .

ومن علماء الدرجة الرابعة :

٢٦ــ الشيخ ابراهيم شريف .

(١) كلمة السيد هنا ليس اسما ولكنها لقب تشريف وتعظيم .

مشيخة الجامع الاحمدى

١٥٩٨

التوحيد

النحو

اخطار

... نتيجة الامتحان الصورى لسنة ١٣٢٨ - ٢٩ دراسية .

تخطر المشيخة ولى أمر هذا الطالب أن نتيجة الامتحان الصورى قد أسفرت عن سقوطه فى العلميين المرقومين بعاليه . فهى ترغب الى حضرته أن ينصحه على مذاكرة ذلك ليتيسر له أداء الامتحان فيه أول السنة وإلا عومل بما تقتضيه اللائحة .

تحريرا فى شهر رجب سنة ١٣٢٩ (شهر ... سنة ١٩١١) شيخ الجامع الأحمدى

(٨)

٢٧ـ الشيخ قطب بكر التلاوى .

٢٨ـ الشيخ محمد عمارة السبرباوى .

٢٩ـ الشيخ عثمان قرة عمر .

ومن علماء الدرجة الخامسة :

٣٠ ـ الشيخ محمد عبد القادر الحبيشى .

٣١ـ الشيخ محمد عبد الرحيم .

٣٢ـ الشيخ محمد الوكيل .

٣٣ـ الشيخ ابراهيم الصواف المحلاوى .

ومن العلماء الحنفية بالجامع الأحمدى :

١ ـ الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى

٢ ـ الشيخ عمر الرافعى . درجة أولى

٣ ـ الشيخ مصطفى حبيب . درجة رابعة

٤ ـ الشيخ فتح الله طايل . درجة خامسة

أما العلماء المالكية فهم :

١ ـ الشيخ محمد المنهراوى .
درجة أولى

٢ ـ الشيخ اسماعيل الدلبشانى .
درجة أولى

٣ ـ الشيخ عبد اللطيف سعد .
درجة أولى

٤ ــ الشيخ على المنوفى ٠
درجة ثانية
٥ ــ الشيخ على كــامل ٠
درجة ثالثة
٦ ــ الشيخ اسماعيل الصباغ ٠
درجة ثالثة
٧ ــ الشيخ ياسين الجيزاوى ٠
درجة ثالثة
٨ ــ الشيخ محمد البرعى ٠
درجة رابعة
٩ ــ الشيخ على أبو دياب ٠
درجة رابعة
١٠ــ الشيخ محمد سلامة الشبراباصى ٠
درجة خامسة
١١ــ الشيخ عبد اللطيف عواد ٠
درجة خامسة
١٢ــ الشيخ فاضلى الشناوى ٠
درجة خامسة

المجمــوع تسعة وأربعون شيخا ، وكــل شيخ كان له حلقة بالجامع الأحمدى ، وليس معنى هذا أن العدد وقف عند هــذا الحد ، بل كانت الحلقات تزيد فى بعض السنين نظرا للأســاتذة الزائرين للجــامع من البــلاد الاسلامية ٠

وتختلف الحلقات هنا عــن حلقات الأزهر بالقاهرة ــ حسب ظنى ــ فالحلقات بالأزهر كانت حرة ، لا يسجل فيها الطلاب ، ومــن أراد أن يخرج من هذه الحلقة الى غيرهــا فليفعل ليس عليه قيد أو شرط ، عكس الجامع الأحمدى الذى كانت حلقاته مقيدة ، فكــل شيخ لديه قائمة بعدد الطلاب الذين يحضرون حلقته وبلادهم ومراكزهم ، وكان الشــيخ لذلك يعرف طلبته واحدا واحــدا ويتابعه اذا غاب عن الحلقة ويعرف درجته العلمية ، وهو الذى يمتحنه ، ثم يبلغ شيخ الجامع الأحمدى الذى يتولى بــدوره تبليغ ولى أمر الطالب ببلدته ولدينا خطاب بنتيجة الطالب يونس ابراهيم عبيد بلدة (كفر الحاج داود) مركز السنطة غربية ٠

وهذا نظام فى رأينا أفضل ، ففيه جدية فى طلب العلم ، فالطلاب كلهم مقيدون فى قائمــة والشيخ من ثم يتابع الطالب ، ويعرف قدرته العلمية ويتابع حضوره ، كما يلاحظ سلوكه ٠

وكل طالب يتخلق بأخلاق العلماء العاملين ، والا قطعت منه بعض درجات سلوكه أو كلها وحرم الجراية ، وعليه بعد تكرر ذلك منه ، أن يحمل عصاه على كتفه ويعود الى بلدته ويكون كمن رجع بخفى حنين ٠

ومشيخة الجامع الأحمدى تتــابع نتيجــة امتحان الطلاب وترسل بدورها الى أوليـــاء أمورهم ليعملواهم من جانبهم على تشجيــع أبنائهم على مذاكرة العلوم وعدم الاشــتغال بغير العلـــم ، فاذا أتم الطالب دراســـته بالجامع الأحمدى ، وقد حصل قدرا كبيرا من العلم ينفعه فى دينه ودنياه ٠

وهذا النظام ان دل فانما يدل على مــدى تقدم التربية الاســلامية ورقى العلم والنظم التى سلكتها معاهد المسـلمين فى عصــورها الزاهرة ، من شحذ همم أذهان الطــلاب ومن متابعة للطلاب وأولياء أمورهم لهم بجــانب

متابعة المؤسسة العلمية وهو حرص شديد للمشيخة ، نادت به التربية الحديثة فى الشرق والغرب فأنشأوا مجالس الآباء لمساعدة المشيخة فى متابعة التلاميذ .

ونقدم هنا نماذج جدولية تبين نظام العمل بالجامع الأحمدى سنة ١٣٠٢ هـ .

١ ــ درس شيخ الجامع وعدد الطلاب وبلادهم :

جاء فى سجل حصر المجاورين بالجامع الأحمدى ص ٢ ، ٣ سطر ٢٤ وما بعده ... ما يأتى :

« مذكورين طلبت (١) علم » بدرس حضرة شيخ الجامع الأحمدى بموجب قائمة وعليها شرح بالاعتماد فى درس التحرير .

١ ــ محمود خيال بن خيال بن نصر من ناحية ششته بمركز سمنود غربية .

٢ ــ اسماعيل بطيخ بن البهنسى بطيخ ابن سلمان من ناحية ميت يزيد بمركز سمنود .

٣ ــ احمد نعامة بن عبد المتعال بن عبد المتعال من الناحية المذكورة شرحه .

٤ ــ أحمد شيانة بن أبو الخير بن أحمد شرحه .

٥ ــ أحمد سلامة بن ابراهيم بن أحمد أبشواى الملق بمركز محلة منوف غربية .

٦ ــ محمد محمد سنار بن محمد سنار الميقاتى فى طنطا بمركز محلة منوف غربية .

٧ ــ محمد الخطيب بن محمد بن الشافعى ابن محمد من ناحية ميت يزيد بمركز سمّنود غربية .

٨ ــ محمد الفار بن محمد الفار بن السيد أحمد من شبرا النملة بمركز محلة منوف غربية .

٩ ــ مصطفى الجندى بن أحمد بن مصطفى من ناحية قليب ابيار بمركز كفر الزيات غربية .

١٠ ــ محمد أبو راضى السفوة بن محمد ابن أحمد بن أحمد من ناحية ميت حبيش القبلية بمركز الجعفرية .

١١ــ على ابراهيم خطاب بن ابراهيم بن ابراهيم شرحه .

١٢ ــ محمد زايد بن الشحات من ناحية « ميت زامر » بمركز القنايات من مديرية الشرقية .

١٣ ــ محمد أبو العطا بن على بن موسى من ناحية طنطا بمركز محلة منوف غربية .

تابع ما قبله .

الاسم	اسم البلد	اسم المركز	اسم المديرية
١٤ ــ ابراهيم عثمان بن على بن عثمان .	شبرابيل	الجعفرية	غربية .
١٥ ــ سلميان العنانى بن العنانى بن مسعود	شبرابيل	الجعفرية	غربية .
١٦ ــ البيومى السعيد بن محمد بن سالم	طبلوها	مليج	منوفية .

(١) كذا .

١٧ ــ محمد عباس بن عبده بن جاد	ابشواى	محلة منوف	غربية
١٨ ــ محمد الشهاوى بن سليمان بن ابراهيم	طنطا	محلة منوف	غربية
١٩ ــ أحمد عجور بن يوسف بن محمد	طنطا	محلة منوف	غربية
٢٠ ــ على شرشر بن محمد بن صالح	طنطا	محلة منوف	غربية
٢١ ــ ابراهيم أبو عبية بن ابراهيم بن احمد	ميت يزيد	سمنود	غربية
٢٢ ــ الشافعى سعد بن سعد بن سنحانة	ميت يزيد	سمنود	غربية
٢٣ــ أحمد جعيصة بن ابراهيم بن على	قحافة	محلة منوف	غربية
٢٤ ــ ابراهيم شمس الدين بن ابراهيم ابن أحمد	ميت يزيد	سمنود	غربية
٢٥ــ محمد رخا بن محمد رخا بن محمد	طنطا	محلة منوف	غربية
٢٦ــ أحمد علام بن ابراهيم بن على •	سبرباى	محلة منوف	غربية
٢٧ــ محمد الفراش بن ابراهيم بن على	طوخ دلكة	تلا	منوفية
٢٨ــ محمد الفقى بن يوسف •	عطف ابو جندى	محلة منوف	غربية
٢٩ــ محمد أبو يوسف بن سليمان بن حنيب	من كفر الهلاوى	محلة منوف	غربية
٣٠ــ حامد سالم بن سالم بن محمد	طنطا	محلة منوف	غربية
٣١ــ محمد سيد أحمد الشرقاوى بن سيد أحمد	طنطا	محلة منوف	غربية
٣٢ــ محمد علام	طنطا	محلة منوف	غربية
٣٣ــ « مستجد بورقة » حسن مصطفى بن محمود الصعيدى •	مليج	مليج	منوفية

٢ ــ طلبة العلم بدرس الشيخ محمد الجندى الشافعى :

مذكورين طلبت علم بدرس المنهج على حضرة الشيخ محمد الجندى •

الاسم	البلد	المركز	المديرية	مدة الحضور
١ ــ السيد عبده بن أبو العزم بن محمد	كفر نواى	زفتى	غربية	٢٠
٢ ــ ابراهيم حسنين بن حسين بن حسن	ديا	الجعفرية	غربية	٢٠
٣ ــ على الجروانى بن محمد بن ابراهيم	ديا	الجعفرية	غربية	٢٠
٤ ــ أحمد بدر بن مصطفى بن أحمد	ميت يزيد	سمنود	غربية	٢٠
٥ ــ خضير عبد المعطى بن سليمان بن عبد المعطى	القرشية	الجعفرية	غربية	٢٠
٦ ــ محمد القهوجى بن على بن شهاب الدين	كفر الديب	زفتى	غربية	٢٠
٧ ــ محمد شومان بن على بن محمد	كفر الديب	زفتى	غربية	٢٠
٨ ــ عمر حميدة بن سيد أحمد بن عمر	السملاوية	زفتى	غربية	٢٠
٩ ــ سيد أحمد مطاوع بن على بن مطاوع	سبرباى	محلة منوف	غربية	٢٠
١٠ ــ أبو الفتوح فتح الباب بن فتح الباب بن عبد الرحمن	دماص	ميت غمر	دقهلية	٢٠
١١ ــ محمد رزق بن السيد على بن السيد على	شبرا اليمن	سمنود	غربية	٢٠
١٢ ــ عبد الرحمن شرويده بن يوسف بن سيد أحمد	شبرا اليمن		غربية	٢٠
١٣ ــ السيد النقيب بن أحمد بن النقيب	حانوت	زفتى	غربية	٢٠
١٤ ــ على الشيشينى بن على بن محمد	كفر محلة حسن	سمنود	غربية	٢٠
١٥ ــ محمد العنانى بن على بن على	كفور نجم	الابراهيمة	شرقية	٢٠
١٦ ــ حسن قنديل بن قنديل بن حسن	كفر طبليه	تلا	منوفية	٢٠
١٧ ــ عبد الله البرى بن ابراهيم بن يوسف	نفيا	الجعفرية	غربية	٢٠

٣ ـ طلبة العلم بدرس الشيخ محمد المنهراوى المالكى :

مذكورين طلبت علم بدرس الخرشى على حضرة الشيخ المنهراوى بموجب قائمة الختمة«١»

الاسم	البلد	المركز	المديرية	مدة الحضور
١ ـ على القطان بن بسيونى بن على	كفر سيجر	تلا	منوفية	١٢
٢ ـ مصطفى بدير بن على بن محمد	كفر ديما	تلا	منوفية	٢١
٣ ـ حسن ابو حلوة بن على بن حسن	كفر سيجر	تلا	منوفية	٣٠
٤ ـ ابراهيم جامع بن عبد الجواد بن عامر	حصت اكوه	تلا	منوفية	٢٣
٥ ـ حسنين البنبى بن أحمد بن محمد	جدام	تلا	منوفية	١٤
٦ ـ أحمد المنهراوى بن الشيخ المنهراوى ابن محمد عويس	طنطا	محلة منوف	غربية	١٠
٧ ـ محمد المنهراوى شرحه	طنطا	محلة منوف	غربية	٩
٨ ـ مصطفى المنهراوى شرحه	طنطا	محلة منوف	غربية	٨
٩ ـ محمود المنهراوى شرحه	طنطا	محلة منوف	غربية	٧
١٠ـ ابراهيم المنهراوى شرحه	طنطا	محلة منوف	غربية	٥
١١ـ ابراهيم ابو هيبة بن سليمان بن محمد	ميت شريف	كفر الشيخ	غربية	١٦
١٢ـ على أبو فايد بن أبى العينين بن حسن	شنشت الانعام	شبرا خيت	بحيرة	١٥
١٣ـ محمود البشبيشى بن عشم بن أحمد	جدام	تلا	منوفية	٨
١٤ اسماعيل جامع بن ابراهيم بن عبد الجواد	حصت اكوه	تلا	منوفية	٩
١٥ـ محمد أبو خلوة بن حسن بن على	كفر سيجر	تلا	منوفية	١٠
١٦ـ عبد القوى بن علي بن سالم	فارزافة	شبرا خيت	بحيرة	٢٠

٤ ــ طلبة العلم بدرس الشيخ عبد العزيز يحيى الشافعى : مذكورين طلبت علم فى صحيح البخـارى وشرح المنهج(٢)

الاســم	اسم البلـد	اسم المركز	المديرية	أيام الحضور
١ ــعدوى الدرسى بـن بن حسن	ديرس	منية سمنود	دقهلية	٣٠
٢ ــابو زيد الصاوى بن حسين بـن عمر	دروة	منية سمنود	دقهلية	٣٠
٣ ــ سيد أحمد نصر بن على بن مطاوع	سبرباى	محلة منوف	غربية	٣٠
٤ ــ محمد نوح بن السيد بن نوح	شبشير	محلة منوف	غربية	٢٢
٥ ــ على عزقول بن على بن أحمـد	قحافة	محلة منوف	غربية	٢٥
٦ ــ أحمد عزام بن سيد أحمد	شرحه	محلة منوف	غربية	٢٢
٧ ــ على القاضى بن عبـد الوهاب بـن محمد	محلة مرحوم	محلة منوف	غربية	٢٢
٨ ــ على الشيخ بن حسن بن على	أبشواى الملق	محلة منوف	غربية	٢٤
٩ ــ أحمد فايد محمد بن حسن	نواج	محلة منوف	غربية	٢٥
١٠ــ حمودة الخطيب بن على بن حمودة	نفيـا	الجعفرية	غربية	٢٥
١١ــ محمد صقر بن يوسف بن على	الأنبوطين	الجعفرية	غربية	٢٠
١٢ــ على خفاجى بن أحمد بن على	بلتـاج	كفر الشيخ	غربية	٢٧
١٣ــ مصطفى الطم بن محمدبن محمد	دفرة	مليج	منوفية	٢٥
١٤ــ على سلامة بن أحمد بن حسن	فيشـا	تـلا	منوفية	٢٥
١٥ــ عمارة سلوم بن عمارة بن سيد أحمد	نفيـا	الجعفرية	غربية	٢٥
١٦ــ (مستجد بورقة) على رضـوان بن حسن بن على	كلبشوا	الجعفرية	غربية	١

(١) قائمة الختمة : هى القائمة التى تحتوى على أسماء الطلاب الذين حضروا من أول شرح هذا الكتاب (الخرشى) الى ختامه أو نهايته ، وكان نظام الدراسة فى المرحلة العالية يعتمـد على المطولات أو الكتب المبسوطة ، وبالطبـع لايستطيع الشيخ والطلاب دراسة كتاب من هذا النوع الذى يتكون عادة من عدة أجزاء قد تصل الى ستة عشر جزءا أو أقل أو أكثر ، ومن هنـا كان الشيخ يقسم هذا الكتاب أو ذاك مع طلبته الى عدة سنوات فى كل سنة يدرس جزءين مثلا من الكتاب حتى بنى عليه خـلال أربع أو خمس سنوات أو أكثر أو قل ، وفى كل سـنة يعقـد امتحان شفوى فى الجزء الذى انتهت دراسـته وهكذا ، وبعد ختم الكتاب يمتحن فيه الطـلاب امتحانا عاما ، ثم يجاز الطالب من شـيخه أو شيوخه أى يحصل على الاجـازة العلميـة فى الافتاء والتدريس أو القضاء حسـب استعداد الطالب الشخصى وفراسة الشيخ فيه ، ويدخـل امتحان الاعادة من رسب ٠

هذا ، وقد يقسم الكتاب الواحد بين مجموعة من الشيوخ ، يدرس أحدهم مثلا باب الطهـارة والآخر باب العبادات والثالث باب المعـاملات والرابع باب الجهاد ولواحقه وآخر يدرس باب الميراث مثلا وبه يختم الكتاب ٠٠ وهكذا ٠

(٢) هذا الدرس مشترك بين الحـديث من صحيح البخارى ، وبين الفقه الشافعى من شرح المنهج

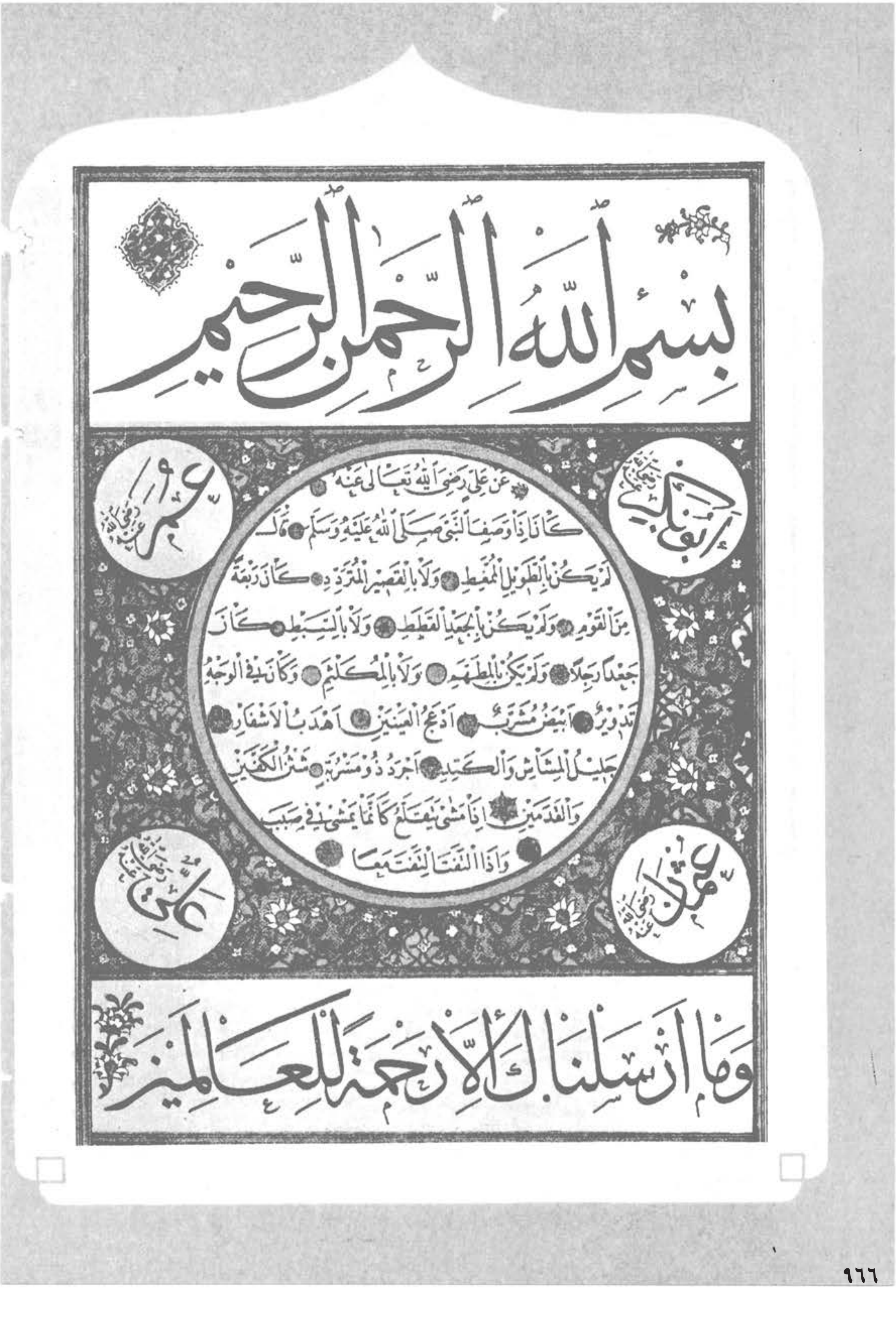
بسم الله الرحمن الرحيم
أبو بكر رضي الله عنه
عمر رضي الله عنه
عن علي رضي الله تعالى عنه
كان إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال
لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد كان ربعة
من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان
جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في الوجه
تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الأشفار
جليل المشاش والكتد أجرد ذو مسربة شثن الكفين
والقدمين إذا مشى يتقلع كأنما يمشي في صبب
وإذا التفت التفت معا
عثمان رضي الله عنه
علي رضي الله عنه
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

دراسات في الإعلام

الأسس الإعلامية
في التصور الإسلامي

الأسس الإعلامية فى

التصور الإسلامى

تحتشد مجموعة ضخمة من وسائل الاعلام فى العصر الحديث وفى مقدمة هذه الوسائل : الاذاعة المرئية والمسموعة ••• بالاضافة الى وكالات الأنباء والصحف والمسارح والمعارض والمؤسسات الاعلامية التى تغذيها بالقوى العاملة والمادة الاعلامية والخبرات الفنية ••• الخ ••

وتخضع هذه المجموعات الضخمة من وسائل الاعلام الى أسس ونظريات ••• لا تتفق عليها أغلبية المعسكرات لأنهم أخرجوا وسائل الاعلام عن طريقها الانسانى الذى يجب أن يخدم الانسانية بالصدق ، والوضوح، واحترام مشاعر البشر وعقليتهم ••• كما هو مقرر من حقوق فطرية للبشر •

ولكنهم صيروها وسائل تخدم حسب الهوى المتبع والمزاج الخاص ، والمذهب السياسى المعين ••• ومن هنا أنشأ كل فريق لمجموعات وسائل الاعلام عنده نظرية وأسسا تعتمد عليها فى بث برامجها ، ونشرات أخبارها ، وتوزيع منشوراتها ، فصارت للمعسكرات الشرقية أسس اعلامية ، وعلى الضد قامت للمعسكرات الغربية نظريات وأسس أخرى •

وكلا الفريقين فى معسكراته أخضع وسائل الاعلام لهواه ووظفها لخدمة نظرياته ومطامعه وحده •

ومع اختلاف هدف المعسكرات الشرقية والغربية فى النظريات فقد اتفقوا على تقسيم العالم تبعا لأطماعهم ، فهل ياترى أغفل الاسلام أسلوب الاعلام والدعاية أم أنه عنى بهما وحدد الأسس والاطار الذى تستخدم فيه وسائله الاعلامية التى تلبى حاجة الاسلام فى توصيل دعوته الى الناس كافة ؟

وهل ياترى هذه الأسس مثل غيرها تبيح الغاية فيها استخدام كل الوسائل •••؟؟

فلننظر : ـ

أولا : الرأى العام : ـ

محل التجاذب بين جميع أسس الاعلام فى جميع النظريات هى التأثير فى الرأى العام وتوجيهه ، فتلك غاية رئيسية لجميع المذاهب

للأستاذ الدكتور
متولى يوسف حسن

ووسائل اعلامها •

ومن أجل التأثير فى الرأى العام استباحت جميع النظريات غير الاسلامية الاستخفاف بالعقول الانسانية •

أما الاسلام الحنيف – لأنه يحترم الانسانية ويكرمها – فقد حرم جميع الوسائل التى تضلل الرأى العاموتخدعه •

فحرم الكذب ، والغش ، والتحايل ، والخديعة ، والمكر ، وضبط الزينة بضوابط لا تؤثر فى السلوك الاجتماعى أثرا غير حميد •

وفى القرآن الكريم آيتان هما عماد الحركة الاعلامية الاولى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَافَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » • الحجرات (٦) •

ففى هذه الآية منع مطلق لاستخدام أية وسيلة من شأنها أن تؤثر فى الرأى العام بأسلوب غير حقيقى •

وتطلب من جماعة المؤمنين أن يتبينوا كل أسلوب يحمل أنباء من شأنها أن تؤثر على الرأى العام سواء كانت هذه الأنباء من داخل المجتمع المسلم أو من خارجه •

والآية الثانية :

« إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ »
النور (١٩) •

فهذه الآية تمنع استخدام الفنون التطبيقية فى تخدير المجتمع وتحويله الى مجتمع جاثم على أكوام الرذائل وهو أسلوب من أساليب الاعلام والدعاية فى العصر الحديث •

وقد فضحت سورة التوبة أنماطا من الاعلام الفاسد الذى يلجأ اليه خصوم الاسلام •

* « وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَاهُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ••• » التوبة (٥٦)

* « يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ » التوبة (٦٢) •

* «وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ؟ » التوبة (٦٥) •

* « يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ » التوبة (٧٤) •

* « يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » التوبة (٩٦) •

* « وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » التوبة (١٠٧) •

الأسس الإعلامية فى التصور الإسلامى

وقد حصن النبى — صلى الله عليه وسلم — أفراد المسلمين من استخدام قالة السوء فحذرهم ونهاهم وخوفهم من عواقبها ففى الحديث الشريف :

« ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار سبعين خريفا » رواه البخاري •

وعلى الجانب الآخر من صفات المحامد للفرد المسلم يدعو — صلى الله عليه وسلم — أبناء الاسلام الى حسن الخلق والابتعاد عن الثرثرة فيقول :

« ان من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا • وان من أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » رواه الترمذي •

وجامعة الأمر ماجاء فى حديث البخارى :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » •

فبهذا يسبق الاسلام بانفراد ذاتى فى سلامة توجيه الرأى العام توجيها قائما على الوضوح والحق وكرامة الانسان واحترام عقله ومشاعره •

ثانيا : الاعلام : —

المدرسة الألمانية : ترى أن الاعلام هو : —

« التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير وميولها واتجاهاتها » •

ومعلوم أن المدرسة الألمانية عند علماء « الاتصال » رائدة هذا المجال لشهرة الاعلام الألمانى أيام الحرب العالمية الثانية •

والمدرسة الألمانية تركز موضوع الاعلام على عقلية الجماهير تلك العقلية المتفاوتة المختلفة من بيئة الى بيئة ومن نظام الى نظام آخر •

وبعض المدارس يجعل موضوع الاعلام يتشكل بحسب المقصود منه والهدف الذى يراد تحصيله •

* فقد يكون الاعلام : بمعنى الاستعلامات اذا كان المراد نشر المعلومات أو تفسيرها أو ابرازها فى اطار معين لتقويم مجموعة من الأخبار لمن يريد أن يحصل على معرفة معينة •

ولهذا تختلف أهداف ووسائل مصلحة الاستعلامات فى كل دولة عن الدولة الأخرى •

* وقد يراد من الاعلام : التبشير ونشر الرغبات بموضوع معين فيكون المراد منه مجرد الدعاية •

* وقد يراد منه سياسيا — ولو بشكل ظاهرى — اشتراك الجماهير فى العمل السياسى لدولة ما •

أما التصور الاسلامى لمفهوم الاعلام فهو : توصيل الحقائق الصادقة الى الناس كافة واشراكهم فى تذوق هذه الحقائق وتمكينهم من الايمان بها •

يقول الله تعالى :

«وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ • وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ • أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ •

* وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَانَبْتَغِى الْجَاهِلِينَ •

* إِنَّكَ لَاتَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ •

(القصص ٥١ — ٥٦)

ففى هذا النص ثلاث حقائق •

الحقيقة الاولى : أن توصيل الحقائق الصادقة هو الاعلام الذى تستخدمه الدعوة الاسلامية فى عملية الاتصال وتبليغ الدعوة •

الحقيقية الثانية : أن الذين وصلت اليهم هذه الحقيقة شاركوا فى تذوقها الى درجة :

(أ) أنهم رفضوا اغراء رادى الايمان من الكفار •

(ب) وأنهم كانوا على مستوى الايمان بالحقيقة التى تذوقوها فكان ردهم للأعداء رداً جميلا •

الحقيقة الثالثة : أن غاية الاعلام فى الجو الاسلامى ليس هو القهر والاستخفاف بعقلية الجماهير وانما هو احترام ارادتهم وتقدير تفكيرهم فليس الداعية بمسئول عن ادخال الناس فى الاسلام وانما هو مسئول فقط عن توصيل الحق الأبلج حقا أبلج الى الناس ثم هم بعد ذلك يختارون •

« فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا » •

فليس الداعية بمسيطر ، انما عليه البلاغ فقط ثم بعد ذلك أمر الناس مفوض الى الله•

« إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » النحل (١٢٥) •

عوامل نجاح عملية الاتصال :

والعملية الاعلامية هى عملية اتصال ، والاتصال يقوم على مجموعة من الأسس هى:

* **المصدر •**
* **المستقبل •**
* **الرسالة •**
* **القناة الموصلة •**
* **الفائدة العائدة أو الاستجابة •**
* **المشاركة •**

* وقد وضعوا شروطا لكل أساس من هذه الأسس •

فاشترطوا فى المصدر : أن يكون موثوقا فيه من الجماهير ، وأن يكون قادرا على العطاء والمنع : الثواب والعقاب •

* واشترطوا فى الرسالة أن تكون واضحة فى العرض وفى الهدف المقصود منها وأن تحمل حدى العاطفة : الرجاء والخوف •

* واشترطوا فى القناة الموصلة جودتها ومواءمتها للظروف والمناسبات ورأوا أنها كلما كانت ذات اتصال شخصى تكون أكثر جدوى ، وأن تكون مرنة سريعة التأثير •

* وجعلوا بناء على هذه الشروط حتمية الفائدة العائدة أو الاستجابة الحتمية •

تلك شروطهم النظرية التى لا تجد لها فى الواقع المحسوس تطبيقا ولا شاهدا • لكن التصور الاسلامى لشروط هذه الأسس واضح عمليا وواضح دستوريا ، وواضح تطبيقيا •

فالمصدر فى التصور الاسلامى للدعوة هو ... المعصوم ، انه القرآن الكريم والسنة المطهرة •

الأسس الإعلامية في التصور الإسلامي

وما يلحق ذلك من أقوال العلماء فلا بد أن يكون مرتكزا على هذه الأسس .

والمصدر في التصور الاسلامي وحده هو القادر على العطاء والمنع ، فالصورة التي دلل بها القرآن الكريم على وحدانية الله سبحانه وتعالى وقدرته وجميل عطاياه ، وشديد عقابه أدخل في مفهوم عملية الاتصال من تصور زعيم بشرى يمنى أو يهدد : وذلك قدر متفق عليه من المسلمين والكفار معا .

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ » الزخرف (٩) .

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ » العنكبوت (٦١) .

« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » العنكبوت (٦٣) .

* والرسالة في التصور الاسلامي هي شهادة التوحيد ، ألوهية واحدة ونبوة خاتمة وهي لم تكن محل تكذيب من القوم :

« فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ » الأنعام (٣٣) .

والدليل التاريخي على عدم التكذيب مع وقوع الكفر منهم : أنهم لم يتهموه بالخيانة لفظا ، ولم يختاروا غيره أمينا على ودائعهم سواه حتى كانت الهجرة ، وأناب — صلى الله عليه وسلم — سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ليؤدى عنه الأمانات بعد النقلة الى المدينة المنورة عليه أفضل الصلاة والسلام .

والقرآن مثاني تتعدد فيه الأدلة والبراهين، وتتكرر حيثيات الايمان وحيثيات الكفر ، وتناقش منذ القدم ويستفسر الشاكون ويجيب الوحى ... فليس في تاريخ الاعلام قديما ولا حديثا رسالة اشتملت على شروط النجاح والصدق سوى الرسالة الاسلامية بزيادة عنصر المشاركة تلك التي لا تعرفها نظريات الاعلام الحديث .

* **المستقبل** : لم يحفل به رجال علم الاتصال لأنه المستهدف المراد تغيير عقله وشعوره واتجاهاته وتفكيره ... أما في الاسلام فاشترط للمستقبل أن يبلغ مأمنه اذا كان في حالة الحرب .

ومعنى هذا أن الاسلام لا يوصل الرسالة بالارهاب ولا لمن يمنعه مانع ، فالمكره والناسى في الاسلام خارجان عن مغبة الأحكام التنفيذية حتى يرتفع عنه السبب المانع .

ان المستقبل للدعوة في التصور الاسلامي يطلب منه الاسلام .

* ألا يتقيد بثقافة الكهوف :

« قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » الشعراء (٧٤) .

* وألا ينظر الى الادلة بنظرة شخصية عندية .

« قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ

إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » سبأ (٤٦)

* وألا يكونوا فى حالة ذعر ورعب :

« وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا » فاطر (٤٥) •

« اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ » الشورى (١٩) •

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا » النساء (١٧٤) •

« قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا • فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا • وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا • ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا • ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا • فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا • وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا • مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا • وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا • أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا • وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا • وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا • ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا • وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا • لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا • قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا » نوح (٤ — ٢١) •

وقد ركز الاعلام فى الاسلام فى شروطه بالنسبة للمستقبل على عدة أمور منها : —

— ألا يكون خاضعا للجاذبية الاجتماعية خضوعا أعمى •

— والاستبداد للمعايير الاجتماعية •

— وألا يكون مشدودا للاسترخاء العقلى •

* أما فيما يتعلق بقناة الاتصال فان النبى — صلى الله عليه وسلم — جعل لها عديدا من الوسائل :

* **فاتخذ الزيارة الشخصية •**
* **والوليمة •**
* **والمؤتمرات الدائمة •**
* **والمؤتمرات الخاصة •**
* **والسفارة •**
* **والمعاهدة : صلحا ، أو هد [illegible] او أمانا •**
* **وأخيرا المسجد : المنبر وا [illegible]ذنة •**

فسبقت النظرية الاسلامية جم[illegible] مدار[illegible] علم الاتصال فيما يتعلق بتعديد وسا[illegible] ، قنو[illegible] الاتصال •

وفكرة توصيل الرسالة الى أكثر عدد [illegible]مكن وأوسع مساحة ممكنة هى فكرة المنبر والم[illegible]نة فالمنبر ليرتفع الداعية فوق فيكثر عـ[illegible] المستمعين والمئذنة ليعلو فوقها المؤذن فينتشر صوته عبر طبقات الهواء الى آخر مدى يمكن أن يصله الصوت ، وهى نفس فكرة المكبر الصوتى ثم المذياع •

فالفارق بين النظرية الاسلامية وغيرها فى

الأسس الإعلامية في التصور الإسلامي

هذا المجال :

أن الاسلام أسبق فى استخدام فكرةتوصيل الرسالة الى عدد أكثر ، وانتشارها فى مساحة أوسع ، وأن الغرب الحديث استخدم هـذه النظرية فطورها بعد اكتشاف الكهرباء .... والأثير ... وهذه الاضـافة الغربية نتيجـة موافقة المسـلمين على أن يعيشـوا فى تخلف صنعوه لأنفسهم . وليس من تعاليم دينهم .!

* **أما عن الفائدة العائدة :** فهى فى نظـر المدارس غير الاسلاميـة حتمية لأن جهـود الاعلام لا تبذل من أجل الاقناع الادارى ولكن من أجل الاستجابة القسرية لما يبث .

أما التصور الاسلامى للفائدة العائدة فلن يكون ثمرة للاعلام بل ثمـرة شىء آخر هـو المشاركة من المستقبل للرسالة .

والقرآن الكريم حريص كل الحرص على مشاركة المستقبل لمناقشة الرسالة الموجهة اليه، يظهر ذلك فى كثير من الآيات وكثير من المواقف القرآنية :

* أما الآيات فمنها قوله تعالى :

« قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » سبأ (٢٧) .

« قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » سبأ (٢٤) .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ » فـاطر (٣) .

« قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » الانعام (١٣٥) .

« وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ » الأنبياء (٥٠) .

أما عن المواقف القرآنية فمنها :

« وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » .

« أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ . بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ »

« وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ »

« قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ » الزخرف (٢٠ — ٢٤) .

فالمشاركة بين الداعية والمستقبل فى موضوع الرسالة هى الحلقة التى يغفل عنها واضعو علم الاتصال بل هى الحلقة غير المرجوة عنـدهم لأنهم يبنون سياستهم الاعلامية على حتميـة الاستجابة حسب المخطط المرسوم لسياساتهم وهذا مانعنيـه بـ (الاستجابة القسريـة)

أما في الاسلام فالاستجابة لابد أن تكون ارادية .

« فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » النحل (٨٢) .
« لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ » الغاشية (٢٢) .
)
« إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ » الشورى (٤٨) .
« وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » العنكبوت (١٨) .
« وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ » آل عمران (٢٠) .
« وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » النور (٥٤) .
« فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » النحل (٣٥) .
« فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » التغابن (١٢) .

اساس عملية الاتصال :

عملية الاتصال التي ذكرناها لها منطلق وأساس تقوم عليه ، وهذا الأساس يختلف في نظر الشرق الاشتراكي عنه في نظر الغرب الرأسمالي مع اشتراكهما جميعا في حتمية الحصول على الفائدة العائدة حسب مخطط كل منهم بناء على نظرته للحياة « وأيديولوجيته » التي يوسع مساحات نفوذها .

* والأساس الذي تقوم عليه عملية الاتصال أو الاعلام في نظر الاشتراكية هو : السلطة .

أما في نظر الرأسمالية فأساس نظريتهم : الحرية أو المسئولية الاجتماعية .

ولكن الواقع الذي تعيشه القوتان الأعظم يكذب هذين الأساسين .

فليست القوة الشرقية بقادرة على أن تعطي لواحد من رعاياها الحرية في التعبير عن رأيه والشاهد على ذلك ، ذلك الهروب السياسي أو اللجوء السياسي الذي حدث من مفكري روسيا ، وكذلك أحداث بولندا وأحداث كثيرة في بلدان العالم الشيوعي تكذب التعبير بكلمة الحرية كأساس للاعلام الشيوعي .

وليست الدول الرأسمالية بقادرة على أن تعطي للسود حق المساواة كمواطنين مماثلين للبيض ، والدليل على ذلك التفرقة العنصرية ، والاستبداد الأبيض في حكومة جنوب أفريقيا العنصرية .

وأكبر الدلالات على فساد نظرية المدرستين ما تمارسه القوتان الأعظم في العالم كله من ممارسات مشينة في حق الانسان والبشرية اذ كلتاهما تخطط لامتصاص دماء الشعوب واهدار آدميتهم عن عمد مقصود .

أما أساس النظرية الاعلامية في الاسلام فهي كرامة الانسان حتى ولو كان غير مسلم : يقول الله تعالى :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً » الاسراء (٧٠) .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » الحجرات (١٣) .

لقد كان الاسلام يعلن هذا التكريم في اللحظة التي تجمعت فيها جيوب كثيرة لمحاربته

الأســس الإعـلامية في التصـور الإسـلامي

ولكنه مع هذا : لا يدعو الى طبقية مـالية أو اجتماعية أو علمية أو ثقافية •

فالاخاء الاسلامى يجعل من المسلمين جميعا جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر •

وكرامة الانسان حق مشروع له حتى ولو كان غير مسلم •

* **والاسلام** : لا يستخف بعقلية الناس ، لأن الاسلام يهدف الى هداية البشر عن طريق العقل ، ولذلك دعـا القـرآن الكـريم الى استخدام العقل العاقل الفاهم بالمشـاركة فى الرسالة التى توجه الى المستقبل •

* والاسلام لا يضلل المستمع فالكـذب حرام ، والغش والمكر والخـديعة فى النار •

* والاسلام لا يبيح الجدل على اطـلاقه من أجل الغلبة والمراء المفضـوح بل جعلـه مشروطا بالتى هى أحسن أدبا وغاية •

الفوارق الأصـلية بين الأسس الاعـلامية فى التصور الاسلامى وغيره :

مما سلف عرضه يتبين أن هناك فروقا أصلية فى أسس الاعلام حسب النظرية الاسـلامية والنظرة الأخرى غير الاسلامية على السواء •

وفى مقدمة هذه الفوارق الأصلية ما يلى : —

* أن عملية الاتصال فى التصور الاسلامى فطرية تقوم على أساس من احترام الكيـان الانسـانى •

بينما عملية الاتصال فى غير هذا التصـور يتصور نشاطا حكوميا لغاية ذاتية مهمتها قهر الانسان لحتمية مطلوبة لدى الحكومة المعنية •

* غاية الاتصال فى التصـور الاسـلامى هـو التـوحيد فاعلم أنه لا الـه الا الله • وفى غير هـذا التصـور تتغير الغايات حسب اللون الرسمى فى المعسـكرات المختلفة بل فى المعسكر الواحد بل فى التطور فى البلد الواحد •

* أن الاسلام وضع ضمانات لحماية العقل والمشاعر من التضليل وليس يحترم استخدام التبرير للوسائل الخسيسة من أجل غاية يدعى أنها نبيلة (فياليتها لم تزن ولم تتصـدق) •

* أن رجل الاعلام الاسلامى وهو الداعية يتحتم عليه أن يتمثل دعوته سـلوكا وفعـلا وأخلاقا •

وهو أمر غير لازم فى سلوكيات غير الرجل الاسلامى مادامت القاعدة عنده :

الغاية تبرر الوسـيلة •

* الاعلام الاسلامى يصل الدنيا بالآخرة ويقدم زادا صالحا للحياتين وينفع الذريـة ففيه اسـتمرار لكمال الشخصية الانسانية •

* والاعلام الآخر ان أعطى زادا للدنيـا فانه عاجز عن أن يعطى زادا للآخـرة ، وفى ذلك قصور وانحطاط بالقيمـة الانسـانية والانتهاء بها الى حفرة فى التراب الرخيص •

أخطـــاؤنا

أما بعـد :

فما هى أخطاؤنا نحن الدعـاة فى العصـر

الحديث فيما يتعلق بالاعلام وقضايا الاتصال وتبليغ الدعوة ؟

ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وضع أسسا صحيحة لعملية الاعلام بالدعوة الخاتمة ، واتخذ لذلك عـديدا من وســائل الاتصال .

ولم تكن المعاملة اللينة الحسنة التى قـابل بها عدى بن حاتم الا واحدة من أســاليب عملية الاتصــال .

فما هو دورنا نحن الدعاة فى عملية الاتصال والاعــلام ؟

نعم نحن نتحــدث فى الاذاعــات المرئيــة والمسموعة ؟

✻ لكن كم لنــا من رجــل داخــل هــذه الأجهزة ؟

ونحن نشاهد عــديدا من المسلســـلات الدينيــة فكم هى جهـــودنا فى عمــل هــذه المسلسلات ؟

✻ كم كتابا ألف فى الاعلام الاسلامى ؟

✻ وكم ندوة عقدت لتوضـيح حقــائق الاتصال الاسلامى ؟

✻ وكم مذيعا أو مذيعــة من المتخرجين فى قسم الدعوة من الجامعات الاسلامية .

✻ وكم اخصائيا اجتماعيا يعمل فى هــذا الحقل من العلماء والمشــتغلين بالدعــوة الى الله ؟

✻ ما أسالبينا فى ترشيد المجتمع الاسلامى فى مجال العمل الاقتصــادى ، والعـــلاقات الاجتماعية وغيرها كثير من أساسيات الحياة .

✻ وما خطتنا فى المحافظة على آخر وسائل الاتصال فى عملية التبليغ وهو المنبر ؟

✻ كم لنا من وكالات أنباء داخل الحلقات الكثيرة من وكالات الأنباء العالمية .

✻ كم لنا من مؤسســـات صـــحفية ، وصحفيين محترفين مهنة الصحافة .

✻ كم لنا من مراسل ، وكم لنا من رئيس صحيفة ؟

✻ وكم لنا من محلل اخبارى ؟ وكم لنــا من نقابة صحفية ؟

✻ كم لنا من جريدة سياسية ؟ ومتخصصين فى الدراسات السياسية والاستراتيجية ؟

✻ كم لنــا مــن معهــد للدراســـات « الاستراتيجية » ؟ العسكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ؟

✻ كم لنا من مركز للمعلومات والبحوث ؟ حتى عن بإدان العالم الاسلامى ؟

✻ كم لنا من جهد فى رعــاية اليتــامى ، والعجزة والأرامل ... ؟

✻ كم لنا فى مجال الآداب والفنــون التى يمكن أن تخدم الدعوة ويبيحها الدين ؟

✻ كم لنــا من خبراء فى علم الرياضــة ، والمعســكرات والمخيمــات ، والكشـــافة ، والســـباحة ، وركــوب الخيــل ، والرمى ، وسباحة الخيل ؟ وأين هى شخصيتنا الرياضية اســلاميا ؟

✻ ألم يأن لنا ان ندرس ظــاهرة التخلف العام فى جميع أنحاء العالم الاســلامى مــع وجود ملايين المســاجد وهى ثروة أصـــيلة للاعلام السديد منذ بدء الحيــاة فى الـدولة الأولى للدعوة الاسلامية ؟

ـ ألم يدر بخلد واحد من الدعاة أن يحسب الخسارة الفادحة التركة العظيمة التى خلفها لنا سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم لأننا لم نتمسك بجدية صادقة بالكتاب والسنة ؟ وهما المصدر الصحيح الوحيد لأعظم رسالة وجهت الى الانسان فى كل عصر وحين ؟

نسأل الله التوفيق الى العمل الذى يرضيه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين ..

متولى يوسف حسن

المراجع

(١) القرآن الكريم ، وكتب السنة المطهرة ، والدعوة الاسلام .
(٢) علم الاته : ، دكتور صلاح جوهر .
(٣) الاعلام والدعاية دكتور عبد اللطيف حمزة
(الاعلام فى صدر الاسلام ، دكتور عبد القادر حمزة) .
(٤) الرأى العام ، دكتور أحمد سويلم .

من التراث

مجلة الأزهر
من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات
مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر

من خمسين عاما

ان من أهم واجبات العلم أن يهىء للناس حقائق صحيحة ويدربهم عليها • حتى يتيسر لعامتهم أن يقوموا ــ من الأعمال ــ بما يتناسب مع ما أوتوا من ذكاء ومقدرة ، معتمدين على قوة هذه العقائد التى يعدونها ثابتة لا تقبل النقض أو الجدل •

فاذا قال العلم : ها نحن عند الاساس • فلنقم عليه صرحا رائعا • فان الدين يقول : هاك الأساس الذى لا يعتوره التغيير ولا التبديل ، الاساس الذى وضعه الله العالم بكل شىء تاما كاملا من الأزل الى الأبد فلنقم عليه صروح الحياة المثلى ، فان أساسه قاطع لامرية فيه •

ان العلم والفلسفة يبدوان بعيدين كل البعد عن متناول عامة الناس ولكن الواقع أنهما ليسا كذلك ، فان أجيالا متعاقبة من بنى الانسان تناولوا معضلة الخلود بالبحث وبحثوا غوامض ما وراء الطبيعة والمادة مما يروق العلماء والفلاسفة أن يطلقوا عليها أسماء ضخمة متعددة المقاطع وهم لا يعرفون عنها الا القليل الذى يعرفه عامة الناس •

ولكن ابتكار تلك الأسماء الضخمة تجعلهم يشعرون بالبراعة والعبقرية ويتخذون منها سترا يتقون به النقد ، والحقيقة أنهم لا يحيطون منها الا بالنزر اليسير •

والواقع أن الفرد العادى ليس أقل تفكيرا فيما وراء الطبيعة والمادة من الفيلسوف الكبير، فكلاهما تائه فى مهامه هذا التفكير ، فاذا تعمق فيه واندفع الى أقصى حدوده أفضى به فى النهاية الى الشك المطلق والاعتقاد بعبث ما يبذله من مجهود •

ونحن فى هذا العصر عصر العلم والتعليم ليس لنا غرض أسمى من التغلب على العامية ،

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسن الزيات

فلابد لكل فرد أن يعرف القراءة والكتابة سواء كانت العقول والعواطف قد هذبت وصقلت ، أو بقيت على خشونتها مما يفضى بأصحابها الى السخف والهذيان .

فالآراء والأفكار المشككة التى تخامر ذوى الحصافة الحقيقية تتدفق بسرعة الى ذوى العقول الضعيفة فتجد فيها مرتعا خصبا حيث يسيئون فهمها ويتخذون منها ذريعة للاستهانة بنظام الوجود ، وقد يأمن ذو العقل الراجح النقاد معبة الاعتقادات غير الثابتة التى لم يقم عليها دليل ، وله أن يكون متشككا الى حد بعيد ، لأن مثله من يقدر قيمة كل اعتقاد ، ويعرف أن الاعتقادات النظرية لا يجب أن تسيطر على الأعمال ، فهو اذا عمل اتبع الحقائق الثابتة ولم يجر وراء الخيال .

ولكن الأمر بعكس ذلك فى العقول الضعيفة حيث تسيطر العقائد على الأفعال ، وليس لذلك علاج خير من أن يسيطر ذوو العقول الكبيرة على معتقدات العامة ويشكلونها بحيث يجعلونهم يعملون تبعا لعقيدة صحيحة بما يعود على الهيئة الاجتماعية بالخير والاسعاد .

لأن الفرد العادى اذا استسلم للشك أصبح غير أهل للقيام بواجبه نحو المجتمع فلا يعول عليه كأحد أفراده .

والمفكر البحاثة كالعالم الكبير مثلا يقبل تلك العقائد غير الثابتة ــ التى تستند كأصول العلوم على مجرد فروض يقول انها بديهية ــ كما يقبل التقاليد الاجتماعية أو آداب الرسميات الدقيقة ، فهى لا تحتاج فى نظره لدليل بل هو يؤمن كل الايمان بالبناء المنطقى الذى يقيمه عليها مع أن هذا البناء لم يقم الا على البحث العقلى المحض الذى قوامه الدليل والبرهان .

فعقائد المفكر البحاثة كما رأيت لا تستند اذن الا على مجرد الفرض ، وهذا الفرض لا يعوزه الدليل فهو مقبول لديه على أنه بديهى وحسب ، ومثله مثل تلك القواعد الأولى التى بنى عليها أقليدس (٢) هندسته المنطقية الطريفة فهى هى وحسب ، وقد تظهر أحيانا وفى حالات معينة أنها تستند على مجموعة قوية من الحقائق الثابتة ، وهذا كل ما يمكن أن يقال فى تأييدها .

واننا اذا عرضنا آراء العلماء لمحك الاختبار

---

(١) من مقال لسوان هاردينج الكاتب الامريكى بمجلة « open court » ، المصدر (١) المحرم سنة ١٣٥٠ هـ المجلد الثانى .

(٢) عالم اغ نى اشتغل ، بالهندسة حوالى سنة ٢٨٥ قبل الميلاد .

رأينا أنهم يبدون ظواهر الطبيعة عقب حدوثها فى صور معقولة ليؤيدوا آراءهم بما يتفق وأميالهم العلمية ، فيجعلون من الظواهر مبدأ وأساسا لعلومهم دون أن يفقهوا ما وراء هذه الظواهر من حكم وأسباب ، والواقع أن ما يحتاج اليه اليوم عامة الناس هو الاعتقاد بما وراء الطبيعة والمادة مما يتسنى لذوى الخبرة والدراية من علماء النفس والحياة أن يهيئوه لهم • وسيظل العلم مقصرا فى أداء واجبه نحو الهيئة الاجتماعية الى أن يبذل السعى فى هذا السبيل والا استحق ما يوجه اليه من اللوم والنقد ، فجميل أن يحيط العلم بنقط العلاجات الطبية الدقيقة أو يستغرق فى أبحاث عميقة عن الحيوانات الدنيا أو غيرها ، ولكن المعضلة الحقيقية التى تواجهه هى أن يسيطر على المجتمع وعامة الناس بحيث يتيسر له أن يوالى أبحاثه الانسانية ويطبقها على المجتمع بدون أن يصطدم بعقائد أولئك الذين يود أن يمد لهم يد المساعدة •

ومعنى هذا أن واجب العلم الأعلى هو أن يهيىء للناس عقائد صحيحة ويدربهم عليها حتى يتيسر لعامتهم أن يقوموا من الأعمال بما يتناسب مع ما أوتوا من ذكاء ومقدرة معتمدين على قوة هذه العقائد التى يعدونها ثابتة لا تقبل النقض والجدل ، فان كثيرا من الناس يتخذون اليوم من العلم مقياسا يقيسون به كل شىء حتى الدين ، فاذا أيد عقيدة دينية أصبحت هذه العقيدة أشد رسوخا وأكثر صوابا ، والا فان هذه العقيدة تضعف وتخور •

على أنه يتضح مما ينشر بالجرائد والمجلات الشائعة أن العلم لن يصبح « المهدى المنتظر » لعامة الناس ، والواقع أن فائدته قاصرة من هذه الناحية لأنه يعترف صراحة بأنه يستند على فروض نظرية بحتة ، ولكن الدين فضلا عن أن بناءه منطقى معقول فهو لا يستند على فروض نظرية بل يستند على أساس فوق العقول هو أساس العلم بكل شىء والقدرة على كل شىء •

فالعلم يقول ها نحن أولاء عند الأساس فهو هو ، فلنقم عليه صرحا رائعا ، ولكن الدين يقول هاك الأساس الذى لا يعتوره التغيير ولا التبديل ، الأساس الذى وضعه الله العالم بكل شىء تاما كاملا من الأزل الى الأبد ، فلنقم عليه صروح الحياة المثلى ، فمهما آل اليه أمره فى النهاية فان أساسه قاطع بات لا مرية فيه •

والواقع أن العلم ما هو الا عقيدة موضوعة بطريقة جازمة ، أو هو عقيدة لأقلية المفكرين من الناس لا لعامتهم ، ويختلف عن الدين فى موقفه ازاء مبادئه العامة تلك المبادىء التى لا تتعدى كونها فروضا بحتة يسلم بها العلم على أنها فروض ولا يعتبرها نهائية بأى حال •

فالعلم يفرض مثلا أننا نصل بالملاحظة واجراء التجارب الى استنباط النواميس الطبيعية باستنتاج معلومات خاصة ، وهذا افتراض فى نفسه ، لأن الملاحظة واجراء التجارب كثيرا ما أنتجا عقائد باطلة كما أنتجا عقائد صحيحة ، ولن يمكن أن نقيم الحجة على

صحة الفرض عقليا فهو هـو وحسب ، ومن هذه النقطة ــ لا من قبلهـا ــ يتـابع العلم سيره ، وعلى هذا المنوال يفـرض العلم علـة الوجود واطراد وقوع ظواهره تبعا للناموس الطبيعى ، كذلك يجابه العلم مبدأ لا يسـلم به العقل فى افتراضه أن السبب والمسبب هما هما وحسب ، وفى شغفه وهيامه باطراد وقوع الظواهر الطبيعية وانتظامها كفكرة أن الشمس سوف تشرق غدا لأنهـا أشرقت أمس ، وأنه لن تقع معجزة خـارقة لذلك لأن النـاموس الطبعى يأباها ، فالعلم فى كـل ذلك يفتـرض فروضا جديدة .

جلس مرة ممثل هزلى الى المعزف (البيانو) وقال : « سأعزف الآن هذه القطعة كما يعزفها بادروسكى (١) لو أنه عزفها كما سأعزفها » .

وهـذا هـو موقف العالم ازاء الظـواهر الكونية ، فنحن نرى القمر وهو الذى يرسـل شعاعه الى عيوننا ، وقد نرى شبحا من الجن كما رأينا القمر رؤية مؤكدة فلا يكون فى نظر العلم شبحا من الجن بالرغم من رؤيتنـا له لأن العلم لا يعترف بوجود الجن ، كذلك القول بعدم امكان وقوع المعجزات وخوارق الطبيعة، فالعلم يقول بعدم امكـان وقوعهـا لأن ذلك لا يتفق ونظام النواميس الطبيعية مـع أن العلم هو الذى اسـتنبط هـذه النـواميس باستنتاج معلومات خاصـة من الظـواهر الطبيعية . هذا الى أنـه لا يمكن أن يـدلى بالدليل القاطع على صحتها لأنه من المستحيل على العلم أن يتثبت من كل خاصية على حدتها فى أية ظاهرة من ظواهر الطبيعة ، فلماذا وحتك لا يجيز وقوع الخوارق بين الخواص الكثيرة التى لا يحيط بها ؟؟

ليس لذلك سبب معقول ولكنـه يصر على أنها لا تحدث ، فاذا حدثت وقف أمامها باهتا مذهولا .

لماذا لا يقرر العلم وجود خالق هو سـبب الوجود الأول ؟ اننا لا نجد لذلك من سـبب سوى أن العلم لا يريد أن يجعل ذلك مبدأ له . ولكن ما فائدة مبدأ اطراد الناموس الطبعى اذا نقضته الطبيعة بخارقة من الخوارق ؟

ولماذا يكون العلم التجريبى المسـتمد من الاستقصاء والتجربة أعظم قيمة وأجل قـدرا من العلم الوجدانى الـذى يلقى فى روعنـا ويشعرنا بأنه الحق الصراح ؟

ليس لذلك من سبب سوى أن العلم يقبـل الأول ويسلم به ، ويرفض الثـانى على أنه لا يعول عليه .

وهنا نجد بعض الالتباس فى آراء علمـاء الطبيعة وعلماء النفس ، فالأولون يقولونّ ان كل ماق الوجود آلى سـواء كـان سـببا أو مسببا ، والآخرون يقولون انه وجـدانى وان الوجدان هو الكل فى الكل .

على أنه من الممكن أن نجمـع بين الرأيين المتفرقين فى وحدة كاملة لغرض الدراسة والبحث وبخاصة فى هذه الأيام التى أصبح فيها علم الطبيعة أسلس قيادا للبحث العقلى من قبل ، فقد جاء ضمن مقال للورد هـالدين بمجلـة القرن الصادرة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ أن اينشتين (٢) قد أظهر لنا أن الزمن والفضـاء

---

(١) هو المؤلف والموسيقى البولندى المشهور.

(٢) هو العالم الالمانى المشـهور صـاحب النظرية النسبية .

ليسا الا نسبة بين العقل وما نراه من الأشياء ، وأن هذه النسبة تتغير بحسب سرعة العقل الذى يراها • فنرى من ذلك أننا قد رجعنا الى العقل حتى فى علم الطبيعة فليس هناك غير العقل شىء وليس لأى شىء معنى بدون العقل •

كذلك يقولون ان نظرية التطور (النشوء والارتقاء) تستند الى طريقة علمية هى طريقة الاستقصاء والتجربة ، ولكن علام يستند هذان ؟ فالاستقصاء والتجربة قد أنتجا حتى فى نظرية التطور أفكارا وعقائد خاطئة تبينت فيما بعد ، فاذا كان الأمر كذلك فأى عقائد الطبيعيين صحيح اليوم وأيها خاطىء ؟

يقول الطبيعيون انه يستحيل تعيين الخاطىء منها خطأ تاما والخاطىء بعض الخطأ ، ويعتقدون أن التقدم العلمى سوف يحول النظرية (نظرية التطور) الى مبدأ صحيح يسلم به الجميع ، ولكن الطبيعيين يعترفون أن مبادئهم الأساسية ماهى الا فروض وحسب ، فهى اذن لا تستند على طريقة علمية صحيحة • هذا الى أنهم يعترفون بأن طريقة البحث العلمية قد أنتجت — مرارا وتكرارا — أفكارا خاطئة فى دائرة العلم المحدودة التى يدرسونها • وما يدرينا أن اعتمادهم على الطريقة العلمية واعتقادهم بتقدم العلم ليسا من العقائد الخاطئة أيضا ؟

ولنسلم معهم جدلا أن نظرية التطور أصبحت صحيحة فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة أنها تصبح مبدأ قاطعا يسلم به كل انسان غير مستندة فى ذلك الى حقيقة أو استقصاء أو تجربة أو طريقة علمية بل تصبح كذلك لأنها هى هى وحسب ، وبذا تصير نظرية التطور كنظريات العلم الأخرى عرضة للنقد والتجريح اذا بحثناها من أساسها بحثا عقليا •

نعود الآن الى حيث بدأنا فنقول انه لابد لكل انسان من أساس لعقيدته والناس يعتقدون ما يشعرون بصلاحيته وصحته فيتخذون من عقيدتهم ما يقيهم شر الشك والفوضى التى تلحق الفكر من جرائه ويلتمسون منها ملجأ آمنا وأساسا متينا يشيدون عليه صرح عقولهم ويكفون به أنفسهم مؤونة الشعور بعبث الوجود •

والواقع أن ما نراه من النظام فى العالم ليس الا ما تخلعه عليه عقولنا وأننا لا نحيط من أسرار العالم الا بالنزر اليسير •

ولذا كانت المعجزات وخوارق الطبيعة تستند الى سبب أقوى من القوانين العلمية لأنها تشير الى تلك الرغبة الانسانية المعقولة فى وجود رب رحيم يكلؤنا بعنايته ويتولانا برحمته ، على حين أن الناموس الطبعى لا يعبأ بنا أو يعنى بأمر من أمورنا ، فانه وحده هو المرجع والأساس •

وواجب العلم أن ينظر الى الحياة فى جملتها ، وأن يخفف من غلواء عقائده الجازمة بشىء من الشك ، ويلتمس رضا النفس والعقل بدلا من الجزم بصحة نظرياته فانه لن يحيط من أسرار العالم بكل شىء ••

عبد الفتاح حسين الزيات

من نوادر المخطوطات

مكتبة الأزهر

عرض وتقديم الأستاذ
محمد عميرة على

كتاب

« تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس »(١)

محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو المعلم الكبير والانسان العظيم ، صاحب الأمانة والسمو والرفعة ، بهر العالم بعظمته وحكمته ، ولقد أتاه الله من نعمه بالقدر الذى يجعله أهلا لحمل رايته والتحدث باسمه ، بل ويجعله أهلا لأن يكون خاتم رسله ، ومن هذا كان فضل الله عليه عظيما ، ومهما تتبارى القرائح والالهام والاقلام متحدثة عن عظمته فستظل جميعا كأن لم تبرح مكانها ولم تحرك بالقول لسانها وبهذا انسابت اقلام الباحثين والمفكرين والمستقرئين فى سيرة الرسول الكريم فكل لا يوفى الحديث بعض حقه ، ولا تستطيع أن تزعم أنها تقدم سيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى القراء مستوفية فضله .

ومن العلماء الذين كتبوا فى سيرة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حسين ابن محمد بن الحسن الديار بكرى : مؤرخ نسبته الى ديار بكر ، ولى قضاء مكة وتوفى بها سنة ٩٦٦ هـ (سنة ١٥٥٩ م) من مصنفاته « تاريخ الخميس » ، أجمل به السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء والملوك و « مساحة الكعبة والمسجد الحرام » .

وكتاب الخميس ، فى أحوال أنفس نفيس الذى نقدمه لقراء مجلة الأزهر رتبه مؤلفه على مقدمة وثلاثة أركان وخاتمة .

فالمقدمة فى خلق نوره ــ صلى الله عليه

---

(١) الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص ٨١٨عام ١٢٩٤٧ مكتبة الشيخ حسونة النواوى .

وسلم .

والركن الأول فى مولده عليه السلام الى البعثة .

الركن الثانى من البعثة الى الهجرة .

والركن الثالث من الهجرة الى الوفاه .

والخاتمة فى تاريخ الخلفاء الراشدين وبنى أمية وبنى العباس وغيرهم من السلاطين والأمراء الى جلوس السلطان مراد الثالث . وفرغ من تأليفه سنة ٩٤٠ هـ وقيل سنة ٩٤٦ هـ .

وابتدأه بقوله : « الحمد لله الذى خلق نور نبيه قبل كل أوائل ، ثم خلق منه كل شىء من الأعالى والأسافل ، ثم أودعه فى الأصلاب الطيبة الحلائل ، ورباه فى الأرحام الطاهرة من الرذائل ، وقلبه فى الآباء والأمهات الجزائل حتى أظهره من أطهر بيت من خير الشعوب والقبائل .

محمد المخصص بأبين السير وأحسن الشمائل ، المؤيد بأثبت المعجزات وأوضح الدلائل ، — صلى الله عليه وعلى اخوانه المصطفين — أولى أكمل الفضائل ، وعلى آله وأصحابه المقتدين ذوى أجمل الخصائل .

ويقول المستوهب من الله ذى المنن العبد الضعيف الديار بكرى هذه مجموعة فى سير سيد المرسلين وشمائل خاتم النبين — صلى الله عليه وسلم — ، انتخبتها من الكتب المعتبرة تحفة للاخوان الكرام البررة وهى : « التفسير الكبير » « والكشاف » وحاشيته للشريف الجرجانى » ، « والكشف والوسيط » « ومعالم التنزيل » و «أنوار التنزيل » « ومدارك التنزيل » وتفسير « القشيرى » وبحر اللوم « والنهر » « ولباب التأويل » « وتفسير الحدادى » « وعمدة المعانى » « وزاد المسير لابن الجوزى » وتفسير الينابيع وتبصير الرحمن .. الخ . وسميته « بالخميس فى أحوال » « أنفس نفيس » .

قال فى المقدمة : انها فى الحوادث من أول خلق نوره الى زمان ولادته وظهوره وهى ثلاث طلائع .

(**الطليعة الأولى**) : فى تعريف النبى — صلى الله عليه وسلم — والرسول وأولى العزم والخاتم والفرق بينهم وبين البشر والملك وبين النبى والولى والساحر وفى أول ماخلق الله وما بدأ من أنواره قبل وجوده الصورى وخلق طينته قبل طينة آدم وحديث صور الأنبياء وذكر دلائل نبوته وعلامات رسالته من بشائر الكتب القديمة والعلماء المتقدمين وأخبار الجن والكهنة .

(**الطليعة الثانية**) : فى ذكر خلق السماء والأرض ومدة خلقهما وخلق الملائكة والجان وذكر مدة الدنيا وذكر مدة هذه الأمة وابتداء خلق آدم وحواء ، وذكر الروح وذكر عيسى ومريم ويحيى وأخذ الميثاق وكيفية انتقاله من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة وبالعكس وبيان نسبه من الطرفين وذكر مولد ابراهيم وذكر القائه فى النار ، وذكر الشام والأرض المقدسة وذكر أولية الكعبة وعدد بنائها ومن تولى بناءها وفيها ذكر ذى القرنين ويأجوج ومأجوج والدجال والخضر ودابة الأرض وبدء ظهور زمزم فى زمن

اسماعيل وانطماسها بعده وبقائها منظمة الى زمن عبد المطلب وفيها ذكر يعقوب ويوسف وذكر قتل شعياء وتخريب بختنصر بيت المقدس وقصة قتل زكريا ويحيى وذكر ظهور زمزم فى زمن عبد المطلب ثانيا .

(الطليعة الثالثة) : فى ولادة عبد الله ونذر عبد المطلب ذبحه وعرض عبد الله عليه وتزوجه آمنة وقصة الخثمية ووقائع مدة الحمل من وفاة عبد الله وقصة أصحاب الفيل .

وأما الأركان الثلاثة .

(فالركن الأول) : فى الحوادث من عام ولادته الى زمان نبوته وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى الوقائع من عام ولادته الى السنة الحادية عشرة من تاريخ ولادته وما وقع حين الولادة وذكر الختان وذكر أسمائه وألقابه وكفاه وشمائله وصفاته وخصائصه ومعجزاته وارضاع الأظار وعددها وما وقع عند حليمة من شق الصدر وغيره وولادة أبى بكر الصديق وفقد حليمة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الطريق حين ردته الى أمه ووفاة أمه وولادة عثمان بن عفان وكفالة عبد المطلب ورفده واستسقاء عبد المطلب وحديث سيف بن ذى يزن وذكر سليمان وبلقيس ووفاة عبد المطلب وكفالة أبو طالب وموت حاتم الطائى وموت كسرى أنو شروان وولاية ابنه هرمز السلطنة وخروج أبى طالب عم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الشام وحرب الفجار الاول وشق الصدر على قول .

الباب الثانى :فى الحوادث من السنة الثانية عشرة من مولده الى السنة الرابعة والعشرين من ارتحال أبى طالب مع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى الشام وذكر رعيه الغنم ومولد عمر بن الخطاب والفجار الثانى وعزم الزبير بن عبد المطلب أو العباس لسفر اليمن وخلع هرمز عن السلطنة وقتله وتولى كسرى برويز السلطنة وحرب الفجار الثانى عند البعض ، وتجارة الشام مع أبى بكر . وحلف الفضول وشكايته الى عمه من آت يأتيه منذ ليال وهدم الكعبة وبنائها فى قول بعض العلماء .

الباب الثالث : فى الحوادث من السنة الخامسة والعشرين الى السنة الأربعين من مولده ــ صلى الله عليه وسلم ــ من خروجه الى الشام مع ميسرة عبد خديجة وقصة نسطور الراهب وتزوج خديجة ووليمته وذكر سائر أزواجه اجمالا وذكر سراريه وأولاده وتزويج بناته وأختانه وولادة على بن أبى طالب وهدم الكعبة وبنائها وولادة فاطمة وموت زيد ابن عمرو بن نفيل ورؤيته الضوء والنور وقتل كسرى برويز النعمان بن المنذر .

الركن الثانى : فى الحوادث من ابتداء نبوته الى زمان هجرته من صفة نزول الوحى ورمى الشياطين بالشهب وانقصام طاق كسرى وأول من أسلم واخفاء الدعوة ووفاة ورقة ابن نوفل واظهار الدعوة وولادة عائشة وهجرة الحبشة وايذاء المشركين ووفاة سمية بنت حباط واسلام حمزه وعمر بن الخطاب ووقعة بعاث وتقاسم قريش على معاداة بنى هاشم وبنى المطلب ونزول سورة الروم وانشقاق القمر ووفاة أبى طالب وخديجة وذكر ثقيف ووفود الجن وتزوج سودة وعائشة وبدء إسلام

الأنصار وذكر المعراج وفرض الصلوات الخمس وبيعة العقبة الاولى وبيعة العقبة الثانية وهجرة أبى بكر الى الحبشة وبدء هجرة الأصحاب الى المدينة ومشاورة قريش فى حبسه أو قتله أو اخراجه ــ واخبار جبريل اياه بذلك واذنه له بالهجرة .

الركن الثالث : فى الحوادث من ابتداء نبوته الى زمان هجرته ووفاته وفيه أحد عشر موطنا ــ **الموطن الأول :** فى وقائع السنة الأولى من الهجرة وفيه فصلان .

الفصل الأول ــ فى خروجه مع أبى بكر من مكة الى الغار ولبثهما فيه ثلاثة أيام وخروجهما من الغار وتوجههما الى المدينة وماوقع لهما فى الطريق من ادراك سراقة ومرورهما بخيمتى أم معبد ولقيهما بريدة بن الحصيب ولقيهما طلحة بن عبد الله والزبير ابن العوام فى الطريق وموت البراء بن معرور واستقبال أهل المدينة ونزولهما بقباء ولبثهما فى بنى عمرو بن عوف وتأسيسه مسجد قباء .

الفصل الثانى ــ فى انتقاله من قباء الى باطن المدينة وأول جمعة صليت فى الاسلام قبل قدومه باطن المدينة ونزوله على أبى أيوب وسكناه بداره وبناء المسجد وموت كلثوم بن المهدم واسلام عبد الله بن سلام وموت أسعد ابن زراره وابتداء خدمة أنس والزيادة فى صلاة الحضر ووعك أبى بكر والصحابة واسلام سلمان والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود وموت العاص بن وائل من مشركى مكة وبعث زيد بن حارثة الى مكة للاتيان بعياله وولادة النعمان بن بشير وولادة عبد الله بن الزبير وذكر فاطمة بنت النعمان وتكلم الذئب وابتداء الغزوات وبحث حمزة بن عبد المطلب الى سيف البحر وسرية عبيدة بن الحارث الى بطن رابغ وبنائه بعائشة وبعث سعد بن أبى وقاص الى الحرار وابتداء الأذان . واستطرد شارحا بقية المواطن ، وقال :

ان الخاتمة فى كتابه فيها فصلان :

الفصل الاول : فى المتفرقات من أرقائه وحرسه وخدمه ومن كان يضرب الأعناق بين يديه وذكر مواليه وأمرائه ورسله وكتابه ومؤذنيه وخطبائه وشعرائه وحداته وذكر خيله ولقاحه ودوابه وآلات حروبه ولباسه وذكر من وفد عليه .

الفصل الثانى : فى ذكر الخلفاء الراشدين وذكر خلفاء بنى أمية والعباسيين .

قال رحمه الله فى شواهد النبوة :

اعلم أن النبى عبارة عن انسان أنزل عليه شريعة من عند الله بطريق الوحى تتضمن تلك الشريعة بيان كيفية تعبده لله تعالى ، فاذا أمر بتبليغها الى الغير يسمى رسولا وفى (الفتوحات المكية) النبى هو الذى يأتيه الملك بالوحى من عند الله يتضمن ذلك الوحى شريعة يتعبد بها فى نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولا .

وفى (شرح العقائد العضدية) للشيخ جلال الدين الدوانى النبى انسان بعثه الله الى الخلق

لتبليغ ما أوحاه الله اليه والرسول قد يستعمل مرادفا له وقد يختص بمن هو صاحب كتاب فيكون أخص من النبى •

وفى (أنوار التنزيل) الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة محددة يدعو الناس اليها ، والنبى يعمه • ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه النبى — صلى الله عليه وسلم — علماء أمته بهم حيث قال « علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل » فالنبى أعم من الرسول ويدل عليه أنه سئل — صلى الله عليه وسلم — عن الأنبياء فقال : « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا » قيل كم الرسل منهم قال : « ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا » وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه ، والنبى غير الرسول من لاكتاب له ، وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى ، والنبى يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام •

وفى (العروة الوثقى) كل من كان تصرفه فى ظواهر الخلق فهو سلطان • وكل من كان تصرفه فى ظواهر الخلق وبواطن المؤمنين به مؤيدا من عند الله مستغنيا بنفسه فى التلقى من ربه عن بشر مثله فهو نبى • فالنبى سلطان فى الظاهر ولى فى الباطن مستغن فى ارشاد الخلق عن بشر مثله فاذا اجتمعت السلطنة والولاية فى شخص واحد انتشر العدل فى الظاهر والباطن ويتم أمر معاش الناس ومعادهم على نحو أكمل وأفضل • والرسول عام يطلق على الملك والبشر • والنبى خاص لايطلق الا على البشر •

وفى (معالم التنزيل) وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر كما مر ، والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا •

وفى (الينابيع) روى الكلبى عن كعب الأحبار أن عدد الأنبياء ألفا ألف ومائتا ألف وخمسة وعشرون ألفا ، والرسل ثلثمائة وثلاثة عشر ، وفى (العروة) لم يبعث الله نبيا من أهل البادية قط ولا من النساء ولا من الجن ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ ••الخ•

والنسخة الموجودة بمكتبة الأزهر فى مجلدين بقلم معتاد ، بخط عبد الرحمن يحيى ابن مسعود سنة ١١٣٤هـ ، والجزء الأول عدد أوراقه ٤٤٧ ورقة والجزء الثانى يقع فى ٢٩٦ ورقة ومسطرتهما ٢٧ سطرا ، والنسخة بحالة جيدة يمكن قراءتها فى يسر وسهولة •

ومكتبة الأزهر لاتدخر وسعا ولا تألو جهدا فى تقديم وتعريف ما تحويه من المخطوطات النادرة التى تعتبر فريدة فى نوعها لا نظير لهما فى المكتبات الأخرى • وعسى أن تجد بين المهتمين باحياء تراثنا القديم من يعنى بنشرها بعد أن ظلت حبيسة الخزائن ومجهولة حتى لبعض الخاصة •

والله ولى التوفيق •

مدير : مكتبة الأزهر
محمد عميره على

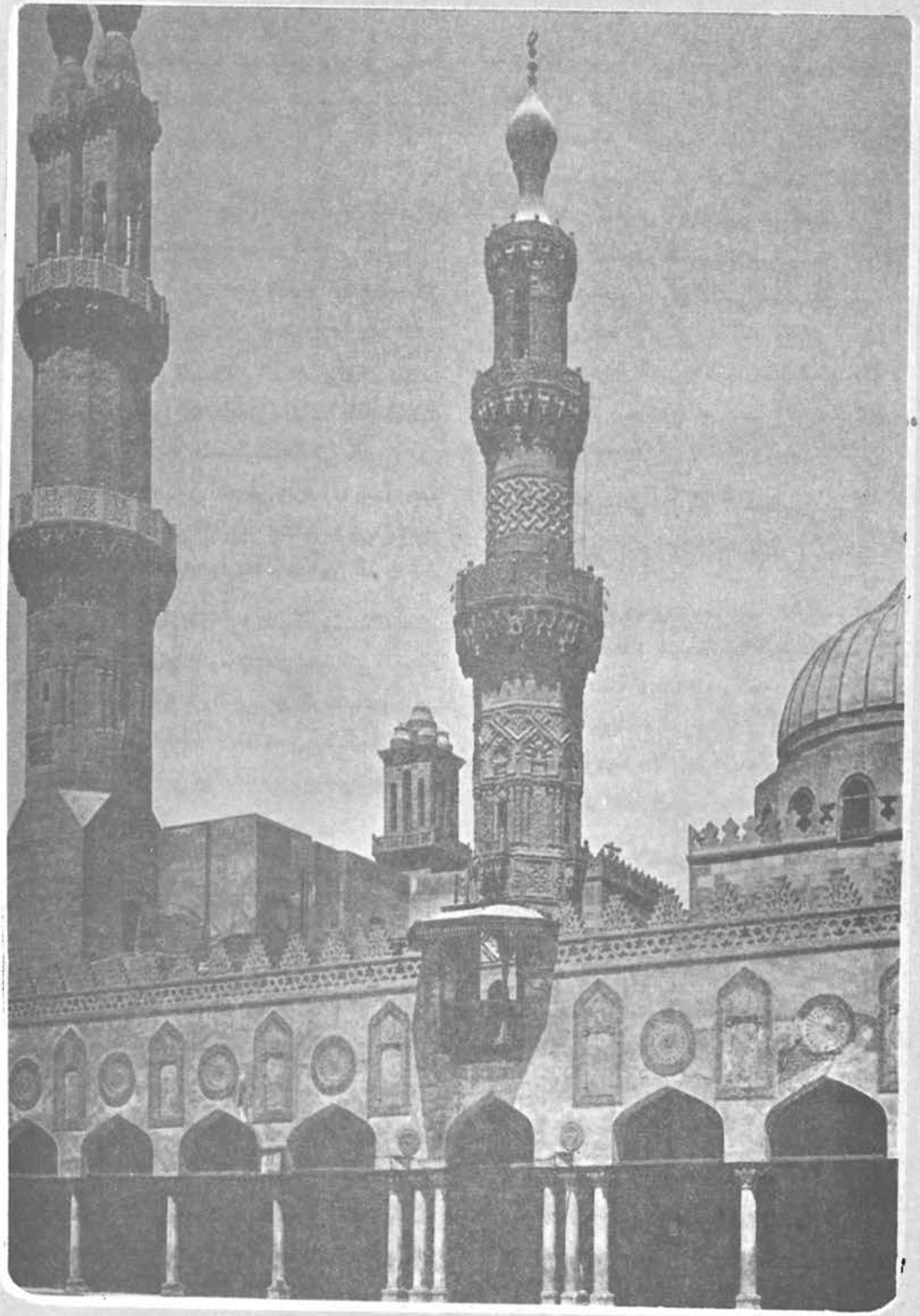

اللغة والأدب والنقد

حتى الابتدائية

شوقي بين مجد الإسلام
وعظماء رجاله

في حاشية الأمير

الإسلام على مفترق الطرق

حتى الابتدائية

الاستعمال الثالث لحتى أن تكون حـــرف ابتداء ، أى تبتدىء بعده الجمل وتستأنف ، فتدخل على الجملة الاسمية كقـــول جريرين ــ عطية .

فمـــازالت القتلى تمج دمـاءهـا
بدجلـة حتى مـاء دجلة أشـــكل

وقول الفرزدق :

فواعجبـــا حتى كليب تســـبنى
كأن أباهـــا نهشـــل أو مجاشـــع

ويتعين تقدير محذوف قبل حتى فى البيت الثانى يكون مابعد حتى غاية له ، أى : فواعجبا يسبنى الناس حتى كليب تسبنى ، كما تدخـــل على الجملة الفعلية المبدوءة بمضارع كمـــا فى الآية الكريمة (**وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ؟**) برفع يقول فى قراءة نافع ، وقول حسان بن ثابت فى مدح آل غسان :

يغشـــون حتى ما تهـــر كـــلابهم
لا يسألون عن الســـواد المقبـــل

وعلى الجملة الفعلية التى فعلها ماض كقوله سبحانه : (**ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا ، وَقَالُوا .. الخ**) وقد دخلت حتى على الجملتين الاسمية والفعلية فى قول امـــرىء القيس :

سريت بهم حتى تكـــــل مطيهم
وحتى الجياد مايقدن بارســـان

حيث روى برفع تكل ، والمعنى : حتى كلت مطيهم ، ولكنه جاء بلفظ المضارع على حـــكاية الحال الماضية ، كما روى أيضا بنصب تكل على تقدير أنها جارة ، وعلى النصب لابد من تقدير زمن مضاف الى المصدر المؤول أى الى زمـــن كلال مطيهم وقد تجىء حتى فى موضع تصلح فيه لاستعمالاتها الثلاثة (الجـــر ، والعطف والابتداء) ويكون الاسم بعدها قابلا لأحوال الاعراب الثلاثة (الجر والنصب والرفع) نحو:

أكلت السمكة حتى رأسها ، فيجوز فى رأســـها الجر على تقدير أنها حرف جـــر مثـــل الى ،

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

والنصب على تقدير أنها عاطفة بمعنى الواو ، والمعطوف عليه (السمكة) مفعول به ، كما يجوز الرفع على أنها ابتدائية ، ورأسها حينئذ مبتدأ خبره محذوف يدل عليه جملة أكلت السمكة والتقدير حتى رأسها أكل أو مأكول .

وقد روى بالأوجه الثلاثة قول الشاعر :

عممتهم بالندى حتى غواتهم..
فكنت مالك ذى غى وذى رشد

وقول الآخر أيضا :

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله
والزاد حتى نعله ألقاها

الا أن الرفع فى البيت الأول شاذ لما يستلزمه من وجود مبتدأ بغير خبر فيترتب عليه تهيئة العامل للعمل ثم قطعه عنه بغير سبب ، وأن النصب فى البيت على وجه واحد فقط ، وهو تقدير عامل ناصب يفسره الفعل قبل حتى ، وهو عممتهم بالندى ، أما فى البيت الثانى فالنصب فيه على تأويلين :

أحدهما : اعتبار حتى عاطفة كالواو ، وفعله معطوف على الصحيفة .

والثانى : على اضمار عامل ناصب — يفسره العامل المذكور بعد حتى وهو ألقاها والتقدير : حتى ألقى نعله ، ألقاها ، أما الجر فى البيتين فعلى تقديرها حرف جر كالى معنى وعملا واذا قلت رجع المهاجرون حتى خالد رجع ، جاز لك فى خالد ، الرفع والجر وامتنع النصب والرفع جائز على أوجه ثلاثة :

الابتداء ، وتكون جملة رجع خبر المبتدأ .

والعطف وتكون جملة رجع الأخيرة مؤكدة للجملة قبل حتى .

والوجه الثالث : اضمار فعل يعمل الرفع فى خالد وتكون رجع الأخيرة مفسرة للعامل المضمر وعلى الجر كذلك تكون الجملة الأخيرة مؤكدة لجملة (رجع المهاجرون) المتقدمة .

وزعم بعضهم ، أنه يمتنع أن تقول : ضربت القوم حتى حافظ ضربته ، بالجر أو بالنصب على العطف ، وانما يجوز الرفع على الابتداء أو النصب باضمار فعل ناصب ، وتكون ضربته مفسرة للعامل المضمر ، لأنه يمتنع حينئذ جعل ضربته توكيدا لضربت القوم ، لاختلاف المعمول فى كلتا الجملتين ، وانما جاز الجر فى حتى نعله ألقاها لأن الضمير فى ألقاها راجع

للصحيفة ، ولايجوز على الجر أن يقدر أنــه راجع للنعل •

والجملة بعد حتى الابتدائية لا محل لها فى الاعراب خلافا للزجاج وابن درستويه فقد زعما أنها فى محل جر بحتى ، ويمنع ذلك أن حروف الجر لاتكف عن العمل ، وأنها انما تدخل على المفردات أو ما يمكن تأويله بالمفرد كالمصــدر المؤول ، واذا وقعت (ان) بعد حتى كسرت همزتها ، نحو : التهبت الأسعار حتى ان كثيرين عجزوا عن شراء الضروريات ، علما بأن القاعدة أن حرف الجر اذا دخل عــلى (ان) فتحت همزتها ، نحو قول الله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) •

وقوله سبحانه : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وقوله : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ، وقوله أيضا : (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ، وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ) وقوله : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) ، ومثل قول الشاعر :

بكل تداوينـــا فلم يشــف ما بنــا

على أن قرب الدار خير من البعـــد

ولأن حتى لها كل هذه المعانى المختلفة والاستعمالات المتنوعة ، وأن مابعدها — اسما كان أو فعلا يأتى منصوبا ومرفوعا ومخفوضـــا أيضـــا اذا كـــان اســـما ، لهذا قال الفراء : أموت وفى نفسى شىء من حتى •

أحمد حسن عبد العواض هلالى

"شوقى"

بين مجد الاسلام وعظماء رجاله

للأستاذ الدكتور
محمد سلامه صالح

لكم تستخف بالأمة العربية الاسلامية نشوة السعادة كلما أسفر التنقيب فيها عن منجم ذهبى ، أو منبع بترولى ، ولو أدركت تلك الأمة أنها ليست أقل حاجة الى الكشف عن قيمها ، وتاريخها من حاجتها الى الذهب والماس لشرعت تنقب فى ماضيها الغارب عن بناة مجدها ، أولئك الآباء الذين أنبتتهم الصحراء بدوا ، رعاة ابل وشاء ، ثم انتشروا فيها أسودا رعاة أمم وما كان لهم من ثراء الا أصالة القيم المستمدة من مناجم العقيدة.

كان من الصعب على أى أنسان أيا كان حظه من الذكاء أن يصدق للوهلة الأولى أن رجلا يمنى نفرا من العبيد البدو المستضعفين فى الأرض بملك كسرى ، وقيصر ، أى بما يعادل حينئذ القوتين السائدتين فى زمننا هذا (أمريكا) و (روسيا) . وربما استبدت السخرية بمن يصغى الى ذلك فأغرب فى الضحك ، كما كان يحدث آنذاك من وجهاء القوم ، وسادتهم ، لكنها العقيدة ، أقوى من أن تصد ، وأعظم من أن ينال من أصحابها .

العقيدة التى تجعل ثانى اثنين ، اذ هما فى الغار ، يقول لصاحبه المطارد معه فى ثبات أقوى من الطود « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا »(١) واذا ليل المحن ينبثق عن أعظم مشاهد العظمة ، وأجل مواقف الانتصار .

قوة (الله ان تولت ضعيفا
تعبت فى مراسه الأقوياء (٢)

(١) سورة التوبة : ٤٠ .
(٢) الشوقيات : ١/ ١٤ ، و (ديوان شوقى): ١/ ١٨٤ .

"شوقي" بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

فما للبدو بعـد من حاجة الى رعى الابل ،
وقد ألفوا رعى الأكاسرة والقياصرة •

لقد أمدتهم العقيدة بفيض من نفحاتها ، فاستجابوا لها مذعنين لأهدافها مدافعين عن مبادئها ، حتى أصبحوا مثلا عليا ، ونماذج خالدة للمجد الانسانى ووصفهم القرآن الكريم بأنهم « **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** » (١) •

ويستبد جهادهم بشاعرية (شوقى) ، وينال وصف القرآن لهم من نفسه • فيقول ، مشيدا بدفاعهم عن العقيدة فى قصيدة (كبار الحوادث) !

وحماها غر كرام أشدا
ء على الخصم بينهم رحماء (٢)

بهؤلاء أسس أعظم العهود ، وبنيت أرقى المدارس فـ « لم يعرف التاريخ عهدا أغنى بنوابغ الرجال من عهد (المصطفى صلى الله عليه وسلم) ولا مدرسة أخصب من مدرسته التى ظلت بعد هجرته تمد (النبى) العظيم بعبقرى اثر عبقرى •

فشهدنا مدرسة العدل والحقوق تمده برجالات هم مفخرة للمثل العليا ، والكمال الخلقى يتزعمها (أبو بكر) وعمر •

وشهدنا المدرسة العسكرية تزدهر بقواد يفخر بهم الفن العسكرى يتقودهم خالد بن الوليد ، و أبو عبيدة بن الجراح •

ورأينا مدرسة الفقه ، والبلاغة تزدهى بأمثال (على) و (ابن عباس)وكان نصيب المدرسة السياسية جذلا موفورا بنوابغ من السياسيين (٣) على رأسهم (معاوية بن أبى سفيان) ، و (عمرو بن العاص) ، وغير ذلك كثير •

وبذلك تمت ارادة (الله) عز وجل ، فبنى على يدى (محمد بن عبد الله) — صلى الله عليه وسلم — منذ أكثر من ألف سنة بيتا يسكنه الى اليوم مئات الملايين ذلك هو الاسلام » (٢) •

— ٢ —

هذه الأمة الاسلامية بتاريخها العريق ، ومجدها الفريد ، وعظمائها الأفذاذ ، وقادتها الأساوس ، وحضارتها الانسانية ، ومدينتها الزاهرة قد استبدت باعجاب (شوقى) ، واستحوذت على مشاعره فى كل مناسبة فراح يشيد بتاريخها ، ومواقف أبطالها ، ويزهى بمجد حضارتها مترجما عن مشاعر العرب والمسلمين ، وازدهائهم بتلك المواقف ، والبطولات ، والحضارة والمدنية •

لقد قرأنا مدائحه النبوية فى (الرسول) الكريم — عليه الصلاة والسلام — ، ورأينا كيف أعجب بشخصيته الفذة ، ومواقفه الخالدة ، وجهاده فى سبيل تبليغ دعوة (الله) ونشر رسالته ، واعلاء كلمته ، وما أسسه من

---

(١) سورة الفتح : ٢٩
(٢) الشوقيات : ١/١٥ ، و (ديوان شوقى) : ١/١٨٥ •

(٣) ادب العروبة — من مقال (حنفى محمود باشا) تحت عنوان : « الهجرة » : ٥٤ — ٥٥ طبع جامعة ادباء العروبة (١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م)

قواعد التوحيد ، والحق ، والخير للبشرية جمعاء •

١ ــ وها هو ذا يشيد بمواقف أصحاب (رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ) فى غزوات الفتح ، وتأسيس الدعوة ، ونصرة الحق ، وارساء أسس حضارة الدولة الاسلامية ، وقوتها ، ومنعتها •

يقول من قصيدته (الهمزية النبوية) :

كم من غـزاة (للرسـول) كريمة
فيها رضى للحـق أو اعـــلاء
كانت لجند (الله) فيهـا شـدة
فى اثرهـا للعـالمين رخـاء
ضربوا الضـلالة ضربة ذهبت بها
فعلى الجهالة والضـلال عفـاء
دعموا على الحرب والسلام وطالما
حقنت دمـاء فى الزمان دماء (١)

٢ ــ ويشيد بالامة الاسلامية ، ومجدها العريق ، وبيانها المعجزة وما حملته للبشرية من هداية ، ورشاد ، وحق ، وعدل حتى يحفز الهمم ويثير العزائم للمحافظة على ذلك المجد ، واستعادة سلطانه • وعزه •

يقول فى قصيدة (كبار الحوادث) :

أمـة ينتهـى البيـان اليهـا
وتـؤول العلـوم والعلمـاء
جـازت النجـم واطمأنت بأفق
مطمئن بـه السـنى والسـناء
كلمـا حثت الركـاب لأرض
جـاور الرشـد أهلهـا والذكاء
وعلا الحق بينهم وسـما الفضـ
ـل ونالت حقـوقها الضـعفاء
تحمل النجم والوسـيلة والميـ
ـزان من دينهـا الى من تشـاء
وتنيـل الوجـود منـه نظـاما
هو طب الوجـود وهـو الـدواء
يرجع النـاس والعصـور الى ما
سـن والجـاحدون والاعـداء
فيه مـا تشـتهى العزائم ان هـ
ـم ذووهـا ويشتهى الاذكيـاء
فلمن حـاول النعيـم نعيـم
ولمن آثـر الشـقاء شـقاء
أيرى العجـم من بنى الظـل والما
ء عجيبـا أن تنجب البيـداء
وتثير الخيـام آسـاد هيجا
ء تراهـا آسـادها الهجـاء
ما أنـامت على السـواعد حتى
الأرض طرا فى أسـرها والفضاء
تشهد (الصين) و (البحار) و (بغدا
د و (مصر) و (الغرب) و(الحمراء)

ذلك هو ماضى الامة المجيد يستحضره الشاعر عظة للحاضر ، ومن أولى من (شوقى) الشاعر المسلم المؤرخ ببعث ماض غدا حلما من الاحلام لقد كانت « الامة العربية أمة ينتهى اليها البيان ، وتجد فيها العلوم صدورا منشرحة ،فهى ثقيل عليها بطبيعتها وتقيم وزنا للعلماء حيث كانوا ، فكانت كلما استولت على قطر اهتز العلم فيها وربا ونشأ فيه العلماء

---

(١) (المؤيد) ٧ مارس سنة ١٩١٢ ، الشوقيات : ٢٨/١ و (ديوان شوقى) : ٦٠٤/١
(٢) الشوقيات ١٥/١ ــ ١٦ ، و (ديوان شوقى) : ١٨٥/١ ــ ١٨٦ ، والحمراء قصر العرب المشهور بالاندلس .

شوقي بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

الفحول ، وعلت راية الحق ونال كل انسان مايستحقه بعمله ، واضمحلت الطبقات ، وارتفعت الفروق .. فالعرب حملوا العدل الذى فى دينهم ، الى الامم التى استولوا عليها ، وأثاروا فيها حب العمران ، والسعى فى مناكب الارض ، وصار هذا الدين نظاما للوجود ، يرجع الناس اليه فى أمور الدنيا والعقبى .

ولم يكن عجبا أن أبناء الصحراء يفوقون أبناء الظل والماء ، ويبتزون منهم ممالكهم ، فطالما كانت الصحارى مواطن الآساد ، فما ثارت هذه الآساد من بادية العرب ، حتى رأينا الأقطار فى ملكهم من (الصين) شرقا الى (المغرب) و (الأندلس) غربا ... (١)

وكيف لا يزهى شاعر الأمة بهؤلاء الأمجاد ، دامغا ببطولتهم مفتريات الاعداء ، فقد تساوى الموت عندهم والحياة ، فما لعدو من سبيل الى النيل منهم :

هكذا المسلمون والعرب الخا
لون لاما يقوله الاعداء
فبهم فى الزمان نلنا الليالى
وبهم فى الورى لنا أبناء
ليس للذل حيلة فى نفوس
يستوى الموت عندها والبقاء(٢)

٣ ــ وفى منظومته (دول العرب وعظماء الاسلام) يعتز بما أنجز (الله) لنبيه من وعد بالنصر والفتح ، حتى ساد قومه العالم ، وملكوا الدنيا ، وما يزال دينهم يجابه الأحداث ويتحدى الاعداء ، وما تزال لغتهم قوية متينة ، تتضح بالبيان المعجز ، والبلاغة الآسرة :

وأنجز (الله) النبى وعده
وساد قومه الزمان بعده
واتخذوا كل القرى أوطانا
وحاسنوا الأهلين والقطانا
حتى انقضى سلطانهم وزالا
وفضلهم باق ولن يزالا
ودينهم بين الشعوب دينهم
يعيى على الايام من يدينهم
وذلك اللسان باق لم يزل
يمضى عليه من جلا ومن نزل (٣)

٤ ــ ويروعه حال المسلمين اليوم ، وماصاروا اليه من ضلال وضعف ، فيذكرهم بماضى الاسلام ، ومجده التالد ، وبطولة عظمائه ، ومواقفهم الخالدة ، موضحا مآثر الاسلام فى عزة أهله ، ونشر قواعد المساواة والحق والعدل بين أتباعه ، مبينا أن ما أصابهم انما هو من انحرافهم عنه ، وبعدهم عن تعاليمه ، وغفلتهم عن كتابه وسنته .

يقول فى قصيدة (مرحبا بالهلال) عام (١٣٢٩ هـ ــ ١٩١١ م) :

أمم الهلال : مقلة من صادق
والصدق أليق بالرجال مقالا

---

(١) (شوقى) أو صداقة اربعين سنة : ١٩٠ ــ ١٩١ .

(٢) الشوقيات : ١/١٧ ، و (ديوان شوقى) ١/١٨٨ .

(٣) دول العرب وعظماء الاسلام : ١٨ .

متلطف فى النصــح غــير مجادل
والنصح أضــيع ما يكون جــدالا
من عــادة الاســلام يرفع عــاملا
وَيُسَــوِّدُ المقــدام والفعـــالا
ظلمتــه ألســنة تؤاخــذه بــكم
وظلمتــوه مفــرطين كســالى
هذا هــلالكم تكفــل بالهـــدى
هل تعلمون مع الهلال ضـــلالا ؟
سرت الحضـــارة حقبــة فى ضوئه
ومشى الزمــــان بنوره مختـــالا
وبنى لــه العرب الاجــاود دولة
كالشمس عرشا والنجوم رجـــالا
رفعوا لــه فوق الشمال دعــائما
من علمهم ومن البيــان طـــوالا
(الله) جــل ثنــاؤه بلســـانهم
خلــق البيــان وعلم الأمثــالا
وتخير الاخـــلاق أحسـنها لهم
ومكــارم الاخــلاق منــه تعالى
كالرســل عزما والمــلائك رحمــة
والأســد بأســا والغيــوث نوالا
عدلوا فكـــانوا الغيث وقعا كلما
ذهبوا يمينا فى الورى وشـــمالا
والعــدل فى الدولات أس ثــابت
يفنى الزمــان وينفــد الاجيــالا
أيــام كان النــاس فى جهــلاتهم
مثل البهــائم أرسـلت ارســالا
من جهلهم بالــدين والدنيا معــا
عبدوا الأصــم وألَّهُــوا التمثالا

ضلوا عقــولا بعــد عرفان الهدى
والعقل ان هــو ضل كان عقــالا
حتى اذا انقسموا تقــوض ملكهم
والملك ان بطل التعــاون زالا (١)

٥ ــ ولكم أثار الخلفاء الراشدون ، ومــن سلك مسلكهم من الحكــام والولاة اعجــاب الشاعر ، فتناولهم جملة وتفصيلا ، مشــيدا بقوة ايمانهم ، وصــدق بــلائهم ، ونصرتهم للحق ، واقامتهم للعدل ، كما يقول من قصيدة (نهج البردة) عام ١٩١٠ م :

خلائف (الله) جلوا عن موازنــه
فــلا تقيسن أمــلاك الــورى بهم
من فى البرية (كالفـــاروق) معــدلة ؟
و (كابن عبد العزيز) الخاشع الحشــم
وكالامــــام اذا مــا فــض مزدحمــا
بمــدمع فى مــآقى القـــوم مزدحم
الــزاخر العـــذب فى عــام وفى أدب
والنــاصر النــدب فى حــرب وفى سلم
أو (كابن عفــان) والقــرآن فى يــده
يحنــو عليــه كمــا تحنو على الفطم
ويجمــع الآى ترتيبـــا وينظمهـــا
عقدا بجيد الليـــالى غــير منفصــم
جرحــان فى كبد الاســلام ما التأما :
جرح الشهيد وجرح بالكتاب دمى (٢)
ومــا بــلاء (أبــى بكــر) بمتهــم
بعد الجــلائل فى الافعــال والخــدم
بالحزم والعزم حــاط الــدين فى محن
أضـــلت الحلم من كهــل ومحتلم (٣)

---

(١) الشوقيات : ١/٢٣٢ ــ ٢٣٣ ، و (ديــوان شوقى) : ١/٤٩٣ ــ ٤٩٤ .
(٢) الشهيد : (عثمان رضى الله عنـــه) ، وجرح بالكتاب دمى : أى دمى به الكتاب وقــلب للمبالغة لأنهم حين ضربوه بالسيوف والمصــحف فى حجره سال الدم عليه .
(٣) الشوقيات: ١/٢٥٦ ، و (ديوان شوقى): ١/٦٣٢ ــ ٦٣٣ .

شوقي بين مجد الإسلام وعظماء رجاله

٦ ـ وفى المنفى حيث التـأمل والفكر بين ماض مجيد ، وحاضر غارب ـ يتحدث عنهم فى أرجوزته (دول العرب وعظماء الاسلام) فاذا :

هـم النجـوم فى سـماء غـالب
ومطلع الهـادى المنـير الغـالب
ما منعـوا (اللـه) ولا نبيـه
قيـاد نفس سـمحة أبيـة
قد كفلـوا الاسـلام فى صباه
فأيهـم نـادى دعـا ابـاه
بالنفس والنفيـس أيـدوه
وبالقنـا والـرأى شـيدوه
لا يعقـدون فى الجباه العسجدا
بـل التـراب المليـك سـجدا
وتحت أقـدامهم التيجـان
ينـد بهـا اللؤلؤ والمرجـان
كسرى ببطـن عطـل المفـرق
وقيصر ينـدب تاج المشرق (١)

ثم يفصل القول عـن كل منهم على حـده (فأبو بكر) رضى (الله) عنه آثره (الرسول) بامامة الدين ، فكان بامامة الدنيا أجدر ، وأيد بالقضاء على فتن المرتدين ، فأعـاد للسـلم عامها الخفاق ، كما شـغف حبـا بالفتـوح ، فانساحت كتائب (الله)تحت لـوائه ، تنشر الدين فى ميادين النصر ، فهـو السـباق الى التصديق ، الرفيق فى الغـار المعتق للرقيق ، الباذل ماله فى سبيل (الله) :

لما أهـاب (بالرسـول) الـداعى
وآذن الجثمـان بالتـداعى
ولـى (أبـا بكـر) على الصـلاة
وتـلك عليـا رتب الـولاة
أصـابت الفتنـة والحبـائل
ونكسـت بعـد الهدى القبـائل
وثـاب أقـوام الـى الأوثـان
وقـام غـاو وتـلاه ثـان
أعـين بالتأييـد والتسـديد
وفتيـة بنـوا من الحـديد
ورفت السـلم على الجـزيرة
صـافية حياضـها غـزيره
وحبب الفتـح الى الامـام
لابـد للبنيـان مـن تمـام
فانسـاحت الكتـائب انسياحا
أرسـلها مـن يرسـل الرياحـا
فيـا أخـا الضراء والشـدائد
والنـاس اخـوان لـدى الفرائـد
وسـابق الآل الـى التصـديق
وآوى الغـار مـع الصـديق
ويـا رحيمـا قلبـه رقيقـا
بمـاله كـم حـرر الرقيقـا
ومـن قضى بعـد غنـى فقـيرا
لـم يجـدوا فى بيتـه نقـيرا
ذهبت بالخـير وأتعب (عمـر)
يا ويح من بعد (أبى بكر) أمر (٢)

و(عمر) رضى (الله) عنه اسلامه عز للدين وهو حصن للحق ، قاد العرب بالعدل ، فمضى

---

(١) دول العرب : ٣٣ ـ ٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ٣٥ ـ ٣٧ .

بهم الى أبعد الغايات ، ثم هو رفيق باليتامى ، منصف للسوقة من الملوك ، للحق فتوحه ، والجزل بعض هباته ، وهو اسكندر الخيل استجاب الصحاب لاثبات الفتح عنده ، فوصلوا (الكوفة) (بالفسطاط) فتح أبى ، ممتد المدى ، مؤكد للسلام :

اسلامه للدين كان عزا
رنح عطف (المصطفى) وهزا
عابوه بالشدة وهى حسن
فى رجل للحق منه حصن
بالعدل والدرة طار بالعرب
وسار فى الجو بهم وفى السرب (١)
خليفة يعس فى الاعتام
ويطبخ الطعام للأيتام
طريقه فى العدل قط ما سلك
من ذا قضى لسوقة على ملك (٢)
فتوحه للحق فضل البارى
والجزل من هباته الكبار
اسكندر الخيل وان لم يركب
الأرض من أيامه فى موكب
ثوى وساق نجب الصحاب
بورك فى البحر وفى السحاب
تعهدوا الفتح بالاختطاط
ووصلوا (الكوفة) (بالفسطاط)
فتح يرى الحوادث الاياء
اذا الفتوح أصبحت هياء
أهدى على الدهر الى الاسلام
ما بين أعلى (النيل) والسلام (٣)

وعن مآثر (عثمان) رضى (الله) عنه يحدثنا الشاعر مهللا بكتائب النصر ، وهى تمضى تحت لوائه ، فاذا البر مطوى بأقدام الجنود ، والبحر خاضع لأعلام السفن ، فأضحى بعيد البر قابيا ، وغدا البحر بحر العرب :

يا حبذا ولاته الاخيار
ورأيه فيهم والاختيار
يضاف مرفوعا الى الامام
اضافة البدر الى التمام
فيتان ملك وبنو خلافة
قد صدقوا الابوة الخلافة
قد فتحوا (قبرس) للامام
بالسفن المزجاة كالغمام
فأصبح القاصى من البر اقترب
وصار بحر الروم لجة العرب
وخفقت كتائب الاسلام
فى البحر أعلاما على أعلام (٤)

وفى حديثه عن الامام (على) كرم (الله) وجهه ــ تناول جهاده فى الحق ، وزهده فى

---

(١) السرب : المسلك فى خفية .

(٢) يشير الى قصة (جبلة الأيهم) آخر ملوك العرب ، الذى وفد ــ مسلما على عمر رضى الله عنه فى اربعين الفا من جيوشه ، وحين لطم اعرابيا وطىء ثوبه اثناء طوافه واستعدى الأعرابى (عمر) ، امره ان يقتص منه ، فاستبد (بجبلة) كبرياء الملك وتساءل : كيف يقتص منى ، وانا ملك ، وهو سوقه ؟ فقال (عمر) قد سوى الاسلام بينكما ، ولم يعبأ بما كان من ردة الملك وجيوشه تحقيقا لمبدأ مساواة الناس امام العدل الاسلامى . راجع : الشعراء الثلاثة : (شوقى ، مطران) ، (حافظ) ــ تصنيف الاستاذ (حسن السندوبى) : ٤٣١ مطبعة المكتبة التجارية (١٣٤١ هـ ــ ١٩٢٢) .

(٣) دول العرب : ٣٩ ــ ٤٣ .

(٤) المصدر السابق : ٥١ .

الدنيا ، ومنزلته فى القضاء ، والافتاء ء

أمـا الامـام فالأغـر الهادى
حـامى عرين الحـق والجهـاد
وأزهـد النـاس وفى الدنيـا يده
وأخشع العـالم وهو سـيده
وجامع الآيـات وهـى شـتى
وسـدة القضـاء باب الافتـا (١)

وتحقيقا لهدفه هذا تناول بالحديث مختلف الشخصيات الاسلامية التى أثارت شاعريته ، (فخالد بن الوليد) عنده رجل جمع بين يأس السيف ، ونور الهداية ، غذته الجاهلية اقداما ، وسما بالاسلام أدبا ، سديد الرأى ، عالى الهمة ، بعيد الغاية ، فالتوفيق حليفه ، والنصر رفيقه :

المفتـدى بحـده من مظلمـة
والمهتـدى بنـوره فى المظلمـة
نفس غذتها الجـاهلية الدمـا
وأرضـعتها جـرأة ومقـدما
فكـان مـن عنـاية السـلام
به اكتساب أدب الاسـلام

مـوفق الآراء والـرايات
مطـلق الهمـة بالغـايات
اذا غـزا عـن (النبى) أو سفر
اقتـرح النجح عليـه والظفـر

فمـا مضى فى مـوطن أوهمـا
الا وكـان اسـما على مسـمى
وقـاتل الكذاب فى المعـارك
وكـل أفـاك لـه شـارك

أيـامه مشـهورة فى (فارس)
مسـطورة فى صحف الفوارس
خـاض بهـا الوقـائع الكبـارا
وفتح (الحيرة) و (الأنبـارا)

خلى (العراق) وتولى (الشاما)
نجمـا لأهـوال السرى جشـاما

أقبـل سـيف (الاله) يزجى جيله
ويل (هـرقل) منـه ثم ويلـه
يـوم (كبدر) فى الفتوح منزلـه
أمسى (هرقل) بعده لا عز له (١)

---

(١) المصدر السابق : ٥٣ .

في حاشية الأمير

للأستاذ السيد حسن قرون

الشاعر سحيم :

-٢-

الذين عاشوا فى حاشية الأمير والذين مازالوا يعيشون فيها من أمثالى يرون أن قصر الأمير بأجنحته أجل وأفسح من قصور « ألف ليلة وليلة » ، وأكثر عطاء من قصور الخلفاء والأمراء فى الشرق والغرب ، فقد ضمت جمال الواقع وتهاويل الخيال على السواء ، وقد أعدت فى أجنحة القصر وأبهائه دفاتر يوقع فيها كل من زار القصر فالحاشية ــ كما قلت فى المقال الاول ــ تعتبر فى نظرى ، وبعيدا عن المبالغة ــ كتابا أنشىء على « المغنى » فيه عالم يموج بحلو الكلام وطريف الاحاديث وبديع المعانى .

وقد أفرغ الشيخ محمد الأمير الأزهرى الكبير كل ماحصله من علم وأدب ونقد وبلاغة ونحو وصرف ، وفقه ورياضيات ، وقد بنى كل أولئك على ماجاء فى المغنى من الشواهد والامثلة ، فهو يعلق عليها ويذكر تاريخ صاحبها .

وقد جاءت الشواهد والأمثلة ممثلة لكل من يحتج بشعرهم من العصر الجاهلى والاسلامى ولكل من أتى بعد ذلك من الشعراء والأدباء الى عصر الامير (مطلع القرن الثالث عشر الهجرى ومطلع القرن التاسع عشر الميلادى) وكذلك فعل مع النحاة ، انه معهم فى مواطنهم من البصرة الى الكوفة الى بغداد ، ثم الى القاهرة وشمال افريقية ، ويطيل الوقوف مع نحاة الأندلس على توالى العصور ، ويؤرخ لكل نحوى بايجاز ، ولولا الايجاز لجاءت الحاشية فى أسفار لا فى سفر واحد ، وايجازه من نوع « ماقل ودل » .

منهج الأمير

ومن خصائص منهجه أنه يهتم بالنص الشعرى وقد يطيل فى ايراده فيأتى على معظم القصيدة التى حوت الشاهد أو المثال ، وهو مولع بالطرائف يثبتها ويزيد عليها ماجد من ملح ولطائف انه أديب ذواقة وشاعر مرهف الحس أدركته حرفة النحو ومسالك الفقه ، ولو أتيح له ما أتيح لنا فى عصرنا هذا من

احياء التراث وطبعه ، والاتصال بالغرب ومحدثاته لكان له من كل ذلك جولات وجولات يتجلى فيها ذكاؤه اللماح وأداؤه الممتاز ، ولكان لنا من شعره مايشوق ويروق •

ولو كنت أملك صحة وشبابا ومالا لاستخرجت ما كتبه فى الحاشية ، وطبعته كتابا مستقلا منوها بالاساس الذى قام عليه بناؤه حتى يقف الدارس على كل ماجاد به فكره الثرى من آراء وأداء ، ولكن مالايدرك كله يكفينا منه ما يشحذ الذهن ويشرح النفس وينعش الفؤاد وسأختار بعض ما حبب اليه من طرائف وملح ، وما أضافه من معارف ولطائف ، لأن «مجلة الأزهر» مجلة علمية ثقافية وليست كتابا ، ففى ضوء أهدافها نذكر ما نذكر •

مدى التزام المنهج

وعجيب أمر مولانا الامير ففى مقدمة الكتاب جاءت اشارات مقتضاها حديث عن المغنى ومنهجه وأنه لا يعنى بتفصيلات النحاة ولكن الامر كان غير ذلك ، وكانت شواهد فى البدء تتصل بجرير والفرزدق ، ومعنى هذا أنى أبدأ بطرائف بنى تميم ، ومعروف أن بداية الشعر العربى وقصائده المطولة كانت (لعدى بن ربيعة) أخى كليب ، المشهور بمهلهل ، وعند العامة (الزير سالم) •

وقد احتدم الحوار فى قصر الامير حين عقدت جلسة الأدب •

من له حق الأولوية ؟ •

أعدى أم غيره ؟

لكن حدثت مفاجأة قلبت الأمر تماما ، فقد أعلن الشاعر سحيم بن وثيل الرياحى أنه أحق الشعراء بالبدء به ، فقد نشرت مجلة العربى لكاتب لغوى (١) أن الشاعر سحيما « شاعر حبشى بليغ فى العصر الأموى » كسر نون « الأربعين » الملحقة بجمع المذكر السالم فى قوله :

وماذا يبتغى الشعراء منى •
وقد جاوزت حد الأربعين •

وأنه يحتج على هذا النسب «حبشى» قال : وأطلب من الجمع تصحيح نسبى وبيان عصرى ، فوافق الحاضرون بالاجماع وهنا أعلن الأمير ما دونه فى نسب سحيم وعصره :

استشهد المغنى لحذف الموصوف وبقاء الصفة ولو كانت غير مفردة بشطر البيت :

« أنا ابن جلا وطلاع الثنايا »

وبين المطلوب بقوله : أى أنا ابن رجل جلا الأمور ،ومعنى هذا أن « رجل » هو الموصوف المحذوف ، وجملة « جلا الأمور » هى الصفة •

وكان شرح الامير : وقيل معنى « جلا » اشتهر واتضح فهو لازم •

وقيل هو علم محكى منقول من الفعل وضميره مستتر فحذف تنوينه للحكاية على حد قوله الآخر فى رواية ضم (يزيد) •

نبئت أخوالى بنى يزيد
ظلما علينا لهم فديد

ولو نقل الفعل وحده لصرف ، لأنه كحجر

---

(١) صفحة لغة بقلم محمد خليفة التونسى – العدد ٣٠٢ •

وشجر ليس من وزن الفعل بخلاف يزيد •
وهنا انتهى من النحو ودخل فى الطرائف والتعريف بالشاعر فقال : ولبعضهم •

جلا المسواك سن الثغر منه
فجمل بذاك واكتسب المزايا
وأنشد قومه تيها وعجبا
« أنا ابن جلا وطلاع الثنايا »

وأراد الشاعر أى سحيم الأصل بالثنايا الأمور الصعبة وتمامه :

« متى أضع العمامة تعرفونى »

واليه يشير بعضهم فى الشيب :

وتنكرنى ليلى وما خات أنه
اذا وضع المرء العمامة ينكر

أراد الأصل وضع العمامة للحرب •

والبيت لسحيم بن وثيل تصغير «الأسحم» وهو الأسود •

و « وثيل » كأمير كما فى القاموس أصله الحبل •

« الرياض » بالتحتية أى « الياء » شاعر مخضرم •

قال ابن دريد : عاش فى الجاهلية أربعين سنة وفى الاسلام ستين سنة ، وبعد البيت :

وان مكاننا من حميرى
مكان الليث من وسط العرين

ومن أبياتها :

« وماذا تبتغى الشعراء منى » البيت

وأقول وتمامه :

« وقد جاوزت حد الأربعين »

سحيم فى الجاهلية :

والأمير هنا بين لنا أنه مخضرم ــ والمخضرم كما هو معلوم : من يدرك عصرين أو عهدين مأخوذ من الخضرمة وهى الاتساع أدرك الرجل الجاهلية فعاش فيها أربعين سنة وجاء الاسلام فعاش حتى زمن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثم عاش الى عهد معاوية رحمه الله •

وقد ذكرت ابن أبى طالب لموقفه من حادثة حدثت للشاعر سحيم ، وسأذكرها بعد أن أذكر نسبه فسحيم ليس حبشيا بل هو عربى قح من ذوائب بنى تميم • وأقرب مرجع عندى « العقد الفريد » لابن عبد ربه ففى الجزء الثالث من العقد « كتاب اليتيمة فى النسب وذكر فضائل العرب » جاء نسب بنى تميم ونص على أبناء (حنظلة بن مالك) فقال : ومنهم يربوع ، ومن ولده رياح بن يربوع ، ومن ولد رياح :

عتاب بن ورقاء الرياحى والى خراسان ، وأحد أجواد العرب •

ومطر بن ناجية الذى غلب على الكوفة أيام ابن الأشعث •

وسحيم بن وثيل الشاعر •

فسحيم على هذا من يربوع ومن نسل رياح ، فهو من قبيلة مالك بن نويرة •

ويربوع لها تاريخ فى الأحداث الاسلامية أيام أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ ومنهم خوارج دوخوا الدولة الاسلامية •

ومنزلة سحيم فى يربوع منزلة غالب والد الفرزدق فى مجاشع •

وفى الجاهلية كانت لسحيم مواقف حربية عرفنا ذلك من أيام العرب ، ففى معركة « رأس العين » انتصرت يربوع على بكر • فقال سحيم :

أليس الأكرمون بنو رياح
نمونى منهم عمى وخالى

هم قتلوا (المجبه) وابن تيم
تنوح عليهما سوء الليالى
وهم قتلوا عميد بنى فراس (١)
برأس العين فى الحجج الخوالى

فانظر الى قوله : بنو رياح نمونى ، فهو ينتسب الى رياح ولا يكتفى بل يبين أن أباه وأمه من القبيلة بقوله « منهم عمى وخالى » فالقول بأنه حبشى خطأ كبير .

وفى « يوم الشعب » غزت تغلب بنى يربوع ، فكانت الهزيمة لبنى يربوع وأسر شاعرها سحيم بن وثيل الرياحى ، ففى ذلك يقول :

أقول لهم « بالشعب » اذ يأسروننى
ألم تعلموا أنى ابن فارس زهدم ؟

ففدى نفسه ، وكان معه فى الأسر متمم ابن نويرة وهو شاعر مثله ، فأنقذه من الأسر أخوه مالك بن نويرة بحيلة قالوا عنها : انه أنقذه بوسامته وحسن شارته .. وهذا حديث طويل يكفينا ما ذكرته .

سحيم فى الاسلام

أما فى الاسلام وفى زمن على ــ كرم الله وجهه .

فقد حدث ما يأتى ــ حسب رواية ذيل الأمالى لأبى على القالى :

وخلاصة ما ذكره ، وما ذكره رواية عن جماعة من بنى تميم عن آبائهم عن أجدادهم قالوا : أسنت (٢) بنو تميم زمن على بن أبى طالب ــ رضى الله تعالى عنه ــ فانتجعوا أرضا من أرض كلب من طرف السماوة يقال لها صوأر قرب الكوفة فصنع غالب بن صعصعة وهو أبو الفرزدق طعاما ونحر نحائر وجفن جفانا ، وجعل يقسمها على أهل المزايا وهم أهل القدر .

وأرسل جفنة منها للشاعر سحيم بن وثيل الرياحى ، فما كان من سحيم الا أن كفأها وضرب الخادم التى أتته بها ، وهنا غضب غالب فعاتب سحيما ، وتطور العتاب الى منازلة تتصل بالسخاء والغالب فيها هو السيد والرئيس فتداعيا الى « المعاقرة » والمعاقرة : مباراة فى نحر الابل ، فأيهما نحر من ابله أكثر كان الغالب والسيد فى القبيلة ، وجاءت ابل غالب فطفق يعقرها والفتيان من أبناء القبيلة يدفعونها نحوه لينحر ، ومع الفرزدق هراوة يرد بها الابل على أبيه . فيقول غالب : رد أى بنى . فيقول الفرزدق : اعقر أبت حتى نحر سائرها وكانت مائتين . وأقبلت ابل سحيم .. فأوردها كناسة الكوفة وجعل يعقرها وينشد الشعر . فلم ينفعه عقره ، فقد سبقه غالب بالعقر . وتبارى الشعراء فى الاشارة بكرم غالب ومروءته ومنزلته ، ووقف جرير يناضل عن سحيم لأنه من يربوع . وبلغ الخبر على بن أبى طالب الخليفة فقال : « لا تأكلوا منها شيئا فانها مما أهل به لغير الله » .

وهذه الحادثة تعطينا انطباعا عن عادات

---

(١) معاوية بن فراس .

(٢) أسنت : أصابتهم السنة وهى المجاملة .

العرب التى امتدت الى أيام الاسلام وهى المعاقرة التى فيها من الفخار أكثر مما فيها من نفع الفقير ورفع العثار • ومنها نعرف كرم غالب ، لأنه حين أسنت تميم جاء بطعامه ، ونعرف خلق سحيم • قال أبو على : وكان سحيم رجلا فيه شنغيره (١) وأذى للناس، وكان بغيضا الى الناس ، وحسبك أنه أساء الى الخادم وألقى بالطعام المرسل اليه على الأرض كبرا منه ومعاداة لأهل الفضل • ولكنه من ناحية أخرى يعطينا منزلته فى القبيلة وأنه يناوىء أعظم رجل فيها وهو غالب بن صعصعة المجاشعى ، فمن جعله حبشيا محتاج الى مراجعة كتب التراث ومعرفة الرجال •

وقد احتج (٢) على أبى على القالى لوصفه اياه بسوء الخلق ، وأنه فى موقفه من رفض جفنة غالب كان عفيف النفس لا يقبل الاحسان ، وأن له ابلا ينحرها لكل مقرم به اشتهاء للحومها ، وأنه يحافظ على مجد يربوع • وقال :

ألم يرو لى أبو على القالى قولى فى تلك المعاقرة :

لهان بما يجنى عفير وجهدى
وذو السيف قد دنى(٣) لها كل مقرم (٤)
الا لا أبالى أن تعد غرامة
على اذا ما حوضكم لم يهدم

فسبحت فى الظلماء لما رأيتهم
نجيا وما يخفى على الله يعلم

المتنبى

وجاء المتنبى من أقصى المجلس يسعى ويصيح : دونوا له فخره ودعوا خلقه ، واسمحوا لى أن أكون المتحدث عنه بعده واحتج أكثر من شاعر كل يرى من حقه التقديم ، وأعلن المتنبى أنه جاء ذكره فى أول باب من أبواب قصور المغنى وهو باب الألف المراد منه (الهمزة) حيث أقول :

أحيا (٥) وأيسر ما قاسيت ما قتلا
والبين (٦) جار على ضعفى وما عدلا

وقال الحطيئة ان شعرك لا يحتج به لأنك مولد ، فاستشاط المتنبى غضبا وقال : انى لم أقل شعرا الا بلغة العرب وان كان لى أسلوبى الخاص ، وشخصيتى المتميزة • ثم ان سحيما قدم لأن مجلة عربية أخطأت فى نسبه ، وأنا تناولتنى المجلات والصحف ، ومازال الأستاذ محمود شاكر يقول ويكرر فى كل مناسبة أنه جعل من نسبى نظرية علمية « صارت مذهبا الآن حتى أن بعض العلويين صاروا يعتبرون المتنبى امامهم الثالث عشر » هكذا قالت بعض المجلات فى يناير ١٩٨٤ (٧) ، فمن حقى أن يكون المطروح على المجلس هو شعر المتنبى أو نسبه أو ما دار حوله ، وأنا راض بما به

---

(١) سوء خلق •
(٢) التعبير منا وجعلناه منه لما يفهم من موقفه •
(٣) قرب •
(٤) مقرم : مشته لأكل اللحم •

(٥) أحيا : فعل مضارع وقد حذفت همزة الاستفهام المراد منه التعجب •
(٦) الفراق •
(٧) مجلة الهلال ـ أحدث أعضاء المجمع اللغوى بالقاهرة •

تحكمون . والمتنبى محظوظ فكانت الموافقة بالاجماع . وقال أبو الفتح بن جنى ، يحسن أن نحدد ما نتحدث فيه ، فقد أورد مولانا الأمير كثيرا من شعره ، وأرخ له ، والتحديد يسهل الأمر علينا ، وتولى « سكرتارية » الجلسة القاضى عبد العزيز الجرجانى صاحب كتاب «الوساطة بين المتنبى وخصومه» واتبع الآتى فى جدول الأعمال :

١ ــ ما دونه الأمير عنه فى حاشيته .

٢ ــ القدماء والمحدثون وموقفهم منه .

٣ ــ الفعل والقول عند المتنبى .

٤ ــ اضافات الجلسة .

وسكت المجلس وقرأ سكرتير الجلسة ما دونهمولانا الأمير ، وبدأ الكلام هكذا « قوله المتنبى » أبو الطيب أحمد بن الحسين ادعى النبوة ثم تاب ، ولد سنة ثلاث وثلثمائة (من الهجرة) فهو مولد ، وقصد المصنف التمثيل لا الاستشهاد ، وقتل سنة أربع وخمسين وثلثمائة من الهجرة ، تعرض له لصوص ، ففر ناجيا ، فقيل له لا يتحدث الناس عنك بالفرار ، وأنت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرجع وقاتل حتى قتل ، ورثاه بعضهم بقوله :

لا رعى الله عهد هذا الزمان
اذ دهانا بمثل ذاك اللسان
ما رأى الناس ثانى المتنبى
أى ثان يرى البكر الزمان ؟
هو فى شعره نبى ولكن
ظهرت معجزاته فى المعانى

وكان أبوه سقاء ، ولذلك قال فيه بعضهم

اى فضل لشاعر يطلب الفضل
من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع بالكوفة الما
ء وحينا يبيع ماء المحيا (١)

ومدحه المعتمد بن عباد اللخمى صاحب قرطبة وأشبيلية وأنشد بعض كلامه ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسى ، فأنشده أى أنشد المعتمد ، مرتجلا :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللها (٢) تفتح اللها (٣)
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بانك تروى شعره لتألها

انتهى الى هنا كلام الأمير الذى قرأه صاحب الوساطة .

ثم كان أول المتكلمين أبو الفتح بن جنى . قال : لى ملاحظتان على كلام الأمير أنه جاء

---

(١) الوجه .

(٢) جمع لهو وهى العطية .

(٣) جمع لهاة وهى الهنة المطبقة فى اقصى سقف الفم .

برثـاء للمتنبى ولم يشر الى رثـائى فيـه ، الأخيرة أنه رمى المتنبى بادعـاء النبوة . وقد رثيته بقصيدة مطلعها :

غاض القريض وأودت نضرة الأدب
وصوحت بعـد رى دوحـة الكتب

وقد بينت للناس أن المتنبى لم يدع النبوة وأن الأمر يتصل بالسياسة والأظهر عندى أنه لقب بالمتنبى لقوله :

أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

ونسب المتنبى لم يتحدث عنه أبو الفتح بن جنى وهو تلميذه والمخالط لـه والمعنى بكـل بيت من شعره ، وبكل حـركة من حركـاته ، وحكاية أن أباه كان سقاء تنفيها حياة المتنبى فقد تعلم فى أرقى المدارس فى عصره ، فكان مع أبناء العلويين والعباسيين كما يقول الأستاذ محمود شاكر ، ومن ثم اتجه الى بحثه القيم سنة ١٩٣٦ وهى سنة الاحتفال بعيد المتنبى الألفـى .

وصدر البحث فى المقتطف الـذى خصص العدد له . وله بحثـه فى الوالـد أحمـد بن الحسين ، وأنا لا أنفى ما ذهب اليه ولا أؤيده ولكنى استطرفه ، وأراه بحثا جديرا بالقراءة والنظر فيه ، لأن معاصرى المتنبى لم يبحثوا هذا البحث وما جاء فى أصله من أن الأب كان سقاء يرجع به الى حسد بعض الناس لـه ، وأنه من قبيل الهجاء بالشعر لا أنه من مطالب التاريخ وتحقيق السيرة .

وما حكاه الأمير من أنه فر من أعـدائه ثم رجـع بعد أن ذكر بفخره فقاتل حتى قتـل لا ترضاها شجاعة المتنبى وهو الذى خـاض المعارك مع الأمير سيف الدولة الحمدانى ضد المغيرين من الروم ولم يؤخذ عليه نكـول فى معركة أو احجام فى ميادين القتال وشـعره صدى لفعله وما يعتقده ، وأصح ما يرجـع اليه فى حادث مقتله ما يرويـه معـاصروه ، وما ذكروه يعد من أخبار المراسل الحربى ــ كما نقول فى زماننا الحاضر ــ جاء فى كتـاب « الصبح المنبى » وسأحاول تلخيصه :

قال الخالديان : كتبنا الى أبى نصر محمد الجبلى نسأله عما صـدر لأبى الطيب بعـد مفارقته عضد الـدولة ، وكيف كـان قتله ؟ فأجابنا عن كتابنا جوابا طويلا يقول فى أثنائه .

فكان من جوابه أن مسيره كان من واسـط يوم السبت لثلاث عشر ليلة بقيت من رمضان سنة ثلثمائة وأربع وخمسين فقتل بضيعة تقرب من دير العاقول لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، والذى تولى قتله وقتل ابنه وغلامه رجل من بنى أسد يقال له (فاتك بن أبى جهل) وكان من قول فاتك لما قتله :

« قبحا لهذه اللحية ياقذاف المحصنات »

وذلك أن فاتكا هذا هو خال ضـبة بن يزيـد العينى الذى هجاه أبو الطيب فأقذع .

وأبو نصر قابل فاتكا وقابل المتنبى ، ودار حوار بينه وبين فاتك الذى أظهر أنه يريـد عقاب المتنبى ولكن أبا نصر لم يصدقه وحذره قائلا : « كف ــ عافاك الله ــ عن الرجـل ، وارجع الى الله ، فان الرجل شهير الاسـم بعيد الصيت ، ولا يحسن منك قتله على شعر قاله » .

وما مضت الا أيام قلائل حتى قدم المتنبى فمر على أبى نصر ومعه بغـال مـوقرة من الذهب والفضة والطيب والمـلابس والكتب الثمينة ، لأنه كان اذا سافر لا يترك فى منزله درهما ولا شيئا يساويه ، وكان أكثر اشفاقه

على دفاتره قال أبو نصر فتلقيته وأنزلتــه فى دارى ، وسألته عن أخباره وعما لقى فى تلك السفرة ، وأقبل يصف ابن العميد وفضــله وكرمه وعلمه ، وكرم عضد الدولة (١) ورغبته فى الأدب ••• فلما أمسينا قلت له : يا أبــا الطيب ، علام أنت مجمع ؟ قال : على أن أتخذ الليل مركبا ، فان السير فيه أخف على • وهنا عرض عليه أبو نصر أن يكون معــه رجــال يســتأنس بهم ، ويحرســـونه من الأماكن المخيفة حتى يصل الى بغداد • وهنا غضــب المتنبى وقال : أنا والجزاز (٢) فى عــاتقى ، فما بى حاجة الى مؤنس غيره •

فقال له أبو نصر : ولكن الرأى فى الــذى أشرت به عليك • ولم يسكت أبو نصر فقــد أنبأه أن فاتكا الأسدى يتربص به ومعهعشرون من رجاله من بنى عمه هم على رأيه • فقــال غلام المتنبى : « الصواب يامولاى ما أشــار به أبو نصر » فاغتاظ من غلامه غيظا شديدا ، وقال : والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأنى سرت فى خفارة أحد غير سيفى • وبعد أخذ ورد قال : يا أبا نصر : أبنجــو (٣) الطــير تخوفنى ؟ ومن عبيد العصا تخاف على ؟ والله لو أن مخصرتى هذه ملقاة على شاطىء الفرات وبنو أسد معطشون لخمس وقد نظروا المــاء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده • معاذ الله أن أشغل فكرى بهم لحظة عين • قال أبو نصر : قل ان شاء الله ، فقال : هى كلمة مقولة لا تدفع مقضيا ، ولا تستجلب آتيا • ثم ركب فكان آخر العهد به •

هذه الرواية أو الخبر الذى يحمل الصدق فى طياته ، ولكن الفرار والتذكير بالشــعر من صنع الأدباء الذين يحبون الطــرائف ولكن الطرائف هنا تصم المتنبى بصفة هــو برىء منها ، فانظر الى ما جرى بينه وبين أبى نصر من الحوار والتخويف لعله يحترس ولكنه ماض فى اعتداده بنفسه وسيفه وتحقيرهلفاتك وقومه من بنى أسد ، وبنو أسد منذ الجاهلية يلقبون « بعبيد العصا »منذ أهانهم حجر والد امرىء القيس ، ولم يمنع هذا اللقب بنى أســد من قتل حجر الملك فى الجاهلية ، وقتــل المتنبى الشاعر فى الاسلام • وصار « دير العاقول » مكانا يذكر كلما ذكر المتنبى •

ومن عجيب أمر المتنبى أنه حين كــان عند عضد الدولة ألقى قصيدة فى مدحه جاء فيها :

وأيا شـــئت يا طرقى فكــونى
أذاة أو نجـــاة أو هـــــلاكا

فكأن احساسه الداخلى يشير الى ما يلقاه فى طريقه •

ولكن مولانا الأمير رأى أن الحــديث عن مقتل المتنبى أثار سحابة قاتمــة على المجلس فرأى أن يقشع تلك السحابة بدعابة أو شعر رقيق يتصل بالغزل ولاسيما حديث التغليب الذى تعرض له « المغنى » والتغليب أن تثنى الاسم الأشهر والأيسر فى النطق كما تقــول

---

(١) عهد الدولة بن بــــويه كان يحكم فارس والجبل •

(٢) السيف •

(٣) النجو : ما يخرج من البطن ومن أجله جاء الاستنجاء •

فى أبى بكر وعمر « العمران » وفى الشمس والقمر « القمران » وانتهز الفرصة فذكر قول المتنبى ، وعلق عليه واستطرد فيما يشبهه من أقوال الشعراء ومنهم المتصوفون • قال المتنبى •

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها
فى ليلة فارت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتنى القمرين فى وقت معا

وأراد المتنبى بالقمرين : الشمس وهو وجهها ، وقمر السماء • قال الأمير : يعنى أن القمر انطبع فى صفاء وجهها كما قال :

واذا نظرت الى محاسن وجهه
ألفيت وجهك فى سناه غريقا

هذا هو الأبلغ ، ويشير له قوله « معا » لا ما يتبادر من أنه نظر لها وللقمر فى محله • ومما يحسن فى البين حديث بيتى الرقمتين ، وقد أفردا بالتأليف — يريد أن كتبا ألفت فى معناهما — وهما •

رأت قمر السماء فأذكرتنى
ليالى وصلنا بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن
رأيت بعينها ورأت بعينى

ويستطرد الأمير فيقول • قال بعض المتصوفة : هو من اشارات الفناء والبقاء ووحدة الوجود • ومن أحسن ما قالت الأدباء : انه من مبالغة العشاق فادعى أن القمر المعلوم قمر مجازا بالنسبة لها فانها أكمل بهاء — كما قال ابن الفارض :

تهذى بهذا البدر فى جو السما
خلى اقتراك فذاك خلى لانا

وقال :

كملت محاسنه فلو أهدى السنا
للبدر وقت تمامه لم يخسف

فواضح أن البيت الثانى من قول ابن الفارض أوضح وأملح •

ويقول الامير : وما أحسن قول الاديب فتح الله الحلبى الشهير بابن النحاس مضمنا مطلع عينية ابن سيناء :

لا يدعى قمر لوجهك نسبة
فأخاف أن يسود وجه المدعى
والشمس لو علمت بأنك دونها
« هبطت اليك من المحل الأرفع »

ويعود مولانا الامير لبيتى الرقمتين فيقول: يعنى ماغمر السماء حقيقة الاوجهها وقد رآها ليلة الوصل بعينه فلتكن هى حيث رأت قمر السماء رأت بعينه ، لكنه لاحظ الحقيقة المتعارفة من أن رائى المحبوب انما رأى القمر المجازى فاعترف أنه رأى قمرا مجازيا لكنه صرفه للكوكب المعلوم •

وقال : رأيت القمر المجازى لكن بعينها لما نظرت هى له • وهذا من جنون العشق •• (قسم) هكذا يقول الشيخ ، ويقول : ويحتمل الاشارة الى انطباع صورتها فى وجهه كما سبق • ومن كلام سلطان العاشقين سيدى عمر شرف الدين فى التائية :

فلم تهوني مالم تكن فى فانيا
ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وفى الحديث : « كنت بصره الذى يبصر به »

وفيه « تخلقوا بأخلاق الله » (١).

وبديع قول الفاضل :

تراءت ومـرآة الســماء صقيلة
فأثر فيهـا وجهها صورة البـدر

وذيله الشهاب الخفاجى بقوله :

ولاحت عليهـا حليها وعقـودها
فأثر فيها صـورة الأنجم الزهر

ذكـره « البيت » فى الريحـانة . تـوفى سنة ١٠٦٩ هـ

وقد أعجب الحاضرون بما حـوت جعبـة الأمير من ريق الشعر وتداعى المعانى وقـوة التنظير وحلو الشرح ، وأثنوا عليـه . وهنا صاح ابن جنى : ان الفضل للمتقـدم ولولا ليالى المتنبى وقمراه ماأبدع بعده الشـعراء وانفض المجلس على أن يعود للانعقاد فى موعد آخر يحدد فيما بعد

السيد حسن قرون

(١) وددنا من الكاتب الفاضل لو ذكر مراجع الاحاديث الشريفة التى أوردها ، وهى ثلاث .

الإسلام

على مفترق الطرق

تأليف : محمد أسد ترجمة د. عمر فروخ

عرض وتعليق د. طه مصطفى أبو كريشة

« الاسلام على مفترق الطرق » عنوان لكتاب من تأليف المستشرق النمساوى الاصل « ليوبولد فايس » الذى أعتنق الاسلام وتسمى باسم « محمد أسد » وقد نشرت الترجمة العربية « دار العلم للملايين » ببيروت .

وموضوع الكتاب قائم على عرض جواب عن سؤال هو :

ما الموقف الذى يجب أن يتخذه المسلمون تجاه المدنية الأوربية ؟

ويذكر المؤلف من البداية أن ايفاء هذا الموضوع حقه يحتاج الى مجلدات ضخمة ومن هنا فان ما ذكره فى هذا الكتاب ليس الا اشارات موجزة مبسطة تمهد الطريق أمام من يبغى التوسع من الباحثين ..

ومع ذلك فان تعدد طبعات هذا المؤلف الموجز تكشف عن قيمته الكبرى التى لاقت قبولا ورواجا لدى القراء فى كل مكان ، ومن ثم فانه يظل جديدا دائما طالما يعرض لفكرة تتجدد مع تجدد الأجيال الذين يواجههم نفس السؤال .

— ٢ —

وفى المقدمة يقدم المؤلف نفسه لقرائه ، ويكشف عن الظروف والأسباب التى أدت الى اتخاذه الاسلام دينا ، قائلا فى بداية ذلك « يجب أن أقول كلمة عن نفسى ، اذ يحق للمسلمين حينما يخاطبهم رجل مهتد أن يعلموا كيف أعتنق ذلك الرجل الاسلام ، ولماذا اعتنقه ؟ » .

وفى هذا المجال يذكر أنه ترك النمسا سنة ١٩٢٢ ليعمل مراسلا متجولا فى أفريقيا وآسيا لبعض أمهات الصحف الاوربية ، ومنذ ذلك الوقت أصبح يقضى كل أوقاته تقريبا فى الشرق الاسلامى .

وقد لفت نظره من البداية نشوء ميل نحو ادراك للحياة أكثر هدوءا وانسانية اذا قيست

تلك الحياة بطريقة الحياة الآليــة العجلى فــى أوربا •• ومن ثم كانت بداية الخيط الذى قاده الى النظر فى أسباب هذا الاختلاف ، متخــذا من التعاليم الاسلامية ميدانا لبحثه ودراساته•

وحين أخذ ينظر فى هذه التعاليم ، وجد أنه من الممكن عن طريقها تنظيم الحياة الانســانية مع أقل قدر ممكن من النزاع الداخلى ، وأكبــر قدر ممكن من الشعور الأخوى الحقيقى ••

ومع هذا الاكتشاف فان هناك أمرا حيره ، هذا الأمر هو التباعد بين الماضى والحــاضر ، أى التباعد بين واقــع المسلمين وبين ماضيهم حين كانوا يطبقون الاسلام تطبيقا عمليــا •• ومن ثم كان البحث عن السبب الذى دفــع المسلمين الى هجر تطبيق التعاليم الاســلامية تطبيقا تاما على الحيـــاة الحقيقية •• وقــد ناقش المؤلف ذلك مع كثير من علماء المسلمين ، حتى انتهى به الأمر الى أن يعتنق الاســـلام سنة ١٩٢٦ ، وقد وجد أن ذلك هو النتيجــة المنطقية الوحيدة لميله الشديد نحو دراســة التعاليم الاســلامية •

ويذكر المؤلف أنه اذا سئل عن سبب خاص معين كان له أثر مباشر فى دخول الاسلام ، فان الجواب عن ذلك أنه لايعــرف جوابا شـــافيا يحدد سببا معينا ، ذلك لأنه وجد أن الاسلام كل لايتجزأ وبناء متكامل يشد بعضه بعضــا ، وعن هذا يقول « لاأستطيع اليوم أن أقول أى النواحى قد استهوتنى أكثر من غيرها ، فــان الاسلام على مايبدو لى بناء تام الصنعة ، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضا ، فليس هناك شىء لا حاجة اليه ، وليس هنالك نقص فى شىء ، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص ولعل هذا الشعور من أن جميع مافى الاســـلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مواضعها ، هو الذى كان له أقوى الأثر فى نفسى » •

ومنذ ذلك الحين الذى أعتنــق فيه المؤلف الاسلام ، سعى الى أن يتعلم من الاسلام كــل مايقدر عليه ، فأقبل على دراسة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، و « اللغة العربية » و « التاريخ الاسلامى » ، كما قرأ كثيرا ممــا كتب عن الاسلام أو كتب فى الرد عليه •

وقد شفع ذلك باقامة دامت خمس سنوات فى الحجاز أكثرها فى المدينة المنورة ، حتى يزداد قلبه اطمئنانا بشىء من البيئة الأصلية للدين ، الذى قام النبى العربى بالدعوة اليه فيها •

ثم يختتم المؤلف مقدمته ببيان الهـــــدف والغاية من تأليف هذا الكتاب فى موضوعه ، اذ يذكر أن الدراسات والمقارنات التى قام بهـــا خلقت فيه العقيدة الراسخة بأن الاســلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لايزال بالرغم من جميع العقبات التى خلقها تأخــر المسـلمين ، أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر •• ومــن ثم فقد تجمعت لديه كل الرغبات لكى يشــارك فى محاولة بعثه من جديد بتقديم هذا الكتــاب لأولئك الذين لايزال يحيا فى قلوبهم شرارة من ذلك اللهيب الذى كان يضطرم فى قلوب صحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ذلــك اللهيب الذى جعل الاسلام فيما مضى عظيمــا بنظامه الاجتماعى ورقيه الثقافى »•

ــ ٣ ــ

ثم ينتقـــل المؤلف الى عرض محتويــات

الكتاب ، وتحت عنوان « سبيل الاسلام » يذكر أن هذا العصر الذى نعيشه ، ليس بامكان أحد فيه أن يعيش بمعزل عن الآخرين ، ذلك لأن الحضارة الحديثة قد تغلبت على المسافات ، ومن ثم أصبح انتقال الأمور المادية والفكرية الى أى مكان أمرا ميسورا .

واذا كان الاسلام يمثل فلكا ثقافيا مستقلا ونظاما اجتماعيا واضح الحدود ، فان امتداد أى مدنية أجنبية بشعاعها الينا ، لا ينبغى أن يقابل بالقبول والتسليم ، وانما ينبغى علينا أن نتبين لأنفسنا اذا كان هذا الأثر الأجنبى يجرى فى اتجاه ثقافتنا أو يعارضها ، وهل يفعل فى جسم الثقافة الاسلامية فعل المصل المجدد للقوى أو فعل السم .

وفى سبيل الوصول الى جواب فى مثل هذا المقام ، يذكر المؤلف أن علينا أن نعرف القوى المحركة فى مدنية الاسلام وفى مدنية الغرب الحديث ، وأن نقوم بالبحث لنعرف الحد الذى يجب أن يذهب اليه التعاون بينهما ، ولما كانت الثقافة الاسلامية هى ثقافة دينية فى أساسها ، فانه يجب أن نتبين الدور الذى يقوم به الدين فى الحياة الانسانية .

ان الاتجاه الدينى فى الانسان هو نتاج طبيعى لأحواله العقلية والحيوية ، والانسان لايستطيع أن يكشف لنفسه غوامض الحياة ، والعلوم المادية والطبيعية ، لاتستطيع أن تقدم تفسيرا كاملا لها لأن مجال الغيبيات خارج عن نطاقها ، ومن ثم يبقى الدين وحده هو القادر على تقديم التفسير الكامل للحياة ، لأنه يهدى الانسان فى كثير من الأحيان عن طريق الحدس والوجدان لقبول تفسير الحياة تفسيرا شاملا ، مبنيا على الاعتقاد بأن هناك قوة مبدعة سامية تدبر هذا العالم على أمر قد قدر ، ولكن الاحاطة به وراء طاقة الفهم البشرى ، وهذه الهداية تخلق شعورا نفسيا عميقا فى النفس البشرية ، ذلك الشعور هو شعور السكينة والطمأنينة ، والذى يتميز به المؤمن من الجاحد .

واذا كان هذا الوضع أمرا مشتركا فى الأديان كلها مهما اختلفت أسماؤها فان ميزة الاسلام تبدو فى أنه لايصل بالانسان الى هذا الهدف السامى عن طريق رفض الحياة ، أو عن طريق تقشف يفتح به الانسان بابا سريا الى التطهير الروحى ، اذ أن هذا أمر غريب فى الاسلام ، لأن الاسلام نهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التى سنها الله لخلقه ، وهى قوانين توفق وتوازن بين الوجهتين الروحية والمادية فى الحياة الانسانية ، وهما وجهتان لانفصال بينهما فى الاسلام ، لأنهما تكونان كلا واحدا متسقا ، وهنا يبدو الفارق الكبير بينه وبين بعض التعاليم الروحية التى تدعو الى اماتة النزعات الجسدية ليتحقق الكمال ، ومعنى ذلك أنها تعطل مافى هذه الحياة من ماديات سخرها الله للانسان لكى يعمر بها الدنيا التى ينتقل عبرها الى أخراه ، وهذا مالا يدعو اليه الاسلام وبه كانت ميزته على ما سواه .

واذا كان الاسلام لايلغى المادة من أجل الروح ، فانه من جانب آخر لايجعل هذه المادة هدفا وغاية ، وانما هى واسطة الى غاية فقط ، ان النجاح المادى أمر مرغوب فيه ، ولكنه ليس غاية فى نفسه ، لأن الغاية من كل نشاط مادى عملى هى غاية خلقية تعمل على ترقية الفضائل فى البشر .

ـ ٤ ـ

وتحت عنوان « روح الغــرب » يوضــح المؤلف وجهة نظر الغرب فى الحياة الانسانية ، وفى هذا يذكر أن الغرب الحديث قد سـيطرت على وجوه نشـــاطه وجهــوده اعتبــارات من الانتفاع المادى ، وكان هدفه اكتشـــاف أسرار الحياة من غير أن ينسب الى تلك الحياة حقيقة أدبية مافى ذاتها •• واذا كان هذا يعنى عــدم الغاء المادة كما هو فى الاسلام ، الا أن الاسلام مع ذلك لايلغى الروح ، أو لاينظر اليها عــلى أنها لا علاقة لها بالجانب المادى فى بناء الحياة الانسانية ، ان الرقى المادى والرقى الروحى فى نظر الغرب الحديث وجهان من الحياة الانسانية مختلفان تماما ، وليس لأحدهما بالآخر عــلاقة ما ، لاسلبا ولا ايجابا ، وقد يمكن ان يوجــدا أو لايوجدا معــا •

ان المادية الغربيـــة الحديثة لاتخضـــع الا لمقتضيات اقتصادية أو اجتماعية أو قوميـــة ، ومن هنا فان معبودها الحقيقى ليس من نـــوع روحانى وانما هو مجسد فى أى جانب من هذه الجوانب المادية البحتة •

واذا قورنت نظرة الاسلام مع نظرة الغرب الحديث ، فان نتيجة المقارنة تظهر بوضوح أن القوة الباطنة والتماسك الاجتماعى فى الاسلام كانا أرقى من كل شىء خبره العالم من طريق التنظيم الاجتماعى ، وليس لنا أن نبحث بعيدا عن تعليــل لهــذا المشهد الرائع : ان تعــاليم « القرآن الكريم » الدينية خلقت هذا الاساس المتين ، و « سنة رسول الله » ــ صلى اللـــه عليه وسلم ــ أصبحت اطارا من الفولاذ حــول ذلك البناء الاجتماعى العظيم •

ان الغرب الحديث يتســـامح فى الدين ، وأحيانا يؤكد أنه عــرف اجتماعى وهــو يترك الأخلاق المطلقة خارج الاعتبارات المادية ، ومع أن المدنية الغربية لاتجحد الله البتة ، الا أنهــا لاتجعــل مكانا للجوانب الروحيـــة فى نظامهــا الفكرى •

ومن أجل ذلك فان الأوربى الحديث يميــل الى أن ينسب الأهميـــة المـــادية فقط الى تلك الأفكار التى تقع فى نطاق العلوم التجريبية ، أو تلك التى ينتظر منها على الأقل أن تؤثر فى صلات الانسان الاجتماعية بطريقة ملموسة ، ونتيجة لذلك فان الفضائل التى تتعلق مباشرة برفاهية المجتمع المادية ، مثل الوطنية والشعور القومى والقدرة الفنية ــ هى اليوم موضــع للمديح ، أما الفضائل الخلقية الخالصة كالحب الابــوى والعفاف فانها تخسر من قيمتها بسرعة ، لأنهــا لاتهب المجتمع فائدة مادية محسوسة ، ففقدت من ثم مشاعر الأبوة والبنوة ، وشاع الانحلال التدريجى فى العلاقات الجنسية •

وليس معنى ما تقــدم أن يرفض المســلمون كل نشاط مادى قــادم من الغــرب لأن أسس المدنية الغربية الحديثة لاتوافق الاسلام « ان هذا يجب ألا يحــول أبدا دون امكــان أخذ المسلمين من الغرب ببعض البواعث فى ميــدان العلوم المجــردة والعلوم التجريبيـــة ، ولكن صلاتهم الثقافية يجب أن تبدأ عند هذا الحد ، وتنتهى عنده أيضا • أما أن يخطو المسلمون الى أبعد من ذلك أو أن يقلدوا المدنية الغربيـــة فى

روحها وأسلوب حياتها وفى تنظيمها الاجتماعى فهـو المستحيل » .

ـ ٥ ـ

وتحت عنوان « شبح الحروب الصليبية » يقدم المؤلف سببا آخر لعدم تقليد المدنية الغربية الى جانب فقدان التجانس الروحى ، هـذا السبب يكمن فى روح العداء الكامنة التى يكنها الغرب للاسلام ، ويؤيد ذلك التجارب التاريخية التى اصطبغت بعداوة غريبة للاسلام ، وفى هذه الشواهد نـرى أن موقف الأوربى ليس موقف كره فى غير مبالاة فحسب كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات ، بل هو كره عميق الجـذور ، يقوم فى الأكثر على صدود من التعصب الشديد .وهذا الكره ليس عقليا فقط ، وانما هو كره يصطبغ أيضا بصبغة عاطفية قوية ، وهذا أمر تظهر دلائله فى كتابات كثير من المستشرقين ، الذين يعرضون لتعاليم الاسلام ، من خلال وضعه فى قفص الاتهام ، وليس من الناحية الموضوعية المجـردة .

وكان من أثر ذلك تكوين صورة مشـوهة للاسلام وللأمور الاسلامية ، تواجهنا فى جميع ما كتبه مستشرقو أوربا ، لا فرق بين بلد وآخر ويبدو أنهم ينتشون بشىء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة حقيقية أو خيالية ينالون بها من الاسلام عن طريق النقد ، فما السبب فى هذا العداء ؟

ان السبب البارز فى هذا العداء ، يرجع الى الاصطدام العنيف الأول بين أوربا المتحدة من جانب ، وبين الاسلام من الجانب الآخر فى تلك الحروب الصليبية التى وافق تاريخها بزوغ فجر المدنية الحديثة أى فى طفولة هـذه المدنية ، ومن ثم بقيت آثارها كامنة فى نفسية الشعب الأوربى .. ومن جانب آخـر فان الفظائع المروعة التى اقترفها الصليبيون فى البلاد التى اجتاحوها ثم خسروها ، أنبتت البذور السامة لعداوة طويلة الأمد ، ولصلات حرجة بين الشرق والغـرب .

ان الشر الذى بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح ، ولكنه كان قبـل كل شىء شرا ثقافيا ، اذ قد نشأ تسميم العقل الأوربى عما شوهه قادة الأوربيين من تعاليم الاسلام ومثله العليا ، أمام الجموع الجاهلة فى الغرب.

واذا كانت أوربـا فى عصر النهضة قد استفادت فائدة كبرى من المصادر الاسلامية والعربية على الأخص ، فانها مع ذلك لم تعترف بهذا الجميل ، وذلك بأن تقلل من بغضائها للاسلام ، بل كان الأمر على العكس ، فان تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن ثم استحالت عادة . ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبى كلما ذكرت كلمة مسلم ، وظلت حية بعد جميع أدوار التبـدل الثقافى حتى فى تلك العصور التى انقسمت فيها أوربا على نفسها شيعا وأحزابا فانها اتفقت فيما بينها على روح العداء المستمر للاسـلام .

ان دخول كثـير من الأوربيين اليـوم فـى الاسلام لاينبغى أن يخدعنا بحـال عن هـذه الروح التى تسود بينهم ، والتى توقـد نـار الحرب ضد الاسلام كلما واتت فرصة لذلك .

ـ ٦ ـ

وفى بحث « فى التربية » يشير المؤلف الـى أولئك الذين يرون أن المدنية الغربية هى القوة

الوحيدة لاحياء الحضارة الاسلامية الراكدة ، ويؤكد أن هؤلاء يدخلون الضعف على ثقتهم بأنفسهم ، ذلك لأن تنشئة الأجيال الحديثة على هذا الزعم سوف يؤدى بهم حتما الى زعزعة ارادتهم فى أن يعتقدوا أو أن ينظروا الى أنفسهم على أنهم ممثلوا الحضارة الخالصة التى جاء بها الاسلام ، ويؤيد هذا أن العقيدة الدينية قد اضمحلت سريعا فى نفوس أولئك الذين نشأوا وتربوا على أسس غربية بحتة .

وليس معنى هذا التحذير أننا نعادى العلم الحديث ، فهذا زعم لاسند له ، وفى « القرآن الكريم » دعوة متكررة الى اعمال العقل والفكر والى التعلم ، وتاريخ الاسلام كله شاهد عملى على تنفيذ مادعا اليه القرآن الكريم ، وأوربا تعلم ذلك حق العلم وهى مدينة فى ثقافتها للاسلام فالاسلام لم يكن يوما فى وجه التقدم والعلم ولكن الشىء الوحيد الذى لايستطيع المسلمون أن يتمنوه هو أن ينظروا بعيون غربية ، ويروا الآراء الغربية ، انهم لايستطيعون أن يتمنوا اذا أرادوا أن يظلوا مسلمين ، أن يتبدلوا بحضارة الاسلام الروحية تجارب مادية من أوروبا ولذلك فان الشىء الممكن هو أن ندرس العلوم وأن ندرسها من غير أن نخضع خضوعا يسترقنا للاتجاه العقلى فى الغرب .

وفى هذا المجال العلمى يوضح المؤلف أن الباب ينبغى أن يكون مفتوحا أمام العلوم الطبيعية والرياضيات ، وأن يكون ذلك فى المرتبة الأولى .

أما الأدب الأوربى ، فانه على النحو الذى يدرس به فى البلاد الاسلامية ، يجعل الاسلام غريبا بين أهله خاصة فى عيون الناشئة .

« ان الدور الحاضر الذى يقوم به الأدب الأوروبى فى المدارس الاسلامية يجب أن نتبدل به تدريسا عاقلا بصيرا للأدب الاسلامى ، يتأثر منه الطالب بسعة الثقافة الاسلامية وغناها » .

وما يقال فى الأدب الأوروبى ، يقال فى التاريخ الأوروبى ، اذ أنه يخلق نفس الجو الفكرى الذى يعلى من شأن الغرب ، بينما يهون من شأن سائر الشعوب وهنا تكون الطامة حين يقر فى خلد الدارسين أنهم من الهوان العظيم بمكان .

ان علينا ان نحترس — فى مجال التربية والتثقيف — من الجو الفكرى للمدنية الغربية ، ذلك الجو الذى أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعنا وعلى ميولنا ، اذ بتقليد عادات الغرب وزيه فى الحياة يصبح المسلمون تدريجيا مضطرين الى الأخذ بوجهة النظر الغربية ، والى تقبل الميل العقلى المصاحب لذلك .

— ٧ —

وتحت عنوان « فى التقليد » يشير المؤلف الى أن تقليد المسلمين فرادى وجماعات لطريقة الحياة الغربية يعد من أعظم الأخطار التى تستهدف لها الحضارة الاسلامية .

ويذكر المؤلف أن هذا التقليد نشأ بسبب قنوط المسلمين الذين رأوا القوة المادية فى الغرب ثم وازنوا بينها وبين الحالة المؤسفة فى بيئتهم الحاضرة ، اذ قد نشأ عند بعضهم اعتقاد خاطىء مؤداه أن النظام الاسلامى فى الاجتماع

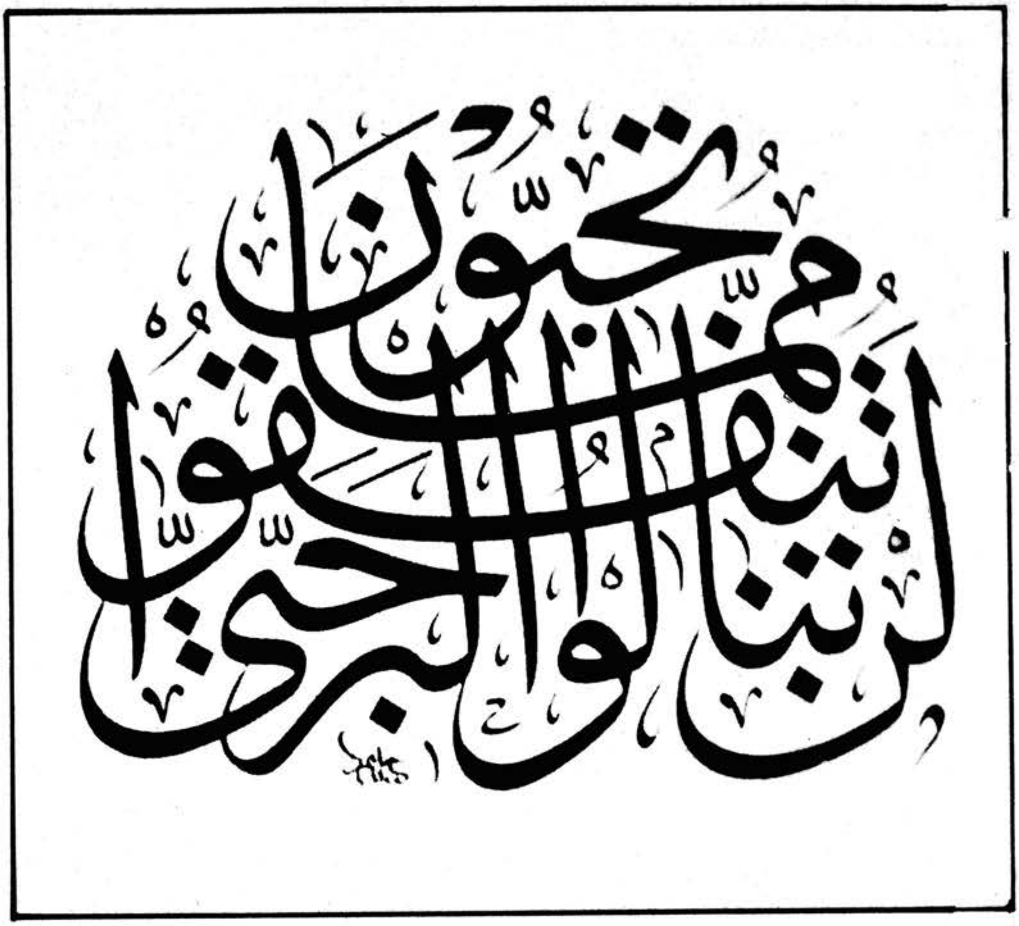

والاقتصاد لايتفق مع مقتضيات التقدم ، فيجب من أجل ذلك أن يحور حسب الأسس الغربيـــة ومثل هؤلاء المخدوعين ، لم يروا موقف الاسلام الحقيقى كما جاء فى القـــرآن الكريم والســـنة النبوية ، ففقدوا كل اهتمـــام عملى بالشريعة ، وأحالوها الى حقل التاريخ والمعرفة المدفونة فى الكتب ، ثم بدا لهم أن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من واقع التفكك الاسلامى •

ان موطن الخطر فى تقليد الغرب لايكمن فى الأشياء التى تقلد فحسب ، بل انه يكمن كذلك فى أن اقتباس الآراء والمثل العليا الغربية ، تقطع بالتدريج تلك الصـــلات التى تربط العـــالم الاسلامى بماضيه ، ومن هنا فانه يفقد شخصيته الثقافية الى جانب أنه سينتهى الى أن يفقـــد أساسه الروحى اذا ظل سائرا فى طريق التقليد دون وعى •

ويختم المؤلف هذا الفصل الذى يختم بـــه موضوع الكتاب بقوله :

« ان المشكلة التى تواجه المسلمين اليـــوم

الإسلام على مفترق الطرق

هى مشكلة مسافر وصل الى مفترق طـــرق ، انه يستطيع أن يظل واقفا مكانه ، ولكن هـذا يعنى أنه سيموت جوعا ، وهــو يســتطيع أن يختار الطريق التى تحمل فوقها هذا العنــوان (نحــو المدنية الغربية) ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه الى الأبد أو أنه يستطيع أن يختار الطريق التى كتب عليها الى حقيقة الاسلام ان **هذه الطريق وحدها هى التى تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم ، وباســـتطاعتهم التطور نحو مستقبل حى » •**

— ٨ —

وبعــد ••• فان صاحب هذا الكتاب ، هو ممن عاش المدنية الغربية المعاصرة ، وممن انتمى الى أهلها بنسبه وماضيه ، وهو ممن خبر حاضر القوم هناك عن كثب ، ولقد أبت فطرته ــ بعد أن أطلت عليها روح الاسلام ــ الا أن تدخل فى دين الفطرة عن ايمان عميق تشربه القــلب والفؤاد ، وتحول من بعد الى حماس وهـــاج ينافح به عن حوزة الدين ، ولكنه ينافح بـــه هؤلاء المغرورين المخدوعين فى زيف المدنيـــة الحديثة من أبناء الاسلام ، فأبان لهم حقيقـــة هذه المدنية وموقفها من الانسان ، وكيف أنهــا لا تؤدى الى بناء الحياة الانسانية بناء سليما ، ومن واقع الرؤية البصيرة أبان لهم أن الاسلام وحده هو الكفيل ببناء هذه الحياة بناء سليما متكاملا فى جانبيه المادى والروحى •

ان المؤلف بذلك يحاول أن يكبح جماح كثير من المسلمين الذين وهت صــلاتهم بمنـــابع دينهم ، وولوا وجوههم شــطر هــذه المدنية يتعبدونها ، ويخلصون لها الوداد ، بينما يديرون ظهورهم لحضارتهم الاســلامية الموروثة فـــى شىء من الازراء أو من الاهمال المقصود أو غير المقصـــود •

ان الكتاب شارة انــذار ، وصيحة نذير ، ينذر من مدنية غربية خبر واقعها ، فوجدهــا خواء فى جوهرها ، أما ماديتها ، فقد اختلط فيها الغث بالثمين ، والحـــق بالبــاطل ، والزيف بالصحيح • والداء العياء هنــا هــو أن الذين ينادون بالارتماء فى أحضــان هـــذه المدنية لايفرقون بين هذه المتناقضات ، ويرونها وجها واحدا ، بل ربما كانوا فى حماسهم أسرع الـــى جانبها الضار من جانبها النافع •• وهنا يأتـــى دور أولى البصر الرشيد من العلماء والمفكرين لكى يقدمــوا جوهر الدين الصحيح لأولئـــك الحيارى أو الشاردين ، فيردوهم الى حوزتـــه راشدين مستبصرين « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » • صدق الله العظيم •

« د • طــه مصطفى أبو كريشه »

(مجلة الأزهر : ان عبارة المؤلف تحمل شــيئا من الاسى لما عليه قلوب الكثير من المسلمين فى عصرنا من خمود الحماس لهذه العقيدة المصفاة هذا الحماس الذى اضطرم فى قلوب الرعيل الاول فكان ما كان من نشر للدين ومجد للاســلام وللمسلمين والناس أجمعين ، فان ما للدين من نظام اجتماعى ورقى ثقافى أمر قائم به لا يتخلف عنه ، وانما يتخلف أو يتقدم المسلمون •

بسم الله الرحمن الرحيم
أبو بكر رضي الله عنه
عمر رضي الله عنه
عن علي رضي الله تعالى عنه
كان إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال
لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد كان ربعة
من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان
جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في الوجه
تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الأشفار
جليل المشاش والكتد أجرد ذو مسربة شثن الكفين
والقدمين إذا مشى يتقلع كأنما يمشي في صبب
وإذا التفت التفت معا
عثمان رضي الله عنه
علي رضي الله عنه
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين أجود الناس صدرا وأصدقهم
لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم
اللهم صل وسلم على نبي الرحمة وشفيع الأمة محمد وآله وصحبه أجمعين الطاهرين
كتبه الحاج أحمد كامل المعروف برئيس الخطاطين غفر الله ذنوبه آمين
١٣٥٧

أنباء وآراء

الى فضيلة الامام الاكبر

مجلس الشورى باسلام أباد

مكتب الرئيس

اول يناير سنة ١٩٨٤ م

صاحب السعادة ..

اننا وفد مجلس الشورى بباكستان الذى زار جمهورية مصر العربية منذ قريب والذى تشرف بمقابلة سعادتكم فى ١ ديسمبر سنة ١٩٨٣ م .

وفى هذه الزيارة لم نكتسب من المعارف السامية فحسب بل اننا أيضا قد حصلنا على اجابات محددة على بعض النقاط التى كانت تدور فى أذهاننا .

ولقد كنتم ـ سعادتكم ـ على وفرة من الكرم حينما أعطيتمونا مجموعة من مشروع التشريع الاسلامى الذى وضعه الأزهر بالاضافة الى مجموعة لكل عضو ـ من الكتب والمطبوعات التى نشرها الازهر وكل مجموعة منها كانت تحتوى على عدد كبير من هذه المطبوعات .

ومن اجل كل هذا فاننى لشديد الامتنان لكم باسم كل عضو من أعضاء الوفد وباسمى شخصيا .

ولهذا فاننى أنقل لكم الشكر العميق كما أرجو أن تنقلوا شكرنا الى كل العاملين معكم الذين أسهموا فى أن تكون زيارتنا للأزهر ثمرة.

وتفضلوا سعادتكم بقبول تأكيدى لأسمى تقديرى واحترامى .

المخلص لكم

خواجا محمد سافدار

الى صاحب السعادة الامام الاكبر

جاد الحق على جاد الحق

اجتمع المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعوة بالمدينة المنورة من أجل التضامن الاسلامى وجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم .

ومثل الأزهر كل من :ـ

الدكتور محمد السعدى فرهود

رئيس جامعة الأزهر

الدكتور الحسينى هاشم

أمين عام مجمع البحوث الاسلامية

نائبا عن فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

الدكتور حامد جامع

الامين العام للمجلس الاعلى للأزهر

● فضيلة الشيخ جاد الحق

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
صفوت عبد الجواد

وأصدر المؤتمر توصيات عديدة دارت حول الجوانب الآتية : ـ

ـ أهمية الدعوة الاسلامية فى ترسيخ عقيدة التوحيد فى نفوس الشباب المسلم واخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى •

ـ دور الحكومات الاسلامية فى تعميق هذه الحقيقة الاسلامية •

ـ دور الأسرة والمؤسسات التربوية والتعليمية فى البلاد الاسلامية فى تربية وتعليم جيل الشباب المسلم القوى المتمسك بعقيدته وبدينه •

ـ دور المسجد ووسائل الاعلام الاسلامى فى تنشئة الشباب المسلم •

ـ وفى الجانب الاقتصادى أوصى المؤتمرون بوجوب أن يكون ايداع أموال المسلمين فى مصارف اسلامية ملتزمة بأحكام الشريعة الاسلامية ، وضرورة الاستفادة من الزكاة فيما يعود على الأمة الاسلامية بالخير فى حاضرها ومستقبلها ، كما يدعو المؤتمرون الى ضرورة التعاون الاقتصادى بين أقطار العالم الاسلامى بشتى أشكاله لتعزيز قوتهم الاقتصادية وتحقيق التكامل الاقتصادى المنشود •

كما أوصى المؤتمرون بأن تكون الاولوية فى مجال التبادل التجارى والصناعى والمشروعات الاستثمارية لأقطار العالم الاسلامى ، والحد من استيراد الكماليات ووسائل الترف من البلاد الأجنبية حفاظا على أموال المسلمين وثرواتهم •

وفى المجال السياسى أكد المؤتمرون بأن القضية الفلسطينية قضية اسلامية وعلى المسلمين واجب الجهاد بكل قدراتهم لاسترداد فلسطين المسلمة والمسجد الأقصى المبارك من أيدى الصهاينة المغتصبين وأكد المؤتمر وقوفه بجانب الشعب الافغانى المسلم فى جهاده لدفع العدوان الشيوعى الهمجى على أرضه وشعبه وأوصى المؤتمر بأن يشارك المسلمون جميعا اخوانهم الأفغان فى جهادهم حتى يتحقق لهم النصر على عدو الله وعدوهم •

ـ وأوصى المؤتمر بالرعاية والعناية بالأقليات الاسلامية ومساعدتهم فى شتى المجالات وحل مشاكلهم حماية لهم ولعقيدتهم وتعزيزا لولائهم لدينهم وانتمائهم لأمتهم الاسلامية •

ـ كما أوصى المؤتمر بمقاومة الفرق الخارجة عن الاسلام والفرق المبتدعة والزائفة حماية للاسلام ونقائه وأن لاتكون الخلافات فى الفروع سببا للتفرق والتباعد بين المسلمين ـ والعناية بمن يدخلون فى الدين ومساعدتهم بشتى الطرق حتى يتحقق لهم التكيف الواجب فى حياتهم الاسلامية تكيفا يزيدهم ايمانا وألفة ومودة •

– وفى مجال الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر أكد المؤتمر على أهميته لتصحيح المسيرة الاسلامية وتطهيرها من كل باطل وشر وتيسير قيام الدعاة بواجبهم وتذليل مايعترضهم من عـوائق .

كما أيد المؤتمر ما جاء فى توصيات لجنـة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة فى المؤتمـر الطبى السعودى الثامن ويرى ضرورة العناية بأبحاث الاعجاز العلمى التى تقوم على تحقيق الأدلة الشرعية والكونية لأهميته فى مجـال الدعـوة .

وقد أوصى المؤتمر بانشاء (مجلس عـالمى للدعوة والدعاة) يعنى بشئون الدعوة الاسلامية والدعاة فى العالم ويكون من أهم أهدافه :

توجيه سياسة الدعوة الاسلامية فى العالم ، وتنسيق جهودهم والجهات المعنية ودراسـة مناهج الدعوة وأساليبها ووسـائلها وتزويد الدعاة بنتائج هذه الدراسات للاستفادة منهـا وتطبيقها فى مجال الدعوة وتزويد الدعـاة بالمراجع المعتمدة والكتب التى تعينهم وتنظيم البرامج التدريبية للدعاة ، وانشاء صـندوق دمج المواد الاسلامية فى المواد التخصـصية يتبع المجلس لتمويل الدعوة .

دمج المواد الاسلامية فى المواد التخصـصية

أصدر فضيلة الأسـتاذ الدكتـور محمـد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر قـرارا يقضى بأن تدمج المواد الاسلامية فى المـواد التخصصية بحيث تقـوم كـل كلية بامتحان طلابها وبأسئلة مستقلة وبذلك تكون المـواد الاسلامية على رأس قائمة المواد التخصصية وتقضى على الانفصالية التى كانت سائدة حتى العام الماضى .

١٤٠ الف جنيه لطلاب الثانوية والاعدادية

اعتمد فضيلة الشيخ ابراهيم الدسـوقى وزير الدولة للاوقاف ١٤٠ ألف جنيه لدعـم فصول التقوية التى تنظمها وزارة الأوقـاف لطلبة وطالبات الشهادتين الاعدادية والثانوية العامة ويستمر تقوية الطلاب بهذه الفصـول حتى نهاية شهر ابريل القادم .

ويبلغ عدد هذه الفصول حوالى الف فصـل على مستوى الجمهورية .

محطة للقرآن الكريم

صرح صفوت الشريف وزير الـدولة للاعلام أنه تم الانتهاء من المرحلـة الاولى ، لبناء محطة لاذاعة القرآن الكـريم ، وبلغت تكاليفها عشرة ملايين جنيه ، وأن المرحـلة التالية من بناء المحطة ستنتهى عـام ١٩٨٥ م ليغطى ارسالها العالم العربى والاسلامى .

مركز اسلامى فى « كارديف » ..

افتتح مؤخرا فى مدينة « كارديف » بمقاطعة « ويلز » مركزا اسلاميا ، يضم مسـجدا ، به قسم خاص للنسـاء ولتعليم اللغـة العربيـة والشريعة الاسلامية سيتم افتتـاح فصـلين دراسيين أحدهما للكبار والآخر للصـغار .

الاسلام والمسلمون فى سرى لانكا ..

انتهت مؤخرا أعمال مؤتمر « تدوين تاريخ

الاسلام والمسلمين فى سرى لانكا » والـــذى عقدته ادارة البحوث الاسلامية والمؤسســة الاسلامية • استمرت أعمال المؤتمر أربعـــة أيام ، وشارك فيها عدد كبير من كبار العلمـاء المختصين • ناقش المؤتمر عدة موضـــوعات حول تاريخ المسلمين فى سرى لانكا ، وأهـم الشخصيات البارزة فى حقل الدعوة الاسلامية هناك •

جوائز للفن المعمارى الاسلامى ••

وافقت اللجنة الدولية للحفاظ على التـراث الاسلامى على تخصيص مائة الف دولار تمنح كجائزة لأفضل بحث مدروس عن الفن المعمارى الاسلامى ، تقوم به كليات الفنون والعمارة فى الدول الاسلامية ، كما وافقت على اصـــدار عدد خاص عن الفن الاسلامى فى مجلة الصين التى تصدر فى « سويسرا » •

آراء

كتب الأخ/محمود عبد العزيز محمد ــ كلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر ــ المنصورة • يقترح بأن تكون الهدية التى تصدر مع المجلة فى سير الصحابة رضى الله عنهم بدءا بأبى بكر ثم عمر •• الخ الصـحابة • ونرجـو من الله أن يوفقكم لما فيه الخير •

*** المجلة تشكرلك هذا الاهتمام وسنناقش هذا الامر إن شاء الله والمجلـــة تتمنى لك التوفيق •**

كتب السيد/أحمد ابراهيم أحمد ــ الاردن ــ اربد ــ الطيبة •

نخبرك بأن مجلة (نور الاسـلام) غـير تابعة لمجلةالازهر بل هى مجلة تصدرها هيئـة علماء الوعظ والارشاد بالأزهر ولها جهـازها الخاص بها •

وبالنسبة ــ لتفسير الوسيط ــ فانه يصدر كل أول شهر جزء منه •

كتب السيد/محمد مصطفى على ــ كليـــة أصول الدين ــ جامعة الازهـــر يطلب بأن تخصص المجلة صفحة أو صفحتين لمســـابقة دينية أو ثقافية •

ويكون لها بعض الهدايا ولتكن كتاب اللــه أو كتب دينية تختارها المجلة •

*** المجلة تشكرلك هذا الاهتمام والشعور الطيب • وقد نشر مثل هذا الاقتراح فى المجلة بعدد ــ ذى القعدة ــ سنة ١٤٠٣ هـ •**

ونسأل الله أن يوفقك لما فيه الخير للاسلام والمسلمين •

كتب كل من السادة :

محمد ابراهيم العويد ــ المملكة العـــربية لسعودية القصيم ــ بريدة •

محمد عبد الله أبو اسماعيل ــ كفر الشيخ ــ دســوق ــ الســالمية أبو ايمـانى ــ طهران ــ ايران •

مستفسرين عن كيفية الاشـتراك فى المجلة وقيمته عن سنة كاملة •

عليكم الاتصال بمؤسسة الاهرام عـــلى العنوان التالى :

مؤسسة الأهرام ــ شارع الجلاء ــ القاهرة

وقيمة الاشتراك سنويا بالنسبة لمصر ٢٤٠ قرشا وبالنسبة للسعودية فهو خمســة عشر دولارا أو مايعادلها •

الفتاوى

« فى الزكـــاة »

س : من السيد / أ ٠ ع ٠ نجم
شـــخص جمـــدت ممتلكاته لـــدى المستأجرين بأمر من جهـات مختصـة واستمر ذلك عدة أعــوام ، فهــل يجب عليه أن يخرج زكـــاة المبالغ المجمدة ؟

ج : هذه ديون له على الجهة التى جمـدت أمواله ، وعلى هذا فيجب على صــاحب المال أن يخرج زكاته وقت زوال تجميده عن السنة الأخيرة فقط عند الامام مالك رضى الله عنه •

س : من السيد / ح ٠ غ ٠ المصرى٠
شخص يفتح محلا تجاريا ، يعول نفسه وأسرته ويســد ديونه من دخل هــذا المحل ٠ فهل يجب عليه اخراج زكـــاة المـــال ٠ ؟

ج : مال التجارة تجب فيه الزكاة اذا بلــغ نصابا وحال عليه الحول ، والزكاة انما تجب فى الموجود من مال التجارة • أما ما صرفه على نفسه وأسرته فلا شىء عليها •

« الصلاة على النبى جهرا بعد الأذان »

س : من السيد / ك ٠ ع ٠ وادى ٠
ما حكم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم جهرا بعد الأذان ٠ ؟

ج : ألفاظ الأذان الشرعى هى :« الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ،أشـــهد أن لا اله الاالله • أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله • أشهد أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر، الله أكبر ، لا اله الا الله » •

كما ورد أن يقال فى أذان الفجر بعد حى على الفلاح « الصلاة خير من النوم • الصلاة خير من النوم » •

والصـــلاة على النبى ــ صلى الله عليــه وسلم ــ مشروعة بعــد الأذان لقــوله عليه الصلاة والسلام : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صــلوا على » والمخـــاطب بذلك هو المؤذن والمستمع على السواء ••• والأفضل أن تكون الصلاة بصوت أقل ارتفاعا ومخالف للصوت الذى يؤذن به ، حتى لا يظن الناس أنه من صيغ الأذان •

اعداد: عبد الحميد السيد شاهين

« فى الميراث »

س : من السيد / ع • ع • البسيونى
توفيت امرأة عن : بنت ، أولاد بنت متوفاه ذكور واناث، بنات بنت أخرى متوفاه ، أولاد أخ شقيق ذكور واناث • فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنتين بمقدار ما كان يستحقه أصل كل منهم لو كان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ م •• ولما كان نصيب البنتين يزيد على الثلث • فترد الوصية الواجبة الى الثلث•

والمسألة من ستة أجزاء : منها جزءان وصية واجبة ، جزء لأولاد البنت الأولى يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، وجزء لبنات البنت الثانية يقسم بينهن بالتساوى •

والباقى أربعة أجزاء هو الميراث : للبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها ، والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ، ولا شىء للاناث من أولاد الأخ الشقيق ، لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث •

« الحلف على المصحف »

س : من السيد / م • صابر
حلف على المصحف قائلا لزوجته : ما أنت مسافرة وسافرت • ثم كفر عن اليمين باطعام عشرة مساكين •

« فى الطلاق »

ومرة ثانية قال لها على الطلاق ما أنت آكلة معى طول شهر رمضان • وأكلت •
ومرة ثالثة قال لها أنت طالقة طالقة طالقة •

فما الحكم ؟

ج : عن الأول يلزمك كفارة يمين • وحيث انك كفرت فلا شىء عليك •

وعن الثانى لا يقع به طلاق وذلك حسب القانون الجارى به التقاضى فى مصر والمأخوذ من الشريعة الاسلامية •

ويقع بالثالث طلقة رجعية ، لك مراجعة زوجتك مادامت فى العدة ، فاذا انقضت عدتها منك حلت لك بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، وتبقى معك على طلقتين •

والله أعلم

فهرس العدد

الموضـــوع	الصفحـــة
● سيدى صاحب رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـ	
للدكتور على الخطيب	٨٤١
● رسلة من الازهر الى جـــلالة الملك الحســـن الثانى رئيس مؤتمر القمة الاسلامى	
دراســات قرآنية	
● لمن الخطاب فى قوله تعالى « فان كنت فى شك مما انزلنا اليك الخ	
لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير	٨٤٦
● الحمد فى القــــرآن الكريم	
للدكتور محمد محمد خليفة	٨٥٣
● هل من مجمع لترجمات تفسير القرآن الكريم	
للدكتور حسن المايرجى	٨٦٠
دراسات فى السنة والتشريع	
● الخـــوف والرجاء	
للشيخ محمد صابر البرديسى	٨٦٨
● سفراء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ	
للدكتور مختار الوكيل	٨٧٤
● الغاء الاعدام وابقاؤه بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية	
للدكتور محمد رجب البيومى	٨٨١
● حقوق غير المسلمين فى ظل تقنين الشريعة الاسلامية	
للاستاذ عبد الله مبروك النجار	٨٨٥
● عن تطبيق الشريعة الاسلامية رسالة الى الاستاذ أحمد بهجت	
المستشار السيد عبد العزيز هندى	٨٩٦
شــعر وشــاعر	
● نماذج بشرية	
للدكتور حســـن جاد	٩٠٢
● من وحى الايمان	
للاستاذ محمد عبد الفتاح حماده	٩٠٣
● أيشرع الانسان للانسان	
للاستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين	٩٠٤
● محمد فضل اســــماعيل	
للاستاذ احمد حافظ	٩٠٦
مـــن أعلام الأزهر	
● الشيخ محمد البناء « بك »	
للاستاذ محمد كامل البنـــا	٩١٦
● الى رحمة الله امام النحو والصرف فضيلة الدكتور محمد عبدالخالق عضيمة	
للاستاذ محمود عبد الرازق عقباوى	٩٢٨

الموضـــوع	الصفحـــة
● طرائف .... ومواقف	
للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٩٣٢
● طابا ارض مصرية	
للاستاذ ابراهيم خليل	٩٣٦
● الشعب المصرى عراقة أصله العربى	
للمستشار محمد عزت الطهطاوي	٩٤١
● مشيخة الجامع الاحمدى بطنطا	
للدكتور مجاهد توفيق	٩٥٠
دراسات فى الاعلام	
● الاسس الاعلامية فى التصور الاسلامى	
للدكتور متولى يوسف حســـن	٩٦٨
مــع التراث	
● مجلة الازهر من خمسين عامـــا	
للاستاذ عبد الفتاح الزيات	٩٨٠
● من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر	
للاستاذ محمد عميره على	٩٨٥
اللغة والأدب والنقد	
● حتى الابتدائية	
للاستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى	٩٩٢
● شوقى بين مجد الاسلام وعظماء رجاله	
للدكتور محمد سلامه صالح	٩٩٥
● فى حاشية الامير	
للاستاذ السين حسن قرون	١٠٠٣
● الاسلام على مفترق الطرق	
للدكتور طـــه أبو كريشة	١٠١٣
● أنباء وآراء	
اعداد احمد عبد الرحيم السايح	
عبد الفتاح السيد عبد السلام	
صفوت عبد الجـــواد	١٠٢٢
● الفتـــاوى	
اعداد عبد الحميد السيد شاهين	١٠٢٦
● المقـــال الثانى	١٠٣٠
للاستاذ سليمان بركات	
● المقـــال الاول	
للدكتور أنس النجـــار	١٠٣٤
مراجعة وعناوين داخلية	
الاستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا	

by the concept of universality. In this way, Islam had the scene open for a world-wide diffusion.

The intermediate location of the Arab World served as an excellent centre of Islamic propagation. There is a flase, or rather ill-willed, claim that Islam spread with the compulsion of the sword. Next to unbelief and profanity, nothing could be so non-Islamic as coercion and persecution. In addition to the fact that all warfare was either retaliatory or protective, the morality of this noble faith extended therein most admirably. Conversion into Islam, on the other hand, was both individual and collective response to the resistless call of Right.

With the wide-spread of Islam, Muslims came into contact with other cultures. They received with acceptance all that did not contradict the codes of their faith. As a result, they were able to effect a revival of basic truths and retore essentials of wisdom. Consequently with increasing races that entered the faith, the power of Islamic civilisation swelled and the legacy of world culture multiplied.

Though no other religion has ever appeared to invalidate Islam or assume to perfect it, malicious challenge has never ceased. However, it has always been an incentive to power, consideration, solidarity and continuation for Islamic culture. No wonder then, that even in existing hard times of decline for Muslim societies, proselytes into Islam are steadily increasing. The capability of Islam to survive all adverse conditions. Adaptation is but a characteristic complementary to its originality and integrity.

Muslims should comply with the commandments fo Allah, they should learn from the symbol of standing minarets. The objective truth, indestructible faith; Allah is there, unseen but ever-watchful.

TOWERING AND UNBENDING MINARETS STILL STAND

Islam is a supreme doctrine. It addresses man and society in person and denies the necessity of mediation between man and his Creator. Its patterns of worship, dealings, government and all facets of human concern are plain, practical and systematised.

Islamic doctrine has its guidance and inspiration from the Qur'an and the Sunna. These, in their excellent state of preservations, remain the fountain of the creed and its basic morality.

Islam encompasses seeking both this life and the Hereafter. It is a practical faith appreciative of both matter and soul.

Islam is also a religion of values and moral controls, which cover all fields of human thought and activity. Ordinances, however, are more or less alleviated in accordance with pressing circumstances. Nevertheless, such compromises never infringe on the integrity of morals or transgress the sanctity of tenets.

An intrinsic worth of Islam is that it calls for a connective relationship. It cements fraternity and brotherhood between Muslims.

Islam approves both reason and logic as valid instruments of wise guidance. It welcomes and even invites " Ijtihad " whenever necessary. By "Ijtihad" is meant sagacious and discerning deduction from the Qur'an and the Sunna of opinions on different matters not explicit therein. Islam shuns extremeity of attitude. However, it dictates rightousness and forbids indecency.

When Islam dawned upon Mecca, both conquest and commerce had already brought the larger part of the Old World into contact. Hence, the human conscience had already been fertilised

TOWERING AND UNBENDING MINARETS STILL STAND

by: Soliman Barakat

Apparently, the political and cultural weight of the Muslim world is in a deplorable state of recession. This is no way an outcome of a defect in any islamic tenet or custom. Rather, it is a blemish to the credit of the undutiful Muslims of these days. They deserve it, and on themselves draw the accountability both for their own deviation and for the coming generations.

Islam is distinct from other religious cults for its perfection and its age-long stand in face of challenge. Furthermore, it is the sole faith that has established and developed its own civilisation. The patterns it has created of thinking, conduct and growth are all dutiful, deep-rooted, far-reaching, widespread and long-lived.

So far, and to eternity, it has been, and will remain, the last heavenly message. For man and society alike, it is capable of affecting the desired change and social evolution needed for human refinement.

The primary seed of this heavenly message is Belief and Faith. This entails a perpetual demand of righteous action and continuous endevour of proper conduct in man's everyday concerns.

THE SUMMONS IN SECRET

At this stage ends the first phase of the call to Islam the summons in secret and cautious privacy, and marks the start of the second phase which was characterised by public announcement only verbally with no armed confrontation. This second phase lasted till the Hijrah and constitutes an unequaled example of the most outrageous tyranny, oppression and persecution inflicted upon humans in the history of mankind. The Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) was at the centre and core of all the suffering and humility to which Muslims were subjected.

Prayers and Peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

REFERENCES :

1) Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dal Al Sharook - Jeddah

2) Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleer
   24th. Edition 1987
   Sheikh Mohamad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3) Mashahid min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo - Printed 1980

4) Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dal Al-Marrif, 1977, Cairo

5) The Holly Quran
   Text, Translation and Commentary
   Abdullah Yusuf Ali

6) Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramadan Albooty
   7th. Edition, 1977
   Dar Al - Fikr , Cairo

This concrete reality invoked Muslims to gather as brethern in adherent commitment to their faith.

The summons to Islam in secret was a policy commanded by Allah during the early years. The Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) strictly adhered to the command of the Revelation. However, the infilteration and diffusion of Islam was gaining strong grounds, and during the three years became the talk of every tongue in Macca. A man from amongst them was receiving heavenly revelation, calling to the worship of Allah, and claiming that he was the messenger of a new faith. The cultural and social impact of the teachings of the new doctrine was tremendous; lighting up and illuminating the hearts and minds that believed, and certainly intriguing those who remained captured within the dark abyss of stupid ignorance of heathenism and idol worship. They antagonised the new faith but remained short of open confrontation and public opposition since the summons and call to Islam was in secret privacy, and did not affect or interfere with their status, dignity or wellfare, and did not so for humiliate or disgrace the idols they worshiped.

By the end of three years, the period of time during which the summons to Islam was in secret, about forty men and women were already coherently and strictly with total self conviction embracing Islam, and accepting its teachings and doctrines. After that period the Revelation came to command the Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) to declare publicly what he was calling for in secret. The Qur'an states:-

Therefore expound openly
What thou art commanded
And turn away from those
Who join false gods with God

(Surat Al-Hijr XV,94)

THE SUMMONS IN SECRET

Next followed Abu Bakre Ibn Abi Kuhafah a man of high rank and esteem in Kuraysh in lieu of his outstanding wisdom, knowledge and reputable character. Abu Bakre proclaimed Islam and summoned others who accepted to worship Allah, denying the existance of all other gods except Allah, and witnessed that Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) was his Messenger. Among those pioneer vanguard were Osman Ibn Affan, Zubayer Ibn Al-Awam, Abdul-Rahman Ibn Aouf, Saad Ibn Abi Wakas, Talha Ibn Ubiedullah. These were followed by others as Abu Ubiedah Ibn Al-Garrah, Alarkam Ibn Abi Alarkam, Osman Ibn Mathoon, Ubiedah Ibn Al-Harith, Said Ibn Zaid, Khabab Ibn Al-Arit, Abdu-Allah Ibn Masoud, Ammar Ibn Yasser, and others including several women. Each of them came to the Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) declared Islam and accepted with dignity and concreteness the doctrines of its message.

The summons to Islam in secret continued for three years, during which Muslims concealed their new faith and belief and practiced their prayers away from the eyes of Kuraysh in Macca who certainly hated and antagonised the decline of idol worship with the spread of the true new faith. The wave of Islam was swelling, and the call and summons was spreading - in privacy and secrecy. The Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) chose the house of Alarkam Ibn Abi Alarkam to meet, to councel, to teach, to instruct and to receive new converts into Islam. In gracious kindness, humble fraternity, confident manhood, eloquent speech, honest sincerety, perceptive wisdom, peaceful tranquility, and very deep true sanctified piousness, the Prophet(Prayers and Peace from Allah upon him) treated his friends the Sahaba. The Revelation continued commanding and directing, formulating the intricate pattern and code of the new faith, providing the doctrines that will liberate and emancipate humanity from the pitch of bitter darkness to the light of honour, reality and justification.

THE SUMMONS IN SECRET

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD.

IN THE NAME OF ALLAH, MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL.

The Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) was ordained by divine command to carry the message of Allah in precise manners of worship, and exact conduct of patience steadfastness, and constancy. The revelation in its initial phrases inherently demanded that the call and summons to Islam be conducted in secrecy and selective restraint. In compliance with such understanding and perception, Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) began his summons in absolute discreetness and confidential communication with his close kinsmen and persons with intimate relationship. The call was to the worship of Allah, the Creator, the most Gracious, the most Merciful, the Exalted, and the One; and to witness that Mohammad (Prayers and Peace from Allah upon him) was his messenger and prophet.

The first that embraced Islam were members of the Prophet's family- his wife Khadija Bent Khuwaylid, his cousin Ali Ibn Abi Taleb, and Zaid Ibn Harithah his protege. Both Ali Ibn Abi Taleb, and Zaid Ibn Harithah lived in the home of the Prophet (Prayers and Peace from Allah upon him) ; a home that reflected coherence and confidential respect to the Master and Messenger.